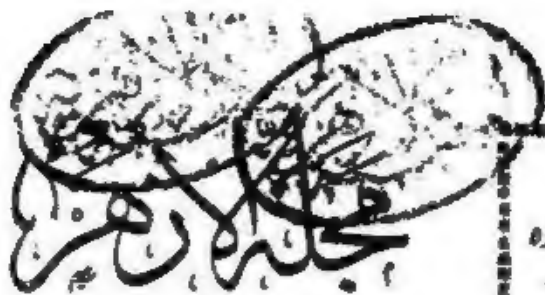


١٢٢٢



مجلة شهرية جامعية

بمبادرة من مجلة الأزهر في أول كل شهر جمادى الأولى

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
«بذل لأدب قرائك»
٥٠٠ في المراجعة الشهرية
٦٠ خلق الجمهورية
والدراسات والبحوث في فلس

«العتبات»
إدارة المجتاع الأزهر
بالقاهرة
ت ١ ٥٩١٤
٩٠٥٤٧٣
٩٠٥٥٠٦

الجزء الأول — السنة الثانية والأربعون — المحرم سنة ١٣٩٠ هـ مارس سنة ١٩٧٠ م

للسنة الثانية والأربعون

ما قبل الهجرة وبعديها

للأستاذ عبد الرحيم فودة

- ١ — لم تكن هجرة النبي ﷺ والمسلمين من مكة إلى المدينة ملامر تجلأ بثيره القزع والجزع والشعور بالضعف أو الخوف ، ولم تكن تنفيذاً لفكرة طارئة تعرضها الظروف القاسية ، والأيام العصيبة التي كان يعيش فيها المسلمون ويتحملون من ألوان البلاء والمنايا والمسف ما تنوء بحمله الجبال ، وإنما كانت نتيجة تدبير وتقدير وإعداد وتمهيد ، فقد سبقت بيعة العقبة التي أخذها النبي على الأنصار ثلاث سنوات متتاليات ، وبإسلام كثير من أهل المدينة ودخولهم في هذه البيعة على السمع والطاعة في النشاط والمكره ، وعلى النفقة في السر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعلى أن ينصروه ويعنوه مما يمنعون منه أنفسهم وأزواجهم وأبناءهم .
- ٢ — هذا إلى أنه ﷺ عرف فكرة الهجرة منذ أول عهد بالوحى ، كما يفهم من قصته مع ورقة بن نوفل ، حين ذهبت به إليه زوجته خديجة ، وطلبت منه أن يعرض عليه خبر لقائه مع جبريل في الغار .

فقد قال ورقة بعد أن سمع منه ما سمع :
(يا ليتني فيها جذعا ، يا ليتني أ كوف
حيا إذ يخرجك قومك . فقال صلى الله
عليه وسلم : أوخرجني هم . . . قال نعم ،
لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به
إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك
نصرا مؤزرا) .

٣ - وقد ظل أمر الهجرة - مع علمه به -
مبهما عليه ، لا يعرف متى يهاجر ، وإلى
أى مكان يهاجر حتى رأى في المنام ما يليق
ضوءاً عليه . فقال للمسلمين بمكة :
« أريت دار هجرتكم . أريت سبعة
(أرض ذات حماد وسباخ) ذات نخل بين
لابتين (أى أرضين من حجارة سود) »
ثم أخذ المسلمون يهاجرون إلى المدينة ،
وبقي صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أن
يأذن الله له بالهجرة منها ، حتى كانت الليلة
التي قال الله فيها : « وإذ يمكر بك الذين
كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك
ويمكرون ويمكر الله والله خبير
المالكين » .

فقد اجتمع أشرف كل قبيلة من قريش
في دار الندوة لينظروا في أمره ويأتمروا به ،

فمن قائل تقيده في السجن بالحديد ، ومن
قائل تخرجه من بلدنا إلى مكان بعيد ،
ثم التقى رأيهم على رأى أبى جهل ، وهو
أن يختار من كل قبيلة شاب قوى قوى ،
ثم يعطى كل منهم سيفاً صارماً ، ثم
يضربوه ضربة رجل واحد ، لينفرك
دمه في القبائل فلا يتقوى بنو هاشم على
حرب قريش كلها .

٤ - وكان الله معهم إذ يبيتون ما لا
يرضى من الشر والغدر فأوحى إلى نبيه
بما دبروا من مكر ، وأذن له بالهجرة من
هذه القرية الظالم أهلها ، فلم ينس صلى الله
عليه وسلم أن يرد الودائع التي كانت عنده
فقتاس (ولم يكن بمكة أحد عنده شيء
يخشى عليه إلا وضعه عنده لما يعلم من
أمانته وصدقه) فأبقى عليها ليؤدي عنه
هذه الودائع ، وأمره أن يبيت مكانه
ويتسجى بجرده الحضرمي الأخضر ،
وقال له : لن يخلص إليك شيء تكرهه
منهم ، ثم خرج على المتربصين به ليقتلوه ،
وقد أخذ الله على أبصارهم فلم يروه ،
لجعل ينثر التراب على رؤوسهم وهو يتلو
قول ربه : « يس - والقرآن الحكيم .

إليك لمن للرسلين . على صراط مستقيم .
تنزيل العزيز الرحيم . لتنذر قوما ما أنذر
آباؤهم فهم غافلون . لقد حق القول على
أكثرهم فهم لا يؤمنون . إنا جعلنا
في أذانهم أغشالا فهي إلى الأذن

فهم مقصون . وجعلنا من بين أيديهم
سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم
لا يبصرون .

ثم انصرف صلى الله عليه وسلم ، فلم
يلس أن يودع أرض مكة بهذه الكلمات
التي تفيض عبرات : (والله إليك لأحب
أرض الله إلي ، وإليك لأحب أرض الله
إلى الله ، ولولا أن قومك أخرجنى منك
ما خرجت) .

٥ - ومضى عليه السلام مع صاحبه
أبي بكر إلى غار ثور ، واستيقظا للتربصون
به على صوت ساخر يشق آذانهم :
ما تنتظرون ها هنا ؟ قالوا : مجلدا . فقال :
خبيكم الله ، قد - والله - خرج عليكم
مجلد ، ثم ما ترك منكم رجلا إلا وقد
وضع على رأسه ترابا ، وانطلق لحاجته ،
أفأترون ما يكم ؟

ووضع كل منهم يده على رأسه ،

فإذا عليه تراب ، ورأوا عليها متسجيا
يرد الرسول فقالوا : والله إن هذا لحمد
فأعما عليه يده . ولم يبرحوا مكانهم
حتى أصبحوا ورأوا وجهه على بتألق في
ضوءه أمامهم .

٦ - وطار صواب قریش وجن جنونها
وانطلقوا في كل مذهب وطريق يبحثون
عن مجلد وصاحبه ، وأخذوا بهما حول
الغار ، وكادت جيوشهم تطبق عليهما ،
ورأى أبو بكر الخطر يقترب منهما ،
فقال للنبي ﷺ : لو نظر أحدهم تحت
قدميه لرآنا . فقال صلى الله عليه وسلم
في لهجة الوائق المعتز بالله : (يا أبا بكر
ما ظنك باثنين الله ثالثهما) ، وكان ذلك
تصيرا عن صدق إيمانه بوعده الله واطمئنانه
إلى عونه ونصره ، فلم يساوره أى شعور
بالضعف أو الخوف ، وذلك بعض ما يفهم
من قوله تعالى : « إلا تنصروه فقد نصره
الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين
إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن
إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه
وأيده بجنود لم تروها . وجعل كلمة الدين

(البقية على صفحة ٨)

العبرة من الهجرة

لفضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد عبد المجيد الفحام
شيخ الأزهر

يشرق على الوجود حلال المحرم فيجدد
في دنيا الإسلام ذكرى من أروع الذكريات
وأجلها خطراً وأعظمها أثراً في مسيرة
الإنسانية، ذكرى حدث لم يعرف له التاريخ
نظيراً في أمة من أمم الأرض ولا في حياة
زهيم من زعماء الدنيا، ذلك هو هجرة المختار
صلوات الله وسلامه عليه من مكة إلى
المدينة المنورة، تلك الهجرة التي تجل فيها
صدق الإرادة وكمال البطولة وقوة الإيمان
وشرف القداء والتضحية والتي فرقت بين
الحق والباطل والخير والشر وفصلت بين
الهدى والضلال والنور والظلام وأرست
دعائم العدالة وأعلنت صروح القضية
فنفذت وجه الأرض وعدلت مجرى الحياة
وكل خير أصابه للسلوك وكل رشاد
ظفرت به البشرية منذ هاجرت رسالة
التوحيد إلى يثرب إنما كان ثمرة طيبة من
ثمار هذه الهجرة المباركة .

فما كانت الهجرة إلا تحريراً للإنسان
من رق الطواغيت وإنقاذ البشرية للعذبة
من ضلال الجاهلية وحمالة الطغيان
والإحفاظ على صرح الأخلاق الفاضلة
التي شاهده الأنبياء من قبل محمد بن عبد الله
صلوات الله وسلامه عليه، وجاء هو ليكمل
دين الله ويتم البناء « اليوم أكملت لكم
دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت
لكم الإسلام ديناً » .

فقد كانت الهجرة انتصاراً للحق الأعزل
إلا من الإيمان في مواجهة الباطل للدجج
بأسلحة البغي يريد أن يفتك به ويكتم
أنفاسه ويمطر موكبه عن المسير .

ولم يكن انتصار الحق بالمهجرة السريّة
سهلاً لينا وإنما كان موضع ابتلاء وعنة
تعرض فيها لأقذر مؤامرة وأبشع جريمة،
ولكن الحق كان مؤيداً بالجهاد والصبر
والثبات والتضحية والإيثار والقداء والشجاعة
والإيمان والثقة بنصر الله « بل نقذف
بالحق على الباطل فيدمغه فأهوا هو زاهق » .

فقد ظل الرسول العربي صلوات الله وسلامه
عليه في مكة ثلاثة عشر عاماً من صمر نبوته

ولكنه أبى إلا أن يكون داعياً إلى الله وأهلها قوية مدوية مازالت بتكرره في أجمع الزمان « والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه ».

وأزعج هؤلاء الطغاة أن ركب الهدى يتقدم وأن قائمه لا يثنيه عن هدفه عنف ولا يبرهه لين وأعينهم الحيل ولم يجدوا وسيلة تريحهم من الدعوة الجديدة إلا بالقضاء على محمد، فقد تشاوروا فيما بينهم وانتهى رأيهم إلى أن يختاروا فتية أشراء من كل القبائل يرصدونه أمام بيته حين يهدأ الليل ثم يتقضون عليه ضربة رجل واحد فيستريحون منه ويتفرق دمه بين القبائل فتتوهم بنو عبد مناف بشاره وترضى بدينه، ولكن الله من ورائهم محيط فأطلع رسوله على مسكرم وأذن له بالهجرة إلى يثرب « وإذ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ».

وفي الليلة الموعودة فيما بينهم لسفك الدم الزكي وإزهاق روح الدعوة أحاط النفر الأشقياء ببيت النبوة وكان فيهم أبو جهل

يدعو إلى توحيد الله وشرف الإنسان وكرامته، ويفتح القلوب على الحق والنور والسيادة والعزة، قال للمعرب: حطموها هذه الأصنام وتعالوا إلى كلمة سواء ألا نعبد إلا الله ولا نفكر به شيئاً، ودعا قريشاً سادة العرب أن أتركي هذه السيادة فما كان بعض الناس أرباباً لبعض وإتعا الناس كلهم سواء لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح، وهتف بكسرى وقبصر أن هذا الجيروت الظالم وتلك الربوبية الكاذبة واتبعاني أهدكما سبيل الرشاد، ولكن صادفته قلوب عليها أقفالها ونفوس أوصدت عن قبول الحق وانصرفت عن الهدى إلى متابعة الهوى والشیطان ولم يستجب له غير قلة قليلة تحملت لأواء دعوته وخلاف قومه وعشيرته فاستمرأت العذاب في سبيل الحق واستعذبت الألم في سبيل الله واشتد الأذى به وبالنفرة الذين استجابوا لدعوته، وتنوعت مواقف للمشركين ضده من السخرية والاستهزاء إلى العنف والاضطهاد إلى التلين والإغراء، ولكنه ثبت على الحق وصبر على الأذى فما ضمه ولا تخور ولا لانت له فناة فراحوا يعرضون عليه المال والسلطان

وهقبة بن أبي معيط وأمية بن خلف والنضر بن الحارث وطعمة بن عدي وزمعة ابن الأسود وغير هؤلاء العناديد ممن بلغوا مائة عدا، وما كان بيت النبوة مدينة حصنة ولا قلعة محكمة ولم يكن بداخله عدد غفير حتى تواجهه قريش بهذا الحشد الجلد بعد تشاور وتماور وإنما كان بيتا متواضعا لا يميز على مقتحم ولا بمستحس على متسلق، وإنما كان في داخله مع محمد شاب تحدى وحده جريح الشباب المترين في شجاعة مؤمنة وفداثية جريئة ورقد على بن أبي طالب في فراش النبي وغطاه صلوات الله عليه بردائه الحضري، وخرج يخطو على الطمثنان الواقعين بنصر الله في مواجهة الموقف الحاسم الذي صمم الكفر فيه على تنفيذ مؤامراته التي أعد لها هذا الحشد الفتى المسلح، خرج على الجمع المترين به في عتمة الليل وهو يحثو التراب على رؤوسهم يتلو قرآنه «وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون» فإذا الشباب المتحمز مغشى على بصره مطحوس على بصيرته فقد ظلمت عليهم الشمس الوجود ونور الحق قبل تحس منهم من أحد أو

تسمع لهم ركزا . ومضى الرسول إلى بيت صاحبه أبي بكر على موعد معه، ومن هناك خرجا إلى فارثور ثم يوسلان منه الرحلة إلى يثرب. وحي القوم يرقبون النبي مطمئين إلى أنهم سيقضون به أمرا يؤمنهم على مام عليه ويبقى على آلهتهم وصلاحهم .

وشريت قريش كشوس الندامة عندما عرفت أن قتيانها باتوا ليلتهم حراسا لمعي لا مترين يصنعون وفشلت المؤامرة وسقط التدبير وقعد للكر وأفلت الزمام ولم يمد أمامهم من أمل إلا أن يذكروه فيحبسوه أو يقتلوه فأغفلوا الجمل لمن رشح إليه وراحوا ينقرون العيون حول مكة ويتفتنون الأثر في مسالكها وانتهى للسير بالقصاص إلى ذلك الغار فإذا حمامات مستكنة في عشها وإذا شجرة تمتد فروعها وتتصافح أغصانها وإذا عناكب تتشابك خيوطها ويتكاتف نسجها فيحلف أحدهم أن نسج هذا النسكجوت أقدم من ميلاد محمد، ويتجمع القوم ويتفرقون ويتناقشون ويتجادلون والرسول في النار وقد أحبط به من كل جانب والقصاص وقريش كلها عملا

مكة بالغنى الأ كبر تملك الرمام وتفسر السلام
وتؤثر المغو والصفح وأكل الله الدين
وأتم النعمة ودخل الناس في دين الله أفواجا .

وهكذا لم تكن الهجرة فرارا من
الليدان ولا مجرد انتقال من بلد إلى بلد
وإنما كانت هجرة من أرض جثم فيها الشرك
وحكمها الجهل وسادها البنى إلى أرض سطم
فيها نور الحق وأشرف منها ضياء التوحيد .

وكانت ثورة على الظلم : ظلم النفس بالشرك
والرذيلة وظلم المجتمع بالطغيان والقوضى .

وكانت حربا على الضعف الإنساني في شتى
سوره وألوانه واتصارا الحق مهما بطشت
به قوة الباطل وكانت تأسيسا لأول دولة
دعما العدل والعلم والحرية والحضارة
والإخاء والمساواة في ظل وحدة الأمة التي
رضيها الله لصاها « إن هذه أمتكم أمة
واحدة وأنا ربكم فاعبدون » .

وما أشبه القيلة بالبارحة فذكرى الهجرة
نظامنا اليوم ونحن نواجه قوى الشر
والمدون وهي أشد ضراوة تريد أن تقضي
من جديد على دعوة التوحيد وتغتصب
ديارها وتذل أهلها وترد العالم إلى عبود
الجاهلية الأولى .

الضعاج وتقذف بلهب الغيظ والحقد
فلا ين هزمه ولا يرجف فؤاده ولا يفقد
ثقتة بنصر ربه ويحقق قلب الصديق خوفا
على الرسول فيثبته قائلا « لا تحزن إن
الله معنا » ، وبعد ليال ثلاث إذ خدعت نار
الطلب مضى الركب المهاجر في طريقه تحمله
حنابة الله وتلحظه في كل خطوة وتدركه عند
كل عتبة وتدفع عنه السوء وترد عنه الكيد
حتى ألقى رحله في يثرب لتتخذ اسم المدينة
للنورة علما جديدا لها فكانت رده الدعوة
وسند الحق ومصدر النور والعزة وكانت
وطن المجتمع الجديد : مجتمع الوحدة والإيثار
والعدالة والمساواة والعلم والحضارة .

وهناك صنع الرسول القادة وراسل
السلوك وبعث البعوث وملا الدنيا بالنظم
وللثلى التي فتحت القلوب بالعدل والعقول
بالعلم والبصائر بالنور .

ومن هناك بدأ الزحف الجيد لخدمة
الإلهية التي جردها الله على الكفر والبنى
والجهل وجعل قائدها محمد بن عبد الله ولم
يقف الزحف النبوى ولم يقباطاً فلم يعض
فهر بدون معركة يلتصق فيها الحق وبدون
تفريع وتجديد وعاتت الدعوة الطريفة إلى

والعبارة الواضحة من الهجرة أن الإيمان بالله والثبات على الحق والصبر على المكروه والكفاح في سبيله ، كل ذلك يستلزم النصر بإذن الله .
فليكن لنا في رحاب الله كرم مدد يوثق صلتنا بالله ويربط على قلوبنا في معركة للصبر حتى نصون الحق ونسترد الأرض

ونظهر القدس وتعرف أعلام السلام على أرض السلام .
«ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم» .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

و : محمد محمد الفهمام

(بقية للنشور على صفحة ٣)

كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم » .
٧ - هذا بعض ما كان قبل الهجرة وفي أثنائها ، أما ما كان بعدها ، فهو إشراق النور الذي اختلق بين جبال مكة وهضابها ، ليلاً ثلاثاً عشرة عاماً ويلاً الوجود كله بعدها بضياء الإسلام ، فكل ما أحرزه المسلمون بعد الهجرة من انتصارات هو التفسير الكبير للسبب الذي تلتقى فيه كل أسباب الهجرة ، ولعل هذا هو السر في تسمية الهجرة

نصراً ، حيث يقول الله : « إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين » ولعل ذلك كذلك هو الذي ألهم ممرض الله عنه أن يجعل عام الهجرة مبدأ التاريخ في الإسلام .
الهم : أكرمنا ولا تنها ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وارضنا وارض عنا ، واجعلنا مع الدين أنعمت عليهم » من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا »

عبد الرحيم قودة

الهجرة ... مقدمات ونتائج

للمسلمين

يقضى هناك فترة انقطاع ونحنت، ويميش متأملاً مفكراً - حياً للوصول إلى حقيقة الكون، وأدرك الرسول الحقيقة التي طالما شغل بها، وأيقن أن قومه قد ضلوا سبيل الهدى، وأنهم قد سلخوا حياتهم لأصنام لا تسمع، ولا تبصر، ولا تضر ولا تنفع... جاءه الوحي وتلى عليه الأيمن قول الحق تبارك وتعالى: «اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم» وفسر الرسول على خديجه ما حدث فيشرته قائلة: «أبشر يا ابن عم وائبت فوالذي نفس خديجة بيده إنا لما لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة».

وأكد ورقة بن نوفل قولها «قدوس قدوس والذي نفس ورقة بيده إن كنت صدقتى يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى وإنه لنبي هذه الأمة» وتنبأ ورقة - وكان قد ترك عبادة الأوثان

بمآلا يختلف فيه اثنان، أن الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة كانت حدثاً هـ أصداؤه البعيدة في حياة الإنسانية كلها.. كانت حدثاً وضعت العناية الإلهية أبعاده وورثته حتى كان نقطة تحول في تاريخ البشرية ابتداءً من عنده التاريخ وبه تكون أعظم مجتمعات بشرى حق للإنسان الكرامة والسكال والرقى.

والهجرة النبوية كأي حدث كانت لها مقدمات مهدت لها ونتائج تربت عليها.

لقد شب رسول الله وسط قوم غرقوا في الملذات وعبدوا الأصنام وماشوا حياتهم في ضلال... ولم يستجب عليه السلام لهذه الحياة التي رأى فيها انحراماً وفساداً وبمدا من الحقيقة وتجنباً للصواب بل اتجه بقلبه ومشاعره وقد خلصت نفسه من الباطل - باحثاً عن المرام المستقيم والحقيقة الخالدة، وفللس سنوات طويلاً يخرج في كل شهر من رمضان إلى غار حراء

ولم يوقفه عن دعوته إغراض الناس عنه بل ظل على الطريق يحمل الرسالة ويؤدي الأمانة دون تردد أو خوف إيماناً بالله وتقديراً للمسئولية ..

وبدأت قريش وهي صاحبة السيادة والقوة والسلطان في مكة تحارب الدعوة الجديدة وتقاومها أملاً في الإبقاء على دين الآباء والأجداد وحفاظاً على صورة المجتمع الفاسد الذي كانوا يعيشون فيه .. ولجأت قريش إلى وسائل متعددة ولاقى الرسول ضرباً من المصاعب والآلام احتملها في صبر وقاومها في عزم فكان أسوة للدعاة وقدوة لأصحاب الرسالات .

لجأ رجال قريش وسادتها إلى أبي طالب - وكان الرسول يعيش في كنفه - وطلبوا منه أن يعد ابن أخيه عن دعوته وأعادوا الطلب مرة ومرة والرسول لا يعنى بهم وأبو طالب يحمى ابن أخيه ويرماه .. ولما فشل مسام أوفدوا وفداً يصعب حمارة بن الوليد ومرضوا على أبي طالب أن يأخذ حمارة فهو أهدأ من أخيه يقتله .. وأجبه وأبى عليهم ابن أخيه يقتله .. ولما رفض أبو طالب طلبهم - ادعوا أن

ودخل النصرانية - بالهجرة فقال لرسول الله: «والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ولتكنذين ولتؤذين ولتخرجن ولتقتلن وإن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرًا يملئه » .

وصدر الأمر الإلهي لرسول أن يبدأ دعوته «وأندر عشيرتك الأقربين، وانخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين، طين مصوك فقل إنني بريء مما تعملون » وعلى الفور دعا الرسول قومه إلى الدين الجديد .. إلى عبادة الله الذي خلق الناس .. إلى التقرب إلى الله بالمعمل الصالح والتقوى .. إلى بذل الأسمان والارتقاء بمستوى الحياة من الفساد والبهو والفسوق إلى الخير والصلاح والكمال إلى التمسك بالرحمة والمحبة والتعاطف جمع الرسول قومه وخطبهم «إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد إنما لكم الله من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيباً إلا أن تقولوا لا إله إلا الله، وهاج أبو لهب وتار في وجهه الشريف وصاح به «تباك سائر هذا اليوم .. ألهذا جمعتنا ؟! .

وكانت ثورة أبي لهب هي أولى مقدمات الهجرة .. فالرسول لم تزجه ثورة أبي لهب

ورسول الله ساهر يفرق بين للرء وأيسه وبين للرء وأخيه وبين للرء وزوجه وبين المرء وعشيرته وسعوا بهذا الادعاء بين الوافدين إلى مكة حتى ينعوم من الاتصال بالرسول وبذلك يفلتون في وجوههم باب الإيمان .

ثم عرضوا على الرسول المال والجاه والسلطة ليترك دعوته ، ورفض الرسول ما عرض عليه على لسان حبة بن ربيعة «إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعناك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا قطع أمرا دونك وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا »

وبدهوا خطة جديدة في المقاومة إذ طلبوا من الرسول أن يسأل ربه بمض أمور «سل ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا وليسط لنا بلادا وليفجر لنا فيها أنهارا وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن فيمن يبعث فقص بن كلاب فإنه كان شيخا صدوقا . » و «سل ربك أن يبعث ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك وسله فليجعل لك جنات وقصورا وكنوزا من

ذهب وفضة يفتنيك به مما تراك تنفى . » ثم طلبوا منه على لسان الأسود ابن المنجب والوليد بن المغيرة أن يعبد ما يصبون وأن يعبدوا ما يعبد ، ولما فشلت محاولاتهم قرروا مقاطعة بني هاشم وبني المطلب وأخرجوهم من مكة إلى شعب أبي طالب حتى يسلموا إليهم رسول الله وكتبوا بذلك مهادا في صحيفة علقوها في جوف الكعبة .

ولافت الفتنة المؤمنة القليلة التي دخلت الإسلام صنوفا من المذاب والأذى والتخيل وروت كتب التاريخ مالا يلاه بلال على يد سيده أمية بن خلف ومالاه عمار ابن ياسر وأمه وأبوه على يد بني مخزوم من التعذيب الوحشي الذي طاق حد التصور وخرج من حدود الإنسانية والإحساس البشري .

وكان لا بد لرسول من أن يحمي قومه ولكن كيف له ذلك ، وهو مومقة ، لا يملكون إلا الصبر ، ولا يقدرزون إلا عليه !! وفكر الرسول في أمر أثناسه وقرر أن يتركوا بلدهم وأن يهجروا مكة إلى الحبشة فهي أرض صدق وفيها ملك

وليس لنا بلادا وليفجر لنا فيها أنهارا وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن فيمن يبعث فقص بن كلاب فإنه كان شيخا صدوقا . » و «سل ربك أن يبعث ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك وسله فليجعل لك جنات وقصورا وكنوزا من

وقالوا: «إنا قد تركنا قومنا ولاقوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم (يقصدون الأوس والخزرج) فمضى أن يجمعهم الله بك وأن يجمعهم عليك فلا رحيل أعز منك» .

وماد القوم إلى بلدهم يحملون الخبر فتلقاهم قومهم يتلقون منشحة ونفوس متلهفة ، ولما استدار العام وحل موعد الحج التقي اثنا عشر رجلا من أهل يثرب مع النبي بالعقبة ، وكانت البيعة الأولى وأرسل الرسول معهم مصعب بن عمير يقرئهم القرآن ويطلعهم الإسلام ، ثم جاءت جماعة أخرى من يثرب ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان والتقى بهم الرسول ومعه همه العباس عند العقبة ومدوا إليه أيديهم وبسط إليهم يده وبايعوه «بايعنا على السمع والطاعة في سرنا ويسرنا وملشطنا ومكرهنا ، وأن نقول الحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم» . وأصبح لرسول رجال يحبونه في يثرب ، ولهذا صرح الرسول لأناسه أن يخرجوا إليها وخرج كثيرون وحاولت قريش منعهم حتى أنها كانت تحسول بين الزوج وزوجته وكانت تحبس من تستطيع

لا يظلم عنده أحد .. وخرج للثومنون إلى الحبشة في هجرتين غفافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم .. وغضبت قريش لهذا الإجراء من جانب الرسول فبعثت بعمرو ابن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة إلى النجاشي يحملان إليه الهدايا ويطلبان رد المسلمين المهاجرين ، واستمع النجاشي إلى رأي الفريقين ثم تلا جعفر بن أبي طالب جزءاً من سورة مريم فقال النجاشي : « هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة » ثم خاطب ممثلاً قريش : « انطلقوا والله لا أسلمهم إليكم ، وأمسك بعمود وخط به على الأرض وخاطب جعفرأ « ليس بين دينكم وديننا أكثر من هذا الخط » .

ثم كانت هناك خطوة أخرى على طريق الهجرة .. بدأت في يثرب حيث استمع قوم من الأوس والخزرج إلى اليهود يقولون « إن نبيا مبعوثا الآن قد أظلم زمانه تتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم » ، فلما كان موسم الحج خرج نفر من الأوس إلى مكة حيث التقوا بالرسول مدعاهم إلى الله فقال بعضهم لبعض: « والله إنه لنبى الذى نواعدكم به يهود فلا يسبقنكم إليه » وأجابوا الرسول

ويتفرق دمه بين القبائل ، فلا تقدر بنو عبد مناف على قتالهم فيرضون فيه بالدية ، وأعجب الحاضرون بالرأى ، وقرروا تنفيذه فوراً .

ونزل الوحي من السماء وأذن الله رسوله بالهجرة وبدأت مسيرة الحق والمعقبة والإيمان وخرج الرسول ومعه أبو بكر الذي كان قد التزم بترتيب أمر الهجرة في سرية وكتان ، وعند ما تجمعتم قوى قريش لتنفيذ الخطة الإجرامية كان الرسول ورفيقه في طريقهما إلى يثرب .

كانت هذه كلها مقدمات الهجرة . . . مقدمات دفعت إليها ورتبت لها ، فقد أسدلت هجرة الرسول الستار على فترة مظلمة عاشتها مكة لتعود فترمه من جديد على عالم مفرق يسود مكة يرتفع فيه اسم الله ...

وكانت هذه الفترة الجديدة هي غاية نتائج الهجرة . . . هذه النتائج التي ظهرت على مسرح الجزيرة العربية تباعاً منذ وطئت أقدام الرسول الطاهرة أرض يثرب فن هناك انطلق الإسلام قويا في إصلاحاته يطور ويغير من نفسية العرب ويتقدم إلى

جنبه ولكن محاولاتها ذهبت كلها أدراج الرياح ، فقد تابعت هجرة للسلين إلى يثرب .

ثم كانت بعد ذلك الخطوة الراححة على طريق الهجرة ، فقد أحس قريش أن جهودها في مقاومة الدين الجديد قد ماتت بالتفشل وطمع السكيل وبلغ السيل الزبي ولم يبق في قوس الصبر مترع ورأى رجالها أن محمدا وحده في مكة قد هاجر أصحابه ومنهم حمزة وحمير ، وأصبح هو نضير أو معين ، فاجتمعوا في دار الندوة بحثا عن حل يحسم للوقف وينهيه ، واستعرضوا الآراء فن قائل : « احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله زهيرا والناطقة ومن مضى منهم حتى يصيبه ما أصابهم » ومن قائل : « نخرجه من بين أظهرنا وننفيه من بلادنا ثم لا نبالي بعد ذلك من أمره شيئا » ثم جاءهم رأى أبي جهل : « إن لي فيه رأيا ما أراكم وقستم عليه بعد » ثم شرح رأيه وأوضحه وأشار بأن يأخذوا من كل قبيلة فتى شابا جلدا نسيبا وسيطا شجاعا وأن يعطوا كلا سيفا بتارا فيضربوه جميعا ضربة رجل واحد

وكانت العلاقة بين الأوس والخزرج
حيثة ، باخلاف قائم والمداوات مستمرة
فدعا الرسول أن يكونوا جهة واحدة
وقوة متضامنة وأن يلسوا ما بينهم من
خلافات وهداوات ولبوا دعوة الرسول
وبدعوا صفعة جديدة تقوم على الحب
والرضا والتضامن تحت راية الدين
الحنيف . . . وبذلك تكون الهجرة قد
مهت لتكتل المدينة بأسرها في إزاء كان
الأول من نوعه بين جماعات البشر وأصبح
المسلمون قوة صامدة استطاعت أن تواجه
قريشا في غزوات متعددة وأن تقضى عليها
كما استطاعت بعد ذلك أن تواجه يهود
المدينة وأن تجبرهم على الخروج لتبقى
المدينة خالصة للإسلام والمسلمين .

وكان اليهود يعيشون في المدينة مع
للمسلمين الذين ماملوم بإحسان ، وأظهروا
لهم حسن النوايا ، وعقد الرسول معهم
معاهدة حسن حوار ، إلا أن اليهود ظهروا
على حقيقتهم الماكرة وتبين للمسلمين سوء
نواياهم عند ما خالفوا المعاهدة ونقضوا
الاتفاق وسعوا بالوقعة بين المسلمين ، ثم
انضموا إلى أعدائهم فكان لابد من اتخاذ
إجراء حاسم وعنيف يحسم الإسلام من
كيدهم ويصون مستقبله من مكرهم .

المفاهيم الإسلامية الجديدة التي كانت
أساسا لدولة الإسلام .

لقد كان أول أعمال الرسول في يثرب
بناء مسجد في المكان التي بركت فيه ناقته
وبذلك توفر لأتباعه مكان للعبادة أسس
على التقوى يجمع قلوبهم ، ويقع منه إلى
جميع أركان الأرض نور الحق وشماع
الهداية . . . وفي مقدمة أعمال الرسول
في المدينة تدميم الجبهة الداخلية وضم
الصفوف فقد كان أهل المدينة أنصارا
ومهاجرين ، وكانت العلاقة بينهما جديدة
حديثه ولم يكن هناك تنظيم لهذه
العلاقات ولهذا استلزم الأمر عقد صلة
أخوة بين الفئتين لتصبعا فئة واحدة
مترابطة . . . ترك المهاجرون بلادهم
وممتلكاتهم وكل ما يملكون وجاءوا إلى
المدينة والكثير منهم لا يجد قوته ومن
هنا كان على الأنصار أن يستقبلهم وأن
يفصحوا لهم مكانا في بلادهم وأن يقدموا
العون والايتمروا بوجودهم وأن يفخروهم
بأنهم أخوتهم في الله ، ودعا الرسول أن
يتآخى الأنصار والمهاجرون في الله أخوين
أخوين واستجابوا لدعوته فتآخوا إزاء
جمل له الرسول حكم إزاء الدم والنصب .

أن المسلمين أصبحوا في يثرب في مكان استراتيجي يمثل خطورة على تجارة قريش القادمة إلى الشام .. هذه التجارة التي كانت تمثل الجانب الأكبر من ثروتهم .. فقد كانت يثرب على الطريق بين مكة وبلاد الشام وكان في استطاعة المسلمين من موقعهم أن يقطعوا الطريق وقد أرادوا بذلك أن تفكر قريش بعقلية سليمة فتري أن تجارتها تتعرض للخطر من ناحية أبنائها الذين هاجروا فاقسموا إلى التناغم معهم والوصول إلى حل يرضى به الطرفان فلما لم تنجح هذا الاتجاه كان الصدام للسلح في بدر وكان نصر الله فيها كبيرا وكان هذا النصر بداية الطريق إلى مكة من جديد .

وهجرة الرسول أعطت المسلمين فرصة لحل مشاكلهم مع القبائل الأخرى الضاربة في أرجاء الصحراء ففقدوا المعاهدات والمحالقات واستقرت بذلك أوضاعهم من جانب هذه القبائل فضمن المسلمون بقاء هذه القبائل على الحياد في أي نزاع يقوم مع قريش .

واحتلت المدينة بسبب الهجرة مكان الصدارة في القولة الإسلامية فقد أصبحت

(البقية على صفحة ٧١)

ويعد صلح الحديبية أحد تأنج الهجرة ذات القيمة والأهمية فقد اعترفت قريش بمحمد ورجاله في عهد كانت مدته عشر سنوات تقوم خلالها هدنة بين الطرفين فلا قتال ولا مواجهة .. وكانت هذه الهدنة دون شك فرصة غالية للمسلمين يمدون فيها أسر دينهم وينظمون شئون حياتهم ويحددون موقفهم مع اليهود ويضعون أسس العبادة ويتفرغون للشرع الدين وقد دعوه إليه .. وظل المسلمون في المدينة يفتقد ساعد دم ويزيد حديد ويقوى أمرهم وتدخل قبائل كثيرة في دينهم بينما كانت قريش تنظر إلى المستقبل بمنظار أسود تحس بالخطورة القادمة من المدينة وبالعاصفة التي تهب من هناك تقتلع دينهم وتقضى على المعارضين منهم .. وحينما تحركت جيوش المسلمين إلى مكة فزاع القوم وتملكهم الخوف وأحسوا بقوة الإسلام فاستجابوا لدعوة أبي سفيان «من دخل داره فهو آمن» وماد المسلمون إلى مكة فخطبوا الأصنام بينما صوت بلال يطن من فوق الكعبة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ..

وبأني في مقدمة آثار الهجرة وتأنجها

خواطر ومشاعر في ذكرى الهجرة

للدكتور عز الدين علي السيد

— ١ —

أربعون سنة تمضي من حياة إنسان ،
يتقلب فيها من أدوار الحياة على ألوانها ،
فيكون له في كل دور خصائص تميزه ،
واستعداد أو إعداد يفرضه ، فلا يعرف

أربعون سنة تمضي هكذا من حياة

إنسان . يترك الأندية الضاربة بالأنداد

ومن ثم فوق الأنداد من طاشق العيش .

إلى شعاب مسكة وحضابها ينفره خاليا

بوجوده ، راميا إلى الأفق الممتد امتداد

أنفاسه . يسطو مع الساع الصحراء الساع

وجوده . يحس في الأغوار وشعاب الجبال

حنوا يسعده ، وأمانا يرضيه ، وبدأ خفية

من الحب تجوس خلال قلبه ، ولسانا

منازلا بالني يناجيه ، ويسمع في همس

الحصى من مر قدميه هزج الترحيب به ،

ويرى نفسه بين أهله ، وفي داره ، غريبا

غريبا ، لا يدري ما وراء يومه من أمر

يرتقب .

أربعون سنة تمضي هكذا من حياة

إنسان ، يولد ولا أب يرنو إليه ،

أربعون سنة تمضي من حياة إنسان ،
يتقلب فيها من أدوار الحياة على ألوانها ،
فيكون له في كل دور خصائص تميزه ،
واستعداد أو إعداد يفرضه ، فلا يعرف
التاريخ من طقوسه ما تعلمه الطفولة
من هزرها ، ولا عن صراحتها
ما تفرضه للراحة من حلقها ، ولا في
شبابه ما يؤسف في حياة الشباب
من عيش .

أربعون سنة تمضي هكذا من حياة
إنسان ، حينما يكن تكبره القلوب ،
وترمقه الأبصار ، ويقبضه الشقاء ، ويوصف
بالعظم . إذا أخبر صدق لأنه الأمين ،
وإذا حكم أطيع لأنه الحكيم . تختاره
من طردت كبار الأيدي من ذوى الجهد ؛
لأنه أعجب في سراً قلبها وأعظم : أعجب
بالأمانة في المال الذي تزل فيه القدم ،
وأعجب باستقامة الشباب الذي يزيع فيه

إحسراك ، زادت بها إشراقا . وكما رأيت
الإشراق في الاحتراق رادت يقينا وامتلأت
حبا ، فلا تبيع لذة اليقين ومتعة الحب
بمتاع الملك وسطوة الرئاسة . ووفرة النفي
تعتن به من الكافرين ، حين لا يجدون
لشمر جدوى ولا يصرف هزمها عن حبا
أن توضع الشمس في يمينها ، والقمر في شمالها
لأنها تلك أكثر منهما وأكبر ، من طاقة
النور الذي يكشف عن القلوب الدجي .
ويغمر الأرواح بالهدى « يا أيها النبي إنا
أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا
إلى الله بإذنه وسراجا منيرا » .

« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ،
يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام
ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ،
ويهديهم إلى صراط مستقيم » .

تجلى ربه للجبل فلم يصردكا . بل جمعه
محت دعوة ومشرق نور . وملئني حائر
بضالته . ملئني مرتقب الغيب بأسخى ما جاءه
الغيب بملك أعظم لللائكة فضلا . وكتاب
أفضل الكتب عظمة : جبريل الأمين . .
والقرآن للبين . « نزل به الروح الأمين
على قلبك لتكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ » . يلسان
هربي مبين .

ثم لا يلبث حتى لا يرى أما ترأه ، ثم يكون ،
من أمره ما يكون إرهابا لحسه ، وإشفاقا
لقلبه ، وانطلاقا بشموره في عالم الأحلام .
كانت همرا يكفل لصاحبه بما عرفه
الناس عن كسبه ، واستيقنوه بالهليل ،
أن يؤمن بدعوته كل قلب ، ويذهن لندائه
كل سمع ، من هؤلاء الذين ما جروا عليه
كذبا ، ولا عرفوه إلا الناصح الصادق
الأمين ، ولكن ماذا يصنع القدر ، وأين
تكون الحكمة ، التي اقتضت أن يكون
لغير أهل يمتحنون بالصبر فيه ، ولغير
أهل يلوم الله به ، وأين يكون قسم
الظيطان : « فيمزلت لأغويهم أجمعين » .
ووعيد الديان : « لأملأن جهنم منك
وعمن تبعك منهم أجمعين » ؟

— ٢ —

أربعون سنة مضت من حياة النبي
عليه السلام . وهي ثلثا عمره الديسوى
إلا يسيرا . كانت روحه على نمق منفرد ،
وقلبه في إطار وحيد ، حتى التفت
القطرة الطاهرة بوحى الله وأمره . . .
خلعت للبلاغ منكورة ذاتها . وما ينالها
من الأذى ، لأن لها ذاتا في ذاتها لا يمكن
أن ينالها الأذى كلما قويت حولها النار ،

الاتهام . بالاعجاب به إيجاب قبيلة بها عراها
أو خطيئها والهداية له بحاماة قبيلة عن ذوى
الرأى فيها .

افداد الرسول ثباتا على الحق وأطرد
مع ثباته الباطل في وثباته يتصف ويغترى
حتى أصبح لا يد للمجزة أن تحصل من
هنا لثم هناك ثم تعود .. تعود لا إلى مكة
وحدها ، ولكن إلى كل بقعة في الأرض
وساعة من الزمن تعود لتعول التاريخ ونهز
العالم يد من رحمة القوة وقوة الرحمة تعود
ليدخل مكة طريدها بالأس ليجس بصنع
الأنبياء دموع النادمين وليؤذن باسمه
في مشارف الأرض غمسا كل يوم وتعه
الديا إلى بلد مولده وتكوينه وبهته ..

من تصل إلى كمتها وتنج وتطوف
(٣)

هاجر الأصحاب إلى الحبشة ، ليعرف
الناس من بعيد ما جعده الكفار من
قريب .. ولتشهد الدنيا هناك نموذجاً
للد الإلهي .. الذي عواطفه أقطار
الأرض كلها . ليم الأسود كالأيض !
وهلج الأصحاب إلى يثرب ؛ لتشهد
بثرب ساحة الصبر في مجال الفتوح ، كما
شهدت مكة الصبر في بناء العزيمة ..
وهلجرت يثرب إلى مكة إلى النبي ..

أربعون سنة مضت من حياته عليه
السلام ، تعده النبوة وثلاث عشرة أخرى
من النبوة تعده للنبوة ١ .

يا ربما كانت أصنام مكة حبرا للدهوة
من عباد الأصنام لو منحت قلب إنسان .
وربما كانت أوهى وأسمع ، وأحن وأعطف
من تلك القلوب التي سميت عن الحق بمد
ما تبين ، وأسكرت محداً في يومها بمد
الذي كان في أمها ، فسلطت من سفها
عليه ما يبرهن صبره وثباته معه على صدق
نبوته لو انفرد عن جميع المعجزات .

ثلاث عشرة سنة يلتقي رسول البشر
برسول لللائكة . ينزل الوحي آيات
وصورا تختصر بروحه القوى التي ستنتطق
حرمت مكة كلها ذلك النور إلا قلوبا تعد
أكثرها من صفى الرق والجنس والصا
حتى أثبت محبرة أنها كلمة على تغير القيم
ولتغلب الحقائق وأد الله الذي جعل من
الصاحبة تبلغ ما يأفكون هو الذي
سيعمل من هؤلاء الصمى حننه المنتصر
فينقشهم ديه الظاهر ولو كره الكافرون
وله الحكمة البالغة .. له لو آمنه أشراف
مكة أولاً لغز ذلك عن بدم شأنه ..
إذ هم أهل محال أقرب ما يكونون من

على أرض مبعثه ، ويختلط بها إحساسه
قبتاجيبها ، أرضاً ، ودوراً ، ودروباً ، هي
خير من أهلها ، كلمة وداع يعرف بها
التاريخ مموا الإنسية ووظاء الأبياء وحب
الوطن ، أليس الهاتف في حنان ؟ « ما أطيعك
من بلد ، وأحبك إلى ولولا أن قومي
أخرجوني منك ما سكنت غيرك » .

منبت الإنسان مزير ، ومنهؤه حبيب
تفتحت عليه نوافذ إدراك ، فباغت القواد
أول واصل ، وانطبع فيه جلال أول منطبع
النسمة التي أنصفت رثته يوم مولده ،
والنور الذي غازل عينيه أول طالع ، كل
ذلك وأمثلة حبات زكيات تفرس في القلب
تنمو مع العمر ونسب مع الزمن ، فإذا
هي هجرات طيحات أصلها ثابت وفروعها
في السماء .

زرى من يكون أشد ولاء وأكبر
إحساساً من قلب يتعلم الوجود من حبه
الحب ومن خلقه القضية ،

— ٤ —

يا محباً لحكمة الله ثم يا محباً !

تضيق مكة على الإيمان ما انصبت
لكفرها ، فيكون أرحب منها كلها تقب
في جبل : « وإن من الحجارة لما يتفجر منه

الجديد والدين الجديد . لتعلن إيمانها
ونصرتها . وتبأيمه أن تمنحه مما تمنع منه
أزرها ثم تعود .. والله غالب على أمره .
وأذن للنبي في المحمرة . . ليقص الله
أمرها كان مفعولاً . . إذ مكر به الدين
كفروا . ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه .
« ويمكرونا ويمكركم الله .! والله خير
المحكرين » وبات مكة ليلة لم يشهد التاريخ
هولها ، فتبانها البواسل حول الحق
يتربصون به الدوائر ، يتربصونه يلتصق
للوث في حقد سيوفهم ، والأمل في كل
بيت لدود ، والنشوة في كل قلب كافر ،
ويخرج الحق المؤمن الوائق ، على الباطل
الأحق الفاجر ، يدمغه فإذا هو زاهق ،
شامت الوجوه وصميت الأبصار ، وأخذ
القوم الكرى ! .

حفنة من تراب فوت على رءوسهم ،
تسدل في ثقلها على الرموس تلال مكة
وكشبان . « فأغشيناهم فهم لا يبصرون »
وكأنه يهتف بالطفيان ، مهلاً مهلاً فهذا
ما لكم ، مهلاً مهلاً فهذه فقرتي !

وسرى الرسول قليلاً قليلاً ، يؤوده
حب مكة ويحزنه غرقها ، تستمل في قلبه
التوازع الومية ، فيفيض شعوره الكريم

الله ثالثهما ؟ » فرق يثبت للمعجزة ،
ويكشف من اختص بها من سبق إلى
الإيمان برها .

ويطوف الكفر ما يطوف حول الفار
ثم روح ، وينتهي الأمل للقصور
فيودعان الفار في حب ، ويشيعهما في لطفة
تاركين للمعشر آثار الثبوة في لسان
المعجز ، تحب بهما الركاب وتضع وتحقق
خلتنيها قلوب تنفطر أو تكاد ، وترقب
خطوهما قلوب تطير أو توشك القل من
للشارف العالية حنا ، ووراءها رحاب
يثرثب تموج بهوى للتنظر ، ويشرق
في يثرثب نوران من نهارها وبها ، وتبيت
في ليلة إضحيانة من نور بدر جديد ، عرفته
إذ جاءها هلالا في مطالع العمر ، يوم
زارت به آمنة قبر أبيه ، وربما ناداه إذ
ذاك من خلف أحجاره : ما أسعدني بك
من هلال ستشهد المدينة تمامه ، حين
يجتمع من حوافك الأنصار والهاجرون ،
يمزفون في مقدمك السعيد لحن المبد :

طلع البدر علينا

من ثقبات الوداع

— ٥ —

ألا يا هجرة النبي الرموف ! يا ذكرى

الأنهار ! وإن منها لما يشقى فيخرج منه
الماء ! وإن منها لما يهبط من خشية الله ،
فار نور بدخله النبي وصاحبه ، يمدان فيه
الرحمة والحماية ، ويكون عنكبوته
وحاماته السكر القاتم دون حرمة ، وإن
أوهن البيوت لبنت العنكبوت لو كانوا
يعلمون ، ليضرب الله الأمثال للناس :
أن سطوة الباطل المتميز من الغيظ حقدا ،
لن تكون نهايتها أكرم من ذبابة تعلق
قدماها بذئبيج العنكبوت حتى تهزل
فتموت ، وأن الدين الذي يرف به جناح
حمالة ، فتهدأ فوق جناحه وتكن ،
سيكون سكينه وسلاما ، أينما فتح عدل ،
وأطاب الحياة وأسعدا .

ثم يا عجبا لحكمة الله ! تفرق بين بي
وصديق ! صديق يتحسر الفار قبل دخول
صاحبه حرصا عليه ، وفداء بنفسه ، لأنه
آمن به على قول الله فيه : « النبي أول
بالمؤمنين من أنفسهم » ثم ينظر أقدام
الكفر من بابه ، فيخفق قلبه هامسا ،
يحذر الشر لنبيه : « لو نظر أحدهم تحت
قدميه لرآنا . » وبني يوقن بالكائن
الموجود كأنه قد كان ، فيجيب واثقا :
« لا تخزن إن الله معنا » « ما ظنك بالثنين

الزينة والصبر يا عبدة الحق قد هرا إنا
اليوم في احتفال بنورك - فامثي القلوب
في قتال اليهود - بما ملأت به قلوب الصحابة
فطروا مجدهم تحت الثرى : « وظنوا أنهم
ما لقتهم حصونهم من الله ، فأناهم الله من
حيث لم يحتسبوا ، وقذف في قلوبهم
الرحب ، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي
للمؤمنين » .
ونحن القانمون الغزاة ، كما عاد للمؤمنون
يوم الفتح يحطمون في مكة الأصنام ،
ويردون أهلها للإسلام ، ويلشرون
في الرجوع السلام .
ألا يا هجرة النبي والصحابة - بفرينا
يوم الله على أعداء الحياة . . أعداء الحق
والعداة . . وناد المؤمنين بقول الله :
« فلا تنهوا وتدعوا إلى السلم وأنتم
الآملون . . والله معكم وإن يتركم أعمالكم »
وحرضهم بقول الله : « إن تكونوا
تآلمون فأنهم يألمون كما تألمون وترجون
من الله ما لا يرجون » .

١٠ عز الدين علي السبر

بقية المنصور على صفحة ١٥

قاعدة للإسلام وعاصمة للدولة فمد أن
استتب الأمر للرسول في مكة عاد إلى
للدبنة يقضى فيها بقية حياته ، ينظام شئون
الدولة والقبائل تأتيه من هنا وهناك تملن
دخولها في الإسلام .. وهكذا أراد الله
تعالى للمدينة أن تكون مهجرا وأن يجي
منها نصر الله والفتح فتدين الجزيرة بدين
واحد وتؤمن بالله واحد تأكيذا لقول
الحق « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت
عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام
دينًا » .
وأخيرا ..
لقد شاء الحق أن تكشف الهجرة
معالم الطريق لإقامة دولة الإسلام الكبرى
فقدمت للبشرية أسلوب الحياة الكريمة
ووضعت للإنسانية أسس العمل لما فيه
خير الإنسان وصالحه وبما يحقق له الخير
والبشر والنور والحب والملك . ١١

محمد فرج

الهجرة إلى الحبشة

عاشتاز محمد فاوى عسمر

عرفت الكتابات الإغريقية ومعناه (الوجه المحروق) وكان يطلق أولاً على المهلك النوبية التي تأثرت بالحضارة المصرية القديمة - وامتد بعضهم في إطلاقها على جميع سكان القارة الإفريقية جنوب الصحراء وأعلى النيل .

وفي العصور الوسطى أصبحت لكثير من هذه المناطق أسماء أخرى تعيها مثل مصر ، السودان .

ولهذا اختصت الحبشة بهذا الاسم ؛ ويجد الأقباط أنفسهم مدفوعين لتمسك بهذا الاسم والتغلب عن الاسم القديم القائع وهو الحبشة والتي يوحى بتمده الأحناس وتمسكها

وقد اتصلت الحبشة ببقية الجزيرة العربية من غير طريق التجارة والهجرة ، عندما يمت ملك الحبشة بمحيط على رأسه أرباط وأبرمة لحاية المسيحيين في نجران من اضطهاد اليهود في اليمن ، وكان ذلك اليمن فونواس المسيحي يدين باليهودية .

لماذا الحبشة بالذات هي التي اختصها النبي صلى الله عليه وسلم بهجرة المسلمين الأول مرتين ؟

قبل الإجابة على هذا السؤال نود أن نوضح أن أرحح المراسات قد دلت على أن الاسم العربي (حبشة) أو (حبشات) والذي يعنى (المخلبط) أو (الأجناس المختلطة) قد بدأ يطلق على بلاد (الحبشة الآن) منذ بدأت تيارات الهجرة إليها من الجزيرة العربية عامة ومن اليمن والجنوب العربي خاصة في القرن السابع قبل الميلاد وذلك للتجارة والإقامة .

وفي أول الأمر أطلق هذا الاسم على طوائف هؤلاء المهاجرين ؛ ولكن نظراً لكثرتهم وازدياد أهميتهم وتفوقهم على سكان البلاد الأصليين ؛ وكذلك لتغلب لغات هؤلاء المهاجرين على اللغة الأصلية في البلاد ، أصبح اسم (الحبشة) يطلق على جميع المنطقة .

أما لفظ (أثيوبيا) فهو اسم قديم

بقريش علاقات قوية ، ولهذا لم يكن من المعقول الالتجاء إلى حابنها وهي التي كانت ترفض دعوى محمد وتعلن ذلك في مواسم الحج بحمامة لقريش وتمسكاً بوثنيتها .

أما ملوك الحبشة ، فكانوا يدينون بالمسيحية ولهم علاقات تجارية بقريش والمنازعات القبلية لم تكن تسمح لهم بحماية منافس جديد .

أما ملوك فارس فقد كانوا وثنيين متعصبين لوثنياتهم ، وسوف لا يكون لأي مهاجر إليهم من المسلمين أمن أو سلام ، ونحن نعلم كيف قاتل كسرى كتاب النبي صلى الله عليه وسلم عندما طلب منه أن يسد الله وحده وأن يدخل في الإسلام ، لقد مزق كسرى الكتاب وأرسل إلى عامه في اليمن يطلب منه أن يأتيه برأس ذلك الرجل القوي يا - جاز ، ومات كسرى قبل أن يصل كتابه قيسن .

أما امبراطور الرومان المسيحي ، فإنه كان متعصماً لدعوته الجديدة غاية التعصب ، فإنه كان يسعى إلى توحيد المذاهب المسيحية كلها في مذهب واحد وهو الذي تدين به الدولة الرومانية الشرقية ، حتى إنه كان يضطهد المسيحيين من المذاهب الأخرى

وكان ذلك عام ٥٢٤ للميلاد ، وفي عام ٥٧٠ ميلادية وهو عام القيل حاول أبرهة الأقرم غزو مكة وهدم الكعبة ، ولكن الله قضى عليه وعلى جيشه ، وفي عام ٥٩٠ ميلادية أغارت جيوش الفرس على اليمن وطردت الأحياء منها .

وقد كانت هجرة المسلمين الأولى لهيمنة عام ٦١٥ ميلادية الموافق لسنة الخامسة للهجرة الحمديّة ، وكان عدد المهاجرين - على أرجح المصادر - أحد عشر رجلاً وبعض زوجاتهم ، وكانت الهجرة الثانية فكان عدد للمهاجرين ثلاثة وثلاثين رجلاً ومعهم زوجاتهم وأبنائهم ، ويقدر للثورخون عدد كل هؤلاء بستائة مسلم وامتدت إقامتهم في المهجرتين حوالي ستة عشر عاماً ، لم يخذلهم ملك الحبشة ولم يسلمهم إلى وفد قريش ولم يجبرهم على ترك دينهم ، وأحسن وفادتهم ومنحهم الأمن والطمأنينة .

وقد اختص النبي ﷺ الحبشة بهاتين الهجرةتين لعدة اعتبارات ، فقد كانت القبائل المجاورة في الجزيرة العربية وثنية وتربطها بمكة وبالكعبة وبالأصنام فيها روابط دينية قوية ، كما كانت تربطها

وأثناء خلافة عمر بن الخطاب تعرضت سفن المسلمين لنشاط بعض القراصنة من الأحباش ، وأرسل إليهم الخليفة حملة لتأديبهم ، ولكن مهمتها لم تكمل بالنجاح واستمر نشاط القراصنة في التعرض للسفن التجارية للسفلة حتى عام ٨٢ هـ هجرة حيث جردت الدولة الإسلامية حملة لوضع حد لنشاط القراصنة الأحباش ، واحتلت هذه الحلة مجموع جزر (دهك) المجاورة لمدينة مصوع ، واتخذوا منها مركزاً حربياً على الشاطئ الغربي لحماية التجارة للمسلمين وسفنتهم وكانت إقامة للمسلمين في هذا المركز للتمتاز بداية لإشعاع الإسلام على باقي للراكر البحرية على الشاطئ الأفريقي وعلى الانتشار التدريجي للإسلام في شرق أفريقيا .

ومن المؤكد أن الإسلام لم ينتشر في شرق أفريقيا اعتماداً على سلطة دينية منظمة ، بل انقهر بصفاته الأصلية للمتمدة على التسامح والمعدل الثامن على البساطة وللنطاق السليم ، وقال بعض المؤرخين الغربيين في هذا الشأن (عندما ظهر الإسلام وجد فيه الناس سوماً في محرم وحيثهم ملجأ من هذه المجادلات التي لا تنتهي ولا تعرف الحق والتسامح ، واستجابوا إلى

أشد الاضطهاد ، فكان أسراً محتوماً ألا يلجأ إليه المسلمون الأول في محنتهم وشدتهم . أما الحبشة ، فهي أقرب البلاد إلى المسلمين وأيسرها وآمنها طريقاً ، والسفر إليها هين وأسلم ماقبة ، وهو لا يزيد عن عبور البحر وهو ولا شك أسلم من اختراق الجزيرة العربية شمالاً أو جنوباً خلال القائل للعادية .

ثم إن هناك علاقات طيبة قديمة بين الحبشة وجزيرة العرب صيها التجارة والمحرة .

وأخيراً فإن هناك على الحبشة ملكاً اتصف بالتدين وبالخلق الحيد

وهناك رواية تقال عنه ، حيث يروى أن هذا الملك واسمه أصمحه ، كان والده ملكاً على الحبشة وقتل وهو صبي صغير واستولى منه على الملك ، وباع الصبي إلى رجل من العرب من بني ضمرة ، ومكث ببلاد العرب مدة مكثت له من لغتهم وماداهم ونمضى الرواية في شرح الظروف التي ماد فيها هذا الصبي عندما كبر وصار ملكاً على الحبشة ، ويخلص للتحدثون بهذه الرواية إلى السبب الذي من أجله عطف النجاشي على مهاجري العرب .

تلك الحقيقة البسيطة الواضحة ، حقيقة
الرحمانية (١) .

ثم إن هناك سببا آخر ، لقد وجدت
الشعوب الأفريقية في أخلاق المسلمين
الوافدين إليهم بمحضارتهم ودينهم وتوقعهم
في مختلف نواحي النشاط وفي حسن إسلامهم
لا يفرقون في المعاملة بين شخص وآخر
إلا بالتقوى ، وجدت هذه الشعوب في كل
هذا أكبر مدجع لهم على الدخول في الإسلام
جماعات وقبائل بأكملها .

وقد انتشر الإسلام في الحبشة انتشارا
كبيرا ، بحيث شمل كثيرا من البلاد هذا
المنطقة الجبلية للمزولة ، وازداد المسلمون
هددا وقوة عندما هاجر إلى الحبشة عدد
من الأسر العربية العريقة ، عندما استولى
الأمويون على الحكم ثم بعد ذلك عندما
استولى العباسيون على الخلافة .

وكان انتشار الإسلام في الحبشة امتدادا
عاما وزخفا طبيعيا تمخذه القبائل الإسلامية
وتنشر ديانتها في كل مكان دون تنظيم أو
تعاون بين منطقة وأخرى أو بين جماعة
وأخرى ، وكان لاتساع الرقعة وتضخم

المواصلات أكبر الأثر في ذلك ، وكان
تغلغل الإسلام في هذه المناطق من القوة
بحيث أصبح انتراعه من قلوب الناس
في حكم المستحيل ، وأصبح وجوده حقيقة
لا رجعة فيها ، وسارعت القبائل الوثنية
التي كانت في تلك المناطق إلى اعتناق هذا
الدين الناشئ . والمتنصر ، وقويت بهم
شوكة الإسلام ، وقد تم كل ذلك في مدى
القرون العاشرة والحادية عشر والثانية عشر
للميلاد وأصبح الإسلام يتحكم في جميع
المناطق الساحلية من أروخيل الدهلك
(مصوع) إلى مناطق الدناكل وبلاد
الصومال ، وشمالا قبائل البجة وصيداما
في الجنوب ، وسلطنة إيفاف في شوا ،
وسلطنة هرر . وزاد على ذلك أنه بدأ
في تهديد الهضبة الجبلية التي تحصنت بها
المملكة المسيحية وانزلت فيها (١) .

وقد ثبت من الإحصائيات الدقيقة أن
عدد المسلمين في الحبشة أكثر عددا من
غيرهم من باقي السكان ، وأنهم أكثر السكان
مدنية وحضارة وتقوى ذهنيا .

محمد فاوي همر

[١] الإسلام والمهجة عبر التاريخ للشيخ
فيت م ٦٢ ، ٦٤ .

[١] الدعوة للإسلام لسي توماس أولفورد ترجمة
حسن إبراهيم .

اسلوب إلهيم في الدعوة إلى الحق

للأستاذ مصطفى الطير

« وكذلك رأى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون
من المؤمنين ، فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي . فلما أفل
قال لا أحب الأفلح » .
الآيات من سورة الأنعام

— ٣ —

ذكرنا في المقال السابق السبب في عبادة
الناس للأصنام والكواكب ، واليوم
نعود إلى ما بدأناه من بيان الطريقة التي
سلكها إبراهيم عليه السلام في الدعوة
إلى الإيمان بالحق تبارك وتعالى فنقول
إن الله تعالى قال في شأنه « وكذلك رأى
إبراهيم ملكوت السموات والأرض
وليكون من المؤمنين » ولللكوت
مصره على لغة اللبابة كالهبوط والجحوت ،
ومعناه الملك والسلطان القاهر .

والمعنى الإجمالي للآية : وكذلك بصر
إبراهيم ربوبية الله وسلطانه القاهر على
السموات والأرض وما فيهما ، وأن الكل
مقهور له داخل تحت ملكوته مفتقر إليه
في وجوده ، وذلك بنظره في الآيات
وغيره هذا القول إلى الأول ، فإنه
ما رأى عجائب السموات والأرض
إلا يستدل بها على شئونه تعالى ومبلغ
عظمته ، وأن الكل محتاج إليه في نفسه
وبقائه ، سواء فرجت له السموات والأرض
أو لم تفرج ، ولهذا جعل الله غاية هذه

وأنها في جهة الكون مخلوقة لإله واحد ، وكان يركب هذه الفطرة باختلافه في ظر حراء والتמיד بالتفكير في ملكوت الله العظيم ليزداد صلابة في عقيدته بما يتحلى له دائماً من عظمة آياته الدالة على عظم جلاله وتفرده بالربوبية والسلطان افاقره ، وعلى سائر صفات الكمال اللاتقنة به وظل الرسول يمارس هذه العبادة الفكرية حتى جاءه سفير العناية الإلهية جبريل بالروحى . وكذلك كان شأن إبراهيم عليه السلام أراه الله ملكوت السموات والأرض ليجللاً بآياته أرجاء نفسه ، ويثبت بدلائله فؤاده ، حتى إذا أتم الله عليه النعمة بوصوله إلى أعلى درجات اليقين كلفه قبليغ الرسالة لقومه الذين كانوا يعبثون الأصنام والكواكب .

ولا يصح أن يطلق على المرحلة السابقة لعين اليقين وكاله أنها مرحلة الفلك ، بل مرحلة التوثيق لمقيدة عرفها وآمن بها ، فإن المحققين قالوا لا يجوز أن يسم الله رسولا من عليه وقت لم يكن ماراً بربه . أما قول بعض العلماء إنه لم يكن ماراً بربه وقت الطفولة نظراً لظاهر الآية وإن ذلك لا يمد كثيراً فلا ينبغي أن يصار إليه

الإرادة أن يكون من المؤمنين ، أى الكاملين الراسخين في الإيقان بشئونه جل وعلا

ولا تقتضى هذه الآية سبق ذلك عند إبراهيم عليه السلام ، فإن الإنسان يولد على الفطرة المستعدة لتسول الحق ، وبممارسة الأسباب الموصلة إلى المعرفة والعلم ينتهى هذا الاستعداد إلى غايته من اليقين والعقيدة الراسخة ، فله تعالى لا يعرف بنظر الميوز إلى ذاته ، ولكن يعرف بالنظر إلى آياته .

وعما أن فطرة إبراهيم عليه السلام من أكل الفطر ، فلهذا انجبه تصكيده منذ بدايته إلى النظر والاستدلال بآياته على شئونه تعالى بلوغاً بهذا الاستعداد إلى اليقين الراسخ ، وكذلك شأن الأنبياء والمرسلين عليهم السلام فإنهم بكمال فطرتهم يمارسون دائماً النظلمات الكونية لا يصددهم عنها زفة شيطان أو خطرة نفس حتى يصلوا إلى أكل درجات اليقين ، ثم يقاضهم الحق تبارك وتعالى بالتكليف بالنبوة والرسالة بعد تمام استعدادهم لذلك .

انظر إلى نبينا محمد ﷺ ، فإنه نفاً مستقداً أن الأصنام لا تصلح للتأليه

الأصنام من باب الدخ من الخلق إلى الأخرى
وقيل إن القوم كانوا يبدون الكواكب
فأتخفوا لكل كوكب صنا من المعادن
المنسوبة إليه ، كالذهب للشمس والفضة
للقمر ليتقربوا إليها ، فكان الصنم كالقبة
لهم ، فأكرأولاً عبادتهم للأصنام بحسب
الظاهر ، ثم أبطل منشأتها وما نسبت إليه
من الكواكب بدم استحقاقها لذلك أيضاً
ولعلمهم كانوا يعتقدون تأثيرها استقلالاً
دون تأثير الأصنام ، ولهذا تعرض لبطلان
الإلهية في الأصنام والربوبية فيها ، انتهى
كلام الألوسي .

أقول ولعلك تدرك أيها القارىء الكريم
الحكمة في تقديم قوله تعالى « وكذلك
نرى إبراهيم منكوت السموات والأرض
وليسكون من اللوقنين » على قوله « فلما
جر عليه الليل رأى كوكباً » آيات وتلخيص
أن فيه إيذاناً بأنه تعالى أهله أولاً بدراسة
ملكوت السموات والأرض حتى استعكم
يقينه لبعثه رسولاً فيبطل ألوهية
الكواكب على النحو الذي سيذكره عنه
ولهذا أتى بالفاء المفيدة للتفريع والتدريج
فقال « فلما جن عليه الليل رأى كوكباً » الخ
فكأنه قال وعرفنا إبراهيم ملكوت

بعد أن عرفت أن معنى « وليسكون من
الموقنين » وليسكون من أكل اللوقنين
يلوغه من اليقين ، فإن اليقين يتفاوت
في حياة المؤمن ويزداد كلما طردت أدلته
وآياته ، كما يتفاوت الإيمان بين المؤمنين ،
فالإيمان أبى بكر فوق إيمان جميع الناس
والكل مؤمن ولذا قال ﷺ ما معناه ،
لو وزن إيمان أى بكر بإيمان هذه
الامة لرجعها .

وقد بينا في المقال الأول أحد الطريقين
الذين سلكهما إبراهيم عليه السلام في دعوة
قومه ، وهو طريق الصراحة بالنسبة لعبادة
الأصنام إذ قال لأبيه آزر في شأنها « أتتخذ
أصناماً آلهة إني أراك وقسومك
في ضلال مبين » .

واليوم نتكلم عن الطريق الثانى غير
الصريح وقد اتبعه في شأنه ادا قال الكواكب
فقد سايرهم ظاهراً ، وانتقل بعد هذه
للاشارة إلى إبطال ألوهيتها بما بهم إليه
من معات نقصها ، وسبأى بيان ذلك
في هذا المقال .

قال الألوسي ، ولعل سلوك تلك الطريقة
(أى طريقة التدرج) في بيان استحالة
ربوبية الكواكب دون بيان استحالة إلهية

به إلى استماع الحجة بأن يقول بقولهم
ظاهراً مع أن قلبه كان مطمئناً بالإيمان ،
وذلك ليتمكن من ذكر الدليل على بطلانه
وبهذا القول أقول .

قال الإمام الرازي في تقريره (إنه عليه
السلام لما لم يجد إلى الدعوة التي أمر بها
طريقاً سوى هذا كان بمنزلة للسكره على
كلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان ، فإنه
يجوز له النطق بها ظاهراً مع إنكار قلبه ،
وذلك ليقصر له أن يورد الدليل للبطلان
لقولهم وهم مستمعون له ، فإذا جازت كلمة
الكفر لبقاء شخص واحد ، فلا يجوز
لتخليص عالم من العقلاء من باب أولى ،
ثم قال : وبما يقوى هذا القول أنه تعالى
حكى عنه مثل هذا الطريق في موضع آخر
وهو قوله تعالى « فنظر نظرة في النجوم
فقال إنى سقيم » أى عليل مريض ، وذلك
لأن القوم كانوا يستدلون بعلم النجوم
على حدوث الحوادث للمستقبل ، فوافقهم
في الظاهر مع أنه كان بريئاً عنه في الباطن
ليتوصل إلى كسر الأصنام ، فتحى جازت
الموافقة لهذا الغرض فلم لا يجوز في مسئلتنا
لمثل ذلك) ١٠١ .

السموات والأرض ودلالته على ربوبيته
تعالى دون سواء ، فترب على تلك المعرفة
أنه لما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا
رعى مسامرة تقوم في قولهم بألوهيته
ثم أبطل هذه الألوهية بما عرفه من أسباب
يقينية بالله تعالى ، وكذلك الشأن في ألوهية
القمر والشمس

« شرح الآيات »

« فلما جن عليه الليل » أى أقبل
سائرته بظلامه ، تقول جنه الليل وجن
عليه وأجنه أى ستره بظلامه ، مأخوذ من
الجن وهو المستر « رأى كوكباً » وهو
المشتري فيما روى عن ابن عباس ، أو الزهرة
فما روى عن قتادة ، ولا يمتنينا تعيين ذاته ،
فالمكر واحد بالنسبة لجميع الكواكب .
وحين رأى هذا الكوكب متلألئاً
قال عنه « هذا ربي » بمجازاة لأبيه وقومه
ومسامرة لهم ، وإن المستدل على فساد قول
بمحكمه كما هو ثم يسكر عليه بالإبطال
وقيل إنه عليه السلام أراد أن يبطل
قولهم برؤية الكواكب ، إلا أنه عرف
من تقليدهم لأسلافهم وبمد طباعهم عن
قبول الدلائل أنه لو صرح بالدعوة إلى الله
تعالى لم يقبلوا ، قال إلى طريق يستدرجهم

بالربوبية « فلما أقلت » الشمس كما أقفل الكوكب والقمر « قال » لقومه جاهرا بالحق « إني بريء مما تشركون » بالله من الأجرام المحدثة للتخيرة من حال إلى حال .

ولمّا احتج بالأقول دون البزوغ مع أن فيه حركة حادثة وانتقالا متعددا ، وكل حادث لا بد له من محدث ، لأن البزوغ لما كان مقتضيا لظهور الآثار والأحكام ملأنا قلوب الاستحقاق في الجسمة ربم حكم عدم استحقاق الألوهية على الغروب ، فونه لبطلان آثار الكوكب حين غروبه ، ومنافاة ربوبية حينئذ يسترف بها حتى للكبار .

وقد كان من الممكن أن يشكر ربوبية جميع الكواكب ومنها الشمس والقمر بمجرد غروب الكوكب الأول لأنها جميعا متشابهة في ذلك ، ولكنه أراد أن يظهر غاية الإنصاف بالمسايرة معهم من الكوكب الضئيف النور إلى للتوسط وهو القمر إلى الباهر وهو الشمس ، وقد جعلها نماذج لختلف الكواكب على تمايز أحجامها وأصواتها فإن ما يجرى على أحد المثلثة يجرى على الآخر .

« فلما أقفل » الكوكب أي غرب « قال » إبراهيم : « لا أحب » عبادة الأرباب « الأملين » الفارين للتقلين من مكان إلى مكان ، للتخيرين من حال إلى حال المحتجبين عن عابديهم ، والإله لا يغيب عن العابدين قد يقول قائل : إن الله تعالى محتجب هنا بالاحتجاب لا بنافي الألوهية ، قلت إنه تعالى وإن احتجب عن أبصار عابديه فهو موجود معهم بملء وقدرته ويستحيل أن يغيب عن كونه وإمداده بأسباب وجوده والكوكب بخلاف ذلك إذ حرم لصف الكرة الأرضية من مناه والاعتداء بهداء وترك هذا لغيره من الكواكب ، وبهذا ظهر مجزءه عن الاستمرار في أداء مهمته ، والرب لا يمحز .

« فلما رأى القمر بازغا » طاهرا عند أول طلوعه بعد غروب الشمس « قال » مسيرا لقومه « هذا ربي » فراقبه حتى غرب وأقفل « فلما أقفل قال لأن لم يهتدي ربي » الحقيق بالربوبية : « لاكون من القوم الضالين » فإن ما رأيته لا يصلح للربوبية « فلما رأى الشمس بازغة قال هذا » الجسم المضيء المشار إليه « ربي هذا أكبر » من الكوكب والقمر ، فهو أحق منهما

طامس من الموارد لا لألوهيتها ، بل
لأن الله أراد تسيبها في ذلك « ومع
ربي كل شيء علما . أفلا تتذكرون »
أفها غير قادرة على إضراري ، « وكيف
أخاف ما أشركتم » مع ضعفه دليلا
واقتراراً « ولا تخافون أسكنكم أشركتم
بالله ، القادر على عقابكم الخالق لأشركتم
« عالم ينزل به عليكم سلطانا » حجة
وبرهان « فأى الفريقين « أنا وأنتم
« أحق بالأمن إن كنتم تعلمون » فأجبروني
بذلك « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم
بظلم » أي بفرك « أولئك لهم الأمن وهم
مستبدون » إلى الحق ومن عدام في ضلال
سين « وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على
قومه ، نرفع درجات من نشاء » في العلم
والحكمة « إن ربك حكيم عليم »

مصطفى محمد الطير

وبعد هذه المسيرة البديعة لقومه ،
التي انتهت بالحكم بفساد عبادة الكواكب
قال لقومه « إني وجهت وجهي للذي
فطر السموات والأرض » وحرك كواكبها
طلوعاً وأغولاً « حنيفاً » مائلاً عن الأديان
والعقائد الزائفة كلها « وما أنا من المشركين »
بعبادة سواه ، فقد أبلغ الحق ، وظهر
جلياً أنه لا مستحق للهوية سواه سبحانه .

« وحاجه قومه » بإيراد أدلة باطلة على
معتقداتهم ليصرفوه عما أظهر لهم أنه انتهى
إليه من ربوبية الله هو الكواكب
« قال » راعاً عليهم « أأجبروني في » شأن
« الله وقد هدانا » إلى إقامة الدليل عليكم
بوحدايته عز وجل « ولا أخاف
ما تشركون » من أللهنكم فلن تمنى
وأنا على الحق بسوء « إلا أن يعفاه ربي
شيئاً » فيصيبني هو بسبها بسوء لأي

قال تعالى :

« إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب » .

« مسلط الله العظيم »

إحسان صادق بالعودة إلى الدين

مفضلة الأستاذ أبو الوفاء المزي

في العلم ، والصناعة ، والزراعة ، والأحلاق
وفي علاقات الأفراد ، وعلاقات الدول ،
وكان طابعه الانطلاق والتحرر ، وكأنما
كانت تلك الحرب الساحر الذي أخرج
المصالح من القمم .

وتناول ذلك التغيير - فيما تناول -
نظرة الشعوب إلى الأديان ، فأخذت تنظر
إليها بنظر الأسير إلى قيوده . . ينتظر الفرصة
ليكسرها ، وينطلق بنير حدود وفيود
أخذت الشعوب تتحرر من قيود الأديان ،
أو بعبارة أصح : تنحرف عن حدود الأديان
في خفاء . . وحياء ، والصرف بعض
الساسة عن شرائع السماء إلى شرائع لأرض
ظننا منهم أن هذه الشرائع أقدر على حل
مشكلات العالم ، ومعالجة أزماته وانحرافاته
وذهبوا في ذلك السبيل مذاهب شتى . .
كل يشرع حسب ظروفه ، وحسب اجتهاداته
وصار لعالم شرائع مختلفة ، وأحياناً . .
متناقضة ، ويتناقضها واختلافها تسكتل
العالم وتنافس وتصارع ، وانتمصر كل شعب

لقد كانت الأمم فيما سبق تتخذ لتقدير
تاريخها وتطوراتها السياسية والاقتصادية
مقياساً طويلاً من الزمن . . هو القرن
أو العصر ، أما الآن . . فقد انحفض ذلك
المقياس الزمنى إلى « العقد » أى عشر
سنين فصار الكتاب يعبرون بالخمسينيات
أو الستينيات أو السبعينيات . وهكذا .
ولهذا ذلك . . لأن التطور المالى أصبح
سريعاً ، فلا يبقى واقع الحياة طويلاً ،
ولكن سرعان ما تنال الأحداث
والتغييرات ، ويمكن أن ترجع ذلك إلى
ما بعد الحرب العالمية الأولى ، وما تمخضت
عنه من مخترعات . . كانت البفور الأولى
لكل ما شهده العالم بعدها من تطورات .
ولقد خطا العلم - وخاصة العلم المادى -
خطوات ، بل قفز قفزات ، ووصل إلى
نتائج كانت تعد ضرباً من الخيال .

فلقد تغير العالم . بعد الحرب العالمية
الأولى تغيراً ملحوظاً ، - وإن لم يكن
قوياً - في شتى مجالات حياته : تغير

ببعض العلماء أن يحاول تكوين الأجنة في الأرحام الصناعية ، وأن يحاول التحكم في تكوين الإنسان صحيا ، وخلقيا ، حتى يصطفى منه سلالات سليمة من آفات الوراثة - كما يزعمون - .

كما لا يخفى علينا - بحجاب ذلك - ما وصل إليه العالم في معنوياته من انحراف وضلال في العقائد ، وانحلال وتقهر في السلوك .. حتى أصبحت للقررات التي أجمعت عليها الأديان ، وتضافرت على تأكيدها محل بحث ونظر .

فالمقيدة في الله وهيمنته وسيطرته على الكون والوجود أصبحت موضع حديث سافر من بعض العلماء - الذين يمنحهم العالم خطأ ألقاب الفلاسفة والعابرة - ، كما نهولت إلى موضوع يشار من حوله النقاش والجدل في معاهد التعليم ، ومات (القيم الأخلاقية) من السخرية والتندر بين كثير من الناس ؛ فالعفة ، والزاهة ، والبرودة ، واللواصة والإيثار ، نهولت إلى موارد عصور التخلف ، أو من رواسب الماضي - كما يقولون - ! وصار حزم الآباء ضرا من الاستبداد بالآبناء

لمبادئه ، بل تمصب لها مقتنعا بصلاحياتها حريصا على أن يأخذ العالم بها ، ويجذبه إلى فلسفة .

ولم تلح هذه الشرائع - على كثرتها - ولم تحقق الآمال التي عقدت عليها ، وأخذت أحوال العالم تتفاهم ، حتى انتهت به إلى الحرب العالمية الثانية ، التي صمت أكثر شعوب العالم بأهوالها ، وبقنيتها واحدة زالت من الوجود مدينة بسكانها ، وكانوا أكثر من مائة ألف ، ومجيت أخرى بهذه الصورة .

ومن ذلك التاريخ ، والعالم من أهوالها في فزع أفقده توازنه ، ونفس عليه حياته . ولقد أسفرت الحرب العالمية الثانية عن تفهد واضح .. انتقل به العالم إلى مرحلة متميزة من تاريخه في ماديته ومعنوياته ، واتجه كل من التيارين اتجاهها متعاكسا تمن ماديته في التقدم بمقدار ما تمن معنوياته في التأخر .

ونعني بـ (الماديات) : شؤون الاقتصاد ، والصناعة ، ومظاهر العمران .

ونعني بـ (المعنويات) : العقائد ، والفضائل ، والآداب ، ولا يخفى علينا ما بلغه المسلم من تقدم في ميادين الطب ، والفلك ، والأحياء .. حتى بلغ الغرور

لا يتناسب مع مصور الحرية والنور ، وإذا فلان - ولما يحسن بعد بكمال العقل ولم يتمرس بمحنة التجربة - أن يختار من السلوك ما يشاء ، ويصادق من يشاء ، ويلبس من الأزياء ما يشاء ، وتلبس - ولما تحصنها الخبرة وتجميلها الحفمة - أن تختار من السلوك ما تهواه ، ومن الأزياء ما يروقها ، ولأياها رجحان على رأى أبويها في زواجها .

ولكتاب والمتحدثين فلسفة خاصة في هذا الموضوع ، وهى أن الزواج إنما يبنى على الحب ، وأن الزوج هو شريك حياة البنت ، وحياتها ملك خاص بها . . . إلى آخر هذه الفلسفات . . . وكأنما آراء الآباء دون آراء البنات حصافة ، ورجاحة وتجربة ، ووزنا .

وصرنا كذلك نسمع بأن الجود سفاهة والإيثار بلاهة ، والشفقة خرافة !

وأدت ظروف العالم الاقتصادية إلى فساد الأخلاق والذمم ، وأصبح العيش تناهبا واختطافا ؛ فلا أمانة ولا ثقة ولا اطمئنان وبلغت الأزمات الخلقية مداها ، حتى أصبح أكثر الناس يشعرون بفراغ خلقى يفيض إليهم الحياة . . حتى من منعهم الله

لللذات والجاه ، ومكنهم من كل متعة . . يضيفون بالحياة ، ويختارون لأنفسهم نهايات محزنة ؛ فرارا من تلك الحياة الماخبة القلقة ، وابتدع الشباب في بعض الدول العزيزة ذات السيطرة والقوة والغنى مذاهب في حياتهم . . تسد ما يفكرون به من الفراغ في أنفسهم ، ولكن هيئات افهى مذاهب يوحى بها شيطان الغريزة الجائعة والرأى القمطر ، والعقل الكليل .

ولقد أهدت هذه الحال عقلاء العالم ، وأخذوا يفكرون في العلاج حتى لا يفتكس العالم إلى هجبة . . تسله إلى حيوانية صماء ، لا يستبين فيها الضلال من السداد ، والغواية من الرشاد ، ولكن تيار الانحراف كان أقوى من أن يقف في طريقه علاج ، وظل العالم سادرا في طريقه حتى أخذت واد رحمة الله تبدو في الأفق ، فاق الله الذى خلق البشر وكرمهم بالعقل ، وأعدم غلغلفته أرأف من أن يدعهم في تيه الضلال ، ويصرفهم عن رسالتهم الجادة الكريمة ، لجعل لهم إحساسا فطريا نحو الدين والأخلاق يستفيق عند الخطر ويتنبه عند الشدة يأخذ بأزمته ، ويقيمهم

على صراطه المستقيم . وهانحن أولاء نندم
 بأن بؤادر حركة الإفاقة قد أخذت تدو ،
 وملتق الناس أفرادا وجماعات يحومون
 حول الدين ، ويلوذون بحماه ، ويتواصون
 به كملاج للأزمات ، ومفرج للكروب ،
 فمرفوا طريق المساجد ، ضارعين إلى الله
 أن يبدل بحوفهم أمانا ، وبقلقهم سكونا
 واطمئنانا ، وثلباً المقلاء بأن تلك البؤادر
 التي تخفضت عنها العدائد ستنتهى بالمالم
 إلى حياة دينية راضية ، بل إلى صوفية
 متشددة .

على أن الأمر ليس في حاجة إلى تنثر ؛
 فتلك طبيعة الإنسان كما قررها « القرآن »
 يطره الفنى والصحة والجاء ، وتتعرف به

عن طريق الخير ، فإذا مسه الضر ، وحزبه
 الأمر عرف الله ، واتمس النوث في حماء ،
 وفي القرآن الكريم :

« وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه
 أو قاعدا أو قائما ، فلما كشفنا عنه ضره مر
 كأن لم يدعنا إلى ضره منه ... » الآية .
 ومن لطف الله به أنه يرحم ضعفه ،
 ويصنع عن إساءته ويحبب دعاءه ، ويحقق
 رجاءه .

« وإذا سألك عبادى عني فإني قريب ،
 أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى
 وليؤمنوا بى لعلمهم يرشدون » ١

أبر الوفا المرافى

الكتاب القادم

من سلسلة البحوث الإسلامية

التي يصدرها مجمع البحوث الإسلامية

الدين العالمى ومنهج الدعوة اليه

لفضيلة الشيخ عطية صقر

من الأصول السياسية والدستورية في الإسلام

للككتور مصطفى كمال مصطفى

- ٢ -

عناصر الدولة الإسلامية :

١ - عدم الإشتراك بالله . ٢ - الأمن الداخلي . ٣ - الطاعة والنظام .

التماسك والتضامن الاجتماعي في الإسلام : أساسه كمنصر جوهرى .

عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه .. أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصاة من أصحابه :

« يايمونى على أن لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تسرفوا ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأنوا بهتان فتفرونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تمصوا فى معروف ، فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب فى الدنيا فهو كفارة له . ومن أصاب من ذلك شيئا ثم سره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عاقبه » .

فبايمناه على ذلك . [رواء البخارى : فى صحيحه فى كتاب الإيمان وغيره]

هذا الحديث الشريف هو وثيقة إنفاء
الدولة الإسلامية وخلاصة نظامها الأعلى .
فقد صدر هذا الحديث ليلة ميلاد
هذه الدولة ، وأول ما تعاهد النبي ﷺ
كحاكم مع مجموعة تمثل أمره الشريف
وتنفذ أحكامه .
وقبل هذه اليلة - ليلة العقبة - لم يكن
ثمة دولة إسلامية ولا مشروعها ، فقد كان
للسلمون فى مكة جماعة مضطهدة تدرأ عن
نفسها العدوان ولا حول لها ، ومن ثم فلم
يكن توجد مثل هذه للتكليفات الأمرة
الحاكمة ، بل كانت تهيبا وتوغيبا لحسب ،
ولم يظهر فيها من قبل عنصر الحكم :
الإمام ، والرعية بشكل نظامى مرتب .

من التاريخ وعلى اختلاف المذاهب - لها أهداف وأسر بعضها دني وبعضها ربيع . فدولة كدولة المفلول تحت حكم حاكم بزرخان كان هدفها عدوانيا ، ولذلك كان مآلها السريع لظوال والانهيار ، ودولة كدولة الفاشيست كان منصريا يقوم على الاعتلاء بالجنس ، ولذلك تصدى لها العالم كله بالكراهة فلم تقف أمامه رغم قوتها العارمة ودول رأسمالية تسودها المذاهب النفعية تبحث عن اقتضاء مطامعها الخاصة ، من طريق استغلال الفقراء والتوسع الاستعماري ولذلك ليس هدفها إنسانيا ، ودول تهدر الكيان الفردي وتحميل الدولة إلى جهاز اقتصادي ، ولذلك فهي لا توافق القيم الإنسانية ولا تطابق المثل العليا .

أما الدولة الإسلامية ، فإن أساسها مثاليا رفيعا ، وأن من يستهدف أغراضه ومقاصده بمحقق ما دون ذلك من الأهداف أما من يقف غرضه إلى ما دون الله ، فإنه

وهذه الظاهرة النظامية والحياة الإنسانية هي أن الإنسان يخلق أهداف بطبعه ، وهذه أطول من عمره وأكبر من إمكانياته ولذلك فهو يحيط أهدافه بسياج من التنظيم لاستدامتها والامتداد بها ، وتضطر هذه الظاهرة من أسس المجتمعات وهو الأمر إلى أوسنها وهو النظام الدولي .

وبحكم أن هذا الحديث هو أول ما واجهه الإمام الأول عليه السلام إلى رعيته فهو يتضمن للبداي النظامية العليا لدولة الإسلام ، فله أهمية كبرى في الأصول الدستورية الإسلامية .

مناصر النظام السياسي والدستوري :

وبتحليل هذا الحديث الشريف يتبين أنه يتضمن العناصر الآتية :

(١) النص على أساس النظام الإسلامي وهو عدم الإشراك بالله تعالى .

(٢) النص على أسس الأمن الداخلي وهو المستفاد من النهي عن السرقة والزنا والقتل والفسق .

(٣) النص على عنصر الطاعة والنظام ، وهو المستفاد من قوله « يا معزى » وقوله « ولا تعصوا في معروف » .

العنصر الأول : أساس النظام الإسلامي :

من المعلوم أن لكل جماعة هدفا تتابعه (١) . والمجتمعات السياسية - على

[١] النظرية السائدة الآن في علوم الاجتماع والقانون : أن الجماعة تتكون من ثلاثة عناصر : أحدها : الهدف الذي تسعى الجماعة لتحقيقه . والثاني : الجماعة التي تنسك حول هذا الهدف . والثالث : هو السلطة الحاكمة التي تحقق هذا الهدف ووسيلتها في ذلك هو سن قواعد موضوعية تنفذها مع أفراد الجماعة بלא تجاوز ولا انحراف ، =

فالمسلمون جماعة نظامية متضامنة متكافلة
تجتمع حول هذا القرض ، فهي تتمثل لما
أمر الله به وتنفعه . وتجاهد ضد ما نهى
الله عنه وتحميه . وسبب هذا التضامن هو
إيمانها بالله وعدم إشراكها به . فإن الإيمان
ليس عقيدة دينية لحسب ، بل هو كذلك
قول وعمل ، ومن لم يطاق قوله وعمله
عقيدته فهو كاذب أو مقصر ؛ ولذلك فإن
الاعتقاد يترجم دستوريا ونظاميا بهذا
التضامن الإسلامي المقترن بتنفيذ الأوامر
ومنع النواهي

وإن يجة العقبة بنصها على عدم الإشراك
بالله ، قد رسمت الإطار الدستوري والنظامي
لهذه الدولة على الوجه الذي ذكرناه .

وهذا الإطار ليس دينيا فقط ، ولكن
له أثر أخروي كذلك فكل تصرف أو حق
في الشريعة الإسلامية له حكمان : حكم
ديني هو الأثر المترتب عليه كتملك
للشئ للبيع أو تملك البائع للثمن أو حل
استمتاع كل من الزوجين للآخر ، كما يكون
له حكم أخروي هو وصفه الشرعي من
القرضية والوجوب أو التحريم وما يدور
بينهما ، فمعقد كالزواج قد يكون فرضا
أو واجبا على من يخشى على نفسه الفتنة ،

لا يحقق جميع المصالح المنشودة ، فالإنسان
إذا قصد صالح نفسه فقط (بالآفانية) فإنه
قد يضحي بما يملو ذلك من مصالح جماعية
أو إنسانية ، والتي يقصد المصالح الجماعية
فقط (العصبية أو الوطنية) قد لا يحقق
المصالح الإنسانية .

والذي يرمي للصالح الإنسانية قد تفوت
بعض القيم المعنوية والعامة والمستقبلية ،
وأما من يقصد المصالح الربانية فإنه
يستوهم كل ما سلف دنيا وآخره .

ولذلك فالهدف الرباني هو أرقى الأهداف
النظامية وأعلما .

ويتلخص الهدف الإسلامي في أنه
« تضامن للمسلمين وتكاملهم في تحقيق
للمقاصد الربانية للتمثلة في تنفيذ ما أمر
الله به ومنع ما نهى الله عنه » .

(فهذا ما يصح أن نسميه بلغة العصر
الأيدولوجية الإسلامية)^(١) .

[١] تمس بشئ الدول على أهدافها العليا . وهو
ما يسمى في الدول الاشتراكية بالصالح المذهبية أو
الايدولوجية . كأن أمضى الدول « وثائق رسم
الإطار الأعلى للصح مثل المبادئ العامة (المبادئ
كارتا) لدى البريطانيين و« مبادئ الديمقراطية وخاصة
المستور الأمريكي » . ويتفق حقوق الإنسان الذي
أصدرته الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ .

بالديون [بينهم أن يعطوه بالمعروف . .
وأن المؤمنين المتقين على من بغى منهم
أو ابتغى وسيمة (عظيم) ظلم أو إثم
أو عدوان أو فساد بين المؤمنين وأن أيديهم
عليه جميعهم ولو كانت ولد أحدهم . .
« أن ذمة الله واحدة يحير عليهم أديانهم »^(١)
وأن المؤمنين بعضهم موالى بعض من دون
الناس . . وأن المؤمنين يبي (يمنع)
بعضهم بعضاً بما قال دماهم في سبيل الله
وأن المتقين على أحسن هدى وأقومه . .
وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة
وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً
ولا يؤويه وأنه من نصره . أو آواه فإن
عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يخذ
منه صرف ولا عدل . . وأنه ما كان بين
أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار
يخاف فساد فإن مرده إلى الله وإلى محمد
رسول الله . وأن الله على أتقى ما في هذه
الصحيفة وأبره . . وأنه لا يحول هذا

ويستطيع الباءة (النفقة ونحوها) ويعرف
في نفسه العدالة . وقد يكون حراماً إذا
كان ضرراً . وهكذا فإن كل تصرف
في ظل الشريعة له هذه الوجهة الأخروية
إلى جانب وجهته الدنيوية . ومن أجل ذلك
نجد أن هذه البيعة التي تضمنت هذا
الميثاق الإسلامي الأهل تبين الوجهة الأخروية
في أحكام الدين بقوله ﷺ : « فن وفي
منكم فأجره على الله » إلى آخر الحديث .

ونود أن نكمل هذا للميثاق بكتاب
رسول الله ﷺ إلى المهاجرين والأنصار
واليهود ، لا نعلم إلا عن محمد بن إسحق^(٢)
ولكن لهذا الكتاب أهمية فيما نحن
بصدده . فقد جاء فيه من علامات النظامية
الجماعية « في الإسلام قوله : « بسم الله
الرحمن الرحيم هذا الكتاب من محمد النبي
الأمي بين المؤمنين والمسلمين من قريش
ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم :
أهم أمة واحدة من دون الناس »
وأن المؤمنين لا يتركون مفرحاً [مثقلاً

[١] هذا الحديث الجامع الذي يخرج آثاراً واسعة
في النظام الإسلامي صحيح : ورد أيضاً في البخاري
في الجزية والاختصاص والقرائن ، وعند مسلم في التقي
والحج . وأبي داود في الناسك والجهاد والديات .
وعند الترمذي في الولاء . واللساني في الساقة .
وابن ماجة في الديات .

[٢] قال ابن كثير : وقد تكلم عليه أبو عبيد
القاسم بن سلام رحمه الله في كتاب التريب وغيره بما
يطول شرحه (السيرة النبوية - حيسى المطبع ج ٢
س ٢٢٢) .

وكذلك فإن ذلك الذى ظنه معصوم
بيننا بما يعصم به المسلم .
وقد دعى هذا الميثاق بالنص على الأمن
الداخلى لأنه ألزم مستلزمات تكوين
المجتمع ومن أهم مقوماته . فإن مجتمعا
لا أمن فيه ، لا يصدق عليه وصف المجتمع .
بل يكون حالة تجمع وتجهز لا نظام
فيها ولا تكوين لها . حالة من الفوضى
والعدوان .

وقد بينا من قبل أن تماسك أعضاء
المجتمع من أهم عناصر النظامية وتعتبر
مقياس قوة المجتمع وصلابة تكوينه .
فكلما تماسك الأعضاء كلما ارتفعت قيمة
المنظمة وزادت قوة وبطبيعة الحال ، إذا
ساد العدوان بين الأعضاء انعدم اللحام
الأساسى ولم توجد المادة التى تجمعها
« كالبنيان يشد بعضه بعضا » . .

ولقد بينت فى كتابات أخرى^(١) لى
أرى أن الإمام البخارى يرى أن للإيمان
وظيفة اجتماعية ، وأنه فصلها فى تراجمه
وسياقه للأحاديث . وسقت بيانا وتديلا

الكتاب دون ظالم أو آثم ، وأنه من
خرج آمن ومن فقد آمن بالمدينة إلا من
ظلم أو آثم وأن الله جاز لمن بر واثق ،
وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .
وأن الكلام فى هذه المبادئ وتأبيدها
بما ورد فى الكتاب الكريم والمنة
المشرفة لما يطول شرحه ويخرجنا عن
منهجنا فى العرض على أساس السنة الصحيحة .
ولكن ننبه إلى ما ورد فيه من التضامن ،
ومن تحكيم للشريعة العليا المستمدة من
الإيمان بالله وتنفيذ أوامره ومنع نواهيه
وتحكيم شرعه فيما شجر بين المسلمين .
وكذا ننبه إلى ما ورد فى خطبة الوداع
بوصفها من الكلمات الجامعة فى نظام
الإسلام .

المنصر الثانى : الأمن الداخلى :

فقد جرت المباشرة الأساسية فى تلك
الاية على أن يأمن المسلمون فيما بينهم على
أموالهم وأعراضهم وأرواحهم . وقد
أكد ذلك بما ورد فى كتاب الله العزيز
وبكثير مما ورد فى السنة الحميدة المشرفة
عما يفيد عصمة المسلمين فى دنائهم
وأعراضهم وأموالهم وبشراتهم فإن كل
المسلم على المسلم حرام .

[١] صحيح البخارى للتراجم الأول - وعصر
البخارى وأثره : إنكاره من مطبوعات المجلس الأعلى
للشئون الإسلامية .

ظاهرة، بل علاقة القلب وتماسك الأرواح .
وهذه صورة من التماسك الحقيقي بين
أفراد المجتمع .

ثم كأنه لم يكتف بذلك بل تدرج إلى أن
هذه الرابطة يجب أن تُعدها قيادة مثالية
محبوبة^(١) فأورد حديث أبي هريرة :
« لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه
من والده وولده والناس أجمعين » ، عند ذلك
يستفهم المؤمن حلاوة انتمائه لهذه الجماعة
ويتشبع ويتشبث بالانتماء إليه ، فأورد الإمام
حديثاً - بهذا الترتيب -^(٢) :

عن أنس عن النبي ﷺ : ثلاث من كن
فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله
ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب
المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود
في الكفر كما يكره أن يقذف في
النار ، أي من شدة تعلقه بهذه الرابطة
ويقينه بها .

ثم كأن الإمام البخاري يحذر من
الاتصاف بالمصيبة ونحوها .

[١] من المثلح عليه أن قوة السلطة تعتمد على
قوة السلطة الحاكمة . فهي التي تؤكد تماسك
الأعضاء وتزيده . ولا يكون ذلك إلا إذا كانت
محبوبة من هؤلاء الأعضاء مثالية في نظرم .

[٢] راجع هذه الأحاديث بترتيبها في صحيح
البخاري كتاب الإيمان .

على هذا الرأي أنه أورد الأحاديث التالية
في صحيحه (كتاب الإيمان) رتبة على
وجه استقمرت منه ذلك .

فأورد أولاً عن عبد الله بن عمرو بن
العاص قول النبي ﷺ : « المسلم من سلم
المسلمون من لسانه ويده » وبدون ذلك
لا تتحقق أدنى صور الاجتماع . ولا يصح
أن يوصف التجمع بأنه مجتمع . فأقل
مقوماته أن يكف كل إنسان أداءه ممن
يعايشه .

ثم أورد عن عبد الله بن عمرو أيضاً
قوله ﷺ لما سئل : أي الإسلام خير ؟
قال : « نطم الطعام ونقرأ السلام على من
عرفت ومن لم تعرف » فهذه صورة
اجتماعية أرقى ، فالناس هنا كفوا أذاً من
بعضهم ، وتبادلوا الجمالة . ربما عن تكلف
فإن السلام على من لا تعرف قد يكون
من ظاهر التكليف لا من دوافع
القلب .

ثم أورد عن أنس بن مالك قول النبي
صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم
حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » وهذه
صورة أرقى ، لأن الاجتماع ؛ هنا من حقيقة
المالفة وصادق الحب ، فهي ليست علاقة

الرأسمالية « الليبرالية والإمبريالية » يعود عنصر للنقمة الداتية ، فإن كل فرد يتمتع بحقوقه في هذه المجتمعات على وجه الإطلاق ولا يتقيد إلا بقيد صريح في القانون ولذلك يسمح هذا النظام باستغلال الفرد لفرد ويتقاطع المصالح ونضادها ، وقد عانت هذه النظم كثيرا من هذا التأصيل حتى أمكن لمفكرها أن يعالجوا بعض مواضعها ^(١) بما ظهر من تشريمات في هذا الصدد .

وفي النظم الجماعية - التي تسود الدول الشيوعية خاصة - يسيطر المبدأ الاقتصادي فهو العامل الهام في تخطيط الدولة وتوجيهها ولذلك كثيرا ما تراء يتنكر للدوافع الطبيعية المقبولة ، ولا يعنى بالروابط المعنوية التي تنشئ « حقيقة المحبة بين أعضاء المجتمع » .

[١] فإنه منها ظهر من تشريمات في التأصيل الاجتماعي واللائق النهائية ونحو ذلك فإنه إن لم يكن لدى الفرد التكوين الحق والتربية القانية ، تراها تنفذ على منحنى وتكلف ، وربما كانت من أم ما يجعل هذه المجتمعات على التماسك هو أن يدعمها الخطر المفترق كال حرب ونحوه ، فترى لغيرها أنها بعد أن تخوض هذه المعارك المريرة تثب نحو التضامن الجماعي ، فقد ظهرت بعض النظم الهامة في هذا الصدد كـ « بوردج » و « ميتال » و « ديتون أو كس » ونحوها في أعقاب الحرب الأخيرة .

فأورد حديث أنس عن النبي ﷺ أن « آية الإيمان حب الأنصار ، وآية النفاق بغض الأنصار » وهذا يصدق على أي تفرقة بين أمة للمسلمين لأي سبب من الجنس أو العنصر أو الأقليم أو غير ذلك ، ثم أورد حديث عبادة في بيعة العقبة الذي نحن بصدد شرحه ، ولقد رأينا أنه قد تجميع المبدأ الإسلامي وذروة تلخيص أساس الدولة الإسلامية والتي رأينا أنه يمكن التمهيد لها بما يؤدي إلى التضامن الحقيقي والتماسك المتلى باجتماع أفرادها على الحب في الله وعلى الاقتصاد بالنبي ﷺ وعن سار على نهجه من الأئمة الصالحين وعدم تفرقة الأمة وتقسيمها لعناصر العنصرية وغيرها .

وبهذه الفكرة الاجتماعية والسياسية الرافية يمكن فهم أساس الجماعة الإسلامية وقيامها على التضامن الحقيقي الشامل وأن هذا الأساس هو العنصر الجوهرى في المجتمع الإسلامى .

ومعاقبة هذه الفكرة بالأفكار الجامعة في النظم الحالية الأخرى ، يتبين سموها ورفيها .

ففي النظم الفردية - التي تسود الدول

للمدينة هذه الطريقة ، طريقة الخطاب
الإلزامي المباشر عن طريق إصدار الأوامر
والنواهي ، وهي تخالف الطريقة التي كانت
متبعة في التنظيم السياسي السابق في كل
من مكة والمدينة ، ففي مكة كانت بطون
قريش تجتمع في قاديها ، وتتفق على ما
يلتزمون به ، وكان كل بطن يخدم بأمر
من الأمور ، بعضها يختص بأمور الحرب
والقتال ، وبعضها ببعض أمور الحج ،
وهكذا . كما أن أهل يثرب ساروا على ذلك
قبل هجرة ﷺ ، فكان زعماء الأوس
وزعماء الخزرج يتفقون على ما يلتزمونه
من أمورهم ، ولكن لم يكونوا على وفاق
كأهل مكة إذ كان اليهود يوقعون بينهم
ويتحالفون مع ضعيفهم لينالوا من قويمهم
ويحتفظون لأنفسهم بالميزان ، وهكذا
فإن عنصر التكوين السياسي لم يكن
متكاملا قبل النبي ﷺ وتعتبر طريقته
عليه الصلاة والسلام في إدارة الدولة طبقا
لما تميز به النظم القوية وما هو سائد
لآن في النظم الحديثة تقدما ملحوظا في
المجتمع العربي .

وقد تبينت من كتاب الموازنة بين
أهل المدينة ويهود ما هو ظاهر من عمارته
من أنه تم بطريق الخطاب التشريعي المباشر

أما النظام الإسلامي فهو يجمع بين
محاسن القردية في الاعتراف بالواقع
الطبيعية لدى الإنسان ومحاسن الجماعة
في إنشاء التكافل الجماعي الأسيل وتقديم
مصالح الجماعة على مصلحة الفرد .

العنصر الثالث - الطاعة :

وهو يتمثل في هذا الحديث الشريف
في قوله صلى الله عليه وسلم : « ولا تمصوا
الله في معروف » .

فإنه بدون ذلك لا تتحقق معنى النظامية
ولا يتكون ذلك التدرج الرأسي اللازم
لتحويل شكل المجتمع إلى دولة .

فإذا كان عنصر التمسك لازما للتكوين
المجتمع - أي مطلق المجتمع - فإن الطاعة
لازمة لتحويل هذا المجتمع من شكله
المطلق إلى شكله النظامي وهو الدولة .

ولذلك قلنا : إن هذا الحديث يشير
بميلاد الدولة الإسلامية .

فإن المسلمين في مكة كانوا جماعة متماسكة
متعابة متعاطفة ، ولكنها لم تكن
شكلها النظامي بتكوين واع وروحية إلا
منذ أن أضي عليها رسول الله ﷺ عنصر
النظامية بتطلبه الطاعة وعدم عصيانه .

ولقد اتبع النبي ﷺ في سياحته

والخروج فإنه لا يؤمن بالخلاف والتطاحن
كما حدث في الجاهلية .

ومن المفيد أن نشير إلى أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وقد كان يمر من نفسه
على القبائل وقتها ولقي من أهل الطائف
ما لقي ، لم يتمسك إلا أنصار كلاحى . يريد
أن ينجو بنفسه ، بل اشترط عليهم - وهو
في هذا الموقف الصعب - الطاعة كحكم
يلزمون طاعته !!

وفي هذا نقول من التحليل السياسي
لهذا الموقف ما نشاء ، فضلا عن أنه علامة
من علامات النبوة وشدة اليقين والعزة
بالله تعالى .

ومن المفيد أيضا أن نغير إلى أن أساس
الارتباط هو البيعة ، وهي رابطة سياسية
خاصة برزت في الإسلام ولها نتائجها
وأحكامها .

ونأمل من الله تعالى أن نوفي هذا
الموضوع على انفراد ، فإنه البيعة من أم
الدراسات والمباحث الدستورية في الإسلام .
والله تعالى الموفق للخير وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
مصطفى كمال مصطفى

وبيئت ذلك في كتابي « محمد ﷺ وبنو
إسرائيل » ، ورددت على من ظن أنه تم
بطريق الحلف كما كان سابق عهد العرب ،
وليس في التاريخ ما يدل على ذلك ، وقد
تضمن ذلك الكتاب خطاب إمامي لليهود
كقولهم : « وإن من تبمنا من يهود فإنه
النصر والأسوة » فهو خطاب للتبعية .

وأما من معنى من يهود ككعب بن
أشرف وابن أبي حقيق وبنى قينقاع وبنى
النضير وبنى قريظة فأولئك لقوا الجزاء
حنوة . وبذلك فإن أصول السياسة في
الجزيرة العربية قد تغيرت من أساسها ،
وتقدمت طفرة واحدة بنشوء الدولة
الإسلامية ، وقيام دولة حقيقية تتألف
من عنصرى الحكم : راع ، ورمية ، أو
حاکم ومحكوم ، والأول يتمتع بطبيعة
الحال بامتياز الفهر والإجبار والملازمة
والولاية العامة ، والثاني يلتزم بالترام الطاعة
والولاء والخضوع وبدون ذلك لا يتمكن
الحاكم من إنفاذ كلمته وتسيير الصالح العام
على وجهه للنشود في الدولة ، فإنه إن تمرد
كل محكوم برأيه واستقل بكلمته ، فلا
تتكون الدولة ، وإن تعددت الرموس كما
كان شأن بطون قريش وبطون الأوس

الزئفرف الإسلامى فى ضوء الكتاب والسنة

دؤشاز على عبدالمطعم

٢ - الاعتصام بالتقوى

وصف الله سبحانه نفسه بأنه ولى للمؤمنين ووصف المؤمنين الصادقين بأنهم أولياؤه وجعل مرتبة الولاية تقصوم على ركنين أساسيين هما : الإيمان والتقوى ، قال تعالى : « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون » والواقع أن الإيمان والتقوى هما أساس الفلاح فى الدنيا والآخرة وهما يلخصان تعاليم الإسلام أتم تلخيص ، قال تعالى : « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض » وقال جل شأنه : « ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم » وقال عز من قائل : « وإن تؤمنوا وتتقوا فلکم أجر عظیم » وقد تحدثنا عن الإيمان فيما سبق وحديثنا اليوم عن التقوى ، وهى إيمان مصحوب بالعمل الصالح ، ولهذا أوصى الله بها الأمم السابقة كما أوصى بها للمسلمين

قال تعالى : « ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله » والتقوى مشتقة من الوقاية وهى الحفظ والصيانة باتخاذ ما يحول بين الإنسان وما يؤذيه سواء كان إبداء حسيا أو معنويا ولله يصون نفسه من الأمراض باتخاذ الوسائل التى تحوّل بينه وبين الأمراض الفتاكة ، والأطباء يقولون الناس شر كثير من الأمراض بما يسمونه للتنظيم الواقى من جرائمها الفتاكة ، والناس يخفون الفقر فيجمعون ما يستطيعون من الأموال لتكوين وقاية لهم من الفقر ويتخذون المساكن ولللابس الوقاية من تقلبات الجو ويجمعون الطعام وقاية من الجوع ويتخذون الجيوش الجارة الوقاية من هجوم الأعداء ، أما من أراد الوقاية الكاملة فى الدنيا والآخرة فانه يمتعم بربه ويحتمى به من شرور الحياة وما بعد الحياة والوسيلة لهذا أن يتخذ الوسائل لرضاء

بالمهود، والذين اعتادوا الصبر في الشدائد وفي الأمراض وفي ميادين القتال وعقبت الآية الكريمة على المتصفين بهذه الصفات بأنهم هم الصادقون في إيمانهم وأنهم هم للتقون.

وتناولت آيات أخرى بعض هذه الصفات بالتوضيح، قال تعالى في وصف المتقين: «الذين يؤمنون بالغيب، ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون» وعقب على هذه الصفات بأن أصحابها «على هدى من ربهم» وأنهم «هم للفلحون» ووضحت آية أخرى أخلاق المتقين فذكرت أنهم: «الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين، والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا الذنوبهم ومن يفسر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون» فوصفت للتقين بالسخاء في البذل في حالتى الوفرة والقله، ثم بكبح جماح الغضب ثم بالعفو عن أساء إليهم، ثم بالإحسان في العبادات والأعمال والسلوك، ثم بالمبادرة بالتوبة من الذنوب وعدم الإصرار على

وأن يجعل له وقاية من تعرضه لسخطه وغضبه «ومن يمتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم».

وقد حصر الله سبحانه البر في التقوى وجعل البر وصفا مجسما معصوما في شخص من اتقى الله، قال تعالى: «ولكن البر من اتقى» وهذا أصبح حقيقة مائة قائمة في أشخاص المتقين. ولقد طخت آية البر صفات للتقين: «ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم للتقون» فالبر هو التقوى والبر يقوم على ستة أركان أساسية هي الإيمان بالله وملائكته ورسوله واليوم الآخر، ثم السخاء في بذل المال لمعونة ذوى القربى واليتامى والمساكين وللتقطعين عن مواطنهم والذين تدفعهم شدة الحاجة إلى السؤال، والذين وقعوا في الرق وينشدون التحرر من أغلاله، والذين أقاموا الصلاة والذين أخرجوا الزكاة، والذين انطبعت نفوسهم على الوفاء

في ثلاث درجات حيث قال : ^(١) «التقوى ثلاث مراتب : إحداها : حية القلب والجوارح من الآثام والهمومات ، والثانية : حيتها عن السكروهات ، والثالثة : حيتها عن الفضول فالأولى تعطى المبدحيات ، والثانية تقيده محبته وقوته والثالثة تكسبه سروره وفرحه ومحبته » .

فأول المراتب : أن يصوت المتقى نفسه محارم الله من الذنوب والآثام .
والمرتبة الثانية : أن يصون نفسه - مع هذا - عن الصغائر والقهم .

والمرتبة الثالثة : لا يشغل نفسه بما لا يعنيه حتى لا يقحم نفسه فيما يس أخلاقه .
روى النزالي أن حسان بن أبي سنان مر على غرفة ببيت ، فقال : منذ كم بليت ؟
ثم أقبل على نفسه ، وقال : يا نفسى الغرورة تسألين مما لا يعينيك وما قبها بصوم سنة ^(٢)
وقد لامى امرضى الله عنه نفسه لأنه تساءل عن معنى قوله تعالى : « وفاكهة وأبا » .

ولقد أسهب الإمام النزالي في الحديث عن التقوى وبيان خطرهما فقال :
(إن التقوى كثر عزيز ، كم تجدد فيه من

الخطأ ، وعقبت على هذه الصفات بأن جزاء أصحابها « مغفرة من ربهم وجنتات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ولهم أجر العاملين » .

ومن التدبير الدقيق في هذه الآيات الكريمة نعلم أن أسس التقوى عديدة وأنه يمكن جمعها في ثلاث دعام قوية : إيمان حقيق ، ومعمل منصر صالح ، وسلوك خلقى قويم ، وعلى هذه الدعام الثلاث تقوم جميع الأديان ، ومن تنبع وصايا الرسل في القرآن الكريم وجدها نخص جميعها على التقوى ، ومن قرأ سورة الشعراء وجد كل رسول يهيب بقومه : « ألا تتقون ، إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون » .

أما القرآآت الكريم فقد وردت فيه صفة التقوى ومشتقاتها في أكثر من مائتين وخمسين موضعا ، وحسبنا أن الله تعالى وصف نفسه بأنه « أهل التقوى وأهل للنفرة » وأنه دعا المتزودين بالطعام أن يتزودوا بالتقوى « فإن خير الراد التقوى » والمتجملين باللباس أن يتجملوا بالتقوى « ولباس التقوى ذلك خير » .

وللتقوى مراتب عديدة لخصها ابن قيم

[١] الفوائد لابن قيم الجوزية ص ٤٣ .

[٢] منهاج السالكين ص ٦٣ .

- جوهر شريف وعلق نفيس، وخير كثير،
ورزق كريم، وفوز كبير، وغنم جسيم،
وملك عظيم، فكان خيرات الدنيا والآخرة
جست لحملت تحت هذه الخصلة الواحدة
التي هي التقوى ...)، ثم ذكر نتائجها
الجيدة وطمعها في اثني عشرة خصلة
استمدحها من القرآن الكريم؛ ومن الخير
أن نسوقها بإيجاز :
- ١- المدح والثناء : قال تعالى :
« وإن تصبروا وتتقوا فإِن ذلك من عزم
الأمور » .
 - ٢- الحفظ والحراسة من الأعداء :
« وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم
شيئاً » .
 - ٣- التأييد والنصرة : « إن الله مع
الذين اتقوا، والذين هم محسنون » ؛
« والله ولي للنتقين » .
 - ٤- النجاة من المصائب، والرزق من
الحلال : « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً
ويرزقه من حيث لا يحتسب » .
 - ٥- إصلاح الأعمال : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا
يَصْلَحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ... » .
- ٦- غفران الذنوب : « يَصْلَحْ
لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ » .
- ٧- محبة الله تعالى : « إن الله يحب
المتقين » .
- ٨- القبول : « إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ
الْمُتَّقِينَ » .
- ٩- الإعزاز والإكرام : « إن أكرمكم
عند الله أتقاكم » .
- ١٠- البشاعة عند الموت : الذين آمنوا
وكانوا يتقون، لهم البشري في الحياة الدنيا
وفي الآخرة .
- ١١- النجاة من النار : « ثم تنجي
الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً » .
- ١٢- الخلود في الجنة : « وسارحوا
إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات
والأرض أعدت للمتقين » (١) .
- لئن أراد الحفظ والصيانة في الدنيا فعليه
بتقوى الله فإنها تدفع عنه الشر وتسوق
إليه الخير « ومن يتق الله يجعل له من
أمره يسراً » .
- ومن أراد الحفظ والصيانة في الآخرة
فعليه بتقوى الله فإن « من يتق الله يكفر
عنه سيئاته ويعظم له أجراً » .

[١] المصدر السابق ص ٥٥ ، ٥٥ .

بالحكمة ، قال تعالى فى فصل يوسف عليه السلام : « ولما بلغ أشده آتياه حكما وعلما » وقال تعالى فى فصل موسى عليه السلام : « ولما بلغ أشده واستوى آتياه حكما وعلما » وقال فى نعمته على داود وسليمان عليها السلام : « وكلا آتينا حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين » .

فالتقوى ترفع أصحابها إلى أعلى الدرجات ونهبهم أكرم الهبات ، وللتقوى ليسوا معصومين ، فقد يتعرض لهم الشيطان ولكنه لا يضوئهم ، وإنما ينسبهم ولكنهم سرعان ما يتدكرون فيدكرون .

وتدفعهم التقوى للبادرة بالاستغفار فينالون المغفرة إذ الذين اتقوا إذا همهم طائف من الشيطان تذكروا إذا هم مبصرون » والتقوى إذا أصبحت مسيطرة على النفس متكنة فى القلب فإن الشيطان فى هذه الحالة لا يجد فرصة لتأثيره على للتقوى حتى بالنسيان ؛ وحينئذ يسمى العبد محصيا لا يقل عن ذكر الله فى جميع الأوقات والأحوال ، والأنبياء فى مقدمة هذه الصفوة من الأتقياء والله تعالى يقول : « إنا أحلصناهم بحالصة ذكرى الدار » ، وهم الذين وصفهم [١]

وإذا امتلأت القلوب بتقوى الله امتلأت بنور الله ووضحات الروحانية ونمت برحمته المتواليه « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم » .

فالتقوى للتقوى يظفرون بنصيبين من رحمة الله فى الدنيا والآخرة ، ويعنهم نورا يمشون به الصواب من الخطأ والهداية من الضلال ، والحق من الباطل فيشتقون طريقهم فى ظلمات الحياة مستهدين بنور الله ، ثم يظفرون فى الآخرة بمغفرة من الله ورضوان قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقا » ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو العزل العظيم » ، فالفرقان هو للسكة للبيزة للمتارة التى يهبها الله للتقوى ليعرفوا فى ضوئها الخطل من السداد « يهدى الله بنوره من يشاء » ، ومن لم يجعل الله له نورا فإنه من نور » .

وهذه للسكة فوق العزل ، ويسمى القرآن بالحكمة « ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا » وهى غير العلم لأن الله يمن على أنبيائه بالعلم كما يمن عليهم

وقد أوصانا الرسول صلوات الله عليه
بملازمة التقوى في جميع الأحوال فقال:
(اتق الله حينما كنت، وأتبع السيئة لسيئتها
تحميها، وخالف الناس بخلق حسن) فالتقوى
تنفذ إلى قلب المؤمن فتصعبه في إيمانه
ثم في عمله، ثم تصل به إلى مرتبة الإحسان
« ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا
وعملوا الصالحات، ثم اتقوا وآمنوا، ثم
اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين ».

فالتقوى تلازم الإيمان في هذه المراحل
الثلاث حتى تصل به إلى درجة الإحسان
فيهوز بحب الله ورضوانه .

وإذا درسنا التقوى في ظل التحليل
النفسي فإننا نجد أنها تقوم على غريزتين
أساسيتين هما : غريزة الاستغاثة وغريزة
السلام وما غريزتان متكاملتان ،
فالإنسان بفطرته محدود القدرة بالنسبة
إلى القوى الطبيعية المحيطة به، وهي رهبة
الطاقة، ويزيدها رهبة جهل الإنسان لها
وضمعه إزاءها ، وتوقع خطرها في كل
حين ، فالإنسان الضعيف تباغته الزلازل
والبراكين . والزواجر والمواصف، والشهب

بعبوديته وقال في حقهم الشيطان: « إن
عبادي ليس لك عليهم سلطان » .

وإبليس لا يستطيع أن يمد تأثيره بأي
حال إلى هؤلاء المخلصين الأتقياء فيقول
لربه: « دمزتك لأغوينهم أحمين، إلا بذاك
منهم المخلصين » ويقول الله تعالى في يوسف
عليه السلام: « كذلك لنصرف عنه السوء
والفحشاء إله من عبادة المخلصين » فالسوء
والفحشاء لا ترتقي إلى مقام الاتقياء
المخلصين .

ولما كان الناس متفاوتين في الدرجات
فإن أسلام منزلة وأكرمهم مكانة عند الله
هم المتقون « إن أكرمكم عند الله أتقاكم »
وأسمى للزومين عبادة هم الاتقياء قال ﷺ:
(اتق المحارم تكن أعبدا للناس) ولهذا
قال ﷺ: (إني لأخشاكم لله وأتقاكم له)
ومن هنا كانت التقوى جماع كل خير ،
روى أبو سعيد الخدري قال : (جاء رجل
إلى النبي ﷺ فقال : يا نبي الله أوصني .
فقال : عليك بتقوى الله فإنها جماع كل
خير) ويقول الإمام القشيري : « التقوى
جماع الخيرات ، وحقيقة التقوى التحرز
بطاعة الله عن حقوقه » .

إلى رعب ثم إلى جبن يحمل صاحبه كل
توقع الضر في كل مكان وفي كل لحظة ،
وفي كل حركة ، حتى يصل بصاحبه إلى
القلق العصبي ثم إلى الانهيار ثم الجنون ،
أما الخوف الطبيعي فهو نزعة فطرية
في النفس تنبه صاحبها إلى مكان الخطر ثم
توجهه إلى الدفاع عن نفسه سواء بالهجوم
أو بالتراجع أو بالتخاذ القوة أو بالتفاس
الوقاية ؛ والقرآن الكريم حصر الخوف
في الله وحده لأنه بيده ملكوت كل
شيء ، فلا رعب ولا قلق ولا انهيار ،
والإيمان به يورث الأمن والاطمئنان
« الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم
أولئك لهم الأمن وهم مهتدون »

وهو سبحانه « الذي أنزل السكينة
في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع
إيمانهم » وبذكره وبالاتصاف به تطمئن
قلوبهم وهو وحده « خير حافظا
وهو أرحم الراحمين » ، فالؤمنون يخافون
إلهاً رحماناً رحيماً يفر القلوب ويصفو عن
السيئات ؛ فالخوف منه ليس رهبا قاتلا
ولمعه حشية مزوجة بالرجاء ، فالؤمن
الصادق « يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه »

والرجوم ، والفيضانات الدمرة ، والقصع
والجفاف ، والأوبئة الفتاكة ، والأعنة
الكونية ، والصواعق الكهربائية إلى
ما لا يدركه من آلال الحالات ؛ ومهما
بذل الإنسان من جهود ومخاطر فإنه لا
يستطيع أن يحفظ نفسه من هذه الآلات
وأسلم الطرق لحفظ نفسه ووقايتها أن يلجأ
إلى الذي يحكم زمام هذه القوى الطبيعية ،
ويستظل بمحايته ، ويلوذ برعايته ، حيث
يحسد الأمن والسكينة والاطمئنان ولهذا
حصر القرآن الكريم « الخوف » وجمعه
متعباً إلى الله وحده ، فالأتقيا ، لا يخفون
إلا الله ، ولا يتقون حواه « وله الدين واصبا
أفغير الله تتقون » .

وقد أمرنا أن نقصر التقوى عليه وحده
« وإياي فاتقون » وذلك بأسلوب القصر
حيث قدم للفعول به على الفعل ؛ وأبأنا
أن زمام النجاة من كل مكروه بيده وحده
« قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب » ؛
« وينجي الله الذين اتقوا بمغازتهم لا يمسهم
السوء ولا هم يحزنون » .

ونحن نعلم أن الخوف أساس جميع
الحالات الممبية وأنه يستمرى فيتحول

والأتقياء « يدهون وجهم خوفاً وطمعا » ،
ثم يخرج الخوف في نفوسهم بقيض من
المحبة « والتين آمنوا أعد حبا لله »
ونحن نعلم أن الطفل يحب أباه ويخشاه
وكذلك حالة المؤمن مع الله .
ولما كان الهدف الأسمى لكل مؤمن
هو أن يكون وليا لله ، فقد حصر الله
الولاية في الأتقياء « إن أوليؤه إلا
المتقون » والحصر هنا بصيغة القصر: النقيض
والاستثناء حصر دقيق .
وفي هذا كله يلتقي المتصوفون وعلماء
السنة بحيث لا نجد مجالا للخلاف بينهما
إلا في حرص الصوفية على المبالغة في العبادة
وجهاد النفس والتقرب إلى الله بعمل كل

ما أمر به من فرائض أو دعا إليه من نوازل
 واجتناب المحرمات والتساي عن الشهوات ؛
 وهذا مجال يبذل فيه كل ما استطاع من
 جهد وطاقات « فانقوا الله ما استطعتم »
 أما ما يتناز به الصوفية عن غيرهم فهو
 نظريتهم في وسيلة المعرفة ، في الحب الإلهي
 ونجا يتناوله الباحثون من وحدة الوجود
 وسرى في القتل التالي أنهم لا يفرقون
 من حمرة المسلمين إلا في بعض التفصيلات
 الاجتهادية ، وهو اختلاف لا يمس الجوهر ،
 وقد يكون لهم لاعتبارهم في كثير من
 الأحيان ، وسنعالج هذه الموضوعات
 في مقال تال إن شاء الله ما

على عبد العظيم

قال الله تعالى :

« واذكرونيك في نفسك تضرما وخيفة ودون الجهر من القول بالفتور والآمال
 ولا تكن من الضالين . إن الذين عذبوك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحوه
 وله يسجدون »
الأعراف : ٢٠٥ ، ٢٠٦

أُمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْحَدِيثِ

لفضيلة الدكتور عبد الحليم محمود
«أُمِيرُ الدِّينِ نَجْمُ»

— ٧ —

المنهج الخلقى عند الثوري

- لقد حاول الفلاسفة العقليون أن يرسموا
للأخلاق منهجا. وأن يقدموا لها قواعد .
وأن يضعوا لها موضوعا يلتزم . وبدأوا
— منفصلين عن الدين — يتساءلون عن
أهداف الإنسان من سلوكه . وأجمعوا على
أن هدف الإنسان من سلوكه إنما هو
«السعادة» ثم اختلفوا طرائق ومذاهب في :
١ — تحديد السعادة
٢ — الطريق الموصل إليها .
وكان سقراط — في التاريخ الواضح —
من أوائل العقليين الذين بدعوا في تحديد
السعادة وفي رسم الطريق الموصل إليها .
إنها الرضا .
والرضا يتأتى من تحديد الرغبات بحيث
لا يرغب الإنسان إلا فيما يستطيعه .
لماذا يشقى الإنسان ؟
لأن له رغبة لم يحققها .
فإذا حدد كل إنسان آماله ومطامحه
ورغباته بحسب استطاعته بحيث لا تتعداها
عاش سعيدا .
وأخفق مذهب سقراط حتى عند أخص
تلاميذه — أفلاطون — فقد رسم مذهبها
للسعادة والسلوك غير مذهب أستاذه .
بل رسم عدة مذاهب حسب تطوره
الفكري الذي استمر طيلة حياته في صيرورة
متتابعة لا تستقر على رأى ؛ ولو طال به
الزمن رسم مذاهب أخسرى غير التي
نمرقها عنه .
وأخفقت جميع مذاهب أفلاطون
في النظرة الفاحصة لتلميذه — أرسطو —
فقد حاول أن يرسم أيضا مذهباً لفضيلة
ومنهجاً لسلوك من أجل الوصول إلى السعادة .
وأخفق مذهب إحصافاً بينا .

« ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، الذين آمنوا وكانوا يتقون، لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبدل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم » .

« إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون، نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة .. » .

واستحاب قوم القدوة إلى ما يحبههم حياة طيبة حققوا الرضا والسكينة والطمأنينة .

والرضا ، والسكينة ، والطمأنينة ؛ والحياة الطيبة ؛ وعدم الحزن . وعدم القزع ، وعدم الحزن ، والأمن .. كل هذه معاني ضمنها الله لمن حقق له السودية الصادقة

وأراد سفیان الثوري أن تسير الأمة إلى الهدى . وأن تلك سبيل الله فينحقق لكل إنسان قسط من السعادة بقدر ما يحقق من خطوات في الطريق .

واستمر سفیان طيبة حياته يبشر بالفضيلة وبالتقوى ويدعو إلى الخير ملتزما في كل ذلك الدين الذي المستقيم .

وهكذا إلى الآن . كلما جاء فيلسوف عقل بنى الفلسفة مذهبا أخلاقيا يرى أنه كفيل بسعادة الإنسان فردا ، والسعادة الإنسانية جماعة أو جماعات .

بيد أن هذه المذاهب لم تفصل بالأمراء ولا بالإنسانية إلى السعادة . ولعل الكثيرين ممن يعالجون هذه الموضوعات يشعرون بالفناء أكثر من غيرهم .

وإذا كانت المذاهب العقلية قد أحفقت في رسم طريق السعادة فإن أهل الإيمان الصادق الذين حققوا إيمانهم سعدوا في حياتهم وعبروا عن هذه السعادة بقولهم مثلا :

نحن في قلة لو علمها الملوك لما لدونا عليها بسببهم .

وذلك أن الله سبحانه وتعالى - وهو أحكم الحكماء - قد حدد السعادة وحدد الطريق إليها . ضمن لمن اتبع الطريق وسلك سبيله واستقام على صراطه .. ضمن له السعادة في هذه الحياة الدنيا وفي الحياة الآخرة .

« من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلننجينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

ثم عليك يا أخى أدب حسن وخلق حسن
ولا تخالفن الجماعة فإن الخير فيها إلا من
هو مكب على الدنيا كالذى يصر بيننا ويخرب
آخر . وانصح لكل مؤمن إذا سألك
فأمر دينه . ولا تكتسب أحدا من النصيحة
شيئا إذا شاورك فيما كان لله فيه رضا .

وإياك أن تحوذ مؤمنا . من خان مؤمنا
فقد خان الله ورسوله . وإذا أحببت أخاك
في الله فابذل له نفسك ومالك . وإياك
والخصومات والجidal والمراء فإنك تصير
ظلوما خروا أنا نبيا ، وعليك بالصبر واللواظن
كلها ، فإن الصبر يجر إلى البر ، والبر يجر إلى
الجنة ، وإياك واللحدة والغضب فإنهما يجران
إلى القصور ، والقصور يجر إلى النار
ولا تمارن ملأ ، وإن الاختلاف إلى
العطاء رحمة والانتطاع منهم سخط الرحمن .

وعليك بالورع يخفف الله حسابك ،
ودع كثيرا مما يريبك إلى ما لا يريبك
تسكن ، وإن لله عليك حقوقا وشروطا
كثيرة ينسئ أن تؤديها ولا تكون
غافلا عنها فإنه ليس يفتل عنك وأنت
محاسب بها يوم القيامة ، وإذا أردت أمرا
من أمور الدنيا فعليك بالتؤدة ، فإن رأيت

لقد كان يبشر بذلك في كتابه وفي مواعظه
وفي نصائحه وفي خطابه وكان يبشر بذلك
بسلوكه المهندي تطبيقا صادقا .

وأجمع وصاياه تميرا من منهجه ما أوصى
به عليا بن الحسن السلى فقال :

عليك بالصدق في المواطن كلها . وإياك
والكذب والغيابة ومجالسة أصحابها فإنها
وزر كل . وإياك يا أخى والرياء في القول
والعمل فإنه شرك بسبته ، وإياك والسجب
فإن العمل الصالح لا يرفع وفيه عجب .
ولا تأخذن دينك إلا ممن هو مشفق على
دينه فإن مثل الذى هو غير مشفق على
دينه كمثل طبيب به داء لا يستطيع أن يعالج
داه نفسه .

ويا أخى إني أدينك لحك ودمك إليك
على نفسك وأرحها فإن أنت لم ترحها لم
ترحم ، وليكن جليسك من يزهدك
في الدنيا ويرغبك في الآخرة ، وإياك ومجالسة
أهل الدنيا الذين يخوضون في حديث الدنيا
فإنهم يفسدون عليك دينك وقلبك وأكثر
ذكر الموت . وأكثر الاستغفار مما قد
سلف من ذنوبك . وصل الله السلامة لما
بقى من همرك .

للعامة والخامة ، ولا تقطع رحمك ، وصل
من قطعك ، وصل رحمك وإن قطعك ،
وتجاوز عن ظلمك تكن رفيق الأبياء
والشهداء .

وعليك بالأساطين تجد حلاوة الإيمان
وعليك بقلة الأكل تحلك سهر الليل ،
وعليك بالصوم فإنه يمدحك باب الفجور
 ويفتح عليك باب العبادة ، وعليك بقلة
الكلام يلب قلبك ، وعليك بطول الصمت
تحلك الورع ولا تكونن حريصا على الدنيا
ولا تكن حاسدا تكن صريح الفهم ،
ولا تكن طمانا تنج من أسر الناس .

وكن رحيما تكن محبا إلى الناس ،
وارض بما قسم الله لك من الرزق تكن
غنيا ، وتوكل على الله تكثر قويا ، ولا تنازع
أهل الدنيا في ديام يحبك الله ويحبك أهل
الأرض ، وكن متواضعا تستكمل أعمال
البر ، اصمل بالعافية تأتلك العافية من فوقك
كن عفوا تظهر بحاجتك ، كن رحيما يترحم
عليك كل شيء .

يا أخى : لا تدع أيامك ولياليك وساعاتك
تمر عليك باطلا ، وقدم من نفسك لنفسك
ليوم العطش ، يا أخى فإنه لا تروى يوم

موافقا لأمر آخرتك نخذه وإلا نقف عنه
واسأل الله العافية

وإذا همت بأمر من أمور الآخرة
فمسر إليها وأسرع من قبل أن يحول بينها
وبينك الشياطين ، ولا تكونن أكلولا
لا يعمل بقدر ما يأكل فإنه يكره ذلك ،
ولا تأكل بغير ربة ولا بغير شهوة ،
ولا تحشون بطبك فتقع جيفة لا تذكر الله
وإياك والطمع فيها في أيدي الناس فإنه الطمع
هلاك الدين ، وإياك والحرص على الدنيا
فإن الحرص مما يقضض الناس يوم القيامة .

وكن طاهرا القلب نقي الجسد من
الذنوب والخطايا ، نقي اليد من اللطام ،
سليم القلب من النش والمكر والخيانة
خالى المرئى من العوام فإنه لا يدخل الجنة
لحم ميت من سمعت ، كف بصرك عن
الناس ، ولا تعشين بغير حاجة ، ولا تكلمن
بغير حكمة ، ولا تبطلن يديك إلى ما ليس
لك وكن خائفا حزينا لما بقى من همرك
لا تدري ما يحدث فيه من أمر دينك .

أقل المثرة واقبل المخذرة واغفر الذنب
وكن بمن يرحى خيره ويؤمن شره ،
لا تبغض أحدا ممن يطيع الله ، وكن رحيما

القيامة إلا بالرضا من الرحمن ولا تدرك رضوانه إلا بطاعتك ، وأكثر من التواضع ، وأقربك إلى الله ، واجتنب المحارم كلها فنجده حلاوة الإيمان .

جالس أهل الورع وأهل التقى يصلح الله أمر دينك ، وشاور في أمر دينك الذين يحبون الله ، وسارع في الخيرات يحل الله بينك وبين المعصية ، وعليك بكثرة ذكر الله يزهيك الله في الدنيا ، وعليك بذكر الموت يهون الله عليك أمر الدنيا ، واشتق إلى الجنة يوفق الله لك الطاعة ، وأشفق من النار يهون الله عليك المصائب .

• عبيد العظيم محمد

أحب أهل الجنة تكن معهم يوم القيامة
وأبغض أهل المعاصي يحبك الله ، والمؤمنون

قال الله تعالى :

« والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين . الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون »

النكوة : ٥٨ ، ٥٩

محمد الخضر حسين

للدكتور محمد رجب البزري

- ١ -

من التحليل الأبد والصوغ البياني مع الاستغناء الملمه لأسرار الروح ونوازع الوجدان ثم أقتل إلى ما رواه الثعالبي من شعره فأجسد للطرز المرقص مما يملك الوجدان دقة إحساس ولطافة مزج والرحل بمد قاض فقيه يؤلف في الفقه والتشريع ، ويحذق أساليب الاستنباط والقياس وقواعد الأصول ذات المنهج الصويح ١١ وتفوقه في الناحيتين المختلفتين دليل ملموس على أن العلم لا يمنع الأدب فقد يوجد من ذوي الطواهب من يطير بجناحين متعادلين فيعزز قصب السبق في مضاري العلم والأدب دون راع ، ولقد كان السيد محمد الخضر حسين أحد هؤلاء دون جسدال ١٢ فالرجل قاض فقيه يكتب في الأصول والتشريع والتاريخ كتابة المتعمق الفقيه ، وقد كان يدرس لطلاب

يحول لكثير من النقاد أن يصنفوا المؤلفين طبقتين : طبقة العلماء وم أرباب البحوث العلمية في الفقه والتشريع والعلوم المسانية من نحو وبلاغة وتصريف ، وطبقة الأدباء ، وم أصحاب الآراء الفنية من شرباع الصوغ صادق الماطقة ، وشعر رائع المعنى دقيق التصوير ، فإذا نظم العالم شعراً أو ألف الأدب مصنفا علميا ، فقد سلك مسلك التكلف والافتعال ، وربما دم هذا التقسيم لديهم ما يشاهدونه كثيرا من ركاكة أعمار العلماء وضحالة إنتاج الأدباء وهذا حق في أكثر أحواله ، ولكنه لا يمنع أن يوجد من الموهوبين من يبرز في الناحيتين على نحو يدهش وبروح ١ أذكر أي كنت أقرأ كتاب الوساطة بين للتبني وخصومه للقاضي الشهير على ابن عبدالمزير الجرجاني فأحد الرائع للبدع

الزيتونة وهو صورة مصغرة من الأزهر في ذلك العهد ، تقرأ فيه علوم الدين من تفسير وحديث وفقه وعقائد ، وعلوم اللغة من نحو وصرف وبيان ومعاني في كتب مقررة لها متون وشروح وحواش ويقضى الوقت في فهم تعبيراتهم وإيراد الامتراضات والإجابة عنها ، فالعلم شكل علم لا علم ، والنتاج جسد لا حقائق ، والناجح في الامتحان الذي يستحق أن يكون عالماً أقدرهم على الجسد ، وحفظ المصطلحات الفلكية ، أما الجميع فسواء في عدم التحصيل إذا صورا الحياة الخارجية ، فلما نقشة في أن شرب الدخان حلال أو حرام والغيبة أشد حرمة أم مخاع الآلات للموسيقية وخيال الظل تجوز رؤيته أو لا تجوز ،

وبقصر الأستاذ محمد الخضر حسين نفسه طريقة أحد أساتذته في التدريس فيقول عن شيخه محسن بن الشيخ نذلا من مجلة الهداية الإسلامية جادى الآخرة ١٣٥٠ هـ : « أما أسلوب الأستاذ في التعليم فن أرفع الطرق ، كان يقرر عبارة للقرن ويبسطها حتى يتضح للراد منها ثم يأخذ في سرد عمليات الشرح ، وما تمس الحاجة إليه من الحواشي

كلية أصول الدين أبواباً من المياسة الشرعية وينفوس فيها مفاهيم الأصول الجدل للتكلم النظار ، ثم هو صاحب رسائل أدبية ومقالات تحليلية وديوان شعرى يجمله في طبيعة أرباب الفن الرفيع ، ولا ندرى كيف تأنى له ذلك ، ومنشأه التعليمى بجامعة الزيتونة في تونس إن استطاع أن يلمحه بصر العالم فلن يستطيع أن يورثه فوق الأدب دون جهد جهيد ١ .

ولد الأستاذ بقرية من قرى الجزائر على حدود القطر التونسى ، في أسرة تمتاز بعراقة النسب وتتميز بمن أنجبت من العلماء والأدباء ، وحين بلغ الثانية عشرة من عمره التحق بجامعة الزيتونة طالباً . وأك على التحصيل والتلقى حتى نال الشهادة العالمية من جدارة وتمياً للإفادة العلمية كاتباً ومدرساً وقاضياً .

وتسألنى عن طريقة التدريس بجامعة الزيتونة إذ ذاك فلا أجد أحسن مما قاله الأستاذ أحمد أمين في كتابه (زعماء الإصلاح) ص ١٤٨ .

« وحل رأس هذه الكتائب جامع

فهو مثلاً في دروسه كان يستشهد على كل كلمة لغوية يبيت من الشعر بما يليه بكثرة محفوظه الأدبي .

وزملاؤه إذ ذاك كانوا لا يشطرون إلى دواوين الشعر العربي نظرة تأمل واستيعاب ، وأكاد أجزم أن وجود هذا الأستاذ في حياة الخضر العلمية كان ذا أثر بعيد في اتجاهه الفكري ، فهو الذي حدا به إلى الابتعد عن دائرة الحواشي والمتون والتفديرات ، وهياًه لأن يرد التراث العلمي من أصنى موارده في أمهات الكتب للشافعي وابن حزم والفزاري والفخر والشافعي وأمثال هؤلاء من أفذاذ العلماء ولا تجد تعليلاً لنبوغ الخضر في حدائته ، وتفوقه عن أقرانه غير صفاء مورده ، ودسامة غدائه الفكري ، على حين يظل بعض زملاءه في مصر وتونس مولعين بكتب المباحكات ، وحواشي المتون .

تخرج الأستاذ في الزيتونة مهيئاً للعلم واسع الأفق فصيح العبارة ، وراعه أن يرى الاحتلال الفرنسي يأخذ بعقبه الحديدى على أعناق المسلمين في أصقاع المغرب بثنى نواحيه التونسية والجزائرية

والكتب التي بحثت في للوضوح لا سيما للكتب التي استمد منها شارح الكتاب ويتبعها بالبيان جملة جملة ، ولا يغادره ويصية أو مقدة إلا فتح مغلقها ، وأوضح مجملها ، بحيث يتعلم الطالب من دروسه كيف تلتقط الجواهر للمعاني من أفراء للزلفين زيادة مما يستفيد من العلم ، ثم يقول عنه : « تلقيت من الأستاذ رحمه الله دروساً من تفسير البصاوى ودروساً من شرح التاوى على العاصمية ، ودروساً من شرح الشيخ عبد الباقي بن المختصر الخليل ، وكنت بعد أن استقال من منصبى الفتوى ونظارة الجامع أزوره كثيراً حرصاً على الاستفادة من علمه » .

هذه الطريقة في الشرح والتأني هي نفسها الطريقة الأزهرية القديمة التي نادى محمد عبده بوجوب إصلاحها ، ودعا إلى نعط آخر من الدراسة يهتم بالشباب دون القشور ، وأرجح أن بعض أسانذة الزيتونة لم يسكروا من هذا الطراز ، لأن الشيخ الخضر في غضون مقالاته الكثيرة يتحدث عن أستاذه سالم أبو حاجب ، فيرىنا نعطاً من العلماء الأفذاذ يهتمون بالحقائق الخالصة ويعملون على إحياء الوعى المجدد الساهض

العتيق البالي ، وكثير من الأمور تنقد بالأوامر الشفوية لا مرجع لها ولا يمكن الحساب عليها .

هذه حال تونس ، وهي مشابهة لأكثر أحوال تلك الإلامية في أواخر القرن الماضي ، وأوائل هذا القرن ، ولو كان الأستاذ الخضر ممن يفكرون في ذواتهم الخاصة ، لتنع بما أسند إليه من وظائف القضاء بالحكام والتدريس والخطابة بالزيتونة وغيرها من المدارس ، وهي وظائف تضمن العيش الرغيد ، وتوفر مصاب الرزق ، بل إنها كانت عند بعض الوصوليين مدعاة التقرب إلى المحتلين إذ يصيرون لعبة هينة في أيديهم ، يصمدون عن آرائهم ، ويمهدون لتمكين سيطرتهم بما يلفقون من تقرب وتمهيد .

ولكن الرجل حي الضمير شديد الحساسية ، فقد رأى الأجنبي يحاول أن يطمس نور الشريعة من عيون تهم بالإسلام ، كما يذل قوته المساعدة لتثريب اللغة العربية والحكم عليها بالجرود والتهقر ، لينصرف الناس من قرآئهم المجيد وأحاديث نبهم الكريم ، ثم تنقطع صلاتهم بالصحاب

والمراكشية ، فطلق يدعو إلى اليقظة والتحرر ، وأنشأ مجلة السعادة العظمى لتوضيح للقارئين مأساتهم الدامية ، وتكشف تخلفهم الحضاري والعلمي وبعدم من تعاليم الإسلام في مجتمع يقول الأستاذ أحمد أمين في وصفه ص ١٤٩ :

« جزء كبير من السكان بدو لا يعرفون من الإسلام إلا الشهادتين ، ولا يصل إليهم شيء من علم إلا في بعض أماكن أنشأ فيها الصوفية زوايا تعلم الناس شيئاً من الدين ، والجلاليات الأجنبية من فرنسية وإيطالية وإنجليزية مدارس تعلم أبناءها وقليلاً من أمهات البلاد اللغات والجغرافيا والتاريخ والحساب والجبر والهندسة ، فتخرج من م أفرد على فهم الحياة فإذا انغمسوا فيها انحوت مائة البلاد إلى أيديهم ، أما إدارة البلاد ففوضى ، الحاكم حاكم بأمره ، وأحب الناس إليه من يجمع له المال من حله وحرامه ، ولا ضبط في دخل ولا خرج ، والمسدل والظلم متروكان للمصادفات فإني تولى بعض الأمور عادل عدل وكان العدل موقرًا بحبائه - وقلما يكون - ونظام القضاء والجيش والإدارة والضرائب وجباية المال وإضافه على النمط

مكأن رجل إليه ، فهو في تركيا ودمشق
والمانيا والقاهرة شابا وكهلا وشيخا هو
هو في تونس يلغوا غضا ينهض الباطل
بالحق ، ومحارب الكفر بالإيمان ! ومن
يطالع روائع قله ، وبخاصة كتاب رسائل
الإصلاح بأجزائه الثلاثة يدرك يقينه الثالث
بماضي الأمة الإسلامية فهو في كل مقال
يخطه أو محاضرة يلقاها يلتبس الأدلة البينة
على مجد السلف ، وعز الأجداد ، وكان
ذلك أسرا لا بد له أمام مزاعم الاستعمار
وأذناه ممن يرون في الشرق كل تأخر
وفي الغرب كل تقدم وازدهار ، ويمكننا
أن نستعير بعض ما كتبه السيد في مقدمة
كتابه (نقض الفهم الجاهل) ليرى القارئ
إجمال دعوة الرجل موجزا بقله البليغ
قال الأستاذ :

« نهضت الأمم الشرقية فيما سلف نهضة
اجتماعية ابتدأت بطلوع كوكب الإسلام
واستوتقت حين سارت هدايته صيرها
الحديث ، وفتحت عيون هذه الأمم في
طريقة الحياة المثل ، سادت هذه النهضة
وكان لها الأثر الأعلى في الأفكار والمهم
والآداب ومن غروها نهضة أدبية لغوية
جملت تأخذ مظاهرها العلمية لمهد

النسائر العلمية القائمة من ورثة الأنبياء
وهذا المصلين .

لذلك أنشأ صحيفة السعادة المسمى على
نمط العروة الوثقى لتشرع محاسن الإسلام ،
وتقضي أساليب الاستثمار ، وكانت خطة
السيد منذ حمل لواء الدعوة في صباه إلى
أن لقي الله في شيخوخته واخمعة مفهومة ،
فهو يعتقد أن فساد الأمم الإسلامية يرجع
في أصح أسبابه إلى انصراف المسلمين عن
هدى الشريعة الإسلامية ، ويرى أن السيطرة
الأوربية لم تملك زمام الأمور في الشرق
إلا حين اعتصمت بالعلم واستضاعت بالعقل
وأن الشلل العقلي لم تتمدد وسائله المؤسفة
وأصابه القاتل في ربيع الخليفة إلا حين
استطاع الدخلاء أن يلبسوا الحق بالباطل ،
فيصموا الإسلام عما هو براء منه من الجود
والنزمت والاستسلام والأخذ بالمخافات
والبدع والغميبات للزعومة مما لم يأت به
وحي ساي ، أو هدى محمدى !

وقد كانت مهمة السعادة العظمى شاقة
خطيرة ، إذ أخذت تحارب القوة والمال
والنفوذ بعزم واثق ، وجهد صابر أمين !
والرائع حقا أن الأستاذ رضى الله عنه قد
ثبت على معتقده ثبات الأبطال في كل

على غير وجهها الصحيح فالأستاذ (ولفريد
كاتوبيل سميت) أستاذ الدراسات الإسلامية
بجامعة مونترال يضع كتاباً عن الإسلام
في التاريخ الحديث ، يتعرض فيه إلى مجلة
الأزهر موازاً لبيز رئيس تحريرها السابقين :
محمد الخضر حسين ومحمد فريد وجسدي
فيجعل الأول ممثلاً للدراسة السلفية فقط
والثاني ممثلاً لغيره من تيارات طريقتيه في
التجديد على قواعد المعرفة الحديثة ، وهذا
شطط بالغ تنبه إليه الأستاذ العقاد حين
تعرض لنقد الكتاب ، فقال قلاهن مجلة
الأزهر رجب ١٣٨١ هـ .

ويقول صاحب الكتاب في مقابلته
بين الشيخ الخضر ، ومنهج الأستاذ وجسدي
إن أولهما يعتبر الإسلام وحياً تاماً قد تنزل
على صورته الكاملة منذ عصر الرسالة
المحمدية فلا إضافة إليه ، ولا زيادة عليه
ولا تحوير فيه ، وإعلاء الإيمان بالإسلام هو الذي
يحتل القوة والضعف ، كما يحتل زيادة
المعرفة أو النقص فيها ، أو يحتل المراجعة
من عصر إلى عصر لتفقد الآثار المصرية ،
فيه ، وليس الأستاذ الخضر كما يرى المؤلف
من أنصار الحنين إلى الماضي ، بل هو من
أنصار الدعوة التي لازمها ، لأنها صالحة

بن أمية ، واحتوت على سوقها في أيام
بن العباس .

تمتع الشرق بنهضة الاجتماعية والأدبية
حقبة ، ثم وقف التعلم عند غاية ، وأخذ
شأننا غير الشأن الذي تسمو به المدارك
وتنمو نتائج القول فإذا غضوة تدب
إلى جفون هذه الأمم ولم تكفد تستفيق
منها إلا ويد أجنبية تقبض على زمامها .

التفت الشرق إلى ما كان في يده من حكمة ،
وإلى ما شاد من مجد ، وإلى من شب ومهدده
من أماطم الرجال ، أخذ ينظر إلى ماضيه
ليميز أبنائه بين ما هو من تراث آبائهم
وبين ما يقتبسونه من الغرب ، ويعلموا
بما كان لهم من مجد شاخ فتأخذهم العزة
إلى أن يضموا إلى الثالث طريقاً وليذكروا
أنهم فريسة أولئك السراة فلا يرضوا أن
يكونوا للمستبددين عبيداً .

هذا هو المجال الذي انطلق فيه يراع
الأستاذ طية حياته ، مجال التذكير بالأعجاد
من دراسة وتنقيب ، وكشف الخداع من
بهاج الغرب في استشفاف ونفاذ ، ووضع
الملاج لأدواء الشرق في دهر وتشخيص !!
وقد أُلح في ذلك إلحاحاً جعل فريقاً من
المؤرخين يفهمون رسالته الإصلاحية

وينادى باليقظة والاستبصار ، فهاجر
الرحالة المباري المحتسب إلى دمشق ، وحرص
على القاءها بمدارس اللغة العربية في المدرسة
السلطانية ، ولكن مبادئه تهتفت به أن
يسهم بنصيبه في البحث الإسلامي ، فيكتب
ويخطب ويدعو ثم يسافر إلى ألمانيا ميلتني
بالأحرار من أنصار الفكرة الإسلامية
أمثال محمد فريد وعبد العزيز جاويش
وعبد الحميد حميد ، ويصلون جميعا على
استقلال الدول الإسلامية أمماً طويلاً
في وطأة الحرب العالمية الأولى وبين طلائع
المدافع وأريز الطائرات في مسرح جهنمي
يشيب له الروس ؟

ثم يعود إلى دمشق ثانية ، فيواصل
التدريس بالدار السلطانية ويقرأ كتاب
مغنى الطبيب ، ليكون فيما بعد أساساً
لمؤلف نحوي بلاغي شامل .

حتى إذا ختمت الحرب ، وأسرعت
فرنسا باحتلال الشام رأى نفسه مضطراً إلى
الهجرة بنفسه فراراً من هؤلاء الذين حكموا
عليه بالإعدام في تونس يسابقه جهاده ،
ورأته ونضاله ، فيمهم وجهه شطر الديار
للصيرية ، ليصبح له فيها شأن جديد . . .

[له بقية] و : رجب البوسوي

لكل زمان ومهما تجدد مذاهب المعرفة
فالمسلم يسلم أمره إلى إرادة الله كما هدته
معارفه إلى فهم تلك الإرادة الإلهية بالدرس
والإلهام وقد تساوى في نظر الشيخ الخضر
كلا الطرفين من المسلمين في الحاجة إلى التصحيح
والإصلاح وهما على تعبير المؤلف طرف
اليسار من للتعلمين الذين جاوزوا حدود
الإسلام ، وطرف اليمين من الجامدين
وأتباع الطرق الصوفية الذين ضيقوا
حدوده عليهم وإن لم يجاوزوه .

ولم يكتف المستمرون عن صاحب السعادة
وقد أقض مضاجعهم بما ينادى به من
استقلال وإصلاح فأذوه وبادموه وحكموا
عليه بالإعدام حتى اضطر إلى القرار إلى
الاستانة وإما أن يحال الإصلاح بها أوسع
وأرحب ، ولكنه فوجيء بهيار آماله
حين وجد عاصمة الخلافة الإسلامية مسرعا
للسانئس المفرضة والمؤامرات الرخيصة ،
وأن من يجعلون أنفسهم رجال الدين هناك
لا يدعون إلى سبيل ربهم بالحكمة واللوعظة
بل لا يتساهون عن كل منكر يفعلونه
فهم يحكيكون المسكائد بالليل ويفسرون
المنامات ، ويقرأون الكف بالنهار ، على
أنهم يضيقون بكل عالم مصلح يصعد بالحق

مكتبة القاهرة الفاطمية

للأستاذ محمد جبر أبو صغدة

إليها ، وتبنة أطيب القرص أمامهم لزيادة
إنناهم العلمى ...

وأما الثالث : فهو دار العلم وهذه الدار
كانت مكتبة ألحقت بدار الحكمة المذكورة
قبلا يستعين بها العلماء والطلاب من رواد
وقاصدى دار الحكمة ، ولكن معظم
الكتب التى زودت بها هذه الدار أخذت
من مكتبة القصر (١).

ونعود إلى الحديث من مكتبتنا
هذه ، فأشير إلى مسألة هامة هنا ،
وهي أن هذه المكتبة لم يكن تأسيسها
- كما يقتضيا في بغداد وقرطبة - مظهرا
يؤكد ميل الحكام المسلمين ورغبتهم الخاصة
في نشر العلوم ، وتشجيع العلماء على البحث
بتوفير أسباب لهم لحسب إيل إنها
أسست - بالإضافة إلى ذلك وفي
الاعتبار الأول - لتكون وسيلة من
وسائل الإعلام والحماية المذهب الماطمى ،
الذى وضعت الأسس لنشره في الأقطار

[١] انظر خطط الحزرى - ط القاهرة

١٠٩٢٧٠ - ١٠٩٤٥٨

في تاريخ القاهرة الفاطمية ثلاثة مسميات
ربما يقع الوم عند البعض في حقيقتها ،
أو يظن أنها شيء واحد ، فيحسن هنا
إلقاء الضوء عليها وتوضيح أسرها :

فأما الأول منها : فهو ما يسمى بمكتبة
القصر أو مكتبة العلماء - وحوها
سيدور المقال إن شاء الله - .

وأما الثانى : فهو دار الحكمة ، وقد
أنشأها الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٨٦ -
٤١١ هـ ، ٩٩٦ - ١٠٢٠ م) عام ٣٩٥ هـ
١٠٠٥ م ، وكانت مركزا علميا ضخما ،
اشتمل النشاط فيه جواب علمية شتى :
كالنفسير والقراءات والحديث والفقه
والنحو والمنسقة والتاريخ والكيمياء
والنجوم وغيرها ، وقد استكلت
احتدادها لتكون دارا للبحث والدرس
والنأليف والنشر ، فزودت بكميات وفيرة
من أدوات الكتابة والنسخ المختلفة
لسد حاجة العلماء والباحثين الذين انقطعوا

الإسلامية للخاصة لسلطان الفاطميين ،
وجعله للذهب الرسمي للدولة فولاً ومملاً ،
وهي بهذا الاعتبار إنما توضع إلى جانب
الجامع الأزهر صاحب النور المعروف
في الترويج للذهب الفاطمي ، وكذلك غيره
من مساجد القاهرة الكبيرة كجامع عمرو
وابن طولون والحاكم ، يقول الدكتور
حسن إبراهيم حسن : « ولم تكن المكتبات
أقل أهمية من المساجد في بث عقائد المذهب
الإسماعيلي (الفاطمي) بين الناس »^(١) .
ويرجع تاريخ هذه المكتبة إلى عهد

مؤسس الدولة الفاطمية «عبد الله المهدى»
(٢٩٢ - ٣٢٢ هـ - ٩٠٩ - ٩٣٤ م) ، فقد
أورد ابن الأثير والمقرئ : « أن عبيد الله
حمل معه من سلبية مجموعة من الكتب
والملاحم لأبائه ، ولكنها سرقت منه أثناء
سيره إلى سجلماسة في موقع يسمى الطاحونة
قريب من طرابلس ، غير أن ولده القائم
(٣٢٢ - ٣٣٤ هـ / ٩٣٤ - ٩٤٥ م) تمكن
من استعادة ما فقده أبوه من الكتب
والوثائق أثناء توجهه لغزو مصر للمرة
الأولى عام ٣٣٠ هـ - ٩٤٢ م »^(٢) .

[١] تاريخ الدولة الفاطمية ص ٤٢٨ .

[٢] الكامل لابن الأثير ط القاهرة ١٣٠١ هـ

١٥٥ هـ ، وأيضاً الحقا للمقرئ في تاريخ مصر والكتب

القاهرة ١٣٩٦ هـ ص ٨٣ .

فاذا ما جاء عهد المعز لدين الله (٣٤١ -
٣٦٥ هـ / ٩٥٢ - ٩٧٥ م) فإننا نجد مجلسه
بمدينة المنصورة (عاصمة الدولة الفاطمية
قل القاهرة) مزداناً بمخزائن الكتب ،
يقول المقرئ : « واستدعى المعز وهو
بالمنصورة عدة شيوخ من شيوخ كتامة
وأمر بإدخالهم إليه ، فاذا هو في مجلس
مربع كبير مفروش بالبود على مطروح ،
وحوله أبواب مفتحة تفضي إلى خزائن
كتب ، وبين يديه مرفع ودواة وكتب
حواله » الخ في حديث طويل^(١) .

ولما نجح الغزو الفاطمي لمصر على يد
القائد (جهر الصقل) عام ٣٥٨ هـ - ٩٦٩ م
وغيبت القاهرة عاصمة جديدة لخلافة
الفاطمية ، انتقل إليها الخليفة المعز عام
٣٦٢ هـ - ٩٧٣ م وبطبيعة الحال ؛ فإن
هذه الكتب التي كانت خزائنها تغفل جانباً
من مجلس الخليفة بالمنصورة قد انتقلت
في ركاب المعز ، وصارت المجموعة الأولى
لمكتبة الخلفاء الفاطميين بالقاهرة .

وعلى الرغم من قصر الفترة التي قضاها
المعز في مصر - وكانت المكتبة ما زالت
في باكورة حياتها - إلا أنها بدأت فتية

[١] انظر الحقا ص ١٣٦ - ١٣٨ .

نحصى من الخليفة القوي حاول أن يصل بها إلى درجة التفوق على مكتبتى بغداد وقرطبة - وما على ما نعلم من المظنة والثراء وهذا التفوق الذى اتخذ مجال الثقافة والعرفه ميدانا له ، وهو بدون شك فوق سياسى له مغزاه ، ولا يستطيع باحث أن ينكر أن العرفه السياسية التى أصابت العالم الإسلامى منذ القرن الثانى الهجرى (الثامن لليلادى) كانت من ناحية أخرى نعمة كبرى على الحركة الثقافية والإنتاج العلمى والأدبى عند المسلمين ، ولتبيان ذلك مقام آخر - .

غير أن الفاطميين فى سبيل الوصول بالمكتبة إلى درجة التفوق التى وصلت اليها بالفعل ، قد سلكوا طريقا غريبا لم يسبقوا إليها ، يقول أحد الباحثين : « وقد اتجه الفاطميون اتجاهها غريبا فى تكوين مكتبتهم فقد كانوا يحرصون على أن يجمعوا بها جميع النسخ الموجودة من بعض الكتب حتى تكون مكتبتهم المسكان الوحيد التى يوجد به هذا الكتاب أو ذاك ^(١) .

ومن المظاهر التى تؤكد تفوق مكتبة

مستندة للنافسة ، يروى المقريزى أن أحد أشراف مصر وهو أبو جعفر مسلم حمل إلى للمز للصحف الكبير الذى يذكر أنه كان ليحيى بن خالد بن برمك - وكان قد اشتراه بأربعمائة دينار - ، فلما رآه المز قال : « آواك ممجبا به وهو يستحق الإعجاب ، ولكن تفاخرك نحر أيضا . » فغدا بعصم نصفين ما روى أحسن منها خطأ وإذهابا وتجليدا . فقال هذا خط للنصور (والله المز ٣٣٢-٣٤١ هـ ٩٤٥-٩٥٢ م) ، وإذهابا وتجليدا بيده . فقال له مسلم : قم مصحف بخط مولانا المز لدين الله عليه السلام ؟ فقال : نعم وأخرج له نصفي ، فقال : ما رأيت أصبح من هذا الخط ^(٢) .

على أن العصر الذهبى للمكتبة والفترة الزاهرة التى عاشتها ، إنما كانا فى عهد العزيز بالله بن المز (٣٩٥ - ٤٨٦ هـ - ٩٧٥ م) ، وقد كان هده عهد الرخاء واليسر والتسامح الدينى والنهضة الثقافية ^(٣) فى هذه الفترة المديدة نجد المكتبة تحظى باهتمام

[١] المصدر السابق ص ٧٠٢ .

[٢] تاريخ فتوة الفاطمية ص ١٥٦ .

[٣] تاريخ الفرية الإسلامية - ص ١٧٦ .

كذلك فقد احتوت هذه المكتبة بين ما احتوته من النفائس مخطوطات عدة بخط أشهر الكتاب كابن مقلة^(١)، وابن الجواب^(٢)، وغيرهما، يقول ابن واصل : « وفيها النفائس من الكتب التي لا يكاد يوجد مثلاً ، ومنها ما هو مكتوب بالمخطوط المنسوبة التي لا توجد في خزنة أحد من الملوك »^(٣).

كذلك فقد وجه اهتمام خاص بالتحليل والتذهيب صيانة للكتب وبجملتها ، يقول الدكتور زكي محمد حسن : « وكان في خزنة الكتب القاطمية مخطوطات محلاة بالذهب والفضة في جلود حية للنقوش بديعة الصناعة ، فنج المايك على منوالها في صناعة التحليل في عصرهم ، وأخذ الغربيون عنهم في الصور الوسطى كثيراً من أساليبهم في هذا الميدان »^(٤).

[١] انظر ترجمة ابن مقلة في وفيات الأعيان لابن حبان ١٩٨٤ - ٢٠٢ تحقيق عبد الحميد الدين طه القاهرة ١٣٦٧ هـ .

[٢] انظر ترجمته في وفيات الأعيان ٢٨١٣ - ٣٠٠ [٣] مرجع السكوب في أخبار بني أيوب - تحقيق الدكتور الشبال - القاهرة ١٩٥٢ م ج ١ ص ٢٣٠ .

[٤] كنوز القاطمين - القاهرة ١٣٥٦ هـ - ص ٢٨ ، ٢٩ .

القاطمين من غيرهم من مكاتب العالم الإسلامي في القرنين الرابع والخامس الهجريين ما تذكره المراجع التاريخية في هذا الصدد ويقدم إلينا المقرئ في خطه صوراً ونماذج لهذا التفوق ، فيقول نقلاً عن السبكي - الكاتب للعصر - :

« وذكر عند المزبلة كتاب (العين) للخليل بن أحمد ، فأمر خزان دقاره ، فأخرجوا من خزائنه ثلثاً وثلاثين نسخة من كتاب العين ، منها نسخة بخط الخليل بن أحمد . - ويقول في صورة ثانية : « وذكر عنده كتاب الجهرة لابن ديد ، فأخرج من الخزانة مائة نسخة منها »^(١).

بل إن الأروع في مقام التفوق أن تضم المكتبة بين ما تضم من الكنوز الثمين وأربعائة مصحف مكتوبة بمخطوط حجة مذهب ومفضضة ، يروي المقرئ : « أن الموجود فيها (في المكتبة) من جملة الكتب المخرجة في شدة المستنصر ألقان وأربعائة ختمة قرآن في ربعات بمخطوط منسوبة زائدة الحسن محلاة بذهب وفضة »^(٢).

[١] المخطوط ٤٠٨/١ .

[٢] المصدر السابق ٤٠٨/١ .

فإذا أضفنا إلى ذلك كله - كل ما يثله من هيئة المكتبة الفاطمية وتفردها - أن وصيد هذه المكتبة قد بلغ في أقرب التقديرات الموقوفة سبائة ألف مجلد ، وأن بعضهم قد وصل به إلى مليونين من المجلدات ^(١) ، إذا أضفنا ذلك أدركنا ما كانت تمثله تلك المؤسسة العلمية الكبرى من قيمة حضارية عظيمة في مصر الإسلامية بإبان المصور الواسع .

وإذا كان للقارئ أن يسأل - وهو لا بد فاعل - عن أنواع الفنون التي كانت تحتويها هذه المجلدات وتلك الأسفار ؛ فإن أحد المؤرخين المتقدمين قد أجاب عن هذا السؤال الهام بقوله : « فنما اتفقه على سائر المذاهب والنحو واللغة وكتب الحديث والتواريخ وسير الملوك والجماعة والروايات والكيمياء ، من كل صنف النسخ (أي الكاملة) ومنها التواقيص التي ما تمتعت » ^(٢) ، وهذا عدا المصاحف وكتب التفسير وعلوم القرآن التي لم تخل منها مكتبة إسلامية على الإطلاق .

فإذا انتقلنا إلى جاب آخر من جواب التعريف بمكتبة القاهرة الفاطمية ، قلنا إن الكتب فيها كانت تحفظ في خزان ضخمة تتسع الواحدة منها لمئتين من المجلدات ، يروى المفريزي نقلاً عن كتاب الفخار : « عدة الخزان التي يرسم الكتب في سائر العلوم بالتصوير أربعون خزانة ، خزانة من جلها ثمانية عشر ألف كتاب من العلوم القديمة » ^(٣) . كما أنه - نيسيراً على الخزان والمساكين فيها - كان يلصق على باب كل خزانة من هذه الخزائن بطاقة تعرف بما بداخلها من أنواع العلوم ، كذلك فإن تلك الخزائن تنقسم من الداخل إلى عدة رفوف ، وهذه الرفوف بدورها مقطعة بمواجز - وعلى كل حاجز باب يقفل بمفصلات وقفل .. ولا شك أن هذا حتى في عصرنا الحاضر ، يمثل أقصى ما وصل إليه عالم المكتبات من النظام والحرص في وقت مما .

ومكتبة عظيمة كهذه ، لا بد أن يكون العاملون بها وللتولون أمراً على مستوى طيب من العلم والخبرة ، ولقد أدرك العلماء

[١] انظر قول المؤرخين ذلك على خط المفريزي

١٠٠٨ : ١٠٠٩

[٢] ابن الطبري خلاصة من المفريزي ١٠٠٩ .

[٣] الخط ١٠٠٨ .

وإنما للاطلاع والبحث والاستفادة وينقل
المقرىزى بسند ذلك عن ابن الطوير :
« خزنة الكتب كانت في أحد مجالس
المارستان اليوم .. فيجىء الخليفة راكبا
ويترجل على الحكمة المنصوبة ويجلس عليها
ويحضر إليه من يتولاهما ، وكان في ذلك
الوقت الجليس بن عبد القوى ، فيحضر
إليه للمصاحف المخطوطة المنسوبة وغير ذلك
مما يقترحه من الكتب ، فإن من له أخذ
شيء منها ، أخذه ثم يبيده » (١) .

ونستطيع - قبل أن نختم جولتنا
هذه - أن نقسم حياة مكتبة القاهرة
الفاطمية إلى فترتين رئيسيتين ؛ فأما الأولى
فتبدأ - كما سبق - منذ إنشائها في عهد للمز
ولكنها تنتهى أثناء الشدة العظمى التي
أصابت مصر في عهد الخليفة المستنصر
الفاطمي (٤٢٧ - ٤٨٧ هـ / ١٠٣٥ - ١٠٩٤ م)
ففي غضون الفوضى السياسية والإدارية
التي استقرت في البلاد ، والجماعة التي عصفت
بافتصاد مصر ، امتدت الأيدي الفاشقة إلى
الكتب فأخرجتها من خزائنها قسرا ،
فنهبت منها مقادير كبيرة ، وهربت إلى
أماكن مختلفة وأحرق البعض وألقى البعض

الفاطميون ذلك ، يقول ابن خلكان :
في ترجمة أبي الحسن علي بن محمد الفايثي
الكتاب (ت ٣٩٠ هـ - ١٠٠٠ م) : « كان
أديبا فاضلا تطلق بخدمته العزيز بن المعز
المبيدي صاحب مصر غولاه أمر خزنة
كتبه .. إلى أن ذكر مؤلفاته للتنوعة التي
تدل على صحة علمه وخزارة مادته » (٢) .

كذلك فإن الفهرس - وهي من أساسيات
النظام المكتبي - قد أُنشد إعدادها إلى
القاضي أبي عبد الله القاضي (ت ٤٥٤ هـ
١٠٦٢ م) الاشتراك مع أبي خلف الوراق (٣)

وهؤلاء الذين ذكرتهم إنما يمثلون نماذج
الرجال الذين كان يسند إليهم أمر المكتبة
والقيام على شؤونها ، وقد كان هناك طائفة
أخرى من المال وكلت إليهم أعمال النظافة
والصيانة وخدمة موظفي المكتبة وروادها .
كذلك فإن هذه المكتبة ، التي أنشئت
وبلغت الغاية في العظمة والنفخامة والثراء
بفضل غرام الخلفاء الفاطميين بالكتب
والمخطوطات النادرة ، كانت تحظى بزيارة
الخلفاء والوزراء لها : ليس لجسد الزيارة

(١) وفيات الأعيان ٣ / ١٠٠

(٢) أخبار الحكماء للمصنف - ط ١٣٧٠

من المؤلفات والتعريف القيمة الخالصة التي تعارض مع المذهب السني - منجب الدولة الأيوبية - ولكن هذا لا يعتبر موقفاً لقضاء - تماماً - على هذا المرح العلمي الشايع الذي يذكر لفاطمين بكثير من التقدير والاعتبار .

ومهما يكن من أمر فقد أمر «صلاح الدين الأيوبي» بإعادة جميع كتب القيمة ثم حمد إلى بقية الكتب فشتها هنا وهناك فقدم القاضى الفاضل (ت ١٠٩٩هـ / ١٠٩٩م) مائة ألف كتاب عندما أنشأ المدرسة الفاضلية بالقاهرة عام ٥٨٠هـ ، وذهب كذلك حماد الدين الأصمهانى (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠١م) بمجموعة ضخمة منها ، أما مصر الباقى بعد ذلك كله - وهو كثير - فقد أمر دلال الكتب الذى يدعى ابن سورة يبيعه بخصم له هذا يومين فى كل أسبوع يقول الرواة : إن بيع ما تبقى من كتب الفاطميين على هذه الصورة قد استغرق عدة أعوام من حياة ابن سورة !!^(١)

محمد مير أبو سعده

الأخرفى النيل ، كما اتخذ النوفاء من جلودها فلما لهم ، وما بقى بعد ذلك فقد تركهم ملا فى الخلاء ، فتراكت عليه الأربة حتى كوت نللا ، عرفت وقتئذ بسلال الكتب^(١) .

وأما الفترة الثانية - وهى تمثل دور الإحياء والإعادة - فقد بدأت عقب نسل «بدر الجبال» أمور مصر عام ٤٩٦هـ ، وقد بدأ على الفور يمد تنظيم شئون البلاد ويبحث الهدوء والاستقرار فى ربوعها ، ثم اهتم بأمر المكتبة ، فأخذ يجمع الكتب التى سلت من أيدى العائنين ، ويشميد ما استولى عليه الناس من الكتب وأغلق فى استرداد جزء كبير مما حرب إلى الأقطار الأخرى ، حتى نجح فى إعادة مجموعات طيبة من الكتب والمجلدات . أعلنت النفاط إلى مكتبة القصر الفاطمى بالقاهرة إلى حين .

ثم جاءت النهاية .. وقد كانت بالنسبة لهذا المركز الثقافى العظيم مع سقوط دولة الفاطميين وقيام دولة بنى أبوب على أقاضها عام ٥٦٧هـ / ١١٧١م ، ومن الأمور للسلم بها أن هذه المكتبة كانت تضم كثيراً

[١] انظر المصدر السابق ٢٠٩٠١ ، وتاريخ

فكرية الإسلامية ص ١٢٩ .

[١] انظر خطط المرقومى ١٠٩٠١ - ١٠٩٠٢ .

القرآن ... والحديث القدسي

لجهد العمل بما فيه ، وهذه القاعدة تحصل بإزالة معناه ، فالقول بإزالة لفظه قول بشيء لا داعي في النظر إليه . ولا دليل في الشرع عليه ؛ اللهم إلا ما قد يلوح من إسناد الحديث القدسي إلى الله بصيغة « يقول الله تبارك وتعالى كذا » لكن القرائن التي ذكرناها آنفا كافية في إنساح المجال لتأويله بأن القصود نسبة مضمونه لا أوبة ألفاظه ، وهذا تأويل شائع في العريضة . فإليك تقول حينما تنثر بيتا من الشعر « يقول الشاعر كذا » . وتقول حينما تفسر آية من كتاب الله بكلام من عندك : « يقول الله تعالى كذا » .

وعلى هذه القاعدة حكى الله تعالى عن موسى وفرعون وغيرها مضمون كلامهم بألفاظ غير ألفاظهم وأسلوب غير أسلوبهم ، ونسب ذلك إليهم .

فإن زعمت أنه لو لم يكن في الحديث القدسي شيء آخر مقدس وراء اللفظ لصح لنا أن نسمي بعض الحديث النبوي قدسيا أيضا لوجود هذا المعنى فيه ؛ لجوابه أننا

هل الحديث القدسي منزل من عند الله بلفظه ومعناه ، أم بمعناه دون لفظه ، ولماذا لا يسمى الحديث النبوي حديثا قدسيا ١٢ .

يجيب للرحوم الدكتور محمد عبد الله حراز من ذلك في كتابه (النبأ العظيم) بأن أظهر القولين أن الحديث القدسي منزل بمعناه فقط ؛ ويمتدح على ذلك بقوله : وهنا هو أظهر القولين فيه عندنا ؛ لأنه لو كان منزلا بلفظه لكان له من الحرمة والتقدسية في نظر الشرع ما لنظم القرآن في إذلاوحه لتفرقة بين لفظين منزلين من عند الله ؛ فكان من لوازم ذلك وجوب المحافظة على كل نصوحه ، وعدم جواز روايته بالمعنى إجمالا . وحرمة من الحديث لصيغته .

ولا قائل بذلك كله . وأيضا ؛ فإن القرآن لما كان مقصودا منه مع العمل بمضمونه شيء آخر وهو التعبد بأسلوبه ، والتعبد بخلاوته احتيج لإزالة لفظه . والحديث القدسي لم ينزل لتعبد ولا لتعبد ؛ بل

قطعنا في الحديث القدسي يزول معناه
لورود النص الشرعي على نسبته إلى الله
بقوله ﷺ : « قال الله تعالى كذا » سميناها
قدسيا لذلك بخلاف الأحاديث النبوية فإنها
لما لم يرد فيها مثل هذا النص جاز في كل
واحد منها أن يكون مصونه مطاباً لوحى
وأن يكون مستنبطاً بالاجتهاد والرأى
فسمى الكل نبوياً وقرواً بالتسمية عند المحدث
المفطور به ، ولو كانت لدينا ملامة تميز لنا
قسم الوحي لسميناها قدسيا كذلك
على أن هذا الامتياز لا يؤدي إلى نتيجة
عملية ، ف سواء علينا عند العمل بالحديث
أن يكون من هذا القسم أو من ذاك : إذ
النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في نبأه
صادق مأمون ، وفي اجتهاده فطن موفق
وروح القدس يؤيده ، فلا يقره على خطأ
إذ أخطأ في أمر من أمور الشريعة فكان
مرد الأمر في الحقيقة إلى الوحي في كلتا
الحالتين ، إما بالتعليم ابتداء وإما بالإقرار
أو النسخ انتهاء .
ولذا وجب أن تنافى كل مقتضى بالقبول
« وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم
عنه فانتهوا » - (سورة الحشر ٧) .
« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله
ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من
أمرهم » - (سورة الأحزاب ٣٦) .

« الأنحاء قصوة »

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم
مسلون » واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم
إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة
من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » .

[آل عمران : ١٠٢ ، ١٠٣]

من فتاوى الإمام الرأحل

الشيخ محمود شلتوت

تقديم الأستاذ: محمد أبو شاذى

(علاقة الخاطب بخطوبته)

السؤال :

ما هو الحد الذى يبيحه الشرع
للخاطب لينتمتع بخطوبته قبل أن يعقد
القرآن ، وهل يجوز له تعجيلها ؟

الجواب :

آثار الخطبة فى الشريعة :

الخطبة هى أن يطلب الرجل من المرأة
أو وليها أن يتزوجها ، فإذا وافقت
أو وافق وليها تمت الخطبة ، وكانت بمثابة
اتفاق مبدئى على أن تكون له ويكون لها .
ومن آثار هذا الاتفاق أنه يحرم على غير
الخاطب أن يخطبها على خطبته ، وإن ذلك
قال عليه السلام : (للؤمن أخو للؤمن
فلا يحل للؤمن أن يبتاع على أخيه ،
ولا يخطب على خطبة أخيه حتى ينفذ) .

وقد أخذ بعض الأئمة من هنا التمسك
وأن رواج الخطاب الثانى باطل ، لا تحل به
المرأة ويجب فسخه ، ولكن مع هذا
لا تحل الخطوبة للخطاب إلا بإجراء
المقد الشرعى للمتوفى لشروط الصحة
للشربة ، وجملة ما يعتبر فيه : أن يحصل
إيجاب وقبول منها أو من وكيليهما
أو من أحدهما ووكيل الآخر ، وأن يكون
ذلك مطلقاً بحضور شاهدين رجلين أو رجل
واستأين على الأقل ، فإذا لم يجر بينهما
المقد ، أو جرى بينهما فقط دون إعلان
بالشهود ، ظلت المرأة أجنبية من الرجل ،
وظل الرجل أجنبياً من المرأة ، لا يحل
لأحدهما من صاحبه شئ مما يحل بين الرجل
وروجه فتحرر الفتاة وتحرم الخلوة ،
ويحرم أن يتبادلا نظرات الشهوة والمنعة .

إساءة فهم الخطبة :

ولمحت الخطبة أكثر من وعد
بالزواج ، وحل التمتع إنما هو من آثار
المقد ، فلم يحصل المقد لا يحصل الحل ،
وقد أساء قوم فهم الخطبة ، وقالوا : إنها
مقدمة الزواج فيباح بها مقدمة ما يبيحه
الزواج ، وذلك استباح الخاطبات أن
يختليا وأن ينفردا في التزويج والسيما ،
بل استباحا تبادل القبل ، وجعلوا كل
ذلك من دلائل الوثام والحب ، وكثيراً
ما اقترفا في ظلة هذا الفهم الفاسد ما لم
يبعه الشرع والدين وظهر أسرها فيه ،
فانفصمت بينهما للمرأة ، وغضبت الخطبة ،
وعدل الغالب من خطبته وطدت
المخطوبة إلى بيتها تحمل إثمها في أحشائها ،
وتحمل من أوزار الخزي ما ينوء به شرفها
وشرف أسرته ، وكانت وصمة ماز أبدي
لا يمحي أثرها من الجبين .

ولعل ما يقرؤه ونملطه من حوادث
الغاطين والمخطوبات التي يجرها الاختلاط
ورفع الحب ما يضئ لنا السبيل في قبج
هذه المادة للمقوطة التي تسربت إلينا
من عادات قوم لا يؤمنون بدين ،
ولا يكتفون بشرف ، ولا يفهمون من

سماعة بأنهم سوى أن يحصلن حل طريق
يجمعن به للال .

تعارف لا اختلاط :

نعم فطرت الشريعة الإسلامية إلى أن
الزواج ميثاق فليظوه عهد قوي ، به تربط
القلوب ، وتسكن النفوس ، ويتماون
الزواجان على تكوين أسرة حمادة للوفاة
والرحمة ، ومن هناك الحاجة إلى التعارف
الذي يرهق إلى اتجاه القلوب فأباحت أن
ينظر كل منهما إلى صاحبه نظرة التعارف
فقط وأباحت أن يجتمعا ومعهما الأهل
والأكارب ، وفي ذلك يقول عليه السلام :
(إذا خطب أحدكم المرأة فقد رأى ما يرى منها
بعض ما يدور إلى زواجها فليقبل) وقال
للغيرة بن عتبة وقد خطب امرأة (انظر
إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما) ومعناه
أنه أحذر أن يحصل بينكما لوافقة والملاءمة
بالأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف
وما تناكر منها اختلف .

(فسبح الخطبة)

السؤال :

من طالب حقوق . من للتفق عليه في
الشريعة الإسلامية أن قراءة الفاتحة قد

بعد بيان هذه المتروقي ضها زوجها ، « ولا جناح عليكم فيها عرضتم به من خطبة النساء أو أكنتم في أنفسكم » .

ومن هنا كانت الخطبة مجرد اتفاق مبدئي على الرضا بالتزويج وكثيراً ما يقصد الطرفان بعد تحقق الرضا إعلانه بإقامة حفل صغير أو كبير يحضره الأهل والأقارب والأصدقاء وتقدم فيه للخطوبة الهدية للمروفة باسم « العسكة » ويقتصر الأمر في الحفل على ذلك ، وقد تقرأ فيه القاتمة تأكيداً لهذا الاتفاق ، وينتهي الحفل وينصرف الناس دون أن يدور في نفس أحد أن العقد قد حصل ، أو أن فلاناً تزوج بفلانة وقد أخذ هذا الحفل في السنة الناس اسم « حفلة الخطوبة » .

وقد ذكر الله العقد في آية تالية للآية التي ذكرت فيها الخطبة فقال : « ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله » والمضى إرجاء العقد حتى تختم الخطوبة من ثبوت الزواج السابق إذا كانت قد سبق لها زواج .

العقد غير الخطبة وحودا وشروطا وعرضا :

وبهذا كان الوضع الوجودي والشعري

فإذا ما انضج بعد ذلك لأهل المروس سوء سلوك الزوج وشراسته طباعه بأداة قاطمة لا يرق إليها الملك ، وفسخت بذلك « الخطوبة » فهل هناك مسئولية دينية في ذلك ؟

الجواب :

ما هي الخطبة وحقيقتها ؟ :

يعتقد السائل أن قراءة القاتمة عقد ، ويسأل من حكم فسخ الخطبة إذا ما انضج أن المخاطب سيء السلوك ، ونظرا إلى أن كثيراً من الناس يقسمون الخطبة على غير وجهها الشرعي - ويرتب الخطبان عليهما تصرفات لا تسمح بها الشريعة ، ولا تقرها - رأيت تمهيدا لفائدة وإرشادا لحكم الله في ذلك أن أخخذ من هذا السؤال حديثنا من الخطبة ، وعن وضعها الشرعي وعن حكم الرجوع فيها ، وكلنا يعلم أن الخطبة هي أن يطلب الرجل الزوج المرأة وأن هذا الطلب قد يوجه إليها مباشرة ، وقد يوجه إلى أحد من أمرتها كأبيها أو أمها ، أو أخيها على حسب للتعارف بين الناس في ذلك .

وقد جاءت الخطبة في القرآن الكريم

التعرف المشروح :

إن الإسلام دين العاق والكرامة ،
ودين الألفة والمحبة ، وقد أح لخطابين
أن يتعرف كل منهما على صاحبه بما لا يجر
هسته الوبلات ويعقق في الوقت نفسه
لكل منها ما يجب في صاحبه ، وأباح
ذلك بالرؤية الكريمة ، والمحادثة المؤدبة ،
والاجتماعات المبهذة في ظل من الأهل
والأرحام وقد جاء ذلك في أحاديث كثيرة
عن النبي ﷺ ، فلم ير الإسلام أن تظل
الخطوبة في خدرها وألا يراها غاطها
إلا لية الزفاف ، ولم ير أن ترفع بالخطبة
حواجز الحرمات ، وكان بهذا وذاك حدا
وسطاً لا إفراط فيه ولا تفريط ، وهكذا
يجب أن يفهم الناس الخطبة ، فيعلم الزوجان
من نسكة المفاجأة لية الزفاف ، وتسلم
الخطوبة من شر الإصراف في المخالعة .

المدول عن الخطوبة :

أما المدول عن الخطبة وفسدها بصد
تمامها فإن كان كما يقول السائل لتبين سوء
السلوك ، وشراسة الطباع ، فإنه يكون
أمراً مطلوباً شرماً ، حرصاً على سلامة
الحياة الزوجية من عبث الأخلاق الفاسدة

والعرف الخطبة لمح الوضع الوجودي
والشرعي والعرف للعقد فهي إذا ، كانت ،
طلب الزواج والاتفاق عليه ، فإن عقدة
الزواج هي الحالة الشرعية التي تنشأ بين
الزوجين بالإيجاب والقبول عن طريق
تبادل الكلمتين المروفتين وما ماثلهما
وهي : زوجتك وقبلت ، وبالإيجاب
والقبول هنا ، وأمام الشهود يتم العقد ،
ويحمل الارتباط الشرعي بين الزوجين ،
وتقوم بينهما الحياة الزوجية بجميع آثارها
وأحكامها .

ومن هنا لم تكن الخطبة ، ولا الفاتحة
للفترة بها عقداً يبيح للخطابين ما يبيحه
العقد الشرعي بين الزوجين ، وقد ذكرنا
من قبل أن كثيراً من الناس أساءوا فهم
الخطبة ووضعوا الشرعي فجعلوها عقداً
أو كالعقد ، واستباح بها الطرفان ، وأبيح
لها أن يختلطا اختلاطاً ترفع فيه الحجب
وتحل القيود ، وكثيراً ما جر هذا التصرف
الوبلات على الفتيات وأسرهن ، وكثيراً
ما أعقبه إعراس الخطابين عن الخطوبات ،
وعنت به الفتيات .

الفسخ المهرم :

أما فسخ الخطبة لمجرد ظهور غائب مالى أو صاحب مركز عظيم ، فهو حرام عند الله وهو في الوقت نفسه غل بالشرف والكرامة

وينزل بالفتاة إلى مستوى السلع ، تعرض في الأسواق لتباع بأغل الأنعام ، وهو بعد هذا وذاك نقض للعهد الذى حرمه الله والذى يقول فيه : دأؤا فوالعهد إن العهد كاذ مشؤلا .

ونصبحت لهؤلاء الذين يعتبرون الخطبة عدا يبيع لهم ما يبيعه عقد الزواج ولهؤلاء الذين لا يعنهم في رواج فتياتهم سوى المال للزائل ، والجاء الزائف .

نصبحت لهؤلاء وهؤلاء أن يقفوا في زوج أبنائهم وبناتهم عند حكم الله وإرشاده ، وأن يتعبروا لهم رضا الدين والخلق . والله الموفق ؟

محمد أبو عبد الله

وإن مراعاة الأخلاق ، وبناء الزواج عليها لمن أم ما يسي به الفارح في تكوين الأسرة ، وكثيرا ما حثت الشريعة الإسلامية على تحريم أرباب الخلق والدين .

وإن فسخ الخطبة في هذه الحالة اتقاء لضرر قد يصير العمل على زواله وتفتأ به الأسرة وفي جميعها عناصر الرعدة والاضطراب ، والسكيد والانتقام وبذلك يكون الزواج جسيما لا سكنا ، وبنضا لا مودة ، وثقة لارحة ، وقد أباح الفارح على طلب أن يحث الإنسان في يمينه إذا تبين له أن المصلحة والمير في نقضه ، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ : (من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكنفر من يمينه وليفعل الذى هو خير) .

وإذا جاز ذلك في اليمين فله - من باب أولى - يجوز في الاتفاق المبرد عن اليمين متى تبين أن المير في نقضه .

انبثاء وآراء

المؤمنة هي التي تقتصر دائما ، فلماذا كان الجزء الأقل منتصرا . لأنه كان مؤمنا بدافع من قضية يعتقد صدقها ولذلك كان النصر في ركابه . والإيمان أهم عناصر الاعتماد التام ولا بد أن تتركز التكلفة المعنوية في النفوس ليعتقد الحندي أنه يصل في سبيل الله .

إن الصهيوني يحمل في كل دعاية نسخة من التوراة ، فهو يحارب من عقيدة والحندي من صفوفنا أصدق منه إيمانا وعملا وقد أشار فضيلته إلى اهتمام المؤتمر الخامس لجميع الجحوت بقضية للتفرقة العنصرية وموقف الإسلام منها .

وتحدث عن محاولات إسرائيل تحريف المصحف وكيف واجه الجميع هذا الأمر بعلمين إيجابيين : مصادرة للمصحف المحرف ثم غمر السوق بمصحف صحيح أخذ الجميع في طبعه ليبيع ضمن زهيد هو ثمن التكلفة فقط أي في نحو خمسة قروش . وكان ذلك

مؤتمر صمعي بهذه الأسماء :
عنه فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود الأمين العام لجميع الجحوت الإسلامية ووكيل الأزهر مؤتمرا صحفيا مساء الخامس عشر من ذي الحجة ١٣٨٩ الموافق ٢١ من فبراير ١٩٧٠ بقاءة الاجتماعات بإدارة الأزهر الشريف ، وقد استهل الكلام في هذا المؤتمر بفكر رجال الإعلام على تسليم الدعوة وأحرب عن تقديره لهدوم النبيل في التعريف بالجهد الأمين المخلص التي يبذلها الجميع من أجل العروة والإسلام ثم تحدث عن أعمال المؤتمر وصلتها بالعئون العربية وبخاصة قضية الرأي العام العربي والإسلامي كله : فلسطين التي أهد المؤتمر لها فقرته الأولى جميعها .

ولفت فضيلته النظر إلى قضية هامة نجح ملاحظتها والمبرة بها ، فقال فضيلته : إنه لا بد من ملاحظة ينبغي أن تكون نصب أعيننا ، ففي صدر الإسلام كانت الحرب بين عرب وعرب . وكانت القضية

وقد رأت اللجنة أن تفتح كل مذهب على حدة ليحدد كل بلد إسلامي احتياجاته ؛ فليبيا - مثلا - إحدى البلاد التي طالبت بهذا التقنين تعمل بالمذهب المالكي ، بينما أفغانستان ، وهو بلد إسلامي آخر ، له نفس الطلب ، يعمل بالمذهب الشافعي ، بينما يحجج الأردن الشقيق نفسه أمام قصور واضح في « المجلة المدنية » ليس وافيا بالقانون الإسلامي كاملا .

ورأت اللجنة - بحجاب ذلك - جمع أحكام المذاهب ليختار منها الأنسب للتلائم مع العصر الحاضر .

وقد أعدت اللجنة « التقنين » مبويا على أسلوب القانون الوضعي ، وسارت على نهجه في التبويب والترتيب .

هذا إلى أن نشاط مجمع البحوث الإسلامية قد اتسع . فهو يصدر سلسلة الشهرية التي تطل على المسلمين أول كل شهر عربي تحمل إليهم زاداً إسلامياً في مختلف ألوان الثقافة الدينية الإسلامية .

وختم فضيلته مؤخره بالثناء لله سبحانه أن يعمل بالنصر ويوفق المسلمين ما

على الطيب

نتيجة عمل متواصل للمجمع استغرق نحو ثمانية شهور .

وتحدث عن « موسوعة السنة » فذكر أنها اهتمت بتحقيق جراب ثلاثة :

جمع الأحاديث وترتيبها أبجدياً ثم ترتيبها فقهاً ، والتعريف بمصطلحات الأحاديث الشريفة والتعريف برجال الأحاديث أنفسهم .

كذلك تكونت بالمجمع لجنة (التفسير الوسيط) واشتت عملها بالقمل ، وهو تفسير ذو منهج يتسم بأسلوب الهداية ، وتنتهى هذه اللجنة من عملها قريباً .

كذلك اهتم المجمع بـ « دائرة المعارف الإسلامية » لتكوين الرصيد الثقي للتعريف بالإسلام ورجاله وأعماله خالية من شوائب التشويه وسوء الفهم الذي اقتصت بهما الموسوعات الأخرى .

وقد لبى المجمع حاجة المسلمين لللمحة إلى « تقنين الشريعة » فأعد لجنة لهذا الغرض تكونت من أعضاء الفتوى بالأزهر الشريف ، وكبار رجال الفقه الإسلامي ، وأعلام المستشرقين ورجال القضاء .

visible on you". The Qur'an (28:17) further enjoins " . . . and neglect not thy portion of this world". Islam does not admit that man should cease to work and become a parasite; on the contrary one must use all one's gifts and talents for profiting by God's creations, and acquire as much as possible; what exceeds one's requirements may go to the aid of those who lack the necessaries. The Prophet has unequivocally said: "It is better that you leave behind you, your relatives well-off, rather than obliged to beg alms of others". Notwithstanding the imposition of heavy daily practices, Islam does not demand mortification or voluntary misery; on the contrary the Qur'an reproaches those who would develop such an attitude:

"Say: Who hath forbidden the adornment of God which He hath brought forth for His servants, and the delicious things of nourishment? Say: they are, in the life of this world, for those who believe, being exclusively for them on the Day of Resurrection. Thus do we detail Our commands for people who have knowledge" (7/32). There are things permitted by the Divine law: to deny voluntarily for one's self is not necessarily an act of piety, as would be the case

of abstaining from things forbidden by the same law.

BELIEF IN GOD

113 — Man seems to have always sought to know his Creator for the sake of obeying Him. The best religious leaders of every epoch and civilization have established certain rules of conduct for this purpose. The primitive people worshipped the manifestations of the power and beneficence of God, hoping thus to please Him. Some others believed in two separate gods, one of the good and the other of the evil; yet they overlooked the logical consequences of such a distinction which implies a civil war between gods. Yet others have enshrouded God with mysteries which mystify sometimes the person of God. And some others have felt the need of such symbols, formulas or gestures which hardly distinguish their theological conceptions from idolatry or Polytheism.

114 — In this field, Islam has its particularity. It believes in the absolute Oneness of God, and prescribes a form of worship and prayer which admits neither images nor symbols (considering them to be the remnants of primitivism and idolatry).

the good from the evil ? In the first instance, it is the revealed law which alone can be the criterion, but in the last resort, it is one's conscience which can be one's arbiter. When a problem is posed, one can refer to the text of the Islamic law, personally if one can, and with the help of the learned and the experts if necessary. Yet a juriconsult can only reply on the basis of facts which have been brought to his notice. If certain material facts should have been concealed from him, whether intentionally or otherwise, the consequent injustice cannot be imputed to law. We may recall a charming little discourse of the Prophet, who said one day : "People ! in the complaints which come to me, I decide only on the basis of facts brought to my knowledge : if, by lack of full information, I decide in favour of someone who has no right, let him know that I accord him a part of the Hell — fire." An Islamic judicial maxim stresses the same when it says : "Consult thy conscience even if the juriconsults provide justification to thee." (contained in a Hadith reported Ibn Hanbal and al-Darimi).

111 — Never to think of others, but of one's own self, is not human but beastly. To think of others after having satisfied one's

own needs is normal and permitted. Yet the Qur'an praises those "who prefer others above themselves though poverty become their lot," (59 : 9). Evidently this is only a recommendation, and not an obligatory duty laid on the average man ; if one does not observe it, one will not be considered a criminal or a sinner. We can cite the famous saying of the Prophet, in the same vein of recommendation : "The best of men is the one who does good to others".

112 — The Qur'anic direction may be considered as a characteristic trait of Islam, to wit : "and of the bounty of thy Lord (on thee) by thy discourse" (93 : 11). A saying of the Prophet (cited by Tirmidhi) explains it in an impressive manner : "God likes to see the traces of His bounty on His creature". It had so happened, that one of his companions came to see him with a miserable attire, even though he was a well-to-do person. When the Prophet asked him the reason, he replied that he preferred to have a wretched look, not for miserliness but for piety, as he preferred the needy to his own self. The Prophet did not approve it, and put a limit to self-sacrifice and ordered (cf. Abu Dawud) : "When God has given you means, the traces of His bounty should be

108 — Speaking of a strictly temporal act, such as a tax or a war, one pays taxes to the government. It should not be astonishing, that Islam considers this act⁽¹⁾ as one of the five basic elements of the Faith, as important as belief, worship, fasting and pilgrimage ! The significance is deep: One unites the temporal in a single whole, and one pays the tax not as a corvée or even as a social duty, but solely for the sake of God. When this duty of paying the taxes becomes fixed in the mind as something sacred, a duty unto God from Whom nothing can be concealed and Who is, moreover, capable of resurrecting us demanding our account, one can easily understand with what care and scruple a believer will pay his dues in the performance of this obligation. Similarly, war is forbidden in Islam except in the way of God; and it is not difficult to understand that such a soldier is more apt to be humane and will not seek any earthly gain in the course of risking his life. By spiritualizing the tem-

(1) In the Quranic terminology, *zakat* does not mean charity. It is a tax on agricultural product, on mineral extractions, on commerce on herds, and all these taxes are called *zakat*. The expenditure is mentioned in the Qur'an 9/60, for details see *infra* chapter 10.

poral duties, Islam has had no other motive but strengthening the spiritual side of man, who, in this manner, far from seeking the material advantage of the material thing, applies there by to obtain only the pleasure of God.

The great mystic al Ghazali did not exaggerate when he said : If somebody worships or fasts for ostentation, it is *shirk* (Polytheism), a worship of one's self, not of God Almighty; on the contrary, if one even cohabits with one's own wife—not for the carnal pleasure, but for performing the duty imposed by God—that is an act of piety and devotion, meriting the pleasure of and reward from God.

109 — A corollary perhaps of the same all-embracing conception of life, is the fact that the Qur'an uses very often the double formula "believe and do good deeds"; the mere profession of faith, without application or practice, has not much value. Islam insists as much on the one as on the other. The doing of good deeds without the belief in God is certainly preferable, in the interests of society, to the practice of evil deeds; yet from the spiritual standpoint, a good deed without faith cannot bring salvation in the Hereafter.

110 — But how to distinguish

importance of both these constituents of man, and on their inseparability, so that one should not be sacrificed for the benefit of the other. If Islam prescribes spiritual duties and practices these contain also material advantages; similarly if it authorizes an act of temporal utility, it shows how this act can also be a source of spiritual satisfaction. The following examples will illustrate the argument.

107 — One will agree that the aim of spiritual practices is to get closer to the Necessary Being (dhat wajib al wujud) our Creator and Lord, and to obtain His pleasure. Therefore, man tries to "dye himself with the colour of God" as the Quran (2/138) enjoins, in order to see with His eyes, to speak with His tongue, to desire with His will, as a Hadith says, in short to behave entirely according to His will, seeking even to imitate Him according to one's humble human capacities. A believer must fast at the moment prescribed by the Qur'an, because that is the order of God. To obey the order of the Lord is in itself pious, but in addition to that, the fast weakens the body, which fortifies the soul by diminishing material desires. One feels a spiritual uplift, thinks of God and of all that He does for us, and enjoys other spiritual benefits. But the fast also

does material good. The acidities which secrete from the glands, when one is hungry and thirsty, kill many a microbe in the stomach. One develops also the capacity to bear privation at moments of a crisis and still carry on one's normal duties undisturbed. If one fasts for material ends, it has no spiritual value; yet if one fasts for gaining the good will of God, the material advantage are never lost.

Without entering into a detailed discussion, it may be observed that all other spiritual acts or practices of Islam have also the same double effect, spiritual and temporal. So is it in worship, individual or congregational, and so is it in the abnegation of the self at moment of the pilgrimage to the House of God, in charities to the poor, and in other religious and spiritual practices apart from the obligatory minimum. If one does something solely for the sake of God, it has a double merit: spiritual advantages without the least loss of material benefits. On the contrary, if one does the same thing with only a material aim, one may obtain this object but the spiritual advantage would be completely lost. Let us recall the celebrated saying of the Prophet Muhammad: "Verily actions are solely according to motives and intentions".

may even become a sort of boom-erang causing its own death. For materialism often engenders egoism and lack of respect for the rights of others, creating enemies, who await their chance for reprisals. The result is mutual killing. The story of the two brigands is well known. They had captured some booty. One of them went to the town to buy provisions, and the other had to collect wood to prepare the meal. However each one resolved secretly in his heart to get rid of the other and monopolize the illicit gain. So the one who had gone shopping, poisoned the provision; while his comrade awaited him in ambush, and killed him on his return from the town; but when he tasted the food, he too joined his companion in the other world.

103 — There may be another defect inherent in a civilization, when its teachings do not contain an innate capacity for development and adaptation to circumstances. However nice its teaching may be for one epoch or one environment, it may not prove so for another; to be castigated by such a teaching will evidently be fatal to those who come later. An ordinary example would illustrate the point. At a time, when there was no electric lighting and when the centres of cults had no stable revenues, it was

certainly an act of piety, to light a candle in some place of religious interest, frequented during the night. Nothing may be said against a belief that an act of piety, on the part of a repentant, constitutes an expiation and an effacement of the crime committed against God, or against man which otherwise was hard to repair. But can the continuation of lighting a candle in a place which is already brilliantly lit with electric lamps be anything more than a wastage? Let us study Islam in the light of these circumstances.

ISLAMIC IDEOLOGY

106 — It is well known that the motto of Islam is summed up in the expression of the Qur'an (2 : 101), "well being in this world and well-being in the Hereafter". Islam will certainly not satisfy the extremists of either school, the ultra-spiritualists (who want to renounce all worldly things and mortify themselves as a duty) and the ultra-materialists (who do not believe in the rights of others), yet it can be practised by an overwhelming majority of mankind, which follows an intermediate path, and seeks to develop simultaneously the body and the soul, creating a harmonious equilibrium in man as a whole. Islam has insisted on the

question may be posed in respect of several countries in several epochs. Is it purely and simply a question of chance and circumstance, or is it due to the fact that some individuals of lofty note and noble personality were born in one human group to the exclusion of other groups? There are perhaps other possible explanations also, more complex and depending upon a variety of co-existing causes, governing the accomplishments of some, and the frustration or even extinction of the other.

101 — There is still another question. After a momentary state of splendor, why do people fall anew into relative obscurity if not into a semi-barbarous state?

102 — We propose to investigate these questions, in relation to contemporary Islam, and discuss, if possible, the chances it has of survival.

103 — If one were to believe Ibn Khaldun, the biological factor is the essential cause. At the end of a single generation, the race exhausts its vitality, and for purposes of rejuvenation there must be a change at least in the family of men at the helm of affairs. This racial theory, even if it be considered as a learned exaggeration, can affect ethnic civilizations and such

religions as do not admit conversion. Islam luckily escapes this cycle of decadence; for its followers are found among all races, and it continues to achieve greater or smaller progress everywhere in the world. Moreover it is unanimously recognized that Islam has almost completely effaced, inside its community, racial prejudices, a feature which permits it to accept without hesitation, men of any race to be its leaders and standard-bearers. The systematic emancipation of slaves, which was ordered by the Qur'an, presents another glorious example. As a matter of fact there have been several dynasties of Muslim rulers in history, drawn solely from slaves who had been freshly liberated.

104 — The life and death of a civilization depend in an equal measure on the quality of its basic teaching. If it invites its adherents to renounce the world, spirituality will certainly make great progress, yet the other constituent parts of man, his body, his intellectual faculties, etc., will not be allowed to perform their natural duties and will die even before their season of bloom. If, on the other hand, a civilization lays emphasis only on the material aspects of life man will make great progress in those aspects at the expense of others; and such a civilization

The Islamic Conception of Life

By

Dr. Muhammad Hamidullah

The vitality of a society, a people or a civilization depends in a large measure on the philosophy of life conceived and practised. In his natural state, man scarcely thinks of anything but his own individual interest, and only later of his close relatives. There have however been human groups, in every epoch, which have particularly distinguished themselves. When we study the features and characteristics of the past score of civilizations, — and possibly we are now at the dawn of another one — we find that even though one group may become distinguished as the torch-bearer of a civilization in a particular epoch, that does not necessarily mean that all other contemporary groups would be living in a state of savagery. There is rather a relative pre-eminence of one over the others, in the ladder of graded civilizations.

When the Phoenicians, for instance, appeared on the scene and developed a brilliant civilization, several other contemporary peoples were perhaps almost as civilized,

although lacking the occasion and a suitable field of their activity. At the Arabo-Islamic epoch, the Greeks, the Romans, the Chinese, the Indians and others possessed all the characteristics of civilized peoples; nonetheless they did not rise to the heights of the standard-bearers of the civilization of their epoch. In our own time, if the people of the U. S. A. and Russia form the vanguard with their nuclear might, and other claims, the British, the Chinese, the Frenchmen and the Germans follow close behind. Notwithstanding this progress of some, there are, at the same time, even in this second half of the 20th century, in certain parts of the globe, groups still in savagery if not actual cannibalism.

100 — The question arises as to why the evolution of some is rapid, and of others slow? In an epoch when the Greeks enjoyed a glorious civilization why was it that Western Europe was barbarian? Why did barbarism prevail in Russia when the Arabs had risen to the height of splendor? The same

between the Muslims and the Qureish. In the sixth year of the H-jrah the Prophet concluded the famous treaty of Hudaibia with the Qureish. With this treaty the Prophet succeeded in bringing the Qureish to recognise Madinah as a power equal in importance to Makkah. The practical conclusion of it was the bloodless occupation of Makkah just after two years of that treaty.

After the conquest of Makkah the faithful followers of the Prophet in Madinah became anxious as they feared he would now abandon their town and return to his native place. Then he delivered a speech in which he reminded them how he had united them when they were living in hostility to one another and declared his gratitude for all that they had done for him, and said that he would live and die with them. Faithful to his promise the Prophet remained in Madinah till his death. His two successors, Abu Bakr and Umar resided in Madinah which thus became the Capital of the rapidly growing state.

When the Prophet appointed a governor of Makkah and himself

returned to Madinah the 'Ansar' felt boundless joy. The ninth year of the H-jrah is called the year of deputations because from all parts of Arabia deputations came to Madinah to swear allegiance to the Prophet and to hear the Qur'an. In the tenth year of the H-jrah he went to Makkah as a pilgrim to perform his "Farewell pilgrimage". When from Mount Arafat he delivered his famous Farewell address. Soon after his return to Madinah he fell ill. An early dawn on the last day of his earthly life he came out from his room beside the mosque at Madinah and joined the public prayer, which Abu Bakr had been leading since his illness. Later in the day the Prophet was demised.

Madinah possesses a inestimable value in the eyes of all Muslims, as there lies buried the chosen and the last Prophet of Allah. The Mosque of Madinah which encloses the graves of the Prophet, Abu Bakr and Umar, is the one of the three most holy places of the Muslim world. Prophet Muhammad (peace be on him) classed Makkah, Madinah and Al-Quds as of equal value to Muslims.

Madinatu'Nabi

By

ABDUL RAHIM FUDA

The city of Madinah, with its venerable associations with the history of Islam and the Prophet, became more important in the eyes of all Muslims. Its sanctity increased by the mosque of the Prophet and his tomb which is the goal of countless pilgrims from all over the World. The part that Madinah and its people played in the history of Islam will never be forgotten. The significance of Madinah first became apparent at the time of the Prophet; then momentous change took place when the people of Madinah, who required a leader with a strong hand.

Al-Madinah, which was known in Arabic as Yathrib, is situated in the Hijaz toward the north of Makkah. There is a richness of water unusual in Arabia and there are considerable number of wells and spring. Madinah is favoured by nature, and surrounded by thick groves palms and orchards, while Makkah lies in a rocky valley. It is a beautiful story and one worthy to set the beginning of the Islamic era. The Prophet succeeded in a very short time in bringing

some kind of order into Madinah, hopelessly split by feuds, between its major tribes of 'Aus and Kuzaj' and making a unity out of the heterogeneous elements of the town.

The way in which the Prophet brought unity and brotherhood among the different factions of Yathrib, comprised the earlier Arab inhabitants, the later emigrants (Muhajreen) from Makkah, and the local Jews showed very clearly his Divine Gift of leading men and genius. There are certain events in history which change the course of the entire future of a nation or a country. When the Prophet and his faithful followers migrated to Madinah, the faithful Madinites pledged themselves to take them into their community and to defend them as if they were of themselves.

But the Jews of Yathrib attempted to revive old hostilities, and to breach the peace and order prevailed in the city. Relations between Makkah and Madinah were still tense. There soon followed three famous battles, of Badr, Uhud and the war of the Ditch.

to have been established by an Amalekite Chief, whose name it bore until the advent of the Prophet. Hencelorth Yathrib changed its ancient name and was styled 'Al-Madina al Munawwara' (the illuminated city) or Madinat-el-Nabi (the city of the Prophet). It is shortly called Al-Madina (the city). A mosque was soon built, in the erection of which the Prophet assisted with his own hands. The building was simple in form and structure, suited to the unostentatious religion he taught. The walls were of brick and earth and roof palm leaves. The Prophet preached and prayed standing on the bare ground or leaning against a palm tree and the devoted hearts around

him beat in unison with his soul-stirring words.

The two tribes of 'Aus' and 'Khazraj' forgetting their mortal feuds in the brotherhood of the faith, rallied round the standard of Islam. The old divisions were effaced and the noble designation of 'Ansar' (helpers) became the common title of all who had helped Islam in its hour of trial. The faithful group, who had for-oken their beloved birth place, received the name of 'Muhajireen' (emigrants). In order to unite the 'Ansar' and Muhajireen in closer bonds the Prophet established a brotherhood between them, which linked them together in sorrow and in happiness



"Be Not afraid, God will protect us". Upon hearing Muhammad and Abu Bakr, the horse of the idolater reared and fell. Struck with sudden awe he entreated the forgiveness of the Prophet and asked for an attestation of his pardon. This was given to him on a piece of bone by Abu Bakr. They continued their journey, without further molestation and disturbance, but under a severe June Sun.

After three days' journeying the Prophet and Abu Bakr reached the territories of Yathrib. They rested for four days at a village called Qubā few miles south of Yathrib. He found there many Muslims, and there Ali also joined them, journeyed from Mecca on foot, hiding in the day time and travelling only at night. In this period of days the Prophet built the first Mosque in the World. The Banu Amr bin Auf, to whom the village belonged, requested the Prophet to prolong his stay amongst them. But the duty of the Prophet lay before him, and he proceeded towards Yathrib, attended by a numerous body of his disciples. Thus the Prophet entered the city on Friday, 12th of Rabi Awwal (2nd July 622 A.D.).

Holy Qur'an referred to the event of Hijrah and the story of the cavern in the following verses :

«إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم يروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم. انصروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلك خير لكم إن كنتم تعلمون» (النوبة ٤٠، ٤١)

It means : "If you do not help him, yet God has helped him already, when the unbelievers drove him forth the second of two, when two were in cave, when he said to his companion, 'sorrow not; surely God is with us'. Then God sent down on him His 'Sekina' (calmness) and confirmed him with legions you did not see and He made the word of the unbelievers the lowest; and God's word is the upper most; God is Almighty, All-Wise. Go forth, light and heavy ! Struggle in God's way with your possessions and yourselves; that is better for you, did you know". (9 : 40 — 41)

A Large number of Madīnes waited outside the city to welcome the Prophet. With his advent to Madīna a new era dawned upon the city. The city of Yathrib is said

Prophet's own green garment and to lie on the bed.

He also told Ali to remain in Makka for a few days so as to return the belongings of persons who had entrusted them to him for safe keeping. Then the Prophet departed from his house at a moment when the assassins were unaware of his intention. It is reported that a deep slumber over took the conspirators that moment and the Prophet walked among them. He went straight to the house of Abu Bakr and they walked together unobserved from the city of their birth, to a cavern in "Mount Thaur", which was a few miles to the south of Makka. They lay hide for three days in the cavern, and all this time the Prophet and Abu Bakr were sustained by food brought to them at night by the daughter of Abu Bakr, Asmâ.

The news that Muhammad (peace be upon him) had escaped and the would-be assassins had returned unsuccessful, aroused the fury of the Qureish and their whole energy. Their horsemen scoured the country searching everywhere for the two fugitives. A very handsome reward of a hundred camels was set upon the capture of Muhammad. Once or twice the danger appeared so near the cavern, as some of the search

party including a few, of the selected youth, reached 'Mount Thaur' and saw the cavern. One of them said that 'they may be in that cavern', and some of them climbed to it and, then, saw a very old cobweb hanging over its entrance, and also a pigeon had laid eggs just in the the entrance. Seeing this, one of them said 'by the luck of that web it was there a long time before the birth of Muhammad'. Hearing the voice of the search party so close Abu Bakr approached the prophet and touched him muttering: "If one of them had only looked down at his feet, he would have seen us". The Prophet looked at him and said in deep faith: "Abu Bakr, what you think of two, God is their third? Grieve not, God is with us".

On the evening of the third day the Prophet and Abu Bakr left the cavern on two camels, procured with great difficulty, by unfrequented paths, to Medina. But even here the ways were full of danger. The heavy prize set upon Muhammad's head had brought out many horsemen from Mekka, and they were diligent in search of him. Once a powerful horseman actually caught sight of the fugitives and pursued them. When the wild and fierce warrior approached them Abu Bakr cried: "We are lost"; But the Prophet said:

port ; when the storm was at its height and might, Nobody could say whether he would leave Makka or not. Before, he had ordered his friends to emigrate to Abyssinia while he remained and preached his mission at the city. Thus the Qureish doubted his intention to leave Makka. Even Abu Bakr asked permission from the Prophet to emigrate, but he said to him, 'Do not hurry, for God may send with you a friend'.

The Qureish were fully aware of the influence and power the Muslims had in Madinah, especially in the way of trade with Syria. They were also aware of the danger of the emigration of Muhammad, and his appearance among the Muslims of Madinah.

The clouds were gathering fast. The matter had become one of life and death for the Qureish. An assembly of the Qureish met in town-hall, called 'Dar-al-Nadwa' and some chiefs of other clans were invited to attend. It was as a stormy meeting for fear, of the escape of the Prophet, had entered their hearts. Imprisonment for life, or exulsion from the city were debated in the meeting. Assassination was then proposed, but assassination by one man would have exposed him and his family to the

vengeance of blood. Thus Abu Jahl suggested that a number of courageous men, chosen from different families should strike simultaneously in Muhammad's bosom with their swords, in order that the responsibility of the deed might rest upon all the tribes represented, so that enough to avenge his blood. This proposal was accepted and a number of youths were selected for the execution should be carried out. The Prophet was well aware of the murderous intention of the Qureish, but this did not prevent him from staying on Makka until he received orders from God to emigrate.

Receiving his Master's order to emigrate to Yathrib, he went to Abu Bakr and asked him to be his companion on the journey. The venerable Abu Bakr most decidedly agreed and both were ready to leave, but were sure that the Qureish would prevent them. On the appointed date as the night advanced, the assassins posted themselves around the Prophet's dwelling. They watched all night long, waiting to murder him when he should leave his house in the early dawn. They were peeping now and then through a hole in the door to make sure that he still lay on his bed. In order, to keep the attention of the assassins fixed upon his bed, the Prophet asked Ali to put on the

mission, 610 A. D. the ban was removed and the Prophet was again free to go about the city. In the year 620 A. D., at the season of the yearly pilgrimage, he came upon a little group of six men from Yathrib, a city more than 200 miles away from Makkah, who heard him gladly. On their return to Yathrib they told what they have seen and heard from the Prophet. At Yathrib there were Jewish tribes with learned rabbis, who had often spoken to the pagans of a prophet soon to come among the Arabs with whom, when he came, the Jews would destroy the pagans as the tribes of 'Aad' and Thamud' had been destroyed of old for their idolatry.

When the man from Yathrib saw Muhammad (Peace be upon him) they recognised him as the Prophet whom the Jewish rabbis had described to them. At the next season of pilgrimage a deputation came from Yathrib purposely to meet the Prophet. These deputies met the Prophet on the same spot which had witnessed the conversion of the former six. In that meeting they swore allegiance to the Prophet. This called in the history of Islam the first 'pact of Al-Aqaba', from the name of the hill on which the conference was held.

In the following year, 622. A.D.,

at the time of pilgrimage, seventy-three Muslims from Yathrib came to Makka to vow allegiance to the Prophet and invite him to their city. At Al-Aqaba, they swore to defend him as they would defend their own wives and children. Then the Prophet selected twelve men of position from among them as his delegates. Thus was concluded the second pact of Al-Aqaba. These delegates are called N-qib's. This event occurred in the month of Dhul Hijja. The news of this pact spread among the Qureish and they worried about the far — reaching danger resulting in the effect of the conclusion of the great pledge. It did not take long for the Qureish to realise the effects of the Prophet's preaching and beginning of victory for his mission.

When the Qureish started a furious persecution of the Prophet and his disciples fearing a general massacre, the Prophet advised his followers to leave Madinah silently. About a hundred families left Makka, separately, and proceeded to Madinah, where they were received with enthusiasm, in order not to warn the Qureish of the planned emigration. The Prophet, his devoted cousin Ali, and his intimate friend Abu Bakr were the only notable Muslims left in Makka. Throughout this period the Prophet remained at his

times of persecutions and difficulties. For the first three years of his mission, the Prophet preached only to his family and his intimate friends. At the end of the third year he received the Command of God to preach his mission in public. It was then the Qareish became actively hostile.

The Qareish were now alarmed that Muhammad's preaching took a serious revolutionary movement and their power prestige were at stake. They accordingly decided upon an organised system of persecution. The converts of the first four years were mostly humble folk unable to defend themselves against oppression so the Prophet advised all who could possibly contrive to do so to emigrate to Abyssinia. In spite of cruel persecution and emigration, the little company of Muslims grew in number. While the disciples of Muhammad were seeking safety in other lands from the persecution of their enemies, he himself stood bravely at his post and amidst every insult and outrage pursued his mission.

They tried to bring the Prophet to a compromise, offering to accept his religion if he would so modify it as to make room for their gods as intercessors with Allah, or to make him their king if he would

give up attacking idolatry.

They came to the Prophet with promises of honour and riches, to seduce him from his duty; always the reply was, full of life and full of faith: "I am neither desirous of riches nor ambitious of dignity nor of dominion; I am sent by God Who has ordained me to announce glad tidings unto you. I give you the words of my Lord; I admonish you. If you accept the message I bring you, God will be favourable to you both in this world and the next; if you reject my admonitions I shall be patient, and I leave God to judge between you and me". The idolaters grew more and more embittered and they decided to ostracise the Prophet's whole clan and protectors. With that purpose they, in the seventh year of the mission, towards the end of 616 A.D., formed an alliance against the descendants of Hashim and Muthallib. They bound themselves by a document, which was deposited in the kaba, to the effect that not to enter into any contract of marriage with the Hashimites or to buy and sell with them. Then, for three years the Prophet was shut up with all his kinsfolk in their stronghold which was situated in one of the mountain passes which run down to Makkah.

Towards the tenth year of the

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FUDA

MUHARRAM
1390

ENGLISH SECTION
EDITED BY
A. M. MOHLADDIN ALWAYS

MARCH
1970

Significance of the 'Hijrah'

By

A. M. Mohladdin Always

At this moment of time the Muslim world celebrates the beginning of the Hijrah Year. It marked the migration of the Prophet Muhammad (peace be on him) from Makkah to Madinah. This important event happened after the thirteen years of his mission. The departure of the Prophet was the turning point in the history of Islam. With his advent to Madinah a new era dawned in the history of humanity, and he started there to establish the nucleus of the first Muslim Society.

The departure of the Prophet from Makka to Madinah commenced on the 4th of Rabi Awwal (corresponding with the 20th of June 622, A.D) and he entered Madinah (Yathrib) on Friday, 16th of Rabi Awwal (2nd of July 622, A.D) The

'Hijrah' year or the era of 'Hijrah' was instituted seventeen years later by the second Caliph Umar when he officially proclaimed the year of the 'Hijrah' as the first year of the Muslim era. However, the months of the lunar year were retained and Muharram was kept as the first month of the 'Hijrah' year. By this proclamation, Umar, gave expression to the feeling of all Muslims.

On the beginning of the Hijrah year, it is good to review the events leading up to this important happening that Muslims date their history from it. So much can be learned from this important event. The attitude of the Prophet at that crucial period of his mission, and his great wisdom and his actions, are a light and a guide for us in

الجزء الثاني - السنة الثامنة والأربعون - صفر سنة ١٣٩٠ هـ - أبريل سنة ١٩٧٠ م

12-122101-1

هذا المؤتمر في مواجهة الخطر

الأستاذ عبد الرحيم فودة

التي تزعف من وراء هذا الخطر على الحضارة والإنسانية ، والدور الخفير الذي تقوم به أمريكا وبريطانيا في تشجيع العدوان الصهيوني وإمداده بما شاء ويشاء من زاد وعتاد وسلاح ومال ورجال ، ومن ثم كان من أول ما قرره المؤتمر . أن الجهاد بالأموال والأنفس أصبح فرضا عينيا على كل قادر من المسلمين ، وأنه يتحتم عليهم في كل مكان أن يبادروا إلى تحمل واجباتهم في الجهاد والعمل على إرسال المجاهدين إلى ساحات القتال ،

بين لُهب القذائف، وصخب العواصف
وتعاقم الأحداث . انعقد المؤتمر الخامس
للمجمع للبحوث الإسلامية ، في مدينة
القاهرة العاصرة ، ليسهم مع المجاهدين على
الحدود وفي الأرض المحتلة بكلمة الدين ،
والمسلم ، والشرف ، ويستنهض الهمم
والمزائم لمواجهة الخطر وأداء الواجب .
ويظهر من البحوث التي أُلقيت ،
والمناقشات التي دارت ، والقرارات التي
صدرت ، مدى الخطر الذي تتعرض له
الأمة العربية والعالم الإسلامي ، والحنة

وحشد كل طاقتهم للحادية والمعنوية لهم
الجهتين الشرقية والغربية .
وهذا القرار - وإن تكرر مثله -
لن يضيع هباء في القضاء ، فإن الشعور
بالخطر في نفوس العرب والمسلمين يزداد
يوما بعد يوم ، ولا شك أن ذلك سيثير
الاهتمام به والإصغاء إليه ، وسيأتي اليوم
الذي تزحف فيه جموعهم على حجاجم
أعدائهم وأعداء دينهم ويتحقق فيه
قول الله لبني إسرائيل : « فإذا جاء وعد
الآخرة لیسوءوا وجوهكم وليدخلوا
المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا
ما علوا تقبرا » ، وقول النبي صلى الله
عليه وسلم للمسلمين : (تقاتلكم يهود
فتسلطون عليهم حتى يختبئ اليهودي
وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر
يا عبد الله ، يا مسلم ، ورائي يهودي ،
فقال فاقته) .
« إنهم يرونه بعيدا ونراه قريباً » ،
ومحنة العرب والمسلمين بهم شر سيكون
منه الخير ، وإن شعورنا بالنسبة إليهم
كما تمثل فضيلة الإمام الأكبر بقول الشاعر
العربي الأبي :

ولو أني بليت بمبغى
خشوته ينو عبد المدائ
لهان على ما ألقى ولكن
نعالوا فانظروا بمن ابتلاني
إنهم الذين يقول الله فيهم : « لتجدن
أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود
والذين أشركوا » .
وم الذين يقول الله فيهم : « لمن الذين
كفروا من بني إسرائيل على لسان داود
وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا
يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر
فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » .
وم الذين يقول الله فيهم : « وإذا تأذن
ربك ليعلن عليهم إلى يوم القيامة من
يسومهم سوء العذاب » .
أما نحن فكما يقول الله : « وجاهدوا
في الله حق جهاده هو اجتباكم » وكما
يقول : « كنتم خير أمة أخرجت للناس
تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر
وتؤمنون بالله » .
وصدق هوق حين قال في أسلافنا :
لو لم يسودوا يدين فيه منبهة
لناس كانت لهم أخلاقهم ديننا
عبد الرحمن فودة

كلمة السيد رئيس الجمهورية لأعضاء المؤتمر

استقبل الرئيس جمال عبد الناصر وفود أعضاء المؤتمر الخامس لمجمع البحوث الإسلامية بعد ظهر الخميس ٢٧ من ذى الحجة ١٣٨٩ هـ - ٦/٣/١٩٧٠ م

وقد وجه سيادته كلمة للعلماء هذا نصها :

إنها الفرصة تذهب إلى الأمل أن نرى علماء المسلمين في هذا الاجتماع من أجل نصرة المروية والإسلام بل من أجل نصرة الحق . ولقد حدث القرآن في كثير من آياته على التجمع وعلى الاتحاد ، وعلى التضامن في سبيل رد البنى والمدوان .. وإن هذه الخطوة من خطوات النظام . إنني أرحب بكم باسم شعب الجمهورية العربية المتحدة وباسم الشعب المصري ، وأبارك جهودكم ومحملكم وأرجو أن يزداد الجهد ويزداد العمل ، لأن العدو الذي نواجهه ليس إسرائيل وحدها وإنما أيضا من هم وراء إسرائيل الذي يشمل فيهم الاستعمار العالمي .

ولقد رأينا في الأسبوع الماضي الضجة الكبرى التي أقامتها إسرائيل وأهوان إسرائيل في الولايات المتحدة الأمريكية

ضد رئيس جمهورية فرنسا ، وهذا دليل على أن قوة إسرائيل ليست في إسرائيل المجاورة لنا ، ولكنها أساسا في الولايات المتحدة الأمريكية التي أمدتها بعد المدوان ، بالطائرات قاذفة القنابل ، والطائرات القاتلة . وفي هذا دليل قاطع على أن الولايات المتحدة لا تريد لإسرائيل أن تذهب من الأراضي العربية التي احتلتها ، ولكنها تريد لإسرائيل أن تفرض إرادتها على الأمة العربية وأن تتوسع .

نعمل من أجل السلام :

وقد قال زعماء إسرائيل إنهم يريدون التوسع ومساعدة الولايات المتحدة الأمريكية لإسرائيل بإمدادها بالطائرات وإمدادها بالملاح لا يعني إلا أن الولايات المتحدة تريد التوسع الإسرائيلي على

أن تشتري أحدث الأسلحة ، وأن تحصل على كل أدوات الحرب والتمار التي توجهها ضد الأمة العربية والمقدمات الإسلامية كما حدث في المسجد الأقصى .

واجب الشعوب الإسلامية :

فعل الأمة العربية وعلى الشعوب الإسلامية ، واجب كبير هو تبنته الرأي العام في البلاد الإسلامية ، وتبنته الرأي العام في جميع أنحاء العالم .. وفي نفس الوقت تعريف المسيحيين وتحذيرهم من الخطر اليهودي الصهيوني ، لأن إسرائيل لم تفرق بين المسلم والمسيحي حينما احتلت الأرض في فلسطين ، ولكنها طردت المسلمين كما طردت المسيحيين ، وعندما الآن أكثر من مليون لاجئ فلسطيني بينهم المسلم وبينهم المسيحي .

ولقد اختتم بالأمس هذا المؤتمر بتوصيات ، وإني أرجو منكم أن لاتنتهى الأعمال بهذه التوصيات ، ولكن لابد من عمل لجان في كل بلد من بلادكم من أجل متابعة العمل لنصرة هذه القضية .

إننا نرى في كل بلد من بلاد العالم لجنة يهودية أو لجنة صهيونية تعمل بكل

حساب العرب ، وعلى حساب للمسلمين ، وعلى حساب المسيحيين أيضا ، لأن إسرائيل طردت من الأراضي التي احتلتها في عام ١٩٤٨ كلا من المسلمين والمسيحيين .

إننا لا نريد إلا الحقوق التي كانت لنا دائما على مر السنين وعلى مر الزمن . إننا نعمل من أجل السلام ، إننا ننجح إلى السلام كما طلب منا الله سبحانه وتعالى في القرآن ولكننا في نفس الوقت نستعد للقتال حتى نحرر أراضينا ، وهذه أيضا من الوصايا التي أوصانا بها الله سبحانه وتعالى في القرآن .

ولكني أريد أن أقول كلمة صغيرة لكم أنتم علماء للمسلمين من جميع أنحاء العالم الإسلامي: إن الجهد الذي بذله حتى الآن ، سواء في الأمة العربية أو سواء في البلاد الإسلامية ، مازال الجهد المتواضع بالنسبة إلى الجهد الكبير الذي تقوم به إسرائيل ومن هم وراء إسرائيل .. بالنسبة إلى الجهد الكبير الذي تقوم به اليهودية العالمية .

لقد جمعت إسرائيل في العام الماضي ٥٠٠ مليون دولار ، وتريد إسرائيل أن تجمع في هذا العام ٥٠٠ مليون دولار أخرى ، جمعت منها حتى الآن حوالي ٣٠٠ مليون دولار . وبهذا تستطيع إسرائيل

الوسائل .. تجمع الأموال .. والمال القليل
يمكن أن يجمع المال الكثير وهذا
نستطيع أن نساعد الشعب الفلسطيني ،

وهذا نستطيع أيضا أن نواجه إسرائيل
والمساعدات التي تأخذها إسرائيل .
أرجو الله أن يوفقكم . أرجو الله أن
يوفق المسلمين في جميع أنحاء العالم .

إن القضية كما تملون جميعا ، قضية
كبرى معقدة كل التعقيد ، تريد منا أن
نعمل بكل الوسائل السياسية وأيضا
الأساليب العسكرية ، ولا نترك أي وسيلة
من الوسائل إلا ونعمل بها .. لأن هذا
يمثل الرأي العام العالمي معنا ويمكننا
من أن نكشف إسرائيل .

ونحن نأمل حينما نجتمعون في الاجتماع
والسلام عليكم ورحمة الله

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ . تَزْنُونَ
بِأَنفُسِكُمْ وَتَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ . يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنُ
طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ فِيهَا أَعْنَابٌ وَالْقُوزُ الْعَظِيمُ . وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ
وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ » .

كلمة فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد محمد الفخام شيخ الأزهر

علماء المسلمين في أرض الله الواسعة أن جعلنا
حلة هذه الرحلة وورثة ذلك الشرف وإنه
لمن دواعي الفبطة أننا هنا في هذا المؤتمر
الإسلامي الكبير نمثل من وراءنا في بقاع
العالم ، وبذلك تتحمل تبعات جساما أمام
الله والمسلمين جميعا ، وقد أخذ الله علينا
ميثاقه بقوله : « وإذا أخذ الله ميثاق الذين
أوتوا الكتاب لتبيلنهم للناس ولا
تكنتموه » .

ومن هنا فإن مؤتمرنا هذا أيها العلماء
الأجلاء في حقيقته إنما هو امتداد لمهمة
أهل الحل والعقد من أسلافكم الأجداد
الذين تحملوا بأمانة رسالة الإسلام ، وببساطة
بهم تبعاتها ومسؤولياتها ، كما تحملوا بصدق
ريادة المجتمع الإسلامي والحفاظ عليه مما
يتهدده من أخطار . تحملوا كل ذلك ولاء
بعهد الله ، التزاما بميثاقه ، وجهادا في سبيله
وإعلاء لكلمته .

إن مؤتمرنا مسئول أمام الله والتاريخ
عن سلامة العقيدة وصيانة المقدسات

بسم الله الرحمن الرحيم
أفتتح للتوغر الخامس لمجمع البحوث
الإعلامية وأحمد الله سبحانه أن هدانا
لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ،
وأشكره جل ثناؤه أن أتاح لي فرصة اللقاء
بقادة الرأي وأئمة الإسلام في ظلال
الإيمان ، وأخوة الدين ، وفي رحاب
القاهرة بلد الأزهر الشريف ، وأصل وأسلم
على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ،
المبعوث برسالة الحق والخير ، والمنزل عليه
الكتاب المبين « يهدي به الله من اتبع
رضوانه سبل السلام ويخرجهم من
الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط
مستقيم » .

وبعد : فإن من أهم عوامل الخلود
لرسالة الإسلام أن فيض الله لها من كل
خلف عدوله يحملون لواءها وينفون عنها
زيف المبطلين وتحريف المضلين : « ثم أورتنا
الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا » .

وإن من فضل الله علينا - معشر العلماء -

وحماية أحكام الله وثقافة الإسلام بكل أبعادها ، فكرا ومحتا ، وعلميا وعملا في مختلف نواحي الحياة ، يجلبها في جوهرها الأصيل ، ويوسع رقعة العلم بها ، ويستنبط منها ما يواجه مشكلات العصر ومتطلباته في حياة المسلمين ، ويتحسس مواطن الهداء من دينام ويضع لها الدواء ، ويعترف بمصادر الخطر عليهم ويذودهم عنهم ، وهو بعد ذلك وفوق ذلك يجمع على الحق كلمة طالما تنازعها عوامل الوهن وتهديتها مخاطر العرقة ، حتى تبعث أمة الإسلام من حياتها الخاتمة إلى مثلها العليا ، تحقيقا لقول الله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

ظواهر ذلك التمزق ، وعرض من أعراض ذلك الضعف .
إن الأمة الإسلامية تعيش حاضرا صوريا تباعدت فيه عن مصدر عزتها وتهاوت في أمر دينها وتقاست من نصرة الحق والجهاد في سبيل الله ، حاضرا تحالفت فيه عناصر الإلحاد والكفر وتجمعت قوى العدوان والشر لتضرب الأمة الإسلامية في بقعة من أعز البقاع عليها وأقدسها وأطهرها ، ثم تلب إلى غيرها بقعة بقعة . حتى تستولى عليها - لا قدر الله -

فلو أني بليت بمبشى

خثولته بنو هبد للندان

لهان على ما ألقى ولكن

تعالوا فانظروا بمن ابتلاني

إن صليبية الآمس التي تحطمت آمالها

في النيل من رسالة الإسلام أمام بطولتنا

المؤمنة المجاهدة عادت اليوم لتنتقم لنفسها

فتضرب الإسلام بيد الصهيونية الآتمة التي

أقامها الاستعمار دولة عنصرية في أرض النبوات

يفقد من عزها ، ويعدها بالمال والرجال

والسلاح والخبرات ، ويقذفها من وراء

وما أخرج الأمة الإسلامية في ظروفها

الراعية إلى فكركم ورأيكم ، وهي تزفوا إليكم

بالبصيرة والبصر والغاية والأمل والرجاء

والحاجة ، لتضعوا لها مشاعل الحق على

الطريق ، وتشرحوا لها ماحاك في الصدور

وتكشفوا أمامها ما دلهم من أمور ،

فقد انتكست في تمزق هلهل وحدتها

وأرعى قوتها ، حتى تذاغت عليها القناب من

كل جانب ، وما محنة فلسطين إلا ظاهرة من

لقد شاء الله أن يطول أمد المحنة تأكيداً
لخطر أعداء الإسلام وكشفاً لحقيقة أطماعهم
حتى لا يشك أحد في طبيعة نواياهم التي
حاولوا ببراعة الدعاية وكذب الأباطيل
تفليتها، ولكنها انطلقت من صدورهم
واضحة في لهب النار التي أشعلوها في القدس
الشريف، بعد قليل من انعقاد مؤتمر الرابع .
فقد تجاوزوا في حقدهم على الإسلام
وأبناء الإسلام كل القيم والمنزل، ولم يكتفوا
في عدوانهم الفادر الأخير باحتلالهم تراباً
عزيزاً من أراضي ثلاث دول عربية إسلامية
بعد أن اغتصبوا فلسطين من أهلها، وداردوا
شعبها وأخرجوه من دياره وأمواله بغير
حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، وأسسوا
دولة باغية على أرض السلام .

وإنما أسفروا عن عدائهم للإسلام ،
وامتدت يدهم الأثيمة إلى مقدسات
أرادها الله بيوتاً له ، وأحرقوا المسجد
الأقصى قبله الإسلام الأولى وثالث الحرمين
ومسرى رسول الله ومجتمع أنبياء الله
ومهبط رسالته .

إنهم طعنوا الأمة الإسلامية بهذه
الجريمة المروعة في من دينها وتاريخها
وحضارتها، إنها بداية لمرحلة عدوانية جديدة

ستار رأس حربة تسفك الدماء ، وتستبيح
الحرمات، وتفتصب الأرض ، لا نملاً بقيم ،
ولا ثأباً بعبادته الحق ، ولا تستمع لنداء
السلام القائم على العدل .

إن المحنة التي نمر بها تمثل في جوهرها
محنة إسلامية ، إنها قضية دينية قبل أن
تكون قضية قومية أو سياسية ، إنها
قضية الساعة تفرض نفسها على مؤتمركم
في المكان الأول من قضاياها .

والقضايا الدينية أساسها القرب والبعد
من الله ، وعلينا معشر العلماء أن نتناول
القضية بالمراعاة والصدق ، وليس لها
من حل إلا في العودة إلى خصائص هذه
الأمة : الإيمان بالله ، والجهاد في سبيله ،
والأسر بالمعروف والنهي عن المنكر . وإنه
بالأمانة والنصيحة تمسك بكتاب الله واقتداء
برسول الله والتزام للهدى الإلهي في جميع
مناحي الحياة .

وإذا كان أمد المحنة قد طال ، فقد شاء الله
أن يختبر إيماننا به ، ويمتحن صلابتنا في الحق
لنرجع إليه وتقبل عليه : « ما كان الله
ليذر المؤمنين على ما أتهم عليه حتى يميز
الغيب من الطيب وما كان الله ليظلمكم
على الشيء » .

المؤمن الذي يسقى بدمائه الزكية أرضه السليبة ، وإن مقدساتنا الإسلامية التي دنسها العدو بوجوده ولوثها بأنفاسه ، وإن شعوبنا المسلمة في كل أقطار الدنيا التي هزت مشاهرها جرائم المدوان القاذور إنهم جميعاً يحيطونكم بالأمل، و ينتظرون منكم رأى الدين وصدق التوجيه

ولقد أصبح الجهاد فرض عين على كل مسلم إعلاء لكلمة الله ، ودفعاً للمدوان وإتقائاً لأرض الإسلام من سيطرة أعدائه وتطهيراً للمقدسات من رجس الطغاة .

« وقاتلوم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله » .

« وقاتلوا في سبيل الله الذين يقتلونكم ، ولا تعتدوا » .

« أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير » .

إنه لا خيار لنا الآن فيما فرض علينا من جهاد ، وإن قصبتنا لا يجدى معها غير التوحيد والوحدة ، وغير الإعداد في حزم وعزم لمركة المصير ، على هدى من الله وسند من الدين ، فأصموا العالم صيحة الحق وأعلنوا الجهاد بحق الإسلام ، جهاداً

يصدق خطرهما أبواب المسلمين في جميع بقاع العالم إنه خطر جسيم يهدد مصير الأمة الإسلامية ، ولم يمد أمامها في ملاقة هذا الخطر إلا تحديد الهدف ، ووحدة الصف وحشد الجهود ، وتوحيد الكلمة مواجهة لهذا التعدي السافر ، وتصدياً لأعداء الإنسانية ، وجهاداً في سبيل الله .

إن رسالتكم عظيمة أيها الطهلاء الأفاضل في هذه الظروف المصيبة التي تحيط بأممكم والتي تمتد في باصبيونية باغية - قطعها الله في الأرض - على أوطانكم ومقدساتكم .

إن العالم الإسلامي اليوم يتربص منكم انتفاضة مؤمنة قوية ، تحمي أمته، وتنتك قبيده وتمحر أرضه، وتصون عرضه ، وتمسك له الحياة الحرة العزيزة التي أرادها الله « و لله العزة و لرسوله وللمؤمنين » .

انتفاضة تتجمع فيها تجربة الشيوخ ، وفتوة الشباب وعزم المؤمن وحزم القائد المجرى ، ودفعة للتوئب ، دفاعاً عن العقيدة وحفاظاً على الشرف ، وصوناً للحق ، ورفعاً لذل الاستكاس .

إن قواتكم للسلطة على خطوط التاروم جند الله وأسلحة الحق ، وإن شباب المقاومة

بالنفس، وجهاداً بالمال، وجهاداً بالرأى،
وجهاداً بالكلمة: «ولينصرن الله من
ينصره إن الله لقوى عزيز».

أيها السادة الأفاضل:

إن تبعانكم أمام الله ومسئولياتكم
أمام التاريخ تفرض عليكم صدق الكلمة
ووضوح الرأى، وقوة الإرادة، فبلغوا
الرسالة إلى كل من وراءكم وأدوا الأمانة
في محيطكم، واجاهدوا في الله حق جهاده
هو اجتباكم: أصحاب دعوة وصقراء دين
وأنصار حق.

«وقل أعمالوا فسيروا الله عملكم
ورسوله والمؤمنون».

وإننى من فوق هذا المنبر من هذا
الحقل الإسلامى الخالقه، أحيى جند الله
وحياة دينه على خطوط المواجهة، في
مرتفعات سوريا، وأغوار الأردن، وقناة
السويس، وأحيى كفاح أبطالنا الفدائيين
وقوات المقاومة الفلسطينية الذين عقدوا
مع الله تجارة لن تبور، فناعوا النفس
والمال والأهل والولد لحماية مقدساتنا
الشريفة، واسترداد أرض العروبة والإسلام
كما أحيى كل يد تساند هؤلاء المجاهدين

الأبطال، وتشد أزرهم، وإن يوم النصر
لقريب بإذن الله.

إله نعم المولى ونعم النصير.

أيها العلماء الأجله:

مرحباً بكم في كنف الأزهر الشريف،
أزهركم، أزهري المسلمين قاطبة، حيا الله مقدمكم
وبارك مؤتمركم، وسدد خطاكم، ووفقكم
إلى الصواب والرشاد.

وإنى باسمكم جميعاً أحيى سيادة الرئيس
جمال عبد الناصر على وحياته مسؤوتمكم
وأشكره على إنابته للميد/ الدكتور عبد
المعز كامل وزير الأوقاف وشئون الأزهر
عن سيادته في شهود حفل افتتاحه،
وأضرع إلى الله سبحانه أن يسدد خطاه
على طريق الجهاد حتى يظهر بإيمانه وإيمان
أمة قدسنا، ونسترد أرضنا، ونستعيد
كرامتنا، وتملكه الله، وترفرف أعلام
السلام على أرض السلام، «ويومئذ يفرح
المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو
المعزذ الرحيم».

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

د. محمد محمد الفهم

كلمة الوفود

لسماحة الشيخ عبدالحمد الناج

في وسط ديار المروية والإسلام .

أيها العلماء الأجلة .

إن مؤتمركم هذا يزيد في تحميلكم
المسئولية ، أمام الله ، وأمام التاريخ وأمام
الأجيال القادمة ، بعد أن احتلت
واغتمت أجزاء عزيزة غالية من ديار
المروية والإسلام ، وانتهكت الأعراض
وللتقدمات ، وأحرق المسجد الأقصى
المبارك وطن الإسراء والمعراج ، ودبت
الكرامات وإذا كان إخوانكم في الوطن
المحتل من غزة إلى القدس إلى الخليل
ورام الله ، وغيرها ، مرابطين ، يعملون
صنوف الأذى والتعذيب ، ويضجون
بمساكنهم وقراهم تنسفونزال من الوجود
وإذا كان الكثير من القباب والفتيات ،
بنات اللون مختلف أرواح القسوة والتنكيل
في السجون والعتقالات ، ومع هذا فإنهم
صابرون صامدون ، صبراً سراً وعلناً وبالل
وأمثالهم ، وإذا كان أهل إربد والسلط والكرك
وغيرهم من سكان الأردن يقابلون للوت
بشجاعة نادرة ، ويستخفون بقنايل النابالم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والملاة والسلام
على أشرف الأنبياء والمرسلين ، وإمام
المجاهدين والعاملين وعلى آله وصحبه ومن
سار على هديه إلى يوم الدين .

سيادة مندوب السيد الرئيس جمال
عبدالناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة .

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر .

حضرات أعضاء الوفود الكرام .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :
فيسعدني ويشرفني ، أن أقول كلمة وفود
العالم الإسلامي : شرقه وغربه ، شماله وجنوبه
في هذا المؤتمر العتيد ، وأن أشكر سيادة
الرئيس جمال عبدالنصر على رعايته هذا
المؤتمر ، وأرجو أن يكون لهذه الرعاية
أثر بارز في نجاح المؤتمر وتنفيذ توصيه
ومقرراته ، كما أشكر فضيلة الإمام الأكبر
على دعوته وإتاحة هذه الفرصة لنا ،
لنشاورد ولتدارس في الأحداث التي نعيشها
ونعيشها معنا أمناً ، نتيجة للخطر المحدق
بنا ، وبوجودنا ، وبمقيدتنا ، ومقدسائنا
بسبب خلق إسرائيل الدولة الصهيونية ،

أمتكم وشرف عقيدتكم ومقدساتكم ،
افتداء برسول الله ﷺ ، وأصحابه
الأكرامين ، والعلماء المجاهدين وأن تصارحوا
للسؤولين في كل البلاد العربية والإسلامية ،
بأن ذمتهم لا تبرأ من المسئولية أمام الله ،
مالم يسامحوا مسامحة صادقة ، ومالم يبذلوا
كل طاقاتهم ، وأموالهم وثرواتهم في سبيل
إنقاذ القدس والأقصى وسائر للقدسيات ،
والأقطار المحتلة والعقائد والبادي .

وهذا كما يتطلب إعداد الحشود بأحدث
الأسلحة الفتاكة ، دفاعا عن حقوقنا
ومقدساتنا ، فإنه يتطلب إعطاء الحرية
التامة للعمل النقابي ، كي يتمكن من القيام
بواجبه على أفضل وجه وأكمله . هذا
العمل النقابي ، الذي كان له فضل أكبر ،
في إحياء القضية الفلسطينية ، وإفساد
مخططات الاستعمار الصهيونية ، في طمس
معالمها ، وتذويبه وجعلها الحقيقى .

أيها العلماء الأجلاء :

إن قوى الاستعمار تتآمر على العرب
والسليين ، منذ زمن كبير ، فلي أواخر
القرن التاسع عشر كان (تشارليرين) فيلوف
العنصرية الآرية يعمرخ في أوروبا ، قاتلا ،
ويل لأوروبا ، إذا استيقظ النمر العاقب .

وغيرها ومختلف أنواع الوحشية والبربرية
التي توجهها اليهم إسرائيل الصهيونية
بالسلاح الأمريكى - يصبرون على كل ذلك
في سبيل المحافظة على أوطانهم ، والحرس
على شرفهم وكرامتهم ، وعقائدهم ، وإذا
كان سكان الجمهورية العربية المتحدة ،
يقابلون الغارات الإسرائيلية ، بأعصاب
قوية ، ونفوس مؤمنة مطمئنة ، يفوتون
على العدو ، ما يهدف إليه ، من إحداث
انهيار نفسى في الشعب العربى للثمن ،
وزلولة عقيدته ، في زعمائه وقادته ، وعلى
رأسهم الرئيس المحبوب جمال عبدالناصر فإن
الواجب الدينى والقومى ، على جميع المسلمين
والعرب حثيا وجدوا ، أن يدعموا مواقف
الصمود وأن يهيئوا فرصة للعمل ، وأن
يجندوا قواهم وطاقاتهم في سبيل معركة تقرر
مصيرنا ، ومصير أجدادنا .

أيها السادة العلماء :

إذا كنتم . ما تملكون هو الكدّة ،
فإن الكدّة الجريئة من أفضل ضروب
الجهاد ، ومع هذا فإنى أعتقد أن
باستطاعتكم ، أن تضرعوا أروع الأمثلة
وأفضل النماذج في التضحية بأموالكم
وأفئسكم ومناصبكم ، في سبيل كرامة

علينا أن نقابل مخططاته بدراسات علمية
واعية ، وإعدادات عسكرية متناسقة
وأن نعمل جدياً ، ونصورة جماعية ، على
اقتضاء على هذا المخطط الاستعماري المهني
الذي لا حد لأطماعه ، ولا نهاية لغاياته ،
وأن نكون واعين لمخططاته للتوالية ،
في تصفية القضية ، وإضاعة حق شعب
فلسطين في أرضه ووطنه ، وأن نعمل
على صد الثغرات التي يعمل على التسلل
منها بواسطة أمريكا وأهلانها وأن نخرج
من هذا المؤتمر بقرارات قوية ، متناسبة
مع الخطر الذي يحيط بنا جميعاً وأن نعمل
على إبلاغ تلك القرارات للملك والرؤساء
لعمل على تنفيذها في وفد يمثل العالم
الإسلامي ، وأن نحدد مسئولية كل جهة
ضمن طاقاتها وقدراتها ، بما يتناسب
مع ما نملك من ثروات وإمكانات .

وكما نرجو من المؤتمر أن يخرج بذلك
النتيجة ، نرجو من كل وفد أن يكون
رسولاً إلى قومه ، ونذيراً إلى بلده وجماعته -
بأن الخطر يهدد الإسلام والعرب في كل
مكان ، وإن هذا يستلزم للعمل الجدي
(بقية على صفحة ١٠٣)

على الشاطئ الشرقي للبحر الأبيض المتوسط .
وإن المؤتمر في سنة ١٩٠٧ م دعت
إلى مؤتمر يضم الدول الاستعمارية حينئذ ،
وهي بريطانيا وفرنسا وهولندا وأسبانيا
وبلجيكا ، والبرتغال وإيطاليا وقد تضمن
تقرير ذلك المؤتمر أن الخطر الذي يهدد
الاستعمار الغربي ، يكن في البحر المتوسط ،
والذي يقيم على سواحه الشرقية والجنوبية ،
شعب واحد يتميز بكل مقومات الوحدة
والترابط ، وبما في أراضيها من كنوز
و ثروات ، يفتح لأهلها مجال التقدم والرفق
في طريق الحضارة والتقدم .

ولمواجهة هذا الخطر أوصى المؤتمر ،
بأن تعمل الدول الاستعمارية على تجزئة
هذه المنطقة والإبقاء على تفككها واقترح
كوسيلة عاجلة ، العمل على فصل الجزأين ،
الأفريقي والآسيوي ، في هذه المنطقة
أحدهما عن الآخر وإقامة حاجز بشري ، قوي
وغريب ، في نقطة التقاء الجزأين ، يمكن
للاستعمار أن يستخدمه أداة لتحقيق أغراضه .
أيها المسلمون والعرب في كل مكان :
إن الاستعمار قد حقق مخططة بإقامة
إسرائيل ، في ديار المروية والإسلام فيجب

كلمة فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود

الأمين العام لجميع البحوث الإسلامية

وجاهدوا بأنفسهم وأموالهم في سبيل الله
ضد كل مغير أو مفسد .

وإن مشاركتهم للجيش وسيرم معه
في غزواته ، أسرجله التاريخ ، ودوته
الكتب .

وأذكر من ذلك مثالا واحدا : حينما
بدأ الجيش المصري يستعد لملاقاة العدو
في المنصورة ، هاجر إليها كبار علماء مصر
وعلى رأسهم العزيز عبد السلام ، ومجد الله
القشيري ، ومحيي الدين بن سرة ، ومجد
الدين الأخيخي ، وأبو الحسن الشاذلي ،
والحافظ للنذري ، والكمال بن القاضى
صدر الدين .

هأم أولاء بسمتهم الملائكى ، وبإيمانهم
الذى لا يتزعزع ، يسرون وسط الجند ،
يحثون ويشجعون ، ويرعدون ويذكرون
بالله ، ويبتغون - كما وعد الله - بإحدى
الحسينين : النصر أو الجنة وإذا لم الأمر
عملوا بأيديهم مع العاملين .

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين ، اللهم صل أفضل
صلاة وسلم أزكى تسليم على أشرف المرسلين
خير الخلق أجمعين سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين وبعد :
أيها الأخوة المؤمنون :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :
مرحبا بكم في وطنكم الجمهورية العربية
للتنجدة ، وفي داركم العلية ، وبينكم
الروحية ، الأزهر الشريف ، مرحبا بكم
في رحاب هذا المعهد الذى نعرف في تقدير
كبير جهاد أبنائه في سبيل الله طيلة مئات
السنين .

لقد جاهدوا ، في صبر ، حناية بالغة
العربية : لغة القرآن ، اللغة التى أصبحت
لنزول القرآن بها ، لغة مقدسة : كل جهاد
من أجل الحفاظ عليها ، مستحقة فصاحتها
وبلاغتها ، يصير عبادة ، وجاهدوا في سبيل
المحافظة على للبادع الدينية طاهرة صافية
كما يحب الله ورسوله .

الرسول، وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسياهم على ما جاءت به الرسل .

إن الأزهر الشريف صمى ويسمى طلبة مئات السنين للاحتفاظ بما جاء به خير الرسل وأفضل الخلق .

إنه يجاهد في سبيل المحافظة على الذاتية الإسلامية ، هذه الذاتية التي حرص رسول الله ﷺ طيلة حياته على أن تظل طاهرة متميزة بطهارتها ، وبلغ حرص رسول الله ﷺ على هذه الذاتية حدا اعتبر معه أن القراءة في التوراة - مجرد القراءة فيها - مساس بهذه الذاتية .

روى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن جابر رضي الله عنه : أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب ، فقرأه على النبي ﷺ ، قال : ففضب وقال : (أتتهوكون فيها بين الخطاب ؟ والذي نفسي بيده ، لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، لا تسألون عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبونه ، أو بباطل فتصدقونه ، والذي نفسي بيده ، لو أن موسى كان حيا ما وسعته إلا أن يتبعني) . وروى الحافظ أبو يعلى حديثا طويلا يقول سيدنا عمر في نهايته :

ولقد كان مجرد سيرهم في الشوارع والمسكرات ، تذكيرا بالنصر أو الخسرة ، كان ذلك حفزا لهم ، وتثبيتا للإيمان ، وتأكيذا لصورة الجهاد الإسلامية التي قادها في عصور الإسلام الأولى رسول الله ، صلوات الله عليه ، وخلفاؤه الراشدون ، رضوان الله عليهم .

حتى إذا اطمانوا إلى الأسباب والوسائل المادية الظاهرة ، وللمعنوية الباطنة ، وحتى إذا ما جنهم الليل ، اجتمع هؤلاء الأعلام في خيمة من خيام المعسكر يتجهون إلى الله بصلاتهم ودعائهم ، يلتسمون منه النصر ، فإذا ما فرغوا من ذلك أخذوا يتدارسون كتابا من الكتب ، لقد كان شعارهم : الجهاد والعلم .

وأن هذا الشعار الإسلامي : الجهاد والعلم ذكره رسول الله ﷺ ، وبين غايته في حديث يؤكد الجهاد الإسلامي كله ، روى أبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال :

(أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم وأهل الجهاد) .

(أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به

أخرى، ومن مظاهر هذه العناية أنه سبحانه وتعالى جعل مصدر هداية الأمة الإسلامية بالأسلوب الإلهي في بلاغة المعجزة، وفي فطرته الدائمة وفي إيمانه وإلهامه المستمر. ومن مظاهر هذه العناية، أن تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظه:

«إنا نحن نزلنا الذكر، وإنا له لحافظون» وهذا الحفظ نفسه هو الذي جعل من القرآن رسولا قاعا في العالم وإلى يوم القيامة، وهو الذي زيف - في منطق صارم - كل رجل يدعي النبوة من بعد الرسول ﷺ، إن منطق وجود القرآن بالأسلوب الإلهي وتكفيل الله بحفظه يلغي - حتى مجرد التخيل - الحاجة إلى رسالة جديدة، وقوله تعالى من رسوله الكريم: «وخاتم النبيين» وكونها قرئت بفتح التاء وبكسرها، قراءات متواترة عن رسول الله ﷺ، يسد كل للنافذ في وجه هؤلاء الذين يحاولون دجلا ومعوذة ادعاء النبوة. لقد أنزل الله القرآن بالأسلوب الإلهي عناية بالرسالة الإسلامية، ثم كان من مظاهر عناية الله بهذه الرسالة التي تمثل ذاتية الأمة الإسلامية، أن رسول الله ﷺ، لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلا وقد طبق

(انطلقت أنا فاتمخت كتابا من أهل الكتاب ثم جئت به في أديم، فقال لي رسول الله ﷺ: (ماذا في يدك يا صهر؟ قلت يا رسول الله: كتاب نسخته لزداد به علما إلى علما)، فغضب رسول الله ﷺ حتى أحمرت وجنتاه، ثم نودي بالصلاة جامعة، فقالت الأنصار: أغضب بيبسكم صلى الله عليه وسلم، السلاح السلاح، فجاءوا حتى أحرقوا بمنبر رسول الله ﷺ فقال: (يا أيها الناس، إني قد أوتيت جوامع الكلم وخواتيمه، واختصر لي احتصارا، ولقد أتيتكم بها بيضاء نقية فلا تنهوكوا ولا يفرسكم للنهوكون) قال صهر: فممت فقلت: رضيت بالله ربا، وبالإسلام ديناً، وبك رسولا، ثم نزل رسول الله ﷺ. لقد حمل رسول الله ﷺ جاهدا على أن تظل القادسية الإسلامية بيضاء نقية على حد نصيره صلوات الله وسلامه عليه.

وهذه القادسية المحددة الواضحة، هي للعبور الوحيد لنشأة الأمة الإسلامية ولا استمرارها وبقائها، أن نشأة الأمة الإسلامية إنما كان من أجل رسالة هي غائمة الرسائل، ولقد أحاط الله سبحانه وتعالى هذه الرسالة بعناية لم تتوافر لأي رسالة

وتلاشت بذلك الحدود ، والحواجر ،
والسدود بين المؤمنين ، وتوحدت أول
ما توحدت الجزيرة العربية ثم كانت الأمة
الإسلامية في سعتها الشاسعة ، وفي مساحتها
الهائلة ، وأعلنت الرسالة التوحيد في مجال
العقيدة .

إن الرسالة لم تكشف بأن يقول الإنسان :
لا إله إلا الله ، وإنما أحببت أن تسموه
إله درجة أن (يشهد) أن لا إله إلا الله ،
يشهد الله سبحانه على كل ما يأتي وما يدع ،
في قوله وصمته ، في حركته وسكونه ،
يشهد في نيته ، ويشهد في عمله ، ويشهد
سبحانه مسيطرًا على إطار حياته ، يتبع
ما رسم ، ويسير على ما أحب ، إنه توحيد
المبودية لله سبحانه ، وإذا ما حقق الإنسان
أو حققت الأمة توحيد المبودية ، فقد
اتخذت الوسيلة إلى :

« وإن سألتني أعطيتك ، ولئن استعاذني
لأهينك » .

وأعلنت الرسالة : الأخوة في علاقات
للمؤمنين بعضهم ببعض .
« إنما للمؤمنون إخوة » .

وإن جو الأخوة بين المؤمنين ، هو
المثل الأعلى لصلاتهم ، برحم كبيرم صغيرم

هذه الرسالة تطبقًا وأقمية ، وخرجت بذلك
الرسالة عن أن تكون نظرية إلى كونها
واقعية ، لقد تحققت هذه الرسالة في واقع
محسوس ملموس ، لقد صارت حركية مسموعة .
لقد جربت ونجحت التجربة وحطمت
الرسالة للطبقة كل ما اعترضها من عقبات ،
وتلاشى أمام زحفها للقدس كل باطل ،
ودانت ديا الباطل لقوة الحق

ويصور أحد المستشرقين شعور القارئ
لتاريخ صدر الإسلام تجاه فتوحاتهم
للظفرة القائمة على تطبيق رسالتهم فيقول
مقتضلا . .

« هل صغرت رقعة الدنيا في أيامهم ؟
أم أله الأرض كانت تطوى من تحت
أرجلهم ؟ »

وما صغرت رقعة الدنيا ، وما طويت
الأرض من تحت أرجلهم ، وإنما هو
الإيمان وتطبيق الرسالة ، لقد أعلنت الرسالة
وحدة الأمة :

« إن هذه أمتكم أمة واحدة
وأنا ربكم فاعبدون » .

« وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا
ربكم فاقنن » .

وسيلة حماية هذه المبادئ ضد كل عدوان
« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » .

هذا المبدأ يقتضى أن تصل هذه الأمة
في الجانب المادى إلى أقصى ما يمكن أن
يصل إليه الإنسان في جميع المجالات المادية
من هندسة ، وطب ، وكيمياء ، وفلك
وصناعة أدق ما تكون الصناعة ومعامل
أرق ما تكون المعامل ، وأن أصحاب
الرسالات لا يد وأن يكون لهم أساس من
القوة هو سناد لرسالتهم .

إنها رسالة إذن حددها الله سبحانه :
رسالة يجب وجوباً فرضياً أن تساندها
قوة مادية ، يقوم على المحافظة عليها
بيضاء قبية ، الأمرون بالمعروف والناهون
عن المنكر .

هذه المبادئ المحددة بالقرآن والعنة
وسلوك الرسول ﷺ مع رسائلها المحددة
بالقرآن وبالسنة وسلوك الرسول ﷺ ،
هى المبرر لنشأة الأمة الإسلامية ، ولبقائها
واحتمرارها ، فإذ حققتها الأمة الإسلامية
على الوضع الذى جاءت عليه مكن الله لها
في الأرض وكتب الله لها النصر وحقق لها
وعده الذى أعلنه في كتابه :

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا

ويؤقروا صغيرهم كبيرهم ، ويسود بينهم المتعاونون
في الخير على جميع ذويه .

وأعلنت الرسالة العدل في القوانين ،
والعدل الذى أعلنه ليس عدلاً بشرياً وإنما
هو العدل الإلهي ، وليس القانون في الرسالة
نابصاً من فكر إنسان يخطئ ويصيب ،
وإنما هو وحى مصوم من قبل الله سبحانه
وتعالى ، والله سبحانه وتعالى يقول : « وتمت
كلمة ربك صدقاً وعدلاً » إنها تمت صدقاً
في العقيدة ، وتمت عدلاً في التشريع ،
ومن هنا كان المنطق واضحاً في قوله تعالى :
« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما
شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً
مما قضيت ويسلموا تسلياً » .

وأعلنت الرسالة الرحمة في الأخلاق :
« رحاء بينهم » .

وأعلنت الرسالة : أن القيام على هذه
المبادئ المحددة بالوضع الإلهي والحجة
في الكتاب الكريم والتي طبقها الرسول
صلى الله عليه وسلم ، فأصبحت سفيرة
لا ليس قبية ، أعلنت الرسالة أن القيام على
هذه المبادئ فرض يتمثل في صورة الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر .

وأعلنت الرسالة في الجانب المادى ،

الإسلامية بيضاء تقية ، ومن أجل المحافظة على الأمة عزيزة الجانب ، أمانة في وطنها . والعلم من أجل بيان الداتية الإسلامية بيضاء تقية ، ومن أجل بيان فرضية الجهاد في سورة المتناسقة .

وهذا هو للنهج الذي نعلمه في وضوح كبير عليه ، وهذا هو للنهج الذي سار عليه الأزهر ، والذي يسير عليه جمع البحوث الإسلامية ، وهذا هو للنهج الذي رسمتموه في مؤتمراتكم السابقة .

وإن جمع البحوث يقوم في هذا المجال بكل ما يستطيع ، وقد أتاحته له ميزانيته أن يجند في الجمهورية العربية المتحدة اثنين وثلاثين وستة من الوماط الدائمين يبشرون بالعلم والجهاد ، ومن هؤلاء الوماط ما يقرب من الثلث في الجيش المصري .

وأتاحته له ميزانيته أن يبعث إلى الأقطار الأفريقية والآسيوية أكثر من أربعائة مبعوث يبشرون بالعلم والجهاد ، وتبلغ ميزانية هؤلاء وحدهم أكثر من نصف مليون من الجنيهات .

ولكن هذه الأعداد مع وفرتها النسبية لا تكاد تذكر بالنسبة لما يحتاج إليه العالم الإسلامي من جهود ، وإنه مما

الصالحات ليستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلهم من يصد خوفهم أمنا يبدلوني لا يتركون في شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون .

أما إذا لم تلزم الأمة الإسلامية الاتباع الدقيق للرسالة ، فإنه لا معنى لبقائها ولا مبرر لوجودها ، وإذا ثلاث فلن تبكى عليها مناء ولن تأسف عليها أرض ولن تنقص الدنيا بفقدائها عنصر ضروري لحياتها الفاضلة ولكن الأمة الإسلامية نفأت لتبقى ووجدت لتستمر ، يؤدها الله من حين لحين لتعود إليه ، يؤدها في أفرادها حتى يمدوا إليه منيبين محتسبين ، ويؤدها في جماعاتها لتلجأ إليه مطبقة لرسائله ، منفذة لمبادئه .

« وبلوكم بالشر والغير فتنة وإلينا ترجعون » .

وإن منهج جمع البحوث الإسلامية إنما هو شعار علماء الأمة الإسلامية في كل عصر إنه الجهاد والعلم .

الجهاد من أجل المحافظة على الداتية

الامة الإسلامية ، ولا يزال منموراً في زوايا دور الكتب هنا وهناك ، تكاد تأتي عليه الأرضة ، ويعنى عليه النسيان .
 ٥ - وإلى وفود من كبار علماء الإسلام تجوب أقطاره ، وفود أخوة ومودة ، وفود تتعرف على آمال العالم الإسلامي وأماهيه ، وفود لا شأن لها إلا بما يقوى رابطة الأخوة ، ويبعث الآمال في عناية الله ورعايته .

ولقد أتاحت ميزانية المجمع في عامه الحالى التخطيط والبدء في عدة مشروعات يسرنى أن أعلن اغتباطى بها ، وأعتقد أنها ستنال رضاكم .

لقد شرعنا في طبع للضعف الشريف ، طبعة منقحة ، من أجل توزيعه على نطاق واسع في جميع أرجاء الأمة الإسلامية ، بضمن زهيد ، وذلك أولاً : من أجل تميم الانتفاع بكتاب الله مصدر هداية الأمة الإسلامية ، ومنسج قوتها ، وثانياً : من أجل سد الطريق أمام التزييف الأثم الذى تقوم به إسرائيل ، وإن لجنة من كبار العلماء للتخصصين في القراءات تقوم على هذا المشروع في إخلاص لله ورسوله ، وللمعمل في للشروع يسير بخطوات مرضية.

يجب أن تذكره أسفاً أن ليس للأمة الإسلامية إرساليات تبشيرية في البلاد أو الأقاليم التى لا تدين بدين الإسلام ، مع أن ذلك واجب إسلامي ، وبينما نجد إرساليات معظم دول أوروبا وأمريكا تجوب العالم ، فإننا لا نجد إرسالية واحدة من دولة مسلمة ، تبشر بالإسلام في أوساط وثنية ، أو في أقاليم غسجد إسلامية ، بل ولا نجد هيئة إسلامية واحدة اهتمت بأمر التخطيط للدهوة .

وإذا كنت أعلن ذلك ابهاً لبدء النقد الداني ، فإنني أقدم إليكم - تلافياً لهذا المقص الذى نشعر به جيماً - برباء أن يكون مؤتمركم للوفيق إن شاء الله لجنة تخطيط لمنسوق الدهوة ، وينبثق عنها إن شاء الله في المستقبل لجنة تخطيط للدهوة .
 إن شعار الجهاد والعلم في حاجة إلى :

- ١ - جنود يجاهدون ويعلمون .
- ٢ - وإلى معاهد تدرب الخريجين من الكليات الدينية وتدرس وتوجه وتخطط .
- ٣ - وإلى بحوث ورسائل تؤلف في أسلوب عصري ، وترجم إلى أكثر من لغة تبين رسالة الإسلام .
- ٤ - وإلى نشر تراث إسلامي تفسره

بالأخطاء ، وملبئة بالتشويه لوجه الحضارة الإسلامية ، ومن الخير أن يكتب الإسلاميون تاريخهم العلمى والحضارى من جديد ، ومكان الموسوعة فى هذا المجال شاغر لم يملأ بعد ، وزوجو من الله التوفيق فى هذا المشروع الذى أصبح ضرورة لاغنى عنها .

ولقد خطا الجمع خطوات موفقة فى إخراج التفسير الوسيط للقرآن الكريم ويترك فى هذا العمل أكثر من ثلاثين عالما من خيرة علماء الأمة ، والأمل كبير فى أن لا يأتى المؤرعر القادم إن شاء الله إلا ويكون هذا التفسير بين يدى ضيوفنا الكرام .

ووجدت الأمانة العامة لجمع البحوث الإسلامية أن ظروف المجتمع الإسلامى فى حاجة إلى عمل سريع يلبى رغباته من الثقافة الإسلامية التى تبصره بشئون دينه وديناه فأصدرت من أجل ذلك سلسلة البحوث الإسلامية التى تصدر فى مطلع هلال كل شهر هربى ، وكان أول كتاب صدر منها ، هو عن الرسول ﷺ : لمحات من حياته ونفحات من هديه ، والكتاب الذى يمد لتوزيع الآن هو (الدين العالمى ومنهج

وشرعنا فى تقنين الشريعة الإسلامية ، شرعنا فى تقنينها بحسب كل مذهب على حدة ، وشرعنا فى تقنينها بصورة أخرى هى إخراج قانون يسير فى ترتيبه مع القوانين الوضعية ويستمد مواده من مختلف المذاهب باعتبارها وحدة واحدة وشرعنا بعون الله تعالى فى إخراج موسوعة السنة ، ويتضمن المشروع ثلاثة جوانب :

أولها : جمع الأحاديث ، وفى هذا المجال سنتمين إن شاء الله بكتابين جليبين أحدهما : الجامع الكبير للإمام السيوطى ، الذى رتب الأحاديث أبجديا ، وثانيهما كثر المال الذى رتبها فقها .

والجانب الثانى : هو حصر رجال السنة رضى الله عنهم ، وترتيبهم أبجديا والتعريف بهم .

والجانب الثالث : هو حصر المصطلحات فى فن الحديث والتعريف بها .

ولقد شرعنا بعون الله فى التخطيط لوضع الموسوعة الإسلامية ، إن الأمة الإسلامية على سعتها تهتم كل الاهتمام بالموسوعة التى ألفتها المستشرقون ، وهى موسوعة لاحظ الكثيرون أنها مليئة

الحقل الإسلامي إنه يمد يده إلى الرابطة الإسلامية بمكة متكاتفًا متعاونًا ، ويمد يده إلى الجامعة الإسلامية بليبيا متكاتفًا متعاونًا ، ويمد يده إلى الجامعة الإسلامية بأم درمان متكاتفًا متعاونًا ، واجبا أن يكتب الله لكل هذه الهيئات البقاء والاستمرار مصادر نور ومنابع هدى ، إنه يمد يده إلى الهيئات الإسلامية في كل الأقطار الإسلامية ، وإذا كان الأمل أن تتوحد الهيئات الإسلامية ، في وحدة واحدة بعيداً ، فإن الأمل في أن تتعاون وتتكاتف وتتساند ، وأن يكمل بعضها بعضاً ، وأن يقوم بعضها ببعض أكبر ، بل قريب إن شاء الله بفضل جهودكم المخلصة الموفقة بعون الله تعالى .

أيها الإخوة المؤمنون :

إن بعض علماء الأمة الإسلامية ، شغلوا أنفسهم بالجدل والمراء في المتشابه ، وغرقوا بينهم من أجل الجدل في المتشابه الذي نهينا عن البحث فيه ، ولم يكن الجدل في المتشابه يوماً ما من فروض الإسلام ، وإن في محكم القرآن غنية لكل مؤمن وبمعضم شغلوا بالجدل والمراء في الأشخاص ، ولم يكن الجدل والمراء

الدعوة إليه) وهذه السلسلة بأقلام أعضاء المجمع وكبار العلماء .

أما للمركة : فإننا نعيشها في واقعها القاسي وقد ألف مجمع البحوث الإسلامية لجنة للسجد الأقصى يرأسها فضيلة الإمام الأكبر ، وهي تعمل بكل ما تملك من طاقات في سبيل النصر إن شاء الله تعالى . ولقد أصدرنا في هذا الجانب الكتب والرسائل وجتدنا أنفسنا : وعاناً وخطباء للتمبئة للعنوة للأمة .

وإننا من منصة مؤتمرها هذا نحبي جيشنا الصامد على الجبهة مقدرين وقته في سبيل الله ، وإنها لوقفة يحبها الله ورسوله ويباركها المخلصون الصادقون في كل مكان من بقاع الأرض .

أيها الإخوة المؤمنون :

هذا بعض ما نحاول تحقيقه بتوفيق الله تعالى ، ولا أطيل عليكم ، ولكني أعلن في إخلاص ، أن مجمع البحوث الإسلامية مستعد تماماً لبحث أية فكرة تعرض عليه في صالح الإسلام والمسلمين ، وأن ينفذ منها ما يراه صالحاً في حدود ميزانيته . وأعلن في إخلاص : أن مجمع البحوث الإسلامية ، يمد يده لكل العاملين في

في الأشخاص في يوم من الأيام من قروض الإسلام .
 أيها الإخوة المؤمنون :
 أعود من جديد فأرحب بكم في وطنكم وفي رحاب الأزهر الشريف ، وأجيبا من الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا جميعا للعمل غير الإسلام والمسلمين ، وصلى الله على سيدنا محمد إمام العلماء والمجاهدين وغير الخلق أجمعين ، الأسوة الحسنة والنور الهادي المبين .

ورضى الله عن آل البيت ، وكرم الله وجوههم ، وأثابهم على ما قدموا للإسلام من بطولات ، هي في القنوة والسنام ، ورضى الله عن صحابة رسول الله ﷺ ، الذين آمنوا به وعزروه ونصروه ، واتبعوا النور الذي أنزل معه ، رضى الله عن جميع أسلافنا الصالحين .
 والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

د . عبد الحليم محمود

(بقية المنشور على صفحة ٩٣)

المخلص الواهي بإعداد وتدريب الشعب على اختلاف فئاته ، والجيش بجميع قطاعاته إعدادا وتدريباً - يمكننا من إعادة الشرف للكلوم والكرامة للسلوبة ، وإنقاذ أهلينا في الوطن المحتل ، من براثن الصهيونية الفادرة .
 وليلم كل واحد ، ملكا ورئيسا ، وكبيراً وصغيراً ، عالما ومتعلما ، أنه ما لم تسترد القدس من غاصبها ، وما لم تعد إلينا سيادتها وإدارتها ، وما لم يطلق للسجدة الأقصى وسائر للقدس ، من أسرها وأخطارها فلن يهدأ لنا بال ، ولن تستقر لنا حال ، ولن تبرأ الأدم .
 وإذا كانت إسرائيل تعتمد على الصهيونية العالمية ، وعلى الإمبريالية العالمية وعلى رأسها أميركا ، فإن للسلمين والعرب ، على رأسها أميركا ، فإن للسلمين والعرب ، على كون قدرات هائلة يستطيعون بها أن يهددوا مصالح أميركا وغيرها ، ويحملوها بصورة جدية على أن تغير موقفها المتحيز إلى موقف الحياد والتعقل والإنصاف .
 فنرجو لهذا المؤتمر النجاح والتوفيق ، ونحني جميع أصدقائنا ، وأعواننا ، كما نحني الصامدين الصابرين للرا بطين في الوطن المحتل ونحني جميع الصامدين في الأراضي العربية التي تتعرض للعدوان . ونحني القذائيين ، وجميع الجيوش المقاتلة ضابطا وجنودا ونحني جميع القادة المخلصين .
 والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عبد الحميد الراجح

كلمة الدكتور عبد العزيز كاسل

نائب السيد رئيس الجمهورية في المؤتمر

أن يحمل عبء التصدي للتحديات الكثيرة التي توجه إلى الإسلام في عصرنا الحديث . وإذا كنتم أيها السادة قد قبلتم من قبل أن تتصلوا - في حكمة العلماء - أمانة هذه الرسالة ، مدركين لأبعادها الخطيرة ، عالمين بطبيعة العدو وأصاليه وخبثه ، فأولكم في هذه الدورة تنتقون ، وقوى الشر ومن وراءها قد بلغت قمة التحدي في غيظه وضراوته . وتحتل قوى الشر والفساد المعادية للإنسان وكرامته ، الحاقدة على دين الله الخنيف وأتباعه ، في بؤرة تخارص الصهيونية العالمية منها دورها كأداة للاستعمار وقوى السيطرة ، تحتل أرضاً هي ملك للعرب والمسلمين ، وتقتل ، وتدمر مساكن ، وتفرد أسراً في الأراضي المحتلة وتحرق بيت الله في القدس الشريف . . وتضرب للدينين بالصواريخ والقنابل والطائرات التي أمدتها بالقوى الاستعمارية المسيطرة في ملنا الحديث .

أيها الإخوة :

إنكم في دورتكم هذه تعالجون - للمرة الثانية - جواب المدوان الصهيوني على

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الهدى وسيد المرسلين للبعوث بالحق والعدل ، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وبأخذ بيدكم إلى أمن الدنيا وسلام الآخرة .

السادة أعضاء مجمع البحوث الإسلامية
ضيوف الجمهورية العربية المتحدة :

يسعدني أن أرحب بكم باسم العيد الرئيس جمال عبدالناصر ، وأن أحل إليكم تحياته القلبية وإعزازه لكم ول مؤتمركم ، وأطيب تمنياته لكم بالتوفيق فيما أنتم بسبيله من جهاد على مبرور .

وتحية من شعب الجمهورية العربية المتحدة إلى شعوبكم الإسلامية الشقيقة ، تحية الإخاء والود ، وصدق الله العظيم «وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» .
أيها الإخوة :

وإنها لمناسبة كريمة أن أشرف بقلائكم في افتتاح الدورة الخامسة لمؤتمركم ، هذا المؤتمر الذي أخذ على نفسه من أول يوم

لينظر إليكم ، أكثر من مجرد نظرتنا
إله صديق ، يعنى معنا فى أفكارنا
وقضايانا ، يبحث ويناقش ، يخلص القول
ويخلص النصيحة ، إننا ننظر إليكم فوق
ذلك فى موقعكم الصحيح منا ، وهو موقع
الأخوة الإسلامية التى يشبهها رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالبنيات بعد بضعه
بمضا ، واتى يقول فيها : (مثل المؤمنين
فى توادهم وتراحمهم ولما انفكهم كمثل الجسد
الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له
سائر الأعضاء بالنحي والسهر) ، واتى يبادر
كل عضو فيها نحو منطقة العدو ، يحاصره
ويناضله حتى يقضى عليه ، لا ينتظر نداء ،
ولا يترقب توجيه ، ولا يحتاج إلى من
يبصره بخطورة العدو المشترك .

إن العدو الإسرائيلى يحاربنا حربا لها
امتدادها التاريخى ، الذى يحاول به أن يدمر
تراثنا وحضارتنا ، ويحرق مقدساتنا ويهدم
آثارنا ، ولها امتدادها الجغرافى الذى
يشمل خطوط المواجهة جميعا ، وما وراءها
من طريق الضرب فى العنق ومهاجمة مناطق
السكنى الآمنة وللصانع ، ولها امتدادها
المسكرى والإعلامى الذى يحاول به تزييف
تاريخ أرضنا ، وشموينا والقضاء على

الأمة العربية ، قياما بالواجب المفروض ،
ولأنكم صفوة من أهل رأى وقادة الفكر
فى الأمة الإسلامية ، تضطلعون بالمسئولية
التي يلقيها الإسلام على من يشغلون مراكز
القيادة والتوجيه ، وهى المسئولية التي
نملكون أهميتها فى واقع المسلمين المصرى ،
كما نذكر كون جلالها أمام الله سبحانه وتعالى .
أيها الإخوة :

إن الشعوب الإسلامية فى جميع أنحاء
العالم ، تلك التى برهنت على أصالتها بما
أبدت من إدراك صحيح ، وشعور جياش
واستعداد للتضحية والبذل والقداء ، تتجه
بأنظارها إلى جمعكم هذا ، تنتظر ما تعودت
فيكم من شجاعة الكلمة وحكمة الرأى ،
وتتوقع أن تجد فى رأيكم تأكيذا لما
فى نفوسها من أمل ، ونعززا لما تمنى
من تطهير الأرض وتحسين بيوت الله ،
وخلاس الإنسان العربى من ظلم الاحتلال
الصهيونى ، وتأمل أن تجد فى مواقفكم
ما يفتح لها الطريق إلى غايتها ، وهى إعلاء
كلمة الحق ، وتحسين الأرض وتطهيرها
واسترداد القدس الأسير ، وتحقيق النصر
الذى وعدنا الله عز وجل .

وإن شعبنا فى الجمهورية العربية المتحدة

دمه ، وصيائنه ومواقفه من الدين والعلم والحضارة ، كما تناولتم دور المسجد - نظريا وتطبيقيا - في إشعاع الهدى الإسلامى فى مجتمعتنا المعاصرة . وربطتم ذلك بدور الأزهر الخالد كجامعة ومسجد ، فى خدمة الإسلام ونشر عهده ، كما واصلتم دوس موضوعاتكم التى تستهدف تجديد الثقافة الإسلامية وتجريدها من الفضول والقوائى ، فطرختم لبحث موضوعات فى التفسير والعقيدة وفى تقنين الشريعة الإسلامية وموقف الإسلام من القضايا العالمية كالتفرقة المنصرية ، ربطا بين الدين والحياة ، وأنتم بذلك تدمجون موقف الأمة الإسلامية فى مواجهتها العامة لتحديات عصرها . فضلا عن أنكم تواصلون فى هذا الصدد رسالة المجمع الذى قدم من أحلبا فى المؤتمرات السابقة نتائج طيبة وخطا فى سبيلها خطوات ثابتة .

أبها الإخوة :

إذا كنا نجتمع اليوم من أجل دعم الكفاح ضد العدوان الإسرائيلى على البلاد العربية ، فإننا لنبحث بها تحية من الأحماق إلى جنودنا المقاتلين والمرابطين من الفدائيين ورجال القوات المسلحة . . تحية الإكبار للدور البطولى الذى يقومون

مقومات وجودنا . ولها امتدادها للوضوح الذى يشمل مجالات الحياة الاقتصادية والسياسية ، ولها امتدادها العالمى الذى يحشد فيه ما استطاع من قوى الاستثمار العالمى .. هى حرب تشمل الماضى والحاضر والمستقبل ، تحرق متبرا قديما ومعصما حديثا ، من جنودها علماء الأنار الذين يحفرون تحت للمسجد الأقصى بمخاض حفرات موهومة لا وجود لها إلا فى مطامعهم ، ومن جنودها قاذفوا القنابل بطائرات (القاسوم) .

إن هذا العدوان الممجي يمتد إلى المسجد والسكنية ، ويصطبى بناره الشيخ والقس . . وإن جنود العروبة والعقيدة ليقفون اليوم مدافعين عن تراثهم وتراث الإنمائية ، ضد سلطان الظلام الإسرائيلى ، ومن ورائه قوى الاستثمار العالمى . وإن جنودنا ليقفون فى أشرف للواقع مدافعين عن أشرف الغايات .

أبها الإخوة :

إن الاطلاع على جدول أعمال مؤتمركم يعطى الإحساس بأنكم وقد تصديتم لمواجهة العدو الظاهرة ، لم تؤجلوا التصدى لمعالجة مناطق الضعف فى أمتنا الإسلامية ، تلك التى تعطى أعداءنا قوة ليست لهم ، فتناولتم بالبحث إيمان الشباب ، ووسائل

والمسلمين . لقي ربه وهو يمد معنا لهذا المؤتمر ، فقامت إرادة الله أن يختاره إلى جواره . إنه الأخ العالم الأستاذ الدكتور محمد عبد الله العربي عضو مجمع البحوث الإسلامية الذي عرفه الجميع بخصيصة إسلامية عالية متعددة المواهب والخصيصة الهدف . رحمه الله رحمة واسعة ، وتقله في الصالحين ، وجزاء عن الإسلام وللمسلمين خير ما يجزي به علماء العاملين .

أيها الإخوة :

إن شعبنا تنتظر منا الكثير ، وننتطلع إلى قياداتها العلمية أن تبذل أقصى جهدها في ترجمة الكلمة إلى عمل مصداقاً لترجييه الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه « قل آمنت بالله ثم استقم » ليكون من وراء الجهود المخلصة الثؤمنة على الصعيد الإسلامي العالمي ما يعين على استرداد أرضنا ومقدساتنا السليبية ، والقضاء على المدوان الصهيوني ، والتغلب على قوى الاستعمار التي تمحرك ، ونصرة ديننا في معركة المصيرية المادلة ، ضد أعظم تكتل عدواني تواجهه في تاريخه المديد وما النصر إلا من عند الله ، إن الله عزيز حكيم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

د . عبد الميرز كامل

به من أجل ديننا الحق وشعبونا ، ونسأل الله أن يكون لتبعضات فكرنا وخطبات أفئدتنا شرف المشاركة في تحقيق الهدف الذي يقدمون له قطرات دماهم الطاهرة الزكية . وبعثنا دعوة إلى ربنا أن يتقبل شهداءنا في مستقر رحته .. أولئك الأبطال الذين وقفوا على الموت في خطوط المواجهة ، ويقع عليهم الموت في الدور والمصانع وهم يعملون مخلصين من أجل حياة أفضل .

أيها الإخوة :

لم يمر وقت طويل منذ انعقاد مؤتمر الأول ، ولا تزال كلمة السيد الرئيس جمال عبد الناصر التي وجهها إليكم في ذلك المؤتمر ، هي النداء الذي يطيب لنا أن نستميده « سبروا على بركة الله ، وليكن هذا المؤتمر هو البداية لجمع كلمة للمسلمين على الخير والعمل من أجل السلام . . السلام القائم على الحق والعدل ، السلام الذي نصاب به المبادئ وتزدهر الأرض ، وتحفظ الكرامة » .

أيها الإخوة :

قبل أن أترك مكاني هذا أذكر معكم أننا كريمنا وأستاذنا جليلاً ظل يحمل قلبه في يده ، وإيمانه في قلبه ، وعلمه في عقله ، وكلمة الحق على لسانه ، من أجل الإسلام

مع بحوث المؤتمر مرتبة حسب الألفاظ :

المجاهد بالمال في نظر الإسلام

تفضيلة الأستاذ الدكتور محمد عبد المتكليم

عضو الجمع

بسم الله الرحمن الرحيم :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام
على سيدنا محمد سيد المرسلين ، وإمام
المجاهدين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد :

فإن للؤمن إذا اكتمل إيمانه آمن بالله
حق الإيمان ، وآمن بالخير والحق والعدل
والحرية والسواة ، إذا آمن بالتماليم
الإلهية التي تدعو إلى إحقاق الحق وإبطال
الباطل ، تمثل هذا الإيمان للكين صملا
صالحا في أن يجب للؤمن نفسه للجهاد
في سبيل الله ، لتكون كلمة الله هي العليا ،
ويسود الحق والعدل ، وليتقضى على
الباطل والظلم .

وللؤمنون لا يقبلون الضيم ، ولا يرضون
عن الباطل والظلم ، ولا يدخرون في سبيل

الدفاع عن حقهم وحق الآخرين في الحياة
الحرة الكريمة التي منحها الله لمساواة
وسوام فيها ، لا يدخرون في سبيل ذلك
جهدا ولا وسعا ، ويعتبرونه رسالتهم
في الحياة ، يؤدونها في رضا هس وعن
طيب خاطر ، وإن كلفهم أداؤها بذل
النفس والمال .

وهذه هي الروح للؤمننة الخيرة ،
الحرة الكريمة في البذل ، الآية القوية ،
التي إذا اكتملت لإنسان أصبح أفضل
الناس ، وإذا سادت في جماعة أصبحت
سيدة الجماعات ، وهي الروح الإسلامية
الحقة ، التي يعمل الإسلام لحياتها بين
البشر حتى تعود مبادئ الخير والحق
والعدل والسلام .

ولهذا كان الجهاد عبادة ، بل أعلى مراتب

الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله :

ولقد دعا الإسلام إلى الجهاد في سبيل الله
أبلغ دعوة وآكدها، وحث المؤمنين على
أدائه والقيام بحقه في صور متعددة
وبأصاليب مختلفة ، وكان مصدر اهتمام
الإسلام بالدعوة إلى الجهاد إلى هذا الحد
هو أن الجهاد فيه حياة الأمم وأنه يحفظ
الحقوق والنظم السليمة .

ومن الصور البليغة المؤثرة في الدعوة
إلى الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال
تلك الصورة التي نرى على المؤمنين زمامهم
ومشاعرهم، وتشير في نفوسهم الحمية والشجاعة
وتجملهم يتسابقون إلى البذل والتضحية
جهادا في سبيل الله وامتنالا لأمره وحبا
في الله ورسوله ، تلك الصورة التي وردت
في قوله تعالى : « ما كان لأهل المدينة ومن
حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول
الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك
بأنهم لا يصيبهم غم ولا نصب ولا غمعة
في سبيل الله ولا يظنون موطنًا يعطي
للكفار ولا ينافون من عدو نبلا إلا كتب
لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر
المحسنين ، ولا ينفقون نفقة صغيرة

العبادة في الإسلام إذاً جهاد المؤمنين الراضين
بالبذل في سبيل الله فيه تهذيب لنفوسهم
وصقل لها ، وارتقاء بها إلى أعلى مراتب
القربى من الله ، وقد ورد عن أبي هريرة
رضي الله عنه أنه قال : قيل يا رسول الله
ما يمدد الجهاد في سبيل الله عز وجل ؟
قال : لا تستطيعونه فأماحوا عليه مرتين
أو ثلاثا ، كل ذلك يقول لا تستطيعونه ،
وقال في الثالثة : « مثل الجهاد في سبيل
الله كمثل الصائم القائم بآيات الله
لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع
المجاهد في سبيل الله » ولقد قال الله
في كتابه الكريم : « ومنزل الله المجاهدين
على الفاعدين أجراً عظيماً ، درجات منه
ومغفرة ورحمة ، وكان الله غفورا
رحيماً » (١) .

ولا يحسن أحد من الناس أن الجهاد
في سبيل الله لا يكون إلا في ميدان القتال
فكل معونة يقدمها المسرة للمجاهدين
في الميدان ، فهي جهاد في سبيل الله ، وكل
إعداد وأهبة يمددها الفرد أو الأمة مقدما
لجهاد إذا همى الدامي للقتال ، فهي جهاد
في سبيل الله .

لأن الإيمان يقتضى من المؤمنين أن يكون
حبهم لله ورسوله أشد من حبهم لأنفسهم
وأن يضحوا بأرواحهم فداء لرسول الله .
ويقول الأوزاعي وعبد الله بن المبارك
وغيرهما من كبار التابعين : هذه الآية
للمسلمين جميعا إلى أن تقوم الساعة ،
بمعنى أن التخلف عن أداء واجب الجهاد
مع ولي أمر المسلمين وقائدهم يعتبر خروجا
على تعاليم الإسلام ورغبة عن سنة الرسول
وعن التأسى به عليه السلام ، إذ أن من
تعاليم الإسلام ومن سنة الرسول جهاد
الأعداء للمعتدين في كل عصر وفي أى حال
لله يوم الدين .

وبهذا يؤكد الله سبحانه وتعالى
في الآيتين وجوب الجهاد في سبيل الله
بالنفس والمال ويحذر من التخلف عن
المخرج جهادا مع الرسول عليه السلام أو
مع قائد المسلمين حينما يهاجم الأعداء
ويستندون عليهم وعلى أوطانهم ومقدراتهم
وفي حرمانهم وحقوقهم .

ثم بين الله تعالى ما أعد سبحانه لعباده
للمؤمنين المجاهدين من مشقة كبرى ومن
جزاء حسن ، من كل ما يبذلون في سبيل
الله ومن كل ما يصيبهم من مشقة من عطف

ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم
ليجزئهم الله أحسن ما كانوا يعملون ^(١) .

ففي هاتين الآيتين ينمى الله على الدين
تخلفوا عن الخروج للجهاد مع الرسول
عليه الصلاة والسلام في غزوة تبوك من
أهل المدينة ماصمة الإسلام ومقر الرسول
عليه السلام ومن حولهم من قبائل العرب
ينمى عليهم تخلفهم ، ويبين لهم أن التخلف
عن الرسول في الخروج إلى الجهاد جريمة
كبرى عند الله ، فالتخلف عن الجهاد في نفسه
جريمة يعاقب الله عليها ويحذر منها ، وهو
إذا كان تخلفا عن الجهاد مع الرسول ازداد
نكرا ، وكبر عند الله إثمًا ، لأن معناه
حينئذ أن المتخلفين من الجهاد من المسلمين
يفضلون أنفسهم على نهي الرسول
بصونها عن المشاق ويحفظها من التعرض
لأخطار الجهاد في الوقت الذي خرج فيه
الرسول مجاهداً في سبيل الله ، مستهيناً
بما يشهده من مشقة أو يحل به من خطر
في سبيل الله .

وليس هذا الموقف مما يليق بالمؤمنين
ولا بما يلتقي مع الإيمان بالله ورسوله

[١] التوبة ١٢٠ ، ١٢١ .

والله تعالى يقول : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون » (١) .

وفي آية أخرى يتحدث الله عن المؤمنين الذين بلغوا درجة الكمال في الإيمان ، فباعوا الله أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة وجاهدوا في سبيل الله .. سبيل الحق والمثل الموصلة إلى مرضاته تعالى ، فيبذلون أنفسهم وأموالهم في هذه السبيل ، يزلون ميدان الجهاد بشجاعة وقوة ، فيكونون إما فائزين لأعداء الله الصادقين من سبيله المعتدين على حرمانه ، منتصرين عليهم وإما مقتولين شهداء في سبيل الله فائزين بالشهادة وبأجرها العظيم عند الله .

فيقول الله تعالى في شأن هؤلاء المؤمنين المجاهدين : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وهذا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بهذه من الله فاستبشروا بيمينكم الذي بايتم به وذلك هو الفوز العظيم » (٢) .

[١] المجاهدات ١٥

[٢] التوبة ١١١

أو تعب أو جوع أو غير ذلك من معقات الجهاد ، ومن يذل الأموال جهادا في سبيل الله ومن مدافعة الأعداء وفهرهم والانتصار عليهم « ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يبطئون موثقا ينيظ الكفار ولا يبالغون من عدو ييلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين . ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون » .

الجهاد في سبيل الله أفضل ثمرات الإيمان وأقوى دليل على صدقه :

ألا وإن الجهاد في سبيل الله يذل النفس والقال لإهلاء لكلمة الله ودفاعا عن الحقوق وعن الحرمات التي أمر الله بحفظها والدفاع عنها وب حمايتها من اعتداءات المعتدين ، إن هذا الجهاد ثمرة من ثمار الإيمان بالله ورسوله والإيمان بما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام ، بل هو أفضل ثمار الإيمان وأكدها دلالة على قوته وعلى تمكنه من نفوس المؤمنين فمكنا يدفعهم إلى التساق في بذل دنائهم وأموالهم في سبيل الله وهم راضون وانفقون بما وهبهم الله به من النصر وبما أعده لهم من النعيم المقيم

الجهاد بالمال واجب دائما وفي كل حال :

وإذا كان الله قد أمرنا، معشر المسلمين أن نجاهد في سبيل الله بأموالنا وأنفسنا عملا بقوله تعالى : « اخرجوا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله فلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » ^(١) وإذا كان الجهاد في سبيل الله يرتكز على دعامتين اثنتين - الجهاد بالنفس والجهاد بالمال - إذا كان الأمر كذلك فإن الجهاد بالنفس له وقت معلوم فهو لا يكون إلا عند مباشرة القتال ، وهو لا يصبح فرض عين على كل قادر عليه من المسلمين إلا عند النفير العام ، حينما يعتدّى المعتدون علينا وعلى أوطاننا ، أما الجهاد بالمال على المقتدرين من أبناء الأمة الإسلامية فهو واجب على الدوام وفي جميع الظروف والأحوال ، لأن إعداد القوة والاستعداد والتهيؤ لمداومة الأعداء وصد المدوان أمر واجب على الدوام وفي جميع الأحوال ، وهو لا يتم إلا بذل الأموال وإنفاقها جهادا في سبيل الله ، والله سبحانه وتعالى يقول : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن

قوة لاء المؤمنون حق الإيمان المجاهدون في سبيل الله كرمهم الله هذا التكريم ، وأنهم على بذل أنفسهم في سبيله يتمليكهم الجنة دار النعيم المقيم والرضوان الدائم لطفًا منه تعالى وكرما ، وتكريما لعباده المؤمنين المجاهدين ، فهم يجاهدون ويقاتلون في سبيل الله ، لا حبا في سفك الدماء ، ولا رغبة في اغتصاب الحقوق والأموال ، ولا سعيًا إلى ظلم العباد وقهرهم وإخضاعهم للأهواء والشهوات كما يفعل المعتدون الظالمون ، كرم الله عباده المؤمنين المجاهدين في سبيله هذا التكريم وتحصل سبحانه فأعطى على ضمة العهد المؤكدة في كتبه المنزلة في التوراة والإنجيل والقرآن « ومن أوفى بعهده من الله » ، وهذه هي البشري العظيمة التي يجفد بالمؤمنين المجاهدين أن يفرحوا بها وأن يستبشروا « وذلك هو الفوز العظيم » الذي لا يتناغم ولا يبداهه فوز ، هذا فوق ما عهد الله به عباده المؤمنين المجاهدين العاملين بمبادئ الإسلام من النصر المؤكد « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » ^(١) .

قهر من جملة القوة المطلوب إعدادها بأقصى قدر استطاع ، ولا يتم شيء من هذا إلا عن طريق الجهاد بالمال بهذا الأموال وإنفاقها في سبيل الله .

كذلك يطلب الله إلى عباده المؤمنين في هذه الآية اليقظة الدائمة والحذر والمسل على حفظ الثغور والحدود والمراقبة وللرابطة فيها ووضع الحاميات من الجند بها حتى تكون على استعداد دائم للحماية أنفسنا وأوطاننا وحتى لا تؤخذ على غرة ولا نمكن العدو من أن يفاجئنا بما نكره وإذا تم لأمتنا إعداد القوة على هذا الوجه كان ذلك سبباً لإرهاب الأعداء ، الجاهرين منهم بالعداوة وللتخفيين الأمر الذي يجلبهم يتهيبون حربنا والاعتداء علينا ، والذي يمكننا بعون الله من قهرهم وغلبتهم إذا بدءوا بالقتال .

وإعداد القوة على الوجه المطلوب يحتاج كما ذكرنا إلى الجهاد بالمال وبذلك وإنفاقه في سبيل الله لتجهيز الجيوش وإمدادها بالأسلحة اللازمة وأدوات الحرب المطلوبة وهذا واجب المسلمين والمواطنين جميعاً ، الذي يطلب الله إليهم أدائه وعدم التأخر به والجزاء الأوفى على الوفاء به .

[٢]

رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون ، (١) .

وبذلك يأمر الله عباده المؤمنين أسراً صريحاً قاطعاً بأن يأخذوا الأهبة ، وبأن يمدوا العدة والقوة اللازمة لحرب الأعداء وقهرهم ما استطاعوا ، ما دامت الحرب الوقائية أسراً لازماً لا مندوحة عنه لدفع العدوان والفساد ، وحماية الأوطان والأرواح ، والمعتقدات والمقدسات والأموال والحرمان .

وإعداد القوة يكون بإعداد الجيوش اللازمة وتدريبها وإمدادها بكل ما يلزمها ويرفع مستواها الحربي ، وإعداد كل وسائل القوة الحربية من الأسلحة المختلفة اللازمة لحرب العدو وقهره برا وجوا وبحرا بما يناسب العصر وبلاحق التطور السريع في فنون الحرب وأسلحته ومخترعاته ، فالأمر بإعداد القوة في الآية أمر عام يشمل كل ما يتقوى به على حرب العدو وقهره ، فكل ما هو آلة لغزو والجهاد

[١] الأنعام : ٦٠ .

ولمنا عقب الله على الأمر بإعداد القوة حسب الاستطاعة والمراعاة في سبيل الله وحشد الحاميات في الثغور وعلى الحدود وأخذ الأهبة والحيلة ، عقب الله على الأمر بهذا بالدعوة إلى الإنفاق في سبيل الله والترغيب فيه فقال : « وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم إلىكم وأتمم لكم ثوابكم » أي ومما تنفقوا أي الثمنون من شيء في سبيل الله أي كان هذا الشيء ، تقدأ كان أو غير هذه ، قليلا كان أو كثيرا في إعداد القوة للطلب إليكم إعدادها وفي الرابطة في سبيل الله يصطكم الله جزاء ما أنفقتم وأفيا تاما ، لا ينقصكم منه شيئا ، بل سوف يضاعف الله شهيد منكم في سبيله المثوبة و لأجر في الدنيا والآخرة ، فينصرهم على أعدائهم وينصر الحق على أيديهم وسيدخر لهم الأجر العظيم والتميم للقيم في الآخرة .

أعددا ما استطعنا من القوة ، وكلما كنا على أهبة وبقطة كلما فت ذلك في عند الأعداء ولعلمهم يرددون في مهاجتنا والاعتداء علينا ويحسون ذلك ألف حساب وإن هم اندفعوا بمد ذلك في طريق المدوان وابتدعوا بالحرب كنا لهم بالمرصاد ، واستطعنا بإيماننا وبمدتنا وقرتنا التي أعددها أن نتصر عليهم ونهزمهم وزددم على أعقابهم خاسئين ، والذي لا شك فيه كذلك أن إعداد القوة الذي أمرنا الله به ، والذي لا يتم إلا بإعداد الجيوش وتدريبها وإمدادها بكل ما يلزمها من العتاد والأسلحة بأنواعها المختلفة ، وغير ذلك مما يلزم الجيوش الحديثة على الوجه المطلوب ، الذي لا شك فيه كذلك أن إعداد القوة على الوجه الذي أمرنا إليه يحتاج إلى الأموال الكثيرة والنفقات الطائلة ، الأمر الذي يوجب على جميع أفراد الأمة الجهاد بالمال وبذل ما يمكن للإعداد المأمور به في الآية فإنهم قصروا في ذلك ولم يبذلوا الأموال اللازمة للجهاد طوعا ، كان على ولي الأمر أن يتخذ من الإحراءات ما يلزم به للمقتدرين بذل الأموال الكافية والنفقات التي لا بد منها لإعداد القوة للملاوية .

على هذا النحو وبهذا الأسلوب المعجز يرغب الله عباده لأؤمنين في الإنفاق في سبيل الله وفي الجهاد بالمال لإعداد القوة حسب الاحتطاعة ولسد ثغرات للرابطة في سبيل الله حماية للحق وأهله من بني أهل الباطل وظلمهم ، والذي لا شك فيه أنه كلما

لهم في النهاية ، وأن الله معهم ، فهو ناصرهم ومؤيدهم بلا ريب ما داموا على الحق ومع الحق ، ومن كان الله معه فلن يخلبه شيء ، وإذن ، تقبها أيها المؤمنون « فلا تنهوا وتدهوا إلى السلم وأنتم الأملون والله معكم ولن يتركم أعمالكم » (١) .

ثم عقب الله بعد ذلك بهذه الدعوة الحارة إلى الإنفاق في سبيل الله وإلى الجهاد بالمال ، وحذر المؤمنين من التقصص من المبادرة إلى القيام بهذا الواجب المقدس ، ومن التقصير في أدائه ، مبينا لهم أن هناك طائفة من ضعفاء الإيمان تجنح إلى البخل من تقصير وسوء تقدير ، وهي طائفة عن أن البخل والإسكاف عن الإنفاق في سبيل الله وعن الجهاد بالمال سوف يمود حتما على البعلاء والمقصرين أنفسهم دون غيرهم قاله حينما يدعوهم إلى البذل والإنفاق إنما يدعوهم إلى ما ينفعهم ويدفع الضر عنهم حيث إنهم حينما يستجيبون ويجهادون بأموالهم في سبيل الله فهم بذلك إنما يدافعون عن أنفسهم وعن حقوقهم ، وعن كرامتهم وشرعهم ، وهم بذلك أيضا يضمنون أنفسهم في الموضع الكريم الذي يقوم بأداء الرسالة التي كلف الله بها

دعوة المؤمنين إلى الجهاد بالمال والإنفاق في سبيل الله :

وفي هذا الأسلوب الحازم القوي المعجز يوجه الله الخطاب إلى صاده المؤمنين ويدعوهم إلى الإنفاق في سبيل الله وإلى الجهاد بالمال فيقول : « ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فنسكم من يخل ومن يخل فإنما يخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » (٢) .

ولقد جاءت هذه الآية الكريمة في أعقاب آيات أخر طلب الله فيها إلى المؤمنين أن يجاهدوا في سبيل الله وأن يطيعوا الله ورسوله وأن يسيروا قدما في أداء الواجب بأمانة وإخلاص ، كما طلب إليهم ألا يضعفوا عن حماية الحق ولا عن الدفع عن أنفسهم وعن حقوقهم وحرمتهم وألا يعطوا الدنية من أنفسهم ، فيستسلموا للأعداء ويقتصروا في الجهاد في سبيل الله مهما كانت الظروف المحيطة بهم ، فعليهم أن يتشجعوا ويصبروا ، وأن يستبسلوا في الجهاد ، ويضعوا نصب أعينهم دائما أنهم الأملون بحقهم وإيمانهم ، وأن الغلبة

فتكون لهم عاقبة الدار ، وصديق الله العظيم : « وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » .

الهدوة إلى الإنفاق في سبيل الله للفترة بالتحذير من التخلف :

وفي أسلوب آخر يقرن الله الدعوة إلى الإنفاق في سبيل الله ، وإلى الجهاد بالمال بالتحذير الجاد الحازم من التقصير في القيام بهذا الواجب الحيوي ، فيقول تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع للتقين ، وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين » ^(١) ، ففي هذا المقام أمر الله عباده المؤمنين أولا : بألّا يعضوا العدوان من أنفسهم ، وأن يردوا الاعتداء بمثله ، ردما للمعتدين ، وحماية لحقوق والأموال والأنفس والأوطان ، ومنعاً للفتنة ، وحفظاً للنظام العام والسلام .

ثم لما كان القتال والجهاد بالنفس متوقفاً على الجهاد بالمال ، عقب الله على ذلك بأمرهم بالإنفاق في سبيل الله جهاداً منهم بأموالهم لإعداد القوة التي يجب عليهم أن يمدوها

[١] البقرة : ١٩٤ ، ١٩٥ .

عباده المؤمنين ، رسالة الإصلاح والحق والحرية والسلام ، رسالة الإسلام .

لأنه لا يريد هذه الدعوة إلى الإنفاق في سبيل الله إلا مصلحة المنفقين وخيرهم وحدهم ، لأنه ليس بحاجة إلى أحد ، وهو الغنى عن العباد ، فهو مالك للكل ومدبر الأمر ، وهو القاهر فوق عباده وهو الرزاق ذو القوة المتين ومن يبخل فإنه يبخل عن نفسه والله الغنى وأتم الفقراء .

ثم وجه الله الخطاب بهذا إلى أولئك للتقصيرين محذراً لهم مبيناً أنهم إذا أمرضوا عن الإيمان والتقوى وإن قصروا في أداء حقهما ، وإن تقاصروا عن تلبية الدعوة إلى الإنفاق في سبيل الله والجهاد بالنفس والمال ، فإنه قادر على أن يبدل دواتهم وينهى أمرهم فهذه هي عاقبة من يمرض عن ذكر الله وعن طاعته ومن يقصر في الدخاع عن نفسه وعن الحق الذي يؤمن به والله سبحانه بعد هذا قادر على أن يجعل مكان التقصيرين بصد القضاء عليهم قوما آخرين يلمنونوا بشهو برسالاته ، ويطيعون أوامره الله لينصرون الحق ويحاربون الظلم وأهله ويقضون على الفساد والمعتدين ، ويجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم

أنفق ولو عقالا ولا تلق يدك إلى التهلكة
فتقول : ايس هندي شيء ، ثم يسبق
القرطبي بسد كلام طويل فيقول : أي
إن لم تنفقوا عصيتم الله وهلكتم .

وعلى هذا النحو فهم الآية وفسرها
الصعالي الجليل أبو أيوب الأنصاري
رضي الله عنه الذي قضى حياته كلها مجاهدا
في سبيل الله ، فقد روى الترمذي عن يزيد
ابن أبي حبيب عن أسلم أبي حمران ، قال :
كنا بمدينة الروم (بقصد مدينة
القسطنطينية عند مهاجرة المسلمين لها على
عهد معاوية رضي الله عنه سنة ٤٩ أو سنة
٥٠ للهجرة على اختلاف في الرواية) ،
فأخرجوا إلينا صفا عظيما من الروم ،
فخرج إليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر ،
وعلى أهل مصر عقبة بن ماسر ، وعلى
الجماعة فضالة بن عبيد ، فحمل رجل (١)

لمنازلة الأعداء وقتال المعتدين وحذرهم
من ماقبة التقصير في القيام بهذا الواجب
مبيناً لهم أن تقصيرهم في الإنفاق في سبيل الله
وفي الجهاد بالمال إنما هو إلقاء منهم بأيديهم
إلى التهلكة ، وذلك أن إمساحهم عن
الإنفاق في الاعتماد لقتال يضاعف جالهم
ويزيد الأعداء قوة ويمكنهم من نواصيهم
فيهلكون

فعل للؤمنين إذن أن يحفروا ماقبة
التقاعس عن الجهاد بالمال ، وأن يجيبوا
داعي الله فيبادروا إلى الإنفاق في سبيل الله
وعليهم أيضا أن يثمروا الأموال وينموها
ليكونوا دائما على اعتماد لأن ينفقوا
في سبيل الله ، فهم إذا لم يبذلوا في سبيل الله
وتأييد دينه ، وفي سبيل الحق والدفاع
عنه كل ما يستطيعون من ماله واستعداد
فقد أهلكوا أنفسهم على ما بينا .

ويقول القرطبي في تفسير هذه الآية
شارحا معنى التهلكة : « وقال حذيفة
ابن اليمان وابن عباس وعكرمة وعطاء
ومجاهد وجهور الناس : للمنى لا تلقوا
بأيديكم بأن تركوا النفقة في سبيل الله ،
وتخافوا العيلة (أي الفقر) ، فيقول الرجل
ليس هندي ما أنفقه ، ويقول السدي :

[١] ولعل هذا الرجل هو عبدالغزير بن زبارة
الكلابي ، حيث يروي ابن الأثير في هذا المقام في
أحداث سنة ٤٩ للهجرة عند مهاجرة المسلمين
للقسطنطينية على عهد معاوية رضي الله عنه ، فيقول :
« قاتل المسلمون والروم في بعض الأيام واهتدت
الحرب بينهم فلم يزل عبد الغزير بن زبارة الكلابي
يخبر عن الشهادة فلم يجهل فأتى يقول :
قد مشى لي الدهر أطواراً على طرق
حتى صادفت منها اللين والبعضا =

منه في نظر الإسلام ، من حيث إنه الأساس للإتفاق في سبيل الله ، ولقضاء ما يتطلبه الصالح العام ، وهو كذلك الأساس لإعداد القوة التي يطالبنا الله بها فقوى الدول على قدر ثروتها ، ومن هنا فإن الأمة التي تقصر في توفير ثروتها وتسميتها هي التي تلقى بأنفسها إلى الهلكة ، والأمة التي تقصر في الإتفاق في سبيل الله للاحتعداد لقتال من يعتدى عليها تكون أدنى إلى الهلكة ، ومع هذا فلا تروء مع الظلم واعتداء للمعتدين الذين لا يمكن للمعتدى عليه أن يردم ويردعهم .

أما قول الله تعالى في آخر الآية : « وأحسنوا إن الله يحب المحسنين » فهو أمر بالإحسان على عمومته ، أي وأحسنوا كل أعمالكم وأتقنوها ، فلا تقصروا ولا تتركروا إتقان شيء منها ، ويدخل في ذلك بالأول التطوع بالإتفاق وبذل المال جهاداً في سبيل الله .

مضاعفة الأجر للمفتقرين في سبيل الله : وفي قوله تعالى : « وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله جميع عليهم من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه

رجعون » من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس وقالوا : سبحان الله ! يلقي بيديه إلى الهلكة ! فقام أبو أيوب الأنصاري فقال : يا أيها الناس ! إنكم تتأولون هذه الآية هذا التأويل ، وإنما أزلت هذه الآية فينا معاشر الأنصار لما أهرق الله الإسلام ، وكثر ناصروه ، فقال بعضهم لبعض سراً دون رسول الله ﷺ ، إن أموالنا قد ضاعت وإن الله قد أهرق الإسلام ، وكثر ناصروه ، فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها ؟ فأنزل الله على نبيه ﷺ يرد علينا ما قلنا « وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى الهلكة » ، يقول أبو أيوب رضي الله عنه : فكانت الهلكة الإقامة على أموالنا وإصلاحها وتركنا الغزو فما زال أبو أيوب شاخساً في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم رضي الله عنه وأرضاه .

وزيد صاحب النار الأمر بيانا ، فيبين أن إصلاح الأموال واستثمارها أمر لا بد من كل بلوت فلا التها بظروني ولا تخففت من ولائها جزءا لا يول الأمر مدري قبل موته ولا أشتي به فردا إذا رحل ثم حل على من يليه فقال بهم : وانفس بينهم ففسجرو الروم « أي طعنوه » برماهم حتى قتلوه رحمه الله .

فيُنزل بهم عقابه الذي ينزل بالمقصرين
والمخادعين .

ثم يطلب الله ثانياً إلى عباده المؤمنين
الإلتحاق في سبيل الله والقيام بأداء النفقات

التي يطلبها القتال اجتهداً منهم في سبيل الله
بأموالهم ، يطلب الله إليهم هذا ويحسمهم
على القيام به في أسلوب من الترغيب بلغ
حد الروعة والإعجاز فيقول معقبا على
الأمر بالقتال في سبيل الله : « من ذا الذي
يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً
كثيرة والله يقضو ويبسطو إليه ترجعون »
فطلب سبحانه الإلتحاق في سبيل الله والجهاد
بالمال بذلك الأسلوب الذي يحفز الهمم
ويجعل المؤمنين يتسابقون إلى تلبية
الطلب ، طلبه بأسلوب الاستفهام تطلقاً
منه بعباده وبياناً للأهمية ولم يطلب بصيغة
الأمر المجرد ولا بصيغة الأمر المقرون
ببيان الحكمة والتثنية إلى الثالثة ، كما
افتضى المقام ذلك في مواضع أخرى .

كذلك جعل الله البذل والجهاد بالمال
بمثابة الإقراض له ، وهو الذي عن العالمين ،
الذي له ملك السماوات والأرض وما بينهما
وبنه القرطبي في هذا المقام :

ترجعون » (١) . في هاتين الآيتين يطلب
الله إلى عباده للمؤمنين أسرى هامين يرتبط
بهما حفظ وجود الأمم ودوام استقلالها
وصيانة عزتها وكرامتها .

يطلب إليهم أولاً أن يقاتلوا في سبيل الله
لإعلاء كلمة الله وتأييد دينه ونشر دعوته
ولمداغمة المعتدين ولصيانة الأنفس
والخقوق والأموال ولأوطان والحريات
والمقدسات من أن يعتدى عليها فكل
هذا جهاد وقتال في سبيل الله يأمرنا الله به
ويفرضه علينا ويربط الله طلب القتال في
سبيل الله بتذكير المؤمنين وتحذيرهم
حزناً لهممهم وعوناً لهم على أداء الواجب
فيقول : « واعلموا أن الله صميع عليم »
فيذكرهم بأن الله لا تخفى عليه خافية ،
فهو رقيب على عباده يسمع ما يقولونه
ويسلم حقائق الأمور والأعمال والنوايا
كما يعلم السر وأخفى ، فعمل عباده المؤمنين
أن يذكروا هذا دائماً حتى يمينهم ذلك
على امتثال أوامر الله وأداء ما أوجبه
عليهم دون تقصير ولا تأخير ، وهذا
أيضاً يحذر الله المؤمنين من أن يقصروا

إلى سبعة ضعف أكثر ، والآية تقول :
« فيضاعفه له أضعافاً كثيرة » وهذا
لأنها له ولا حد .

ويجدر بنا أن نوضح أن المضاعفة
إلى أضعاف كثيرة هي وعد الله بها المنفقين
في سبيله تكون في الدنيا أيضاً كما تكون
في الآخرة ، فإن المجاهد يبذل المال
والنفس في سبيل الله لتكون كلمة الله
هي العليا ولتعزيز مكانة الأمة ولحفظ
حقوقها وكرامتها ولصد الأعداء المعتدين
والدفاع عن الأوطان والمقدسات يكون
بذلك في الواقع ونفس الأمر مدافعا عن
نفسه وأهله وحافظا لحقوقه وحقوقهم ،
وفي ذلك ما فيه الخير الكثير ومن مضاعفة
الجزاء الحسن في الدنيا للمنفقين في سبيل الله
على ما أنفقوا أضعافاً كثيرة دون تحديد
« والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » .
وما أصدق صاحب المنار حيث يقول
في تفسير الآية : « نوسرنا في الأرض
وسرنا أحوال الأمم الحاضرة وحرفنا
تاريخ الأمم الغابرة رأينا كيف ماتت
الأمم التي قصرت في هذه الفريضة أو
استعبدت ، وكيف عزت الأمم التي سمرت
فيها وسعدت ، وهذه المضاعفة الهائلة

إلى أن التعبير عن الإغناق في سبيل الله
بالإفراض إنما هو تأنيس وتقريب للناس
بما يفهمونه ، والله هو الغني الجيد ،
ولكنه تعالى شبه عطاء المؤمن في الدنيا
بما يرجو به الثواب في الآخرة بالقرض ،
كما شبه إعطاء النفوس والأموال في مقابل
أخذ الجنة بالبيع والشراء ، بمثل ما جاء
في قوله تعالى في سورة التوبة : « إن الله
اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم
بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلوه
ويقتلون وعداً عليه حقا في التوراة
والإنجيل والفرآن ومن أوفى بعهده من الله
فاستشروا بيحكم الذي يابئكم به وذلك
هو الفوز العظيم » (١) .

وأيضا فإنه لم يكتف سبباًه بتسمية
الإفناق في سبيل الله إقراضاً ، ولا بالتعبير
بصفة الاستفهام حتى قال : « فيضاعفه له
أضعافاً كثيرة » فصرح بأنه سوف يجزل
العطاء الكثير للمنفق ، وأنه لا يرد له
مثل ما أنفق فقط كما هو الشأن في الإفراض ،
بل سوف يعطيه أضعافاً مضاعفة من غير
تحديد ، ويقول القرطبي : « إنه ورد
في الخبر « النفقة في سبيل الله تضاعف

لوجه الكريم بعيدا عن الرياء ، وبحيث يكون على الوجه المشرق من إقامة الدين وحفظ مصالح المسلمين ، بل ومصالح البشرية جميعها وبالطريق الذي يقرره الإسلام ، يرشد الله عباده الذين آمنهم عليهم بفضل من النعمة والمال ، ويهديهم إلى ما ينفعهم في الدنيا والآخرة ، فيطلب اليهم أن يذلوا مما رزقهم من الأموال في الجهاد في سبيل الله وفي المصالح العامة التي فيها مصالحهم الخاصة ، وفيها صلاح أحوالهم وحفظ شرفهم والقطع عن حقوقهم وكراسهم وأوطانهم واستقلالها ، يرشدهم إلى أن ينفقوا في سبيل الله ، وسبيل الله كثيرة ، وأعظمها الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا .

ومما يحذر الإشارة إليه وتسجية في هذا المقام ذلك الموقف الرائع المنبئ عن الإيمان العميق بالله ورسوله وبما جاء به الرسول من عند الله وبالعالمين ، ذلك الموقف الذي وقفه الصحابي الجليل أبو السداح ، حيث يقول القرطبي عند تفسير الآية : وقال زيد بن أسلم : لما نزل قوله تعالى : « من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا » قال أبو السداح : فذاك أبي وأبي بارسول الله ! إن الله يستقرضنا وهو

تكون لكل أمة أقامت هذه السنة الإلهية في حفظ بيتها وإعزاز سلطانها .

فعل المسلمين أن يجيبوا داعي الله وأن يبادروا إلى الإنفاق في سبيله وعليهم أن يتدبروا هذه الآية التي لو أزلت عن جبل لرأبته غاشقا متصدعا من خشية الله والحياة منه .

ثم يختم الله تلك الدعوة المؤثرة إلى الإنفاق في سبيل الله بما يشجع المؤمنين على الاستجابة إليها ، فيذكرهم ويحذرهم ، فيقول : « والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون » فليعلموا إذن أن يذكروا دائما أن الأمر كله بيد الله فليس حظه للأغنياء على الإنفاق في سبيل الله من حاجة به أو عجز منه سبحانه وتعالى ، كلا ! بل هي هداية الله للإنسان إلى طريق الفكر على النعم بما يحفظها ويؤدي إلى المزيد منها ، فعلى أول النعمة واليسار من عباد الله أن يتدبروا هذا ويذكروه ، وأن يعلموا أن مصيرهم ومرجعهم إلى الله وأنه سيجزي كلا بعمله ، إن خيرا فخير وإن شرا فشر .

فالله سبحانه بحسنه وقضه يرشد عباده للمؤمنين بهذا الأسلوب المعجز من الترغيب إليه أن يقرضوا الله قرضا حسنا خالما

الإرتفاع بمستوى الإلتحاق في سبيل الله
إلى مستوى الإيمان بالله ورسوله مع ذكر
الدواهي الحازمة على الإلتحاق :

وفي سورة الحديد يقول الله تعالى :
 « آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْقَضُوا مَا جَعَلَكُمْ
 مِثْقَلِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأُشْقُوا
 لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ، وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
 وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِهِمْ وَقَدْ
 أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ، هُوَ
 الَّذِي يَنْزِلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ
 مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَعَوِفٌ
 رَحِيمٌ ، وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي
 مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلْ أُولَئِكَ
 أَكْثَرُكُمْ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ
 وَقَاتِلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى وَاللَّهُ بِمَا
 تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ » (١) .

ففي مستهل هذه الآيات الكريمة نمت
 الدعوة إلى الإلتحاق في سبيل الله وإلى الجهاد
 بالمال في أسلوب يرتفع بمستوى الإلتحاق
 للطُلوِب فيضحه في مستوى الإيمان بالله
 ورسوله فتتقرن الدعوة إلى الإيمان بالله
 ورسوله بالدعوة إلى الإلتحاق في سبيل الله

[١] الحديد ٧، ٨، ٩، ١٠ .

غنى عن القرض ؟ قال الرسول عليه الصلاة
 والسلام : « نعم يريد أن يدخلكم الجنة به »
 قال أبو الدحداح : فإني إن أقرضت ربي
 قرضاً يضمن لي به ولصبيتي الدحداح معي
 الجنة ؟ قال له الرسول : « نعم ؟ » قال
 أبو الدحداح : « فناولني يدك » فناوله
 رسول الله ﷺ يده فقال : إن لي حديقتين
 إحداها بالسافة والأخرى بالعالية ، والله
 لا أملك غيرها ، قد جعلتهما قرضاً لله تعالى ،
 قال رسول الله ﷺ : « اجعل إحداها لله
 والأخرى دعها مميصة لك ولعياذك » قال :
 فأشهدك يا رسول الله أني قد جعلت خيرهما
 لله تعالى ، وهو حائط فيه ستانة نخلة ،
 فقال له الرسول عليه السلام : « إذن
 يعزبك الله به الجنة » فاطلق أبو الدحداح
 حتى جاء زوجه أم الدحداح وهي مع
 صبياتها في الحديقة تدور تحت النخل ،
 فأخبرها خبر تلك الصدقة التي عقدها مع
 ربه ، وأنشأ في ذلك شعرا ينم عن الإيمان
 العميق والطاعة لله ورسوله التي لاحد لها ،
 فقالت له زوجه المؤمنة الصالحة : ربح يملك
 برك الله لك فيما اشتريت ١ وأنفأت
 في ذلك شعرا ينصح من تجاوزها مع
 زوجها في الإيمان والطاعة .

المثوبة عنده في الدنيا والآخرة » وأنفقوا بما جعلكم مستخلفين فيه » .

فالمال إذن مال الله ، وهو الذي يملكه ويرزقه لعباده ، والعبد ليس له في المال الذي يرزقه الله إياه إلا التصرف ، فإذا هو أحسن التصرف وتصرف فيه على الوجه الذي يرضى الله كان له عند الله الثواب الجزيل والأجر العظيم ، وإن فعل غير ذلك بأن أنفق المال في السبل التي لا يرضى الله عنها سمعت ماقبته وقال جزاء عمله ، وفي مقام آخر يؤكد الله سبحانه أن المال مال الله ، ورزقه لعباده وطلب إليهم طاعته في إنفاق ماله وحسن التصرف فيه ، فيقول تعالى : « وآتوم من مال الله الذي آتاكم » (١) .

وبعد الدعوة إلى الإيمان بالله ورسوله وإلى الإنفاق في سبيل الله عقب الله على هذه الدعوة بشطريها بما يحفز الهمم إلى المبادرة بالطاعة وتلبية الدعوة ، وبما لا يدع عنرا للمتخلفين والمقصرين ، فتمتبا يتعلق بالشطر الأول ، شطر الدعوة إلى الإيمان ، بين الله سبحانه أنه بعد أن أزيلت الموانع والمعوقات وبعد أن أرسل الله ورسوله بخاتمة الرسالات

ويأمر الله بهما معا في سياق واحد ، ويرتب على طاعة الأمر فيهما معا الثواب العظيم والأجر الكبير : « آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا بما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير » .

فالله سبحانه وتعالى يطلب إلى عباده ويأمرهم بأن يصدقوا ويوفقوا بأن الله إله واحد وأن محمدا عبده ورسوله ، أرسله الله إلى الناس بالهدى ودين الحق ، وهذا هو لب الدعوة الإسلامية والرسالة المحمدية ثم يقرن الله هذا بالأمر بالإِنفاق في سبيل الله . في جميع وجوه الطاعات وبخاصة الإِنفاق في الجهاد لإعداد الجيوش وتدريبها ولتوفير كل ما يلزمها من آلات الحرب ووسائل الدفاع ، دفاعا عن الأنفس والأموال وعن الحقوق والأوطان والأعراض ، وحماية لدين الله وإعلاء لكلمته .

ثم يوضح الله ما في الملك في طلب الإنفاق أن للؤمن حينما ينفق ويطيع الأمر فإنما ينفق من مال الله الذي جعل الله عباده مستخلفين فيه بفضل منه ومنته ، وهذا أدعى إلى الاستجابة وإطاعة الأمر ، وإلى بذل المال في سبيل الله من رضا وطيب خاطر [رضاء الله وإطاعة لأمره ، حملا على نيل

هاديا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله
بإذنه وسراجا منيرا ، وبعد أن مشى الله
أيها المخاطبون عقولكم التي بها تفكرون
وتتدبرون ، وبعد أن أقام عليكم الدلائل
والحجج التي تدعو إلى متابعة الرسول
وإلى الإيمان بما يدعو إليه ، فلا عذر بعد
هذا كله يكون للمتخلفين منكم من طاعة
الأمر واستجابة النداء الذي يدعو إلى
الإيمان بالله ورسوله ، وقد أوحى الله إليه
بالفرآء ممحزة الإسلام الكبرى ،
ليخرجكم به من ظلمات الشرك والكفر
إلى نور الإيمان والهداية : « وما لكم
لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا
بربه وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين
هو الذي ينزل على عبده آيات بينات
ليخرجكم من الظلمات إلى النور وإن الله
بكم لرهوف رحيم » .

هنا إذا هم قصروا وتقصصوا عن الجهاد
بالمال وعن الإنفاق فيما يقربهم من ربه
وهم يعلمون أنهم سيموتون ويتركون وراءهم
الأموال التي يدخلون بها ، وأن هذه الأموال
صائرة بعد مماتهم إلى الله مالك الملك
يجمها بعد ذلك لمن يعاد من عباده ، وله
سبعانه وحده ميراث السموات والأرض
« وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله وفي
ميراث السموات والأرض ؟ »
للتنفقون في سبيل الله تتفاوت درجاتهم
عند الله :

ولقد تلا هذا التقيب في الدعوة إلى
الإنفاق في سبيل الله وإلى الجهاد بالمال
الذي سبق ذكره — تقيب ثان له طابع
آخر ، فبينما كان التقيب الأول يأخذ
طابع التنبيه والتحذير من التقصير ، فإن
التقيب الثاني يأخذ طابع الترفيع والإنفاق
وإثبات فضل المتففين والمجاهدين بأموالهم
وأنفسهم في سبيل الله وعظيم ثوابهم في كل
ظروف وعلى أي حال فجميع هؤلاء المؤمنين
المجاهدين بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله
على اختلاف درجاتهم قد حققوا لأعضهم
الثواب العظيم والأجر الكبير ، وارتفعوا
بذلك درجات عند الله .

أما فيما يتعلق بالنظر الثاني ، وهو الدعوة
إلى الإنفاق وإلى الجهاد بالمال فقد عقب الله
على ذلك بالتحذير الحازم ، وواجه المخاطبين
بما يتحملون من مسئولية ، مبينا لهم أنه
ليس هناك ما يمنهم من الإنفاق في سبيل
الله من مال الله الذي آتاهم وأنعم عليهم
به بعد أن أسرم الله بالإنفاق ، فليس لهم

والمسلمين وقوتهم « وكلا وعد الله الحسنى »
وفي هذا يقول قتادة - ما ذكره القرطبي
« كان قتالنا لأحدهما أفضل من الآخر، وفتننا
إحدهما أفضل من الأخرى »، كان القتال
والنفقة قبل فتح مكة أفضل من القتال
والنفقة بعد ذلك .. وإنما كانت النفقة قبل
الفتح أعظم، لأن حاجة الناس كانت أكثر
لضعف الإسلام، وفعل ذلك كان حينئذ
على المسافقين أعقق والاجر على قدر العصب.
هذا وإني أعتقد أنني لا أغالي في القول

إذا قررت أن الظروف والأحوال التي تحيط
بنا الآن، وأن الاعتداءات للقائمة النائمة
التي نحل بنا على يد قوى القمرا المتجمعة والتي
نزلت وتنزل بنا على يد الصهاينة الأشرار
تؤيدهم وتقدم أزودهم قوى الاستعمار الطاغية
برئاسة الولايات المتحدة الأمريكية التي تقف
من وراء إسرائيل تظاهرها وتعددها
بالمال والسلاح والرجال، وبالتأييد السافر
والمحتكر في كل المجالات، أعتقد أنني
أستطيع أن أقول أننا في هذه الظروف
المصيبة، والتي يتخالف فيها المسلمون من
أهواء وأجبههم نحو دينهم ونحو الوطن الإسلامي
الكبير، ونحو إخوانهم الذين حلت بهم
وبديارهم المحنة ووقع عليهم الاعتداء

نم تم الله سبحانه هذا التحقيب الثاني
بيان أن الإضاق والجهاد في سبيل الله
عند الله درجات متفاوتة، هذه الدرجات
تقدر بقدر الحاجة لداعية إلى الإنفاق والجهاد
بالنفس والمال، فكلما كانت الحاجة ملحة
والضرورة عديدة ملزمة والظروف المحيطة
بالمؤمنين المعتدى عليهم أشد قسوة كلما
ارتفعت درجات المسفقين المجاهدين بأموالهم
وأنفسهم وعظم ثوابهم وزاد أجورهم
عند الله.

ولقد ضرب الله لذلك مثلاً بأولئك
الأبطال المجاهدين من أولى العزم المؤمنين
السابقين الذين أنفقوا وقاتلوا في سبيل الله
قبل فتح مكة، وقبل أن يسود الإسلام
في جزيرة العرب بحقوق قلعة للشرك
في ذلك الوقت في مكة بهذا الفتح المبين،
الذي دخل الناس به في دين الله أفواجا
فهؤلاء الأبطال المؤمنون السابقون،
للمجاهدين المضجون في سبيل الله قبل
الفتح، في أوقات ضعف المسلمين وأوقات
الشدّة التي كانت تارة بهم أرفع درجة
وأعظم ثوابا عند الله وعند الناس من
أولئك الذين أنفقوا وقاتلوا في سبيل الله
من بعد الفتح في أوقات حمرة الإسلام

في سورة التوبة بقول الله تعالى :
 «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن كَثِيرًا مِنَ الْآخِبَارِ
 وَالرَّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ
 وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتَدُونَ
 الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 نَبِئْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ
 جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ
 وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَا تُفْهِمُونَ مَذُوقُوا
 مَا كُنْتُمْ تَكْتَدُونَ» (١).

في هذا — هل ما اختاره المصنف —
 تحذير شديد للمؤمنين المضاطلين بتلك الآية
 المبينة لحال أولئك الآخيار الذين صار جمع
 الأموال وخزنها والافتتان في العمل على
 كثرتها ومضاعفتها أعظم همهم في الحياة ،
 فأنه يحذر عباده المؤمنين من أن يقعوا في
 مثل هذا الضلال البعيد ، فيجمعوا الأموال
 ولا ينفقوها في سبيل الله ، يحذرهم الله من
 ارتكاب هذا الجرم العظيم ، فإن عاقبة
 الذين يكتدون الذهب والفضة ويجمعون
 الأموال ثم يخلون بها ولا ينفقونها فيما
 أمرنا الله بالإففاق فيه ، أو ينفقونها
 في غير الوحي للشرعة ، إن عاقبة هؤلاء

مباشرة ، أنه أستطيع لكل ما سبق وغيره
 أن أقرر أن ظروف الحاجة والشفقة التي نحن
 فيها الآن يمكن أن ترتفع بدرجات الإففاق
 والقتال ودرجات المنفقين والمقتاتين
 في سبيل الله من إخلاص ورضا إلى المستوى
 الرفيع عند الله ، وصدق الله العظيم
 «لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ
 وَقَاتِلَ أَوْلَئِكَ أَكْثَرُ حِرْجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا
 مِنْ بَعْدِ وَقَاتِلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ
 الْحَسَنَى وَاللَّهُ بَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ» .

الوعيد الشديد للذين يقصرون

في الإففاق في سبيل الله :

أما هؤلاء الذين يقصرون في أداء واجب
 الجهاد بالمال ، والذين يجمعون الأموال
 ويكثرونها ولا ينفقونها في سبيل الله أداء
 لحق الله وامتثالاً لأمره ، أما هؤلاء
 الذين يعيهم حب المال وعبادة المال ،
 بحيث يحبطهم ذلك في موقف التقصير
 والتخلف عن أداء الواجب ، أما هؤلاء
 فقد توعدهم الله وأنذرهم بما أعد لهم من
 عذاب أليم ، ولقد ورد في هذا آيات
 كثيرة من كتاب الله .

بالمال ، وحاشاً على المباشرة بالقيام بهذا الواجب : « ولا يحببن الذين يخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة والله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير » (١).

في تفسير هذه الآية يقول الإمام الرازي : « اعلم أن الله تعالى لما بالغ في التحريض على بذل النفس في الجهاد في الآيات المتقدمة شرع هنا في التحريض على بذل المال في الجهاد ، وبين الوعيد الشديد لمن يبخل ببذل المال في سبيل الله . والله ينبه عباده في هذه الآية إلى أن ما يبدون من أموال إنما آتاهم الله إياها من فضله ومن عنده ، « والله مالك السموات والأرض وما بينهما وليه المصير » ، كما ينههم إلى أن مآل هذه الأموال التي بأيديهم ومصيرها إنما هو أيضاً لله وحده ، « والله هو مالك الملك ، ومدبر الأمر » « والله ميراث السموات والأرض » .

والله ينبه عباده في الآية كذلك إلى أنه لا تغنى عليه خافية ، فهو لا يخفى عليه أيها البخلاء ، امتناعكم من البذل في سبيل الله

[١] آل عمران ١٨٠ .

هي الخسران المبين في الدنيا والآخرة ، في الدنيا حيث يضيعون ببخلهم وإمساكهم من الإغراق في سبيل الله مصالح الأمة ويضيعون مع ذلك مصالحهم الخاصة ويكفون بموقفهم الدمع سبباً لفتكبات العامة والخاصة ، وفي الآخرة يوم يصفون أشد العذاب بأموالهم التي جمعوها في حياتهم والتي بخلوا بها ولم ينفقوها حيث أمرهم الله يوم يحصى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم » « وحين يقول لهم خزنة جهنم وملائكة العذاب للوكلون بهم توبيخاً لهم وتقريماً :

« هذا ما كنتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكفرون » .

وعلى هذا النحو وهذا الأسلوب القوي الشديد يتوعد الله المقصرين في واجب الجهاد بالمال من أولئك الذين يكتفون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ، ويحذر عباده المؤمنين من ارتكاب مثل هذا الجرم الأثيم ، ويدعوهم ويحضهم على الإغراق في سبيل الله . وفي سورة آل عمران يقول الله تعالى : « هذا من التقصير في أداء واجب الجهاد

والإتفاق في سبيل الله ، وكان في مقدمة هؤلاء الأبطال المجاهدين بأنفسهم وأموالهم في سبيل الله أبو بكر وعثمان رضي الله عنهما ، وقد كان كل منهما من السابقين الأولين الذين سبقوا إلى الإيمان بالله ورسوله فتمكن الإيمان من قلوبهم والتزموا في حياتهم وفي سلوكهم مبادئ الإسلام ، يعملون بها في خاصة أنفسهم ، ويحملون الناس على اتباعها بسلوكهم الشخصي وبالدهوة لها والعمل على نشرها ولقد بلغ كل منهما في ذلك للفرقة السامية المرموقة بآيمانه وإحلاسه ومصلحه ، حتى استحق أن يكون من أولئك الصفوة الذين بشرهم الرسول عليه الصلاة والسلام بالجنة ، وكانت لكل منهما في الإسلام المواقف المحودة .

أما أبو بكر رضي الله عنه فقد كان له الفضل على سائر الأمة لمبقة في الإيمان برسالة الإسلام ، ولصيقه في الجهاد بنفسه وماله في سبيل الله ، ولقد أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ما نفعي مال قط مثل ما نفعني مال أبي بكر) فبكر أبو بكر وقال : هل أنا وما لي إلا قال يا رسول الله ؟ وتزيد بعض الروايات فتقول : (وكان

نبي من هاتين أعمالكم ولا من مكنونات صدوركم ، وهو سيجزيكم بما تعملون ، بالخير خيرا وبالشر شرا دوافع بما تعملون خير .

إذن فعليكم أيها الباحثون بأموال الله التي منحكم إياها ، والتي مصيرها وما لها إليه وحده عليكم أن تتنبهوا ، وأن تحذروا مخالفة أمر الله في هذه الأموال بخلكم بها وعدم إتفاقها في سبيل الله كما أمركم وطلب اليكم ، فإن مغبة البخل بها ستكون وبالا عليكم وشرا مستطيرا وستكون أموالكم التي بخلتم بها ولم تطيعوا أمر الله فيها طروا من نار يلازمكم وتطوقون به في أعناقكم يوم القيامة جزاء وفاقا .

فأى دهوة إلى الجهاد بالمال وإلى الإتفاق في سبيل الله أبلغ وأقوى من هذه الدهوة وأي تحذير من التقصير في أداء هذا الواجب للقدس أبلغ وأشد من هذا التحذير ؟

القدوة الحسنة في الجهاد بالمال والإتفاق

في سبيل الله :

ولقد قدم لنا أسلافنا الأجداد من كبار الصحابة رضوان الله عليهم القدوة الحسنة والمثل الطيب الذي يحتذى في الجهاد بالمال

وأنه ظل بعد إسلامه يتجر ويبيع الربح الوفير من التجارة ، فلما هاجر مع الرسول عليه السلام إلى المدينة بعد عشر سنوات لم يبق له من الثمرات من ذلك كله إلا خمسة آلاف ، أما سائر ما كان عنده من مال وقت أن أسلم وما ادخره من ربحه في التجارة مما يمدفقه أشقاه جميعه في سبيل الله ، أنفقه في الدعوة لدينه ورسوله ، وفي حياة ضعفاء المسلمين من الأرقاء الذين كان يسومهم للشركون أشد المذاب لدخولهم في دين الله فقد كان يشتريهم أبو بكر من ماله وينقذهم من المذاب ثم يعتقهم ويهبهم حريتهم لوجه الله .

ولقد أخرج أبو سعيد بن الأحرابي عن ابن عمر رضي عنهما قال : أسلم أبو بكر رضي الله عنه يوم أسلم وفي منزله أربعون ألف درهم فخرج إلى المدينة في الهجرة وماله لم يكن غير خمسة آلاف ، كل ذلك بنفقته في الرقاب والعلمون على الإسلام ، وأخرج ابن عساکر عن عائشة رضي الله عنهما : « أن أبا بكر اعتق سبعة كلهم يعذب في الله » . هذا وفي تفسير قوله تعالى : « لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعدوا قاتلوا » [١]

رسول الله ﷺ يقضى في ماله أبي بكر كما يقضى في مال نفسه .
وأخرج الترمذي عن أبي هريرة أيضا قال : قال رسول الله ﷺ : (ما لأحد عندنا يد إلا وقد كفاناه إلا أبا بكر فإن له عندنا يدا يكافئنه الله بها يوم القيامة وما يقضى مال أحد قط مثل ما يقضى مال أبي بكر) .

ومما يشهد لأبي بكر رضي الله عنه بالسبق في الجهاد بالمال وفي الإنفاق في سبيل الله ما أخرجه أبو داود والترمذي عن عمر رضي الله عنه قال : (أمرنا رسول الله ﷺ أن تصدق ، فوافق ذلك ما لا عندي ، قلت : اليوم أسبق أبا بكر - إن سبقته يوما - فجئت بنصف مالي ، فقال رسول الله ﷺ : ما أبقيت لأهلك ؟ قلت : مثله ، وأتى أبو بكر بكل ما عنده ، فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام : ما أبقيت لأهلك ؟ قال : أبقيت لهم الله ورسوله ، يقول عمر : فقلت لا أسبقه في شيء أبدا) .
وإذا أردنا أن نعرف مقدار سبق أبي بكر رضي الله عنه في هذا الباب فنحننا أن نعلم أنه كان له من المال يوم أن أسلم أربعون ألف درهم مدخرة من ربح تجارة

أنت في فرك هذا أم ساخط؟ فقال أبو بكر
أأسخط على ربي؟ إني عن ربي راض
إني عن ربي راض إني عن ربي راض ،
قال : « فإن الله يقول لك : قد رضى منك
كما أنت عن راض . فبكي أبو بكر ، فقال
جبريل عليه السلام : والذي بمثلك بالحق
يا محمد ، لقد تخلت حمة العرش بالحق منذ
تخل صاحبك هذا بالعبادة » ثم يستورد
القرطبي فيقول : ولهذا قدمته الصحابة
على أنفسهم وأقرباءه بالسبق .

ولقد روى عن ابن مسعود وابن عباس
وعبد الله بن الزبير وغيرهم أن قوله تعالى
في سورة « الليل » : « فأما من أعطى
واتى وصدق بالحسنى فسنيسره ليسرى »
وقوله في نفس السورة « وسيعبئها الاتى
الذى يؤتى ماله بتركى ، وما لأحد عنده من
نعمة تجزى ، إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى
ولسوف يرضى » روى عن هؤلاء الصحابة
رضى الله عنهم وعن غيرهم أن هذه الآيات
نزلت في أبي بكر ورضى الله عنه ، وبهذا
يقول عامة المفسرين .

وهكذا يحوز سيدنا أبو بكر رضى الله
عنه قصب السبق في الإيمان بالله ورسوله ،
وفي الجهاد بالمال بالبدن والإتقان في سبيل الله

وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون
خبير » (١) . يقول القرطبي : وقال الكلبي :
نزلت في أبي بكر رضى الله عنه ، ففيه دليل
واضح على تفضيل أبي بكر رضى الله عنه ،
وتقدمه ، لأنه أول من أسلم ، ولأنه أول
من أشق على نبي الله ﷺ .

ثم يستورد القرطبي فيقول : « وعن
ابن عمر رضى الله عنهما قال : كنت عند
النبي ﷺ وعنده أبو بكر وعليه عباءة
قد خلها في صدره بخلال » (٢) (يعنى أمسك
طرف العبادة التى ليس له ما يلبسه غيرها
وهذا بمضمها إلى بعض بخلال أى بمود)
فزل جبريل فقال : يا نبي الله ! مالى أرى
أبا بكر عليه عباءة قد خلها في صدره
بخلال ؟ فقال : « قد أشق على ماله قبل
الفتح ، قال : فإن الله يقول لك : اقرأ
على أبي بكر السلام وقل له : أراض أنت
في فرك هذا أم ساخط ؟ فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « يا أبا بكر إن الله
هو وجل يقرأ عليك السلام ويقول : أراض

[١] الحديد ١٠

[٢] يقول صاحب القاموس المحيط زمادة حل :
يقال حل الكساء إذا شد بخلال ككثاب ودوالخال
أبو بكر الصديق رضى الله عنه لأنه تصدى بمصم ماله
وخل ككاهه بخلال .

وصل إلى علمه عليه السلام أن دولة الروم تمد المدة لهذا الغرض ، وأن القيصر هرقل قد جمع الجموع الكثيرة وزودها بالعتاد والمعدة ورمى بها إلى الحدود بين بلاد الشام وشبه الجزيرة استعدادا للغزو .

فلم يتردد رسول الله عليه الصلاة والسلام لحظة في تقرير مواجهة هذه القوى بنفسه والقضاء عليها ، حتى يحمي الحدود العربية من اعتداءات المعتدين ، ويؤدبهم بما يحيطهم يفقدون كل أمل في غزو العرب أو في التمرض لهم ، وكان الوقت وقت حرارة وقيظ شديد ووقت جدد وقحط كما أن الشقة من المدينة إلى بلاد الشام طويلة شاقة تحتاج إلى الجلد والصبر وتحتاج إلى المؤونة وإلى الماء ، ولهذا رأى النبي عليه السلام أن يطالع الناس بعزمه على السير إلى الروم وقتلهم حتى يأخذوا لذلك عدتهم وأهبنهم ، وحتى لا يفاجأوا بما يشغل عليهم ، فتكون المفاجأة سببا في إضعاف همهم وحماستهم ، فعل ذلك على خلاف عادته في الغزوات السابقة ، حيث كان لا يفصح عن غرضه عند السير إلى الغزو احتفاظا بالأسرار ، وحتى لا يعلم العدو بوجهته فيعتاط للغزو .

ويعطى في ذلك كله القدوة الحسنة وللنبل الطيب الذي يحتذى ، وينال بهذا عند الله وعند الناس المنزلة التي لم ينالها غيره ، فهو « الذي يؤتي ماله يتركى ، وما لأحد عنده من أمة تيمزى ، إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى » .

وأما عثمان رضى الله عنه فقد كانت له كذلك المواقف المصودة في الإسلام وفي الجهاد بالمال والإنفاق في سبيل الله ، ومن أجل هذه المواقف وأحدها وأفضلها تيممته رضى الله عنه جيش العسرة .

وذلك في غزوة تبوك التي وقعت في رجب من السنة التاسعة للهجرة ، وهي آخر غزوة من غزوات رسول الله ﷺ ، فقد وصل إلى علم الرسول أن دولة الروم تمد المدة لغزو حدود العرب الشمالية ، آتية من وراء ذلك أن تحمد من هذا النفوذ الإسلامي العربي الذي استفحل خطره بعد فتح مكة وبعد أن دخل الناس في دين الله أفواجا والذي شمل كل ناحية من شبه الجزيرة العربية ، وأخذ يزحف في كل اتجاه ليتأخم سلطان الروم في الشام وسلطان الفرس في الحيرة من بلاد العراق ، وليحرر بلاد العرب من النفوذ الأجنبي ،

فأعلن النبي ﷺ من مديرة لقتال الروم ، وأرسل في القبائل جميعها يدعوها لتنهي لإعداد أكبر جيش يمكن إعداده ، كما أرسل إلى سرة المسلمين ليشاركوا في تجهيز هذا الجيش بما آتاهم الله من فضله .

فأقبل المؤمنون الصادقون الذين لم يخالط النفاق قلوبهم يتسابقون في تلبية النداء الذي وجهه إليهم النبي عليه الصلاة والسلام ، فتقدم الأغنياء وفوو اليسار منهم فأغفروا لتجهيز الجيش نفقة عظيمة ، كل في حدود طاقته ، كما تقدم كل قادر على نفقة نفسه فاشترك في جيش العمرة بنفسه وبمדתه ونفقته ، كذلك أقبل الكثيرون من الفقراء يريدون أن يحملهم النبي عليه السلام معه ويجهدهم لهم وسائل الاشتراك في الجهاد والمسعى معه في الغزو لحمل من استطاع واعتذر إلى الباقيين وقال : لا أحد ما أحلهم عليه ، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون ، واجتمع للنبي ﷺ في هذا الجيش ثلاثون ألفاً من المسلمين ، ومضى الجيش جيش العمرة ، أي الشدة والضيق ، وذلك لعدة الظروف والأحوال التي كان فيها المسلمون وقت الشروع في غزوة تبوك ،

من عدة الحرقة الطعام ولقاء .

أما عثمان رضي الله عنه فقد اشترك في تجهيز جيش العمرة بأوفى نصيب وأعظمه فكان في هذا الموقف العظيم أجود الأمة وأسخاها وأعظمها نفقة في سبيل الله ، فقدم لتجهيز هذا الجيش من خالص ماله تسماة وخمسين بعيراً ، وخمسين فرساً وألف دينار ، قدمها تقرباً إلى الله واستجابة لنداء الرسول ساعة العمرة ، روى عبد الرحمن ابن حمزة رضي الله عنه ، قال : « جاء عثمان إلى النبي ﷺ بألف دينار في كفه حين جهز جيش العمرة فينثرها في حجره ، فرأيت النبي ﷺ يقلبها في حجره ويقول « ما ضر عثمان ما حمل بعد اليوم » (وكرر ذلك مرتين) ويريد عليه السلام بذلك : أن كل شيء يفعله عثمان بعد الآن فهو مقفوره عند الله ، وفي رواية أخرى أنه الرسول ﷺ قال في هذا المقام : « اللهم ارض من عثمان فإني عنه راض »

ولم يقف جود عثمان وبذله في سبيل الله في غزوة تبوك عند هذا الحد ، فقد روى أنه أصابت الناس مجاعة أثناء تلك الغزوة فاشترى عثمان لهم طعاماً وأشبع الجيش كله وما كان عثمان بذلك مسرفاً ولا مبذراً

إعلاء لكلمة الله ، وإنقاذاً لأمة ووطنه ، هكذا نراه من المؤمنين الصادقين الذين قال الله في شأنهم : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » (١)

فهل لنا معشر المسلمين والعرب أن نقفدى به وبرفاقه من أولئك السادة القادة من الصحابة رضوان الله عليهم في الإنفاق في سبيل الله والوطن ، وفي أداء واجب الجهاد بالمال حفاظاً على أمتنا ، وإنقاذاً لكرامتنا وسمعتنا ، وحماية لإخواننا وحقوقنا ومقدساتنا ؟

هل آن لنا أن نضل وقد اشتد الخطب وعظمت الشدة ؟

« يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، يغفر لكم ذوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومما كن طيبة في جنات عدن ، ذلك الفوز العظيم ، وأخسرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب ، وبشر المؤمنين » (٢)

محمد عبده ماضي

وإنما كان منقذاً لأمة ووطنه وقت المحنة منقذاً لتعاليم الإسلام وملياً لنداء الرسول عليه السلام ، فقدم ما قدم تقريباً إلى الله ، واحتساباً لما عند الله بعد أن أصبح ذلك طبعاً له وسجية ، جاء في البخاري : « قال رسول الله ﷺ : من يخفض يثر رومة فله الجنة ، يخفضها عثمان وجعلها لشرب للناس جميعاً » وقال « من جهز جيش المصرة فله الجنة ، لجهزه عثمان » وفي تفسير قوله تعالى من سورة البقرة : « الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أتوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (٣)

يروى القرطبي أنها نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ويقول : قال أبو سعيد الخدري : رأيت النبي ﷺ رافعاً يديه يدهو لعثمان يقول « يارب عثمان إني رضيت عنه فارض عنه » فما زال يدهو حتى ظلم الفجر فنزلت « الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أتوا منا ولا أذى » الآية وهكذا نرى سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه يجاهد بالمال ، وينفق من سمته ، ويبدل ماله من طيب خاطر في سبيل الله

الجانب الإسلامي من القضية الفلسطينية

للكنيز (رسمي موسى وطسبي)

منبأ من زوال الصبغة الدينية لمدينة بعد
تأية مدن العالم الإسلامي قداسة وخطورة .
وربما يرجع التراخي إلى أربعة أسباب :
أولها انشغال المسلمين بمفكلاتهم المحلية ،
ومعظمهم حديثو عهد بالحكم الذاتي
والتححرر من الاستعمار . وثانيها تفوق
القوى التي انحازت إلى العدو ، وآزوته
سياسيا وعلميا وعسكريا بالخفاء حينما
وبالمن حينما آخر . وقد حاولت هذه
القوى الضغط على الحكومات كيلا تندفع
وراء مدافع الجماهير ، حتى تتراخي القضية
وبأخذ الأمر الواقع الحكم القمري .

وثالثها الإفساد بين البلاد الإسلامية على
نحو يجمع بين الخفاء والجهل ، بإثارة
النمرات ، وللطامع والخلافات حتى تصيح
للقضية وسط حواصف مفتحة ، ورايها
همم وضوح الرؤية البعيدة ؛ لبراعة العدو
في طمس الحقائق وإخفاء النوايا والتظاهر
بإرداعة والمسكنة .

كان للقدر أن يهز العالم الإسلامي كله
السكرات التي حلت بفلسطين ، وأدت إلى
زوال اسمها من خريطة العالم ، بعد أن ظل
ثامنا زهاء ثمانية عشر قرنا ، منذ محا
الامبراطور الروماني (البوس هارد بانوس)
(Aolins Hardeni anus) ملكة يهوذا من
الوجود ، وشتت شمل اليهود ، وأطلق على
تلك الرقعة من الأرض اسم « فلسطين » .
وهو الاسم الذي كان يطلق على الساحل
الممتد بين يافا وغزة^(١) مياينة بطبيعة
تربتها وجنس سكانها للمنطقة الجبلية
الداخلية التي تكونت فيها ملكة يهوذا
وزال بزوال اسم فلسطين أسماء ميثاق
المدن والقرى العربية ، وعلى رأسها « بيت
للقدس » الذي حل محله اسم « أورشليم » .

[١] اسم فلسطين معني من اسم الشعب الفلسطيني
الذي نزل الساحل الجبلي المعروف بيا جسد باسم
السهل الفلسطيني ، في القرن الثاني عشر ق . م .
ومده الحجة الصبغة هي : غزة وعسقلان وأسفود
وأكرود وجات . وجبل الكرمل سكنون العدو
العالية فلسطين انظر The Biblical World
ميتسجن سنة ١٩٦٦ .

« ومد الرب يده ولمس في وقال الرب لي : ها قد جعلت كلامي في فمك » انظر قد وكلتلك هذا اليوم على الصوب وعلى الممالك لتقلع وتهدم وتمك وتنقض وتبني وتقرس » ١٠/٩ - ويقول زكريا : « في ذلك اليوم أجعل أسماء يسوذا كصباح نار بين الحطب وكشعل نار بين الحزم فيأكلون كل الصوب حولهم من اليمن ومن اليسار » ١٢/٦ .

والخطر من هذه المطامع والأوهام بحقيق بالبشرية كلها ولكن العالم الإسلامي وفي مقدمته العرب يواجه الضربة الأولى . وإذا استطاع العدو أن يفتح ثغرة في هذا السور فسيفند منه إلى البلاد المسيحية البعيدة - التي اضطهدت هذه الطائفة وأذلتها - « ليقلع ويهدم ويهلك » ، منتقما منها شر انتقام .

وما موطن الخطر على العالم الإسلامي ؟ إن فلسطين تقع في قلب العالم العربي والإسلامي ، وتصل بين شرقه وغربه ، شماله وجنوبه وإذا تمكن العدو من ترسيخ أقدامه فيها ، فلن يقنع بها ، بل سيذهب منها على ما حوله ، ليكون دولة كبيرة

ولهذه الأسباب طمست معالم القضية ، وخفيت أخطار جليلة ، وحبست للعالم في النفوس انجاسا مؤقثا ربما يظهر القائد ويطلق المارد الحبيب .

والقصد من تقديم هذا البحث تهيئة الجو لوصوح الرؤية ، وجلاء الخطر الذي يحيق بالمسلمين وأود أن أقول والمسيحيين أيضا إن جاز التحدث عنهم - لاسترداد الحق وإقامة العدل في قضية هي بحق قضية القرن العشرين .

لا يعرف تاريخ البشرية الطويل ظمنا كهذا التلم : طائفة دينية تمردت على الله وعلى الأنبياء وعلى كل بلد حلت فيه ، فجر ذلك عليها الاضطهاد وأورثها العقيد والآبائية والعقد النفسانية وبدلا من أن تفيد من تجارب الزمن وعنه فتندمج في الأسرة الإنسانية ، متغلبة عن كبريائها وأوهامها وأساطيرها ، فإنها تغزو بلدا آمنا مأهولا ، وتقتلع سكانه من جذورهم ، متوسلة بخداع الرأي العام ، وبالأسلحة الفتاكة ، والقوانين العنصرية الجائرة ، لتعود بالبشرية الصغرى إلى سنة إلى الوراء منتحلة بقول رسبها

عدة من العربان للتردة ، ففرت العربان ،
والنجباء الافرنج إلى رأس جبل صعب للترقى ،
فصعد إليهم في نحو عشرة أشهر ، وخابتهم
فيه ، فخارت قواهم بعد ما كانوا ممدودين
من الشجعان وقبض عليهم ، وحلهم إلى
القاهرة ، وكان لدخولهم يوم مشهود ،
وتولى قتلهم الصوفية والفقهاء وأرباب
الديانة . . ج ١ ص ٢٨٠ ، ٢٨١ .

وقول تمقيبا على هذا النص : ما القى
يمنع الاسرائيليين من إطاعة التجربة ،
والكر على بيت الله الحرام وقبر الصطفى
عليه السلام ؟ ألم يعلموا أن لهم حقوقا
تاريخية يجب أن يستردوها ؟ وأين ؟
في يثرب مدينة الرسول حيث كانت لهم
قلاع وحصون ، ألم يملن قائدا يوما من
يتهم في مشاركة العرب في النفط ، في
استخراجه وتصنيعه ؟

ثم إن فلسطين نفسها متحف ديني لا نظير
له في أية بقعة في العالم ، ومع أنها تحتوى
على مقدسات اليهود والمسيحيين ، كل
على انفراد ، فإنها في نظر المسلمين مثلثة
النقد : مقدسة لاحتوائها على آثار
أنبياء الله ابتداء من إبراهيم إلههم إبراهيم
عليه السلام ، إلى آخر من بعث منهم إلى

تتخذ من النيل إلى الفرات ، ويتسع سلطانها
حتى يهدد مقدساتنا : الكعبة المشرفة
والمسجد النبوي وقبر الرسول ﷺ .

ووب قائل : هذا رجم بالفيء ، وتهويل
هافية ، إذن فليسمع . قال قاضي القضاة
بجير الدين الخنبلى في الأئس الجليل :
« وفي سنة ثمان وسبعين وخمسة قعد
الافرنج المقيمين بالكرك والقوك للسير
لمدينة رسول الله ﷺ لينبشوا قبره
الشريف ، وينقلوا جسده الكريم إلى
بلادهم ويدفنوه عندهم ، ولا يمكنوا
للمسلمين من زيارته إلا بجمل ، فألقا البرنسى
أرناط صاحب الكرك ، سفنا حملها على
البر إلى البحر القلزم (الأحمر) وركب فيها
الرجال ، وسارت الافرنج ومضوا يربدون
للمدينة الشريفة .

وكان السلطان صلاح الدين على
حوران ، فلما بلغه ذلك بعث إلى سيف الدولة
ابن منقذ نائبه بمصر ، يأمره بتجهيز الأمير
حسام الدين لؤلؤ الحاجب خلف المصطفى
فاستعد لذلك وسار في طلبهم حتى أدركهم
ولم يبق بينهم وبين المدينة الشريفة النبوية
إلا مسافة يوم .

وكانوا نيفا وثلاثمائة ، وقد انضم إليهم

حتى أصبحت مدناً منها : (حيون قارة)
المروفة عند دميريشون ديزبون، و(مليس)
المروفة عند دميريتاح تكيفا، ومنها :
صرفندة، وجبة، وشميرة الخ ...

لقد طست وقبة هذه الأراضى
القاسية في أثناء استفحال الرشوة والفساد
في أواخر الحكم العثماني وزاد طمسها في
أثناء الحكم البريطاني الجائر، الذي هدد
وبدد، وكم الأفواه، وأذل أعناق الرحالة .

لقد استولى الإسرائيليون قبل عدوان
١٩٦٧ على نحو ألف مسجد من بيوت الله
المنتشرة في المدن والقرى، وعلى نحو
مليون دونم موقوفة، وعلى مدارس
أثرية (١) .

واستولوا بعد سنة ١٩٦٧ على رقعة
عربية مائة في المائة أرضاً وسكاناً، وكثير
من أراضيها موقوفة وهى، وإن كانت
أقل مساحة مما استولوا عليه سنة ١٩٤٨،
فهى على جانب كبير من الغصب والخطورة من
النواحي الدينية والأثرية والاستراتيجية .
وقد أشار إلى مصادرة الوقف الإسلامى
ونقل ملكيته إلى (القيم على أملاك

بنى إسرائيل، والمسلمون يقدسون هؤلاء
الأنبياء أكثر مما يقدمهم الإسرائيليون
أنفسهم؛ فداود في نظر اليهود ملك لائى،
وكذلك ابنه سليمان، ولكنهما عند
المسلمين ببيان كريم . ولهذا أحاط
المسلمون مقامهما بمثل ما أحاطوا بمقدساتهم
وظلوا موضعين للعبادة والرماية إلى آخر
عهد المسلمين بهما .

وفلسطين مقدسة ثانية : لاحتوائها على
آثار السيد المسيح وأمه البتول وحواريه .
ومقدسة ثالثة : لاحتوائها على الآثار
الإسلامية التى تراكت وامتدت عبر
العصور حتى شملت كل شبر فيها .

وأعلن على رموس الأشهاد حقيقة ظلت
خافية وهى أن معظم الأراضى الفلسطينية
موقوفة وفقاً لإسلامياً صحيحاً، أذكر من
أوقافها وقف إبراهيم الخليل، ووقف
النبي موسى، ووقف النبي روبين ووقف
النبي صالح، ووقف سيدنا هلى (جد
جسير الدين العنبل الطيلى)، ووقف
سنان باشا، وهى من الانواع بحيث تشمل
معظم الديار الفلسطينية .

وأعلن أن اليهود أقاموا على هذه
الأوقاف الإسلامية مستعمرات اتست

[١] المندسات الإسلامية في فلسطين، القاهرة

١٩٥٠م ٣٤، ٣٥، ٣٧ .

وقد فعلنا القول في (بيت المقدس) فيما
كتبناه من عروبة هذه المدينة العالمية ،
وفيما كتبه العالم الشيخ عبد الحميد السائح^(٧)
ولا يستطيع قلم أن يفي هذه المدينة حقها
ويبين ما للمؤمنين من حقوق فيها ، أجل
وأعظم من أن يفرط فيها . ونقول باختصار
إن ذهب بيت المقدس من أيدينا أصبحت
مكة والمدينة تحت رحمة العدو ، وإن
لم يرتفع للاسود زفير في هذه فستكون
الطامة وإن لم تهتز جنبات العالم
الإسلامي ، شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ،
وإن لم يدفع المسلمون كالسيل نحو هذه
المدينة ليطهروها ، فقلل على الإسلام العناء
إن أهمية بيت المقدس مزدوجة ، لذاتها
ومكانتها الدينية والتاريخية ، ولموقعها
الاستراتيجي الذي يجعل للسيطر عليها
مسيطر على وادي الأردن وما وراءه .

ومحدثنا التاريخ أن بني إسرائيل لم تنحد
حول لانهم - إسرائيل ويهوذا - ولم يتمكنوا
من قهر الفلسطينيين النازحين على الساحل

الغائبين (الإسرائيلي أحد شعراء الأرض
المتلة ، واحد حنين ، في قصيدة نهكية
رائعة ، جاء فيها .

الله أصبح غائبا يا سيدي
صادر إذن حتى بساط للسجد
وبع الكنيسة ، فهي من أملاكه

وبع للؤذن في للزاد الأسود
حتى يتامانا أبوم (غائب)

صادر يتامانا إذن يا سيدي
لا تعتذر من قال إنك ظالم
لا تعتذر ؟ من قال إنك معندي
حررت حتى المائحات غداة أن

أعطيت إيراها (أرض مجل)
أنا لو عصرت رقيق خبزك في يدي

لأريت منه دى يسيل على يدي^(٨)
وبعد سنة ١٩٦٧ اغتصبوا سائر فلسطين

وانتهكوا حرمة (بيت المقدس) التي
شرفها الله وعظمها الخلفاء والعلماء ، ورسمها
أهلها بأنفس الآثار من مساحد ومعاهد
وزوايا وتكايا ومقار ، والتي أحرم منها
للمسلمون بالحج والعمرة منذ عهد عمر بن
الخطاب إلى يوم الغفر الأكبر بالمدينة المقدسة .

(٩) لحرب إسرائيل المصرية جريس ، بيروت
١٩٦٧ ح ١٣٦ .

(٥) مكانة القدس والإسلام ، مجمع البحوث
الإسلامية القاهرة ١٩٦٩ .

إلا بعد أن استولى داود على بيت المقدس
فقد استيلائهم على هذه المدينة الحصينة
بجباها المرتفعة كانوا عاجزين من توحيد
الدولتين والسيطرة على الطريق .

فالمقدس العريضة - التي اختصها
الإسرائيليون سنة ١٩٤٨ من أمحايها العرب
ولم يقنموا بها هي مفتاح المنطقة الساحلية
من استولى عليها استولى على الساحل
الفالسطيني . والقدس الشرقية ، التي اغتصبها
الإسرائيليون سنة ١٩٦٧ هي مفتاح وادي
الأردن وما وراءه ، من تمكن منها تمكن من
الوادي وسيطر عليه سيطرة تامة . ذلك أن
المدينة تقع على هضاب عالية يبلغ ارتفاعها
٨٠٠ مترا عن سطح البحر ، وهذه الهضاب
قلاع طبيعية يتعذر اختراقها والمدينة فوق
ذلك هي الملتقى الطبيعي بين الشمال والجنوب -
بين مدن الشمال ومن أكبرها نابلس ، ومدن
الجنوب ومن أكبرها الخليل - وبين الساحل
ووادي الأردن وهذا هو سر الإسرائيليون
في الاحتفاظ بالقسم الشرقي من المدينة ،
ولا سر سواه ، فبسيطرتهم على المدينة
تصبح جميع البلاد الفلسطينية خاضعة لهم
عسكريا ، سواء أكانت تابعة لهم سياسيا
أم غير تابعة .

و يقول لإخواننا الذين لم يطعموا على
كتب المدو أن الخطب جليل . فالخطبة التي
بينها المدو والفالسطين ، وتكشف تدرجا
من كتبهم ، هي أن تصبح فلسطين نقطة
إرتكاز لحركة صهيونية عالمية دينية وثقافية
تنشأ فيها المعاهدات الصبغة العالمية لدراسة
التوراة وبعث العبرية ، وتقام فيها الكنائس
الكبرى في جميع المدن ، وتبنى المدن
والمستعمرات بأسماء دينية قديمة
والقصد من هذه للشروعات التي كشفها
الكتاب الصهيوني نورمان تويتشي الإيماني
في تهويد فلسطين وإزالة عربيتها ، إذ لا يتم
ذلك إلا على حساب الكنائس المسيحية
والمساجد الإسلامية ، والآثار والأكريات
والحقوق التي أورثها الآباء الأبناء
فروا متواصلة .

إن كل إسرائيلي يدخل فلسطين يحمل محل
عربي فيها ، وكل فراع من الأرض يستولى
عليه الإسرائيليون هو حرما ذا لم من رفعة
أراضيهم من ناحية وحسن يصوب منه
الموت والدمار لسائر البلاد العربية
والإسلامية ، من ناحية أخرى ، وبومذلك
يسدق المثل . الحبح سعد فقد هلك سعيد .

أيها المصلحون : إني لأسمع هاتما من بعيد يردد قول العاصم في يوم حاله شبيه بهذا اليوم :

فناصر أفضله أولا
وناصر أفضله آخره
فتمود إلى النفس الطمأنينة ويخفف الأمل .

على قبة المبراج والصخرة التي
تقاخر ما في الأرض من صخرات
مدارس آيات خلقت من تلاوة
ومنزل وحى مقفر العرصات
أسمع هذا الهاتف فترتفع النفس .
ثم يجيء صدى من بعيد يردد قول
الآخر في يوم أغر عجل :

للمعهد الأقصى هـ مادة
سارت فصارت مثلا سائرا
إذا غدا لكفر مستوطنا
أن يبعث الله هـ ناصرا

اسم موسى الحسيني

قال الله تعالى :

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ،
فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » .

التوبة : ١٢٨ ، ١٢٩

التَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ

للتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ آمِينَ

من أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « اجتنسوا السبع للوبيقات ، قالوا وما هن يا رسول الله . قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الفافلات » (رواه البخاري ومسلم)

في هذا الحديث الصحيح من أحاديث الرسول بين لنا - ﷺ - نونا من ألوان الجرائم وأنواعها من الإثم والمصيبة من ولا شك أمهات الكبائر ، ولا أدل على ذلك من أن يقرنها ﷺ بالكفر نعمو ذلله من شره . ومن هذه الكبائر (التولي يوم الزحف) ولفظ التولي في اللغة يحمل أكثر من معنى فنه التولي بمعنى القيام والمباشرة يقال : تولى زيد عمله أي تقلده وباشره . ومنه التولي بمعنى الانجاء أو الإقبال كما جاء في قوله تعالى « فسق لها ثم تولى إلى الظل » وكما ورد أيضا في قوله جل شأنه « قول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره » ومنه ما يكون عكس ما سبق أي بمعنى الإعراض والتخلف أو الإديار والفرار إذ يقول جل جلاله « إن الذين تولوا منكم يوم التلي الجمعان إنما استزلهم الشيطان » وهذا للغي الأخير هو ما يهدف إليه حديث الرسول من لفظ التولي « والزحف معناه السير البطيء إلا أن المراد به في هذا الحديث هو زحف جيوش الأعداء المجهزة بأدوات الحرب والقتال حيث يقول تبارك وتعالى « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار » .

على هذا البيان والتبيان من كتاب الله وعلى هذا النور من هدى رسول الله يصح (التولي يوم الزحف) آثما بحكم الكتاب والسنة مطارودا من رحمة الله . لمعانى الدنيا ويوم القيامة مع الكفرة والمشركين وآكلى السبت ومال اليتيم طبقا لما أخبر به رسول الله وتنبينا لقوله من القرآن الكريم حيث يقول جل شأنه :

« ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب

متكلم بكلمة خير يقصد بها وجه الله وخير
الآمة ترفع من معنوية العند وتلهب المزائم
والهمم « مجاهداً في سبيل الله » وهؤلاء
جميعاً هم المجاهدون حقاً وصفاً ومن
اصطفاهم ربهم وفصلهم على من عداهم
بقوله : (لا يستوى القاعدون من المؤمنين
غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله
بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين
بأموالهم وأنفسهم على القاعدین درجة وكلاً
وعده الله الحسنی وفضل الله المجاهدين على
القاعدین أجراً عظيماً)^(١).

ومن هذا نستخلص أن الجهاد في سبيل
الله وهو غاية الفضل ونهاية العمل وأن
شهداء الجهاد على موعد مع الله ألا يذبقيهم
علم المذاب وزفرة الموت وأنهم من ساعة
استشهادهم أحياء يرزقون « ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء
عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله
من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم
من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .
فطوبى لمبد قتل شهيداً وبعت شهيداً
وحشر شهيداً مع النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

[٢] سورة قناه - آية ٩٥ .

من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » .
وقد أخبر المنصورون وعلماء الحديث
أن (التولي يوم الرحف) ليس مقصوداً
فقط على الجندي المحارب في ساحة القتال
بل هو في الواقع يشمل الجندي المحارب
والجندي غير المحارب ، إذ أن كلاماً متم
للاخر ولا غنى لهذا من ذلك ..
والجندي غير المحارب هو كل فرد ذي
صفة ومسئولية تتعلق بالمعركة يستوى
في هذه للمسئولية الكبرى القريب من
ميدان المعركة والبعيد عنها كما كان لجيش
مهما كان عدده ، وعدته ومهما كانت شجاعته
وقوته أن ينمقد له لواء النصر إلا إذا
كانت من ورائه قوة نائية من غير المحاربين
وأولئك هم جنود الصف الثاني للخطوط بهم
خدمة هذا الجيش المحارب بإطعامه وشرابه
وتضميد جراحه وملكه بما يحتاج اليه من
مؤونة وعتاد وكافة مستلزمات القتال ، وعلى
هذا التقدير يصبح كل فرد من أفراد
القوات المسلحة وقت الحرب من الجندي
الصغير إلى القائد الكبير « مجاهداً
في سبيل الله » وكل من يساهم في القيام
بخدمة هذه القوات بما يعينها ويشد من
أزرها « مجاهداً في سبيل الله » بل إن كل

ألا فليعلم كل من لا يعلم أنه لا يوجد شيء في هذه الحياة يعدل فضل العباد في الله والاستشهاد في سبيله . فهذا عبد الله ابن رواحة يمته رسول الله - ﷺ - في سرية وافق غدوها يوم جمعة فينطلقاً ساطات قليلة لا هرباً من القتال ولكن طمناً في أن يؤدي فريضة الجمعة خلف رسول الله فلما انتهت الصلاة سأله الرسول قائلاً : ما بال عبد الله لم يند مع أصحابه فقال أحببت أن أصلي الجمعة معك يا رسول الله وهما نذا لا حق بهم فقال له النبي - ﷺ - (لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما أدركت فضل غدوتهم) .

وهذا سعد بن الربيع يلى في غزو قاحه أحسن البلاء ويصول ويجمول في ساحة المعركة حاملاً على المشركين ، حملات ثالثة حتى إذا ما خبا صوته وهدأت جلجلته ويتفقد رسول الله ولا يجده يكلف زيد ابن ثابت بالبحث عنه ويقول له أن رأيتك فقرته مني السلام وقل له كيف تجد نفسك قال زيد فأثبته فإذا هو في النزع الأخير وبه نحو سبعين ضربة ما بين طعنة رخ وضربة سيف ، وقلت له أمرني رسول الله أن أنظر إليك أنت في الأحياء أم في الأموات

فيا قوم إياكم والتفاس من موكب الفضل وسبيل الجهاد وإياكم والتخلف عن تلبية دعوة الحق إذا ما استغاث بكم الوطن وتخرجت الأمور وحذار من الحرب والفكك ساعة الكرب والشدة ويحفركم الله نفسه بأسكم بهذا الفكك والحرب إنما تعمرون جسراً إلى جهنم فإن الجندي حينما يفر من وجه العدو ويولى ظهره فقد (تولى يوم الرحف) وإن الرجل حينما يحتنى هرباً من التجنيد ساعة الحرج والشدة فقد (تولى يوم الرحف) ومن استطاع أن يمالج أو يواسى جرحى الحرب ولم يفعل فقد (تولى يوم الرحف) ومن لم يسام في حدود طاقته سواء بماله أو بلسانه أو بقلبه أو بصنمته أو بقوته ولم يفعل فقد (تولى يوم الرحف) وإن القائد القوي في عنقه أمانة ويتحول عن الجهاد والاستشهاد ويفذ عن الجماعة فقد (تولى يوم الرحف) وضل طريق الهدى والنور وكفر بما نزل على محمد ﷺ إن الذين يشكرون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكهم ولهم عذاب أليم » (١) .

والأدب والسنة والخطباء والدارسون .
 أي بني ، لقد أسلمتم طائفتين أوهاجرتم
 مختارين فوالله اتقى لا إله إلا هو إنكم
 لبنو رجل واحد وبنو امرأة واحدة ،
 ما خنت أباكم ولا فضعت خالك ولا غيرت
 أصلكم ونسبكم ، فإذا رأيتم الحرب قد
 شمرت عن ساقها فيممو شطرها وخوضوا
 غمارها ووطيسها ، وجافوا رئيساء نظفروا
 بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة ، أي
 بني اطلبوا الموت توهب لكم الحياة .
 وحيثما جاءها الخبر بمصرع بنيها الأربعة
 وما كان منهم من حسن البلاء ما صاحت
 ولولت وما أتت وما تصردت بل قالت
 « الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وحباني بمهادم
 واستشهادهم ، اللهم إني أسألك الرحمة
 والغفران وأن تجمسي وإياهم في مستقر
 رحمتك وواسع جنتك يا أرحم الراحمين »
 فسلام على الخنساء في قبرها ، وسلام
 عليها يوم يبعثها ونشورها ، وسلام على
 أم الشهداء في دار الخلد والبقاء .
 وأخيرا فهذا عمرو بن الجحوم حينما يرى
 أبناءه ذاهبين إلى ساحة الجهاد لا يتأكل
 نفسه ويصر على مصاحبهم للقتال فيقولون
 حون ذهابه قائلين له : نحن نكفيك وإن
 الله يعمدرك لمرجتك وكبر سنك ولكنه

قال إني في السموات فأقرى رسول الله
 مني السلام وقل له إن سعدا يمدح ربح الجنة
 جزاك الله عن وعن أمك أحسن الأجر
 والجزاء ، ألا وبلغ القوم بهذا وقل لهم إن
 سعدا يقول لكم لا عذر لكم بعد اليوم
 إن تخاذلتم من نصره رسول الله ولا عذر
 لكم بعد اليوم إن خطا إلى رسول الله
 مكروه وفيكم حين تطرف ثم استشهد
 رضوان الله عليه بعد ما رأى مقدمه
 في الجنة ، وبعد ما ربح مع الله تجارته
 وبعثه « إن الله اشترى من المؤمنين
 أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون
 في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وهذا عليه
 حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن
 أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي
 بايتم به وذلك هو الفوز العظيم ^(١) .

ومحدثنا للتاريخ من أم من أمهات
 المؤمنين الصادقين وعلم من أعلام النساء
 المجاهدات الصابرات وهي (الخنساء) لقد
 وقفت يوما تحض بنينا الأربعة على القتال
 والخروج مع جيش المسلمين في حرب
 لقادسية فقالت لهم كلمتها المشهورة التي
 سجلها التاريخ بأحرف من نور وما زالت
 حتى وقتنا هذا تتناقلها كتب التاريخ

أيها العرب الأحرار:

تلك صفحة مارة من تاريخ أمتكم وهي كما تعلمون كانت وما برحت خير أمة أخرجت للناس تقرأها عليكم ونحن مقلون على أيام عصيبة وساعات رهبة إيماننا منا بأن الحق والباطل ضدان لا يتفقان فلقد قضى الأمر وتكشف الظلم وظهر الجشع والبغى وكثر الاستعلاء من أسيابهم وبات أحقادهم وأضغاثهم ، أقام عليه دولة اليهود بين ربوعكم وفوق قطعة غالية من أرضكم ودياركم كانت من قبل مهبطا للوحى والرسالة ومصدرا للزور والهداية ، وما كان العرب وهم الصفوة من الأخيار والأحرار أن يقبلوا على أنفسهم موافق القتل والمهانة ويرتضوا وضعا فيه استعبادهم واستغلالهم وفيه هنك أعراسهم وتذبيح أبنائهم الأفاعلوا أن الصهيونية عدوة الله في الأرض فضعها الإنجيل والقرآن الكريم ولعنهما محمد وعيسى وموسى عليهم الصلاة والسلام - فأجمعوا أمركم وصغوا صغوفكم إذ الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » (١)

عبد الرحمن أمين

[١] سورة الصافات (١)

يصبح فيهم ما لكم تمنعتي من دخول الجنة يذهب شاكيا للرسول الذي يحلى بينه وبينهم ، ثم يقول بارسول الله : إذا استشهدت في سبيل الله أدخل الجنة بمرجتي هذه ؟ فيطمئنه رسول الله - ﷺ ويقول : لا كلا بل تدخلها جميعا ، فيرفع يديه إلى السماء ويقول : اللهم إن أرجعتني فارجمني منسورا وإن قبضتني فاقبضني شهيدا ثم يخرج من حضرة إلى ساحة القتل مبتغيا الشهادة لاسرائيليا ولا محادما وحينما يسمع النبي نبأ استشهاده يقول : (والله لكأنى أرى محمدا بن الجحجح يمدى بمرجته هذه سليا في الجنة) .

أجل بارسول الله فوالله ما أصدقك لقد تاجر محمدا مع الله لا بمال ولا بمرض وإنما تاجر بروحه ونفسه فكان حقا على الله أن يدخله الجنة ويزل في حقه كتابا يقرأ وقرأ ما ينيل ، اقرءوا إن شئتم قول الله تعالى : « الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون » يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنت لهم فيها نعيم مقيم ، خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم » (١)

[١] التوبة ٢٠ ، ٢٤

الذين والدولة في إسرائيل

لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد البهي

تمهيد :

ولو أن الكنيسة الرومانية توفرت فقط على العناية بالمسيحية في تطبيق سلوكها الأخلاقي ، دون أن تتطلع لأن تكون هيئة سياسية لما برز الاتجاه « العلماني » في فصل الدولة عن الدين في نظام الحكم في المجتمع الغربي ، والاتجاه العلماني إذ يرى عدم تدخل « الدين » في الدولة فإنه يعني بالدين الكنيسة كهيئة صاحبة سلطة ، ولكنه لا يعني إعلاناً إنكار القيم الدينية المسيحية ، أو عدم الأخذ بها وعدم احتضانها .

إن الجمهورية الفرنسية المعاصرة - وهي الغمامة في سلسلة جمهوريات ما بعد الثورة الفرنسية - ما زالت ترى نفسها حامية الكاثوليكية في العالم ، بينما التاج البريطاني بدوره يعلن حمايته البروتستانتية^(١) في كل مكان .

[١] وولوف بريمانيا - في الحرب الأهلية النيجيرية منذ قيامها في سنة ١٩٦٨ - ضد يافرا بينما تلقى فرنسا للدفع من استقلال يافرا يدل على أن كلا من الدولتين الأوروبيتين المعاصرتين في اختلافهما -

هناك بعض المفاهيم أو بعض الحقائق يجب توضيحها قبل الحديث عن الدولة والدين في الوقت الحاضر ، وقبل الحكم بصحة أو خطأ جمل الدين من مقومات الدولة في قرنتا العشرين ، قرن التقدم العلمي والتكنولوجي والتطور نحو الإنسانية أو العالمية .

• الحقيقة الأولى : الدين والدولة في الصراع السياسي والاستقلال بالحكم في المجتمع الأوروبي :

لو أن الكنيسة في روما لم تأخذ لنفسها دور الدولة وسلطة الحكومة - منذ أن انتقلت للسيطرة إلى أوروبا - لما وجد في تاريخ المجتمع الأوروبي نزاع على السلطة بين ما يسمى « ديناً » وما يسمى « دولة » ولما عرفت فلسفة ما بعد الثورة الفرنسية في آخر القرن الثامن عشر تعبيراً للفصل بين الجانبين في توجيه الحكم في المجتمع الأوروبي .

فهذه الكنيسة ترى : أنها تحكم على الأرض ، بياة عن الله ، وهي بذلك مجسدة لله الأب ، والابن ، والروح القدس ، فلها عصمة في القول ، وطاعة على المؤمنين بها ، وأنها وحدها لها الحق في تفسير الكتاب المقدس ، والبابا ، وهو رئيس الحكومة الإلهية تنتقل إليه هذه للبادي الثلاثة :

١ - عصمة القول .

٢ - وحق الطاعة على المؤمنين بالكنيسة .

٣ - وحق تفسير الكتاب المقدس .
وفي شخص البابا يرتفع مستوى الإنسان المادي إلى مستوى القداسة ، بعد أن تجسدت فيه الكنيسة ، وهي بدورها تبحر المعبود في ثلاثيته : الأب ، والابن ، والروح القدس .

وإذا كان الذي يتصور الخلاف في الاتجاه الملماني بين الدين والدولة أنه خلاف بين مبادئ المسيحية ذاتها والدولة في المجتمع الأوربي في توجيه شئونها ، يخطئ في العلاقة بينهما ، فكذلك يخطئ هذا الذي يتصور الحكومة الإسلامية على

وإن الروح للمسيحية في الحكومات الملمانية في المجتمعات الأوربية والأمريكية تسود في قوانينها - وبالأخص في قوانين الأسرة - كما تسود في مواقيها التي تتخذها في الداخل أو في الخارج ، ودولة السويد - وهي أكثر الدول الأوربية تحررا من التقاليد المسيحية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية - فإن عظمها على « يافرا » الكاثوليكية - في مواجهة الكثرة المسلمة في بيجيريا - في الحرب الأهلية الأخيرة تجاوز العرف الدولي ، وهي أكثر الدول حفاظا عليه .

ولا شبهة إطلاقا في أن المقصود بالفصل بين الدين والدولة في اتجاه الملمانية هو الفصل بين سلطة الكنيسة ، وسلطة الدولة .

• • •

الحقيقة الثانية : معنى الحكومة الإلهية وهي في واقع الأمر حكومة الكنيسة الكاثوليكية :

== يرجع إلى اختلاف بينها للاتجاه المسيحي الخامس فسياسة فرنسا الملمانية تبرز حسبها طلب دولة فانيكان في الشرق أو الغرب . والروابط التي بين فرنسا ودول أمريكا اللاتينية لا يرجع إلى الثقافة الغربية بقدر ما يرجع إلى الاتجاه الكاثوليكي النيطر .

والحكومة الإسلامية إذا هي حكومة إنسانية تستند إلى كتاب الله في التطبيق . والإسلام تقنين لسلوك الفرد وسياسة الأمة معا ، ولا يعرف الازدواج في السلطة كما لا يعرف الفرق بين دين ودولة .

والبس في هاتين الحقيقتين في مجتمعاتنا الإسلامية جاء نتيجة « للنقائيد » والقتل عن تفكير الغرب ، دون أن تكون هناك أصالة لهم لمبادئ الإسلام عند القائلين والذقلين .

وهكذا : مبادئ للمسيحية ركن أساسي في نظام الحكم العثماني القائم على الفصل بين السلطتين : الدينية والزمنية : في تشريعه ، وفي سلوكه وفي مواقفه ، وربما لا نجد في المجتمع العثماني للعاصر - وهو خلاف المجتمع الإلخادي المأدى - سلطة زمنية تنسك للمبادئ المسيحية ، رغم أنها قد تكون في نزاع مع سلطة الكنيسة . وإذا لم ينص في دستور النظام العثماني على اعتبار المسيحية ديناً فلائح هذا النظام يريد أن يأخذ - على الأقل في الظاهر - بمبدأ « للمساواة » و « عدم التفرقة » بسبب الدين في رعاية الأفراد وتطبيق القوانين التي تصدرها .

عهد الرسول عليه السلام - أو هل عهد الخلفاء الراشدين بعده - على أنها : « حكومة إلهية » أي حكومة معصومة عن الخطأ ، أو حكومة مقدسة ، وأن الإمام بدوره يحكم نيابة عن الله في الأرض وأن له وحده حق تفسير القرآن الكريم .

فبدأ « الاجتهاد » في الإسلام :

١ - يحول دون العصمة في الرأي والقول وشرح مبادئ الإسلام ، ويحفظ على الإنسان السلم مستواه الإنساني في الخطأ والصواب .

٢ - ويمضى في الوقت نفسه لفقه الإسلام صلاحية ملاحقة الأحداث والتطورات في حياة المجتمع الإنساني .

وأي فرد مسلم ، وأية حكومة إسلامية تطبق كتاب الله ، فإنها لا تخرج عن دائرة « الاجتهاد » في التطبيق ، أي تدور بين للخطأ والصواب فيه ، ولذا لا توجد حكومة « إلهية » في الإسلام ، كما لا يوجد دين ودولة فيه ، أي لا توجد سلطتان : أحدهما سلطة الدين ، وهي الهيئة المشرفة عليه ، وثانيتهما سلطة الدولة ، وهي الهيئة أو الهيئات السياسية .

يرفض ما وراء الطبيعة ، كعلم له اعتبار العلم التجريبي .

ومثل هؤلاء للفكرين وعلماء الاجتماع في معارضتهم للدين في أن يدخل دائرة (العلم) ويبدأ منه من تنظيم المجتمع والدولة تبعاً لذلك يرون العلم في دائرة التجربة العادية وحدها ، ولا يقيمون وزناً للتجربة النفسية ، أو التجربة الذاتية (الروحية) التي تصعد بالمعرفة إلى الله جل شأنه من طريق الصفاء النفسى أو البصيرة ، وهى تلك التجربة التي يبنيناها للفكر للعلم محمد إقبال (كمنو) كتجربة للمادة .

ومعرفة الله سبحانه وتعالى عندئذ نتيجة « تجربة النفسية » كالمعلم الطبيعى الذى هو نتيجة كتجربة للمادة .

ويرفض مثل هؤلاء للفكرين لدخول الدين مجال العلم من جانب ، وبمحاولة جعله في نطاق التجربة من جانب ، وإن كانت تجربة من نوع آخر ، نفأت قضية : « العلم والدين » .

ويقرب عن اعتبار الدين علماً (تجريبياً) وجوب تأسيس الحياة الاجتماعية على الأخذ بالمبادئ الدينية وجعل الدين كيقوم من مقومات نظام الدولة .

الحقيقة الثالثة : اتجاه فئة من للفكرين والسياسيين إلى إبعاد المسيحية عن حياة المجتمع العلماني في الغرب ، وهذه الفئة إذ تنهج هذا الاتجاه تتأثر :

إما بطريقة العلم التجريبي المادى ، أو بالخصوصية الخاصة للمسيحية .

فالذين يتأثرون بالطريقة التجريبية وحدها في مفهوم العلم يرفضون اعتبار « ما وراء الطبيعة » علماً أى يرفضون المعرفة التي لا تستمد من « الشاهد » ، والتي تعود فقط إلى الغيب ، والدين هو من الله الذى لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار وهو لطيف الخبير .

ومن هؤلاء للفكرين : David Hum الفيلسوف الإنجليزى في القرن الثامن عشر (١٧١١ - ١٧٧٩) الذى يرى أن الحقائق الدينية لا يمكن أن نعرفها على الإطلاق ، وإعما نعتقد ما مقل .

الفيلسوف الفرنسى Auguste Conte في القرن التاسع عشر (١٧٩٨ - ١٨٥٧) والذى يعتبر أن المعرفة الإنسانية إذا ابتدأت باللاهوت ثم بما وراء الطبيعة فإنها تنتهى إلى العلم الوضعى ، وهو العلم التجريبي . والفيلسوف الألمانى Max Weber في القرن العشرين (١٨٦٤ - ١٩٢١) والذى

ومن القدين تأثروا بالخصومة الحادة
 للكنيسة : FRANCOIS VOLTAIRE
 الكاتب الفرنسى فى القرن الثامن عشر
 (١٦٩٤ - ١٧٧٨) .

ومن الأقوال التى تنسب إليه قوله :
 « إذا لم يكن الله موجودا فيجب على
 الإنسان أن يخترعه حتى لا ييأس من الشقاء
 الموجود فى العالم ، فنظام العالم القائم
 لا يبعث فى حقيقة أمره على الرضاء ،
 ولذا يجب أن يتصور : أن قدرة الله غير
 محدودة ، وأنا صنعتك رسالتك فى العالم ،
 والهدف الأمل هو :

- ١ - تخفيف الشقاء فى العالم .
 - ٢ - وتحقيق القيمة العليا التى هى
 العدالة ، وقيمتها هى قيمة (أبدية) .
- فوظيفة وجود الله فى تفكيره هى
 وظيفة نفسية ، يحمل تصور وجوده على
 عدم اليأس من العالم فحسب .
- • •

وليس المجال الآن مجال توضيح الصلة
 فى الإسلام :
 (١) بين الدين والدولة .
 (٢) وبين الدين والعلم .
 ويكتفى فقط بأنه طالما لا توجد

كما يترتب على عدم اعتباره علما فى نظر
 أصحاب « التجربة الذاتية » وحدها إيماده
 من شئون الدولة وسياسة الحكم .

وإذن أى اتجاه مادي فى نظام الحكم
 وسياسة الدولة يرى من الأمور الضرورية
 لصالح الدولة عدم مهادة الدين فى أية
 صورة من صور المهادنة ، وحديته عن العلم ،
 ووصفه للبادى أو الظواهر بـ (العلمية)
 ونحكيه ما يسمى بالأسلوب العلمى
 والمعالجة العلمية لأمر ما هو المحيولة
 مباشرة دون الدين وقضايا الإيمان بالله .

وربما يعود بعض الدوافع إلى تهدد
 أصحاب الاتجاه للادى فى معارضتهم للدين
 باسم المسلم التجريبى وقوفهم طعنين
 عن تفسير :

« التثليث » فى أصل الوجود ،

و « المصمة » للإنسان ،

و « مكوك النفران » ،

و « كرمى الاعتراف » فى نظام

الكنيسة فى المجتمع الأوروبى .

فهذه للبادى تحول دون « الوحدة »
 للطلقة فى أصل العالم الطبيعى ، كما تحول
 دون « المساواة » فى الاعتبار البشرى
 لأفراد المجتمع .

حكومة إلمية في الإسلام ، وطالما
لا توجد هيئة خاصة ذات سلطة سياسية
باسم الدين ، فيه تنازع ما يسمى بالسلطة
اللمياسية الزمنية ، فلا توجد على الأقل
خصومة بين الدين من جانب والدولة
والعلم من جانب آخر .

وإلى مسئولية « الاجتهاد » في الإسلام
يعود الخطأ والصواب في سياسة الحكم
كما يعود إليه في ذلك طريق السلوك المعمل
للأفراد في الأمة :

والقرآن كتاب هداية للإنسان
في عثونه وفي وصوله - عن طريق معرفته -
إلى ربه ، وهو للناس متساويف أمامه ،
وليس مقسما بعضه إلى مجموعة دينية وبعضه
الآخر إلى مجموعة كوية أو سياسية
أخرى منهم .

إسرائيل للماصرة :

١ - أي رباط لإسرائيل للماصرة :
في إقامة دولة . وبقاء دولة : والتماسك
في إطار الدولة غير « اليهودية » ؟

(١) أهو رباط اللغة العبرية ، وهي
التعبير عن تاريخ بني إسرائيل على أساس
من اليهودية في الكفاح من أجلها
أولى تعريفها وتأويلها ؟

(ب) أهو رباط « القومية » اليهودية
وليس هناك قومية يهودية لا يحتوي
مضمونها : اليهودية كدين ؟ :

(ج) أهو اللغات العديدة التي تعلمها
اليهود في أوطانهم الجديدة في العالم
بعد أن تفرقوا إليها ، أم هو التاريخ
المختلف للشعوب التي استقر بين أبنائها
هؤلاء النازحون اليهود ؟ :

٢ - أهو القيم الإنسانية الفلسفية
البعثة التي تمثلها الشعب اليهودي
وفوق الأديان ؟ :

(١) وهل هذه القيم تصلح لأن تكون
الرباط بين اليهود ، ولا تصلح أن تكون
الرباط بين أفراد شعب آخر من الشعوب
البشرية ؟ .

(ب) ثم هل توجد فلسفة غير متحيزة :
فلسفة فوق مستوى الشعوب والأجناس
وفوق الأديان جميعها ؟

إن اللغة العبرية لو اتخذت الرباط المشترك
في إقامة دولة إسرائيل المعاصرة - وهي
تعبير في تاريخ إسرائيل من اليهودية
في مراحلها المختلفة - فليست إذن اللغة
العبرية المكونة من ألفاظ وتراكيب هي

بها، وأما تاريخ هذه الشعوب التي استوطنوها فإنها - هذه وتلك - لا تصلح أن تكون الرباط في إقامة دولة ، وإن صلحت أن تكون وسيلة ترابط بين مجموعة وأخرى من اليهود .

والقيم الإنسانية التي تدعى أية فلسفة تجردها عن التحيز ، وبالتالي تدعى : أنها فوق الشعوبية والمذهبية الطائفية والدينية التي تدعى أنها « عالمية » لا توجد بمدى حتى الآن ، ونوحديوم يوجد « الإنسان العالمي » الذي يفكر تفكيراً عالمياً في الإنسانية وحدها : لا يتأثر فيه بيئة ولا وراثة ، ولا بمحدودية وجود الإنسان نفسه

ويستحيل وجود هذا الإنسان إلا إذا ولد ونشأ على غير هذه الأرض .

وما يدعى : أنه تفكير عالمي اليوم فلا يعدو أن يكون تفكيراً طلب فيه أن تتحدد بعض الشعوب من خصائصها لصالح شعب واحد فيها . فالمفكرة « الماسونية » مثلاً وإن ادهت في طابعها « العالمية » فهي في خدمة « إسرائيل » منذ وجود هذه المفكرة .

واللغة العالمية « الإسبرنتو » لا تعبر

الرباط . إنما مضمونها التاريخي . وهذا للضمون فوصلة وثيقة باليهودية كدين .

والقومية اليهودية ليست في تحليل واقعها سوى الوفاء التاريخي والديني والفقري . فإن اتخذت هذه القومية الرابطة في دولة إسرائيل الممارسة باليهودية تمثل القسط الواسع ، والمتميز فيها .

وليست هناك قومية تعتمد على لغة القوم وحدها كتصير وأصاليب ، وإنما أية لغة هي كائن حي ، مظهره : التصير باللفظ والتركيب ، وحقيقته : تاريخ القوم الذي تنسب إليه . وأخص ما يحمله تاريخ القوم - أي قوم - هو عقيدته ، وتقاليده وكفاحه في سبيل استقلاله أو سيادته .

والقوم الذي يحافظ على استقلاله وسيادته هو ذلك الذي تميزت شخصيته . والمناصر الأساسية في شخصية أي قوم من الأقوام هي :

احتفاده الخاص برسالة معينة في حياته .

وتقاليده التي تربط بين أفراد .

أما اللغات المبددة التي تعلمها النازحون من اليهود وسط الشعوب التي استقروا

في الاعتبار البشري على مجموعة أخرى فيها،
على الأحسن لسبب الدين أو العنصر .

١ - فهل في اليهودية ما يحول دون
أن تكون دولة إسرائيل دولة عصرية
إذا قامت على أساس منها ؟

٢ - هل في اليهودية ما يجعل اليهود
وعدم أصحاب ميزة في الاعتبار البشري
على من عداهم في العقيدة في دولة إسرائيل
المعاصرة ؟

إن الرجوع إلى اليهودية في صلتها
برسالة الله - وهي رسالة إبراهيم وموسى
وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام -
يمكن أن يثير الطريق إلى جواب هذا
السؤال .

وخير مصدر نرجع إليه هو القرآن
الكريم : « إن هذا القرآن يقص على بني
إسرائيل أكثر الذي هم فيه يخفون .
وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين » (١) .

رسالة موسى واليهودية :

إن رسالة موسى - كما أزلت وكما
يصورها القرآن الكريم - تختلف عن
« اليهودية » التي يتبناها اليهود والتي
يتخذون منها أساساً لقرابط في قيام دولة

عن تفكير إنساني عالمي ، بل هي بالأحرى
مائل لتذويب خصائص الشعوب ومحاولة
دمجها وإزالة الفواصل بينها في الاعتقاد
والروابط الخاصة لصالح مجموعة مشردة ،
هي اليهود ، كي تفيض في تسليط واطمئنان ،
وكي تمارس نشاطها المالي والعقلي في قبية
من الوعي الوطني الذي تحببه اللغة الوطنية

اليهودية والدولة المعاصرة :

ولكن إذا سلحت اليهودية أو تمتعت ،
دون اللغة العبرية ، ودون القومية ليهودية ،
ودون فلسفة لقيم غير المنحيزة - أرتكون
الرباط بين اليهود في العالم أو في أي مكان
منه ، هل تصلح مع ذلك أن تكون أساساً
لدولة عصرية لإسرائيل كدولة تحاول
أن تثبت وجودها ؟

إن الدولة « العصرية » هي التي تكون
لجميع الأفراد فيها ، حمايتها للجميع على
السواء ، والعمل فيها لا يحرم منه راجب
في العمل بسبب عنصره أو طائفته ، أو
عقيدته ، أو لغته .

هي الدولة التي تتيح للجميع الأفراد
حرية ممارسة العبادة ، وعدم الإكراه
في الدين . هي التي لا تميز مجموعة من أفرادها

إسرائيل المعاصرة، يقول الله عز وجل في وصف رسالة موسى :

« أفن كان هل بينة من ربه ويشلوه شاهد منه ، ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة » (١)

فقد وصف « كتاب موسى » بأنه كان قبل القرآن إماما لبشرية ورحمة لهم وجاء القرآن شاهدا عليه ومؤيذا لما جاء به وهو (أى القرآن) لذلك إمام ورحمة للناس جميعا .

بينما يقول في وصف اليهودية بين بنى إسرائيل :

« وقالوا (أى أهل الكتاب) : كونوا هودا أو نصارى تهتدوا »

قل : بل ملة إبراهيم حنيفا ، وما كان من المشركين .

قولوا : آمنا بالله ، وما أنزل إلينا ، وما أنزل إلى إبراهيم ، وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون

فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنهم في شقاق ، فسيكفيكم الله وهو السميع العليم ، صبغة الله ، ومن أحسن من الله صبغة ، ونحن له عابدون .

« أم تقولون : إن إبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحق ، ويعقوب والأسباط ، كانوا هودا أو نصارى ؟ قل أنتم أعلم أم الله » (٢) .

فالقرآن - فيما يحكيه عن اللولى جل شأنه هنا - لا يقبل اليهودية أو (النصرانية) كدين لهداية البشرية وإعنا دين الله مصدر هدايته هو « ملة إبراهيم حنيفا » . فاليهودية أو (النصرانية) دين فريق معين من البشر ، وليست الدين الذى هو للناس جميعا ، وهو وحده الذى يقبل عند الله ، وهو الدين الذى جاءت به الرسل جميعا .

ثم في قوله تعالى : « ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ، ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين » (٣) .

بنى أن يكون إبراهيم عليه السلام يهوديا ، ثم يثبت أنه كان مسلما ، وهذا

[١] البقرة : ١٣٥ - ١٣٨ - ١٤٠

[٢] آل عمران ٦٧

[٣] هود ١٧

ويجب القرآن الكريم أيضا عن هذا السؤال في مثل ما يذكره قول الله تعالى : « وقالت اليهود والنصارى : نحن أبناء الله وأحباؤه .

قل : فلم يمدبكم بذنوبكم .

بل أنتم بشر من خلق ، يغفر لمن يشاء ، ويمدب من يشاء ، والله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير » (١) .

فكل من اليهود والنصارى صنع في رسالة الله ما يجعلها مصدر تمييز لهم ، بحيث يتجاوزون هم في أنفسهم عن طريق التأويل فيها مستوى الإيمان إلى مستوى آخر أقرب إلى الله ، وهو مستوى الأناء ، أو الأحباء .

وقد كان بنو إسرائيل يدهون أنهم أولاد إبراهيم عليه الصلاة والسلام . ولذا لا يماقبون على ذنوب يرتكبونها ، وإن عوقبوا عليها - على أسوأ القروض - فلهذه قصيدة ولذا جاء القرآن - كرسالة الله - ينفي هذا الادعاء ، ويؤكد أنه الناس جميعا سواء أمام الجزاء ، وأنه لا فرق بين مجموعة وأخرى ، ولا بين شعب وآخر في ذلك .

يوضح أن هناك اختلافا وجنوة بين ما لليهود من يهودية ... وبين ما عليه المسلمون من إسلام الذي هو رسالة الله منذ إبراهيم حتى محمد بن عبد الله عليهما الصلاة والسلام .

وتختلف اليهودية عن كتاب موسى ، كما تختلف عن ملة إبراهيم ، ومما أزل إلى الرسل جميعا :

فكتاب موسى ، ورسالة إبراهيم ، وما أزل كل الرسل من بعدهما هو الإسلام الذي جاء به القرآن مصدقا لما بين يديه من هذه الرسالات ... وإذن :

هنا رسالة الله ، أو الإسلام . وهي الرسالة الإلهية منذ إبراهيم ... حتى موسى ، وعيسى ، ومحمد عليهما الصلاة والسلام . وهنا شيء آخر يختلف عنها وهي : يهودية بنو إسرائيل .

والحديث كذلك عن اليهودية ليس هو الحديث عن دين الله أو عن رسالته للبشرية التي هي الإسلام منذ إبراهيم عليه السلام .

والسؤال الآن : بم تختلف اليهودية عن كتاب موسى ؟

... جاء قول القرآن هذا في قوله :

« وقالوا : لن نمس النار إلا أياما معدودة
قل : أنخذتم عندا لله عهداً ، فلن يخلف
الله عهداً ؟ أم تقولون على الله ما لا تعلمون ؟
بلى : من كسب سيئة وأحاطت به
خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها
خالدون .

والذين آمنوا ووصلوا الصالحات
أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون » (١)
فذهب بنى إسرائيل ليس شعباً مختاراً ،
يتميز عما سواه من الشعوب ، كما تنطق
رسالة الله في القرآن ، وإن ادعى اليهود
ذلك لأنفسهم .

ثم إن الذين يكفرون بـ « روحية »
الدين تحت تأثير الاتجاه المادى فى الإيمان
بالله ، ويأثرون هذا الاتجاه فى ارتكابهم
الجرائم الاجتماعية ، رغم إعطائهم العهد
واليثاق على عدم ارتكابها ، لا يستبعد
منهم أن يخالفوا هذه الروحانية فى تمييز
أنفسهم عن سواهم بمد أن يملنوا الإيمان
بها .

١ - فقد طالبوا برؤية الله عياناً كطريق
للإيمان به : « يسألك أهل الكتاب أن

تزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا
موسى أكبر من ذلك فقالوا : أربنا الله
جبهة ، فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ، ثم
اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم اليينات .
٢ - واثروا الجرائم الاجتماعية ، رغم
المواثيق المؤكدة على عدم ارتكابها .

« وإذا أخذنا ميثاقكم : لا نسفكون
دماءكم ، ولا نخرجون أنفسكم من دياركم
ثم أقررتم وأنتم تشهدون . ثم أنتم هؤلاء :
تقتلون أنفسكم ، وتخرجون فريقاً منكم
من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والمدوان
وإن بأوتكم أسارى تفادوهم ، وهو محرم
عليكم إخراجهم ، أفنتؤمنون ببعض
الكتاب وتكفرون ببعض ؟ فما جزاء
من يفعل ذلك منكم إلا خزي فى الحياة
الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد المذاب ،
وما الله بغافل عما تعملون » (١) .

واستمر شعب بنى إسرائيل نفسه تحت
تأثير « اللادية » فرونا وأجيالاً عديدة
حتى اليوم ، رغم وجود سلسلة من الأنبياء
توضح لهم رسالة موسى ، ورغم أن عيسى
جاء على أثرهم برسالة الله إليهم مرة أخرى :
« وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقاً

وم الذين أخذوا اسم « النصارى » من أبناء هذا الشعب الإسرائيلي : « فلما أحس عيسى منهم الكفر ، قال : من أنصاري إلى الله ؟ قال الحواريون : نحن أنصار الله آمنّا بالله ، واشهد بأما ملهون » (١) .

واختلافهم إذن عن دين الله ورسالته - سواء على عهد موسى ، أو على عهد عيسى عليه السلام - هو على نحو ادعائهم التي سجلها القرآن الكريم عليهم فيما يحكيه عنهم :

من قولهم : « نحن أبناء الله وأحباؤه » .
وقولهم : « لن تمسنا النار إلا أياما معدودة » .

وقولهم : إن إبراهيم كان يهوديا فيما ينفيه القرآن في قوله : « ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ، ولكن كان حنيفا مسلما » .

« وقولهم على سريرة بيتنا عتيا » .
ومن قولهم : « إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله » .

« وأحذم الربا وقد نهوا عنه » .
« وأكلهم أموال الناس بالباطل » .
وقد جاء القرآن بعد ذلك يناشدتهم

[١] آل عمران ٥٢ .

لما بين يديه » ، ورغم مناعته إياهم أن يسموا لصوت الحكمة ، ورغم توضيحه لما اختلفوا فيه عن كتاب الله - « وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الإنجيل » ، « وإذا قال عيسى ابن مريم : يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدا لما بين يدي من التوراة » .

ومما اختلفوا فيه عن كتاب الله قولهم إنهم شعب الله المختار ، ومع ذلك ظنوا ماديين ، ومدعين لأنفسهم بسبب ماديهم ما يتفوقون به على غيرهم ، ولهذا كانوا ظالمين لأنفسهم .

« ولما جاء عيسى بالبينات قال : قد جئتكم بالحكمة ، ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه (أي من كتاب الله) فاتقوا الله وأطيعوا » .

إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم . فاحترف الأحزاب من بينهم قويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم » (١) .

فبنو إسرائيل ظنوا مختلفين عن دين الله ورسالته على عهد موسى .

ثم اختلفوا كذلك عن دين الله ورسالته على عهد عيسى : منهم من كفر به ورسالته ومنهم - وهم قلة - أصبحوا حواريين له ،

[١] الزمر ٦٣ - ٦٥ .

تاريخهم - لا يحمل « اليهودية » أيضا دينا ، حتى يعتبر أو لا يعتبر من مقومات هوية عصرية . أي أنه يحول دون اعتبار اليهودية دينا أولا .

« واليهودية » إذن لا تصاحبها خصائص الرسالة الإلهية وخصائص دين الله وأبرز هذه الخصائص :

أولا : المساواة في الاعتبار البشري : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشرا نبيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون » ^(١) .

وثانيا : (روحية الدين) وهي تلك الروحانية التي تحول دون الجرائم الاجتماعية في الأموال والأعراض والأفئدة ، والتي تحمل على تجاوز دائرة الطفولة البشرية في التفكير والاعتقاد ، فلا يقف تفكير المؤمن بدين الله وروحانية هذا الدين عند حد المحسوس والمشاهد ، كما لا يجمد اعتقاده وإيمانه بما يحسه فقط ، ويرفض كل ما عدا المحسوس إن فكر أو اعتقد . ولذا يرفض الإيمان بالله لأنه لا يحس .

عدم الغلو في الدين ، وعدم اتباع الهوى ولكن ظل نداؤه لإياهم بغير جدوى . واستحقاق إبسب ظلمهم لأنفسهم واختلافهم عن دين الله الحق من الله جل جلاله :

« قل يا أهل الكتاب : لا تغلوا في دينكم غير الحق .

ولا تغلوا أهراء قوم قد ضلوا من قبل ، وأضلوا كثيرا ، وضلوا عن سواء السبيل .

لن الدين كفروا من بني إسرائيل على

لسان داود ، وعيسى بن مريم ، ذلك بما

عصوا ، وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون

عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون .

تري كثيرا منهم يتولون الدين كفروا ،

لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله

عليهم ، وفي العذاب هم خالدون » ^(٢) .

فاحتلال شعب إسرائيل اليوم في دولتهم

المعاصرة على أساس من عقيدة (اليهودية)

يحول دون أن يكون (الدين) من

مقومات الدولة ، كدولة عصرية ، يجب

أن تسوى بين جميع الأفراد في الاعتبار

البشري وفي حرية العقيدة .

وتأثر شعب إسرائيل اليوم في دولتهم

المعاصرة بالانحياز المادي - الذي ظل طوال

« ذلكم الله ربكم ، لا إله إلا هو ، خالق كل شيء ، فاعبدوه » ، وهو على كل شيء وكيل لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار وهو الطيف الخبير » (١) .

وإذا حال (عدم المساواة) في الاعتبار البشري دون صلاحية ما يدعى له الدين أو العقيدة من أن يكون ديناً أو عقيدة ، فقد كان (روحية الدين) أو الوقوع تحت تأثير الانجاء للادى أكثر إيماداً لما يدعى : أنه دين ، من أن يكون ديناً فالانجاء للادى من شأنه أن يفرق حتى بين الإخوة ، والدين من شأنه أن يكتل ويجمع حتى بين الأعداء « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » (٢) .

الانجاء للادى يفسح (الأنانية) و (الفردية) والدين يشجع روح الجماعة والمشاركة ، على حساب القدرات وشهواتها . و (الأنانية) هي داء المجتمع وعدوه الأول

هي مصدر الخصومات والأحقاد هي مصدر الاستغلال والاحتكار . هي مصدر المص والفساد من طريق الترف والبالغة في المتعة المادية . هي مصدر القتل وإشاعة القهقضاء والمكر هي مصدر الشرك والاشهارة والتفاخر .

وقد لا يصدق إطلاقات أرائية أيديولوجية تدعو إلى المبادلة أو المنفعة (المادية) وحدها تصبح عقيدة أو ديناً (فضلاً عن أن تكون ذات أثر إيجابي في حياة من يدعى أنهم يؤمنون بها) لا يصدق مطلقاً : أن مذهباً مادياً في الحياة يشجع روح الإنسانية أو يستهدف المستوى الإنساني في المجتمع .

الانجاء المادى يطلب اقتناص الفرصة في جمع المال ولتلع الديبوية ، والدين يطلب الزهد فيها لصالح الإيمان بالله والقيم العليا ، يطلب « التضحية » حتى بالنفس بعد لئال والولاء .

و « اليهودية » المادية إذن ، واليهودية التي تدمى أنها دين « النخبة » ودين « الشعب المختار » لو تأسست عليها الدولة العصرية ، دولة المساواة في الاعتبار البشري « لسكانت عوامل التفرقة فيها متعددة ولسكان الصراع الداخلي أشد وأعنف فيها

[١] الأنعام ١٠٢ ، ١٠٣ .

[٢] آل عمران ١٠٣ .

ومن شأنها عندئذ أن تحول دون اعتبارها مقوماً في « دولة معصية » لا تفرق بين الأفراد فيها ، ولا ترى « الدعوية » أروافاً تميز هؤلاء الأفراد بعضهم من بعض ، فإن الإسلام دين الله ورسالة محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، وقد جاء مصححاً لاختلاف الرسالتين السابقتين قبله ، وليبان ما اختلف فيه أهل الكتاب هنا وهناك عن كتاب الله ، يضع الناس جميعاً سواء أمام لا اعتبار للبشرى ، ويرفع العصمة من الإنسان إلا في نطاق ما يكلف به رسوله لتبليغه من وحي الله إلى الناس كافة :

«الإسلام دين الله، ورسالة محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، لا يعرف :

١ - التفرقة المعنوية ولا اللغوية كأساس لتقدير الناس والأفراد، وإنما يعرف مقياساً واحداً تقاس به منازلهم ومستوياتهم وهو مقياس « التقوى » أو السلوك الإنساني المذهب أو المستوى البشرى الفاضل، فهو لا يبدأ بالتفرقة بين الأفراد وإنما يرجع التفاضل بينهم إلى وقت مسئوليتهم عن التصرف والسلوك وإلى وقت حرمتهم وعدم إكراههم على الفعل ، بعد أن يضمن لهم أن رسالته قد بلغت إليهم .

وهي عوامل المعنوية من جانب، والانتهازية الهادية من جانب آخر .

ولكنها في الآونة الحاضرة لا يبدو التفرق في مجتمعاتها ولا التمزق الداخلي فيه بسبب التركيز على « توسعاتها » وعلى ما يضمن لها شبه الاستقرار ، ويكفل لها أمناً خارجياً .

وعوامل المعنوية إذا أوجت بها عقيدة كان تمزيقها للوحدة الداخلية أمراً لا مفر منه إن عاجلاً أو آجلاً . وعوامل الانتهازية للبادية لا تسبب فرقة الأمانية لحسب وإنما مع ذلك تجعل الأخ يحقد على أخيه ويندر به ويتسلط عليه إن أمكن ، في سبيل تحصيل للثمة المادية .

الإسلام دين الله ، والدولة :

وإذا كانت رسالة الله لميسى بن مريم عليه السلام تحولت إلى مسيحية الكنييسة وأقامت هذه عليها سلطة سياسية وحكومة إلهية معصومة عن الخلق ومن شأنها عندئذ أن تحول دون اعتبارها مقوماً في « دولة إنسانية » تصيب وتخطيء في تقديرها ، وإذا كانت رسالة موسى عليه السلام قبلها تحولت إلى دين « النخبة » و« شعب الله المختار » تحولت إلى « اليهودية »

للمجتمعات المسيحية للمعاصرة مع نظام الكنيسة يعود كذلك إلى المبدأ الكنسي وهو : « الربط بين الله وابن الله والروح القدس والإيمان بحلول الوحدة » الثلاثية بينها في رئيس الحكومة الإلهية . الذي له وحده حق القول والتفسير وحق الطاعة والولاء .

وهكذا : الإسلام دين الله ورسالة محمد ﷺ لا يعرف تفرقة عنصرية أو شمولية ولا يعرف حكومة إلهية ولا إنسانا معصوما في الحكم أو التقدير والرأى ، ولا إنسانا مقدسا فوق مستوى البشر وأقرب إلى مستوى الملائكة ، فضلا عن مستوى الله جل شأنه .

الإسلام يعرف الإنسان كإنسان ويقدم له المفورة والهداية كصاحب طبيعة بشرية يمرض لها الخطأ والصواب ، والزلل والسداد وللرض والصحة ، والفقر والغنى ، والطفولة والشيوخوخة ، والموت والحياة ، والضمة والشرف بالمال أو بالعصبية أو بالحكم ، والتواضع والطفيان .. يمرض له النقيض ونقيضه من صفات الوجود .

ويريد للإنسان غيب أن لا يسقط إلى مستوى الحيوان في إغفال العقل والقلب وأن

وبذلك يصحح الإسلام ما اختلف فيه بنو إسرائيل عن كتاب الله ودينه ، وهو كتاب موسى ومحمد على السواء . وقد آذى الله اليهود بسبب تأويلهم لدين الله وادعائهم : أنهم « شعب الله المختار » وسلط عليهم آلام « النفوق » في المنصر والعرق فيما ادعته أوروبا من « الآرية » وتفوقها على « السامية » في النصف الأول من قرننا الحاضر .

٢ - ولا يعرف الإسلام أيضا القداسة والعصمة للبشر . فالتناس كما هم سواء في الاعتبار البشري ، هم سواء أيضا في التعرض للخطأ والصواب . والفاضل بينهم ليس هو الذي لا يخطئ ، وإنما هو الذي لا يقصد إلى الخطأ .

وبهذا أيضا يصحح ما اختلف فيه النصراني عن كتاب الله ودينه ، وهو كتاب موسى ، وعيسى ، ومحمد على السواء . والاتجاهات الراديكالية - وهي الاتجاهات المتطرفة في الفلسفة الغربية - في المجتمعات الأوروبية هي في الأغلب وليدة احتسار « القداسة » و « العصمة » للإنسان في دين الكنيسة .

كما أن تصادم الأحداث في تطور الحياة

يركز فقط على المدة والفرج.. يريد للإنسان أن يكون لبنة مصقولة في بناء مجتمع إنساني كبير - وصقلها من طريق الحد من «الأنانية» وإفساح مجال للمعنى الجماعية ومشاركة الحياة والوجود .

القومية كبديل عن دين الله ورسالة محمد عليه الصلاة والسلام :

والآن إذا ترك الإسلام - دين الله ورسالة محمد عليه السلام - في المجتمعات الإسلامية، وأبمد من أن يكون من مقومات الدولة المصرية فذلك يرجع إلى أحد أمرين: ١ - إما إلى تقليد المجتمع الأوروبي - في عربه أو في شرقه - تقليداً ينطوي على التبعية المطلقة لتطور هذا المجتمع وأحداثه التي تتعاقب فيه ، في إمرض عن مراجعة الإسلام وتاريخ المجتمع الإسلامي .

٢ - وإما سمياً إلى التخلي عن مبادئ الإسلام في الحكم ، وهي تلك المبادئ التي لا تساعد على أن تكون السلطة قسرية ، ولا على أن يكون الحكم لجاء الحكم .. تلك المبادئ التي أدناها العدل ، وأرفعها الإحسان ، والعدل إذا كان توازناً في المباداة والمعاملة وإحقاق الحق لكل صاحب حق بالإحسان هو إعطاء من إنسانية المحسن ،

بمثلا في حمل خير إنساني أو في مال أو في معاونة الغير ، أكثر من الأخذ منه . تلك المبادئ التي تجعل « الحرية » أمراً مكتسباً للفرد لا توهب من أحد سواه ، وإنما تترج عن طريق العبادة لله سبحانه وتعالى من هوى النفس وشهوتها ، واكتسابها هو « جهاد أكبر » وهو أعظم شأنًا من جهاد « الميدان » ولقاء الأعداء . لأن هذه الحرية لو تحققت لدى الأفراد في المجتمع كانت هي سبيل للنصر في ميدان القتال في كل مرة يواجه فيها الأحرار من المؤمنين عدواً وهم ، ولكن النصر في ميدان القتال مرة لا يكفل حرية المجتمع الدائمة التي تتجلى في قوته وفي تماسكه ، وفي بقاءه معتزاً بخصيئته التي تميزه عن غيره ، ونجمه مستقلاً غير تابع إلا لله وحده جلّت قدرته .

و « القومية » التي يحاول بعض مدعي التفكير الاجتماعي من الأجانب من أمثال : ساطع الحصري^(١) ، وجورج حبش^(٢) ، وميغيل غيلق^(٣) - أن يجعل كل منهم

[١] الذي لا يعرف منحه ومضنه بغير ما يعرف منه من العرب والعربية .
[٢] الذي لا يعرف ولا يؤمن بالكتابة بغير ما يعرف مناؤها للإسلام والمسلمين .

مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان
فكفرت بألم الله فأذاقها الله لباس الجوع
والخوف بما كانوا يصنعون» (١).

هي قومية تدعو إلى الوثنية للادية :
« واتخذوا من دين الله آلهة لهم
ينصرون . لا يستطيعون نصرهم وهم لهم
جند محضرون » (٢).

إن الإسلام دين الله ، ورسالة خاتم
الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ،
لا يعرف :

١ - الفصل بين دين وحولة ، إنما يعرف
الحياة الإنسانية للفرد وفي علاقته بغيره .
٢ - ولا يعرف : قضية الدين والعلم ،
وإنما يعرف مؤمنا بالله يحس صفاته
في نفسه من : علم ، وغنى ، وخلق وإبداع .
ويتقرب بما يحاكيه إليه جل جلاله .

٣ - ولا يعرف : حكومة إلهية ،
ولا رفعا لإنسان عن مستواه الإنساني ،
وإنما يعرف إنسانا يصيب ويخطئ
في تقديره وفي رأيه وفي عمله .

٤ - ولا يعرف تفرقة بين الناس على
أساس من العنصر والعرق ، وإنما يعرف
أن الناس جميعا سواء في الاعتبار البشري

« بديلا » منها عن الإسلام في الترابط
إن هي إلا واه لا يمتد إلى الحقد على
الإسلام ، بعد جهل بمبادئه ، وفي الوقت
نفسه بعد وهي بآثاره الإيجابية في تجميع
الأمة وفي نهضتها بعد استقلالها السياسي .
إن « القومية » التي يعينها سامطع المصري
قومية ألقاظ لقوية وقومية تاريخ لا يصور
أحداث أمة كانت لها رسالة وقيم عليا
وحاشت من أجل هذه الرسالة والقيم ،
وتريد أن تعيش لها في أجيالها المستقبلية ،
لهي قومية جسم لا روح فيه .

و « قومية » جورج حبش ، ومبشيل
مفلق ، قومية إلحاد بدين الله ، وقومية
« احتراذ » لمسكر متعثر يقوم على الدعوة
لتنمية « الحقد » في النفوس ويضع العذر
واللا إنسانية في ضروبها المختلفة أساس
السلوك ، كما يضع الأفراد في الأمة في متاهة
المحصرات ودوامه للزراع وسوء العلاقات .

هي « قومية » تحيل مجتمع « القوم »
المطمئن الأمن على نفسه وعلى رزقه إلى
مجتمع يكفر بنعم الله ، فيقع في اضطراب
الجوع والخوف ويشق عليه أمر الحياة .
وهذه سنة لا تتغير في حياة المجتمعات .
« وضرب الله مثلا : قرية كانت آمنة

[١] النحل ١١٢ .

[٢] يس ٧٤ ، ٧٥ .

٩- ولا يعرف واليا يطلب الولاية فيولى ، وإنما يعرف الولاية بيعة واختيارا ممن يملك حق الاختيار في الأمة .

١٠- ولا يعرف عصيانا لوال يولى إلا في معصية مؤكدة لله ورسوله .

أى متى قبل هذا أو بعد هذا يصلح أن يكون بدلا عنه في حياة الإنسان وفي شئون أفرادة ؟

قرآن الله موجود بأيدي المسلمين ، وليس لهم أن يشكروا من ضعف أو هزيمة إلا أنفسهم .

والتقدم العلمى والتكنولوجيا لا ينفى من الإسلام ، دين الله ورسالة خاتم الرسل محمد عليه الصلاة والسلام ، فى إسعاد البشرية وفى خيرها وفى الترابط والاطمئنان بينها .
إن التقدم العلمى والتكنولوجيا يساعد على التطور المادى وتوفير الإمكانيات للمادية البشرية .

ولكنه لا يحول دون أن يحسبكر فريق من الناس هذه الإمكانيات وبمحرم منها فريقا آخر .

لا يحول دون أن توجه هذه الإمكانيات المادية للضرر ببعض الناس ولقتلهم .

وفى للثولية أمام الله ، وأن التفاضل بينهم هو فى مدى تحقيق مستوى الإنسانية فى تكبير لقوم وسلوكه وعمله ، هو فى التقوى والعمل الصالح .

٥- ولا يعرف : تواكلا من السعى والعمل ، وإنما يعرف متوكلا وممتندا على الله سبحانه ، بمدالعزم وتحديد الطريق الذى يسلكه فى سعيه وفى عمله .

٦- ولا يعرف : إنسانا ماديا أنانيا يطنى بماديته وأنانيته ، وإنما يعرف إنسانا عسما : يعطى من إنسانيته على الأقل بقدر ما يأخذ إن لم يكن يعطى أكثر .

٧- ولا يعرف : إنسانا راها أو مترها وإنما يعرف إنسانا يستمتع بمتع الحياة ويزينها فى غير غلو وفى غير ترف يحجر إلى المبت والفساد .

٨- ولا يعرف مالا منفعة خاصة وإنما يعرف أن المال إذا كانت ملكيته خاصة فوظيفته اجتماعية ، ومنفعته عامة للناس جميعا « والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فوالله ين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيماهم فهم فيه سواء أفبنمة الله بمحمدون » (١) :

لا يحول دون أن تكون هذه
الإمكانات مصدر تهديد للقلق والخوف
البشرية كلها ونذير سوء بمستقبلها .
لا يحول دون أن تكون هذه
الإمكانات سببا لتربص بعض الناس
ببعض ولتعد بعضهم ببعض .
لا يحول دون أن تكون هذه
الإمكانات عاملا لفساد والمعبث والتحلل
من القيم الإنسانية العليا .
فإذا أضيف إلى الإسلام في الدولة
المصرية العلم والتكنولوجيا ، أصبحت
هذه الإمكانيات للادية التي يوفرها التقدم
العلمي والتكنولوجي :
في خدمة « الإنسانية »
في خدمة الخير والنفع العام .
في خدمة للقيم العليا للمجتمع الإنساني
العالمي .
وليست في خدمة الأناية :

٢ - « ما يود القديس كفروا من
أهل الكتاب ، (وم اليهود
والصليبيون) » .

٢ - « ولا المشركين (وم الوثنيون
الماديون الملعونون) » (١) .
« أن يقول عليكم من خير من ربكم ،
والله يختص برحمته من يشاء ، والله ذو الفضل
العظيم » (٢) .
« ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم
من بعد إيمانكم كفارا ، حسدا من عند
أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق .
فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره .
إن الله على كل شيء قدير .
وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ،
وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله .
إن الله بما تعملون بصير » (٣) .
« وصدق الله العظيم » .

١٠ - محمد البربر

[١] « ويل للمفكرين : الذين لا يؤتون الزكاة
وم بالآخره هم كفاروت ، ضالهم طابع ملدى
صرف : وإذا غدثوا عن الدين : « ويل الذين
كفروا : لا تسمعوا لهذا القرآن وانفروا فيه لعلكم
تنبون » .

[٢] البقرة ١٠٥ .

[٣] الفرة ١٠٩ ، ١١٠ .

قرارات وتوصيات الفترة الأولى للمؤتمر الخامس لمجمع البحوث الإسلامية

م ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

في مرحلة من أدنى المراحل التي تتجاذها الأمة العربية والإسلامية ، وتواجه فيها خطراً جسيماً يهدد مصيرها على مستوى العالم الإسلامي كله ، وتحشد فيها عزائمها الصادقة لرد العدوان الذي نزل بها ، انعقد المؤتمر الخامس لمجمع البحوث الإسلامية في شهر ذي الحجة سنة ١٣٨٩ هـ . (مارس - آذار سنة ١٩٧٠ م) بالقاهرة في فترة الأولى التي بدأت من يوم السبت ٢٢ من ذي الحجة سنة ١٣٨٩ هـ الموافق ٢٨ من فبراير - شباط سنة ١٩٧٠ م وانتهت بإعلان هذه التوصيات في يوم الأربعاء ٢٦ من ذي الحجة سنة ١٣٨٩ هـ الموافق ٤ من مارس - آذار سنة ١٩٧٠ م . وذلك بدموة من الأزهر الشريف .

وقد التقى فيه وفود علماء المسلمين من

البلاد المختلفة في القارات الثلاث : آسيا ، أفريقيا ، أوروبا ، بإخوانهم أعضاء المجمع لينظروا في حاضر الأمة التي تملوه سحب الاعتداء والظلم والطغيان ، وليخططوا لمستقبلها الذي لا بد أن تفرق عليه شمس الحق والعدل ، والإنصاف والسلام .

وقد خصصت الفترة الأولى من دورة المؤتمر الحالية لمعالجة جوارب العدوان الإسرائيلي على العرب في بقعة من أكرم بقاع الإسلام ، ولتصدي لتعديده للنفط من جميع القيم والمبادئ الهولية والإنسانية بمساندة سافرة من الولايات المتحدة الأمريكية وسائر الدول الاستعمارية ، حتى استنصرى هذا الطغيان الإسرائيلي فامتدت يده الأثيمة فأحرقت للمسجد الأقصى المبارك بالقدس الشريف .

ودرس للمؤتمر ما قدم إليه من بحوث

وقد أرادها الله كذلك في وحدته
أهدافها ، وجمع كلمتها ، وحمد عزيمتها ،
واستقطبها حول مسئوليتها فقال سبحانه
وتعالى : « إني هذه أمتك أمة واحدة ،
وأنا ربكم تهابدون » ، فالعدوان على أي
جزء منها عدوان عليها وامتياز لسيادتها
وكرامتها .

ومن ثم فإن الجريمة المنكرة التي
ارتكبتها الصهيونية بإحراق المسجد
الأقصى تفكك في حقيقتها قوة من قم
الصراع بين الأمة الإسلامية ، وقوى البنى
والعدوان ، أعدائها وأعداء الإنسانية .

ولست هذه السكارة العظمى آخر
منطم من مطامع إسرائيل ، بل هي مرحلة
من مراحل عدوانها المخطط الذي يستهدف
أقطاراً إسلامية أخرى في تخطيط يمد
للاقتضاض في مراحل متتالية على باقي
المقدسات الإسلامية والمسيحية مما لينتج
للصهيونية حلها الذي يؤجج شرها ،
وبذلك نيران أطماعها ، وهو إسرائيل
الكبرى .

ودره لهذا الخطر الراهق ، وصونا
لمقدسات المسلمين والمسيحيين في فلسطين

وناقش كل فكرة تتعلق بقضية للمسير ،
وقد التفت الآراء في إجماع حاسم على تحديد
أبعاد القضية ، وعلى التصميم على مواجهة
التحديات الصارخة التي وجهت وما تزال
توجه إلى الإسلام ، وعقيدة وحضارة ،
ومقدسات وأرضاً وأهلاً ، في هذه الرحلة
الحاسمة من تاريخه .

وانطلاقاً من هذا الموقف ، والتزاماً
بالمسؤولية التي يتحملها للوقوف أمام الله
تعالى ، وأمام التاريخ ، وأمام الأجيال
القادمة التي ستذكر هذا الحيل ما قام به
في سبيل الحفاظ لها على وطنها ومقدساتها
وتراثها وحضارتها ، يرى أن قضية فلسطين
والأرض المحتلة من النول العربية للثلاث
الأردن وسورية والجمهورية العربية للتحدة
ليست قضية قومية أو سياسية لحسب ،
بل هي بالمكان الأول قضية إسلامية ،
يمضي المسلمون جميعاً واقفاً الحاضر المرير
ويتحملون مسئوليتها وشأنها لأن شعوبهم
جميعاً - مهما تعددت أجناسهم ولغاتهم
واسطنت بينهم الحدود - أمة واحدة
يتداعى سائرهم بالألم إذا أصاب جزءاً منها
أي مكروه .

كلهم يتحنن على المسلمين في كل مكان أن يبادروا إلى تحمل واجباتهم في الجهاد والعمل على إرسال المجاهدين إلى ساحات القتال .

ولكى يتم لبلاد الإسلامية تدريب المجاهدين وتسلحهم وتنظيمهم وقيادتهم يوصى المؤتمر بتأليف منظمات لقيادات الثلاث : العسكرية ، والمالية ، والروحية في كل بلد إسلامي .

(٢) يدعو المؤتمر البلاد الإسلامية إلى إرسال المنطوهرين من الطيارين والفنيين إلى جبهات القتال لمعاونة إخوانهم المرابطين في خطوط المواجهة الأمامية .

(٣) يوصى المؤتمر حكومات الدول العربية أن يبادروا إلى اختيار قيادة عسكرية عامة للمجاهدين ، وقيادة مالية وقيادة روحية ، لتنسيق الجهاد ووضعها في حيز التنفيذ .

(٤) بحث المؤتمر القول للريية على حشد كل طاقتها المادية والمعنوية ومهاجعتين الشرقية والغربية ، ويدعو إلى وضع الوحدة العسكرية العربية موضع التنفيذ ويهيب بالدول العربية أن تعمل على تقوية

واستجابة لأوامر الله تعالى بالدفاع عن دينه وعلى هدى من تعاليم الإسلام ، وتوضيحا للرؤية بالكشف عن الدسائس الصهيونية والاستعمار لجميع المسلمين أفرادا وجماعات شعوبا وحكومات ، ونجاوبا مع مشاعر المسلمين ، وتحقيقا لإرادتهم في واجب الدفاع عن كل ما هو مقدس يفتدونه بأنفسهم وأموالهم ، من عقيدة ، ووطن وعرض ، وراث ، وحضارة ، يعلن المؤتمر :

أولا : توصيات عامة :

(١) يؤكد المؤتمر أن الجهاد بالأموال والأنفس أصبح فرضا عينيا (النفير العام) على كل قادر من المسلمين ، ومن يتخلف عن تحمل أعبائه ، فقد سلك سبيلا غير سبيل المؤمنين .

وبما أن إسرائيل تحشد كل طاقتها المادية والمعنوية للحرب مدمومة من الصهيونية العالمية ودول الاستعمار ، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية .

وبما أن الأرض المقدسة والقدس الشريف والمسجد الأقصى ملك للمسلمين

وكالة أبناء إسلامية .

ثانيا : بخصوص فلسطين :

(١) بما أن الشعب الفلسطيني قد مارس حقه المشروع وأعلن قيام الثورة الفلسطينية والعمل الثداني ، ليعرر وطنه من المفسدين والمعتدين للصهيانية ، فإن هذا المؤتمر يعترف بهذه الثورة ويبارك خطواتها ويعتبرها طريقا مقروما للدفاع من الحق واسترداد الديار المقدسة .

(٢) يوصى المؤتمر الشعوب والجمعيات الإسلامية بالدعوة لثورة الفلسطينية في كل المؤتمرات والتجمعات والمناسبات .

(٣) يقرر المؤتمر أن على جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها دعم الثورة الفلسطينية دعما كاملا على المستوى الفردي والمعنوي ، وتقديم المساعدات والتسهيلات التي تكفل لها نجاحها ، وفي سبيل تحقيق هذا الهم يوصى المؤتمر بتشكيل لجان من علماء المسلمين وأصحاب الفكرة الإسلامية في كل بلد أو مجتمع إسلامي لتنظيم الوسائل التي تؤدي إلى هذا الهم الفعلي .

القيادة العربية الموحدة ، ويدعو المسلمين كافة إلى مساندة هذه الوحدة والقيادة ماديا ومعنويا .

(٥) يدعو المؤتمر الأمة الإسلامية إلى إنقاء صندوق الجهاد في كل بلد إسلامي أسوة بالجمهورية العربية الليبية - لتحويل كفاح أبناء الشعب الفلسطيني والإنفاق على المجاهدين وأسرى الشهداء ، وأن تخصص الحكومات قسما من ميزانيتها لهذا الصندوق ، وأن تساهم فيه الشعوب من دخل كل فرد منها بقدر استطاعته وغيرة وإيمانه .

(٦) يجب للمؤتمر بالمسلمين أن يبادروا إلى تعبئة القوى الدينية وتمييق القيم الإسلامية في المساجد والمدارس والمعاهد والجامعات والمنشآت والقوات المسلحة وفي كل وسائل النشر والإعلام ، ويحثهم على التمسك بتماليم الإسلام وآدابه وحقد القوى في جميع المرافق والمصانع وللزارع استمداقا لمواجهة احتمالات الموقف العسكري على أن يكون ذلك في صورة جدية دائمة ، ونحسينا لقيام بذلك يوصى المؤتمر باتخاذ الإجراءات لإنقاء

مناسبا لتضحية الفدائيين .

(٧) يقرر المؤتمر أن العمل الفدائي ضرب من أم ضروب الجهاد المفروضة بل المفروضة ، وقدك فإن تجهيز الفدائيين بالسلاح والمال وكل ما يحتاجون إليه هو من الواجبات الشرعية ، وأن دفع الزكاة في هذا السبيل هو من مصادره الزكاة الشرعية تبرا به ذمة المزكى أمام الله سبحانه وتعالى .

(٨) يقرر المؤتمر أن إقدام إسرائيل على إحراق المسجد الأقصى المبارك يمثل ذروة الجرائم على بيوت الله تعالى ، وقة الاعتداء على مشاهير المسلمين حيثما كانوا ، وأنه لا سبيل لحياة المقدسات واطمئنان المسلمين فيها إلا بإجلاء العدو الصهيوني عن القدس وسائر الأراضي المحتلة إجمالا تاما ، وأن أى تفكير في حل القضية الفلسطينية لا يعمد القدس في سيادتها وإدارتها إلى الحالة التي كانت عليها قبل للصعدوان - مرفوض رفضا قاطعا ، لأنه تفريط في حقوق المسلمين ، وأن أى حديث عن تدويل القدس مرفوض كرفض تهويدها تماما .

(٩) يقرر المؤتمر أن دم الثورة الفلسطينية لا يعنى الشعوب والمجتمعات الإسلامية من المساعدة الفعلية في جهادها بالنفس والمال لإخضاع الأرض المفسدة وتحريرها ، ووجب المؤتمر بالمسلمين أفرادا وجماعات ، شعوبا وحكومات أن لا يقتصر تأييد القضية الفلسطينية على القرارات والبيانات بل لا بد من اتخاذ خطوات إيجابية بالمشاركة بالنفس والمال .

(١٠) يعلن المؤتمر رضاه ومباركته لتشكل القيادة الموحدة للعمل الفدائي الفلسطيني ورجو من حكمة القاعين على هذه الوحدة القيادة أن يعملوا على استمرارها وتقويتها بما يجعلها مقدمة لوحدة العمل الفدائي قيادة وتنظيما لتكوين قوة ضاربة قادرة على النهوض بواجباتها الموحدة في الجهاد داخل الأراضي المحتلة ضد العدو الذي لا يفرق بين عناصرها في بغية وعدوانه .

(١١) يوصي المؤتمر جميع المسؤولين في البلاد العربية والإسلامية أن يبسروا للعمل الفدائي القيام بعمته الشريفة على الوجه الأكمل ، حتى يكون تأييد المسؤولين

المسيحيون ، تعجبه على العدوان ، وتذمه بالسلح والمال ، وعلى رأس هذه القوى الاستعمارية الولايات الأمريكية التي كشفت عن تواطئها وانحيازها عما يخالف العرف الدولي ، والوضع الإنساني ، والتزامها في الأمم المتحدة .

(١٢) يوجه المؤتمر تحية تقدير وإكبار إلى إخواننا في مختلف المناطق المحتلة لشبابهم وصمودهم ، ولمواقفهم البطولية الرائعة في مقاومة المعتدين .

(١٣) يوجه المؤتمر تحية إحلال وإعزاز إلى الجيوش العربية الناصلة وسائر القوات للسلطة المرابطة على خطوط النار والمواجهة للعدو بشجاعة واستبسال ، فهي حصن الأمة المنيع ، وهرمها الواقية ، وسهمها الصائب بإذن الله تعالى .

كما يوجه هذه التحية إلى القدائين الأبطال الذين تحوطهم الأمة بإعزازها وإعجابها وإجلالها .

(١٤) يقرر المؤتمر أن للمركة القائمة اليوم معركة مصيرية ، معركة بقاء أو فناء للشعوب العربية والأمة الإسلامية المروية هي وعاء الإسلام ، وقد قال الرسول ﷺ : « إذا ذات العرب ذل الإسلام » .

(٩) يؤكد المؤتمر قراره في المام للناضي بتأييد الفتوى الدينية الصادرة من علماء المسلمين ومفتيهم وقضاة في الضفة الغربية للأردن بتاريخ ١٧ من جمادى الأولى سنة ١٣٨٧ هـ (٢٢ من أغسطس سنة ١٩٦٧ م) التي تنص على أن المسجد الأقصى المبارك بمفهومه وتعبده الإسلامي يعمل المسجد الأقصى المعروف الآن ، ومسجد الصخرة المشرفة والساحات المحيطة بهما ، وما عليه السور وفيه الأبواب ، وأن العدوان على أي جزء من ذلك كله هو انتهاك لحرمة المسجد الأقصى المبارك واعتداء على قدسيته وأن الحرم الإبراهيمي في الخليل مسجد إسلامي مقدس ، وأن كل اعتداء على أي جزء منه انتهاك لحرمته وقدسيته .

(١٠) يقرر المؤتمر أن المسلمين كما يجب عليهم المحافظة على المقدسات الإسلامية والدفاع عنها يجب عليهم كذلك المحافظة على مقدسات المسيحيين في فلسطين والدفاع عنها والتمكين من حرية زيارتها محلاً بحكم المهدة المعربة وتعاليم الشريعة الإسلامية .

(١١) يعلن المؤتمر مسخه وإداته لجميع الفتوى الاستعمارية التي تقف وراء العدوان

- وأنه بناء على ذلك يجب على جميع العرب والمسلمين أن يمتنعوا فيها اشتراكا فعلياً .
 على تنسيقه بما يحقق التكامل الاقتصادي بينها .
- وأن المؤتمر يدعو بهذا إلى واجب شرعي ، وواجب وطني ومصلحة مشتركة ، هوذا خطر زاحف لن يكتفى بما امتد إليه عدوانه .
- (١٦) يوجه المؤتمر عميق شكره وتقديره لجميع الدول والشعوب والمنظمات والهيئات والأفراد التي وقفت إلى جانب قضيتنا ، وأمدتنا بمعونها المادي والمعنوي
- (١٧) يوصي المؤتمر بتأليف وفود تمثلته لزيارة البلاد الإسلامية لنشر مقرراته الاقتصادية الوثائق بين الدول العربية والإسلامية إلى أقصى الحدود والعمل المؤتمر على المستوى الرسمي والعملي .

ترقبوا في غرة شهر الكتاب الشري :

من سلسلة البحوث الإسلامية
 التي يصدرها مجمع البحوث الإسلامية

الأزهر
 في ألف عام
 للدكتور أحمد محمد عتوف

أنباء المؤتمر

للاستاذ على الخطيب

بالجامع الأزهر الشريف . وقد أم للصين الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر .

كذلك أقام فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية حفل استقبال لوفود بفندق كايوباتوا في مساء حضره الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر والسيد الدكتور عبد العزيز كامل وزير الأوقاف وهشون الأزهر .

وقد اهتمت وسائل الإعلام بالجمهورية العربية المتحدة ووكالات الأنباء العالمية ومراسلوها في القاهرة بتتبع أنباء المؤتمر، ووال نشرات الأخبار بالإذاعة الإعلان بأبناه .

● افتتح صباح السبت ٢٢ من ذي الحجة ١٣٨٩ هـ المؤتمر الخامس للمجمع بقاعة الاجتماعات بمحاضرة القاهرة . حضر حفل الافتتاح فضيلة الإمام الأكبر والأمين العام لمجمع البحوث والسيد وزير الأوقاف وهشون الأزهر نائباً عن الرئيس جمال عبد الناصر ، والأمين العام لجامعة الدول العربية ، وفضيلة مفتي الجمهورية ومدير

● وجهت الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية الدعوة لحضور المؤتمر الخامس للمجمع إلى اللدان والجماعات الإسلامية في كل من آسيا وإفريقيا وأوروبا :

فخضر مندوبون من آسيا عن : الأردن وأفغانستان ، وأندونيسيا ، وباكستان وسوريا ، والمملكة العربية السعودية وسيلان والعراق وممان وفلسطين والفلبين والكويت ، ولبنان ، وماليزيا ، والهند ، واليمن ، والصين ، وجزر مالديف ، وكوريا واليابان .

ومن إفريقيا : أوغندا ، والجزائر والسودان ، والصومال ، وكينيا ، وليبيا وموريتانيا ونيجيريا وجنوب إفريقيا . ومن أوروبا : بريطانيا ، وتركيا ، وروسيا والنمسا ، ويوغسلافيا .

● حملت كل وحدات مجمع البحوث الإسلامية في إدارة وتنظيم المؤتمر ، وقد أدى أعضاء الوفود صلاة الجمعة للواقع ٢١ من ذي الحجة ١٣٨٩ - ٢٧/٢/١٩٧٠

نعتزم أن تبنى هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى يوم نضع الحجر الأساس في يوم ٢١ / ٨ / ١٩٧٠ م بمناسبة مرور سبعة عشر قرناً على هدم الهيكل ، وقد استقدموا لذلك أحجاراً من ولاية « أنداينا » الأمريكية

● بين سماحة الشيخ عبد الحميد السايح دور الولايات المتحدة الأمريكية مع إسرائيل فقال :

طلب الرئيس روزفلت من المنصور ٤ الملك عبد العزيز آل سعود عندما اجتمع به على ظهر لارحة أثناء الحرب العالمية الثانية أن يعطي اليهود طريقاً إلى خير ، فتساءل الملك مندهشاً : لماذا ؟

قال : لأن هذه بلادهم وهم يريدون العودة إليها .

● لاشد الأستاذ عبد النبي الشيخ أحمد لاضي المحكة العليا بالصومال ، ومنذوب بلاده في المؤتمر السادة أعضاء المؤتمر أن يوجهوا ضربة قاصمة إلى كل انحراف يكون عاملاً هداماً في وحدة الصف العربي الإسلامي . فقال :

إن المسلمين في البلاد غير العربية ينظرون إلى العرب نظرة تقديس ، وكل عربي يكتب

جامعة الأزهر ، ووفود الفول والجماعات الإسلامية .

وبعد تلاوة القرآن الكريم تولت كلمات : الإمام الأكبر فضيلة الدكتور محمد النعام تليها كلمة الوفود وقد ألقاها سماحة الشيخ عبد الحميد السايح ، فكلمة الأمانة العامة وقد ألقاها فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود ثم كلمة السيد وزير الأوقاف وشتوت الأزهر الدكتور عبد العزيز كامل .

● أدار فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود الأمين العام جلسات المؤتمر يساعده الأستاذ عبد الوهف شلبي والأستاذ محمد الرنكلوني .

● جاء في تصريحات السادة أعضاء الوفود بضمة حقائق هامة :

فقد كشف اللواء الركن محمود هيت خطاب عن سر يتعلق بحرق المسجد الأقصى قال : لقد حددت إسرائيل يوم ٢١ أغسطس ١٩٦٩ لحرق المسجد الأقصى ؛ لأنه نفس اليوم الذي أحرق فيه « تينوس » الروماني هيكل سليمان .

وهأنذا أقول لكم ، ولست أُنَبِّأ ، ولكني أقول - قبل شهور - : إن إسرائيل

قرن وبقيت القاهرة . ومن هنا تستكمل قوى المدونات المختلفة للقضاء على للركر الثالث .

● صرح السيد (محمدوى) نائب رئيس اتحاد المسلمين في كوريا بأن في بلاده : (كوريا الجنوبية) ٢٤ مليون نسمة من البشر فطريين وهؤلاء لا ينقسمهم إلا نشاط تبشيري بالإسلام حتى يعتنقونه سريعاً .

● صرح الدكتور عبد العزيز كامل وزير الأوقاف وشئون الأزهر في حفل التكريم الختامى للوفود التى أقيم بفندق (شبرد) بأن القباب المسلم في الفيلين حلة رسالة جاء فيها :

لو كانت بلادكم عقيدة لسكان الإسلام .
ولو كانت بلادكم مؤسسة لسكان
الأزهر الشريف .

ولو كانت بلادكم رجلا لسكان الرئيس
جمال عبد الناصر ؟

على الخطيب

كلمة منحرفة ضد الإسلام أو يقتل من شأنه يحدث بذلك في البلاد الإسلامية غير العربية ود فعل من في صف الجهاد الإسلامى . وأنتم أيها المسلمون العرب تستطيعون أن تميزوا بين الخبيث والطيب وتذكره ، والقلة الواعية في البلاد الإسلامية الأخرى لا تستطيع أن تقاوم هذا التيار بسهولة فعلى العرب ألا يتهاونوا في دره هذا الخطر .

● صرح الأستاذ الفيلسوف مالك بن نبي مندوب الجزائر في المؤتمر عن النشاط اليهودى الذى لا يكمل من خططه ، فقال : ضبقت حكومة الجزائر جماعة من القباب تعمل لحساب إسرائيل وتسمى (جماعة يهود) ثم قال والالم يفره :

إننى لن أناقش آراء أحد في كلمتى هذه ،
ولكننى أقول لكم :

كان للإسلام ثلاثة مراكز إحصائية قوية تتمثل في تركيا ، والهند ، والقاهرة وقد ضاع على التوالى مركزا تركيا والهند في مدى نصف

enemy, inciting him to pursue his aggression, and providing him with armaments and money.

Foremost amongst these imperialist Powers is the United States of America which has unmasked its collusion and bias, in a way diametrically opposite to international norms, human usages; besides being inconsistent with her solemn obligations to the United Nations.

12 — The Conference pays homage to our brothers in the various occupied territories, and hails their unshaken resolve, superb steadfastness, and admirable heroic feats repulsing the aggressors.

13 — The Conference pays tribute to the courageous Arab armies, and the rest of the armed forces, deployed along the front-lines. They are the impregnable strong hold of the Arab Nation, its protective shield, and the deadly weapon that will gain victory by God's Leave.

The Conference extends equally its greetings to the Commanders upon whom the Nation looks with affection, admiration, and respect.

14 — The Conference holds that the present-day struggle is a Battle of Destiny which means either the survival or the annihilation of the Arab peoples, including the entire Muslim Community; since Arabism is the backbone of Islam.

In this connection, the Prophet (P.B.U.H.) is reported to have said: "Were the Arabs to be humiliated, Islam would suffer an identical fate". For this reason, the entire body of Arabs and Muslims have to share effectively in this struggle.

The Conference, thereby, calls for prompt action, through the fulfilment of a lawful obligation, patriotic duty, and collective well-being, so as to stave off an advancing aggression, the perpetrators of which would never be content with what they have wrested.

15 — The Conference stresses its call to establish economic co-operation among Arab and Muslim States, and that necessary measures be taken to the farthest possible extent towards its co-ordination, in a way as to ensure full economic integration among them.

16 — The Conference expresses its hearty acknowledgement and gratitude to all the States, Peoples, Organizations, Associations, and individuals who have stood firm in support of our cause, and have never failed in providing us with their material and moral aid.

17 — The Conference recommends that delegations, acting as its representatives, be formed to visit Muslim countries where these resolutions be made known to official and non-official circles.

its payer would thus be acquitting himself well before God, Glory be to Him.

8 — The Conference declares that Israel's action of setting the blessed Aqsa Mosque on fire, constitutes the climax of her heinous crimes against God's Sanctuaries; and that it is the culminating point in brutally injuring the feelings of Muslims wherever they be.

The Conference holds that there would be no way for the safeguarding of the sacred shrines and quietening Muslims, feelings, save by a wholesale expulsion of the Zionist enemy from Jerusalem and the rest of the Occupied territories; that any proposal disregarding the restoration of Jerusalem to its former sovereignty & administration before the Israeli aggression, is to be met with categorical rejection; since this would be downright renouncement of Muslims' rights.

Equally to be unreservedly rejected is any talk about the internationalization of Jerusalem; internationalization is as unacceptable as judaisation.

9 — The Conference confirms the religious verdict issued last year by Muslim scholars, muftis, and Qadis in the western bank of the Jordan, on 17th of Jumada al-Ula 1387 A.H. (August 22nd, 1967 A.D.)

which states that the Aqsa Mosque, in its religious concept, covers the blessed Aqsa Mosque as it is known at the present time, as well as the Holy Dome of the Rock, their precincts, including the walls, doors, and the surrounding courtyards.

The Conference considers that aggression against any of these parts of the Mosque as tantamount to the desecration of its sanctity and holiness.

The Conference also declares that the Ibrahimy Shrine in Khalil (Hebron), is a sacred Muslim Mosque, and that aggression against any of its parts is, therefore, a profanation of its sanctity.

10 — The Conference declares that, alongside the duty of Muslims to safeguard and defend their shrines and holy places, it is likewise their duty to safeguard and defend the shrines and holy places of Christians in Palestine. Furthermore it is their religious duty to accord free access to them conformably to the Pledge of "Umar", the Second Caliph after the Prophet Muhammed, and also in obedience to the teachings of the Muslim Shari'at.

11 — The Conference denounces and condemns all the imperialist forces, siding with the Zionist

3 — The Conference declares that all Muslims in the east and the west are bound to help to the utmost the Palestinian Revolution on both the material and moral scale. Hence, should be offered the assistance and facilities which would secure its ultimate victory.

In seeking to implement such support, the Conference recommends the formation of committees whose members are to be drawn from the Ulemas, and other members noted for their zealous and firm Faith, in each Muslim country.

These committees have to be in charge of organizing the adequate means most conducive to substantial aid.

4 — The Conference declares that the aid to be afforded to the Palestinian Revolution does not exempt Muslim peoples and muslim Communities from participating effectively in the struggle with life and wealth, for the rescue and liberation of the Holy Land.

The Conference calls upon the entire body of Muslims : individuals and groups, peoples and governments, not to let their support be confined to the issuing of decisions and declarations; but rather should they take positive steps to participate in the struggle with their lives and wealth.

5 — The Conference announces that it approves of, and blesses the formation of a joint Command for the Palestinian Commandos, hoping that it shall be maintained and reinforced by those in charge of its organization; until it becomes a prelude to the formation of a task force, most efficient in the accomplishment of its unified feats of Jihad inside the occupied territories, against the Zionist enemies, who, in their wanton aggression and barbarous crimes, make no distinction between the various elements of commandos of the Joint Command.

6 — The Conference recommends that those in authority in the Arab and Muslim countries, provide the commandos with all the means and facilities that enable them to perform, to the utmost degree, their most honourable struggle. Thus, the support rendered by those in authority, would be proportional to the sacrifices made by the commandos.

7 — The Conference declares that commande-raiding is one of the important sorts of Jihad; nay it is one of the most binding duties.

For this reason, providing Commandos with weapons and money, besides everything they need is one of the Muslim injunctions. The payment of Zakat for this purpose, is one of the lawful ways, respecting the expenditure of its proceeds.

4 — The Conference urges the Arab States to mobilize all their material and moral potentialities to reinforce both the eastern and western fronts; and calls upon them to carry into effect the joint military command; besides making further efforts for its consolidation. Equally does the Conference prompt the whole body of Muslims to support this united command materially and morally.

5 — The Conference earnestly appeals to the Muslim Community to establish a fund for the jihad in every Muslim country, as has been done by the Libyan Arab Republic, so as to subsidize the struggle of the Palestinian People, and to finance the Mujahida and maintain families of the martyrs. The Arab Governments are requested to assign a portion of their public revenues to this fund.

Peoples are also requested to contribute to this fund, each individual from his income in accordance with his means, the fervence of his zeal, and the depth of his Faith.

6 — The Conference enjoins Muslims to mobilize the religious potency, and to deepen the Islamic values in mosques, schools, institutes, universities, clubs, the armed forces, and in all forms of mass media,

Thus the bodies working in all the establishments of public utility factories, and farms, should be urged to adhere to the teachings of Islam; so as to be well-prepared for facing all the possibilities of the military situation, in a way that has to be accomplished earnestly and persistently. To facilitate the implementation of these tasks, the Conference recommends taking the necessary measures for establishing an Islamic News Agency.

B— Recommendations Related to Palestine :

1 — Owing to the fact that the Palestinian People have exercised their legitimate right, and have announced the outbreak of the Palestinian Revolution, and the operations of the Commandos, so as to liberate their fatherland from the Zionist usurpers and aggressors, the Conference accords this Revolution, full recognition, and blesses the steps it is taking, considering it a legitimate way for the safeguarding of rights, and the recovery of the Holy Land.

2 — The Conference recommends that the Muslim peoples conduct propaganda campaigns for the support of the Palestinian Revolution in all the meetings that might be held, and on all occasions that might arise.

Hence, for the sake of warding off this prevailing peril; To safeguard the sacred territories of both Muslims and Christians in Palestine.

In compliance with the Commandments of God, be He exalted, enjoining the defence of His Faith; In conformity with the teachings of Islam.

To make the issue crystal-clear, by unmasking the intrigues of Zionism and imperialism, to the entire world of Islam, individuals and groups, nations and governments.

In response to Muslims' feelings, and putting into effect their determination to defend everything held as sacred: faith fatherland, honour, heritage and civilization, for which they readily give their lives and wealth.

The Conference, hereby declares:

A — General Resolutions :

1 — That fighting with life and wealth has come to be incumbent duty upon every sound Muslim, (A universal Call for defence). He, who stands back would certainly be seeking out a way other than that of the Faithful.

Since Israel is accumulating and mobilizing all her material and moral potentialities, aided and

abetted by World Zionism and the imperialist Powers, at the head of which is the United States of America; and owing to the fact that the Holy Land, Jerusalem, and the Aqsa Mosque are the legitimate property of the whole body of Muslims.

Muslims, wherever they may be, have to hasten to fulfil their duty of striving and to send fighting men to the battle-fields.

In order that the Muslim countries be enabled to carry out the training, equipping, organizing, and commanding the combatants, the Conference recommends the formation of three commands : military, financial, and spiritual, in every Muslim country.

2 — The Conference calls upon the Islamic countries to send to the theatres of operations, pilots and technicians to take their place, side by side with their brothers-in-arms on the front-lines.

3 — The Conference recommends that the governments of the Arab States as well as the Arab League should immediately form (a general) military command for the combatants, and two other commands for both the financial and spiritual affairs, so as to co-ordinate the struggle, and to put it into effect.

The Conference has studied the papers that were submitted to it, and discussed every viewpoint related to the Battle of Destiny. The conferees have agreed in a decisive unanimity on determining the dimensions of the issue in question and have taken the firm resolve to face the flagrant challenges that are persistently directed against Islam in its faith in its culture, its sacraments, its land and its people, in this decisive stage of its history. In view of this situation, and in commitment to its responsibility before God and history, as well as before posterity who will remember what the present generation had done to safeguard their fatherland, their sacraments, and their cultural heritage, the Conference declares that the Palestinian cause and the occupied territories, of three Arab States : Jordan, Syria, and the United Arab Republic, is not only a national or political issue, but is also first and foremost, an Islamic one.

The whole body of Muslims are experiencing its grievous reality, and assume full responsibility for all its bearings and consequences ; since their entire peoples, however might be the multiplicity of their races, languages and artificially-imposed boundaries, are but one and a single Community. Were a misfortune to befall any of its con-

stituent parts, it would immediately be felt in the rest of it.

God hath destined the Muslim Nation to be such, as regards the unity of its aims, the unanimity of its resolve, the mastering up of its will, and the convergence on responsibility. God Almighty, said : "Verily, this community of yours, is one Community, and I am your Lord and Cherisher; therefore serve Me (and no other)" (XXI, 92).

Hence, the heinous crime committed by Zionism; which has been the arson of the Aqsa Mosque, constitutes one of the culminated points in the struggle that is raging between the Muslim Nation and the forces of injustice and aggression, its avowed enemies, and the enemies of humanity.

This great disaster does not constitute the last act of rapine to be committed by Israel.

Only is it one of the phases of its planned aggression which aims at wresting other Muslims countries, in a well-prepared design to destroy successively the rest of sacred places of both Muslims and Christians. Thus would be realized Zionism's dream, which incites its excessive cupidity for the culmination in the establishment of "Greater Israel".

• • •

RESOLUTIONS AND RECOMMENDATIONS

ISSUED BY

The Fifth Conference of the Islamic Research Academy, at the end of its First stage, on 4th March 1970 A. D. (26th Dhulhijjah 1389 A. H.) .

In the name of Allah the Beneficent, the Merciful.

In one of the most crucial phases through which the Arab and Muslim Nation (World) is passing, facing a tragic peril which threatens its destiny on the scale of the entire World of Islam; a phase in which it has made a firm resolve to repel the aggression that has befallen on it; the Fifth Conference of the Academy of Islamic Research has been convened in Cairo in the month of Dhul-Hijjah 1389 A. H. (March 1970 A.D.), in response to the invitation of illustrious Azhar,

The first session started on Saturday the 22nd of Dhul-Hijjah 1389 A. H. (the 28th of February, 1970) and ended on Wednesday the 26th of Dhul-Hijjah 1389 A.H. (the 4th of March, 1970). The following are the Resolutions of this session.

• • •

Delegations of Muslim scholars, coming from various countries in the three continents of Asia, Africa

and Europe, have met their brethren, members of the Academy of Islamic Research, to consider the present conditions of the Muslim Nation shrouded by clouds of aggression, injustice and tyranny to plan for its future which is due to be lightened by the dawn of right, justice, equity and peace.

The first session of the present Conference was devoted to the discussion of the various aspects of the Israeli aggression against the Arabs, in one of the most highly valued territories of Islam, and to stand against this arrogant challenge of all human and international values and principles flagrantly supported by the United States of America, and other imperialist countries; thus the Israeli oppression has become so outrageous as to set on fire the sacred Aqsa Mosque in Jerusalem.

• • •

the Fifth conference was held in the conference hall of the Cairo Governorate on Saturday 28th February 1970 (22nd Dhulhijjah, 1390 A.H.). It was attended by more than 100 Muslim Scholars representing 36 countries in Asia, Africa and Europe. The inaugural session was presided by the Grand Sheikh of Al-Azhar, Dr. Muhammad Fahham. Members of the ASU Higher Executive Committee, the ministers, Arab League Secretary General, heads of Diplomatic missions, a large number of University Scholars and representatives of Educational and Cultural Organizations were present. The Grand Sheikh, in his opening address said that the Muslim world expected a word from the conference which will invigorate its hopes and liberate its land. Paying warm tribute to the role of Palestinian resistance, the Grand Sheikh hailed 'the soldiers of God' in the firing line.

Sheikh Abdul Hameed Ssyieh, a former Jordanian minister, then spoke on behalf of the delegates participating in the conference. He said that the Scholars have to face the enemy's plans with both scientific studies and military preparations, and counter imperialist-Zionist designs to liquidate the Palestine question. Dr. Abdul Hameed Mahmud, the Secretary

General of the Islamic Research Academy, explained the tasks and efforts of the Academy. Reviewing the Academy's role he summed up its mission in the dissemination of knowledge to preserve the entity of Islam and the Muslim Community.

Dr. Abdul Aziz Kamel, Minister of wakfs and Al-Azhar Affairs, delivered a speech at the inaugural session. He welcomed the guest-delegates and the members of the Academy on behalf of President Gamal Abdul Nasser, and wished them success in their tasks. The Minister pointed out in his speech: "International Zionism had occupied land which is the property of the Arabs and Muslims, killed innocent people with bombs and rockets supplied by imperialist forces, pulled down their houses, rendered the people homeless and burnt the house of God in Jerusalem".

The General session of the Conference remained for five days, during which the members of the Academy and the guest-delegates discussed ten major research papers presented by distinguished Scholars. These papers dealt mainly with Israel's expansionist objectives, racial discrimination, commando action, & the 'Jihad' for restoring the rights of the people of Palestine.

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FUDA

SAFAR
1390

ENGLISH SECTION
EDITED BY
A. M. MOHLADDIN ALWAYE

APRIL
1970

Review and Annotation

The Fifth Conference of the Islamic Research Academy

By

A. M. Mohladdin Alwaye

The Fifth Conference of the Islamic Research Academy of Al-Azhar took place in Cairo at a time when the Arab and Muslim world, and the peace loving people all over the world, confronted the Zionist-imperialist conspiracy against the people of Palestine, who have been wrongfully driven out. At the same time the Zionist Israelites sacrilegied Al-Aqsa Mosque, one of the holiest spots on earth and dear to the hearts of all Muslims.

The Islamic Research Academy of Al-Azhar serves as the highest body of the distinguished Scholars who shoulder the responsibility of

solving the problems facing the Muslim world, in the light of the Holy Quran, the Traditions of the Prophet, and Islamic Jurisprudence. It was the fitness of the things that the Academy responded to the urgency of the crucial period through which the Arab and Muslim world is passing.

The Academy devoted the sessions of its fifth conference to the study of the Palestine question, Israel's expansionist objectives, and explain to the Muslims their duty to liberate occupied Arab lands, and to rescue the city of Jerusalem from the grip of Zionism.

The inaugural session of the

«العتبات»

إدارة الجتماع الأخر
بالقاهرة

ت : ٩٠٥٩١٤

٩٠٥٤٧٣

٩٠٥٥٠٦

مجلة الأندلس

مجلة شهرية جامعة

تقيد من شيخنا الأخر في أول كل شهر

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده

«هذا» «ذلك»

٩٠ طابع بربرية

٩٠ طابع بربرية

٩٠ طابع بربرية

الجزء الثالث — السنة الثانية والأربعون — ربيع الأول سنة ١٣٩٠ هـ — مايو سنة ١٩٧٠ م

لغة الله

مولد الخير والنور والرحمة

للأستاذ عبد الرحيم فوده

منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويزكهم إلك أنت العزيز الحكيم .
ويظهر من قوله تعالى : « هو الذي بعث
في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته
ويزكهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن
كانوا من قبل لفي ضلال مبين » — أن دعوة
إبراهيم قد تحققت ، وأنه كان يستدفع
بالأمل الجذل حجب الغيب ، ليرى النور
الذي احتجب في صلبه وصلب آباءه وأبائهم
الأخيار يبعث بالهدى ودين الحق ، ليخرج
الناس من الظلمات إلى النور .

٢ أما أنه عليه الصلاة والسلام بشرى

من أبي أمامة رضى الله عنه قال : قلت :
يا رسول الله ما كان أول بدء أمرك ؟ قال :
دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى بي
ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت له
قصور الشام .

١ — ومن ذلك يفهم أن مبدأ ظهور
أمره ^{عليه السلام} يرجع إلى ذلك الهام المسمى
الذي رفع إبراهيم به صوته ، وهو يرفع مع
ابنه إسماعيل قواعده البيت ويقولان : « ربنا
واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة
لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إلك أنت
التواب الرحيم ، ربنا وابعث فيهم رسولا

السفينة في صلب أبي نوح ، وقذفت في النار
في صلب أبي إبراهيم . لم يلتق في أبوان قط
على سقاج ، لم يزل ينقلني من الأصابه
الطاهرة إلى الأرحام النقية مهذباً ، لا تشعب
شعبان إلا كنت في خيرها ، أخذ الله لي
بالنوة ميثاقاً ، وفي التوراة بقربي ،
وفي الإنجيل شهر اسمي ، تشرق الأرض
لوجهي . والسماء لرؤيتي ..

٤ - - هذا هو سيد الخلق محمد ﷺ ،
وسر الخمر في البذرة التي اغلقت من شجرة
الإنسانية ، وقد أشرق نور مولده في عام
نجاوبت فيه أرجاء العالم بحادث لم يعرف
له في التاريخ مثيل إذ أرسل الله على جميع
أبرهة طيراً أبابيل ، ترميهم بحجارة من
سجيل لجعلهم كصف مأكول . وحى
بينه الحرام لتخفق فوقه راية الإسلام ، ثم
ليكون كما قال الله له ﷺ : « قد رى قلب
وجهك في الماء فلتولينك قبة رضاها
فول وجهك شطر للسجد الحرام وحيثما
كنتم فووا وجوهكم شطره » . وكما قال
- عليه الصلاة والسلام - : « هذا البيت
دعامة الإسلام فخرج يؤم هذا البيت
من حاج أو معتمر كان مضموناً على الله
إن قبضه أن يدخله الجنة وإن رده رده
بأجر وغنيمة ..

٥ - وكان اليهود يعرفونه كما يعرفون

عيسى عليه السلام . فذلك ما ينطق به قول
الله في القرآن : « وإذا قال عيسى ابن مريم يا بني
إسرائيل إني رسول الله إليكم مصداقاً لما
بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي
من بعدى اسمه أحمد » ، بل ذلك ما كان مسطوراً
مشهوراً في التوراة والإنجيل كما يفهم من
قول الله فيه : « الذي يجدونه مكتوباً عندهم
في التوراة والإنجيل بأسماء الملوك والمعروفين
عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم
الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي
كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه
واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك
هم المفلحون » .

٣ - هذا مبدأ ظهور أمره - ﷺ -
ويظهر من قول الله جل شأنه : « وإذا أخذ الله
ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة
ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن
به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم
إصري قالوا أقررنا ، قال فاشهدوا وأنا معكم
من الشاهدين » - أنه ﷺ كان سورة وضيفة
مضيفة في قلوب الأنبياء قبله ، وأن أمره
كان مفهوماً معلوماً عندهم جميعاً ، فلا عجب
أن يكون سره المستور عن غيرهم . كما قال ،
عليه الصلاة والسلام ، لابن عباس حين سأله :
« أين كنت وأدم في الجنة ؟ » كنت في صلبه .
وأهبط إلى الأرض وأنا في صلبه ، وركبت

تقليد حميد ، يصننا بسيرة العطرة وأخلاقه
الكريمة وسلوكه الرشيد ، وشريعته
العظيمة . والتمرة النافعة لذلك : أن تقتدي
به في كل ما كان يصح ، وأن تنسج سنته
وتنسج طريقه ، فإن ذلك هو الطريق إلى حب
الله كما يفهم من قوله تعالى : « قل إن كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » ولا شك
أنه عليه السلام المثل الأعلى في كل ما عرف
الناس من مكارم الأخلاق ، وأنه جمع الله
فيه كل ما تفرق من الفضائل في الأنبياء
قبله ، ومن ثم كان حقيقا بقول الله فيه :
« لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة
لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكرا
كثيرا » .. وقوله جل شأنه : « إن الله
وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين
آمَنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » .

٨ - وقد صدق الواقع المشهود ما رآه
أمه - ﷺ - فقد أشرق نور الإسلام على
رجوع الشام ، وقد ظل يشرق ويتألق
ويزحف خنف ضلام الكفر والفساد
في كل اتجاه ، لأنه نور الله « ويأبى الله
الا أن يتم نوره » ولأن الرسول الذي
بعث به كما يقول الله فيه : « يا أيها النبي إنا
أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا
إلى الله بأذنه وسراجا منيرا » .

عبد الرحمن فودة

أبناءهم . ويتربعون مولده . ويتوعدون
المشركين بالقتال معه « فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به » ودبروا المؤامرات لقتله .
والقضاء عليه ولكن الله عصمه منهم
وردم بغيظهم لم ينالوا خيرا ، وظهر الجزيرة
العربية من جرائمهم ومآثمهم ، وما زال
- عليه الصلاة والسلام - يجاهد أعداء الله
وأعداء دينه حتى دخل الناس في الإسلام
أفواجا ، ونزل قوله تعالى : « اليوم أكملت
الدين كفو من دينكم فلا تخشعوا وخشعوا
اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم
نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » .

٦ - فإذا احتفل المسلمون بمولده
- صلى الله عليه وسلم - فإنما يحتفلون
بمولد النور الذي هدام إلى الحق والخير ،
والذين الذي قادم إلى العزة والكرامة ،
والرحمة التي جعلتهم خير أمة أخرجت للناس
وإذا امتحن المسلمون في هذه الأيام بالأحقاد
الصهيونية والصليبية ، فلم في رسول الله
وحباده أسلافهم معه ، ما يحفزهم . ويقوى
مزاعمهم ويقرب النصر إليهم ، فقد قال تبارك
وتعالى : « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا
في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد »
وقال جل شأنه : « ولينصرن الله من ينصره
إن الله لقوى عزيز » .

٧ - إن الاحتفال بمولده عليه السلام

صفوة الصفوة محمد ﷺ

للككتور عز الدين علي السيد

— ١ —

ولكن مجلداً ملأ قلبها رضا بما حبب
حله من يربها ، فاشكت منه ما تشكو
الحوامل ، وبما حبب وضعه من حب لها ،
فما قال من عزها جهداً ، وما رأيت إلا وجها
من البهاء يرمق السماء كأن له عندها سرّاً .
وفرح الجدل العطوف بالبشرى ، بامتداد
ظله في الخفيد كأنما ولد له جده الله
من جديد . الخلة منتبهاً وقبلة ، وصحابة
بالحد ليحمد في الأرض والسماء ، وطاف به
الكعبة ليربط بين التاريخ خير
فصل فيه !

— ٢ —

ولا يعني (محمداً) العظيم بذاته
أن نفيض في إرهاب يشك فيه الجاحدون ،
لأن ذلك الجاحدين لا ينال من العظمة
الالهية ، لأنها أصدع لقلبه وأتقب في عينه
وإن كره ، وما أعظم ما تميزت به الذات
المختارة من خصائص شاهدة بانفرادها .
وماذا يعني لنا من عنت لا يخضع الحق
وعزة آئمة لا يقنمها الدليل ؟ وإذا كان

« إن الله اسطق كنانة من ولد إسماعيل
واسطق قريفاً من كنانة ، واسطق
من قريش بن هاشم ، واسطقاني من
بن هاشم » .

انطلق نور النبوة من هذا الأصل
يصمد ، وحلته السلافة في أطهر الأهراف
الله انحرف عنها انحراف الجاهلية ،
فلم تعرف سقاها للعين ، ولم تنزل
لهاوى ضلالتها ، فكان فيها مناصب الخير
والشرف ، والعتاف والفضيلة ، حتى أذن الله
لنور أن يكون نبياً ، فكان (مجلداً)
عليه الصلاة والسلام . يولد في دار مات
ربها قبل مولده ، وبوكه لأم تنحدر دموعها
في عبرتين : عبرة الترح بفجر شاقها مطلعها
يكسف عنها كثيراً من الحزن والضيء . .
وعبرة إشتاق وأسى ، لمولود يحس الفقد
في مهد . ولو الدربما كان يشوقه أن يسمع
يوماً : يا أبي . ! ليحب في لفقة حب :
أي هي . !

قرآنه الذي جاء به من وحى ربه فأمن به
وصدقنا ، يقص علينا من أحسن القصص
ما صاحب ميلاد موسى من عجائب ،
وما صاحب ميلاد عيسى من خوارق ، فيحكى

قصة طلق ينفرد بالنجاة من الدج ، يلقي
في اليم فلا يموت ، ويحمل إلى الطافية
فيدلى ، ويرد إلى أمه كي تقر عينها ولا
تحزن ، فيربي في حاية فرعون الظاهرة
لخاتمة فرعون الخفية . كما يحكى قصة حامل
بلا بل ، يلجئها المخاض إلى جذع النخلة ،
فتتمنى سبق للوت على وضع الجنين ،
فيكلمها في الحال مؤنسا : « ألا تحزنى قد
جعل ربك تحتك سريا ، وهزى إليك
بجذع النخلة تصاقط عليك وطبا جيا » .
يلقنها النصح بخطبة الصمت ، ليعوضها
من كلام متهم - دافعا لا يدك فيه .

إذا كان محمد عليه السلام يحكى لنا
قرآنه للعز أمثال هذا غنصده ممدحا
فإذا تذكر ، أو ينكر الجاحدون ،

من إرهاب سبقه أو وافق صباه ، وقد
جاءت معجزة الوحي دافعة ، ومعهما
في الجواب للشرقة ، أجنحة خفاقة
من معجزات لو لم يحى القرآن لكات
كمعجزات الأنبياء في إثبات مدعاه ؟ .

لقد كان نبي من الإرهاب مفكوكا
لو لم تلد للقدماء النتائج ولكن بعد
أن تأكدت النتائج ، فقررت للقدماء
لا سبيل إلى إنكار الإرهاب .

يحفظ التاريخ في اللامع من وجهه بنأ
توغم الكاتب على الذكر ، لا يمكن أن
تكون من تمام الرواة لأن الجواب
الفارمة من عظمة النبي لا يميزها أن ترفه
بهذه الروايد ، وقد كان عليه الصلاة
والسلام مع الأدب الجلم والتواضع الرفيع
ألمس الناس لأسرار عظمتهم ، لأنه أوثق
الناس بما أوحى إليه ، فليس بحاجة إلى
تزكية الرواة ، وإياه لبحسه أن اصطفا الله
ليختم به الرجل ويتم به البلاغ ويقم الحجة
على من ماصره أو جمع به إلى يوم الدين ،
وإياه لبحسه أن يناديه معظما مكرما :
« يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا ، وداخيا إلى الله بأذنه وسراجا
منيرا » .

« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » .
« قد جاءكم من الله نور وكتاب
مبين » .

إلى آخر ما قرر الحق من صفاته التي
ما شاركه فيها ملك ولا بقدر ، وأى مؤرخ

يحب بحامته نبيه بالتزديد له وقد أذره قائلا
«من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»
ولهذا قالنا نذكر أنفسنا في المناسبة
الحبيبة ببعض تلك الظواهر زبدنا له حبا
ومنه قربا ، قائلين للشاشين والشاكين

ما قال ابن الرقيات :

فرضينا فت بدائكها

لا تعين غيرك الأدواء

٣ - وم يذكرون لنا من بشراء

أن السيدة آمنة قد رأت حين حملها به عليه
السلام أنها أنجبت نوراً رأت به قصور

بصرى من أرض الشام ، ويصدر ابن هشام
هذا الخبر وما سبقه بقوله : « ويؤمنون

فيما يتحدث الناس به والله أعلم . » وهي
هبة ورعة حقاً ، ولكن أى بعد الخبر

وما حلت آمنة إلا نورا وما وضعت إلا
نورا كما تدل النصوص ؟ ثم أى بمدى أن

يكرم الله أم حبيبه وصفوته فيهما ما رأت
ورؤياها أقرب إلى التصديق من وحى إلى

أم ما لقاء طفلها في اليم حفظاً لحياته ومن
حمل أم جنينا وما مسها بصر . ؟ لقد آمننا

بهذا وأكبرنا . ١ .

ويذكرون لنا أن حسان بن ثابت قال :

والله إني لغلام بعمة ابن سبع سنين أو ثمان

أعقل كل ما سمعت إذ سمعت يهوديا يصرخ
بأعلى صوته على أطله يثرب : يا معشر
يهود ، حتى إذا اجتمعوا إليه قالوا له :
ويك ما لك ؟ قال : طلع الليلة نجم أحمد
الذي ولد به .

وإذا كان مثل ذلك قد استفاض من

قصته تبشير أهل الكتاب فأية تنكر ؟

والله يقول : « ورحمتي وسعت كل شيء »

فسأ كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة

والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون

الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا

عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف

وينهاهم عن المنكر ويحمل لهم الطيبات

ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم

والأفلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا

به وعزوه ونصروه واتبعوا النور الذي

أنزل معه أولئك هم المفلحون . »

وم يذكرون من عنه وبركته ما حدث به

السيدة حليلة أمه التي أرضعته من اضطرارها

إلى ضمه إذ لم تجد غيره وقد صدقت عنه

لبتمه المراضع ، فيفيض له ثديها وقد جف

قبل علم يرضع أخاه حتى إنه لينام من الجوع

فإذا به يشبعهما معا فينامان وينام الأهل ،

وتفيض بالابن أخلاف شارف بحضاه ما كانت

تبض بقطرة ، وتنطلق في الرحيل بها أتان هزلت فأضجرت لقوم إذغده واحق لا يكون أعجب من سبقتها في الرواح ، وتنقلب المنة الصهباء المجدبة في أرض حليلة وشامها خيرا وسمة والناس من حولها يصرخون .
وإذا كان القرآن ية من علينا في أحسن

للقصص قوله تعالى : « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا ؟ قالت : هو من عند الله » فنؤمن جازمين بأكرام الله دون سبب مكشوف ، فأى شيء يمنع إيماننا الجازم بأن آلات الأعمال وأسبابها للظاهرة يتألفها اليمين فتبادر في نشاطها العادي وأداء وظيفتها ، فيسر التلوي من الأم ، والأخلاف من الشارف ، ويذهب الضر عن الأتق والجذب من الأرض ويجعل الله من بعد حسيرا .

لقد لم كفه الشريفة النماء والبركة في كل شيء قبل البعثة وبمدها ، فبارك الله به مال للسيدة خديجة أم المؤمنين ، ورأى أنس رضى الله عنه الماء ينبع من بين أصابعه في الإناه حتى توشأ القوم من آخرم وروى جابر رضى الله عنه أنه ﷺ وضع يده في ركوة لجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال الميون حتى توشأ خمس

عشرة مائة وشربوا . قال : لو كنا مائة ألف لكفانا . وهو البراء رضى الله عنه في بشر الحديبية مثل ذلك . وقد أطلعهم ﷺ أهل الخندق الألف حتى تركوا وانحرفوا من برمة لم عند جابر وصاح خبز ، وما نقص ذلك منهما شيئا ١ .

أنسكون زيادة الطعام والشراب على هذا الوجه أعظم خطراً مما صاحب دعوته من بركة ويعن على الأنس والجن ؟

لقد غيرها وجه الأرض ، وحول مجرى التاريخ ، ونقل النفوس من طباعها ، والقلوب عن عقائدها ، يترل عليه الوحي منفردا فيهتف به داعيا ، فيبلغ به للشرق كما يبلغ به المغرب ، ويدخل على ما دخل عليه القيل ، فإذا بالبشر ينهلون مناهل الإيمان في كل أرض ويتزودون زاد النبي في كل عصر ، وإذا بنا اليوم بعد أربع عشرة مائة نعيش على زاده المبارك وريه .
ألا ياسيدي صاحب الذكرى . ما أسعد الحياة يوم مولدك ١ . وما أعظم البعري بمقدمك ١ . وما أجل أن يكون احتفالنا بذكراك احتفالاً بمولده أقمنا على الهدى ، فنك ياسيدي عرفنا الهدى ، واحتفالاً (البقية على صفحة ١٨٨)

في ذكرى المولد النبوي :

هذا الأمين رضيانا.. هذا محمد

للأستاذ أنور الجندي

ما زال سيرة رسول الله ﷺ تمد
الباحثين ب زاد متجدد ينرى بالمراجعة
والبحث والتأمل ، ويتفتح دوماً عن رؤية
جديدة ، ويكشف حقائق مشرقة تلقى
أضواء ساطعة على طريق الإنسانية وتمهد
للسلمين بزاه جديد ، ومنها نحمد دائماً
ما يدحض شبهات أصحاب الشبهات ، ما
يحوكون حول حياته عليه السلام وبخاصة
في مرحلة ما قبل البعثة .

ولقد كنت دائماً أنطلع إلى إلقاء نظرة
على حياة النبي قبل البعثة ، خلال فترة
الأربعين عاماً التي أرسل محمد ﷺ على
رأس الصام لقم لها . لأرى كيف كان
يميش هذا الرسول الكريم قبل أن يأتي
إليه هذا الأمر ، ولقد نجد في كتب
السيرة توسعاً كبيراً عن مرحلتى المنة
والهجرة في حياته عليه السلام بينما لا تقدم

إلا صفحات قليلة من هذه المرحلة
السابقة للنبوة .

ولكن هذه الصفحات القليلة ، وتلك
الوقائع اليسيرة ، تكفي في إعطاء صورة
واضحة لمعامل هذا الإنسان الكريم المحمد
الذي كان يمد موله لأهباء الرسالة
الكبرى . غام رسالات السماء ودين
الإنسانية إلى يوم تقوم الساعة .

ولا يهز النفس شيء مثل ذلك الموقف ،
يوم أعيد بناء الكعبة واختلفت القبائل
وعزمت على أن تقاتل بعضها من أجل
أيها تفوز بالشرف في وضع الحجر الأسود
في مكانه من بناء الكعبة ثم تنفق على أن
ترضى بحكم أول داخل من باب السماء ،
فاذا به (محمد بن عبد الله) هناك هتفوا
جميعاً في صوت واحد :

« هذا الأمين رضيانا ، هذا محمد » .

« هذا الأمين رضينا حكمه ، هذا محمد »
فلما انتهى إليهم أخبروه الخبر فقال :
« هلم إلى ثوبا » .

فأتى به فأخذ الركن فوضعه فيه بيده
ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب
ثم ارفعوه جميعا ففعلوا ، حتى إذا بلغوا
به موضعه ، وضعه هو بيده ، ثم بنى عليه
وكانت قريش تسمى محمدا قبل أن ينزل
عليه الوحي (الأمين) .
ماذا تعطيني هذه الواقعة .

إنها تعطيني الكثير مما يرسم صورة حية
لرسول ﷺ . هذا الموقف الحاسم الخطير .
كيف فصل فيه محمد (وقد وقع قبل الهجرة
بثمان عشرة سنة) وبين البعثة والهجرة
ثلاثة عشر عاما . أي أن الرسول كان في سن
الخامسة والثلاثين - وعلى هذا النوع من
البداعة السريفة والدكاء ، والإلهام ، والقوم
على ما هم فيه من جهالة واستعداد لقتال
وكيف استراحت نفوسهم لهذا الرجل
الكريم الذي ما عرفوا عنه إلا الخير ،
كل الخير ، وكيف أجزل الله مع العطاء
فأعطاه هذا العرف أن يحمل الحجر ويضعه
في ثوبه مرة ثم يضعه في مكانه من البناء
مرة أخرى

تلك هي الشهادة التي تكذب كل ما قالته
قريش من بعد مما أرسلته من ادعاءات
وأكاذيب عند ما جاء مجل برسالة الإسلام
يدهوم إلى التوحيد .

وبروي هذا الموقف الحاسم الخطير
ابن هشام فيقول :

« إن القبائل من قريش جمعت الحجابة
لبناء الكعبة . كل قبيلة تجمع على حدة ،
ثم ينوها حتى بلغ البنيان موضع الركن
(الحجر الأسود) فاختصموا منه ، كل
قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه فون
الأخرى ، تحاوروا وتحافوا وأعدوا لقتال
فقررت بنو عبد المطلب جفنة عملاقة ، دعا
ثم تعاقبوا هم وبنو عدى بن كعب بن أثمة
على الموت ، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم
في تلك الجفنة فسموا (لمعة الدم) فكثرت
قريش على ذلك أربع ليال أو خمس ثم إنهم
اجتمعوا في المسجد وتشاوروا وتناصفوا .
وقال أبو أمية بن المغيرة بن عبد الله
وكان حامداً لأسن قريش كلها :

« يا معشر قريش : اجعلوا بينكم فيما
تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا
المسجد يقضى بينكم » ففعلوا ، فكان أول
داخل رسول الله ، فلما رأوه قالوا : .

كما يصبر الثمتيان ، قال نعم ، فخرجت فلما جئت أدنى دار من دور مكة ، سمعت فناء وصوت دقوف ومزامير ، فقلت : ما هذا ، قالوا : فلان زوج فلانة رجل من قريش فلهوت بذلك الصوت حتى غلبتني عينى فتمت لما أبقتنى إلا من الشمس فرجعت إلى صاحبي فقال : ما فعلت ، فأخبرته ، ثم فعلت اليلة الأخرى مثل ذلك .

فقال رسول الله : (ما هممت بمدها بسوء مما يملكه أهل الجاهلية حتى كرمنى الله عز وجل بالنبوة) .

وكانت رحلته إلى التجارة مجالا واسعا لكشف من شخصيته أمانة وحسن معاملة وقطرة على البيع والشراء . وكان رعى الغنم من قبل التجارة من هذه الخيوط التي كانت تتجمع لينسج لهذه الشخصية عناصر تكاملها وبنائها في كل مجال ، وكان يقول : (ما من نبي إلا وقد رعى الغنم) . وقد رحل ﷺ مع محبة أبي طالب ومهره اثنتا عشرة سنة ، ثم رحل رحلته الشهيرة مع ميسرة في سن الخامسة والعشرين وكان في تجارة خديجة .

يقول ابن هشام : كانت خديجة بنت

ولقد جاءت هذه الثقة ، حتى لقب محمد بالأمين نتيجة وقائع كثيرة وأحداث متممة (١) منها ما يتصل بالتجارة (٢) ومنها ما يتصل بخلقه وتمفقه ﷺ (٣) ومنها ما عرف من ازوراره من المجتمع الجاهلي كله . ونحنه في الغار .

وفي هذا تروى مواقف عديدة :

يقول الرسول : (لقد رأيتني في غلمان قريش ننقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان ، كلنا قد تمرى وأخذ إزاره فجعله في رقبته يحمل عليه الحجارة ، فأني لأقبل معهم كذفة وأدبر إذ لكئي لاكم ما أراه لكفة وجيعة ثم قال : قد عليك إزارك . قال : فأخذه وشدته ثم جعلت أمحل الحجارة على رقبتي وإزاري على من بين أيماني :

فإذا انتقل من مجال الغلب إلى مجال الهوى وجدنا صورة أشد حمقا :

عن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله يقول :

(ما هممت بفىء مما بهم به أهل الجاهلية إلا مرتين : كلتاها عصمنى الله عز وجل منهما أي من فعلهما ، قلت ليلة لقي كان معي من قريش بأعلى مكة في غنم لأهله يرماها : أبصر لي غنمى حتى أثمر هذه اليلة بمكة

خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بقىء تجمله لهم ، وكانت قريش قوماً تجارا فلما بلغها من رسول الله ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه ، بعثت إليه ، فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجرا وتعلمية أفضل مما تعلمي غيره من التجار مع غلام لها يقال له ميسرة ، حتى قدم الشام فباع سلعته واشترى ثم أقبل قافلا إلى مكة ، فلما قدم مكة على خديجة بما لها باعنا ما جاء به فأصعف أو قربا وحسبها ميسرة عنه ، وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبية ، فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها به بعثت إلى رسول الله .

قالت نفيسة بنت عليّة : « أرسلتني خديجة قلت : ما يمنعك أن تزوج أفتال عليه السلام : ما يندى ما تزوج به ، قلت : فإن كنت ذلك ودعيت إلى المال والجمال ، قال : فن هي ، قلت خديجة »

وكان ذلك من أبرز أحداث حياته قبل البعثة ونمضي الرواية فتصور له ﷺ مواقف مختلفة : منها اشتراكه في حلف الفضول : يقول لقد شهدت في دار عبد الله ابن جدعان حلما ما أحب أن لي به حر النعم

ولو أدهى به في الإسلام لأجبت . ثم حببت إليه الخولة فلم يصكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده ، فكان يخلو بفار حراء ، فيقيم فيه الليالي ذوات العدد ثم يرجع إلى أهله فيتزود لثقلها .

تلك الصور الخاطفة تستطيع أن تعلمي ملاح هذا الإنسان العظيم الذي اختاره الحق سبحانه وتعالى ليكمل رسالته الحق ، بطبيعة تكوينه ، وبما امتلأت به نفسه من الخير والأمانة والسماحة والحياء حتى قيل : إنه كان إذا خرج لحاجته أبعد حتى تحمر عنه البيوت وينفض إلى شعاب مكة ويطون أوديتها .

ومن هنا قالت قريش في أشد أزماتها وأدق مواقفها عندما أهل من باب الصفا : « هذا الأمين رضينا ، هذا الجمل » ومن هنا فإنه يوم وقف على الصفا بعد أن أزل إليه « وأنذر عشيرتك الأقرين » وفادى القبائل قبيلة قبيّة ، يا بني عبد مناف ، يا بني هاشم ، يا بني كذا فلما سمع الصوم نداء قالوا : هذا محمد على الصفا يتنادى ، فاجتمعوا له : هم في السفح وهو على الجبل قال : رأيتم لو أخبرتمكم

أن خيلا وراء هذا الوادي تجري أكنتم
مصدق ؟
قالوا : ما عهدنا عليك كذبا قط .
هذه الكلمات التي جاءت في موقف
الخطر والحسم تكشف عن الحقيقة
الكامنة ومنها ما قالته خديجة عند ما نزل
برجف بعد أن جاءه الوحي لأول مرة :
والله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل
الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل
وتعين على نوائب الدهر
تلك المواقف ، تجري على الألسنة كلمة
الحق التي نفضها أمام الباحث سبيل الحقيقة

وتعلمي أصنى بيان من محمد ﷺ قبل
أن يبعث بما يدحض كل ما يذهب إليه
بعض المستشرقين وما يخلطوا فيه من
دعوى وأضاليل ، ويدحض كل ما قالته
قريش بعد البعثة حقدا وحربا لمحمد
وللإسلام .
وهذه كلها مقدمات واضحة لحياة نبي
اصطفاه ربه لأعظم رسالة وليست صورة
بشر من البشر الذين كانوا يضطربون
في أنحاء مكة في آخر عصر الجاهلية ؟
أنور الجندي

(بنية للنغور على صفحة ١٨٣)

بما هدتك على التي ، فبدينك يا سيدي
يرسم الغدير والتي ١ . وما أحرانا -
وما تركت الجهاد في سبيل ربك - أن تتخذ
من جهادك القدوة ، ومن صبرك الأسوة ،
حتى يظهر دين الله ويملأ الحق ، ويقوى
الإنسان على الجهر - باتساقنا إليك ، فكم
من الخجل يا سيدي أن يذل للنتمون إليك
أمام الباطل الساخر . . وسلاحهم أقرب
إلى أيديهم لو كانوا يعلمون ، فادع لنا الله
أن تتبع الهدى معك ، ونسلك الهدى
على خطاك . . وصلى الله عليك يوم مولدك ،
وصلى الله عليك يوم ذكراك . . وصلى الله
عليك شافعا ومشفعا . . وصلى الله عليك
في كل خيرة روح وكل خفقة قلب يا صفوة
الصفوة يا رسول الحياة . . ؟
دع الزمزم على الصبر

دينُ آباءِ الرُّسُلِ

للاستاذ علي حسن عمر

فكل الأنبياء والرسل كانوا مسلمين « إن الدين عند الله الإسلام » ، « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » .

ولب الإسلام قبل بعث مولانا محمد ابن عبد الله ﷺ ، الاعتقاد بالإله الواحد لا شريك له والتسليم له والرضا بقضائه وقدره واليوم الآخر واتباع القواعد التي نزلت على أنبيائه من الكتاب والحكمة ... وهذا قدر مشترك تزداد التكاليف فيه بتقديم البشرية . والصورة الواضحة للإسلام قبل البعثة هي عبادة الله الواحد وتقواه وإطاعة أوامره واجتناب نواهيه والتمسك بمكارم الأخلاق .

وأبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام أتى بالمشقة الحنيفة للسلمة « إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لب العالمين ، ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابنئ إذ الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون » .

الحقيقة التي يلبني أن تأخذ حظها من الالتفات هي أن الإسلام قديم قدم الخليقة وللشيئة ، ونزل على الأنبياء والرسل منجماً بالتدريج الذي أرادته للشيئة الربانية وفق تطور البشرية « إنا كل شيء خلقناه بقدر » حتى إذا اكتمل التطور الإنساني .. بعث سيدنا ومولانا محمد بكامل الدين مصداقاً لما قبله من الكتاب ومهيئاً عليه : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » .

وجميع الأنبياء والرسل قبل الرسالة قد آمنوا بالرسالة المحمدية وناصروا مولانا خاتم النبيين وإمام الرسلين محمد بن عبد الله « وإذا أخذ الله ميثاقه النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلك إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » .

« ما ولدني بنى قسط منذ خرجت
من صلب آدم .. ولم تزل تتنازهنى الأمم
كأبرا عن كابر حتى خرجت من أفضل جبين
فى العرب : هاشم وزهرة » .

فنى عن آباءه البنى وأقوى مظاهره
الشرك « إن للشرك لظلم عظيم » وصح عنه
قوله القاطع « لم أزل أقل من أصلاب
الطاهرين إلى أرحام الطاهرات » فقطع
بذلك السنة تعددت بكفر بعض آباءه
إذ لا يستقيم الكفر مع الطهارة .

وكان مولانا رسول ﷺ يقول « أنا
دعوة إبراهيم وبشرى عيسى بن مريم » .

أما بشرى عيسى عليه السلام فسجلتها
الآية السادسة من سورة الصف « وإذ قال
عيسى ابن مريم يا بنى إسرائيل إني رسول
الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة
ومبعثا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد »
وأما دعوة إبراهيم فقد جاءت بها الآيات

١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ من سورة البقرة

« وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت
واسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع
العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا
أمة مسلمة لك وأرأنا مناسكنا ونب علينا
إنك أنت التواب الرحيم » ربنا وابعث

« ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا
ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من
المشركين » وحين أمر بالرحيل إلى مكة
أناب بهاجر وإسماعيل فى الهند بواد غير
ذى زرع عند بيت الله للكرم وأسكنها
هناك « ربنا إني أسكنت من ذريتى بواد
غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا
الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى
إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم
يشكرون » .

ثم بنيت الكعبة .. فكانت قبة الصلاة
فى جزيرة العرب يعبدها الله حولها ذرية
إبراهيم ومن تبعهم من العرب .. وإذ
قال ذرية إبراهيم من ناحية ابنه إسماعيل
عليه السلام كانت أمة مسلمة نقل رسول الله
من أصلابها وأرحامها ، حتى ولد ﷺ
من أشرف جبين من ههنا القرية
هاشم وزهرة .

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال
« خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح
من لذن آدم إلى أن ولدني أبى وأمى ولم
يصبنى من سفاح الجاهلية شيء » ما ولدني
إلا نكاح أهل الإسلام » وصح عنه أيضا :

إلى آخر النسب ..

وتلتقى رضى الله عنهما مع زوجها عبد الله
في جدها الرابع كلاب بن مرة ..

والجد العاشر لرسول الله ﷺ هو فهر
ابن مالك وهو قريش أحاس اسم قبائل
قريش .. وإليه يجتمع نسب جميع قبائل
قريش .. وسعى قريشا لما تميز به من أنه
كان يقرش (أى يفتش على) حاجة المحتاج
فيقضيها له من حلال ماله وكان يأمر بنيه
فيقرشون حاجة أهل الموسم ويرفدونهم
(بقضونها لهم) وكانت الرسول ﷺ
يفتخر لنسبه من قريش .. « أنا سيد ولد
آدم بيد أئى من قريش » فرفع قريش إلى
سيادة قبائل العرب .. وهو مركزها قبل
البعث المحمدى .

وفد أجمع العلماء أن رسول الله كان إذا
انقلب انتهى إلى عدنان لا يجاوزه ويقول
« كذب النساوى » .

وأجمعوا أيضا على أن نسب همدان
ينتمى إلى اسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام
ويؤيد إجماعهم قول بعضهم لرسول الله ﷺ
يا ابن الديسح .. . والديسح الأول
إسماعيل عليه السلام فدل على أن نسبه يصل

فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم
الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت
العزیز الحكيم » .

وواضح الدعوة فحولها لفقير أولهما :
ذرية إبراهيم وإسماعيل يفرح إلى الله أن
يحمل من هذه الذرية أمة مسلمة لله
وثانيهما : بمت رسول الله من هذه الذرية
التي أنجبها في جزيرة العرب وجعلها أمة
مسلمة لله ، وقول رسول الله « أنا دعوة
إبراهيم » قاطع في استجابة الله جل وعلا
لدعوة إبراهيم فوسعت هذه الاستجابة
أن تكون ذرية إسماعيل من آباء رسول
الله أمة مسلمة لله وليست كافرة .

وإذن فإن آباء رسول الله ﷺ من
الأمة المسلمة .

وثابت نسب بيننا ﷺ أنه « محمد بن
عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد
مناف بن قصي بن كلاب بن مرة ابن كعب
ابن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر
بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن
مضر بن نزار بن معد بن عدنان .. »

وأمة ﷺ آمنة بنت وهب بن عبد
مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب
ابن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك ..

والشجاعة والصفاء والامتناع عن شرب الخمر، والمزوف من عبادة الأصنام والنهي عن الزنا والسرقه . . وتوجيه الناس إلى عبادة رب البيت . وكان وصىء الوجه يتلأأ فيه شمع من نور . واسمه حكيم - وصي كلابا لمكالبته أعداء قريش والأخذ بعجامهم وظاهر ما يخلص من سلوكه وما جاء فيه من أقوال يقطع بأنه كان على ملة إبراهيم حنيفا مسلما ولم يكن من المشركين . .

وأما الجلد الثالث لعبد المطلب فهو قصي ابن كلاب . . اسمه زيد وقيل يزيد ويكنى بمجمع إذ جمع الله به القبائل من قريش بحكمة حول الكعبة . . وهو الذي أراح خزاعة عن مكة وولى أمرها وشرفها وجمع في يده السقاية والريادة والحجابة والندوة واللواء والقيادة ، وصميت دُرّه بدار الندوة وقد اتخذتها قريش دار المفاورة لا يدخلها عليهم من قبل سنة هن الأربعين . وقد أوتى قصي الحكمة . . « ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا » . ومن المأثور عنه « من أكرم ثيبا شاركه في لؤمه ، ومن استحسن قبيحا ترك إلى قبيحه ، ومن لم تصلحه الكرامة أصلحه الحوائى ، ومن طلب فوق قدره استحق

من مدنان إلى استماعيل عليه السلام . . وثبوت نسبه عليه السلام تقرير يؤكد أن أجداده من القرية الصالحة المسلمة التي وسعها دهره إبراهيم والممتدة إلى الأجداد الصالحين من إبراهيم إلى آدم عليه السلام .

وربما ثار جدل وغموض حول أجداد النبي من كلاب بن مرة إلى عبد المطلب إلى عبد الله . .

ففي السيرة الحلبية أن « الحافظ السيوطي أورد أن أجداده عليه السلام من آدم إلى مرة ابن كعب مصرح بإيمانهم من الأحاديث وقول السلف ، وبقي بين مرة وعبد المطلب أربعة أجداد لم يظفر الحافظ السيوطي قديمهم بنقل » .

والأجداد الذين يعبر إليهم الحافظ السيوطي هم كلاب بن مرة ، وقصي بن كلاب وعبد مناف بن قصي ، وهاشم بن عبد مناف ورأى أن التصور اعترى بحث الحافظ السيوطي خاصا بمؤلاء الأجداد الأربعة الأخيار . .

أما كلاب بن مرة الجدل الرابع لعبد المطلب فمنه يلتقي نسب النبي من جهة والده ونسب أمه من جهة قصي بن كلاب وزهرة ابن كلاب . . والمأثور عنه القدرة والقوة

ويطلق عليه عمرو الملا لمورثته في قريش
والعرب ، وصي هاشما إثر جماعة جديدة
حلت بقريش والعرب ، خرج من أجلها
إلى الشام واشترى دقيقا وكما وقدم مكة
في موسم الحج فبشم الحنظل والككمك
وذبح الذبائح وجعل ذلك كله ثريداً أطعم به
الناس وأشبههم وامتدت مواعده وظلت
منصوبة على الهوام وأصبحت سنة امتدت
إلى خلفاء رسول الله ﷺ حتى اقرضت
الخليفة في عهد الأتراك ..

والمأثور عنه خطبته البليغة حين هل
هلال قتي الحجة فقام وأسند ظهره إلى
إلى الكعبة من تلقاء بابها وخطب في قريش
« يا معشر قريش إنكم سادة العرب
وأحسنها وجوها وأعظمها أحلاماً وأوسطها
أنساباً وأقرب العرب بالعرب أرحاماً ..
وأنتم حيران بيت الله ، أكرمكم الله بولايته
وخصكم بحواره دون بقية بني إسماعيل ..
وإنه يأتيكم زوار الله يعظمون بيته ، فهم
أضيافه وأنتم أحق من يكرم أضياف الله
وزوار بيته ..

وإني أخرج من طيب مالي وحلاله ما لم
يقطع فيه رحم ولم يؤخذ بظلم ولم يدخل
فيه حرام ، ولو كان ما عندي يكفي الناس

الحرمان ، والחסود هو العدو الخفي » ،
وكان ينهى عن الظلم والبغى وشرب الخمر
ويدهو إلى تعظيم رب البيت وشعائر الله
في الحجيج ويندفع إلى إكرام الواقفين
في الموسم ويحسن إلى أهل مكة إكرامهم .
ولم يؤثر عنه عبادة الأصنام .. ومأثور
أقواله وأما له يقطع بإيمانه برب البيت
مسلماً على ملة إبراهيم يتلاً في وجهه نور .
وأما الجند الثاني لعبد المطلب فهو
عبد مناف بن قصي . ويكنى بقمر البطحاء
لحسنه وجماله ووضاعة وجهه . واسمه
المنيرة ، وهو أشرف أبناء قصي وأكرم
الناس وصي بالفياض لذلك : وقد جمع
في يده لواء نزار وقوس إسماعيل وحفظته
قريش حجارة عليها وصيته « أنا للمنيرة
ابن قصي أوصى قريشاً بتقوى الله وصلة
الرحم » .

ومن كانت هذه وصيته فإنها وحدها
تقطع بإيمانه العميق بالله رب العالمين
ووجوب تقواه .. وقد جاءت الوصية
بالأساس في الدين السميع « يا عبادي
فاقوون » ، و « قل لا أسألكم عليه أجراً
إلا التوادة في التربي » .

وأما هاشم بن عبد مناف فاسمه عمرو

لكنفيتكم ؛ فمن شاء منك فعمل
ولا يخرج من رجله منك من ماله لكرامة
زوار الله وتقويتهم (إطعامهم) إلا حلالا
طيبا .
وواضح من خطبته رسوخ إيمانه بالله
وتعظيمه لكرامة بيت الله وشعاره ،
وأن الحاجة وفد الله وأضيافه وصلة الرحم
والصلى للعالم الحلال الطيب .
وكان هاشم وضئ الوجه يتلأ في

نور عرفه كل من التقي به من الأجبار
والرهبان فكانوا يقبلون يديه وعرفه
هرقل عظيم الروم ورائد المسيحية
وحاميا . ففرض عليه زواج ابنته لعلامات
التي تنبئ بظهور النبي للوجود في كتبهم
وأملأ في أن يكون للمسيحيون خثولة النبي
المنتظر وهو هس ما فعله للقوقس عظيم
القبط حين دعاه وحوله الله للإسلام ففعل
أهداه جاريته إحداهما مارية القبطية التي
أسلمت وتزوجها رسول الله وأحب منها
إبراهيم عليه السلام التي انتقل إلى رحمة الله
حنفلا . وشاءت الإرادة الإلهية أن يظهر
دينه ليظهره على الدين كله وأن يحلم أهل
البيت من خثولة أهل الصليب .
ولو كان هاشم على الكفر ما حرم

بالصور . .
وقد ثار الجدل حول عبد المطلب
ابن هاشم الجد الأول لرسول الله ووليه
وكفيه والأقوال فيه ثلاثة : أولها : أنه
لم تبلغه الرسالة وأنه مات على القمطرة إذ مات
وسق النبي ثمان سنين . . والتكليف
والعذاب منه مرفوع لقوله تعالى : « وما كنا
معذنين حتى يبعث رسولا » .

وثنائها : أنه الله سبحانه أحياء وولده
عبد الله والله النبي بعد البعثة إكراما لرسول
الله ﷺ فنطقا بالشهادة وآمنا بمحمد ﷺ
ثم أماتهما على الإسلام .
وثالثها : (وهو الأول بالاعتبار)
أنه مات على ملة إبراهيم خنيفا مسلما وما كان
من المشركين وهو الأقوى عندى لثبوت
ما يؤيده من حياة عبد المطلب والمأثور

وكان هاشم وضئ الوجه يتلأ في
نور عرفه كل من التقي به من الأجبار
والرهبان فكانوا يقبلون يديه وعرفه
هرقل عظيم الروم ورائد المسيحية
وحاميا . ففرض عليه زواج ابنته لعلامات
التي تنبئ بظهور النبي للوجود في كتبهم
وأملأ في أن يكون للمسيحيون خثولة النبي
المنتظر وهو هس ما فعله للقوقس عظيم
القبط حين دعاه وحوله الله للإسلام ففعل
أهداه جاريته إحداهما مارية القبطية التي
أسلمت وتزوجها رسول الله وأحب منها
إبراهيم عليه السلام التي انتقل إلى رحمة الله
حنفلا . وشاءت الإرادة الإلهية أن يظهر
دينه ليظهره على الدين كله وأن يحلم أهل
البيت من خثولة أهل الصليب .
ولو كان هاشم على الكفر ما حرم

عبد الله والد النبي ﷺ في نذر نذره
وقداه بمائة من الإبل بالقصة المشهورة
وذلك قبل ترويعه بآمنة أم النبي .

ويؤثر عنه أنه كان يقول « لن يخرج
من الدنيا ظلم حتى ينتقم الله منه وأصبيه
عقوبة » ، فمما قيل له في ظلم ملك بالعام
حول عقوبة أطرق ثم قال « والله إن وراء
هذه الدار لدارا يجزي فيها المحسن بإحسانه
ويعاقب المسيء بإساءته » . فهو يؤمن
بالثواب والعقاب والجزاء والدار الآخرة
والموت . . ونسوق صورة لإيمانه رب
العالمين والاحتجاج به ، منها رجزه بالمنجاة
لنجاة ولده حين ضرب القداح .

ربنا أنت الملك الحمود
وأنت رب الملك المصود
من عندك الطارف والتلبد

وصورة أخرى تصح من رصوخ إيمانه
ربه حين قدم أجرة مع الأحباش ومن
سلاحهم القبة لخدم بيت الله (الكعبة)
قال لأجرة « لبيت رب سيئتم » ، وخطب
في قريش « يا معشر قريش لا يصل لخدم
البيت (يقصد أجرة) فقلبت رب يحميه
ثم أخذ بخلق باب الكعبة وانشد ربه :

عنه ولكونه من ذرية إسماعيل بن إبراهيم
الدين وسعتهم دعوى سيدنا إبراهيم عليه
السلام .

وقد سجل التاريخ عنه أنه عبد المطلب
ابن هاشم . واسمه شعبة الحمد وسمى كذلك
لميلاده وفي رأسه شعبة . وإضافة الحمد
رباه أن تحمده الناس ، واعتبر باسم
عبد المطلب لنشأته يتيما في حجره المطلب
بن عبد مناف وكانت مادة العرب أن يسمى
اليتيم عبد المن تربي في كنفه . وقد أثناه
الله الحكمة . وكان مجاب الدعوة يتعلل
بمكارم الأخلاق ، وقد حرم على نفسه
وعلى قومه الخمر وكان أول من اعتكف
الليالي الطوال ذوات الصد في غار حراء
يتفكر في خلق السموات والأرض وقدره
لله وعظمته .

وكانت قريش إذا أسأبها ضغط أخذت
بيد عبد المطلب وخرجت به إلى كير
يستقي لها الله وكان مجاب الدعوة مكرما
من ربه .

وقد انتهت إليه رياسة قريش بعد موت
عمه للمطلب ، فنشر في الناس تعاليمه وعظاته
وحثهم على مكارم الأخلاق وأمرهم بالوفاء
بالنذر وكان لهم قدوة إذ لم يذبح ابنه

أما الحرام فلهذه دونه
والحل لا حل لهستينه
يحصى الكرم مره ودنه
فكيف بالأمر الذي تبغته

فهو بفضل الموت على ارتكاب المعاصي
ويستكر كبا للإثم . ويقرر أن الكرم
يحصى مره ودنه . فتأمل . . وأكبر
في والد رسول الله كرام الأخلاق التي خص
الله بها نبيه « وأنتك لعل خلق عظيم »
وفي هذا ما يكفي للتقرير بأن آباء رسول الله
صلى الله عليه وسلم . هم من قرية إبراهيم
مسلمين حنفاء يملأهم الإيمان برب العالمين
وقد انتقام بهم وفضلهم وطهرهم لقاية
في مهيته هي بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم من بين أصلاهم وتراثهم الطاهرة .

سلام على ابراهيم واسماعيل وذريتهما
آباء رسول الله وسلام على آدم والمرسلين
والصلاة والسلام على سيد الخلق مولانا
النبي السراج للنير . . والحمد لله رب العالمين .

على من عمر

لا م إن المره يمنع رحه فامنع رحاك
وانصر على آل الصليب وما بديه اليوم آك
وقد استجاب الله له دعوته وأرسل على
أصحاب الميل طيرا أبايل نرمهم بحجارة
من سجيل فجلهم كعصف مأ كول .

وقد صح عنه عليه السلام في حديث ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بعث جسدي
عبد للطلب في زى الملوك وأمة الأشراف »
أما عبد الله بن عبد للطلب والد النبي
فإنما جاء إلى الدنيا طاهرا . وكأنما استظل
الدنيا وهجرها سرنا لتأدية رسالة خصمه
الله بها وهي خروج السراج للنير سيدنا
محمد من صلبه . . وقد حاوى رسول الله
بينه وبين نبي الله اسماعيل بن إبراهيم بقوله
« أما ابن ادييعين » .

كان أوسم وأصلح وأجمل أهل زمانه
يقع من جيفته نور النبوة . .

وقد رآته سيدة بني أسد بن عبد المزي
أجل لساء زمانها وهو يطوف بالكعبة
عقب اقتدائه بالإبل للسائة وكان أحسن
رجل يرى . فقالت له ك من الإبل مثل
ما نحررت منك وقع في الآن فاستنعم
وأندعها :

الرحمة المهداة للبشرية

للرسالة المحمدية

والدنيا كلها تفيق لحظة من صراعها
المنيف ، ودوارها القاسي لتنعني في
جلال وخشوع قد كرى مولد سيد الخلق
اضطهاد .. ؟

ورحمة الله للهداة البشرية ، يعيش في
أعماق أكثر من سؤال حوله صاحب
الرسالة المحمدية .

هل هناك نبي أو رسول لى ما بقيه
سيدنا محمد خلال سنوات دعوته من مذاب
واضطهاد ، ومجاعة وقطيعة ؟

وهل هناك من كان نصيبه مع قومه
وأهله كهذا الذي رآه سيدنا رسول الله
حتى بلغ الأمر ، بكل الأهل أن يتجمعوا
حوله لا ليدفعوا عند إيذاء القوم ، بل
ليقتلوه وفي أكثر من مرة ؟

وهل هناك من لى من عذاب القلب
في فقد الأهل ، وموت الأولاد ، وفراق
الأحبة ، بل من عاش هذه الحياة الشاقة
الصعبة مثل النبي ﷺ ؟

وهل هناك من قابل هذا العقوق ،
وهذا المذاب ، حتى من الأنبياء عليهم

السلام ، يمثل ما قابل سيدنا رسول الله ،
رحمة تقابل القسوة .. وغفو أمام كل
اضطهاد .. ؟

إن سيدنا رسول الله كان في حياته
وهو بشر ، فوق كل البشر ، ومعلم لكل
الدنيا ، إنساني لم تر البشرية منذ آدم إلى
آن تقوم الساعة نظيراً له .. والقرآن
الكريم دليلنا في محاولتنا لمعرفة جواب
الإنسانية والرحمة في رسولنا العظيم
صلوات الله عليه ، ونحن نأخذ من الآيات
الكريمة معلوماتنا التاريخية ، عن مقابلة
أنبياء الله لفرادة مواقف شعوبهم .

فنوح عليه السلام يوم مر عليه القوم
يتخاضرون ، بصدد أن لبث فيهم ما لبث
يدعوم فيستخفون ويهزمون ، راح
يدعو الله تبارك وتعالى أن يقسم ظهورهم
ويبيد من الوجود ، والحق تبارك وتعالى
يقدم ذلك الواقع فيقول : « قال رب إنى
دعوت قومي ليلاً ونهاراً فلم يزدوا دعائى
إلا فراراً . وإنى كلما دعوتهم لتتفر لهم

على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم .

و . . داود وعيسى عليهما السلام كان منهما مثل ما كان من غيرهما من أنبياء الله وفي هذا يعبر القرآن الكريم « لمن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم » .

أما النبي . . الرسول . سيدنا محمد ﷺ فقد كان نسيج وحده ، إن خصومه بمنعونه من الصلاة فيدعو لهم ، وإلهم يقاطعونهم هو ومن آمن به ثلاث سنوات حتى لا يجد الواحد منهم ما يأكله غير حصص الأرض ، وأوراق الشجر ، ويؤخذ بالواحد منهم فيكوى بالنار والرسول الرحيم يدعو لهم ويخرج القوم مما تعارف عليه العرب من أخلاقيات ، فيردونه عن ديارهم ورسولهم وراة الأتباع والصفية يؤذونه بالقول والبس ، يوم ذهب إلى الطائف داعياً ، لاجئاً ، وأيضاً لا يزيد النبي على الدعاء لهم وفي ذلك يروى التاريخ أرواه تبارك وتعالى أرسل جبريل إلى رسوله نور هذا للوقف ليقول « إن الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا به عليه ، وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، فناداه ملك الجبال

جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً » .

« قال نوح رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزد ماله وولده إلا خساراً ، ومكروا مكراً كباراً ، وقالوا لا تذرنا آلهتنا ولا تذرنا وداً ولا سواعاً ولا يفوت ويعوق ونسراً ، وقد أضلوا كثيراً ولا تزد الظالمين إلا ضلالاً » .

حتى يقول نوح لربه : « وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً . إنك إن تفرم يضلوا عبادك ولا يفلحوا إلا فاجراً كفاراً » .

ومثل نوح عليه السلام غيره من الأنبياء الكثيرين ، منهم من علمنا خبره ومنهم من لم نعلم ، ومن هؤلاء على سبيل المثال - والقرآن الكريم مصدرنا أيضاً - موسى عليه السلام ولم يجد من قومه ، ولا من خصومه كهذا الذي وجدته بيننا ﷺ من أهله ، بل أن موسى هو من نعلم من القوة والبطش ، وعلى ذلك يخاطب الله تعالى قائلاً : « وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملائه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس

مرة .. وقبل أن يبدأ القتال .. إذا به صلى الله عليه وسلم يدعو الله فيقول : « اللهم إنهم عبادك .. ونحن عبادك .. فانصرتا ... » .

ومرة والقتال للمنيب في أحد ينام مداه فيدعو الله تبارك وتعالى ويقول : اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولاك . اللهم فنصرك الذي وعدتني .. » .

وبمثل هذه المعاني الرحيمة التي لا تطلب فناء القوم بل ترك القول أن يختار طريق النصر وهو المليم .. وهي في الغالب عند رسول الله الهداية .. كان دائما موقف رسول الله من خصومه ومكذبيه .

وتبلغ قوة الإنسانية عند الرسول يوم جاءه وحش قاتل حمزة . وحزة عند الرسول ليس همه خصب بل أكثر وأكثر ويملن إسلامه .. ويصبح بهذا واحداً من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم . فلا يرد النبي رغم ما كان من طلبه . بل يطلب منه أسرا واحداً (أن لا يريه وجهه) حتى لا يشير عليه مواجع القلب ، هكذا . حتى من غير دعاء عليه .

وسلم عليه وقال : صرتي بما شئت ، فإن شئت أطبق عليهم الأخشبين ، فكان رده للشرق ، المعلم . (بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا ، والله أهدى قومي فإنيهم لا يعلمون) .

ومواقف كثيرة ، تعرض لها النبي ، ولا يقابلها إلا بالرحمة ، وتنتهي بما كان منهم ليلة هجرته حيث اجتمعوا على وغبة قتله ، ويترك النبي مكة ، إلى المدينة للنورة ومع ذلك فلا يتحرك لسانه بالدعاء عليهم ، وإنما بمنجاة :

« والله إنك لأحب أرض الله إلى ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت » . ولم يزد صلى الله عليه وسلم .

وفي المدينة أيضا ، يستمر إيذاء القوم ، ومؤامرات الأهل ، وسيدنا رسول الله يلقى ذلك كله بالرحمة والدعاء لهم بالهداية ، والتاريخ والأحاديث مليئة بمواقف العظيمة الإنسانية عند سيد البشرية ، حتى في أخذ لحظات القتال ، حيث يتمنى أي إنسان مهما ارتقى بالإنسانية موت خصمه أما النبي فكان أسراً آخر ، وحيداً في خلق الله من حيث الإنسانية القريفة .

هند معلم الإنصانية . وإنما وضع قواعد
جديدة لأمة - تذهل الدنيا . يوم نظر
إلى هؤلاء الطغاة . الأعداء . وأعلنها على
مسمع التاريخ . (اذهبوا فأنتم الطلقاء)
و . . . (من دخل المسجد الحرام فهو
آمن . . . ومن دخل دار أبي سفيان فهو
آمن . . . ومن دخل داره فهو آمن) .
وخلال هذا الحظ المبارك من حياة
النبي لم نسمع دعسوة . بل دعاء . ودعاء
باستمرار . حتى ليقول الله للناس فيه
صلوات الله عليه « لقد جاءكم رسول من
أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ؛ حريص عليكم
بالمؤمنين ، رهوف رحيم . »
وسلى الله على سيدنا محمد يوم مولده ،
وكل يوم حتى تقوم الساعة ؟
صالح مزاحم

و . . . بكاء الطغل بمس القلب الرحيم
في حنقه ، وفي هذا يروي أبو قتادة بن الحارث
رضي الله عنه (قال رسول الله ﷺ إني
لأقوم إلى الصلاة وأريد أن أطيل منها فأسمع
بكاء الصبي فأجوز في صلاتي كراهية أن
أهتق على أمه) .

و . . . مراقبة الرحمة من طالبي الصدقات
ومن الدخوصه . . . ومن المنافقين .
وغر الأيام . . . وينتصر النبي العظيم . .
ويدخل الناس في دين الله أفواجا . . . وتقف
عند يوم الفتح . . . وقد ماد رسول الله إلى
مكة فأنحما منتصرا . . . ويجتمع الخصوم أمامه
انتظرا لنتيجة الحتمية التي تصاحب كل
انتصار حربي ، من قتل الخصوم ومحاكمة
الأعداء . ومصادرة أموالهم . وسبي نساءهم
وهدم دورهم . ولكن هذا كله . ليس

قال تعالى :

« يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه
ومراجعاً منه » .
(صدق الله العظيم)

قصيدة شعر : في ذكر مولد المختار :

لقد أهل بنور الحق مشرقه

للأستاذ محمد هارون الخالو

في كل عام لنا بالمصطفى عيد
هذا النبي ، وعين الله تحرسه
هو البشير الذي أصفاه بآرثه
لقد أهل بنور الحق مشرقه
الله أكبر ، كم بين القرون له
وكان دعوة إبراهيم حين خدا
ولم يكن غيره للأمر يحمله
جاد الزمان به ، والبشريات لها
وقد دعوى عبده الأحبار ، فارتقوا
كل يؤمل أن يحظى برأيه
وإني بفيض الهدى ، والمهرجان به
نفس إروان كسرى في جلالة
وأنفتحت للجنوس النار ، وهي بهم
أهل إصباحه ملء الوجود سنا
فه يوم بهي النور مزدهر
يفيض عنه صباح باسم ، ورؤى
والطير فيه طراب ، وهي هائمة
وكم شعبا القلب من فردوسه عبق

فيوم مولده بشر ، وتغريد
وملء حطفيه إيمان وتوحيد
بالأمر ، وهو بفضل الله موهود
والخير في ظله ، والبر ، والجود
بكل أفق لواء ، وهو مشهود
بالبيت يرتفعه ، والبیت مقدود
من بعد عيسى وموسى ، وهو محمود
بموجب الدهر تعظيم ، وتعجيد
نجم الهدى ، وهو بالأفاق مرصود
وكيف ، والمصطفى للأمر منشود
ظل من الألق البسام ممدود
وما لساوة ببح منه مورود
ضلالة ، هاجبا للإثم مرديد
ولم يحىء مثله في شأوه عيد
لواؤه بالأمانى الزهير معقود
نشق كل فؤاد ، وهو محمود
بالوجد نشوى ، وكم فيهن غريد
وحضه زهر كالبحر منضود

والروح نصحه الأملك مرتقب
 هذا بي الهدى، هذا الذي احتفلت
 تبارك الله، قد لاحت بشرته
 أنعم به أملا للمرتجفين به —
 وإي محمد المختار في شريف
 ينحى إلى خير آباء له سلفوا
 ثم الميامين أصحاب السقاية أمه
 إذ ورثوه من الأحساب ما شرقت
 فقد كسب لباس الحمد، فانتزروا

ذاك الوليد، وقد دوت به اليد
 به العناية، تحذوه الأفايد
 حقيقة، ما لها في الدهر تفنيد
 هدى ونورا به نصر، وتأيد
 ما نال قدسية في الدهر مولود
 وكم ناصى بسبه آباؤه العبيد
 حاب اقواء، هم الشم المنايد
 به فريش، وهم نعم المناجيد
 به الزمان، وما كالحمد تخليد

محمد هارون الماور

قال الله تعالى :

« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل
 السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » .

(صدق الله العظيم)

الدعاء والتكدير

للأستاذ مصطفى الطير

« ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين »
 طاقات البشر وقوام متفاوتة ، فإذا كان في بعضهم اقتدار في ناحية فإن فيه ضمما في ناحية أخرى ، وهكذا الشأن في جميع أُمراء الإنس بالاستقراء والتقصي ، فلهذا يدهو بعضهم بعضا ليحييه هل استكمال النقص فيه ، ويقضى له من شئونه ما لا يستطيع قضاءه ، ومن أجل ذلك نشأت الحرف المختلفة تبعا للطاقات والحواس الكامنة في النفس البشرية .
 ولقد أحس الإنسان منذ نفاثته أن طاقات البشر مجتمعة أو متفرقة تعجز في أحيان كثيرة عن تجميعها فها هو مضطرا إليه ، فلهذا اتجهت همه إلى قوة فوق قوى البشر يطلب منها العون والمساعدة ، ومنهم من وفق إلى معرفة خالق الأكوان فدعاه ليجلب له نفعا أو يدفع عنه ضرا ، ومنهم من خاف التوفيق فدعا أربابا سواه ،

لم تصفه في تحقيق مناه « أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض . أإله مع الله » .
 ولما حركت عبادة الأرباب الكاذبة هذه الحقيقة وتركوا دعاءها عند الشدة منيبين إلى الواحد القهار ، لكنه إذا كشف الضر عنهم ومنعهم الرخاء والنعمة إذا هم به مشركون ، قال تعالى : « وإذا مس الإنسان ضرعا ربه منيبا إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله » .
 (هل يرد الدعاء القدر)
 قد يقول قائل كل شيء بقضاء الله وقدره ، فإن كان في قضائه تعالى جلب نفع لعبده أو دفع ضرر عنه حدث ما قضاء الله سواء دعا الصمد مولاه أو لم يدهمه ، وإن لم يكن ذلك في قضائه فلا يستطيع الدعاء أن يفسير مما قضاء الله شيئا ، بل لا يستطيع أهل السماء والأرض

الداعي يعترف بدمائه ربه أنه هو القادر
 هل تحقيق ما دماه إليه ، وثابتهما أنه يقر
 بمعززه أمام الأحداث وأنه محتاج إلى العون
 من خالقه ليحقق له ما عجزت عنه قدرته
 وقدره سواء ، وكلاهما مظهران من مظاهر
 الصودية والخضوع طائقي الأكوان ،
 فلذا كان مطلباً عظيماً من مطالب الشريعة
 الإسلامية ، قال عليه السلام : « الدماء مخ العباد » .
 وحسبك دليلاً على فضل الدماء ومزكته
 عند الله أنه تعالى ينضب حين يتركه العبد
 إذا نزلت به عنة ، قال تعالى « فلولوا
 إذا جاءهم بأئسا نضرهم » ، ولكن قست
 قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون » .
 فعلى العبد أن يدعوا ربه في أمره كله ،
 فهو مظهر من مظاهر خضوعه لربه وإقراره
 بحاجته إليه ، واعترافه بقدرته على تحقيق
 ما ربه ، وعليه أن يستسلم لقدر الله وحكمته
 فيما دماه إليه سواء وافق مبتناه أو لم يوافق
 فهو أهل بمصلحة عبده وينبغي له أن يحزم
 في دمايه ولا يعلقه على الشبهة ، قال عليه السلام :
 « لا ينبغي لأحدكم أن يقول اللهم اغفر لي إن
 شئت ، ولكن يحزم ويقول اللهم اغفر لي » .
 (لماذا لا يحجب الله ما دأعاً)

وليس من مصلحة الخلائق أن يجابوا

أن يغيروه بأي سبب من الأسباب » وكان
 أمر الله قدرأ مقدورا » .

قلنا رداً على ذلك أن الدماء ينفع فيأجله
 الله أن لا ترتب على الدماء ، فلا بد من حصول
 الدماء ليحصل ما جعله الله مترتباً عليه .
 وإن مثل الدماء كمثل الدواء ، فإنه إن
 كان مقدورا عند الله الشفاء بتناول المريض
 له تناوله وحدث الشفاء ، وإن لم يكن
 مقدورا لم يحصل سواء تناول الدواء
 أو كف عن تناوله .

وكما أنه لا يصح له ترك العلاج بالدواء
 اعتماداً على أن ما كتبه الله من شفاؤه
 أو سقمه سيحدث سواء تناول الدواء
 أو تركه ، فكذلك أمر الدماء ، فعلى العبد
 أن يتعاطى الأسباب والله تعالى بعد تعاطيها
 يتمنل بتحقيق ما كتبه أولاً .

ولتل هذه الشبهة سأل الصعبة
 رسول الله عليه السلام فقالوا : أرايت أعمالنا
 أي شيء قد فرغ منه ، أم هي أمر يستأنفه
 الله تعالى ؟ فقال (بل هي شيء قد فرغ
 منه) فقالوا : فقيم العمل إذن ؟ فقال :
 (أعمالوا فكل ميسر لما خلق له) .

(الدماء مخ العباد)

على أن الدماء له مدلولان أحدهما أن

رؤسها وملوكا لفسدت الأرض ، والأمنه كثيرة وكلها شاهدة بأنه ليس من مصلحة الخلق أن يجاب دعاؤهم على الدوام ، بل يكون ذلك تابعا لحكمة الله ومشيئته كما قال تعالى : « فيكشف ما تدعون إليه إن شاء » .

على أن دعاء المسلم إذا لم يحققه الله سبحانه فإنه تعالى يعوضه عن إجابته في الدنيا أو الآخرة .

فمن أبي حنيد الخدرى رضى الله عنه قال - قال رسول الله ﷺ : « دعوة

المسلم لا ترد إلا لأحدى ثلاث ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ، إما أن يجعل له في الدنيا وإما أن يدخله في الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من سوء بقدر ما دعا » .

(صراعنا مع إسرائيل)

ونحن الآن في صراع مع إسرائيل تؤيدها حول استمارة معينة ، وقد أهددنا له من الأسلحة والمخطط ما استطعنا ، ولا يزال نأخذ في أسباب القوة ، ومن أهم ما يجب الاعتماد عليه أن نلجأ إلى ضمة الله وجلاله بالإيمان والعبادة والإخلاص في الدعاء والصدق في القاء والوحدة في الداخل واجتماع الكلمة بين الأمم العربية « فمضى

إلى دعائهم كلما دهوا فإن لم مطالب ليس من الحكمة تحقيقها ، ولو أجابهم الله إليها لفسدت الأرض وعم الخراب ، فما من إنسان إلا له عدو يرجو هلاكه ، ويدعو ، ، فلو استجاب الله لكل داع لهلك أهل الأرض جميعا وما من فقير إلا طالب لثنى ، فلو استجاب الله لكل فقير لاستغنى الناس ولم يستطع أحد أن يضمر سواه في تحقيق مطالبه ، وبذلك تتمطل مصالحهم وتفسد أمورهم ، وليس ذلك من الحكمة :

« ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا » .

وما من إنسان إلا كاره لموت محب للبقاء في الأرض أحقبا ، فلو استجاب الله دعاء عباده بالبقاء لشكّر الناس حتى ملثوا لجأج الأرض وضافت عليهم بما رحبت ، ولم تكفهم أرزاقها التي قدرها الله بقدر يناسب نظام الحياة الذي قدره الله خلقه ، ولأكل الناس بعضهم بعضا لضيق الأرزاق عن كثرتهم .

وما من إنسان إلا راغب في أن يكون سيدا على غيره وسواه من رعيته ، فلو أجاب الله دعاء كل الناس بأنه يكونوا

مجدوا إلى قرث^(١) جزور في كرشه فوضوه
على رأسه وهو ساجد في المسجد الحرام،
لجأت ابنته فاطمة الرضراء فبعتته عنه،
فلما انتهى من صلاته دعا على من قاسمروا
عليه، فقال اللهم عليك الملا من قريش،
وسمى أفرادا منهم، قال ابن مسعود فرأيتهم
صرعى يوم بدر.

ولما اشتد أذاهم قال ﷺ: «اللهم اشفه
وطأك على مضر واجعلها عليهم سنين
كفى يوسف» فأصابهم التمحط حتى أكلوا
الكلاب والجيف.

ودعامة فقال: «اللهم أعز الإسلام بمصر
ابن الخطاب»، كما رواه الحاكم وصححه،
ورواه البيهقي وغيره بلفظ «اللهم أعز
الإسلام بأحب الرجلين إليك بأبي جويل
أو بمريخ الخطاب» وكان صرعى ذلك
الوقت مشركا لحصلت له بركة دموته ﷺ
فآمن وأمر الله به الإسلام.

ولما هاجر ﷺ أفرقه سراقة في الطريق
ليقتله أو يمسكه لتربس حتى يتبعض الدية
التي جعلتها له ذلك، فلما دنا منه ﷺ دعا
الله صبيحاه فقال: «اللهم أسرعه فسرعه
فرسه» كما جاء في صحيح البخاري، وقد

[١] انثرت: المريجة له الكرش.

الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا
على ما أسروا في أنفسهم نادمين».

ولنا في مواقف الرسول وأصحابه أسوة
حسنة حين تألبت عليهم قوى القبر والمعدوان
من كل مكان، فإنه لم يترك تلك الأسلحة
المعنوية إلى جانب الأسلحة المادية حتى
جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا.

فلنكنكم من التضرع والابتهال إلى الله تعالى،
فلن يأتي النصر بغير معوته والتوفيق إليه.
(أمانة من أدعية مستجابة)

لما يئس نوح عليه السلام من إجابة قومه
إلى دعوة الله بعد أن مكث يدعوهم ألف
سنة إلا خمسين عاما دماره فقال: «رب لا تترك
على الأرض من الكافرين ديارا إنك إن
تفرم مني لأكونن دكا ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا»،
فاستجاب الله دماعه فأخذسكهم بالطوفان
وم يمهون.

وحين تعظم البلاء على أيوب دماره
أن يكشف ضره، فاستجاب له وأمره أن
يضرب الأرض برجله، فضر بها فنبعث منها
مياه بارد، فأمره أن يقتل من هذا
النساء وبشر من فضل غفاه الله.

وفي أول الدعوة الإسلامية آتت شركو
مسكة رسول الله كنهوا، ومن ذلك أنهم

الجبال ، ثم لم يزل من منبره حتى رأيت
للطير يتحادر على لحيتي ، فطرا يومنا ذلك
ومن الند ومن بعد الله حتى يوم الجمعة
الأخرى ، إلى آخر الحديث ، ولهذا اثره
صلاة الاستسقاء والحمام ، يا زوال المطر عند
الجذب ، وما زالت تلك سنة للمسلمين ، وكثيراً
ما يحقق الله همهم ، ويسمهم بالمطر .

ومن ذلك ما رواه الإمام أحمد أن الناس
قطعوا على عهد معاوية ، فخرج يستسقى
بهم ، فلما وصلوا إلى القلبي قال معاوية
لأبي مسلم الغولاني : قد ترى ما حل بالناس
فادع الله تعالى ، فكشف البرنس من رأسه
ثم رفع يديه ثم قال : اللهم إيمانك تستعطر
وقد جئت إليك بذنوبي فلا تخيبني ، فإنا
انصرفوا حتى سقطوا .

قال أبو مسلم : اللهم إن معاوية أقامني
مقام محبة ، فإن كان عندك له خير فاقبضني
إليك ، وكان ذلك يوم الخميس ، فبات
أبو مسلم يوم الخميس للقبلي - انتهى مروياً
بالمعنى ومقتضراً .

فالهم إليك نأله أن تنصرتنا على أهدائنا
وتوفقتنا لطاعتك ، ومعرفة حقك إنك مبيع
الحمام ٩

مصطفى محمد طاهر

صاغت قوائم غرسه في الأرض مع أن
الأرض جردة .

ولما غدا الماء من المديح في غزوة
تبوك وكانوا في الصحراء والجو شديد
الحرارة جعلوا يذبحون بعض الإبل
ويصتروذغراً يلبوا بصاوتها حلقهم من
شدّة الظما ، فقال أبو بكر يارسول الله
إن الله عودك في الماء خيراً فادع الله لنا ،
قال : « أحببون ذلك » قاله : نعم فدعا الله
رافعا يديه إليه سبحانه ، فلم يرحمهما حتى
كان السحاب قد أمطر ، ولم يتجاوز الماء
عسكرهم ، ففرحوا وملئوا ما معهم من
الروايا^(١) رواه ابن جرير والحاكم وصححه
 وغيرهما ، وقد روينا بالمعنى :

ومن أنس قاله : « أصابت الناس سنة^(٢)
على عهد رسول الله ﷺ : فبينما رسول الله
صلّى الله عليه وسلم يخطف يوم الجمعة قام
أهراي ، فقال : يارسول الله عليك السلام
وجاء الصيال ، فدعا الله لنا ، فرقع يديه
وما ترى في السماء غزوة^(٣) فوالله ضمت
بيده ما وضعهما حتى صار السحاب أمثال

[١] الروايات رواية ومرواه الماء الذي
نحله الإبل ، وبه حمزة .

[٢] السنة : والجذب والخص .

[٣] في صحابة .

من أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم

للدكتور محمد محمد أبو شهبة

روى الشيخان في صحيحهما بسندهما من أنس رضى الله عنه قال : « وكان فرساً بيطاً » .

نخرج الحديث :

أخرج هذا الحديث البخارى أو بعضه في مواضع كثيرة من كتابه : في كتاب الهبة وفضلها - باب من استعار من الناس الثمر ، وفي كتاب الأدب - باب حسن الخلق ، والسخاء ، وما يكره من البخل ، وفي كتاب الجهاد : باب إذا قزعوا باليل ، وباب للشجاعة في الحرب ، وباب وكوب الثمر للمرى ، وباب مبادرة الإمام عند الفزع ، وغيرها .

وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل - باب شجاعة النبي ﷺ من طرق عدة .

« لتشرح والبيان »

أما أنس بن مالك فقد قدمت ترجمته : « كان رسول الله ﷺ أحسن الناس » ،

« كان للنبي ﷺ أحسن الناس ، وأجود الناس ، وأشجع الناس ، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فأنطلق الناس قبل الصوت فاستقبلهم النبي ﷺ ، قد سبق الناس إلى الصوت وهو يقول : « لم تراها ، لم تراها » وهو على فرس لأنى طلحة عري ما عليه سرج في عنقه سيف فقال : « قد وجدته بجرا أو إله لبحر » وهذا لفظ البخارى .

ولفظ مسلم « كان رسول الله ﷺ أحسن الناس ، وكان أجود الناس ، وكان أشجع الناس ، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فأنطلق ناس قبل الصوت ، فنلقاهم رسول الله ﷺ واجماً ، وقد سبقهم إلى الصوت ، وهو على فرس لأنى طلحة عري في عنقه سيف ، وهو يقول : « لم تراها ، لم تراها » قال : « وجدناه

رسول الله ﷺ ، وربما اكتشفه الرجلان الطويلان فيطولها فإذا غرقاه نسباً إلى الطول ، ونسب رسول الله ﷺ إلى الربعة ، ولا أخرى أكان ذلك من خصوصياته ، ومميزاته الخلقية كما قال بعض الأنفة ، أم أن كماله ﷺ الجسماني ومهابته في العيون والقلوب تخيل إلى الرائي أنه يطول أي طويل ؟ ويتضال بجانبه أي فارح ١٢ .

وقد ورد في الصحيحين ^(١) وغيرها في صفاته الجسمانية أحاديث كثيرة تجعله صلى الله عليه وسلم في القدوة من كمال الجسم والخلقة وأهل أو في ما روى في هذا ما رواه صبط رسول الله الحسن بن علي عن خاله هند بن أبي هالة ربيب رسول الله وكان وصافاً ، وقد ذكره الترمذي في شمائله وغيره ، وصح أن تكون في عودة لهذا في مناسبة أخرى إن شاء الله تعالى .

وأما حسن شمائله وأخلاقه ﷺ من سباحة وجود وشجاعة ، وعفو ، وحلم وتواضع ورحمة ، ورأفة ، وإغضاء ، وعدم انتقام

[١] انظر صحيح البخاري - باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم - صحيح مسلم - كتاب الفضائل ، وكتاب الشمائل النبوية للترمذي ، والشمائل لقتاضي عياض ، والسنن للبيهقي ، والمواهب اللدنية للذهلاني ، والبياهة والنهاية لابن كثير ، وغيرها كثير .

[٣]

يعنى في الخلق - بفتح الخاء - ، والخلق - بضم الخاء واللام - والخلق يتعلق بالجسم والصورة ، والخلق يتعلق بالطباع والسمات والشمائل ، ورسولنا صلى الله عليه وسلم قد جمع الله له السمات : الجسماني ، والخلقى ، وكان فيهما على سواء .

وقد تكفلت كتب الأحاديث والمير ببيان كماله الخلقى والخلقى ، أما كماله الخلقى فقد ورد في الصحيحين وغيرها عن البراء ابن مازب رضى الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً ، وأحسن خلقاً » ^(١) ، ليس بالطويل البائن ^(٢) ولا بالقصير ، ولكنه ﷺ كان أقرب إلى الطول ، ولا ينافى هذا وصفه ﷺ في الروايات الأخرى بكونه ربعة ^(٣) لأن ذلك من الأمور النسبية .

ومع هذا فقد وقع في حديث مائنة - عند ابن أبي خيثمة - « لم يكن أحد يماشي من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله

[١] الأكثرون من الماء على أنه بفتح الماء ويكون من عطف الماء على الخاص يات لكلمة الجسماني في الوجه وغيره ، وقيل بضم الماء فيكون من عطف المعاني .

[٢] أى الظاهر الطول والخارج عن حد الاعتدال .

[٣] بين الطويل والقصير .

لنفسه . . . تحدث عنها ولا حرج ، وقد اشتملت كتب الأحاديث ، والسيرة والتاريخ من ذلك على الشيء الكثير ، وألفت فيه كتب ورسائل .

«وأجود الناس» وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلتقي جبريل في كل ليلة منه ، فيدارسه القرآن ، فمرسول الله ﷺ أجود بالغير من الریح المرسلة ، روى هذا الفيضاني عن ابن عباس .

وكان من جوده وسفائه «أنه لا يسأله أحد شيئا وهو عنده فيقول : لا ، وقد جاءه رجل فسأله فأعطاه غنا بين جبلين ، فرجع الرجل إلى قومه ، فقال : يا قوم أسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة » رواه مسلم في صحيحه ، ولما تكاثر عليه الناس منصرفه من حنين وقد قسم بينهم الغنائم قال لهم : «لو كان لي حصة هذه المعطاء^(١) لتقسمته بينكم ثم لا تعبدوني بخيلا ، ولا كذوبا ، ولا جبابنة» وقد أعطى المؤلفة قلوبهم يوم حنين حتى رضوا وخدا الإسلام أحب إليهم من الدنيا وما فيها وصار الله ورسوله أحب إليهم مما سواهما .

[١] شهر ذو حجة يكثر بالمطري والبرادي .

«وكان أشجع الناس» والشجاعة نومان شجاعة الرأي ، والمصارحة بالحق مهما قل الناصرون ، وكثر المعاصرون وشجاعته في مواطن الجهاد والزال والطمأن ، وقد استأثر النبي ﷺ بكمال الشجاعتين وليس أدل على الأولى مما رواه كتاب السيرة من أن قريشا وقد ضاقت بالنبي خرما ، ولم تجده معه سياحة الإيذاء ، ولا سياحة الاستعانة والإغراء ، جاءوا إلى صه أبي طالب وقالوا له : إما أن تكف عنا ابن أحميك وإما أن تنازله وإياك ، وعز على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم له ، وهو شريفهم وسيدهم ، كما عز عليه إسلام ابن أخيه لهم أو خذلانه فأرسل إليه وأخبره بما قالوا ، وقال له فابق على ، وعمل نفسك ، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق فظن رسول الله ﷺ أنه بدا لعه رأي ، أو أنه خاذله ومسله ، أو أنه قد ضعف من نصرته ، ووقفت الدنيا تصيح إلى ما عسى تقهر عنه شفتا النبي ، وانتظر همه أبو طالب الجرباب ، فوافى النبي صلى الله عليه وسلم يقول : «يا عم ، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته » ثم استعبر

لنفسه . . . تحدث عنها ولا حرج ، وقد اشتملت كتب الأحاديث ، والسيرة والتاريخ من ذلك على الشيء الكثير ، وألفت فيه كتب ورسائل .

«وأجود الناس» وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلتقي جبريل في كل ليلة منه ، فيدارسه القرآن ، فمرسول الله ﷺ أجود بالغير من الریح المرسلة ، روى هذا الفيضاني عن ابن عباس .

وكان من جوده وسفائه «أنه لا يسأله أحد شيئا وهو عنده فيقول : لا ، وقد جاءه رجل فسأله فأعطاه غنا بين جبلين ، فرجع الرجل إلى قومه ، فقال : يا قوم أسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة » رواه مسلم في صحيحه ، ولما تكاثر عليه الناس منصرفه من حنين وقد قسم بينهم الغنائم قال لهم : «لو كان لي حصة هذه المعطاء^(١) لتقسمته بينكم ثم لا تعبدوني بخيلا ، ولا كذوبا ، ولا جبابنة» وقد أعطى المؤلفة قلوبهم يوم حنين حتى رضوا وخدا الإسلام أحب إليهم من الدنيا وما فيها وصار الله ورسوله أحب إليهم مما سواهما .

[١] شهر ذو حجة يكثر بالمطري والبرادي .

إلى غير ذلك من البطولات النفسية والجسدية التي تستحق كتاباً برأسه .

وقد افتخر سيدنا أنس رضي الله عنه

على هذه القمائل الثلاث من شمائله عليه السلام

لأنها أمهات الأخلاق والتضائل ، فإن

في كل إنسان ثلاث قوى : القوة الغضبية

والقوة الشهوانية ، والقوة العقلية ، وقد

بلغ رسول الله الكمال الخلق في هذه القوى

الثلاث ، فكمال القوة الغضبية بالصداقة

وكمال القوة الشهوانية . لمدة التي هي أن أظهر

مظاهرها الجود والسخاء ، وكمال القوة

العقلية بالحكمة ، وهي إحكام الفكرة ،

والإصابة في القول ، بل وفي العمل والاعتقاد

وقد تضمنت الفقرة الأولى هذه الغضبية

فإن الإحسانية تشمل الإصابة في الاعتقاد

والقول ، والعمل ، ومن ثم ينبغي لنا أن

هذا الحديث من جوامع الكلم ، ثم ذلك

سيدنا أنس على كونه عليه السلام أشجع الناس

بهذه القصة الآية قال : ولقد فرزع أهل

للمدينة ذات ليلة « فرزع - بكسر الزاي

خاف ، ذات ليلة أي في ليلة من الليالي وكان

فرزعهم لأنهم صمموا صوتاً مزججاً ، فخافوا

أن يكون قد دهمهم عدو في مقر دارهم .

فانطلق الناس قبل الصوت وقبل بكسر

الرسول ، وبسكى ، وقام ، ووقف الشيخ

للبيب في قومه معدوها أمام هذه المنظمة

الخلقية ، والبطولة النفسية فنأدى ابن أخيه

فلما أقبل عليه قال له : قل يا ابن أخي

ما أحيت ، فوالله لا أسلك لشيء أبداً !

وأما البطولة الجسدية فكان فيها نسيم

وحده ، فقد ثبت في للواقف الحرجة ، حيث

فر بعض الشجعان : ثبت في أحد ، وثبت

في حنين ، وهو يردد ويقول : أنا النبي

لا كذب أنا ابن عبد المطلب .

ولولا ثباته عليه السلام في أحد لكانت الحزيمة

ساحقة ماحقة ، وبفضل ثباته في حنين ،

تبدلت الحزيمة إلى نصر وهزيمة ، وإنا

لنستغف هذه البطولة الفاتكة من قوة قوة

الفتيان ، والشجاع الذي لم يفر قط سيدنا

على رضي الله عنه قال : « إنا كنا إذا حى

البأس ^(١) ، واحمرت الحصى ^(٢) ، اتقينا

بحول الله عليه السلام ، فأيكون أحد أقرب

إلى العدو منه أو تقدر أبتنا يوم بدر ونحن

نلوح بالنبي عليه السلام وهو أقربنا إلى العدو ،

وكان من أشد الناس بأساً » رواه أحمد ،

وأعظم بها من شهادة من مثل البطل على

[١] احمرت الحرب .

[٢] أي غلام من العروى حتى احمرت السيوف

وهذا الوصف خاص بفسير الأدبى كالحليل
يقال : فرس عرى ، ولا يقال : عريان ، كما
لا يقال : رجل عرى ، وإنما يقال : عريان .

« فى عنقه سيف » الضمير يعود على الذى
بدلالة للقام ، أى وهو عليه السلام متقلد سيفه
كما هو شأن المجاهد للدافع لا يفارقه سيفه
فى مثل هذه اللواطن

وفى ركوبه عليه السلام على فرس ليس عليه
سرج دلالة واضحة على فروسيته البالغة ،
فإنه لا يركب الترس بدو سرج إلا من
تمكن فى الفروسية ، وعرك ركوب الحليل ،
ولازم ذلك .

وهو يقول : « لم تراعوا ، لم تراعوا »
معظم الروايات فى البخارى ومسلم بلفظ
« لم » وفى بعض روايات البخارى « لن
تراعوا » لن تراعوا « وهى رواية أبى ذر
المروى فى كتاب الأدب أى لا تخافوا
أو لم تراعوا روعاً مستقراً أو يؤذيك
وإنما هو أمر طارئ .

« قد وجدته بحراً أو إنه لبحر » .
البحر من الحليل : واسع الجرى شبه
بالبحر لعمته و « أو » لشك أى الجملتين
قالها : أنى عليه السلام ؟ وللعنى واحد ولكنها
(البقية على ص ٢١٢)

القاف ، وفتح الباء أى جهة للكان الذى
ظنوا أن الصوت منه « فاستقبلهم النبى عليه السلام »
قد سبق الناس إلى الصوت .

أى استقبلهم راجعاً والحال قد سبق
الناس إلى مصدر الصوت ، فالحالة حالية ،
وقد جاءت رواية مسلم أوضح من هذه ،
وهكذا خف الراى إلى مكان الصوت
قبيل أن تخف الرعية ، فله ما صنع
رسول الله ١١

« وهو على فرس لأبى طلحة عرى » .
الفرس : تطلق على الذكر والأنثى ،
والمراد هنا الأول بدليل رجوع الضمير
عليه مذكراً ، و « أبو طلحة » هو زيد
ابن سهل الأنصارى زوج السيدة « أم سليم »
وهى أم أنس بن مالك راوى الحديث ،
وخادم رسول الله ، وكان أبو طلحة من خيار
الأنصار ، وهو الذى تصدق ببئر له تسمى
« بئر حاء » وكانت من أعذب للياه
وأحلاها وأحبها إليه ، وذلك لما نزل قوله
تعالى : « لن تناووا البر حتى تنفقوا
بما تحبون » وكان رسول الله يستعذبها ،
ويشرب منها .

« عرى » بضم الميم ، وسكون الراء
وتفسيره ما بعده وهو « ما عليه سرج »

من الأصول السياسية والدستورية في الإسلام

للدكتور مصطفى كمال وصفي

— ٣ —

في المشروعية الإسلامية

المشروعية في المصطلح الحديث^(١) :
هي سيادة القانون . وخصوع الدولة والأفراد
له . فإذا كان القانون له السيادة في نظام
من النظم ، فإن هذا النظام بوصف بأنه نظام
قانوني . والدولة توصف بأنها دولة قانونية
وإذا كان القانون لا سيادة له ؛ فإن هذا
النظام بوصف بأنه نظام واقعي والدولة
توصف بأنها دولة بوليسية ، أي تعتمد على
تدابير الأمن وإجراءاته فقط في ضبط
الأمور ويكون لكل حالة حكمها على
حدة عند وقوعها . ويحصل هذا أحيانا
في الحروب والاضطرابات ومبادئ
الثورات . كما يكون في الدول المتأخرة التي
يسودها حكم مستبدون .

والمشروعية في القول الحديثة أم
الظواهر القانونية . وعليها عماد النظام .
وعلى استقرارها واستقرارها يتوقف الحكم
على النظام كله ، فإن كان النظام مشروعية
قوية ثابتة مستقرة ، وصف بالرق والنقد
وإن لم يكن له ذلك وكانت الأمور تسير
بالمهوى ، أو كانت المفروعية غير مستقرة
كان النظام غتلا متخلقا .

وتتميز الدولة الإسلامية بأنها أقوى
الدول مشروعية وأثبتها وأعلاها .
فالمشروعية فيها قوية ظاهرة محددة
لا خلاف فيها ، وهي ثابتة دائمة لا تبدل
فيها .

ذلك بأن النظام الإسلامي كله يعلمه
ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله
صلى الله عليه وسلم . ومنهما تستمد جميع
طرق الاجتهاد وذلك في جميع مراحل الحياة
وشؤونها ، سواء في نظام الدولة أو في

[١] لفظة المفروعية لها مدلول آخر في العربية .
لذا يوصلها انقضاء عند بيان أدلة حكم من الأحكام
فيقال : مفروعية الصلاة أي الأدلة التي فرضتها .
ومفروعية الفساح أي الأدلة التي جعلها الله بها
مفروعا .

هذا هو الغرض الأعلى والهدف الأسمى
الذى يسيطر على النظام الإسلامى ويحكمه

وهذا التصديق يستفاد من قوله تعالى :
« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا »
« ولتكن منكم أمة بدمون إلى الخمر
ويأمرن بالمعروف وينهون عن المنكر
وأولئك هم المفلحون » (١).

فقوله تعالى اعتصموا : من الاعتصام
وهو المنعة والحماية ، وحبل الله : سببه :
قبل يعنى الإسلام ، وقبل القرآن ، وقبل
أى الجماعة ، فمن أنس بن مالك قال : قال
رسول الله ﷺ : متفرق أمتى على اثنين
وحسين فرقة كلهم فى النار إلا واحدة .
قبل : ما هذه الواحدة ؟ قال : الجماعة ،
وتلا الآية .

وقال الطبرى معناها : أى تمسكوا

[١] من آل عمران . قيل ركت لى خاد الأوس
والخزرج ، فإن رجلا من اليهود صا بملا من
الأنصار فساء ما هم عليه من الاتفاق والألفة بين
فيهم من مجلس بينهم وبذكرهم بما كان من حروبهم
يوم بئث وغديره . فقل . فليزل ذلك حابه حتى
حيث النفوس وقار بعضهم على بعض وتادوا بشانهم
ومرخوا إلى سلاحهم وتواحدوا إلى الحرة . فلغ ذلك
التي حل الله عليه وسلم لجلس بكنهم ويقول :
« أجمعوا الجماعة وأكأين أظهركم ؟ » وتل عليهم
هذه الآية قدسوا واسطعوا وألقوا السلاح .

علاقتها بالأمجاد أو فى علاقة الناس
بعضهم ببعض .

وتقوم للشريعة الإسلامية على مبادئ
ومثل عليا تطابق أعلى المصالح الإنسانية
وأرق الأغراض البشرية .

وليس هذا هو الشأن فى كل النظم .
فالل والمبادئ متفاوتة فى رقيها
فى مختلف الدول .

فمن الدول ما كان هدفه عدوانى ، كدولة
جانكيز خان التي قامت على السلب والنهب
والندمير . ومنها ما كان هدفها متصفا
بالعنصرية والتعصب ، كدول النارى
والفاشيست التي كانت تقتصر لشعبيتها
وعنصريتها وتراها فوق الجميع . ومنها
ما هو نفى استغلال ، كالدول الرأسمالية
والإمبريالية التي تتجه إلى استغلال المال
والطبقات الفقيرة والشموب المتخلفة ،
فكل هذه الأهداف ليست على تمام
الكمال والإنسانية وللطابقة للفعل العليا
للسلمية التي تحقق الصالح للجميع بلا أمانة
وعلى أساس من العدل والإحسان والمسئولية
عن الواجبات .

وفيا نرى فإب مصموم المشروعية
الإسلامية هو : تضامن المسلمين فى تنفيذ
أمر الله تعالى وفى منع نواهي .

ولما بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن قال له : (فاذا جئتم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإنهم أطاعوا) (أو طاعوا) ذلك بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإنهم أطاعوا (أو طاعوا) ذلك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم) [صحيح البخاري - كتاب الغزوات باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن - بخاري الشعب جزء ٥ صفحة ٢٠٦] .

وهذه العبادة الخاصة بتكليفها جميع شئون الحياة تدعو إلى العدل والإحسان إلى جميع المخلوقات لقوله تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » .
والعدل يؤدي إلى إنصاف الإنسان لإنسان من نفسه ، فلا يقدم نفسه عليهم بلا حق فتتزعج من الحياة أغراض الأمانة والاستغلال .

والإحسان يقتضي تحسري الأفضل في كل شيء . وقال ابن عباس في تفسير قوله تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » أي قولهم لا إله إلا الله : يعني أن تكون

يدين الله الذي أمركم به وعهده الذي عهد إليكم في كتابه من الألفة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم لأمر الله ولتكن منكم أمة أي جماعة يدعون إلى الإسلام وشرائعهم التي شرعها الله لعباده .

كما يستفاد أيضا من قوله تعالى : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » فإن غاية النشاط الإنساني ونهايته هي عبادة الله تعالى وذلك بالطاعة المطلقة والتسليم التام له والخضوع لأحكامه .

وبستفاد أيضا من قوله صلى الله عليه وسلم : (تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي) رواه الحاكم في مستدركه . وقوله : (تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بدي إلا هالك . ومن يمش بصدى فيرى اختلافا كثيرا فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين) صحيح رواه أحمد في مسنده وابن ماجه ، وورد في معناهما في خطبة الوداع .

ويستفاد كذلك من حديث عبادة ابن الصامت ليلة العقبة : يايموني على ألا تشركوا بالله شيئا ولا تزنوا ولا تسرقوا) متفق عليه رواه البخاري وغيره .

أو صغير^(١)، فالحق أحق أن يتبع .
ويجوز للمرء أن يعترض باسم للشريعة .
على الأوامر .

قال أبو بكر رضى الله عنه في كتابه
اللقى وجهه إلى البصريين : (بسم الله
الرحمن الرحيم هذه فريضة الصدقة التي
فرض الله ورسوله ﷺ على المسلمين والتي
أمر الله بها رسوله ، فمن مثلها من المسلمين
على وجهها فليعطبها ، ومن سئل فوقها
فلا يطمئ) [صحيح البخارى كتاب الزكاة
- باب زكاة الفم - بخارى الشعب الجزء
الثانى صفحة ١٤٦]

ولكن ليس معنى الاعتراض هو
الخروج والتمرد فهذه فوضى ، التبت بها
أفهام البعض بسبب آراء المخوارج ،
وإنما ذلك يكون بالتمسك بالحق بأدب
المطالبة وحسن الحجة .

وليس للشريعة فى الشئون النظامية
حسب ، بل إن الشريعة الإسلامية هى
مصدر كل شئ ، حتى فى علاقات الأفراد ،

[١] وذلك و غير الانشاءات ، وإن التمين من الإمام
مقدم على التمين من الأمير ، والولايات المستمدة من
كل تندرج فيما بينها ، وإنما القى نوره حوى إزال
الأحكام على النوازل بالقضاء والتبنا ونحوها ، والله
هر : - أخطأ عمر وأصاب اسماء . -

لأنهم مطابقة لهذه الشهادة ، لأن الشهادة
ليست بية فقط بل هى أيضا قول ومعمل ،
ويجب أن يكون النطق بها مطابقة لنية
والمعمل فيكون صادقا فى شهادته ، ولعل
البخارى فى قوله : « لنسألتهم أجمعين عما كانوا
يعملون » : من قولهم لا إله إلا الله .

والأحكام التى يستفاد منها هذا الأمر
نومات :

النصوص القطعية وما يستمد منها
بالتقاس .

والمصالح المرسلة التى تستخلص وفق
للقاصد الشرعية لحفظ الضرورات ودرء
المفاسد ورفع الحرج وتحقيق المنافع
الشرعية .

فهذه هى خلاصة للشريعة الإسلامية
للتى تنقيد بها الجماعة الإسلامية .

والشريعة الحديثة متدرجة : بمعنى
أن ما ورد فى الدستور يسلم ما ورد
فى القانون ، وما صدر به قرار من
رئيس الدولة يسلم ما صدر به قرار من
وزير وهكذا .

أما فى الإسلام فالمسيرة بالمطابقة
لنصوص والمقاصد الشرعية ، لا فرق
بين أن يكون ذلك من إمام أو أمير

وإعلانها، وقد جاء الميثاق باحترام الأديان
الساوية، وينصرف ذلك إلى الإسلام
أولاً؛ لأنه دين الأغلبية، كما أن خطاب
الرئيس جمال عبد الناصر (خطابه في
٣٠/٥/١٩٦٦) أعلنت خضوع الثورة
لِلإسلام وتمنى سياسة الدولة أشد العناية
بربط الحياة بالدين، وإظهار محاسن
الشريعة ليتيسر تطبيقها ومحاولة تقنين
الشريعة وغير ذلك من الجهود الموفقة
بإذنه تعالى.

د. مصطفى كمال وصفي

جميع العقود والعاملات تتقيد كذلك
بشروط الله، وكل شرط جاء خلافها هو باطل
فشرط الله، أحق وأوثق، وجميع أحكام
العقود تستمد من الشريعة، ولا دور
للإرادة إلا في إنفاذها.

ولا شك أن للمشروعية الإسلامية
مكانتها العليا في نظم الدول الإسلامية
الحديثة، فإن أغلبية الشعب فيها من
المسلمين والشعب هو مصدر السلطات
في الدستور.

ولذلك فلا بد من سيادة هذه العقيدة للأغلبية

(بقية المنشور على ص ٢١٢)

من أن يستلزم المدينة ياغت، أو يدعها هادو،
وفي غزوة الخندق التي تكالبت على المسلمين
فيها جموع الشرك، والنسدر والحياة من
اليهود كان النبي يقضي ليلة مهرا أن يصل
ويدعو الله « اللهم استر هوراتنا وآمن
روعاتنا » ويقول: « اللهم منزل الكتاب
ومجري السحاب، ومازمت الأحزاب، اهزم
أعداءنا، وانصرنا هليم » فلما أخذ في
إعداد المدة للأعداء، وفي أسباب النصر،
ولترفع أكفناه هذا الدعاء، حتى يحمق الله أنما
النصر والرجاء، كما كتبه لأسلاف الأولين.

الركن نور محمد محمد أبو شهيد

دقة المحدثين والرواة تأبى عليهم إلا التدقيق
في تحري الألفاظ.

وفي رواية مسلم « وكان فرساً يبطأ »
يعنى أنه لم يكن معروفاً بالسرعة الفائقة
ولكن لما ركب عليه ﷺ صار يجرى في سرعة
جريه، وطول نفسه في الجري، وهذا
من بركاته ﷺ، وخيره على العالمين.

« وبعد » فإننا نرجو أن يكون لنا
في هذا الخلق النبوي العظيم أسوة حسنة
لمن كان يريده خيرى الدنيا والآخرة،
ولا سيما في سهره ﷺ وحديه على مصلحة
الجمية، واليقظة الثامة، والحذر الشديد

قضية بنت الأخ والعمة وبنت العم في الميراث

هكذا كمال عون

— ٣ —

٣ - وهل معنى الحديث الواحد المروى عن ابن عباس رضي الله عنهما ، والذي فهم منه من فهم منعه بنت الأخ والعمة وبنت العم أذ يرثن مع إخوانهن أو من يماويهن من أبناء هومتين نص في منهن أو راجع فيه ؟

٤ - وهل ينتهض حديث واحد تكلم في سنده وفي متنه ، وأغم بالاحتمالات الكثيرة في معناه ، فنصوص الواضحة في الآيات الكريمة ، والأحاديث النبوية للؤكددة حقوق ذوي القرى في موارث أقرانهم ، والتي ينص بعضها صراحة على توريث من قبل بمنهن ؟

٥ - وأخير فهل هؤلاء النسوة الثلاث ومن بعدهن ، هن اللاتي قيل بحرماتهن حال إرث إخوانهن ؟ أو أن غيرهن ممن نص على نصيبهن في الكتاب والسنة قيل كذلك بحرماتهن في بعض الحالات مع إخوانهن أو مع من هو أبعد منهن ، ثم سلّم

انتهينا مدتها من النظر في رأي القائلين بتوريث ذوي الأرحام ، ومن بينهم بنت الأخ والعمة وبنت العم ، واستبان لنا حقيقة وضعهم من المورث ، وأنه وضع خاص بين هذه القربان المسماة اصطلاحاً بذوي الأرحام ، وأنهم في قرابتهن القريبة ينزلن عند الجهرة من المعاء في كثير من المسائل منزلة العصبة ، بل يرثن كثيراً بالتعصيب .

ونعفى مستعينين بالله سبحانه إل منافقة من منهن الميراث ، وزجوا أن يكون في ذلك بالنسبة لتصحيح وضعهم من الميراث فصل الخطاب .

وفي التمهيد لمبحث نأل :

١ - هل منع القرآنة الكريم أشي ورت أخوها في حال من الأحوال ؟

٢ - وهل جاءنا المانعون لهؤلاء من الميراث بمحدث واحد صحيح نص فيه على منع أشي ورت أخوها ؟

الله من المؤمنين والمهاجرين» (الأحزاب).
وأولو الأرحام: هم الأقارب، ويقع ذلك
على كل من يجمع بينك وبينه نسب، كما قال
للفسرون وعلاء اللغة - ونخصيهم
بقربات الأم اصطلاح فقهي - فالرحم
في اللغة وفي لسان الشرع: هي القرابة.

وفي تفصيل عن الأولاد يقول سبحانه:
«يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ
الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن
ثلثا ما ترك، وإن كانت واحدة فلهما
النصف».

وفي عَنْ الْأَوَّلِينَ يقول سبحانه من
هذه الآية الكريمة السابقة: «ولأوليه»
لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان
له ولد، فإن لم يكن له ولد وورثه أولاه
فلهما الثلث فإن كان له إخوة فلأخيه
السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين». وبالنسبة لزوجة يقول تعالى: «ولكم
نصف ما ترك أرواؤكم إن لم يكن لهما ولد
فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن
من بعد وصية يوصي بها أو دين، ولمن
الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد،

من دمرى الحرمان هذه بضروب من فهم
في كتاب الله تعالى وصحة بيته صحته
وضمن، وحفظت حقن؟

أما عن السؤال الأول ومحلله: هل
ورث القرآن ذكرا من دون أنثى تساويه
في قرابته؟ فنستطيع الإجابة والحمد لله
مطمئنين بأن القرآن الكريم في نصوصه
المحكمة بجملة أو مفصلة لم يحرم أنثى مع
ذكر تساويه قط، ولم يزل بها من نصف
نصيبه أصلا، بل قد نص في بعض الحالات
على مساواة الأنثى للذكر، وذلك إن كانوا
إخوة لأم، ومن هنا قال بعض اللغة
الدين وورثوا ذوى الأرحام وهم أقارب
الأم بمساواة الأنثى للذكر في نصيبها من
الميراث مطمئنين ذلك بتساويهما في الإدلاء
بالرحم الجرد كما سبق الإشارة إليه.

وفي القرآن الكريم بشأن الميراث
إجمالا، «رجال والنساء من الأبناء والأقرباء:
«لرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون
والنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون
مما قل منه أو أكثر نصيبا مفروضا»
(النساء) وفيه: «وأولو الأرحام بعضهم
أولى ببعض في كتاب الله» (الأفصال)
«وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب

فإن كان لكم ولد، فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية يوصون بها أو دين» .

وفي شأن الإخوة حيث لا والد ولا ولد جاء قوله تعالى :

« وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فكل واحد منهما للسدس ، فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث » وهذه في الإخوة والأخوات لأم بإجماع .

كما قال تعالى :

« يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك ، وهو يرثها إن لم يكن لها ولد ، فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك ، وإن كانوا إخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم أن تضلوا ، والله بكل شيء عليم » - وهذه في الإخوة والأخوات أعماء أو لأب .

أر أخوة أو قرابة - ثم هي قد وضعت بجعلها ومفصلها قواعد العدل الإلهي وأبطلت صنيع الجاهلية في حرمانها النساء وصلة الله كورد . فإذا لم تمتنع على التفصيل جميع الوارثين ، فليس من بأس في ذلك إذ النصوص مادة لا تستوعب الجزئيات ، وإن شملتها وقواعد العامة ، ونهجت العلماء السبيل .

فالقول بأن النصيب للفروض والآيات المجمة مير كله تفصيلاً في آيات الموارث يخالف بداهة . ما ثبت بالسنة من استحقاق العصبة لليراث ، ومن تحديد نصيب الجدة وغيره ، وما استنبطه العلماء في توريث ذوى الأرحام قياساً على من وردت فيهم النصوص .

الحديث واليراث :

فإذا جئنا إلى جملة الأحاديث الصحاح في اليراث ، رأيناها كذلك لم نخرج أنى قط مع ذكر تساويه في قرابته للبيت ، اللهم إلا ما فهمه بعض العلماء من حديث ابن عباس - وقد تكلم العلماء في منده ، كما تكلموا في منته ، كذلك اختلفوا على أقوال كثيرة في مناه مما منعرض له بعد .

تلك آيات اللواريث في القرآن الكريم ، وبعضها بجم وبعضها مفصل ، وجميعها نصت صراحة على أن للأنثى حقها في اليراث مع كل ذكر تساويه بنوة أو أبوة أو زوجية

في اللغة وفي لسان الترمذ الشريف، ثم الأصول والقروص والخواشي من قبل الأب، وأرجل حد تعبير بعضهم من يلتقي مع الميت من الذكور والإناث في أب ولو علا.

فتخصيص المصبة بالذكور أحيانا، وتقسيم المصبة إلى ماصب بنفسه ومامص بغيره ومامص مع غيره، هو تقسيم فقهي لا اعتبارات ملحوظة لا يخرج المعنى الشرعي عن أصل وضعه، ولا يتحكم فيه فيهدر قرابة بعض المصبة، أو يدفعها عن مكانها بل مرجع المعنى الشرعي إلى أصل استعماله في لسان الشرع.

هذا هو القرآن الكريم وليس فيه - على ما نعلم - نص أو إشارة تحرم ابنة الأخ مع أخيها، أو العمة مع الم، أو ابنة الم مع ابن الم.

وهذه هي الأحاديث الصحاح لا نرى من بينها ما يمنع إحدى هذه الإناث مع من يماويها. ثم روى في العمة والخالة وحدما حديث أعلاه العلماء وضفوه من جهة وجوه، كما قد عورض بما هو أسح منه من جمل العمة أبا والخالة أما، وما روى من كثير من الصحابة.

وفي كتاب الفرائض من صحيح البخاري يروي أبو سلمة عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: «أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن مات وعليه دين ولم يترك ولاء، فملينا قضاؤه، ومن ترك مالا فلورثته» وفي رواية أبي حازم عن أبي هريرة «من ترك مالا فلورثته ومن ترك كلاً فإلينا»، وفي رواية أبي صالح: «فاله للموال المصبة».

وفي روايات مسلم لهذا الحديث وهي كثيرة: «من ترك مالا فلورثته - أو - فإلى المصبة من كانوا - أو - فليؤثر به مصبته».

ونحو ذلك روايات أبي داود وغيره. والمراد بالمصبة هنا الورثة، نقله الميني في شرحه وابن حجر في الفتح، كلاما من المداودي، وفي القسطلاني على البخاري ج ٩ ص ٥١٥: المصبة يسمى بها الواحد والجمع والمذكر والمؤنث، ومما عصى لأنهم يصبونه ويعتصب بهم - قال: والمصبة الأغارب من جهة الأب من لا مقدر له من الورثة ويدخل فيه من يرث بالفرض والتعصيب كالجد.

وملخص ما قال للمصبة: أن المصبة

وروى عن الشعبي قال : قال زياد بن أبي
سفيان جليسه هل تدري كيف قضى عمر
في الامة والحالة ؟ قال : لا ، قال : إني لأعلم
خلق الله كيف قضى فيهما عمر ، جعل الامة
بمنزلة الأم ، والامة بمنزلة الأب »

هذا : وقد تقدم الحديث الذي استشهد
به ابن قدامة في المنى على صحة تنزيل الامة
بمنزلة الأب وهو من رواية الزهري
والإمام أحمد كما سبق ، ومنه يؤخذ أن
عمر في فضائه متبع لا مجرد مجتهد برأيه .
حديث ابن عباس :

إذا فرس أين فرق العلماء بين بنت الأخ
وأختها ، والامة وأختها ، وبنت المم كذا
فقالوا بتورث الرجال الثلاثة ، وحرمان
أخواتهم الثلاث مطلقا ، أو إلحاقهن بقرابة
الأم أسند القوم في ذلك فهمم في حديث
ابن عباس رضي الله عنهما في الصحيحين
وعنه ما من رسول الله ﷺ « ألقوا
القرائن بأهلها ، فإني فلا ولي رجل ذكر »
والمنى الذي استظهره أن يبدأ بأصحاب
القروض ، فإني بعد القروض اختص به
أقرب الرجال من فوق النساء وهذه الزيادة
في تقييد معنى الحديث - أي من دون
النساء - هي موضع الإشكال وهي غير مسلمة .

جاء في المبنى على صحيح البخاري (ص
١٠٦ - ١١٠) في توريث ذوي الأرحام عند
الكلام على حديث « الخال وارث من
لا وارث له ... » إلخ قوله : فأذقلت روى
الحاكم من حديث عبد الله بن جعفر عن
عبد الله بن دينار عن ابن عمر : أقبل رسول
الله ﷺ على حمار فلقيه رجل فقال يا رسول
الله : رجل ترك حمة وخالة لا وارث له غيرها
فرفع رأسه إلى السماء فقال : اللهم رجل
ترك حمة وخالة لا وارث له غيرها ، ثم قال
أين السائل ؟ قال ها هذا قال : لا ميراث لها
وقال الحاكم : صحيح الإسناد قلت : عبد الله
ابن جعفر فيه مقال ، قال أبو حاتم : منكر
الحديث جدا ، يحدث عن الثقات بالمناكير
يكتب حديثه ولا يحتج به وقال الجرجاني :
واهي الحديث ، وقال النسائي : مقروك الحديث
وعنه ليس بشقة - وأخرجه الدار قطني
من حديث أبي حاتم موقوفا .

وذكر الإمام القرطبي مثل ذلك
في تفسيره عند قوله تعالى : « وأولو
الأرحام بعضهم أولى ببعض » من سورة
الأنفال ، ثم قال : « قال الدار قطني لم يمتد
غير مسعدة عن محمد بن عمرو ، وهو ضعيف
والصواب مرسل ، ثم قال القرطبي بهذا »

أو فلاولى رجل ذكر ، ثم احتج بالحديث في منع أولئك المذكورات .

نظرة خاصة :

ولا بد من وقفة مع هذا الحديث الشريف نجا منه نواحي عدة ، فقد رأينا محل تسليم الفقهاء من للذهاب الأربعة وغيرها فيما اطلعنا عليه من للراجع الفقهية . وللاحظ أن العمل بما استظهره من معنى الحديث يكاد يكون إجماعا بالنسبة لأكابر الأب ، فالرأي عند طائفة العلماء أن الذين لم يحسد لهم نصيب من الثروات يختص ذكرهم بالمال مهما كان بعيدا هون أقسام مهما كانت أقرب منه ، بل قد اتسع القول به عند ابن عباس حتى يشمل أحيانا بعض الإثبات المجمع على توريتهم ، والمحمد نصيبهم في الكتاب والعمنة ، مع ذكر يساويهم قرابة أو يكون أبعد منهم ، من ذلك رأي في أولاد الابن مع البنت ، فلها فرضها النصف ، والباقي عنده لذكر من أولاد الابن هون الأنثى - وكما في بنت وأخت حقيقة وأخ لأب ، لبنت فرضها ، والباقي للأخ لأب هون الأخت الحقيقة ، وذلك خلافا لصحابة وجمهور الأئمة الثلاثة

ولو قيل : إن للمنى فلاولى رجل ذكر دون من هو أبعد منه من الذكور ، ودون من هو أبعد منه من الإناث ، لا دون للساويات له من الإناث لما بعدنا من السداد إن شاء الله ، ورأى هذا للمنى واحدا وحليا في ضوء النص من المحكة من الكتاب والسنة ، كل من لم تقيد به عبية الآراء ، وصرف ذلك للمنى هو ما يرشد إليه ويمينه دون سواء ، هو صنيع الإمام البخارى رحمه الله عند روايته للحديث أربع مرات في أربعة مواضع من كتاب الترائض في صحيحه .

كذلك هو ما نص عليه ابن حجر في فتح الباري نقلا عن ابن بطال من أنه تأويل حديث الباب على ما سيجي .

كذلك قرر الجمهور هذا للمنى حليا في توريت ذوى الأرحام ، فلم يقدم ذكرا على أنثى تساويه ، وإنما قدم المتقدم من الجانبين أو تساوى بينهما في أصل الاستحقاق ولكن لم يفرقه بالنسبة لعمية ، بل فرق هذا للمنى أو كاد في موجة زاخرة من الآراء عند توجيهه بحديث : فما بقى فلاولى رجل ذكر ، أو فلاولى عمية ذكر ،

من القائلين بتوريث ذوى الأرحام على
تشرية المتساويين من الذكور والإناث
واضح في أن اختصاص الذكور بالبق دون
من هو أبعد منه من الجنسين ، لا دون
من تساويه من الإناث .

والكلام بمدى الحديث في حنده
ومتنه وفقهه .

سنده : (١) هو من رواية ابن عباس
رضي الله عنهما ، لم نجده لغيره في كل
ما تتبعناه من كتب الحديث وفقهه ، فهو
من أحاديث الأحاد .

(٢) تكلم علماء الحديث في سند
واختلفوا بين وصله وإرساله .

جاء في صمد القاري شرح صحيح البخاري
لعيني ج ١١ ص ٩٥ عند الكلام عليه في باب
للبراء ما يلي : « تفرد بوصله وهيب ،
ورواه الثوري عن طاووس ، ولم يذكر
ابن عباس ، بل أرسله - أخرجه النسائي
والطحاوي ، وأشار النسائي إلى ترجيح ،
الإرسال ، والرحح في الصحيحين الوصل ،
وإذا تعارض الوصل والإرسال ولم يرجح
أحد الطرفين قدم الوصل » .

وجاء مثل ذلك في فتح الباري لابن حجر

بمشاركة أولاد الابن في الباقي ، لذكر مثل
حظ الأشيين ، واختصاص الأخت الشقيقة
بالباقى تعصيا دون الأخ لأب .

فإذا جاء دور توريث ذوى الأرحام
لم يكن لما قرره في معنى الحديث أدنى
أثر في تخصيص الذكر بالمال من دون أنثى
تساويه ، بل قد تساوى ذكرهم وأنثاهم
في أصل الاستحقاق أو في أصله ومقداره
على ما سبقت الإشارة إليه ، متى تساوا
في درجة القرب أو البعد من الميت ، مع
أن معناه في الحائنين لم يتغير ، والقول بأن
التوريث في ذوى الأرحام إنما هو بالرحم
المجرد لا يبنى تحقق معنى الحديث في بعض
صور توريثهم ، كما لو ترك الميت زوجته
وغاله وغالته ، أو زوجته وأولاد أخته
ذكورا وإناثا .

فلو طبقنا المعنى الذي احتضروه
في الحديث لكان للبراء بين الزوجة وفرعها
الزيج ، والحال وله الباقي دون الحالة أو بين
الزوجة وأبناء الأخت دون بناتها ، ولم يقل
بهذا أحد قيا علمنا من القائلين بتوريث
ذوى الأرحام - كما لم يقل به قانون للبراء
في الجمهورية العربية المتحدة ، فهذا الإجماع

وقال المعنى بعد كل ما أورده من أقوال وقيل غير ذلك مما الغالب فيه النظر والد « (ص ٩٦) ومن هذه الوجوه :
إن وصف الرجل بالذكر لثبات كيد - أو للإشارة إلى السكال - أو احترازاً عن الخنى - أو لتنبية على سبب استعفافه وهي الكورة التي هي سبب المصوبة وسبب الترجيع حتى كان لذلك مثل حظ الاثنين ، لأن الرجال تلحقهم مؤن كثيرة بالقتال والقيام بالضيقات وغير ذلك - أو ليدخل الطفل على خلاف صنيع الجاهلية في حرمانها الأطفال .

أو أن الوصف بالكورة هو لأولى لأرجل ، فالمال لأولى ذكر من جهة الصلب لا من جهة البطن احترازاً عن الأولى من جهة الأم ، وهذا للمعنى وصفه ابن حجر بعد إسهاب وكثرة نقول ، بالغموض .

أو للاحتراز عن العمة مع العم ، وبنت الأخ مع ابن الأخ ، وبنت العم مع ابن العم ، بالميرات المذكور منهم فقط ، ونسب الخطابي وابن التين .

أو لأن الإحاطة بالميرات إنما تكون لذكر من دون الأنثى - ومن اعترض على هذا الوجه بأن البنت قد تحيط بالمال ،

ج ١٢ ص ٨ بتفصيل أكثر وإن لم يخرج معناه مما ذكر .

كما جاء في التعليق على سنن أبي داود للشيخ محي الدين عند ذكر هذا الحديث قوله : أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه بنحوه ، وقال الترمذي حسن ، وذكر أن بعضهم رواه مرسل ، وذكر أن للرسل أشبه بالصواب .

متنه : وأما النظر في متنه فقد روى : « .. فلا أولى ذكر - فلا أولى عصبة ذكر - فلا أولى رجل ذكر » وبالتنمير لثالث جاء في جل الروايات .

وفي الكلام عليه استشكل وصف رجل يذكّر ، وهو لا يكون إلا كذلك ، ذكر ذلك لاستشكل المعنى وابن حجر في شرحيهما المذكورين ، واللفظ للمعنى إذا يقول : « فيه أقوال كثيرة : أعني في توصيف الرجل بالكورة ، الأول : قال ابن الجوزي والنذري : هذه المقظة ليست بمحفوظة وقال ابن الصلاح فيها بعد من الصحة من حيث اللغة فضلاً عن الرواية » .

ثم مضى كل من الرجلين يورد في شرحه لهذه المقظة أقوالاً متشابهة زادت عن عشرة ، وصف ابن حجر بعضها بالغموض ،

تساويه من إناث العصبه في تعليله رأيه بأن الرجال تلحقهم مؤن كثيرة من القيام بالعبال والضيقات والأقارب ومواساة السائلين وتحمل الغرامات وغير ذلك أقول: إن هذا القول حله التفضيل لا حله التخصيص فذلك صالح لبيان الحكمة في تفضيل الرجل بمثل حظ الأنثيين إن احتاج الأمر إلى بيان ، لا في إشارته بالميراث من دون الإناث ، ولو صرح بهذا التعليل في حرمان بعض الإناث - ولن يصح قط - لصح بقينا في جميعها ، ولكان هو منطق الجاهلية بعينه ، وحاشا لحديث رسول الله أن يحتمل غير ما شرع الله .

أما التوجيه السليم لحديث ابن عباس بما يضع الأمر في نصابه ، ويتسق مع باقي الأحاديث الصحاح في التورث ، وروح النصوص القرآنية في آيات الموارث ، ومنطق العدالة الإسلامية الذي لا شك فيه فوعدنا به حديث قابل بأذن الله ؟
كالصحة عوده

أجيب بأن ذلك بسببين (أعنى الفرض والده إن لم يكن غيرها) لا بسبب واحد كالتذكر ، ونسبه ابن حجر في فتح الباري لابن العربي الذي قال : وهذا لا يتفقن له كل مدع .

والفصلاني ج ٩ ص ٥١٥ في شرحه لحديث قوله : « فلاولى رجل ذكر » ، قال الطبيب : أوقع للوصوف مع العصبه موقع العصبه ، كأن قيل : فابقى فهو لأقرب عصبه - ومضى يقول : والعصبه يسمى بها الواحد والجمع وللدكر والمؤنث كما قال الخطري وغيره - والعصبه الأقارب من جهة الأب من لا مقدر له من الورثة .

هذه خلاصة وافية لأهم الأقوال في الشروح الثلاثة بإيجاز وتوضيح ، والفرض من إيرادها على كثرتها واضح وجهات نظر العلماء للفتاوة في فهمهم لحديث أمام الناظرين .
وأحب أن أنبه أولا إلى أن من قاله من خص العاصب الذكر بالمال دون من

الاشهر الحرم والنسب أوضاع هذه النظم في الاسلام للكونور على عبد الواحد وافي

أن يراعوا حرمة شهرين متتابعين ، وهما ذو القعدة وذو الحجة ، وبحلول القتال في شهر المحرم على أن ينسثوا حرمة ، أي يؤخروها ، وينقلوها إلى شهر آخر كصفر مثلا . فإذ جاء صفر واحتاجوا فيه لقتل أحلوه وحرموا ربيعا الأول . وهكذا دواليك . فكان المعتبر في التحريم عندهم مجرد العدد لا خصوصية الأشهر الحرم . وكانوا أحيانا يحلون شهرا آخر من الأشهر الحرم غير شهر المحرم ويؤخروا حرمة وينقلوها إلى شهر آخر من غير الأشهر الحرم . وكانوا أحيانا يزيدون من عدد شهور السنة فيجعلونها ثلاثة عشر أو أربعة عشر ، ويجعلون أربعة أشهر فيها حراما ليتسع لهم الوقت للقتال . ومن أحل ذلك اضطريت موافقت حجبهم ، فاتفق أن جاء حجبهم في موعد سابق أو لاحق لشهر ذي الحجة القلبي ، وإن كانوا يستبرونه في ذي الحجة بحسب ما يؤدي إليه تحريفهم لشهور السنة وفقا لأهوائهم في النسب .

من شهور السنة العربية أربعة أشهر سميت بالأشهر الحرم : ثلاثة منها سرد أي متواليات ، تبدأ من غرة ذي القعدة وتنتهي بآخر المحرم ؛ وواحد فرد وهو رجب . وسميت بذلك لحمة القتل والقتال فيها . ومنها شهران يدل اسمهما نفعه على حرمة القتال فيهما ، وهما ذو القعدة (سمي بذلك لقعودهم فيه عن القتال) والمحرم (سمي بذلك لحمة القتال فيه) .

وقد تقرر هذا النظام عند العرب في جاهليتهم ، وظلوا أمدا طويلا محافظين كل المحافظة على حرمة هذه الشهور في موافقتها حتى إن الرجل منهم كان يأتى لائل أبيه فيها فلا يبعه بسوء . ثم انتاب هذا للنظام لديهم خلل كبير . فقد شق عليهم الكف عن القتال ثلاثة أشهر متواليات وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، فأدخلوا على نظام الأشهر الحرم تمديلا يبيح لهم تقصير هذه المدة ، وهو نظام النسب (من نساء إذا أخرأجله) . وذلك

ليواطئوا هذه ما حرم الله، فيحلوا ما حرم الله، أى يجعلوا عدة الشهور التى يحرمونها متفقة مع عدة الشهور التى حرمها الله، فيمتدرون فى التحريم مجرد العدد لا خصوصية الأشهر الحرم « زين لهم سوء أعمالهم، والله لا يهدي القوم الكافرين » (١).

ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام فى خطبته فى حجة الوداع، وهى الخطبة التى تلى فيها كثيراً من أحكام الإسلام: « أيها الناس! إن الشيطان قد يئس أن يعبد فى أرضكم هذه، ولكنه قد رضى أن يطاع فيها سوى ذلك مما تحفرون من أعمالكم (أى الأمور التى تعدونها صغيرة) أيها الناس! إنما النسيء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض (وذلك أن الرسول عليه السلام قد أمد الشهور إلى أوضاعها الصحيحة، فكانت حجة الوداع فى شهر ذى الحجة)، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض،

ويروى أن أبابكر الصديق رضى الله عنه حينما حج بالناس فى السنة التاسعة من الهجرة قد جاء حجه فى شهر ذى القعدة بحسب الميقات الفلكى الصحيح، لأن اضطراب المواقيت عند أهل مكة من جراء نظمهم فى النسيء قد تأخر بالحج فى هذا العام شهراً عن موعده.

وقد أقر الإسلام نظام الأشهر الحرم، وقضى على كل ما حدث فيها من تلاعب. فقرر أن عدة شهور السنة العربية اثنا عشر شهراً قريلاً لا يصح نقصها ولا زيادتها، وأن الأشهر الحرم الأربعة لا يصح استبدالها بغيرها، وأن النسيء الذى كان يسير عليه العرب فى الجاهلية، وهو إحلال القتال فى شهر من الأشهر الحرم وقتل حرمة إلى شهر آخر من غير هذه الأشهر ضلال وكفر وتغيير لأكلمات الله.

وفى هذا يقول الله تعالى: « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض، منها أربعة حرم، ذلك الدين القيم... » ويقول: « إنما النسيء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا، يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً

ولم يثبت عن طريق يقينى إقدام المسلمين على القتال في الأشهر الحرم في عهد الرسول عليه السلام في غير حالات الدفاع وللمامة بالمثل إلا ما حدثت عن خطأ في حساب الأيام من عبد الله بن جعش ومريته .

فقد روى أن الرسول عليه السلام بمث ابن حمته عبد الله بن جعش على سرية في جمادى الآخرة قبل غزوة بدر بنحو شهرين ليتصد هيراً لقريش فيها عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه . فقتلت السرية عمرو بن عبد الله الحضرمي وأسرت اثنين ممن كانوا معه واستاقوا المير وفيها عروض من تجارة الطائف، وكان ذلك في غرة رجب وهم يظنونونه من جمادى الآخرة . فقالت قريش : (استحل محل الشهر الحرام ، شهراً بأمن فيه الخائف وينهر فيه الناس إلى معاشهم) ، أى ينقسفون وينشرون في الأرض لا ابتغاء معاشهم . وكتبوا إلى الرسول عليه السلام يحثونهم بذلك ، وتساءل الناس من كفار ومسلمين عن هذا الوضع .

فأنزل الله تعالى قوله : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ؟ قل قتال فيه كبيراً وحسد من سبيل الله وكفر به وللشجر

منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات وواحد فرد : ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم ورجب الذى بين جمادى وشعبان . ألا هل بلغت ؟ انهم فاشهدوا » .

غير أنه قد أبيع المسلمين القتال في الأشهر الحرم في حالة الاعتداء عليهم أو للمامة بالمثل ، فقد تصدى للشركون المسلمين عام الحديبية في ذى القعدة ، واتفق خروج المسلمين في العام التالى لعمرة القضاء في شهر ذى القعدة كذلك ، وتوقعوا أن يضطروا لقتال المشركين ، ولكنهم كرهوا قتالهم في هذا الشهر لحرمته ، فأباح الله لهم ذلك للدفاع عن النفس وللقابلة للشركين بالمثل ، فتبدأ للشركون بالتصدي لهم في العام السابق في نفس الشهر الحرام .

وفى هذا يقول الله تعالى : « الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص » أى إن انتهاك حريمكم حرمة الشهر الحرام يبيع لكم معاملتهم بالمثل وقتالهم في الشهر الحرام ، والحرمات يجرى فيها القصاص ، أى للقابلة بالمثل « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين » (١) .

قال : « لا يحل للناس أن يغزوا في الأشهر الحرم إلا أن يقاتلوا ليدافعوا عن أنفسهم » . وهذا الرأي الأخير هو الراجح في نظري وهو للتحقق مع الآيات والأحاديث الكثيرة التي وردت في هذا العدد والتي ذكرنا بعضها فيما سبق ، كما أنه هو للتحقق مع تقرير القرآن للمشركين لتلاعيبهم بالأشهر الحرم واختراعهم نظام التمسك ووصفه ذلك بأنه : « زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا » . وأما قوله تعالى : « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » فإن الموم الذي يفيد مقيد تقييداً ، كما ياب الآيات التي تحرم القتال في الحرم ، ومنها قوله تعالى : « ولا تقاتلوا عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه » ^(١) ، ومقيد تقييداً زمانياً بالآيات التي تحرم القتال في الأشهر الحرم والتي صيغت بالإشارة إليها ^(٢) وهذا من الباب الذي يسميه علماء الأصول

[١] آية ٢١٦ من البقرة .

[٢] لم تقل في الاستدلال طريقتنا إن قوله تعالى : « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » قد جاء بدلالة : « فإذا سلخ الأشهر الحرم » لأن المراد بالأشهر الحرم في هذه الآية أشهر أخرى قد حرمت تحريماً خاصاً لمعاملة أبرمها الرسول مع بعض قبائل العرب ، وهي غير الأشهر التي تضمنت فيها في هذا المقال . كما سيأتي بيان ذلك .

الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله » ^(٣) أي يسألوك كيف جاز لكم القتال في الشهر الحرم وهو رجب في هذه الحادثة (وبلاحظ أن رجب كان من أكثر الشهور تعظيماً عند قريش ، ولذلك كانوا يسمونه رجب قريش ، بل إن اسمه نفسه معناه للعظيم ، من رجب فلانا إذا هابه وعظمه) ؛ فقل لهم : حقاً إن القتال في الشهر الحرم ذنب كبير . ولكن هناك ما هو أشنع جرماً منه وهو ما تفعلونه أيها الكفار من الصد عن سبيل الله والكفر به والصد من المسجد الحرام وإخراج أهله منه فذلك أعظم وزراً عند الله تعالى من حدوث القتال عن خطأ أو ل يوم من رجب للجهل بدخول زمن الشهر .

وقد ذهب كثير من الفقهاء والمفسرين إلى أن القتال في الأشهر الحرم قد نهي فيها بعد قوله تعالى : « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » ^(٤) وبما روى أن رسول الله ﷺ

قد حاصر الطائف وحاصر هوازن في غزوة حنين في شوال وذى القعدة . وذهب آخرون منهم عطاء بن أبي رباح إلى أن حرمة هذه الأشهر لم تنسخ . فقد روى عنه أنه

[١] آية ٢١٧ البقرة .

[٢] آية ٢١٧ البقرة .

تخصيص العام وتقييد للطلق . وأما حصار الطائف والصحيح أنه قد بدأ قبل الأشهر الحرم ، وأن الرسول عليه السلام قد أمر بفتحها حينما حل ذو القعدة حتى لا تجرى عملية حربية في الأشهر الحرم .

هذا وقد جاء في الآيات الأولى من سورة براءة ذكر لأربعة أشهر من سنة بالذات وصنعت بأنها أشهر حرم ، وهي غير الأشهر السابق ذكرها ، ولم تكن حرمته دائمة كحرمة تلك الأشهر ، بل كانت مقصورة على السنة التي تحدثت عنها هذه الآيات ؛ وذلك أن الرسول عليه السلام كان قد عقد مع جماعات من مشركي العرب معاهدة سلام وعدم اعتداء ، وحددت لهذه المعاهدة مدة ينتهي بعدها العمل بها ، فنكثوا جميعا بمهدم في أثناء هذه المدة ، ما عدا جماعات من بني ضمرة وبني كنانة . فأزل الله تعالى على رسوله هذه الآيات يأمره فيها أن ينبذ عهده لمن بكث منهم بإيمانه ، وأن ينفذهم بذلك يوم الحج الأكبر وهو يوم النحر على ملائكة من الجحيم على أن يعطيهم مهلة أربعة أشهر يظنون في أثناءها آمين حتى لا يفاجئوا بالقتال ولا يأخذهم جيش الرسول على غرة ، وفي هذا أقطع دليل على مبالغة

الإسلام في التسامح مع أعدائه وشدة حرمة على احترام اليهود وقوانينه حتى مع من بدأ بنكثها ، ونفوره من جميع مظاهر النذر والمدوان . وفي هذا يقول الله تعالى : « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين ، فسيحوا في الأرض أربعة أشهر » أي سيروا في الأرض طلقاء آمين مدة أربعة أشهر ، وهي المهلة التي أعطيت لمؤلا المشركين ، وتبدأ هذه المهلة على أصبح الأقوال من العاشر من ذي القعدة في السنة التاسعة من الهجرة ، وهو اليوم الذي تم فيه تبليغ هذا الإنذار وتنتهي في العاشر من ربيع الأول (وبلاحظ كما أشير ، إلى ذلك في صدر هذا المقال أن الحج في هذا العام قد وقع في ذي القعدة لا في ذي الحجة ، نتيجة لتلاعب قريش في عدة الأشهر في السنة . ومن ثم جاء هذا التبليغ يوم الحج الأكبر الذي اتفق وقوعه هذا العام في العاشر من ذي القعدة) : « واعلموا أنكم غير معجزي الله » ، وأن الله يحجز الكافرين . وأذن من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله يرى من المشركين ورسوله ، فإن تبتم فهو خير لكم ، وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله ، وبشر الذين كفروا

بمذاب أليم . إلا الذين هادتهم من للمشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتمموا إليهم عهدهم إلى مدتهم ، إن الله يحب المتقين » يشير بذلك إلى جماعات من بني ضمرة وكثافة ظلت محافظة على عهدها مع الرسول « فإذا انسلخ الأشهر الحرم ، أى الأشهر الأربعة المشار إليها فيما سبق والتي تنتهى بالعاشر من شهر ربيع الأول « فقاتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحمروهم واقعدوا لهم كل مرصد ، فإذا تبابوا أو أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ، إن الله غفور رحيم ، وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ، ذلك بأنهم قوم لا يعلمون » ، أى إن أحد من هؤلاء المشركين فر من قومه ولجأ إليك واستجارك فأجره ثم أبلغه مأمنه . وفي هذا أقطع دليل على مبالغة الإسلام فى التسامح مع أعدائه وحماضه على حق الانتباه .

وكان الرسول عليه السلام ، وهو مقبلاً بالمدينة قد أرسل قبل نزول هذه الآيات أبا بكر الصديق إلى مكة أميراً على الحج فى السنة التاسعة من الهجرة . وكان من الممكن بعد أن نزلت هذه الآيات وورد فيها إنذار للمشركين بنقض عهدهم أن يبحث

الرسول إلى أبى بكر برسالة يكلفه فيها أن يتولى هو نفسه ، فى أثناء قيامه بشئون إمارة الحج ، تبليغ المشركين هذا القرار فى الموعد المحدد لتبليغه . ولكن الرسول عليه السلام كلف على بن أبى طالب أن يخصص من المدينة إلى مكة وأن يقوم هو نفسه بتبليغ للمشركين هذا القرار . وذلك لأنه قد جرت العادة عند العرب ألا يتولى إبرام العهد ولا يقضه بالنيابة عن شخص إلا رجل من عشيرته . وعلى بن أبى طالب من عشيرة الرسول ، بل من أقرب الناس إليه ، فهو ابن عمه أبى طالب شقيق أبيه عبد الله . على حين أن أبا بكر الصديق ينتمى إلى بنى تيم بن مرة ، وهم رهط آخر من قريش غير رهط بنى هاشم . فهو قرشى ولكنه ليس هاشمياً . فأراد الرسول عليه السلام أن يجرى فى ذلك سنة العرب . ولذلك حينما قيل له : « لو عشت بها إلى أبى بكر » قال : « لا يؤدى عني إلا رجل منى » ، وفى رواية أخرى « لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا إلا رجل من أهل » . ولما دعا على من جماعة الحبيص را كفاة لرسول ﷺ تسمى (البقية على صفحة ٢٥٠)

محمد الخضر حسين

للدكتور محمد رجب الزبيدي

- ٢ -

المهام المتغيرة بالجهر بكلمة الإسلام
فيما ران من شكوك ، وما أذاعه أذئاب
الاستشراق من مفتريات ا

وقد ملء كتاب الشعر الجاهلي والإسلام
وأصول الحكم بأفنى عبارات التهم
بالمعممين ! نحن لأحدم أن يقول فيجيدا
كانت سيطرة الثقافة الاستعمارية بعد
الحرب العالمية الأولى مدعاة إلى إغراء
براق بأوربا وازدواء قائم لأعجاد الشرق
في رأي من جعلوا الحق فضلوا عن سبيله ،
ومن عرفوا الحق مستبشرين ولكنهم
مالئوا الباطل ليصلوا إلى الشهرة والجاه
والزامة الفكرية من سفاح ذنى لا يعرف
معنى الشرف في القول أو الفعل ، وإن تسع
بخداع زائف من التصايج بالحربة الفكرية ،
والمنهج العلمى ، ويشهد الله أن لا حرية
ولا منهج ، ولكن المسوى يسمى
ويصم ا .

حضر المريد محمد الخضر حسين إلى مصر
في وقت عصيب من تاريخها الفكرى ،
وكانت الحاجة ماسة إلى كل رجل مثقف
من رجال الدين قد فهم الشريعة فهما
صحيحا ، يستند إلى الأصول من القواعد
والأمهات من للراجع ، مع مطاوعة سهلة
للبيان النير المشرق ، يوضح به للقراء
ما التبس عليهم من أوجه الخلاف بين دعاة
الإلحاد وأنصار الفكرة الإسلامية ،
هؤلاء الذين وسفوا فيما بعد بأنصار
القديم ، ووصف خصومهم بأنصار الجديد ،
كما حلالا لدكتور طه حسين أن يسهب
في ذلك ويزيد ا

فهم كان المخلصون من حاة الفكرة
الإسلامية في غير الدوائر الدينية الرسمية
كثيرين ، ولكن وجود أمثال العالم
المحقق الأديب المين محمد الخضر حسين
أمر ضرورى ، يحتم أن يقوم أحد أصحاب

إلى القرآن المجيد ، ولزعم أن حديثه عن إبراهيم وإسماعيل لا يمكن لإثبات وجودهما في التاريخ !

إذ أن رواية ذلك ونسجيه لا يكفيان لإثباته دون بحث عن العوامل القريبة والبعيدة في الرواية والتدوين !

ونحن لا نريد أن نفيض في دعوى الانتحال الشرعي لأنها لب الكتاب ولخواه ، وهي دراسة أدبية يتبين وجه الحق في بطلانها من أيدي طريق ، ولكننا نلخص ما تورط فيه الكاتب ملحا ليهاجم الإسلام هجومًا يرضى أسانذته من قساوسة للمستشرقين ، ويجعل الرجل صاحب دهوة جديدة في الفكر الإسلامي الحديث .

فالدكتور طه يمان أن مجلدًا قد استغل المقدسات الدينية بمسكة وفي مقدمتها البيت الحرام الذي بناه إبراهيم كيلا يفقد قوته الروحية مع صراع الشرك فلمألة مسألة استغلال للسيطرة لحسب لا أن يثأر لله بناء إبراهيم على وجه التحقيق .

والدكتور يعطى أن القرآن لم يكن جديداً على العرب إذ أن عقائده الجديدة كانت معروفة في شبه الجزيرة بدليل عجيب يرتضيه طه وحده ، وهو قبول من قبل

ما كاد الأستاذ المحضر ينزل على الحسين بمصر غريباً لا يعرف أحداً من الناس ، ومهاجراً في سبيل الله بقله المجاهد الشجاع ، حتى وفق لعمل بدار الكتب بأجر زهيد لا يتفق ومزنته الكبيرة ، ولكنه كان بتوفيق الله صلة حميدة إلى اشتهاره الأدبي ، وبسوقه العلمي ثم إلى اتصاله بأشباهه من الغير على مقدسات الإسلام من أعلام المفكرين ، كأحمد تيمور ، ومحب الدين الخطيب ، وعبد الحميد سعيد ، وعبد الوهاب النجار ، ومحمد رشيد رضا ، ثم شاعت الأفكار أن تفتضح معركة الشعر الجاهلي ، وأن يكون الأستاذ بطلاً معلماً من أبطال المعركة ، يصيح بالحق ويندد بالضلال .

لقد ظهر كتاب الشعر الجاهلي ينادى باحتقار كل قديم دونه في صحف الأدب والشك فيه ، ويؤزم أن جل ما قيل منسوباً إلى شعراء الجاهلية اختلاق زائف بغيض ، وهذه الآراء مهما صادقت البداية الواضحة لا تحدث ضجة بين الناس يسعى إليها الدكتور طه حسين بإذلا جهده الجهد ، فلا بد إذن من الهجوم على المقدسات الدينية هجومًا لا هوادة فيه ، فليتمرض الكاتب

بأن المنهج الديكارتي لا يصاح فقط إلا حين يجابه الحقائق لا الأراجيف .

وإذا كان فريق من الأساتذة الأعلام كالأستاذ الراقى ، والدكتور الغمراوي ، ومحمد لطفي جمعة ، ومحمد فريد وجدي قد مزقوا كتاب الدكتور تمزيقا طلياً بما فضحوه من السرفة والتدليس وبمجاهدة الحق فإن الأستاذ الخضر قد زاد عليهم جميعاً بشيء تفرد به ، وهو غوصه على النصوص العربية من أمهات كتبنا العلمية التي جهلها الدكتور ، فظن أمكاره في الشك والالتحالة والاستشهاد بالقرآن ستكون جديدة على القارئ العربي وأكثرها مدون بزهارة في الكتب الأمانة التي حرقها الاستشراق من قصد ثم سطا عليها له بعد التعريف فثرثر وأسأل .

فقط مثلاً يقول في ص ٩ : وينتهي بنا البحث إلى نتيجة غريبة ، وهي أنه لا ينبغي أن يستشهد بهذا الشعر على تفسير القرآن وتأويل الحديث ، وإنما يستشهد بالقرآن والحديث على تفسير هذا الشعر وتأويله ، والأستاذ الخضر يقول - مثلاً - في الزهراء : « لم تكن هذه النتيجة غريبة إلا عند من يتناول البحث خطفاً

الدين ومعارضة من طارح ، إذ لو لم يكن مألوفاً ما حفل به أحد .

والدكتور طه يعلن أن دعوة الإسلام دعوة محلية في جماعة خاصة وفي حياة خاصة ، فهي ليست دعوة عامة للبشرية كما ينطق بذلك القرآن الصريح .

ومنطق هذا كله كما يقول الأستاذ الدكتور الهادي في كتابه « الفكر الإسلامي الحديث ص ١٩ » إن القرآن ليس وحياً لرسالة الله !! وإذا كان المؤلف النابغة قد أثبت اقتراب هذه الأفكار من كتاب المذهب الحمدي للمعتمد بن النعمان (جب) فإن الأستاذ الخضر قد استطاع أن يجد الأصل الاستشراقي الذي سطوا عليه الدكتور سطواً فاحشاً في كتابه الدكتور صرغليوت في مجلة الجامعة الأسبوعية المنسكبة سنة ١٩١٦ وفي كتاب محمد المطبوع سنة ١٩٠٥ ، وقارئ الرد المقنع الذي كتبه الأستاذ بربى هجبا حسين يجد الدكتور يضطر لشك في المتواتر من أخبار القرآن بحكم منهج ديكارت ثم يقبل كل رواية مريضة وأهية يذكرها كتاب الأثنائي كحق مسلم يستند إليه في قضية الانتحال حتى اضطر القارئ إلى الاعتقاد

النصوص القوية التي نملك مسلكتا جديدا
في الفهم ، ولو كانت هذه مزية الكتاب
وحده لسكنته نفرا ؟ فكيف إذا لم يدع
شبهة تحوم إلا بددها برأيه ونقله وعقله
في بصر وتمكين !

وكان المصادقات العلمية الثمينة قد هيأت
لرحل أن يجول الجولة الثانية بمصر ،
حين صدر كتاب الإسلام وأصول الحكم
لعالم من علماء الأزهر قد امتلأ يقينا
بأقوال الاستشراق فجعلها المنع الأول
لفهم الحكم في الإسلام على نحو يقرب
من تعاليم المسيحية وحدها ، إذ أن للمعروف
للتفق عليه أن المسيحية دين لا دولة ،
ولكن الإسلام شيء ، والمسيحية شيء آخر
فالإسلام دين ودولة ، والرسول حاكم ومبلغ
معا ، ونصوص القرآن مليئة بما يجعل
هذه الحقيقة في مرتبة البدهيات !

ولكن الأستاذ على عبد الرازق يجهر
بدعواه ، وإها أنه وحده صاحب القول
الفصل أو قد تفرق إلى الرد عليه في الصحف
اليومية من لا يقف معه في مستوى واحد ،
كما وجد من تساند الإلحاديين وتكالبهم
على تأييده بما يملكون من صحف وأندية

ولا يمتنى فيه على روية وأناة ، وقد أذكر
بعض أهل العلم فيما سلف على من يتوقف
من النحويين في تقرير ألقاظ القرآن على
شاهد عربي ، ومن هؤلاء نضر الدين الرازي
حيث يقول في تفسيره الكبير « إذا جوزنا
إثبات اقنعة بشعر مجهول عن قائل مجهول لجواز
إثباتها بالقرآن العظيم كان أولى وكثيرا
ما أرى النحويين متحيرين في تقرير الألقاظ
الواردة في القرآن فإذا امتشهدوا في تقريرها
ببيت مجهول فحوا به ، وأما هديد التعجب
منهم فإنهم إذا جعلوا ورود ذلك البيت
المجهول على وقفه دليلا على صحته فلا أن
يجعلوا ورود القرآن دليلا على صحته أولى » .

وأنكر أبو محمد بن حزم على من لا يمتنى
في الاحتجاج بنظر القرآن فقال في كتاب
الفصل : « ولا عجب أعجب ممن إن وجد
لامرئ القيس أو زهير أو جرير أو الطرماح
أو لأعرابي أسدي أو غمي أو من سائر
أبناء العرب ثوبا في شعر أو ثمر جعله
في القنعة ، وقطع به ولم يمترض فيسه ،
ثم إذا وجد ثوبا على خالق القنعات وأهلها
كلما لم يلتفت إليه ، ولا جعله حجة
وجعل يصرفه من وجهه » .

وهكذا زرى في الكتاب عشرات

ونحن نقول للأستاذ عبد الرزاق إنه قد ظلم الحق فيما قال ، لأن هذه النصوص تأتي متوالية متعاقبة ، وقارئه النقد يستطيع أن يجمعها بسهولة لتكون كل ما جاء بالفصل الواحد من الكتاب ، وهي بعد خير وأقوم من مسلك ناقد يلخص الموضوع من عنده ثم يعقب عليه ، إذ ربما فات من التلخيص شيء هام لا يرفقه القارئ المجاهد ولا يدري كيف يحافظ الخضر على نصوص الكتاب جميعها فلا يستطع منها شيئاً ذابال ثم يكون ذلك مطعناً يوجه إليه من ناقد لبيه ، إن النفيظ وحده لم يستطع أن يجمع في نفس المنقود على تطاول الأيام به حتى وجد للنقد على صفحات لواء الإسلام ! ولو كان نقد الأستاذ عبد الرزاق للأستاذ الخضر عليها نزيها ما تعرض لأموال شخصية لا تتصل بالبحث في شيء ، ولكنه تخيل الموهوم ثم خاله حقيقة فبتقنه أعلى طريقته بعض الناس .

لقد كان يمكن الخضر في الدفاع مدعاة التقدير من ذوي الأحلام ، فتقدم لامتحان العالمية بالأزهر ، وكان الشيخ عبد المجيد البان رئيس اللجنة مع نخبة من زملائه المختارين فأبدى الشيخ من الرسوخ والتمكن ،

وأقلام ما يخلع على كلامه بعض الوجاهة لدى الضعفاء ، ولكن السيد محمد الخضر نصر الله وجهه بتصدي لهذا الإهلاك المريع فيأتي على بنيانه من القواعد ، وكان مجاله التقدي هذه المرة في قمة من القوة والتمكن والإخام ، لأن الجدل ليس في الرواية والقصص والاتصال كما في أكثر فصول الشعر الجاهل ، ولكنه يدور حول قواعد أصولية صميقة في الفقه والحكم والتشريع ويمجد من تاريخ الإسلام الحافل بوجاهة وحوادثه ومؤلفاته ما يمين على جلاء الفكر ورد الزيف ، لذلك كان مؤلف الخضر حجة قوية تقود المنصفين إلى مراهقة اليقين ، وقد ظل الأستاذ على عبد الرزاق ضائفاً به حتى بعد ربع قرن من صدوره وانتهاء الحركة على نحو يرضى المخلصين فقد فرأت السنة الثامنة على ما أذكر من مجلة لواء الإسلام كلمة للأستاذ على عبد الرزاق تليق من غضبه الموقف على الأستاذ ، وتعيب طريقته في نقد الكتاب ، وبجمل العيب في رأى الأستاذ عبد الرزاق أن الأستاذ الخضر ينقل كل نص من نصوص الكتاب على حدة ثم يفتنه بالرأى والدليل وذلك أدعى إلى تعزيز الفصل الواحد وتفتيته

ما أدهش، حتى أن الشيخ القبان صاحب عمل فيه « هذا بحر لا ساحل له فكيف تقف معه في حجاج » ونال الشهادة العالمية الأزهرية وبها صار أستاذا في الأزهر فقدر صاحب كلية أصول الدين، بل كانت طريقته فيها بعد إلى مشيخة الأزهر ذات القدر الخطير . وقد أنجب الأستاذ إلى تأسيس الجامعات الدينية ، فكان أحد مؤسسي جمعية القبان للعلمين وقد وضع لأمتها الأولى مع صديقه محب الدين الخطيب ، وقامت هذه الجمعية برسالتها المخلصة في هداية الشباب الإسلامي ومحاربة الإلحاد العلمى والنزق الخلقى واستطاعت أن تعد هجوما مضاربا للملحدة المادية بما تقوم به من ندوات ومحاضرات وما تنشره من صحف ومؤلفات .

وكأنى بالخضر وقد شاء أن ينشئ جماعة الهداية الإسلامية لتساند أمتها في الدعوة إلى الله ، وقد كان نشاطها علميا أكثر منه اجتماعيا إذ أن محاضراتها المتتابعة قد وجهت لأذهان إلى كنوز الثقافة الإسلامية كما أن مجنتها الشهرية كانت تحمل الروائع من التفسير والتشريع والفقه والتاريخ . وإذا عرفنا أن مجلة الأزهر ومجلة لواء الإسلام قد ظلنا سنوات عديدة تصدر عن رأى الشيخ

وتوجيهه أدركنا جهاده الفائق في مضمار الصحافة العلمية الرافقة ؛ وعرفنا مصادر متنوعة تجمع إنتاجه القلمى ، هذا ولم يفت الأستاذ أن يحارب على صفحات هذه المجلات جميعا ما يند من الأقوال للتعطى فى الأدب والفن والدين ، حتى اختلف فى الرأى مع أناس مخلصين لا ترق إليهم الشبهة فى علم أو خلق أو دين ، ولكن العلم الأصيل شىء غير الإخلاص والخلق فقد يكون المخلص الغيور متمسكا ينظر إلى زاوية واحدة فلا يد أن يناقشه إنسان مطمئن ثاقب النظر منفرج الزوايا واسع الاطلاع كالأستاذ الخضر والنقاش بمحمد سعيد .

هذا وقد اختير الرجل عضوا فى الجمع الوفى بمصر ، فأبدى من الآراء السديدة فى الإصلاح الوفى ما تشهد به مجلة الجمع ومحاضر جلساته ، وهو أول من أعلن بالجمع صحة الاحتجاج بالحديث النبوى وأحد من اشتركوا فى معارك النقاش الوفى حول الوضع الاصطلاحي ، وحق الحديثين فى وضع الكلمات ، هذا غير ما خاضه من بحوث تتعلق بالاشتقاق والتعريب والقصيص والمخيل وجموع التكسير قياسية وصحافية مما يشهد

في التفكير، وتأثير التفكير فيها، وغير ذلك
كثيرا ما إذا أصفنا إلى رسالته عن القياس وماله
الأدبية في الخيال العربي عرفنا جهد هذا
الأديب كما عرفنا من قبل مقام ذلك انتقاه
أما مبيخته الكبرى للأزهر فقد كانت
دليلا على أن الله لا يتخلى عن رجاله المناضلين
إذ يأبى عدله الرحيم أن يترك هذه الجهود
الضنية في الدين والفن والأدب تضيع
بدأ دون تقدير مادي ملحوس، فرأى
الأزهر لمهده حلقة ذهبية من حلقات
لكمال والجلال والوقار، ووفق الأثرون
من كتاب وعلماء وصحفيين يتفادرون على
مكتبه، وكلهم يسأل عن أمور هامة
في الإصلاح الديني والتشريع الإسلامي
والنقد الحضاري فيجد الإجابة الرصينة
الشيخة بفوح بها شيخ الإسلام الدارس
للسنن، ولكن أهباء السنن تتراكم على
كاهل للضعيف فيترك المشيخة متفككة
محتسبا حتى يلجى نداء ربه في ١٣ رجب سنة
١٣٧٧ هـ وهو الناري الحبري الذي كادرضي
الله عنه يحرس على نصونه في كل مكتبة
أو رسالة، ونحن نسجل به رحيله الطاهر
إلى ساحة الرحمة والرضوان في جنة عرضها
السموات والأرضين **رحم رب البيروني**

بالتخصص الماهر الفاحص في فنون اللغة
والبيان، على أنه تقدم إلى هيئة كبار
العلماء برسالة في القياس، يقول المفطور له
الأستاذ محب الدين الخطيب عنها بمجلة
الأزهر شمالي سنة ١٣٧٧ هـ.

« وفي أثناء إقامته بدمشق شرع في دراسة
كتاب مغنى القريب في علم العربية لجمال
الدين بن هشام بمحضر جماعة من أذكياه
طلاب العلم بدمشق، وكان يرحم في تقرير
المسائل المتصلة بالسماع والقياس إلى تلك
الاصول المقررة وللمستنبطة، فأفترح عليه
أولو الجلد من الطلبة جمع هذه الاصول
المتفرقة ليكونوا على بيئة منها ساعة
للمطالعة، فألف مقالات تشرح القياس
وتفصل شروطه وتدل على موافقه وأحكامه
ومن هذه المقالات تألفت رسالة القياس
في اللغة العربية التي أمد عليها نظره بمصر،
وهي كما رأينا تجمع الاصول العالية
في أحكام القياس والسماع وتضم فصولا
عن شروط القياس وأقسامه وقياس التمثيل
والقياس الأصلي مع إصاح الأمور المشتركة
بينهما، هذا إلى أبواب في فضل اللغة
العربية ومسايرتها لعلوم للدينية، وحاجتها
إلى المجتمع وحاجة المجتمع إليها وتأثيرها

حول عبقریات العفتاد

للاستاذ أبو الوفا الراغب

من كان يتخذ قدوة كاملة لرجال
العلمين بسد مولانا وسيدنا محمد عليه السلام
عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فمعرفة
في جميع ميادين القضية ، قدوة في الفجاعة
والصراحة والعدل والسياسة والإحسان
والإيثار ودقة الإحساس إلى درجة الإلهام
وقدوة في النجدة والرحمة والتواضع وغير
ذلك مما لا يحصى من فضائل الرجال ، وقد
ضرب بكثير من فضائله الأمثال ، وحسبنا
في الشهادة على قوة حدسه ، وصدق فنه
قول رسول الله فيه : قد كان في الأمم
محدثون ، فإن يكن في أمتي أحد ، فمعر
ابن الخطاب « المحدث » الملمم الذي يلقي
في نفسه الشيء فيخبر به حدسا وفراسة
كأنه حدث بشيء فقال .

ولا يهمل أوقع حمله من ذوم الناس موقع
الرضا والقبول أم وقع موقع السكر
والإسكار . وقد جمع رسول الله عليه السلام
ما تفرق من فضائل عمر في كلفه الخالدة :
« لم أر عبقريا يفري فريه » وحسب عمر
ذلك عظمة وخلوداً .

ولقد تناول للورخون القدامى سيرة
عمر بأسلوب للمره التاريخي التقليدي
الذي يكتفي بعرض الوقائع والحوادث
وسير الرجال دون نظر إلى الدوافع والبواعث
الحقيقية التي تمكن وراءها ، وردها إلى
أسبابها وعلاها ، حتى كان من منهج التأليف
التاريخي الحديث أن يعنى بفلسفة التاريخ
ولا يقف من الحوادث موقف التسجيل
والإحصاء . فاصطنع هذا المنهج كثير
من المؤرخين المحدثين في التاريخ الإسلامي
والسياسي . اصطنعه هيكل في حياة محمد ،
واصطنعه عبد الرحمن الرافعي في كتبه
من الثورات للحرية ، وعن زعماء تلك

وما زال قتل في عدله يجري على السنة
الخواص والعوام ، وهو كما قال المقادعنة
دقيق الحساب صديق الفكر ، ألمى الخاطر
بتوخي الحق والمصالح في كل ما يأتي وما يدع

صار موسعة عليه يستفد منها من شاء ،
ويرغوى من معينها من شاء .

وقد تفرد المقاد بأسلوب اختلفت
أنظار القراء في تقديره إلا أن الجهرة من
من قراء العربية حتى يحبه على أن أسلوبه
صحيح مركز موجز لا يعطيك كل ما ينبغي من
معان إلا بكثير من الروية والتأمل والتيقظ
وإلا بشيء من المراتة عليه والترس به
لكي تفهم ما يراد منه وما يشير به إليه .
ومن هنا كانت عبقریات المقاد كبات
الزهور في أوراق من (السلوان) يروقك
منظرها ويحببك (السلوان) من نفق
غيرها والاسترواح بفنائها ، وكانت في
حاجة إلى من يكشف عنها هذا (السلوان)
ليكتمل لقارئها أمانة للنظر وطيب الراحة .
وقد قررت وزارة التربية - في شيء
من القسوة - دراسة بعض هذه العبقریات
على طلبة الثانوية العامة تقديراً لمكانتها
الإسلامية ، ومنذ أن قررت الوزارة
شعر المشتغلون بالأدب العربي بمسئولية
النهوض بتبسيطها وإراز مكنوناتها تبصير
على الطلبة واستكمالاً للمائدة .

فالمقاد لم يتناول في عبقرياته شخصيات
هذه العبقریات تناولاً تاريخياً معتاداً
[٥]

الثورات : كمرابي ومحمد فريد ، واسطنته
المقاد في عبقرياته المختلفة ، ولا شك أن
هؤلاء تأثروا خطوات للثائقين الثريين
في ذلك للنهج .

وقد تناول المقاد فيما تناول من كتب
العبقریات سيرة عمر في «عقبة عمر»
وجمع ما تناثر من مناقب عمر في باقة قدمها
إلى المسلمين كما يجمع البستاني ما تناثر من
الأزهار والورود في باقات منسقة فوق
الأنظار والأذواق ، وحاول المقاد أن يربط
كل قضية من فضائل عمر بوضيعة من
شخصيته ويصلها بسبب من أسباب عظمته
حتى لا يضل قارئ في تقدير تلك الفضائل
فيردها إلى محض الصدفة أو الأريحية العابرة .
والمقاد دقيق الفهم صديق الإحساس ،
لمسح الدهن ذو قدرة على استشفاف المعاني
من المبارات واستنطاقها إذا استعجمت
على غيره ، وله في النصوص أقدام لا تخطئ
لفيهر كما أنه لا يدع نصاً تاريخياً إلا إذا
خفمه واستنزف زبده وهذه ناحية من
نواحي التفوق في المقاد بين الكتاب ،
وكان المقاد منهوم للقراءة ، قرأ مئات
الكتب في مختلف الصلوم وبخلاف
الأساليب وعلق بذهنه كثير مما قرأ حتى

بديهية في نظر العقاد ، ولكنها كانت في نظر غيره وفي الواقع في حاجة إلى تجلية وكشف وخاصة بالنظر إلى أبنائنا طلبة الثانوية العامة .

وقد افترن اسم العقاد باسم غوده في العبتريات ، الأول مؤلفا معنفا ، والثاني شارحا موضحا ، ولا ينقص من قدر العقاد أن تحتاج كتبه إلى الإيضاح والشرح كما لا ينقص قدر غوده أن يكون شارحا وموضحا ، لأن ذلك تعاون على ما لوف في مناهج تأليفنا الأدبي وهو تعاون مشكور . تلك كلمة حول عبتريات للعقاد وحول من تصدى لها ، وقد ينقص لها بعض الناس رهوسهم أو يسيئوا فهمها ولكن متى كان جهد الحق من بعض الناس مانعا من الجهر به ؟؟

وقد يعرف مقدار الحق فيما قلنا من يتاح له أن يقرأ كتاب غوده « مع العقاد في عبقرية مصر » .

وإذا كان من حقا أن نقول للسوء أسأت ، فن واجبنا أن نقول للمحسن أحسنت ، تأدبا بأدب رسول الله حيث يقول : (لا يشكر الله من لا يشكر الناس) ؟
أبو الوفاء المرقني

وإنما تناولها في شيء من العلفنة والتحليل للمبتدئين قصدنا إلى الدفاع عما أثير حول تلك الشخصيات من تصرفات كانت موضع المؤاخظة والتشهير من أعداء الإسلام كتصرفاتهم في تعدد الزوجات وفي الرق وفي الحروب وغيرها ، فكان ضروريا أن يكون أسلوبه فيها على مستوى هؤلاء الذين همى بإقناعهم وإلزامهم .

وقد نهض هؤلاء الأدباء بهذه للثولية وبذلوا فيها جهودا مشكورة ، وكان ممن شارك في ذلك وجري في هذا للبدان زميلنا الأستاذ غوده فتناول بعض هذه العبتريات بالبحث والدرس ، وأخذ يروض الغامض من عباراتها ويتألف الأبد من معانيها طوال شهر رمضان من أعوام مضت على منبر صحيفة الأخبار حتى كانت تلك المراجعة من لوازم شهر رمضان في تلك الصحيفة .

وقد حالف الأستاذ غوده للتوفيق فيما تصدى له وجلى بين أقرانه في هذا الميدان ، وأضاف إلى ثروة العقاد التاريخية في بعض العبتريات ثروة تاريخية أدبية لفسوية ، فقد تضمنت العبتريات ألفاظا وعبارات وإشارات تاريخية وبما كانت

انتشار الإسلام في الرحاب

للككتور حامد غنيم أبو سعيد

١ -

كلمة الرحاب اصطلاح جغرافى ، أطلقه
المقدس على إحدى مناطق العالم الإسلامى
فى القرن الرابع الهجرى ، ويعنى بها
المنطقة التى تضم إقليم أذربيجان وأرمينية
وأرآن أو (الران) وعلى الصفحات التالية
سيمدور الحديث عن انتشار الإسلام فى
هذه المنطقة من المناطق المحصورة بين
آسيا الصغرى وبحر قزوين .

خريطة الرحاب



بحر قزوين ، الأمر الذى جعله يستقبل
الكثيرين من يعملون بالتجارة على
اختلاف أجناسهم .

ومن الناحية الدينية فإن النصرانية
كانت هى الديانة السائدة فى إقليم أرمينية ،
وبجانب ذلك كانت توجد فى هذا الإقليم
أيضا أقليات من أتباع اليهودية والمجوسية
هذا ، وفى الوقت الذى كانت فيه النصرانية
هى الديانة السائدة بين الأرمن ، فإن المجوسية
كانت هى عقيدة الأغلبية الكبيرة من
الأكراد ، أما الأقلية من الأكراذ فإن
أفرادها كانوا يستقون النصرانية من
وجهة نظر اليعاقبة ، ويضاف إلى هذا وذاك
وجود بعض الجماعات اليهودية .

وبالنسبة للإقليم الثالث إقليم أران ،
فإنه كان يوجد لهابة كبير بينه وبين إقليم
أرمينية ، وذلك من حيث المعتقدات
الدنية التى كانت موجودة فى كل ، غير أن
عدد اليهود فى إقليم أران كان كثيرا إذا
قورن بعدد إخوانهم فى إقليم أرمينية ،
ويعود ذلك إلى أن إقليم أران كان قبا
سقى ضمن مملكة الخزر ، ومعروف عن
الخزر أنهم فى عمومهم كانوا يدينون
بالديانة اليهودية .

وبدأ الحديث عن انتشار الإسلام
فى هذه المنطقة بتحديدنا من الناحية
الجغرافية فنقول : إن الرحاب هى تلك
المنطقة التى تعتبر امتدادا نحو الشمال
لإقليم الجبال والعراق وديار ربيعة ، حيث
يوجد إقليم أذربيجان إلى الشرق وإقليم
أرمينية إلى الغرب ، وأخيرا إقليم أران
إلى الشمال من أذربيجان ويتصل فى الوقت
نفسه بالعالم الغربى لبحر قزوين .

والمنطقة ككل تحاورها من الغرب
بلاد الروم وقسم من حدود الجزيرة ،
وتحدها من الشرق بلاد الديلم ، وإقليم
جبلان ثم موغان وأخيرا بحر قزوين ،
أما من الجنوب فإننا نجد إقليم الجبال
والعراق وبعض حدود الجزيرة ، وفى الشمال
توجد بلاد الكرج (جورجيا) وبلاد
اللان وجبال القسقب .

كانت هذه المنطقة تضم عدداً من
الأجناس البشرية ، فى أذربيجان كانت
الأغلبية الساحقة للأكراذ ، فى حين أن
الأرمن كانوا هم الجنس البشرى السائد فى
أرمينية . أما إقليم أران فإن أهله كانوا
خليطاً من الأكراذ والخزر والأرمن ،
ولعل ذلك يعود إلى اتصال الإقليم الأخير

في هذا الإقليم وقت محاولات الفتح الإسلامي له وجعل فارسي يحمل لقب «ملك» ويسمى «شهرراز» وكان يقيم في مدينة الباب التي كانت في ذلك الوقت المركز الرئيسي لإقليم أران، ويستحسن في هذه المناسبة أن أتنبه إلى أن كثيراً من المؤرخين قد اعتبروا إقليم أران جزءاً من أرمينية، وكان هذا الإقليم، لدى أصحاب هذا الاتجاه يكون مع بلاد السيمجان ما يطلق عليه اصطلاح «أرمينية الأولى».

يتضح لنا من هذه المقدمة أن التركيب البشري في منطقة الرحاب كان متنوعاً، فن أكراد في الشرق إلى أرمن في الغرب إلى خزر في الشمال. وبحجاب تنوع التركيب البشري كان يوجد تنوع أيضاً في المعتقدات الدينية التي كانت موجودة في المنطقة ككل. وكانت الديانتان البارزتان هما : الجوسمية والنصرانية، وبحجاب هذا وذاك كانت توجد جماعات يهودية في كل من الأقاليم الثلاثة.

يحاول الدارس المعاصر أن يجد في تنوع التركيب البشري وتنوع المعتقدات الدينية التي كانت سائدة في المنطقة فرصة لتبيان موقف هذه العناصر المختلفة من الدعوة

فاذا انتقلنا إلى الجانب السياسي فإن أذربيجان كانت واحدة من المناطق المكونة للإمبراطورية الساسانية، وهذا مع أنها كانت تتمتع في نطاق هذه الإمبراطورية بما يشبه الاستقلال الذاتي، شأنها في ذلك شأن معظم الأقاليم الفارسية وقت الفتح الإسلامي، وكان حاكم أذربيجان يحمل لقب (الرزبان) ويتخذ من مدينة أردبيل مقره.

أما أرمينية فإنها كانت فيما مضى تحت حكم الروم، وقد استطاع كسرى أنوشروان أن ينزعها من أيدي الروم ويضمها إلى الإمبراطورية الساسانية، وظلت على هذا الوضع حتى قامت الدولة الإسلامية، مع ملاحظة أن الحكم الداخل فيها ظل في أيدي عدد من البطارقة من أهل البلاد الأصاين، ومعنى هذا أن السلطة الفعلية في أرمينية أثناء محاولات الفتح الإسلامي لها كانت في أيدي رجال الدين المسيحي، ويتضح لنا فيما بعد إلى أي مدى كان لهذا الوضع تأثيره على محاولات نشر الإسلام في هذا الإقليم.

والأمر لا يكاد يختلف بالنسبة لإقليم أران، فقد كانت تابعة للإمبراطورية الساسانية، وكان يقبض على زمام الحكم

الدين الإسلامى، ومعنى آخر أكثر تحديداً: إن تنوع التركيب البشرى وتعدد الاتجاهات الدينية فى منطقة الرحاب يفتح الباب أمام المدارس المعاصرة فتعرف على الدرجات المتفاوتة فى ردود الفعل التى قوبل بها الدين الإسلامى من أفراد هذه الأجناس البشرية. وأتباع هذه الاتجاهات الدينية.

وتناول الموضوع من هذه الزاوية يقدم فقارنى محاولة علمية جادة ، بحجاب أنه فى الوقت نفسه يشتمل على عناصر الطرافة والتعويق ، وعملاً لا شك فيه أن محاولة كهذه كان من الممكن أن تكون ميسورة لو توافرت لها المادة العلمية بدرجة كافية ، وهذا ما لا نستطيع أن نقول به ، وذلك لما هو معروف من أن اهتمامات المؤرخين العرب فى المصور الوسطى قد توجهت فى المرتبة الأولى إلى معالجة حركة توسع الدولة الإسلامية ، لا إلى تعقب حركة انتشار الدين الإسلامى ، وحتى بالنسبة لأولئك المؤرخين الذين عتوا بالتأريخ لانتشار الدين الإسلامى فإنهم لم يلتفتوا بالقدر المطلوب إلى هذه الجزئيات التى تشكل الأساس الذى لابد منه لتقديم مثل هذه المقارنة .

مهما يكن من أمر ، وفى ثنايا الدراسة التى بين أيدينا سنحاول بالقدر الذى تسمح به للعلوم التى نعتز عليها أن نقارن بين الدرجات للتفاوتة فى الاستجابة التى قوبل بها الدين الإسلامى فى هذه المنطقة ، ونبدأ دراستنا هذه بالحديث عن إقليم أذربيجان

قلنا فيما سبق أن أذربيجان هى تلك المنطقة التى تقع إلى الشمال الشرقى من ديار ريعة بالجزيرة القراتية ، وإذا أردنا تحديد موقع أذربيجان فى الخريطة الجغرافية المعاصرة فن الممكن أن نقول بأن الجزء الأكبر منها يقع ضمن إيران الحديثة ، فى أقصى الشمال الغربى ، أما الأجزاء الشمالية لأذربيجان فإنها أصبحت ضمن مناطق نفوذ الاتحاد السوفيتى كما أن بعض مناطقها الغربية تقع فى هذه الأيام ضمن ممتلكات جمهورية تركيا .

وقد أصبحت الأجزاء التى سيطر عليها الاتحاد السوفيتى تشكل مع إقليم أران ما يعرف الآن بالجمهورية الأذربيجانية ، وهى واحدة من جمهوريات اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية ، ولا يزال يغلب على هذه الجمهورية الطابع الإسلامى حتى

عسكرية وجهتها الدولة الإسلامية إلى هذا الإقليم ، فانهم قد اختلفوا بالتالي حول شخص الصحابي الذي كان أول من فتح هذه البلاد ، فمنهم من يقول إن الذي فتحها هو الصحابي عتبة بن فرقد رضى الله عنه ، ومنهم من يزعم فتحها إلى الصحابي حذيفة بن اليمان رضى الله عنه .

وتوفيقا بين وجهات النظر التي يبدو أنها متضاربة يمكن أن نذهب إلى القول بأن أولى الحملات العسكرية الإسلامية قد توجهت إلى الإقليم موضوع الدراسة في سنة ١٨ هـ ، وكانت تحت قيادة الصحابي عتبة بن فرقد ، ولقد ذلك توالى الحملات الإسلامية إلى أذربيجان بقصد السيطرة الكاملة على كل أنحاء الإقليم ، وكان أبعد ما أترا تلك التي قادها الصحابي حذيفة بن اليمان في سنة ٢٢ من الهجرة .

مهما يكن الأمر ، فقد كان من نتيجة الحملة الأولى التي هزم فيها الأذريون ، كتاب أمان من عتبة بن فرقد لأهل أذربيجان بمقتضاه منحوا الأمان على أنفسهم وأموالهم وملهم وشرائعهم ، على أن يؤدوا الجزية على قدر طاقتهم . ووثيقة الأمان هذه التي أوردها الطبري

اليوم ، وآخر إحصاء للمسلمين فيما يصل بعدد إلى ما يقرب من ثلاثة ملايين ونصف مليون نسمة ، وم هذا يفكرون ما يقرب من ثمانين في المائة من مجموع السكان هناك .

بعد ذلك بدأ في تتبعنا لانتشار الإسلام في هذه المنطقة ، وبخصوص هذه القضية نقول : إنه في عهد الخليفة الثاني عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه أخذت الإمبراطورية الفارسية تنهار أمام زحف الجيوش الإسلامية المنتصرة .

وقد استطاعت الدولة الإسلامية ، بصفتها السياسية ، أن تبسط سيادتها على الأقاليم الفارسية من الجنوب إلى الشمال ومن الغرب إلى الشرق وكان إقليم أذربيجان من المناطق التي توجهت إليها الجيوش الفاتحة في تلك الفترة المبكرة من تاريخ الفتوحات الإسلامية .

اختلف المؤرخون حول الوقت الذي انجبت فيه الجيوش الإسلامية لفتح أذربيجان ، ولكن هذا الاختلاف ليس من الخطورة بمكان ، إذ أنه محصور بين سنة ١٨ وسنة ٢٢ من الهجرة ، وكما اختلف المؤرخون حول توقيت أول حملة

لأكراد البلاسجان وسبلان وسارودان ولا ينتم أهل الشيرخاصة من الزقن في أميادم وإظهار ما كانوا يظهرونه» (١).

وكما هو واضح فإن الاتفاق الذي مقدمه الصحابي حذيفة بن اليمان مع للرزبان يلتقي مع الاتفاق الذي سبق أن عقده عبدة ابن فرقد مع أهل أذربيجان في نقطة واحدة هي التي تسترعى انتباه المهتم بدراسة انتشار الإسلام، وهذه النقطة هي تعهد القوات الإسلامية الفاتحة بعدم التعرض للآذريين فيما يختص بشئون معتقداتهم أي عدم إجبارهم على بذر دياناتهم واعتناق الدين الإسلامي.

وينفرد اتفاق حذيفة بتفصيل أكثر فيما يختص بتوضيح تسامح المسلمين مع أتباع الديانة المجوسية، ويتضح لنا ذلك من النص على أن لا يهدم المسلمون للمجوس بيت تار كما يتضح لنا ذلك أيضاً من تخصيص طوائف معينة من الأكراد وأنه لا يحق للقوات الإسلامية أن تتعرض لها فيما يتصل بممارسة هذه الطوائف لشعائرها الدينية، وسيوضح

(ج ٤ ص ١٥٥ طبعة ذخائر العرب) والتي يرجع تاريخها إلى سنة ١٨ هـ توضح لنا أن أهل أذربيجان قد اختاروا طريق التمسك بدياناتهم السابقة في مقابل دفع الجزية للدولة الإسلامية، كما يفهم من هذه الوثيقة أيضاً أن أتباع الديانات الثلاث: المجوسية والنصرانية والمجودية قد اتخذوا موقفاً موحداً وهو عدم الاستجابة لمادوا إليه من اعتناق الدين الإسلامي.

لم يلزم أهل أذربيجان بشروط هذا الاتفاق وكانت نتيجة تفهم له أن توجهت إلى الإقليم حالات أخرى، كان من أهمها تلك الحملة التي قادها الصحابي حذيفة بن اليمان سنة ٢٢ هـ، وقد توغل حذيفة بمقواته في أذربيجان حتى وصل إلى مدينة أردبيل عاصمة الإقليم، وهناك تصدى للرزبان بمجموعه للقوات الإسلامية، وبعد قتال شديد طلب للرزبان من القائد المسلم أن يعقد معه صلحاً، واستجاب له حذيفة ابن اليمان، وتم بين الاثنين الاتفاق على أساس أن يدفع أهل أذربيجان للدولة الإسلامية جزية سنوية مقدارها ثمانمائة ألف درهم، على أن لا يقتل منهم أحداً ولا يسبي، ولا يهدم بيت تار، ولا يمرض

[١] البلاذري: فتوح البلدان، طبعة دارالتميز

لجاسين، ص ٤٥٥ - ٤٥٦.

ومن الممكن القول بأذ العلاقة بين الدولة الإسلامية وإقليم أذربيجان في هذه الفترة ولتراد بها الفترة التي تجمع بين السنوات الأخيرة من خلافة عمر بن الخطاب والشهور الأولى من خلافة عثمان بن عفان ، كانت ذات صبغة سياسية خالصة ، إذ لم تسجل المراجع التي بين أيدينا عن المسلمين أنهم قد نظموا حملة معينة أو وضوا خطة خاصة لدعوة أو حمل أكراد أذربيجان على اعتناق الدين الإسلامي .

ليس معنى هذا القول أن المسلمين لم يسبق لهم أن دعوا الأكراد إلى الإسلام ، إذ أنه من المعروف عن القاصحين للمسلمين أنهم كانوا يلزمون بخطوات محددة مع أهالي البلاد المراد فتحها ، خطوات تصاعدية تترتب اللاحقة منها على عدم استجابة أهل البلاد السابقة ، وهذه الخطوات هي : الإسلام الجزية ثم أخيرا السيف - ولكن قد نعني أن العلاقة بين الطرفين في أثناء تلك الفترة قد تجسدت عند الحدود السياسية ، بل وفي داخل الإطار الرسمي منها ، فقد كان المرزبان في كلتا المعاهدتين المشار إليهما سابقا يعتبر نفسه هو الممثل للجمهير الأكراد ، وذلك بوصفه الحاكم الرسمي لأذربيجان .

لنا فيما بعد مبرر تخصيص هذه الطوائف بالتحديد .

ولا شك أن المسلمين في هذا التسامح الديني قد وصلوا إلى المدى الذي لا مندوحة بعده ، وخاصة إذا عرفنا أن الأذريين هم الذين تقضوا الاتفاق الذي سبق أن عقد بينهم وبين الجانب الإسلامي . وهذا التسامح الذي بدا في موقف كل من عتبة بن فرقد وحذيفة بن اليمان إزاء أهل أذربيجان من مجوس ونصارى ويهود هو ممة من السمات الرئيسية التي لازمت حركة انتشار الإسلام بين مختلف الجماعات وفي شتى الأنحاء ، وليس هذا القول بمجرد شهادة من فرقد يمتنع الإسلام ، بل إنه اتفاق التقى حوله الكثير من الدارسين غير المسلمين .

ورغم هذا التسامح الديني وهذه المرونة السياسية قامت في أذربيجان سلامة من الحركات للناوثة للسيادة الإسلامية ، سواء أكان ذلك في العام الأخير من خلافة عمر ابن الخطاب أم في أوائل عهد الخليفة عثمان ابن عفان رضي الله تعالى عنهما وقد استطاعت الدولة الإسلامية أن تتغلب على هذه الحركات للناوثة بحفاظة بذلك على المكاسب السياسية التي حققتها .

الجانب الإسلامى بعلاقته مع أحوال هذا الإقليم إلى مستوى جديد، أساسه الاتصال للبائس بمجاهير الأذريين، والعمل على نشر الدين الإسلامى بينهم .

وبعون الله تعالى سنفتح المقال التالى بالحديث عن هذا المستوى الجديد ومدى التحاح الذى حققه بالنسبة لانتشار الإسلام فى هذا الإقليم من منطقة الرحاب ؟
د. عامر غنيم أبو سبب

وقد قبل الجانب الإسلامى منه هذه الصفة وتعامل معه على أساسها دون القيام بمحاولة لاستطلاع رأى الجماهير ، وهذا هو ما نعتيه بتجمد العلاقة بين الطرفين أثناء تلك الفترة فى داخل الإطار الرسمى للحدود السياسية .

ولكننى فى الوقت نفسه أسارع فأقول :
إن هذا المستوى من العلاقات كان مؤقتا بفترة قصيرة ، وقد أعقب ذلك أن انقل

(بقية المنشور على صفحة ٢٣٢)

فقلوا بماذا ؟ فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية من أول سورة براءة ، ثم بلغهم على لسان الرسول ألا يقرب البيت بعد هذا مشرك ولا يطوف به عربان ، وذلك لأنهم كانوا يطوفون بالبيت فى الجاهلية وهم عربا يصفقون ويصخون . وإلى هذا يعبر القرآن الكريم إذ يقول : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » .
د . على عبد الواحد ورائى

« المضياء » وسمع أبو بكر رضاء الناقة هو بعد ، هرفها وقال : هذا رضاء ناقة رسول الله واتجه إلى مصدر الرضاء حتى التقي بهلى ، فقال له : أمير أم مأمور ، أى هل أرسلك الرسول عليه السلام أميرا على الحج بدلا منى ، أم أنت مأمور بتبليغ رسالة ما ؟ قال : مأمور . فلما كان يوم النحر قام على عند حرة المقبة حيث يلتئم شمل الحجاج كله ، فقال أيها الناس : إني رسول رسول الله إليكم

مَتَا يَدُورُ عَلَى أَلْسِنَةِ الْمُؤَلِّمِينَ بِالْفَصْحَى

لِلرَّاشِدِ أَذْهَابِ شَرِّ أَبِي التَّوَدُّدِ

تقول : أمسكت وسط الجبل ، وكسرت
وسط الرمح ، وجلست في وسط الدار ،
كل أولئك بفتح السين ، ومن ذلك المثل :
يرتضى وسطا ويربض ^(١) حجرة ، والمعنى
يرتضى أوسط المرعى وخياره مادام القوم
في خير ، فإذا أصابهم شر اعتزلهم ويربض
حجرة ، أى ناحية منزلا عنهم ، ومنه
أيضا قول الرازي :

الجدد لله العشى والعمر

ووسط الليل وساعات آخر
وتقول في ساكنة السين : جلست
وسط القوم أى بينهم ، قال ثعلب : وكل
موضع صلح فيه بين فهو وسط بالسكون
وإن لم يصلح فيه بين فهو وسط بالتحريك .

وقال ابن بري : الوسط بالتحريك اسم
لما بين طرفي الشيء وهو منه ، وجاء الوسط
محركا أوسطه على وزان يقتضيه في المعنى
وهو الطرف ، لأن تقيض الشيء يتنزل منزلة
تقديره في كثير من الأوزان ، نحو جوطان
وخبمان ، وطويل وقصير .

[١] الربوض : كالبروك للابل والجنوم الطير .

تدور على ألسنة المؤلمين بالفصحى
من العلماء والمدرسين من أثباتنا موضوعات
ذات بال ، يجب أن يحيطوا بها علما ،
لتزداد معارفهم العلمية ، وتغزو قلوبهم
القوية ، ونصنف أساليبهم الأدبية ويصير
منهم الكتاب البارع ، والخطيب المصقم ^(١)
والشاعر المقلق ^(٢) .

من أجل هذا رأيت أن أمدد بهذه
الموضوعات وأيسر لهم الحصول عليها ،
وذلك بنشرها تباعا في مجلة الأزهر حصن
اللغة العربية ، وملاذ كل من يبتغى أن
يكون من البرزين في هذا الميدان العظيم ،
ويمنى أن أسهل هذا العمل الجليل
بالموضوعين التاليين :

الأول : (وسط بفتح السين وسكونها)
كلمة وسط قد تكون مفتوحة السين ،
وقد تكون ساكنة السين : فإذا فتمت سينها
كانت اسماء ، ودلت على ما بين طرفي الشيء .
وإذا سكنت كانت ظرفا بمعنى بين .

[١] المصقم : البالغ أو من لا يرجع إليه .

[٢] المقلق : من يأتي بالفلق وهو الأمر السبب .

ومما جاء على وزن نظيره قولهم :
 انخصب والجذب ، لأوزانهما العلم والجهل
 فالعلم يحى الناس كما يحييهم انخصب ،
 والجهل يهلكهم كما يهلكهم الجذب ،
 والنفاق في السوق على وزن الكساد ،
 والنفاق في الرجل على وزن الخداع .
 والوسط بالتحريك قد يأتي صفة ،
 وإن كان أصله اسما ، لأن أوسط الشيء
 أفضله وخياره ، فوسط المرحى خير من
 من طرفيه ، ووسط الدابة خير من طرفيها
 لتتمكن الراكب ، ولذا قال الرازي :
 إذا ركبنا فاجعلوا وسطا
 أى كبير لا أطيق العندا (١)
 ومنه الحديث « خيار الأمور أوسطها » .
 فلما كان وسط الشيء أفضله وأعدلها ،
 جاز أن يقع صفة ، وذلك في مثل قوله
 عز وجل : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا »
 أى عدلا .
 وأما الوسط بسكون السين فهو ظرف
 لا اسم ، جاء على وزن نظيره في المعنى
 وهو بين ، نقول : جلست وسط أبنائي
 أى بينهم ، ومنه قول سوار بن للضرب
 [١] التمدد بضم ففتح متعدد : جمع حاد ومو
 الهير يمد عن الطريق ويمد .

إني كأني أرى من لا حياة له
 ولا أمانة وسط الناس هربانا
 وفي الحديث « أرى رسول الله ﷺ
 وسط القوم » أى بينهم .
 ولما كانت بين لا تصلح أن تكون
 بعضا مما يضاف إليها بخلاف الوسط الذى
 هو بعض ما يضاف إليه ، كذلك وسط
 بالسكون لا تكون بعض ما يضاف إليه
 ألا ترى أن وسط الدار منها ، ووسط
 القوم غيرهم ؟
 ومن ذلك قولك : وسط رأسه صلب
 بالفتح لأن وسط الرأس بعضه ، فإذا قلت
 وسط رأسه دهن يسكون السين نصبت
 وسطا على الظرف لأنه ليس بعض الرأس .
 وقال بعضهم : الوسط بالتسكين يقال
 فيها كان منفرد الأجزاء غير متصل كالناس
 والدواب ونحوها ، فإذا كان متصلا
 الأجزاء كالدار والرأس فهو بالفتح ، وكل
 ما يصلح فيه بين فهو بالسكون ،
 وما لا يصلح فيه بين فهو بالفتح .
 مما عرضنا من الأمثلة والنصوص اتضح
 الفرق بينهما من جهة اللفظ ومن جهة
 المعنى : أما من جهة اللفظ فأن وسطا
 بالتسكين لا يكون بعض الشيء الذى

ساكن السين كقولك : جلست في وسط القوم ، وفي وسط رأسه دهن ، والمعنى فيه مع تحركه كمنه مع سكونه .

وقد يستعمل الوسط الذي هو ظرف اسما ويبقى على سكونه كما استعملوا بين اسما (مع أنها ظرف) في قوله تعالى « لقد قطع بينكم » برفع بين على أنها فاعل لتقطع ، قال هدي بن زيد :

وسطه كالبراع ^(١) أو سرج الج
دل ^(٢) حينما يحبو ^(٣) وحينما يلير
والثاني : (التراكيب التي يجتمع فيها
الكور والإثاث) .

إذا اجتمع الكور والإثاث في تركيب أضيف فيه العدد إلى اللمدود ، وحذف فيه أحد النوعين على الآخر ، كان حرك العدد مسابقا منهما ، ماقلا كان المضاف إليه أو غير ماقل .

تقول : لي سعة أبناء وبنات ،
أو لي سبع بنات وأبناء .

[١] البرع : ذباب يطير بالليل كأنه نار ، الواحدة براعة .
[٢] المجدل : يكسر الميم : النصر .
[٣] يحبو : يطير .

يضاف إليه بخلاف وسط المتحرك ، وأما من جهة للمعنى فإن ساكن السين يلزم الظرفية ولا يصح رفعه على أنه فاعل ، ولا نصب على أنه مفعول به ، بخلاف المتحرك أيضا .

فإن قلت : قد ينتصب الوسط المتحرك على الظرفية كما ينتصب ساكن السين ، كما في قولك : جلست وسط الدار ، وكما جاء في الحديث « أنه كان يقف في صلاة الجنائز على المرأة وسطها » فالجواب أن نصب الوسط على الظرف إنما جاء على جهة الاندفاع والخروج عن الأصل على حد ما جاء في مثل قوله : كما عمل ^(١) الطريق الثعلب ، وليس نصب على الظرف على معنى بين كما كان ذلك في وسط ، ألا ترى أن وسطا بالسكون لازم لظرفية ؟ وليس كذلك وسط للمتحرك ، بل السلام له الاسمية في الأكثر .

وإذا دخل على وسط ساكن السين حرف ^(٢) الواء خرج عن الظرفية ، ورجع فيه إلى وسط بالتحريك ، ويكون بمعنى

[١] عمل : تقول : عمل الثعلب أولئك عملا ، وعملا إذا سطر على عدوه وهز رأسه ، والأصل عمل على الطريق .

[٢] حرف الواء : هو في .

واثبتت تسعة كتب ومصحف ،
أو اثمت تسع صحف وكتب .

وهك في كل من التراكيب الأربعة وجهان :
أحدهما : جر كلمة بنات مثلا في التركيب
الأول ، بالمطف على أبناء ، ويكون
لك حينئذ أربعة أبناء ، وثلاث بنات ،
أو أربع بنات وثلاثة أبناء ، وكذلك في
التراكيب الأخرى .

والوجه الآخر . أن ترفع كلمة بنات هطفا
على سبعة ، ويكون لك في هذه الحالة من
الأبناء سبعة ، ومن البنات أى عدد ، على
شرط أن يكون ثلاثا فأكثر ، وكذا كل
عدد احتمال أن يفرده منه جمان ، كالعنة
والنمائية والعشرة .

أما إذا كان للعدد لا يحتمل أن يفرده منه
جمان كالثلاثة والأربعة والخمسة ، فالرفع
لا خير ، عطفا على العدد ، لا على للعدود .

تقول : في خمسة أبناء وبنات برفع
المعطوف ، أو في خمس بنات وأبناء
بالرفع أيضا .

أما العدد للركب للتمييز بذكر ومؤنث
من العقلاء ، فيكون التمييز للمذكر مطلقا
سواء تقدم أو تأخر ، وذلك لتغليب للذكر
على للتؤنث .

تقول : أقارى خمسة عشر رجلا وامرأة
أو خمسة عشر امرأة ورجلا .

فإن لم يكن التمييز للعقلاء كان هذا العدد
للسابق منهما ، بشرط اتصال التمييز بالعدد .
تقول : عندي خمسة عشر كتابا وصحيفة
وعندي خمس عشرة صحيفة وكتابا .
فإن فصل التمييز من العدد بكلمة بين ،
كان العدد للتؤنث فقط .

تقول : عندي خمس عشرة بين كتاب
وصحيفة ، وعندي خمس عشرة بين صحيفة
وكتاب لأن مذكر ما لا يمثل في استعمالهم
كالتؤنث .

وأما العدد للمطوف عليه فكالركب
تماما في كل الأحكام السابقة .

تقول : أقارى خمسة وعشرون رجلا
وامرأة ، أو خمسة وعشرون امرأة ورجلا
بتغليب المذكر لأنه من العقلاء .

وتقول : عندي خمسة وعشرون كتابا
وصحيفة ، أو خمس وعشرون صحيفة وكتابا
أى للسابق منهما .

وتقول : عندي خمس وعشرون بين
كتاب وصحيفة ، أو بين صحيفة وكتاب ،
بتغليب المؤنث ، لفصل بكلمة بين ما

عباسي أبو السعود مصطفى

منه بحوث الدعوة الخامسة لجميع البحوث الإسلامية :

الكلمة والحركة ودورها الأساسي في نهضة المسلمين

للأستاذ إبراهيم الطحاوي

مقدمة :

كانت هذه هي البداية التي تلاها بعد ذلك تحركة لقاء الناس به أفراداً وجماعات يبلغهم دعوته ، هنا وهناك ... تارة في البيوت وأخرى في الأسواق ، وحيناً في مواسم الحج ، وأحياناً مع القبائل في قرأها أو مضارب خيامهم ... وصرة في السر وأخرى في العلن ... يعرض دعوته عليهم ... فيسلكهم ويحدثهم في شأن دين الله ، ولهم في أسلوب حياته وتحركاته نموذج عملي لدعوته وكيانه ...

حتى إذا ما ضاقت أخلاق أهل مكة وما حولها بكلمته وحركته ، وتحجرت القلوب فقتت حتى اشتد الإيذاء عليه وعلى أصحابه وحقت بهم الأخطار من كل جانب ، أذن لأصحابه أولاً في التمركز ، هجرة إلى الحبشة ثم انتهى به الأمر إلى أن هاجر هو شخصياً إلى يثرب داعياً كل مسلم

تحتاج الدعوة - أية دعوة - إلى الكلمة (الحركة) مما لتصل إلى الناس من جهة ولتأخذ بهم إلى أيتها من جهة أخرى فكلتاها بالنسبة للدعوة أحب مائتكم وإن بجناحي الطائر لا غنى له بأحدهما عن الآخر كي يملق في السماء ويطيح في الفضاء .

ومن ثم ، فإذا كان السبيل إلى الدعوة الإسلامية قد بدأ بكلمة : « اقرأ باسم ربك الذي خلق » وكان التكليف بها قد أخذ شكل كلمة أيضاً : « وأنشر عقيدتك الأقربين » فإن ممارستها والقيام بها لم يقف عند مجرد الكلمة وإنما ضم إليها الحركة متمثلة في اعتلاء النبي ﷺ جبل الصفا ثم نداءه على آله من قريش بأسمائهم ، بيتاً بيتاً ... حتى إذا ما تجمعوا حوله كانت كلمته فيهم : (إني رسول الله إليكم) .

بالجزيرة العربية ، وبالحركة قاد الجيوش ، وأرسل البحوث والسرايا شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ، ليدفع عن الإسلام أذى المتربسين به وللتجعين للقضاء عليه .

وبالحركة كان يطبق في المسلم شريعة الإسلام في حياة الناس وأحوالهم : للدية والجناية ، والاجتماعية ، والاقتصادية والسياسية والثقافية ، ويرسل الدعاة إلى الأطراف ليعملوا للناس أمور دينهم ويؤمل الولاة على المواضع والأقاليم ليقوموا بين الناس حكم الإسلام - في عشق دينهم ، كما كان في الحرب يمتشق الحسام ويشارك المسلمين قتال أعداء الله ، حتى إذا ما حى وطيسها ، وأحمرت الحدق لم يكن أحد أقرب إلى العدو منه .

وهكذا ، في مزيج من « الكلمة » و « الحركة » سارت حياة النبي ﷺ وعلى سنته في ذلك استمر خلفاؤه الراشدون يترجمون بالحركة الإيجابية المهادنة كل كلمة قرأوها في كتاب ربهم ، أو تلقوها من نبيهم ، أو استقبلتها منهما على ألسنتهم وأولو الرأي فيهم فأنشروا ذكرهم ، وامتعت حدود دولتهم حتى احتوت مساحة من الأرض لم تسكر منذ كانت حتى الآن .

إلى أن ينهج نهجه ويصنع صنيعه ، تحركا بالدعوة من محيط إلى محيط ، ومن مجال إلى مجال ، ذات كل اللاتل على أن من فيه سيكونون للإسلام ردنا وظهيرا . ومن ثم يتأني للمسلمين في موطنهم الجديد أن يتجمعوا ، اعتمادا لطور آخر من أطوار تبليغ دهرتهم ونشرها .

وهناك في المدينة المنورة تعاونت (الكلمة) مع (الحركة) في نشر الإسلام والتمكين للمسلمين ، فبالكلمة حالف اليهود ليؤمن إقامة للمسلمين فيها ، وبالكلمة آخى بين المهاجرين والأنصار ليجانس بين وحدات الصف . وبالحركة ترصد لتجارة قريش في طريقها من وإلى الشام فكانت غزوة بدر الحاسمة في تاريخ الإسلام .

ثم هو بين هذا وذاك كان يدعو الناس إلى الصلاة ثم يؤمهم فيها ، وإلى الصيام ويشاركهم فيه ، وإلى الزكاة ويكون في عطائه أجود من الريح للرحلة ، وإلى الحج ليحفزهم على امتلاك الفرصة لتمكين من أداء مناسكه .

وبالكلمة دعا ، إلى الإسلام الملوك ، والأكامرة ، والأباطرة وقيماصرة ، وعظماة أقوامهم من الذين تحيط مناطق نفوذهم

فقد اضطرر عقد الدائرة ، ولم يبق لها تماسك . ومن ثم تقناثر أجزاؤها أهلاء في كل جهة ومكان ، نها اليوم والغربان . وفي سبيل ذلك جاءوا بالأمس القريب إلى أرض فلسطين ، قلب البلاد العربية فزدها فيها جرثومة إسرائيل وتمهدوها بالرماية حتى جعلوا منها دولة سنة ١٩٤٨ بمزقين بذلك وحدة البلاد العربية ، ثم بذلوا محاولة لتوسيعها لم تنجح سنة ١٩٥٦ . . وكان لهم فسوق ما يحلمون من ذلك في محاولة أخرى سنة ١٩٦٧ حيث احتلوا القدس ، وأجزاء أخرى غالية من ثلاث دول عربية ، ولا تزال الجولة بين الطرفين لم تصل إلى نهايتها بعد .

إذ خطر إسرائيل ليس كغيره من الأخطار التي تعرضت لها الأمة الإسلامية منذ انحسر مد دولتها وذهبت ربح قوتها لأنه خطر من نوع جديد ، خطر يمثل في سلطان إسرائيل على جميع أسواق للبل في العالم ، وفي سيطرتها على معظم أجهزة الإسلام والتوجيه الفكري في أنحاء الدنيا ، مما مكن لها أن تهيث في الأرض فسادا . . . تحطم اقتصادات ما تنفاه من البلاد ، وتلعب بالثقافة

فقد كانت راية التوحيد . . راية : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، تظل كل للبلاد من جنوب أوروبا وشواطئها على الأطلس غربا حتى أسوار الصين شرقا . ثم خلف من بعدم خلف اكتبوا من « الكلمة » بترديدها ، دون أن يقرنوها يتحرك بترجمها إلى واقع محسوس فذهبت ربحهم ، وضعت قوتهم ، وزالت شوكتهم وزع الله من قلوب مدوم المهابة منهم ، فذلك قوتهم وأصبحت نها لكل ناهب .

حاضر مؤلم :

وها نحن نحس الآن ربح اليقظة تب على المسلمين بمد طول رقاد . غير أنها بقطة تواجه حاضرا لا يمت بسبب إلى دينهم الرشيد ، ولا يتصل بوشيجة إلى ماضيم البعيد . وإنما هو حاضر هبطوا إليه بسبب تقاعسهم عن القيام بواجبهم نصره هذا الدين والناسك به .

إنهم يواجهون الروم طالما تجملت فيه قوى البنى والعدوان لتضرب أبناء الأمة الإسلامية في مركز دائرتها ، وهي البلاد العربية ، أملا في أنه إذا أهار المركز

المؤمنون بنصر الله ، وهذا هو ما يأمرهم به الله حينما لم يكتف في سبيل نفع دعوته بقوله تعالى :

« ادع إلى صيبل ربك بالحكمة وللوعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ^(١) » .
ولا بقوله : « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ^(٢) » . وإنما قرن هذا

أيضاً بالكثير من أمثال قوله تعالى :
« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يرفه إليكم وأنتم لا تظنون ^(٣) » ، وإن جنحوا

للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم ^(٤) » . وقوله : « لا تلوا الذين يلوونكم من الكفار وليجهدا فيكم فخلقة ^(٥) » .
وقوله : « فقاتلوا أولياء الشيطان ^(٦) » .
وقوله : « ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب نفسه ثوبه أجراً عظيماً ^(٧) » .
وأخيراً - وليس آخراً - قوله تعالى :

[١] النحل ١٢٥ . [٢] النكوت ٤٦ .
[٣] الأمل ٦٠ . [٤] الأمل ٦١ .
[٥] التوبة ١٢٢ . [٦] النساء ٧٦ .
[٧] النساء ٧٤ .

الإنسانية بما تصدره أجهزتها المتخصصة من أفكار وبدع تستهدف هدم معنويات القلوب وتقويض مقومات الرجولة عند الشباب . بنشر الفساد في كل مكان ...
تارة باسم التطور ، وأخرى باسم العلم الحديث وطورا باسم الوجودية وآخر باسم الفن .

ألا وإن هذا الخطر ليصرخ في أصفاننا وضائرتنا أن نسرع إلى ميدان « الحركة » الإيجابية تطبيقاً للكلمة الخالصة المبادفة وتنفيذا لها ، بعد أن طال الأمر علينا في نطاق الكلمة الجوفاء وحدها .

تبعات المستقبل المرجو :

على أننا ، في الوقت نفسه ، ننبش في ديار القوة التي تعتمد على « العلم » و « العمل » ومن ثم أصبح لا يكفينا في إسلامنا ، مجرد الحديث عن الصلوة والصيام والتحلل بمكارم الأخلاق ، وإنما يجب أن تحتل « حياتنا » إلى جوار العلم بالعمل الدائب للتواصل ، والجهاد من أجل رفع راية :
« لا إله إلا الله محمد رسول الله » بكل ما توهم له أو تدمر إليه ، حتى تستعيد مكانتها التي كانت لها في صدر الإسلام ، ويومئذ يفرح

« كلمة إسلامية تأخذ بيانها وبرهانها من كتاب
« لا يضل ربي ولا ينسى »^(١) . . . كتاب
« لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه »
تنزيل من حكيم حميد^(٢) » وتأخذ هداها
من حديث سيد المرسلين الذي أدبه ربه
فأحسن تأديبه ، وعلمه ما لم يكن يعلم .

زيدها كلمة تتمثل في الدعوة متمسكة
بتعاليم القرآن ، وأخلاق الإسلام ، وفي
الدعوة إلى وحدة الصف ، وببذ القرفة
والخلافت وأساب الفتن ، فإن ييران
العسوان نغرق أبواب المسلمين ، وكلنا
نواجه اليوم مصيرا واحدا ، يوجب علينا
التجمع تحت راية : « لا إله إلا الله محمد
رسول الله » التي تؤمن بها جميعا ، ونتميز
بهذا الإيمان . . . طارحين وراء ظهورنا
كل ماعداها من عوامل التفرقة والانقسام
فلنتجمع تحت هذه الراية ولنهتف من أممنا
بهتاف واحد ، في مواجهة الدنيا بأسرها
هو : الله أكبر الله أكبر . . . شعار النصر
الذي رده المنتصرون الأولون وسيكون
إن شاء الله شارة انتصار الآخرين .

« وقل اعملوا فميرى الله عملكم ورسوله
والؤمنون وسردون إلى عالم الغيب
والقهادة فينبشكم بما كنتم تعملون »^(٣) .

ومن ثم بالحركة والعمل إلى جوار الكلمة
أمران أساسيان في تقدير الإسلام للنشر
دهونه وتبليغ رسالته ، ولا أدل على قيمة
« العمل » في نظر الإسلام من أن مادة
« العمل » وردت في القرآن الكريم ٢٦٠
مرة وأن مادة « الفعل » وردت فيه ١٠٩
مرات ، مما يعطى أنه لا يمكن نجاح
مجهود في نهضة الأمة الإسلامية يعتمد
على « الكلمة » وحدها ، ويهدل شأن
« الحركة » و « العمل » وبالتالي فلا قيمة
لكلمة بدون حركة تصدقها ، كما لا قيمة
لعمل لم يكن رد فعل لكلمة دفعت إليه ؛
لأن كلمة بلا عمل يترتب عليها إعاقة فكرة
موهودة ، كما أن عملا بلا كلمة تدعو إليه
هو في ذاته قيمة مفقودة .

الكلمة التي نحتاجها :

ومن هنا فنحن في حاجة إلى كلمة إسلامية
نايضة بالحياة ، تكشف أباطيل المخربين
وتضيء الطريق أمام الحائرين ، وما أكرم

[١] طه ٥٢ .

[٢] صافات ٤٧ .

[٣] النوبة ١٠٥ .

ومن ثم فنحن في حاجة إلى (كلمة) بلور هيدتنا ، وتوحد بين أفكار المسلمين ، وتجمعهم على كلمة واحدة ، فإلههم واحد ، وكتابهم واحد ، ورسولهم واحد ، ومصيرهم اليوم يهدده خطر واحد .

كما أننا في حاجة إلى (كلمة) تصحح أفكار المسلمين ، وتدفع بالاجتهاد ليؤدي من جديد دوره في بيان أحكام الله في قضايا العصر ومفكلاته من طريق تحرر واسع ، ومخلص ومالم بين سطور كتاب الله وحديث رسول الله ليوضح لنا : كيف بنى مجتمعا يفقر روح الإسلام وسر تمالجه ، ويتجاوب مع كتاب الله في كل ما يدهو إليه « حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله » (١) .

ومن ثم نستحق ما وصف الله به للمسلمين بقوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » (٢) .

زريدها كلمة تسندها البراهين والأدلة لتبديد بنورها ظلام الآخرين ، وتحمي جبالهم ، وتقضي على فلسفات عديدة ظهرت ... وضعتها عقول مدسرة ،

[١] البقرة ١٩٣ .

[٢] آل عمران ١١٠ .

وكل ذلك نحت شعار ادعاء البحث عن السلام ، بينما هو في حقيقته يستهدف تحقيق حلم عبرت عنه « روتوكولات » صهيونية ، وهو تدمير القيم الدينية وتخريب الأوطان بالقضاء على الأوجوة والنخوة في الشباب حتى لا يبقى على وجه الأرض همب مناسب لإغصب الصهيونية ولا يبقى على ظهرها إلا دين الصهيونية ، ومن ثم يتحقق ما يزعمه اليهود من أنهم همب الله المختار « كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا » (٣) .

وهذا يوجب على الفكر الإسلامي : الفهمي والزمعي أن يبحث ويدرس من جديد ليقدّم للمسلمين (كلمة التشريع الإسلامي) ، (وكلمة العلم الإسلامي) التي يسد حاجات العصر ، يحل مشاكل الناس فيه ، ويرسم الصورة الصادقة عن المجتمع الإسلامي الصحيح ، والصورة

[٣] الكهف ٥٠ .

ثم ماذا يكون حالنا لو توصل السادة الآخرون إلى أن ملكوا من أسباب القوة والسلوم ما يحركون به الأشياء بأجهزة علمية ؟

وهل إذا وصل السادة الآخرون إلى هذا الوضع فن ياترى سيكونون الصيغ ؟ لاشك أنهم سيكونون نحن ، أبناء الشعوب الإسلامية ، إن لم يبادر إلى تجميع كل طاقاتنا العلمية ، وكل إمكانياتنا في مجالات البحث والتقدم العلمي ، حتى نواجه الخطر المقبل قبل غوات الأوف ، وحتى نأخذ مكاننا على الطريق بين قادة الحياة الصاعدة .

فلنكن لنا بداية انطلاق محو رسم المنهج العمل الذى أسير عليه وبمبادرة أخرى أسلوب « الكلمة » و « الحركة » لتخطى أسباب تخلفنا ونجتاز معوقات تقدمنا ونستأنف على درب الحضارة مسيرتنا ، ونأخذ في ركب للديّة الرهيبة ، مكاننا كى نقود البشرية من جديد إلى خيرها وازدهارها كما كنا بالأمس البعيد نفترق بين الناس المدالة والأمس ، وشيع وفلجهم الطمأنينة والسكينة ونحقق لهم السعادة التى توفرها عليها راية الإسلام .

الحقيقة للعبارة من الفرد المسلم الذى يبعث أيامه غير منمزل عن الحياة ، متخلف من سيرتها .. ومن ثم تتلوها حركة إيجابية للبحث الإسلامى من جديد .

وحتى تكون هذه الحركة مجدية لا بد أن تكون كلها معتمدة على العلم والمعرفة فى أساليبها لتناسب عقلية وعلم العصر الذى نعيشه ، عقلية وعلم الصواريخ والوصول إلى القمر وامتلاك ناصية الفضاء ، ذلك أن أمثنا الإسلامية قد تخلفت فى ميادين العلم لدرجة جنت على أمنها ، وكرامتها وسيادتها واستقلال بلادها .

ولاندرى مدى آثار العقل عند الآخرين على الإنتاج ومختلف جوانب الحياة الإنسانية مما يشير فى أنفسنا التساؤل من مدى ما سيصير لدى الآخرين من قوى وطاقات علمية ومادية نتيجة لما وصلوا إليه من علم ومعرفة ، وما سيحدثه كل هذا فى تقدمهم الإنتاجى مموما ، والاقتصادى خصوصا ؟ وما سيحدثه من انقلابات وتباورات فى أساليب الصناعة ، والزراعة ، والتجارة ، والطب ، والفنون ، والآداب ، والعلوم الاجتماعية ؟ مهل سألنا أنفسنا عن المسافة الواسعة التى ستفصلنا عن غيرنا حينئذ ؟

تحديد المسئولية :

لا شك أن التهور بهذا الصبء بلفة العصر الذي نعيش فيه - يقتضى منا تحديد الهدف وتوحيد الاستراتيجية من أجله ووضع التنظيم الذى يوصل إلى تحقيقه ، غير أن المسئولية فى هذا ليست قاصرة على الحكومات الإسلامية وحدها أو الشعوب الإسلامية وحدها ، وإنما هى موزعة بينهما كل بحسب وظيفته وإمكاناته .

١ - مسئولية الحكومات الإسلامية :

فعل الحكومات الإسلامية أن تمد العدة ، وتجهز أبناء المسلمين لخدمة معركة المعير ، وتضع الخطط التى تكفل سلامة الجبهة الداخلية والخارجية للأمة الإسلامية التى يحيط بها الأعداء من كل جانب ، كما عليها أن تلتصق فيما بينها خططها السياسية والعسكرية ، والاقتصادية والإعلامية والثقافية ، حتى تأمن شر الحاجة إلى غيرها والتخلف عن سواها ، والعدوان الذى يبدو واضحاً أنه يستهدف القضاء على دينها وتعويق وحدتها ليسهل عليه أن يلتهمها ، واحدة بعد أخرى .

ومن البداهات المعروفة لكل إنسان أن أمتنا الإسلامية غنية بمواردها ، غنية

بمخاماتها . . غنية بأبنائها ، وأن أعداءها يسلونها ثروتها ويسيطرون على مقدراتها ويدمرون عضول بنينا بما يقدمونه لهم من أفكار معينة أو ثقافات تدهسهم للانحلال ، ونزق الصف ، وتشر روح اليأس كما أنه من اللغات التى جدال فيها أنه ظالما تجمع للسلمون وكانوا أولياء بعض ، فإن النصر يكون حتما ، إلى جانبهم ، مما يعنى أنه ليس للمسلم إلا السلم . وهذا يضع على عاتق الحكومات الإسلامية واجبا هو أن تسهم فى كل ما يؤدى إلى التماطف والوحدة دون تعريض أو إهمال سواء فى ذلك ما كان على المستوى الرسمى أو الصعيد الشعبى .

٢ - مسئولية الشعوب الإسلامية :

تلك هى بعض واجبات الحكومات الإسلامية فى معركة المعير والإعداد لها ابتغاء كسبها . أما الشعوب الإسلامية فإنها لا تقل فى هذا المجال مسئولية ، فإن النبى ﷺ قد وضع الجميع أمام مسئولية عامة خطيرة حينما قال « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » مما يضع الشعوب الإسلامية أفراداً أو جماعات أمام واجبات كبيرة وخطيرة لإزاء نهضة الأمة الإسلامية من كونها .

٣ - أمتة الحركة إيجابية تتعاون

فيها الحكومات والقوب :

وإذ قد أشرنا إلى نوع « الكلمة » التي نحتاجها ، فإننا نقدم هنا أمتة من الحركة التي نريدها :

(١) في مجال الشباب :

فلنعمل على إيجاد تنظيم عالمي ، يضم شباب المسلمين في كل مكان بمثل في الهيئات والجمعيات الإسلامية ، وليأخذ هذا التنظيم اسم : « الاتحاد العالمي للشباب المسلم » :

وليكن طريقنا إلى إيجاد هذا التنظيم أسيرين :

الأول : أن نضع له دستوراً يكفل حمايته من الضياع والتغيرات القوضوية واللا إنسانية التي يبتدعها بين حين وآخر أعداء الله وأعداء الدين . ولن يتوافر هذا الدستور إلا إذا استمدأسه وأهدافه من كتاب هبنا القى فيه خبر ما قبلنا ، وحكم ما بيننا ، ولباً ما بعدنا « ما فرطنا في الكتاب من شيء » ، « وأن هذا صراطي مستقيماً تتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن حبله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » (١) .

[٩] الأنعام ١٥٣

الثاني : هو إنعاش للراكنة الثقافية لنشر الفكر الإسلامي ونشر المثلث الإسلامي في كل بلد - مع إقامة منظمة عالمية لنشر والإعلام ، على ما سيأتي بيانه - لتوجيه فكر الشباب المسلم إلى مثل دينه والاعتصام بها ، ومن ثم يكون هدفاً للشباب البشرية كلها .

ولتجشع فروع هذا التنظيم ، دورياً ، في صورة مؤتمر عالمي إسلامي لرواد الشباب ، وقادة الجماعات والهيئات الإسلامية وأساتذة الشباب من علماء ومفكرين للأغراض الآتية :

١ - أن يتعارفوا فيما بينهم تعارف الأخوة ، في ظل من روح الإسلام ومثله وما تهدف إليه .

٢ - تبادل الرأي حول مشاكل الشباب المسلم ، آمالاً ، وآلاماً ، وشواغل ، ونظائماً ومن ثم تأمل في تكوين عقيدة ومبدأ وهدف أقرب ما يكون إلى الوحدة في أفكار الشباب المسلم ، القى هو أمل المسلمين في « حركة » اليوم ، ومجد الغد .

٣ - دراسة مشاكل الأمة الاقتصادية والاجتماعية، والسياسية ، والسكرية بميدة من الخلافات للذهبية ، أو الاختلافات

وقلوبهم بما يأخذ بأيديهم نحو طريق الرشاد .

وبالتالى تقدم للإنسانية خير دواء لما تعانيه من أمراض الحضارة الغربية وأدواتها .

ولكن يفتتح المجال ، قسيطا ، أمام علماء المسلمين ومفكرهم لأداء هذا الدور للطلاب منهم لا بد من إنشاء دار علمية إسلامية لفكر ، والثقافة ، والإسلام ، تقوم على أساس مدروس ، لتحقيق هدف واضح ، فى ظل خطة سليمة .

ولكن طريقنا إلى هذا دعوة القوم الإسلامية إلى المساهمة والمشاركة فى إقامة هذه الدار لتقدم للمسلمين ، فى مرحلتها الأولى ، صحافة علمية إسلامية ، وكتبا علميا إسلاميا بجميع لغات المسلمين ، وتكون جامعة شعبية إسلامية علمية تلتقى فيها أفكار القسداى مع أفكار المحدثين من علماء المسلمين وخبرائهم ، فينتج من هذا اللقاء فكر ناضج سليم ، يستجيب لتطلعات العصر الذى نعيشه ، ويتمنى مع عقلية ، وبهذا يتحقق لنا الجناح الأول من جناحى العمل الكامل هو « الكلمة » الصادقة الحرة ، المؤمنة ،

السياسية . من طريق لجان متخصصة مشتركة تدرس مشاكل التخلف ، وأسبابه وقومى بما يحقق التغلب عليه .

٤ - وضع دليل لخبراء المسلمين - على اختلاف تخصصاتهم - فى جميع بلاد العالم ، ليكون تحت نظر جميع الدول الإسلامية عند القيام بعشروعاتها الإنمائية فنستغنى عن الحاجة إلى الأجاب فى هذا المضمار ونحفظ أسرار بلادنا ، ونضمن تداولها بين أيد مغلقة مع الاطمئنان إلى خبرات علماء إخوة ، بهمهم تحقيق هدف واحد مفترق بين جميع المسلمين ، هو مجد وعزة الأمة الإسلامية .

(ب) فى مجال الثقافة والفكر والإسلام:

وهذه ناحية لها أهميتها وخطورتها البالغة ، لملء الفراغ الذى أحدثه أعداء الإسلام وأنشدة شباب الإسلام وأدمنهم من ناحية كل ما هو إسلامى ، حتى وصلوا إلى مرحلة من الضياع الفكري والروحي وأسبعوا نهبا لكل فكر غريب أو مبدأ هدام . ومن ثم كانت حاجتنا ضرورية لإقامة منظمات فكرية ، وثقافية ، وإعلامية علمية إسلامية ، تقع بتوجيهها السليم على أرجاء أمتنا فتغذى عقول ناشئتنا

بتمثل في ميدان المال وهو - كما يقولون -
عصب الحياة، ومن ثم فهو من أخطر أسلحة
النصر وأهمها، ونحن معيش اليوم بين
أرجاء عالم تتكاثر فيه دوله وشعوبه لتحصى
نفسها من الفقر والجوع، الذى يهدد
معظم الجماعات البشرية، فأخذت تبحث
في اقتصادياتها، ومواردها، وإمكانياتها
للتغلب، كلها بأقصى طاقة من أجل
حياة أفضل، ثم شرعت تلتقى فيما بينها،
الخطط والمفردات حامية لاقتصادياتها
من جهة ورفع المستوى معيشة شعوبها من
جهة أخرى .. بالعلم، والعراصة، والمعمل
الجاد المنظم الثمر، فسمعتنا عن السوق
الأوربية، كما سمعنا من غيرها من الأحلاف
 والمعاهدات المتعددة ... فأين الأمة
الإسلامية من كل هذا النشاط، ولها من
تراثها الاقتصادى، نظريا وتطبيقيا، ومن
إمكانياتها المادية والمعنوية، ومواردها
الطبيعية، ما يكفل لها من الحياة أفضلها
وأطهرها وأنجحها؟

إن هذا يحتم على أبناء هذه الأمة، في
كل مكان، أن يتنادوا للعمل على أن
يكونوا ضمن ركب التقدم الاقتصادى،
والحضارة، قبل فوات الأوان.. وليكن

الواحية التى تدفع إلى « الحركة » الحية
البصيرة الناجمة بإذن الله .

حتى إذا ما نمت هذه القار واعتد
هودها، أمكنها أن تتوسع في أداء مهمتها
بصورها الأخرى بما في ذلك الإذاعة
المسموعة والرئية، وحينئذ يتأتى لعلائنا
ومفكرينا وخبرائنا، أن يجدوا مجاهم
على الصعيد العالمى، وللمعلومات ومهارتهم
أن تتخطى الحدود، مندفعة إلى المشاركة
في كل ميادين النشاط الإنسانى للمسلمين،
بل ولنير المسلمين، وبذلك تكون قد
فتحت أبوابا كثيرة من العلم والخبرة
لأبنائنا بعد أن أربنا حصيلتهما في كل
مجال من مجالاتهما، ولجربنا بناييمها لينهل
منها كل إنسان، كما يكون، في الوقت
نفسه، قد حملنا دكلة « القرآن لكل
الشعوب »، لتستلهمه حمل مشاكلها،
وتستضىء به في كل مسائلها، وتستعيض
به مما تعانيه من جدب ووحى، دفع بها
إلى متاهات الصياح، وأتاح للصيرورية
أن تلعب بأفكار فيها وتذهب بمقولهم
ومبولهم كل مذهب تراء .

(ج) في مجال التنمية الاقتصادية :

وهناك جانب آخر من جوانب (الحركة)

كبير فيما تدفعه هذه القول لو أنها اعتمدت في تمويل مشروعاتها الإغائية على الاقتراض من البنوك العالمية الحالية ، باعتبار أن للنظمة لاقتراحه متقدم قروضها في ظل من شريعة الإسلام وتعاليمه ، ومن ثم فهي متزعة من إثم الربا ، ورجس الفائدة .

ولتأخذ هذه للنظمة اسم : « البنك المالى الإسلامى للتنمية » ، حيث يختار مقره للركرى في بلد يتفق عليه للمساهمون يساعد إنشاؤه فيه على تحقيق الغرض منه وحينئذ يمكنه - بفضل أخلاق الماملين فيه نتيجة لإيمانهم بالقضية الكبرى والهدف العظيم - أن يحقق أرباحا وفيرة يستفاد بها في تحقيق أهداف كثيرة وكيرة ، وهى في منتهى الضرورة للأمة الإسلامية على أن وفرة هذه الأرباح لن ترجع إلى التعامل بالربا كما هو شأن البنوك الحالية ، وإفا عن طريق وفرة النشاط ، وتعدد ميادين العمل ، ومن ثم يقدم خيرا كثيرا للمساهمين وللودعين ، وبالتالي يجتذب أموال الأغنياء من أبناء الأمة الإسلامية الذين سيضعهم على إبداعها فيه ما سيصلون عليه من ربح مجز ، ونظيف ، فصلاصا في ذلك من خدمة أدوها لدينهم ، وإخوانهم

طريقهم إلى هذا اجتماع مالى إسلامى يدمى إليه جميع اقتصادى المسلمين ليتدارسوا أوضاعنا الاقتصادية ويرسموا الطريق لمساعدة جميع الشعوب الإسلامية وحكوماتها في إقامة صروح اقتصادية إسلامية تسند اقتصاديات البلاد الإسلامية وتمين دولها النامية على تحقيق برامج التقدم والرفاهية لأبنائها بنجاح ، باعتبار ذلك خطوة أساسية على طريق الحرية والقوة ، والمنعة ، والعزة .

ويمكننا في هذا الصدد ، أن نبدأ بإلغاء منظمة اقتصادية عالمية إسلامية في تكوينها فكريا وتطبيقا . . يسام في الإعداد لإنشائها كل علماء المسلمين وخبرائهم بأفكارهم وآرائهم ، ومهاراتهم كما يسام فيها ماديا كل فرد مسلم أو حكومة إسلامية . . كل بما يستطيع تقديمه من مال ويكون الغرض الأول من إنشائها خدمة أهداف التنمية ومشروعاتها في الدول الإسلامية ، حتى تضمن لهذه المشروعات مالا نظيفا ، وخبرة صادقة ، ورغبة مؤمنة في تقديم الخير - كل الخير - لأبناء أمتنا الإسلامية ، كما تضمن لها سلامة أسرارها وأمنها ، بالإضافة إلى تحقيق وفر مادي

تدرس واسطة مندوبيها ووكلائها الأسواق العالمية في كل مكان من الدنيا ومدى احتياجاتها من كل أنواع إلتاجنا والظروف الملائمة لتصديرها ، وأسباب رواجها ونجد بذلك كله شركات الإنتاج الإسلامية متعاونة معها في مواجهة للنافسة العالمية الشديدة .

(ج) تأسيس مراكز أبحاث مالية ، خاصة بالاقتصاد الإسلامي ، يكون لها من الإمكانيات ما قد لا يتوافر أو يقتصر لدولة إسلامية بمفردها .

(د) تخصيص نسبة مئوية محددة من صافي ربحه السنوي لخدمة للبدان الإنسانية والثقافي والاجتماعي لنشاط الاتحاد العالمي للشباب المسلم حتى يستطيع أن يبنى المراكز الثقافية والإسلامية والمدارس التعليمية لأبناء المسلمين والمساجد التي يحتاجها المسلمون في كل البلاد التي تعيش على أرضها أقليات إسلامية هي في أشد الحاجة للرعاية والعناية ... فلنا اليسوم إخوة مسلمون في أفريقيا وآسيا وأمريكا الشمالية والجنوبية وأوروبا ، كلهم يطالبون بمدارس لتعليم اللغة العربية وتعليم الدين الإسلامي ويطالبون بمساجد يقيمون فيها شعائر

في الإسلام ، وتيسير التمويل للشروعات الإيمانية اللازمة لتعضتهم ، ذلك أن هذا البنك بهد قيامه سيتولى :

(١) إنشاء فروع له في كل بلد إسلامي تسكون في خدمة أعمال التنمية والتجارة .

(٢) إنشاء شركات مالية تحقق أهدافه

وتيسر أعماله ، وتعود في الوقت نفسه بإخير على كل بلاد للمسلمين ، ومن ذلك :

(أ) تأسيس شركات للملاحة ، والنقل

البري والبحري والجوي ، تضمن سلامة

بضائعنا المصدرة إلى الخارج من التلف

والتدمير بدلا من أن نظل - كما هي الآن -

نحت رحمة أعدائنا .. ينقلونها بوسائلهم

متممدين إلتافها ، أو على الأقل تعريضها

لثلف حتى تقفل أبواب الأسواق العالمية

في وجهها ، فكثيراً ما حدث أن أساءت

شركات النقل والملاحة العالمية إلى صادرائنا

عن طريق إيصالها لمشتريها تافه أو متأخرة

عن مواعيدها ، مما تسبب في كثير

من الأحوال في عدم تكرار طلبها من

بلادنا مرة أخرى ... وكل ذلك إفساحا

للتجارة غير الإسلامية أن تظل لها السيطرة

ويدوم لها الرواج .

(ب) تأسيس شركات لتجارة العالمية

الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقت في لمس بعض جوانبها ، كقوس تعاوني ، في اتجاهه على كل ما يحقق النهضة والحريّة والعزة ، لأمتنا الإسلامية ، حتى نكون قد قمنا بعمل صالح ، تعاونت فيه (السلطة) و(الحركة) معا على تحقيق الهدف المشترك. ألا وإن الفكر الإسلامي فيه منسج لتحقيق السعادة لا لأبناء المسلمين حسب ولكن البشرية كلها ، في تعاليم الإسلام ما يضيء ظلام الحياة ، ويهدي الحائرين فيها ، ويحل عقد مشاكلها ويحقق الأمن والرفاهية للأجيال القادمة كلها ، لأن قرآن الإسلام إنما نزل للناس كافة ، هدى ورحمة « كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور يا من ربههم إلى صراط العزيز الحميد » (١) « يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا ، فأما الذين آمنوا بالله ، واعتصموا به ، سيصلهم فرجة منه وفصل ويهديهم إليه صراطا مستقيما » (٢). وإني لأسأل الله جلّت قدرته أن يقيض لأمتنا الإسلامية رجالا يؤمنون بالله وباليوم الآخر . يثقون في الله ولا يخافون

الإسلام . ولا شك أن الاعتماد على جمع التبرعات بين حين وآخر أمر غير جاد وغير محلي بينما لو خصصنا نسبة محددة من مائد مشروعاتها الاقتصادية لخدمة هذا الغرض الإسلامي النبيل . فإنتا فضمن موردا مستمرا من المال يخدم المسلمين في كل مكان وهو بالتالي من طريق نشر هدى القرآن وثقافة الإسلام سيكون قد أدى خدمة كبيرة للأمة الإنسانية بما ينشره على الناس من معارف وعلوم فيها حل مشاكل الناس الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، فكتابنا كتاب كل زمان ومكان ، وفيه الحكمة وبين سلطوره تضيء الحقيقة التي يبحث عنها الجميع .

هذا ، وإني لأؤمن كل الإيمان أنه يوم أن نشر على الناس أضواء القرآن ويوم أن نفهم الناس من جديد آيات الرحمن فإننا سنكون على بداية نصر من الله وفتح قريب سيعقبه حتما ، دخول الناس أفواجا في دين الله من عقل وإيمان ، فديننا دين العقل والعلم . دين المنطق والبرهان ، وفيه كل ما يبحث عنه الإنسان .

أيها السادة - أيها الإخوة :

هذه أمثلة لخطوات على الطريق أرجو

[١] ١ إبراهيم .

[٢] ٢ ١٧٤ + ١٧٥ النساء .

لومة لانهم . يتقدمون ليقفوا معا على الطريق ويبدأوا باسم الله الرحمن الرحيم ، ويتجمعوا ليقفوا معا معركة الجند . معركة (الكلمة) و (الحركة) وحيثما سيتم العمل الكامل ، وسيكون النصر بإذن الله وستكون قد اقتربت الساعة . ساعة الخلاص من أعدائنا وساعة النصر لرايات أمتنا لتعلو مرة ثانية فوق أراضي المسلمين في حزة وإباء .

ويومئذ سنلتقي معا لنؤدي صلاة العيد - عيد النصر - عيد العزة - عيد الكرامة ، بل عيد الرجولة في ساحة المسجد الأقصى .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
والله أكبر ، الله أكبر
والعزة لله ، ولرسوله ، وللمؤمنين
إبراهيم المحمدي

عندما تكون الأغاني بديلا عن القرآن

يقول المؤرخون : إن أمراء الأسيان كانوا يترصدون بالدولة الإسلامية في الأندلس ويرصدون تحركاتها لقضاء عليها . ومن أجل هذا الهدف كان هؤلاء الأمراء يبحثون هبونهم في أوساط المسلمين ، ليروا : هل الفرصة متاحة أم لا ؟ وفي بعض الفترات كانت تقارير هؤلاء الميون تقول :

إن من يمر في المدن الأندلسية قبيل الفجر يسمع في كل بيت قراءة القرآن ، وأصوات الناس تدوي به كدوى النحل ، وسجود المساجد مامرة بالمصلين ، وسيرى كل المسلمين وكأنهم جند الله حقيقة يمشون به وله من أجل أن تكون كلمته هي العليا .

ومضت فترة وجاءت فسترة نمكنت فيها عوامل الترف ، وصنع القصاد الخلق بالمسلمين ما سئم ، وقالت تقارير هبون أمراء الأسيان عن المسلمين : إنهم يسهرون حتى الفجر يمزفون على المعازف ويحسون الأغاني ويطرون ويرقصون .

لقد تركوا قراءة القرآن وتخلوا عن صلاة الجماعة ، وتمحلت أمنهم إلى أُمم متعددة . وكانت هذه هي الفرصة المتاحة ، وضاعت دولة المسلمين في الأندلس وكان سقوطها منطقيا في حكم التاريخ .

(الأخبار ٢٤ / ٤ / ١٩٧٠)

ابن الهيثم ..

عالم سبق هذا القرن بعشرة قرون

للاستاذ حسن عبد ربه حسن

احتفلت دولة الباكستان الإسلامية في شهر نوفمبر ١٩٦٩ بممرور ألف عام على مولد العالم العربي الكبير ابن الهيثم . ذلك العالم الذي وصفه مؤرخو الغرب بأنه رجل طاش في القرن العاشر بمقلية رجاله القرن العشرين ويلقبونه «أبو علم البصريات» ويقول عنه الدكتور محمد رضا مدور : « إذا أردنا أن نقارن ابن الهيثم بعلماء عصرنا الحاضر فلن أكون مغالياً إذا اعتبرنا الحسن بن الهيثم في مرتبة العلامة أينشتاين في عصرنا هذا » .

وكتب الهند وفارس في العدد والملك ، إلى اللغة العربية . ومنذ الصغر أحب ابن الهيثم العلم وانكب على القراءة ولم يترك كتاباً وقع تحت يده دون قراءة ، ولكنه لم يكن يكتفى بالقراءة بل كان يلخص ما يقرأ ويملق عليه ويضع ملاحظاته وآرائه . بلغت تصانيفه في الفلسفة والطبيعة أكثر من أربعين كتاباً ، وفي الرياضيات ، والعلوم حوالي خمسة وعشرين كتاباً وكتاباً واحداً في الطب .

والغريب أن هذا المجهود الفائق في التحصيل كان يتعمده جسم ضئيل ، صاحبه قصير القامة إلا أنه كان يتقصد بالذكاء وكثرة العمل ويتصف بالزهد ومحو النفس .

واشتهر ابن الهيثم بزيارة إنتاجه العلمي وأطبقت شهرته آفاق العالم الإسلامي في ذلك الوقت ، اشتهر كعالم في الرياضة وكهندس له آراء مبتكرة في فنون الهندسة .

من هو ؟ هو الحسن أبو علي بن الحسن ابن الهيثم يميل أغلب من تعرضوا لحياته بالدراسة إلى القول بأنه ولد بالبصرة عام ٣٥٤ هجرية (٩٦٥ ميلادية) . ويعتبر هذا القرن الذي ولد فيه ابن الهيثم مرحلة الانتقال بالحضارة العربية إلى عصر الازدهار بعد أن آتم للغرب نقل الكثير من كتب الإغريق في الفلسفة والطبيعة والهندسة

النحو وذلك لكثرة العلماء الوافدين إلى القاهرة من جميع أنحاء العالم الإسلامي . وكان الخاكم بأمر الله يميل إلى العلم وإلى تشجيع العلماء ودهوتهم للحضور إلى قصر دولته ، وكانوا إذا حضروا أغدق عليهم من كل أمانة .

وقد بلغه عن ابن الهيثم وهو بالقيام أنه قال : لو كنت بمصر لعملت في بلها عملاً يحصل به النفع في كل حالة من حالاته من زيادة ونقص ، فقد بلغني أنه ينحدر من موضع عال وهو في طرف الإقليم المصري ، فأرسل إليه الأموال والهدايا ودعاه للحضور إلى مصر . ويقال أنه خرج لاستقباله خارج أسوار القاهرة مما يدل على الدرجة التي كان يحظى بها هذا العالم الجليل في أرجاء العالم الإسلامي .

وبعد فترة طالبه الخاكم بما قاله من النبيل . فما كان من ابن الهيثم إلا أن سار مع البيل جنوباً مع جماعة كبيرة من الصناع المحترفين لأعمال البناء حتى وصل إلى أسوارها ومنها إلى بداية الشلالات (الجنادل) ولما ماين المكان رأى أن أفكاره النظرية لا يمكن أن تطلق . وعاد إلى القاهرة واعترف بخله في تحقيق أفكاره .

وكان من نتيجة حركة الازدهار التي بدأ مجتمع البصرة يدخل فيها بعد أن مر بمرحلة التحول أن حدثت اصطدامات أدت إلى تصدع جدران المجتمع حيث كان المجال مفتوحاً لكل هذا الصراع بين الجديد والقديم بالإضافة إلى مجموعة من التقاليد والأنماط الجديدة للوافدة مع العناصر التركية والإيرانية الوافدة على المجتمع .

وكان أن ترك عدد من علماء البصرة موطن آبائهم إلى أنحاء متفرقة من الأرض الإسلامية الرحبة هرباً من هذا الصراع الذي ربما أحسوا أنه سوف يقضى على ملكاتهم الفكرية ، وكان منهم الفارابي وابن الهيثم حيث توجهوا إلى الشام . وطاش طاشنا العظيم عند أمير من أمراء الفاطميين أجرى عليه هذا الأمير أموالاً كثيرة .

ولكن من الواضح أنه لم يجد في مجتمع الشام ما يفره بالبقاء فأتى تلقى دعوة الخاكم بأمر الله حاكم مصر في هذا الوقت للحضور إلى القاهرة حتى لبي الدعوة .

ولهذه الدعوة قصة .. من الأمور المثيرة عليها أن المصراعاطمي يعدم من أزهى المصور في مصر الإسلامية من الوجهة العلمية فلقد بلغت فيه الحياة العلمية درجة عظيمة من

الصراع طويلا ولم يكن أمامه من مخرج إلا أن يتظاهر بالجنون . وكان له ما أراد ، ولما علم الحاكم بأمره هذه من منصبه وصادر أموره وأمر بحبسه في منزله . وقد ظل ابن الهيثم على ما تظاهر به حتى توفى الحاكم فمناه إلى الحياة الطبيعية ومارس البحث والقراءة والتأليف .

وتعتبر هذه الفترة من أصعب فترات حياته حيث أنه كان يعمل بنسخ الكتب ليعبد قوت بومه وكان الناس والعلماء يتنافسون على اقتناء الكتب التي ينسخها . وفي هذه الفترة أنجز ابن الهيثم كتابه « المناظر » وهو الكتاب التي ضم نظرياته في علم البصريات التي تعتبر أساس التقدم العلمي في القرن العشرين .

وظلت الأمور كما هي عليه مع ابن الهيثم فاض في الفقر إلى أن مات عام ٤٣٠ هجرية (١٠٣٩ ميلادية) عن أربعة وسبعين عاما ولم يترك وراءه مالا بقل حتى لم يشيد له ضريح ولذا لم يعرف أحد قبره حتى اليوم إلا أن أبحاثه العلمية وكتبه التي درسها طلبة الجامعات الأوروبية في عصر النهضة خير ما نعتز به وخير ما يخلد هذا العالم العربي الإسلامي العظيم - رحمه الله - رحمه الله

وإذا كانت الحاكم بأمر الله قد أثر في نفسه هذا الفعل ولكنه لم يظهره وإذا كان بعض المؤرخين يرون في هذا الموقف نقطة ضعف في حياة هذا العالم الجليل إلا أننا نرى أنه موقف يتكرر في كل ركن من أركان المعمورة ، فهناك كثير من العلماء تشغلهم بعض الأفكار المتطورة ولكنهم عندما يدرسون المشروع على الطبيعة يجدون بعض المعوقات أو العقبات التي تحول دون التنفيذ .

يضاف إلى ذلك أنه كان يملك قدراً عظيماً من العزيمة جملة يعتذر لرأس الدولة وهو أمر قل أن يحدث في أيامنا هذه وكان يمكن أن يركب الفرور ويكذب على الحاكم الذي دعاه وأرسل إليه الأموال والهدايا وينفذ المشروع ولن يجده من يعترض عليه ثم يغامر البلاد حتى يحقق الغرض ولا يهمه بعد ذلك إلى أي مدى سوف يصل الشوفان .. ولكنه لم يفعل . وتظاهر الحاكم بقبول الاعتذار وولاه مناصباً من مناصب الدولة فقبه ابن الهيثم وهو غير راغب فيه خوفاً من بطش الحاكم لأن حياة الدواوين لا تتفق وحياة البحث العلمي التي عشقها . ولكنه لم يصمد في هذا

من أضاير لجنة الفتوى

تقديم الأستاذ محمد أبو شادي

النبيد حينا يمين دواء

السؤال من السيد / أحمد حسين مغنم
مرريض وصف له الطبيب دواء يشتمل
على ببيد (مسكر) فما حكم تناوله ؟

الجواب :

إذا كان الطبيب يصف له دواء بديلا من
الاستئصال منه ويكون خاليا من النبيد
فلا يجوز استعمال هذا الدواء المختل على
النبيد . وإذا تعين هذا الدواء بشرط أن
يكون الخبز بذلك طيبيا مسلما مادلا
فلا مانع منه والله تعالى أعلم ؟

حكم تناول المحرم من المأكولات

السؤال من السيد / محمود حافظ

لي ابن يتلقى العلم في أمريكا ويشكو
من أنه علم أن الخبز يضاف إليه (دهن
خنزير) وأن هذه الإضافة شائعة
في مأكولات أخرى - حتى أصبح يشك
في مأكولات مكتوب عليها دهن ولو لم
يذكر أنه دهن خنزير .

وقد بحث عن خنزير بديل له بزيت
أخرى فلم يجد - فما حكم الشرع بالنسبة
لهذا الموضوع ؟

الجواب :

إذا علم أو غلب على ظنه أن الطعام الذي
يقدم إليه مضاف له دهن خنزير حرم عليه
أن يتناول شيئا منه وما لم يعلم أو غلب
على ظنه ذلك جاز له أن يأكل مما يقدم
إليه ؛ لأن الأصل الحل قال تعالى « وطعام
الذين أوتوا الكتاب حل لكم » .

فإذا لم يجد غير ما حرم عليه واضطر
إلى الأكل منه بحيث إذا لم يأكل لحقه
للمرض ، أو الضعف ولا يمكنه القيام
بواجبه ولم يكن واجدا لشيء حواء مما
يقوم مقامه في التغذية مما أحله الله كان
له أن يأكل منه بقدر ما يدفع عنه الحاجة
ولا نظن أن الحاجة له في مثل أمريكا تصل
إلى هذا الحد من الضيق بحيث يضطر
للسلم إلى تناول ما حرم الله ، فهناك من

لأن كولات ما هو حلال بقينا ويستثنى به
عن المحرم والله تعالى أعلم ؟

الحكم ؟

٢ - مسلمون يعيشون في ظل حكومة

غير إسلامية ينفقون تكاليفهم لدى المأذون
الشرعي للحكومة ، وليس هذا المأذون
يجرى العقد على الطريقة الإسلامية وإنما
يجريه بالطريقة المدنية التي يحرم تصد
الزواج ويبطل الطلاق . فهل يعتبر هذا
العقد صحيحا بالنسبة للمسلمين ؟ وإذا كان
غير صحيح فماذا يعمل للمسلمين في هذا البلد
بالنسبة لعقد نكاحهم ؟

الجواب :

عن الأول بأن العنبر هو العقد الشرعي
الحاصل من إيجاب وقبول وحضور شاهدين
مع تصمية للهر سواء تقدم هذا العقد على
التسجيل أمام القاضي المدني أم تأخر عنه ،
وأن التسجيل عند القاضي المدني لا يغير
شيئا مما أباحه الله من تصد الزوجات
والطلاق ، وإن كان الأفضل في الشريعة
الإسلامية أن لا يحصل تصد الزوجات
وأن لا يحدث الطلاق إلا بسبب ملجئ .
إلى ذلك وأنه في حالة تقدم التسجيل لدى
القاضي الشرعي لا يجوز معاينة الزوج

زواج المسلمين ومعاملتهم في التليين

المسأل من السيد / طابدين تاما (من
طلبة الفليين بالقاهرة)

١ - في الفليين يتم عقد الزواج بين
المسلمين بالطريقة الإسلامية من إيجاب
وقبول وولي وشهادة شاهدين ، ثم يذهب
الزواج إلى القاضي وهو مسمى لعقد
الزواج لديه ولتحصول على الوثيقة الرسمية
وتتضمن هذه الوثيقة المنع من تصد
الأزواج والمنع من الطلاق - فما حكم
للشرع الإسلامي في كيفية عقد الزواج
للكور ؟

وما مدى صحة عقد الزواج لدى القاضي
السيحي ثم القيام بإجراء العقد بالطريقة
الإسلامية ؟

٢ - ما رأى الإسلام في المسلمين الذين
يسكنون تحت ظل حكومة غير إسلامية ؟
هلما بأن هذه الحكومة تمنع من تصد
الزوجات وتمنع أيضا الطلاق ؟ وهل يصح
لهم أن يتناكحوا بعكس الحكومة
الغير إسلامية أم لا يصح لهم ذلك ؟ مع

آله وصحبه وسلم ، بصوت منخفض مظاهر لأداء الأذان ، وبصوت المؤذن نفسه ، وذلك بالنسبة للمذاهب كلها ، وتاريخ هذه الزيادة .

الجواب :

أنه يسن لكل مؤذن ومقيم وسماع ومستمع أن يصل على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من الأذان بخبر مسلم (إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا على فإنه من صلى على مرة صلى الله عليه بها عشرا) ، وتحصل السنة بأى لفظ يأتى مما يفيد الصلاة على النبي ﷺ ، ومن ذلك ما يقع للمؤذنين من قولهم بعد الأذان ، الصلاة والسلام عليك يا رسول الله . أما رفع الصوت بالأذان فإنه ورد فيه حديث البخارى عن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي صعصعة ، أن أبا سعيد الخدري قال له : إني أراك تحب الغم والبادة ، فإذا كنت في غنمك أو باهيتك ، فأذنت للصلاة فارفع صوتك بالنداء فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة ، سمعت من رسول الله ﷺ ، أما رفعه بالصلاة والسلام على النبي ﷺ بعده ، فقد ورد في شرح العباب (فقه شافعى) أنه شيخنا زكريا وغيره ،

بناء على هذا التسجيل حتى يعقد العقد الشرعى .

وثبت من الثانى والثالث : بأن إقامة السلم في دولة يحكمها حكام غير مسلمين لا مانع منها ما دام السلم متمكنا من أداء ما فرض الله عليه ، ومن معاملة أهله وذوى قرابته وموم للسلمين ، للمعاملة التى يبيحها الشرع ، وأن هذه الإقامة لا تمنع للسلم مما أباحه الله له من الطلاق وزوجته أو التزوج عليها على ما أسلفنا ، فإن قضى قانون الدولة غير المسلمة بعقاب السلم إذا طلق أو عدد الزوجات ، فإن كانت العقوبة مما يحتمل فعله أن يصبر عليها ، وإن كانت فوق احتماله أو كان فيها إضرار بما يخالف الشريعة كأن يماثر مطلقته مطلقا ثانيا ، فعليه أن يهاجر إذا وجد منه مضطرا إلى ذلك والله تعالى أعلم .

الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ

عقب الأذان :

من إدارة الفتوى العامة بالأزهر :
بأمر التفضل بإبداء الرأى في نظرة للشريعة الإسلامية إلى كلمات الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد مكثه قصيرة بعد كلمات الأذان بنحو : « وصلى الله على سيدنا محمد وعلى

في الجانب الذي هو إلى جهة القبلة وبوضع فيه لليت متجها إلى القبلة على جنبه الأيمن ويسند ظهره لبنات ثم يمال التراب في الحفرة حتى تمتلئ ، أما الدق في الأرض الرخوة فيبعد الحفر إلى ما يمنع رائحة لليت واعتداه الحيوان للتوحش عليه كما تقدم ، يمل الدق في وسط الحفرة وبوضع فيه لليت على جنبه الأيمن متجها إلى القبلة كذلك ، وتوضع لبنات على جانبي الشق بصورة تمنع أن يقع التراب على لليت ثم يمال التراب في الحفرة حتى تمتلئ على نحو ما سبق .

وهذا هو الحفن القرهي ، أما الحفن في الصافي المروضة الآن التي هي أشبه بحجرة يدفن فيها أكثر من واحد فإمّا يجوز للضرورة بسبب كثرة اللواتي وضيق الأرض . والله تعالى أعلم .

هل ثواب قراءة القرآن يصل إلى لليت ؟

السؤال من السيد / الأستاذ عطية سليم نعم :

١ - أنا روجة توفى زوجها ووالده ووالدته - أقرأ كثيراً من القرآن وأهبه إلى أرواحهم فهل يصلهم ثواب أم لا ؟ وما هي الأعمال الصالحة التي يمكن أن أقبلها لهم ؟

بأن ما يفعله المؤذنون الآن من الإعلان بالصلاة والسلام مرارا حسن ، لأن ذلك مقروء عقب الأذان في الجمعة فالأصل سنة ، والكيفية حادثة . وأول ما زيدت الصلاة والسلام على النبي ﷺ بعد كل أذان على المنارة في زمن السلطان المنصور بن الأشراف في شعبان سنة إحدى وتسعين وسبعمائة (من شرح الأذكار للنووي لابن علاذ الجزء الثاني عند الكلام على الأذان) .

والجنة لا ترى في القعد لمنع هذا وجها ، إذ الأمر لا يخرج من كونه صلاة على الرسول ﷺ وزيادة في التنويه عليها .

شرعية الحفن في القعد :

السؤال من السيد / الأستاذ مدير إدارة صحة البيئة بوزارة الصحة :

ما هو نظام القعد في الحفن وما مدى شرعيته ؟

الجواب .

إن القعد في الأرض المملية أفضل من الدق ، أما في الأرض الرخوة التي تنهار فالشق أفضل ، وطريقة القعد أن يحفر إلى عمق بحيث يمنع رائحة لليت واعتداه أي حيوان متوحش عليه ثم يحفر القعد

٢ - سمعت أن العتاقة وقراءة لا إله إلا الله محمد رسول الله وقل هو الله أحد الخ مائة ألف مرة تغتق للتوفى من النار فهل هذا صحيح ؟

الجواب :

من الأول : بأن الأعمال الصالحة التي يصح أن يقوم بها الولد عن أمه أو أبيه بعد الوفاة هي : الصدقة والدماء وبصح أن يقوم بالخج عنهما وأن يصوم كذلك فإن صل عنهما فلا يرجى أن تنفعهما صلاة .

وعن الثاني : بأن عمل العتاقة ، إنما تعمل على رجاء أن يتقبل الله منا فيعمرو

عن الميت جميع ذنوبه أو ينقر له بمصر ما اقترف من ذنب وما وقع فيه من تفریط وليس معنى هذا أن يشكل الإنسان على ما قد يفعله أو يفعل عنه بعد موته من أعمال البر كالعتاقة مثلاً فيترك ما كاف به من أوامر الله ونواهيه وإلغى التكاليف وأصحت غير ذات موضوع يكلف بها الشخص من الله ثم يتركها اعتماداً على مثل ما قد يفعل عنه من العتاقة وإسقاط الصلاة وغير ذلك ، فلا ياتمر ولا ينتهي وهذه هي الفوضى في الدين وهو أمر لا يقره عقل ولا يأتي به شرع . والله تعالى أعلم ؟

محمد أبو حمادي

بمناسبة ذكرى للولاء العطر ، ستصدر الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية ، كتاب (الرسول ﷺ) : لمحات من حياته ، ونفحات من هديه) وذلك بناء على كثرة الطلبات التي انتهالت على الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية لطلب هذا الكتاب .

هذا الكتاب هو أول كتاب صدر في سلسلة المجمع الشهرية

انبثاء في آراء

من قبل بحر البقر :

مات أطفال بحر البقر حرق وأغلاء ،
مفلحاً مات - من قبلهم - جمال أبي زعل
تمزيقا وإحراقا ، وفي كلا الحالين صدرت
اهتدات إسرائيل .

إن من أكبر الخطأ أن نهم صدرنا
إذا وضعنا في مستوى الإنسان في حروبه
ونماهنا في تصوير ما يتوقفه منه في ضوء
أحداث الحروب التي قاتل فيها الشعبان ،
بعضهم بعضا بعيدا عن الجبن والخسة ،
ونحت لواء الشرف والفروسية .

إن عدونا شيء آخر :

عدو يعتقد أذنبه يأمره بالقتل الجماعي
وإبادة الشعوب بمن فيها من : أطفال ونساء
وشيوخ وشباب ، مرضى كانوا أو أصحاء
هجرة كانوا أو أقوياء .

ومن الخطأ هنا أن تناقش مبلغ صحة
العقيدة هذه ، فحسبنا أنهم يؤمنون بها
واقراً إن شئت - في العهد القديم - بما فعله

(نوب) إذ ضرب مدينة ... بمحمد السيف :

الرجال والنساء والأطفال والرضع والشيوخ
والخمر والغنم بمحمد السيف (صموئيل
٢٢ / ٢٠) .

وفيه اذهبوا واضربوا سكان
(يايئس جلعاد) بمحمد السيف مع النساء
والأطفال (فضة ٢١ / ١١) .

هنا عدونا ١١ .

فأين نضعه من مستوى الخلق ؟ أيتساوى
مع مستوى تعاليم رسول الله ﷺ أن
تقتل من أعدائنا المقاتلين والممددين للقتال
وترك الأطفال والنساء وشيوخ وللممددين
ولا تحرق شجرة ولا تقصد نباتا ؟

إن ضمير العالم الذي اهتز أسمى لأطفالنا
أن يستطيع أن يعمل حكما في هيئة الأمم
أو قراراً في مجلس الأمن .

إننا يجب أن نتنصر بكل إيماننا بالله
واستعدادنا لبقاء عسكروه وعدونا
في ساحة الجهاد .

ويومئذ ينتهي القدر . إلى الأبد

أبناء

● في الثامن من صفر عام ١٣٩٠
١٩٧٠/٤/١٩ زار فضيلة الإمام الأكبر
الدكتور محمد الصمام فرع جامعة الأزهر
بأسيوط ، ومعه أسباط ، كذلك افتتح
فضيلته القسم الثانوي بمعهد بنى عدى ،
وتفقد نفاط طلاء الوعظ والمعاهد الأزهرية
اصطحب فضيلته في هذه الزيارة فضيلة
الدكتور عبد الحليم محمود الأمين العام
لمجمع البحوث الإسلامية ووكيل الأزهر
وفضيلة الشيخ عبد العزيز عيسى مدير
المعاهد الأزهرية ، وفضيلة الدكتور
محمد عبد الرحمن بيمار أمين المجلس الأعلى
للأزهر ، وفضيلة الأستاذ بسبوي رسلان
مدير الوعظ بالأزهر ، وفضيلة الأستاذ
عبد الحكيم سرور مدير الشؤون العامة
بالأزهر ، وفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الحكيم
فناح مدير مكتب فضيلة الإمام الأكبر
وفضيلة الدكتور محمد هلال بكر تير فضيلته ،
وفضيلة الشيخ يحيى هاشم فرغل مدير
السكرتارية تقنية لمجمع البحوث الإسلامية
حاذ فضيلة الإمام الأكبر والوفد صباح
الأحد ١١ من صفر الموافق ١٩٧٠/٤/١٩
إلى القاهرة .

● افتتح الإمام الأكبر في زيارته
لأسيوط مع وفد العلماء جمعية المحافظة
على القرآن الكريم في الحواش وقد مرّح
فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود أمين عام
مجمع البحوث الإسلامية بأن الدكتور حاذ
خليل عضو المجمع قد تبرع بمكافأته من
المجمع لمساعدة عام لجمعية المحافظة على
القرآن الكريم بالحواش .
دكتور حاذ خليل من الحواش .

● شارك فضيلة الدكتور عبد الحليم
محمود في الموسم الثقافي بجامعة أسيوط
والتي محاضرة عن الدين والعلم بكلية الهندسة
● افتتح فضيلة الإمام الأكبر جمعية
الغابات المسلمات بأسيوط .

● بناء على قرارات المؤتمر الخامس
لمجمع البحوث الإسلامية يستعد الإمام
الأكبر شيخ الأزهر لقيام بحجّة في العالم
الإسلامي مع وفد من العلماء لهدوة لإنقاذ
فلسطين والأراضي المقدسة .

تتخذ وزارة الخارجية مع المجمع إجراءات
ترتيب برنامج الجولة وتحديد مواهبها .

● تقرر أن يسافر فضيلة الدكتور
عبد الحليم محمود الأمين العام لمجمع البحوث
الإسلامية إلى المملكة العربية السعودية

والكلام من فن للنطق والكلام ، للإمام
جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر
السيوطي أيضا .

● فقد جمع البحوث الإسلامية عضواً
حالياً من أعضائه هو المقفود له فضيلة الشيخ
الفاضل بن عاشور العضو التوفيقى .
رحم الله الفقيد ، وهو من الإسلام
والمسلمين فيه خيراً .

● تسلم فضيلة الدكتور عبد الحليم
محمود الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية
مكتبة فضيلة الشيخ محمود ربيع للدراس
بالأزهر الشريف .

والأمانة العامة تتقدم بالفكر لفضيلة
الشيخ محمود ربيع على ما أسدى للدين والعلم
من فضل مهو للباحثين طريقاً ذلولا ييسر
عليهم عملهم .

● يملن بمجمع البحوث الإسلامية من
استعداداته لقبول إنتاج أو تحقيق في التراث
الإسلامي من القرآن الكريم ، والحديث
الشريف ، والسيرة النبوية .
يرسل الإنتاج أو التحقيق إلى مكتب
فضيلة الأمين العام للمجمع .

بمطى المجمع ، لأصحاب البحوث الفائزة ،
مكافآت مالية مجزية ، على الخطيب

بدعوة من المجلس الأعلى لطبشة
الإذاعة والتليفزيون بالجمهورية
العربية المتحدة .

يظهر فضيلته في العاشر من ربيع الأول
للسنة ١٥ - ٧٠ ليلتي محاضرة تداع
على الهواء في مناسبة للولادة النبوى للرسول
صلى الله عليه وسلم .

● انتهت لجنة « دائرة المعارف
الإسلامية » بمجمع البحوث الإسلامية
من إعداد « حرف الألف » ، تكاد تقع
مادة هذا الحرف في مجلدين من القطع الكبير
تجمع للسادة : الأعلام والبلدان ومسائل
في التفسير والحديث والفقه والأصول
والتاريخ الإسلامى .

تختلف هذه الدائرة من دائرة للمعارف
الإسلامية للترجمة بأنها أعمق مادة وأغزر
بحثاً وأبقى جلاء للمحققين التي شوهتها
المعاجم الأجنبية لتواثر المعارف .

● يجرى المجمع الضعج حالياً في الجزء الأول
من « الجامع الكبير » للإمام جلال الدين
عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، يقع
في هذا الجزء الأحاديث التي تبدأ بحرف
« الألف » وسيواصل المجمع طبع البقية .

● يطبع بمجمع البحوث الإسلامية
بمطبعة الأزهر - كتاب « صون المنطق

efforts in preparing a variety of Qur'anic Dictionaries, differing in standard, size and approach, conformably to the needs of the various Islamic circles.

3 — The Conference recommends that the editions of the Holy Qur'an be made in clear and legible type. Equally most requisite is the adoption of the Uthmanic orthography.

4 — The Conference recommends, as well, that the Academy take measures to form a world Islamic organization, to be in charge of supervising the prints of the Qur'an before their issuance.

5 — The Conference notifies the Muslim world of the grave crime committed by Zionists who had deliberately changed certain words from their context in the Holy Qur'an.

Thereupon, the Conference calls upon Muslims :

A) To be well-aware of everything related to these textual alterations.

B) To inform the Academy of any tampering with the Qur'anic text.

C) To co-operate with the Academy in blotting out any traces of this crime.

6 — The Conference recommends that the United Arab Republic Broadcasting Corporation take measures to reinforce the Broadcasting Station of the Holy Qur'an, and to give additional support to its message, so that all Muslim peoples might be enabled to listen in to it, and to make full use of its possibilities.

E) On Muslim Jurisprudence :

The Conference stresses what it had already decided in its previous sessions, that Muslim Jurisprudence should be made the basis for any legislation that might be enacted in Muslim countries. It has been proved beyond doubt, from a historical and scientific standpoint, that Muslim Jurisprudence as a legal system, is deemed to be exceedingly adaptable to every age and country; may it be the highly perfect code to mankind at large.

And God, Glory be to Him, is the Sole Guide to the Right Path.



4 — The Conference considers that the safeguarding of youth (against straying) is the foremost issue to be taken care of by Muslims respecting any measures they take to reform their internal affairs; since youth are undoubtedly the most valued manpower they possess. However, God is to be praised, because Muslim youth, as compared with their brethren all the world over, are deemed rather remote from deviation and quite close to the straight path. Nevertheless, Muslim communities have to do everything possible for the protection of their youth.

It is for this reason that the Conference has decided to make youth affairs a subject to be fully dealt with, from a scientific standpoint, in the Academy. Such inquiry will be pursued by the Conference in its coming sessions, in co-operation with all the associations and departments engaged in youth services. If God will, the results of these studies will be submitted (for discussion) in subsequent conferences, so as to be considered and decided upon by all the Members who represent the various Muslim peoples and communities all over the world.

C) On Islam and Science :

The Conference declares :

1 — That Islam is a fervent supporter, of science.

2 — That Islam encourages (the acquisition of) every sort of scientific knowledge which proves to be beneficial to man in worldly life or in the Hereafter.

3 — That the call of both the Holy Qur'an, and the Prophetic Sunnah to gain such knowledge is explicit, categorical, (and emphatic).

Moreover, the whole universe is reflected upon as a book that carries firm conviction in God's Existence. It implies a corpus of Divine Laws the discovery of which reinforces cognisance of God, and acknowledgement of His Omnipotence.

D) On the Holy Qur'an :

1 — The Conference recommends that all Muslim States give care to the Holy Qur'an, as regards its memorizing, recital and comprehension; since it is the source of their jurisprudence, and the mainstay of their power and revival.

2 — The Conference recommends that the Azhar pursue its strenuous

transactions these entail, have to be made in conformity with the injunctions of Muslim Jurisprudence.

9 — The Conference is gratified by the efforts made to train preachers from amongst the imams of mosques, so as to raise the standard of their qualifications and competence in propagating the Message of the Call. The Conference ardently supports all the endeavours accomplished for this purpose, and hopes that they achieve far reaching results.

10 — The Conference recommends the establishment of close relations between the Azhar and other Muslim universities, through the exchange of professors, students, books and all other possible means.

B) On Youth Affairs :

1 — The Conference recommends that the youth of the Muslim Community be afforded the opportunity of gaining a deep insight into Islamic culture; and that they have recourse, in this respect to well-informed people noted for their enlightenment and stable faith, seeking their verdict, as regards issues that seem to them to be bewildering and confusing. Thus, they would be enabled to gain authentic judgments about certain intellectual currents designed to

lead the faithful astray.

When these misleading trends come to be completely refuted the youth would, thereby, be better qualified to dispel their doubts, restore their Faith and reform their lives.

2 — The Conference enjoins that parents, teachers, preachers, and all who are engaged in ethical guidance, show forbearance towards youth, and try to understand their particular conditions, sympathizing with the problems that cause them embarrassment, and distraction, so that God might show them the right path.

3 — The Conference recommends that Islamic culture be fully dealt with in all educational levels whether it be demonstrated in religious lessons, or others related to history and social sciences.

However, in seeking to give Islamic culture its due among the prescribed subjects in various curricula, throughout Muslim countries, the Conference recommends that schools be established in certain specific localities in which well-qualified teachers can give a genuine survey of Islamic culture to pupils and students in limited hours, during their weekly holidays and further leisure time.

Republic, and their colleagues in various Muslim countries.

4 — The Conference recommends that the Academy establish bureaus affiliated to it, outside the United Arab Republic. Their personnel have to be formed out of its officials who are noted for their competence and religious zeal. Their function is to strengthen the relations between the Azhar and the various Muslim communities to execute the resolutions and recommendations of the Conference, and to provide the Academy with studies and data that are most helpful to forward the Academy's aims in propagating the Islamic Message.

5 — The Conference recommends that the Islamic Research Academy establish local committees within the United Arab Republic which have to be linked with regional communities, and information media. They will be concerned, in the first place, with affording, in various ways, ample enlightenment, and direction, as regards the battle against Israel.

6 — The Conference recommends that the Zionist expansionist scheme be printed in two or three pages with a map; and that models of these be sent to every Muslim

country where copies have to be made; some of which are to be assigned for educational programmes; others to be announced to the public from the pulpits of mosques, and to be widely disseminated by all possible means. Thus, would the entire body of Muslims be made fully aware of the plots concocted by enemies against their Faith and countries.

7 — The Conference recommends that Muslim Leaders throughout the Islamic World, direct Muslim's attention to renounce sectarian dissensions and join hands with other Muslims, basing the bond of unity on the Book of God, be He Exalted, and the Sunnah of His Apostle.

8 — The Conference supports the call of the Young Men Muslim Association to establish :

A) A General Association for Young Muslim Men, throughout the Islamic World.

B) A Hall of Islamic Thought to disseminate the culture of Islam in various languages, on a world-wide scale.

C) An Islamic Treasury to which Muslims : individuals and associations, peoples and governments offer money contributions. The

**-- An Approach to Comprehend
the Verses Dealing with the
Universe in the Holy Quran.**

After having discussed these topics, the Conference has unanimously decided that the following resolutions and recommendations be addressed to the Muslim Community as : individuals and groups, peoples and governments ; trusting that they be taken by every Muslim as a practical guide, and rule of life ; so that he might strive hard to put them into effect, and call upon others to adopt. Thus, he would be enjoining what is right and forbidding what is wrong, to attain to the welfare of world's life, and the ample reward of the Hereafter.

**A — On the Islamic Call and
Society :**

1 — The Conference recommends that the Islamic Research Academy draw and execute plans for the propagation of the Islamic Call, in its various forms, inside of the United Arab Republic, and the other countries of the Muslim World.

2 — The Members of the Conference have exhorted one another that, after their return, they would follow up propagating and executing the resolutions and the recommendations of the Conference in

their respective countries. Their studies and reports which deal with the affairs of their Muslim compatriots, are to be sent to the general Secretariat of the Academy.

Special emphasis is to be laid on putting into effect the resolutions and recommendations of the Conference ; particularly as regards those that are related to the standing and function of the mosque, youth's attitude towards religion, and what has so far been accomplished by their peoples in the sacred battle in which the Muslim World is being engaged against Zionism and colonialist Powers.

3 — In order to strengthen the links between the Islamic Research Academy and Muslims outside the United Arab Republic, the Conference recommends that the Academy establish committees abroad, formed out of the Conference's Members, together with other well-noted Muslim personalities.

Every committee has to establish close and uninterrupted relations with the Academy, so as to carry out the injunctions of the Islamic Call, and to execute the resolutions and recommendations of the Conference. Moreover, it has to further the exchange of visits and delegations between the Ulemas of the Azhar in the United Arab

RESOLUTIONS AND RECOMMENDATIONS

ISSUED BY

*The Fifth Conference of the Islamic Research Academy,
at the end of its Second Stage, on
17th of Muharram, 1390 A. H. (25th March, 1970 A. D.)*

In the name of Allah the Beneficent, the Merciful.

In the Name of God, be He Exalted, in compliance with the Guidance of His Holy Book, and the Sunnah (Traditions) of His Apostle and in seeking to realize the aims of the Islamic Research Academy, has been held within the precincts of the illustrious Azhar, the fifth Conference of the Academy, in its second session, which was attended by the Academy members of the United Arab Republic, together with their colleagues from the other Muslim countries.

The meetings started on Tuesday the 2nd of Muharram, 1390 A.H. (10th, March, 1970), and went on till Wednesday, the 17th Muharram, 1390. A.H. (25th, March 1970).

The researches made by the Conference were entirely devoted to the gravest issue, that is, completely, occupying the attention of Muslims all over the World of Islam. It is the one concerned with Jihad, striving, to recover the

Islamic shrines, and the usurped territories; besides making plain the verdict of Islam, respecting the duty of Jihad with life and wealth, (that has become most incumbent upon every Muslim), to repel the Israeli and colonialist aggression.

During the second session, the the Conference turned to investigate the issues of the Muslim World to which it has devised appropriate solutions, drawn from the principles of Islam. Thus have been read papers, dealing with the following topics :-

- Propagating the Faith of Islam.
- The Function of the Mosque.
- The Role of the Imam in Muslim Society.
- The Role of the Azhar in Serving the Islamic Message.
- Islam and Science.
- Islam and the Youth.
- Muslim Jurisprudence and its Codification.

calls upon the Muslims to spend in His way. He is merely enjoining them to do what is most beneficial to them and to ward off the injury that might overtake them. By their response to Jihad, they would be, in fact, defending themselves and their rights as well as their honour and self-respect. The Call to spend in God's way is equally meant to serve the interests of those who strive with their wealth, since God is, altogether independent of all His servants."

After quoting many notable examples that had been set by the Companions of the Prophet and other early Muslims in striving with their wealth for the cause of God, the preservation of their community, the maintenance of their prestige, and the safeguarding of their lands, he concluded the paper with the following verse of the Holy Qurān; which means :

"O ye who believe ! Shall I show you a commerce that will save you from a painful doom ? Ye should believe in Allah and His messenger, and should strive for the cause of Allah with your wealth and your lives. That is better for you, if ye did but know. He will forgive you your sins and bring you into Gardens underneath which rivers flow, and pleasant

dwellings in Gardens of Eden. That is the supreme triumph. And (He will give you) another blessing which ye love : help from Allah and present victory. Give good tidings (O Muhammad) to believers."
(61 : 10 - 13)

A paper prepared by Dr. Ishaq Musa Al-Husainy, member of the Academy (read by Sheikh Abdul Makeem Surur, Director of Al Azhar General Affairs), dealt with many aspects of the Palestine Question, with special reference to the Islamic aspect of it. He pointed out that the remissness of Muslims in performance of their duty towards this vital problem, might have been due to these reasons :

Their intense preoccupation with their internal and local problems. The influence exercised by certain powers siding with the enemy. Moreover these powers have been attempting to exert pressure on Muslim Governments, the latter should impetuously comply with the sentiments of their people.

The General picture of the deliberations of the Conference shed light on the efforts and achievements of the Islamic Research Academy under the banner of Al-Azhar, the great and glorious seat of learning since it was founded ten centuries ago.

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FUDA

Rabi'Awwal
1390

ENGLISH SECTION

EDITED BY

A. M. MOHLADDIN ALWAYS

MAY
1970

Review and Annotation - II

Papers and Discussions of the Academy's Annual Conference

By

A. M. Mohladdin Always

The Fifth Conference of the Academy heard, in the many sessions of its first stage, a number of research papers prepared by the learned scholars. The first paper, presented by the Grand Sheikh of Al-Azhar, Dr. Muhammad Fahham, and read out in the conference by Dr. Muhammad Bataar, General Secretary of Al-Azhar Higher Council, was on the topic of 'the Restoration of Jerusalem' from the clutches of Zionism. The paper reviewed the history of Jerusalem and its centuries of Islamic glory. It also stressed the high standing of Jerusalem in Islam. Concluding, the Grand Sheikh urged Arabs and Muslims to coope-

rate in defending themselves and working to restore their rights. And he called them to extend all kinds of material help to the militant Arab strugglers.

The paper prepared by Dr. Muhammad Abdulla Madi, member of the Academy, discussed the 'Signification of contributing money to Jihad, from the Islamic point of view. In the introduction of the paper the author gave a detailed review of the Islamic conception of Jihad in the light of Qur'anic verses and the Traditions of the Prophet.

The author said "... When God



مجلة شهرية جامعية

بَيِّنَاتٌ عَنْ مَشْرِجَةِ الْأَنْزَافِ فِي أَوَّلِ كُلِّ سَنَةٍ

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
«هذا لا شك»
في طبعها
في طبعها
في طبعها
في طبعها

«المستوفى»
إدارة المجلة
بالقاهرة
ت : ٩٠٥١١٤
٩٠٥١٧٣
٩٠٥٥٠٦

الجزء الرابع - السنة الثمانية والأربعون - ربيع الثاني سنة ١٣٩٠ هـ - يونيو سنة ١٩٧٠ م

لغة العرب

صورة الرسول فوق الصورة والصورة

للأستاذ عبد الرحيم فودة

- ١ - لم يستطع أحد من مائتي ألف صاحب مع ما ينطبع في وجدانهم من صورة ،
أو رسم بقلم أو كلام ، صورة مسكتها وجهه ، والإعجاب به .
الأوضح والعالم عنه على حقيقته كما كانوا
يرونه بأبصارهم وبصائرهم ، وكل ما نجده
في كتب السيرة أوصاف لأجزاء منه إذا
ضم بعضها إلى بعض رأينا صورة مجمعة
بلغت من الحسن والجمال ما لم تبلغه صورة
إنسان ، ولكنها مع ذلك لا تمثل التمثيل
الذي يتركه بكل مفصضاته ومميزاته إلى
أذهان القراء ، بل إنها مع ذلك لا تنفع
شعور المؤمنين بأنها هو ، ولا تنطبق
- مع ما ينطبع في وجدانهم من صورة ،
وجهه ، والإعجاب به .
كان عظيم الهامة ، واسع الجبين ،
أدهج العينين ، أزج الحواجب ، سهل
الطهين ، أنقى العينين ، ضليع القم ، مفلج
الأنف ، يتلأأ وجهه كتلاؤلؤ القمر ،
بل كأن الشمس تجري في وجهه ، وكان
رقيق البقرة ، أزهر اللون ، أبيض كأنما
سبح من فضة ، ههنا الكفين والقدمين
سائل الأطراف . . إلى آخر ما ذكر من
أوصاف منه الوكي .

ابتهاحه بالموت وفرحه به وهو مختصر وأهله يضجون من حوله بالبكاء ويقولون : واكرهه ؛ فقد كان يرد عليهم بقوله : والطرباء ؛ غدا ألقى الأحياء مجلدا وصحبه .

٣ - وإذا استطاع مصور ما هرأن يستوحى من أصفاته المشهورة المذكورة في كتب السيرة ، صورة لسمته وملاعه وطوله وحرفه وتناسق أعضائه ، فكيف يستطيع - بكل وسائل الرسم والتصوير - أن يرسم نفاذ نظرائه ، وبراء صوته ، وجلال منظره ، وجمال حديثه ، وهو كما يقول البوصيري :

دع ما ادعته النصارى في بيهمو
واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف
وانسب إلى قدره ما شئت من عظم
إني فصل رسول الله ليرى

حسب فيعرب عنه فاطن بهم
٤ - إن مسكاة النبي عند الله كما يقول فيه : « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وهاجيا إلى الله بأذنه وسراجا منيرا » ، كما يقول : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » ، ومكاشفة المؤمنين (البقية في الصفحة التالية)

كل هذه دون شك تمثل سمته العام ، ولكنها لا تخله على حقيقته وقد نظر إليه رجل فقال : والله ما هذا الوجه بوجه كذاب ، وراه آخر فأخذ من هيئته ووقع على قدميه يقبلهما فقال ﷺ : هون عليك . أنا لست بملك . أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد .

٢ - وكيف يستطيع مصور أن ينقل صورة عليه السلام في نفس مولاه (نوان) وقد ضعف وأصابه القبول والنحول ، وألح عليه الحزن في الليل والنهار ، ولما سأل النبي عن سبب حزنه قال في طهارة الأبرار : إني إذا لم أراك ، اشتقتك واستوحشت وحشة عظيمة ؛ فذكرت الآخرة حيث لا أراك هناك ، لأنني إن دخلت الجنة فأنت تكون في درجات النبيين فلا أراك ، فهو لا يرى نعم الجنة نعيمًا إذا كان يحجبه عن رؤية الرسول .

ولهذا نزل قول الله : « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » ، وقد بلغ حبه في نفوس أصحابه إلى درجة أن أحدهم - وهو بلال رضي الله عنه - كان يملأ

الإسلام والعلم

لنفضلة الدكتور عبد الحليم عتود

أهداف الرسالة الإسلامية :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين - وبعد :

فإن الإسلام حدد هدف الرسالة الإسلامية في عدة آيات من القرآن الكريم منها قوله تعالى :

« وينا وأبنت فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويمهلهم الكتاب والحكمة »

ويزكهم إنك أنت العزيز الحكيم » (١) .
ويذكر الله سبحانه وتعالى تفضله على المؤمنين بإرساله رسولا من أنفسهم ، ويحدد الله سبحانه وتعالى الهدف من الإرسال ، والحكمة منه فيقول :

« لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم ، يتلو عليهم آياته ويزكهم ، ويمهلهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لى ضلال مبين » (٢) .
(١) البقرة : ١٢٩ ، (٢) آل عمران : ١٦٤ .

أداة من أدوات الرسم والتصوير ، إغلال بالصورة الكريمة العظيمة ، وجراءة على الله ورسوله ، واستهتار بعوائف المسلمين وصدق الله إذ يقول :
« إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ، إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا »

عبد الرحيم فتودة

كما يفهم من قوله سبحانه : « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم » وكما يقوله : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » وقوله : « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبوا أحدكم وأنتم لا تعلمون . إن الذين يفضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم عقوبة وأجر عظيم » .
• - ومن ذلك يظهر أن رسما بآية

منحها الإسلام العلم أن ترجع بنظره صريحة
إلى الحظائير الأولى التي أشرق فيها فجر
الرسالة الإسلامية .

روى الإمام البخاري فصر الله وجهه ،
بسند من أم المؤمنين عائشة رضى الله
عنها ، وروى كتب السنة كذلك حديث
بده الوحى .

وهو حديث طويل ، وفيه أن رسول الله
صل الله عليه وسلم ، بينما كان في غار حراء
يتعبد ، جاءه الملك ، فقال :
اقرأ .

قال : ما أنا بقارىء . قال : فأخذني فغطى
حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلني ، فقال :
اقرأ .

قلت : ما أنا بقارىء .

فأخذني فغطى الثانية ، حتى بلغ منى
الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ .

قلت : ما أنا بقارىء ، فأخذني فغطى
الثالثة ، ثم أرسلني فقال :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق
الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ،
الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم » .

وحينما نصر المحرم الفتيخ محمد عبده
هذه الآيات عقب عليها قائلا :

وفي سورة الجمعة يبين الله سبحانه ،
أن ما فى السموات وما فى الأرض يترحمه
سبحانه إذ أنه يسبح له ، ويذكر سبحانه
من صفاته : لذلك « القوس » العزيز ،
الحكيم ، ثم يقول :

« هو الذى بعث فى الأميين رسولا
منهم يتلو عليهم آياته ، ويزكهم ، ويعلمهم
الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل
للى ضلال مبين » .

وهذه الآيات الكريمة وما يشبهها
من القرآن الكريم ، لا تحتاج إلى تأمل
بالغ ، أو تفكير مجهد ، من أجل فهم
معانيها ، وذلك أن المعنى فى هذه الآيات
الكريمة واضح كل الوضوح ، فهو تبين
أن الحكمة فى إرساله صل الله عليه وسلم
تمثل فى أمرين :

١ - للمسلم .

٢ - للتركية .

والعلم إذن فى الرسالة الإسلامية شطرها
بل هو شطرها الأساسى ، أى الشطر الذى
تقوم عليه التركية ، إذ لا يتأتى أنه تقوم
التركية على الجبل .

نشأ الإسلام طيقاً للعلم :

ولعل مما بين الأهمية الكبرى التى

« لا يوجد يداً أربع ، ولا دليل أقطع

على فضل القراءة والكتابة والعلم بجميع أنواعه ، من افتتاح الله كتابه وإبدائه الوحي بهذه الآيات الباهرات » ١ هـ

لقد افتتح الله الوحي في الدين الإسلامي بهذه الآيات المعجزة الخالدة ، التي تذكّر القراءة والكتابة والقلم ، والتي توددت فيها مادة العلم أكثر من مرة .

وبعد أن نزلت هذه الآيات الكريمة ، نزل قوله تعالى :

« ن والقلم وما يسطرون »

وفي هذه المرة الثانية من الوحي بدأ الله سبحانه بحرف من حروف الهجاء ، وأقسم بالقلم ، والكتابة ، فكان أول قسم في القرآن ، هو القسم بالقلم وما يسطر بالقلم . أما اسم الكتاب الموحى به ، فإنه : القرآن . يقول الراغب الأصفهاني :

قال بعض العلماء : تسمية هذا الكتاب قرآناً من بين كتب الله ؛ لكونه جامعاً لثمة كتبه ، بل لجمعه عمرة جميع العلوم كما أشار تعالى إليه بقوله : « وتفصيل كل شيء » ، وقوله : « تبياناً لكل شيء » ١ هـ

وللقرآن تسميته .

وبأول آيات نزلت منه .

وبأول قسم فيه .

وجه الإنسان بطريق مباشر وبطريق إيماني إلى الاتجاه نحو المعرفة : قراءة وكتابة وعلم .

منزلة العلم في الإسلام من طريق القصص :

لقد بدأ القرآن حليفاً للعلم ، وأشرق نوره ، بهراً بالعلم ، وأخذ القرآن فيما بعد يوالى الحق على العلم بهي الأساليب : فيبين لنا مثلاً أن الله سبحانه وتعالى حينما خلق آدم عليه السلام علمه الأسماء كلها :

ثم بين الله سبحانه وتعالى أن آدم - هذه المعرفة - أصبح أسمى من الملائكة ويقول في ذلك .

« ثم عرضهم على الملائكة

فقال : أئبثوني بأسماء هؤلاء ، إن كنتم صادقين » .

ولم يكن للملائكة علم بها ، فأجابوا في نواضع :

« قالوا : سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم » .

وبين لهم الله سبحانه مكة آدم - بصورة غير مباشرة - حينما قال :

« يا آدم أخرجهم بأسمائهم » .

وسدع آدم بالأمر ، وبين الله سبحانه

« فوجدنا عبداً من عبادنا آتيناها رحمة
من عندنا وعليناها من لنا علما .
قال له موسى : هل أتبعك على أن تعلمن
بما علمت رشداً .

قال : إنك لن تستطيع معي صبرا ،
وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا .
قال : ستجدني إن شاء الله صابراً
ولا أعصى لك أمراً .

قال : فإن اتبعتني فلا تمناني من شيء
حتى أحدث لك منه ذكراً » .

ويسيران ، ويتعلم موسى وصول الله
عليه السلام من صاحبه ما لم يكن يعلم ، ومما
أفاده هذه القصة - كما يقول البيضاوي -
أن يداوم المرء على التعلم ، ويتدلل للمعلم ،
ويراعى الأدب في المنال ،
ويأخذ منها السيوطى :

« استحباب الرحمة في طلب العلم ،
واستزادة العالم من العلم ، واتخاذ الزاد
للسفر ، وأنه لا ينال التوكل ، ونسبة
النسيان ونحوه من الأمور المكروهة
إلى الشيطان مجازاً وتأدياً عن نصبتها
إلى الله تعالى ، وتواضع المتعلم لمن تعلم منه
ولو كان دونه في المرتبة واعتذار العالم
إلى من يريد الأخذ منه في عدم تعليمه

وتعالى النتائج حيناً أباًم آدم بأسمائهم فقال :
« ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات
والأرض ، وأعلم ما تبسرون وما كنتم
تكتُمون » .

ومن الأمور التي لها مغزاهما الواضح ،
والتي تشير إليها ، ولا تتعمق فيها : أن الله
سبحانه وتعالى قال بعد ذلك مباشرة :

« وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ،
فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان
من الكافرين »

لقد ذكر الله سبحانه أمره تعالى للملائكة
بالسجود لآدم بعد أن بين لهم أن آدم أعلم
منهم ، واستجاب للملائكة للأمر فسجدوا .
فسكان الحياق يوحى بسمو مكانة المعلم
مما يصل إلى درجة سجدوا للملائكة له .

وقصة أخرى ثرية بالمغزى وللعنى
والحكمة .

أن رسل الله تعالى صلوات الله وسلامه
عليهم في القدوة من الكفاية والفضل ،
وفي القدوة من العلم والحكمة . ومع ذلك
فها هو ذا موسى عليه السلام يمجّد في السير
هو وثناء من أجل البحث عن عالم أباء الله
بوجوده ، وبعد جهد وصبر وجداه ،
يقول سبحانه :

وأجاب شخص آخر بصور القرآن إجابته على الوضع التالي :

« قال القدي عند علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرثك إليك طرناك »

ونفذ القدي عنده علم من الكتاب ما قال ، وجاء بالعرش في لمح البصر .

فلما رأى سليمان العرش مستقراً عنده قال : « هذا من فضل ربي ليسكني ، وأشكر

أم أ كفر ، ومن شكر فإني أفكر لنفسه ، ومن كفر فإني ربي غي كريم » .

وللقرآن يعرفنا بهذه القصة ، أن العلم يفعل الأعاجيب ، وأنه يفعل ما لا تفعله

الجن ، وأن مقدرة العالم تصل إلى ما لم تصل إليه مقدرة عقريت من الجن ، وأنه بالعلم

تطسوى الأرض ، وتزول المسافات وتتحقق المعجزات .

الطريق المباشر لبيان مكانة العلم في الإسلام

والآن نأتي إلى موقف القرآن من العلم من طريق مباشر ، أي من خلال الآيات

التي تتحدث عن العلم حالة عليه مفيدة به يقول الله تعالى :

« إنما يخشى الله من عباده العلماء » .
« وإنه بمقدار تعمق الإنسان في الجانب العلمي في صدق وإخلاص تكون خشيته

حالا يحمته طبعه ، وتقدم المشيئة في الأمور ، واعتراط المتبوع على التابع ، وأنه يلزم الوفاء للشروط ، وأن النسيان غير مؤاخذ به »

وقصة تلك تذكرها لننتهي بها من الحديث في العلم من طريق القصص القرآني ، ولنتجه بعدها إلى الأسلوب القرآني المباشر ، ثم إلى السنة النبوية الشريفة .

ها هو ذا سليمان عليه السلام ، يجلس بين أصفيائه ويتحدث معهم عن ملكة

صبا وعن عبادتها للقصص من دون الله ، وعن رده الهدية التي أرسلتها إليه ملكة

صبا ، تريد بذلك أن يفض الطرف عنها وعن زينها وضلالها ، قائلا حين ردها :

« أعدوني بحال ؟ فإنا آتاني الله خبير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون .

ارجع إليهم فلبسوا ثيابهم . بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون » .

ثم بلغت سليمان إلى من حوله قائلا :

« يا أيها الملأ أيسم يأتيني بعرضها قبل أن يأتوني مسلمين » .

فرد عليه عقريت من الجن قائلا :
« أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين » .

وخشية الله التي هي نعمة العلم أساس من
أم أسس إسلام الوجه لله، ومن هنا كانت
ضرورة العلم في الإسلام إنه ضرورة وليس
توطأ، فهو من أحسن الإسلام نفسه .

ومن أجل ذلك كان من مقومات شخصية
المسلم : العلم ، العلم بالكون ، وبإنسان
وبالذات ، وبكل ما تنفع له الكلمة من
معنى كريم .

إلام تؤدى الخشية ؟

إلام ينتهى العلماء الصادقون المؤمنون ؟
يقول الله تعالى :

« شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة
وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو
العزيز الحكيم » .

إنهم يصلون عن طريق العلم الذى يثمر
الخشية إلى التوحيد : التوحيد الذى هو سمة
الدين الإسلامى ، كما يرى لبيرونى - والذى
هو فى حقيقة الأمر سمة التدين الصادق .
ويشهد العلماء التوحيد مع الله سبحانه
ومع الملائكة الأظهر .

إن الله سبحانه قرن العلماء به وبملائكته
فى شهادة التوحيد وهذا أمضى ما يمكن
أن يصل إليه تكريم العلماء من مكاة .
وشهادة التوحيد التى هى قبة الركن

له تعالى ذلك أنه يرى من نواميس الكون
ومن الإتيان فى المنع ، ومن الحكمة
فى التدبير ما يجعله ساجدا لمبدعه وملكه
وإن هؤلاء الذين يتصلون مثلا بعلم
التشريح من قرب أو يتخصصون فيه يرون من
الإحكام المحكم ، ومن الدقة الدقيقة فى مختلف
الأجهزة الجسمية وفى مفردات هذه الأجهزة
ما يضطرم اضطارا إلى السجود لرب هذا
التنسيق ، والترتيب والإبداع .

وليس علم التشريح وحده ، هو الذى
يبهر العالم للتبهرية ، وإنما يبهر علم الله لك
العالم الفلكى ، ويبهر علم الأحياء عالم الأحياء ،
وهكذا تجد انبهار النفس فى كل ميدان من
ميادين للعرفة الكونية أرضها وسمائها
وما بين الأرض والسماء .

« تبارك الذى بيده الملك وهو على كل
شئ قدير ، الذى خلق للربنا الحياة لئلا نكون
أعمى أحسن حسلا وهو العزيز الغفور ،
الذى خلق سبع سموات طابا ما نرى فى خلق
الرحمن من تفاوت ، فارجع البصر هل ترى
من فطور ؟ ثم ارجع البصر كرتين ينقلب
إليك البصر خاشئا وهو حير » .

وصدق الله سبحانه إذ يقول :
« إنما يخشى الله من عباده العلماء » .

أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ، ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله ؟ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين .

ثم يقب الله على هذه الآيات بأنه مهيا بلغ العلماء بعلومهم ، فإن المجهول كثير ، وأنه لا يعلم هذا المجهول المذنب إلا الله سبحانه والتمتعيب السكريم معناه أن العلم لا ينتهي إلى غاية ، وأنت كشف المجهول رسالة لا تنتهي ما دامت السموات والأرض ، فيقول سبحانه :

« قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله ، وما يشعرون أياتى يعثون . »
ومن أجل شهادة التوحيد ، أو من أجل وصول الإنسانية إلى أقصى ما ينتهي إليه بالنسبة للإنسانية : كل بحسب استطاعته .
في معارج القدس ، تحت الإسلام على العلم ووجهه إليه ، وجعله من أسس الدين نفسه .
لقد حث عليه في صور بلغت من الروعة حدا لا يجارى .

والآيات والأحاديث التي وجهت الأمة الإسلامية إلى العلم كثيرة مستفيضة ، وإذا كان العلماء يشهدون للتوحيد مع الله ومع الملائكة ، فإن منزلهم بالمكان السامي ودرجاتهم سامية ، في الرفعة والملا .

الأول للإسلام ، وهو : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله لا يشهدا إلا للملأه للؤمنون .

وشهادة التوحيد التي هي منتهى ما يمكن أن يصل إليه الملائكة في معراجهم إلى الله سبحانه لا تتحقق إلا في العلماء للؤمنين .

إن شهادة التوحيد هذه قد وجه الله الأنظار إليها بأشايب شتى ، ومن هذه الشايب : ألا يقدره في دقته وروسته الزائفة إلا العلماء .

« قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آله خير أما يشركون ؟ »

أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأبثنا به جذائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ، أإله مع الله ؟ بل هم قوم يدعون .

أمن جعل الأرض قراراً ، وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي ، وجعل بين البحرين حاجزاً ، أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون .

أمن يجيب المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء ، ويجعلكم خلفاء الأرض ، أإله مع الله ؟ قليلاً ما تذكرون .

أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ، ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته أإله مع الله ؟ تعالى الله عما يشركون .

رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(من نفس عن مؤمن كربة من كرب
الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة
ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة
ومن يسر على معسر ، يسر الله عليه في الدنيا
والآخرة ، والله في عون العبد ما دام العبد
في عون أخيه ، ومن سلك طريقا يلتمس
فيه علما ، سهّل الله له به طريقا إلى الجنة ،
وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله
يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا
حفتهم الملائكة ، وزلت عليهم السكينة ،
وحشيهم الرحمة ، وذكرهم الله فيمن عنده
ومن أبطأ به محله ، لم يسرع به نسبه ^(١) .
وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله
عليه الصلاة والسلام :

(ذم مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم
يهتدى بها في ظلمات البر والبحر ، فإذا
انطمت النجوم أوشك أن تضل الهداة) ^(٢)
وعن كثير بن قيس قال : كنت جالسا
مع أبي الدرداء في مسجد دمشق ، فجاء
رجل فقال : يا أبا الدرداء ، إني جئت من

[١] رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي
وابن ماجه ، وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال
صحيح على شرطهما .
[٢] رواه أحمد .

« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين
أوتوا العلم درجات » .
ولهذه الجوانب من فضل العلم والعلماء
أمر الله سبحانه وتعالى رسوله - وهو
قدوة للمسلمين وأئمتهم - أن يقول :
« رب زدني علما »

رب زدني علما في كل يوم ، بل في كل
لحظة ، ذلك ما يجب أن يكون شعار المسلم
وإذا ما ازداد المسلم علما . ازداد خشية ،
وإذا ما ازداد خشية ، تحقّق فيه إسلام الوجه
له على صورة أكل .

ومن الملاحظات التي يجب أن تكون دائما
في التذكّر ، أن الكلمة الأولى التي نزل بها
الوحي على المصطفى ﷺ ، مبشرة بمهد
من النور جديد ، هي كلمة . اقرأ .

مكة العلم في السنة النبوية الشريفة :
ونأتي الآن إلى موقف أمرنا الله
سبحانه وتعالى بأن نتخذ أسوة .

« لقد كان لكم في رسول الله أسوة
حسنة لم كان يرجو الله واليوم الآخر ،
وذكر الله كثيرا » .

لنأت الآن لنسبّن موقف رسول الله صلى
الله عليه وسلم من العلم .
عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال

مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ما جئت
لحاجة ، قال : فأني سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول :

(من سلك طريقاً يطلب فيه علماً ،
سلك الله به طريقاً من طرق الجنة ، وإن
الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم ،
وإن العالم يستغفر له من في السموات ومن
في الأرض والحيثان في جوف الماء ، وإن
فضل العالم على العابد ، كفضل القمريّة
البدر ، على سائر الكواكب ، وإن العلماء
ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً
ولا درهماً ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه
أخذ بحظ وافر) (١) .

ومن أبي أمامة الباهلي قال : ذكر
لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً :
أحدهما عابد والآخر عالم ، فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم :

(فضل العالم على العابد ، كفضلني على
أدناكم) ثم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : (إن الله وملائكته وأهل السموات
والأرض ، حتى النملة في جحرها ، وحتى
الحب في ترابها ، يحبون من سلك طريقاً
يطلب فيه علماً ، سلك الله به طريقاً من
طرق الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها
رضا لطالب العلم ، وإن العالم يستغفر له
من في السموات ومن في الأرض والحيثان في
جوف الماء ، وإن فضل العالم على العابد ،
كفضل القمريّة البدر ، على سائر الكواكب ،
وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء
لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما
ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر) (٢) .

(من خرج في طلب العلم - فهو في سبيل الله
حتى يرجع) (٣) .
وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم :

(لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالاً
فسلطه على ماله ، فله في الحق ، ورجل آتاه
الله الحكمة ، فهو يقضي بها ويعلمها) (٤) .

[١] رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح .

[٢] رواه البيهقي له شعب الإيمان .

[٣] رواه الترمذي والدارمي .

[٤] متفق عليه .

[١] رواه أحمد والترمذي وأبو داود وابن ماجه
والدارمي ، وسماه الترمذي نفسه بن كثير .

ومن صفوان بن صالح الرازي رضي الله عنه ، قال : أنبت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد مشكياً على برد له أحر ، فقلت له : يا رسول الله ، إني جئت أطلب العلم ، فقال : (مرحباً بطالب العلم ، إن طالب العلم تحفه لللائكة بأجنحتها ، ثم يركب بعضهم بعضاً حتى يبلغوا السماء الدنيا من عبثهم لما يطلب)^(١) .

ومن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي عليه الصلاة والسلام قال :

(أفضل الصدقة أن يتعلم للره للعلم علماً ثم يملأه أخاء المسلم)^(٢) .

ومن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(مثل علم لا ينفع به كمثل كنز لا ينفق منه في سبيل الله)^(٣) .

العلم

الذي يدهو إليه القرآن والحديث :

وقد يظن بعض الناس أن العلم الذي

[١] رواه أحمد والطبراني بإسناد جيد واللفظ ،

وإن جاز لي صحبه والمطام وقال : صحيح الإسناد .

[٢] رواه ابن ماجه بإسناد حسن من طريق

الحسن أيضاً عن أبي هريرة .

[٣] رواه أحمد والداري .

ومن هو قال : قال عبد الله بن مسعود : من هو مان لا يعطيان ، صاحب المسلم ، وصاحب الدنيا ، ولا يستويان ،

أما صاحب العلم : فيزداد رضي الرحمن ، وأما صاحب الدنيا ، فيتأدى في الطغيان ثم قرأ عبد الله :

« كلا إن الإنسان ليطغى ، أن رآه استغنى » ، قال : وقال في الآخر :

« إنما يخشى الله من عباده العلماء »^(٤) .

ومن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة أشياء : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له)^(٥) .

ومن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته : علما علمه ونشره ، وولدا صالحاً تركه ، أو مصحفاً ورثه ، أو مسجداً بناه ، أو بيتاً لابن السبيل بناه ، أو نهراً أجراه ، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته ، تلحقه من بعد موته)^(٦) .

[١] رواه الدارمي .

[٢] رواه مسلم .

[٣] رواه ابن ماجه والبيهقي في نصب الإيعاد .

الجبال جدد بيض وحر مختلف ألوانها
وغرائب سوداء ومن الناس والدواب
والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى
الله من عباده العلماء، إن الله عزيز غفور
لقد أتى قوله تعالى :

« إنما يخشى الله من عباده العلماء » .
في معرض الحديث عن تفصيل العالم
للأدي وترتيبه والإبداع فيه .

لقد دفع القرآن للسلمين دفعا إلى مختلف
مجالات المعرفة في الكون :

لقد دفعهم إلى مجال المعرفة بالتاريخ
الذي يسميه : « أيام الله » أيام الله التي
أنعم فيها على من اتبع هداه واحترام على
أمره ودمر فيها ، من سار في طريق المعصية
والشر ، أيام الله التي نصر فيها أوليائه
وخذل فيها أعداءه :

« قل سيروا في الأرض فانظروا كيف
بدأ الخلق ، ثم الله ينشئ النشأة الآخرة
إن الله على كل شيء قدير » .

« قل سيروا في الأرض فانظروا كيف
كان حاقبة الذين من قبل ، كان أكثرهم
مشركين » .

« أو لم يسجدوا في الأرض حين نظرنا
كيف كان مقبلة الذين كانوا من قبلهم ،

يدعو إليه القرآن إنما هو العلم بالدين ،
أي العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله
واليوم الآخر ، والعلم بالعروض الدينية من
صلاة وصيام وزكاة وحج ، والعلم
بالقانون الأخلاقي والتشريع الإلهي .

وواقع أن العلم بالدين : عقيدة وأخلاقيات
وتشريعات مما بحث عليه الإسلام ، بل هو
في المرتبة الأولى ، لأن الإيمان هو الأساس
في كل دعوة دينية منذ أن كان الدين .

ومعرفة الإنسان بالله وبقوانينه كونه
من طريق رسله ، هي أسمى معرفة بالنعمة
للإنسان باعتباره فرداً ، وبالنعمة لأمن
المجتمع ، ولتأيينه على العباد والأموال
والأمراض .

بيد أنه إذا كانت للمعرفة بالله عن طريق
رسله لها الصدارة في الأجواء الدينية ،
فإن القرآن بين لنا أن الكون كله هو
كتاب يعلم بالله سبحانه وتعالى . أنه
مجموعة من النواميس الإلهية التي يرضى
اكتشافها إلى زيادة المعرفة بالله وزيادة
الحشية منه .

ونأمل معي قوله تعالى :

« ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء
فأخرجنا به نباتات مختلفا ألوانها ، ومن

وبين سبحانه الحكمة في الصنع :
 « تبارك الذي بيده الملك وهو على كل
 شيء قدير ، الذي خلق الموت والحياة
 ليبلوكم أيكم أحسن عملا ، وهو العزيز
 الغفور ، الذي خلق سبع سموات طباقا
 ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع
 البصر ، هل ترى من فطور ، ثم ارجع
 البصر كرثين ، ينقلب إليك البصر خاسئا
 وهو حسير . »

وهذه النجوم والأفلاك التي أقسم الله
 بها ، وأقسم بمواقفها ، أعلن سبحانه
 وتعالى أنه صخرها لنا وامتد سبحانه وتعالى
 علينا بتسخيرها .
 يقول سبحانه :

« وصخر لكم الشمس والقمر دائبين ،
 وصخر لكم الليل والنهار . »

ويقول تعالى في سورة النحل :
 « وصخر لكم الليل والنهار والشمس
 والقمر ، والنجوم مخرجات بأمره ، إنه
 في ذلك لآيات لقوم يعقلون . »
 ويقول سبحانه :

« ألم تر أن الله يوجل الليل في النهار
 ويوجل النهار في الليل ، وصخر الشمس
 والقمر كل يجري إلى أجل مسمى وأن الله
 بما تعملون خبير . »

كانوا هم أشد منهم قوة وأناراً في الأرض
 فأخذهم الله بذنوبهم وما كائن لهم من الله
 من واق . »

« ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من
 قرن مكناهم في الأرض ما لم نمسك لهم
 وأرسلنا السماء عليهم مدرارا ، وجعلنا
 الأنهار تجري من تحته ، فأهلكناهم
 بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين ؟ »
 ودفعهم إلى المعرفة بالملك حينما أقسم
 ببعض الكواكب مشيراً إلى منزلتها بهذا
 القسم ، وحينما أقسم بمواقع النجوم ،
 والقسم بمواقع النجوم فيه ما فيه من
 بحث لتأمل والتدبر والبحث .

يقول سبحانه :

« فلا أقسم بمواقع النجوم ، وإله لقسم
 لو تعلمون عظيم . »

ويقول سبحانه : « والنجم إذا هوى »
 وبين سبحانه أنه رب القمر : « وأنه هو
 رب القمر . »

ويتحدث سبحانه عن النظام الدقيق
 الذي تسير عليه الأفلاك :

« الشمس ينجي لها أن تدرك القمر ،
 ولا الليل سابق النهار ، وكل في فلك
 يسبحون . »

دفعهم على وجه المصوم إلى البحث والنظر والتأمل في الكون كله ، والآيات القرآنية في هذا المجال تتعاون وتتناسق لتوجه الإنسان إلى التفتيش في جميع مجالات الكون لاكتشاف نواميس الله في كتابه هذا للنظور ، يقول سبحانه :

« إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاختلاف الليل والنهار والملك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة ونعريف الرياح والمعاد للفسخ بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » .

ويقول سبحانه :

« إِنَّ فِي خَلْقِ الْمَسْمُوتِ وَالْأَرْضِ وَاختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبصار »
ويذكر الله سبحانه وتعالى في أوائل سورة الرعد ما يلي :

« أَلَمْ تَرَ تِلْكَ آيَاتِ الْكِتَابِ وَاللَّهُ أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ ذِكْرًا وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ الْعَلِيِّ وَرَفَعِ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوَاهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّعَيَّنٍ يَدَّبُّ بِالْأَمْرِ فَمَنْ لَآيَاتِ لَعَلَّكُمْ

وَاللَّهُ الْعَلِيُّ أَحَبُّ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ وَرَاءِ بَيَانِ ذَلِكَ ، ومن أمثاله ، هو أن يصل الإنسان إلى اكتشاف قوانينها ، إلى تسخيرها ، إلى السيطرة عليها ، إلى امتلاكها .

وإنه لمن الجليل أن يتحدث إنسان عن غزو الفضاء ، وعن الوصول إلى القمر فيقول : إن الإسلام يعارض ذلك ، إنه من الجليل بالإسلام أن يقول إنسان ذلك ، فقد أنزل القرآن الكواكب منزلتها بينما كان الآخرون يقدسونها ، بل ويمبدونها ، يقول سبحانه هؤلاء الذين سجدوا لها وعبدوها :

« لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ ، وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ » .

إنها مخلوقات ، الله ربها ، وكما أنه سبحانه ، رب شمسي ، تارة ، رب كل كوكب ورب كل نجم ، وكما أنه خلق الشمس ، والقمر ، فهو الخالق لكل السموات التي زين السماء الله نيا منها بزيينة الكواكب .

وكما دفع القرآن المسلم إلى التعرف على (أيام الله) وكما دفعهم إلى النظر والتأمل والبحث في النجوم والكواكب ، فإنه

واختلاف ألسنتكم وألوانكم ؛ إن في ذلك لآيات للعالمين . .

« ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتئناؤكم من فضله ، إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون »

« ومن آياته يرسم لكم البرق غمماً وطمعا ويترل من السماء ماء فيحيى به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون » .

« ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ، ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجونها ، وإن في ذلك لآيات للذين كفروا » .

« وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وإن في ذلك لآيات للذين آمنوا والأرض وهو العزيز الحكيم » .

ولقد سخر الله سبحانه وتعالى البحر ، يقول سبحانه :

« الله الذي خلق السموات والأرض وأزلهن من الماء طاء ، فأخرج بهن الثمرات وذا لكم ، وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهار » . ويقول تعالى :

« وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً ، وتسخر جواراً من تحته فليسبوناً وتربى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تفكرون » ، وألقى في الأرض

بطناء ريبكم توقنون . وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات ؛ جعل فيها زوجين اثنين ؛ يغشى الليل النهار ؛ إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ؛ وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يعطى غاء واحد ؛ ونفضل بعضها على بعض في الأكل ؛ إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون » .

ويعتق الله سبحانه وتعالى على الإنسانية أجمع بآياته الباهرة ؛ منارياً للتل للعتلاء للصبيرين ؛ ليتجهوا بالبحث والمراعاة إلى ما وجههم سبحانه نحوه ؛ يقول سبحانه : « فمبعث الله حين تمسسون وحين تصبحون ؛ وله الحمد في السموات والأرض وحشياً وحين تظهرون » .

« يخرج الخبيث من الخبيث ؛ ويخرج الليل من الخبيث ؛ ويحيى الأرض بعد موتها ؛ وكذلك تخرجون » .

« ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون » .

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ؛ إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » . « ومن آياته خلق السموات والأرض

الربى ، إنه سبحانه يوجه نظرها إلى البحث في الآفاق على مختلف أوضاعها : إنه يوجه نظرها إلى البحث في الأرض والسماء وما بين الأرض والسماء :

« سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد »^(١)
 هن فضل العلم الهدي :

و مع ذلك فإنه إذا كنا قد نجدنا الآن في الأغلب الأعم ، هن العلم في مجاله السكوني ، أى في مجال المادى المحسوس . وإذا كانت الأحاديث السابقة في فضل العلم على وجه العموم ، فإنه مما لا حرجية فيه أن العلم الهدي خاصة قد وردت فيه أحاديث كثيرة أيضا .

وأن ما نذكره هنا وفيما سبق في العلم على وجه العموم ، أو في العلم الهدي خاصة لا يحيط بكل ما ورد في فضل العلم وإنما نذكره فليضا من قبض :

هن ابن عباس رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :

(ألهم الناس من هجرة النبوة أهل العلم وأهل الجهاد :

أما أهل العلم فعدوا الناس على ما كانت به أرسل ، وأما أهل الجهاد فخذوا بأبوابهم على ما جاءت به الرسل)^(٢) .

(١) « زاهد أبو نعيم ، والبر والإسلام » بؤيده .
 [٩٦]

رواى أن محمد بنكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون » .

ويقول سبحانه :

« ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله لربكم من آياته إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور » .

وبنتهى الأمر في القرآن ، بأن الله سبحانه وتعالى صخر السكون كله للإنسان .

يقول سبحانه :

« ألم تر أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض ؟ »

ويقول سبحانه :

« ألم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف باليناها وزيناها وما لها من فروج والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأبثنا فيها من كل زوج بهيج ، تبصرة وذكرى لكل عبد منيب وزلنا من السماء ماء مباركا ما أبثنا به جنات وحب الحصيد ، والنخل باسقات لها طلع نضيد وزنا للمبادواحبينا به بلدة ميتا كذلك الخروج » .

و يقول تعالى

« أعلنا ينظرون إلى الإمير كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت » ؟
 ومضى هذا كله أن الله سبحانه وتعالى يوجه نظر الأمة الإسلامية إلى دراسة كتابه

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

«عن أبي هريرة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال لكعب : (من أبواب العلم ؟ قال : الذين يعملون بما يعلمون . قال : فما أخرج العلم من قلوب العلماء ؟ قال : الطمع)^(١) .

وعن أبي هريرة قال : فيما أعلم من رسول الله ﷺ قال :

(إن الله عز وجل يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)^(٢) .

من آداب العلماء :

ولقد حذر رسول الله ﷺ العلماء ، وأنكرهم ، وبين لهم آداباً من آداب العلم والعلماء كثيرة ، منها ما يلي :

عن عبد الله بن مسعود قال : (يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل به ، ومن لم يعلم فليقل : الله أعلم ، فإن من العلم أن تقول لما لا تعلم : الله أعلم ، قال الله تعالى لنبيه :

« قل ما أسألكم عليه من أجر ، وما أنا من المتكلفين » .

[١] رواه الدارمي .

[٢] رواه أبو داود .

(ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتداولونه فيما بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتمهم لللائكة . وذكروا الله فيمن عنده)^(١)

وعن معاوية قال : قال رسول الله ﷺ : (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، وإنما أنا ناسم والله يعلم)^(٢) .

وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(نضر الله وجه عبد سمع مقالتي ففكها ووعاها وأداها ، فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم : إخلاص العمل لله ، والنصيحة للمسلمين ، ولزوم جماعتهم ، فإن دعوتهم تحبط من وراءهم)^(٣)

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(فقيه واحد أشد على القيطان من ألف حاب)^(٤) .

[١] رواه مسلم وأبو داود وغيرهما .

[٢] منطلق عليه .

[٣] رواه الشافعي والبيهقي في المعضل .

[٤] رواه الترمذي وابن ماجه .

روى الإمام الغزالي في الإحياء قال :

من معاذ بن جبل رضى الله عنه - ورأيت
صرفوما - قال :

(تعلموا العلم ، فإن ثمره له خشية ،
وطلبة عادة ومذاكرة تمسيح ، وبحث
عنه جهاد ، وتعليمه لمن لا يعلم صدقة ،
وبذله لأهله قرينة ، لأنه معالم الحلال والحرام
ومنازل أهل الجنة ، وهو الأئمة في
الوحشة ، والصاحب في الغربة ، والمحدث
في الخلوة ، والدليل على السراء والضراء ،
والسلام على الأعداء ، والرب عند الأخلاء ،
ويرفع الله به أقطاب فيجعلهم في الخير قادة
تقتنى آثارهم ، ويقنطري بتمامهم ، وينتهي
إلى وأهم ، نزع لللائكة في خلتهم ،
وبأجنتهم تمسحهم ، ويستغفر لهم كل
رطب وبابس ، وحيثما البحر وهوامه ،
وساح البحر ، وأمامه ، لأن العلم حياة
القلوب من الجهل ، ومصابيح الأبصار من
الظلم ، يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار
والمرجات الملى في الدنيا والآخرة ، والتكبر
فيه يمدل الصيام ، ومدارسته تمدل القيام ،
به توصل الأرحام ، وبه يعرف الحلال من
الحسرام ، وهو إمام العمل ، والعمل
تابع ، يليه السجدة ويهرمه الأهقياء) .

ومن ابن عباس قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم :

(إن أناسا من أمتي سيتفقون في الدين ،
ويقرءون القرآن : يقولون : تأتي الأمراء
فخصيب من دينهم ونعتزلم بديننا ، ولا
يكون ذلك كما لا يجنى من القنادل الشوك ،
كذلك لا يجنى من قريحهم إلا ... قال محمد
ابن الصباح : كأنه يعني الخطايا)^(١) .

وقال محمد رضى الله عنه لأحد الصحابة :
(هل تعرف ما يهدم الإسلام ؟ قال : قلت :
لا . قال : يهدمه زلة العالم ، وجدال المسافق
بالكتاب وحكم الأئمة للعالمين)^(٢)

ومن أبي هريرة رضى الله عنه قال :
قال رسول الله ﷺ :

(من سئل عن علم عليه ثم كتمه ،
ألجم يوم القيامة بلجام من نار)^(٣) .

الصحابة والحث على العلم :

واتقد تابع للسلون القرآن والحديث
الشريف في الحث على العلم ، وسكتي
في هذا بما قاله سيدنا معاذ بن جبل
رضى الله عنه .

[١] رواه ابن ماجه .

[٢] رواه الداريم .

[٣] رواه أحمد وأبو داود والترمذي .

الثمرة التي أدى إليها الحث على العلم :

وكانت نتيجة ذلك كله أن اندفع
للسلمون إلى البحث في جميع ميادين الحياة ،
روحية كانت أو عقلية ، أو مادية ، ونشأت
من ذلك الحضارة الإسلامية التي أتت
أمثال جابر بن حيان في الكيمياء ،
وابن الهيثم في الطبيعيات ، وأبي بكر
الرازي في الطب ، وابن سينا في الطب
كذلك ، والفلسفة ، والفيزياء في الجواب
الروحى ، وابن رشد في الفلسفة العقلية ،
وابن خلدون في الاجتماع والتاريخ ،
والخوازمي في الجبر ، وكثيرين غيرهم .

المكانة التي وصل إليها علماء الإسلام :
ونضرب الآن بعض الأمثلة على ما وصل
إليه علماء الإسلام من مكانة مرموقة

الكندى :

يقول دعى جوره من الكندي في دائرة
المعارف الإسلامية :

إن كوردان ؛ وهو غليصوف من فلاسفة
النهضة : (رينيانس) يعد الكندي واحدا
من اثني عشر ، هم أئمة الناس مثلا ، وإنه
كان في الفروع الوسطى يتردد واحد من
ثمانية ، هم أئمة العلوم العقلية

والطريف في حياة الكندي أنه كان يجرى

الكثير من التجارب حتى تقوم معرفته
- في لديه ان التجريبى - على أساس سليم .
وأنه كان يعرف للوحيق نظريا وعمليا :
ويعزج للموسيقى بالطب في أمر العلاج .

وبحسب عنه في هذا اليدان حكاية طريفة ،
وسواء أصبحت أم لم نصح ، فإنها تدل على
أساس من معرفة الكندي بالموسيقى والطب ،
ومن مزج بينهما .

روى صاحب كتاب : (أخبار الحكماء) .
وقد ذكروا من عجب ما يحكى من
يعقوب بن إسحاق الكندي ، هذا :
أنه كان في جواره رجل من كبار التجار ،
موسع عليه في تجارته ، وكان له ابن قد
كفاه أمريه وشراؤه وضطد دخله وخرجه .

وكان ذلك التاجر كثير الإزراء على
« الكندي » والظن عليه مد منّا لتكثيره
والإفراء به ، فعرض لابنه سكنة فجاءه ،
فورد عليه من ذلك ما أذهله وعي لا يدري
ما القى له في أيدي الناس وما لهم عليه .

مع ما دفعه من الجزع على ابنه فلم يدم
بعدية السلام طبيباً إلا ركب إليه واسترجه
لينقرا له ويغير عليه من أمره علاج .
فلم يجبه كثير من الأطباء - فكبر الله
وحطرها - إلى الخسرو معه ، ومن أجابه
مهم فلم يجد عنده كبير غناء .

فلما أتى على جميع ما يحتاج ، غفل الضاربون من تلك الطريقة التي كانوا يضربونها وفتروا فماد الصبي إلى الحال الأولى وغلبه الكسات . فسأله أبوه أن يأمرهم بمداومة ما كانوا يضربون به فقل : هيهات . إنما كانت صباة قد بقيت من حباته ، ولا يمكن فيها ما جرى ، ولا سبيل لي ولا لأحد من البشر إلى الزيادة في مدة من قد انقطعت مدته . إذ قد استوفى العطية والقسم الذي قسم الله له .

ابن الهيثم :

لقد كان يتخير الأماكن التي يجري فيها تجاربه في الضوء ثم وضع كتابه عن تجربة ولقد كان كتابه مصدر الإلهام لكثير من علماء الغرب ، في أبحاثهم عن الضوء والحسرة .

وعن ابن الهيثم يقول « سارتون » : إنه من أكبر الباحثين في علم البصريات (الضوء) في جميع الأزمان .

ابن النفيس :

إن الغرب يشيد به « هارفي » باعتباره مكتشف الدورة الدموية ، وينسى الغرب أو ينسى ما قام به ابن النفيس من تجارب

فقبله : أت في جوار فيلسوف زمانه ، وأعلم الناس بدلاج هذه الملة فلو قصده لو جدت عنده ما يحب .

فدعته الضرورة إلى أن يحمل على « الكندي » بأحد إخوانه : فنقل عليه في الحضور فأجاب وسار إلى منزل التاجر فلما رأى ابنه ، وأخذ بحجه ، أمر بأن يحضر إليه مع تلامذته في علم « الموسيقى » ومن قد أتقن الخلق بضرب العود وعرف الطرائق الحزنة والفرجة والقوية للقلوب والنفوس فحضر منهم أربعة نفر فأمرهم أن يدعوا الضرب عند رأسه وأن يأخذوا في طريقة أوقفهم عليها ، وأرام موافق لثمن بهاء أسابهم إلى « الدساتين » ونقلها . فلم يزالوا يضربون في تلك الطريقة و « الكندي » آخذ بحبس السلام وهو في خلال ذلك يمتد نفسه ويقوى ببطءه ، ويراحع إليه نفسه شيئاً بعد الشيء إلى أن تحرك ، ثم جلس وتكلم ، وأولئك يضربون في تلك الطريقة دائماً لا يفترون .

فقال « الكندي » لأبيه : هل ابنك عن علم ما تحتاج إلى علمه ، مما لك ومليك وأنتبه فجعل الرجل يسأله وهو يجبره ، ويكتب شيئاً بعد الشيء .

المأوية على كل من المستوى الأدنى ،
ومستوى الزوال .

واختدع قوانين ومعادلات كان لها
قيمة كبرى قبل اكتشاف الفواريتات .
البيروني :

يقول عنه المستشرق الألماني الذي نعر
بعض كتبه أنه أكبر عقلية ظهرت على مجرى
التاريخ ، وكتبه عن عقائد الهند ، وعن
الاجتماع الهندى فى عصره فعتبر من المصادر
الأولى فى الدراسة عن الهند فى العصر
الحاضر ، ولقد روى مرآة البحار البيروني
قصة واقعية تبين مدى حرصه على العلم :
روى ياقوت فى معجم الأدياء ، عن التقي
على بن هبسى الوالوى ، قال : (دخلت على
أبى الريحان وهو يجود بنفسه فندسجرح
نفسه ، وضاق به صدره فقال فى تلك الحال :
كيف قلت لى يوما حساب الجداول الفاصدة
(يعنى ميراث الجدات لأم) فقلت له إن شافنا
عليه : فى هذه الحالة أقال لى : يا هذا ،
أودع الدنيا وأنا عالم بهذه السأنة ، ألا يكون
خيرا من أن أحلبها وأنا جاهل بها .

ولمنا هنا بصدد التاريخ لعلماء المسلمين
ونسكنى بكلمة للدكتور عبد الحليم منتصر
عن ابن الهيثم ، وعن البيروني ، إنه يقول

ومن ملاحظات واختبارات ، وصل على
أساس منها إلى اكتشاف الدورة الدموية
قبل هارفى بمدة قرون ، لقد أثبت ابن
السفيس أن الدم ليس مستقرا ثابتا فى الأوردة
والشرابىن ، بل هو سائل سائر بدور
فى جميع أجزاء الجسم .

ابن يونس :

وابن يونس يخصص الكثير من وقته
للنظر فى الساعات وتطورها ، ويخترع
بندول الساعة الذى نسميه (الرصاص) .
يقول الدكتور عبد الحليم منتصر فى كتابه
(العلوم عند العرب) :

ولقد رصد ابن يونس كسوف الشمس
وخسوف القمر فى القاهرة سنة ٩٧٨ م
وقد وصف فى زيجته الحاكى الطريقة التى
اتبها فلكى العرب فى عصر المأمون
فى قياس محيط الأرض .

وهو الذى اخترع « البندول » وبذلك
يكون قد سبق « جاليليو » بمدة قرون ، وكان
يعتدل لحساب الفترات الزمنية أثناء الرصد
كما استعمل فى الساعات الدقيقة ، وقد برع
ابن يونس فى حساب المثلثات وأجاد فيها
ولاقت بحوته بحوث كثير من الرياضيين
وقد حل مسائل صعبة فى المثلثات الكروية
واستعان فى حلها بالمسقط العمودى فكرة

في كتابه النفيس « محاضرات في العلوم عند العرب » :

يقول ابن الهيثم : إنه ما مدت له الحياة سبيل جده ، ويستمرغ قوته في التأليف متوخيا أمور ثلاثة : أولها - أن يمجّد الناس في كتبه بعد موته الثابتة والعلم الذي يقدمها لهم في حياته .

وثانيها : أنه يجعل من التأليف وتدريج الرسائل ارتياضا لنفسه بهذه الأمور .

وثالثها : أن يدخر من تلك التأليف هبة للفيضوخة وأوان الهرم .

وعند ما أراد أحد العلماء أن يجري عليه أموالا كثيرة ، قال ابن الهيثم بكفني قوت يوم وتكفني حارية و خادم فإزاد على قوت يومى إن أمسكنه كنت غار لك وإذا أغفقتك كنت قهر مالك ووكيلك وإذا اشتغلت بهذين الأمرين ، فن القى يشتغل بأمرى وعلى ، فاقبل بعد ذلك إلا نفقة احتاج إليها ولباسا متوسطا .

وقد رد ابن الهيثم لأحد الأمراء ما كان قد دفعه أجرة تعليمه قائلا :

خذ أـ وارك بأمرها فلا حاجة لى إليها وأنت أحوج إليها منى عند هودتك إلى ملكك ومسقط رأسك ، واعلم أن لا أجرة

ولا رشوة ولا هدية في إقامة الخير .

يقول « صارتون » عن ابن الهيثم : إنه أكبر طبعى مسلم ، ومن أكبر المشتغلين بعلم للناظر (الضوء) في جميع الأزمان . فقد كان أساس الأخلاق عند ابن الهيثم إثارة الحق وطلب العلم ، ألسنا نجد في خلق ابن الهيثم العالم العربي المصرى خلق العالم الفاضل ؟ ألسنا نرى أنه مثل بختنقى في حياته ؟ وأنه مثل بختنقى به عصره ، ومن بعده بنحو ألف من الأرواح ^(١) .

وكذلك تميز البيرونى بعقلية علمية نادرة المثال ، نستطيع أن نضمها في مصاف أرقى العقليات العلمية في الوقت الحاضر ، ومن حجب أن يتميز البيرونى في فنون مختلفة غاية الاختلاف ، فهو في الفلك فلسفى ممتاز بشهادة علماء الفلك من الفرنجة والعرب ، وهو فى « الجيولوجيا » ، « جيولوجى » ممتاز بشهادة « الجيولوجيين » المعاصرين .

وهو فى التاريخ مؤرخ محقق مدقق واسع الاطلاع شامل المعرفة ، قادر على الاستقراء والاستنتاج وإنما استطاع أن يجمع بين هذه العلوم عما أوتى من قدرة

[١] محاضرات في العلوم عند العرب لـدكتور

عبد الحليم منتصر ص ٨١

الأعلام وكثير غيرهم في كل فن، ثم نعمة هذه الدعوة الإسلامية التي بلغت في الإشادة بالعلم القدوة .

أسطورة التعارض بين الإسلام والعلم :
إن مسألة الصلة بين الدين والعلم - انجماما واتقانا ، أو تعارضا وزامانا - تثار من آن لآخر على صفحات الجرائد ، وفي ثنايا الكتب ، وبين المفكرين في أنديتهم .

ولقد كتب الغربيون كثيرا في هذا الصدد ، بل هم أول من كتب فيه ، ولكن هذه المسألة تجاوزت الغرب إلى الشرق وكتب مفكرو الشرق فيها ، واختلفوا فيها بينهم كما اختلف مفكرو الغرب . وإن ما كتبه العلامة الفرنسي : (اميل بوترو) بهذا الصدد يعطينا صورة عن هذه المسألة في الغرب وفي الشرق الحديث ، إنه يقول :

« إن أسوأ العلاقات بين الدين والعلم ، حين يراقب في ثنايا التاريخ ، يثير أحد العجب ، فإنه على الرغم من تصالح الدين والعلم مرة بعد مرة ، وعلى الرغم من جهود أمثال المفكرين التي بذلوها ملحقين في حل هذا للعقل حلا عقليا لم يبرح العلم والدين قائمين على قدم الكفاح ، ولم ينقطع بينهما

فائقة على البحث والدرس ، وما وهب من ذهن خارق جبار .

يروى أنه لما أتم البيروني تأليف كتابه « القانون للسعدي » حمله إلى السلطان الذي أراد أن يجزيه على هذا العمل العظيم ما يستحقه ، فوجه إليه ثلاث جمال نفوس بأحاطها من نفود الفضة ، فردها البيروني قائلا :

إنه إنما يتقدم العلم فاعلم لا المال ^(١) .
ويعد الأستاذ أحمد عبد الرحيم السائح بعض أعلام العلماء المحققين فيقول :

والإسلام بدعوته إلى السلم هو الذي خسر رجال الحضارة ، وجهاذة العلم وأحاذة الهدى ومهاتمة العلماء أمثال :

ابن الهيثم ، والسكندي ، والقاريني ، وابن سينا ، والبيروني ، والفرغاني ، والطوسي والبغدادى ، والدينورى ، والرازي ، والقزويني ، والأناطكي ، والهرابي ، والخوازمي ، والصوفي ، وجابر ، والجاحظ وابن البيطار ، وابن النفيس ، وابن حيان وابن حنبل ، والإدريسي ، والشمودي ، وابن بطوطة ، وابن زهرة ^(٢) . هؤلاء

[١] المصدر السابق ص ٨٢ .

[٢] مجلة الرسالة الإسلامية التي صدرها ديوان الأوقاف بالبراق .

الدين ، فليس يبنى العلم أن يكون ما جاء في الدين من عقائد متفقا مع نتائج العلم ، لأن الأساس الذي يعتمد عليه الدين فيها يحى به يختلف عن الأساس الذي يعتمد عليه العلم ، فالدِّين يقدم مسائله على أها عقائد يجب الإيمان بها ، أى يجب أن يتقيد بها العقل والوجدان ، ويعرضها في صورة تدل على اتصال الإيمان بنوع من الأشياء يميزه لنا الطبيعي عن إدراكه ، وفي ذلك ما يجعل العلم — إن لم يرفض هذه المسائل كلها — يرفض الأسلوب الذي يسلكه المندين في الأخذ بها .

والمندين من ناحيته إذا وجد جميع عقائده وهوافظه وأحكامه العملية مغمورة ، بل متبينة بالعلم يكون حينئذ أبعد شيء عن مسألة العلم ، فإن هذه العثوق إذا شرحت كل هذا الوجه فقدت كل خواصها الدينية (١) .

والواقع أن كلام أميل بوترو الذي ترجمه الشيخ مصطفى عبد الرزاق ، يتحدث عن الجلو الأوربي المسيحي ، وعن البيئة الأوربية للمسيحية ، ومن الخطأ أن تنقل ذلك النزاع إلى البيئة الإسلامية .

صراع ، يريد به كل منهما أن يدع صاحبه ، لا أن يغلبه حسب .

على أن هذين النظامين لا يزالان قائمين ، ولم يكن مجدياً أن تحاول العقائد الدينية تصغير العلم ، فقد تحرر العلم من هذا الرق ، وكأنما انعكست الآية منذ ذاك .

وأخذ العلم ينشر بفناء الأديان ، ولكن الأديان ظلت واسعة ، وفهد بما فيها من قوة الحياة هنف الصراع (١) .

ويستعمل المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرزاق فيقول :

ولسنا نريد أن نعرض لتاريخ العلاقات بين الدين والعلم على مر العصور ، وما تناوبها من سلام وحرب ، فإن ذلك بحث طويل ، وليس هو مما قصدنا إليه في هذا الكتاب ، على أنه قد يكون غير خلو من المناسبة لفرضنا أن تذكر ما كتبه أميل بوترو عن موقف العلم والدين في أيامنا هذه إذ يقول :

(ليس التصادم الآن فيما يظهر بين الدين والعلم باعتبارهما مذهبين ، بل التصادم أدنى أن يكون بين الروح العلمى والروح

(١) الدين والوحى والإسلام للمرحوم الشيخ مصطفى عبد الرزاق .

وبدأ إذن التشكيل بالماء ، يأخذ
عجاء ، في صورة قاسية بشعة ، لا تعرف
الرحمة ولا الإنسانية .

ولكن العلماء لم ينهم ذلك هو البحث
والعرامة ، وإعلان النتائج والإسفار
عن الحقائق . فلما رأيت الكنيسة ذلك
زاه غيظها وزادت حدتها ، وكان لها في
كل يوم غريمة ، وكان للمسلم في كل يوم
شهيد ، وكثر شهداء العلم كثرة جعلت
الناس يعتقدون أن بين الدين المسيحي والعلم
تعارضا وتضاربا واختلافا .

والواقع أنه كان بين المذاهب كما تراء
الكنيسة ، والمسلم ، تعارض وتضارب
واختلاف ولكنك لا يمكنك أن تسمى
المذهب الذي كانت تراء الكنيسة إذ ذاك
دينا ، وإذن فإنه ما كان يمكن أن تقوم
فكرة التعارض بين الدين والمسلم ،
لو التزمت الكنيسة الدين المسيحي ،
كما جاء به السيد المسيح عليه السلام . هذا
من جانب ، أما من الجانب الآخر ، فإنه
إذا كانت فكرة التعارض بين الدين والعلم
لغات في أوروبا للأسباب التي ذكرناها ،
فإنه ما كان يجب أن تنقل إلى الشرق
وتناقش في الأجواء الإسلامية ، فإن

أما كونه يسود البيئة الأوروبية
للمسيحية ، فإن ذلك واضح لكل من
درس تاريخ أوروبا للمسيحي ، في موضوع
العلاقة بين الدين والعلم .

إن الكنيسة في فترة من فترات حياتها
ثبتت آراء « أرسطو » لقد ثبتتها في الطبيعة
وثبتتها فيها بعد الطبيعة ، وما كانت آراء
« أرسطو » في يوم من الأيام ديناً . وكان
الكنيسة فضلا عن ذلك آراء آمنتم بها ،
تتعلق بالمعالم الطبيعي لا أحاس لها من
الحق ، ولا تستند إلى علم يقيني . ولا تمت
إلى الدين للمسيحي بصفة - وإنما هي شائعات
انحدت طريقها إلى العقائد ، وما كانت
إلا أساطير

وحينا بدأت النهضة ، وحينا بدأ تطبيق
للنهج الاستقرائي : منهج التجربة
ولللاحظة ، تبين العلماء من خلال المراسد
والمعامل ، ومن نتائج التجارب
ولللاحظات ، أن آراء أرسطو في الطبيعة
لا تخلو من خطأ ، وأخذوا يطنون هذه
الأخطاء المرة بعد المرة .

وكانت الكنيسة حينئذ مسيطرة على
أوروبا وكانت محاكم التفتيش قاعة على
قدم وساق ، تشكل بكل منصرف عن
تيار الكنيسة .

تقتنا به كدالم ، وإذا ما قال :
إن العلم ينكر كذا من الأمور الروحية ،
فإن هذه الكلمة تكنى أيضاً لنسحب
تقتنا به كالم : إذ أنت العلم في المجال
الروحي : لا يثبت ولا ينفي ، وهذا واضح
بما سبق أن ذكرناه .

ومع ذلك فقه يتيح العلم بأبحاثه
في ارتباط الكون وتنميته وإبداعه ،
والتناغم الذي يسوده ، والحقائق الباهرة
التي يبينها (علم التشریح) مثلاً في التركيب
الحيواني .. فقه يتيح العلم عن كل ذلك
لعلماء الدين وسائل ينون عليها تذكيرهم ،
وعظائم وبيانهم اتقائم على أن العالم لم
يكن نتيجة الصدفة العمياء ، أو الاتفاق
الاعم ، ويبينون من نتائج العلم ، أن
الآيات في مجال المادة نفسها : تشهد أنها
من صنع الله الذي أتقن كل شيء .

« سندبرهم آیاتنا فی الآفاق وفي أنفسهم
حتى یؤمن لهم أنه الحق أو لم یكشف
بربک أنه على کل شيء شهید » .

إن دائرة الدين لا تتحد مع دائرة العلم ،
فلا يتأتى أن يسكروا بينهما تناقض . إن
العلم لا يبحث في العقائد من حيث هو وحي ،
ولا في التفسير والشر باعتبارها حقائق

الإسلام نضاً كما رأينا حينئذ العلم ، حائلاً
عليه ، موجباته ، مشيداً به إلى درجة
لا يدانيه فيها غيره .

ومع ذلك : فإن الأمر العام الذي نريد
أن ننبه عليه ، هو أن مسألة التناقض
بين الدين والعلم إنما هي مسألة وهمية
إذا نظرنا إلى حقيقة الأمر .

ذلك أن العلم وعملية البحثية :
يعترفون في صراحة ، لا لیس فيها ، وفي
وضوح لا خفاء فيه : بأن دائرة أبحاثهم :
إنما هي المادة ، وإنما هي المحس ، وأنهم
يعتمدون في ذلك على التجربة ، وعلى
الملاحظة ، إنهم يعتمدون على الاستقراء
على وجه العموم ، وليس الاستقراء
إلا تتبع جرئيات محضة ، تتبعها الملاحظة
أو بإجراء التجارب عليها .

والمنهج العلمي إذن إنما هو منهج
لمعرفة كيفيات المادة ، وإذا ما خرج
الأمر من دائرة المادة فقد خرج من
دائرة العلم .

وعلى هذا الأساس : فليس العلم مطلقاً
دخل في أمور الدين : إثباتاً وإقراراً
أو نفيًا وإنكاراً ، وإذا ما قال قائل :
إن العلم يثبت كذا من الأمور الروحية ،
فإنه يكفينا منه هذه الكلمة ، لنسحب

الخدسي ، كما فسره للناطقه بأنه انتقال
القدح من إله للطلوب بسرعة، وكل من للتهجين
نشأ معارضاً ، المنهج القياس الأرسطي :
وكل منهما يرى أن القياس الأرسطي
إنما يعنى بالصورة والعقل ، ولا شأن له
بالواقع والتطبيق ، ومن أجل ذلك سمى
بالمنطق الصوري : أى منطق الصورة
لا الجوهر .

والمنهج البيكونى هو منهج علمي .
أما المنهج الديكارنى فإنه منهج فاسي ،
والمنهج التجريبي : هو المنهج الذى قامت
عليه الحضارة الحديثة ، ومن أجل ذلك
منقصر حديثنا عليه .

إن منهج الاستقراء : أى تتبع الجزئيات
عن طريق التجربة فيما يمكن أن يخضع
للتجربة ، ومن طريق الملاحظة فيما لا يتأتى
أن يخضع للتجربة ، للوصول إلى الحكم
عليها فى صورة من صورها ، حكماً كلياً ،
أو — بمباراة أخرى — للوصول إلى
اكتشاف القوانين العامة ، أو للوصول
إلى معرفة قوانين الكون .

وحال الاستقراء : إنما هو الطبيعة لأنه
ملاحظة جزئيات فى عالم الطبيعة ، وأداته
الحس ، فهو ملاحظة محسوسات . وعلى

أخلاقية ، ولا فى التشريع من حيث ما يجب
على الأمة أنه تسن من قوانين ، وهذه كلها
هى المجالات التى يطن الدين وحى السماء
فيها ، واجبات وغروضا ، أو مباحات
وجائزات ، أو محرمان ممنوعات ، وإنه
لتقليد يضاوات أنه تنقل الفكرة التى لها
فى التعارض بين الدين والعلم ، من يثبتها
الجزئية ، ومن ظروفها الخاصة ، إلى مجال
الدين عامة ، أو مجال الدين أينما كان ، وفى
أى زمان وجد ، وإنه لمن التهرج الواضح ،
وسوء النية للينة ، أن ننقل الفكرة من
جو المسيحية إلى جو الإسلام الذى كانت
أول كلمة فى وحيه (اقرأ) والذى يصل
بالعلماء إلى أن يشهدم التوحيد مع الله
ومع اللائكة .

للمناهج العلمية بين الإسلام والحضارة

الحديثة :

ولا ريب فى أن الحضارة الحديثة بدأت
فى قوة جارفة ، بمنهجين فى العلم يختلفان
ويتعارضان ويتنازعان :

أحدهما : للمنهج الحس التجريبي ، أو
للمنهج البيكونى .

والثانى : للمنهج العقل البدهى ، أو للمنهج
الديكارنى ، أو للمنهج الخدسي حينما نفسر

إن روجر سيكون درس اللغة العربية ،
والعلوم العربية في مدرسة اكسفورد على
خلفاء معلميه في الأندلس :

وليس روجر سيكون ، ولا لصيه الذي
جاء بعده ، الحق في أن ينسب إليهما الفضل
في ابتكار المنهج التجريبي ، فلم يكن روجر
يكون إلا رسولا من رسل العلم والمنهج
الإسلاميين إلى أوروبا المسيحية ، وهو لم
يمل قط من التصريح : بأن أعلم معاصريه
اللغة العربية ، وعلوم العرب . هو الطريق
الوحيد لمعرفة الحق . والمناقشات التي
هارت حول واضع المنهج التجريبي هي
طرف من التعريف الهائل لأصول الحضارة
الأوربية .

وقد كان منهج العرب التجريبي في عصر
يكون قد انتشر انتشارا واسعا وانكب
الناس في لطف على تحصيله في ربيع أوروبا .
ويقول (رينفولت) أيضا :

لقد كان لعلم أم ما جادت به الحضارة
العربية على العالم الحديث : ولكن ثماره
كانت بطيئة النضج . إذ المبكرة من وفاتها
ثقافة العرب في أسبانيا لم تنهض في متوانها
إلا بعد مضي وقت طويلا من اختفاء تلك
الحضارة وبراء سحب الظلام .

أساس من هذا المنهج قامت الحضارة الأوربية
الحديثة بكل ما فيها من صناعة في الطبيعة
ومن اكتشافات في الكيمياء ، ومن قوانين
فلكية ، ومن اختراعات في جميع المجالات
للمادة والحياة ، وعلى أساس من هذا
للمنهج أيضا ، ستتطور هذه الحضارة وترقى
وتتسع كما وكيفا إلى ما شاء الله .

وهذا المنهج في المشهور المتعارف بدين
في وجوده إلى «فرنسيس بيكون» ولكنه
هند الدارسين لتاريخ الفكر الأوربي ،
يدين «روجر بيكون» أكثر مما يدين لتبنيه
والملاحظون الدارسون لعلوم يرون أن
روجر بيكون ، كان أدنى وأحق في بيان
المنهج وفي تطبيقه ، بيد أن روجر بيكون
على خلاف كثير من مواطنيه - يعترف
في صراحة لا لبس فيها ، وفي وضوح
لا شائبة فيه ، أنه مدين في منهجه للعرب
والحضارة العربية .

وهذه الحقيقة التي حاول الغربيون
جاهدين ، أن ينكروها وينفروها غيبا عن
بطنها الآن بمصر المتصفين منهم : أنها هوذا
الأستاذ (رينفولت) يتحدث في كتابه
(بناء الإنسانية) عن أصول الحضارة
الغربية فيقول :

العلم ، فقد ظهر في أوروبا نتيجة لروح من البحث جديدة ، ولطرق من الاستقصاء مستحدثة لطرق التجربة ، والملاحظة ، وللقائيس ، ولتطور الرياضيات إلى صورة لم يعرفها اليونان ، وهذه الروح وتلك المناهج العلمية ، أدخلتها المسرّب إلى العالم الأوربي :

ويقول الدكتور إقبال ما نصه :

« ومن أين استقى روجريكو زما حصه في العلوم من الجامعات الإسلامية في الأندلس ولتقسم الخامس من كتابه (Lepus maris) الذي خصصه للبحث في البصرات : هو في حقيقة الأمر : نسخة من كتاب المناظر لابن الهيثم ، وكتاب ييكون في جملة ، شاهد ناطق على تأثره بأبن حزم .

هذه الحقائق التي قد منها من حضارة العرب : منها وعلمنا : أصبحت من البزوح والشهرة لدى المنصفين : بحيث لا تحتاج إلى التوسع في الاستدلال عليها .

أخذت أوروبا المنهج العلمي المادي من الإسلام باعتراف واضح هذا المنهج نفسه وباعتراف المنصفين من المؤرخين ، وليس بعد اعتراف واضح المنهج نفسه مقال لقائل ومع ذلك : فإن المنهج الإسلامي أكل وآثم

ولم يكن العلم وحده هو الذي أحاد إلى أوروبا الحياة بل إن مؤثرات أخرى كثيرة من مؤثرات الحضارة الإسلامية بعثت بأكورة أهمها إلى الحياة الأوروبية . ويقول بريغولت أيضاً :

إن ما يدين به علمنا لعلم العرب ، ليس حياة قديمه وإنما من كنوف مذهبة لنظريات مبتكرة ، بل يدين هذا العلم إلى الثقافة العربية ، بأكثر من هذا ، بل يدين لها بوجوده نفسه ، فالعالم القديم ، كما رأينا ، لم يكن للعلم فيه وجود .

وعلم النجوم عند اليونان ، ورياضياتهم كانت علوماً أجنبية احتجسوها من خارج بلادهم وأخذوها من سوام ، ولم تتأقلم في يوم من الأيام ، فتمتزع استراجا كايا بالثقافة اليونانية وقد نظم اليونان للذاهب وهموا الأحكام ، ووضعوا النظريات ، ولكن أساليب البحث في دأب وأناة ، وجمع المعلومات الإحصائية وتركيزها ، وللمناهج التفصيلية لعلم ، والملاحظة الدقيقة المستمرة والبحث التجريبي ، كل ذلك كان غريباً تماماً عن المزاج اليوناني ، ولم يقارب البحث العلمي فتأته في العالم القديم إلا في الإسكندرية في عهدها . أما ما نذكره

وأشمل ، وقد أخذته أوروبا ناقصاً .
 إن النهج التجريبي يقف عند الطبيعة ،
 وهو منهج إسلامي ، ولكنه ليس بالنهج
 الإسلامي الكامل . فالمسلم لا ينتهي إلى
 الطبيعة كغاية ، ولا يقتصر عليها كهدف
 وإنما غاية وهدفه هو ما عبر عنه سبحانه
 بقوله :
 « وأن إلى ربك للنهي » .

وإذا اقتصرنا أوروبا على العلم المادي ،
 فإن الإسلام : لا يقف عند ذلك وإنما
 يوجه الإنسانية إلى مصدر آخر للعلم والمعرفة
 هو القلب ، أو هو الروح أو هو البصيرة
 إن الإسلام يوجه الإنسانية إلى المعرفة
 الإشرافية ، أو الكشفية ، أو الإلهامية
 ويجمع الإسلام الانحاء العلمى الحديث
 إلى الانحاء البصيرية في قوله :

« إن السمع والبصر والفؤاد كل
 أولئك كان عنه مسئولا » .

فالسمع والبصر هما أساس العلم المادي ،
 علم التجربة والملاحظة ، أما القلب فإنه
 أساس العلم الإلهامي .

إن الله سبحانه وتعالى ، يوجه المسلم
 إلى الملاحظة والتجربة ، ويوجهه أيضا إلى
 الاستقراء الهداية والنور والقلب من طريق

الخلق الكريم ، وتفتوى ، والإخلاص
 وحب الإنسانية والمعاونة في الخير .
 وإذا كان الإسلام : أوسع نظرة في
 الجانب العلمى من الحضارة الحديثة وأدق
 وأشمل فإنه يختلف معها اختلافا جسيما
 حاسما في مسألة الإرادات والقوانين وأمر
 الأسباب والقبوآت ، وفي انحاء النيات
 والأهداف .

إن الحضارة الحديثة تقول : العلم
 لا صلة له بالأخلاق ، أو نقول : العلم
 لا أخلاق ، والعلم في نظرها لا شأن له
 بالخير والشر .

ولكن الإسلام يجعل أسس العلم
 متحدة بالخير ، ويجعل غايته منمسة في
 الخير ويجعل من العلم قربى إلى الله ، ويجعل
 منه عبادة لله ، إنه سبحانه يجعل بهى الكريم ،
 إن العلم في الجو الإسلامى قراءة باسم الله .
 والآن نحب بتوفيق الله تعالى أن نذكر
 نتائج بحثنا في كلمات موجزة :

١ - العلم في الإسلام شطر الغاية
 التى من أجلها نزلت الرسالة وذلك أن
 مهمة الرسول ﷺ ، كما حددها القرآن :
 التعليم ، والتزكية : « يعلم الكتاب ،
 والحكمة ، ويزكهم » .

انحرافات لامذاهب

للأستاذ أبو الوفاء المراكشي

من ظواهر الفكر البشري الحركة والتجديد . وتنازع على امتداده وللأرض الطويل سراً لهذه الظاهرة . وبحركة الفكر وتجديده ، تمت الحضارة وتطورت إلى صورتها الراهنة وسكنمو وتتطور أيضاً إلى صور لا يمكن تخيلها ولا حصرها . والفكر البشري قد يستحكم نضجه . ويستقيم أمره فتأتي ثماره خيرة صالحة

تفيد منها الجماعات والأمة وتنهدي بأنوارها في ظلمات حياتها وتتخذ منها أسماخاً لها ومستقبلاً في حضارتها وعمرانها ويمتدأ ما تفيد منها الجماعات يكتب لها البقاء والخلود ويمتدح أصحابها الثناء والقدرة . وقد ينحرف الفكر للبشرى من منهج للمراب فتأتي ثماره لجة مرة وتترك آثارها السيئة في عقائد الجماعات وسلوكها وتضطرب

- ١ - نفاً الإسلام حليفاً للعلم منذ أن ابتدأ الوحي بقوله تعالى : « اقرأ » .
- ٢ - الإلهادة بالعلم في القرآن والسنة لا يمتثلها في عصرها وجلالها ، إلهادة في الآداب المالية .
- ٣ - العلم الذي يدعو إليه القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، هو العلم بكل نافع في مجال الكون ، في مجال ما وراء الكون ، في مجال العقائد ، وفي مجال الأخلاق ، وفي مجال الطبيعة .
- ٤ - المنهج العلمي الأوروبي الحديث ، منهج أخذته أوروبا عن الإسلام باعترا
- الواضع الحقيقي للمنهج وهو (روجر بيكون) .
- ٥ - لا تعارض بين الدين والعلم ، لأن دائرة الدين : الإيمان ، ودائرة العلم : المادة ، وأنت الأصل الكبير في أن تستجيب الأمم الإسلامية لدعوة الله ورسوله ، فتجعل من العلم أملاً لها لنهضتها وعمارتها في قيامها برحالتها .
- والله الموفق المبسر ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن اتبع هداه إلى يوم الدين .
- عبد الحليم محمود

وإذا كان للمذهب والذهوات أهداف ومقاصد مفهومة وتقتل على خير الجماعة البشرية ولو في نظر أصحابها، فاذن المذهب قد خلا من كل فرض وهدف، وحاظه الإهمام والتموض، في كل جانب. وقد حاول جماعة من الكتاب أن يلتمسوا لهذا المذهب فرضا ليجهدوا منه مذهباً جاداً يسلك في نظام المذاهب الجادة للمقسوقة، ففسر بعضهم الهدف منه بأنه احتجاج سلبى على حاجته الحضارة الحديثة على البشرية من فزع وفتن وتنازع وتصارع أفضى بالعالم إلى الافتتان في وسائل التدمير والتخريب وإلى أن يعيش في جو لأم تظله سحب التهديم والإرهاب فلا ينأى له عيش ولا طيب له حياة.

وحاول بعضهم أن يفسر الهدف منه بأنه احتجاج على مقاصد بعض الدول في حروب استعمارية استغلالية تذهب بزهرة الشباب في آفاق مترامية من حدودها دول مبرمقنح كاحاول تفسيه تلك المقاصد بعمان ورموز أبعد ما تكون في نظرها عن أذعان القاعين بها والخاصين لها، وحاول أيضاً أن يربط بالمشاهدة والقارة بين هذه المهمة والهموات للتاريخية

[٢]

لها فتشونها إلى أن تعرف التجربة من زيفها وخطئها فتتموت وتندثر مشبعة بالعنات هليها وعلى من ابتدعها.

والتاريخ سجل حافل بالأفكار والمذاهب البناءة الصالحة، والأفكار والمذاهب الملوثة الهدامة، والأفكار والمذاهب كالأمواج يدفع بعضها بعضاً ويتغاضى بعضها على بعض.

وقد امتاز هذا العصر بكثرة الأفكار والمذاهب في فنى نواحى الحياة يتلو بعضها بعضاً، ويلسح بعضها بعضاً، وطابع أكثرها الشذوذ والغربة لا تنال التقليد الرعيد، ولا تبنى لمسات الماضى الجميد. وبالغشوذ والغربة تأخذ طريقها إلى القيوع والانتشار.

ومن المذاهب الاجتماعية ذات الطابع الشاذ الغريب مذهب الهيبر الذى ابتدعه جماعة من عباب أمريكا وأنخذوا له هذه السماوات الغربية: إرمان الشهور والتقدير والتعطل والانزاعل من تيار الحياة الجادة والاختلاط الجنسي الفجير، والعكوف على الكيفيات والمخسرات، وما إلى ذلك.

للمروفة كدعوات الصوفية ورموز الصوفية .

والواقع أن هذه التفسيرات المختلفة هبت في حيث كعبت هذه الموهبة نفسها ، والاهتمام بتفسيرها جهد ضائع وعناء لا طائل تحته ، لأن الدعوات التي تستحق أن تخص بالمسألة والتحليل هي الدعوات لفريدة ذات المقاصد الواضحة والأهداف الصريحة والتي لا يجهن أصحابها عن الإفصاح عنها واتخذوا وسائل فعالة لتنفيذها وتصل مسترلياتها وتضحياتها التي تصل أحيانا إلى بذل للروح والأرواح ، ولا تقوم تلك الدعوات إلا على كواهل المفكرين القدين أهلهم المسلم والتجربة للخلق والانشكار واستداع الرسائل النافمة .

أما دعوة المييز وأمثالها ، فإن من البه وامتياز المقول أن تسمى دعوات وإنما هي هوس مبياني ولونيات عقلية وانحرافات خلقية ، أصحابها مرضى العقول والأجسام وهم أخرج ما يكونون إلى العلاج النفسي والجسمي ، والشباب أخرج ما يكونون إلى الوفاة منهم حتى لا تسرى عدوى أولئك إليهم ، ومعاذ الشباب أن يكون قاتلهم

القائمون به اذوى كغايات ومواهب ذهنية وخلقية وجسدية وذوى وسائل إيجابية فعالة يتسلحون بها لمقاصد لم تجذب إليهم الأنصار والأهوان حتى يبلغوا الأهداف والمقاصد ، وما عهدنا المؤثرين والمتمورين والانمزالين والسلبين أن يكونوا أصحاب رسائل سامية وأغراض شريفة وما كانت السلبية والتنفرد والانحلال وسائل إلى تحقيق فكرة وإنجاح دعوة ، إن محاولة تمهير تلك الظاهرة تقدير لها وإغراء بها وينبغي أن يتخذ الكتاب عنه حتى لا يفتن الأغرار من الشباب بتلك التفسيرات ويتمسكوا بها ويكون لهم منهاذر وحسد بل ينبغي أن يكون الحديث منها حديثا عن الأمراض الخلقية والاجتماعية التي توجب الحذر منها والوقاية من أخطارها ، ويمكن أن تكون هذه الظاهرة مثار السخط والاستنكار له منبتها وبيئتها وإذا ينظر إليها المقلاء كشكفة من مشاكل الشباب التي يجب أن يطب لها ويفكر وقدوتهم السكارى والمنحلين والمؤثرين . إن عهدنا بالدعوات الجادة أن يكون ذات طابعها راضا راضيا شريفا وأن يكون (بقية المنشور على صفحة ٣٢٨)

الإيمان والصبر أمام الحرب النفسية

للاستاذ مصطفى الطيبر

« الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم
فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فاعلموا بنعمة
من الله وفضل لم يمسهم سوء » من سورة آل عمران

وظائفها مما يروونه من آثارها ، وذلك من
العلم القليل الذي آتاه الله عباده .

ومن أهم وظائفها أنها تعطي الإنسان
طاقات وقدرات يدافع بها عن نفسه وأسرته
وأمنه ، فإذا كانت طالبة المهمة معافاة
من الملل فإنها تدفع المرء إلى الاستهانة
بالخطوب واسترخاس التضييعات ، وتجمد
أخطر من كل سلاح وأقوى من كل نذيفة ،
إنه حينئذ يدك للعاقل ويقتحم المحسرون
ويبيد الأعداء في صبر وحل وبنير فتور
أو ملل ، إنه ينسى ذاته وأهله ويذكر
قومه ووطنه فينتفح طاقاته الروحية بغير
تحفظ ويتساوى عنده أن يبش مزبأ
أو يموت كريماً ، والرقى بالنفس إلى هذا
الحد لا يتم إلا بالإيمان بالله والثقة بوعده
المؤمنين بالنصر ، والإيمان بما أعده الله
للشهداء من النعيم المقيم .

لا شك في أن النفس أعظم الآثار
في حياة الإنسان ، وأنه يصح بصحتها
وعرض مرضها ، ويسعد بمضائها وقوتها
ويشقى بنكوصها وضعفها ، ويسر بإشرافها
وصفائها ويحزن بقتامها وغيبتها .

والنفس هي الروح عند معظم علماء
التوحيد ، وهي الطيفة الزاكية التي إن
وجدت في الجسد أدت وظيفته في الحياة ،
وإن نكلت عنه أدرك الموت والتمناء .

ولقد أجهل للفكر أن تفهم في تعرف
حقيقة النفس أي الروح فساموا بالتفشل
ووقفوا عنده مجاهيلها متسلقين ، وقد
حسم القرآن الكريم الأمر فيها بقوله :
« ويسألك عن الروح قل الروح من أمر
ربي وما أوتيت من العلم إلا قليلاً » وهم وإن
لم يعرفوا حقيقتها وكنها ، يعرفون بعض

على السلامة والأمن ، فيتفتح حينئذ بالنصر السريع ويحتمي ثمراته من السيطرة على الأمة للهزيمة واستنزاف خيراتها وإذلال أهلها ، وتعويس خسائره من مواردها وإراحة جنوده من متاعبهم وإيقاف خسائرهم .

وذلك أمر تشهد به وقائع التاريخ وبقره علم النفس .

وإذا كان الأمر كذلك فإنه يجب على الأمة للمعنى عليها أن تصمد أمام الحرب النفسية واليدائية من عدوها ، فلا تترك له فرصة يمتزج فيها ، ولا تعطيه أملا في التغلب عليها ، ولا تذهي بطن فيها للبل إلى السلام القليل ، وذلك بفناء كل فرد في واجبه نحو وطنه ، يستوى في ذلك الفلاح في مزرعته ، والعامل في مصنعه ، والطالب في مدرسته أو جامعته ، والأساذ في تنقيته والموظف في وظيفته ، والرجل والمرأة في أسرتهما ، والجندي والضابط في ميدانتهما والفائد في خطته وتوجيهه لجنوده وتعميق إرادة الانتصار العزيز أو الاستشهاد الشريف فيهم .

وأن يتعاون الجميع في هزيمة العدو والترحال الانتصار من غمار المعارك الصادقة

وهذا النوع من بني الإنسان هو الذي يرهبه الأعداء ويخشونه أشد من خشيته الحديد والنار ، فاقية الحديد والنار بدون محارب جبار ، وصدق الله تعالى إذ يقول : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون » فإذا اعتلت النفس لأي سبب من الأسباب المخالفة لما تقدم ، هبطت المستوى الإنساني إلى الخسيف ، وهرخته لفشل أمام الأعداء ومكنت منه حتى الأمراض والدليل ، فالإنسان بنفسه وروحه لا يجسه وهيكله .

والمركة مع الأعداء تقتصر إلى سلامة النفس وقوتها في الجهتين الباطنية واليدائية فالجهتان يجب أن يكونا كالبيان للرصوص يشد بعضه بعضا ، فإذا كانت إحداها ضعيفة أزلت على الأخرى وسببت لها الضعف والهران ، والهزيمة والخذلان ، وذلك قضية معروفة ومعلمة منذ عرف الإنسان الحروب .

والعدو الذي يحسه استعمال الحرب للنفعية لأنها تضع خصمه بما تبعته فيه من الرعب والفرح حتى ينفع إلى الانسلاخ السريع ، رقبة في قليل خسائره ، وحرصا

إسرائيل في الأرض العربية :

ولقد اهلبت الأمة العربية بعدو غريب
أقامه الاستعمار بينهم ، واقتطع له مع
الوطن العربي أرضاً عزيزة على المسلمين في
الصحراء ، وأنشأ له فيها دولة سميت
إسرائيل ، وأمدّها بالسلاح والخبرة ،
وبالرجال والمال ، وأسبغ عليها التأييد ،
وتركها تعيش في أرضنا غصداً ، وتفرغ
في الحرب حقدها الفدائيين ، وتوسع رقعتها
التي اغتصبتها من أرضنا على حساب
تاريخنا وكرامتنا وعزتنا القومية ، وأصم
أوائلك المستعمرون أصحابهم من صناع
صرغات اللاجئين ، وأمانوا معاهم فلم
تحمس بالأم المشردين .

والفرض الأساسي من خلق هذه الدولة
بيننا أن تكون شوكة في ظهورنا وغصة
في حلوقنا وسبباً للفرفة بيننا وممولا
بحكام استقلالنا ، ومبضعاً تنزف منه
دمائنا ، وقتنة تقضي على أموالنا
وقدراتنا ، أو نصطلم لقضة المستعمرين
فيحتكروا مواردنا ليسكنوا عنا كلبهم
المقور القبي سلطوه علينا .

وقد أفسحوا لهذه الدولة في أطماعها
وتركوا لها الحبل على الغارب ، وصنعوا

بيننا وبينه ، فلاحير في سلام بيني على
القل ، ولا لذة في حياة يتحكم فيها
عدو لدود .

ولا ريب في أن الثبات والعمود
يستمتبان النصر دائماً ، فإن العدو مهما
كان قويا فهو ضعيف بباطله ، وللهندى
عليه ولو كان ضعيفاً فهو قوي
بحقه ، وصدق الله إذ يقول حاثاً على الصبر
وللرابطة للعدو وجاء الفلاح : « يا أيها
الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا
واتقوا الله لعلكم تفلحون » ، والتأنيخ مله
بالوقائع الدالة على أن الصبر والإخلاص
والصدق في اللقاء كثيراً ما حوّل المهزوم
منتصراً والمنصر مهزوماً .

انتصار الألمان ثم هزيمتهم

وأقرب مثل لذلك أن الألمان في الحرب
العالمية الأولى انتصروا على الدول العظمى
والصغرى ، ووصلوا في انتصاراتهم إلى
مستلجاء في آسيا وإلى الملمين في أفريقيا
ولكن المهزومين لم ييئسوا بل صمدوا
وصبروا طويلاً حتى حولوا في النهاية
هزائمهم إلى نصر ، وحولوا نصر الألمان
إلى هزيمة ، وصدق الحكيم إذ يقول :
على الباغى تدور الدوائر .

آثارها المعروفة في علم النفس وفي واقع الحياة ، ثم عمم الله تعالى المسلمين بعد الدرس الأول منها فاقبلوا بنعمة من الله وفضل لم يحسمهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ، وتأثيرها المشركون فانصرفوا عنهم كما سنوضحه فيما يلي

بدأت الحرب في أحد بنصرة المسلمين على عدوهم في الجولات الأولى وقت ما كان زعمائهم فوق أحد يحمون ظهورهم بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم فلما رأوا هزيمة المشركين ترك معظمهم أماكنهم وزلوا للاشتباك مع الجيش في قهر المشركين والحصول على فئنا منهم مخالفين وصية الرسول أن لا يبرحوا أماكنهم ، فاتتبه المشركون لذلك فبعثوا خالد بن الوليد الذي كان مشركاً وقتئذٍ ومعه جماعة منهم فاحتلوا أحداً وقتلوا من بقي فوقه من الرماة ثم قضوا المسلمين بنباهم وسهامهم فانهزموا ، وساعد على هزيمتهم أكثر ما أضاها الأعداء من قتلهم وصول الله ﷺ ، فإن ابن قبيصة للشرك لما قتل مصعب بن عمير صاحب راية الرسول صرخ قائلاً : ألا إن محمداً قد قتل ، فانكفأ الناس وأوغلوا في التفرق والإسعاد لابلحون على أحد والرسول يدعوهم في أفرام قائلاً : إلى محاد

لها أحباب النصر على العرب سنة ١٩٦٧ ، فانطلقت من الأردن الغنفة الغربية ومن سوريا مرتفعات الجولان ، ومن فلسطين غزة ، ومن الجمهورية العربية المتحدة سيناء ، وأصبح لديها من الأرض المفتتحة أضعاف رقعته ولا تزال تعد أطماعها إلى ما يرويه النيل والفرات من أرضنا ، والحرب بيننا وبينهم شديدة الأوار بالغة الاستمرار لتفرض علينا الاستسلام القليل .

ولا تقتصر في حربنا على ميدان المواجهة ، بل تحاربنا محلياً وعالمياً بأجهزة الإعلام المختلفة إضافة لنفوسنا وتعزيزاً واتصاراً لخطواتها ، كما تحاربنا بالفكرات الجوية في الأسماع لتعطيم وحدتنا وتفرق جمعنا وإضعاف ثقتنا في دفاعنا وفردنا وجيقتنا ، وأتى لها أن تصل إلى ما تريد من ركوعنا واستسلامنا وقد خيبتنا ظناً بوحدةنا وثقتنا بقادتنا في كل محنة أسابتنا ، ولسوف نفرض المعارك معها فوق كل هبر من أرضنا وفي جونا وبعرنا ، فإنما أن نعيب أمزة أو نموت كراماً ، والله أفة الصارين .

أثر الحرب النفسية في غزوة أحد :

كان للحرب النفسية في غزوة أحد

ومن هذا المشهد نعلم أن التأثر بالحرب النفسية وتصديق دعائها يورثان الهزيمة وأن على الجدي أن يقاتل المبادئ والناتيات الشريرة، وأن لا ترهبه لإشاعات ولا توهم هزيمه الرقائق مهما عظمت بسكابة الأعداء في اللقائين وقوادهم وأمتهم فإذا النصر مع الصبر والمقاومة الصابرين وهذا هو الذي تحقق بعد هذه الغزوة فلقد بقي الإسلام وحطم شأنه وهادن المسلمين حتى قوضوا دعائم الشرك في مكة وسائر الجزيرة العربية، وجاء نصر الله والفتح ودخل الناس في دين الله أفواجا حتى عم للشارك والمغارب بفضل صمود المسلمين بعد هذه الغزوة

مقابلة الحرب النفسية بمثليها :

لا بد من مقابلة الحرب النفسية بمثليها لإرهاب الأعداء وشدة هزيمة النصراء، ولا مانع من المسالفة في أهبتنا واستعدادنا عند الضرور، كما أنه لا بد من التظاهر بالقوة مهما أصابنا من القرح منعا لشجاعة الأعداء ودرءا للغرور في قتالنا، ومن ذلك أن النبي ﷺ بعد عودته إلى المدينة في أعقاب هزيمة أحد، أمر متاعبا أن يؤذ في الناس بالتأهب لخروج معه ﷺ فلما اجتمعوا خرج بهم إلى هراء الأسد على ثمانية أميال من المدينة لما قام بها ثلاثة أيام .

الله، فاعجاز إليه ثلاثون من أصحابه وحوه وكشفوا للشركيين عنه وتفرق الباقرين ظانين صدق ابن قبيصة المجرم، وقد بعضهم ليت أبرأني بأخفة لنا أمانا من أبي سفيان، وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا إلى إخوانكم ودينكم، فقال أنس بن النضر: إن كان محمد قتل فماذا رب محمد حتى لا يموت، وما تصنعون بالحياة بعده، فقاتلوا على ما قاتل عليه، ثم قال لهم إني أقتصر إليك عما يقولون وأبرأ إليك منه، وشهد بسيفه حتى قتل وحينما لام النبي ﷺ القادرين من الحركة بعد أن حادوا إليه قالوا يا رسول الله فدينناك بآبائنا وأمهاتنا، أتنا خبر فتلك غرلينا مدبرين فزل قوله تعالى: «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل . أنا إن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم» الآيات ومنها قوله سبحانه: «وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين، وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فاتم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين» .

فقلت عدوا كأنّ الأرض مائة
لما همسوا برئيس غير غزول
وقلت ويل ابن حرب من لقاهم
إذا تقطعت البطحاء بالخييل^(١)
إني نذير لأهل النبل ضاحية
لكل أربة منهم ومستول
من خيل أحد لا وخفا تنابة
وليس يوصف ما أنذرت بالخييل
فكان لهذا الإنذار للشوب بالتهويل
في أمر المسلمين وتحريم لقاء أعدائهم
ليثأروا منهم أو انفسى في نفوس للشركين
إذ عدوا عما عزموا عليه من العودة إلى
المسلمين للإجهاز عليهم ، ومما تلى عزمهم
أيضا لول آخر من الحرب النفسية أجراه الله
على لسان أحدم لمصلحة المسلمين بعد ما
ألقى في قلبه الرعب وما رميت إذ رميت
ولكن الله رمى .

فلقد أخرج ابن هشام أن أبا سفيان
لما أراد الرجوع إلى حرب الرسول قال لهم
صفوان ابن أمية بن خلف : لا تفعلوا فإني
القوم قد جربوا ، وقد خفينا أن يكون

[١] أي إذا جلست الصحراء بالخييل . والآيات
كلها مرادة بحرف عد ولين وهذا البيت ليس كذلك ،
ومعريب شعري يسمى التناهد .

ومن هناك انطلق معبد بن أبي معبد
الغرامى (من قبيلة خزاعة حليفة الرسول)
إلى أبي سفيان ، فلما رآه قال : ما وراءك
يا معبد ، قال : محمد خرج في أصحابه يطلبكم
في جمع لم أر مثله قسط ، وم يتحرقون
عليكم نحرًا ، وقد اجتمع معه من خلف
عنه في يومكم ونذموا على ما صنعوا وقيمهم
من الخلق عليكم شيء لم أر مثله ، قال :
وبذلك ماتقول ، قال : والله ما أرى أن ترحل
حتى ترى نواصي الخيل ، قال أبو سفيان
لقد أجهنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم
قال : إني أنهارك عن ذلك ، ولقد حملني
ما رأيتهم عليه على أن قلت فيهم همرا ،
قال : وما قلت ، قال قلت :

كادت تهد من الأصوات راحلتى
إذ سالت الأرض بالجرود الأبايل^(١)
تردى بأسد حكرام لا تنابة
عند اللقاء ولا ميل مازيل^(٢)

[١] الجرود خيل صبية هم الجده ، والأبايل
جماعة في شرفة واحد ما أيل .

[٢] تردى بأسد ترجم الأرض بموافرها وهي :
تعمل رجلا كالأسد ، والتناجاة التصاد جمع تنال ،
والليل جمع الأيل وهو الكسل الذي لا يحسن
وصكوب الخيل والفروسية ، والمنازل جمع مزال
وهو من لاسلاح معه .

لهم قتال غير الذي كان ، فارجعوا إلى محالكم فرجعوا .

وقد تجسم تصميمهم على العودة إلى لقتال حينما مر بهم ركب من عبدة القيس ، فقال لهم أبو سفيان : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة ، قال : ولم ؟ قالوا نريد الميرة . قال فهل تلبفون عمدا وصالة أرسلكم بها إليه وأجعل هذه لكم غدا زيبا بمكاظ إذا وافيتموه ، قالوا : نعم ، قال : إذا وافيتموه فأخبروه أن قد أحضنا السير إليه وإلى أصحابه لاستأصل بقيتهم فرالركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمحراء الأسد فأخبروه بالذي قال أبو سفيان وأصحابه . فقال « حسبنا الله ونعم الوكيل » .

ولا شك أن إنذارا كهذا يأتي عقب الهزيمة النكراء من شأنه تحطيم النفوس حتى تخمر لحصنها في ذلة وضراعة ، ولكن ثقة الرسول بوعده به بالنصر في محرقه : « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » جعلته ومن ورائه المسلمون يقفون هذا الموقف الصمود دون أن تتحرك فيهم عوامل الضعف والاستسلام ، فلهذا كافأهم الله فبعث إليهم من حيث لا يظنون مصيدا الخزامى فاتخذ سبيلا إلى أبي سفيان فأرعبه

ونسى هزيمه ، وأجرى على لسان صفوان بن أمية ما جعلهم ينصرفون دون تحقيق ما يريدون ، فلذلك امتن الله عليهم بقوله « فاقبلوا بنعمة من الله وفضل لم يمسهم سوء » وحذرهم من مثل ذلك بقوله : « إغيا ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوه وخافون إن كنتم مؤمنين » . فلنشق بها وعدنا الله من النصر إن نصرناه وبالمرة إن حينما أمتنا من الهوان « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » وعلينا أن نتخذ من غزوة أحد عظة وبرة ومن الصمود لحرب هتار النفسية واليدانية حرصا وذكرى ، فقد استعقب هذا الصمود النصر بعد الهزيمة والحرية بعد الاستعمار ورحم الله أمة جعلت تاريخ غيرها مرآة تنظر فيها غدها ومستقبلها ، وآمنت بوعد الله « فإن مع الصبر نصر » إن مع الصبر نصر ، واستعذبت الشهادة في سبيله كما استعقبها خبيب ابن عدي وميمونة لقتل إذ قال :

ولست أبالي حين أقتل مسلما

على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يعا
يمارك على أوصاله هلو عزع
مصطفى محمد الطبر

الأسوة الحسنة

للدكتور محمد محمد أبو مشهبة

فقلت طعيم لي ، فقم أنت يا رسول الله ،
ورجل ، أو رجلا ، قال : (كم هو ؟)
فذكرت له ، قال : (كثير طيب) فقال :
(قوموا) فقام المهاجرون والأنصار ، فلما
دخل على أسرته قال : ويحك جاء النبي ﷺ
بالمهاجرين ، والأنصار ، ومن معهم ، قالت
هل سأتك ؟ قال : نعم ، فقال : (ادخلوا
ولانضافطوا) فجعل يكسر الخبز ويحمل عليه
الحم ، ويخمر البرمة ، والتنور إذا أخذته ،
ويقرب إلى أصحابه ثم يزرع ، فلم يزل يكسر
الخبز ، ويفرق حتى هبوا ، وهي بقية ؟
قال : (كل هذا وأهدي ، فإن الناس
أصابتهم مجاعة) .

(تخریج الحديث) رواه الإمام البخاري
في كتاب اللخاى - باب غزوة الخندق وهي
الأحزاب وهو من أفراد البخاري من مسلم

روى الإمام البخاري قال : حدثنا خلاد
ابن يحيى قال : حدثنا عبد الواحد بن أيمن
عن أبيه قال : أنبت جابرا - رضي الله عنه -
فقال :

(إنا يوم الخندق نحفر فخرضت كدية
هدية ، لجاءوا النبي ﷺ فقالوا : هذه
مخرضت في الخندق ؟ فقال : أنا نازل ثم
قام وبطنه معموب بحجر ، ولبننا ثلاثة أيام
لا نذوق ذواقا فأخذه النبي ﷺ الممول ،
فخربت في الكدية فعاد كتيبا أهل أوأهيم
فقلت : يا رسول الله أذن لي إلى البيت ،
فقلت لاسرائي : وأيت بالنبي ﷺ شيئا
ما كان في ذلك صبر ؟ فقال : (قلت
خسدي شمر ، وحناني ، فذبحت العناق ،
وطعنت الشمر ، حتى جعلنا الحم في البرمة
ثم جئت النبي ﷺ والمجيد فداسكسر
والبرمة بين الأثافي قد كادت أن تنضج ،

(الشرح والبيان)

« جابر بن عبد الله » هو من خيار الصحابة ، وأطاعهم ، وقد قدمت ترجمة له فيما سبق

« فقال : إنا يوم الخندق نحفر » يوم : منصوب على الظرفية ، ونحفر . خبر إنا ،

ونحزوة الخندق أو الأحزاب كانت

في هوال من السنة الخامسة على الصحيح

وكأنه السبب في إيراد سيدنا جابر لهذه

القصة الممتعة ما رواه الإماماعلي بسنده

من أمير هذا قال : قلت لجابر بن عبد الله :

حدثني بحديث من رسول الله ﷺ أرويه

هناك ، فقال : « كنا مع رسول الله ﷺ

يوم الخندق .. » وحدثه بهذا الحديث .

ورضى الله عن سيدنا جابر لما أحتم

ما في الحديث من مثل عليا ، وتحمل البرد

والجوع ، والعطش في سبيل إعلاء كلمة الله

والدفاع عن الوطن ، وما فيها من براءات

صادقة للنبي ﷺ ، ومن معزة له ظاهرة

واضحة في البركة في الطعام القليل حتى أشبع

المئين وفضل منه ، وكيف أن النبي ﷺ

لم يأكل حتى أكل أصحابه وشبعوا ، وأنه

شاركهم في الحفر ، وحمل التراب حتى وارى

التراب جلده وصدره ، وبطنه ، وكان كلما وجد منهم تعباً وإمياًه قطعهم بدعائه ، وصدق حديثه ، ففي صحيح البخاري أيضاً عن أنس رضي الله عنه قال : « خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق ، فإذا المهاجرون ، والأنصار في غداة باردة لم يكن لهم مبيد يعملون ذلك لهم ، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال :

اللهم إن العيش عيش الآخرة

فاغفر للأتصار والمهاجرة

فقالوا عجيبين :

نحن الذين يابسوا مجداً

هل الجهاد ما بقينا أبدأ

وفي الصحيح أيضاً عن البراء بن مازب

قال : « لما كان يوم الأحزاب ، وخندق

رسول الله ﷺ رأيتُه ينقل من تراب

الخندق حتى وارى عن التراب جلده بطنه

وكان كثير الشعر ، فصمته يرتجز بكلمات

ابن رواحة وهو ينقل التراب ، يقول :

الأم لولا أنت ما احترينا

ولا نصمدنا ولا صلينا

فأزنان صكينة علينا

ونبت الأقدام إن لاقينا

ذوقاً ، وذواقاً ، وما ذقت ذواقاً ، وهو
للسأ كول وللشروب ، كما قال ابن الأثير
والقائدة في ربط الحجر عند شدة الجوع
على البطن أنه يمنع من انحناء الصلب انحناء
يفسر ، ويساعد على شد الظهر ، وقيل :
فأنتى تسعكن حرارة الجوع ببرودة
الحجر ؛ والأول أولى .

« فأخذ النسي ^{بفتح النون} للمول ؛ ففرب
في الكدية ؛ فماد كشيأ أهيل أو أهيم .
للمول ؛ بكسر الميم ؛ وسكون الميم
للهمزة ؛ وفتح الواو . وفي آخره لام :
القاس الذي يكسر به الحجر ؛ وقيل :
المسحاة ؛ والأول هو الصحيح ؛ لأن
المسحاة المجرة ؛ وهي لا تكسر الصلب ؛
وفي بعض الروايات : « فأخذ المول أو
المسحاة » و « أو » هناك من أحد الرواة ؛
وقد هيئت الرواية التي معنا المراد .

« الكتيب » هو الرمل قبل تعالى .
« وكانت الجبال كشيأ أهيل » ^(١) أي
تفتت حتى كادت كالرمل يسيل ؛ ولا يتناسك
« أهيل » الأهيل هو الذي ينهال فيسيل

إن الأولى فسد بفوا علينا
وإن أرادوا فتنة أيينا
قال : ثم بعد صوته بآخرها ^(١) .
« فعرضت كدبة شديدة » .

الكدية : القطعة الصلبة الصماء ، وفي
وصفها بشديدة ما يدل على أنها صخرة
استمست على الكسر ، وقد ورد في
الروايات الأخرى كما سيأتي التمييز عنها
بالصخرة ، ولما عرضت لحم وعجزوا عن
كسرها ذهبوا إلى قنن فأخبروه « فقال :
أنا نازل ثم قام وبطنه معصوب بحجر ،
ولبتنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا »

معصوب : أي مشدود ومربوط إلى
بطنه ^{بفتح الباء} . وقد كان ذلك من الجوع
كما نعت عليه هذه الرواية وغيرها ،
« ذواقا » بفتح الدال للمجمة فعالة بمعنى
مفعول من الذوق ، ويقع على الصدر ،
والاسم ، يقال : ذقت الشيء أذوقه ،

[١] في بعض النسخ هذا المصطلح من هذا البيت ما فيه
من التناقض بين القنن والنسي ، والعن المذبح عن
للقصود فهو إيهاء ، أي ، متصل ، ممدود لانهائية
له . لا يعرف الضمف والاستغناء ، ولا الاستكانة
والاستلام ولغة العربية في هذا الباب القنن المثل .

اليمين ؛ والله إنى لأبصر أبواب صنعاء
من مكانى هذا الساعة » ١١

وقد رواها الطبرانى ؛ واليهبى بأطول
من هذا وفيها : نذهب سلمان إلى رسول
الله ﷺ فأخبره عنها ؛ فجاء فأخذ المول
من سلمان ؛ فضرب الصخرة ضربة صدعها ؛
ورقت منها رقة أضاعت ما بين لابتها
- أى المدينة - حتى كأنها مصباح فى ليل
مظلم ؛ فكبر رسول الله ﷺ وكبر
المسلمون ؛ ثم ضربها الثانية فكذلك ؛ ثم
الثالثة فكذلك ؛ فمألوا رسول الله ﷺ
من ذلك ؛ فقال : لقد أضاء لى من الأولى
قصور الحيرة ؛ ومدائن كبرى .

فأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها
ومن الثانية قصور الحر من أرض الروم ؛
وأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها ؛
ومن الثالثة قصور صنعاء وأخبرنى جبريل
أن أمتى ظاهرة عليها فأبشروا ؛ فاستبشر
المسلمون ؛ وظلوا موهودين صدق « ١٢ » .

وقد صدق الله نبوة نبيه ، فكانت
معجزة ظاهرة من معجزات النبى : إذ لم

من لينة ؛ ويتساقط من جوابه « أو أهييم »
أو شك من الراوى ؛ والأهييم معنى الأهيل
وقد جاءت رواية الإسماعيل « أهيل »
بغير شك .

وقد جاءت رواية البخارى فى صحيحه
بجملة ؛ وقد عسر هذا الإجمال ووضحه
الروايات الأخرى .

فقد روى الإمام أحمد والنسائى هذه
القصة بزيادة - بإسناد حسن - من حديث
البراء بن عازب قال : « لما كان حين أمرنا
رسول الله ﷺ بحفر الخندق عرضت لنا
فى بعض الخندق صخرة لا تأخذ فيها
للمول فاشتكىنا ذلك إلى النبى ﷺ
فجاء فأخذ للمول فقال : « بسم الله »
فضرب ضربة فكسر ثلثها ؛ وقال : « الله
أكبر » أعطيت مفاتيح الشام ؛ والله إنى
لأبصر قصورها الحر الساعة ؛ ثم ضرب
الثانية فقطع الثلث الآخر ؛ فقال : « الله
أكبر أعطيت مفاتيح فارس ؛ والله إنى
لأبصر قصر للدائن أبيض » ١١ ثم ضرب
الثالثة وقال : « بسم الله » فقطع بقية
الحجر ؛ فقال : « الله أكبر أعطيت مفاتيح

المجازفة في القول إلى نحو ذلك مما أقر به
الأعداء والأسدقاء - يرد هذا الجواز ،
ويجده ، فلم يبق إلا أنها نبوءات صادقة
من نبوءات الوحي ، فاعتبروا يا أولى
الابصار .

فقلت يا رسول الله : أئذن لي إلى البيت ،
يعني فأذن له ، وهو من الإيجاز الذي يدل
عليه المقام .

« فقلت لأمرائي رأيت بالني ﷺ
شيئا ما كان في ذلك صبر » ١١

امرائه هي السيدة مهيبة بنت مسعود
الأنصارية إحدى نساء الأنصار الفضليات
العائلات ، يريد ما رأى من حال النبي
من أثر الجهد ، والجوع حتى ربط الحجر
على بطنه .

« فمعدك شيء » أي : أفمعدك شيء ؟
فالكلام على الاعتناء به ، فأجابته بأن
عندها صاما من شعير وعشاق ، وهي الأنثى
من المزم .

« فذبحت » بضم التاء « العناق »
« وطعنت » بفتح الطاء وسكون التاء
فالذبح هو ، ولطاعنة زوجه .

« ثم جئت النبي ﷺ ، والصبي قد

يمن على هذه الحادثة إلا نحو ربع قرن
حتى فتحت هذه البلاد كلها ، ودخلت تحت
لواء الإسلام ، ولذلك كان أبو هريرة
- رضي الله تعالى عنه - يقول حين فتحت
هذه الأمصار : « انتصروا ما بدا لكم ،
فوالذي نفس أبي هريرة بيده ما ائتحنتم
من مدينة ، ولا تفتحنونها إلى يوم القيامة
إلا وقد أعطى الله مجلأ ﷺ مفاتيحها
قبل ذلك » ١١

وكنيت أحب من الذين ينكرون نبوة
بيننا محمد ﷺ أن يتأملوا في هذه النبوءات
التي صدقها الزمن مع أن الظروف
واللإسبات التي قبلت فيها لا تحمل عليها ،
فإن أهد الناس تقاؤلا ما كان يجوز لمخاطره
أن يقول هذا في وقت اعتدفيه الكرب ،
وعظم البلاء ، وجهدوا أنفسهم في حفر
الحنديق حتى لا يبتهم الأحزاب ولما
ينتموا منه ، اللهم إلا أن يكون نبيا
يوحى إليه .

ولا جائز لدائل أن يقول : لعلها ومية
من غير رام مأسات ١١ لأننا نقول :
إن تاريخ حياته ﷺ وما عرف عنه
من الآثاء والتروى في الأمور ، وعدم

بالقيام إلى طعام جابر ، فقاموا جميعاً ، كما جاء في بعض الروايات (فقالوا للمسلمين جميعاً : قوموا) وهو ما يليق بأدب الرسول ، لما كان ليخص قوما دون قوم ، وإنما خص المهاجرين والأنصار بالذكر لفرقتهم ، فلما دخل النبي والمسلمون أدرك زوجة جابر حرج شهيد ، ولقيت من الحياة ما لا يعلمه إلا الله تعالى ، كما حدثت بذلك عن نفسها في رواية أخرى ، وسألت زوجها هل أعلم الرسول بالطعام ؟ فلما أعلمها أنه أعلمه سكنت نفسها ، وأطاعت ، وذهب عنها ما نزل بها من قلم والحرق أد لا يكتفى للطعام ، لما تلمه عن رسول الله من البركة والخير ، وهذا يدل على كمال عقلها ووفور فضلها .

وتولى النبي الكريم للتواضع بنفسه إعداد التريد ، وتقديم اللحم حتى أكلوا جميعاً ، وبليت بقية منه ، فقال : (كلوا هذا ، وأهدى ذلك الناس أصابتهم جماعة) قال جابر : (فأكلنا نحن ، وأهدينا لغيرنا) وقد اهتمت الحديث على هذه المجزأة أيضاً ، فإن البركة في الطعام أقليل حتى يكتفى للكثير مما لم يمد في العادة ، وقد استفاضت الرواية من الصحابة الكرام

الكسر ، والبرمة بين الأثافي قد كادت أن تنضج .

« الكسر » لأن وتمكن منه الخير حتى علا في الإماء « البرمة » بضم الباء ، وسكون الراء القدر الذي يطبخ فيه اللحم ، و « الأثافي » بناء مثلثة بعدها ألف ثم فاء هي الحجارة التي يوضع عليها القدر ، ويقود تحت النار ، وهي ثلاثة ، وأحدثها أثفية .

« نقلت طميم لي ، فقم أنت يا رسول الله » ورجل ، أو رجلا .

« طميم » بضم الطاء ، ونهديد الياء التحنانية يريد أنه طعام قليل حقير لا يليق ب مقام النبي ﷺ وقد قالوا : (من تمام للمروء تسجيلة ونحفرة) وهو يتضمن اعتذاراً منه - رضي الله عنه - لنبي ﷺ من قلات ، وأنه غير لائق بمزنته .

(قال : كم هو ؟ فذكرت له قال : كثير طيب) .

وكأن النبي أصبغهم من كلام جابر رضي الله عنه قلته ، فطمانه وبشره بأنه محتفل فيه البركة ، ويسمى كثيراً فسرى بذلك عن بني جابر .

(فقال قوما ...) أي أمرهم النبي

بذلك ، ورووا في ذلك قصصا كثيرة
في الصحيحين وغيرهما .

بالمثل الكامل عنه فقد رأينا كيف شارك
جنس هذه المخلوقين في البأساء ، والعراء ،
والعسر ، واليأس ، والجوع ، والعطش ،
وإنه أي أن يستأثر عليهم نيراحة ،
أو طعام أو شراب ، وغير هذه حاجات
في حيل الله ، وهو قدير العين ، رضى
النفوس ، ولا يحب فقد كان أرحم به من
أنفسهم ، صلوات الله وسلامه عليك
يا رسول الله يا بطل الأنبياء ، ويا إمام
الأنبياء ما

و . محمد محمد أبو سفيان

(وبعد) فما أهد حاجتنا اليوم
في لفرحة الحرجة التي نمر بها أن نقضى
بالسورة الحسنة نبينا مهمل عنه ، وصحبه
السكرام الذين تكالبت عليهم عوامل الشر ،
والبغى فما زادهم ذلك إلا إيمانا بحقهم
وثباتا على مبادئهم حتى كانت المأقبة لهم ،
ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم يوالوا خيرا
وما أجدر قوادنا في الميدان أن يقتلوا

(بقية للنشور على صفحة ٣١٤)

ولتقيم السكرية أن تدفع من نفسها غلاظ
تلك الدعوات بسائر الوسائل ولا نصنى
إلى التفسيرات والتحولات التي يراد بها
تبريرها ، وما ذلك إلا تصويرا لشر في صورة
الخير ، والباطل في صورة الحق ، ووسائل
التمسح لا تكفى ، وإن الله لينزع بالسلطان
ما لا يزعم بالقرآن .

أبراروف المرائي

في علاجها حتى لا يستفحل خطرهما وينقلب
الشباب بها - وم أمل الأمم وعدتها
وقوتها العامة للنتيجة - إلى هجمات
علية متعظة بخشخشم ولا يرجى خیرم .

إن دعوة الهيبة أو انحرافات الهيبة
لن تكون آخر الدعوات والانحرافات
وسيمطرنا الغرب بوابل منها ، وواجبنا
وواجب الشعوب ذات التقاليد السامية

عثمان زياتي

شاعر أزهرى كبير

للدكتور محمد رجب البيومي

كنا نقرأ فصلاً أدبياً من فصول رحمة
الأندلس التي كتبها البحاة المفقورة
الأستاذ محمد ليب التانوني بك فوجدناه
يستشهد بقول القائل :
إذا ما التقي ذو شمساة عربية
بذى عجمة فالكل في النطق أحجم
فحبنا الشعر لقائل من شعراء المصور
الأولى ، لأنه أمثلة التانوني بك لا يستشهد
بشاعر معاصر إلا إذا كان شعراء ذا الماغير
مفقور ، وقد أخذت أنساء من الشاعر
فأحبرني المفقورة الأستاذ محمد هاشم
عطية مؤرخ الأدب الجاهل وأستاذ
بدار العلوم وكلية اللغة العربية لمناسبة
طائرة أنه صديقه القديم الشاعر عثمان زياتي
فألححت عليه أن يقول شيئاً عنه فلم
يتفضل ، إذ كان يفرح لنا حينئذ دالية
مرفوعة بن السد ، وكأنه آثر ألا لتقل في
الدرس من قائل إلى قائل .

وسرت أيام فوقع بين يدي شعر جميل
للاستاذ أحمد الزين ، يذكر فيه شعراء
عصره ، ويخص كل شاعر ببيتين أو ثلاثة
أو أربعة تفرح أنجاهه الشعر في فصاحة
ووضوح ، مطربت حين وحدته يذكر
عثمان زياتي ويقول عنه :
ولا نسيا عثمان إن قريضة
يميد لنا عهد البدء ويذكر
يؤرقه يرق الضنا ويشوقه
نسيم على أرهار (توضيح) يحظر
لهذاك أمرؤ هذته أيام وائل
لأيماننا فالحبل فالحبل بفكر
وإذن عثمان كلاسيكي ينحو نحو
المتقدمين في إثارة الجزالة العربية ، والهج
بأما كن البادية التي تردت في التراث
المرئي القديم فهو قريب من عبد المطلب
والسكاني ، وحزرة فتح الله على اختلافه
في الصياغة يختلف غزابة وسهولة هند

وقد أرجع إلى البحث عن آثار هذا
القاهر بمدحين القاهر القى عرفه العراقيون
وجهه للمصريون « هذا ما لاله للبارك ،
ولكن جعل القاهر أحد ، لا عيان ،
فهل ما شخصان شاعران لا قاهر واحد ،
لقد بدأت المسألة تتمتع بعض الشيء ؟
ولكن الدكتور وعد بالحديث عنه
في مقال مقبل .

فلا تأبى أعداد الرسالة فقد ينجل على
صفحاتها بعض الرأي ، وكان ما توقعته ،
فقد باهر الأستاذ الكبير أحمد المراسي
يقول بالممدد التالي مباشرة (٤١٠) تحت
عنوان زناى ما نعه :

(في العدد ٤٠٩ من الرسالة للقراء مقال
للككتور زكى مبارك ذكر فيه « القاهر
للمصرى المجهول الديخ أحد زناى القاهر
الذى جهله للمصريون وعرفه العراقيون » .
فليأذن لي حضرة الدكتور أن أبه على
أن القاهر الذى يعنيه هو الفخيم عيان
زناى الذى درس في الأزهر وبلغ وقتا
غير قصير من حياته مدرسا لفئة العربية
بالمدرسة الحربية ، ولا يزال كثير من أصفياه
يتحدثون بمناقبه ويروون معرويه يمثلونه
وكان رحمه الله بين الفئة الممتازة من شعرائنا

هؤلاء ، ولكن طابعه المدام متعدد في جنبه
إلى آفاق العربية وأجساد الإسلام الساقية ،
لقد كنا على قه من الحق إذن حين
حبنا الأستاذ محمد نيب البستاني بك
يستشهد بيت قدم :

ومرت الأيام مرة أخرى ، فوقع في
يدى عدد الرسالة (٤٠٩) فوجدت
الدكتور زكى مبارك يكتب مقالا عن
قاهر العراق وحاله (السيد محمد سعيد
الجبورى) ، ثم يختمه بعنوان جانبى هو
(زناى) يقول إثره :

«مرت إهارة (في مقاله عن الجبورى)
إلى القاهر زناى عند الحديث عن الشعراء
الذين عجز عن مجاراتهم الجبورى ، فن هذا
للقاهر المصرى المجهول ؟ هو الشيخ أحمد
زناى أحد أساندة لفئة العربية ، وكان
القاهر الثانى بمدحى في نظر أستاذنا
الشيخ محمد الهدى (أستاذ الأدب بالجامعة
المصرية القديمة) ، وكنا نحفظ له في عهد
الحداثة قصيدا نخله مبتدأ بهذين البيتين .

أرقت وأصحابي خليون نوم
وما أنا ذو شوق ولا أنا مغرم
ولكن هما بين جنبى شبه
على ذوو القربى عفا الله عنهم

إلى نفر ثراث القاهر؟ أترام لا يقهرون
على نشره، وهم من صفوة المتقنين؟ أم أن
القاهر نفسه قد ساعه على ذلك حين أهمل
جمع الديوانى فغاب فى خضم النصيان؟

على أن الزمن قد أسف ببعض شعر
الرجل إذ وقع فى يدي الجزء الثانى من
مجموعة شعرية تحت عنوان شعراء العصر
جمها محمد صبرى سنة ١٩١٢ م - ولله
الدكتور محمد صبرى الموروثى نيا بعد -
وقد ضمت غاذج جيدة لبعض شعراء العصر
من أمثال الزهاوى والكشاف، وحسن
القبايات والفيبي وهناك زناى وهبدا الحسن
السكلى واليازجى والحداد، وقد لم
صاحب المجموعة أن يقدم لكل شاعر
بتمريف موجز، وكان مما قاله عن زناى
ص ٨١ من المجموعة :

«هو هناك بن زناى بن سراج بن مدين،
ينتهى نسبة إلى الحسن بن على رضى الله عنهما،
ولد فى الحجة سنة ١٢٧٩ هـ وحفظ القرآن
فى بلدته: بنى عبيد، وهى قرية من أعمال مديرية
المنيا، وهاجر إلى القاهرة سنة ١٢٩٢ لثلاثى
العلوم بالجامع الأزهر، وكان له ميل فطرى
إلى حفظ أشعار العرب، وأبدأ بقول

الذين ازدهت بهم أواخر القرن التاسع عشر
وأوائل هذا القرن، ولم يبالغ الشيخ محمد
المهدى فى أن هذه القاهر الثانى بعد شوقى
فقد رويت فى منذ حقبة طويلة بعض
قصائده ومقطوعاته فأحصت من الرصانة
والجزالة شيئا كثيرا الشبه بشعر المتنبي
والبحتري وأنى غمام.

وليتنى كنت قد دوت إذ ذاك ما سمعت
فانى واقه لشديد الأسف على أن أفلتت
من الفرصة، على أنى عظيم الرجاء أن يتاح
لأنجابه، وهم على ما بلغنى من صفوة
المتقنين، أن ينشروا هذا التراث حتى يضيفوا
إلى ثروتنا الشعرية فى تلك الحقبة من تاريخ
الأدب فنا ممتازا، أما الشيخ أحمد الزناى
بك فأخوه شامرا .. الخ).

هذا بعض ما ذكره الأستاذ الموصلى
وقد أكد أن هناك الزناى من كبار
الشعراء فى العصر الحاضر، وأن الأستاذ
محمد المهدي لم يبالغ فى شيء حين جمعه
القاهر الثانى بعد شوقى ومثل هذا القاهر
الأمرى الكبير جدير بقراءة شعره
واستظهاره، ولكن متى؟ وكيف؟ لقد
صحت أنجابه فلم يجيبوا دهوة الموصلى

مع قوم يستنون قنهم في رأيه أكثر مما يحسنون، وإلا فكيف استطاع أن يسكت أحاسيسه السابعة بالشاعرية الجزلة؟ أياكون قد أسبب في حياته بما أورثه الزهد في كل شيء في الشعر، والصيت والتأليف وما يشوهم الشعراء من بقاء الذكر وخلود الحديث؟ إن ما روت (المجموعة الشعرية) من قصائده ليوحى بغضب حبيس يشتعل في صدره، ويمرور بقمة سريرة على ملا من محاطيه ومهم ذوق قراءه الذين يتحدث عنهم فيقول أرقى وأصحائي خليون نوم

وما أنا ذو نأر^(١) ولا أنا مفرم
ولكن ما بين جنبي هاجسه

على ذوق القسري عفا الله عنهم
فإن بك حلبي مد أعناق جهلهم

فلا زلت فيهم يجهلون وأحلم
هم نلموا عرضي نعيم جبريرة

سوى أهم مني وأني منهمو
يطول على الليل إن طال ليالهم

وهما يطال ليلى فهم حنه يوم
إذا أنا أتهمت استقلوا فأنجدوا

وإن أنا أعرفت استقلوا فأشأموا

[١] روى الدكتور مارك أنه قال: «وما أنا ذو شوق ولا أنا مفرم» وهو تحريف ظاهر لثبات الشوق هو الغرام وبه التقييم!

الشعر بعد هجرته إلى القاهرة بثلاث سنوات تقريباً، ولم يهج أحدا قط، ومدحه قليل وترك الشعر بعد الثلاثين إلا ما دعت إليه الضرورة، وتعين مدرسا للفنسة العربية في مدرسة باب الشعرية الأميرية، ثم نقل منها في ١٨٩٨م إلى المدرسة الحربية وما زال بها إلى اليوم (يعني سنة ١٩١٢) وهي التي طبعت بها المجموعة (أما شعره فلا يحتاج إلى تقريب، وقد أعادنا هذا التعريف المرجز أشياء هامة، فالشاعر هري صريح الدب إلى الحسن بن علي، وكل ثقافته الأدبية أزهرية محضة أصلها في نفسه هيامة الشعرى بمحفظ أشعار العرب، وقد ترك الشعر بعد بلوغه الثلاثين، وإذن جل ما ترك من تراث سامي في الفحول حتى عد عند المهدي والمواسري معاني الشعراء بمدشوق، قد سافه في طور شبابه الأول فكيف به إذا تأخر على الشعر، وأعطاه حظ الوافر من الاهتمام وهو بهذه المنزلة العالية في البيان أما أخلاقه النفسية فذات شتم نادر إذ لم يهج أحدا، ومدحه قليل في مصر كان المديح فيه باب الشهرة والقبول والمنصب وللدلالة ويجعل إلى أن ترفعه الخلق قد صدق بنفسه من قول الشعر، إذ رآه لدى كثر من زملائه عطية الملوك والزلف، وكأنه آثر ألا يذكر

وهي صرخة لا هبة تذكرها بصرخة
للقنع الكندي التي يقول فيها .
وإن الذي بيني وبين بني أبي
وبين بني عمي لختلف جدا
إذا أكلوا الحنظل وغرت لحومهم
وإن ضيقوا عهدي حفظت لهم هذا
واتفاق التجربة بين شاعرين لا يعض
تقليد اللاحق لسان كاتوم قوم يعمدون
للاتمائم النفسية كل مرصد ، إذ أن توارد
الخواطر النبيلة أو الهابطة على ما يناسبها
من المعاني حقيقة ملوثة ، وأقول ذلك
تعبدا لمرض ما أفاض الزيات من التواء
هجرة الناس في مجتمعاتهم المفترضة لا جئا
إلى صحراء قاحلة تنفر من الأنس ، وتعمر
بالوحش ، فقد يظن بعض الناقدين أن للشاعر
يسطو على التنفري في لامبته المعروفة
حين ترك الناس وأنس بوحوش البادية
لجعلها أهلا وأصحابا ، ولابست للساعة سطوا
ينقل فيه شاعر من شاعر ، ولكنها
أحلام تنفاه وتناقل ، فقد ضاع الزيات
بمحتمه الذي يتألب فيه ذوو قرابه عليه
فكيف بالبعداء من الناس ؟ إنه ليصنع
إلى عالم ناه عن كل إنسي ، وإن يسكون
ذلك في غير الصحراء القاحلة ذات الوحوش
والطيور ، هو إذن شعور يستاء كل ضائق

وضعت دواني فوق موضع دانيهم
ولكن من الأدواء ما ليس بحسم
إذا كان لا يرجى شفاء لئله
فترك التدوي بالعقير أحزم
ولم أرفق الدنيا حقيقيا بأهله
كبان لهم جسدا إذا تم هدموا
وما أسنى أي هليت فقوضوا
وأي إذا أمرتني القول أعجموا
على أسنى أي إذا عت قبلهم
أضيقوا ولم أسهم إن تظلموا
بحول لثني بيني وبين دانيهم
ولا يؤذل الموتى بأن يشكروا
بني أمنا لا تنكروني وأجلوا
فاني وإن أنكرتموني أخوكم
فلا رحم موصولة قد قطعتها
ولا رجا مقطوعة قد وصلتم
وإن ليصف تضروب بمده
فيا كمو أي تقصوني فتهزموا
حلت لكم في ندوة المجد حبوني
فهل كان ذنبي أن شهدت وغبتمو
هو أنكم من صهوة العز مقعدا
فلما تبرأتم مهرت وغتموا
أعيدكم بالله أن يغلب الهوى
على أسركم أو تقطعوني فتندموا
سأضرب في الآفاق شرقا وغربا
وأنجو برحمتي حيث لا الحريمهم

بأهله وذويه ، وإذا أفصح منه شاعر كبير
 فلا يوصف بالسوط لأنه أماد تجربة قد
 مآناها سواء ، كما يمايها هو ساعة جاشت
 خواطره بالنقمة وحب الفرار ، وإذا كان
 الشاعر ممن يمشرون بعقولهم الفكرية في
 جهود البداوة ، يصدرون عن دواوينها
 ويتعمقون سورها وأخبثها ، فلا بد أن
 ينسج على منواله ما يحب وبألف ، لا لأنه
 يقلد ولكن يكتسب بنفسه في أفق خاص ويقم
 عبثاً برفضه في زهور معينة لا يبلغ
 سواها مبلغها من نفسه ، فزأني إذ يصور
 اعتزاله الناس إلى مرابع الوحش في البادية
 إغما يمر عن أحلام البقعة التي ترسم في
 الغواطر ، وإن لم تتحقق في عالم الواقع ،
 فهو صادق أتم الصدق بالنسبة إلى شعوره
 الخاص حين يقول :
 وما المز إلا ظهر مظلومة لها
 بمرض القيا في جولة وتوسم
 وليس لنا حاد سوى رجوع سوتها
 كفى بصداها حاديا يترنم
 قآوة أهوى يجنبني قصص
 وللمسل أخرى إنني لمنعم
 وغير الخفا في الجبال حفية
 من الرمل تفتلق عليها الهوم

أخوض بها لبح السراب وحوشنا
 من الوحش أمراب ورائع هوم
 وذئب لبد ملء القعجاج زئير
 تكاد له أصلا به تنقسم
 رأى رجلا قد لبد الجهد شمسه
 وأظفاره معقودة لا تقلم
 فما شك أني ضيقم غير أنني
 إذا فلت لم يفهم ولو قال يمج
 إذا ما التقي ذو قملة هرية
 بذئ حجة الكلى في النطق أجم

وقد أضيف إلى هوم الشاعر بذوي
 قرياء هومه بأمانيه ، فقد كان كما يلوح
 من أشعاره الباقية ذا آمال في الرخاء
 والسمة ليرضى حاجة الكرم في نفسه
 وليكون دوحة يستظل بها زائروه
 ولما صوره ، ولكنه موظف محمودة
 الرائب ، يؤمه القاصدون فلا يبرم بما
 يتصوره من أيجاد الأريحية وقنائل القشرة
 فيستعمر سمرارة ألجمة تنجسد في وجهه حتى
 تكسر صفوه وتورق خاطره ، وقد أبان
 هو بعض ذلك في قوله مع قصيدة
 طويلة روتها المجموعة الشعرية أيضاً مع
 قصيدتين أخريين :

حلت الدهر أشطره إلى أن
 ملأت من التجارب الوطابا
 سأمى ما استطعت فإن غنيا
 رجعت حدث المسمى الإيا
 وإن أحرم وما فصرت جهدي
 فلا لسوما على ولا متابا
 ولكن حاجة الأحرار عندي
 تكفى النأوب والذهابا
 إذا أنا لم أكن طموحنا
 (فلا كما بلغت ولا كلابا)
 وفاته وقد أودى بحالى
 حناء قد ملكت به الرقابا
 بسطت يدك بالجدوى إلى أن
 قبضت يمسك كفهما السرابا
 وما يدريك أن غدا سيأتى
 بما لا تستطيع له غلابا
 أمتلئ إذا استجداك قوم
 أناخوا دون ساحتك الرقابا
 يلق عليك جوههم الفياق
 وقد رجوا وما ملأوا العبابا
 فلا أنت امرؤ متر فتسخو
 ولن تستطيع دونهم حبابا
 وهى أخلاق هتفت بها أمراقه العربية
 العلوية ، وغذتها أحاديث المكرم
 البطولى عن أجواد العرب فى الجاهلية
 والإسلام ، مما يؤكد أن من راث العربية
 ما يدفع إلى النبيل السخى والهمم البعيدة ،
 ولو شئنا أن نسترد فى تحليل ما جرى من
 شعر الرنانى لامتد القول دون انقطاع ،
 ولكننا نجتزؤه هنا بما يدير إلى موهبته
 ولا نعلم إلى الآن إلى أى مدى تنفس به
 امرؤ؟ وهى ودع ديبه؟ ولكن شعره
 يؤكد أنه تجاوز مرحلة الشباب إلى الديق
 حيث يقول من آيات تختم بها هذا المقال :
 ألا رحم الله الشباب فطالما
 ركبته فى خل الهوى وهو مكرم
 فكم هتكت هذراء أستار مودج
 لتنظر من هذا الفقى المتلثم
 ومحضنة ودت ، على حب نعلها
 وقد أهجنها لى ، لو تريم
 فأصبحت لا أرجو مودة طائس
 وكانت قبيل الديق باسمى تقسم
 . . . محمد رعب البيرومى

من الأصول السياسية والدستورية في الإسلام

للككتور مصطفى كمال وصفي

— ٤ —

خصائص النظام الدستوري الإسلامى

لم يكن البحث في النظام الدستوري في الإسلام أهمية كبيرة حتى أقبل مفكرو هذا العصر على الفارقة بين الإسلام وبينه للنظم للامارة .

٤ - والمدل لقوله تعالى « ولا يجزئكم شئ أن قوم على ألا تعدلوا » (المائدة ٨) وقوله « إذا طعنتم بأمركم بالعدل والإحسان » (النحل) .

وفي ذلك يقرر فضيلة الأستاذ الشيخ محمد هاشم في كتابه : (الإسلام فريضة ومقيدة) صفحة ٤١٥ « أن أسس الدولة في الإسلام أربعة :

١ - الأخوة الدينية لقوله تعالى : « إنما المؤمنون إخوة » (الحجرات) وقوله تعالى : « فأصبحتم بنعمته إخوانا » (آل عمران) وقوله ﷺ « لا سلم أخو قسطنطين » و « المؤمن للمؤمن كالبنيان بعدد بعضه بعضا » .

٢ - التكافل الاجتماعي وله مظهران : أحدهما مظهر مادي كالزكاة ، ومظهر أدبي بالأسر المعروف والنهي عن المنكر .

٣ - الشورى

وقال الأستاذ محمد يوسف موسى في كتابه نظام في الإسلام (صفحة ١١٨) إن الحكم الإسلامى يقوم على أسس ثلاث لها ، ما : القور والعدل . وأورد الأستاذ الدكتور ضياء الدين الرئيس في كتابه (النظريات السياسية الإسلامية) طائفة من آراء المستشرقين يزعم بعضهم أنها حكومة كهنوتية (ثيوقراطية) أو استبدادية أو غير ذلك . ثم قرر أن أساسها سيادة القانون ، وأن الفكرة فيها تختلف من لبدأ الديمقراطية الحديث .

وبنى أستاذنا المرحوم الدكتور محمد عبد الله العربي فكرة الدولة الإسلامية على اقتران الكيانين : المادى والروحى فيهما

وامتزاجهما، وأن الكيان المادى فيها يقوم - أسوة بكل دولة - على العناصر الثلاثة المعروفة وهى: الأرض والشعب والحكم. وإن الكيان الروحى فيها يخرج بالكيان المادى المذكور، فإن التنظيم الإسلامى يقوم على أسس عقيدة يفرسها الإسلام فى وجدان الفرد ووجدان الجماعة، وهذه الأسس تعدد أولاً إلى تحديد الملة بين الفرد والمجتمع على أساس من التوفيق فيجعل الفرد مسئولاً عن المجتمع، والمجتمع مسئولاً عن الفرد، (كناه: النظم السياسية الجزء الأول صفحة ١٢).

والذى نراه فى ذلك أن الخصيصة الأساسية للدولة الإسلامية، هى أنها دولة عقيدة أو مذهبية، أى أنها دولة مكحلة. وهذا النوع من الدول يتميز بأن المجتمع فيه يرتبط كله - حكومة وشعباً - بعقيدة واحدة ومذهب واحد يسيطر عليه وبسمى كله كنه واحدة، وفى اتجاه واحد لتحقيقه.

فالحكومة فيه تمتنع المذهب، والمذهب فيه يمتنع المذهب والحاكم فيه يجب أن يكون من أكثر الناس حماساً وفهماً للمذهب. وبذلك كله يكون المجتمع كله من أهله

إلى أعلاه مرتبطاً برابط واحد من العقيدة الراسخة القوية التى يدين كله بها.

وقه بينا فى إحدى الفقرات السابقة أن من عناصر الدولة الإسلامية عدم الإشتراك بالذ (عدد المحرم ١٢٩٠)، كما بينا فى مقالة أخرى (عدد ربيع أول ١٢٩٠) أن هذا العنصر هو الذى يفسك المشرعية الإسلامية، أى للبدا الأعلى الذى يربط بين المجتمع الإسلامى، فالمجتمع الإسلامى كله يقوم على التضامن فى تنفيذ ما أمر الله به ومنع ما نهى الله عنه، وهذا المبدأ هو العقيدة الإسلامية والمذهب الذى تكافح الدولة الإسلامية من أجله.

وهذه الخصيصة الأساسية التى تتميز بها النظام الإسلامى تؤدي إلى النتائج الهامة الآتية:

١ - النظام الإسلامى فى الحقيقة هو نظام عصبى، فهو يعتمد أولاً وقبل كل شئ على الرجل للسلام، وعلى البيئة للسلامة، وبقدر ما يتحقق هذا المنصر الأساسى يقوم نظام إسلامى حقيقى، وبقدر ما يتخلف، يكون الشكل الإسلامى للنظم صورياً غير حقيقى.

٢ - وهذه الخصيصة هى التى تحمل

للسلطة الشعبية والممارسة الشعبية أهمية عظمى في النظام الإسلامى ، فهى يجب أن تكون سلطة حقيقية مباشرة ، وليست سلطة وهمية اعتبارية يمارسها ممثلون يتوبون عن الشعب كما في النظام الديمقراطي فإن السلطة الشعبية عندنا تقوم أولاً على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا تقوم كسلطة تشريعية كما في النظام القانونى الحديثة ، لأن التشريع انتهى زمانه وانتهى أمره منذ عهد النبي ﷺ ولم يبق إلا تطبيق أصوله والاجتهاد فيها على وجهها في كل زمان ، وهذا في الواقع أقرب إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منه إلى التشريع ، يتطلب ممارسة شخصية مباشرة ولا يستلزم النيابة ، وربما أذن الله أن يسطر ذلك على وجهه إن شاء الله فإن له أثراً كبيراً في شكل الأجهزة الدستورية ، وفي أشكال التصرفات العامة ، أى القوانين والأوامر والمراسيم والأحكام القضائية ونحوها .

٢ - أن هذه الشخصية تتطلب قاعدة شعبية جماهيرية حقيقية واضحة تكون على دراية تامة بالمبدأ وعلى علم تام بحقيقة الإيمان والإسلام والأحكام ، وتتطلب

توعية دائمة للشعب في هذا الخصوص وبقطة تامة من الشعب في الحرم على أساس المجتمع ، وقد كفل الإسلام ذلك بشكائنه المسلمين إقامة الصلوات الخمس في المساجد جماعة ، مما يؤدي إلى الترابط الشعبى التام في وحدات حركية وجامعية حقيقية ثم يجتمعون في شكل أوسع كل جمعة في المسجد الجامع ثم في شكل شامل في المسجد الحرام في الحج .

١ - أن الحريات الإسلامية هي حريات فعلية حقيقية ومقيدة وموصوفة بمبدأ معين ، هو الفسروعية الإسلامية سابقة الذكر فهى ليست حريات لا مرسوم لها كالمبادئ الديمقراطية الحديثة ، الحرية المقيدة مثلاً في تلك النظم ، هي حرية جرفاء تسمح للإنسان أن يستق طائفة فيكون واحداً أحرز بقا أو على أنه لون شاء ، وذلك لا يكون للمجتمع لون فقيدي واحد ، أما قيام فكرة إيمانية شعبية عامة ، فإنه يستلزم حتماً أن تنفقد الحريات إرادة مخالفة هذه الفكرة والخروج عليها .

٥ - أن الإمام يجب أن يكون من أكثر الناس تفهماً بالمقيدة ، لأنه همزة الجماع ، مناط إصلاحها ، وكما قوى إيمانه

٣ - أن هذه الشخصية تتطلب قاعدة شعبية جماهيرية حقيقية واضحة تكون على دراية تامة بالمبدأ وعلى علم تام بحقيقة الإيمان والإسلام والأحكام ، وتتطلب

وبعضه لا نراه شيئاً ، فالقول بأن الأمة الإسلامية تقوم على الأخوة والتكافل الاجتماعي هو قول حق من يقين . والقول بأنها تقوم على العدل هو كذلك قول ثابت حق ، لأن العدل بمعناه الاصطلاحي هنا هو العدل النظامي ، أي إزال أصول النظام (أي أصول الإسلام) على النوازل . فهو بعيد عن اللغوية الإسلامية السابق ذكرها . وأما القول بأن للشورى أساس الحكم الإسلامي فعراه في المسألة الثانية ، فإن السنة الصحيحة والعمل في عهد الخلفين يظهران أن الإمام أحياناً كان لا يستشير ، ولم تجر الشورى إلا في نوازل قليلة لا تصلح أن نسميها إلى حد هذا التأصيل . كما أن هيئة البدء الإسلامي ووضوحه وشموه - فإن له حكماً في كل دولة - تجعل المسألة في الغالب ليست شورية ولكن اجتهاد . فالشورى إنما تكون في الامتثال التقديرية البحتة التي تحتاج للإماتة تحساناً وتحكيماً للصالح للرسالة والتحسين العقلي . ولكنها لا تلزم أبداً حيث يوجد نص أو يمكن القياس ، فحلها في الامتثال فقط وليس في تطبيق النصوص الشرعية ، وبذلك تكون لها مكانة قانونية ، وإنما نظن أن للتأويل بها الآن صيبه يريق للذاهب البرلمانية

بها كلما كان أقدر على جمع الخليقة الاجتماعية وجذب عناصرها نحو مركز القوة فتكون أقوى بناءً ، وبالتالي أقدر على التقدم وأداء وظيفتها . ويجب ألا ينفصل عن الجماعة بما يفرض عقيدته أو يضمها ، فلا يمتنع من الناس ولا ينفصل عنهم بحياة التعميم والتدرب لأنه - كما قال الطرطوشي في كتابه تاج الملوك - كلما زاد الحجاب كلما وجد أهل القضاة وبطانة السوء فرصتهم اه وكذا فإنه يؤدي إلى عدم العموم بمذاكل الناس ومصائب حياتهم ولا يحسن تقديرها وهذا القدر ، وهو شعبية الحاكم ، ونفسه بالمقبولة وعلمه بها ، هو الذي يفسر بعض شروط الإمامة ، كما وردت في الإحلام . حقيقة أن الظروف قد أوجبت القول بصحة إمامة للفضول ، ولكن هذه ضرورات يفرضها الاستقرار الاجتماعي وليست هي أصولاً في ذاتها ، وربما كان شرط القرعية ليس لأن هذا المبدأ تدينه الأمة فحسب ، ولكن لأن منه رسول الله صلى الله عليه وسلم حرة إيمان هذه الأمة وعصب إيمانها ، فيذكرونه به ويمثلونه في شخصه والله أعلم .

وإني بعد أن بينت ذلك أرى أن الأسس السابق ذكرها ، بعضها يمت إلى هذا التخرج

والنبيانية الحديثة ، فأرادوا أن يقولوا :
هتدنا مثلهم !

وكذلك أشير إلى الفكر الإسلامي
قد أصابه شيء من الإحجام عن القضية
بعد عهد النبي ﷺ وخليفته أبي بكر
وعمر ، فبعد أن كان الحكم هل مارصفنا
كان الحاكم من سيم أهل الإيمان وأفضلهم
وجزتهم ، وكان يجلس إليهم طيلة يومه
في الساجد ويمضي دون الكفاف ، وكان
لرجل الفارع أن يطاول بالحجة للشرعية
ما شاء الله له أن يفعل ، اقلب الأمر ملكا
واحتدوا ، الأمر ، وشكروا بالأحرار ،
وخاف بعض أهل الفهم واعتزلوا ...
واكتست الأفكار ترميها على مر المصير -
بمسحة (ارستوقراطية) تعترف بالسيادات
والربسات ، وتنسب الشعب والحريات ،
وكان لذلك أثر واضح في ترتيب كتب
الفقه لموضوعات الإمامة والسياسة ، فوجدنا
تتبع كل العناية بنسب أحكام الإمامة ، ثم
الوزارة ، ثم الإمارات والإحكام ثم لاشيء
إطلاقا من الشعب والحريات . وأين الكلام
عن التوازن الدستوري ؟ أين الكلام عن
العقودى وكيفية ممارستها ، لا شيء إطلاقا
بما أدى إلى نقص خلبر في إظهار الفكر
السياسي الإسلامي وإلى إغفاله موضوعات
خاية في الأهمية في العصر الحديث وأصبحت

ذات حساسية كبرى خاصة في أذهان الشباب
المتنفذين ممن يطمعون على تيار الفكر
الحديث في الدول الأخرى ، وصار من
التمنى علينا أن نواجه هذه الحساسية
وأن نعبرها تماما مخافة أن تنسرب أذهان
أبنائنا إلى تلك التيارات الأخرى القريبة .
ولا شك أن الإسلام يعرف الحريات
والسلطة الشعبية والتوازن الدستوري ، وله
رأى في الفصل بين السلطات والتمثيل
الشعبى ، وكل المسائل الدستورية الحديثة .
لأنه كما قلنا نظام شعبى طبيعته ، كما كان على
حقيقته في عهد النبي ﷺ وصاحبه الخلفاء
ولا شك أن علينا أن نظهر الفريضة
الإسلامية في هذه الأمور وإن كان ذلك
يتطلب جهداً مضنياً

ولذلك فإن المهج الذى أراه في عرض السياسة
الفرعية هو البدء بالمسائل الشعبية ، وهى
الحريات والسلطة الشعبية والتوازن
الدستورى ، فهذه موضوعات يجب إشباعها
تماما دون الاكتفاء بالأحكام السلطانية
المعروفة التى تنحصر في بحث الإمامة
والولايات العامة .

والله سبحانه وتعالى الموفق للخير ووصل
هل سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .
محطفى كرمال وصفى

مللح شخصيَّة السفير في الإسلام

للعقيد حسن فتح الباب

التجارية قبل الإسلام ، وقد أتاح لهم ذلك مركزا تجاريا ممتازا ، وعلاقات ودية حميدة في العالم المعروف إذ ذاك . ونحمل كتب التاريخ بأحبار وسلمهم إلى الملوك وودائعهم ومفاوضاتهم ، بل أقمه قدمت إليهم بعثات من هذه الممالك والبلاد فخطب ودهم ونطلب مؤازرتهم .

فلما بعث النبي ﷺ القنصل طيعة الرسالة أن يتخذ من السفارات وسيلة لنشر دعوته في الجزيرة العربية ومنها إلى أرجاء العالم . وهكذا تطورت نظم السفارات لتتنى بهذه الحاجة الجديدة ودخلت في مرحلة أكثر تقدما في شكلها ومحتواها ولمنى بها السفارات الإسلامية في نهاتها الأولى . وتختلف حلقات هذه الرحلة بحسب ظروف المصنوعة وأغراضها وتطورها المرتقب في المستقبل .

فقد كانت العلاقات الخارجية التي أقامها الرسول قاصرة في بداية الأمر على المحادثات الشخصية وإرسال الكتب وإيفاد البعثات

عرف العرب نظام السفارة بينهم وبين شعوب من الأمم والعروب المجاورة منذ أقدم العصور ، وكانت لهم أنظمة وتقاليده راسخة في علاقاتهم ومعاملاتهم الخارجية قبل الإسلام .

فقد افتتحت العلاقات التجارية الوثيقة التي نفأت بينهم وبين حيرانهم أن تتبادل الفوائد المزية فيما بينها وبين هؤلاء الأقوام للرسالات والبعثات ، وأن يصح لها ابتواتر هذه السفارات أسلوب تقليدي تصرف به عشونها وتدير مصالحها التجارية وغيرها . والعرب بطبيعتهم قوم رحل جوايا آفاق تشهد بذلك أسفارهم وقوافلهم التجارية وتذواتهم في سوق مكاء وغيرها من الأسواق ، واجتماعاتهم في مواسم الحج ، وودعات همرائهم وحكائهم إلى ملوك فارس والحيرة وعمان وحير .

وفقه ساعد على قيام السفارات بين العرب والبلاد المجاورة وتوثيق صلاتهم بها موقع جزيرتهم بينها منه كانت مصبرا للفواصل

الإسلام والدفاع عنها .

ولم تختلف المفارقات كثيراً من حيث أغراضها في العصر الأموي وإن جده تطور عليهم في أسلوبها وطايعها وتنظيمها فاستمرت تستخدم في نشر رسالة الإسلام وإعلان الحرب دفاعاً عن حرية العقيدة والتسكين للإسلام ديناً ودولة - بمقدار المهادنة مع ممثلي لندى والأسرار التي فتحها للمسلمون .

ثم كان عصر للمباسبين الذي اعتد عليه صاعد الدولة الإسلامية فأصبحت في طبيعة القوى السياسية القوية ، إذا امتدت رفعتها من أطراف الدين شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً ، فضلاً عن اتساع أرجائها شمالاً وجنوباً ، فكان ذلك أثره البالغ في السفارات ، فازدادت باتساع نطاق العلاقات الدولية بين المباسبين في بغداد ، والبيزنطيين في القسطنطينية ، وتمددت أغراضها ووظائفها بحيث أصبح تبادل السفراء والممثلين للمباسبين وصية لتوثيق المصالح التجارية ، وتبادل الأمرى ، وتبادل العطايا ، وفرض للنازعات ، وعقد للماهدات وغير ذلك من الأغراض السياسية والعسكرية كما احتضنت غرض آخر للسفارات ، وهو تعزيز الروابط العلمية والثقافية بين الدول

إلى القبائل العربية وإلى ملوك الدول المجاورة ورؤسائها لتعريف بالإسلام والدعوة إليه ، ومن أجل هذا الغرض كانت سفارات الصحابة إلى مختلف القبائل ، وكانت للوفود التي عقدت بالجزيرة العربية لشرح الإسلام والإقناع به فيما بعد .

ولما آثرت الدعوة وتمحفت للمغرب لأول مرة - وحدتهم السياسية ، فقامت أول دولة في المدينة برئاسة النبي ، أصبح انتباه أسلوب السفارات ضرورة جوهرية لهم أركان الدولة الناشئة ، فانسج نفاها وتمددت وسائلها وأغراضها وتطورت دماغها ، فلم تعد علاقات الممثلين بحجراتهم قاصرة على التبادل التجاري ، بل امتدت إلى مختلف النواحي الأخرى لخدمة حاجة الدولة الجديدة إلى الاتصال بالدول المجاورة في سبيل تنفيذ السياسة الخارجية الإسلامية من طريق إيفاد المفارقات .

وكان عهد الخلفاء الراشدين امتداداً لعهد النبي الكريم ، فظلت السفارات الإسلامية وصية لتوطيد أركان الدولة بالإعادة من الأسلوب الودي كبديل للحرب أو مساعد لها في تنفيذ الخطط السياسية إذ كان ذلك من طبيعة بث الدعوة إلى

علاقات دولته مع الدول الأخرى حتى تضمن
إلى سلام يسامد حقاً على السمر قدما في جو
من الاستقرار هو الزواج بها في حاة القهب
السياسي وفقدانها مكانتها الدولية وانفصالها
في مناصرات قد تضيق عليها مصالحها الحيوية
مما يضعف من شأنها ويورث القصب
الوهن ويفقد قوى هامة مادية ومعنوية
وقد يزوج بها في حرب مدمرة تلقى على
مستقبل الأمة ، لما كان الأمر كذلك فلا
مناس في اختيار السفراء ممن يتصفون بالقدرة
على المناوذة لأن تنظيم العلاقات الدولية
إنما يبدأ بالتفاوض لمقده الاجتماعات ثم
إبرام الاتفاقات والمهددات ، وقد يسير
هذا العمل سيرا منتظما كجبري البحر الضخم
في الوادي المنبسط السهل وقد يعترضه
المقبات والشلالات فيتمترق في السهول ، وللمفهم
السكفة هو الذي يتلقى المنازعات ويحل
المشكلات ويكسب الموقف بالإقناع والتأثير
في الطرف الآخر تأثيرا خفيا أو ضميا
دون أن يظهر لهفته وتهافته على حل المشكلة .
وكان العرب يختارون سفراءهم من بين
الشخصيات البارزة في الدولة ذات القوة
للمرونة بمصافة الرأي ، وبلاغه القول ،
ورجاحة العقل ، وسرعة البديهة ، واحتيا

لما بحققه ذلك من إقراء علاقات الدولة
والسلام بينها وهم الحركة الثقافية في البلاد
ومن ثم كان إفساد الدولة الإسلامية
السفارات إلى الدول الأخرى ضرورة
حيوية لمناورة نفاطها السياسي والتجاري
والعلمي وعامة قوية من دماهم فموها
وتطورها ، فلا غرو أن تفقد السفارات
على اهتمام الدولة للزيادة ورعايتها السابقة
وأن يسكون اختيار السفراء خليفيا بتطبيق
للصالح العليا للدولة ، فكان السفير يختار
وفق معايير دقيقة تضمن صلاحيته لتمثيل
الدولة الإسلامية ، وأهليته ليكون منوالا
لها ، وكان يفرط فيه توأمر للوهاب
والشروعات التي بدونها لا يمكن الوفاء
بمستويات تلك المهمة الكبيرة البالغة
الحساسية ، فهو يمثل مصالح بلاده ويمر من
سياساتها فهي الموقف إليهم . ومن ثم يجب
أن يسكون مثالا حليا في الخلق الممتاز لأنه
الناطق بلسان دولته ، وهو كذلك ينتج
أنباء البلاد للضيقة وينقلها أولا بأول إلى
حكومتها مع محاولته التنبيه مقدما بأي
أجاء حسيه قد يظهر فيها ، ولذلك يجب
أن يتصف بالمباينة والدكاء في عمله .
ولما كانت الهيئة الأولى للسفير هي توثيق

منهم الفرصة ، ذا رأى جزل ، وقول فصل
ولسان سليط وقلب حديد . فطنا الطائف
التدبير ، ومستقلا لما ترجو أو نهاول
بالحرمة وإصابة الرأي ، ومتقاه بالخطر
والتمييز ، ساميا إلى ما يستدعيه إليك
ويستدعيه منك . حاصر الفصاحة ، مبتدور
المباراة ، ظاهر الطلاقة ، وثابا على المحجج ،
مبرما لما تقض خصمك ، ناقضا لما أبرم ،
يحبيل الباطل في شخص الحق ، والحق
في شخص الباطل . . . طالما بأحوال الخراج
والحسابات وسائر الأعمال . . . وليكن
من أهل الثرف والبيوتات ، فإنه لا بد
مقتف آثار أوليته ، عجب لمناقها مساو
لأهل منها . . .

والصفات التي تفرط في السفير على
نوعين : أولها خاص بالمظهر الخارجى ،
والثاني خاص بالطباع والخصائص النفسية .
ومن أخبار السفراء السليمن الذين عرفوا
بالوسامة وهيباء الطلعة والرواء في المظهر
والزهي ، أن نصر بن الأهر - وكان رسوله
المتوكل إلى (ميخائيل بن تيوفيل) مبراطور
الروم سنة ٢٤٥ هـ - ٨٦٠ م - وصل
في أبهى زينة متفحفا بالملابس السوداء ،

الحليل ، وتقلب الأمور ، مما يحملهم أهلا
لما يمهدهم الخلفاء والملاطين إليهم من
أمور السفارة ومفاوضة الملوك ووزرائهم
وقد حفلت الوثائق العربية بالوصايا التي خلفها
الحكام والقادة والحكام في سفار السفارة
وصفات السفير ووسائل اختياره واختياره
وما يستحب فيه من طابع وأوصاف ليكون
أهلا لرسالة وتمثيل رسوله . فلم يكن يقع
الاختيار إلا على الأكفأ لتلك الصفات .
من ذلك أن الخلفاء السليمن قد عهدوا
بالسفارة إلى القضاء والفقهاء كالقاضي رسول
عبد الملك بن سريان إلى الروم ، والمحدثين
كالربيعي ، والمصنف كيهي بن الربيع ،
وللتصوفة كالسهروردي رسول الخليفة
الناصر ، وإلى كبار موظفي الدولة كالوزراء
والكتاب والأطباء كسيد الله بن نصر ،
وكبار التجار كالملاي رسول السلطان الناصر
محمد لمقد الصلح مع أي صعيد ملك المغول .
ولعل أبلغ ما كتب في صفات من يصلح
للسفارة ما جاء في رسل الملوك لابن القراء
على لسان أحد الحكماء :

اختر لرسالتك ، في هدتك وصلحك ،
ومهانك ، ومناظرتك ، واللبابة هناك ،
وجلا حفيفا حولا قلبا ، قليل الغفلة ،

ذوى الرواء من الرسل .. يعلل الميوق المتعوفة اليه فلا تقتحمه ، ويشرف على تلك الطائى المتعوفة له فلا تستعفره ، « صحيح الفكرة والمزاج فإ ياق وهبارة اصبرا بمخارج الكلام ووجهه ، صدوق الالهة » . وقد أوصى الوزير السلجوق نظام لكك فى مؤلفه « سياسة ناما » أى فن الحكم ، أن يكون السفير « مسنلا مالى » .

ويستدل بما أولاه الخلفاء والحكام المسجون من نهاية مظهر سفرائهم — إذ كان الرواء فرطاً عند اختيار السفير — على سعة أفقهم ، وعمق نظرهم ، وسلامة بصيرتهم ، ذلك أن الصفات العقلية والخلقية لا تكفى وحدها ولا تكفل بذاتها لنجاح السفير فى مهمته ، مما يرجع إلى طبيعة السفارة وأغراضها بوصفها وظيفة رسمية تعنى بالشكليات للتعارف عليها والمراسيم النابعة من المصروف والتقاليد السائدة ، كذلك ، فإن أهمية السكل فى عالم الدبلوماسية ترجع إلى ما له من تأثير فى الموضوع ، وفى النفس السالف إشارة إلى هذا المعنى : « فأعين المملوك تسبق ذوى الرواء من الرسل » . ومن الثابت فى النظريات الحديثة [٥]

وهى ترى الرسمى لمباشرين ، وعلى رأسه قلنسوة ، متمنطقاً سيفاً وخنجرًا ، فأنى القائم بأمر الأمبراطور إدخاله عليه بهذه الهيئة ، ولكن السفير حرم على تقاليد دولته الدبلوماسية ، ودخل على الأمبراطور وجلس فى مكان قرب سريره الكبير بملايسه السكابة .

ومن أنهر السفراء للسلطين فيما اتصفوا به من رواء المظهر ، سفير عبد الرحمن الثانى خليفة الأندلس إلى ملك النورمان سنة ١٢٣١ هـ — ٨٤٥ م الملقب الغزال نسبة إلى جماله للظاهر ، وكان عاشر الخليفة أدبياً مشهوراً بين أدباء عصره . وقد أثبت لدى قيامه بمهمته من ضروب النشاط وإحادة فنون الرياضة واللباقة وسعة العلم ما أثار إعجاب النورمان وملوكهم وملكتهم « نود » .

ونخلص من تحليل الصفات التى كانت تستحب فى السفير للوفد لأداء رسالته أن منها ما يتعلق بصحة الجسم ، وما يتعلق بالمظهر وحسن الهندام ، وما يتعلق بحسن النطق وسلامة الأداء ، فيستحب فى الرسل « تمام القد وهبالة الجسم ، حتى لا يكون قبيحاً ولا مشيلاً فأعين للوك تسبق إلى

وكانت القداء يبعث منه
في سواد الأمور شعة نار
وقال الآخر:

وابعث رسولا في ملاطنة
قد أحكت أحكامه الحيل
ومن الآيات المشهورة:

إذا كنت في حاجة مرسل
فأرسل حكما ولا توصه

ومع الصفات التي اعترضها العرب فيمن
يحمل الرسالة ويقوم بالسفارة، ألا يكون
مبالا لفساد حتى لا يستخرج أسرارهم،
أو ممن يحب شرب النبيذ: «فإن كان حارب
خر فليتركه في ذلك الوقت بالكلية، فإن
الجر تقضض شاربها وتطلع على ما في نفسه
من الأسرار. فقد كانت الحزمة من ملوك
الدرم تحرم على الرسل شربها وتضرب عليه
الأعتاق عند المخافة».

وثمة خلال ومنافذ أخرى من مقومات
شخصية السفير، وهي أن يكون غزير العلم
واسع الثقافة، كأن يكون جامعاً للشرعة
والسنن والأحكام والمير (التاريخ)، أديبا
راوية للقصص وما يتبعه من جولة للبيان
وقوة اللسان وحكمة الأوائل وأمثالها،
عالما بأصول فرض الضرائب وتمصيلها
وبالقواعد المالية، وهي علوم من يصلح
للسفارة من الفضاة والفقهاء والعلماء.

عفيه: صي فتح الباب

أف الشك هو إطار الموضوع الذي يحدد
أبعاده، أو هو الوطاء الذي يحتوى
الضموم وبصوغه في قالبه ويخلع عليه
لونه وطابعه.

أما الصفات التي تتعلق بالطباع والخصائص
العقلية التي ينبغي أن يتحلل بها السفير فهي
حسن الرأي، ورعاية العقل، والتصرف
والتراحة من يسع الأمانة أو خيانة مرسله
والحذر من تجاوز ما رسم له أو تغيير شيء
من رسالة من اختبر ثقته أو رد من أرسل
إليه. ويعدد ابن القراء هذه الصفات في
عبارة أخرى فيقول: إذ السفارة تقتضي
حسن أخلاق السفير كأن يكون عفيفا
زاهيا، أميناً لا أمين عليه، بحيث لا يقبل
الرشاء ولا يستهزئه السطاء، فيقتصر فيها
يجب لصاحبه، ويبالغ فيها لا ينسى لمن
أرسل إليه، وأن يكون جيد الامان
لا تبدر منه البذية، كأنه للغيب لا تلحقه
سورة الغضب، يؤثر الصدق في القول،
محتالاً في محاورته ومكائده، يناظر كلاماً بحسب
ما يراه من صوابه وخطئه، وأن يكون
وقوراً ذا حزمة، حلياً ذا أصالة رأي،
جريئاً لا يرنع تهديدات مرهبة، ولا يتغير
بأطاع مرهبة، بل يضع الأمور في مواضعها
ويقابل كل فعل بما يليق به.

قال البحرى في وصف الرسول:

انتشار الإسلام في الرحاب

للدكتور حامد غنيم أبو سعيد

— ٢ —

التي له أهميته البالغة فيما نحن بصدده من دراسة انتشار الإسلام في هذا الإقليم من أقاليم الرحاب — أقول : حدث هذا التطور في سنة ٢٥ .

لحق تلك السنة أني الأسمت بن قيس إلى هذا الإقليم في محبة الوليد بن عقبة ، وبعد انصراف الأخير إلى الأسمت في أذربيجان ، وقد احتطاع هذا المصطفي ، ومعه القوات الإسلامية التي كان يقودها ، أن يتغلب على حركات الرد ، وآتى بمجمعات عربية وأسكنها في الإقليم ، وأمرها بدعاء الناس إلى الإسلام .

والمن الذي أورده البلاذري بخصوص هذه النقطة هو ^(١) : « ففتحها (أي فتح الأسمت أذربيجان) على مثل صلح حذيفة وعتبة بن فرقد ، وأسكنها ناساً من العرب من أهل العطاء والديوان ، وأمرهم بدعاء الناس إلى الإسلام » .

انضع لنا من اللقال السابق أن العلاقة بين الجانب الإسلامي وأهل أذربيجان قد تجسدت أثناء للرحلة الأولى داخل الإطار الرسمي للحدود السياسية ، وانضع لنا أيضاً أن هذه للرحلة قد استغرقت السنوات الأخيرة من عهد الخليفة عمر بن الخطاب ومعهما الشهور الأولى من عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنهما (من أواخر سنة ١٨ إلى أوائل سنة ٢٥) ولنا بحاجة إلى أن نؤكد هنا أن هذا المستوى من العلاقات لم يحقق أي نجاح بالنسبة لمركبة انتشار الدين الإسلامي في هذا الإقليم .

ونقول اليوم : إن الجانب الإسلامي قد تجاوز هذا المستوى من العلاقات إلى مستوى جديد أساسه الاتصال المباشر وللمباشرة التي لا تحدها موانع مع الجماهير في أذربيجان ، وذلك لعمل على نشر الدين الإسلامي بينهم ، وقد حدث هذا التطور

يبرزها النص السابق ، وذلك في مواجهة من يزعمون أن استيطان المسلمين في المناطق التي لم يكن الإسلام قد انتشر فيها بعد ، كان يرسى إلى الاستغلال والاستئثار بخيرات هذه المناطق على حساب المواطنين الأصليين .

هذا ، ونحاول الآن أن نشرف على مدى النجاح الذي حققته هذه الخطة ، وفي هذا الصدد نقول : إن للراجع التي بين أيدينا تؤكد لنا أن هذه الخطة قد قوبلت باستجابة كبيرة من قبل الأكراة ، وقد ذهب بعض المؤرخين في المدى الذي وصلت إليه هذه الاستجابة إلى درجة القول بأن حامل الخليفة علي بن أبي طالب على أذربيجان (أي بعد حوالي عشرة أعوام مروض هذه الخطة موضع التنفيذ) وجد أغلبية الأذريين قد أسلموا وفرأوا القرآن .

ومما لا شك فيه أن هذه النتيجة طيبة للغاية ، وليس لقائل أن يقول : إن هذا الخبر قد سبق في إطار السالفة ، إذ أن الطبري (ج ٤ ص ٢٤٦) يذكر لنا أن القوة الإسلامية التي كانت ترابط في أذربيجان في تلك الفترة كانت قوامها

ها قد وضع للشولون في الدولة الإسلامية خطة معينة وأنظموها عدة ، والهدف هو دعوة أهل أذربيجان إلى اعتناق الدين الإسلامي ، وذلك عن طريق الاتصال المباشر وللمعاينة للفتحة . ولا يسم الدارس إلا أن يقول : إن الوضع الجديد يعتبر دون شك تطوراً بعيد المدى في مجرى العلاقات بين الدولة الإسلامية والأذريين ، وذلك لأن الدولة الإسلامية لم تعد تتخاطب أهل أذربيجان من خلال ممثل سياسي لهم قد تكون مصلحته في أن يحجب عن أنظار المسلمين الرغبة الحقيقية للمواطنين هناك ، بل إنها صمدت إلى الاتصال المباشر بأهل البلاد لا على المستوى السياسي أو الرسمي ، بل عن الطريق الجماهيري أو الشعبي ، وهو الطريق الذي من خلاله نصل المصارحة إلى أقصى درجاتها ، وفي ذمائه يمر الفرد بصدق عن حقيقة معامره وإحساساته .

وهنا نود أن نؤكد أن الهدف الرئيسي ، بل والوحيد ، من إسكان ناس من العرب في أذربيجان ، كان هو العمل على نشر الدين الإسلامي بين أهل الإقليم ولا شيء آخر وراء ذلك ، وتؤكد هذه الحقيقة التي

لنا إذن أن القول بأن أكثر أهل أذربيجان كانوا قد أسلموا حوالي سنة ٣٦ هـ ليس من قبيل اللبالات .

لم يحدد لنا البلاذري الأمكنة التي استوطنها أهل المطاء والديوان الذين نيطت بهم مهمة دعاء أهل أذربيجان إلى الإسلام ، فلم يذكر مدينة باسمها ولم يحدد منطقة بعينها ، وهذا الإطلاق مقصود من البلاذري ، إذ أنه يتفق والمهمة التي كان يعمل من أجلها أهل المطاء والديوان ، وهي العمل على نشر الإسلام بين أهل أذربيجان .

فمثل هذه المهمة تقتضي من الرجال الذين يقومون بها أن يتحركوا وبلنقوا بالأذربيين في مختلف الأنحاء والبقاع ، ولذا فإنه من الممكن للدارس المعاصر أن يقول في ضوء هذا الفهم أن أغلبية أكراد أذربيجان على امتداد بلادهم ، من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب ، قد اعتنقوا الدين الإسلامي في هذه الفترة التي تبدأ من سنة ٢٥ هـ حتى أوائل عهد الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه (٣٥ - ٤٠ هـ) .

ولكن ما هو سر هذه الاستجابة

مئة آلاف رجل يستبدلون بنسبهم كل سنة .

ومعنى هذا القول أنه قد أتى إلى إقليم أذربيجان على مدى عشر سنوات سنون ألف مسلم ، وهذا العدد الضخم من الرجال المسلمين ، مع أن مهمتهم الرئيسية كانت هي الحفاظ على المساجد الإسلامية من الناحية السياسية فإن ذلك لم يحل بينهم وبين العمل الدعائي من أجل إقناع الأذربيين باعتناق الدين الإسلامي ، ولا شك أن بعضهم ، ولا نقول أغلبهم ، قد نجح في مهمته الثانوية ، ومن ثم انضم إلى الجماعة الإسلامية أفراد جدد من بين الأكراد في أذربيجان .

فإذا أضفنا ذلك إلى نتائج الجهود التي بذلتها الجماعات العربية التي كلفتها الدولة الإسلامية بالاستيطان في الإقليم ، والهدف الوحيد من وراء استيطانها هناك هو دعوة أهل أذربيجان إلى اعتناق الإسلام — أقول : إذا أضفنا نتائج الجهود الدعائية التي قامت بها القوات للرابطة إلى ما أسفر عنه النفاط الذي بذلته هذه الجماعات العربية ، وخاصة أن مهمة الآخرين كانت دعائية خالصة ، فإنه يتضح

تقرر هذه الحقيقة على كل من ابن الفقيه والعمودي وياقوت الحموي؛ فالأول يقول عن (الغيز) التي هي ناحية من نواحي أذربيجان: «وبها بيت نار آذر جفنس، وهو عظيم الفخر عند الجوس»^(١).

أما الثاني فإنه يقول في مروج الذهب: «وفي سياق حديثه عن بيوت النيران: «وبيوت النيران كثيرة مما بنته الجوس بالمراق وأذربيجان وأران»^(٢).

كما أنه يقول أيضا: «كان يوجد بيت نار ببلاد الشير وأران»^(٣).

وزداد الموقف وضوحا من المعلومات التي يقدمها ياقوت فهو يقول عن الشير: «... ناحية من أذربيجان... وقصبتها أرمية... وكان بها بيت نار عظيم القاد عندم، منها ركني يرد إلى الجوس من الفرق إلى المغرب»^(٤).

كما يقول أيضا: «إن بالغيز نار آذر خفي وهو بيت معتم منه الجوس، كان إذا ملك ملك منهم زاره طافيا»^(٥).

الكلمة التي قول بها الدين الإسلامي من أكراد أذربيجان، وما هي حقيقة المواقف التي حلت هؤلاء الأكراد على أن يندوا ديانتهم السابقة ويعتقدوا الدين الإسلامي؟ وما هي طبيعة الظروف التي ساعدت الدين الوافد في التغلب على الجوسية التي ظلت سائدة هناك لأجيال عديدة؟

إن أيا من المؤرخين الذين نعتمد على كتاباتهم هنا لم يخلف لنا أساسا نعتمد عليه في تقرير إجابة مدعمة بالأدلة عن هذه التساؤلات، ومن ثم فإنه لا مفر أمامنا من تلخيص بعض المحبوسات التي قد تساعد القرء في إشباع نطلهم إلى معرفة سر النجاح الكبير الذي حققه الإسلام هناك في هذه الفترة القصيرة.

وعلىنا قبل هذا أن نتعرف على مركز الجوسية وأذربيجان وقت الفتح الإسلامي ونقصر الكلام على الجوسية بصفة خاصة لأنها كانت الحياة الغالبة بين أكراد أذربيجان، وذلك بالنظر إلى كل من النصرانية واليهودية.

بعد هذا نقول: إن إقليم أذربيجان كان قبل دخول الإسلام إليه واحدا من المراكز المدعوة للحياة الجوسية، وتعتمد في

(١) مختصر كتاب البلدان: طبعة بغداد ٢٨٦.
(٢) مروج الذهب: طبعة القمح ج ١ ص ٤٢٧.
(٣) المصدر السابق ج ١ ص ٤٢٧، ٤٢٨.
(٤) معجم البلدان: طبعة طهران ٣٥٥.
(٥) المصدر السابق: ج ٣ ص ٣٥٦.

المجوسية ، تحققت هذه النتيجة الرائعة من طريق الدعوة الخالصة البعيدة عن العنف والإكراه والتي كانت تخاطب في الوقت نفسه عقول وقلوب الأكراة ، وهذه الحقيقة تقدم نفسها لأولئك الذين لا يحلو لهم إلا أن ينالوا من الدين الإسلامي فيمزقوا انتشاره السريع إلى السيف والإكراه .

ومع أن المؤرخين لم يزودونا بمعلومات تساعدنا في الإصحاح عن سر انتشار الإسلام على المجوسية ، رغم ما كان لديانة الأخيرة من قوة وسلطان في إقليم أذربيجان فإن الدارس يستطيع أن يرجع هذا النجاح الناجم إلى عاملين أساسيين .

أول هذين العاملين . هو القوة الدائمة التي كان يتمتع بها الإسلام كعقيدة ، والتي كانت تنبع من تعاليم ومبادئه التي تتفق مع الفطرة البشرية السليمة ، وهي تلي في الوقت نفسه متطلبات الإنسان في النواحي الروحية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية . وليس هنا مجال لتفصيل الحديث عن هذه التعاليم والمبادئ .

ولكن مما لا شك فيه أن الأكراة في أذربيجان قد وجدوا في هذه التعاليم وللبادى كل ما كانوا يفتقدونه في المجوسية

هذه لمحات سريعة عن مركز المجوسية في أذربيجان وقت الفتح الإسلامي ، ومن هذه الملامح يتضح لنا أن هذه الديانة كالهياكل مركز بالغ القوة في أذربيجان ، بل إن إحدى النواحي في هذا الإقليم ، وهي ناحية الفيز ، كان بمثابة أكثر الأماكن قدسية في نظر أتباع الديانة المجوسية ، حتى من خارج أذربيجان ، وعلى امتداد الإمبراطورية الفارسية من الشرق إلى الغرب ، ليس على المستوى الجاهلي بل على مستوى الملوك والأسرة . ونصل من هذا إلى القول بأنه كان على الإسلام أن يواجه فريقا من كبار رجال الديانة المجوسية ، وذلك في واحد من المراكز الرئيسية لهذه الديانة ، وبملاهيك فيه أن قادة المجوس هناك قد بذلوا أقصى ما في طاقتهم واستخدموا كافة الوسائل والمجمل ليفسدوا فاعاليات النفاط الذي كان يقوم به رجال الجباب الإسلامي بنية تقديم الإسلام للمجوس .

والأمر الغريب حقا والذي يسترعى الانتباه ، هو أن الإسلام في فترة استغرقت حوالي عشرة أعوام ، قد ضم تحت لوائه معظم الأكراة الذين كانوا يشقون

الإسلام بين الأكراد في أذربيجان . ولنا أن نقول الآن : إنه بعد تحقيق هذه النتيجة العظيمة ، أخذ المسلمون يتركزون في مدينة أردبيل ، عاصمة الإقليم ، وهذا ما عمل على تحقيقه الأشعث بن قيس ، عامل الخليفة علي بن أبي طالب ورضي الله عنه في إقليم أذربيجان ، فما يذكر عنه أنه : « أنزل أردبيل جماعة من أهل المطاء والديوان من العرب ، ومصرما وبني مسعدة ^(١) » والمسجد الذي بناء الأشعث بن قيس في مدينة أردبيل هو أول بناء من نوعه في عاصمة أذربيجان ، ويمكن اعتبار سنة ٣٧ هـ الوقت التقريبي الذي تم فيه إنشاء هذا المسجد . وبالتالي أخذت هذه المدينة بمظهرها الإسلامية تنمو لتأخذ شكل مركز هام من مراكز الدين الإسلامي .

مع تحقيق هذه النتيجة العظيمة ، ومع الغلبة الكبيرة التي حققها الإسلام على حساب المجوسية — أقول مع هذا وذلك لم يوقف المسلمون نشاطهم في سبيل نشر الإسلام وتعميق مفاهيمه بين مواطني الإقليم ، فها هو ذا اليمقوني يذكر في تاريخه عن الخليفة علي بن أبي طالب ورضي الله عنه

الامر الذي دفعهم إلى نبذ الديانة التي توارثوها عن آباؤهم جيلاً بعد جيل ، نبذوها طواعية وعن طيب خاطر ، وذلك حينما وجدوا ديناً جديداً تؤكد لهم تعاليمه ومبادئه أنه صميلاً الفراغ الروحي والفكري الذي كانوا يعيشون فيه مع المجوسية .

أما العامل : الثاني فهو القدوة الحسنة التي كانت متشكلة في المسلمين الذين يبط بهم مهمة الدعوة إلى الإسلام بين الأكراد إذ أنه من المعروف عن رجال الجيل الأول من المسلمين ، وهم الرجال الذين تلقوا تعليمهم وتأديبهم من المعلم الأول ، وهو الرسول محمد ﷺ ، من اللزوم من هؤلاء الرجال أنهم كانوا مثلاً مالمية وندج رائدة والسلوك والأخلاق والفكر بتعاليم الدين ، ومن الطبيعي أن الهمة إلى الإسلام بين الأكراد حتى بدون عقد سلسلة من المقارنات بين الحال في عليها هؤلاء الهمة المسلمون والأوضاع التي يعيش هو بوصفه مجوسياً في إطارها . وقد اعتنق أكثر الأكراد الدين الإسلامي اتفاقاً مع النتيجة التي أبرزها لهم سلسلة المقارنات .

هذه هي العوامل الأساسية وراء النجاح الكبير الذي أحرزته الدعوة إلى

(١) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٤٦٠ .

يوم الاستشهاد العظيم للأستاذ محمد رفيع

مؤنة : شأن كبير أبرزت دروسا مستفادة وأرست
محلة صغيرة تقع على الحدود بين الجزيرة العربية وبلاد الشام .
محلة صغيرة ولكنها تحتل مكانا مرموقا في التاريخ الإسلامي وفي تاريخ المروءة ، فقد دارت فوق أرضها معركة كان لها

شأن كبير أبرزت دروسا مستفادة وأرست
قواعد هامة للحرب يجب أن يلتزم بها المحاربون في كل المصور ، وأعطت أعظم الأمثلة وأروعها للاستشهاد الكريم في حبيل الله وللدأ والمقيدة :
محلة صغيرة استشهد فوق أرضها ثلاثة

(بقية للنشور على الصفحة للمابقة)

أنه أرسل رسالة إلى قيس بن سعد بن عبادة طامه على أذربيجان ، يقول له فيها : « وعلم من قبلك مما عليك الله » (١) .
وهذا التوجيه يمكن فهمه على مستويين :
للمستوى الأول هو تعريف المسلمين هناك بعبادتهم وتعاليم عقيدتهم ، وللمستوى الثاني : هو العمل على دعوة غير المسلمين هناك إلى اعتناق هذا الدين الحنيف .
وللمستوى الأول يمسى إلى تأكيده مفاهيم الإسلام وتعميقها في القدين اعتنقوه (١) تاريخ البقوي : طبعة المكتبة الرضوية في النجف - ٢٠ من ١٣٨٠ .

أما المستوى الثاني ، فإنه يرى إلى اجتذاب عناصر من أتباع الهياكل التي كانت موجودة في الإقليم إلى اعتناق الإسلام ، ومن المرجح أن هذا التوجيه كان له أثره الإيجابي بالنسبة لكل من المستويين .
هذا هو مدى النجاح الذي حققه الإسلام في أذربيجان حتى آخر عهد الخلفاء الراشدين ، ولنا لقاء في المقال التالي حيث نتابع ما نحن بصدد من دراسة انتقار الإسلام في هذا الإقليم من أقاليم الرابطة .
د . هاشم غنيم أبو سعيد

واستشهد هناك جعفر بن أبي طالب
الذي مات شهادته في كنف العباس معه وهم
رسول الله ثم أسلم، وأصابه ضرر شديد
حتى جاءه الأمر بالهجرة فكافة على رأس
للهاجرين إلى بلاد الحبشة حيث واجه
محاولات عمرو بن العاص وجهد الله
ابن أبي ربيعة في حضرة النجاشي . ها
يطلبان تسليم المسلمين وهو يذفع عن
الإسلام فاما عبيدا تابعا من قلبه ووجدانه
استطاع به أن يرد سموتى قريشي دون
أن يحقق هدفا أو يصل إلى نتيجة ، وطاد
إلى المدينة مع عودة الرسول منتصرا
من خيبر فقبله رسول الله قائلا : ما أدرى
بأي ما أفرح بقدوم جعفر أو بفتح خيبر
ثم آخى بينه وبين معاذ بن جبل .

واستشهد هناك جدد الله بن رواحة
البشير الذي حل إلى المدينة بأ الانتصار
العظيم في بدر ، والمؤمن الذي أخذ بزمام
ناقة رسول الله وهو يدخل مكة فاتحا
منتصرا والشاعر المؤمن للصالح الذي سمع
رسول الله يتلو قوله الحق ، والشعراء
يتبعهم المناوون ، فقال : إنا منهم ؟ نزل
قوله تعالى : « إلا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات ، ولأقاتل الذي حل سلاحه دفاما

من أبطال الإسلام المناوون ، وكان استشهاده
كل منهم قصة تروى ، وبطولة تحكى
واستشهاده يقتدى .

استشهد هناك زيد بن حارثة ، وحياة
زيد صفحات مشرقة من الكفاح والبطولة
والإخلاص والتقوى ، والصلاح والإيمان
والفدائية ، فقد خطفه ، وهو صغير ، قوم
من بني القيس بن جسر ، وعرضوه للبيع
في سوق مكات ، فاشتراه حكيم بن حزام
ابن خويلد لحساب السيدة خديجة التي وهبته
لرسول الله فأسلم ، ولما جاء أهله في طلبه
من رسول الله ، أبى أن يعود إليهم ، وقرر
أن يباهي في نور الدعوة المحمدية « ما أنا
بالذي اختار عليه أحدا ، أنت مني بمكة
الآب والأم » ، وأعلن الرسول أمام هذه
الرغبة أن زيدا ابنه يرث كل منها الآخر
- وذلك قبل تحريم التبني - وهاجر زيد
إلى المدينة ، وأخى الرسول بينه وبين حمزة
واشترك في مواقع كثيرة ، وخرج أميرا
لسبع سرايا . وكانت مؤنة نهاية الطريق
بالنسبة إليه . . قالت فيه عائشة رضي الله
عنها (ما بمثل رسول الله ﷺ زيد بن حارثة
في جميع قط إلا أمره عليهم ولو بقى بعده
لاحتضلته) .

فمضى له شرحبيل بن عمرو الفسافي وهذا عليه وقته واعتد ذلك على النبي، ودعا الناس للخروج فاجتمع لديه ثلاثة آلاف مقاتل ينفون النار لقتلهم ويطلبونه ..

وأصدر الرسول الكريم أمره إلى زيد بن حارثة ليتولى قيادة الجند، وهذا الثمين درس هام من دروس غزوة مؤتة، لماذا اختار الرسول زيدا دون غيره من رجالات الإسلام كخالد بن الوليد القائد المحارب الذي ذاع صيته وعرف اسمه وعلا شأنه وكجعفر بن أبي طالب ابن عم الرسول والبطل القوي القادر، لقد خضع هذا الاختيار لمبدأ هام من مبادئ الإسلام ونم في ضوء تعاليم الدين الجديد، الذي دعا إلى المساواة للطلقة بين الناس والذي كان ينظر إلى الإنسان كالإنسان من خلال صفاته وأعماله وعقيدته وليس من خلال أصله وحسبه ونسبه وغناه ولأنساب والأحساب والأصل ليست موازن يزن بها الإسلام رجاله، وزيد هو عتيق رسول الله وتولية القيادة يرمي قواعد المساواة في المجتمع الإسلامي ويحققها ويؤكدها ومؤتة هي أول وقعة يحدث فيها رسول الله ثلاثة من القادة يتولى كل منهم القيادة، الواحد بعد الآخر ..

من الدين والعقيدة وتعني الموت في سبيل الله يوم دعي للخروج إلى مؤتة :

لكنني أسأل الرحمن مغفرة

وضربة ذات مزع تقذف الزبداء

أو طعنة بيد حران مجهزة

بحجرة تنفذ الأحشاء والكبداء

حتى يقولوا إذا مروا على جدتي

أرعهه الله من غار وقد رعهه

هؤلاء الأسماء الثلاثة استشهدوا

في مؤتة، وكان استشهادهم من يقين وثقة

ورغبة غضوا غمار المعركة بقلوب ثابتة

ونفوس مطمئنة وعقيدة راسخة وهزم

قوى لم تضعهم مدة القتال، ولم تخفهم كثرة

عدوم، ولم ترزولهم نارلة، كانوا يسمون إلى

أحد أمرين : انتصار عظيم يؤيد الله به

الإسلام، أو استشهاد كريم يعز به دين الله

كان اللقاء في مؤتة نتيجة طبيعية لنعرف

أحق خلق بالمسلمين من جاب الروم

وأشياهم، فقد بعث رسول الله كعب

ابن عمير القناري على رأس سرية يدهو الناس

على حدود الجزيرة من ناحية الشام إلى

الإسلام لقتلهم إلا كعبا الذي تجا بجرأته

وبعث الرسول بعد ذلك الحارث بن عمير

الأزدى إلى ملك بصري يدعوهم إلى الإسلام

حارضوه فبقي على نصرايته .. وحين فرجى
المسلمون بهذا الحقد الخفيف تردوا ومرض
بعضهم : مكتوب إلى رسول الله ﷺ
يعدنا بالرجال وإما أن يأمرنا بأمر فتمضى
له .. وغضب عند الله بن رواحة كيف يتردد
المسلمون أمام كثرة عدوم وهم عند الله
المؤمنون الذين اشترى الله منهم أنفسهم
وأرواحهم وأموالهم بالجنة الموعودة آثاره
هذا التردد فوقف بخطب والقوم ويقول
لهم بصوت الإيمان والعقيدة : والله يا قوم
إن الذي تكرهون فذئ خرجتم تطالبون
الشهادة . وما تقاتل الناس بعد ولا قوة
ولا كثرة وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي
أكرمنا الله به فانطلقوا فإلى إلا إحدى
الحسينيين (أ) ظهور وإمّا شهادة (ب) واستجاب
له للناس وأدركوا قيمة جهادهم وبذل غايتهم
وعظمة الجبة لقي وعدهم الله بها ، فاندفعوا
بقاتلون وعلى رأسهم زيد بن حارثة الذي
اندفع إلى صفوف العدو بروح صدق
وحماس وعزم وإصرار حتى مزقته وماع
الروم وأخبر رسول الله ﷺ قومه باستشهاده
« استغفروا لزيد فقد دخل الجنة وهو يسمى »
وحمل الراية من بعده جعفر بن أبي طالب
وجاء الشيطان يمنيته بالحياة ويخيفه بالموت

وهذه خطوة جديدة في تاريخ الحرب
فلم يحدث قبلها أن رتب القيادة هذا
الترتيب الإسلامي الراجع .. فالقائد الذي
يكون في مكان الصدارة يهجم مع جنده
ويقاتل في الصفوف الأولى ، يكون معرضا
للموت ، وهنا لا يجوز أبدا أن يترك مكانه
خاليا ولا يجوز أيضا أن يترك خلفه هذا
المكان الحيوي الحساس للجند يثقل زعمونه
ويسمى كل منهم إليه طمعا فيه وأمسلا
أو رغبة فيه وممرقا . وكانت تعليمات
رسول الله ﷺ : « أمير الجيش زيد بن حارثة فإني
قتل لجعفر بن أبي طالب ، فإن قتل فمبد
الله بن رواحة ، فإن قتل فليرقى المسلمون
منهم رجلا فليجملوه عليهم » .

وكان اللقاء في مؤنة لقاء من نوع غريب .
المسلمون ثلاثة آلاف يواحبون عدوا
كثيف المدد، حيوشه جرارة لم يشهد لها
مثيل من قبل : فيل في عدده : إنه مائتا
ألف وقيل يزيد . . . ولم تكن الكثرة
المدوية هي صفة الجيش وإنما كانت هناك
رغبة جادة لدى هذه الجرح في القضاء على
الجيش الإسلامي المتقدم إلى حدود بلادهم
لأن ملكهم (هرقل) كان قد دم بالاستجابة
إلى الإسلام حين دعى إليه لولا أن قومه

وسقط كريما شريفا في حومة الوغى وبكاه
الرسول وهو يقول لقوم « لقد رأيته
في الجنة له جناحتان مفرجان بالدماء
مصبوخ القوادم » .

وتولى عبد الله بن رواحة أمر المسلمين
ولم يكن أقل من زميليه وخبه في نيل
الشهادة فقاتل غناطيا نفسه « يا خير إلى أي
فيم تتوفين .. إلى إسرائيل فيم طالق وإلى
غلمان فيم أحرار ، وإلى محن حائط فهو
له ولرسوله » وأخذ سيفه وخاض المعركة
وقيل إنه تردد بعض الفتي ، فاشتعلت هواطفه
ونار إيمانه وتفجرت في جواربه أحاسيسه
الإسلامية فغلبت نفسه :

يا نفس إلا تقتلى تموتى

هذا حمام الموت قد صليت

وما تمنيت فقد أعطيت

إن تفعل فعلمها هديت

وإن تأخرت فقد شقيت

وقاتل عبد الله ولحق بزميليه ونال شرفه
الشهادة ، وصدق فيه « نعم الرجل عبد الله
ابن رواحة » ، وهكذا يكون لقاء الثلاثة
الدين حينهم رسول الله قد استشهدوا
وأصبح المسلمون في حاجة إلى قائد يتولى
أمرهم ، وكان رسول الله قد ترك الأمر بعد

فقد « الآن حين استحكم الإيمان في قلوب
المؤمنين تمنين بالديار » وتقدم جسورا
هجاءا « اما غير هياب يطلب الآخرة
ويزهده في الدنيا ويسعى إلى لقاء ربه وظل
يقاتل القوم على فرسه فلما أحاطوا به نزل
منها وهجرها وظل على شجاعته وإقدامه
يواجه عدوه وهو يردد :

يا حيدا الجنة واقترابها
طيبة وباردا هرابها
والروم روم قد دنا عذابها
كافرة بمبيدة أنسابها
على إذا لا قيتها ضرابها

وأحسن الروم بظهورته لخدموا له
قواتهم وأحاطوا به من كل جانب فلم يضعف
أو يخبث بل ظل على عنفه في القتال وشده
في الزل حتى أصابته ضربة سيف قطعت
يمينه فأخذ اللواء بيساره فأصابتهم الأخرى
ضربة سيف فحمل اللواء بعضه به وأخذ يكبر
ويهلل ويثير في الناس روح القتال ورأى
الروم أن جمعهم هو مصدر الخطر فقرروا
أن يسكتوا هذا الصوت الذي يدوي
في أرواء المعركة تشعل الحميم ويحمس الناس
فسلطوا عليه سيوفهم فأخذته من كل
جانب وأصابته في صدره وشطرت جسده

تولى خالد القيادة، وجيحه يواجه جيها
كثيف العدد ضخم السدة يقاتل فوق
أرضه، هدته كامة موفورة وإمداده ملكه
يديه سهل ميسور . . الموقف إذن خطير
والأمر جدد غير يحتم على المسلمين أن
يلقوا سلاحهم وأن يفرّوا من الميدان
فلا سبيل إلى استمرار القتال .

ولكن المسلمين قوم يفضلون الشهادة
ويرغبون في الموت ويتمنون الجنة، وعلى
رأسهم قائد هو خالد الذي عجزت النساء أن
يذهبن منه، ولهذا لم يفكر واحد من الجيش
في أن يلقى سلاحه ويفرّ من المعركة بل
ثبتوا جميعاً وفكر خالد وهو القائد المحك
في الأمر بعق وفهم وإدراك للمسئولية
وقدر موقفه بهدوء وحلم وخبرة وانتهى
إلى خطة تتميز بالإحكام والبراعة.

واجه خالد الروم في اليوم الأول وكان لهم
بهمة وقوة حتى انعطفت في يده تسعة أسياخ
« لقد اندق في عيني يوم مؤنة تسعة أسياخ
لما ثبت في يدي إلا مصيصة يمانية فلما نحاجز
القوم ليلاً أجاد تنظيم قواته وغير مواقعهما
لجعل الميمنة ميسرة والميسرة ميمنة والساقة
مقدمة والمقدمة ساقة وراقب الروم هذه
التحركات وخيل إليهم أن عدداً جديداً

خلفهم . . رأى البعض أن يتولى الأمر
عبد الله ثابت بن أفرم وهو رجل من أهل
بصرى ومن السابقين إلا أنه رفض واقترح
اسم خالد بن الوليد، لأنه أحق به منه
« خذ أيها الرجل أنت أعلم بالقتال مني . »
وتولى خالد القيادة . وهنا تبرز صفة
هامية من صفات مؤنة ودرس رائع مع
دروسها وحدث عظيم من أحداثها إذ وضعت
(استراتيجية) خالد (وتكتيكاته) التي أكدت
أنه رجل حارب لا يزعمه القناديد
ولا يقمده البلاء ولقد قفز خالد بقيادته
الحكيمة إلى مصاف رجال الحرب العظيم
لا في العصر الإحملي وحده ولكن
في تاريخ الحرب عامة فوقه في مؤنة كان
موقف العالم يفتون الحرب، الخبير بأمرها
للمستدير على إدارتها القسام لمسئوليته
المقدر لرسالته .

تولى خالد القيادة وقد نالت الحرب
أقصى ما تناله من جيع قليل العدد يحارب
بعيداً عن مركز قيادته العليا لا يجد
سبيلاً للإمداد ولا وصية لتعويض الخسائر
تخطوط مواصلاته طويلة تعتمد من المدينة إلى
حدود الغمام ولا تسمح بده أو بأى تحرك
جديد يهدد من أزره في محنته . .

من حدة فروره وأقنمه أن المسلمين جادون في لقاء جديد يصدون به هجراته ثم يشنون عليه هجوما مضادا يكتسحون به أرضه .

ومن عجب أن للفرخين اعتبروا أصحاب المسلمين من مؤتة هزيمة وانكساروا ونسوا أرتناسوا أن مؤتة تمثل جزءا من معركة طوية مع الروم وأن انهزامهم لم يمن أنهم خسروا للمركة فقد عادوا من جديد على عهد رسول الله إلى تبوك ثم عادوا مرة أخرى على عهد أبي بكر وعمر وكان نصرهم نصرا عظيما في الهموك ودمشق وفي غيرها من المعارك التي أوهنت من هزم هرقل وأفقته الأسفل في البقاء ففر هاربا من سورية وهو يتاجبها ويودعها دوداما سورية . وداما لا لقاء بعده .

هذه هي موقعة مؤتة .

كانت بداية معركة فاصلة ضد الروم انتهت بزوال هدم وأصبح الإسلام هو دين الناس في سورية وكانت بداية لفروق نجم سيف من سيوف الله هو سيف الله المسلول خالد بن الوليد وكانت أيضا يوم الاستشهاده العظيم

مخرج

قد وصل وأن إمدادات أخرى على الطريق نجت حدة هجومهم انتظارا لما يسفر عنه الموقف .

وانتهز خالد الفرصة فكان يواجه الروم ويقوم بما يسمى في حروب اليوم بعملية تخفيف القوات أي سحب أجزاء منها إلى الخلف أثناء تغيير مواقعها وظل سبعة أيام يناوش الروم وتنسحب قواته في الخفاء حتى أتم انسحاب المسلمين جميعا .. وخطة خالد هذه هي أهل ما وصل إليه التكتيك العسكري في عصرنا الحاضر وفي الاستطاعة أن تقارن بها عملية (روميل) في الصحراء الفريسية حين راوغ بقواته جيوش (مونتجرى) ونجح في الانسحاب بها وأطلق عليه الناس وقتها اسم ثعلب الصحراء فإذا كان خالد قد وضع الأسلوب ونفذ الخطة بهذه الفعارة والكفاءة قبل روميل بأكثر من ألف عام فاهويا ترى القلب الله يستحق خالد أن يطلق عليه ؟

إن خطة خالد قد أدخلت في روح العدو أن مددا جديدا قدم على المسلمين بما أضعف بروحه الممنوية فأوهن من قوته وكسر

من غرائب المصطاحات النحوية «ذوات الثلاثة» و«ذوات الأربعة» للكونر أحمد مختار

طبعة ثابته ١٩٥٦ (ص ٢٢٢). وتورد هذا الاصطلاح بعد ذلك في كلام ابن السكيت (ت ٢٤٤هـ) ولم يتخل منه مرة واحدة في كتابه «إصلاح المنطق» (انظر ص ١٤٢، ١٤٤، ٢٢٠). وابن السكيت — كما هو معروف — من علماء النحو الكوفي ومن تلامذة الفراء. وقد مقه بابا بعنوان: «باب ما يقال بالياء والواو من ذوات الثلاثة» ذكر فيه كلمات مثل أغير وأغور، ونحور ونحيز، وتور ونيه... الخ وبابا آخر بعنوان: «بومما يقال بالياء والواو من ذوات الأربعة» ذكر فيه كلمات مثل حكوت وحكيت.

وقد أتى الخطيب التبريزي على هذا الإطلاق في كتابه «تهذيب إصلاح للذوق» فقال: «ترجم هذا الباب بأنه من بنات الأربعة ولتى قبله بأنه من ذوات الثلاثة، وكلاهما من ذوات الثلاثة لأنهما واحد، إلا أنه سلك في هذا طريقة الكوفيين، وذلك أنهم يقولون لما كان معتل العين من الأفعال هو من بنات الثلاثة

في أثناء اشتغالي بمجمع ديوان الأدب، للامرائى دراسة وتحقيقا صادفت مصطلحا غريباً يتردد في هذا الكتاب وهو إطلاق «ذوات الثلاثة» على ما يعرف بالأجوف، و«ذوات الأربعة» على ما يعرف بالناقص. وقد غفلت هذا فترة من الزمن، وبذلت المحاولات لمعرفة صاحب هذه التسمية، وسبب التزام اللغرائى لها، وسر إطلاقها، حتى اهتديت إلى ذلك.

أما صاحب هذه التسمية فهم الكوفيون الذين ابتدعوها، ثم استعمالوها وروجوا لها. وأول من رأيت يستعملها منهم الفراء (١٤٤-٢٠٧هـ) فقد نقل ابن السكيت عنه في «إصلاح للنطق» أنه قال: «... وليس في ذوات الأربعة مفعول — بكسر العين — إلا حرفان: ماقي العين وماوى الإبل، قال الفراء: سميتها بالكسر، والكلام كله مفعول... قال: وليس يأتي مفعول من ذوات الثلاثة من ذوات الواو بالهم إلا حرفان: «مسك معروف وثوب مصروق» (ط المعارف

وذوات الثلاثة، ولما كان معتل اللام هو بنات الأربعة ..» (خطوطة دار الكتب رقم ٥١٢ لغة من ٢٤٢).

ونحن نوافق في أن هذا الاصطلاح من وضع الكوفيين ولكن نخالفه في هيئته:

١ - «مواه أن الكوفيين يطلقون على معتل المعى اسم «بنات الثلاثة» وعلى معتل اللام «بنات الأربعة» كما يطلقون عليهما ذوات الثلاثة وذوات الأربعة، فلم أجد أحدا منهم قد استعمل اسم «بنات الثلاثة» أو بنات الأربعة» وإنما يستعملون ذوات الثلاثة (فقط)، وذوات الأربعة (فقط) وابن السكيت نفسه القى ادمى عليه أنه ترجم الباب بأنه من «بنات الأربعة» لم يقل ذلك، وإنما قال «ذوات الأربعة» كما جاء في نسخة إصلاح النطق بتحقيق الأستاذين الكبيرين أحمد محمد شاكر ومحمد السلام هارون.

والكوفيون كانوا على وعى وإدراك حتى اختاروا ذوات الثلاثة وذوات الأربعة دون بنات الثلاثة وبنات الأربعة، لأن التعبير الثاني كثير القرد على ألسنة البصريين ويريدون بالأول الثلاثي، وبالثاني الرباعي، وهم يستعملون كذلك بنات الخمسة ويريدون به الخماسي.

وقد تكرر هذا الاصطلاح في كلام سيويه عن الأبنية عشرات المرات، كما تكرر في «النصف» (شرح تصريف المازني ت ٢٣٦) وللقنطرب للمبرد (ت ٢٨٦) عدة مرات^(١)، ولذلك ترك الكوفيون ط البصريين البصريين، واختاروا ذوات الثلاثة وذوات الأربعة متما للبس وتجنباً للاعتباه. اسكن جاء في «أدب الكاتب» لابن قتيبة مائمه «وقال سيويه وغيره ليس في الكلام من ذوات الأربعة مفعل بكسر الميم» وإنما جاء بالفتح نحو مرمى ومدعى ومغزى، وقال القراء: «قد جاء على ذلك حرفان نادران سمعتهما بالكسر وهما مألئ الميم، ومألئ الإبل» فهذا يؤهم أن البصريين أيضا كانوا يسمون للتأنيص «ذا الأربعة» وقد رجعت إلى كتاب سيويه، فوجدت نص عبارته «هذا باب ما كان من هذا النحو من بنات الياء والواو التي الياء فيها لام فالموضع والمصدر فيه سواء، وذلك لأنه معتل، وكان الألف والفتح أخف عليهم من الكسرة مع الياء ففعلوا إلى مفعل

١ - لم يذكر المبرد هذه العنفة الاصطلاحية، ولكنه نراه في المقضب بمفعل بنات الثلاثة وذوات الثلاثة وبنات الأربعة وذوات الأربعة مريما الثلاثي والرباعي، وكذلك قبل الزجاج في كتابه «سر النحوي» خطوطة دار الكتب رقم ١٤٩ نحو، ووقفة ٨١٤٧

التسمية ، كما لم يصرح به الفارابي ، وذلك
أجهد المتأخرون أنفسهم في محاولة تلميح
ذلك والتوقف على سره . وأول من رأته
بمحاول ذلك الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢)
في تهذيب إصلاح النطق إذ قال : « وذلك
لأن (غار) إذا رددت القمل إلى نفسك
قلت (غرت) فيكون على ثلاثة أحرف ،
و (حكى) إذا رددته إلى نفسك قلت
(حكيت) فيكون على أربعة أحرف »
(ص ٢٤٢ ، ٢٤٣) ، ووافق على ذلك
الرضي (ت ٦٨٨) في شرحه لشفية ابن
الحاج فقال : « معنى (الأجوف) ذا الثلاثة
اعتباراً بأول ألفاظها ، لأن الغالب
هند الصرفيين إذا صرفوا لافض أول الضارع
أن يبتدئوا بحكاية النفس فهو ضربت
وبعث لأن نفس المتكلم الحرب الأهلية إليه
والحكاية من النفس من الأجوف على ثلاثة
أحرف نحو قلت وبعث » .

وقال في موضع آخر : « ومعنى المحتل
باللام . ذا الأربعة لأنه - وإن كان فيه حرف
ح - لا يصير في أول ألفاظها معنى على ثلاثة
كما صار في الأجوف عليها فتسميتها ذا الثلاثة
وذا الأربعة باعتبار الفعل لا باعتبار الاسم » .
ونحن نرى أن الكوفيين ومن لف
لفهم لم يعنوا ذلك ، ولم يلحوا هذه الصفة
حين التسمية ، وإنما كانوا أبعد نظراً

إذ كان مما بينى عليه المكان والمصدر ، وأما
بنات الواو فيلزمها التفتح ، لأنها يفعل ولأن
فيها ما في بنات الياء من التفتح ، ولهذا
فأنا أرجح أن العبارة التي نقلها ابن قتيبة
ليحت عبارة سيويه ، وإنما هي عبارة للفراء
الرجوة في إصلاح النطق ، ولما كان هو
وسيويه يفتركان في مدلولها فقد اكتفى
ابن قتيبة بإيراد لفظ الفراء مراعاة للاختصار
٢ - تقييده معتل العين بقوله : « من
الأعمال » فهو يوم أن هذا الإطلاق مقصور
على الأفعال فقط ، وليس ذلك بمصحح ،
فهو إطلاق عام في الأسماء والأعمال .

أما لماذا اختار الفارابي هذه التسمية
فلأنه كان ذاتة كوفية ، ولذلك أكثر
في مصحبه « ديوان الأديب » من استخدام
مصطلحات أخرى للكوفيين ، انفردوا بها
واشتهرت عندهم ، ويعد إصلاح النطق لابن
السكيت وأدب الكاتب لابن قتيبة والغريب
للصنف لأبي عبيد أهم للمصادر التي استقى
منها الفارابي مادته الكوفية ، وكلها ينتمى
أصحابها إلى المدرسة الكوفية .

ولكن ، ما سر هذه التسمية ؟ ولماذا
اصطلح عليها الكوفيون ؟ أهو مجرد
الرغبة في مخالفة البصريين وحجب الاستقلال
عنهم ؟ أم وراء ذلك حكمة وسبب ؟
لم يصرح أحد من المتقدمين بسر هذه

وأعني غورا من ذلك ، فقد اهتموا في مجتهدهم عن الأبنية إلى حقيقة عامة ، هي أن منتهى أبنية الأجوف هو الثلاثي لا يتجاوز ، ومنتهى أبنية الناقص هو الرباعي لا يتجاوز ، فاستدوا من هذه الحقيقة في وضع هذا الاصطلاح .

ونستطيع أن نستخلص هذه الحقيقة إذا تتبعنا الأبنية للوجود في (ديوان الأدهب) وهو أول معجم عربي جامع يخصص أبنية اللغة العربية ويضع الألفاظ تحت كل بناء غنى أبنية الأفعال ، لا يوجد مكان للأحرف بين الرباعي منها ، فتنهى بناء الأجوف هو الثلاثي ومزیده ، ولا يوجد فعل أجوف رباعي الأصول ، في حين أن باقي الأقسام جاء منها أفعال رامية الأصول ، فبناء (فعل) جاء منه السالم وللضائف والمثال والهموز ، وبناء (افعل) - وهو عند الفارسي من أبنية الرباعي - جاء منه السالم وذو الأربعة وبناء (المعل) جاء منه السالم والهموز . وهكذا لا نجد للأجوف وحده بين الأفعال الرامية ، ولذا كان جديراً أن يسمى (ذا الثلاثة) . وكذلك إذا تتبعنا أبنية الأسماء نجد أن منتهى بناء الأجوف منها هو الثلاثي ومزیده ، ولم يأت منه بناء رباعي الأصول ، وإنما جاء منه بناءان ملحقاتان بالرباعي هما « فيسمال » و « فيسمول »

نحو ديوار وضياح وهيق ومضى إلخاتها بالرباعي أنهما يشتملان على ثلاثة أصول ، ثم زيد عليهما حرف لتبلغ حد الرباعي ، فهما في الحقيقة من أبنية الثلاثة ، ولم يزد أصولها عن ثلاثة أحرف ، أما الناقص فاستحق اسم في الأربعة ، لأن منتهى بناءه وصل إلى أربعة أحرف أصول سواء في الأفعال أو الأسماء ، فهناك أفعال رباعية الأصول ممثلة لللام جاءت على مثال (افمعل) مثل (المروري) أي آتم ، و (امروريت) القرس أي ركبته هرياء ، و (املول) القى أي حلاه ، و (اذلول) أي انطلق في استخفاء ، و (اقلول) أي أحرف ، و (احموي) أي أسود ، و (اثنوي) أي اثني .

وكذلك في الأسماء لم يزد بناء الناقص عن أربعة أحرف أصول ، ولم يأت منه إلا بناء واحد من الرباعي الملحق بالخامس وهو (فمعل) مثل (خجوجي) الطويل الرحلين ، و (هجوجي) القطويل ، و (مروري) اسم جبل ، و (قطولي) للذي يقارب المشي ، و (قلوي) قطار الذي يرتفع في طيرانه .

وعدم تجاوز الناقص أربعة أحرف أصول هو - في الحقيقة - وصف لا يختص به وحده ، فإنه يشاركه فيه أقسام أخرى (في الحقيقة لم يأت مما زاد على أربعة

(الثلاثي) بذله ذى الثلاثة (الأجوف) ،
(الرابعي) بذله ذى الأربعة (الناقص) يقال:
(ويقال أيضا جرف هاء خفض في موضع
الرفع ، أرادوا (هائر) وهو مقلوب من
الثلاثي إلى الرابعي ، كما قدروا هاءك الملاح
إلى هاكي الملاح) (المصاح - هور)
أراد أن يقول إن فعله مقلوب من (هائر)
الأجوف إلى (هرى) الناقص ، وذلك
جاء على هاء دون هائر .

ولغاية هذا المصطلح لم يفطن ابن برى
إلى مدلوله ، وظن أن الجوهري أراد بالثلاثي
ما كان على ثلاثة أحرف ، وبالرابعي ما كان
على أربعة أحرف ، ولذلك عقب بقوله: (هذه
المسألة ليست بصحيحة ، لأن المقلوب من
هائر وغير المقلوب من الثلاثي . ألا ترى أن
هائرا وهائرا على وزن فاعل ؟ وإنما أراد
الجوهري أن قولهم هاء على ثلاثة أحرف
وهائر على أربعة أحرف) . (التلبيح
والإفصاح - مخطوطة دار الكتب رقم ٨
لغة تيمور) .

ولو كان هذا هو مراد الجوهري لعكس
المسألة وقال: (وهو مقلوب من الرابعي
إلى الثلاثي) لأن المقلوب على أربعة أحرف
والمقلوب إليه على ثلاثة ؟

و . احمر فحار حمر

إلا السالم فقط ، فكأن سائر الأقسام
تشارك الناقص في وصف ذوات الأربعة) ،
ومع ذلك لم يطلق (ذى الأربعة) على الناقص
هو مقابل إطلاق (ذى الثلاثة) على الأجوف
ليبان الاختلاف بين القسمين مع احتواء
أصول كل منهما على حرف من حروف الهمزة
وهذا وحده مبرر لإطلاق هذا الوصف
عليه مع عدم اختصاصه به .

ولا شك أن هذا أول من تعليل للجوهري
والرضي ؛ فإن نقص أحرف الأجوف عن
الناقص إنما يتحقق في الفعل دون الاسم ؛
فكلاما في حالة الاسم على ثلاثة أحرف
نحو القول والرى وهو لا يتحقق في الفعل
إلا إذا اتصل به ضمير المتكلم أو المخاطب فقط ،
فإذا أشتد إلى ضمير الغائب بطل التفاوت
نحو قال ورى . بل إن الأمر ينعكس إذا
انفصلت بهما تاء التأنيث نحو باهت ورس
أو أخذ منهما اسم الفاعل نحو فائل ورام
فيصير الأجوف جذيرا باسم (ذى الأربعة)
والناقص جذيرا باسم (ذى الثلاثة) . ثم
أين هي الأحرف الثلاثة في الفعل (قت)
والأحرف الأربعة في الفعل (رميت) ؟
ومتى لانت تاء الفاعل داخلة في بناء الكلمة
معددة بين أحرفها ؟

ومما هو جدير بالذكر أن الجوهري
قد تصرف في هذا الاصطلاح فاستعمل

ترجمة القرآن "لإدوار مونتيه"

للكمبيوتر غلابت

لهذه الترجمة وآراء للترجم في القرآن —
أن نقف دقيقة سريعة عند ديانة الأستاذ
ريسلير التي يبدو أنها يضع عبارات مصورة
براقة من أهمية القرآن والإسلام التي أضافت
للنهضة العربية قيمتها. ثم لا يلبث أن يحقن
تلك الفطائر الذبذبة الطعم بحقن من السم
الزخاف الذي لا يمل الحياة إلا قليلا، فيملن
أن القاري لا يكاد يطالع القرآن حتى يتبين
فيه «التأثير القسوي» لتوراة العبرية
والروايات اليهودية، ولإنجيل والمأثورات
للصهيونية».

وكذلك يمتد القاري «في كل لحظة»
على آثار العقائد القديمة التي سبقت الأدب
الموحاة، وشرح هذه الأحداث في رأي
الأستاذ ريسلير بسيط ميسور وهو:
«أن الرياح قد حملت مظاهر الأمكنة
الدينية وألقت بها على شعوب العالم العرق
النافع. وهذه الأساطير وتلك للمأثورات
الغفوية وهاتيك الكرات هي التي فهم

هذا الكتاب هو الطبعة الجديدة من
ترجمة القرآن لإدوار مونتيه أستاذ اللغات
الشرقية بجامعة جنيف، إذ نشرت الطبعة
الأولى في سنة ١٩٢٩ وقد سبقت هذه
الترجمة بدباجة قصيرة بقلم ج. ريسلير
الأستاذ بالمعهد الإسلامي بباريس، ومقدمة
للتعرج يستعرض فيها ما يسميه «أصول
القرآن وتكوينه» ثم يتحدثنا عن مجلد
والقرآن، وعن الصحف القديمة أو المجموعات
القرآنية الأولى وعن مصحف عثمان، وتأريخ
السور للكية والمدنية، وإلى جاب هذا
الاستعراض للوجود وللقدمة، هو يذمر
القاري في هوامش يزعم أنه يوضح فيها
النصوص الغامضة أو المحتملة لعدة معان،
أو توجيهات لا تقوى الترجمة العادية
على توضيحها.

وأول ما يلفت النظر إلى هذا للترجم
هو أنه يعتمد في معلوماته على المختصر
الألماني فولدريك وينبغي — قبل أن نعرض

الذي محمد أنه ينبغي أن يجمعها وأن يصورها في صيغة قوانين أخلاقية صادرة عن صوت السماء .

حقا نحن نجعل المادة التي يدرسها الأستاذ ويسلم في المعهد الإسلامي بباريس، ولكن الذي لا شك فيه هو أننا موقنون بأنه لم يفهم شيئا من روح الإسلام، بل بأن هذه العقيدة لم تدرك أي معنى من معاني القرآن ونحن - اعتمادا على هذا - نملأ فيه باغين ولا مادين، أن ديباجته هي تقديم خاطئ لهذه الترجمة .

وإذا غادرنا هذه الدباجة وأنجبنا إلى المترجم الأستاذ مونتايه ألفينا أن فكرته الرئيسية هي حينها فكرة صاحبه ريسلم وهي أن القرآن من عمل محمد الذي لا يزيد في رأيه عن كونه « مصلح العرب ومنظمهم الأكبر » .

وقبل أن نذكر آراءه في هذا ينبغي أن نقف عنيفة حشد المستشرقين حامة وسين أنواع آرائهم بإزاء القرآن فنقرر أن فريقا منهم يؤمن بأن الرسول صلوات الله عليه صادق قولاً ومعلماً وأنه أوحى إليه حقاً فيقول : « وهتان بين وحي الإله وإلهام الشياطين » ، وأن فريقاً

آخر يعتقد أن النبي مخلص قولاً ومعلماً ولكن كان يخبر بما خيل إليه أنه رأى أو سمعه وهو في حالة غيبوبة، وأن فريقاً ثالثاً يعتقد أنه جمع مآثورات يهودية ومسيحية وأساطير دينية قديمة وروايات شعبية شفوية ثم نشرها في قومه على أنها وحي من عند الله، وعذره أمام ضميره أن هذا اللبس يرشد أولئك القوم القوضيين ويهديهم إلى الصراط المستقيم ويجمع متفرقهم ويخلق فيهم الوحدة والتماسك أي أنه مؤمن بفكرة « أن الغاية تبرر الوسيلة » . وأن فريقاً رابعاً لا يتمنى في شيء من هذا كله وإنما هو يقف منه موقف الرتاب أو الجاحد للنكرو في جزم منسكهم . ومترجنا الأستاذ مونتايه هو من هذا الطراز الأخير وآية ذلك أن عباراته على طول الخط، وفي كل نقطة مقدمته ، وفي الهوامش التي يضيفها ليوضح بها بعض معاني الآيات في رأيه تعهد بما نقول وإليك بعض أمثلة ذلك : حين يعرض لما يسميه بالإنبايع الثلاثة للمعرفة الدينية في القرآن وهي الإنبوع اليهودي والمسيحي والنبوع العربي السابق على الإسلام ، وعنصر الإسلام الجديد

مصدق لما بين يديه وأُزل التوراة والإنجيل من قبل حدى للناس وأُزل القرآن « (سورة آل عمران آيتا ٤٣ ، ٤) ولكن ما يعقلها إلا المالمون الجردون من التمسب والأغراض والأهواء .

وبالنسبة إلى الينبوع الثالث قد أدخل محمد المنصر الجديد الذى هو الإسلام ، وهو فكرة مستحدثة ابتدعتها «عقيرة» محمد الدينية .

وهذه «العقيرة» هى فى رأيه «قافية» أو «عقيرة» فقط ، وليست إلهية ولا تنمكية وهو فى هذا يقول : « بنقرب الله فى القرآن هبثا من معتقد تنسكى إسلامى » أى أنه لا يجد شيئا من ذلك أو يقول : « إن هذا الكتاب لغير تنقصه التنسكية » .

ولسنا ندري كيف انفلتت الأبواب أمام عقلية هذا الكاتب فلم يقنعه إلى الحقيقة البدئية هنا بل لم نصفه طبيعته بأية كيفية من كيفية الإدراك لهذه الإلهيات التى يفيض بها القرآن فى جميع مواقفه والتى تنسكى هنا بأن نجعل فيها إلى ما كتبه أحد علماء الاستشرقين الفرنسيين «دافيد» للحنازين وهو «البارون كارادى» فوالذى سجل أن أمهات للفكرات الأساسية التى

الذى لم يعرف إلا على لسان محمد . ويقول عن الأول ما نصه :

إن محمد قد استطاع أن ينتهل ما انتله بواسطة الروايات الشفوية فحسب ، لأن من للوقت به أنه لم يقع بين يديه الكتابان المقدسان : اليهودى والمسيحى . وبالنسبة للينبوع الثانى ، قد احتفظ النبى بضع حادات عربية قديمة أضاعها إلى ما استفاده من منقولات ذبلك الكتابين للتداوله حوله .

والهدف الوحيد الذى يرى إليه هذا المنصرف هو أن القرآن من وضع محمد وأنه جمع من اللأثورات الشفوية للثنافة هنا وهناك من التوراة والإنجيل ومن روايات أخرى ما سماه قرآنا واستند المؤلف فى ذلك إلى ما ألفاه فى الكتاب الكريم من اتفاقات فى كثير من اللواقف بين الكتب الثلاثة ، وغفل أو تغافل عن أن مصدرها كلها واحد وهو السماء ، وأن القرآن جاء مصدقا للتوراة والإنجيل الحقيقين ، ومكلا لما ضمن فيهما لافسورا من منزلها تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . بل لأنهما محبان مؤقتان بزمان ومكان معينين وظروف محددة ، بينما أن القرآن كونه أبدي « نزل عليك الكتاب بالحق

من القرآن عند أبي بن سعد ، وعبد الله
ابن مسعود ، وأبي موسى الأشعري ،
والقناد بن الأسود وغيرهم ، وأن هذه
النسخ للتمايزة - بسبب عدم تماثلها - قد
انقضت ارتيابا في عقول المؤمنين ، وكانت
جديرة بأن تزول مقادهم ، وأن للمصحف
الحقيقي قد جمع بطريقة خالية من معنى
النقد والتحجيص وأن السور والآيات قد
حدثت فيه حدثا بغير انتقاء .

ولأريب أن هذا لم يحدث أو أن مترجما
قد أخذ ذلك الحوادث العادية وألبسها صورة
زائفة ضالة ، مائلة ، وأن الحقيقة لم تعد أن
للمؤمنين قد رأوا أن هذا من حفاظ الوحي
وكتابه قد استشهدوا في القتال من جهة ،
وعاموا مع محاولة دس بعض المنافقين بين
المصحف أو المصاحف المتفق هاها ههنا
من الريف ، فغضب ههنا بن ههنا على
الفتنة قبل وقوعها بيد من حديد ، وأمر
باعتناء النسخة للراجعة في دقة كل نسخ
أعلام المؤمنين التي لم يقع في مصنفها أدنى
اختلاف ، ثم أمر بإحراق ما عدا هذه
النسخة الرسمية المتفق عليها ، ولم يكن ذلك
لوجود اختلافات في النسخ كما يزعم مترجما
بل سحفا لفتنة قبل وقوعها : « إنا نحن
نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

اختلف فيها الفلاسفة منذ أن عرف العقل
نفسه وكهف طبيعته قد مرض لها القرآن
وقال فيها كلمته الخاسمة .

أما زعمه أن القرآن تنقصه التنسكية ،
فإنه زعم غفيل يستوجب العار على منخص
بدهي أنه مستغرق ويتصدى لترجمة القرآن
وهو يجهل المدييات البارزة في القرآن بروز
القسم الساطعة في رائسة النهار ، وهنا
أيضا لا يسعى إلا أن أحبه على ما كتبه
الامناذ (لويس ماسينيون) الذي ألف كتابا
ضخما خاصا سجل فيه التبعيرات التنسكية
الفنية التي وردت في القرآن ، ثم أسأله
كيف يبلغ به الجهل الهائن إلى هذا الحد
بهذه للمومات التي توهمه أن تكون مديية
والتي ممها الأستاذ ماسينيون وجعلها في
متناوله حتى أنصاف للتعليم فضلا عن
متتبعي للشرقين الذين لا يخلعهم أن
يحكموا قبل أن يعلموا .

وبعد أن ينتهي من زعمه أن القرآن
لميم من لأتورات الفقوية من التوراة
والإنجيل ، والروايات العربية القديمة ،
والخرجات الحمديّة الإصلاحية ينتقل إلى
نمرة أخرى يزعم فيها أنه أثناء المقربين ماما
التي تلت وفاة النبي ، وجدت نسخ متباينة

الآخيرة بسبب أنه متضمن في «الاستهواء»
 وأنه ألف عدة كتب من التوراة والتلمود
 وتاريخ الإسرائيليين وما إلى ذلك وسندير
 إلى هذا بأمثلة مقتضبة في الرقعة التالية :
 (١) سورة ٢ - آية ٢٨٥ - ص ٨١ - مجلد (١)
 يقول هذا المستترجم الغريب العقلي
 والنفسكبر حيث يعرض للآية الكريمة ٢٨٥
 من سورة البقرة عند كلمة « لا تفرق بين
 أحد من رسله » إلى هذه العبارة تقطع
 نتائج الخطبة . ولهذا من المرجح أن تكون
 غير صحيحة بل إنها بلا ريب جاءت بعد النص
 الأصلي للإصحاح ثم ألحقت في وقت متأخر
 بالنص لاحقاً لها لتمثل على تناقض مطلق
 مع آية ٢٥١ من نفس السورة التي تقول :
 « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض » .
 ولما ندرى كيف جاءت لهذا المترجم
 عقليته ألا يدرك الفرق بين قول الله على
 لسان المؤمنين « لا فرق بين أحد من
 رسله » أي في الإيمان فتؤمن ببعضهم
 وتكفر بالآخر كما فعل اليهود والنصارى
 وقول الله معبراً عن ذاته : « تلك الرسل
 فضلنا بعضهم على بعض » :
 الحق أن من الكوارث العظمى أن
 تنصدي أحط العقليات البشرية لترجمة
 أمي الكتب المأبوية التي رآها البشر .

فأما هوامش هذا المترجم فتتقسم إلى
 ثلاثة أقسام :

أولها : الهوامش التي يشرح فيها المعاني
 التي اعتمد في ترجمتها على بعض المفسرين
 وهي قد تكون أقرب إلى الحقيقة ما لم
 يكن هؤلاء المفسرون قد استندوا فيها
 بهورم على الحرفات الإسرائيلية التي تكتظ
 بها - مع الأسف الشديد - كتب عدد
 من المفسرين عندنا وهذه الخطبة هي
 التي تنقذه من نقدا في تلك الجزئيات .
 وثاني هذه الأقسام : هي التي يقدم
 فيها الترجمة الحرفية لبعض آيات القرآن
 التي ذكرها في النص بمبارات من إنعائه
 تتفق مع الأسلوب القرآني .

وثالثها : الهوامش الشخصية التي يعبّر
 فيها عن رأيه الخاص والتي يقرر فيها غالباً
 أن محمداً هو مؤلف القرآن ، ويعلن فيها
 ما يسميه بالتناقض ، ويضم أنه هو الذي
 استكتمه ويغير فيها إلى النصوص الزائدة
 التي أضافها النساخ إلى القرآن في زعمه .
 ويسجل فيها عيوب الأسلوب ، وينوه
 عن الجمل التي لم تتم فبقيت نافذة المعاني ،
 ويطلع في هذه الهوامش على التأثيرات
 المسيحية واليهودية ، وعلى الأخص هذه

في ترجمته من أساس ، سداه الجبل ، ولحمته الأوهام ، فذكر أن معناها « أم تسألهم مساهمة مالية ولكمهم مثقلون بالديون » وفي الهامش يشرح الآية فيقول : « لو فرض أن خصوم محمد هؤلاء سيعتقون الإسلام ، فإنهم سيكونون غير قادرين على الإسهام في الميزانية الضرورية لإنجاز عمل النبي لأنهم مرهقون بالدين » .

ونحن نعلم أن هذه استفهامات إنكارية فتمهم والسخرية كقول القرآن مثلاً : « أله البنات ولكم البنون » ولكن هذا الكائن الغريب للدهش حول الآية إلى الإسهام المالي في إنجاز أعمال النبي كما يقول ، وفصل صدر الآية من عجزها ، وجعل الثاني إجابة عن الاستفهام الموجود في الأول ولم يلتفت لحرف القاء في « لهم من مكرم مثقلون » التي تجعل كون هذا الجزء إجابة لما قبله بعيداً . ولكن لعل عذره في هذا الغلط هو إسهام المسيحية بالمال في معرومات الكنيسة ففاس عليه الآية الكريمة . وهي في أحد البعد من هذا المعنى الذي لا يرمي إلى تسجيل أن النبي لا يريد من وراء القرآن المرشد جزؤه ولا شكوراً .

(٢) سورة ٩ - آية ٢٦ من ٢٤٥ مجلد (١) ومن هذه المضحكات المستوجبة للسخرية ترجمته لكلمة « ثم أنزل الله حكيمته على رسوله وعلى المؤمنين » بقوله « إن الله أنزل وجوده الإلهي على رسوله والمؤمنين » ثم يشرح هذا بقوله « وإذا فهمت هذه الكلمة على أصلها المرئي كان معناها الهدوء أو السكون النفساني وفي هذه الحالة تكون الآية لا معنى لها . والمفسرون في مجموعهم لم يفهموا هذه الكلمة التي ترجع إلى أصل عبراني فالمكيمة أصلها شكينة ومعناها في النلمود المسكن والاستراحة والألوهية وبذلك فالمكيمة هنا هي الألوهية الحاضرة » ونحن لا نسعنا إلا أن نعلن بأنهم أن اللفظ قد هجرت عن الرد على هذا للتفهم ولا يبيى أمامنا إلا أن نلجأ إلى القرآن فنقول : « إنا لله وإنا إليه راجعون » .

(٣) سورة ٥٢ آية ٤٠ من ٢٥٥ مجلد (٢)

ومن هذه الأخطاء التي تدل على أنه لا يفهم ما يترجم ألبنة أنه عندما أراد ترجمة آية ٤٠ من سورة الطور : « أم تسألهم أجراً فهم من مكرم مثقلون » أطلق النفاق على العالم جبهة جملته يصدر

اجعل أمثال هؤلاء للتطاولين المتعالمين
حرضا أو اجعلهم من الهالكين .

بأن من كل ما تقدم أن هذا المترجم ينكر
الوحي إنكارا صريحا ويجحد إخلاص النبي
الجليل وصدقه ولا يرى فيه إلا مصلحا
ومنظرا وهبقريا ممتازا من هباقرة العرب .
ولا ريب أن هذا يستتبع بالضرورة وجود
الضبط في القرآن كما يستتبع وجود آيات
أجنبية ليست من تأليف محمد الحق المعترضون
بهذا الكتاب وقد سمحت له هذه التزام
الاستبدادية العريضة بأن يفتح أبواب
الطمون في القرآن على مصاريحها فيدعي أنه
ضعيف الأسلوب وأن بعض آياته ناقص ،
وبعضها مشتمل على تكرارات مميتة وأن
بعض السور مضجر في معانيه وهذا كله إلى
جانب جهله بمبادئ الإسلام الأساسية وإدخال
هذا الجهل في الترجمة ، الأمر الذي يبدو
في وضوح لا لبس معه أن هذا المترجم
يقدم لقارئه قضية تفيض بالحق على الإسلام
والتمصب بالخيض مما يجعل كتابته بعينه
كل البعد عن نطاق النظر العلمي الجاد الذي
تتطلب مقاييسه الحيدة والراحة والإنصاف .

(٤) سورة ٥ آية ٩٨ ص ١٦٣
مجلد (١)

ومما هو غريب أن هذا المترجم قد
وصل به الغرور إلى درجة أنه فهم في نفسه
أنه عرف أمرار اللغة العربية وأدرك
روحها ، وتعمق في خباياها إلى حد يمكنه
من الحكم على أسلوب القرآن ونقده ،
فيزم أن آية ٩٨ من سورة المائدة ضعيفة
الأسلوب ، أو على حد تعبيره أن أسلوبها
مهمل إذ ذكرت فيها مادة علم أربع مرات
وهو تكرار مميت :

« ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات
وما في الأرض ، وأن الله بكل شيء عليم
اعلموا أن الله شديد العقاب ... »

ولا يخفى أن هذه المرة الرابعة في آية
أخرى .

ونحن نسائل هذا المترجم هل عرف علوم
البلاغة وهوس فروعها من بيان ومعان
وبديع واطلع على القواعد التي توجب شرط
التكرار في الأسلوب الرفيع في بعض
المواقف ولا تبيحه غصب بل هل سمع من
هذه العلوم في حياته ؟ اللهم لا ، اللهم

باب الفتوى

تقديم : الأستاذ محمد أبو هادي

حكم تحميل شخصيات الصحابة وبنات النبي والتابعين

[الإجابة للجنة الفتوى]

ما حكم الجريمة الإسلامية فيمن يمثل الأبطال في ساحات الجهاد والدفاع عن الأوطان
الشخصيات الآتية هل شاعة التليفزيون أو السينما :
فيها القفوة الحسنة للأجيال الحديثة .

١ - الصحابة رضي الله عنهم ، وهل
منهم من يجوز ظهور من يمثله علماً بأن بلالا
قد ظهر من يمثله في فيلم (ظهور الإسلام)
وعلاء بن الوليد في فيلم (خالد بن الوليد) .
٢ - بنات النبي صلى الله عليه وسلم .
٣ - أيا طالب ممن لم يثبت إسلامهم
وكان لهم هون أو كيد للنبي ﷺ في دعوته
وكذلك للتابعين وتابع التابعين .

٤ - ملحون ومسلات لم يثبت محبتهم
لرسول وعلى الأخص طالب بن أبي طالب .
الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام
على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين ، أما إمدد فنفيد بأن التمثيل في ذاته
وصية ثقافية سواء كان على السراح
أو شاعة السينما أو التليفزيون ، فإن كثيراً
من ورائع التاريخ وأحداث السياسة ومواقف

الأبطال في ساحات الجهاد والدفاع عن الأوطان
ينبغي أن يتجدد ذكرها وينادي بها لتكون
فيها القفوة الحسنة للأجيال الحديثة .
وغير وسيلة لإحياء تلك الذكريات أن
يكون القصص عنها بتمثيلها تمثيلاً واقعياً ،
غير أن التمثيل قد يتجاوز الأهداف
الجيدة ويتخذ وسيلة للقذية للمنوع
وبث الهداية نحو أغراض غير كريمة ،
ولخاصة فيما يتعلق بالتاريخ حول شخصيات
من السابقين ، والتاريخ يسكون مهروباً
بما يحتاج إليه تمحيص من المصنوعات .

وبما أن السابقين من الصحابة - رضي الله
عنهم - لهم مقام كريم ، وشأن خاص بين جماعة -
لللهين وبما أن التمثيل على السراح
أو الشاشة قد ينحرف إلى ما يمس شخصياتهم
أو من تاريخهم الحق - لما يمرضون له
أحياناً من أكاذيب القصصيين أو أهواء
للمصنئين لبعض ضد البعض الآخر من جراء
الفتن والحلقات التي قامت حولهم في أزمانهم
واقسام الناس في تبعيتهم إلى طوائف

وأما الذماء المسلمات فيجب الاحتياط في تمثيلهن أكثر مما يحتمل في تمثيل الرجال للمسلمين الذين لم تثبت محصنهم ، وعلى المرأة التي تقوم بالتمثيل ألا يوجد مع تمثيلها اختلاط بأجنبي عنها من الرجال ، ولا يصعب كدفع ما يحرم كدفعه من جسمها ، ولا يكون معه تكسر في صوتها ولا حركات مثيرة لغرائز ولو مع ستر الجسم ، إذا كان الأمر كذلك فلا حرية في التمثيل خصوصاً إذا كان التمثيل لغرض علمي يعود على الأفراد والأمة بالفائدة .

وأما أن صحة الاختلاط بالرجال الأجانب أو كدفع ما لا يحل كدفعه من جسمها أو وجود معه تكسر في صوتها أو حركات مثيرة لغرائز بجسمها ولو مع ستره أو كان لباسها يحده مفاتيح جسمها فإن التمثيل حينئذ يكون محرماً على من تقوم به من الممثلات وكذلك يحرم على النظارة معاينة هذا التمثيل المحظور .

رابعاً : من لم يثبت إسلامه كأبي طالب وغيره ممن له حق أكيد في دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام ونصرته لا مانع من ظهور من يمثله إذا روعيت صحة مودته قلبي - صلى الله عليه وسلم - من مناصرة وموون أكيد والله تعالى أعلم ؟

وأجمع بسبب الدلائل بينهم - فإن اللجنة إزاء هذه الاعتبارات تفتي بما يأتي :
أولاً : عدم جواز ظهور من يمثل كبار الصحابة كأبي بكر و عمر وعثمان وعلي والحسن والحسين ومعاوية وأبنائهم - رضي الله عنهم جميعاً - لقناعتهم ولما لهم من المواقف التي نفأت حولها الخلافات ، والاهتمام الناس إلى طوائف مؤيديهم ومعارضين .

أما من لم ينقسم الناس في شأنهم كبلال وأنس وأمثالهما فيجوز ظهور من يمثل شخصياتهم بشرط أن يكون الممثل غير متلبس بما يعرض شخصية من يمثله .

ثانياً : عدم جواز ظهور من يمثل زوجات النبي - صلى الله عليه وسلم - وبناته لأن حرمتهم من حرمة عليه الصلاة والسلام ، وقد قال الله في شأن نساءه « يا نساء النبي لستن كأحد من النساء » وبناته أولى بذلك ، كما أنه لا يجوز ظهور من يمثل أبوي النبي - صلى الله عليه وسلم - أو أحد من أجداده لذلك .

ثالثاً : من لم يثبت صحبته من الرجال المسلمين وكذلك التابعون وأتباعهم لا مانع من ظهور من يمثل شخصياتهم من رومي في التمثيل ما من شأنه ألا يعرض بكرامة المسلم .

انبثاء في الآراء

اليونانكيون اسرائيل وميتاوي
هيئة الامم المتحدة

منذ أقر مؤتمر سان فرانسيسكو عام ١٩٤٥ م قيام للنظام الدولية : هيئة الأمم المتحدة بكافة فروعها تحق العالم ألا يصيبها ما أصاب عصبة الأمم من قبل ، وأن نجد العيوب فيها آمالها محققة ومساعيها السلام واقفا يبعد الإنمائية ، فقد نص ميثاقها على ذلك كاحد هذا الاثنان لميثاق اليونانكيون - للنبذة منها - أن تتولى الشؤون العلمية التي تهدف إلى تحقيق للثقاق ، فلا يجب أن تكون اليونانكيون من أم واجاباتها على الإطلاق مقاومة النظريات العنصرية وإبطالها بالوسائل العلمية غير القابلة للنقض فيتم إنشاء الإنمائية هيمما أنه لا أحد خير من أحد والكل حواسية .

ويبدو أن هيئة اليونانكيون كانت على إيمان بمخاطها ، يوم قدمت دراستها الحرة من التمييز العنصري ، فأبطلت دعاواه

لا بنظريات علمية أو فروع مذهبية ، بل قدمت لذلك حقائق هي في ذاتها في مستوى القانون العلمي الذي لا يقبل الجدل بحال ، فصدر كتابها : (خرافات عن الأجناس) لجوان كوماناس ، وكان يراد وسلاماً لأحرار العالم في كل مكان .

وكان طبعها أن يتعرض للذلاف لعصب الله المختار فيسطل حججه وينقضها ، لا أقول ذلك باعتباري عربياً ، فما طلبت الجامعة العربية إلى اليونانكيون أن تمد هذا البحث لكن اليونانكيون قدمت : « العلم » لاختصاصها به .

فأبال اليونانكيون تنقض ما بنت وتنتهي عن ميثاق الأمم المتحدة ، فتقبل دراسته من « الحياة الاجتماعية وقيم الروحية لعصب اليهودي » لؤلفيه : بن ساسون ، وايتنجر من أساتذة الجامعة العبرية بالقدس وقد موله للدراسة مؤسسة الثقافة اليهودية في نيويورك ، والدراسة تقرر من جديد

وإسرائيل تتجه إلى كارثة كبرى وقال:

إن الوقت يصلح ضد إسرائيل، والعرب ليسوا وحدهم فهم يتمتعون بتأييد أكثر من ٧٠٠ مليون مسلم كذلك يتمتعون بتأييد جميع الدول المستقلة حديثا في إفريقيا، ويتزايد جاذب تأييد الرأي العام الصالح لهم.

وقال: لقد ولي الزمان الذي كانت توجد فيه دولة تدافع عن إحتلال أراضي دولة أخرى بالقوة. وإن إيران تعترف بسيادة الشعب الفلسطيني.

● تصدر قريبا من مجمع البحوث الإسلامية سلسلة علمية أخرى تأخذ طريقها إلى جانب سلسلة البحوث الإسلامية للدمج متخصصي السلسلة الجديدة بأحياء التراث الإسلامي.

يكون كتابها الأول «صون للنطق والكلام من فن للنطق والكلام».

للإمام جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي.

ويصدر في هذه السلسلة أيضا «بستان العارفين» للإمام العلامة أبي زكريا يحيى الدين بن شرف السوي.

امتياز بني إسرائيل على البشر وأحققتهم في امتلاك فلسطين.

فكيف يصدر هذا للزائف باسم العلم، وترضاه هيئة اليونسكو، أو كيف تقبله؟ اللهم إن الجمعية هيئة في الجمعية العامة لهيئة الأمم. ودعا في مجلس الأمن، أما الجمعية في العلم فتشء لا يهون.

● أسفرت صحيفة (الميثاق) المغربية بيانا علميا هاما بشأن تلحين القرآن الكريم فقد أقدم أحد المطربين المعاربة (عبد الوهاب الودكالي) ملحن آيات من القرآن وتلحن بها المطرب المذكور الذي أقدم على هذه المحاولة لم يدرس قط فن التجويد ولا علمه بمخروق تلاوة القرآن الموزن.

● يرأس تحرير الصحيفة الأستاذ عبد الله كنون عضو مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة، وفي هذه الخطوة المباركة تعاون وثيق لرفع هذا للنكر مع مجمع البحوث، فقد سبق أن أصدر الأمين العام للمجمع فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود بيان المجمع ضد هذه المحاولات ونشر في حينه.

● صرح أردشير زاهدی وزير خارجية إيران بأن الحرب بين العرب

« والله على المتطيقين » لا بن تيمية .
 ● أدل الدكتور أحمد الحسين حميد
 كلية الفنون الجمية بكلمة من « الملابس
 القصيرة » قال : إنه قداسة العلم لا تسمح
 أبدا بالمظهر الخارج في معاهد العلم ، ولا
 يمكن قبول وجهة النظر التي تقول : إن
 هذا الذي يدخل في نطاق تذوق الفن . .
 فتذوق الفن نفسه آخر غير هذه العبارة
 العمياء للعقل دون أي مضمون .
 ويضيف الأستاذ عبد السلام العفري
 أستاذ الفنون الزخرفية بالكلية فيقول :
 جو الفنون موما يقسم بالحسبة . هذا
 صحيح ، ولكن بعضهم يفهم من الحرية
 إمكان ممارسة اتجاهات أخرى نهم
 بالمظاهر الشكلية في الحياة وهذا لا يمتطيه
 الفن أية قيمة .

ولا شك أن للملابس الحالية تنزلق
 بالطائرات إلى اعتمات أصغر من الاهتمامات
 الحقيقية المطلوبة لهضبة التنافس ، ولقد
 زرت أغلب معاهد الفنون في الخارج
 فوجدتها أشبه بيوت العبادة ، ولم أجس
 في باريس نفسها طائفة واحدة تدرس في أي
 معهد من معاهد الفنون المتفرعة وهي
 ترتدي « اللبني جيب »

● انتقلت بعض لجان لجمع البحوث
 الإسلامية إلى مقرها الجديد بمدينة ناصر
 لبحوث الإسلامية مع السكرتارية الفنية
 للمجمع .
 يحتوي المبنى الجديد مكتبة مجمع لبحوث
 الإسلامية ولادة اجتماعات . تفعل مطبعة
 الأزهر الدور الأرضي من اللبني
 على القطيب

العدد القادم يصدر في أول رجب
 نظراً لأجازة المجلة السنوية

philosophic question of the free will. This eternal dilemma can never be resolved by logic alone. For, if man enjoys free will with respect to all his acts, the omnipotence of God suffers thereby. Similarly, if God predestines, why should man be held responsible for his acts? The Prophet Muhammad has emphatically recommended his adherents not to engage in discussions on this topic, "which has led astray those peoples who preceded you", (as Ibn Hanbal, Tirmidhi and others report); and he has separated the two questions, viz., the omnipotence of God and the responsibility of man. In fact there is no logic in love, and the Muslim loves his Creator: he cannot admit that God should have defective attributes; God is not only wise and powerful, but also just and merciful in the highest degree. Islam separates celestial affairs, which are the attributes of God, from human temporal matters, and insists on the faithful to act; and since the Divine will rests concealed from man, it is man's duty never to despair after a preliminary failure, but to try again and again until the object is either realized or becomes impossible of attainment. The Islamic concept of predestination comes in this latter case to console man: that was the will of God, and the success or failure in this world

has no importance in connection with eternal salvation, in which matter God judges according to intention and effort and not according to the measure of realization and success.

122 — According to the Qur'an (53/36-42), among other passages) such is the truth always revealed by God to His successive messengers:

"O hath he not news of what is in the leaves (Books) of Moses and of Abraham who paid his debt: That no laden one shall bear another's load, and that man hath only that for which he maketh effort, and that his effort will be seen, and afterwards he will be repaid for it with the fullest payment; and that thy Lord, He is the goal...?"

If man should not consider himself responsible for his crimes and sins to the All-Powerful God, he should also not claim a reward for his good deeds, since they would also be predestined, therefore mechanical and not deliberate. To sum up, since Islam separates completely the two questions, it is not difficult for it to admit simultaneously the requirements of man (effort, sense of responsibility) and the rights of God with all His attributes, including the power to predetermine. (to be Continued)

message of God, so often repeated at the hands of prophets. It prohibits all compulsion in the matter, of religious beliefs; and however unbelievable it may sound, Islam is under the self-imposed religious dogmatic duty of giving autonomy to non-Muslims residing on the soil of the Islamic State. The Qur'an, the Hadith and the practice of all time demand that non-Muslims should have their own laws, administered in their own tribunals by their own judges, without any interference on the part of the Muslim authorities, whether it be in religious matters or social (cf. *infra* ch. 12 : 406 ff.).

120 — The social importance of economic questions is too evident to require emphasis. The Qur'an does not exaggerate when it declares (4:5) that the material goods constitute the very means of the subsistence of humanity. If everyone were to think of none but his single self, society will be more and more in danger, for the simple reason that there are always a very few rich and a very many poor; and at a moment of struggle for existence, the vast majority of the famishing will in the long run exterminate the small minority of the rich. One can bear many privations, but not of aliments. The Islamic conception on this subject is well known. It envisages the constant redistribution

and circulation of the national wealth. Thus, the poor are exempt from taxation, whereas the rich are taxed to provide for the needy. Again, there are laws, which require the obligatory distribution of the heritage, those which forbid the accumulation of wealth in the hands of the few, by banning interest on loans, and prohibiting bequest to the detriment of the near relatives, etc. and those which prescribe rules for the expenditure of the State revenue, aiming at the beneficial redistribution of this income among the beneficiaries among which the poor top the list. If this principle is kept in view, it tolerates differences in the means and methods according to regions, epochs and circumstances, provided the goal is achieved. The competition of free enterprises may be tolerated if this does not degenerate into the cut throat exploitation and ruin of those who are economically weak. The planning of the whole may equally be tolerated if that appears necessary, due to circumstances or economico-demographical evolution. In any case, wastage of goods as well as of energy is to be avoided, and such means adopted which are better adapted to the needs of the moment.

FREE WILL AND PREDESTINATION

121 — This leads us to the

to the same objective. It goes without saying that in collectivity, or society, there is a force which persons do not possess individually,

118 — For reasons best known to Him, God has endowed different individuals with different talents. Two children of the same couple, two pupils of the same class do not always have the same qualities or capacities. All lands are not equally fertile; climates differ; two trees of the same species do not produce the same quantity or quality. Every being, every part of a being has its own peculiarities. On the basis of this natural phenomenon, Islam affirms, on the one hand, the original equality of all, and on the other, the superiority of individuals one over the other; All are creatures of the same Lord, and it is not material superiority which counts for obtaining the greater appreciation of God. Piety alone is the criterion of the greatness of the individual. After all, life in this world is but ephemeral, and there must be a difference between the behaviour of a man and a beast.

NATIONALITY

119 — It is in this sense, that Islam rejects the narrow basis of birth and common blood as the element of solidarity. The attachment to parentage or to the soil

on which one is born, is no doubt natural; yet the very interest of the human race demands a certain tolerance towards other similar groups. The distribution of the natural wealth in different parts of the world in varying quantities renders the world interdependent. Inevitably one is forced to "live and let live"; otherwise an interminable succession of vendettas will destroy all Nationality on the basis of language, race, colour, or birthplace is too primitive; therein is a fatality, an impasse — something in which man has no choice. The Islamic notion is progressive, and is based solely on the choice of the individual. For it proposes the unity of all those who believe in the same ideology, without distinction of race, tongue, or place of abode. Since extermination or subjugation of others is excluded, the only valid possibility is assimilation. And which means can serve better such assimilation, if not belief in the same ideology? It may be repeated that Islamic ideology is a synthesis of the requirements both of the body and the soul; moreover it inculcates a tolerance. Islam has proclaimed that God has always sent His messengers, at different epochs among different peoples. Islam itself claims nothing more than the function of renewing and reviving the eternal

The Islamic Conception of Life

By Dr. MUHAMMAD HAMIDULLAH

(Continued from March 1970 issue)

115 — It will thus be seen that Islam seeks to develop the personality of the individual. It admits that man has his weaknesses, as he is constituted simultaneously of the capacities both of good and evil; yet it does not admit that there is original sin in him, as this would be an injustice. If Adam had committed a sin, this should create no responsibility on his posterity, each individual human being remaining responsible for his personal account only.

116 — In his weakness, the individual may commit offences against God or against fellow creatures. Each offence has in principle a proportionate liability (punishment), yet Islam recognizes the possibility of pardon, the elements of which are repentance and reparations. As to offences against man, they should be amended, as far as possible; so that the victim may pardon either gratuitously; or at the restitution of the object taken away from him or by having it replaced, or in any similar way. As regards offences against God, man may receive either a suitable

punishment or a gracious pardon from the Lord. Islam does not admit that God needs to punish first some innocent person in order to accord His pardon to other repentant sinner; for this vicarious punishment would be unjust on the part of God.

117 — Even as Islam seeks to develop individuality in man, it seeks also social collectivity. This could be seen in all its prescriptions, be they religious or temporal. Thus the service of worship is collective in principle, (if in case of need there is some exemption regarding the five daily prayers, there is none regarding the weekly or annual prayer services); pilgrimage is an even more manifest example, since the believers assemble in the same place, coming from all points of the globe; the collective aspect of fasting manifests itself in the fact that it takes place in the same month for the faithful all over the world; the requirement of having a caliph, the obligation of paying the Zakat — tax intended for the needs of the collectivity, etc. — all these things testify

United Arab Republic, by being attached to the Presidency of the Republic; Care has however taken to coordinate it with other universities in so far as this coordination will be consistent with the special character of Al-Azhar and the purpose of its studies.

2 — A minister of Al-Azhar affairs shall be duly appointed by a decree of the President of the Republic.

3 — The University Rector, who would be appointed by a decree of the president of the United Arab Republic, shall manage the university's academic, administrative and financial affairs, and will represent the university before other bodies.

4 — Having been the university of all Muslims, Al-Azhar provided for equal opportunity of enrolment in its faculties and sections attached to them, for muslim students from any country in the world.

5 — Al Azhar is, as the supreme Muslim educational institution, attaching great importance to its cultural and educational relations with Islamic and other foreign universities and educational institutions in the World.

By this law, new Faculties were established, i.e. Faculties of Medicine, Engineering, Agriculture and Commerce. As one of the main aims of the University is to provide educational Faculties for women, Al Azhar university has established a Girls College with its different branches of studies i.e. Islamic Studies, Medicine, Arts, Science Philosophy, Psychology, etc. This college will be the nucleus of a Muslim University for girls. It is recalled that women were getting their share in Al-Azhar circles until recently. The history says that special study circles were held in many times for women in Al-Azhar. After shutting its doors in the face of women for many years, Al-Azhar has, now come forward to give women the same chance which men are already getting in the fields of knowledge and sciences.

From the time of its foundation, Al-Azhar has opened wide its doors to students and research scholars from all over the world. Special facilities offered to foreign students by providing them free education and lodging. In 1959 a University Hostel was established for Al-Azhar in the name of Nasser City of Islamic Missions.

other sciences i.e. Geography, astronomy, engineering medicine, mathematics etc.

In its long history, various necessary reforms have been made, from time to time, both in the methods of study in the Al-Azhar and the rules of administration. Al-Azhar entered in a new era from the time of Imam Muhammad Abdu (1848-1905 A. D.) who had made great efforts to introduce modern reforms into Al-Azhar Institutions and many scholars followed him in that field. As the result of these efforts several laws and regulations were adopted to reorganize and to develop it. The Year 1911 A. D. (1329 A. H.) was most important turning point in the history of Al Azhar. In that year, by a new law, the study courses divided into stages and modern subjects were introduced to each stage. A grant Ulama Committee was created and new modifications were made in rules of the appointment of teaching staff, admission of students and examination system.

In the year 1936 Al-Azhar entered the first stage of a full scale university. According to the law N. 26 of 1936, the education in Al-Azhar had been classified into stages i.e. The primary stage of four years, the secondary stage of five years, the Higher section of four years and

the section of specialisation (تخصص) or license (إجازة) of two years. Thus immediately after the promulgation of that law, three faculties were inaugurated. They are : The Faculty of Theology, the Faculty of law and the Faculty of Arabic literature. Student's completing the four year course of study with success in any of these faculties are granted the Higher certificates equal to B. A. Candidates admitted to the specialisation section were required to be holders of the higher certificate from Al-Azhar Faculties or its equivalent, from a recognized higher institution and after completing the two year course of study they were granted the certificate of Alimiya with licence, equal to M. A., in the subject in which they were specialised

When the revolution occurred in Egypt in 1952 and it started a complete reform in the country it payed due attention to Al-Azhar in a manner compatible with the values and aims of this great international centre of learning. This law which is known as the law No. 103 of 1961, has referred to the following points :

1 — Having regard to the special character of Al-Azhar, as a university of all Muslims throughout the world, Al Azhar University should be independent of other universities in the

رجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم
عند الله أتقاكم . (الحجرات ١٣)

It means : 'O mankind ! Lo ! We have created you, male and female and have made you nations and tribes that ye may know one another. Lo, the noblest among you in the sight of Allah, is the best in conduct' (XLIX : 13). These bases are clearly represented in the teachings of Islam and in its social, economical and political systems. By carrying out this great human mission Al-Azhar has carried out a great service for all people and by its great efforts it has taken many people from darkness to light.

It was first housed in the glorious mosque of Azhar more than one thousand years ago. The building of the mosque was started in the year 971 A. D. (359 A. H) on the 14th of Ramadan, by Gawhar the Sicilian, commander of the Fatimid Caliph, Al Muizzu Li Dinillah. He founded the mosque immediately after the building of the new capital city of Al Kahira (Cairo) for Fatimids. The building of the mosque of Azhar was completed on the 7th Ramadan ' 81 A. H. Since then it was a place of worship, and a centre of Learning.

The title of Al-Azhar signifies the meaning of flourishing or

shining. It is said that the name Al-Azhar came from Al-Zahra, a title of eldest daughter of Prophet Muhammad, Fatima, from whom the Fatimid Caliphs descended. It was remained so far many centuries as a proof positive that in Islam worship and learning go hand in glove with each other and that Islam knows no conflict between religion and learning in the widest sense of the word.

Al-Azhar rose to the position of a most important educational institution and it has attracted students and research scholars from different parts of the world, and Egypt, since then, has become the unique destination to which students of Islamic studies and Arabic literature repair from all countries.

The system of education adopted by Al-Azhar since its inception was a simple and natural one. No conditions of admission were imposed on the seekers of knowledge. The student had full freedom to choose his own subject as well as his own professor. Al-Azhar was the teaching centre of all branches of Islamic studies i. e. Tafsir (Interpretation of the Qur'an), Hadith (Traditions of the prophet), Fiqh (jurisprudence) Tasawwuf (Mysticism) etc. and all branches of Arabic literature as well as it was the teaching centre of

HAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER

ABDUL RAHIM FUDA

Rabi, al-Thani
1390

ENGLISH SECTION

EDITED BY

A. M. MOHIADDIN ALWAYE

JUNE
1970

The Role of Al-Azhar In the Service of Islam

By

A. M. Mohiaddin Alwaye

Al Azhar was established as a centre for the service of Islam. Islam has two sides, the spiritual side and material side. The first one will serve the spiritual side of man, and the second will serve the material side of him. Islam gives to mankind a complete and perfect system dealing with all walks of life and the Holy Qur'an declared that the true religion is to follow man's original nature.

« نَأْتِمُ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ، قَطْرَةَ اللَّهِ إِلَى فِطْرَتِ النَّاسِ ، عَلَيْهِمْ لَا بَدِيلَ لَهَا ، إِنَّ اللَّهَ ذَاكَ الدِّينَ الْقَائِمَ ، وَإِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ . »
(٢٠ : ٣٠)

It means : "So set thy purpose for religion as a man by nature upright - the nature (framed) by

God, in which He has created man. There is no altering (the law of) God's creation. That is the right religion, but most men know not".
(30 : 30)

We can sum up the basic aims of Al Azhar in the following three points : Firstly : communicating the message of Islam, in all its simplicity, moderation and clarity. Secondly : Paving the way to co-ordinate the relations among people in the light of religious principles. Thirdly : calling people to rise above colour and race fanaticism and distinction of people must be based upon the course of moral conduct and good deeds. As the Holy Qur'an says :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
«بذل الاشراق»
٥٠٠ في المطبعة الميمنية
٦٠ طبع بمصر
والدكتور عبد الله بن عبد الله

مجلة الشريعة

مجلة شهرية جامعة

تصدر من مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

«المستوفى»
إدارة الجناح الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٥٩١٤
٩٥٥٥٦

الجزء الخامس — السنة الثمانية والأربعون — رجب سنة ١٣٩٠ هـ — سبتمبر سنة ١٩٧٠ م

السنة الثمانية والأربعون

قلعة العروبة ورؤية الإسلام

للأستاذ عبد الرحيم فودة

ولماته ، لأنها زاد دينه ونور عقله ولغة لسانه
هذه حقيقة ينطق بها تاريخ ماضها وواقع
حاضر ها ، وهي من الجلاء والوضوح
والإفراق بحيث لا يحجبها حساب
أو ضباب ، ولا يرقى إليها ما يسار
من غبار ..

فقد ردت التنازع على أعقابهم بعد أن
فوضوا صرح الخلافة الإسلامية ، ودمروا
كل ما كان يعترضهم في طريق زحفهم إلى
ربوع الشام ، ووقعت من الغزو الصليبي
والاستعمار الغربي مواقفها المأثورة

منذ سقطت الخلافة الإسلامية في بغداد
ومصر تقسوم في العالم العربي والإسلامي
مقام قلبه النابض . وعقله المفكر . وروحه
الوثاب ، وقد احتملت في دماها من العروبة
والإسلام ما لم تحتمله أمة أخرى ، فكانت
في كل ميدان ، وضحت في كل محنة ، وبذلت
من دماء أبنائها وأموال شعبها ما لا يفضله
أو يعده إلا شرف إيمانها بالقيم التي كاشت
في سبيلها ونالت عنها ، وقد امتد اسمها
الفكري والروحي إلى كل أنحاء ، فبينما
أقام مسلم أو عربي قصر في قلبه وعقله

الجمهورية ، ومنها أمر لويس التاسع في معركة المنصورة ، ولم تكن قناتها الصلبة - مع طول ما كانت تقاسيه ونمايه - تحت وطأة الحلة الفرنسية والاحتلال البريطاني وظلت تبذل وتعمل وتكافح بشرف حتى اقتصرت إرادتها الحرة الآية بثورة ٢٢ يوليو على الاستعمار وعملائه ، وامتدت يدها النقية السخية القوية إلى كل أرجاء الأمة العربية . لتبعث فيها كوامن الحياة الحرة والبركة والأمل . .

ما إذا قلنا إنها في قلب كل مسلم وعقله وروحه ؛ فذلك قول لا تخليه طائفة وطنية أو نزعة قومية ، وإنما تخليه الحقيقة التاريخية ، ويقوم عليه ألف دليل من الواقع للجمهورية ، وإذا رأينا من يمجده فضلها ، ويمضي مع أهدام المروبة والإسلام في الكيد لها والترص بها فذلك من الأعشاب الخبيثة التي تثبت في كل حقل ، بل هو - من ينطبق عليهم قول الله :

« في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون » .

إن كل فرد من أبناء الجمهورية العربية يحس بأن مصر تحملت الكثير من التضحيات وللنائب والأزمات ، وأنها بذلت - من طيب خاطر - ما ينوء به كاهلها - لولا قوته وصلابته - في وقفها من الاستعمار والصهيونية ومطامعهما في هذه لانطقة من العالم ، ولكنه مع ذلك يشعر بأن هذه التضحيات نهون أمام شرف الرسالة التي تؤديها ، والمهام الجسام التي تضطلع بها ، وسيكون الله معها يومه ونصره لأنها تقاوم روح الشر في العالم ،

هذه هي مصر التي يفترق اسمها بكل حركة تحرر نقدها الآن في الجزائر وليبيا والسودان واليمن والجنوب العربي والمراق وبما وصلت إليه الجماهير العربية من يقظة ووعي ، وإصرار على الحرية والكرامة ، والعدالة الاجتماعية ، بل هذه هي مصر التي تمتد حقول النقااة والتعليم في العالم العربي والإسلامي بما يخصها ويثرها ، وتنف بين الشعوب الأفريقية والآسيوية منارة هادية ، وعلمها عززا . ويلتقي في أزهرها آلاف من أبناء المسلمين على اختلاف ألسنتهم وألوانهم « ليتفقوا في الدين وابتعدوا قومهم إذا رجموا إليهم » .

وتقودمراكب الخير في الحياة ، وإذا
كانت تمر بمن عصية وظروف رهبة ،
فتلك سنة الله مع المؤمنين في كل زمان ،
كما يفهم من قوله تعالى :
« أحب للناس أن يتركوا أن يقولوا
آمنّا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين
من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا
وليعلمن الكاذبين »
والنصر مأمون مضمون للمؤمنين
الصادقين كما يفهم من قوله سبحانه :
« إنا لننصر وحننا والذين آمنوا في
الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد »
بل إنه كما يقول جل شأنه :
« حتى إذا استبأس الرسل وظنوا
أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من
نفاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين »
وكما يقول : « أم حسبكم أن تدخلوا
الجنة ولما بأنكم مثل الذين خلوا من
قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا
حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى
نصر الله ؟ ألا إن نصر الله قريب .
صدق الله العظيم ؟
عبد الرحمن فوده

يقوله الله تعالى :

« سبحانه الذي أمرى عبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي
باركنا حوله لئله من آياتنا إنه هو السميع البصير »

[الإسراء : ١]

الإسراء والمعراج

لأستاذنا مصطفى الطير

« سبحانه الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد
الحرام إلى المسجد الأقصى » (١- الإسراء)
« ولقد رآه نزلة أخرى ، عند صخرة المنتهى ،
عندها جنة المأوى » (٢- ١٥- النجم)

ليس محباً أن يتفضل الإله العادل الرحيم
برحلة ترفهية على رسوله الأكرم محمد ﷺ
بمه أن يأتى مع قومه من اللغات والنواب
ما تشق له الأرض ، وينصدح له الصخر .
أفليس من سنن الملوك العادلين أن يقدرُوا
جهد الجاهدين وإخلاص المتخلصين من رمايهم
وأن يمنحهم من العطاء السخى ما يحفف
المنضوح من همومهم ، ويخفف العديد
من ألهم ، ويدمل للفرح من جرحهم
ليستعقب لهم العطاء لذة التنبطة بقدر أولئك
الملوك لما بذلوا ، ورضام مما فصلوا ،
ويبعثهم على المزيد من الجهد فيما يرضيهم ،
والقضاء فيما يتقاضى جهم وتوالي نعمهم .
فإذا استقام في سيرة العطاء من الملوك

أن يعبروا عن رضام بسخى العطاء فأعظم
منه استقامة وأجل قدراً أن يصدر ذلك
عن ملك الملوك ورب الكائنات بفان
إمام الجاهدين ، وظام المرسلين ، وسيد
الباذلين .
وإذا كان العطاء يقدر عظمة المعطى
والمعطى له ، فإن المنحة التي تفضل الله تعالى بها
على رسوله محمد بعد ما ناله من أذى قومه
في مدى اثني عشر عاماً بحكة لا بد أن تكون
أعظم المنح ، فلهذا شاء سبحانه أن تكون
من نوع لم يسبق له نظير مع رسول
أو خايل أو كلم ، إنها رحلة إلى أرض
النيبين ، وسنوات رب العالمين ليريه من آياته
السكبر ، ويهدده على بذائه المعطى .

ثبتنا بالحنة الصبيحة ، فقد رَوَاهَا الحُلم
الْفَقِير من أَصْحَاب رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .
(تاريخهما)

جاء في تاريخ الإسراء والمعراج روايات
عديدة أُرْجِحَ منها ما رَوَاهُ ابنُ سعد
والزهري وغيرهما ، وجزم به النووي ،
ورجحه ابنُ حزم وابنُ القيم ، وهو أحما
كأننا قبل الهجرة بئنة واحدة .

وسبب ترجيحي لهذه الرواية إلى جانب
قوة السند أن الإسراء والمعراج كانا غاية
واحدة ذكرها الله تعالى ، وهي أن يرى
بعض آياته الكبرى ، وحكمة ذلك أن
يستمد بذلك الرحلة لمرحلة كفاح جديدة
في سبيل دعوة الإسلام ، وهي المرحلة
التبالية لهجرته إلى المدينة ، فكان
من المناسب أن يكونا قريبين من الهجرة
ومتصلين بالسيرة الكبرى عند العقبة
مع أنصار المدينة ، وفي أعقاب السكفاح
المزير لشرك عند أهل مكة ، وقد كان
لهذه الرحلة القدسية آثارها في الدعوة
المحمدية إذ سارت بعدها في طريق لأشواق
فيه يصعب اقتلاعها ، ولا عقبات يصعب
تذليلها ، حتى جاء نصر الله والفتح ودخل
الناس في دين الله أفواجا .

وإن من حقه ﷺ على المؤمنين به
أن يفرحوا بفرحه ، وأن يفتبطوا لغبطته ،
فإذا كان قد أسعده أن تجل عليه به
بنعمة الرضا ومنحه فضل الإسراء والمعراج
فإن علينا أن نسعد لسعاده ، وأن نجعل
من ليلة الإسراء والمعراج عيداً في الأرض
كما هي عيد في السماء .

(دليل الإسراء والمعراج)

ولقد ثبت الإسراء قرآناً بأول سورة
الإسراء في قوله تعالى : « سبحان الذي
أمرى عبده ليلاً من للسجد الحرام
إلى السجد الأقصى الذي باركنا حوله
لنريه من آياتنا إنه هو السميع العليم »
وثبت المعراج قرآناً بقوله تعالى في سورة
النجم : « ولقد رآه نزلة أخرى ،
عند سدرة المنتهى ، عندها جنة
المأوى ، إذ ينشئ السدرة ما ينشئ ،
ما زاغ البصر وما طغى ، لقد رأى
من آيات ربه الكبرى » (١) .

وسواء كان المرئي للنبي ﷺ وهو عند
سدرة المنتهى جبريل أو الله سبحانه وتعالى
فقد دلت الآية على عروجه ﷺ
إلى هذا المكان الرفيع عند جنة المأوى .
وكما ثبت الإسراء والمعراج بالكتاب

(الإمكان العقل للرحمة القدسية)

قد علمت أيها القارئ الكريم أن الإسراء والمراج ثبتا بطريق القرآن والمحنة وأعلم أن العلماء بعد ثبوتها بذلك يختلفون في كونها بالجسد أو بالروح أو في المنام، والراجع أنهما إنما في اليقظة، إذ لو أن الرسول أخبر قريبا أن هيثم من ذلك كان مناما لما عجبوا من قوله ولما كذبوه، إذ لا غرابة في أن يطوف الإنسان بالروح في نومه بأى مكان في الأرض أو في السماء، ومما ينهى حدوثها في المنام أنه الصلاة فرضت بالإجماع ليه الإسراء والمراج في نفس الرحمة، ولا شيء من التكليف يكون في المنام.

ومع كونها إنما في اليقظة فالراجع أنهما بالجسد والروح جميعا لا بالروح وحده، لقوله تعالى: «صباحان الذي أمرى بمعه» والمبعد هو الجسد والروح جميعا لا أحدهما، ولقوله: «ما ضل صاحبكم»

وصاحبك من الناس من يصعدك بروحه وجعله، وقد ناد للضمير للرفوع في قوله تعالى: «ولقد رآه نزلة أخرى» عند صدره المنتهى، عندها جنة المأوى» على صاحبكم أى أن صاحبهم الذي يعرفونه بذاته ونفعه رأى جبريل عند صدره المنتهى، عندها

جنة المأوى، وإذا كان قد رآه عندها يكون قد خرج بروحه وجسده إلى السماء حيث توجد صدره المنتهى والجنة.

فإذا قيل أن تكون ضوابط وتواقيس لا تسمح بهذه الرحلة للجسد، إذ لا يتيسر له أن يسرع إلى بيت المقدس في لمح البصر، ولا هلك من مقابلة الضغط الجوي الناضج هو تلك السرعة، فضلا عن أنه لا يستطيع أن يخترق الجو بسرعة أكثر في صوفه إلى السماء لهذا السبب كما لا يستطيع أن يتحمل الإشعاع الكوني ولا انعدام الضغط الجوي ولا صدمات الصواعق، فكل ذلك وأمثلة من أسباب الهلكة السريعة للجسد، فلهذا لا يصح أن يتنا بالروح والجسد معا، بل بالروح دون الجسد، بطريق الانسلاخ عنه مع الاتصال به بطريقة ربانية تبقى على حياته.

والجواب مأخوذ من واقع القصة القرآنية في صحاح الأحاديث، فقد جاء فيها أن جبريل عليه السلام شق صدره وقلبه وغسله قبل بدء الرحلة، وهذا كناية عن أنه أعطاه من أسباب الحياة الإلهية ما يجعله يستطيع أن يتحمل أخطار هذه الرحلة، وأن يتغلب على كل العوامل الضارة أو المانعة من إنعاشها على وجهها المراد له تعالى، وأن يصعد

على أن ينسخ قوائمه الكون بأخرى مضافة لها وأن الكون لا يجري على سنن ذاتية ، بل على السنن التي يريدها له ربّه إيجاباً أو سلباً ، لكن يتوجهوا إلى خالقه لا إليه ، بعد أن يعلموا من هذا التباين أنه وراثة من يديره ويدير أمره حسبما يرى وإن خالف ضوابطه للمهودة .

فأدم خلق بنور أبوين ، وعيسى خلق بنور أب ، والمهودة أن يخلق المرء من أبوين والنار شأنها الإحراق ولكنها كانت على إبراهيم برحاً وسلاماً ، وعرش بلقيس لله الحق عنده علم من الكتاب من النبي إلى الغمام في أدنى من رجوع البصر ، وصميم المذراء كانت تأتيها النكاح في غير أوانها فكذلك دخل عليها زكريا المهراب وجد عندها رزقاً ، قال يا صميم أنى لك هذا . قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ، وكانت تهب النخلة التي لا تمر عليها فتعاقط عليها وطباً جنياً .

وموسى ضرب البحر بمصاه فشق فيه اثنتي عشرة طريقاً هو فيها بنو إسرائيل إلى بر سيناء ، ثم ضرب البحر فابجعت منه اثنتا عشرة عينا بعدد أصحاب بني إسرائيل قد علم كل حبط منهم مشرجه .

ويحيط بسرعة فاتنة كما تصنع الملائكة ، إذ لا معنى لهذه العملية التي أجراها له جبريل معاهدة ميكائيل إلا ما قلناه ولهذا بدأت الرحلة عقب انتهائها ، على أن وجود جبريل وميكائيل معه **عليه السلام** أثناءها يساعد على تمام الحفظ والصيانة ونجاح الرحلة .

وإذا كان الإنسان في عصرنا هذا وصل إلى القمر وبسر لنفسه جسداً وروحاً أسباب الوصول إليه ، وتغلب على هوائه واتقن بوسائله أسباب الضرر حتى تمت الرحلة بنجاح ذهاباً وعودة ، أفلا يستطيع الخالق أن ييسر لحبيه محمد **عليه السلام** أسباب النجاح للإسماء والمراجع بجسده وروحه ، وهو سبحانه أعلم بخواص كائناته من خلقه ، وأقدر على كف أضرارها من أرادته ضيفاً كريماً على ملكوته ، وذلك إما بتبنيه **عليه السلام** وإعداده بوسائل واقية وممكنة له في ذاته أو بكف موانعها عنه وهو على ما هو عليه جسداً وروحاً ، أو بالجمع بين الإعداد القائي وكف الموانع الخارجية ، ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير .

وكم لله سبحانه وتعالى من خرق للنواميس الكونية وقوانينها خصوصاً مع رسوله وأصفيائه ، ليعلم الخلق أن الله تعالى قادر

وكذبوا ، روى أبو داود وغيره عن ابن مسعود قال : « انفق القمر على عهد رسول الله ﷺ ، فقال كفار قريش هذا سحر من أبي كبشة ، قال ، فقلوا انظروا ما يأتيكم به السفار فإن هذا لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم ، قال ، لجأ السفار فأخبروم بذلك » ومع هذا وغيره احتسروا على الكفر حتى طام القنح فهدم الله .

ولو أنه ﷺ خرج به إلى السماء أمامهم وعصوا أن هذا من السحر عنادا وتكبرا وإسراارا على الكفر وليس موجه أمامهم بأغرب من انفق القمر ، ولا تكذبه أصعب عليهم من تكذبه ، أفلم يقولوا من قبل : « إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون » فلي للعراج يمكن أن يقولوا ذلك كما قالوه من قبل ، فقد مرنا على الجحود اثني عشر عاما .

على أن هذه الآية لم يكن الغرض منها قريشا ، بل كانت للترفيه عنه ﷺ ، ولإعداد لمرحلة الهجرة فقد سبق في حله ثمالة أنهم لا يؤمنون بها وأنهم سينتأخرون إلى ما بعد فتح مكة .

وقد انشد القمر لنبينا محمد ﷺ ، ففى الصحيحين من حديث أنس : « أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية ، فأرأى انشقاق القمر شقين ، حتى رأوا حساء بينهما » إلى غير ذلك من خوارق العادات .

(لماذا لم يهدنا أمام قريش)

لا شك في أن الإسراء والمعراج من الآيات الكبرى ، وإذا كانا كذلك فلماذا لم يحدثا بمحض من قريش حتى تؤدي رؤيتهم لها إلى إيمانهم ، فقد طلبوا منه أن يرقى في السماء ليؤمنوا به .

والجواب أن الإسراء والمعراج حدثا بعد ما ظهر لهم من الآيات ما فيه الكفاية ، فمن الناحية العملية جاءتهم آية القرآن لتشتمل على آيات الفصاحة والبلاغة وقوة التشريع وصلاحيته لكل زمان ومكان ومبادئ الأخلاق الرشيدة للمجتمع الفاضل والإخبار بالغيب وغير ذلك من الآيات ، كما جاءتهم الآيات الكونية التي ينصاع لقوتها كل جبار عنيد ، ولكنهم كبروا ولم يؤمنوا ، ومن ذلك أنهم طلبوا منه ﷺ أن يريهم القمر منقسقا نصفين ففعل ، فزعموا أن هذا سحر

في اللوح الذي حده على الوصف الذي
 الله ، فقد كذبوا ولم يؤمنوا ، لهذا كله
 لم يكن هناك داع لمعادتهم إسماء
 وعروجه ، ولقد كرم الله نبيه في هذه الرحلة
 أعظم تكريم ، وأصبح عليه من ألوان النعم
 والإحسان ما هو أجله ، حتى نسي همومه
 وزالت آلامه النفسية والجسدية التي خلفها
 كفاحه الطويل لكفر قومه وعنادهم للاحق
 وإيذائهم له ولمن آمن معه ، وفرض عليه وعلى
 أمته خمس صلوات جعلها في ثواب خمسين
 صلاة لمن أداها بإحسان ولذلك كانت آخره
 فريضة بعد التوحيد ، إذ لم يفرض على أمته
 في السماء غيرها ، أما سواها فقد جاء به
 السفير جبريل عليه السلام وهو في الأرض ،
 فهنيئاً لمن أداها بإحسان .

أما بعد : فهذه المائة بسيرة بعض جواب
 الإسراء والمعراج الذين اختص الله بهم
 رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم ، ورحم
 الله البوصيري إذ قال :

كيف ترقى رفيك الأنبياء

يا أسماء ما طاولتها مصائب

وبعد الذي ذكرناه من إمكانهما بالروح

(البقية على صفحة ٢٩٠)

ومع هذا فقد صاحبها آيات ظهر أمرها
 لتقرين ، ولكنهم لم يؤمنوا ، وذلك أنه
 صلى الله عليه وسلم جاءهم بناديم غدثهم أن
 الله أمرهم به ليلاً من المسجد الحرام إلى
 المسجد الأقصى وكنتم منهم رحمة للمعراج
 فاضطرب المجلس وأعظموا الأمر وأكبروه
 منه ، ثم رأوا أن يمالؤوه من أوصاف
 المسجد الأقصى زيادة في إخراجهم ،
 لأنه لم يسبق له رؤيته قبل هذه الليلة ،
 ولم تعطه غرابة الرحلة وعجائبها الفرصة
 ليتعرف أوصافه مفصلة ، فلما فرغ ينعت
 التيس علته باقى النعت ، فكرب لذلك كرباً
 شديداً ، فجلد الله له فجعل ينظر إليه ويصفه
 فقالوا واللات والعزى لقد أصاب في نعمته ،
 وسألوه أن يخبرهم عن عسيرهم التي
 بالقسام ، فأخبرهم بخبرها ، وذكر لهم
 أنها سوف تصل عند شروق القدس يوم
 الأربعاء للقبل ، يقدمها جل أورق عليه
 غاراتان سوداوان ، فاشتدوا في ذلك اليوم
 فقائماً ، فقال قائل منهم : هذه الشمس قد
 أشرقت ، وقال آخر : وهذه النير قد أقبلت
 يقدمها جل أورق عليه غاراتان سوداوان
 ومع أنهم تحققوا من أحداث ثقافة التي كان
 قد أخبرهم بها ، ورأوا صدقه بقدم المير

الشيخ عبد القادر الجيلاني في تمسكه بالشرعية

لفضيلة الدكتور عبد الحليم محمود

- يقول الشيخ عبد القادر :
ترأى له نور عظيم ملاً الأفق ، ثم
تدلى فيه صورة تناديني :
يا عبد القادر أنا ربك ، وقد حلت لك
المحرمات .
فقلت : « اخساً يا معين » .
فإذا ذاك النور ظلام ، وتلك الصورة
داخل ، ثم غابني :
نجمت مني بملك بأمر ربك ، وفقهك
في أحوال منازلاتك ، ولقد أضللت بمنزل
هذه الواقعة سبعين من أهل الطريق .
فقلت : الله الفضل .
فقبل له : كيف علمت أنه شيطان .
قال : بقوله : قد حلت لك المحرمات .
لقد علم الشيخ عبد القادر - بعله بأمر
ربه ، وفقهه في أحوال منازلاته - أن
الطريق إنما هو اتباع لا يشوبه ابتداع
ولا مخالفة للأمر أو النهي ، ولقد قال
- رسول الله ﷺ يصف الطريق في كلمة
موجزة معجزة ، في أسلوبها وفي معناها :
« اتبعوا ، ولا تبتدعوا ، فقد كفيتم »
ولقد علم رسول الله ﷺ ، السبي
من الابتداع بقوله :
« قد كفيتم » .
وكل من يبتدع إذن فإنه يبتدع لأنه
غير مؤمن - شاعراً أو غير شاعر - بأن الله
قد أكل الدين وأتم النعمة :
« اليوم أكلت لكم دينكم ، وأنعمت
عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً »
وما دام الدين قد كمل فلا مجال للابتداع .
والطريق إذن هو الاتباع .
إنه طريق الرسول ﷺ ، وطريق
الصحة ، وطريق الراشدين المهديين
في كل زمان ومكان .
ومن أجل ذلك كان الشيخ عبد القادر
لا يعمل من نصيحة أتباعه قائلاً :

المجر رؤية الماجر لك العاصي بصر ،
ولذلك قال سيدي علي الخواص رضي الله عنه :
« شرط جواز المجر علم الماجر بوقوع
اليجور فيما جبر لأجله يقينا لا ظنا
ولا تخميناً ، فلا يجوز لك المجر من غير
تحقق وثبت . »

وهذا الباب هلك فيه خلق كثير ،
ولم يبقوا حتى ابتلام الله تعالى بما رموه
الناس والله أعلم . »

وقد أوفى الشيخ عبد القادر رضي الله
عنه ، مبدأ الاتباع حقه من الإيضاح
السلوكي والعلمي ، وكانت استفاضة فيه
ضرورية ، وذلك أن النفوس ميالة إلى تباع
الغرائز ، وهي أمارة بالمعوى إلا من رحم الله ،
والقيطان يوسوس لها بمخالفة الأمر
الإلهي .

إله يوسوس لها بتعظيم قواعد الشرع ،
المأمورات والمنهيات ، ومن أجل ذلك
وجد في كل زمان ومكان من يفسون
أنفسهم ويضلون غيماً يقولون برفع
التكاليف فيتمهون عن الصلاة ، والصلاة
وسيلتها الطهارة الجسمية ، وغايتها الطهارة
القلبية ، ولو لم يجب بالشرع لكان من الخير
أن توجبها بالعرف .

« اتبعوا ولا تبشعوا ، وأطيعوا
ولا تخالفوا ، واسبروا ولا تمزقوا ، واثبتوا
ولا تفرقوا ، وانتظروا ولا تياسوا ،
واجتمعوا على الذكر ولا تفرقوا ، واطهروا
عن الذنوب ، ولا تلتطخوا ، وعن باب
مولاكم لا تبرحوا ، »

وميزان الشرع عند عبد القادر رضي الله
عنه ميزان شامل تام ، وهو من الصلاحية
الحقيقية بحيث يطبق على كل الأمور
والأحوال : على الحب والبغض ، على القول
والصمت ، على الحركة والسكون ، إنه يقول :
« إذا وجدت في قلبك بغض شخص أوجب
ظاهر أعماله على الكتاب والسنة ، فإن
كانت محبة فيهما فأحبه ، وإن كانت
مكرهة فأكره ، ثلاثه بهواك
وتبشعه بهواك قال تعالى :

« ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ،^(١)
ولا تهجر أحداً إلا الله ، وذلك إذا رأيت
مرتكبا كبيرة أو مصراً على صغيرة »
ويفسر الإمام الشمراني بعض هذا القول
فيقول :

ومعنى : « رأيت مرتكباً كبيرة »
العلم بذلك ولو ببينة ، فلا يفتقر في جواز

توقيفاته ، إراداته ، وإصداراته ، وإقداماته ، وإحجاماته ، إذ لا يمكن سلوك هذا السبيل إلا بعد التلبس بمسكوك الشريعة كلها ، ولا يصل فيه إلا من واطب على حمة النوافل ، فكيف يصل إليه من أهل الفرائض ؟

فإن قلت : فهل تنتهى رتبة السالك إلى الحد الذى ينحط عنه فيه بعض وظائف العبادات ، ولا يضره بعض المحظورات ، كما نقل عن بعض للهاجج من التساهل فى هذه الأمور ؟

وأقول لك : أعلم أن هذا عين الغرور ، وأن المحققين قالوا : « نورأيت إنسانا يطير فى الهواء ويمشى على الماء ، وهو يتعامل أمرا يخالف القمع فأعلم أنه شيطان » .

فإنه تناثر هذا الضلال فى أيام الجنبه والغزالي ، وفى أيام الجيل رضى الله عنهم أجمعين ، وما كان يتأتى أن يمر عليه الجيل دون إعلان الحرب عليه فى غير هوادة ولا رفق ، إنه يقول فى صراحة لا لبس فيها : « إن انخرم عليك شيء من الحدود فأعلم أنك مفتون ، قد لعب بك الشيطان ، فارجع إلى حكم القمع ، والزمه ، ودع عنك

ولا يصومون والصيام رياسة النساى والصفاء ، ولو لم يكن ركنا فى الدين لوجب أن نجعله ركنا فى المجتمع .

إنهم يقولون برفع التكليف ، الهوى والشهوات ، ولتقمص فى الإرادة وعبودية الفرائز ، إنهم عبيد شهواتهم .

ولقد قبل سره الجنيه رضى الله عنه : « أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات من باب الجبر وتتقرب إلى الله عز وجل » .

فقال الجنيد :

إن هذا قول قوم نكاهوا بإسقاط الأحكام ، وهو عندي عظيمة ، والذى يسرق ويبنى أحسن حالا من الذى يقول هذا ، ٥١

وكما تناثر هذا الضلال من أفواه بعض المدعين الراضين فى أيام الإمام الغزالي ، كما تناثر من قبله فى أيام الجنيد ، فشر الإمام الغزالي عن ساعده وحارب القائمين بذلك حربا لا رفق فيها ، لقد حدد الإمام الغزالي سبيل السالك إلى الله تعالى ، ووصفه قائلا :

إنه الذى تكون جميع أفعاله الاختيارية موزونة بميزان القمع ، موفقة على

الهمى ، لأن كل حقيقة لا تعبد لها
الفرجة فهي باطلة « (١) » .

ويقول في بعض الأثرين وفي وضوح هو
وضوح الحق الخالص :

« ترك المباحات المفروضة زينة ،
وارتكاب المحظورات ممضية ، لا تسقط
القرائن من أحد في حال من الأحوال » .
ولقد بين الإمام عبد القادر هذا الموضوع
في كتابه « الفتوح الرباني » غير مرة ،
ومن كلامه فيه :

« إذا توايتم في الصلاة انقطعت صلاتكم
بالحق عز وجل ، ولهذا قال النبي ﷺ :
« أقرب ما يكون العبد من ربه إذا كان
ساجدا » .

ويحك كم تتأول وترخص ، المتأول
خادر ، ليقنا إذا ركبنا الفرجة وعلقنا
بالإجماع ، وأخلصنا في أعمالنا نخلصنا مع
الحق عز وجل ، فكيف إذا تأولنا
وترخصنا »

وذكره غير مرة في كتابه : « فتوح
الغيب » ومن كلامه فيه :

« أخرج من نفسك ، وتنح عنها وانزل
من ملكك ، وسلم الكل إلى الله تبارك

وتعالى ، وكن بوابه على باب قلبك وامتنل
أمره تبارك وتعالى في إدخاله من بأمرك
بإدخاله ، واته نبيه في صد من بأمرك
بصد ، فلا تدخل الهوى قلبك بعد أن
خرج منه ، وإخراج الهوى من القلب
بمخالفته وترك متابعتة في الأحوال كلها
وإدخاله في القلب بمتابعتة وموافقتة ، فلا
تود إرادة غير إرادته تبارك وتعالى ، وغير
ذلك منك غير ، وهو واد الحق ، وفيه
حتك وهلاكك ، وسقوطك من عينه
تبارك وتعالى ، وحجابك منه .

احفظ أبدا أمره ، واته أبدا نبيه ،
وسلم إليه أبدا مقدوره ، ولا تفرقه بشيء
من خلقه ، فأرادتك وهوأك ، وشهواتك
خلقته ، فلا ترد ، ولا تهوى ، ولا تشته
لئلا يكون شركا ، قال الله تعالى :

« فن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا
صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » (١) .

ليس الشرك عبادة الأصنام لحسب ، بل
هو أيضا متابعتك لهواك ، وأن تختار مع
ربك شيئا حواه من الدنيا وما فيها ،
والآخرة وما فيها .

والشيخ أبي البيان، وغيرهم من التأخرين،
فهم لا يسوغون السائق ولو طار في الهواء
أو مشى على الماء، أن يخرج عن الأمر
والهيئتين، بل عليه أن يفعل
المأمور، وبدع المخطور إلى أن يموت،
وهذا هو الحق الذي دل عليه الكتاب
والسنة وإجماع السلف :

وما يقوله ابن تيمية من أن « هذا هو
الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة وإجماع
السلف » هو عقيدة كل صوفي حقيقي،
وهو عقيدة كل مؤمن .

ولكن من هو الشيخ عبد القادر ؟
(إن الحديث موصول)
• • • عبد الحلیم محمود

لما سواه تبارك وتعالى غيره ، فإذا
ركنت إلى غيره فقد أفركت به غيره ،
فاحذر ولا تركن ، وخف ولا تأمن وفتن
ولا تغفل فتطمئن ، ولا تضاف إلى نفسك
حالا ولا مقاما ولا تدع شيئا من ذلك ، اهـ .
ومن أجل هذا التمسك الحاسم بالكتاب
والسنة من الشيخ عبد القادر ، ومن أمثاله
من المتأخرين يقول ابن تيمية :

« أما المستقيمون من السالكين كجمهور
مشايخ السلف : مثل الفضيل بن عياض ،
 وإبراهيم بن آدم ، وأبي سليمان النخعي ،
 ومروان الكرخي ، والبرقي السعدي ،
 والجنيد بن محمد ، وغيرهم من المتقدمين ،
 ومثل الشيخ عبد القادر ، والشيخ حاد

(بقية الملهود على صفحة ٢٨٥)

فضل عليك لدى الجلال ومنه
والله يفعل ما يرى وما يشاء
• • •

العرش تحملك سدة وقوائمها
ومناكب الروح الأمين وطاه
مصطفى محمد الحارثي الطبر

والجسد كما هو ظاهر القرآن والسنة لا ينبغي
أن يتردد في ذلك مسلم ، ورحم الله شوقي
إذ يقول :

يقسا طون وأنت أكرم هيكل
بالروح أم بالمهيكل الإمراء
بها صموت مطهرين كلاما
نور وروحانية وبهاء

من المعجزات في الإسراء والمعراج

لفضيلة الدكتور محمد رأب شهبه

بها تاريخ الصحابة رضوان الله عليهم ، وقد أصر على الخروج مع رسول الله ﷺ واستشهد وقد غزا جابر مع النبي ﷺ نزع طرفة غزوة ولم يشهد بدر ولا أحد لأن أباه منعه ليخلفه على البنات كما أسلفنا ، رواه مسلم . وجابر أحد الرواة المكثرين من الرواية ، له ألف وخمسة وأربعون حديثا اتفق الشيخان على ثمانية وخمسين واغترط البخاري بستة وعشرين ، ومسلم ثمانية وستة وعشرين ، روى عن النبي ﷺ وعن أبي بكر ، وعمر ، وعلى وغيرهم من الصحابة ، وروى عنه عمرو ابن دينار ، وعطاء ، ومجاهد ، وأولاده : عبد الرحمن ، وعقيل ، ومحمد ، وغيرهم ، وقد جمع إلى الرواية الفقه والفتوى ، فكان فقيه المدينة . ومفتيا في زمانه ، وفي مصنفه وجميع من هشام بن عروة قال : كان جابر بن عبد الله حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم ، مات سنة ثمان وسبعين عن أربع وتسعين سنة

روى الإمامان الجليلان : البخاري ومسلم في صحيحهما بسندهما من جابر بن عبد الله رضي الله عنهما . أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « لما كذبت قريش قت في الحجر ، لحل الله في بيت المقدس ، فطفقت أخبرهم عن آياته وأما أنظر إليه ، . رواه البخاري في صحيحه في باب المعراج ورواه مسلم في صحيحه في أحاديث الإسراء برسول الله ﷺ وفرض الصلوات .

« الشرح والبيان »

« جابر بن عبد الله رضي الله عنهما »

هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام صحابي ابن صحابي ، فأبوه عبد الله بن عمرو صحابي جليل ، استشهد في أحد ، وقد أبى جابراً في المدينة ليخلفه على بناته السبع وم أخوات جابر ، وقال له . وكان شيخاً كبيراً . لا أوثر على نفسه في الخروج مع رسول الله ﷺ وهو من المثل العليا التي زخر

أدخل الحجر في الكعبة فلما قتل أمادها
الحجاج إلى ما كانت عليه في الجاهلية ، ثم
أراد بعض خلفاء بني العباس أن يعيدها على
قواعد إبراهيم ، فقال له الإمام مالك :
لا تجعل البيت ملعبة في يد اللوك ، فبقى على
ما كان عليه في عهد قريش إلى وقتنا هذا :
وكان السبب في قيام النبي ﷺ بالحجر
اختبار قريش له وقد كانت قصة .

ذلك أن النبي ﷺ قد أسرى بحسبه
ودوحه من المسجد الحرام إلى المسجد
الأقصى ، وخرج به من المسجد الأقصى
إلى السموات السبع وما فوق السبع حتى
جاوز سدرة المنتهى ، وسمع كلام الرب جل
وعلا ، وفرض الله عليه وعلى أمته خمسين
صلاة ، ولم يزل النبي يسأل الله للتخفيف
حتى استجاب له قائلا : « يا محمد ! فحين خمس
صلوات في اليوم واليلة ، ومن خمسون
في الثواب ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام
شيء » فلما جاوز ناداه الرب جل وعلا :
« أمضيت قريشتي ، وخففت عن عبادي »
ثم نادى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه
محمدا بالإكرام والعناية الربانية ، وعليه
هالات من الجلال والتجليات الإلهية حتى
وصل إلى بيت المقدس ، وماد إلى البلاد

وأوصى أن لا يصل عليه الحجاج ، فرضى
الله عنه وأرضاه :

« لما كذبني قريش قت في الحجر » .
في بعض الروايات « لما كذبني ... »
ومما جازت أن ، الحجر : هو المكان الذي
حجر أي منع وحجز من الكعبة البيت
الحرام ، وكان في الأصل داخل فيه في عهد
الحذلي إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى زمن
قريش في الجاهلية قبل مبث النبي ﷺ
وكانت الكعبة قد أصبحت تهدم بسبب سيل
أو حريق فهدمها القرشيون بعد خوف
وتردد ، كي يعيدوها كما كانت ، وقد أخذوا
على أنفسهم أن لا يدخلوا في بنائها ما لا حراما
فلا يدخل فيها مهر بنى ، ولا حلوان كاهن
ولا نمن كلب إلى غير ذلك ، ثم شرعوا
في البناء ، فصافت عليهم النفقة ،
فاضطروا إلى أن يقطعوا من البيت قطعة
من جهته الشمالية ثم أحاطوا هذا البيت
بسياج للدلالة على أنه من البيت وهذا الحجر
هو الحطيم على الصحيح لأنه حطم أي حجز
ومنع من البيت ، وفي الحديث الصحيح
أن النبي ﷺ قال لعائشة : رضى الله عنها -
« لو أن قومك حديثو عهد بكفر لهدمت
الكعبة ولبنيتها على قواعد إبراهيم »

ولما ولى عبدالله بن الزبير إمارة الحجاز

على ذلك؟ قال: نعم؛ إلى لأصدقته على أبعد من هذا، أصدقته على خبر السماء، يريد - رضى الله عنه - أنه يصدق في مجيئ جبريل عليه السلام بالوحي من السماء في زمن وجيز من ليل أو نهار، وليس من شك في أن الإسراء دون ذلك بكثير، وصدق الله حيث يقول: «سأل سائل بمذاب واقع، لكافرين ليس له دافع، من الله ذي المعارج، نمرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة»، فاصبر صبراً جليلاً^(١)، فأبى مسيرة شهر بالإله أو الأقدام، من هروج الملائكة الكرام بين السماء والأرض فيما سيرته تستغرق خمسين ألف عام، على ما هم عليه من سرعة تفوق سرعة الصوت بل هي أعظم من ذلك بكثير.

وقد استحق أبو بكر - رضى الله تعالى عنه - من هذا اليوم الذي صدع فيه بالحق، وقال قولة الإيمان أن يلتقب «صديقاً» فأعظم بها من منقبة خاتمة لشيخ الإسلام، وأفضل هذه الأمة بمدتها.

وجاء دور الاختبار، وكان السكثرون من المشركين يسمعون بيت للقدس،

[١] - المارج ١ - :

الحرام، وهو في غاية السكينة والوقار كأنه باثت بين أهلها.

وفي صبيحة هذه الليلة المشهودة الغراء أخبر رسول الله ﷺ أم هانئ بنت عمه أبي طالب عما جرى، فقالت: يا رسول الله لا تحدث قومك هذا فيكذبوك، ويؤذوك، فقال: والله لأحدثنهم به فغدا ﷺ إلى المسجد، فربه أبو جهل، وهو جالس يفكر، فقال لهنبي: هل من خبر؟ قال: «نعم»، قال: وما هو؟ قال: «أمرى في الليلة»، قال: إلى أين؟ قال: «إلى بيت للقدس»، قال: ثم أصبحت بين ظهرائنا قال: «نعم»، قال: رأيت إن دعوت قومك أن تحدثهم بما حدثني به؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم»، فصار أبو جهل ينادي بطون فريش، فأقبلوا فقص عليهم رسول الله ﷺ للقصّة، فصاروا مابين مصفق، وواضع يده على رأسه تمجيباً، وصار حديث الإسراء مشغلة المجتمع القرشي في كل مجلس وند، منهم من يؤمن به، ومنهم من يكذبه.

وسمى رجال إله سيدنا أبي بكر رضى الله تعالى عنه يخبرونه بما حدث به النبي ﷺ القوم فقال لهم: لئن كان قد قال ذلك لقد صدق؟ فقالوا له: أصدقته

أعدائه ، ولا يتخلل من أنبيائه طرفة عين
والذي أمرى بنبيه وحببه محمد ﷺ ،
وصرح به من المسجد الأقصى ، ودفعه
فوق السبع الطباقي ، وأيده بروح من عنده
وأراه من آياته الكبرى ما أراه جلاء له
حتى صار حريثاله لجعل ينظر إليه ويصفه
لهم بأبواب وشبابا كشبا كافقوا أما الوصف
فقد أصاب ١١ ومع هذا ازدادوا عتوا
ونغورا ، وإصرارا على الكفر وفي صحيح
مسلم من أني هريرة قال : قال رسول
الله ﷺ : « لقد رأيته في المحرور فريش
تأني من مسراي ، فسألته عن أشياء
من بيت المقدس لم أئنها ، فكربت كربة
ما كربت منه ^(١) فقال : فرفعه الله لي أنظر
إليه ، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأهم ، ^(٢)
« فجعل الله لي بيت المقدس ، فطلقت أخبرهم
عن آياته وأنا أنظر إليه » .

فطلقت : طلق من باب فرح وضرب
طفقا وطفوقا أي شرعت في إخبارهم
وواصلت ذلك ، آياته : علاماته وأماراته
وهذا الحديث يحتمل معنيين :

الأول : أنه جلاء له وكشفه من غمها انتقاله بأن

وأوصافه لكثرة زهدم عليه في تجارتهم
وأصفارهم فسألوا النبي ﷺ عن أوصاف
للمسجد الأقصى ، ولم يكن النبي رآه إلا
في هذه الليلة ، ومن كان في مثل حاله ﷺ
في هذه الليلة يسكون في غفل غافل من
الإحاطة بالوصف ، لقد قدم بيت المقدس
إذا هو في حقد حاشد من أنبياء الله
ورسله ، وإذا ملائكة الله للكرام تحيط
به من كل جانب ، وإذا للمسجد الأقصى
هل سمته خاص بكرام خلق الله احتفاء
بالقادم الكريم ﷺ في هذه الليلة ، فهل
يبنى هذا الحمد الحامد ، وهذا المشهد
الطاف ، فني بجلا لأن يجيل الطسرف
في المسجد ، وبعد الأبواب ، وبعد القبايبك
وبعد الأساطين ١٢ .

إن الواحد منا قد ينشئ مسجد الخي
فضلا من غيره طيبة عمره ، ويدخله صباح
مساء ، ومع هذا قد نأه من عدد أعمده
أو عن عدد شبائكه ، أو أبوابه فلا يدري
فلا عجب إذا كان النبي ﷺ لما سأله
المفركون كرب كربة شديدا لم يكرب مثله
قط ، ولم يدوم يجيب ؟ وداخله هم
وحزن شديدا .

ولكن الله الذي ينصر أوليائه على

[١] مسجد للضمير الكرب المفهوم من الكلام

[٢] صحيح مسلم بفتح القوت س ١٣٨

ولم يد : فيا أيها المسلمون والعرب : هذا بيت للقدس الذي إليه انتهى مسرى رسول الله ﷺ ، ومن هرج إلى السموات ، والذي كان مثابة أنبياء الله ورسله ، ومهبط وحيه ، وموئل الصالحين من عباده ، لقد دنت اليهود بأرجاسهم ، وهاموه بتطالم ، وماتوا فيه فساداً وهدوا من بليانه ، وغبروا من ممالك ، وأنتم تظاهدون ذلك وتطهرون ، فكيف تسكتون على هذا المنكر الذي أذرى محرم الله ، وحرمت أنبيائه ورسله ١٢ وكيف تفضون الطرف من هذا الميث بالمقدسات التي قدسها الله على لسان أنبيائه ورسله ١٣ ألا فافضوا الله ولهينكم غصبة مضرية حتى تهتكوا حجاب القدس ، أو يقطر الدم ، وبذلك تهررون الأرض المسلوقة المفتتحة ، وتطهرونها من رجس الصهاينة إخوانهم القردة والحمازير ، وماذا لك - إن صدقتم العزم - عليكم بعزيم ؟

و. محمد محمد أبو شهبة

أزال الله له ﷺ الحجب والموانع حتى رآه وتحقق منه كأنه مائل أمامه لمصار يصفه لهم ، ولا أدري كيف يستبعد البعض مثل هذه المعجزة ، وقد توصل العقل البعري في عصرنا إلى اختراع « التلفزيون » فيرى الرائي فيه صورة الشيء حتى ولو كان بينهما آلاف الأميال فإذا توصل الإنسان على قصوره وعجزه إلى هذا ، أفستبعد هذه المعجزة على قدرة صانع البشر ، وخالق القوى والقدرة ، والعلم بما كان وما يكون ١٤ .

الثاني : أن الله أحضره بيت المقدس حتى صار على مقربة منه ، وليس هذا بعزيم على الله ، فقد أحضر الذي عنده علم من الكتاب عرش بلقيس إلى سليمان عليه السلام في أسرع من لبح العين كما حكى ذلك الكتاب الكريم ، قال عزهاته : « قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرند إليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال : هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر . » الآية (١)

لحظات خالدة في ضيافة الله

لضيافة الأستاذ أيرالونا المرامني

لحظات خالدة قضيناها في الاستعداد والحفر وزيارة بيت الله الحرام ، فقد أنعم الله علينا بأن تؤدي منكم العمرة تأسيساً برسول الله ﷺ ، والتماساً للأجر وتكفيراً عن الذنوب وتطهيراً لنفس كما قال ﷺ : (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج للبرور ليس له جزاء إلا الجنة) ، وكما قال : (الحج والعمرة لله) ، ومام فأجابوه وسألوه فأعطاهم .

وعلى هذه النية قصدنا وألقينا بأنفسنا في رحاب الله وفوضنا أمرنا إليه لا بآل ما سنلقى ، وكيف بآل ؟ ونحن في حماية مالك لملك بيده السموات والأرض يقلبهما كيف شاء ، ونحن ضيوفه وزواره ، وإذا هو المضيف عز الضيف ، وأكرم الزائر .

وفي هذه الرحلة المباركة تتزاحم للعاني وتسرح الأفكار في الحاضر القريب وللماضي البعيد تسرح الأفكار في الحاضر ومنجزاته وفي الحاضر تدفن النفس لما أنجزته الحضارة في وسائل

النقل ووسائل المواصلات والسكنى ، وكيف أتت تقطع بالطائرة للسافة بين القاهرة وجدة في أقل من ساعتين تقضيهما على مقعد وثير في جو لطيف تدرك به أجهزة التكيف فتضيف إلى جوك الروحى الذى أعده لك قصدك الكريم ورحا وراحة ونحس بأنك انتقلت بروحك وجسمك إلى ديار غير ديارك وعالم غير عالمك ، وإذا انقضت رحلة الطائرة إلى جدة وانتقلت إلى رحلة السيارة من جدة إلى مكة لقيت بالسيارة ما لقيت بالطائرة من يسر وراحة مدة ساعة تحط بعدها رحلتك بمكة ، وإذا قدر لك أن تنزل بأحد زوايا راحة ما أضفت الحضارة على تلك الديار المباركة من مظاهر النعم والراحة سكناً ومطعماً ومشرباً ، ولا بد أنك في أثناء ذلك كله تستعرض صور الماضى وكيف كان يلقى أسلافك في هذه الرحلات من عناء السفر على متن الإبل في لفتح المموم وزمهرير الفتاة وما كانوا يتعرضون له من أهوال

وأخطار دعت لالتقاء أن يحلوا في مقدمة شروط الحج أمر الطريق ، وتسر لماذا كان أهل الحاج يودعونه في وجع وإشفاق ويستقبلونه في لطفة وإعتناء ، ولماذا قال الغزالي في وصف تلك الرحلة : ليتذكر الحاج من هول الطريق حوال مسكرو ومكهر .

يسرح فكيرك في ذلك وفي غيره وتشتعر فصل الحضارة في الدين والدينا وتتمنى أنه لو ظلت الحضارة في خد منكما تمنحهما الرخاء والبسر ولا تعرف بها الأهواء والأطماع إلى الأذى والشر وترويع للساكنين حتى لا ينعكس القصد ويغيب الرجا في الهناء والرخاء .

وإذا جد بك السير نحو مكة وقاربها وطالمتك مفارها بمجاهاوة لاهلها وسفوحها ووديانها حاجت مفارك ، ومما خياك وأخذ يستمرض لك صور للماضي في جملة وجلاله ، ويمثل لك صور الأنبياء في تلك المواطن في خطرهم وخطراتهم وغدواتهم وروحاتهم وجهادهم وجلادهم في اقتلاع الشرك ونصحيح العقيدة ، يمثل لك صورة آدم على بساط عرفات في التفاته بجواء ، وسورة إبراهيم وإسماعيل في هذا الوادي القهل السعيت .

حيث لا طعام ولا شراب ، ولا ممكن ولا مأوى تروح به أمة هنا وهناك صارخة مستغيثة فتدركها الرحمة وينتجر لها الماء فيرتوي ظمؤها ويمتل هروقهما وصورة إبراهيم أيضاً ذاهياً وله ليزججه تصديقا لرؤياه .

وحين يستسلم الوالد والمولود تتجل رحمة الله وينزل الغداء من السماء وينجو القديس كبيراً كإنجاصفياً وهكذا يكون حسن الجزاء للمخلصين من الأصفياء والأنبياء وإذا اقتربت من البيت الحرام حضرتك الصورة المشرفة صورة غام الأبياء في طفوك وشبابه يتأفقها أراعي فغنم لا سلطان له ثم يبيأ مرسلات دينه الدنيا ويتود العالم ويوجه التاريخ ويصح عقائد البشر وآداهم وفرائدهم وعلى أسس رسالته ترتق الشعوب وتبنى الحضارات ، فإذا دخلت البيت الحرام تمثلت لك صور الأنصاب والأزلام زدهم بها جوارحه صلة في العقيدة واختلالا في العقول وتمثل لك مدى الجهد الذي بذله محمد ﷺ في أن يقتلها من أساكنها في البيت ويقتلها من لمكانتها في نفوس العرب وكانت أعر عليهم من نفوسهم .

وتنتظم حياتهم ، وربما كان ذلك لأن الله أراد أن يحتضن عبودية الناس في عبادته مكلفهم بمظاهر من العبادة لا تصل عقولهم إلى ذك أسرارها واستكناه حكمتها ليكون الاقنياد مظهر الخضوع والإخبات والرضا والتسليم وربما كان ذلك لأسر هو به أعلم ، وإن علينا إلا التسليم والتقبل . ولو قدر لك أن تشهد بالبيت اسلاج الفجر والاملاق المصح تلمر أنسواؤه أركانه وتفتش آفاقه ، وأنت تجاه الكعبة مشدود النظر إليها لامتلاً قلبك روعة وجلالا وقلت أن اللائكة تنزل إليك تفارلك أفراسك ومباهجك وتحمي إلى السماء دعواتك وتمنياتك وقد يزداد هذا الموقف عن نفسك حتى يردك إليها نداء المنادين ودماء المناهين ، فتعلم كيف أنت وأين كنت

إن وراء كل مناسك من مناسك الحج والعمرة قصة سادقة من قصص الصراع في حبيل المقيدة وسبيل الخير العام للبشرية تتمثل في سير الأنبياء وأنصارهم الذين شرفت لهم تلك البقاع فظلت مدى الدهر مهوى للفتنة والبيت والكعبة ومواطن (البقية على ص ٤٠١)

وإذا زامت لك الكعبة وكانت تسكف لك الحجب دون السماء فربط على قلبك حتى يفرغ روعك ، فأنت في حي بيت الله الذي اختاره ليطوف المسلمون حوله بقلوبهم وأرواحهم وجسومهم يستمرغون الوسخ في الدعاء والرجاء مؤملين الإجابة طامعين في القبول وإذا امتد بك الوقت وهدأت نفسك وسكن بهرك فربما ساءلت نفسك لماذا اختص الله هذا البيت بالشرف والبركة وربط به قلوب المسلمين برباط المحبة والإجلال حتى أصبح الطواف به والاكتعال بمرآة أغفل أمانى المسلمين ، ولماذا هذا الحب العارم تفيض به قلوب المسلمين فلا يستطيعون منه حلوا ولا يزيد تكرر الزيارة إلا أراما واشتعالا وقد تحاول أن نجيب فقول : ربما كان ذلك لأن الله أراد أن يكون رمزا لوحدة المسلمين نجمت حوله كلتهم وملتق عند قلوبهم ويأتمرون في رحابه في مشورتهم ليكون من وحدتهم قوة وعزة ، وهيبة ورحمة وربما لأن الله أراد أن يوحى إليهم باختصاص البيت وإضافته إليه وغيرته عليه أنه ينبغي أن يكون لكل إنسان حى عزيز يفار عليه ويدافع عنه ممثلا في وطن أو مال أو عرض لينتهاز الناس وتستقر أمورهم

الغزوة النكرى في ليلة الاسراء والمعراج

لعلنا نذكره بذكره

ومرى فكانت الروح ظل ركابه
فتأى البدور وكفى من أنزاه
يتهاون : من الذى أسرى به ؟
جعلت وجود الكون من أسبابه
قال النى بها ج — زيل دغابه
ملأ الوجود الحب من آداه
ما كان يغلبها سوى أحب — اه
روق سرى بين الورى وعضابه
حازت لديه منتهى بهج — اه
غبهود فرساً ناضراً لهبابه
فى الله أعظام حزبل ثوابه
بالضر يصلبهم أليم عذابه
تركوا الصلاة فعمم بمقابله
زمر الله — داة وجمت برحابه
حلماً يؤم للناس فى عرابه
نسرى كما يسرى السنن بسبابه
وسناً وكان الوحى ظل ركابه
فى دولة النصره عند طلاله
لنزوغ نجم شع بمد غبابه
كوبة فازت على أحبابه
وسمت على حبث الورى وتوابه

نور من الله للمع — فى معابه
أسرى به مولاه فى عسق الهجى
هبوا صباحاً يسألون من السرى
قيل : الملائكة والبراق وقدره
هى منحة رب السماء أفضها
نور تجسد الرعد والبهى
واه — — — — —
أخذوا البراق من البروق لأنه
فرأى النى من الحياة عجائبها
ألى مئات بمصدون زروعهم
سأل الأمنى : فقيل : قوم «جاهدوا»
وأتى على قوم تهلم هامهم
من هؤلاء ؟ فقيل قوم فرطوا
وهناك فى البيت المقدس أفلت
تخذوا رسول الله مصباح الهدى
لاغر وأن تمحو إلى هام الملا
قد كنت إنساناً ولكن من هدى
والمتحيل على الكفيف ميسر
حيك سكان السماء وهلكوا
وغدوت فى هذا المروج حقيقة
خلعت من الدنيا ومن إظلامها

فأراك من آياته ما لم يكن
 صور يسجلها الرمان حقيقة
 أقبل نفسك بأن رحمة أحد
 سبحانه وله الجلال إذا قضى
 مجيئاً لأبناء الخفيف ودينهم
 والله ما ظلم الإله عباده
 أغرتهم القذات فاشادوا لها
 فتأخروا عن ركب دهر حامل
 مسرى الرسول عدت عليه عمية
 والقدس منوى الأنبياء ومهدم
 حيراني مضطرب الجوائح صارخاً
 أرض السلام يغيب عن آفاقها
 والشرق إن لم تتعد هزmate
 وتحكم الباني المخبيل بأرضه
 يا أمة الإسلام أول دينكم
 لم لا تكونوا النور بمات الهدى
 نهل الرمة من الخفيف فلكوا
 حقوا رسول الله إن جمعت بنا
 يا منقذ الدنيا إليك نحية
 فذكراك عطر بيانه وعبيره
 لا زلنا دينك كربة منهل
 ومنازة تهدي الحياة سبيلها
 صلى عليك الله ما طلع الضحا

ليحول في خلد الخفيف الناه
 ونخطها الأقدار بين كتابه
 لله رب العرش من أعباءه ١١١١
 أسراً يكون الأمر عند حبابه
 جعل الملك الصيد من أمراه
 لكن تنهى الظلم من أوهابه ١١١١
 والغرب خادمهم يحلو سراجه
 وغدوا غرائس جهزت لثابه ١١١١
 تبني على الأمراض في عراه
 أمسى بش من القلى وعذابه
 من بقى صهيون ومن أوصابه
 نجم السلام ويختنى بسحابه ١١١١
 جعل الإله الدل في أمثابه
 ومشت جيوش الغرب فوق رقابه
 نفر الهدى فرض على طلابه
 وبيكم بعث الوردى بكتابه ؟
 وغداً جفاة السيد من أقطابه
 سفن الحديث ولم تقف بعابه
 من معلم رؤياك كل ربابه
 وهناك سر الرحمن في آدابه
 عذابا يريح القلب من أوصابه
 وهدى يفتح النور من عراه
 أو غرد الشادي على عبابه

محمد محمد بكرهول

محمد الفضل بن حكيوم

لأننا تأذمت الدوني

١ - فقد الفكر الإسلامي للعاصر
بعوث الشيخ محمد الفاضل بن حاشور مالاً
جليلاً ، و فقيهاً مجتهداً ، و احناً لغوياً
ضليماً ، و أديباً متمكناً مطبوهاً ، و مؤرخاً
دقيقاً ، و لا غرو فهو فرع من دوحه كانت
منذ عدة قرون - و ما زال - مثابة العلم
و العلماء في تونس .

٢ - نفاً الشيخ محمد الفاضل بن حاشور
كما أواماً آنفاً في بيت علم و أدب ، و بعد
والده الطاهر بن حاشور - متمه الله بالصحة
و العافية - هو أبرز هائم النهضة الحديثة
في المغرب العربي ، فقد جاهد الاحتلال
وقد عرفت الفقيه معرفة لقاء قبل
و قام بنحو ما سبق موقدم إلى مساعدات علمية
هامة ، كان من بينها أنه أرسل إلى علي
نفتة الخاصة مصوراً لكتاب لا يوجد
إلا في دار الكتب الوطنية التونسية .

(بقية المذخور على صفحة ٣٩٨)

العمائر و آثار الأنبياء و الصديقين و الأئمة
بالججيج على اختلاف ألوانهم و أجسادهم
تجمعهم وحدة العقيدة و الهدف ، كل ذلك
يترك في نفس القاصد إليها انطباعات تتعمق
في النفس شيئاً فشيئاً فتجعله دائم الشوق
و الحنين إلى هذا البلد الأمين مصداقاً
لهذه إبراهيم : « أجمل أفئدة من
الناس تهوى إليهم و ارزقهم من الثمرات
لعلهم يشكروني » .
و لقد لمعنا بهذه المشاهد و معنا في
ظلالها - سعدنا بالبيت و طفنا بالكعبة
وسمينا بين الصفا و المروة بمحذونا الأمل
في القبول و الرجاء في القبول فتي العود
و المنول ؟ أبو الوفا المرفي

الرعاية التي أصبغها عليه والده والتوجيه الذي كان يتمهده به ، فتنفج من هذه الجامعة العريقة ذات التاريخ المشهور في خدمة الإسلام وتراثه الفكري والحضاري وهو في نحو الحادية والعشرين من عمره .
٣ - وعين عقيب تخرجه مدرسا معاوناً في جامع الزيتونة مما يدل على أنه كان قد وصل بعد إتمام دراسته في هذا الجامع إلى درجة من العلم أهلته لأن يتولى التدريس في الزيتونة وهو مازال في شرح الشباب ، وكأه بهذا يعيد إلى الأذهان ما كان من كثير من فقهاءنا الأعلام الذين كانوا يجلسون على الأستاذ وهم في سن العشرين أو بعدها بقليل ، ولست مدرسا في الزيتونة وبخاصة في القسم العالي قرابة عشرين عاما أتى فيها كثيراً من المحاضرات في التوحيد والتفسير والأدب والفقه .

وفي سنة ١٣٦٥هـ انتخب رئيساً لجمعية الخلدونية ، وهي جمعية تهتم بالدراسات الإسلامية والأدبية في تونس ، ثم أنشأ معهد البحوث الإسلامية ، لتعريف بالعالم الإسلامي وقيمه الفكرية والحضارية ومشكلاته المعاصرة وما يجب على المسلمين أن يقوموا به لكي يعيدوا لهذا العالم

الأجنبي ، ومحمل على دفع الغزو الثقافي الذي كان يريد لبلاد المغرب أن تصبح قطعة من بلاد المستعمر ، فنفسى تاريخها وتحدث بنهر لغتها ، وتتغل شيئا فشيئا من عقيدتها وتراثها ، لقد قيس الله لهذا الجزء من الوطن الإسلامي - الذي تعرض لسياسة استعمارية حاقدة - رجالا مخلصين كالخوفا سياسة المستعمر الخبيثة ، وأنتدوا الثقافة الإسلامية وهروبها اللسان المغربي من كيد المحتل الغاصب ، وكان والده فقيدا عالم في طليمة هؤلاء الرجال الذين حملوا الراية وتقدموا المصنف في إيمان راسخ وجهاد هائب ، لحقق الله على أيديهم الخير الكثير .

في هذا البيت الذي رمى الفكر الإسلامي ولغة الكتاب العزيز وحرف الأبطال والجاهدين والعلماء والأدباء وقد الفقيه الكريم في سنة ١٣٢٧هـ وتلقى هروسه الأولى على يد والده حتى أجاد العربية وألم بعلوم الدين ، ثم أقبل على تعلم الفقه القرسية وبمداد أتقنها كمل دراسة العلوم الشرعية والعربية في جامع الزيتونة الأعظم ، وكان مثالا للجد والتحصيل والمكوف على المذاكرة والتعلم ، فضلا عن

منذ حياته العلمية المبكرة ، وكان يعرف
عن هذا التراث ما لا يعرفه بعض المهتمين
به والنفردين له .

ومنها أنه مثل تونس في مؤتمرات
الجامع العلمية مثل مؤتمري الاستشرفين
بباريس سنة ١٣٦٨ هـ ، ومؤتمري الثقافة
الإسلامية بتونس سنة ١٣٦٩ هـ ، ومؤتمري
العلوم التاريخية بباريس سنة ١٣٧٠ هـ
ومؤتمري المحامين من العرب بدمشق سنة
١٣٧٧ هـ ومؤتمري الأدباء العرب بالسكوت
سنة ١٣٧٨ هـ .

ومند إلقاءه بجميع البحوث الإسلامية
في سنة ١٣٨١ هـ وهو عضو به ، كما اختير
في نفس السنة عضواً بجمعية اللغة العربية
بالقاهرة

وكان له في كل المؤتمرات التي شارك
فيها - وهي عديدة ومتنوعة - دور
إيجابي وأثر واضح عن طريق أبحاثه
البتكرية ومنافعها للتمتع وتذليقها ، للنفيدة
• - ومن أبحاثه للبتكرية التي تبرز
تمتته في الدراسات القومية ، ذلك البحث
الذي ألقاه في مؤتمر المجمع العربي في الدورة
الرابعة والثلاثين تحت عنوان « المصطلح
المعقوب في للذهب للالكي » ، وقد استهـ

حايق مجده وهزته ، وقد ألقى في هذا
المعهد أكثر من مائتي محاضرة ألفت
الضوء على كثير من شئون المسلمين
وقضاياهم في الماضي والحاضر .

ولنشاطه الجهم وعلمه الغزير وآرائه
الناضجة عين مفتية للديار التونسية في
سنة ١٣٧٣ هـ ، وشغل في هذا المنصب إلى
أن توفي يوم الثلاثاء ١٥ من صفر
سنة ١٣٩٠ هـ .

وفضلاً عن قيامه بالإفتاء كان أستاذاً
للتدريس بكلية الحقوق ، كما عين قاضياً
للقضاء ، ورئيساً للمحكمة العليا الشرعية ،
رئيساً لمحكمة النقض والإيرام

٤ - وهو مع هذا شارك في مجالات
علمية مختلفة ، منها أنه تعاون مع مجموعة
من الباحثين في التعريف بمخطوطات
المزانن الزيتونية ، ولأريب ألقى دوره
في هذا المجال كان دور الرائد الخبير ، فقد
لقاً في بيت يضم مكتبة ضخمة جل ما فيها
مخطوط ، وقضى أيام طلب العلم بين
جدران هذه المكتبة وحله شغفه بالبحث
على التنقيب فيما حوته هذه المكتبة من
كنوز علمية مخطوطة وغير مخطوطة ، ولذا
كان وثيق الصلة بالتراث العربي الخطي

البحث عمل على فريد في باب ، وأنت صاحب قد تعمق فيه إلى أبعد أغواره فأحسن غاية الإحسان .

٦ وفي المؤتمر الأول لمجمع البحوث الإسلامية كانت قضية الاجتهاد من القضايا التي نالت قسطاً كبيراً من اهتمام المجمع وأعضائه ، وكان لعمالنا الراحل مشاركة في هذه القضية بسعت من الاجتهاد في ماضيه وحاضره بدأه بقوله : « جاء الدين الإسلامي يكشف للناس — في جلاء — حقيقة وجودهم فينهم من الغفلة التي كثروا ما استولت عليهم ، إذ توهموا وجود الإنسان مقصوراً على مظهره المادي : يتبدى بالميلاد وينتهي بالوفاة ، فدمام الدين إلى الإلغاة من تلك الغفلة ومعرفة وجودهم على وجهها الكامل ، بإدراك المبدأ والماد والافلاح من الأوهام والأباطيل التي حجبته تلك الحقيقة عنهم ^(١) .

ثم عرض — في إيجاز واف — الاجتهاد في أدواره المختلفة منذ عهد الرسول ﷺ إلى يومنا الحاضر ، وتساءل بعد هذا : هل انقطع الاجتهاد ؟ أو استمر مطرداً ؟

[١] انظر : كتاب المؤتمر الأول لمجمع البحوث الإسلامية ، ص ٥٦ .

بالإشارة إلى أن المصطلحات التي تزخر بها كتب الحقوق والعلوم القانونية قد استمدت من المصطلح الفقهي المشترك المتعارف بين المذاهب الفقهية وإن كان المذهب المالكي أغنى إمداداً وأوسع أنظاراً من غيره في هذا المجال .

ثم قدم بعد هذا في عبارة طليعة نخب إلى الإيجاز تطور نفاذ المصطلح الفقهي في المذاهب كلها مع بيان مناط الفرق بين مذهب ومذهب ، وقصص القول بعض التفصيل في المذهب المالكي ، وما اُهرق المصطلح فيه بمخامئ جعلت فقهاء القانون يرجعون إليه ويفتقدون منه أكثر من سواه .

وجاءت خاتمة البحث تأكيداً لتلك النظرية ^(٢) التي ذهب إلى أن الفقه القانوني الأوربي متأثر بالفقه الإسلامي وإن تلك المصطلحات الفقهية الأوربية تمتد بمجذورها الأصلية إلى هذا الفقه وبخاصة فقه المالكي .

وانتقلت كلمة المؤتمرين ^(٣) على أن هذا

[١] انظر : لتفريع الإسلامي وأثره في التشريع الأوربي ، للرحوم الدكتور محمد يوسف موسى .

[٢] انظر : مجموعة البحوث والمحاضرات للدورة الرابعة والثلاثين ، ص ٩٣ .

٧ - هنا طرف من آراء الشيخ
الفاضل في ميدان الدراسات الفقهية ، وأما
آراءه في مجال الدراسات النحوية واللغوية
فهي تنسم كذلك بطابع الاستقلال
والعمق والأصالة والاجتهاد ، ومن ذلك
مثلا أن كتب دراسة عن تحرير أفضل
التفضيل من قياس محوى فاضد ، وقد
أثبت في هذه الدراسة - ولا سبيل هنا
للتفصيل ما عرض له أن النحاة ضيقوا على
أنفسهم وعلى لغتهم حين التزموا قياما
لأفضل التفضيل لا يطرده مع ما نطق به
العرب وأن علينا أن نتحرر مما التزموا ،
ونتوسع فيها ضيقوا ، ولا يفرض علينا
هذا السطور الحضاري بقدر ما يفرضه
السماع المنوي .

وهذه الدراسة النقدية الجادة قدمها
الفقيه إلى مؤتمر المجمع النحوي بالقاهرة
في دورته ^(١) الثلاثين وأثارت بين الأعضاء
جدلا امتد إلى المجمع العلمي العراقي ^(٢)
بيد أنه الذي لا خلاف عليه أنها فتحت

[١] انظر مجموعة البحوث والمحاضرات في دورة
المجمع الثلاثين ، ص : ٥٧ .

[٢] انظر مجموعة البحوث والمحاضرات للمجمع
العلمي العراقي ، ومؤتمر الدورة الثانية والثلاثين ص ٩٣ .

إيفا كانه قد انقطع ، فإذا نعى
بتجديد ، وإلام نهض من ذلك ، وإن
كان لم ينقطع فالتى نفسكوه من أمرا
اليوم ، وما هو السبيل إلى علاج ما نشكروا
وقد رأى أن انزال الدين عن الحياة
العملية واندفاع تيار الحياة العامة بالأمة
الإسلامية فمجرى الهوى الذى ما جاء
الدين الا ليخرج بالكافرين عن دأبته ،
هو السبب في تخلف الاجتهاد في هذا
العصر ، والطريق الأقوم للعودة بالاجتهاد
إلى سابق مجده وقوته وازدهاره ، هو تبصير
الباحثين بأن الاجتهاد حركة عقلية في أحكام
الدين للشريعة لصالح الأمة وأن هذه
الحركة ، لن تثمر ثمرتها المرجوة منها
إلا باجتهاد جامعي منظم .

والواقع أن الإسلام يواجه اليوم موجة
حارمة من الكيد السياسي والعلمي ، وأن
على المسلمين أن يجاهدوا ويجهدوا
ليغنموا عن دينهم وأنفسهم ما يدر لهم
من الفكر السليم ، وكان بحث الفقيه
الجليل صرخة قوية تهيب بمطاء للمسلمين
أن يتلاقوا ويجهدوا ليؤكدوا لبشرية
عاطية أن هذا الدين صالح قولاً وعملاً
لكل زمان وكل مكان .

إنما تقوى وتتوثق ومما في الود إيماناً زكواً
وتتأكد عندما تعظم اللغات وتمتد
الأزمات فإن أحق الأيام بأن تعرف فيه
العربية أبناءها ويتعرفوا عليها ، وأن
تنعطف إليهم ويتعاطفوا عليها ، هذه الأيام
للدطمة التي جاء المدوان الحربي فيها بظاهر
الغزو الثقافي وامتدت فيها إلى العربية أيه
أئمة : هذه لعبت في أوطانها وتلك تضيق
على أنفاسها ، وأخرى تبث فيها الفتن
الروحية والفكرية .

٩ - وبعد فإن الشيخ الفاضل
ابن طاهر كان مفكراً جليلاً واسع
الثقافة ، أصيل للمعرفة ، فهو فقيه مجتهد ،
محترم عقله وأديب مطبوع يؤثر اللفظ
الجزلي والكلمة الرصينة ، ولذوى تذل
آراؤه الحسيفة على أنه كان إماماً في اللغة
كما كان إماماً في الفقه والأدب ، وكان فوق
ذلك تقياً ورعاً صالحاً خضع له بجوارحه
وفكره وأخلص له في جهاده ، وطاش
حياته كلها يدافع عن دين الله ولغة الكتاب
العزى والتراث الإسلامي العريق حتى لى
ربه راضياً مرضياً .

رحمه الله وحزاه كفاه ما قدم لعينه ولغته
وأمنه خير الجزاء

محمد السورقي

أفاقاً جديدة لتحرير النحوي العربي
من الشوائب التي شابته .

٨ - وللقيد فضلاحي دراساته التي
قدمها في للزعمات العلمية أو أبحاثه التي
نصرها في مختلف المجالات - وهي كلها
كثيرة ومتنوعة - مؤلفات أدبية وعلمية
وقومية ، منها الحركة الفكرية والأدبية
بتونس ، والتفسير ورجاله^(١) وهو كتاب
على وجازته يمرض لنقاء التفسير وأهم
أعلامه وخصائص كل مفسر مع الاهتمام
بالشهاب الألويسي وتفسيره ، ودعوة
الإصلاح الديني على يد جمال الدين الأفغاني
والإمام محمد عبده ، وتكملة للبار .

وسيطرت مأساة فلسطين على وجداني
الشيخ الفاضل فألف عنها كتاباً دحض فيه
مزاعم الصهيونية الخفدة ، وكشف عن
سياساتها الخبيثة وأطماعها التوسعية ودعا
في إخلاص إلى توحيد القوة لدفع هذا
المدو الذي يخطط ويمثل من أجل القضاء
على الوجود العربي كله .

وقال في كلمته التي ألقاها في مؤتمر المجمع
القوى الأخير : وإذا كانت صلات القرنى

[١] نشر هذا الكتاب مع البحوث الإسلامية
في سلسلة بحوثه للدينية .

على هامش المعراج

للأستاذ توفيق سح

إلى صراط العزيز الحكيم. وإذا كانت معجزتنا
الإسماء والمعراج ذات طابع لا يتبدل ،
وحوادث لا تتغير ، فإن القدر المتألق ،
والقلم الصانع ، يستطيعان أن يعرضاها
في معرض جذاب ، ويطوراها بالعرض
الجديد والتأمل الواضح ، وحسن التطبيق
تطويرا يجد فيه الناس غذاء قلوبهم وأرواحهم
وحامات مجتمعاتهم وسأقتصر في هذه
اللقاء على تحليل لبعض الجوانب الفنية
والاجتماعية التي تتضمنها حادثتنا الإسماء
والمعراج . راجيا أن تتحول هذه الإبحات
إلى مفاهيم واضحة ، تصبح أساسا لسلوك
الفردى والاجتماعى وبخاصة ما كان منها
مرتبطا بكفاح الأمة موصولا بحاضرها
إن ذلك يمنع هذه الأحداث تأنيدها وحبوية
لانفقا عند حد ، ولا ترتبط بالسكر
المجرد .

وسوف أسوق القصة في إيجاز واسع ،

من الصعب أن يتناول كاتب مهما أوتى
من العبقرية وحسن البيان - موضوع
الإسماء والمعراج من جميع أبعاد ، ومتى
نواجهه . ذلك لأن جوابه متعددة
ومتشعبة .. وكل جانب منها خلق أن
يجمع الأرواح وقضائر طاقات هائلة لا حد
لها متى أحسن تحليله - وأن يدلى الحياة
قيا سخية فاضلة متى جاد العرض وحسن
التطبيق ... أما الرد المسطح للأحداث
دون تحليل ، ولا تطبيق - فهو ازعراء
للعقول المثقفة ، واستخفاف بالعلم والمعرفة
في عصر يؤمن بالتخصصات ، وينطلق إلى
كل جديد جذاب في عالم الفكر والأدب
والفن والدين ...

وموضوع « الإسماء والمعراج » من
الموضوعات الهامة ، ذات الإبحات ،
التي تمكس على دنيانا الممتعة - أضواء توفيق
الروح ، وتحرك الوجدان ، وتقود مسيرتنا

لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله تعالى هيئاً وما الله بظلام للعبيد - ثم أتى على قوم بين يديهم حلم نصيح في قدر ولحم آخر في قدر حيث جعلوا أياً يكون من ألقم الخبيث ويدعوق الطيب فقال : ما هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هذا الرجل من أمتك تكون عنده أمة الحلال الطبية فيأتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طيباً فتأتي رجلاً خبيثاً فتبيت معه حتى تصبح ثم أتى على خفية على الطريق لا يمر بها نوب إلا شقته ولا شيء إلا خرقته قال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا مثل أقوام من أمتك يقدمون على الطريق فيقطعونها ثم تلاء ولا تقعدوا بكل صراط فوعدون وتصدون من حبل الله من آمن تبغونها هوجاء ثم أتى على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الرجل من أمتك يكون عليه أمانات الناس لا يقدر على أدائها وهو يريد أن يحمل عليها (أي أن يزيد الحمل ثقلاً على ثقل) .

ثم أتى على قوم تقرر أسنهم وخفاهم بمقاريض من حديد كلما قرضت حاجت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء

ثم أنبأها بالمعليق ، والتعليق والاستنباط مؤثراً رواية أبي هريرة رضي الله عنه ، لأنها أجمع الروايات في هذا المضمار وقد رواها ابن جرير الطبري ، وابن كثير العمري وهاهي ذي بتصرف بعد ذكر مسألة شق الصدر - أتى رسول الله ﷺ في سيرته إلى بيت المقدس - على قوم يزعمون في يوم ويحصدون في يوم كلا حصداً ما كانا قال للنبي ﷺ : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تصاعف لهم الحسنة بسببها ضعف ، وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه - وهو خير الزايقين - ثم أتى على قوم ترضع - أي تدق وتضرب - وعوسهم بالصخرة كما راضحت مادت كما كانت لا يفتر أي لا يتخفف - عنهم من ذلك شيء - فقال ما هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين تتناقل رؤوسهم من الملاء المكتوبة - ثم أتى على قوم على أقبالهم رفاع - أي مقدمهم - وعلى أدارم - أي مؤخرهم رفاع - يصرحون كما تصرح الإبل والنعم وبأكلون الضريم^(١) والوقوم وردف^(٢) جهنم وجاراتها قال : فما هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين

[١] الضريح والوقوم : أشجار لها شوك لا مسة

بالأرض يابسة جافة سامة تكون طعاماً للآتين

[٢] وردف جهنم وجاراتها : حساماً يكون جراً

ونظرة يسيرة إلى هذه الصور المتتابعة في سرعة خاطفة نجعلنا كأننا أمام (فلم) ناطق بالحكمة نابض بالحياة تتوالى فيه معاهد مجيبة ومناظر غريبة .

وكل منها يصور حقائق الحياة ، ودقائق المجتمعات وبمعالج بالحكمة والموعظة الحسنة القائمة على المحبة والإقناع مشكلات ضخمة وجرائم فاضية هي سر ما تعانيه المجتمعات من هبوط وسقوط .

ومما يجدر ذكره ولا يجوز إغفاله بحال أن سلسلة هذه الجسرات المتلاحقة التي شاهدناها رسول الله ليلة الإسراء تبرز جانباً من أهم الجوانب التربوية ، وهو الجانب التطبيقي وتتم به إلى أبعد حد وهذا بمنحنا انطباعات قوية بأن قضايا هذا الدين إنما تعتمد على التطبيق العملي قبل أن تتركز على الدراسات النظرية ، لكي تصبح واقعا للحياة وسلوكاً للأفراد والجماعات ، ومن ثم وصفت السيدة عائشة أخلاق رسول الله بقولها (كان خلقه القرآن) أي أن محمداً صلوات الله وسلامه عليه قد امتزج بالقرآن فأصبح ترجمة حية له ، وامتزج به القرآن فأصبح هذا القرآن تعبيراً عن أخلاق محمد العظيم - ومن هنا لم ينفى أن تتم التربية الحديثة بجانب التطبيق كما يجب على

فقال : ما هذا يا جبريل ؟ فقال : هؤلاء خطباء الفتنة ، ثم أتى على جبريل صغير يخرج منه نور عظيم لجمل النور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع فقال : ما هذا يا جبريل ؟ فقال : هذا الرجل من أمته يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردها .

ثم ذكر أبو هريرة أن رسول الله قد سمع صوت الجنة وأنها مهيأة لاستقبال روادها الصالحين ، وصوت جهنم وأنها مهيأة لاستقبال روادها الفاجرين وأنه صلوات الله وسلامه عليه قد أتى بيت المقدس وربط قمره إلى الصخرة ثم صلى مع الملائكة وأم الأبياء ، وأنهم جميعاً قد رحبوا بمقدمه ترحيباً حاراً بكلمات طيبة ، وأن الرسول الكريم نهض ليفكر لهم كريم خفاوتهم به فأثنى على ربه الذي أرسله رحمة للعالمين إلى خير أمة أخرجت للناس ، ثم ذكر أبو هريرة قصة الأواني الثلاثة التي قدمت لرسول الله ، إياه فيه ماء فحرب منه وإياه فيه لبن فحرب حتى روى وإياه فيه خمر فعافه رسول الله ورده وأن جبريل قال له إن الخمر ستحرم على أمته ، هذه هي الرواية التي سافها أبو هريرة

ساعة، لأنها كانت قد مهدت ذلك بالانحلال
والفسوق والذيلة وإذا صح لنا أن نستفيد
من هذه التجربة، فهو أن نعهد للنصر بتطهير
مجتمعاتنا من كل رذيلة وفساد لنصبح
على مستوى النصر العظيم، ولعل ذكر الصورة
المشرقة لنواب المجاهدين في إمار الصورة
الدائمة يترك هذه الأمة العربية المناضلة
أن اتصارها على العدو إنما يكون في أمرين:
تطهير مجتمعاتها من كل فساد أولاً، ثم
نهوضها بأعباء الجهاد ثانياً.

وما أجهل قصور نواب المجاهدين
في سبيل الله بمن يزدهر في يوم
وبمحمدين في يوم، وكلما حصلوا حاد الثمر
كما كان، إنما الحجة حجة تربطنا بواقعنا
وتدكرنا بأسباب النصر وترغبنا في الجهاد
في سبيل الله، وكلما يحاول عدونا أن ينفذ
الاتجاه الفاجر في هبائنا لينص رحيق
العافية من أهدانهم بما يقيمه من كتب
الجلس وأفلام القصور ليحقق أهدافه
الخطية التي تم ترد في هذا العرض المتلاحق
صور لقوى المضادة التي تقف بأفكارها
الحديثة وآرائها المتحررة ضد اتجاه المجتمع،
كخطباء الفتنة، وما أخطرهم في كل زمان
ومكان. وكذلك الباخلون بأموالهم على

المملين والرواظ أن يسوقوا الأمثلة الحية
حين يتحدثون إلى الناس والنماذج المؤثرة
ووسائل الإيضاح التي تضيء على أحاديثهم
لونا من الواقعية المحيية إلى الناس لا أن
يجنحوا إلى السرمد الممل والأحاديث النظرية
خذ مثلاً جرائم القعود عن الجهاد وترك
الصلاة وعبادة المال والتسول بالأمراض
واغتياث الحقوق وإتهام الحرمات واستباحة
الربا وأكل مال اليتيم والإيتاع بالأبرياء
وإفارة الفن والمناجزة فيها والفسوق من
أمر الله، إنها تفعل في مجموعها عوامل
التخللان وأسباب الهزيمة والانهيار للأمم
التي تنافسها وتتردى في حماها الويلة.

وواقع التاريخ قديماً وحديثاً يقرر هذه
الحقيقة، فأقوام ممن كانت لهم حضارات
مادية رائعة قد سقطوا لأنهم أضاعوا
الصلاة واتبعوا الشهوات وما أقوام نوح
ولو ط وعود وصالح وشعيب بمسدة من
عن أذهاننا فكلما أخذنا بذنبه فمنهم من
أرسلنا عليه حاصباو منهم من أخذته الصبغة
ومنهم من خففناه الأرض ومنهم من أفرقنا
وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم
يظلمون وفي التاريخ الحديث نعرف أن
الألمان اجتاحتوا فرنسا في أربع وعشرين

المعقل والوجداني الذي ارتقت إليه
الإنسانية في آمادها الطوال . . ومعنى
انتقال الرّوح إلى عهد أن النبوة قد انتقلت
من أمة إلى أمة ومن جنس إلى جنس معه
أدّلت وقفا على بني إسرائيل . دهور طويّة
وفي صلاته ﷺ بالمسجد الأقصى وعزّ إلى
احترام الأديان التي خرجت في رجاها الأيمن (١)

وفي ذكر الجنة والنار . . إنداد موجه
من السماء إلى كل أمة لاهية مائية تقارن
الردائل ، وترتكب الموبقات ، وتوضح
حتى لطريق الجنة والنار ، وفي حرم الرسول
الكريم على تهم الخلفاء ، والاستفسار
من المعاني بقوله : ما هذا يا جبريل ؟
يتجلى لنا لوف من الأدب النبوي الذي
لا يفرّج على الفهم ، ولا يستنكف عن
الاستفسار . . فيبدو أننا دخلنا الحوار -
إنسانا كاملا يحترم الحقيقة ويبحث عنها
في أدب جم وتواضع كريم . . وما أجدر
العلاء والمفكرين أن يتجلوا بهذه المسجة
الكريمة فلا تأخذهم العزة بالإثم . . وكم
نحن في حاجة إلى هذا الدرس النبوي حتى
نفقه حقائق وجودنا ، وأهداف ديننا
ودنيانا دون خجل أو حياء ودون ترفع
أو استعلاء . ولعل المرين والمعلمين -
ياخذون درسا توجيا مقيدا . . فيقهوا

أوطانهم - كالشجر المجهود الحربي ،
ولأوجه الخير المختلفة . . وكذلك القاعدون
قهمز والهمز وإعصاة الحرب النفسية
للإضرار بالمجتمع . . وفي ذكر إناه الدين
الذي تناوله رسول الله رمز حي لفطرة
هذه الأمة العربية المسلمة . وهي فطرة
نقية صافية كاللبن تأبى الانحراف ، وتترفع
على الآثام ، وتقوم على رسالة الخير ،
وحراسة معاني الرّوح ، ومحاربة الفسوق
والعصيان . . وهذا تحتل هذه الأمة مكانها
القيادي بين الأمم مملعة ورائدة . . وكذلك
جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على
الناس ، وإنما احتلت هذه الميزة لأنها
قاسم بالمعروف ونهي عن المنكر وتؤمن
بالله ، إنها أمة قد فضحت فيها عناء المجهود
ولهذا وشعبها للقدّر لهذا المصعب الجليل
والله أعلم حيث يجعل رسالته وفي إمامة
محمد ﷺ للأنبيا . . والتفائه بهم . .
ورمز لأخوة الأنبياء ، وتكامل الأديان
السماوية ، وما دام محمد هو الإمام . . فقد
ورث بهذه الإمامة تعاليم الأديان السماوية
جماء يدهو إليها ويصدق بها ويهتف في
أتباه بقوله الله : لا تفرق بين أحد من رسله .
وتجسد هذه الأديان في الإسلام والقرآن
متنفسا طلقا لها وتلخيصا أميننا لمبادئها ،
ويزيد عليها الإسلام ما يتناسب مع التفتح

[١] الشيخ محمد الغزالي في دقله للسيرة .

يخرج من قلبه ويحاول الدخول منه فلا يستلجم . . وهكذا . . صور طريقة جفافية تبرز المعاني في صور محسة واقعية تتحارب مع الشعور وتتوافق مع الطبع ، في بساطة مزج ، وإصابة هدف وجلال غاية . . وحسن إيجاء . فالخشب المعترضة في الطريق العام . . يجب لإراحة الناس من ضرورها أن تزال بكل قوة ، وكذلك الجالسون على قوارح الطرقات ، ومثلهم المنسكمون في الفوارع ، يجب أن يحاربوا بكل قوة حتى لا تنفث هذه الجرائم الاجتاعية . .

وهذه الصور بما تحمل من إثارة وتخيل ، وما يهابها من العروج إلى السماء ، ومحادثة الرسل ، كانت مصدر إلهام لكثير من أدباء العربية . . حتى يقال : إن رسالة الفقراء المعري أساسها هذه المشاهد في قصة الإسراء والمعراج ، ولقد كان المعري يخيل الخشب ، مصدر إيجاء لأدباء العرب من أمثال « داني » الفاهر الإيطالي في قصة « الكوميديا الإلهية » أو جسيم داني . وكذلك لثمن الفاهر الانجليزي في قصة (الردوس المفقود) (البقية على صفحة ٤١٩)

مادة الدرس للتلاميذ مهيأة بتخيلها الحوار ، ويحدها صاحب الحقيقة . . وفي هذه الرواية درس للبلاغيين والنقاد يتمثل وفي هذه الصور التمثيلية لرائحة . . التي جاءت مصورة للمعاني . . والتمثيل فن بلاغي رفيع . . ولست أدري لماذا لا يتجسس البلاغيون إلى هذه الصور الجذابة بالتحليل والعرض . . فهي مادة خصبة تثرى فن البلاغة وتغده روائح الأمثلة . . إن كل صورة من الصور السابقة قد تضمنت نقيبه هيئة بهيئة في وجه جامع بينها والوجه في أغلبها عقل . . وهو ما يهتم به السكاكي ويقصر التمثيل عليه ولا يكاد يقدم لنا من صورته إلا مثالا واحدا فليت قلنا قد تهدي إلى هذه الصور الحية فصورها لنا بأسلوبه . . إنه باب واسع أتركه لمقلداه ليستوعبوه . . ولناخذ مثالا : تصوير من يجلسون على الطريق لإيذاء الناس بالخشب المعترضة التي تمزق الثياب وتؤذي المارة . . وصورة من يتركزوجه الحلال ويأني غيرها بصورة من يترك اللحم الطيب ويتناول الثمن الخبيث . . وصورة من يخرج الكلمة الخبيثة المجرمة . . ثم يندم عليها فلا يملك استرجاعها بثور

المجرح والتعديل في عيالم السنة

لأستاذنا محمد نجيب المصطفى

يعتبر المحدثون في فافل الأخبار
شرطان : العدالة والضبط ، فالعدالة تتعلق
بدينه وخلقته بأن يعلم من أسباب الفسق
وخوارم الروعة ، ومن ثم كانت شروط
راوى الحديث تتفق وشروط الشهادة من
وجوده وتختلف من وجوده بالإسلام والبلوغ
والعقل والسلامة من أسباب المحرمات هي
الصفات للشركة ، وتعارض الشهادة من حيث
أنه لا يعتد في راوى الحديث الحرية التي
تعتد في الشاهد ولا الكورة ولا تعدد
الراوى ومن هنا فقد نبغ من الروالى
محدثون متفوقون كانت تعد إليهم الرجال
لثاق الحديث عنهم مثل قافع مولى
ابن ممر وعطاء بن أبى رباح القمى مولا هم
وعطاء بن أبى علقمة مولى الحرث بن نوفل
وعطاء بن أبى سلة مولى للهلل بن أبى صبرة
وعطاء بن يسار مولى ميمونة أم لؤثمين
ومحمد بن سيرين وإخوته أبناء سير بن موالى
أنس بن مالك والحسن البصرى مولى
أم سلمة والريشع بنت للنضر وعكرمة
مولى ابن عباس وطاووس بن كيسان

أما الشرى الثاني ، وهو للضبط فهو إتقانه
لما يرويه مع اليقظة وعدم الغفلة ، وجودة
الحفظ أو ضبط الذاكرة إن كان يروى
من كتابه ، يفقه ما يبنى على ما يرويه من
أحكام حتى يد طبع أن يؤدى ذلك مع
علمه بما يحيل المعنى عن المراد ، فلا يبعد
عن الحوى النص إذا نسيه وروى بالمعنى .

وقد شغل هذا الشرطان الفارهاى
رجال النقد وأصحاب الدواوين لا يباغى
العدالة على الرواة ، فمنهم من بالغ فيها حتى
جعل أى عمل أو رأى أو مقالة لا يرويه
في الراوى بدعة ، ثم بنى على الحكم بالبدعة
القدح في العدالة حتى جاء الإمام العظيم
أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخارى الجعفى
مولا هم صاحب الصحيح فدرأ كثيراً من
الشيء حول كثير من رواة الحديث ، وقبل
رواية كثير من الغيبة والمنكاحين ، فخرج من
كل عالم صدوق ثبت مع أى فرقة كان حتى

لأن الأسباب الحاصلة للأئمة على الجرح متفاوتة منها ما يقدر ومنها ما لا يقدر . وقد كان الشيخ أبو الحسن المتقدم يقول في الرجل الذي يخرج عنه في الصحيح : هذا جاز القنطرة - يعني بذلك أنه لا يلتفت إلى ما قيل فيه . وقال الشيخ أبو الفتح الفهرى في مختصره : وهكذا نعتدوه بقول ، ولا نخرج عنه إلا بحجة ظاهرة وبيان شاف يزيد في غابة الظن على المعنى الذي قدمناه من اتفاق الناس بمسند الشيخين على تسمية كتابيهما بالصحيحين ، ومن لوازم ذلك تعديل روايتهما قلت : فلا يقبل الطعن في واحد منهما إلا بقادح واضح ، لأن أسباب الجرح مختلفة ، ومدارها على خمسة أشياء :

١ - البدعة . ٢ - المخالفة .

٣ - الغلط . ٤ - جهالة الحال .

٥ - دعوى الانقطاع في السند بأن يدهى في الراوى أنه كان يدهى أو يرسل . وقال الإمام الترمذى : قد تكلم بعض أهل الحديث في قوم من أمة أهل العلم وضعفهم من قبل حفظهم ووثقتهم آخرون من الأئمة لجلائهم وصديقهم ، وإن كانوا قد هموا في بعض ما رووه ، وقد تكلم

ولو كان دامية كمران بن حطان وداود الحمصي ثم تبعه مسلم بن الحجاج القشيري فلا صحبه بالرواية ممن عرفوا بالثبوت ، حتى صار مجرد تخريج أى من الشيخين راو شهادة له بالمدالة والضبط والتوثيق ، ولا يلتفت بعد ذلك إلى ما قيل فيه .

قال الحافظ بن حجر في عدى السارى : ينبغي لكل منصف أن يعلم أن تخريج صاحب الصحيح لأى راو كان مقتضى لعدالته عنده ، وصحة ضبطه وعدم غفلته ، ولا سيما ما انفصل إلى ذلك من إطباق جمهور الأمة على تسمية الكتابين بالصحيحين ، وهذا معنى لم يحصل لغيره مع خروج عنه في الصحيح ، فهو بمثابة إطباق الجمهور على تعديل من ذكر فيهما ، هذا إذا خرج له في الأصول ، فأما إن خرج في المتألمات والفوائد والتمايق فهذا تنفاوت درجات من أخرج له منهم في الضبط وغيره مع حصول اسم الصدق لهم ، وحينئذ إذا وجدنا لغيره في أحد منهم طمنا ، فذلك الطمن مقابل لتعديل هذا الإمام فلا يقبل إلا مابين السبب مفسراً بقادح يقدر في عدالة هذا الراوى وفي ضبطه مطلقاً ، أو في ضبطه غير بعيد ،

وليس ذلك إلا الكفر، ويوضح قوله تعالى في قراءة حمزة والكسائي من سورة الأنعام : « إن الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا لمست منهم في شيء » قال الإمام الشافعي في الاعتصام : « ولقد فصل بعض المتأخرين في التكفير تكميلا في هذه الفرق فقال : ما كان من البدع راجعا إلى اعتقاد وجود إله مع الله كقول المبشية في علم عليه السلام أو كقول الجناحية : أن الله تعالى له روح يحمل في بعض بني آدم وينوارث ، أو إنكار رسالة محمد ﷺ كقول النوازية : أن جبريل غلط في الرسالة فأداهها إلى محمد ﷺ وعلى كان صاحبها ، أو احتباحة الحرمات وإسقاط الواجبات وإنكار ما جاء به الرسول ﷺ » انتهى ملخصا ^(١) قلت : وإما أن تكون البدعة من النوع التي يحكم بفسق صاحبها كبعض الخوارج والروافض الذين لا يقولون وغير هؤلاء من طوائف المخالفين لأصول السنة خلافا ظاهرا ، لكنه مستند إلى تأويل ظاهره مائت ، فقد اتفق العلماء على رد رواية الفئة الأولى من أهل البدع واختلفوا في الفئة الثانية ، فإذا جاء حديث في إسناده

يحيى بن سعيد القطان في عهد بن عمرو ثم روى عنه ، وكان ابن أبي ليلى يروي الشيء مرة هكذا، ومرة هكذا بنحو إسناده وإنما جاء هذا من قبل حفظه ، لأن أكثر من مضى من أهل المسلم كانوا لا يكتبون ومن كتب منهم إنما كان يكتب لم يعد الصالح .

وقال صاحب الروض الباسم : نجد كثيرا من أئمة الجرح والتعديل يترددون في الراوي فيوثقونه مرة وبضعفونه أخرى ، ذلك لأن دخول وجه في حيز الكثرة مما لا يوزن بميزان معلوم وإنما ينظر ويرجع فيه إلى التحري والاجتهاد ، فصار النظر فيه كخبر الفقهاء في الحوادث الظنية ، فلم يذابكون لابن معين في الراوي قولان التوثيق والتضعيف ونحو ذلك ، والاحتراز من الوم غير ممكن ، والمعصية مرتفعة عن المعدول ، بل المعصية لا تمنع من الوم في التبليغ

ولنتكلم مما أوجلتنا من أسباب الجرح الخصة :

١ - فالبدعة إما أن يكون صاحبها من جهة النظر خارجا عن المسألة بسبب ما أحدث فهو قد فارق أهل الإسلام مطلقا ،

من هذا صبه إذا كان مبروراً بالتحريز من الكذب، مشهوراً بالعلامة من خوار الرواة موصوفاً بالديانة والمباداة، نقد ذهب فريق من أصحابنا إلى قبول روايته مطلقاً، وفريق إلى ردها مطلقاً وفريق ثالث إلى التفصيل، فإذا كان داعية لبدعته فإنه لا يقبل وإلا فيقبل، وهذا المذهب هو الأصل في قول جمهور المحققين كما أضاف ذلك الحافظ بن حجر، وصارت إليه طوائف من الأئمة، وادعى ابن حبان إجماع أهل النقل عليه، لكن في دعوى ذلك نظر، ثم اختلف القائلون بهذا التفصيل، فبعضهم أطلق ذلك وبعضهم زاده تفصيلاً فقال: إذا اشتملت رواية غير الداعية على ما يفيد بدعته ويزينها ويمسحها ظاهراً فلا يقبل، وإن لم تفتقد تقبل، وطرد بعضهم هذا للتفصيل بعينه في مكس في حق الداعية فقال: إن اشتملت روايته على ما يرد بدعته قبل وإلا فلا، وهل هذا إذا اشتملت رواية للبتدع سواء كان داعية أم لم يكن على ما لا تعلق له بدعته أصلاً هل ترد مطلقاً؟ أو تقبل مطلقاً؟ ما أبو القاسم القعقي إلى تفصيل آخر فيه فقال: إن وافقه غيره فلا يلتفت إليه هو إنحازاً لبدعته وإطفاء لناره،

وإن لم يوافقه أحد ولم يوجد ذلك الحديث إلا عنده، مع ما وصفنا من صدقه وحرزه عن الكذب واشتباره بالدين وعدم تعلق ذلك الحديث بدعته، فينبغي أن تقدم مصلحة تحصيل ذلك الحديث ونشر تلك السنة على مصاحبة إمامته وإطفاء بدعته.

٢ - أما المخالفة وهي التي ينفأ عنها للعدو والنسابة، فإذا روى الضابط أو الثقة رواية غرورية من هو أوثق منه أو أخف منه أو أكثر عدداً منه بخلاف ما روى ولم يمكن الجمع فهذا يكون شاذاً إذا خالف الثقة من هو أوثق منه، فإذا اشتملت المخالفة مع قوة الحفظ مع قوة حفظ المخالف كان منكراً قال السيوطي في ألقيته:

وقد العوذ ما روى المقبول مخالفاً أرجح والمجمول (أرجح محفوظ) وقيل: ما انفرد لو لم يخالف قيل: أو ضبطاً فقد للنكر القوي روى غير الثقة مخالفاً في نخبه قد حقه قابله المعروف والقي رأى زادف للنكر والفاظ بأي

٣ - وأما الباب الثالث من أبواب الجرح وهو الغلط فإنه إذا استفاض من

الراوى ولم يتابع فوقتنا في قبول روايته والثابتة مثل حديث خالد بن عبد الله حدثنا خالد عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ دخل على رجل يعودده الحديث .. من صحيح البخارى ليرويه أيضا البخارى من طريق عبد العزيز بن عثمان عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس : الحديث فكل من عبد العزيز وخالد بن عبد الله في روايتهما عن خالد تسمى متابقة تامة ، وكذلك إذا روى ثقة آخر هذا الحديث عن خالد عن عكرمة يسمى متابقة تامة فأذا روى شعب آخر هذا الحديث فهد خالد عن عكرمة بحيث متابقة فاصرة وهذا الموضع الذى اتفاه في معرفة الثابتات أو القواعد أو العلل يسمى الاعتبار ، ولا اعتبار هو الهيئة للوصلة إلى ذلك ، أما القواعد فهي أن يأتي الحديث من طريقين يأتي حديث آخر بمعناه يعضده ويقويه ، فهذا هو القاعد - وقد يسمى القاعد اعتبارا تميزا كما في نخبه الفكر .

٥ - أما السبب الخامس والأخير من أسباب الجرح وهو دعوى الانتطاع في السند

[١] المجموع بتكثفنا حيث بدأ الإمام النووي وأخذه الإمام السبكي حتى أتمناه فصدوا الجزء السابع عشر وبين جزآن تحت الطبع حيث أحدث الناشر فيه عددا كان محل تعدد الباحثين والمناهج - راجع عنه سير الإسلام عند جسادى الأولى سنة ١٤٩٠ والاحتصام عدد ربيع الآخر .

٤ - جهالة الحال وهي جهالة لادحة في الحديث مجردة لراويه إذ من شرط الصحة المدقة والضبط ولا يحصل هذان الشرطان إلا إذا انصف الراوى بهما فأذا عرف بهما

يفضلونهم في الحال والرتبة ، لأن هذا عند
أهل العلم درجة رفيعة وخصلة صنية . ألا ترى
ألك إذا وازت هؤلاء الثلاثة الذين ميمنام
عطاه ويزيد وليثا بمنصور بن العتسر
وسليمان الأعمى وإسماعيل بن أبي خاله
في إتقان الحديث والاستقامة فيهم وجدتهم
مباينين لهم لا يدانونهم ، لآنك عند أهل
العلم بالحديث في ذلك الذي استفاض عندهم
من صحة حفظ منصور الأعمى وإسماعيل
وإتقانهم لحديثهم اهـ ، وقد يأتي الإسناد
وفيه الثقة العدل الحافظ فيقدم عليه غيره
ممن لا يقل عنه حفظا إلا أنه أكثر ملازمة
لمن روى عنه ، وأدعى إلى أن يكون موضع
علمه ومستقر محفوظاته فنلا يأتي الإسناد
من الهرمى (طارق بن شهاب) فإذا عرفت
أن أصحاب الهرمى على خمس طبقات
لكل طبقة منها حزية على التي تليها من
القرن والجمد وطول اللازمة وندرتها إلى
جودة الإتقان والحفظ أو صونهما عرفت
كيف نقيم حكنا على روايات الهرمى
رضي الله عنه ، فالباقة الأولى : مثل ذلك
ابن أنس ويونس بن يزيد وعقيل بن خاله
الأيلى وسفيان بن عيينة وشعيب
ابن أبي حمزة .

بأن يدمى في الراوى أنه كان بدلس أو يردل
فإن وجد التمرجج بالسماع فيها اندفع
الاعتراض خصوصا إذا خلا الراوى من
الأسباب الأربعة التي أثبتناها آنفا .
وقد أوضح مسلم بن الحجاج في جامعه
الصحيح أنه يروى ممن لم يصطبهم متابعات
أو هوامد الروايات الأصلية على سبيل
الاحتماب ، فيذكر أسماء الطبقة الأولى من
المدول المضابطين أو الحفاظ للتقنين كنصور
ابن العتسر والأعمى وإسماعيل بن أبي خاله
ويونس بن يزيد وعقيل بن خاله الأيل وماك
ابن أنس وسفيان بن عيينة ، وشعيب بن أبي حمزة
والأوزاعي واليث وغيرهم فيقول : فإذا
نحن نقصينا أخبار هذا المصنف من الناس
أتبصاها أخبارا يقع في أسانيد ما بعض من
ليس بالموصوف بالحفظ والإتقان كالصنف
للقدم قبلهم على أنهم وإن كانوا فيما وصفنا
دونهم فإن اسم المتر والصدق وتعالى العلم
يحملهم كعطاه بن السائب ويزيد بن أبي زياد
وليث بن أبي سليم وأضرابهم من حال
الآثار ونقال الأخبار ، فهم وإن كانوا بما
وصفنا من المسلم والمتر عند أهل العلم
معروفين فغيرهم من أقرانهم عن عندهم
ما ذكرنا من الإتقان والاستقامة في الرواية

وشرطه ، والطبقة الثانية فيها شرطه
ولكن يوردها البخاري تابعة للطبقة
الأولى ، ومسلم يروي من الطبقتين على سبيل
الاستيعاب ، ويخرج الطبقة الثالثة على النحو
الذي يفعله البخاري ، والرابعة لا يروي
عنها الفيضاني شيئا ، أما الخامسة فأبدها
ما يكونان من التفكير في ذكرها لافي للتوفيق
للعلقة ولا في القواعد ولا المتابعات أثبتة .
« يتبع »

محمد نجيب الطيبي

والثانية : مثل الليث بن سعد والأوزاعي
وعبد الرحمن بن خالد بن مسافر وابن أبي ذئب .
والثالثة : مثل جعفر بن برقان وسفيان
ابن حسين وإسحق السكيت .
والرابعة : مثل زمة بن صالح ومعاوية
ابن يحيى الصدفي ولثنى بن الصباح .
والخامسة : مثل عبد القدوس بن حبيب
والحكم بن عبد الله الأيلي ومحمد بن سعيد
القاسم للصلوب :
الطبقة الأولى طبقة استيعاب البخاري

(بقية المنقول على صفحة ٤١٢)

وأصاليها ، وبعضها يصور مكانة الأمة
العربية المسلمة ، ومكانة رسولها العظيم ،
ويجمل مركزها التباهى في العالم مرتبطا
بأداء رسالتها . . رسالة الحق والخير
والسلام ، لتظل دائما أمل العالم ، وقبة
رجائه ، في سلام يقوم على العدل ،
وحضارة تقوم على النقاء والعلم ، ومستقبل
مشرق يهر للعالم أجمع ويومئذ يفرح
المؤمنون بنصر الله . . والله ولي التوفيق ؟
توفيق محمد سبع

تكرر هذه القصة بهذا الاعتبار ذات
أثر عميق في أدب الشرق والغرب . .
وبعد . .

فهذه بعض الانطباعات التي تركها قصة
الإسراء والمعراج في النفس - بعضها
يعرض الجرائم الاجتماعية في صور منقرة ،
وبين آثارها السيئة في المجتمعات المنحرفة ،
وبعضها يرسم سورا أخاذة الخير الذي
يقود المجتمع إلى المجد والرفعة وبعضها
يرسم مناهج صالحة لتربية في أهدائها

محمّد أبو اليعقوب *

للدكتور محمد درجس البيومي

— ١ —

مارن صداه في كل أذن ، وسطر من رائع
المقالات الاحصائية والأدبية والدينية
في مدى أربعين عاما من حياته ماجدلي اسمه
بتلا في كل أفق باهر الضياء ، جذاب
الانتماع ، بحيث لو اهتم ناسر بجمع ما كتب
في الأهرام فقط من المقالات المتتابعة في كل
مجال لوجه من آثار الرجل في صحيفة الأهرام
وحدها ما يملأ بضعة مجلدات ، ولو كان
الرجل ممن يهتمون بالغزود الأدبي لفكر
في جمع هذه الآثار في كتب خاصة كما فعل
زملاءه من الكاتبين ، ولوجد من
الناس من يوجب بإخراج هذه الآثار
في مطبعة يلق بمكانة عالم جليل ومصليح
كبير ولكن الرجل نسي نفسه فكاد أن
يلساه الناس في زمن لا يقدر المخلصين من
ذوي الحجة النائرة تقديره لدوي الطبول

تمر مواسم الكرى لحيل الناجية من
الملاء والمخلصين من رجال الدين دون أن
تجد لها صدى فيما تقرأ من الصحف
وما تسمع من الإذاعات ، فإذا سألت عن
ذلك قبل ذلك إذ هؤلاء الراحلين من الأعلام
نسر من الخاصة لا يمتنى الجمهور العام أن
يتبع آراءهم العلمية ومواقفهم المنهجية
وإنما يرجع واجب التاريخ لجهودهم إلى
تلاميذهم فيما يصدر من كتب وبحوث
وهو رد متكلف واهن لا يحتل الرد ،
وإذا سلمت به جديلا فقط فلك أن تسأل
هؤلاء عن مصليح كبير مثل الأستاذ محمود
أبو العيود يعرف العامة قبل الخاصة جهاده
الحافلي في شتى ميادين السياسة والاجتماع
والأدب والفن ، إذ نادى مع معارك الإصلاح
[١] ومدت القراء في عدد ما أن أنعت من
جهاد أبي العيود ، ولعل قلت لأن .

محمود تيمور بالخير والتقدير أنه كتب فصلاً تحليلياً رائعاً من أبي العيون في كتابه «ملاح وغضون» ، فجلا شخصيته الرائعة أبدع جلاء وامتنعت ربة الفنان المصور لدى القصاص الكبير أن تميز صورة الرجل الخالد في سلاحه القوية وقسماته الباهرة إيراً ذل على مهارة واقتدار ، فكان تيمور وحده ^(١) الأديب الكبير الذي التفت إلى تقدير مصلح مامل غمط حقه بين معاصريه ، وقد ذكر الأستاذ تيمور أن السبب في محاربه البغاء أنه قرأ في بعض الصحف بعد هدوء ثورة سنة ١٩١٩ من قس أوربي قام بمناهضة البغاء في دولته فانتفض الشيخ انتفاضة صارخة إذ هاله أن يسبقه قس إلى محاربة منكر لا يعترف به دينه وجمع حزبه فقيام بدور القس الأوربي ، وأعتقد أن مثل أبي العيون لم يكن في حاجة إلى أن ينبهه قس أوربي إلى واجب ديني يؤمن به من يقين .

فقد كان الشيخ منذ نشأته ينكر لائحة سنة ١٨٩٦ التي ألبحت البغاء في عهد كرومر ، وبراهم صبة شتاء ، وفضيحة

المهاتفة من مصطفى صغار الكاتبين من رجال الصحافة ليورا الحديث عنهم في مناسبة وغير مناسبة ، وما يحز في النفس أن الرأي الأدبي العام مع انتشار التعليم وتزدعار الجامعات لا يكاد يترق بين الأصيل والذخيل ، ولعل في إنصاف السماء لمؤلاه العاملين في ملتهم الأعلى ما يهون إجحاف الأرض حين يتنامى الخلف مآثر السلف من جعور وإهمال .

أقد فاد الأستاذ أبو العيون معارك كثيرة شكلت بنصره ، وأبرزت عن معدنه الثمين حين احترق بنار الكيد والوقاحة والفس ولن يستطيع مقال أو مقالان أن يلم بأبناء هذه الممارك الرائعة ، لذلك نجسرى بالإشارة إلى معاركه الظاهرة مع البغاء الرسمي والاختلاط الجنسي في الشواطئ وإهمال التعليم الديني في المدارس الحكومية حقوق قيادته السياسية لفتاب الأزهر في ثورة ١٩١٩ ، وهي معارك فاصلة ذهب الرجل العظيم بفنصرها الخالد . إذ رسم صورة صاحب القضية النموذجي بين الناس حين دعا إلى الخلق الخي والإسلام النقي والحق والصريح .

إله عايد كركاتب الكبير الأستاذ

[١] أما الأستاذ النصف أنور الجندي فقد خصه بيت تحليل في كتابه [أعلام وأصحاب أعلام] أود أن يرجع إليه القراء .

يندى لها الجبين ، ثم اهتملت نوره
 الناضبة فتركت كالبركان للتهب حين قرأ
 بمنى ما ذكرته اللجنة الدولية للتأمة
 لمصبة الأمم في تقريرها الخاص بتجارة
 الرقيق ، وقد جاء فيه « وقد أصبحت
 مصر ميدانا هبوبا وسركزا هاما من
 لاراكر الدولية التي يند إليها حماة البغايا
 يجلبون من صائر الأنظار ، ويمكن
 في مصر دينا يؤهلن ثم تنق بها من غارس
 البناء إذا وضيت بالإقامة في مصر ، فإذا
 زاد المدد ذهبت البقية إلى مختلف الجهات »
 ولا أدل على تصوير نفسية أبي العيون
 من قوله تمقيبا على ذلك « استر وجهك
 يا صاح غيبك من شر سماعة فلمعري
 لا يسمع ذلك القول كريم إلا استغنى
 ثوبه ، وغلى وجهه ، وتنى أن لو اضرجت
 الأرض تحت قدميه فابتلته أو مادت به
 فأهلكته ، وارجته ، لقد فقدنا كثيرا
 من معاني الحياة أحوج ما نكون إليها
 في سركنا للضطرب والتي لا غنى لامة
 ناهضة منها ، فقدنا استقلالنا السياسى أو
 هو على الأكثر في الليزات ، فقدنا
 استقلالنا الاقتصادى ، فقدنا استقلالنا
 العلمى ، وحتى الشرف في الزاد ! فإذا قى لنا !

لقد رأى أبو العيون أن محاربة البناء
 جهاد لا يقل من جهاده الثورى حين نمرض
 إلى الرصاص في مظاهرات الحرية ، فصر
 للزم لاستنصاه ، وبدأ الحلة بنشر مقال
 بجريدة الأهرام تأيها بحولات يظن في
 أحياء البناء بالمصاصة ، فصرف الأماكن
 للبوذة وأحصى ضحاياها وصلادها ،
 وأصحاب النعمة في إدارتها ، واستكتب
 الأطباء ليتحدثوا عن مآسى البناء
 وأراضه ، والاجتماعيين ليعالجوا الوضع
 بعد الإلفاء ، ثم أصدر كتابه « مذبح
 الأهراس » حافلا بما يسمى وبمجهل
 لضائح البناء مدفوما بالإحصائيات الدقيقة
 والأرقام الكاشفة ، ولعل من الاعتراف
 بالحق لأهل أن نذكر أن الأستاذ داود
 بركات رئيس تحرير جريدة الأهرام قد
 أبد الأستاذ أبا العيون تأييدا منقطع
 النظر ، ففتح له أبواب الجريدة الدائمة
 ليقول كل يوم ما يراه ، إذ أن داود
 بركات كان ممن شغلوا أنفسهم كثيرا
 بمحاربة هذا الهاء قبل صيحة أبي العيون
 وقد ترجم في سنة ١٩١٢ كتابا خاصا بذلك
 نقله عن طبيب انجليزى كبير ، ثم أمهم
 بتأييد الشيخ بمقالات واهية ذات حجج

على الدين والبكاء على القضية ، فكملمات جوفاء لم يقصد بها الشيخ لأكثر من خداع الجمهور وجره وراءه مصفقاً ، أما الدعوة إلى إلغاء البغاء الرسمي مع انتشار البغاء غير الرسمي ، فلا معنى لها إن مهمته أن يقول إنه البغاء حرام وقد قالها أما أنه يلبس ثوب الطبيب فتطفل من الشيخ غير معقوله ، وأن ما بنى في أجيال لا يمكن هدمه في يوم ، وليس أبو العيون بمن يستطيع أن يجد العلاج ، فهو أصغر من ذلك جداً ومن الإحرام أن يتخذ الرجل اسم الدين لإثارة موضوع لطيف !!

والعقاد العظيم يندفع لمهاجمة الرجل أيضاً في (البلاغ) وبجة روز اليوسف تتحدث بأسلوب ساقط مختل ، وسلامه موسى يهاجم الإنشاء بتمصلات زائفة ١ وكل ما قيل يدور في فلك جريدة السياسة ويحط في عباراتها إذ هي صاحبة الممول الكبير ولم يسكت أبو العيون عن مناوئيه فجادلهم بالتي هي أحسن إذ أخذ المنور وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين ، وقال لمن يزعمون أنه افتسأت على حقوق الأطباء والمشرعين في موضوع هم أولى الناس بالحديث عنه ، إنه وجع في مقالاته إلى

عقلية لا يتطرق إليها الفرحين ، كما صدر كتاب الشيخ (صفة ذهبية) مقدمة رنانة تهتم معاوى الخصوم ونصف بها كالهباء ١ وكان الأستاذ أبو العيون يتصور في بادئ الأمر أن دمونه لن تجرد معارضا من الناس ، فهي دعوة الحق والإنسانية والكرامة ، ولكنه فوجيء بأكثر الجرائد اليومية والمجلات الأسبوعية تفن عليه حملة ظالمة تهمه بالادعاء والتناقض وحجب الظهور بل توقعت بعض المجلات الساقطة فرسنت لأبي العيون صوراً كاريكاتورية مع بعض البنايا في مواقف خليعة دون أن يعصمها خلق أو حياء ، ولو كان معارضو أبي العيون من الأغراب الأدعياء لمكان الأمر ، ولكنهم أهل السلام الأدب والصحافة في دنيا الناس ، لجريفة السياسة توالى حملاتها الظالمة على الرجل فتقول فيما قالت : « الشيخ أبو العيون يعرف قبل غيره أنه ضجته الكبيرة غير توبة وأن ليس من حكومة وشيعة تأخذ بما يدعو إليه من رفع الرقابة العصرية عن فئة تفسد من الناس رعى بها البغاء إلى بؤرة للبغاء ، وهو يعلم أنه لا يقصد إلا الدعاية لنفسه والإعلان عنها ، أما الفيرة

المديرية في هدم دور الدارة ، وإلغاء مواخير القس ، ونولا أن وقفت إدارة الأمن العام حبر عثرة في طريق الحق لما بين تلك البؤر عين ولا أثر ، وحيتتم ذلك الصوت الصارخ رجال مصر في برلمانها وسيكون الفصل في المسألة على أيديهم .

لما إلى صداحة تطرب الوري

وأما إلى نواحة في المآثم

وإذا كان معارضو الفبيخ من زعماء الفكر في الوطن ، ولهم أفلامهم القوية ، ومحفهم اليومية الدائمة ، فقد كان الفبيخ كفيلا بعد تيارهم الزاحف ، إذ استنض أنصار القضية من أسراء ووزراء وعلماء ليقفوا معه ، وبدأ للصمى بالاتصال برئيس الوزراء وأعضاء وزارته مسجلا كل ما يقولونه ، فنائراً إياه على صفحات الأهرام ، وكان ذا أسارب مقنع في النقاش لا مجال به لخطابة السطحية والشفقة اللسانية ، ونقل مثالا عليه من حديثه لرئيس الوزراء (آنذاك) دولة على يكن باشا وهو قوله :

« الدارة يادولة الوزير نطمت لأمرين :

(١) مراقبة للرياضات بالكشف ومزلهن

عن الاختلاط . (٢) حمر دائرة القس

آراء الأطباء الموثوق بهم ، والإداريين والمتفرعين ، فلم ينفرد في ذلك برأى ، ثم أن المسألة تتصل بانحن فما يجوز للأستاذ فكري أباطه - مثلاً - أن يقول إن إلغاء البغاء جريمة وأن يدفع دفعاً فرعياً قانونياً بعدم اختصاص أبي العيون ، لأنه عالم دين ومن صميم عمله أن يحارب ما نهى الله عنه ، وأن النظر إلى الأمر الواقع باعتباره مسألة لا غنى عنها مسألة تمنع كل إصلاح وتعيد قول الدين كانه عنهم التران الكريم : « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون » .

ثم واجه هؤلاء جميعاً بصيخته الرائعة التي يفتتح بها كتابه (صفحة ذهبية) وقد صدر غب الممارك الطاحنة سنة ١٩٢٨ فقال عن نفسه : « يميناً لا تقبض تلك اليد بعد أن بسطناها ولو صاحبها السيوف البوائر ، لقد اعزمتنا أفندافع عن أمراض هذه الأمة المسكينة وأن نذود من عقابها ذباباً حقا مستهزئين في ذلك لكل خطر حتى جدد الأنف ودق العنق ، لقد صرخنا في صيغة الأهرام صرخة مدوية لبأها أهل الحق فهدوا إلى قلب الباطل نهدة صادقة كان لها الأثر الظاهر إذ تعاقبت بحال

سعيداً موفقاً إذا كنت من العاملين على إزالة هذا المنكر الفظيع .
وقد حاول نجيب اللال بك بمحض وزير المعارف على الشمسى بأنها أن يعترض أبا الميوت بقوله : « إن لنا ليس بتشريع هندى ، ولكن الحكومة تنظمه فقط » . فقال الشيخ صريحا : « إن الحكومة تمنحه وتشجع الناس على ارتكاب الفاحشة وتسمح للفنان بدفع المال الموافق فيكون مصيرهم مصير الباغيات ، وعندى إحصائية رقية بذلك وأخجل من التصريح بأكثر مما ذكرت » .

كما كان الأستاذ لبقا سياسيا حين قال معقبا عن هجوم بعض معترضيه بقوله : « إنه لا يستقل بمفروع خاص في محاربة البغاء بل يسكل الأمر إلى لجنة ذات كفاءات مقنونة تعمل القانون والطب والاجتماع والسياسة » كما صرح جزئيا بأن بوليس الآداب الذى يتذرعون بكفائته قد أصبح مروجاً للفساد بدل أن يكون مانعاً له ، وقد استعصى على الطب أن يستأصل غوائل البغاء فلم يبق غير احتشال الأساس ثم استشهد برأى زعيم حطير قال فيه : « وقد رأينا بعض الكتاب يسألون ماذا تكون

في نطاق خاص ، وقد ظهر بالاستقصاء أن الكشف لم يؤد إلى نتيجة مرغوبة ، بل بالعكس كان مائلاً للأعراض السرية ، وكذلك لم يحصر الفسق في دائرة « فإن التدوير الرسمية في العاصمة مثلاً على عرب الحمدي والودعة وسهدي زينهم ، وهناك دوائر يضيق منها الحصر كالمهبطات والعمارات والأكشاك على شواطئ النيل ، والجارسنيرات والبانسيرات ومحال التديك والمطابخ والبسوت السرية » الجهرية « وهي دائمة في كل شارع ومضيق » ، فلم يسع رئيس الوزراء إلا أن وافق وجدد .

كما ننقل محاجيه لفتح الله بركات باشا وزير الزراعة حين قال عليه : « علينا أن نبعث هل هناك قوانين تنفد أمام الإلغاء ونحتاج إلى تدليلها أو أن هناك عوامل سياسية تمنع تنفيذ هذه الرغبة المبررة فنأخذ في معالجتها » .

فرد أبو الميوت سريعاً بقوله : « إن لأئمة الماهرات صدرت بقرار من وزارة الداخلية ، فهي ليست بقانون ، بل بقرار ولا يحتاج إلغاؤها إلا لقرار وزاري مثله ، فوافق فتح الله باشا وقال : سأعد نفسى

ذلك هو موضوع التعليم الدينى ووجوب
تقريره بالمدارس المدنية دون إبطاء ،
إذ أنى أحد الشباب الثائر على عاربة الشيخ
البغدادى قد كتب فى بعض الجرائد يقول
« ماذا يصنع السراخون إذا أُنهى البناء
الرسمى وم ما بين من الرابعة
خمس والثلاثين ، ولا تسمح ظروفهم ،
الاقتصادية بالزواج العاجل ، وم عاجزون
عن النفقة على أنفسهم فكيف بزواجهم
ومن يجد من أولادهم ، ثم يدفع للكتاب
إلى حديث سقيم يتحدث عن حرية المرأة
ووجود خلاصتها من تبة رجل مريض وعن
سكاح المتعة وقرب العلة بينه وبين البناء
إلى ما لا طائل نفعه من الهراء الذى يعتمد
على القهقور دون الابواب طامنا بذلك أنه يضع
فى طريق أبى العيون حجرا ثقيلا لا طاقة
له بإزاحته ، ولكن المصلح الدائب قد
أدرك مكن العلة فى كل ما ينحدر إليه
الغيباب من انحراف ، وهو الجهل المطلق
بالتربية الإسلامية والاغتراب الشائن عن
رعاية الدين ووقايته ، فصرأى أن المناداة
بتدريس الدين الإسلامى باعتباره مادة
أساسية فى المدارس المصرية بما يدفع خطر
(البقية على صفحة ٤٣٦)

حالة هؤلاء النسوة بمد غلق مواخيرهن ،
وهذا السؤال يعينه يصح أن يقال من كل
فرقة ترتزق من السبل المحرمة إذا ما أغلقت
فى وجوههم هذه السبل كالتجربين فى المواد
المخدرة وغيرهم ، وبمعظم يخاف من انتشار
الأمراض السرية إذا حرم البناء الرسمى
ورفعت الرقابة الطبية ، وهذا منطق
مكوس فإن الإباحة أشد لثرا لهذه
الأمراض من التحريم ، وهذا هو المشاهد
الملموس ، وواجب الحكومة يقضى بمنع
الحرمات والأمراض الاجتماعية الناجمة من
منعها لا أن تبيحها ثم نزهم أنها تقاوم
ما ينشأ عنها من أخطار ، مهما يكن من
دوى فقد طالت المعركة بين الشيخ وخصومه
ولكنها انتهت أخيرا بانتصار رأيه إذ
أعلنت الحكومة فيها بعد إلغاء البناء
نهائيا من البلاد ولم تصادف من العقبات
ما توهمه المعارضون ، ووضع بحسبلاء أن
أبا العيون لم يكن أصغر من الموضوع
الذى تعرض له ، بل كان كفتا لكل
قازة يقف منها موقف الشجاع الأبى حتى
يذوق حلاوة الانتصار .

وقد تمتح له موضوع البناء من موضوع
آخر لا يقل أهمية وخفرا إذا ترك بلا علاج

من الأصول السياسية والدستورية في الإسلام

للككتور مصطفى كمال وصفي

الحرية الإسلامية (١)

— ٥ —

تعرف الحرية - بصفة عامة - بأنها قدرة الفرد على أن يفعل ما يشاء في حدود القانون . وهذا التعريف يحتمل بعض التعميل - كما سنرى - إذا ما أردنا أن نحدد الحرية في نظر الإسلام .

نظريتان أساسيتان في الحرية : واحدة النظرية الفردية ، وهي تذهب إلى أن الحرية الفردية مطلقة في الأصل وأنه لا يجوز تقييدها إلا بقانون تصدره السلطة التشريعية ، وأن السلطة التنفيذية معزولة

تماما عن التدخل في الحريات ، فالحرية عندها لا يسكون تنظيمها تقريبا إلا بقانون ، ولا يجري التعرض لها إلا لمعرفة القضاء أو تحت إشرافه . وهي تنقسم في هذا النظام إلى قسمين : حريات لا يجوز تقييدها إطلاقا ، وهي حرية العقيدة وحرية الفكر ، وحريات يجوز تنظيمها دون إلغائها وهي سائر الحريات .

كما أن هذه النظريات تعتبر الحرية « دفعا في مواجهة السلطة » بمعنى أنه إذا تمت السلطة بالاعتماد على حرية الفرد فإنه يصدها عن ذلك - بالطرق القانونية - عن طريق الاحتجاج بحريته وذلك لأن هذه النظريات تعتبر للفرد والسلطة في موقفين متضادين وأن نظام الحرية قد عرّض للحد من تصرف السلطة واضطهادها . وهذه النظريات مطبقة في الدول الديمقراطية الحرة (الليبرالية) والبرلمانية .

نظريتان أساسيتان في الحرية : واحدة النظرية الفردية ، وهي تذهب إلى أن الحرية الفردية مطلقة في الأصل وأنه لا يجوز تقييدها إلا بقانون تصدره السلطة التشريعية ، وأن السلطة التنفيذية معزولة

[١] نرى كثيرون لهذا الموضوع إما خلال موضوعات أخرى ، أو على انفراد ولكن لا يبدو أنه قد استوفى إلى الآن بالتسليق المستوى اللازم ومن المؤلفات التي ظهرت فيه : عبد السلام المصطفى الحرية الدينية في الإسلام . وله أيضا : حرية الفكر في الإسلام . على عبد الواحد والي : السيادة في الإسلام . وله : الحرية الدينية في الإسلام . محمد الزاوي : الإسلام والاحتجاج السياسي . أحمد كوني الأنصاري : الحرية على ضوء معالم الإسلام .

والنظرية الأخرى :

الحرية ، وهذا المنصر تقدمى فواق إلى

الثورة والتجديد .

وعنصر القوة الحاكمة ، وهو يبرز
دستوريا في شكل السلطة العامة وهو
عنصر يحافظ يحيل إلى الثبات والاستقرار
وعدم التغير .

وتقوم النظم الدستورية حتما على التوازن
بين هذين المنصرين ؛ ولذلك فتختلف
أحدهما مدعاة للاختلال ، فإن تخللت الحرية
جنح النظام نحو الرجعية والجمود
والاستبداد ، وإن تخلت عنصر السلطة
اضطربت واختلت وانعدم الاستقرار .
ومن أجل ذلك فإن ملاحظتنا من

عدم تعرض الفقهاء الإسلاميين لدراسة
الحرية مع ما عرفناه من أسالة الحرية
في مبادئ الإسلام وتطبيقها عمليا فعهده
حلى الله عليه وسلم وعهده أممائه يوجب
علينا العناية أشد العناية بتقصي أصول
هذه المسألة وتحررها على وجهها القرى .

تعريف الحرية الإسلامية وعناصرها :

ويمكن تعريف الحرية الإسلامية بأنها
قدرة أو إباحة من الخارج المكلف لبلوغ
للقاصد الشرعية للفترة .

ونحن نعبئها بالنقطة الإسلامية من غيرها

وانسى النظرية للوضعية وهو تذهب
إلى أن جميع الأوضاع القانونية مقيدة
بهدف أعلى يحكم المجتمع ، ولذلك
فإن الحرية مقيدة بطبيعتها بهذا الهدف
وهي مضمونة باحترام هذا الهدف والتزامه
أي كانت جهة التنفيذ ولذلك فليس الفصل
بين السلطات جوهريا في هذا النظام كما أن
الحرية فيه ليست دفعا في مواجهة السلطة ،
بل تكون ممارستها لتدعيم النظم وحفظه
وبطرق خاصة تكفل التوازن الدستوري
على الوجه الذى سنبينه فى موضعه إن
شاء الله .

الأهمية الدستورية للحرية : وفضلها من

أهمية ممارسة الحرية كأصل من أصول
الحياة وضرورة من ضروراتها لكونها
فطرة وغريزة لا بد من إشباعها ، فإنها
تعتبر عنصرا هاما فى التوازن الدستوري
فى جميع النظم .

فالنظم الدستورية المختلفة تتألف
من عنصرين :

عنصر القوى الشعبية أو الإرادة
الشعبية ، وهو يبرز دستوريا فى شكل

بالنواب أو العفاب لأن الشريعة الإسلامية مقترنة دائماً بالتكليف والاستولية والإفراط في الأكل - وهو مباح - حرام أو مكروه والاقتصاد فيه نواب وكذا جميع ما يمارسه الإنسان في هذه الحياة .

وكذلك فإن توجب الحرية الإسلامية نحو بلوغ المقاصد الشرعية كما سنرى يجعل الواجب متدرجاً فيها بلا شك لأن المجتمع الإسلامي هو مجتمع من المكلفين ولا مجال فيه لإطلاق الحرية في أي شيء إلا إن شاء .

عنصر المصدر الشرعي : إن جميع الأوضاع والحقوق في المجتمع مصدرها الشرع وهي مقيدة به حتماً ، ولا بدترفها لأصحابها - كما بناه - إلا في حدود ما يقرره الشرع ويسمح به .

وهذا الأصل يترتب عليه نتائج ذووية وقاوية في غاية الأهمية ، منها أنه لا لزوم لقول بأن الحرية لا تنقيد إلا بقانون تصدره السلطة التشريعية بل يكفي لذلك أية أداة مادامت موافقة للشرع سواء كانت صادرة من السلطة التنفيذية أو القضائية . بل كما سنرى في موضعه لا لزوم لتشكيل سلطة تشريعية في النظام

من الحريات في النظم الأخرى لأنها حرية متخصصة بأنها في حدود الشريعة الإسلامية وبلوغ مقاصدها . فهي ليست مطلقة ولا تقاس بلوغ أغراض أخرى غير إسلامية . وبذلك تختلف عن الحرية المطبقة في النظم الديمقراطية وغيرها

ومن التعريف السابق يمكن أن نستخلص العناصر الثلاثة الآتية :

عنصر الإباحة :

وعنصر المصدر الشرعي .

وعنصر الوظيفة الاجتماعية ، أي توجيهها لبلوغ المقاصد الشرعية المستبعدة .

عنصر الإباحة : والإباحة ضد المحظر^(١) فهي تشمل قيام الفرد بالتفروض والواجبات والتفويضات . فإن قيام الإنسان بما يجب عليه من التفروض يتطلب إفساحاً وتمكيناً حتى يمارس حريته في العقيدة والمبادئ .

وليس هناك مباحاً مطلقاً - كما ذهب البعض - وهو المباح الذي لا يقترن

[١] محمد سلام مذكور : الحكم التضييقي أو الإباحة عند الأصوليين والفقهاء ط ٢ ص ٥٠٠ وقد بين أن لها معنى آخر عند الأصوليين وأن الدال على تضييقها هو ما ذكرناه ومن الغريب أنه لم يفعل إلإ إساءة الدلائل بين الإباحة والحرية مع تدرسه الكثير من مسائل القانون الحديث .

ويبنى على ذلك نتائج عامة :
أولها : أن الحريات والحقوق لا تنصور
إلا مقيدة في الإسلام ، وفي ذلك يقرر
أستاذنا الشيخ محمد أبو زهره ^(١) « إن
الإسلام جعل أساس التكافل مراعاة كل
مؤمن لحي غيره . والحرية في الإسلام
لا تنصور إلا مقيدة ، لأن الحرية ليست
انطلاقاً من القيود بل هي معنى لا يتحقق
في الوجود إلا مقيداً » .

ثانياً : إن الحريات الإسلامية قابلة للتقييد
في أي وقت حسب مقتضيه للقواعد الشرعية
وتتطلب للصالح المعتبرة في نظر الشريعة .
ومن أجل ذلك أجازت الشريعة نزع
الملكية للنفعة العامة والاحتلال على
الخدمات (التكليف) وقبلت الملكية
الإسلامية كثيراً من القيود المقررة في
القانون الحديث .

وفي خبر السلف ما يؤكد حق السلطة
في نزع الملكية للنفعة العامة بالتمريض
للعادل وإن كانت الشريعة الإسلامية
تحرص - صيانة للحقوق الفردية - أن
تم التصرفات العامة في أشكال المعاملات
المعادية بين الأفراد سواء بالقبول أو بأمر

[١] كتابه المجتمع الإسلامي صفحة ٢١ .

الإسلامي ولا لنظام الفصل بين السلطات
بل على العكس فإن القانون الذي تصدره
السلطة التشريعية لا تكون له سيادة على
محمل تنفيذي أو قضائي متى كان الأول
ليس موافقاً للشريعة ، وكان الأخير
موافقاً لها ، فالعبرة في النظام الإسلامي
بالموافقة للشريعة وليس للقانون في ذاته
حصانة تمنع القضاء من التعرض له .

عنصر الوظيفة الاجتماعية ^(٢) : المجتمع
الإسلامي هو مجتمع تكافلي تضامني
والأوضاع فيه منوعة بالعدل والإحسان
والتكليف وقد أحسن الدكتور ضياء
الدين في وصفه المجتمع الإسلامي بأنه
مجتمع للتكليف ^(٣) وأنه « يجوز لما
القول بأن القول بأن الفرض العام من قيام
الدولة الإسلامية هو أن تكون أداة
يمكن بواسطتها أن يتوصل إلى تنفيذ
واجبات معينة . . . للإحسان في عسرى
الشرع لا ينظر إليه أولاً على أنه صاحب
حق ولكن ينظر إليه على أنه متحمل
مسئولية بأداء واجب » .

[١] قول أستاذنا أبو زهره أنه لا يرى ما
من استعمال هذا المصطلح على أن يفهم أن التوظيف
توظيفاً دون غيره . كتاب المجتمع الإسلامي ص ٢٦
[٢] صكوكه النظريات السياسية الإسلامية
صفحة ٢٠٨

كما أن الفقه أجاز تكليف أصحاب المهن والحرف بالعمل عند الضرورة ، فإذا احتاج البلد للطبيب أو النجار أو غيرها ، فإنه يجوز لولي الأمر تكليفهما بالعمل ، لأن تعطيل هذه المصالح يعود عن فرض كفاية واجب على الجماعة ، وثأم جميعها بذلك .

وسنعرض فيما يلي إن شاء الله لتفاصيل هذه المسائل عند عرضنا لأنواع الحريات الإسلامية .

مخطئ كال وصفي

القاضي ، فإنه النبي ﷺ لما أراد أن يبنى مسجده الكريم بالمدينة قال : « ثامنوني يا بني النجار » ، أي ساوموني على ثمن أوصيكم التي أريد بناء المسجد عليها . فاشترها منهم ، وكذا عمر بن الخطاب لما أراد توسعة الحرم المكي اشترى من الجيران بيوتهم لهدمها ، وكذلك إذا احتكر التاجر الطعام جاز للقاضي أن يبيع عليه ما احتكر ، والبيع عليه في هذه الحالة هو أمر من السلطة بالاستيلاء ولكنه يتم بواسطة القضاء حماية الحرية الفردية .

(بقية المنقور على صفحة ٤٢٦)

ولسكانوا به — لمون من حق أث تلك المدينيات التي يخالفونها ضوءا مزدهرا إنما تنبثق من حجر كاذب لا يلبث أن يعقبه ظلام حالك » .

ثم اتبع القول بالعمل فدعا إلى مؤتمري لجانة للوضوح في ضوء ما يلمس من انحلال القباب ، وطبق يقابل المسئولين من وزراء المعارف ووكلائهم مقدما المذكرات الخاصة بوجوب تدريس الدين الإسلامي في المدارس المصرية على جميع المستويات !

(له بقية) . . . محمد رجب الأيوبي

الانحراف عن المراهقين إذا تفتشوا ظلال القرآن وأشربت نفوسهم تعاليم الإسلام وسارع بالإجابة على اعتراض هذا القاب المنفذ فقال من حديث بصير « لو أن هؤلاء درسوا منذ طفولتهم تعاليم دينهم الأهلية لعبوا على كثير من الأخلاق الفاضلة التي فطرهم الله عليها ، واعتصموا من جروح النفس وزوانها يرسم الآثار الصالحة والقدوة الحسنة ولسكانوا يرون في ضوء الدين ونوره صور الذبابة واضحة غيا ترميهم به للدينية القرية من تهتك ،

الْعَمَلُ بَيْنَ الدِّينِ وَالْحَيَاةِ

للأستاذ محمد كمال الدين

يضع الإسلام لسلوك البشري أسساً وقواعد تهدف إلى خير الفرد والمجتمع ، وتهىء منها علاقات اجتماعية سليمة عليها ينهض ، ويكون له كيانه الإنساني المتميز ، ولعل من أوائل هذه الأسس والقواعد ما شرعه في مجال « العمل » .

فالعمل في الإسلام حق وواجب ، حق للعامل على نفسه ليعول من رعى ويقيم أوده وواجب على المجتمع وللشؤون فيه أن يكفلوه لكل فرد ، وظله معاً هذا المجتمع حتى تحقق له الرماية الواجبة ، وتحفظه من سلوك يآباه ذلك المجتمع ويعاقب عليه .

والعمل في اللغة هو : الفعل أو للهنة التي يفتنها الإنسان ^(١) في مقابل أجر يحصل عليه ويضمن له استمرار الحياة ، ويزوده بمتطلباته الأساسية من مأكل ومشرب ومأوى ورعاية صحية ، وهو في المفهوم الديني أو الاجتماعي كل نشاط يقوم به الإنسان ، سواء كان هذا النشاط

[١] نفوس ، لسان العرب ١٢ ص ٥٠٢ .

فكرها أو طبعها أو كل ما يقوم عليه نظام الحياة .

ولقد دعا الإسلام إلى العمل ، وحضر عليه ، ونرى تشريعه مطبقاً في الكتاب والسنة ، وفي سلوك الأنبياء والصالحين وزواج نماذج مشرقة في التطبيق العملي لمبادئ الإسلام ، فن الآيات الكريمة قوله تعالى : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » ، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » (التوبة ١٠٥) ، ومنها قوله تعالى : « هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النذور » (الملك ١٥) ، ومنها قوله تعالى أيضاً « وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يتقانون في سبيل الله » (المزمل ٢٠) .

فهذه الآيات الكريمة تطالب - بله تأمر - بالعمل ، وهذا العمل سيجاسب الله عليه يوم القيامة ، وسيشهد الرسول والمؤمنون هذا الحساب ، إن كان العمل

خيراً خبير ، وإن كان شراً فشر ،
 « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ،
 ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » (الزلزلة
 ٧ ، ٨) ، وهى أيضاً تحض على السعى
 الدائب وراء الرزق ، وفى كل مكان يجسد
 فيه المراءى هذا الرزق ، « وهو الذى سخر
 البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا
 منه حلية تلبسونها » (النحل ١٤) ،
 « ومن رحمة جمل لكم الليل والنهار
 لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم
 تفكرون » (النقص ٧٢) ، « وهو الذى
 أرسل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل
 شئ » (الأنعام ٩٩) ، « فأحيا به الأرض
 بعد موتها » (النحل ٦٥) « فأخرج به
 من الثمرات رزقا لكم » (البقرة ٢٢) ..
 فهذه الآيات وغيرها - وتبلغ حوالى
 مائة وستين آية - تتضمن أحكاما شاملة
 للعمل وتقديره ، وتدعو إلى التأمل
 فى خلق الله والسعى فى الحصول من هذا
 المخلوق على ما يستمر للحياة ويؤكد تكامل
 قدرة الله فى كل شئ . (١)

ومن الأحاديث النبوية العريقة فى هذا
 المجال قول الرسول الكريم : « ما أكل
 أحد طعاما خيرا من أن يأكل من عمل يده »
 وإن بنى الله داود كان يأكل من عمل يده »
 (رواه البخارى) وقوله أيضا : « من طلب
 الدنيا حلالا وتمتعا من المسألة وسعيا على
 مهاله وتمتعا على جاره ، لقي الله تعالى
 ووجهه كالعقربىة البدر » (رواه البيهقى)
 ومثل الرسول الكريم من أفضل الكسب
 فقال : « بيع مبرور وممل الرجل بيده »
 (رواه أحمد والبخارى والطبرانى فى الكبير) ،
 وفى حديث آخر يقول : « من بنى بنيانا
 من غير ظلم ولا اعتداء أو غرس غرسا
 فى غير ظلم ولا اعتداء كان له أجر جار
 ما انتفع به خلق الله تعالى . ولا غرو
 فقد أعطى الرسول من نعمه القدوة
 الصالحة فى طلب العمل والسعى له ، فقد
 عمل قبل النبوة فى رعى النعم ، وعمل
 أجيراً لأهل مكة يرمى إليها على قراريطه ،
 ثم عمل أجيراً عند خديجة بنت خويلد ،
 وكانت - قبل أن يتزوجها الرسول ﷺ -
 تعمل فى التجارة ، وتستأجر الرجال فى مالها ،
 فكان عليه السلام يخرج فى ذلك الحال حتى

[١] اشتراكية الإسلام - الدكتور مصطفى

السيامى - دار مطابع الشعب ١٩٦٢ م ص ١٥٠ .

« ارجع فإن صملاً بالحق جهاد حسن » ،
 وروى عنه أيضاً أنه بث يوماً سفيان بن
 مالك ساعياً بالبصرة فسكت حيناً ثم استأذنه
 في الجهاد فقال له عمر: « أولست في جهاد؟ »
 وبما يؤثر عنه أيضاً قوله: « والله إن
 جاءت الأطمح بالأصمال ، وجئنا بغير
 حمل لهم أوله منا بمحمد يوم القيامة »
 وكان عمر - وهو أمير المؤمنين - يقف
 في السوق يبيع ويشترى ، ولم تجزه
 الإمارة من السرور على الأسواق ، وكان
 يقول: « لأن يأتيني الموت وأنا أبيع
 واشترى ، خير من أن يأتيني الموت وأنا
 ساجد لى » ، وكان عمر في خلافة يطارد
 المتعطلين والكهال ، ويقول لهم ، « إن الله
 يكره الرجل الفارغ من العمل » ، ومن
 أقوال عمر الخلد أيضاً: « لا يقف أحدكم
 من طلب الرزق ويقول: اللهم ارزقني وقد
 علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة » (١)
 و هذا المعنى تقول السيدة عائشة رضي
 الله عنها « لا تغزل بيد المرأة خير من الرخ
 في يد المجاهد » .

يبلغ الشام فيبيع ويشترى ، وكان يقول
 في ذلك: « لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يأتي
 إلى الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره
 فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من
 أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه »
 (رواه البخاري) (١)

وكان كان الرسول في حياته نموذجاً
 يهتدى في العمل والدعوة إليه كان الصعابة
 من بعده - وخلال حياته - نماذج أخرى
 طيبة ، كان أبو بكر الصديق يتأخر في الأتواب
 حتى ولي الخلافة ، وكان علي بن أبي طالب
 يعمل أجيراً ، ولم يستنكف أن يعمل
 عند يهودي لفناء ثمرات فلبلة ، وكان يقول
 « الاكتساب من الحلال جهاد » ، وإضافته
 منه على عياله وأقربيك صدقة » ، وكان
 عمر بن الخطاب ينصحه بأداء الأصمالي
 في أوقاتها ، ويؤثر عنه قوله: « لا تؤخر
 عمل اليوم إلى الغد فتدال عليك الأعمال »
 وكان يدعو إلى تعلم للهناء بقوله: « تعلموا
 للهناء فإنه يوشك أن يحتاج أحدكم إلى
 مهنته » ، وخطب رجلاً ترك عمله لئلا يرتزق
 منه ورحل إلى المدينة ليجاهد فقال له:

[١] « سيره عمر بن الخطاب » لابن الجوزي

ص ٩٢ .

[١] صحيح البخاري ج ٣ ص ٥١ ، انظر أيضاً

صحيح مسلم بشرح النووي ١٢ ص ١٦ .

في أن يزهد فيها بين يديه حتى يكون
التوازن الذي أوصى به الله في قوله: «وابتغ
فيا آتاك الله الثمار الآخرة ولا تنس نصيبك
من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك
ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب
المفسدين» (القصص ٢٧)، «الإسلام دين
صل في المقام الأول وهو يحض على الصي
والنكسب، وهو يدعو المرء إلى التأمل
والتفكير في خلق الله، واستغلال ذلك
لمصلحه وصالح جلسه، هنا فضلا من أن
دعوت الزهد إنما هي علاج للأثرة الدنيوية
وحب المال، وعدم التفكير في الأطماع
الرثة والحد من سيطرة المادة عليه^(١)،
ولسكن بين الناس أئ السعادة هي
في الاعتدال والتوسط في الأمور،
والاكتفاء من الدنيا بما يسد الرق
ويصاعد على استمرار الحياة

أما الزاهدون والمتصوفون ومن
ترك ملذات الدنيا طلباً لجنت
الآخرة فهم «رجال لا تلهيهم تجارة
ولا بيع من ذكر الله، وإقام الصلاة وإيتاء
(البقية على ص ٤٤١)

وكان عبد الله المبارك يقول: «ليست
العبادة عندنا أن تصف قدميك وغبيرك
يطمئك، أبدأ برغبتك فأحرزها ثم تعبد»
ونحب هذا أن تقف قليلاً لنزد على
ما يوجهه بعض خصوم الإسلام من اتهامات
باطلة للإسلام بأنه دين يدعو إلى البعد عن
مطالب الحياة وزخرفها وإلى التواكل
والانزالية، ويحتجون في ذلك بآيات
وردت في الكتاب الكريم مثل قوله
تعالى: «وما من دابة في الأرض إلا على الله
رزقها» (هود ٦)، ومثل قوله تعالى:
«وفي السماء رزقكم وما توعدون»
(الآيات ٢٧) والرد على تلك الأباطيل يتمثل
فيما ذكرنا من قبل من آيات كريمة وأحاديث
عريقة، ويتمثل أيضاً في أن الزهد
والتقشف اللذين نادى بهما الإسلام إنما
هي أعمال تأني في مرتبة تالية لكسب
مطالب الحياة الضرورية والزهد هنا
ليس في الكسب وإنما في مفرجات
الدنيا وضغوط المادة فالمطلب الأساسي
في الإسلام أن يسعى الإنسان على كسب رزقه
أولاً، فإذا حصل منه على ما يضمن له استمرار
الحياة هو ومن يمول أوبرى، ثم هو أن
تكون لإرادته السيطرة ويتمثل ذلك عملياً

[٢] انظر أيضاً: مقدمة ابن خلدون - كتاب
الحرر ١٩٦٩ ص ٢٢٧ - ٢٢٤، الفصل الخامس

انتشار الإسلام في الرحاب

للدكتور حامد غنيم أبو سيد

— ٣ —

منهم قد واصلت السير قدما إلى الأمام .
ونتيجةً للمستوى التفصيل لهذه
الدراسة نجد أنه من الضروري أن قسم
آذربيجان إلى عدد من النواحي ، ومن
حين لاحظنا الطبيعة الجغرافية لآذربيجان
نرى لنا فرصة تقسيمها إلى نواح محددة ،
وذلك لأن بحيرة أرمية تقع على وجه
التقريب في منتصف هذا الإقليم كما هو
واضح من النظر إلى الخريطة التي زودنا
بها المقالة الأولى من هذه المقالات .
ومعنى هذا أننا إذا جملنا بحيرة أرمية
ونطلق تقسيمنا لآذربيجان فإننا نستطيع
الحصول على النواحي التالية .

أولا : الناحية الشرقية ، وهي التي تقع
إلى الشرق من بحيرة أرمية ، وهذه الناحية
تضم أم مدن الإقليم ، تضم أردبيل
وتبريز ومراغة وورثان وبرزند ، كما أنها
تضم أيضا جبل سيلان الذي يقع إلى
الغرب من أردبيل ، وهو من أكثر

نجدتنا في نهاية المقال السابق من التوجيه
الذي يست به سيدنا علي بن أبي طالب
ضمن رسالة وجهها إلى عامله في آذربيجان ،
قيس بن سعد بن عباد ، وهو التوجيه
الذي يقول له فيه : « وعلم من قبلك بما
ملك الله » ، وقلنا : إن هذا التوجيه
يعنى في أحد مستوياته العمل على اجتذاب
عناصر جديدة من أتباع الديانات التي
كانت موجودة في الإقليم إلى اعتناق
الدين الإسلامي .

ونقول اليوم : إن قيس بن سعد بن
عبادة والسلمين الذين كانوا في آذربيجان
قد وضعوا هذا التوجيه موضع التنفيذ ،
وبما لا شك فيه أن الجهد الذي بذلت في
هذا السبيل كانت لها نتائجها الإيجابية ،
وإن كان من الصعب علينا تحديد حجم
هذه النتائج ، غير أنه من الممكن أن نقول
بصورة عامة : إن حركة انتشار الدين
الإسلامي بين الأذريين ، وخاصة الجوس

بعد هذا التحديد للنواحي الرئيسية التي تتكون منها آذربيجان تواصل مانحن بسبيله من التعرف على حركة انقمار الإسلام هناك ، وبدأ بالحديث عن أولى هذه النواحي ، وركز المنوه في المقدمة على مدينة أردبيل . وحول هذه المدينة نقول : إن المصادر التاريخية قد أوضحت لنا أن الأشعث ابن قيس ، عامل الخليفة على بن أبي طالب على إقليم آذربيجان ، قد « أزل أردبيل جماعة من أهل المطاء والهيوان ، من العرب ، ومصرها ، وبني مسجدتها »^(١) . ومن يتتبع تاريخ الأشعث بن قيس يرى أنه كان والياً على آذربيجان من قبل الخليفة هناك ، وأن الخليفة على بن أبي طالب قد أقره على عمله ، ومن ثم ظل الأشعث بن قيس في أردبيل حتى استدعاه الخليفة إليه حوالي منتصف سنة ٣٦ هـ^(٢) ، ومعنى هذا أن الأهمش كان والياً لملى على آذربيجان من بداية سنة ٣٦ هـ ، ولمدة ستة أشهر على وجه التقريب .

[١] البلاذري ، فتوح البلدان ٤٦٠ .

[٢] من تاريخ ولاية الأشعث بن قيس على

آذربيجان اقرأ الطبري ٤٠ - ٤٣ ، ٤٢٢ .

الجبال ارتفاعاً هناك ، وبجانب هذا وذاك ، وفي أقصى الشمال تقع الأجزاء الجنوبية من صحراء البلاشجان (أو البلاشجان) وهي الصحراء من برزند في الجنوب إلى مدينة برذعة في الشمال^(١) ، وهي للدينة التي يتحدث عنها معظم الجغرافيين العرب بوصفها عاصمة إقليم أران .

ثانياً : الناحية الغربية ، وهي الناحية المحصورة بين بحيرة أرمية في الشرق وحدود أرمينية في الغرب ، وتلك الناحية تضم مدن أرمية وحوى وسلماس .

ثالثاً : الناحية الشمالية ، وهي تلك الناحية المحصورة بين القوالمى الشمالية وبحيرة أرمية والحدود المشتركة بين آذربيجان وأران ، والمدن المعروفة بهذه الناحية هي مرند وأهر وميمند وبند .

رابعاً وأخيراً : الناحية الجنوبية ، ومعنى بها تلك التي تقع إلى الجنوب من البحيرة المذكورة وتمتد حتى الحدود المشتركة بين آذربيجان من ناحية ، وكل من إقليم الجبال وإقليم الجزيرة من ناحية ثانية .

[١] انظر لافوت ، معجم البلدان ٤٠ ص ٤٤ في

انتشار الإسلام في هذه الناحية لا نسميه
للمصادر بـ معلومات محددة له بداية انتشار
الإسلام ، أو إقامة للمعبد في أي من
تبريز أو للراغة ، ونميل هذا القصور
ليس بالمر السبب ، وذلك إذا عرفنا أن
المدينتين كانتا في ذلك التاريخ المبكر
عبارة عن قريتين مدينتين^(١) ، وبالتالي
قانون للتطورات التي وقعت بهما كقريتين
لم تستوعب اهتمام المؤرخين .

لا أقصد بهذا أن أقول : إن هاتين
القريتين لم يمتد إليهما نور الإسلام في ذلك
الطور المبكر ، بل إن الذي أرى إليه هو
أن أضعهما في الإطار العام للخطبة التي
وضعها الدعوة الإسلامية بهدف نشر
الإسلام بين الأذربيجيين ، وأمنى بها الخطوة
التي بدأ الأشعث بن قيس بتنفيذها في
سنة ٢٥ هـ ، والتي يحددنا عنها البلاذري

وهذا التتبع لتاريخ ولاية الأشعث
ابن قيس على أذربيجان له أهميته الكبيرة
بالنسبة لتحديد التاريخ الذي تم فيه إنشاء
أول مسجد في مدينة أرميديل ، إذ أنه في
ضوء هذا التتبع يستطيع المدارس أن
يرجح ، إن لم يحزم على وجه التأكيده ،
أن هذا المسجد قد أقيم في النصف الأول
من سنة ٢٦ هـ .

ليس معنى هذا أنه لم تكن توجد
أماكن للصلاة في مدينة أرميديل قبل هذا
التاريخ ، إذ أنه من المؤكد أن وجود
جماعة إسلامية في مكان ما ، كان يواكب
مادة تحديد أماكن للعبادة الجماعية ، وقد
بدأ وجود جماعة ، أو حتى جماعات ،
إسلامية في أرميديل قبل ذلك التاريخ
بأكثر من عشرة أعوام ، ونخلص من
هذا إلى القول بأن حديث البلاذري ينصب
على للمسجد الجامع الذي سبقته بالضرورة
أماكن أخرى للصلاة ، ولا يفتينا هنا أن
هذه الأماكن كانت تحمل كلمة « مصلى »
أو كلمة « مسجد » أو أي كلمة أخرى .
ونترك هذه البداية لمتعرف على
مبيلاتنا في بقية بقاع الناحية الشرقية ،
ونسارع فنقول : إن المدارس لتاريخ

[١] لم تكن السبب المراجعة مكانها كدنية هاتين
مدن أذربيجان إلا بسبب أن مكرجهما مروان
ابن محمد في عودته من غزو موصل وحيلان حوالى
سنة ١٦٩ هـ بالموت منهم الجبلان ٥٥ م ٩٣ .
أما مدينة تبريز فإنها كانت قرية صغيرة . وقد ظلت
على هذه الحال حتى نزحها الرواد الأرميني في أيام
الزكرك ، ومرووف أن للتوكل تولى الخلافة العباسية
بن - سنة ٢٣٢ لله سنة ٢٤٧ .

وقعت في آذربيجان ، كما سيتضح لنا ذلك في مناحية ثانية ، ومعنى هذا أن وجود هاتين المدينتين في حد ذاته يعتبر دليلاً مادياً على نمو وازدهار الإسلام في تلك الناحية .

ولنتقل بالحديث الآن إلى الجزء الجنوبي من صحراء البلاصان لتعرف على بداية انتشار الإسلام هناك ، وفي هذا الصدد نقول : إننا قد عثرنا على نصين تاريخيين يساعداننا في إنقاذ الضوء على هذه القضية .

النص الأول أورده البلاذري ، ويرجع تاريخه إلى سنة ٢٢ هـ على وجه التقريب ، وهذا النص عبارة من الأمان التي أعطاه الصعابي حذيفة بن اليمان للرمزان حاكم آذربيجان ، في هذا الأمان .
بتمهيد القائد للسلم للأذربيين : « على ألا يقتل منهم أحداً ، ولا يسبي ، ولا يهدم بيت دار ، ولا يعرض لأكراد البلاصان وسيلان »^(١) .

أما النص الثاني فقد أورده كل من البلاذري^(٢) وابن الفقيه^(٣) ، كما أورده

حينما يقول^(٤) : « ففتحها (أي فتوح) الأهمت آذربيجان) على مثل صلح حذيفة وعنتبة بن فرقد ، وأسكنها ناساً من العرب من أهل العطاء والديوان ، وأمرهم بدعاء الناس إلى الإسلام » .

وقد حققت هذه الحظوة نتائج إيجابية طيبة ، يحدثننا عنها البلاذري فيقول من الأهمت بن قيس الذي أسند إليه على بن أبي طالب ولاية آذربيجان في أوائل سنة ٢٦ هـ^(٥) « فلما قدمها وجد أكثرها قد أحلوا ، وقرأوا القرآن » ، والذي يستطيع الفارس أن يعلق به على قول البلاذري هو أنه في أوائل عهد الخليفة على كانت قريتنا المراغة وتبريز وغيرها من القرى في الناحية الشرقية قد انتشر فيهما الإسلام ، كما أن قراءة القرآن أيضاً قد ذاعت بين المواطنين الأصليين هناك .

هذا هو ما يمكن أن نقوله من بداية انتشار الإسلام في كل من المراغة وتبريز والأسر يختلف بالنسبة لكل من وزند وورزان لأنهما مدينتان إسلاميتان ارتباط ظهورهما ببعض التطورات السياسية التي

[١] فتوح البلدان ص ١٥٥ .

[٢] المصدر السابق ص ٢٨٦ .

[٣] مختصر تاريخ البلدان ص ٢٩٣ .

[٤] فتوح البلدان ص ٤٥٩ .

[٥] المصدر السابق ص ٤٦٠ .

دعاهم إلى اعتناق الإسلام، كما ورد ذلك في النص صراحة، فلما لم يستجيبوا له دعاهم إلى دفع الجزية، واسكنهم أبناء، وحقق ذلك كان السيف هو الحكم بين الطرفين .

ثانية هذه الحقائق أن نتيجة القتال كانت في صالح سلمان بن ربيعة ورجاله، وذلك واضح غاية الوضوح من قوله : « فقتلوه فقتلهم » .

ثالثة هذه الحقائق هو أن دعوة أكراد البلاهجان كان لها أثرها في تغيير موقف البعض من الإسلام، وهو الموقف الذي ظل القوم متشبثين به منذ بداية اتصالهم بالدولة الإسلامية بهذه البلاد .

ونقف عند هذه الحفيدة وقفة قصيرة لكي نتبين بعض أبعاد التغير الذي طرأ على موقف بعض أكراد البلاهجان وتدعونا الدقة العلمية إلى أن نتأمل بشيء من الصبر والروية الجزء الأخير من نص ابن الأثير وهو الجزء الذي يقول فيه : « فأقر بعضهم على الجزية » ، وأدى بعضهم الصدقة وهم قليل » .

ففي هذا النص يوجد موقفان، الموقف الأول يميز عنه قوله : « فأقر بعضهم على الجزية » أي أن الصحابي أقر أو وافق

أيضا للتورخ ابن الأثير^(١) في تأريخه لأحداث سنة ٢٥ هـ، وفي سياق حديثه عن سلمان بن ربيعة الباهلي الذي كان في ذلك التاريخ على رأس قرات إسلامية تقوم بإخضاع بعض العناصر للساوطة في المنطقة والتي أظهرت تمردها ضد السيادة الإسلامية . النص يقول : « ودعا أكراد البلاهجان إلى الإسلام فقتلوه فقتلهم » ، فأقر بعضهم على الجزية ، وأدى بعضهم الصدقة وهم قليل » .

فالنص الأول يصل بنا إلى تقرير أن أكراد البلاهجان قد ظفروا متمسكين بديانتهم السابقة ، والمرجح أنها كانت الجوسية ، واشتراطوا على القائد المسلم ألا يكرههم على ترك هذه الديانة . كان ذلك في سنة ٢٢ هـ .

أما النص الثاني ، والذي يصور موقف القوم بعد ثلاث سنوات من للموقف السابق فإن الدراس يستطيع أن يصل من خلاله إلى عدة حقائق .

أولى هذه الحقائق أن أكراد البلاهجان في أول الأمر لم يستجيبوا لما دعاهم إليه سلمان بن ربيعة الباهلي ، ومصرّف أنه

[١] ابن الأثير ٣٠ ص ٨٥ .

دموا إليه واعتنقوا الإسلام من بين
أكراد البلاشجان كان عددهم قليلا .
ونخلص من كل هذا إلى القول بأنه قد
حدث في حدود سنة ٢٥ هـ أن أخف
الإسلام يفتق طريقه في صحراء البلاشجان
وقد قتلت هذه البدايه للنواضحة في عدد
قليل من الأكراد الذين اعتنقوا الدين
الإسلامي بفعل جهود سلطان بن ربيعة
الباهلي .

هذه هي بدايات انتشار الإسلام
في الناحية الشرقية من آذربيجان وسنعالج
في الفصول التالية احتياطات واردها
الإسلام هناك .

هـ : عامر خنيم أمير سمير

هل ما طلبه البعض من أداء الجزية، ومعنى
هذه الجملة القصيرة أن أفراد هذا الفريق
أذعنوا بأداء الجزية، وظلوا في الوقت
نفسه متمسكين بمعتقدهم السابقة .

أما الموقف الثاني فيعبر عنه قوله :
« وأدى بمهم الصدقة » أي أنهم اعتنقوا
الإسلام، وذلك لإيراد كلمة « الصدقة »
التي ترادف كلمة « الزكاة » ولا يقوم
بأداء الصدقة أو الزكاة إلا للمسلمين وذلك
في مقابل الجزية التي تفرض على من لم
يستجيبوا لدعوة الإسلام .

أما رابعة الحقائق، وهي في الوقت نفسه
الحقيقة الأخيرة، فإننا نجد ما في قول
النس عن البعض الذين أدوا الصدقة :
« وم قليل، أي أن الذين استجابوا لما

(بقية المنثور على صفحة ٤٢٥)

على الرزق في الدنيا وشكره على هذا
الرزق يواكب هذا السعي ويباركه .
وتبقى في الحديث بقية نعرف فيها
الشروط التي وضعا الإسلام كعامل
والواجبات التي أُلزم بها صاحب العمل،
وقوانين الروابط والعلاقات بينهما في
لقاء . (يتبع)

محمد كمال الدين

[٥]

الزكاة، يخافون يوما تنقلب فيه القلوب
والأبصار » (النور ٢٧) فهم أولا يعملون
نعم ثم بعد ذلك لا ينسون حظ الآخرة،
ولا يغفلون عن حق الله « إنا لا نضيع
أجر من أحسن عملا » (الكهف ٢٠)
« من كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا
صالحا » (الكهف ١١٠) ، وهذا هو
أساس العمل الصالح في الإسلام ، سعى

قضية بنت الأخ والعمة وبنت العم في الميراث

هذا ما ذكره كمال عمون

— ٤ —

من الكتاب والسنة ، للثبوت حق الرجال والنساء في الميراث بحسب درجة القرب من المورث ، من غير تمييز ولا تفرق في أصل الاستحقاق مقدمة عليه قطعاً ، وأولى بالعمل منه .

أما وهو في حقيقته يلتقي معها ، ولا يعارضها في شيء ، فها هو إلا التأمل القريب في معناه ، غير مقطوع من بقية الأدلة حتى يتضح المراد منه سهلاً بدون تكلف أو اعتساف ، ثم لا يكون فيه أدنى إجحاف بهذه القرابات القريبة ، وحاشا له أن يقول فيه غيب لأحد من عباده ، أو تجاهل رحم أمه الله أن توصلي .

والحديث بمصد وهو من جوامع كلامه ﷺ في الميراث ، يرشد إليه أن القرائن المنصوص عليها في كتاب الله تعالى وسنة رسوله تؤدي أولاً إلى أصحابها ، وأن ما جئ به من ذلك من المال يكون لأقرب الرجال إلى

حديث ابن عباس :

« عرضنا في آخر القتال للناظر للعائى المديدة التي وجه العلماء بها العبارة الأخيرة في الحديث الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما : « ألحقوا الفرائض بأهلها ، فما بقي فلا وله رجل ذكر » ، وعلينا أنها تزيد على عشرة أوجه ، وصف بعضها بالغموض .

والذي يتجسس من هذا وغيره أن الحديث لا يؤدي بحال من الأحوال إلى حرمان بنت الأخ والعمة وبنت العم حقهن في الميراث ، ولا يلغى قرابتهن ، أو يلغى بها حجراً في اليم ، كما لا يغير من قريب أو بعيد إله تقبلن من حجرة السب الأصلية في النسبة وقرابات الأب ، إلى قرابات الأم العامة اصطلاحاً بنوى الأرحام .

ومع هذا فلو كان الحديث نصاً فيما فهمه من حرمان الميراث أصلاً ، أو من حرمانهم مع إخوانهم ، أو مع ذكور العصبة وإن بمصدوا ، لكانت الأدلة الأخرى للتمسك

في كتاب الفرائض من صحيحه ، وهو ما أمن عليه بعض شراحه الكبار - هذا وحمل البخاري جديراً بالتأمل فيه ، وتخصيصه بقصص على حدة .

البخاري وحديث ابن عباس :

وصنيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه - وهو من هو في إمامته ، ودقته وفقهه وإخلاصه - يغير إلى المعنى الذي اختاره ، بل يكاد ينس عليه وينس ما عده ، سواء حمد إياه وهذا ظننا به ، أو كان مما صنعه الله له بدون قصد منه أو تدبير ، ولا حرج على فضل الله في كل حاله .

فقد أورد الحديث في كتاب الفرائض بسنده عن ابن عباس أربع مرات في أربعة أبواب ، وفي كل مرة يسكون الحديث شاهداً على ما تقول : ببيان أن أولوية الرجل المذكور في الحديث يدخل فيها قطعا

من يساويه من الإناث ، أو لبيان أن أولوية الرجل الذكر بحسب قربه من وراث
آخر ، وليس في مواضع استشهد البخاري
الأربعة ما يغير أدنى إشارة إلى منع بنت الأخ
أو امرأة سواها مع من يساويها من الذكور .

المورث من عصيته ، دون الأمامد منهم ، ودون الأقرب من ذوي الأرحام ، لادون المساوين له في عصيته من النساء والصبيان ، والإسلام قد رخص صليح الجاهلية في تخصيص الرجال بالميراث وحرمان الصغار ، كذلك رخص صنيعهم في تخصيص الذكور من دون الإناث ، وقضى أن في المال - قل أو أكثر - نصيباً مبروراً للأقرين من الرجال والنساء .

وتوجيه العبارة في الحديث على فرض صحة الرواية بلفظها ، وبفرض النظر مما وجه إليها من استفسالات ، يكفى فيه ما أورده المسطلاني من الطبى (ج ٩ ص ١٥) وسبقت الإشارة إليه : من أن الوصف مع الموصوف أي « رجل ذكر » واقع موقع للعصبة ، وأن العصبة مأكرب الأب ، يسمى بها الواحد والجمع ، والمدكر والمؤنث .

فتقديم الأقرين المتساوين من الرجال والنساء على من عدهم هو منطق الإسلام لا هناك فيه ، وهو عندي مفهوم العبارة دون سواء ، وهو ما يرشد إليه صنيح البخاري في كل مرة روى الحديث

ولنستعرض ممّا مواضع الحديث ، وزد دلالة في كل موضع .
ذكر « ١ » هـ

١ - تحت عنوان : « باب ميراث الولد من أبيه وأمه » حكى البخارى قول زيد بن ثابت رضى الله عنه في أن الفت وحدها توث النصف فرضا ، وأن البنتين توثان الثلثين ، فإذا كان مع البنات ذكر لم يرثن بالفرض ، بل بدى بغيرهن من أصحاب الفروض ، كالأوين أو أحدهما ، ثم قسم الباقي على الأولاد ذكرًا وإناثا ، مستشهدا بالحديث الشريف للروى عن ابن عباس ، وإليك النظم كاملا .

ومما هو جدير بالذكر ما نقله ابن حجر في فتح البارى عن ابن بطال في شرح هذا الحديث إذ قال ابن بطال في آخره : « ويقسم ما بقى (بعد القرائن) بين الابن والبنات ، فذكر مثل حظ الأنثيين - وأردف قائلا - وهذا تأويل حديث الباب : ألحقوا القرائن بأهلها » ، وقريب من هذا ما قاله القرطبى في تفسيره عند طرحه لآيات اللوايث إذ قال في السأله السادسة ما نصه : « وأجمع العلماء على أن الأولاد إذا كان معهم من له فرض مسمى أعطيه ، وكان ما بقى من المال للذكر مثل حظ الأنثيين ، لقوله عليه السلام : « ألحقوا القرائن بأهلها » رواه الأئمة » . (ينسى)

(باب ميراث الولد من أبيه وأمه)
وقال زيد بن ثابت : إذا ترك رجل أو امرأة بنتا فلها النصف ، وإن كانتا اثنتين فأكثر فلهن الثلثان ، وإن كان معهن ذكر بدى بمن شركهم فيوثى فريضته ، فما بقى فله كمثل مثل حظ الأنثيين - حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا وهيب ، حدثنا طاووس عن أبيه عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « ألحقوا

كمال هو

روابط القرابة والنسب بين مصر والشعب الليبي للاستاذ ابراهيم محمد الفحام

وتحرك تلك العاطفة من وقت إلى آخر زيارات المعارف والمجاهة ، التي يقوم بها بعض الليبيين لأقاربهم القدامى ، من البدو والفلاحين المصريين ، الذين توطنت مائلاتهم في مصر منذ زمن بعيد ، كما تحركها الحكايات التي يتوارث ترددها أبناء تلك المائلات ، حول أصولهم الأولى ، وسير هيوخهم وأبطالهم القدامى ، التي حدثت بعض أحداثها في ليبيا وبعضها في مصر مما يجعلها من السأورات القصية الليبية وللصيرية معا .

ورغم صهور أجيال متعاقبة ، على وطن معظم تلك المائلات ، وتخليها عن روابطها القبلية وطابعها البدوي ، وانصهارها بدرجات متفاوتة في بوتقة المجتمع المصري الغلاب فلا يزال الكثير منها يحمل أسماء القبائل أو بطون القبائل التي كانت تنتمي إليها ، أو أسماء لادن أو القرى التي قدمت منها منذ عشرات وربما مئات من السنين ، كما

تمد الروابط القبلية ، من أقوى العوامل التي تماعد على توثيق روابط القرى بين مصوب الدول المتجاورة ، التي تنتمي لسب كبيرة من أبنائها إلى أصول قبلية مشتركة .

ولا تكاد هذه الحقيقة تنطبق على شعبين متجاورين ، بقدر ما تنطبق على المصريين . المصريين والليبي .

فبرغم أنه هذه النظم والروابط قد فقدت معظم صلابتها وحدتها في مصر ، بفصل ما أتيسح لفالبية الجماعات البدوية فيها ، من أسباب التضر والامتنعار ، فإن آلافا من المائلات المصرية التي تنتمي إلى تلك الجماعات ، والتي تميز نسبة كبيرة منها في سبع عشرة محافظة من محافظاتنا الخمس والعشرين ، لا تزال تنف كرأصولها القبلية ونفس - على الأقل - بمناطق القرى نحو المائلات التي تشاركها تلك الأصول ، وإن اختلفت مواطنها .

في ربيع القطر المصري ، الذين أجلتهم عن بلادهم الحوادث وظروف الاحتجاز الإيطالي ، لا يقلون من عدد الطرابلسيين الذين يملكون القطر الطرابلسي المتراعى الأطراف والذي يزيد مساحته عن مساحة القطر المصري ، فن الذي سيقوى على منع قيام اتحاد بين هذين البلدين الحقيقيين ، والقطريين المتلاصقين ، وهو اتحاد تنوقف عليه سلامة كيان كل منهما ، واستقرار الحياة في ريوهما .

والواقع أن الذي شجع الليبيين على الهجرة إلى مصر تحت وطأة الاستعمار الإيطالي ، هو الحاق بأشياء همومهم الذين سيقوهم إلى التوطن فيها ، تحت وطأة هوامل أخرى عديدة ، وفي جهود مختلفة ، وخاصة في عهد الحكم العثماني .

وقد حاول أحد الليبيين وهو الأستاذ مبروك الجناني المستشار الصحي لصفارة ليبيا في مصر سنة ١٩٥٩ أن يبحث في محافظة البحيرة عن أردين أسرة بجميعها بأسرته أصل واحد كانت قد هاجرت إلى مصر منذ فرد كامل فراراً من بطش الحاكم العثماني ولا ندرى ما أسفر عنه ذلك البحث الذي خصص له شهراً كاملاً من إجازته

يحمل بعضها أسماء نعتد أصولها القوية إلى صميم اللهجة الليبية .

ويعتد هذا التأثير القوي ، الذي لا يتسع هذا المجال لذكر أمثله للتغصنية إلى أسماء الأفراد ، وأسماء بعض المدن والقرى المصرية ، بل وإلى اللهجة المصرية ومفرداتها أيضاً .

ويدافع من الإحساس الصحيح بأواصر الترق بين الشعبين المصري والليبي ، تألف في ١٦ ديسمبر سنة ١٩٤٦ حزب (الاتحاد للمصري الطرابلسي) برئاسة الأستاذ على رجب الليبي الأصل ، الذي تزعم أول دھوة حديثة للوحدة بين ليبيا ومصر ، وإن لم تنبأ لإنجاحها الظروف السياسية في كلا البلدين ، في ذلك العهد . وجاء على لسان رئيس ذلك الحزب ، في حديث ألقاه في نقابة الصحفيين بالقاهرة في ٢٣ مايو سنة ١٩٤٧ :

« مادام في طرابلس - وهو الاسم الذي كان يطلق على أقاليم ليبيا جميعاً في مصر - شعب عربي ، تربط بمصر وحدة التاريخ والجنس والجوار والتهافت والمعادن والمصالح المشتركة وما دامت لا تفصل بين القطرين للمصري والطرابلسي أية حدود طبيعية ، بل مادام حدد الطرابلسيين المنتمين

إلى قسمين : (الكموب) و (السمادي) .
 ٢ - فريق القبائل التي كانت أصولها موجودة في ليبيا قبل قدوم (بنى سليم) و (بنى هلال) ويطلق على أبنائهم (المرابطون) وسنحدث فيما يلي عن العائلات المصرية والليبية ، التي تنتمي إلى كل من (الكموب) و (السمادي) و (المرابطون) . ونقصد بالعائلة هنا معناها الزبني الواسع ، أي مجموعة الأسر التي تنتمي إلى أصل واحد .
 أولا : الكموب :-

برغم أن معظم العائلات التي تنتمي إلى قبائل (الكموب) وهي : (الرقعة وأولاد سليمان وطرهونة والحاميد) تقيم في منطقة تقرب من الحدود التونسية أكثر من قربها من الحدود المصرية ، إلا أن هناك في مصر كثير من العائلات التي تنتمي إليها .

فإلى قبيلة أولاد سليمان ، تنتسب بعض العائلات التي تقيم في محافظة البحيرة (وخاصة حول الأهرام) ومحافظة المنوفية حيث توجد مجموعة منها تسمى (الفدادقة) وفي محافظة البحيرة وأسبوط ، حيث توجد مجموعة أخرى منها تسمى (الرباع) (وخاصة في مركزى ديروط ومنه لوط) .

وإلى قبيلة طرهونة تنتسب بعض العائلات التي تقيم في محافظات المنوفية والقليوبية

ومن أجل مظاهر الشعور بالقرابة التي تكنه العائلات المصرية ، التي ترتبط أصولها القبلية بالشعب الليبي ، أنه عندما افتتح باب التطوع لإنشاء قوة الجيش الليبي في مصر في سنة ١٩٤٠ ، وبلغ عدد من تطوعوا فيه في ذلك العام وحده نحو ١٤ ألف شاب دروا الممسكر الذي أعدهم بقرية أي رواشي عركر امبابه ، كان من بينهم آلاف من أبناء تلك العائلات رغم أن العالبة المظمى منهم قد ولدوا - بل وولد أجدادهم ، وربما أجداد أجدادهم - على أرض مصر ، وبلغ عدد من تطوع في ذلك الجيش من أبناء قبيلة واحدة (وهي قبيلة الجوازي) في مديرية واحدة (هي مديرية ليبيا) نحو ألف شاب ، مع أن أجدادهم كانوا قد توطنوا مصر ، قبل ذلك بنحو قرن ونصف .

وتنهي الأصول القبلية للعائلات المصرية والليبية ، إلى فريقين رئيسيين من القبائل :

١ - فريق القبائل التي تفرعت من قبيلة (سليم بن منصور) الكبرى التي هاجر أبنائها من مصر مع أبناء عمومهم من قبيلة (بنى هلال) في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر لئلا يدى) إلى شمال إفريقيا ، فتوطنوا أراضيها ، وتنقسم هذه القبائل

زعمائها المجاهدين أمثال أحمد للرئيس
وعبد الصمد النعاس ، والقروك المنتصر ،
وخاصة بعد احتلال الإيطاليين على مدينته
(طرهوتة) مقر تلك القبيلة في ولاية
طرابلس سنة ١٩٢٣ .

والى قبيلة الحمديد ، تنتمي مجموعة
من العائلات في صهوة تسمى (بيت الخودات)
ثانيا : السعادي :

تسهم مجموعة قبائل (السعادي) وهي
تتألف من ثلاث مجموعات قلبية أصغر -
من أصل واحد - هي : (البراهيث)
و (العفارة) و (السلالة) - ينسب أوغر
في ريت أوامر القري ، بين آلاف من
العائلات المصرية والليبية التي تنسب إليها .
وسنضرب أمثلة ذلك فيما يلي :

١ - مجموعة البراهيث :

ونضم هذه المجموعة خمس قبائل هي
(المرزا والبيد والغوايد والرماح والجبارنة)
ومن هذه القبائل ما تقيم طلائعها جيمما
في ليبيا ، ومنها ما تقيم طلائعها جيمما في مصر
كما أن منها أيضا ما تقيم بعض طلائعها
أو أمر منها ، في ليبيا والبعض الآخر
في مصر ، وينسب متفاوتة .

لكن القبائل التي تقيم طلائعها جيمما في ليبيا
(المرزا) و (البيد)

ومن القبائل التي تقيم طلائعها جيمما

وفي سويف والفيوم والمنيا (وخاصة
في مراكز الخلوطة والسياء وملوى ودير مواس)
وأسيوط (وخاصة في مركز ديروط) .

وقد وفدت أكبر مجموعة من تلك
العائلات إلى مصر وبخاصة محمد بن منصور
ابن خليفة الطرهوتي الملقب بموق الهيب
زعيم (للهادي) إحدى بطون قبيلة
طرهوتة في أواخر سنة ١١٢٥ هـ (أوائل
سنة ١٧١٤ م) إثر ثورة فاشة على مظالم
العثمانيين ، في عهد الأسرة القرمنلية وأقامت
قرونها الأولى في مدينتي لفتيا وأسيوط .

وكانت تحمل اسم (طرهوتة) إلى عهد
قريب ، إحدى قرى مركز ديروط بمحافظة
أسيوط ، وتعرف الآن باسم (أي كرم)
نسبة إلى شيخها (كرم الطرهوتي) الذي
تمرد على محمد علي باشا ، وذكّر الجبرتي
وقائمه معه ومع ابنه إبراهيم باشا في حوادث
سنة ١٢٢٩ هـ (سنة ١٨١٤ م)

وفي واحدة سيوة ثلاث مجموعات من
العائلات التي تنسب إلى قبيلة طرهوتة ،
يجمعها اسم (قبيلة الحسادين) : وتسمى
المجموعة الأولى (الخنايف) والثانية
(المساكرة) والثالثة (لثانية) وقد
هاجرت إلى مصر تحت وطأة الاحتلال
الإيطالي ، بعض الأسر الطرهوتية مع

في مصر (القوايد) - وتنتشر مائلاتها في محافظات الغربية (وخاصة في مركز الوهازي) والدقهلية (وخاصة في مركز قريين) والغربية (وخاصة في مركزى طلخا وكفر الزيات) وكفر الشيخ (وخاصة في مركزى كفر الشيخ وبلا) والقليوباء (وخاصة في مركز القشن) ولبنيا (وخاصة في مراكز معاغة والمدوة وبني مزار) ، ومن القبائل التي يقيم عدد قليل من مائلاتها في ليبيا ومصر (الرماح) وتنتشر مائلاتها للمصرية - في محافظات الدقهلية (وخاصة في مركز طلخا) وبني سويف (وخاصة في مركز القشن) والقليوباء (وخاصة في مركز المساه والمينيا) . ومن القبائل التي تقبم معظم مائلاتها في ليبيا وأفلقها في مصر بمجموعة (الحمارنة) وتتكون من ثلاث قبائل هي (المواقير والجوازي والغاربة) :

المواقير : يقيمون جميعا في ليبيا ، ما عدا الأمر التي اضطرت إلى المحصرة إلى مصر مع الزعيمين عبد السلام الكزة وعبد الحميد المسار الذين هتمروا بتصيب واغرى مقاومة الاحتلال الإيطالي . والجوازي : يقيمون جميعا في مصر ، وتنتشر مائلاتهم في محافظات الجيزة (وخاصة

وتنقسم مائلات هذه القبيلة الآن إلى مجموعتين هما (الرحيضات) و (أولاد شاخ) وتقيم بعض مائلات المجموعة الأولى وبعض أسرهما في مصر ، وتنتشر في محافظات مطروح والأحسنة ، والبحيرة ، ولقد لحقت بها بعض أسر للغاربة الليبية التي اضطرت إلى الهجرة إلى مصر ، إثر الاحتلال الإيطالي مع زعيمها صالح باشا الأطيوش ؟ (يتبع)

إبراهيم محمد النمام

والجوازي : يقيمون جميعا في ليبيا ، ما عدا الأمر التي اضطرت إلى المحصرة إلى مصر مع الزعيمين عبد السلام الكزة وعبد الحميد المسار الذين هتمروا بتصيب واغرى مقاومة الاحتلال الإيطالي . والجوازي : يقيمون جميعا في مصر ، وتنتشر مائلاتهم في محافظات الجيزة (وخاصة

والجوازي : يقيمون جميعا في ليبيا ، ما عدا الأمر التي اضطرت إلى المحصرة إلى مصر مع الزعيمين عبد السلام الكزة وعبد الحميد المسار الذين هتمروا بتصيب واغرى مقاومة الاحتلال الإيطالي . والجوازي : يقيمون جميعا في مصر ، وتنتشر مائلاتهم في محافظات الجيزة (وخاصة

باب الفتوى

يقدمه الأستاذ : محمد أبو شادي

من ذلك تأخذ أن التأديب بالضرب مشروع غير أنه مقيد بما جرت به العادة وأن لا يكون على المقاتل أو الوجه أو الرأس وأن لا ينهأ عن ذلك ضرر كتشويه لحم أو كسر عظام ، فإن حصل منه شيء من ذلك ضمنه المعلم إذ لا يزال الضرر بالضرر ، والله تعالى أعلم .

المطلقة رجبياً ترث من زوجها المتوفى
ما دامت في عدته .

السؤال من السيدة / سعاد عمر محمد هاشم

السؤال :

توفي زوجي في ٢٠/١٠/١٩٦٥ وكان متزوجاً من زوجة أخرى طلقها رجبياً على يد مأذون في يناير سنة ١٩٦٥ — ونطالب هذه الزوجة ببراءتها من هذا الزوج بدعوى أنه راجعها وهي في العدة دون وثيقة رسمية فما الحكم .

تأديب التلميذ بما حوت به العادة وبما لا ينهأ عنه ضرر أصح مشروع .

السؤال من السيد / الأستاذ نصر الدين هزام — المستشار بمحكمة النقض .

السؤال :

هل للمعلم في سبيل تأديب التلميذ أن يضربه ، وإن كان له ذلك فما مداه ؟ وما هي الأدلة على ذلك من الشرع ؟

الجواب :

إنه ساء في الزوج مع زوجته فوله تعالى : **واللاني تخامون لعزهن فمظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن** ، وفي الولد مع ولده قوله **عَلَيْكُمْ** : (مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر) كما جاء قوله **عَلَيْكُمْ** لمروا من المعلم : (إياك أن تضرب فوق الثلاث فإياك أن تضرب فوقها اقتصر منك) .

الجواب :

عليه اسم القطع لحديث أم عطية **وارضى ولا تنكى ، وللمنى اقمى ولا تبالى** في القطع والله تعالى أعلم ؟

إن هذه الزوجة المطلقة رجعيًا لم تقرر بانتضاء عدتها قبل وفاة زوجها بالأقراء أو بالأشهر فلها الحق في المطالبة بحقوقها في الميراث وحيث أن الوفاة قد حصلت قبل مضي سنة من تاريخ الطلاق فلها الحق قانونًا في المطالبة بذلك وهو مقتضى الفقرة الثانية من المادة ١٧ من القانون رقم ١٥ لسنة ١٩٢٩ الخاص بالأحوال الشخصية والله تعالى أعلم ؟

لا تقبل شهادة عدو على عدوه

السؤال من السيد / محمد عبد السلام

السؤال :

١ - هل يجوز شهادة من له عداوة دنيوية على لشهود عليه ؟

٢ - هل يجوز شهادة للوسيط الذي يتكسب من هذه الشهادة ؟

ختان الرجل أمر واحد وأما المرأة فتندوب

السؤال من السيد / عبد الوهاب من رمضان محمد

الجواب :

السؤال :

عن الأول بأنه لا تقبل شهادة عدو على عدوه لانتهامه ولحديث لا تقبل شهادة ذي زهر على أخيه - والنفس الغفلة والحقد ونسكفي الخاصة السابقة دليلًا على هذه العداوة الدنيوية .

ما حكم الشرع في مسألة الخنثى (الطهارة) بالنسبة للذكور والإناث ؟

الجواب :

إن الخنثى مطلوب شرعًا على سبيل الوجوب بالنسبة للرجل وعلى سبيل التنبه بالنسبة للمرأة .

وعن الثاني بأنه إذا كان للوسيط عدلًا في دينه وخلا عمله للوسيط عن الفسق من اختلاط بالأجنبيات أو محوّه فإن مجرد عمله لا يسلب المدانة والله تعالى أعلم ؟

وحده بالنسبة للرجل قطع ما ينطى الحشفة جميعه وبالنسبة للمرأة أقل ما يطلق

الجد ولي طبيعي له حق صم أولاد ابنه
 للنفق متى انتهت مدة حضانتهم
 ٣ - لم أكتب شيئاً لأولاد ابني لعدم
 وجود شقاق بين الأولاد - فما حكم
 الشرع في هذا ؟
 السيد / سيد أحمد
 عبد الكريم سيد أحمد .
 الجواب :

السؤال :
 من الأول بما أن ماله التجارة ملك
 لواله خاصة ولم يكن ولده شريكاً له
 فلا يجب على الوالد شيء لأولاد ولده
 سوى النفقة ولا يجبر على كتابة شيء لهم
 ومن الثاني بأن للجد الحق في إقامة
 دعوى أمام إحدى المحاكم يطلب فيها ضم
 أولاد ابنه إليه حيث هو الولي الشرعي
 وقد انقضت مدة الحضارة بالنسبة لجميع
 الأولاد .
 ١ - يعمل وليس معنى في تجارة
 حبوب ، ثم توفي هذا الولد وأفلست
 التجارة بعد موته ولم يكن له أي حق
 في التجارة وإنما كان يأخذ ما ينفقه على
 نفسه واليوم تطالبه زوجته بكتابة بعض
 أملاكه لأولاده ابني للذكور نظير اعتراكه
 في العمل معنى في التجارة - فما حكم الشرع
 في هذا ؟

٢ - على من حق الجد إنهاء حضارة
 الأم لأولاد ابنه الذين بلغوا من السن
 بالنسبة لأصغرهم حوالي عشر سنين ؟
 وعن الثالث بأن عدم كتابة شيء
 لأحد الورثة هو العمل المطلوب شرعاً
 والله تعالى أعلم ؟

انبثاء في آراء

رسائله :

١- نشرت صحيفة الجمهورية بتاريخ ٢٨/٥/١٩٧٠ ، ١٩٧٠/٤/٤ مقالين بشأن تحضير الأرواح - ادعى الأستاذ « محمد رافع » كاتب المقالة لتأني أن الروح « سافر برش » هو جبريل - عليه السلام - .

وقد حسم الرأي في هذا الموضوع سكرتير جمعية الأهرام الروحية الأستاذ حسن عبدالوهاب الذي نشر استقالته من هذه الجمعية وأعلن توبته وبرأته من أمرها في ١٠/٢/١٩٦٠ وجاء في أمر رسالته إلى صحيفة الجمهورية :

« حسن عبدالوهاب سكرتير جمعية الأهرام الروحية استقال من هذه الجمعية وأعلن توبته عن تحضير الأرواح ، ووزع منغواً بذلك ، قال فيه :

لقد أزال الله من قلبي - في شهر رمضان - غشاوة الضلال ، وثبت لي أخيراً قاطعاً لا شك فيه أن الشخصيات التي تحضير في جلسات التحضير وزعم أنها أرواح من

سبقونا من الأهل والأحباب ليست إلا شياطين رقرءاء من الجن يلبسون على الناس ما يلبسون

والآن ، وأنا أودع هذه الحقبة الحقيقية من صمري أجده إسلامي وأستعيد إيماني وأودع معها زملاء أمراء لا أحمل لهم في قلبي إلا كل عطف وإشفاق ورتاء ملحا على الله في الدعاء أن ينير لهم بصيرتهم وينقذهم من أحوال هذه العقيدة القاسدة مؤكداً لهم أسرتي :

أولهما : أنه - كقاعدة لا تتخلف - ما من مشغل بهذه الحركة إلا أصيب بحقد أحب أهله لديه ويمكنهم تتبع ذلك في كل من يعرفون وأنا أولهم .

وثانيهما : أني معتنق هذه العقيدة لا بكون مسلماً أو مؤمناً .

٢- نشرت الأخبار في ١٢/٤/١٩٩٠ ١٩٧٠/٦/١٧

يسألنا الأستاذ محمد عبد القادر حمدي

سبب الضجة ، فأنتى أقول له : سببها الخيرة على تقاليدنا الرفيعة ومثلنا العليا وأوصار ديننا ومقومات عتصمنا من أن تهدر باسم التطور .

وأما أننا ترك المرأة تفعل ما تشاء دون توجيه سليم أو كلمة حق تقال حتى لا تعاند وتركب رأساء ، فهذا ما لم يقل به أحد .

● صدر قرار جمهورى بتميين قضية الدكتور عبد الحليم محمود الأمين العام لجميع البحوث الإسلامية - وكيل للأزهر ، وتميين قضية الدكتور محمد عبد الرحمن بيسار أمين المجلس الأعلى للأزهر - أمينا عاما لجميع البحوث الإسلامية .

● يحضر قضية الدكتور بيسار الأمين العام لجميع البحوث الإسلامية - ممثلا للأزهر - الاجتماع التمهيدى لمؤتمر « الدين والسلام » الذى يعقد فى مدينة « كيتو » باليابال فى الفترة التى تبدأ يوم ١٥ من شعبان ١٣٩٠ الموافق ١٦/١٠/١٩٧٠ ويستمر أسبوعا .

● تخرج إحدى دور النشر الكويتية كتاب « سفيران الثورى » لقضية الدكتور عبد الحليم محمود وكيل الأزهر ، كذلك

مدير مكتب وكيل وزارة العدل أن تلعمر له هذا الرد عملا بحرية الرأى ، ونحن ننشره بكل ارتياح

« إننى أمارض الأستاذ محمد حدى فيما أبداه من رأى حول ملابس السيدات ، ذلك أننا دولة عربية إسلامية ، يجب أن تكون لها شخصيتها ومظهرها العام ، ولا تنساق إلى تقليد غيرها جريا وراء كل جديد ، وليس (المبنى جيب) مريحة من مراحل التطور كما يقول سيادته ، وإنما هو نقهقر إلى الوراء - نقهقر إلى العرى الذى نهى الله سبحانه المؤمنين والمؤمنات عنه .

العرى الذى أصبحت نعمة وتستقمعه الأخلاق الفاضلة والنوى الرفيع . وأنا شخصيا أومن بالتطور على أنه التقدم والوصول إلى الأحسن والأكمل لا التكموس إلى الأسوأ والأرذل . وقرى كبيرين عرى الأجسام نتيجة للتخلف الشديد فى بعض البلاد ، وبين أن تعتمد العرى تقليدا أسمى للغرب . ثم زعم أن هذا تطور : بئس التطور إذن إذا كان يصود بنا إلى عصر الإنسان الأول لمسير عرايا فى الطرقات ، وهو ما لم يكن حتى فى عصور الجاهلية الأولى .

أما استفهام الكاتب فى ختام مقاله من

تقدم له « المار القومية » بالقاهرة كتابه :
« مناصك الحج وأسواره » .

● هنت صحيفة « الميثاق » الغربية
لتي يرأس تحريرها الأستاذ عبدالله كنوة

عضو بجمع للبحوث الإسلامية بالأزهر -
حلة على للالطالقات الواردة بكتاب « أداء
العرب في الجامعة وصدر الإسلام »
لبطرس البحتاني - يردها للؤلؤف بفأف
عده سور القرآن وتعرضه - هو فقه
أو علم لقضية الناصخ وللنسخ .

هنت للصيحة ببيان الصواب والتدليل
عليه بعد أن كتب إليها أحد الطلبة
الحنجال القين بدوسون بناوية (للمرادة)
بغاس - مع مادة للكتاب .

● فشرت وزارة الأوقاف والفنون
الإسلامية بالسكويت كتاب : « التوائد
في مفكل القرآن » قمز بن عبد السلام ،
وكتاب « الجمان في تعبيات القرآن »
لأبي نايقا البغدادي ، و « مختصر صحيح
مسلم » لحافظ عبدالمعظم للنزدي صاحب
للتغريب والتعريب والكتب الثلاثة
من التراث الإسلامي الجليل

● هنت هنة ندوات للمسلمين
الأمريكيين والسكنديين خلال للؤلؤف

السوى التاسع عشر لاتحاد الجمعيات
الإسلامية في الولايات للتحدة وكندا ،
وقد ناقش للؤلؤف كثيرا من قضايا للمسلمين
الهامة .

وأبدى دكتور محمود حب الله مدير
للكركز الإسلامي بواشنطن ، ومصر بجمع
للبحوث الإسلامية - نشاطا متواليا كفله
لللؤلؤف وهذه الندوات أن تؤدى رسالتها
في رعاية المسلمين وللتعالم الإسلامية .

● أصدرت الجمعية العامة للفتوى
والتشريع بمجلس الدولة هنة مبادئ
تتعلق بمساواة هيئة التدريس بجامعة
الأزهر في المرتبات بنظراتهم في الجامعات
الأخرى وعدم تطبيق نظام الرواتب
الإضافية على للوظفني القين يعاملون
ببكاترات خاصة . وتتضمن هنة للبادئ :

(١) معاملة أعضاء هيئة التدريس
والعبيدين بجامعة الأزهر من حيث للمرتبات
والرواتب الإضافية معاملة لنظراتهم
في جامعات الجمهورية العربية للتحدة ،
ومنح من يحصل على درجة الماجستير
أوما يعادلها علاوة مقدارها ٣٦ جنيها
سنويا دون أن يؤثر ذلك على علاواته
الدورية أو فنتها .

« انتشار الإسلام في جيلان » وقد سبق
لمجلة الأهرار أن نشرت هذا البحث في سلسلة
من المقالات في شهر المحرم سنة ١٣٨٨ .

يارب

● رقيقة سوفية تفضية للشيخ محمد
خليل الخطيب هاجر النبي ﷺ :
يارب أرسل على الأعداء صاعقة
من صوب فلك لا نبي ولا نذر
واسلمهم الحلم والإمهال إثمهم
أفوا مبيداً - إذا ذلوا - لك اعتفوا

على الخطيب

(ب) لا يطبق القرار الجمهوري الخاص
بالرواتب الإضافية للمصلين على الماجستير
أو الدكتوراه أو ما يعادلها على الموظفين
الذين يعاملون بمقتضى أحكام كادرات
خاصة .

(ج) الملاوة الإضافية التي تمنح للمعيد
الذي يحصل على درجة الماجستير تقتضى
تحديد (دبلومات) الدراسات العليا
التي تقوم مقام درجة الماجستير
في استحقاق هذه الملاوة .

● منحت جامعة القاهرة مكافأة الأبحاث
لدكتور حامد غنيم أبو سعيد ، من بحثه

توقبوا في غرة رجب الكتاب القمري من سلسلة البحوث الإسلامية

التي يصدرها مجمع البحوث الإسلامية

« من قضايا العمل والمال في الإسلام »

تفضية للشيخ أبر الوفا مصطفى المراغي

to know Sulu at this time, if not earlier. In any case, there is evidence that Arab. ships, or rather, ships captained by Arabs, had, reached China from some island in the Philippines during this same century.

But as stated earlier, the coming of Muslims may not necessarily mean anything since they can come and go and leave no imprint in matters of the Faith. But it is at this point that the local tarsilas or salsilas (which are mainly geneological accounts) can come to the rescue. One of the most authentic or reliable tarsilas of Sulu narrates how a certain Tuan Masha'ika arrived at Jolo Island in the area of Matimbang and married a daughter of the ruling family. He came at a time, according to the account, when the people were still worshipping stones and other inanimate objects. That his origin is associated with extraordinary events only simply that he represented an old and highly developed culture. That he was a Muslim is evidenced by the typically Muslim names of most of his children. It is also known that the term "Masha'ika" is one of the plural forms of the word "Shaikh" and was used to denote descendants of

saintly people in South Arabia to distinguish them from the sharifs or sayids who were descendants of the Prophet Mohammad. Important to note about this tarsila account is that the descendants of Tuan Masha'ika began to move up north in the island. That they were people of note or had prestige can be inferred by existing accounts about them as well as by the assertion: that they were also descendants of a female member of the local ruling family or aristocracy. But what is relevant of this particular account is that it asserts the existence of Muslims in Sulu who married in's the local population

Unfortunately, the tarsilas do not offer any date about this interesting and outstanding personality. It is then that an archeological date can be of help. In Bud Dato, a few miles from Jolo, there is a tomb that had been taken care of for more than six hundred years. Without going into many details, the tombstone reveals that the deceased was a foreign Muslim who had died away from his land of origin. The date is 710 A. H. or 1310 A. D.

(to be Continued)

expanded in the Philippines as well as those forces that came in conflict with it such that the Filipino Muslims have become what they are today.

In order to attain a proper perspective about Islam's coming to the Philippines, it is first of all important to view this fact as part of the general spread of Islam in Malay lands, more specifically, in the Malay Peninsula, and in the Indonesian and Philippine Archipelagos. As it were, the Islamization of the Philippines would have constituted the end process, the last chapter, of the Islamization of the Malay peoples. But as is well known, History was to take an unexpected and different turn with the coming of the Spaniards with the Sword and the Cross.

The coming of Muslims to the Philippines was a function of Philippine participation in the international trade which during the ninth century extended from Morocco to China - a trade practically controlled by Muslim merchants of diverse nationalities but principally Arabs. However, the coming of Muslims do not necessarily imply Islamization; for Muslims can come and go without effecting any conversion. Actually the introduction and expansion of Islam must of necessity be the

result of many factors and to present a single or simple hypothesis is to risk dangerous conclusions. But some facts are at hand and it is possible to present a fairly consistent and creditable explanation about Islam's advent and spread in the southern islands of the Philippine Archipelago.

In 878 A. D., on account of an anti-foreign policy in China and a rebellion in the Celestial Empire, hundreds of Muslims were massacred in South China and hundreds of those who survived fled to the port of Kelah in the Malay Peninsula. Blocked from returning to China, these traders began to engage in a local trade in Southeast Asia. They gradually came to learn about new products. When by the tenth century, Muslim merchants were allowed once again to return to China, they did not abandon the traffic in these new products or the use of the new routes since the trade with the Malay peoples was profitable. It was a trade, too in which the Malays began to participate intimately — especially the port chiefs. It is believed that it was Muslim merchants who made Borneo known to the Chinese during the tenth century. Since Borneo is close to the Philippines it can be presumed that Muslim traders began

THE MUSLIMS IN THE PHILIPPINES

A HISTORICAL PERSPECTIVE

By : CESAR ADIB MAJUL

Muslims, in general, throughout the world, have tended to look at their history as a process tending towards justice provided men make an effort to work for it. But more than this; there is the wide-spread belief that the historic process is not solely the result of Man's intentions and actions but that there is an all Merciful and Compassionate Deity involved in the direction of such a process. Thus concomitant with the belief that life on earth is a severe moral test, there is always the hope that living the Islamic way of life makes it more purposive and tends to bring about a social situation where justice and the good life become operative.

Because of all of this, it becomes understandable why Muslims in the Philippines assert openly their belief that the coming of Islam to the Philippines and their being Muslims constitute an instance of Allah's mercy and graciousness. Also understandable is their belief that their bitter wars against the Spaniards and Americans, their resistance to any form of European

colonial design or foreign economic exploitation, and even their inter-clique quarrels and the chronic epidemics that visited them, were all tests to their survival and to whether they deserved to maintain their integrity as an Islamic community.

In so far as they are aware of belonging to a definite religious community, Muslims in the Philippines have always made an effort to understand their past and have never ceased to recall those men who, on account of personal traits, character, and leadership, have helped to guarantee the preservation of Islam in the Philippines in spite of the determined efforts of their antagonists to take their religion, land, and knowledge of their ancient past away from them. A careful analysis of the history of the Muslims in the Philippines will demonstrate that the character and attitudes of present-day Muslims are not only the result of what they have made out of themselves but also what others have forced them to become. It is thus that it is important to know how Islam was introduced and

to be thankful to Him, to obey Him, to shun all that does not suit His universal Divinity — all these constitute the individual duties of everyone, for which each one shall be personally responsible.

The angels

137 — God being invisible and beyond all physical perception, it was necessary to have some means of contact between man and God ; otherwise it would not be possible to follow the Divine will God is the creator not only of our bodies, but also of all our faculties — which are diverse and each capable of development. It is He Who has given us the intuition, the moral conscience, and the means we employ to guide us in the right path. The human spirit is capable of both good and evil inspirations. Among the common folk it is possible that good people receive sometimes evil inspirations (temptations) and bad people good inspirations. Inspirations may come from someone other than God which enables our reason to distinguish between that which is celestial and worthy of following, and that which is diabolic and fit to be shunned.

138 — There are several ways

of establishing contact or communication between man and God. The best would have been incarnation ; but Islam has rejected it, it would be too degrading for a transcendent God to become man, to eat, drink, be tortured by His own creatures, and even be put to death. However close a man may approach God, in his journeying towards Him, even in his highest ascension, man remains man and very much remote from God. Man may annihilate himself as say the mystics, and efface completely his personality, in order to act according to the will of God, but still — and let us repeat that — man remains man and subject to all his weaknesses, and God is above all these insufficiencies.

139 — Among other means of communication between man and God, which are at the disposal of man, the feeblest perhaps is a dream. According to the Prophet, good dreams are suggested by God and guide men in the right direction.

140 — Another means is *ilqa* (literally, throwing something towards someone) a kind of a auto-suggestions, of intuition, of presentation of solutions in case of impasses or difficult problems.

God is One, though He is capable of doing all sorts of things. Hence the multiplicity of His attributes. God is not only the creator, but also the master of all : He rules over the Heavens and the earth ; nothing moves without His knowledge and His permission. The Prophet Muhammad has said that God has ninety-nine "most beautiful names", for ninety-nine principal attributes : He is the creator, the essence of the existence of all, wise, just, merciful, omnipresent, omnipotent, omniscient, determinant of everything, to Whom belong life, death, resurrection, etc., etc.

135 — It follows that the conception of God differs according to individuals : a philosopher does not envisage it in the same manner as a man in the street. The Prophet Muhammad admired the fervour of the faith of simple folk and often gave the example of "the faith of old women", that is, unshakable and full of sincere conviction. The beautiful little story of the elephant and a group of blind men is well known : They had never before heard of an elephant : so on its arrival, each of them approached strange animal : one laid his hand on its trunk, another on its ear, a third on its leg, and a fourth on its tail, etc. On their return, each one exchanged impressions and des-

cribed the elephant in his own manner and personal experience, that it was like a column, like a wing, something hard like a stone, or soft and slender. Everyone was right, yet none had found the whole truth which was beyond his perceptive capacity. If we replace the blind men of this parable by searchers of the invisible God, we can easily realize the relative veracity of individual experiences. As certain mystics of early Islam have remarked : "There is a truth about God known to the man in the street, another known to the initiated, yet another to the inspired prophets, and lastly the one known to God Himself". In the expose given above, on the authority of the Prophet of Islam, there is enough elasticity for satisfying the needs of different categories of men ; learned as well as ignorant, intelligent as simple, poets, artists, jurists, mystics, theologians and the rest. The point of view and the angle of vision may differ according to the individual, yet the object of vision remains constant.

136 — Muslim have constructed their entire system on a juridical basis, where rights and duties are correlative. God has given us the organs and faculties which we possess, and every gift implies a particular obligation. To worship God,

question as to what is Faith and said : "Thou shalt believe in the One God, in His angelic messengers, in His revealed books, in his human messengers, in the Last Day (of Resurrection and final judgement) and in the determination of good and evil by God". On the same occasion, he explained as to what signifies submission to God in practice, and what is the best method of obedience, points which shall be treated in the next two chapters.

God

130 — Muslims have nothing in common with atheists, polytheists, and those who associate others with the One God. The Arabic word for One God is Allah, Lord and Creator of the universe.

131 — Even the simplest, the most primitive and uncultured man knows well that one cannot be the creator of one's own self : there ought to be a Creator of us all, of the entire universe. Atheism and materialism does not respond to this logical need.

132 — To believe in polytheism will entail the difficulty of the division of powers between the several gods, if not a civil war among them. One can easily see that all that is in the universe is

interdependent. Man, for instance, requires the aid of plants, metals, animals and stars, even as each one of these objects needs another's help in some way or other. The division of Divine powers thus becomes impracticable.

133 — In their praiseworthy solicitude, for not attributing evil to God, certain thinkers have thought of two different gods ; a god of the good and a god of the evil. But the question is whether the two would act in mutual accord, or there would arise conflict between them ? In the first case, the Duality becomes redundant and superfluous ; and if the god of the good consents to the evil, then he becomes even an accomplice in the evil, thus vitiating the very purpose of the Duality. In the second case, one will have to admit that the god of evil would be more often victorious and obtain the upper hand. Should one believe then, in a weakling, the god of the good as God. Moreover, the evil is relative thing : with regard to one if something is evil the same thing becomes a good with regard to another person, and since the absolute evil does not exist, there is no attribution of the evil to God (cf. infra 155, 157, 228 also).

134 — Monotheism alone, pure and unmixed can satisfy reason.

forth. Metaphysics try to answer to these questions of mental anguish, but that is only a part of religion which is more comprehensive and answer to all the allied questions. The science which treats with this is religion. Beliefs are purely personal affairs. Nevertheless, the history of the human species has known in this connection many an act of fratricidal violence and horror, of which even the beasts would be ashamed. The basic principle of Islam in this matter is the following verse of the Qur'an (2 : 256) :

"There is no compulsion in religion; the right direction is henceforth distinct from error; and he who rejecteth the Devil and believeth in God hath grasped a firm handhold which will never break; God is Hearer, Knower."

It is charity, and even a sacrifice, to guide others and to struggle for dispelling the ignorance of fellow-beings without compelling anybody to any belief whatsoever—such is the attitude of Islam.

127 — The knowledge and intelligence of man are in a process of continuous evolution. The medical or mathematical knowledge of a Galen, or of an Euclid scarcely suffices today even for the matriculation examination; the university students require much more knowledge than that, in

the field of religious dogmas, primitive man was perhaps even incapable of the abstract notion of a transcendental God, Whose worship would require neither symbols nor material representations. Even his language was incapable of translating sublime ideas without being forced to use terms which would not be very appropriate for abstract notions.

128 — Islam lays very strong emphasis on the fact that man is composed simultaneously of two elements: his body and his soul; and that he should not neglect any one of these for the sole profit of the other. To devote oneself exclusively to spiritual needs would be to aspire to become an angel (whereas God has created angels other than us); to dedicate oneself to purely material needs would be to be degraded to the condition of a beast, a plant, if not a devil, (God has created for this purpose objects other than men). The aim of the creation of man with a dual capacity would remain unfulfilled if he does not maintain a harmonious equilibrium between the requirements of the body and those of the soul simultaneously.

129 — Muslims owe their religious faith to Muhammad, the messenger of God. One day the Prophet Muhammad himself replied to a

The Islamic Conception of Life

By Dr. Muhammad Hmidullah

(Continued from June 1970 issue)

123 — Predetermination in Islam has another significance, not less important, namely, it is God Who alone attributes to a human act the quality of good or evil ; it is God Who is the source of all law. It is the Divine prescriptions which are to be observed in all our behaviour; and which He communicates to us through His chosen messengers Muhammad was the last of these, also the one whose teaching has been the better preserved. Who do not possess originals of the ancient messages which have suffered damages in the unhappy fratricidal wars of the human society. The Qur'an is not only an exception to the rule, but also constitutes the latest Divine message. It is a commonplace that a law later in date abrogates the former dispositions of the same legislator.

124 — Let us, in conclusion, refer to another trait of Islamic life : It is the duty of a Muslim not only to follow the Divine law in his daily behaviour in his life as an individual as well as a part of the collectivity, in matters, temporal

as well as spiritual. He is also to contribute according to his capacities and possibilities, to the propagation of this ideology, which is based on Divine revelation and intended for the well-being of all.

125 — It will be seen that such a composite creed covers the entire life of man, not only material but also spiritual; and that one lives in this world in the preparation for the Hereafter.

Faith and Belief

Men believe very many sorts of things : in truth, with all the relativity which this concept has ; in superstitions, and sometimes even in what is based on misapprehensions. The beliefs may change with age and experience, among other factors. But certain beliefs are shared by a whole group in common. In this context, the most important aspect is the idea of man regarding his own existence : whence has he come? where does he go? who has created him? what is the object of his existence? and so on and so

suffered, but that some, Cyrenean was crucified in his place. The Corinthians, before them and the carpenters next, to name no more of those who affirm Jesus to have been a mere man, did believe the same thing : that it was not himself but one his followers very like him, that was crucified. Photius tells us, that he read a book entitled "The journey of Apostles," relating the acts of Peter, John, Andrew, Thomas and Paul; and among other things contained therein, this was one, that Christ was not crucified, but another in his stead, and that therefore, he laughed at his crucifiers, those who thought they had crucified him."

Now let us go further to give mention to certain important contradictory teachings of Church Christianity from Muslim point of view.

One of the foremost Christian principles or dogmas is unity in Trinity and Trinity in unity. This, in itself is but clear compromise of which a divine religion should be free. The Romans believed in three Gods, whilst the Jews believed in one. When the Romans showed their readiness to adopt Christianity, a compromise was, it seems, at once arrived at Appar-

ently for the sake of the Romans, the unity of God, as believed by the Jews, underwent a change; it was assimilated into the tri-headed God head and so the two creeds became merged into one. No Muslim person can think of reconciling such contradictions.

The second instance of contradictory principles is, that Jesus has been called a man and God at the same time; while the fact is that the Creator and the created cannot be one and the same. Therefore, Jesus cannot be God and man, at the same time.

The third principle, where contradictions have been brought together, is that on the one hand, Jesus declared in the Gospels, that renunciation of even the least commandment of the law dooms a man to eternal perdition; while it is taught by Paul, that the law was a curse.

The fourth example of contradiction principles, is the Christian doctrine that God being just, cannot forgive sins, hence the necessity of the Crucifixion of His only begotten son for the redemption of the sins of mankind, while maintaining at the same time that God would forgive us our trespasses, only when we forgive those that trespass against us.

truths of the earlier religions and restore them to their primitive purity. The Words of God are like drops of rain come from time to time through the teachings of the respective Prophets and just as the purer rain from heaven gives life to the dead earth and causes fresh verdure and vegetation to germinate, by its life-giving influence, so the Quran re-affirms the Olden truths revealed to all inspired Masters of humanity.

The chief points of difference between the two great religions, Christianity and Islam, lie in the fact that while Muslims do believe in the message of Jesus Christ, in the supernatural acts of healing worked through or for him, and in his miraculous birth, they do not believe in his Divinity or sonship, except as a figure of speech, dangerously open to misunderstanding.

The Muslim attitude towards the virgin conception of Jesus is that God createth what he willeth; when he hath created a plan, He but saith to it "Be and it is".

The personality of Jesus Christ and his mother, the Virgin Mary, are held in the highest reverence by every Muslim.

Muslims hold that Jesus Christ was the blessed Apostle of God

who was sent to reclaim the people of Israel and to confirm the message of Moses.

He proclaimed his mission by many manifest signs, being confirmed by the Holy Spirit, he foretold the advent of another apostle to succeed him named Perislete.

As regards the Christian doctrine that Jesus was crucified by the Jews, the constant doctrine of the Muslims is that it was not Jesus who underwent crucifixion, but someone else, resembling him in shape, namely, Judas who agreed with the Jews for some pieces of silver, and led those who were sent to take him. After the crucifixion of the wicked Judas, and the taking up of Jesus to heaven, Christ, the Apostle of God was sent down again to earth, to comfort his mother and devoted disciples, and to tell them how the Jews were deceived; and he was taken up a second time to heaven.

* It is asserted by several, writes George Sale, that this story was an original invention of Muhammad's; but these are certainly mistaken; for several sects held the same opinion long before Muhammad's time. The Basilidians in the very beginning of Christianity, denied that Christ himself

being discussed in certain advanced circles in both continents, and a desire to create a better understanding among the adherents of the various denominations of the world.

To achieve this most desirable end, it is inconsistent with the advanced culture of enlightened European and American enquirers that information of Islam... a religion which at present is a powerful factor in humanising millions hitherto living in ignorance and barbarity... should come through any adulterated channels and from the writings and works of propagandists hostile to Islam.

Isaac, Jacob, Moses and Jesus and all other Prophets who have received revelations from God, though whose names or stories were not related in the Quran; Muslims are taught to make no distinction whatever between any of the Prophets of God.

(Quran 11-136).

The Quran also teaches that there hath never been a nation to whom God hath not sent a Prophet (XXXV : 24).

The Arians and the Ancient Hindus were originally unitarians as can be easily proved by consulting the Avista of the Zoroast-

rians, the Gita of the Hindus and the teachings and sayings of Buddha and the teachings of Confucius; yet through the ages the followers of these great masters have lost or overlooked the original divine truths taught by their respective Prophets.

As regards Christianity there is so much in common between the true teachings of Holy Jesus Christ and those of the Arabian Prophet.

Islam and Christianity equally share the responsibility of restoring the religion preached by the earlier prophets to its original purity and of arousing the primitive people to the inspiration of revealed religion.

If this is so where then do the Muslims and Christians differ? The subject is made quite clear if only the fundamental position on which the superstructure of the Muslim Religion is erected. From the beginning to the end of the world, there has been, and for ever there shall be but one true Orthodox religion, consisting, as to matter of faith, in the acknowledgment of the only true God (Allah); and in the belief in, and obedience to such messengers and Prophets of God, as he has been pleased to send from time to time with credentials, to reveal His will and the

Where do the Muslims and Christians differ ?

Although some vague knowledge of the laws and tenets of Islam may be obtained from treatises and books already composed by westerners, yet he who is desirous to comprehend thoroughly their spirit must trace them to the fountainhead. In the ordinary intercourse of life, he who is desirous of gaining the esteem and affection of those with whom he becomes in contact, will be careful not to offend against their religious precepts and notions of right and wrong with which he can be acquainted by consulting their own records.

Furthermore, it behoves those ministers of the Christian church whose zeal leads them in attempts to refute the tenets and precepts of other religions, to be well acquainted with those standpoints which they undertake to impugn.

The learned Ronald has shown that "Christian church writers of no small eminence in point of learning and reputation have egregiously misrepresented the doctrines of Muslim faith, and bestowed much useless, in confuting opinions which the followers of

the Arabian Prophet never maintained; thus exposing themselves to the charge of ignorance and the contempt of their adversaries; and injuring the cause they had undertaken to defend by making it appear to stand in need of false allegation for its support".

Indeed, it is misrepresentation, and misinformation, from which Muslims chiefly suffer. They had imputed to them that which has no existence whatever in their teachings and policy; baseless charges have been advanced against Islam; nay the very beauties which Muslims account amongst their exclusive possessions have been denied them, and the very evils which Islam came to eradicate and did succeed in so doing, are ascribed to it. It is certainly a great pity that, with all this out pouring learning and literature very little real effort has been made to clear away the clouds of misrepresentation and defective knowledge which still envelop the religion of the Arabian Prophet in Europe and America.

However, it is a happy sign to find plans for a universal religion



'The Dome of the Rock'-Jerusalem

It is on this Rock that Prophet Muhammad
(peace be upon him) placed his foot in
'the Night of Ascent'

Intellect with the help of the Qur'an was in a position to interpret life correctly and to mould its destiny thereby.

It is the distinctive characteristic of Islam; that it is not merely a system of positive moral rules, based on a true conception of human progress, but it is also the establishment of certain principles, the enforcement of certain dispositions, the cultivation of certain temper of mind which the conscience is to apply to the ever-varying exigencies of time and place.

The wonderful adaptability of Islamic rules to all ages, places, nations and circumstances; their entire agreement with the light of reason and the absence of all mysterious ideas, prove that Islam represents the latest developments of the religious faculties of human being. It combines within itself the prominent features in all ethnic and general religions compatible with the reason and moral intuition of man.

Thus Islam signifies a religion of right-thinking, right-speaking and right-doing, founded on divine love, universal charity and the human brother-hood. In the fulfilment of Muhammad's mission in his lifetime lies his distinctive superiority over the prophets and reformers of different times of history. It was reserved for Prophet Muhammad to fulfil his mission, and that of his predecessors. It was reserved for him alone to see accomplished the work of amelioration, no royal disciple, came to his assistance with edicts to enforce the new teachings. The humble preacher, who had only the other day been hunted out of city of his birth and been stoned out of the place where he had be taken himself to preach God's words, had, within the short space of 9 years, lifted up his people from the abysmal depths of moral and spiritual degradations to a conception of purity and justice.

His life is the noblest record of a work nobly and faithfully performed.

judged by his work alone.

His mission was first achieved in the midst of a nation sunk in a degrading and sanguinary, superstition, and steeped in barbarism to whom the Qur'an refers as follows :

« هو الذي بعث في الأميين رسولا
منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم
الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل
لن ضلال مبين » . (الجمعة ٢) .

It means : "He it is who hath sent among the unlettered ones a messenger of their own, to recite unto them His revelations and to teach them the Scripture and wisdom, though heretofore they were indeed in error manifest" 62 : 2. He inspired them with the belief in one Sole God of truth and love. He united them by the ties of brotherhood. Before that the Arabian peninsula was wrapt in absolute moral darkness.

Spiritual life was utterly unknown. Neither Judaism nor Christianity had made any lasting impression on the Arab mind. The people were sunk in cruelty and vice. The idea of future existence, and of retribution of good and evil, were as motives of human action practically unknown. Only a few years before Muhammad's mission, such

was the condition of Arabia. What a change had the few years of his mission witnessed !

A moral desert, where all laws, human and divine, were contemned and infringed without remorse, was now transformed into a garden. Idolatry, with its nameless abominations, was utterly destroyed. Islam furnishes the only solitary example of a great religion which though preached among a nation and reigning for the most part among a people not yet emerged from the dawn of an early civilization, has succeeded in effectually restraining its votaries from idolatry. This phenomenon has been justly acknowledged as the pre-eminent glory of Islam and the most remarkable evidence of the genius of its Prophet.

The prophet Muhammad (peace be on him) was the recipient of the Holy Qur'an and in him are found the precepts of Islam in their concrete and applied form. In his life and work, therefore, we get Islam in flesh and blood. His precepts and examples are most reliable guides to the theoretical as well as practical knowledge of Islam. The Holy Qur'an was revealed and revelation and prophet-hood were made final when humanity-reached adolescence - when human

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FUDA

RAJAB
1390

ENGLISH SECTION
EDITED BY
A. M. MOHLADDIN ALWAYS

September
1970

On the occasion of the 'Night of Ascent' :

The Prophet of Light and Guidance

By

A. M. Mohiaddin Always

The Mission of the Prophet Muhammad (peace be on him) was indeed a miraculous revelation that brought about an unprecedented change among the warring tribes of Arabia, at one time engaged in blood feuds. The Prophet infused the true light to see the face of Truth from the mirror of conscience and to understand the merit of mutual respect and love of service to fellow-men, as the highest form of submission to the Sovereignty of the Supreme.

The life of the Prophet presents a picture of perfection for our Guidance. He exemplified in himself every aspect of human behaviour to be a perfect model of

man. The Prophet exhorted the people to cultivate the spirit of selfless service and sacrifice, through which alone salvation is assured, and to rise to the pinnacle of greatness in the standard of human achievement and to reach the summit of satisfaction.

Islam, with its seeds of human brotherhood, equality and justice, taking root in the soil of Arabia, blew the wind of change far and wide and swept the world to adopt the precept of unity, fraternity and equality as the soundest and safest structure of solidarity in human relationship. Islam tries to attain the object of perfection by grasping the principle that man will be



مجلة شهرية جامعة

تتبعه من شعبة النشر في (الكلية الشريعة)

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
«بذل الشكر»
في بيروت لبريد
٦٠ شارع طبرية
والدكتورين الطرابلسي

«العنوان»
إدارة المجلة الأزهر
بالقاهرة
ت ٩٥٩١٤
٩٥٥٥٦

الجزء السادس — السنة الثمانية والأربعون — شعبان سنة ١٣٩٠ هـ — أكتوبر سنة ١٩٧٠ م

لبنان العام ١٩٧٠

مواجهة الحرب النفسية للأستاذ عبد الرحيم فودة

مزا مضا : فكان للضمفاء والمنافقون
كما يقول الله فيهم : « وإذا جاءهم أمر من
الأمم أو الخوف أذاعوا به ولوردوه إلى
الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعنه الله الذين
يستنبطونه منهم » .

وكان الأقوياء المؤمنون الصادقون كما
يقول الله فيهم : « الذين قال لهم الناس إن
الناس قد جمعوا لكم فاخشعوا فزادهم إيماناً
وقالوا حمينا الله ونعم الوكيل » ، ثم كان
إيمانهم بالله ، وقصمهم بالنصر ، وتوطين
نفوسهم على عجايب الأحداث مهما تكن

براد بالحرب النفسية في لغة هذا العصر
الإشاعات والأبواب والآفويل الكاذبة التي
يطبقها الأعداء لإثارة قلق والأرق ،
وزعزعة الثقة وتذللهم ، ليفقد الشعب
للمعصية في المناومة والصمود ، ويتمدد
الجيش بذلك سنده في المعركة والميدان ،
وهذا يسهل على عدوه غزوه والتغلب عليه .
وقد عرف المسلمون في أول عهدهم
بالإسلام هذا اللون من الحرب بما كان
يذيعه المنافقون واليهود في المدينة من
تأليب كاذبة ، وأخبار باطلة ، وأراجيف

ما يفقره قول الله : « وليبتلي الله ما في صدوركم وليخلص ما في قلوبكم » فإن الابتلاء هو الاختبار بالبلاء ، والتجسس تخليص الشيء مما يشوبه ويصيبه . وقد امتحن المسلمون بمختلف صنوف الحزن ، وابتلوا بألوان قاسية من الشدائد ، وتحملوا ماتوه بحمد الجبال ، وصبروا حتى انتصروا وظفروا وصاروا كما يقول الله : « كنتم خيراً أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ، وكما يقول : « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً » .

ونحن في موقفنا مع الصهيونية والاستعمار وقوى الشر التي تحير في مسارها وتدور في مدارها يجب أن نقاوم الحرب النفسية التي تشن علينا بالثقة للظلمة في الله وتوطيد النفوس على الصبر ، واستمهال الصعب ، واستعذاب اللزول في الجهاد إلى غايته التي حددتها الله بقوله : « ومن يقاتل في سبيل الله فيموت أو يصاب فموف ثوابه أجرأ عطاء » ، فإن ذلك يهيم منه أن الغاية من الجهاد هو الأجر بالاستعداد أو النصر ، وقد بينه الله حيث قال :

شدتها وقسوتها ، ومواجهة العدو مهما يكن شأنه ووزنه وخطره ، وبتقنين الثابت بأل كل ما يصيبهم في أنفسهم وأموالهم إنما هو بقدر من الله كما يقول سبحانه : « ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير » .

كل هذا كان يحلمهم في مناعة من التأثير بالآباء والأقارب والإشاعات للكاذبة ، بل كانوا يرون الخطر أمام أعينهم يحدق بهم ، ويكاد يطبق عليهم ، فلا يزيد ذلك إلا قوة استبسال ، وإصرار على القتال وثقة بالنصر ، كما يفهم من قوله تعالى : « ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله . وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً . من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً » .

لقد كانت نفوسهم - كالمعادن النفيسة - تمتحن بالحزن والقتل والشدائد فيصفو جوهرها ، وتزداد تألقاً وإشراقاً ، كما يصفو الذهب بالنار تحمي عليه وتبعد عنه مداخله من زيف وشبه من عيب ، وذلك بعض

فلننتقل أبواق الاحتمار والصهيوية
بما تعاه من أراجيف وأناة ودعابات كاذبة
وليسكن منطلقنا إلى مواجهة أعدائنا
وأعداء ديننا من هذه الذخيرة النفسية
للنفسية... إيمان بالله، وثقة بأن الأحل
لا يتقدم بحرب ولا يتأخر بسلم، ويقين
بأنه « لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا »،
ثم العزم على انتزاع النصر مهما يكن ثمنه،
والامتنان إلى الله وعد الله حق،
والاستقامة على الطريق الذي شرعه الله،
ودينه الذي ارتضاه : « إن الذين قالوا
ربنا الله ثم استقاموا تنزل عليهم الملائكة
ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة
التي كنتم توعدون، نحن أولياؤكم في الحياة
الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم
ولكم فيها ما تدعون، نزلنا من غفور رحيم »
هذا هو الإيمان حقا وصدا كما يفهم من
قوله تعالى : « إنما المؤمنون الذين آمنوا
بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم
وأ أنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ».
وهذا هو أمضى سلاح في مواجهة الحرب
النفسية « والله غالب على أمره ولكن
أكثر الناس لا يعلمون »

عبد الرحيم فودة

« إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم
وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله
فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة
والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله
فاستبشروا بيمينكم الذي بايعتم به وذلك
هو الفوز العظيم ».

وقد كان للسلون يحبون للوت في هذه
السبل ويرون فيه إحدى الحميين،
كما يفهم من قوله تعالى : « قل هل ترهبون
بنا إلا إحدى الحميين ونحن نترهبكم بكم
أن يصيبكم الله بعباد من عنده أو بأبدنا »
أما الفرار من الميدان فلم يكن يخطر لأحد
هل بال، لأنه عار لا تقبله نفوسهم الآية،
ولأنه يرضهم لغضب الله ويحرم إلى نار
جهنم وسوء المصير كما يقول الله : « يا أيها
الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفوا
فلا تولموا الأعداء، ومن يولم يومئذ دبره
إلا متحرفا لقتال أو متعذباً إلى فئة فقد باء
بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ».

لهذا كان أبو بكر رضى الله عنه يقول
ظالم بن الوليد وهو يودعه ويودع جيشه :
اطلب الموت توهب لك الحياة. وكان خالد
يقول لقائد من قواد القرس : لقد جئتكم
بقوم يحبون للوت كما تحبون الحياة.

دلالة القرآن على نفسه أنه من عند الله

لقد كتب محمد أحمد رافعي

— ٣ —

مثلاً، جزءاً منه في اليوم بقصد ملاحظة مبلغ ورود ضمائر الجلالة وأسماء الله الحسنى في القرآن، ثم، وهو الأمر، بقصد إتناكده بنفسه من أن المعاني المأثمة إلى تلك الضمائر والأسماء الجلية تليق بها وتناصبها في الجلال، فليس الخبر كالبيان.

والأمر في هذا التناصب بين جلالي وكني الإسماء واضح في كليات القرآن. وهو أوضح في الآيات القرآنية المتعلقة بظواهر كونية ليس للإنسان فيها يد، منه في الآيات المتعلقة بظواهر للإنسان يد فيها. ثم هو في بعض هذه أوضح منه في بعض.

فمثلاً في قوله تعالى: «وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ دُونِكُمْ مَكَنًا، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ دُونِهِ الْأَنْعَامَ بِيُونًا تَسْتَعْقِفُونَهَا يَوْمَ تَلْعَنُكُمْ يَوْمَ إِيْئَاتِكُمْ، وَمِنْ أَسْرَافِكُمْ وَأَوْبَارِكُمْ وَأَشْعَارِكُمْ أَنْتُمْ وَمَتَابُ إِلَى حِينٍ» (١) نجد في أولها ذكر نعمة الله على عباده في البيوت التي يهد الإنسان

بعد دلالة ضمير الرسالة ودلالة ضمير الجلالة (١) تأتي دلالة المعنى في القرآن.

وما أعتمد من معنى إلى ضمير من ضمائر الجلالة أو إلى اسم من أسماء الله تعالى فلا بد أن يكون مع الجلال بحيث يليق بذلك الإسماء أي بحيث يتناصب مع جلال الاسم المأثمة إليه، إذا كانت تلك المعاني حتماً من عند الله. فهل هذا الشرط متحقق فعلاً في تلك المعاني حتى تكون دلالتها ظاهرة في إثبات أن القرآن من عند الله انطفاً ومعنى؟ — لفظاً بدليل ضمير الجلالة للضمير، ومعنى بدليل تحقق ذلك الجلال في تلك المعاني للارمجة لضمائر الجلالة وأسماء الله الحسنى أيما وردت في القرآن الكريم، وهي كما هو معروف تنظمه كله مع سورة القامحة إلى سورة الناس. فمن يتأمله شك في هذا من لم يكن قرأ القرآن، أو ممن قرأه ولم يلحظ هذه الخاصية القانية فيه، فليحسن إلى نفسه بقراءة القرآن في شهر

والمتاع يدخل فيه ما قد يتخذ من الأصواف والأولر والأشعار لازمة ، أما الثياب التي يتخذ منها لائقاء الجو وتقلباته فقد من الله على عباده بها عن طريق ما يسمى في علم البلاغة بالاكتماء ، وذلك ضمن ثم قد أخرى ذكرها سبحانه في الآية التي تلت الآية السابقة وهي قوله تعالى « والله جعل لكم من الجبال أكثانا ، وجعل لكم سراويل تفيكم الحر ، وسراويل تفيكم بأكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تهتدون . »

ولابد لنا هنا من ملاحظتين ، إحداهما عرضية لكن لها أهميتها والأخرى أصلية تتعلق بالبحث ، فالعرضية : هي من حكمة التبصير بسراويل بدلا من (ثياب) أو (لباس) ، وفي هذه الآية لا في سابقاتها . فالسراويل أهم من الثياب التي هي أهم من اللباس فيما يبدو ، لأن الأصل في اللباس ما يلبس الجسم كما يشعر به قوله تعالى : « يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم ويزينكم » (١) . ولقد استعير لما يلبس الروح والنفس من التقوى في قوله

أظهر فيها عند الإنساذ ، إذ هو الذي بناها لاقتضت حكمة الله أن يمن عليه بالبيوت مبنية بتخذها لمسكني والسكوز والاحتواء من الأجواء والأعداء « والله جعل لكم من بيوتكم سكنا » وهذا يتضمن للن عليه بما قل أن يتذكره الإنسان من أن الله هو الذي أوجده مواد البناء وعلمه عليه ، ولو تذكره لتبين له ما قد يخفى عليه من التناسب بين جلال المبدء وجلال للسند إليه في صغر الآية الكريمة ، وكذلك الشأن في أمثالها ، أما بقية الآية والتناسب بين الجلالين فيها أظهر ، لأن يد الإنسان فيها من الله عليه فيها حتى عند الإنسان فليست جلود الأنعام وأصوافها وأوبرها وأمعارها كمواد البناء يخفى على الإنسان أو قل أن يتذكره أن الله أوجدها وهياها ليتنعم الناس بكل منها على الوجه الذي ذكر الله ، بمد علم أو فن لا بد أن يتعلموه ، فأيات الله في ذلك ونعمته على عباده هي من الواضح بحيث اقتضت حكمة الله أن يقررها لعباده صراحة لا ضمنا في تمام الآية الكريمة : « وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ، ومن أصوافها وأوبرها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين . »

من الجو وتقبله في آية مستقلة لتعمل أيضا ليس فقط ما يتخذ من الألياف النباتية المعروفة من قديم كالسكنان والقطن . ولكن أيضاً الألياف الاصطناعية التي عرفها الإنسان بعد أن آتاه الله ما آتاه من العلم الحديث .

أما للملاحظة الأخرى الأصلية بما كتبه هذا البحث فهي أن التوافق بين جلال المعنى وحلال الإسناد في صدر الآية الكريمة أي في قوله تعالى : « والله جعل لكم مما خلق ظلالا » وجعل لكم من الجمال أكنانا » هو من الظهور والوضوح بحيث لا يجوز لأحد أن يخالجه فيه شك إذ ليس للإنسان فيه قط من يد ، بخلاف ما للإنسان من يد ظاهرة في ابتداء البيوت التي من الله بها على عباده في صدر الآية التي قبلها ، فهذا من لطيف اللقاة بين صدرى الآيتين الكريمتين . أما تقدير الحلال بين وكى الإسناد في بقية الآية الثانية ، حكمه وشرطه كالذي ذكره نظيره من أولى الآيتين : أي أن من الإنسان فيه وفي مثله أن يتذكر أنه الله هو الذي أوجد للادة التي يتمتع الإنسان بمخاوصها ، وأنه سبحانه هو الذي علمه علم ذلك الانتفاع .

تعالى في نفس الآية عقب ما ذكرنا منها « ولباس التقوى ذلك خير » واستعير لما هم القربة التي كفرت بأنتم الله من هذاب الخوف والجوع بمسد نعمة الأمن ورغد المعيش ، وذلك في قوله تعالى « فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » (١) .

واللباس هنا ليس ما يلبس فيكون من قبيل تجريد الاستعارة ولكن ما يلبس النفوس والأجساد من شهور الحروف وآلام الجوع التي أكلها الله بقوله : « فأذاقها » . والتوافق في حقيقة يكون من داخل ولا يكون من الخارج قط .. والنياب أشمل اللباس من غير شك لكنها قد لا تشمل ما تشمله السراويل من محو للمخاطب وما يصنع من الفراء لانتفاء البرد الذي لم يذكر في الآية الكريمة اكتفاء بذكر مقابله وهو الحر . يمكن الذي لا شك فيه أن الذي في من اللباس كالندروع لا يدخل في الثياب ، فهذا دليل أن السراويل أعم وأشمل ولو ذكرت في الآية قبلها لما دلت إلا على ما يتخذ من الصوف والوبر والشعر الحيواني ، لكن ذكرت السراويل الواقية

وزنه يعاوى بالضبط وزن الزيادة في الحولة وطبعا إذا انتقص من حولة السفينة بالتفريغ نقص ظاهرها بما يتناسب ذلك ، فالدائس منها يزد أو ينقص بحيث يتحقق دائما التماوى بين وزن السفينة بمحمولاتها ووزن الماء الذى يزيجه ظاهرها ، ودفع الماء السفينة إلى أعلى ، فهما تحقق هذا التماوى بين هذه الثلاثة تحقق للطفو على الماء للحجم أو للسفينة ، وإلا غاص الجسم كله وغرقت السفينة . ولهم طبعا ألا يغوص من ارتفاع السفينة إلا الأقل ، وذلك يكون بالتوسع فى العرض والطول ، إذ وزن الماء المزاح متناسب مع حجمه أى مع أبعاد جزء السفينة الذى تحت الماء مضموبا بمضما فى بعض ، وهندسة السفن وصنائعها يقرر أن فيها بينهم أخير تناسب بين أبعاد كل سفينة لتحقيق الغرض منها ، على اختلاف أصناف السفن ، لكن لولا سنة الله تلك فى طفو الأجسام ما كان هناك السفن هندسة ولا صناعة ، فمن لم يدرك تلك السنة لم يدرك آية الله فى قوله تعالى « وآية لهم » ولا منه الله على عباده ولا جلال المعنى وتناسبه مع ضمير الجلالة للفكر فى قوله تعالى « أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون »

وقد يحتاج الإنسان إلى الإلمام بشئ من حنن الله فى المعطرة قبل أن يدرك ذلك الجلال فى آية قرآنية من الله على عباده فيها نعمة للإنسان فيها يد وإن خفيت ، فمن لم يلهم مثلا سنة الله للعلقة بطفو الأجسام لم يدرك تمام النعمة عليه وعلى الناس ، ولا يبلغ الجلال فى الآيات التى من الله فيها على عباده بتسخير الفلك لهم ، على تعدد جواب ذلك التفسير ، سواء ذكر العمل (حضر) كما فى قوله تعالى « وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره » (١) أم لم يذكر كما فى قوله تعالى « وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون » فى وصف الفلك بالمشحون فى هذه الآية الكريمة من سورة (يس) إجماعة واضحة إلى أن الفلك للثقل بحمولته كان من شأنه أن يغوص فى الماء ويفرق لولا سنة الله تفضى بالآية يغوص من السفينة إلا القدر الذى يكفى لإزاحة قدر من الماء وزنه مثل وزن السفينة ، وعندئذ يكون دفع الماء السفينة إلى أعلى مساويا بالضبط ضغط السفينة على الماء إلى أسفل ، فإذا زيد فى حولة السفينة فاص من السفينة جزء جديد يسكن لإزاحة قدر جديد من الماء

بالجمال ذات الطول [إشارة واضحة ليس فقط إلى ما سيكون من تقدم في علم هندسة السفن وفي صناعتها على مر العصور ، ولكن أيضا إلى ما سيكون من تقدم في علوم القوى التي لابد منها لدفع تلك السفن التي كالجمال حتى تشق طريقها جريا في البحار ، فضلا عن وسائل التحكم فيها وتوجيهها أثناء حريها ومع ذلك فلا يزال قوله تعالى «أو يوقن بما كسبوا ويؤمنون من كثير» سنة لله في السفن الجارية كالأعلام في عصر العلم هذا : إن شاء سبحانه عما مما كسب أهلها - إلى أمد ، وهو الغالب الكثير ، وإن شاء أهلك للسنن وما حملت بالريح العاصفة ، أو بالعواصف الملتعة لا نفس في دفعها الموانع ، أو ببعض هذه القوى الخارقة التي أطلع الله الإنسان عليها ليبلوه أيعتزلها فيما ينشع الناس ، أم يهلك نفسه بها عدوانا وظلما .

على أن الإلزام ببعض السنن الكونية المتعلقة بموضوع الآية القرآنية قد يكون ضروريا لإدراك تمام جلال المعنى حين لا يد للإنسان في النعمة المنون عليه بها في الآية الكريمة . فانه سبحانه كما من مثلا

وفي الآية الكريمة ما يزيد في جلال المعنى وتناسبه لمن يفهم عليه ، فالجمل في (حملنا) مثلا ليس عند الشاطئ ، بل بما ولكن في تيج البحر حيث تجري التيارات بهم كما يتضح من تاية الآيتين بعدها وإن نفأ نفرهم فلا صريح لهم ولا م ينتذرون إلا رحمة منا ومتاما إلى حين ، وفي كون المحمول في تلك للشعور (ذريتهم) لا م ، إشارة إلى ما ستطور إليه تلك في مستقبل القربة ، سواء أ كان ذلك في عهد الشراع الذي امتد إلى نحو أواسط القرن التاسع عشر ، وبه الله عباده إلى آياته فيه في قوله تعالى «ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام ، إن يشأ يسكن الريح فيظلمن رواكد على ظهره ، إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور . أو يوقن بما كسبوا ، ويؤمنون من كثير» .

أم كان ذلك فيما أعقبه من عهد البخار والكهربية ، ذرية أو غير ذرية ، الذي شمل وشمل غيره عموم قوله تعالى «وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام ، فبأي آلاء ربكما تكذبان» في الآيتين ٢٤ ، ٢٥ من سورة الرحمن المدنية . وتشبيه السفن الجارية في البحر شراعية أو غير شراعية

فلا يجد الإنسان فيها ما يأكله ، ولا يستعمل
أن يعود ماء البحر سائلا مرة أخرى
إذا انقضى الشتاء لفستطيع التملك
جريا فيه .

أما الاستحالة فلموه توصيل الماء
لحرارة فلا تسمى فيه حرارة الشمس
من سطحه إلى مائه ، ولو استمرت دهوراً ،
لو أن البحر تجمد كله . لكن حكمة الله
حالت دون ذلك لتجمد بخامة عجيبة
منعها الله الماء استثناء من سنة له سبحانه
في الأجسام هي أن تتدد ويزداد حجمها
بالحرارة وتنقص وينقص حجمها بالبرودة
والكثافة تنقص بالتدد وتزداد بالانقباض
كما هو معروف .

والخاصة العجيبة في الماء التي افترضها
حكمة الله ليتحقق تفسيره البحر للإنسان
هي أن الماء يتبع السنة العامة في الانقباض
البرودة حتى درجة أرامة ماثوية ، فإذا
ورد وراء ذلك تجمد ، نقف فعلا إلى المصاح
ولما كان الجمد الذي يجميه الناس ثلجا والذي
يشكون عند درجة التجمد أخف من الماء
كما هو معروف مشاهد . فانظر إلى عجيبة
حكمة الله وبديع منعه تخلف كيف إن ماء
النهر أو للبحر إذا تجمد بالبرد الشديدي شاة

على عباده بتسخير التملك في بعض الآيات ،
من عليهم في آيات أخرى بتسخير البحر
لتجري التملك فيه ، مثل قوله تعالى :
« الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك
فيه بأسره ، ولتبتغوا من فضله ، ولعلكم
تشكرون » (١) .

أو لنعمة أخرى تضاف إلى جريان الفلك
كما في قوله تعالى « وهو الذي سخر البحر
لنأكلوا منه لحما طريا ، وتستخرجوا منه
حياة تلبسونها ، وترى الفلك مواخر فيه
ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » (٢) .
وواضح أن ليس يقدر هل تسخير البحر
إلا الله ، وأن ليس للإنسان يد قط في هذا
التسخير وهذا كاف لإظهار تناسب
في الجلال بين وكنى الإسناد في كل من
الآيتين الكريمتين . أما الذهاب وراء هذا
في تقدير ذمة التناسب في الجلال فلا بد
فيه من إحداث شيء من سر ذلك التسخير ،
وأول ذلك أن يدرك لماذا لا يتجمد من
الأنهار والبحار في الشتاء القارس إلا استباحها
عما يلي الشواطئ ولا يمتد التجمد إلى أعماها
ولو فعل لهلكت الحيوانات المائية

[١] الطية : ١٢

[٢] النمل : ١١

ليطلبوها من طريق البحث الملى القرآن
إذا تهيأ لهم ذلك في مصور علم الله أن
ستكون إذ القرآن مخاطب به من بلغ في
كل المصور .

وآيات القسم كثيرة في الآيات الكونية
القرآنية . ومن لا يدرك شيئاً من أسرار
الخلق فيها يدرك لا شك بعض ما فيها من
نعم الله على الناس كما في قوله تعالى : « كلا
والقمر . والميل إذا أدبره والصبح إذا أصفر »
« والشمس وضحاها والقمر إذا علاها .
والنهار إذا جلاها » « فلا أقسم بمواقع
الطجوم . وإنه لقسم لو تعلمون عظيم »
إلى آيات كثيرة لا يحل قنطرفها هنا إلا من
ناحية دره شبهة تتعاقب بما نحن بصده من
بحث دلالة هذه الآيات . فقد يلقي الشيطان
في صدر من لا يعلم شيئاً من أسرار الخلق
في الآيات الكونية مثلاً بسؤال يسأله :
من أدرك أن القسم هو الله لا محمد ؟ وهو
سؤال لا يجوز إلا على متفكك ينزع الآية
من السياق فيفوت ما في السياق من دلالة
قائمة على أن القسم من عند الله . فالآيات
المذكورة آتية من سورة المدثر يكنى في دره
الشبهة من القسم فيها ضمير الجلالة في صدر
الآية قبلها : « وما جعلنا أصحاب النار

الاستماع الباردة تجمد جزئياً عند السطح ،
وظل صار صاراً سائلاً درجة حرارته بين
الصفر المئوي من فوق ، والأربعة المئوية
من تحت عند القاع ليحفظ على حيوان
البحر حياته مهما اشتدت برودة الشتاء ،
وليبقى البحر صالحاً لجرى النمل تحقيقاً
لذلك التسخير الذي من الله به على عباده
في أكثر من آية في القرآن الكريم .

وإست الآيات الكونية في القرآن
سواء في تيسر الإلمام بمقتضى الله التي تعين على
إحسان فهم الحلال فيها كما في اللذان
المذكورين أعلاه ، فإن سنة الله في ظواهر
الأجسام وسننه في تمدد الماء بعد درجة أربعة
مئوية يعرفها كل مثقف إذ هما من بسائط
علم الطبيعة الداخلة في المفردات الأولية ،
لكن ليس الأمر كذلك في الآيات للانطفئة
لمرسال الرياح مثلاً ، أو بخلق الإنسان ،
أو بكثير من الظواهر العلية فهي تحتاج
إلى نصيب أكبر من العلم كما زاد زادت
مقدرة الإنسان على تقدير الجلال فيها ،
والإنسان أحوج ما يكون إلى زيادة هذه
للقصة عندما ينظر في الآيات التي أقسم الله
فيها ببعض ما خلق ليلفت عباده إلى ما في
القسم به من آية له سبحانه في الخلق

لا بد من ضمير الجلالة للمتكلم يستند إلى دلالة فهو موجود متكرر في سورة البلد قبلها ، وسور القرآن ترتيبها توفيقى كما هو معروف .

وقد يأتي ضمير الجلالة للمتكلم عقب المقسم عليه مباشرة كما في سورة الصافات للدلالة على أن المقسم (و الصافات صفا) . الآيات وللمقسم عليه « إن إلهم واحد . رب الممرات والأرض وما بينهما ورب المشارق » هما كلاهما من عند المتكلم في الآية عقم « إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب » وهو الله سبحانه إذ لا يعقل أن يزبن السماء الكواكب إلا الله « رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق » .

وفي هاتين الآيتين الكريميتين مثل لذلك الالتفات القوي يأتي على الندرة في الأدب العربى للتطرية والتحصين في كلام الناس ويكثر وروده في كلام الله سبحانه ليكون فيه حجة بالغة ودلالة قاطعة على أن للمتكلم في القرآن هو الله ، وأن القرآن إذن هو لا شك من عند الله .

و. هـ اصحح التمهيد

إلا ملائكة ، وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ، وضمير الخطاب في آخرها مع جلال المعنى الذى لا يمكن أن يحتمل ابتداء في بال مخلوق « وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر » ويدرأ القدح من آيتي القسم من سورة الواقعة ضماؤ الجلالة للمتكلم في الآيات السابقة عليها وآخرها « أم رأيت النار التي تورون ؟ أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون ؟ نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين . فسبح باسم ربك العظيم » ويزيد في قوة الشبهة ضمير الخطاب و جلال المعنى الإلهى في الآية الأخيرة « فسبح باسم ربك العظيم » ذلك فضلا عن دلالة المقسم عليه في الآيات التي جاءت عقب آيتي القسم في وصف القرآن الكريم وأنه (تنزيل من رب العالمين) .

أما آيات القسم من سورة الشمس التي حلت كلام من ضمير الجلالة المتكلم فيكون في قوة الشبهة من دلالة القسم فيها جلال المعنى الذى لا يمكن في السورة كلها أن يكون من عند بشر وإن كانت هذا أظهر من النص في آخرها منه في التسمي وأولها . فإن كان

العین والجسد

للأستاذ مصطفى الطير

« وإن يكاد الدين كفروا ليزلنوك بأبصارهم لما سمعوا
الذكر ، ويقولون إنه لمجنون ، وما هو إلا ذكر العامين ،
صدق الله العظيم

البيان :

لم أركأليوم إبلا ولا فنا أحسن من هذه ،
فأذهب إلا قليلا حتى تسقط منها طائفة
هالكة ، فسأل لأمر كون هذا الرجل أن
يصيب لم النبي ﷺ بالعين فأجابهم ، فلما
صر به النبي ﷺ أنه قد

قد كان قومك يحسبونك سيذا

وإخال أنك سيست معيون

فعمم الله بنيه صلى الله عليه وسلم
ونزلت « وإن يكاد الدين كفروا ليزلنوك
بأبصارهم لما سمعوا الذكر » الآية .

قال الهروي أراد ليمناونك بميوتهم
فيزيلونك عن مقامك الذي أقامك الله فيه
عداوة لك ، وقال ابن عباس . ينفذونك
بأبصارهم ، يقال زاق الدم وزهق إذا
نفذ ، وهو قول مجاهد أي ينفذونك من

لا يكاد الكثير من الناس يفرقون بين
العين والجسد فيقتنونهما شيئا واحدا ،
وليس الأمر كذلك ، فالعين أن يرى
الشخص غيره مريدا لإحداث الضرر فيه بهذه
الرؤية فيحدث له من طائفة أصابه بعينه ،
ومنه تعين الرجل أي ثبأ يصيب شيئا
بعينه ، والجسد أن يتعنى زوال النعمة عن
سواه ، فإن كان من أصحاب العين حصل
للعمود الضرر المقصود ، وإلا لم يحصل
وفيما يلي تفصيل ذلك ، وبيان سبب نزول
الآيتين .

روى أنه كان رجل من العرب يمكث
لا يأكل يومين أو ثلاثة ، ثم يرفع جانب
الخباء فتمر به الإبل أو الغنم فيقول

بأن يوصف له شيء فتتوجه نفسه نحوه
فتعسده ، فربط الإصابة بالرؤية
بالعين الغليظة .

ومن الناس من قال إن العين لا تعيب
ولكن الله تعالى هو الذى يصيب عند
مقابلة عين العائن ، ولكن ابن القيم رأى
أنه لا مانع من أن يودع الله بعض العيون
والنفوس هذه الخاصة ، من باب ربط
المسيبات بالأسباب ، قال ابن القيم : ومن
قال إن الله تعالى أجرى المادة بخلق ما شاء
منه مقابلة عين العائن من غير تأثير له
أصلاً فقد سدد على نفسه باب العلة
والتأثيرات ، والأسباب والمسيبات ،
وغائى جميع المقلاء .

وقد يصيب الإنسان نفسه بعينه ،
حكى النسائي أن سليمان بن عبد الملك نظر
في المرأة فأعجبته فحافت له ، كان يملك ^{بغداد}
بنيها ، وكان أبى بكر ضيقاً ، وكان عمر
فاروقاً وعتيقاً حياً ، ومعاوية حليماً ،
وبزيد صبوراً ، وعبد الملك سائلاً ،
والوليد جباراً ، وأنا الملك الشاب
أنا الملك الشاب ، فإدار طيبه الشهر
حتى مات .

شدة نظرهم ، وروى عن الحسن أن
قراءة هذه الآية تذهب العين .

وكانت العين في بنى أحد ، إذ كان يكفر
فيها الميمانون (الذين يصيرون بالمسكين)
وكانت البقرة السمينة تمر بأحدهم فيمانيها
فيقول جاريتها خذى للسكيل (أى الزنجيل)
والدرهم فأتينا بلعم هذه البقرة ، فما تبرح
حتى تقع للموت فتتضرع .

وقد استدل بهذه الآية على أن العين
تصيب ، وصح من عدة طرق قوله صلى الله
عليه وسلم « لعين تدخل الرجل القبر والجلل
القدر » .

وأخرج أحمد بسند رجاله ثقات كما قال
البيهقي عن أبي ذر مرفوعاً « إن العين
تتولع ^(١) بالرجل حتى يصعد حالقاً ^(٢) ثم
يتروى منه » أى يقط منه هالكا .

والعين ليست خاصة بالعرب ولا بطائفة
منهم ، بل توجد في غيرهم أيضاً ، ويختص الله
بها بعض الناس لخواص مؤذنة في نفوسهم .

وليس ضرورياً أن تختص الإصابة
برؤية العائن لضحيته ، فقد يحصل ضرره

[١] أى تفرى وتمتلق .

[٢] الحلاق الجبل المرتفع .

تضعف قواه ، ويضاه ما يشبه النوم ، فينتكلم إذ ذاك بما لا يتكلم به حالة اليقظة وقد يخبر من كان مسروق وسارقه وعن مكان غائب لا يعرف له مكان ، إلى غير ذلك من آثار التأثير العيني والنفساني .

ولا عجب في ذلك فانفس البشرية متطورة على أمرار وعجائب تتغير فيها العقول والافكار ، فبعض الخلق القادر على ما يشاء .

وإذا كان ما ذكرناه حادثا ومشاهدا فلا غرابة في أن تؤثر عين العائن في نفسه أو في سواه بخاتمة مركزة في أعماق نفسه . وحكم العائن على ما قاله القاضي هياض أن يجتنب ، ويذنب للإمام حبسه ومنعه من مخالطة الناس كما لضرره منهم ما أمكن ويجري عليه الرزق من بيت المال .

أما الحسد فيطلق على غنى زوال النعمة من الغير ، كما يطلق أيضا على غنى دوام ما في الغير من نقص ، أو فقر أو نحوه فإذا كان لنفسه خاصة للتأثير على الغير بالإضرار فحده هذا كما يسمى حسدا يسمى هينا .

وقد توجد الدين بغير حمد ، كما إذا نظر إلى مثل غيره أو حيرائه مثلا ، وهو

ولا غرابة في أن يكون لبعض النفوس تأثير في سواها لقوة خاصة بها ، ففي عصرنا هذا ما يدل على إمكان ذلك ، فقراء الهند ومن على شاكلتهم يرتاضون رياضات خاصة تقوى بها نفوسهم ، ثم يأتون بالعجائب كنومهم حرارة على ألواح من الخشب خسر منها صامير تقوم في أجسامهم فلا يتألمون ، ولا تخرج منهم قطرة واحدة من الدم ، ويدفنون أنفسهم تحت طبقات الأرض ساعات دون أو كسجين معهم بحضور من الأطباء والناظرة ، ثم يزاح التراب عنهم فإذا هم أحياء ، مع أن حبس الهواء عن الرئتين سبب للموت السريع ، وبعضهم ينظر إلى كوب في يده ، فلا يزال يثقل حتى لا تحتمله فتلقيه من يده ، كما حدث من رجل كان يسمى نفسه الدكتور سالمون مع المنفور له سعد زغلول باشا . وفي عصرنا أيضا برع ناس في النوم (المناسطيس) كما يصوبه) فمنهم من يدم النظر إلى عين وسيطة ، ومنهم من ينظر إليه من فرقه إلى قدمه .

ومنهم من يتف وراه ويغير بأصبعه إلى نقرة رأسه ، ويوجه نفسه إليه حتى

لا يمتنى زواله ، ولكن نفسه الطيبة تهلك بلا إرادة ، وبهذا يكون بينهما العموم والخصوص الوجهي ، يجتمعان فيما حصل فيه غنى زوال النعمة عن الغير مع الإهلاك ، وينفرد كل منهما في ناحية كما شرحنا .

وقد أمر الله بالاستمادة من ثمر الحمد بنوعيه إذا حمد ، أى إذا توجه بالضرر إلى غيره ، فإن كان حائثا فالأمر ظاهر ، وإن لم يكن حائثا فتوجه بالضرر إلى غيره بأن يرمى في سلب نعمته بالمكابد المختلفة . والحاصل دائما متضايق من محسوده ، حاقده على نعمته مغموم منها ، وعنه هذا يصره قبل محسوده ، روى عن علي أنه قال : لله در الحمد ما أعدله ، بدأ بصاحبه فقتله وقال ابن القيم :

اصبر على حمد المحسود

دائم صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها
إن لم نبيد ما تأكله
وقال بعض الأدباء ، ما رأيت طالما أشبه بمظلوم من المحسود ، نفر دأبه ، وم لازم ، وقلب هام . وقال أبو الحسن النابلسي :

لو لم يكن من ذم الحمد إلا أن خالق دني
يتوجه نحو الأتقاء والأقارب ويختص
بالحالط وللمصاحب ثبات الزاخرة عنه
كرما والسلامة منه مقنا ، فكيف
وهو بالنفس مضر ، وهل الهم مضر ،
وربما أنقى بصاحبه إلى التلف من غير
نسابة في عدوه ، ولا إضرار بمحسود .

وقال معاوية رضى الله عنه ، ليس في خصال الثمر أعدل من الحمد . يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود ، فالعاقلي من لم يحسد سواه ، بل يمتنى له بقاء نعمته ، ويكف نفسه عن التطلع إلى غيره لتسلم له صحته ، قال الأصمعي . قلت لأعرابي ما أطول صبرك . قال تركت الحمد فقيمت وخير ما يكف به الإنسان نفسه عن حسد من هو أعل منه أن يرضى بقضاء الله ويقنع بما أعطاه ، قال بعض الحكماء : من رضى بقضاء الله لم يسخطه أحد ، ومن قنع بقضاءه لم يدخله حسد ، ولو ذكر الإنسان أن الحسد أول ذنب همى الله به في السماء ، وأول ذنب همى به في الأرض وثبت عليه آثار ضارة فكيف نفسه عن الحسد ، وذلك أن إبليس حسد آدم على معصيته عند الله حتى أمر الملائكة

فإذا كان الحمد جبليا لا يستطيع صاحبه أن يقتله من نفسه فعل صاحبه أن يجاهد نفسه ويحمن معاملة أخيه الذي يجهد في نعمة حسداله لينتاب على هذه الجاهدة لما فيها من مشقة غائلة الطمع .

ويطلق الحسد على النبطة ، وهي تمنى مثل ما لاغير من غير تمنى زواله عنه ، وإطلاقه على هذا مجازي ولا مانع منه شرما ، بل هو مأذون فيه ، قال عليه السلام : لا حسد إلا في اثنتين ، رجل آتاه الله مالا فغلط على هلكته في الخير ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس ، وهو محمود في الناس قال أبو تمام :

واجذر حسودك فيا قد خست به
إن الصلا حسن في مثلها الحمد

مصطفى محمد الحميري الطبري

بالسجود له فعبا خلق الله له ، فأبى أن يسجد له ، فأخرجه الله من الجنة فكان لأدم وحده على الأكل من الشجرة المحرمة ، فأهبته الله إلى الأرض وحرمه من نعيم الجنة ، وأن قابيل ولد آدم عليه السلام حسد أخاه هابيل على زواجه من أخته الجنية فقتله ، فكانت أول جريمة على الأرض بسبب الحسد .

وليعلم الحاسد أن الحسد يمحى الدين إذ هو من الكبائر ، وأنه إذا كان من أمراض الأم الصابئة فلا يليق بأمة محمد عليه السلام الذي بنى أمرها على المحبة والترحام قال عليه السلام : « دب إليكم داء الأم قبلكم للبقاء والحسد ، هي الخالقة ، حالقة الدين لا حالقة للشر ، والقي نفس محمد بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا . ألا أبشركم بأمر إذا علمتموه تحاببتم . أمتوا الحلام بينكم »

قال الله تعالى :

« قل أعوذ برب الفلق ، من شر ما خلق ، ومن شر غاقق إذا وقب ومن شر النفاثات في المقد ، ومن شر حاسد إذا حسد »

صلى الله العظيم

قُدْسِيَّةُ الْكَلِمَةِ

لِلأَسَازِ أَبُو الْوَفَا الْمِرَازِي

قُدْسِيَّةُ الْكَلِمَةِ هِيَ احْتِرَامُهَا وَتَعَدُّبُهَا وَفَرَسُهَا بِالْفِعْلِ أَوْ احْتِرَامُ نَصْدِيقِهَا وَتَنْفِيزِ مَعْمُومِهَا فِي الْوَعْدِ الْمَضْرُوبِ لَهَا وَالرَّوْقِ لِلنَّاسِبِ الْوَفَاءِ بِهَا ، فَإِنْ تَكَلَّمْتَ بِالْكَلِمَةِ فِي خَبَرٍ وَكُنْتَ قَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ كَذِبٌ ، أَوْ فِي وَعْدٍ وَفِي نَفْسِكَ الْإِثْبَاقُ بِهِ فَقَدْ انْتَهَكْتَ قُدْسِيَّةَ الْكَلِمَةِ ، وَصَبَّيْتَ بِحَرَمِهَا ، وَبِالنَّالِ اعْتَدَيْتَ مِنْ نَفْسِكَ وَاسْتَهْدَفْتَ لَذْمَ وَالسُّومِ ، وَانْتَهَكْتَ بِالْكَذِبِ وَصَقَطَ مِنْ لَدُنْكَ بَيْنَ أَهْلِكَ وَمَنْ يَعْرِفَكَ .

وَلَقَدْ عَنَبْتَ الشُّعُوبَ وَهَنَيْتَ الصَّانِيرَ بِحَرِيَّةِ الْكَلِمَةِ وَاعْتَمَتَ بِهَا وَحَصَرْتَ عَلَى أَنَّهُ يَنْصَرُّ فِي الدَّسَائِيرِ عَلَيْهَا وَلَسَكُنْهَا لَمْ تَعْرِ قُدْسِيَّةَ الْكَلِمَةِ مِثْلَ ذَلِكَ الْأَهَمَامِ مَعَ أَنَّهُ بِهَا أُخْرِجَ وَأُوقِيَ ، نَفِيقَةُ الْكَلِمَةِ فِي احْتِرَامِهَا وَالْإِثْرَامِ بِمَعْمُومِهَا أَوْ مَا أَرْخَصَ فِي السَّكَلَامِ وَأَضْيَعَهُ إِذَا لَمْ يَلْزَمْ بِهِ ، وَمَا خَيْرَ الْحَرِيَّةِ فِي كَلَامٍ يُطِيرُ فِي الْهَوَاءِ .

وَقَدْ جَنَّتِ الشُّعُوبُ لِلَّتِي عَرَفَتْ قِيَمَةَ الْكَلِمَةِ وَاحْتَرَمَتْ قُدْسِيَّتَهَا نَمَرَاتٍ طَيِّبَةٍ فِي مَجَالِهَا الْمُخْتَلِفَةِ ، فِي مَجَالِهَا الْاجْتِمَاعِيِّ وَالْاِقْتِصَادِيِّ وَالْعِلْمِيِّ وَسَادَهَا جَوْ مِنْ الثَّقَةِ وَالْأَمَلِثْنَانِ .

وَرَفَقَتْ بِهَا الْأُمَمُ فِي مَعَامِلَاتِهَا فَعَمِمَا الرِّغَاءُ وَصَارَتْ مِثْلًا يَتَّبَعُ بِهِ وَأَمَلًا يَنْتَظِعُ إِلَيْهِ .

وَلَقَدْ نَالَهُ الْكَلِمَةُ فِي هَذَا الْعَصْرِ مَا نَالَ الْأَخْلَاقُ مِنْ اِهْتِمَازٍ وَاسْتِهْزَاءٍ سِوَاهُ مَنَاهَا مَا يُقَالُ أَمْ يَكْتَسِبُ ، وَمَا أَكْثَرُ مَا يُقَالُ وَلَا يَنْفَعُ ، وَمَا أَكْثَرُ مَا يَكْتَسَبُ وَلَا حَقِيقَةُ

وَقَدْ نَالَهُ الْكَلِمَةُ فِي هَذَا الْعَصْرِ مَا نَالَ الْأَخْلَاقُ مِنْ اِهْتِمَازٍ وَاسْتِهْزَاءٍ سِوَاهُ مَنَاهَا مَا يُقَالُ أَمْ يَكْتَسِبُ ، وَمَا أَكْثَرُ مَا يُقَالُ وَلَا يَنْفَعُ ، وَمَا أَكْثَرُ مَا يَكْتَسَبُ وَلَا حَقِيقَةُ

الكلمة قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تعملون، كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا لا تعملون» وقوله تعالى: «أنا أمرون الناس بالبر ونفسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون». ومن أحاديث الرسول فيها قوله ﷺ: (ما من نبي بعثه الله في أمة قلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدكم بیده فهو مؤمن، ومن جاهدكم بلسانه فهو كافر مؤمن، ومن جاهدكم بقلبه فهو كافر مؤمن. وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل).

وقوله ﷺ: (أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها؛ إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا ما عهد غدرا، وإذا حاسم غدر) وبأن الإسلام في احترام الكلمة وعدم الكذب فيها حتى ولو لم يستضر بها أحد قصد إلى اقتلاع هذه الذبلة من جذورها في نفس المسلم وختم على المسلم أنه يخلق حلما من الأحلام ثم يتحدث به كاذبا. فمن رسول الله ﷺ: (من تعلم بحلم لم يره كلف أن يعقدين شعيرتين ولن

وقدسية الكلمة بمعنى صدقها والالتزام بها من الفضائل التي تواطأت عليها الأديان وأشبعت القول فيها كانتوا طاعت عليها القول وللروايات وما خلادين من الأديان حتى الأديان الوضعية من الإشادة بها والتنويه بمقامها ومقام صاحبها وما زالت العقول تستسکر الإخلال بها ونقض الكذب والكاذبين.

ولقد برزت نهاية الإسلام بالكلمة واستفاض الحديث عنها وعن قائلها في القرآن والحديث مدحا وذكما واحتسانا واستهجانا ووردت مادة الصدق والصادقين مع بيان حالهم في الدنيا بين الناس وما لهم في الآخرة عند الله في مواضع لا تكاد تحصى كما وردت مادة الكذب والكاذبين مع بيان حالهم وما لهم كذلك في تلك المواضع، وربما كانت فضيلة الصدق أو قدسية الكلمة من أولى الفضائل الخلقية التي اشتدت نهاية الإسلام بها وهي خليفة بذلك لأنها أساس كل الفضائل فمن صدق لا يخون ولا يفتن، ولا يذعن ولا ينطق ولا يغي ولا يشتم، ولا يمد ويخلف، ولا يأمر بمعروف ولا يعمل به ولا ينهى عن منكر ويقرعه.

ومن آيات القرآن الكريم في قدسية

ومن معاذ بن جبل قال: (قالت لرسول الله: أنؤاخذ بما نقول؟ فقال: نكلك أملك يا بن جبل! وهل يكب الناس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم).

وخير ما يتقى به شر الكلام الصمت كما قيل من صمت نجا، إلا أن الصمت مطلب مسير وغاية بعيدة، فالسان كما قال الإمام الغزالي: أعصى الأعضاء على الإنسان، فإنه لا تعب في إطلاقه ولا مؤونة في تحريكه، وقد تساهل الخلق في الاحتراز من آفته وغوائله والحذر من مصائبه وحبائله، وأنه أعظم آفة الشيطان في استغواء الإنسان.

ومن طرائف ما ورد في الاحتياط على كف اللسان عن الكلام، ما ورد من أبي بكر رضي الله عنه، فقد ورد عنه أنه كان يضع حصاة في فيه يمنع بها نفسه عن الكلام، وكان يشير إلى لسانه ويقول: هذا الذي أوردني لأورد.

بهر الوقت المرامى

يفعل): أى قال أنه حلم في نومه ورأى كذا وكذا وهو كاذب كما قال ﷺ: (أمرى أفرى أن يرى عينيه ما لم تريا).

ونبه الإسلام إلى أن قليل الكذب يجر إلى كثيره حتى يصير صاحبه كذابا، وأن قليل الصدق يقضى إلى كثيره حتى يصير صاحبه صديقا، ومنه ﷺ: (إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور والكفور يهدي إلى السار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا).

ولحرص الإسلام على قدسية الكلمة أيضا كره الإنسان أنه يكثر في الكلام ويسرف فيه دون ضرورة، فكثرة الكلام تزدى بقيمته وتضعف الثقة به لأن تنفيذ ما يقال يحتاج إلى جهود قد لا تصعب بها الأحوال، ومن عقبة بن عامر أنه قال: (يا رسول الله ما الذجاة؟ قال ألسك عليك لسانك، وليسمعك بيتك وباك على خطيتك)

الحرية في الإسلام

حرية تكمّل لا تدمير

للككتور عز الدين علي السيد

زلزال غييف ، أو بركان عاذي ، أو عاصف قاصف ، أو زلزال غاشب ، أو شهاب منقض يكون ذلك الشفوذ المدمر والمخالع للقلوب أمراً له خطره ، يترجم العلماء لظهوره ، ويلزمون معاملهم وأجهزتهم لينضموه للدراسة الفاحصة والقياس والتليل ، ويجدون في اختراع الوسيلة ينتصرون بها على مثله ، وتنفى وسائل الإعلام بنشر إحصاء الضحايا وطلب للموتى للتكويين تفيض بها راحة الإنسان لأخيه الإنسان .

والعالم الإنساني أرقى العوالم في الكون لما وهبه من نعمة العقل ، وما سيطر به على عناصر الوجود ، الذي جعله الله فيه خليفة ، وأزل عليه الكتب وبعث الرسل ومن الشرائع ، فمن حقّه أن يعلم أن انطلاق فكره بلا قيد ، وقوله بلا حساب ، ومعه بلا وازع ، لا يقل خطورة على كيانه من عذوف تلك الظواهر ، ومن حق العلماء ، والفنيين على الأسم ، ووسائل الإعلام

حرية الفكر ... حرية تقول ... حرية العمل ...

أوائل ثلاثة تسميها الأذن كل يوم ، في كل مظهر ، بمن يسلم على فكرة ، أو يؤاخذ على مقال ، أو ينتقد على عمل ، بكل حرّة لأنسى شجاعة ، وبكل اندفاع لا بعد كرامة .

ومدلول هذا هو الوعي للضرب لحقوق الإنسان ، والتميم الخلق لهذا الحق منها ، وسر الخطأ هو إطلاق الحرية من قيد لا لصالح دونه ، فالحرية المقيدة في نظرم رقي ، إذ الحرية بها أن تمنح في انطلاق .

وأقل نظيرة إلى الطبيعة تهب الناظر ضرورة القيد لانطلاق العناصر ، وطينان بعضها على بعض ، حتى تحافظ الأجناس على كيانه ، وتظل سائرة في طريقها ، لأن في المحافظة على نفسها ، الانساق المصام في مناهج الحياة ، ونحن نحدث الانحرافات الطبيعية في ظواهر غير متبادلة ، من

السكوت المذموم مع القدرة على النطق
والخروج على العلية ..

ليس في الدنيا قانون وضى ولا دين
مماوى يمنح الإنسان الحرية أكمل من
الإسلام ، إذ يقف أعلى الجباه غى وبها
في الصف مع أديانهم ، ويناديهم نداء
المساواة : يا أيها الناس .. يا أيها الذين
آمنوا ... ويجعل من الكفارات ،
ومكفرات الذنوب ، وأقرب تقرب إلى الله
عشق الرقاب ، ويرفع كرامة الضعفاء
والفقراء وذوى العاهات إلى أن يصاب
فيهم الله رسوله بقوله : « عيسى ونولى
أنت جامع الأمتى ، وما يدريك لعله
يزكى ، أو يذكر فتعظمه الله كرى ... »

ويأمره عليه السلام بصبر الناس معهم
والحرص على مجالسهم فيقول : « وأصبر
نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة
واتمى يريهون وجهه ولا تعد عيناك
منهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع
من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتع هواه
وكان أمره فرطاً . » وأعلنت فيه مشرات
النصوص من القرآن والسنة ترفع شأن
الإنسان وتصل كرامته وتوجب المداة
في معاملته والاحترام لرأيه وتعرفه .

أن تتضافر جهودهم للوقوف دون الخطر
الهام تنهار به الإنمائية ، وتنطلق من
قانون النمسك والتمارف ، قانون النظام
والانسجام ...

وإله لمن أعجب العجب أن تنطلق الفوضى
في ركب الحضارة للدماء ، وأن تم بطابعها
فكل ما يجد من شذوذ الفرد أو شذوذ
الجماعة يرق في حروف اسم خلاص من
أسماء الحضارة المبتدعة ، وتقام الولائم
عند مولده بأفلام الحضارة للزوجين ،
الذين استأصلوا ضائرم العائقة عن الكسب
والشهرة ليوضع مكانها صمير الشيطان
أدري الممار بالحية في الاستمراء والحديمة
بالإفراء ...

امتلات الدنيا بالانحراف باسم الحرية ،
وعدا إلينا هذا الانحراف باسم الحرية ،
وأحس به كل من يرى نفسه مسئولاً
في الأسرة الخاصة والعامة ، وكل يحس به
لا يتعامل بالخير ، وقد نجم بنجومه الكثير
من الأحداث للبكية في وقت يحتاج كل
يد وكل قلب وكل جهد ، ليقم بها البناء
للناود وبرد الكرامة المناشدة .

غير أن هذا الحس حس راكد ، يصعبه

وجعل كل فرد من أفراد الأمة خاضعا
لجريمة الآخر ما وقعت بمرأى منه ،
عليه أن يهب مبادرا لا يملأه دوز وقورها
ما استطاع « من رأى منكم منكرا فليغيره
بيده فإن لم يستطع فليذكره
فإن لم يستطع فلينبه وذلك أضعف
الإيمان » .

« انصرا أخاك ظلما أو مظلوما . قيل :
أنصره إذا كان مظلوما ، فكيف أنصره
ظلما ؟ قال : تحجزه عن الظلم فإن ذلك
أنصره » .

ومثلهم في التكاليف الأخلاقى بركاب
سفينة ذات طبعتين لو ترك من فى أعلاها
الذين فى أدناها بحرقون ليصلوا إلى الماء
من قسرب لغرقوا وغرقوا جميعا ،
ولو أخذوا على أيديهم لنجوا ونجوا
جميعا .

والتصير أنصر الأخ له منزاه ، من النفع
المتعدى إلى الظالم نفسه ، الذى استجراه
شيطانه إلى الظلم ، فى غيبة من رقيب قلبه ،
فى الأخذ على يده إحياء لحقين ،
وقمع خطريين ، كم تكون الحساسة
بتركه ...

ولكن الحرية التى منحها الإسلام للإنسان
محدودة بمحدود الله ، ومقيدة بمحقوق
العباد . فقد حده القرآن خلية فى البناء
المرسوم « إن الله يحب الذين يقاتلون
فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص »
كما حده الرسول عليه السلام عضواً
من الجسم الواحد للأمة « مثل لأزمنين
فى توادم وتراحمهم » وتماثلهم مثل
الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر
الجسد بالسهر والحمى » وعلم الله تعالى
زروع غرائزه إلى ما خلقت له ، وغواه
الشيطان عدوه بالمعدوان إلى المحارم ،
فشرع الحدود وأمر ألا تأخذوا فيها الرأفة
وبين مدار الحرية وبجال الانطلاق للباح ،
وكما أعطى الحاكم العام حق القيام على دين
الأمة ورعاية الحدود ، أعطى كل راع
صغير حق الرأفة لمن هو له ، والتقبض
على يد الأثم منهم من سواه « كلكم راع
وكلكم مسئول عن رميته » فالإمام راع
ومستول عن رميته ، والرجل راع فى أهله
وهو مسئول عن رميته ، وللرأة فى بيت
زوجها راعية وهى مسئولة عن رميتها
والخادم فى مال سيده راع وهو مسئول
عن رميته ...

للمكرة ، ولكنك لست ذلك الحر
في فرض فكرتك على الناس ، وبطريقة
تخرف طائفة من العقول في تيار الرذيلة
أو الإلحاد .

والمجتمع هو الحر في معاداة للفكر
مع هذه الأفكار ، حين يجدها قد عدت
على مقدساته أو تمردت على حرمانه ، أو هو
حر كذلك في اعتناق فكرتك وإسداء
الثناء إليك إذا تجاوزت أفكارك مع سلامته
وساوت كرامته ، لأنها أفكار للتنمير
لا للتدمير .

ثم أنت حر في أن تقول ، ولكن
على أحاس من صحيح الفكر : فلمجتمع
شعور بالمرض وشريف المبادئ ، ولن
يفتر لك - ما دام في معياره السليم - زلة
المرض أو شريف للبادئ ، لأن قولك
حينئذ للتدمير وليس للتنمير .

وأنت كذلك حر في أن تفعل ما تشاء ،
ولكن حينما ينبع عملك من مصدر الإطلاق
أنتك ، ولا يقف حثرة في سبيلها ولا يحقق
مطمعك على حسابها ، أو ينقض خيطا
من خيوط شرفها ومقدساتها .

إن الإسلام لا ينكر فضل للفكر
في صورة القول والعمل ، بل جعله مناط
فضيلته ، ودفع الخلق إليه وسيلة من وسائل
(البقية من ٤٩٢)

وتمثيل المجتمع للتكافل بالسفينة في الخضم
يصور مدى البقطة اللازمة للأفراد ، تدق
قلوبهم لأدنى حركة ، ويصابون باللهوار
لأيسر انحراف ، وتصوير الخارحين على
الامة في سلوك منحرف ، صورة الخارقين
أدنى السفينة ، يؤذق بأن للصيبة لانصيغهم
وعدم ، بل هي هلاك الجميع .

إذاً ليس هناك الإنسان الحر بمعنى
للمنحرف في قانون الإسلام الذي هو أعدل
شريفة ، وليس هناك الإعفاء من مؤاخذه
في قانون الإسلام ، يوجبها على التنارل
من الراعي الأهلى إلى الفرد العادى لسلامة
الامة ، ويؤكد مثل السفينة في هذا
التكافل قوله تعالى : « والعصر إذا الإنسان
لنى خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

فالمضمر هو خضم الهلاك الذى تخضر
هبابه السفينة ، والتواصى بالحق والتواصى
بالصبر هو الأخذ على الأيدي لضمان السلامة
أنا حر أمكر كما أشاء .
أنا حر أقول ما أشاء .
أنا حر أفعل ما أشاء .

عبارات خاطئة بهذا الإطلاق : أنت حر
في أن تفكر ، وحر في أسلوب تفكيرك
وحر في أن تتحلى أركان حجرتك بهذه

مَجْدُ أَبِي الْعَيُونِ

للدكتور محمد درجب البيومي

— ٢ —

إذا كانت دعوة أبي العيون إلى إلغاء البقاء مع وضوحها الساطع الصريح قد وجدت من أمثاذا الكتاب من يقف منها موقف المعارض المذموم؛ فإن الدعوة إلى تدريس الدين الإسلامي بالمدارس المصرية لم أعدم من هؤلاء من يترقب بها السبيل محاولاً أن يذهب بها إلى الضياع، وليكن الكثرة العاقلة من ذوي النزاهة قد آزرُوا الأستاذ أحسن مؤازرة ومن ورائهم الزاهدي من أولياء الأمور، وكانت الصحافة بعض مبادئ المجاذبة لفكرية في توضيح الهدف البارز من تدريس الدين الإسلامي، إذ دأب الأستاذ أبو العيون أن يتحدث في مطلع كل عام دراسي مما يواجهه للعرض على تدريس الدين من هبات، وإذا كان بعض هؤلاء المعارضين من كبار رجال التربية ومن يزعمون لأنفسهم دراية واهية بأساليب التدريس للعصر، فإن أبا العيون قد واجههم بدراسات مستأنية تنهض في

وجوههم دون أن ينال منها التباصر للصدق بدراسات علوم التربية وعلم النفس والاجتماع وأهل أفوى حجة يتفرع بها هؤلاء، هي أن تلاميذ المدارس المدنية يكونون عناصر دينية مختلفة، فتقرر الحق في امتحانهم ينال وحدة الامتحان ويسىء إلى نظام الدرجات ويدعو إلى تغيير نظام الامتحان تغييراً لا يتفق ومصلحة التعاميم ١٤

وقد واجه أبو العيون هذا الاعتراض بمناقشة فاحصة تحمل أحد حلين مقترحين يتلاقى أحدهما ما قد ينجم من خطر في رأى المعارضين، ويسرنا أن نقول إن وزارة المعارف فيما بعد قد أخذت بأحد هذين الاقتراحين مع بعض التمديل حين رجع المتباصرون بأساليب التربية إلى صواب أبي العيون بعد أن أقسم بمالاه زبد عليه من البرهان وقد قال الأستاذ في هذه المقالة الثانية بأن التعليم الديني ينال وحدة الامتحان ويسىء إلى نظام الدرجات بما خلاسته :

نقاش طويل جبر عليه الأستاذ أبو العيون هذه سنوات إلى الأخذ باقتراحه الأول مع بعض التعديل ، وكان ذلك نصراً أدبياً محسوب له في سجل الكادحين من ذوي القيمة على الخلق والدين .

وفي خلال هذه الحقبة التربوية أخرجت الطلبة عن جهة ثانية تضر لها أبو العيون بشجاعة ، حين أنهى محمود التتيل في عهد الوزارة الصديقة الأولى ، وكلف الرقص التوقيعي بين رابعه باقتراح الأستاذ بشجاعة على مراد سيد أحمد باشا وزير المعارف إذ ذاك ، واتخذ من الأهرام منبراً لتأييد نظريته حتى ضج خدومه واقترح مغروهمه بإحالة إلى مجلس تأديب إذ هيج الرأي العام على معالي الوزير ، ثم جاء حلمي عيسى باشا فاستجاب لأبي العيون عن اقتناع ، وتم لذلك نوره حيدر وقعد مندداً بالوزير ، وظلت الرقص دائرة حول الرقص التوقيعي حتى استجاب بعض للتصريحين إلى إعادة فواصل الأستاذ هجومه وآزر أحمد مرسى بدر وزير المعارف في سنة ٤٩ حين قرر إلغاء الرقص ، ومن يقرأ مقالات الأستاذ المتتابعة في هذا للفمار يعرف أنه ما قصر في الدعوة إلى

أما أنه بنال وحدة الامتناع فصحيح ولكن هذه الوحدة لم تكن نظاماً جوهرياً في امتحانات الوزارة ، لأنها لا تراعى في القمم الثاني من التعليم الثانوي (إذ ذاك) بشرطه للملئ والأدبي مع أن شهادتهما واحدة وقد تؤهلها لدخول كلية واحدة وأما أنه يسمي إلى نظام المدرجات فن الممكن تجنب هذه الإساءة بالانحسار درجات التعليم الديني ضمن درجات الترتيب في حالة نجاح التلميذ على أن يعتبر راسماً إذا نقص من النهاية الصغرى المحددة لمادة التعليم الديني ، كما يمكن أن نجعل مادة الدين ومادة الأخلاق مادتين اختياريتين بدرجات مما للطلبة ، كل منهما في حصص مستقلة ، وعند الامتحان يلزم الطالب المسلم بالإجابة على أسئلة الدين ، وبغير غير المسلم بين الإجابة على أسئلة الدين والإجابة على أسئلة الأخلاق وتحسب درجات كل منهما في النجاح والترتيب أسوة بالمواد الأخرى وهذا النظام الذي نؤثره على غيره ليس غريباً في نظم الوزارة إذ حمل به في مثل مادتي التاريخ والجغرافيا ، إذ يكتفى بالتلميذ بالمدارس الابتدائية (إذ ذاك) على الإجابة من إحداها . . . وقد انتهت الوزارة بعد

يرضى أن أفعل ما يفعل الشيخ أبو الميوز وهو يتوهم أن زيارة الشواطىء تقصد الأخلاق، إن أبا الميوز يترق في كوز ماء فكيف نسمع كلامه في البحر المحيط لقد آن الوقت لأن نسمعه كلمة الحق، آن الوقت لأن نهاء عن النفس من حياة الشواطىء، وهى نعمة عظيمة من بها المنعم الوهاب على أهل هذه البلاد، إن أبا الميوز الواعظ يحتاج إلى واعظ، وأنا أخشى أن يذهب الله عليه إن استمر على هذا الأسلوب من الوعظ للقلوب، إلى آخر ما قال وقارئ كلام الدكتور الحضيف يظن أن أبا الميوز يحارب المصايف المصرية وبدعو إلى إبادتها كما أرجف عليه سفهاء الصحف المتبدلة مع أن الشيخ بدعوا إلى تطهيرها من الموبقات، وقد لمس دعواته المادفة في افتراءات موجهة رفقها إلى نفر من المشولين ودعا إليها بالأهرام، وقد أوجزها في هذه النقاط التى تنقلها عن ص ٢٨٨ بالمجلد العاشر من مجلة الأزهر سنة ١٣٥٨هـ إنصافاً للتاريخ، وأما هى ففى:

١ - تخصيص هجمات السيدات بحماة فى المناحق القريبة كالشاطىء والإبراهيمية وحليمه، أو تخصيص زمن السيدات صباحاً

السنن القويم لحظة عين، وقد جاءت الرياح فى هذا الموضوع بالذات بما لا يشتهيه، إذ تعاون المفتونون بإراج أوربا على تزوير الحقائق فضلوا وأضلوا كثيراً.

ولن ينسى أحد صبيحة أبى الميوز شيخ علماء الاسكندرية بالدعوة إلى تنظيم الشواطىء ومنع التبرج السافر والاختلاط الفاضح، وقد تكالبت عليه للكثرة لافتونة بشهواتها، فلات الصحف شهيراً بالرجل، وتواتر الصحف الماهرة رسم صورها السكرى كآثورة تنديداً بما لم يغير جاء بالحق من ربه، وأملك لمنخرصون فزعموا أنه يدعو إلى إلغاء المصايف المصرية خدمة للمصايف الأوربية وفق اتفاق سرى عقده الشيخ مع دعاة الانحلال، وهذه كذبة مفضوحة ردت على أصحابها غاشية ذليلة، بل إن الصحف الجادة قد شاركت الماهرة فى بعض الحق على أبى الميوز، فربما مثل الدكتور زكى مبارك يكتب فى مجلة الرسالة الرصينة ليقول فى عناد نقلا عن العدد (٥٢٩).

«ماذا أضع وأنا أعتقد أن الشواطىء للمصرية من أجل ما خلق الله، وأن زيارتها تزيد فى قوة العقل والعكر والقوى، ولن

المفترحات مع التعاون بين بوليس آداب
المدينة والبلدية .

ولا تزال هذه للمفترحات المادلة تتطلب
التنفيذ السريع ، وإن ذهب صاحبها إلى
رضوان ربه ، فأركا آراءه الصالحة براسا
لعمالين بعد أن أسهم في كل نهضة اجتماعية
مخلصة ، وحارب كل رذيلة فردية أو جماعية
مستهينة بما يمدد متعصبه وحرشته ، وتمثل
لذلك بمحنته على الحفلات المأجنة التي أقامها
شويكار ودعت إليها فاروق إذ كتب مقالة
الشهير مفتتحا بقول الراجز .

إحدى لياليك فهدسى هيسى

لن تنعمي الميلة بالنعريس
فترك من الأثر ما جلجل صداه في الصمار
والأسماع وما بنا أن نفصل فحسبنا أن شير .
أما نشاطه السيامي ، فقد بدأ به كائسا
في جريدتي المؤبد والهواء أيام كار طالسا
بالأرهر فدرسنا فاشتا بخط طريقه الملمى ،
وقد أمدته مدرسة مصطفى كامل السياسية
بجذوة مشتعلة تلهب صدره ضد القاصيين ،
وكان على يديه وأبدى رفقائه من خطباء
الأزهر والتداع الثروة المصرية في الملاءم
اصطدام الإجماع بسمد زغلزل ، إذ خطب
أبو العيون متندا بالاحتلال في جمع حاشد

كما هو متبع في بعض للمصايف الأخرى مع
وضع رقابة على هذه المحامات لوقايتها من
عبث لعبان بوساطة البوليس فتوجد فرص
للأمر الحريصة على صيانة كرامتها وشرف
آدابها من اختلاط الجنسين وعبث المستهترين
٢ — إجماع نقطة دائمة من البوليس
في كل بلاجات النحر بشرط أن تكون
النقطة ثابتة لا تنقل من مكانها وبسكنى
في كل بلاج كونسابل وجنديان للماوتة .

٣ — تعديل لائحة الآداب الخاصة
بالشواطىء عما يمنع أى منظر مخالف للآداب
العامة سواء في الماء أو على الشاطىء .

ويترك هذا لتقدير وجل البوليس الذى
يختار من ذوى السيرة الشريفة والسمعة
الحسنة .

٤ — ينص في اللائحة على أن يتحول
لبوليس سلطة إرادة أى كيننة استعمال
أهلية تحدث فيها أمور مخالفة للآداب
وبكرنى ذلك عقب إذار يوجه إلى ساكن
الكيننة كأن يكون الإرادة على نفقة صاحبها
٥ — تقفل القوامىء جيبها ، وتخل
الكبان من جميع ساكنيها وقت الغروب
مباشرة .

٦ — يؤلف بوليس نسائى لحماية هذه

لم يترك مكانا لتقدم بالجامع الأزهر، ثم انطلق
النارون في أول مظاهرة كبرى أزعجت
الإنجليز، وقوبلوا بها بعد زلزل نفسه
كما ذكر المقاد في تاريخه عنه إذ أن الرعيم
الكبير لم يكن يتصور أن تنتفض
البلاد انتفاضة رنانة ما بين عفية وضحاها،
ولكن خطباء الجامع الأزهر من علماء
ومحامين وطلاب ومدرسين قد أعلنوا
صرختهم القوية فسددوا بالجمهور إلى
مظاهرات عاصفة أدها أبو العيون ومصطفى
القاياني وعبدربه مفتاح وعبد الطيف دراز
على نحو ما ذكرناه في مقال لنا بمجلة الأزهر
من قبل، وإذا كان الحديث هنا مقصوراً
على أبي العيون فإننا نذكر أنه تعرض إلى
رصاص الاحتلال أكثر من مرة، وحكم
عليه بالسجن الجائر فانتقل به الإنجليز إلى
معتقل نازح على حدود رفح فإلا أنه قتل
وقد رأى المحتلون أن العاصمة الكبرى
فوق مناهم بما ألهم خطباء الأزهرين
القاهريين من حمية نارية بدفع لحيها في كل
صدمتها أرادوا أن ينتقموا من الإسكندرية
انتقاما يسكون موضع المبرة للقاهريين
فقاموا بمذبحة حمراء ذعب فحيتها عشرات
الأرباب من الشهداء، وطار النبال إلى القاهرة

فكان أبو العيون أول خطيب ثار ندب المذبحة
الحمراء في ألقاظ غاصبة تقتلع الأطوار فأجج
النار في صدور الصائين يوم الجمعة بحيث
خرجت الأفواج الغاضبة في مظاهرة مدوية
قوامها، الإنجليز بطراس سقط عشرات
الشهداء، واعتقل الخطباء مرة ثانية وعلى
رأسهم أبو العيون، والمحبب أبي الرجل
قد واصل جهاده القوي في غلام السجن
فأخذ يرسل المقالات للثبته إلى الصحف
الوطنية، وحرص المحبين البري على مقاطعة
ملتر^(١) في مقال وقعه بأرضاء محرد
أبو العيون المحبين رقم ٤ وفتح فكان
لتوقيعه مذبذب كيرلي الوطني والهنائين
معانم خرج من السجن ليكتب مقالاً له
السياسية تحت عنوان (الصيغة السوداء)
وقد بدأها في ٦ يناير سنة ٢٢ وختمها
في ١١ فبراير من العام نفسه فانتظمت سبع
عشرة حلقة تتكلم عن جرائم وإطانيات منذ
دانت أرض مصر، وتذمع ما سبها في كل
مرق من مرافق الحياة بوادي النيل متحدثاً
عن تدهور الجيش والحزنة والتعليم والصحة
والمستوى الاجتماعي على أيدي الدخلاء

[١] من بحث جيد عن أبي العيون للاستاذ أنور
الحدي في كتابه «أعلام وأصحاب أعلام» ص ٦٤
وما بعدها.

بمركبة دامت بضع سنوات فهبأ الأذهان إلى استنطاق هذا المنكر ، ثم انتقل إلى الحديث عن الأخلاق بعامة في مقالته العشر ، فأعلن أن ثورة ١٩١٩ قد تمخضت من الداحية الاجتماعية من ضرور خلقية مبيدة ، لأن بعض الكاثين من عملاء أوروبا قد خدشوا الكرامة الخفية بما ترجوا من اعترافات ساقطة ، وما وضروا من مسرحيات جنسية هابطة ولم يروا غير الإباحية مجالا لاسمهم الشائن ، فنأثر بهم الفارثون من الشباب ، واندفعوا إلى التخلص من آداب الشرف والكرامة تحت ستار الحرية والتقدم الحضاري ، وقال الأستاذ في نخوة ثائرة :

لقد كادت النفوس قبل هذا العهد يئس من الأعراس والأهواء ، وكانت أحكام الدين والأخلاق تدرك وتحترم ولكن الذمط الخلق أماب اليوم جماعة الشباب فأوحى فيهم الروابط الاجتماعية ومكن الرذيلة من تقوسهم فأنفدوا في حماها ، وأصبح الكثر منهم يمدق الملق والكذب والتفاني ويألف الله والهوان ، وأصبحت الكفاهات والأهواء ، تدار ما يبذل الشباب لرئيسه من التخنضع والمداينة والرشوة حتى

ومؤيدة بالإحصاءات المدعمة بالأرقام ، وكأن الأستاذ قد أعد نفسه لهذه الخلقات من سنوات ، وكاف طبيعياً أن يغضب أعداء البلاد لجرأته الصارخة ، فأنفقوا معه ولم يجدوا ما يتمونه به في التحقيق إذ بهر وكيل النائب العام بصدق وإخلاص ما كنتوا ينقله من القاهرة وحرم على جريدة الأهرام أن تنشر مقالاته تحت عنوان (الصحيفة السوداء) ومازال المجاهد يدافع بلسانه خطيباً ومشهدنا ويعيدنا وقرباً بعد أن حيل بينه وبين الصحف حتى قرت الذورة وهذا الناس .

وإذا كان القارس الأسيل لا يترك ميدان الكسكفاح في أية مناسبة تتساح ، فإن أبا العيون قد خرج من نشاطه السياسي ليفتح جهة اجتماعية يتدفع فيها بما لمس من تدهور خاني ساعد عليه الاحتلال وروج له المكونون بأقذار أهوائهم والمنحدرين بتسور الحضارة الأوروبية الوبيثة دون الالتفات إلى لبها الجاد العامل ، فتصدر الأهرام ليخط مقالاته الرنانة تحت عنوان (يا ضيعة الأخلاق في عهد الحرية) في عشر مقالات حادة بالتنديد والتوجيه معاً ، وذلك بعد أن نجح نجاحاً طاموساً في هاربة البقاء

صرت لا نجد من الشباب المتعلم - إلا قليلا - من لا تنازعه نفسه إلى جوار ، ولا تفتح له عين لرية ، فلا يلحقه في ذلك ذم ولا تماله وصمة ، ولقد نظم كثير من أولئك الشباب لناظم وللشاعر دورا ونوادي يختلف إليها الجنسان ، وفي ساعة يغفل فيها الزمان تستباح كرامات وتفتن أهراض ، ومن البلية أن تجد نفوس أولئك الشباب قد مرضت مرضا خلقيا لا أرى علاجه هينا فهم لا يرون هيبا في إقرار أي شائبة تكون بصيغا من العمل الرسمي ؛ لأن تلك في نظرهم الخطيء مسائل شخصية لأنسى إلى العمل ولا إلى المجتمع في شيء ، وأعجب أن تكون حالهم على ما وصفنا ، ثم يؤمنوا في وظائفهم على دائق أو مسحتوث ، كأن القدم تتجزأ والضمائر تنقسم ١٤ ، ولن نستطيع أن نتقل أكثر من هذه السطور ولكننا نذهب القارئ إلى مطالعة مجموعة حريدة الأهرام حنة ١٩٣٤ يرى نصوص هذه اللامالات النارية كما خطها كاتبها الغيور كما يلحس صداها لدى القراء والكاتبين فيما حلوه بأزائها من تعقيب ، والحقيقة أن

أما العيون كاتب اجتهى غفل منه للنصف ووفى وكأنه رحمه الله ساعد على هذا الإجمال حين ترك آثاره الكثيرة بدوا في الصحف دون أن يجمع غشرات منها في بضعة كتب نصف القراء ، ونحن في زمن كثرت فيه الدراسات الأدبية والاجتماعية ونهض طلة الدكتوراه والمجستير في كليات الجامعات للحدث من أصحاب الأنلام من الأدباء والباحثين في رسائل جامعية تصد وتناقش وتمنع عليها المهرجات العلمية . أفلا يقوم طالب من هؤلاء بالبحث عن خصائص أبي العيون الكشائية أو اتجاهاته الإصلاحية ، أو نشاطه القومي في الثورة المصرية أو يجمع ذلك كله في ترجمة تحليلية غده بالطيب للنيد من التفكير والتحليل والتدليل ، بأمل أن نرى مثل هذه الدراسة الجامعية قريبا ، فنعلم أن أمثال أبي العيون من حماة القضية وآباء الضيم وأنحة البيان المذكورون مقفرون ، لأنهم كانوا هم الآن محفون مهلون ؟

د محمد رجب البيروني

المسجد وأثره في الحياة الإسلامية

للأستاذ محمود الشرفاوي

وأن المجدد لله هو أكبر مظهر من مظاهر الإيمان . وعلامته ودلائله ، فعباد الرحمن تصفهم الآية الكريمة بأنهم : « يذبتون لهم سجداً وقياماً »^(١) .

وتصف الذين أوتوا العلم من قبله ، بأنهم إذا تليت عليهم آيات الله : « يحزنون للأذان سجداً »^(٢) .

« إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجداً »^(٣) .

وتأمر آيات الله المؤمنين بأن يتوجهوا إلى الله بالثناء عند السجدة : « وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخاضين له الدين »^(٤) .

• • •

وأهل الفضة يقولون : المسجد ، حل وزن (مفعيل) اسم لمكان المجدد ، وأهل الشعر يقولون : المسجد كل موضع من الأرض ، أقول النبي عليه السلام :

تقدراً لحالة المسجد وإشماراً بقيمته وأثره في المستقبل وفي الحياة الإسلامية ، نجد اسمه مذكوراً في ثمان وعشرين آية من القرآن الكريم .

هذا للمدح لكلمة (مسجد) وحدها ، أما مشتقات (مسجد) مثل كلمات (الماجدين) و (سجدوا) و (سجدوا) و (اسجدوا) و (يسجد) فهذه تذكر في القرآن الكريم في سبع وستين آية غير ما ذكر فيها باسم (البيت) : « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأماناً »^(١) وغيرها كثير .

ومن آداب المسجد التي نعرفها في هذه الآيات الكريمة أن للمسجد خصصة لمباداة وذكر الله وحده : « وأن للمسجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً »^(٢) .

وأن بناءها والجلوس فيها لا بد أن يكونا لله وحده : « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر »^(٣) .

[١] الفرقان : ٦٤ .

[٢] الإسراء : ١٠٧ .

[٣] السجدة : ١٨ .

[٤] الأعراف : ٢٩ .

[١] البقرة : ١٢٥ .

[٢] المائدة : ٢٤ .

[٣] التوبة : ١٨ .

والسجود أشرف أفعال الصلاة ، لما جاء في الحديث الشريف : « أقرب ما يكون المرء إلى ربه وهو ساجد » لذلك سمى مكان الصلاة « مسجداً » ، ولم يسم « مركباً » مثلاً .

ويقول أهل المرف الشرعي : « خصص المسجد بالمسكان المهياً للصلاة الخس حتى لا يدخل في اسم المسجد المصل الذي يجتمع فيه للناس لصلاة العيد ونحوها ، ولا المدارس والرحلات » .

وأول مسجد أقيم في الإسلام هو المسجد الحرام ، يقول الله تعالى : « إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مبارك » (١) .

وروى عن أبي ذر أنه سأل النبي عليه السلام عن المسجد الذي أقيم بعد المسجد الحرام فأجابه : « المسجد الأقصى » وقد أسس في سنة ١٥ هـ حين فتح ممر القدس .

عندما قدم عمر بن الخطاب القدس عام فتحها : (استشار كعب الأحرار : أين يقع المسجد ؟ قال كعب : أجعله وراء الصخرة ، فقال له عمر : ضاهيت اليهودية يا كعب ، بل نجعله صدر للمجد ، وهو [١] آل عمران : ٩٦ .

« جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً » ، وهذا من خصائص الأمة الإسلامية ، « لأن من كان قبلنا كانوا لا يصلون إلا في موضع يتيقنون طهارته » ونحن خصصنا بحواز الصلاة في جميع الأرض ، إلا ما نيةما نجاسته ، قاله القاضي عياض ، وفي شرح للهب على البخاري : « المخصوص به هو النبي عليه السلام » وكانت الأنبياء له إنما أتيحت لهم الصلوات في مواضع محصورة كالبيع والكنائس ، أما كرمها مسجداً فلم يأت في أثر أنها منعت من غيره » وقاله القزويني أيضاً .

وقد كان عيسى عليه السلام يصح في الأرض ، ويصل حيث أدركت الصلاة ، فكأنه قال : (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وجعلت لغيري مسجداً ولم تجعل له طهوراً . وهذا هو الظاهر من حديث جابر وأبي هريرة في عهد الطهور والمسجد في حكم الواحد) (١) .

ويقول لسان العرب : « للمسجد ، بالفتح جبهة الرجل حيث يهويه نذب السجود » . وإذا قيل « للمسجدان » كان المراد بهما مسجداً مكة والمدينة .

[١] ص ٢٧ - ٢٨ من كتاب إلهام الساجد بأحكام المساجد للزركشي .

— في المسجد الحرام — خير من الصلاة

في مسجد الرسول .

كما رويت أحاديث كثيرة في فضل مساجد مكة والمدينة والمسجد الأقصى^(١).

وقيل للمناد للفرسي أو صنا ، فقال :

« من استطاع منك أن يموت حاجاً أو غازياً أو طمراً للمسجد ربه فليفعل » .

فقد جعل تعبير المسجد سارياً في الثواب والكرامة للحج والمغازاة في سبيل الله .

(صفاء الروح)

أما الطائفة الروحية وصفاء النفس وطمأنينة القلب التي يجدها المؤمن حين يجلس في المسجد النبوي خاصة ، فأمر عسير أن يصفه كاتب .

وإني ولم يأذن الله أن أشهد هذه المشاهد أترك الحديث هنا لمن شهدها وهو أقدر مني على وصفها ، ولتعبير من الأحاسيس العميقة الصادقة التي يحسها من شهدها وحاش فيها : (.. رعداً صوت المؤذن بالنداء للصلاة : الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، حي على الصلاة ، حي على الفلاح ، الله أكبر ، لا إله إلا الله .

المعنى البرم ، ثم نزل التراب من الصخرة في طرف رذائه وقبائه . وهزل للسلوون معه في ذلك ، وحضر أهل الأردن في نفل بقيتها . وكان الروم قد جعلوا الصخرة مزبجة لأنها قبلة اليهود^(٢) .

والمسجد الحرام كرامة كبرى ذكره في القرآن الكريم أنه أول بيت أقيم في الإسلام ، وقد ورد ذكره في خمسة عشر موضعاً من القرآن .

وأول مسجد أسس في أفريقيا بمسجد دخول الإسلام إليها هو جامع «القطاط» الذي أنشئ في سنة ١٣ هـ ، ثم جامع «النافة» في طرابلس الغرب ويصمى جامع « عمرو ابن العاص » سنة ٢٣ هـ ثم جامع «عقبة» في « القيروان » بالمغرب سنة ٥١ هـ ثم جامع « الزيتونة » سنة ١١٤ هـ .

وقد رويت أحاديث كثيرة في فضل الصلاة في المسجد الحرام ، وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ، أن النبي عليه السلام قال : « صلاة في مسجدي خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد ، إلا للمسجد الحرام » ، وللمنى أن الصلاة فيه

[١] صحيح البخاري الجزء ٢ طبع الميمنية ص ٦٥ [٢]

[١] البداية ونهاية لابن الأثير ص ٥٠٠ الجزء ٦

أفئد على ما يقرب من رغبته في أي مذهب من المذاهب والنظم الحديثة أو القديمة التي أطلعت عليها، ولقد رأيت في أسفاري للكثيرة بلاد يدين أهلها بغير الإسلام من شعائر العبادة ومن نظم الجماعة ما فيه مهابة ورهبة ونظام، ولقد حضرت صلاة الجمعة في بلاد إسلامية عمر، ولكني لم أر في شيء من ذلك ما يقرب من جلال مظهره وقوة روعته، وفي جمعه بين الحرية والنظام وبين الاعتداد بالثبات والإسلام لله، مما رأيت في صلاة الجمعة بالمسجد الحرام، ولم يطبع شيء من ذلك كله من الأثر العميق في نفسي ما طبعته صلاة الجمعة بالمسجد الحرام من أثر بالغ في صفته، فأنأنا كلما أذكره أشعر به مثقلًا في أطوار روعي يسمو بها إلى ذروة الإيمان ويرقي بها إلى ما فوق مستوى الإنسانية لدى نألقه^(١).

وقد وصف «أسبوع» جموع المسلمين وصلاتهم في الحرم النبوي وصفًا مؤثرًا يصح أعظم لوايح الخنين والاشواق والروحانية.

(... فإذا أهل «رمضان» خربت الطبول عند أمير «مسكة» ويمجد فرش

ما أجمل هذا النداء وأعظم وقعه في النفس! إنها تنهز له وتفيض حين سماعه إكبارًا وتقديسًا، والقلب والروح وكل جراحة وكل عضو تنجارب لسماعه وتردد صده في إيمان وإسلام، وكلما ألقى المؤذن مقطعاته دوى المسجد بالجواب عليه صادرا من ماطفة قربية في صدق إيمانها بالله، فلا يكاد ينتهي من نداءه «حي على الصلاة» حتى يلقى الفلاح «حي دعوى المسجد كله مجيبًا: «لا حول ولا قوة إلا بالله» ويربط هذا النداء وتربط هذه الإجابة بين قلوب المصلين برابطة تزيد إيمانهم في الله قوة في قوة، فتنهار الفوارق بينهم ولا يبق منهم قوي وضعيف ولا غني وفقير، بل يصعقون رجلا واحدًا وقلبا واحدًا كله الإيمان بالله والتوجه إلى جانبه جل شأنه توجه صدق وإخلاص^(٢).

وصلاة الجمعة بالمسجد الحرام من أروع مظاهر الإيمان في الجماعة الإسلامية، هذا الإيمان القوي في بساطته، البالغ في قوته والقي يجمع بين الحرية والنظم جمعًا لم

[١] في منزل الرمي الدكتور محمد حسين هيكل من ١٩٦٦، ١٩٦٧.

[٢] من ١٩٦٥، ١٩٦٦ من المصدر السابق

حسن الأنور كانت تمتدكف في مسجد
مروين الناس بالفاهرة .

وللاعتكاف آداب يعرفها من يريد لها
في كتب الفقه ، وقد ذكر في الآية السكرية
« وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا
بيتنا للطائفين والماكفين والركع
المجود » (١)

والصلاة في المسجد والاعتكاف
والجلوس فيه آداب ذكرها الغزالي في :
« الإحياء » (٢) .

والاعتكاف سنة مرغوة ، روى
« البخاري » عن « عائشة » قالت : « إن
النبي ﷺ كان يمتكف العشر الأواخر
من رمضان حتى توفاه الله ، ثم اعتكف
أزواجه من بعده » (٣) .

ومن آداب المسجد ، ألا يخرج منه أحد
إذا أذن المؤذن ، في « مسلم » عن أبي
القضاء قل : (كنا قموا في المسجد مع
أبي هريرة فأذن المؤذن ، فقام رجل
من المسجد يمشي فأقبله أبو هريرة بعينه
حتى خرج من المسجد فقال أبو هريرة :

المسجد الحرام بالحسين ، ويعتلى بالمساجد
والدموع حتى يتلأأ نورهم ويسطع بهجة
واشرافا ، ويتكاثر فيه العباد والقراء . « حتى
لا تبقى في الحرم زاوية ولا ناحية إلا
وفيها قارئ يصل بجماعة ، فيخرج للمسجد
لأصوات القراء وترق النفوس وتمل
الأمين . » وفي ليال الوتر من أواخر
رمضان يجتمعون القرآن في حضور القاضي
والفقهاء وكبراء المدينة ، ويحتفل بحتم
القرآن لوله أنهم حفظه من كبرياتهم ،
فيقام لذلك منبر مزين بالحريير ، وتوقد
الدموع وتلقى الخطب ، ثم يستدعى
أبو الولد الناس إلى منزلة فيطمعهم الأظمة
الكثيرة والحلوى . وأعظم هذه
الاحتفالات يقام في ليلة القدر ليلة السابع
والعشرين من رمضان ، ومنه يقام
في إسنهلال شهر شوال ، مفتح
أشهر الحج (٤) .

والاعتكاف في المسجد عبادة كبرى وصلة
مؤكدة وخاصة في رمضان ، عرفها المملوك
وحرصوا عليها ، حتى النساء ، فقد ذكر
أؤرخون أن السيدة نفيسة بنت سبيد

[١] البقرة ١٢٥

[٢] الباب الثالث في « الشكرات المألوفة

في العبادات » .

[٣] أخر « باب الاعتكاف » صحيح البخاري .

[٤] ص ١٠٢ من كتابنا : « رحلة مع ابن
طارطة من طنجة إلى الصيرة وأندلس وأثينا الجزء ١

- أما هذا فقد عصى أبا القاسم : صلى الله عليه وسلم) .
 وفيه كتاب الصلاة من صحيح مسلم آداب
 وترغيبات كثيرة يحسن برواه المساجد
 أنه يرغبها ويصلوا بها ، منها أن المشي
 إلى الصلاة تحي به الخطايا .
 و « أفضل الجلوس في صلاة بعد الصبح »
 و « فضل المساجد » و « فضل كثرة الخطا »
 إلى المسجد » و « ما يقال إذا دخل المسجد »
 و « تحية المسجد عند القدوم من السفر » .
 وفي المقال القادم نتحدث عن « رجل
 المسجد » .
 محمود الشرفاوي

بقية المنذور على من (٤٧٩)

- تحقيق القسيمة ، ومهارة الأرض والنظر
 في الكتاب ، ونفى على اللطعة أفكارم فقال :
 أو لم يتفكروا .. أو لم ينظروا .. وجعل
 الآيات والمسير الأولى الأبواب ، ولقوم
 يتفكرون .. ونادى للؤمنين ليصموا
 قائلا : « وقيل عملوا فسيرى الله عملكم
 ورسوله » .
 كما أنه لا يشكر أيضا جريمة الفسك
 في صورة القول أو العمل ، فالمذاهب
 المدامة للنتشرة ، والأزياء الفاخرة للغامرة
 والآثار الجريسة الخربة ، والديار السلبية
 للمعذبة ، والأرواح البريئة للشردة .. كلها
 آثار الأفكار الطليقة للتحركة من قيود
 القرائن وحدود القيم ، فهي تعمل للتدمير
 لا للتعيم .
 أما بعد . فإنه ليس لحساب أحد غير
 أعداء الإسلام ، غفلة للناس من دينهم وعدم
 تحديدهم لمفسوم حريتهم ، وليس لحساب
 أحد غير أعداء الإسلام أن يخاف رأي
 للفكر إيمانيه صدقة الحق إذا صجرت يده
 وأن يهاب الأحذ من أيدي خارق السخينة
 فتورى به وجههم إلى ثلثات بعضها لفرق بعض
 ومن يضال الله فإله من هادئ
 و « عز الربيع على العبر »

كلمة التوحيد

عن الشاعر محمد إقبال

«المستأثر الضأى شعلا»

لا إله إلا الله

لا وإلا تجري الكائنات بمحسان وتضر
لوجودات للإنسان .

إن كلمة التوحيد هي كلمة القدرة التي بها
خلق الله العناصر . من (لا) تتولد الحركة
وبد (إلا) ينتهي السكون وكلاهما البداية
والنهاية لقوله تعالى : « كن فيكون » .

وإن أية أمة لا تفسد حياتها بمصالح
لا إله إلا الله فإنها تنجي في القاتل سلام
ولا تستطيع أن تحطم الأغلال والأسلحة
وليس لها مديرة إلا الدولة والامتداد .

والسكر بالطاوغيث هو الهداية التي
يكون بعدها الإيمان بالله وحده وكأنه
بناء بيت جديد لا يقوم على أخاض
فكذلك الشأن لا يمكن أن توجد العقيدة
المصححة السليمة بالتوحيد إلا بعد مرور
عقائد الشرك ، فالله التي يشتمل وفود

إيمانها بالتوحيد تستطيع أن تعيد بناء
حياتها جديداً لأن تلك الكلمة القدسية
تبث القوة وتحرق الرين وأداس الشرك
ليعود الإنسان بها إلى فطرته ، فالنطق بنفي

إن كلمة التوحيد تأثيرها الدافع في
حياة الأمم فهي للفرد والمجتمع عقيدة
القوة وركيزة التقدم والانطلاق وإفراد
الصودية لمخالق ورفض كل عبودية للمعواه
ظاؤ من لا يخضع الجبين لغير الله فيقول
إياك نعبد وإياك نستعين .

ولونظرت الأمة بعين الشهوة واستيقنت
ما في كلمة التوحيد من المعنى القدسي
ما استطاعت أن تقهرها أمة أخرى أو أن
تنال من عزتها ، ولا يستطيع أن يتذوق
للمعنى الجليل لكلمة التوحيد سوى من حمل
بمقتضاها وسلك طريق الحياة على هداها .

والذين تذوقوا طعمها وأطلق عليهم
إقبال رجال الحال هم الذين أفادوا بنهارهم
وبما نالوا من نعماتها وما بلغوه من الرقي
حين تزودوا بها .

وتحتوي كلمة التوحيد على أصلي هما
قوة الرد والقبول : ففي الأولى معنى الجلال
وفي الثانية صفة الجلال ، وعند تلاقي القوتين
يشعده ميزان الحياة ويستقر كيانها فينب

ما عدا الله أمام الطغاة دليل على الحيوية الصادقة والبقظة الكاملة .

إن جذبات الله حق من كلمة التوحيد لا يخفق بها كل قلب ولكن تتحرك بها قلوب واعية صادقة المشقة « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب » « ألا تذكرون الله قطع القلب » ولا يمكن أن تنتمى بهذه الجذبات كل روح فكل حطب يصلح وقوداً لمثل هذا المهب الوهاج .

وإذا اتبعنا هذا السمو في قلب يوقن بنصر الله استطاع أن يجعل الفاعدين قياماً وأن يخلق من السكالي أبطالاً إذا ألقى إليهم نظرة .

إذا أردت أن تطلق الأسير من قيده والمستعبد من أغلاله فأثبت له تراه مذور التوحيد وإذ ذاك يعلم أن لا سيادة لأحد فوقه سوى الله ولن يكون سجوده على الأرض إلا لله الذي خلقه من ترابها وسماها فوقها بشراً سوياً .

إن كلمة « لا » تحمل حول الرمود وتبعث الحركة في الجلود وتخلق في المتخلفين قوة الصدود والمؤمنون بالله هم الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم ، اشترى النفوس وهو الذي خلقها ، والأموال وهو الذي رزقها ولا يشتري أهلهم من الله ولا تمن

أعلى من الجنة والنعمة هنا أن الجنة عرضت على التجار فظهر الأدياء واختلط الكاذب بالصادق فقبل لهم : إن ربها لا يرعى لها بدون الروح والأموال جميعاً فقدم المؤمنون للمقد ، ثم أقاده فيه هو المشتري والمؤمن فيه هو البائع والسلعة هي الروح والنفس هو الجنة والفاعدان مجلد وحبر بل والوثيقة مسجلة في التوراة والإنجيل والقرآن فلما تم الرضى وأمضى البيع قالوا يبيع ربيع لا تقبل ولا تستقبل فقبل لهم :

لقد صدق إيمانكم وسعد عليكم الحياء ومعها النصر أو الاستشهاد ومعها الفوز والخلود « فاحتسبوا ببيعكم الذي لا يفنى به وذلك هو الفوز العظيم » .

تلك هي كلمة التوحيد التي تحدد الصورة الإنشائية في القلب الترابي هيكلها من النور يحمل بكلمة التوحيد أهوال يوم النشور .

في مقام التوحيد بشدو خيالي
بصدى الحق من رجال الحال

إنما تدرك القلوب هداها
اصفاء الأحوال لا الأنوال
حرف « لا » مظهر لمر الجلال

وهو « جور » نذر بالزوال
بصدى « ظلام » والظلم يبدو

عند الإشراق ضوء صبح الجلال

«لا» و«لا» فتح لباب الحياة
واحتمساب الوجود والكائنات
بهما تقهر المهانة والضم
وتغشى الأمور في الحداث

حين يقوى مع الرجاء اليقين
فجراب الأقدار كن فيكون
يدفع الغنى للتحرك والعدم
وعند الإثبات يأتي السكون

كل شعب يروم عز حياه
فيصور التوحيد لا بسواه
ليس يحى زماره غير حر
صيقه لا إله إلا الله
حرف «لا» آية لبده المسير
في طريق الجهاد نحو المصير
إنها أول المنازل طراً
لجاني الله العلي القدير

كل شعب يعصى بخطوسه يد
لعل في حرارة التوحيد
يبتنى من توابه صرح دنياء
ويحى فيها بخلق جديد
قول «لا» غصية أمام الطغاة
هو عند الأحرار معنى الحياة

ثورة من نضالها يصنع المجد
ويبهو تجمد الكائنات
ليس في ذلك الجنون العريق
كل ثوب يفوز بالتمزيق
لا أرى في الغشاء والقيش يوماً
حطبا صالحا لهذا الحريق
لا يمس التوحيد فكراً تقيا
وضميراً حياً وقلباً أيقيا
لأحمال الخول والضعف إيماناً
وهزماً يفزو نجوم الثريا
حرف «لا» صيحة تثير المبيدا
ليزولوا ما لم يزلوا القبودا
ويقيموا في الدهر همرا مجيداً
لا ترى فيه حيدا ومسوداً
لو سرت شمة الهدى في الصدور
وتغشى وميضها في الضمير
لأنام الأحرار الهول يوماً
يتحدى أهوال يوم الشور
صوت «لا» من دوى صوت الزهود
ليس شكوى ناي ولا لحن هود
لو يضيق القضاء يوماً على الحر
تخطى به نطق الوجود
العاون شمره

من الأصول السياسية والدستورية في الإسلام

للدكتور مصطفى كمال وحشني

- ٦ -

حرية العقيدة والفكر في الإسلام

تتمس المحامير الحديثة على أن حرية العقيدة هي حرية مطلقة لا يجوز تقييدها. والسبب في ذلك أنهم يعتبرون أن هذه الحرية هي أمر داخل في النفس لا يتعلق بالنظام الاجتماعي ولذلك فلا يجوز تقييدها بأي قيد .

ولكن معنى ذلك أن يكون للإنسان الحرية في أن يكون ملعداً أو أن يعتقد ما يشاء مما يقصد الإيمان ، كالقول بتناسخ الأرواح أو بعدم البعث أو غير ذلك ولما كان النظام الإسلامي هو كما قدمنا نظام مقدس ، وكانت المقامات والأحكام كلها تركز على العقيدة ، وقد شرحنا ذلك بإضافة مقالات سابقة ، فإنه يتبين من ذلك أن حرية العقيدة في الإسلام ليست مطلقة . بل هي حرية إسلامية ، بمعنى أنها مقيدة بما يتعاليم الإسلام . فإن كان مسلماً فإنه لا يجوز له أن يرتد

وإن كان غير مسلم فإنه عليه في دار الإسلام أن يحترم ما يقره الإسلام في العقائد والمبادئ فلا يظهر استغناء أو إهانة بها ولا يظهر من شعائره ما لا يقره الإسلام .

ولقد كان القول بحرية العقيدة في النظم الحديثة باباً لشيوع الإلحاد وتهنى الكفر حتى انتهت عقائد الأجيال الحديثة وحتى فقد أمر الدين في البلاد غير المسلمة . وآله الأمر إلى ما آل إليه من تحدى الأديان وجعلها ونسبها أمرها وتمايزها وإغناء جذوة الإيمان في القلوب وإشاد ظلمات الكفر وما يؤدي إليه من سوء الخلق والظلم حتى ظهرت جماعات فوضوية (كالهيز وغيرهم) من اللاتردين الذين يتحمرزون الجرائم ويوشون معية القطعان ويهددون هذه الدنية بالزوال .

قبول للحلم بظاهر حاله :

ولكن القول بتقييد حرية العقيدة

فذلك هو الملم له ما للشيخ وعليه ما عليهم .

وجاء في سيرة ابن همام (طبعة كتاب التحرير ج ٤ ص ٢٣١) أنه لما ظهر أسامة ابن زيد مجرداً بن نبيك نطق بالشهادة ، فأنزع عنه حتى فنه ١ قال أسامة : فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا أسامة من لك بلا إله إلا الله ؟ قال : قلت يا رسول الله إنما قالها تمواً بها من القتل . فازال يلود على ذلك حتى سقى عليه ما فعل مطقة عقائمة . وغير ذلك أدلة كثيرة .

ما لا يجوز من التكفير بالمعاصي :

ويثبت على ذلك أنه لا يجوز أن يرى الملم بالكفر إذا ارتكب كبيرة من الكبائر ، فإن ذلك يؤدي إلى نفث الجحافة وانتهاضا واستباحة الدماء وزوال العصمة من الملم بنهمة الكفر . فإن الإيمان كما قدمنا وظيفة في ربط المجتمع وإقامة بنيانه . وقد استباح الحوارج دماء المسلمين بما قالوه من التكفير بالمعاصي وأحازوا قتل علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وغيرها وكانوا داعماً سبياً في القتل والقتل في دار الإسلام وقد عدل معتدلو الحوارج

بهذه النكح في دوائر النفوس ، وهو شر أنواع التعصم وأوسع الأبواب للاستبداد . فإن النظم التي سمحت بالتفتيش على العقائد واتهام الناس بالكفر والزندقة والتفسيق قد ارتكبت أمتنع الجرائم ضد الحرية وسمحت بأقصى أنواع الاستبداد باسم الدين .

ولذلك كان من لبائدي مقرر في الإسلام أن يؤخذ الإنسان في دينه بظاهر حاله . فإن الإنسان لا يفتنى إلى المجتمع الإسلامي بحقيقة إيمانه ولكن بظاهر إسلامه . فلي أظهر الإسلام كفاء ذلك في عصمة نفسه وماله وعرضه ، وهي العصمة التي يتألف منها جوهر الحقوق والحريات في المجتمع الإسلامي . ولأن الإيمان وظيفة في بناء المجتمع وجمع كلمة الأمة وانحادها . والأداة التي تقوم على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله » .

فقوله « حتى » هو حد بين العصمة والتعرض . فإن نطق بها واستقبل القبة

كالأباضية من ذلك . فقالوا : إن الكبار
تؤدي إلى كفر شاق وليس إلى الإثراء
الذي هو الخروج من الملة ومع ذلك قد أجاروا
مئاته الزناة والمصاة . وورد ذلك في أبواب
الدماء من كتاب شرح النيل وغفاه العليل
 وغيره .

الارتداد وحال اللناقين والزنادقة :

ومن نتائج تقييد حرية العقيدة أنه لا يجوز
أن يرتد المسلم لقوله صلى الله عليه وسلم من
ارتد عن دينه فقتلوه (صحیح رواد الطبرانی)
وتوارى الصحابة والسلف على ذلك . فإن
ارتد استتيب فإن تاب ، وإلا قتل .

والردة ترتبط بأمر ظاهرة . وذلك
بأن للنطق بما ينقض الشهادتين ، أو بإتيان
فعل يقتضي ذلك ، أو إنكار ما لم ضرورة
من الدين قيل والسحر وسب النبي ﷺ
والأنبياء واقول بمقالات الكفر كالنسخ
ونحوه .

وأما الخفاق فلا يحكم به بالردة على قول
الجمهور ، إلا ابن حزم قال في المحل : للفاق
يقتل . (ج ١١ ص ٢٢٧) ولا أعلم قسره
قال مقاتل . والزنديق يقتل لأنه لا يقتصر
على استبطان الكفر بل يظهر ما يدخل
في الردة وذلك كالقراطة والسبعية ونحوهم .

وقد ظهر مرتد في السودان في الأوام
الآخيرة وحكت محكمة الخرطوم الشرعية برده
في ١٨ من نوفمبر ١٩٦٨ وتوقفت دستورية
الحكم في الجرائد واختصاص القضاء الشرعي
في ذلك . فرجع رأي الدين قالوا بصحة
الحكم ، ولذلك لم يطمئن فيه أمام المحكمة
للعليا وأصبح هذا الحكم نهائيا وهي سابقة
لها أهمية قضائية كبرى (انظر جريدة لايتان
في ٢٧ من نوفمبر ١٩٦٨ والأيام في ٢٠ من
نوفمبر ١٩٦٨ والرأي المصمم في ٣ من
ديسمبر ١٩٦٨ وهي من الجرائد التي تظهر
في الخرطوم) .

وقال الجمهور : يقتل تارك الصلاة الردة
إن جحد وجوبها ، أو حدا إن تركها إيمالا
واشتغلا وقال أبو حنيفة . يجبر على أدائها
كل وقت ولا يقتل . ومانع الزكاة بأخذها
منه الإمام قهرا ولا يأخذ زيادة منها وإن
قاتل عليها فلا ظهر قتاله فإن قتل مات كافرا
فلا يورث ولا يصلى عليه وقيل غير ذلك .
أما ترك الصيام فالظاهر أنه لا يقاتل عليه
ويترك لأمانته (الأحكام السلطانية لأبي يعلى
صفحة ٧٦١ طبعة مصطفى الحلبي) .

غير المسلمين :

وأما غير المسلمين من أهل الكتاب

يقروا الاسترقاق أو الجزية ، والرأى الأول أظهر .

ولكن يجوز هؤلاء أن يدخلوا دار الإسلام بأمان مؤقت .

والأمان للوقت سنة ، فإن زاد عليها وكان من أهل الجزية أقر عايبها ، وإن لم يكن من أهل الجزية أبلغ مأنة ، يعنى يرسل إلى الحدود حيث يكون آمناً

وإن أتى من الفعل ما يعتبر قوله للذمة (أى أبدى رغبته فى الإقامة الدائمة) وكان من أهل ذلك ، صار ذمياً . ومثله أن تزوج المرأة فى دار الإسلام لكن إقامة المرأة تابعة لزوجها فأقادت بذلك رغبته فى الإقامة الدائمة ، وليس أن يتزوج الرجل الحربى فيها لما ذكرنا ، من إداة الإقامة فليس الرجل تبعاً لزوجته .

وكذا إن دفع الخراج ولو قبل السنة فإن الخراج من وظائف أهل الذمة فى الأصل . ولا يجوز هؤلاء جميعاً أن يفعلوا ما ينقض ذمة المسلمين .

والنقض بلا خلاف إذا لحق بدار الحرب ، فإن لحق يهودى الآن بدولة إسرائيل زال أمانه لما بيننا وبينها من الحرب ، فإنه بذلك يصير خطراً على المسلمين

فإنهم يقرون على دينهم ، وكذا اليهود لأصواتهم أن نمن بهم سنة أهل الكتاب .

قيل : وكذا من له محبة كتاب كالمصابغة .

ولهم أن يقيموا شعائرهم فيها بينهم ، وإن

كانوا فى قرية ليس فيها مسلم جاز أن يظهروا بها وإن كانوا فى مصر فيه مسلمون فلا

يظهرون الشعائر كعرب النواقيس وإحداث المواكب وغير ذلك من أمور المللية ،

ولا يجوز لأهل الكتاب أن يعمدوا الكنائس ، فإكان من كنيسة قديمة فإنها

تبقى لهم ، ولهم إصلاحها وترميمها ، ولكن ليس لهم نقلها من مكانها إلى غيره . لأن ذلك

إحداث وإنشاء ، وإن كانوا فى مصر ليس فيه مسلمون كان لهم إحداث الكنائس .

وفى ذلك أيضاً تفصيل فى الفرق بين أهل الصلح وأهل العنوة من الكنائس .

وأما المشركون من أهل الأوثان فهؤلاء

لا يقرون على دينهم فى دار الإسلام إلا على وجه الأمان المؤقت .

فإن فتح المسلمون بلاداً فيه مشركون

من أهل الأوثان ، فهؤلاء يخبرون بين الإسلام والسيوف ، فما يملكون أو يقتلون

وقيل : ذلك قاصر على العرب من قبل إسماعيل فقط ، وأما غيرهم فيجوز أن

الطارجي والسفر إلى الكواكب .
وكذا فإن (داروين) لما استنبط
نظريته في النشوء والارتقاء من واقع
حفريات أوجنت هذا الرأي ، سئل عن
معارضة ذلك للدين فقال : لست قسيساً ،
اسألوا رجال الدين في ذلك . وأما أقوله
رأياً بمحمل الصواب والخطأ . فهو لم يكن
إلا مسجلاً لملاحظات علمية ولم يقصد
التأثير في العقيدة ، وإنما تأثر بها من
لا يرهال لديه من الإيمان .

وأما بالنسبة للمسلم فإن حرية الفكر
الإسلامي وحرية إبداء الرأي هما يوافق
الدين هو من الواجب والفرض . فعليه إن
لاحظ ما ينتقض الإسلام أو يتناقض منه أن
يحجر برأيه وأمره إلى الله .

فإن الحريات الإسلامية كما وثنا تكاليف
ووظائف يجب القياس بها ، وليست مزايا
أو متعة لأصحابها ، فإن ما نسحقه الآن حرية
الرأي هو في الدين واجب وفرض كفاية ،
ولا يقتل من السلم السلبية والاندزاة ،
بل يكفئ أن يكون إيجابياً لصالح الجماعة
حامل على ما فيه صلاحها ، والله تعالى للوفيق
الحير وهو أعلم بكل الأمور .

مصطفى كمال مصطفى

ومودته وتردده على الإسلام يجعلنا نرتاب
في أمره ونعتبره حيناً علينا وذلك نزول
هصته ويجوز أمره وقتله .

وكذلك إذا امتنعوا بأرض وحاربونا
منها ، فإنهم يفقدون أمانهم بلا خلاف .
وقيل يفقدون أمانهم ولا تستأمن أمانهم
إذا سبوا الدين وأظهروا الاستهانة به وكذا
إذا منعوا الجزية ، وكذا إن قتل مسلماً
أوزني بمسحة . وقيل غير ذلك على خلاف
في المذاهب .

وعلى أي حال فإن فعل شيئاً من ذلك
موجب به .

وعلى ذلك فليس لغير المسلم أن يظهر
من الرأي ما يخالف الإسلام أو ينتقضه أو
يعتبر استهانة به ، وهو في بعض المذاهب
يعتبر نقضاً للأمان يبيع أمره وقتله .

حرية الفكر :

ولا حرج في الإسلام في حرية الفكر
في غير ما تقدم .

وأنه الإسلام يعجج بالبحث العلمي
ويدعوه ، لقوله تعالى في كثير من الآيات
بدهوة المسلمين للتدبر والتفكير والنظر ،
فلا يعاب على من قال بالخروج إلى الفضاء

الموسوعة القرآنية

تصنيف الأستاذين : ابراهيم الإياري وعبدالمقصود مرزوق الدكتور علي العمار

وفهارس متنوعة ، منها ما هو لسور القرآن على ترتيب ورودها في المصحف ، ومنها ما هو لسور القرآن على ترتيب أوائلها ، ومنها ما هو لسور القرآن على ترتيب الهجاء ، ثم ضا إليها هذه الأبواب التي اشتملت على ألتفاظ اقترآن مرتبة ، وعلى أما كنها من الآيات ، وعلى آيات القرآن مرتبة على حروف الهجاء وضمناها أبواباً للناسخ والمنسوخ ، والنحو والعرف والبيان ، وللشكل من إعراب القرآن ، وللمعجم لغوي يجمع كلمات القرآن مرتبة ترتيباً معجمياً ، والقراءات وأسباب النزول والأحكام واللغات والأغراض ، والأعلام والأماكن ، وأخيراً ضمنا المجلد السادسة تفسيراً لقرآن الكريم .

ولا شك أن هذا العمل اقتضاهما جهوداً مضنية وشاقة ، ولولا ما عرّضه من بعض القضايا التي تبجل المخاطر ، وتزعزع يقين

أخرجت (مطابع سجل العرب) ست مجلدات كبار بعنوان (للموسوعة القرآنية) قام على تصنيفها الكاتبان الأستاذان ابراهيم الأياري ، وعبد المصور مرزوق ، وقد وقفهما إلى هذا العمل الضخم أمه : (لا بد من جمع لكل ما يتصل بالقرآن من علوم ، ثم تبسيط مرضه ليكون للفهم على علم به لا تسكنه في ذلك جهداً في التنقيب ، وفسوفه كله في أحلوب مبسر ، حتى لا نشق عليه في الاستيعاب ، وأن تكون هذه الجهود الخادمة جنباً إلى جنب مع القرآن الكريم فأنى نظر في كتابه للنزل من السماء نظر فيما يتصل به ، مما هو في حاجة إليه) . كما قال في تقديمهما :

وقد ضمنا هذه الموسوعة بحجاب القصص الشريف مسائل رأينا أنه من الواجب أن تصحب كتاب الله ، لجمع ما يتصل بالعبط واسطلاحاته ، وعلامات الوقف ،

في المجلدة الأولى

ذكر الأستاذ الأياري أنه تقاسم هو وزميله العمل ، فانفرد هو بمجلدات ، وانفرد زميله بمجلدات أخرى

وقد كان ما جاء في هذه المجلدة من مباحث محبت للمصنف الشريف من عمل الأستاذ الأياري ، ولذلك سيكون حديثنا معه في هذا الفصل .

نضم هذه المجلدة :

١ - القرآن الكريم مصورا عن النسخة التي قام بتصحيح طبعتها ، ومراجعتها لجنة تصحيح المطابع ومراجعتها بمخطوطة الأزهر الشريف .

٢ - سيرة الرسول - ﷺ - في نحو العشرين صفحة .

٣ - تاريخ القرآن الكريم ، في نحو السبعين صفحة .

٤ - اصطلاحات الضبط ، وعلامات الوقف والتهارس .

ومأسجل ملاحظاتي - هنا - بحسب أهميتها :

أولا : في ص ٨٠ يقول الكاتب : (هذا بعد أن صح لنا أن هذه القراءات اجتهد ، وأن رسم المصحف ، وإماله

من ليسوا على سعة في العلم ، وبصيرة في الفهم ، ولولا أن للمصنفين سطوا على جهود آخرين ... أقول : لولا ذلك كله لقلنا إنها جهود مفكورة ومقدرة - أيضا - .

ولا يسع الناقد للنصف إلا أن يلتبس للكاتبين العنصر فيما يمكن أن يلتبس فيه العذر ، كما لا يسعه - قايما بحق كتاب الله تعالى عليه ، ورعاية لواجب الأمانة العلمية وحفاظا على القارئ المسلم أن يتسلل إليه ما يخذش عقيدته - إلا أن يسجل ، وأن ينشر ، وعلى أوسع نطاق ، ما يراه من خطأ أو قصير ، أو انحراف عن الجادة ، لعل المصنفين الفاضلين يتدأوا كان ما وفعا فيه حين يعيدان طبعة هذه الموسوعة ، أو حين يحاولان ترجمتها ، أو بعض مباحثها إلى لغات أخرى .

وهأنذا - بعون الله وتوفيقه - أشرع في تبيان ما هداني إليه النظر ولا حاجة بي إلى القول بأن خدمة كتاب الله التي دعتني إليها إلى القيام بهذا العمل هي التي أوجبت على أن أدون هذه النظرات .

وعلى الله قصد السبيل .

حتى لقد بلغت طرق هذه القراءات للقراءات العشر فقط تسمة وتمايز طريقة).

قال: (فلقد كان هذا اجتهداً من القراء، ولكنه كان إسرافاً في ذلك الاجتهاد). وهكذا يتأكد عندنا أن المصنف يصر على أن لقراءة (اجتهاد) سواء كانت من السبع أو من العشر.

ولقد كان حريصاً على أن يحدد لهذا الرأي منذ بدأ يتحدث عن كتابة المصحف في ص ٦٦ ينقل عن هبان - رضي الله عنه - قوله: (إن فيه - للمصحف - لحز واستقيمه العرب بألسنتها) وقوله: (لو كان العمل من هذيل والكتاب من ثيف لم يكن فيه هذا).

وقد فسر قول هبان الأول بأنه كان في الرسم القديم المصحف الإمام ما كان مظنة التيسر، وأن قول هبان الثاني يزيد هذا الأمر بيانا.

ولقد يفهم القاري من ذلك أن هبان كان مدركاً لهذا اللحن الذي في المصحف، وأنه تركه للعرب تقيمه بألسنتها، وأنه كان يعني لو كان للعمل من هذيل، والكتاب من ثيف حتى لا يوجد في المصحف هذا

نقطة ومشكلاً جبر إلى قراءتها). قال المصنف هذا. بعد أن ذكر ما عقب به الزمخشري على قراءة لابن حاصر، وعلى أخرى لأبي عمرو، وبعد أن قال: (وإنك لو ثبتت ما عقب به الزمخشري في تفسيره على القراء لو حدث له الكثير مما رده عليهم، ولم يقبل منهم) ثم ضرب لاثنتين السابقتين: تعقبه على ابن حاصر، وعلى أبي عمرو.

وإذا عرفنا أن ابن حاصر، وأبا عمرو ابن الملاء من القراء المبيعة، وقد ذكر ذلك المصنف نفسه في صفحة ٧٧ من هذه المجلد، إذا عرفنا ذلك تأكد لنا أنه يريد من (هذه القراءات) التي أشار إليها، والتي وصفها بأنها اجتهد، بل وبأن هذا هو ما (صح لها) يريد ما يشمل القراءات السبع، بل يريد لها نفسها؛ لأن الإشارة كانت إلى ما رده الزمخشري على الإمامين (ابن حاصر وأبي عمرو).

وفي نفس الصفحة، ص ٨٠ يقول الأستاذ الأبياري: (وما نرى صحيحاً هذا الذي ذهب إليه القراء - هكذا القراء مطلقاً - من تأويلات كثيرة، تكاد تحمل الكلمة عشرين وجهاً أو ثلاثين أو أكثر من ذلك،

وتعكك فيما روى من مائنة ، وما عزي
إلى أبان بن عثمان .

وإنما أشرنا إلى هذه النقول مع أن كلام
الزعفراني يرد عليها ، لأن قولها يغيرنا بما
يتبعه إليه الكتاب من رأى في القراءات .
وفي صفحة ٧٢ يغير كلامه إلى أن الله
سبحانه وتعالى قد أعلم بيته بلغات العرب
التي نزل بها القرآن ، وأنه كان يجيز كل
قارى بما يقرأ ، يقول : (وكانت هذه
البلغات عليها إلى الرسول ، قد أحاطه الله بها
علما ، حين يقرأ الهذلي بين يديه (حتى حين)
وهو يفسد حتى حين) يجيزه ، لأنه هكذا
يلفظ بها ، ويستعملها .

ثم ذكر إجازة النبي لقراءة الأسدي ،
والنخعي ، ولقرارات أخرى لم ينسبها ،
وأن النبي في كل ذلك يصحح من القارى
(ويجيزه) .

وكل هذا يغيره بأن العربي كافٍ يصحح الآية
بلهجة غير لهجته ، ثم لا يستطيع أن ينطقها
بهذه اللهجة ، فينطقها بلهجته ، فيجيزه
الرسول ، وهل في ذلك ما عزي إلى بعض
الشيوخ من أن القرآن أنزل بلسان قريش ،
ثم أبيع العرب أن يقرءوه بلغاتهم .

وللعروف أن جبريل - عليه السلام -
(البقية على صفحة ٥١٢)

الذين مع ما نقله جميعا من أن عثمان هو
الذي اختار أن يكون للعلم من قريش ،
وهو سعيد بن العاص - رضى الله عنه -
وأن يكون الكتاب هو سعيد بن زيد بن ثابت
- رضى الله عنه - ونعلم السبب في هذا
الاختيار ، فهما من كتاب الوحي ،
وأن سعيدا كان أعرب الناس ، وكان
أشبههم لمحة برسول الله ﷺ وأن زيدا
كان أكتب الناس ، وهو - فيما سبق -
كاتب رسول الله .

ولا نعتينا هنا مناقشة هذا الذي صافه
للمصنف ، وإنما يعني أن نحن أنه كالمنذ
المحطات الأولى في الكلام على للمصنف
يعهد لرايه الذي صح عنه .

وفي نفس الصفحة ينقل ما عزا أبو بكر
السجستاني إلى مائنة - رضى الله عنها -
وقد سئلت من بعض الآيات التي جاءت فيها
بحاشة لظاهر العربية ، من قولها : (هذا
حمل الكتاب أخطوا في الكتاب) ،
وقد نقل مثل ذلك من (أبان بن عثمان)
كما نقل ما عزي إلى سعيد بن جبير من قوله :
(في القرآن أربعة أحرف لحن) .

وقد تدارك كل هذا بما نقله من الزعفراني
في توجيه هذه المخالفات للظواهر ،

علاقة التشريع الإسلامي بالتشريع الوضعي

للمؤلف الأستاذ عبد الحميد

— ٤ —

أخذنا مما نقرر في مقالاتنا السابقة نخرج بما يلي :

١ - أن التشريع الإسلامي له أصوله وقوانينه بعيدة كل البعد مما سببه في التشريع الوضعي ؛ فهو تشريع يتأوى لمصلحة جميع البشر .

٢ - أن التشريعات الوضعية قد أخذت منه استناداً إلى أدلة فاطمة لا مجرد عاطفة ولا تعنى بدون دليل .

وعلى هذا سأذيع إيضاح ذلك في مؤبدة بالنصوص وللراحم من التشريعات .

واجبات البائع في التشريع الوضعي :

أولاً : على البائع أن يبين المشتري كل ما يتعلق بالمبيع بياناً وافياً بلا غموض ولا إيهام - م ١٦٠٢ ق ف ص ١١٣ ج ٢ فوائده .

ثانياً : على البائع نقل ملكية الشيء

للبيع إلى المشتري ، وهذا يتم بمجرد العقد ، فالتمام عقد البيع بمسئلة تلاقى إرادة التمتع بدين يكتفى لنقل الملكية ، فالبيع يساوى نقل الملكية بدون انضمام شيء آخر من ٦١٤ ج ٢ فوائده .

ويجب تسليم الشيء للملكية م ٦١٥ ج ٢ فوائده وما بعده ج فوائده .

ثالثاً : تسليم المبيع للمشتري ، وهو وضع الشيء المبيع وقت انعقاد البيع تحت تصرف المشتري وتمتعه وتحت يده وتسلم للفنائح وتحلية العقار م ١٦٠٤/١٦٠٥ ق ف

١ - نفقات التسليم على البائع ونفقات النقل على المشتري م ١٦٠٨ ق ف إلا إذا وجد شرط بين التمتع بدين فيعمل به من ٦١٥ ج ٢ فوائده .

٢ - مكان التسليم : هو مكان وجود الشيء المبيع وقت انعقاد البيع إلا لشرط

واجبات البائع التي ينبغي عليها عقد البيع الصحيح السليم .

أما : من واجبات البائع نقل ملكية الشيء المبيع إلى المشتري ؛ إن ملكية البيع ثم بمجرد عقد البيع الصحيح بدون احتياج إلى أي شيء آخر (راجع ص ٤٢٧ مجلة الأزهر ج ٦ في أكتوبر سنة ١٩٦٩) فإن للقر في الشريعة الإسلامية أن البيع الصحيح هو نقل الملكية للمشتري بمجرد العقد - وقد أخذ ذلك القسري الوضعي وقرر (أن عقد البيع يساوي للملكية) .

ثانياً : من واجبات البائع تسليم الشيء للمشتري ، ويتم ذلك في القول بدا بيد له أو لوكيله في القبض - وفي الكيل وللوزن وللمدود يتم التسليم بعملية كيلة أو وزنه أو عدده - وتسليم المقاسر بالتخليف منه وتسليم مفتاحه وعقود تملكه فيضمن للبائع للكيل وللوزن لحين قبضه (وقبض المقاسر بالتخليف وقبض غيره بالعرف) ص ١٤٤ ، ١٤٥ ج ٣ الفرح الكبير .

١ - وبما أن التسليم من واجبات البائع لكي تبرأ ذمته مما تعاقد عليه فأجرة التسليم والعد وللقاسر إلخ على البائع

بين المتعاقدين فيعمل م ١٩٠٩ ق . ف ص ٦١٥ ج ٢ فوايه .

٢ - وجاز للبائع حجز المبيع تحت يده حتى يدفع المشتري الثمن الحال م ١٦١٢ ق ب .

٣ - إذا كان الثمن لأجل جاز للبائع أيضاً حجز للبيع حتى يستوفى الثمن إذا أفلس المشتري أو قصى عمل تجارته بحكم قضائي أو توقف عن الدفع ، فالبائع أحق بسلفته ليستوفى منها باقي الثمن م ١٦١٢ ق ف ص ٦١٦ ج ٢ فوايه .

واجبات البائع في التشريع الإسلامي

أولاً : على البائع أن يبين للمشتري ما يكون في المبيع من عيوب فائقة أو كثيرة فقد نص على ما يأتي (وعلى البائع بيان ما عليه من عيب - لئلا قل أو كثر ولو كان البائع حاكماً أو وارثاً أو وكيلًا - وعليه تفصيل العيب أو إرادته له ولا يجمله ، فإن أهل مدلس ويرد المبيع بما وجد فيه ولا ينقصه التبري مما لم يعلم - فللمشتري الرد بما وجد من عيب قديم ولا تنفع البائع البراءة منه ص ٥١ ج ٢ الشرح الصغير .

ولا شك أن هذه البيانات هي أول

فى هذه الحالة يكون الضمان من البائع لأن المشتري لم يقبض ، وقبل الضمان من المشتري لأن البيع قد تم وإتمام السلفة ضمان لعدد الثمن - فقبضه جاء ما نصه (الساعة المحبوسة التى حبسها بآئنها ولم يسلمها للمشتري لأجل قبض الثمن من المشتري ضمانها من بآئنها) ص ٦٣ ش ص ج ٢ .

وعلاوة على ذلك ، فمرب الدين (البائع) أخذ عين ماله الذى باعه المفاص قبل فله عرضاً أو مشياً أو حيواً ، وكان عماراً عن الغريم فى المفاص حيث ثبت بينة أو إقراراً من المفاص قبل فله وذلك بشروط :

١ - إن لم يقده الغرماء بدفع ثمنه ولو بماله أو بماله للمفاص .

٢ - ولم ينقل من أصله لطحن حب أو ذبح شاة أو تفصيل شقة .

٣ - ولم يختلط بغير مثلى .

ص ١١٩ و ١٢٠ الشرح الصغير ج ٢ بل وللدائن (البائع) رد بعض ثمن قبض من المفاص قبل التفاضل وأخذ عين سلطته وله تركها والمخاصة بما بقى له مع الهائين ، وله أخذ البعض والمخاصة بالثمن

المحصل التوفيق به إلا لشرط أو عرف فيعمل به ص ١٤٤ شرح كبير ج ٢ - وقبض للبيع وثقه على المشتري إلا لشرط أو عرف فيعمل به ص ٢٨ ج ٢ شرح كبير .

٢ - محل تسليم المبيع - مكان تسليم المبيع هو المكان المنتظر فى العقد - فإن لم يكن شرط فحل وجود المبيع إن لم يكن فيه مهنة على المشتري أو كان العرف حلال ذلك فيعمل به ص ١٧٠ ج ٣ مقارنات .

وإن اختلف المتماقدان فى موضع قبض المسلم فيه (فهو بيع) فالقول المدعى موضع العقد اهـ . ش صغير ص ٨٣ ج ٢ - ولو سكنت المتماقدان عن موضع القبض فيحكم بموضع العقد ص ٨٣ ج ٢ ش ص والصاوى .

٣ - حجز المبيع نظير دفع الثمن ، للبائع الحق فى حجز المبيع تحت يده حتى يدفع المشتري له الثمن كله إن كان حالاً أو ما اتفق على حله (قال ابن رشد من حق البائع أن لا يدفع ما باع حتى يقبض ثمنه لأن المبيع فى يده كالأمر فى حقه أن لا يدفع إليه ما باع منه ولا يملكه حتى يقبض ثمنه ، وهذا أمر متفق عليه فى المذهب ص ١٥٩ ج ٦ خرش - ولكن

أخ ١٢٠ الشرح المخرج ٢ .

من واجبات البائع - التفرغ الوضحي

١ - يعلم البائع للبيع المشتري وما يتبعه مما يكون وجوده ضروريا في الاستعمال عادة ، ويعلم حسب حالته وقت العقد م ١٦١٤ و ١٦١٥ ق . ف .

٢ - إذا امتنع البائع عن تسليم العين القيمة في الوقت المحدد بذبح جاز للمشتري إما إجباره قارنا على التسليم وإما حل البيع - وله طلب التعويض في كذا الحالتين م ١٦١٠ و ١٦١١ ق . ف .

٣ - الخطأ في تسليم المساحة - هذه للسنة تأت على وجهين .

١ - أن يكون بيع الأرض مع بيان المساحة - قدر القانون أن الطرفين جملا للمساحة مقصودة في البيع - فيجب على البائع تسليم المساحة للمسا في العقد فإذا سلم البائع أقل فعل البائع بذبح الثمن وإن وجهت أكثر فعل المشتري عن الزيادة - لكن للمشتري في حالة الزيادة الخيار بين

نقض البيع أو قبوله متى كانت الزيادة $\frac{1}{3}$

فأكثر م ١١٧ ١١٨ ق ف م ١٤٦ ج ٢ فوايه

٢ - أن يكون بيع الأرض مع عدم بيان المساحة - قدر القانون أن المتعاقدين

ليس قصدها المساحة - فإن ظهر مجز أو زيادة فلا نقص في الثمن ولا زيادة إلا في $\frac{1}{3}$ مجزا أو زيادة فيحسب ما يخصها في الثمن - ولكن للمشتري عدم قبوله البيع وله الثمن وما أنفق م ١٦١٩ ق . ف . و م ١٦٨ ج ٢ فوايه

من واجبات البائع - التفرغ الإسلامي .

١ - تسليم المبيع وما يتبعه - يجب على البائع تسليم المبيع وما يتبعه مما لا يمكن الانتفاع به انتفاعا كاملا إلا بهذه النواحي وإلا كان التسليم ناقصا يجب تعويض للمشتري عنه .

ويعلم حسب حالته وقت معاينة لإتمام العقد وحسب وصفه في عقد البيع وإلا جاز للمشتري الرد - فقد جاء في الشرح الكبير (وجاز رد البيع لعدم وجود وصف مشروط للمشتري فيه غرض وبما أن المادة السلامة منه مما ينقص الثمن أو للبيع أو التصرف أو يخاف عاقبته م ١٠٨ ج ٢ .

٢ - امتناع البائع عن التسليم - إذا امتنع

البائع عن تسليم المبيع للمشتري - فالمشتري بالخيار إن شاء طالب البائع بتنفيذ عقد البيع وإن شاء فصخ البيع - فقد جاء

وجاء أيضا (إذا قال للفتى البائع
اشتري منك صاعا من هذه الصبرة
(الكومة) أو اشتري منك كل صاع
من هذه الصبرة بكذا وأراد في الصورة
الثانية شراء جميعها كان البيع جائزا؛ لأنها
إما معلومة الجثة والتفصيل وإما معلومة
التفصيل ولو قال كل ذراع بكذا أو كل
رطل بكذا فلا فرق بين السكيات
والمقيسات والموزونات - فيجوز أن أريد
الكل أو عني قدر منه ص ج ٢ شرح صغير.

يجوز بيع الأرض جزاءا حواء وحدها
أو مع غيرها جزاءا أيضا - فقد جاء (يجوز
جزاف أرض مع مكبل حب أردب حنطة
في عقد واحد ويجوز جزافا كقطعة أرض
مع قطعة أرض أخرى في عقد واحد بكذا
ص ١١ ج ٢ شرح صغير - وإذا كان بيع
الأرض جزافا فلا رجوع لأحد الطرفين إلى
الأخر لأن القاس غير مقصود للطرفين وغير
مشروط في الجزاف - وليس فيه حق توفية
ولا تسليم حتى يدخل في ضمان المشتري
بل ينتقل الضمان للمشتري بمجرد العقد.

٤ - ضمان البائع : يضمن البائع
للمشتري صحة ملكية العين المباعة - وذلك

في الصغير (وإن أخفى البائع للبيع وادعى
هلاكه خبر للفتى بين التمسك والتماك
ورجع بالقيمة وللذل ص ١٢٧ ج ٢).

٣ - نقص المساحة : قد يكون للبيع
ممدودا أو مكبلا أو موزونا أو مقاسا -
وتماق الطرفان على بيع شيء من ذلك محذرا
مروفا ، فإذا نقص للبيع من القدر التفتي
عليه فالمشتري غير بين التماك ودفع ما تم
تعليمه وبين الزد ويأخذ ما دفع فالتقدير
المحدد في عقد البيع ملحوظ في إتمام العقد.

وإن تماقدا على بيع شيء حلة كقطعة
أرض أو كومة حب بمبلغ معين بدون كبل
أو مقاس وسلبها البائع كأنه البيع عليها
فلما مسحها للمشتري أو كالمأخذ وجدها ناقصة
صا قدر لها هو في نفسه فليس له الرجوع
بأي شيء على البائع ، وإن وجدها البائع
أنها زادت صا قدر لها فليس له الحق
في مطالبة المشتري بما زاد - وهذا
ما يسمى ببيع (الجراف)

فقد جاء في الشرح الصغير ما نصه
(ويشترط عدم جهول للبيع فلا يصح بيع
جهول القدر حلة وتفصيلا إلا في الجزاف
ولا يصح مجسول القات ولا الصفة)
ص ٢ ج ٢ ض.

فلمشتري الرد لضمائه سلامة البيع - أو في وجوده بمذالبيع فلا رد للمشتري ، فالقول للبائع في وجود العيب أو قدمه لإثباته مادة لأحدهما الخ (راجع ص ١٢٩ ج ٦ خرشي .

٤ - والميب الجديد المخرج عن المقصود مفيت الرد - إلى أن قال : فالواجب التماسك بالميب القديم والأرش واجب على البائع للمشتري ص ١٤٤ ج ٦ خرشي - يعنى أنه إذا حدث عيب جديد بالمبيع والمطلوع المشتري على أنه كان معيباً بميب قديم فلا رد له ولكن له قيمة الميب القديم من البائع ص ١٤٤ ج ٦ خرشي التفرع الموضعي - واجبات للمشتري .

يلتزم المشتري بما يأتي :

أولاً - يلتزم بدفع الثمن - من مكان وزمان التنظيم للبيع إلا لشرط بينهما فيجمل به ص ٦٢٩ ج ٢ فوائيه ١٦٥٠ و ١٦٥١ ق . ف

يجوز للمشتري تأخير دفع الثمن متى وُجد نزاع ومعارضة من الغير م ١٦٥٣ ق . ف ص ٦٢٩ ج ٢ فوائيه .

ثانياً - استلام العين - متى تم البيع صحيحاً وجب على المشتري استلام المبيع حسب أوصافه في عقد البيع ص ٦٢٩ ج ٢ فوائيه

يشترق في عدم معارضة الغير له في حقوق الملكية ، ولا في وضع اليد وفي عدم حقوق الغير على العين لأبينة أي كانت كرهن أو حق ارتفاق للغير كمجرى ماء أو طريق ١ - والضمان يكون من سبب

سابق على البيع فإذا تعرض أحد للمشتري في أي شيء من ذلك كان البائع ضامناً .

٢ - والمشتري الحق في إحضار البائع في مجلس القضاء ليرسم الحكم إما برفض دعوى المدين ولا شيء عليه وقد سلمت العين للمشتري وإما باستحقاق الغير لهذه العين فيرجع للمشتري على البائع بما دفع من الثمن النقدي أو بقيمة إن كان مقوماً أو بعينه إن كان مثالياً وبما خسر في الدعوى (راجع ص ١٦٠ ج ٦ خرشي) .

وبراجع أيضاً في الشرح الصغير ج ٢ ص ٤٩ (الخيار للمشتري لوجود نقص في البيع مقداراً أو عرضاً أو عيناً تكون المادة الملامية منه في ذلك للمبيع ، فله الرد إن أدخل بالذات أو بالثمن أو بالتصرف العادي أو كان بخلاف عاقبته) ١ ص ١٤٢ ج ٦ خرشي ومعنى الخيار للمشتري أن الضمان على البائع في كل ما ذكر .

٣ - إذا اتفق للتوافدان على وجود العيب واختلفا في وجوده قبل البيع

١ - فإذا لم يدفع الثمن المتفق عليه ولم يستلم المبيع فللبائع الحق فى دعوى فسخ البيع - والفسخ لا يحصل بقوة القانون بل لابد من حكم به بناء على طلب البائع فقط .

٢ - ويتم الفسخ بقوة القانون إذا شرط ذلك فى العقد أو كان المبيع حبوياً أو سندات مالية - فإذا لم يحضر البائع ويدفع الثمن ويستلم المبيع يعتبر البيع منسوخاً بقوة القانون م ١٦٥٥ ق ، ف ص ٦٣٩ ج ٢ فوائده .

٣ - تم الفسخ عاد إلى يوم البيع - فيعتبر البيع كأن لم يكن والمالك للبائع وكل تصرف المشتري يعتبر كأن لم يكن م ١٦٥٤ ق ف وم ١١٨٤ ق ف وص ٦٣٠ ج ٢ فوائده التشريع الإسلامى - واحداث للمفتري :

يجب على المشتري ما يأتى :

أولاً : دفع ثمن البيع للبائع أو لوكيله أو لولى المالك الشرعى - حسب اتفاق المتعاقدين مكاناً وزماناً وقدرًا .

١ - وإذا لم يدفع للمشتري الثمن المتفق عليه فللبائع الامتناع من تسليم السلعة الطبيعية لأن الثمن من أركان البيع ، وقد جاء ما نصه : (وإذا تنازع البائع والمشتري

فى التسليم أولاً ، بدأ للمفتري بتسليم الثمن أولاً ، قال ابن رشد : من حق البائع أن لا يدفع ما باع حتى يقبض ثمنه لأن للبيع فى يده كالأمن ، فمن حقه أن لا يدفع إليه ما باع منه ولا يزنه ولا يكيه له حتى يقبض ثمنه ، وهذا أمر متفق عليه فى المذهب - ١٥٩ ج ٦ خرئى .

٢ - فإذا كان المبيع كالرهن فى يده فبائع نظير الثمن فللبائع عدم تسليمه كله حتى يتسلم كل الثمن ، فإذا وجد المشتري زاماً فى الملكية أو فى وضع اليد فله الحق فى عدم الدفع حتى يطمئن على سلامة الملكية للبائع وصحة وضع يده .

٣ - والثمن إما حال وإما مؤجل كله أو بعضه ، فالحال يجب دفعه كله حسب اتفقهما ، والمؤجل كله يجب على البائع تسليم السلعة حتى يحل الأجل ويكون الثمن فى ذمة المفتري ، وفى حالة حلول البعض وتأجيل البعض يجب دفع الحال قسلاً الاستلام والانتظار بالمؤجل إلى حلوله وهو فى ذمة المشتري .

٤ - كل هذا إن اتفق الطرفان على الثمن قسراً وجزأاً ونوماً ، وإن اختلفا فالحكم يختلف :

فقد برئت ذمته قبله إلا إن تصدى فهو ضامن لما أتلف .

٢ - فإن كان للمبيع مثليا فهو في ضمان البائع حتى يتم التسليم فيجب على البائع إعلان للمشتري بالاستلام فإن حضر واحتلم فقد برئ البائع وإن لم يحضر فيعتبر للبيع عنده أمانة لا يضمنها إلا بالتعدي بالغلط أو تعيب فهو تصد على ملك الغير .

٣ - وإن كان الثمن مؤجلا فيجب على البائع تسليم للمبيع وما بقي من الثمن يكوف دينا في ذمة المشتري وعلى المشتري استلام للبيع وبدفع ما بقي من الثمن متى حان الأجل .

٤ - وإذا وقع خلاف بين المتعاقدين في قبض الثمن أو في قبض السلعة؛ فالأصل إتمام للسلعة في يد البائع والثمن ذمة للمشتري ما لم يحصل إشتداد من المشتري فيعمل به وما لم يوافق قول أحدهما العرف فيعمل ٥ - وإشهاد المشتري بالثمن يقتضى قبض السلعة ١٩٩ ج ٦ خرشي .

٥ - وإذا لم يدفع المشتري الثمن المتفق عليه ولم يتسلم المبيع ولم يقبل النفاسخ وديان للبائع الحق في رفع الأمر للقضاء للحكم بفسخ البيع وإخلاء ذمة البائع

(أ) فإن اختلفا في الثمن جنسا أو نوعا حلقا وفسخ البيع ١٩٥ ج ٦ خرشي وترد السلعة إن لم تمت ويرد مع الفوات قيمتها أو مثليها .

(ب) وإن اختلفا في قدر الثمن حلقا وفسخ إن حكم بالفسخ ما دام التنازع موجودا ، فإن تراضيا على الفسخ جاز ، وإن رضى أحدهما ببقاء العقد على ما قال الآخر فله ذلك بعد الحلف ، وقيل ليس له ذلك فالفسخ بمجرد الحلف ١٩٦ ج ٦ خرشي ، فالفسخ بينهما لا يكون إلا بحكم إذا لم يراضيا .

(ج) وإن تجاهل المتبايعان الثمن فقل كل واحد لا أعرف قدره حلقا وبدى بالمشتري وفسخ بينهما وردت السلعة إن بعيت وإلا فقيمتها يوم البيع ١٩٧ ج ٦ خرشي .

تأيا : استلام المبيع ، لهذا الواجب التفصيل الآتي حيث لا يخلو حال الثمن .

١ - فإن كان الثمن حالا مقبوضا فقد أصبح للسليم ملكا للمشتري إذا كان قيميا فلى البائع إعلان للمشتري بالاستلام والإشهاد عليه بذلك فإن احتلم فقد حافظ على ماله وإن لم يتسلم فلا شيء على البائع

والمتضرر هنا هو البائى فهو الذى يرفع
 ٥ موى الفسخ .
 ٦ - متى تم البيع صحيحا دخل المبيع
 فى ملك المشتري والتمن فى ملك البائع
 فتصرف البائع فى التمن وتصرف المشتري
 فى المبيع صحيح - وتمسك البائع بسلعته
 حتى يقبض التمن وتمسك المشتري بالتمن حتى
 يتسلم المبيع سالما من كل عيب أو نقص
 جائز شرعا - وذلك شرط فى العقد مدخول
 عليه فيعمل به بينهما فلا يتم البيع إلا
 بالوفاء بهذين الشرطين (تسليم التمن وتسليم
 المبيع) فانصرف من المتعاقدين قبل

الوفاء بالتزاماتهما تصرف موقوف - فملكية
 التمن والتمن تعود لأطرفين كاملة كما كانت
 بعد الفسخ وكأنه لم يحصل بيع إطلاقا .
 فبذلك البائع لا يبيع خاليا من كل
 تصرفات المشتري - ويملك المشتري التمن خاليا
 من كل تصرفات البائع - ١٨٢ ج مقارنات .
 وبعد كل هذه الصوص المنقذة نصا
 وحكما - أترك الحكم لكل طائى يقول
 الحق للحق جوابا على هذا السؤال (أى
 التشريع الإسلامى أم الوضعى أخذ من
 الآخر ؟) وما خفى كال أعظم وسيكون
 فى مقالنا التالى ما سببره الله بهدى

بقية المنشور على صفحة ٥٠٤

كان يقرئ النبى باللهجات المختلفة ،
 ثم يقرئها النبى لأصحابه كما أزلت ، وقد نقل
 الكاتب هذه الأمثلة على هذا الوجه من
 (ابن فتيبة) ولكنه تجاهل أن ابن فتيبة
 قدم لذلك بقوله : (وكل هذه الحروف
 كلام الله تعالى نزل به الروح الأمين على
 رسوله - عليه السلام -) (١) .
 وأيضا لم يذكر ابن فتيبة (إجازة) من
 النبى ﷺ لقارى ، بل هو يرثب القراءة

على ما سمع القارى من الرسول ، فيقول
 مثلا - بعد العارة التى نقلناها آنفا - :
 (فلهذا يقرأ (متى حين) يريد (حتى حين))
 لأنه هكذا يلفظ بها ويستعملها ، وهكذا
 فى بقية الأمثلة .
 فكلام ابن فتيبة فى غاية الدقة ، وهو
 متفق مع ما هو معروف من أن القراءات
 نزل بها جبريل ، أما كلام الأستاذ الأيبارى
 فهو منحرف ، ولعله أراد به - كما فهمت -
 أن يهد للراى الذى صبح عنده ما

انتشار الإسلام في الرحاب

للككتور حامد غنيم أبو سيمد

— ٤ —

الحركة لم نجاحها عقبات أو صواب، ولكن
الذي نعنيه أن الظروف التي كانت في جانب
انتشار الإسلام قد تغلبت على كل العوامل
المعروفة والتي أربط بها أن تقوض أو تدل
وجود الدين الجديد في تلك البقاع .
بعد هذا التمهيد الإجمالي ننقل إلى محاولة
التعرف على مدى ازدهار الإسلام في تلك
الناحية ، وببدأ الحديث بمدينة أوردبيل
التي كانت العاصمة الأولى لكل إقليم
آذربيجان، ففي هذه المدينة أقيم أول
مسجد في الإقليم كله، وهو المسجد الجامع
الذي أقامه الأشعث برقيس في أثناء
النصف الأول من سنة ٣٦ هـ .

وهذه المدينة كانت مركز تجمع القوة
الإسلامية التي تبطت لها مهمة الحفاظ على
المكاسب الصياحية في المنطقة ، وذلك
بنا كيد ودهم الوجود الإسلامي هناك ^(١)

[١] من البدء الإسلامية التي كانت تركز في
آذربيجان وإعدادها وقرة كوث كل مجموعة منها
هناك انظر الطبري ١ : ٢٤٦

عاجلنا في لئال السابق بدايات انتشار
الإسلام في الناحية الشرقية من آذربيجان
ونود اليوم أن نقول : إنه ليس معنى
وجود بداية لانتشار الإسلام في ناحية
ما من النواحي أن يترتب عليها بالضرورة
نمو وازدهار في هذا الموطن الجديد ،
فكثيرا ما أخذت بدايات قبل أن تتجاوز
مرحلة المهد أو الطفولة ، وكثيرا ما ظلت
بدايات عقيمة ثم طواها الزمن ، وضرب
عليها حجابا من السيات

فما هو الموقف بالنسبة لبدايات الخصة
بالناحية الشرقية من آذربيجان ؟ هل
جاءتها عقبات أخذتها أو جددتها ، أم أن
الظروف كانت مواتية فنمت هذه البدايات
وواكبها الازدهار ؟ .

إن دراسة انتشار الإسلام في هذه الناحية
تجملنا على أن نذهب بصورة عامة إلى
القول بأن الظروف كانت في جانب حركة
انتشار الإسلام ، ولنا نغني أن هذه

وقد استطاعت عناصر هذه القوة أن أو تجاهله ، والواقع التاريخي يحصل لنا
تجذب الكثير من الأذريين إلى حول هذه القضية عدة حقائق :
اهتاق الإسلام .

أولى هذه الحقائق ، هي أن الدولة الإسلامية لم تكن تعترف بالحدود الإقليمية داخلها ، بمعنى أن أي عضو في هذه الدولة كان يحق له أن ينتقل من إقليم إلى إقليم ، وأن يتخذ موطنه حيث يحلو له ، في الوقت الذي استوطنت فيه بعض الأسر العربية إقليم آذربيجان نجد أن بعض الأذريين قد انتقلوا إلى أقاليم أخرى في الدولة الإسلامية واستوطنوها .

كما أن هذه المدينة أيضا صارت موطناً للمدبر من الأسر العربية الإسلامية التي انخفضت منها موطنها دائماً ، وذلك لدمج على نشر الإسلام بين الأذريين من ناحية وتحقيق الاندماج بين المصريين العربى والكردي من ناحية ثانية .

ونستعمل إلى البلاذري محمد ثناء هذا الجواب فإنه يقول ^(١) : « إن العرب لما نزلت آذربيجان نزلت إليها عسائرهما من المصريين (أي البصرة والكوفة) والغلب كل قوم على ما أمكنهم واتباع بعضهم من المعمر الأرضين » .

ولا يظن البعض أن استيطان العرب في آذربيجان هو ما يصرف بالاعتبار في العصر الحديث ، إذ الحقيقة أنه الأمر بعيد كل البعد عن هذا التصور ، ونحن لا نشك في هذا القول ، عن تعصب لا مقيدة الإسلامية ، بل إنا في حقيقة الأمر نعتمد في هذا القول على الواقع التاريخي الواقع الذي لا يستطيع أعداء الإسلام إنكاره .

وفي الجانب المقابل فإن الأذريين وغيرهم الذين انتقلوا من مواطنهم الأصلية واستوطنوا مناطق أخرى ، وخاصة في المناطق العربية ، لم يسكن ينظر إليهم على أنهم مواطنون من الدرجة الثانية ، كما أنه لم تكن توجد قيود أو أعباء مفروضة على كاهلهم لحساب للوطنين الأصليين .

الحدود للفتوحة ، وانددام وجره طبقية أو امتيازات للعناصر العربية، والاندهاج الكامل بين العرب وغيرهم من أهل البلاد للفتوحة - أقول : اعتماداً على هذه الحقائق الثلاث فقط دعوى الاستعمار التي يريد بعض المفرضين أن يلبسها بحركة الفتوح الإسلامية

وأي هذا عما نسمع منه ونلمسه في التاريخ للعاصر عن حركة الاستعمار الغربي لبلدان آسيا وأفريقيا !! إن للمستعمرين الغربيين يحرصون دائماً على ألا يتدهجوا في أهل البلاد الأصليين ، وبالتالي فإنهم يكونون اوستقراطية هتمرية تستأثر بكل الامتيازات وحيرات البلد للمستعمرة على حساب للوطنين لأصليين . وفوق هذا فإن للمستعمرين الغربيين لم يأتوا إلى البلاد للمستعمرة حاملين لمبادئ إنسانية هليا أو بهشرين بقم أخلاقية وفهيسة ، وعلى العكس من ذلك مجد الفاتحين للمسلمين كما يشهد بذلك تاريخهم ، فقد كانوا حجة لمعامل التقدم وللدنية ، كما أنهم كانوا دعاة الخير والنور لكل أبناء الأمة الإنسانية .

إنها حقيقة - تنطلي خالدة أهد الدهر ،

أما الحقيقة الثالثة ، فإنها في الواقع نتيجة طبيعية للحقيقة السابقة ، وهي أن العرب الذين استوطنوا في البلاد المفتوحة مما أنهم لم يكونوا يهدفون إلى تكوين جماعات خاصة مميزة في مجتمهم الجديد فإنهم اندمجوا في أهل البلاد الأصليين ، لدرجة أن جذورهم العربية كانت تنسى أو تتلاشى مع مرور الأيام ، وبمحدثنا المستشرق (مينوردسكي) من قوة الاندهاج بين العرب والأذريين ، وذلك حيث يقول عن الجماعات العربية التي استوطنت آذربيجان (١) :

« ثم اندمجوا شيئاً فشيئاً في الأهالي الوطنيين حتى لقد هه بنو رواد (من قبيلة الأزدي العربية) حوالى منتصف القرن الرابع الهجرى كرحاً من الأكراد » .

وحيث يقول أيضاً عن أسرة الرواد الأزدي في منامبة أخرى (٢) : « واصطبغت من الرمن بالصبغة الكردية » .

واعتماداً على هذه الحقائق الثلاث ، أي

[١] اراء دائرة المعارف الإسلامية ملحة آذربيجان ، المجلد الأول من ٢٩ .
[٢] اراء دائرة المعارف الإسلامية ، ملحة الأعدلية ، المجلد الثاني من ٤٠٠ .

من هذه الأحداث ما وقع في أوائل
الخلقة الثانية من القرن الثاني الهجري ،
في سنة ١١١ هـ استعمل الخليفة همام
ابن عبد الملك الجراح بن عبد الله الحكيم
واليا على أرمينية ، وقد قاد الجراح جنوده
وهاجم بلاد الخزر وافتتح مدينة البيضاء^(١)
التي تقع إلى الشمال من مدينة باب الأبواب^(٢)
كان رد الفعل لهذا الذي أقدم عليه
الجراح الحكيم أن تحالف الترك والخزر
ضد الوجود الإسلامي في المنطقة ، وقد
استطاعت قوات هذا التحالف أن تلاحق
بالمسلمين في القرعة التي دارت رحاها بمرج
أردبيل هزيمة كبيرة ، وكان من بين الضحايا
الجراح الحكيم نفسه ، وذلك في سنة
١١٢ هـ^(٣).

وصلت ألباء هذه الهزيمة إلى مسامع
الخليفة همام بن عبد الملك فعهد إلى حميد
ابن عمرو الحرثي بقيادة القوات الإسلامية
والنصدي لتحالف التركي الخزري .

نحدث كل من الطبري^(٤) والأزدی^(٥)

وهي أن حركة انتشار الإسلام لم تكن
تصدر عن نظرة إقليمية أو قومية ضيقة ،
بل إنها كانت تنطلق من نظرة إنسانية
شاملة ، نظرة تزيل الحدود ، ولا تربط
بالقوميات .

• • •

بعد هذه الوقفة القصيرة نواصل ما نحن
بعده من التعرف على درجة ازدهار
الإسلام في أردبيل ، وبهذا الخصوص
أقول : أرجو من القارئ ألا يتوقع منا
أن نقدم له نبأ بأسماء الذين اعتنقوا
الإسلام ، من بين الأكراد ، كما أرجو
أيضاً ألا يتوقع منا أن نقدم له حقائق
تفصيلية على الجهود التي بذلت من أجل
نشر الإسلام هناك ، وذلك لأن هذه
الزوايا الحقيقية لم يلتفت إليها المؤرخون
الذين نتمتع على كتاباتهم في تقديم هذه
الدراسة .

ولكن ليس معنى هذا أن نقتل
هياس وندير أظهرنا للمعاولة ، بل إننا
سنسلط الضوء بقدر الإمكان على درجة
كثافة المسلمين هناك ، وذلك من خلال
تحليل بعض الأحداث البارزة التي وقعت
في المنطقة

[١] أبو زكريا الأزدی ، تاريخ الموصل ص ٣٠

[٢] معجم البلدان - ١ - ص ٣

[٣] ابن الأثير - ص ١٥٠

[٤] الطبري - ص ٧٠

[٥] تاريخ الموصل - ص ٢٢

ابن الأثير حيث يقول^(١) « فرفعوا أصواتهم بالتكبير والتهليل » .

من هذه الإشارة نفهم أن جل مواطني ورتان، إن لم يكونوا كلهم كانوا مسلمين ولو كانت القضية هي العكس من ذلك لما استطاعت ورتان أن تصعد الحصار الذي فرضه عليها الأعداء، إذ أنه في مثل هذه الحالة لكان في استطاعة الأعداء، بالاعتماد على غير المسلمين داخل المدينة، أن يرغموا المدينة على الاستسلام، والنايب تاريخيا أن المدينة صمدت وأن الأعداء أكرهوا على الرحيل منها دون أن يحققوا هدفهم، وما ذلك إلا لأن من كانوا بها كانوا مسلمين فرفعوا أصواتهم بالتكبير والتهليل .

أما الإشارة الثانية فقد جاءت في سياق الحديث عن السبايا والأسرى للمسلمين الذين كانوا قد وقعوا في أيدي الحزرق قبل مجيء الحرشي إلى هذه النواحي، فقد كان عدد مجموعة واحدة من بين مجموعات الأسرى كما يقول هذا المؤرخ : « خمسة آلاف من أهل بيت من المسلمين » .

وعلمنا أن نفق وقفة قصيرة عند قوله

عن اليهود التي بذلها الحرشي في مجابهة الحزرق الأتراك. كما أنها مسجلا لانتصارات التي أحرزها القائد المسلم على التحالف الممادي، ولكن أيا منهم لم يساعدنا في التعرف على درجة كثافة المسلمين في هذه الناحية، وهي القضية التي نهم الدارس لحركة انتشار الإسلام .

غير أن القضية التي نجاها كل من الطبري والأردى، وجدت من هي بها ولو بصورة جزئية، وذلك هو المؤرخ ابن الأثير، فقد أثار هذا المؤرخ في الحديث عن للعارك التي خاضها الحرشي ضد التحالف الحزري - التركي عدة إشارات، وكل منها تأتي شيئا من الضوء على درجة كثافة المسلمين في شرق آذر بيجان .

وردت الإشارة الأولى في الحديث عن أهل ورتان، وهي في أقصى الشمال الشرقي لأذربيجان وكانت آنذاك واقعة تحت حصار الأعداء . فقد أتى رسول الحرشي إلى أهل تلك المدينة، وناداهم من وراء الأسوار يخبرهم على الثأيرة وعدم التسليم، ويرفعهم أن الحرشي ورجاله قادمون في إثره وكان رد الثقل لذلك هو ما يعكس لنا

(من أهل بيت) إذ لقراد بذلك كما يبدو أن أفراد هذه المجموعة من السبايا والأسرى كانوا ينتسبون إلى بيوتات لها مكانتها الاجتماعية الممتازة بين المسلمين، ومن الطبيعي والحالة هذه أنه كان يوجد بجانب ذلك أضعاف هذا العدد من الطبقات الاجتماعية الأخرى.

هذه مجموعة واحدة من الأسرى، وقد أشار ابن الأثير فوق ذلك إلى مجموعتين آخرين، ففي إشارته هو الأولى يقول: «فسار الحرثي إليهم (أي إلى جنود الخزر) فما همروا إلا والمملون معهم، فوضعوهم فيهم السيف فقتلهم كيف شاموا ولم يفلت من الخزر إلا الشريد، وامتنقذوا من معهم من المسلمين والمملات».

وفي إشارته من الثانية يقول في سياق الحديث عن معركة أخرى دارت بين المسلمين والخزر: «فسار الحرثي إليه (أي إلى

هذه إشارات متعددة إلى الأسرى للمسلمين، وهي تؤكد أن أعدادهم كانت كبيرة، كما تؤكد أيضاً أن الإسلام أصبحت له في أوائل القرن الثاني الهجري القلبية على غيره من الديانات التي كانت سائدة في الناحية الشرقية قبل أن تبدأ هناك حركة انتشار الإسلام.

وهذا، ونواصل في المجال التالي دراسة مدى ازدهار الإسلام في تلك الناحية في عهد هارون الرشيد وأبو جعفر

قضية بنت النخ والعمة وبنت العمة في الميراث

هذا ما ذكره كمال عمود

— ٥ —

٢ — تحت عنوان :

« باب ميراث ابن الابن إذا لم يكن ابن »
قال البخاري : وقال زيد بن ثابت :
إن ولد الأبناء بمنزلة الولد ، إذا لم يكن
دونهم ولد ذكر ، ذكرهم كذكرهم ، وأنثاهم
كأنثاهم ، يرثون كأرثون ، ويحجبون
كما يحجبون ، ولا يرث ولد الابن مع
الابن ، ثم روى عنه حديث ابن عباس
لقد كور بنصه .

« باب ميراث ابنة ابن مع ابنة » حديث
ابن مسعود ، وقد صلل من : ابنة وابنة
ابن وأخت إذا قال : أقضى فيها بما قضى
النبي صلى الله عليه وسلم : للابنة النصف ،
ولابنة الابن للمدس ثلثة الثلثين وما بقي
فالأخت - وصحح هذا خطأ أني : « أبو موسى
الأشعري في فسخة المال نصفين بين البنت
والأخت ، ثم وجع عنه بعد ذلك ، بحديث
ابن مسعود ، وأثنى عليه .

قال العيني : وطائفة إمادة هنا الإشارة
إلى أن ولد الأبناء بمنزلة الولد ، وأنه روى
الحديث من شيعتين - وبين العيين .

وفرضنا في ذلك إيراد ما ذكره ابن حجر
في فتح الباري عند شرحه لهذا الحديث
إذا قال ما نصه :

أقول : والدلالة هنا على نحو الدلالة
هناك ، في توريث بنت الابن ، وبناء فرضها
فإن كان معها ذكر بديء بأصحاب القروض
ثم يكون الباقي لأول رجل ذكر مع من
في طبقته من أخوانه أو بنات منه .

« واحتدل الطحاوي بحديث ابن مسعود
هكذا على أن المراد بحديث ابن عباس :
« فما أبقت الفرائض فلاولى رجل ذكر »
من يكون أقرب العصبات إليه الميت ، ولو
كان هناك عسبة أقرب إلى الميت ولو كان
أنثى كان المال الباقي لها ، ووجه الدلالة منه
أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل الأخوات

ثم أورد البخاري أثر هذا تحت قوله :

• • •

عنه من اعتبره أباً ، فالباقي الجدة لأنه أقرب رجل ، أو مشتركون معه عند من ملوئ بينهم وبين الجد في الإدلاء بالأب ، فاشتركوا معه لتساويهم ، فليس أحد الجانبين أولى بباقي لئلا من الجانب الآخر .

٤ (باب أبيهم أحدهما أخ للأُم والأخ زوج) وفي هذا الباب تنوعت جهات الإرث لكل وارث ، فوُثِرَ بالتعرض والتنصيب معا ، فالزوج فرضه بالزوجية النصف لعدم الولد ، والأخ للأُم فرضه هذه الأخوة السدس ، وليس من يحجبه ، وهما بعد ذلك يستويا في عدسوتهما للموثة إذ هما ابنا حمها .

وصحيح البخاري رحمه الله وهذا الباب على ما يلي : بدأ بقوله : وقال علي : للزوج النصف : وللأخ من الأم السدس وما بقي بينهما فلهما ، ثم روى بسنده حديث أني هيرة من رسول الله ﷺ : أما أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن مات وترك مالا فله أموال المصبة ، ومن ترك كلاً أو ضياعاً فأنا وليه فلا دعي له . ثم ساق بسنده حديث ابن عباس : (ألقموا الفرائض بأهلها فما تركت الفرائض فلا ولي رجل ذكر) .

وفي حديثي الباب : أن مال الميت لموالي

من قبل الأب مع البنت عصبة ، فمردن مع البنات في حكم المذكور من قبل الإرث . أقول : وفي قول الإمام الطحاوي هذا من الفقه شيء كثير ، فهو نفس فيما قلناه سابقاً ، من أولوية الرجل معتبرة بالنسبة لمن يسكون أبداً منه ، أما مع من يساويه من الرجال أو النساء فلا أولوية له بل م شراكه . ومن أن الأنثى من أقارب الأب عصبة في اعتبار للشرع ، كما هو في اللسان للعرى ، وقصر المصوبة على بعض النساء استنباطاً يختلف الرأي فيه لا قطعي ، وأن الأنثى توث الباقي إن كانت أقرب من الذكر ، وإن كان هو في ذاته قريباً . كما في مثال سبق : بنت وأخت حقيقة وأخ لأب ، فالمثل بين البنت والأخت الحقيقة ولا شيء للأخ لأب على قربه ، وذلك رأي الجمهور . وابن عباس يرى الباقي للأخ لأب من دون الحقيقة .

٢ في (باب ميراث الجد مع الأب والإخوة) أورد حديث ابن عباس بسنده . وإعادته هنا . كما في القسطلاني وفتح الباري ، لبيان أن الذي يبقى بعد الترض يصرف لأقرب الناس إل لليت ، وأن الجد محجوب بالأب لترب الأب وأن الإخوة محجوبون بالجد

٣ - ليس في الصحيحين - من باب الفرائض - ولا في بقية الكتب الستة - على ما تتبعناه - حديث واحد يمنع على منع بنت الأخ ومن يليها مع من تساويه ، ولا حديث يفيد نقل المذكورات من قرابات الأب إلى قرابات الأم .

٤ - (١) من منعهن الميراث أصلاً بما فهمه من الحديث عجوج بالتفريخ السليم فحديث على ماسبق ، وبالأدلة التي اعتمد عليها القائلون بتوريث ذوى الأرحام . (ب) ومن نقهون إلى مرتبة ذوى الأرحام عجوج كذلك بالتفريخ فحديث ثم بالمقرر في توريث ذوى الأرحام من التسوية في أصل الاستحقاق بين المتساويين قرابة من الذكور والإناث ، وذلك في الحقيقة مفهوم حديث ابن عباس ، ومن تقديم الأقرب سواء كان ذكراً أو أنثى هل سواء ، وبما رأيناه من بروز مكان النسوة الثلاث بين ذوى الأرحام ، وتوريثهن كثيراً توريث المصبات ، سواء بسواء (انظر عدد ذي القعدة الماضي) .

٥ - لا وجه بعد استبانة المذاهب ووجهات نظرها في توريث ذوى الأرحام لما قرره ابن حزم في المحلى ج ٩ ص ٢٥٣

مصيبة ، وأن الفرائض مدي بها أولاً ، وأن ما بقي بعدها فلامعية للتساوين .

وهكذا يتجلى لنساء أن الحديث في استبعاد البخاري في الأبواب الأربعة بعيد كل البعد عن تقديم الرجل على الأنثى المساوية له ، بل هو استبعاد على اشتراكها معه فيما بقي بعد الفرائض ، كما في السابق الأول والثاني ، أو في تقرير حق الأقرب بالنسبة لمن هو أبعد منه ، كما في الباب الثالث ، أو في تقديم الفرض على التمتع ولو اجتماعاً في وارث واحد أو أكثر كما في الباب الرابع .

نتيجة هامة تقدمها فيما يلي :

١ - ليس في حديث ابن عباس رضي الله عنهما ما يمنع بنت الأخ والعمة وبنت العم ومن يليهن الميراث مع إخوتهن أو أبنائهن صومتهن .

٢ - ليس في نصوص القرآن الكريم ما يعبر إلى منع أنثى الميراث مع ذكر تساويه في الإدلاء إلى المورث : بنوة ، أو أجرة ، أو زوجية ، أو أخوة أو قرابة بل هو يؤكد ذلك الحق نصاً المذكورين بأوصافهم كما سبق بيانه .

في الأمصار، وصق إلى كل مصر علم من
علمهم - كذلك قوله : كل إنسان يؤخذ
من قوله ، ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر
ويشير إلى القبر الشريف .

كذلك ما قاله الإمام الشافعي رحمه الله :
أجمع المسلمون على أن من استنابات له سنة
رسول الله ﷺ فليس له أن يذهبها
لقول أحد

٧ - إذا كان قانون الدواوين
في الجمهورية العربية المتحدة قد تدارك
بالوصية الواجبة ما غرط الناس فيه من
حقوق ذوي القربى ، واختار في جلته
أعدل الأقوال من آراء العلماء ، ثم هو قد
سوى بين بنت الأخ وابن الأخ وبين
الحالة والحال في أصل الاستحقاق لا مقداره
فجدير به تدارك هذا الحق الواضح بالقسوة
بين بنت الأخ وحقيقتها ، والعمة ، وأخيها
وبنت العم كذلك ، قد ذكر مثل حظ الأثنين
على منجح الكتاب والعمة ، وعمة
الإسلام ، وروح التشريع وبالله التوفيق ؟
كمال أحمد حمزة

ثالثاً : لا خلاف في أن من ذكرنا لا يرث
وبني : ابن أخ ، وبنت أخ وبنت
أخ ، وبنت عم ، وعمة وخالة . . الخ
والخلاف مقتضى .

٦ - ما ذكره الإمام مالك رحمه الله
في الموطأ (باب الفرائض) من قوله : الأمر
المجتمع عليه عندما ، والذي لا اختلاف
فيه ، والذي أدركت عليه أهل العلم ببلدنا
أن ابن الأخ لأم ، وابنة الأخ للأب والأم
والعمة ، والحالة لا يرثون بأرحامهم حينئذ .
الخ لا يمثل في الواقع أكثر من رأي
متقدمي المالكية والشافعية مأخوذاً من
زيد بن ثابت رضي الله عنه ولا يشمل جمهور
الصحابه الذين أخذ برأيهم في توريث ذوي
الأرحام الإمامان أبو حنيفة وابن حنبل
وغيرهما ومن تابعهم ، ثم من وافقهم ابتداء
من القرن الثالث والرابع من جمهور الشافعية
والمالكية .

وهنا ذكر للإمام مالك نسبه للإسلام
والمسلمين حينئذ هي الخليفة العباسي أن
يحمل المسلمين على ما في الموطأ ثالثاً :
إن أصحاب رسول الله ﷺ تفرقوا

روابط القرابة والنسب بين مصر والشعب الليبي لأستاذ إبراهيم محمد النخام

- ٢ -

برقة بليليا .

٢ - مجموعة المقافرة :

قبيلة الشمبيات : من مجموعة (أولاد على السفنة) وتضم أكثر من عشر مجموعات من العائلات الكبرى تقيم معظمها في مصر ، بينما تقيم أربع مجموعات منها في ليبيا وتسمى بيوت (جاد الله ، وضيف الله وحبيب ، وروح) وينقسم (الحراي) إلى خمس قبائل فرعية هي (الصبيدات ، والحامسة ، والفرسة ، وأولاد فايد والبراعنة) وتقيم بعض العائلات التي تنسب إلى تلك القبائل في ليبيا ، والبعض الآخر في مصر .

فالقبائل الثلاثة الأولى تقيم معظم عائلاتها في ليبيا ، وأما في مصر ، وقد تقيم بعض الأسر النابتة لعائلة الواحدة بين البلدين . ومن العائلات النابتة لقبيلة (الصبيدات) التي تقيم بعض أسرها في مصر ، عائلات (الشريبي وشاعبي وهوكل ومرسم والزنا ، وأوحازية ، ومزين ، والشحائم ، والدلائقة ، والمدال وراد) . وتنتشر أسرها المصرية في محافظات مطروح (وخاصة في واحة

وتضم هذه المجموعة قبيلتين كبيرتين هما (أولاد على) و (الحراي) .

وينقسم (أولاد على) إلى عدة قبائل فرعية تضمها ثلاث مجموعات رئيسية هي : أولاد على الأبيض ، وأولاد على الأحمر ، وأولاد على السفنة . وتقيم الغالبية الساحقة لعائلات تلك القبائل في مصر ، وتنتشر في محافظات مطروح والوادي الجديد والإسكندرية والبحيرة ، ولبنوفية والغربية وكفر الشيخ والقاهرة والشرقية . إلا أن بعض عائلات هذه القبائل تنجم في ولاية برقة بليليا ، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بأقاربها في مصر .

ومن قبائل أولاد على التي تقيم بعض عائلاتها في مصر ، والبعض الآخر في ليبيا :

قبيلة المعقيبات : من مجموعة (أولاد على الأحمر) وتضم أربع مجموعات من العائلات الكبرى تقيم ثلاث منها في مصر ، وهي مجموعات (لشناوي ويحيى وبوصف) وتقيم الرابعة (مجموعة أولاد على الصغير) في ولاية

(الهنادى ، وبنى هونة ، والجمالية) وتقيم
العائلات التي تنتمى إلى تلك القبائل جميعا
في مصر .

وتنتشر معظم العائلات التي تنسب إلى
قبيلة (الهنادى) في محافظات الشرقية
(وخاصة في مراكز الزقازيق وأنى حماد
وإفسيوس وبليس) والقليوبية والدقهلية
(وخاصة في مركز السنبلوين) والمنوفية
(وخاصة في مركز تلا) والغربية وبنى سويف
والفيوم والمنيا وأسيوط وقنا (وخاصة
في مركز إسماعيلية) .

وتنتشر معظم العائلات التي تنسب إلى
قبيلة (بنى هونة) في محافظات البحيرة
(وخاصة في مركزى أبى حمور وحوش ميسى)
التي ينسب إلى زعيم تلك القبيلة كمال يدهى
ميسى بن اسماعيل بن ماسر ، وكفر للقيح
(وخاصة في مركزى دموق وغسوة)
والشرقية (وخاصة في مركز بلبيس) .

وتقيم معظم العائلات التي تنسب إلى
قبيلة (الجمالية) في محافظة المنوفية
(وخاصة في مركز تلا) .

ثالثا : المرابطون :

لا تسكاد توجد قبيلة من قبائل الرباطين
المقيمة في ليبيا ، إلا وتتبعها عائلات عديدة
تقيم في محافظة أو أكثر من محافظات

حبشة) والإسكندرية (وخاصة في قسم
العامرية) والبحيرة (وخاصة في مركز
أبى حمور) والشرقية (وخاصة في مركز
كفر الويات) والفيوم (وخاصة في مركز
سنورس) والمنيا (وخاصة في مركز منالوط) .

وتقيم الأسر المصرية التابعة لتبيلقى
(الخاصة) والدقهلية (في محافظات مطروح
والإسكندرية والبحيرة) وقد هاجر
بعضهم من نحو ذى نصف قرن إلى فلسطين .

وأما قبيلة (أولاد فايد) (والبراعة)
فتقيم معظم عائلاتها في مصر ، وأقلها
في ليبيا . وتقيم عائلات (أولاد فايد)
المصرية في محافظة الفيوم ، كما تنتشر عائلات
(البراعة) المصرية في محافظات مطروح
(وخاصة في واحة حبشة) والدقهلية
والشرقية (وخاصة في مركز كفر الويات) .

وكفر الشيخ ، والمنوفية (وخاصة في مركز
شبين الكوم) والبحيرة ، والفيوم (وخاصة
في مركز سنورس) وهو (أم مواطنها)
وقد خلفت تلك العائلات بعض أسر البراعة
الليبية ، التي اضطرت إلى الهجرة إلى مصر
إثر الاحتلال الإيطالى ، مع زعيمها الشيخ
هروق أبى مازق رئيس مائة (حدوث) .

٣ - مجموعة السلالة :-

وتضم هذه المجموعة ثلاث قبائل هي

الجوايمس :

وتنتشر معظم مائلاتهم في محافظات مطروح والوادي الجديد (وخاصة في الواحات البحرية) والبحيرة (وخاصة في مركز وادي النطرون) والمنوفية (وخاصة في مركز شين الكوم) والغربية وكفر الشيخ (وخاصة في مراكز كفر الشيخ ودهوق وصيدى سالم وبيلا والبرلس) والشرقية والجيزة وبني سويف والقليوبية (وخاصة في مراكز القليوبية والطا وسنورس) وتعتمد أنسابهم وروابطهم القبلية عبر دول شمال إفريقيا جميعا حتى موريتانيا

الحوارة :

وتنتشر معظم مائلاتهم بمحافظات مطروح والبحيرة والقليوبية وأسيوط وسوهاج وقنا وتوجد قرى بأركانها في المحافظات الأخيرة، تنتمي إلى تلك القبيلة.

القبائل :

وتقيم بعض المائلات للعبارة التي تنتمي إلى قبيلة (القبائل) في محافظة البحيرة (وخاصة في مركزى أبنى لاطاء وبنى حمص) وتعرف فيها باسم (الأرد) . وتوجد عائلة كبيرة تسمى (عائلة ماهر) تقيم بعض أسرها في مركز أبنى حمص ، والبعض الآخر في ولاية رفقة بلحيا .

مصر ، بل هناك من تلك القبائل ما تقيم معظم مائلاتها في مصر، مثل قبائل (الجميعات) و(مخالوس) و(الجوايمس) و(الحوارة) . وسنتحدث فيما يلي عن القبائل للرابطة التي تقيم نسب كبيرة من مائلاتها في مصر :

الجميعات :

وتنتشر معظم مائلاتهم في محافظات مطروح والاسكندرية والبحيرة وكفر الشيخ وبني سويف (وخاصة في مركز بيا) . تشكل المائلات التي تنتمي إلى هذه القبيلة معظم سكان مركز أبنى حمص بمحافظة البحيرة ، وتوجد قرى ينتمى سكانها جميعا إلى تلك المائلات ، وتقيم مجموعة قايمة من مائلات الجميعات في ليبيا ، حيث يطلق عليها (أولاد حليفة) وإقامتهم على الأخص في جهة كركورة ، واجداية ولاية رفقة .

مخالوس :

وتنتشر معظم مائلاتهم في محافظات مطروح (وخاصة في قسم الصبغة) والبحيرة (وخاصة في مركز أبنى المطامير) والمنوفية والغربية والدقهلية والشرقية وبني سويف والقليوبية (وخاصة في مركز إسطا) ولديا ولا يزال يوجد واد في ليبيا يعرف باسم (وادي مخالوس) .

غويطة :

وتقيم العائلات المصرية منها في محافظة
بنى سويف (وخاصة في مركز أهناسيا)
بينما تقيم العائلات الليبية منها في أقصى
الغرب بولاية طرابلس .

الشرقة :

وتنتشر العائلات المصرية منها في محافظات
بنى سويف والفيوم ولبنيا .

المنفة :

وهي قبيلة الزعيم الليبي الخالد الشهيد
مصر المختار ، وتنتشر العائلات المصرية
منها في محافظتي مطروح (وخاصة في قسم
الحمام) ، والبحيرة (وخاصة في مركز
حوش هيمى) .

المنواخنة :

وتقيم العائلات المصرية منها في محافظة
الغربية .

القطماني :

وتنتشر العائلات المصرية منها
في محافظات الإسكندرية (وخاصة في قسم
الماسرية) والبحيرة (وخاصة في مراكز
دمهور وأبي حمص وإيتاي البارود
والمنجيات) وغربية (وخاصة في مركز

كفر الزيات) والفيوم (وخاصة في مركز
أطسا) . وتوجد عائلات تعيش بمصر
أسرها في مصر ، والبعض الآخر في ليبيا ،
مثل عائلات أبي سميدة والراعي والمعبدة
وبريدان .

الحوة (أو الحوطه) :

وتنتشر العائلات المصرية منها
في محافظات مطروح (وخاصة في أقصى
السلام وراي) والبحيرة وأسيوط
(وخاصة في مركز دبروط ، حيث يتكون
منها سكان قرية بأكلها ، تعرف باسم
نلك القبية .

حوق :

وتنتشر عائلاتنا المصرية في محافظات
مطروح (وخاصة في قسمي السلام وراي)
والإسكندرية (وخاصة في قسم الماسرية)
والبحيرة والمنوفية (وخاصة في مركز أشمون)
والجيزة والفيوم (وخاصة في مركز أطسا)
ولبنيا .

وهناك أعداد أخرى محدودة من
العائلات المصرية التي تنسب إلى بعض قبائل
المرابطين الأخرى ، مثل قبائل أزوية
والزاوية ، والموامة ، والمعبدة والدوامر
والتركي ، وأولاد الفيخ . كما أن هناك

للمصري تمام الاندماج ، وحدثت مواطن
العائلات التي تفرعت منها في أنحاء الريف
للمصري على نحو أكثر تفصيلاً مما سمح لنا
به للقيام في هذا البحث المتواضع ، الباطح
التركيز ، ومن هذه المؤلفات (نهاية
الأرب في معرفة قبائل العرب) بقلم تشدى
المنوفى سنة ٨٢١ هـ (والبيان والإعراب مما
بأرض مصر من الأعراب) المقريزى للمنوفى
سنة ٨٤٥ هـ .

وغاية ما أقصد من هذا البحث هو إلقاء
بعض الضوء في سبيل الباحثين من مزيد
من المفومات الفعلية ، لا النظرية لدعوة
الوحدة بين شعوب العالم العربي ومنها - على
سبيل المثال - الشعبان المصري واليمني ،
ويكفى أن نذكر أخيراً أنه بالنسبة لهذين
الشعبين على الأقل فإن هناك كثير من
المصريين اليمنيين هم أكثر قرابة للشعب
اليمني من كثير من يمتنعون بالجغرافية
اليمنية بحكم القانون ، كما أن هناك كثيراً
من اليمنيين الذين هم أكثر قرابة للشعب
للمصري من كثير ممن يمتنعون بالجغرافية
المصرية أيضاً بحكم القانون .

ويمكن أن يقال مثل ذلك أيضاً عن
كثير من الشعوب العربية الأخرى .

أبراهيم النعام

عدداً آخر من العائلات المصرية التي تنسب
إلى أصول ليبية حضرية ، وتكثر على الأخص
في مدينة الاسكندرية ، ومنها عائلات بقم
بعض أفرادها في ليبيا وبعضهم في مصر .
وقد قصرت الأمثلة التي ذكرتها هنا
على الروابط القبلية التي لم تزل معالمها -
أو على الأقل ذكرياتها ، باقية حتى الآن ،
وهي الروابط التي ترجع أصولها إلى هذه
قريب ، لا يتجاوز القرنين والنصف أو الثلاثة
للقرون على أكثر تقدير . وأغفلت
الروابط القديمة التي هفت معالمها أو كادت
المعروف أن الشعب الليبي كان من أكثر
الشعوب إنهما في تكوين عناصر الشعب
للمصري القديم ، كما كان الشعب المصري
من أكثر الشعوب تأثيراً في حضارة ومعتقد
الشعب الليبي القديم . ثم كثر تبادل
المهاجرين بين القبائل المصرية والليبية بعد
فتح الإسلام ، ويكفى أن نذكر أن معظم
القبائل الليبية قد تفرعت من قبيلة (سليم
ابن منصور) التي هاجرت من مصر في القرن
الحادى عشر للهجرى ، وقد سجلت كثير
من المؤلفات التي وضعت منذ عدة قرون
مصر الجماعات البدوية الليبية التي استوطنت
مصر ، في عهد مختلفة وأندجنت في الشعب

الفوائد الذهبية

لنستاذن عباس بن الوليد

الغزى لأدنى خير ما يقوى المثل ،
ويعقل الخطر ، ويقبح زناد الفكر ،
ويرغف الإحساس ، كما أنه يجتذب
النفس ويغيب فيها الضرور ، ويحميها
على النظر في عواقب الأمور .

هو للزهد البريء ، وللعلم للؤدب ،
والظهير للمعنى القوي يثمر مائة لك ، ويشيد
بأوجه إحسانك ، وفيه جمال وحكمة ، وفيه
رصانة ومناة ، وفيه بلاغة وخلابة ، وفيه
أسلوب وموعظة ، وسداد وتجربة ، وفيه
حماقة وقناعة .

هو العليل شفاء ، وللمؤال للتعلم نعم
المجيب بعد النداء ، بل هو شروق إفصاح ،
وهذوبة راح ، وهجة انشراح ، لأنه أثر
من أفاضل العقل ، وظل لقوب قرائحه ،
ونور لمراة حياته ، وجمال لعين إنسانه ،
هذا إلى أنه يحيل عنك مواطن الضعف
في أدب ولياقة وحذق ولباقة .

والغزى أشماته كثيرة ، منها : لللاحن ،
والكناية ، والتمريض ، والافز ، والرمز ،
وللمأية ، والمعنى ، والمعوين ، ومعنى الجميع
واحد ، بيد أن اختلافها بحسب الاعتبارات .

فإذا اعتبرته من حيث إن قائله قد
يوهمك شيئاً نفهمه ويخفى على غيرك سميت
مخفاً ، وسميت فمك لللاحن ، وإذا اعتبرته
من حيث إن صاحبه لم يصرح بمرسه سميت
كناية ، وإذا اعتبرته ثورية عن القوم فراراً
من الكذب سميت تمريضاً وقد قالوا : إن
في للماريض لمدوحة من الكذب ، وإذا
اعتبرته قد حمل على وجوه وأبواب سميت
لغزاً ، وإذا اعتبرته من حيث إن واضعه
لم ينصح عنه ، ولكنه أشار إليه سميت
رمزاً ، وإذا اعتبرته من حيث إن واضعه
كان بما يريك (أى يظهر إبهائك) سميت
معايدة ، وإذا اعتبرته على معنى سميت
معنى ، وإذا اعتبرته من حيث صعوبة فهمه ،
واعتباس استحضاره أسميته مريضاً .

وسأتناول كل لون من هذه الألوان
بالتبديل ، على أن أذكر الإجابة في آخر ذلك ،
(ما عدا بعض الأصواع التي نقتل عليها ،
كي أتبع القصة إن يبتنى أن يصل
فكره مقدماً) .

فن لللاحق :

١ - قولهم : إلى رجلا من بني النضير
كان أسيراً في بكر بن وائل ، وهؤلاء
هم موالي غزو قومه ، فسألهم رسولاً إلى
قومه ، فقالوا : لا نرسل إلا بمحضرتنا
ثلاثاً نأذركم ، وجيء به به أسود فقال
له : أبلغ قومي التحية ، وقل لهم ليكرموا
فلانا ، يعني أسيراً كان في أيديهم من
بكر ، فإن قومه لم يكرموا ، وقل لهم :
إن المرفج قد أدى ، وشكت النساء ،
وأمرهم أن يعروا نافي الجراء ، فقد
أطالوا ركوبها ، وأن يركبوا حمل
الأسهب ، بآية ما أكلت معكم حيساً ،
واسألوا من خبري أخى الحارث
فلما أدى المبعد الرسالة إليهم قالوا :
لقد نحن الأعور ، والله ما نعرف له ناقة
حرء ولا جلاً أصهب ، ثم صرحوا المبعد
ودعوا الحارث فقصوا عليه القصة ، فقال :
قد أنذركم ، أما قوله قد أدى المرفج فمعناه
أن الرجال قد استلوا ، ولبسوا السلاح
وقوله وشكت النساء أي اتخذن الفكاك
وحملنها وهي الأسلحة ، وقوله : الناقة
الجرء أي ارتحلوا من المعناء ، واركبوا
الصان وهو الجمل الأصهب ، وقوله : بآية

ما أكلت معكم حيساً ، أي أن أخلاقنا
من الناس قد فزوكم ، لأن الخبيث يجمع التمر
والسم والافط ، فامتثلوا ، اقل ، وهرقوا
لن كلامه ونجوا من أعدائهم .

٢ - حكى أبو الفرج الأصفهاني أن
امراً القيس آل ألية ألا ينزج امرأة حتى
يسألها من نمانية ، وأربعة ، وانتهى لعل
بخطب النساء ، فإذا سألهن عن هذا قلن
أربعة عشر ، وبينما هو يسير في جوف
القل إذا هو برجل معه ابنة له صغيرة
كأنها البدر لونه ، فأعجبته فسألها بإحارية
ما نمانية وأربعة ، واثنا ؟ فقالت : أما
نمانية فأطباء الكلبة ، وأما أربعة فأخلاف
الثانة ، وأما اثنا فتدعى المرأة ، فخفاها
إلى أبيها فزوجه إياها .

٣ - وقيل : كان شريح منذ زياد
ابن أبيه وهو مريض ، فلما خرج من عنده
أرسل إليه مروق رسولاً يقول له : كيف
تركت الأمير ؟ فقال : تركته يأمر وينهى
قال مروق : إنه صاحب مرض ، فارجع
إليه واسأله ما يأمر وينهى ، قال : يأمر
بالوصية ، وينهى عن النوح .

(البقية ص ٥٣٦)

المصطلحات العسكرية في كتاب المختصر

واستعمالها في الجيصة العراقية الحديثة

للدكتور الركن محمد شير خطاب

- ٧ -

السهم

نُشُوتُ السَّهَامِ مِنْ قَبْلِ بَرِّيَّهَا وَتُسَوِّيَهَا.

١ - (أ) القِدَاحُ : واحدتها قِدَحٌ ،
والقِدَاحُ : إِذَا بَلَغَتِ الْعِيدَانُ أُمَّتُغَةً
فَتُذْبِتُ عَنْهَا الْأَغْصَانُ وَقُطِّعَتْ عَلَى مَقْدَرِ
النَّبْلِ وَهِيَ الْأَقْدَحُ وَالْقُدُوحُ وَالْقِدَاحُ .

(ب) الْقَضْبَةُ : الْقِدَحُ مِنَ النَّبْعِ يُتَّخَذُ
مِنْهُ سَهْمٌ .

(ج) خُشْبٌ : الْوَاحِدُ خَشِيبٌ ، وَهِيَ
إِذَا أَحْرَحَتْ (السَّهَامُ) مِنْ نُشُورِهَا وَجَعَلَتْ
الْمَنْحَتَ الْأَوَّلَ عَلَى مَقْدَرِ لَبَّةٍ عَلَى مَا بَيْنَ أَمْرٍ تَوَجَّجَ
بِقَالِ قِدَحٍ تَحْشُوبٍ وَخَشِيبٍ .

(د) التَّغْلِيَةُ إِذَا صُلِّتِ الْمُنْشَبُ بِالذَّرِّ
حَتَّى تَبَايَنَ .

(هـ) الْبَرِيُّ : الْمُسْكَلُ الْبَرِيُّ .

(و) الْقِدَحُ قَبْلُ أَنْ يُعْمَلَ ، نَيْسٌ وَهُوَ

نَفْسٌ مَا لَمْ يُرَاشَ وَبُعَاقٌ وَيُذَمَّلُ . (ج) :

النَّضَاءُ : إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ بِهِ فَهُوَ النَّهْمُ .
(ج) : أَسْهُمٌ وَسَهْمٌ .

(ز) قُرَحَ السَّهْمِ وَقُرَحَ بُدْرِ عَمَلِهِ .

(ح) الْمَشُورُ وَالْمَشِيقُ : الْقِدَحُ الْمَعْمُورُ
الْبَرِيُّ لِيَدْرِقَ . وَقَدْ مَشِيقَ مَشَقًا .

(ط) سَهْمٌ خَشِرٌ : كَرَفِيقٍ . يَقُولُ : سَهْمٌ
خَشِرٌ وَسَهَامٌ خَشِرٌ .

(ي) السَّهْمُ الْأَصَمُّ : مِثْلُ الْخَشِرِ .

(ك) السَّهْمُ الْمَنْجُوبُ : كَالْمَشِيقِ .
وَالنَّحْفُ : تَرَى الْقِدَحَ . وَقَدْ نَحَفَ يَنْحِفُهُ
يَنْحِفًا

(ل) الْمَصْفُوحُ : إِذَا لَمْ يَكُنْ مُسْتَدِيرًا
وَكَانَ فِيهِ عَرَضٌ

(م) السُّلُوبُ : السَّهْمُ الطَّوِيلُ .

(ن) التَّذِيرُ : إِحْكَامُ الْبَرِيِّ . وَالْأَرْبَعُ

كالمُعْبَر. فإذا لم يُحْكَمْ ولم يَلْتَمِمْ قِيلَ لَهُ :
 رُمِّ قَدْ حَكَ بِأَنَّهُ مُسْتَرَم - أَيْ أَصْلَحَ
 عُبُوبُهُ .
 وَرَبَّمَا اضْطَرَّ الشَّاعِرُ وَاسْتَعْلَهُ فِي غَيْرِهِ إِذَا
 كَانَ الْإِيحَابُ فِي قُوَّةِ النَّفْيِ كَقَوْلِهِ :
 يَا أَيُّهَا الرَّمَى بَنِي آهَرَ عَا

٢ - يمكن اعتماد هذه المصطلحات
 في المصانم الحرمية للتمتاد ، من إعداده حتى
 إكمال عمله بحيث يسكون جاعراً لقرى .

أسماء ضروب السهام وصفاتها

(هـ) الأذرار : أن يُوضَعَ السهم على
 ظهر اليد اليسرى ، ثم يُدَارُ بِإِصْبَعِ
 اليمنى وسبابتها ، فإذا دارَ دَوْرَانَاً جَيِّداً
 قَدَّرَ دُرُوراً ، وإذا دارَ خِلَافاً فِي دُرُورِهِ
 وَحَسَنَ حَنِيئَةً ، ولا يسكون ذلك إلا من
 اكْتَنَزَ عَوْدِيهِ وَحَسَنَ اسْتِدْقَمَتِهِ وَانْتَامَ صِبْغَتُهُ
 ويقال لذلك الأذرار : الإِنْفَاذُ وَالتَّشْدِيدُ .

١ - (أ) الرِّبِيخ - والقابُ عليه
 المَدَى يُقَالُ : وَهُوَ سَهْمٌ طَوِيلٌ لَهُ أَرْبَعُ
 آذَانٍ . وَهُوَ سَهْمٌ يُصْنَعُ لَهُ إِلَى الْخَلْفَةِ
 قِدْحُهُ وَصَلُّهُ هُيْ . لَنَلُو . وَلَا يَجْعَلُ لِلرِّبِيخِ .
 (ب) السَّيْر : سهم فيه مُخْطوط .

(و) السَّهْمُ الْأَصْبَغُ : التي من عمل رجل
 واحد . (ج) : الصَّبِغ . ويُقال : رَمَى
 بِشَرِينِ سَهْمًا صَيِّغَةً بِدِرٍ وَطَرَقَةً بِدِ .

(د) الحَطْوَةُ : سهم صغير قد دُرَّ ذِرَاعُ
 (ج) : حَطَاة . وَتُمْنَى بِذَلِكَ لِأَنَّهُ اتَّخَذَ مِنْ
 أَدْنَى غُصْنٍ ، وَكُلُّ غُصْنٍ شَجَرَةٍ حَطْوَةٌ ،
 وَإِذَا مُحَقَّرَ الرَّجُلُ وَغُيِّرَ بِالضَّعْفِ قِيلَ :
 إِنَّمَا نَبَيْتُكَ حَطَاةً .

(ز) القِرَان : الصَّبِغ . واحداً : قَرِين .
 (ح) الرَّهْب : السَّهْمُ التَّسْطِيفُ .
 (ج) رِهَاب .

(د) أَهْزَع : هو أَرْدَا السَّهْم . وقيل :
 هو الذي يَبْقَى فِي الْكِنَانَةِ وَحْدَهُ ، يُقَالُ سَهْمٌ
 هَزَاعٌ ، وَلَا يُسْتَمْتَلُ الْأَهْزَعُ إِلَّا فِي النَّوْرِ .

(ط) السَّنْدَرَى : ضَرْبٌ مِنَ السَّهَامِ
 وَالْمَصَل . وقيل : هو الْأَبْيَضُ مِنْهَا .
 (ي) الْكُتَابُ وَالْكُتُبُ : الصَّغِيرُ
 مِنَ السَّهَامِ .

(ك) اُجْتَمَعَ سِتُّهُمُ الصَّبِيُّ يُجْمَلُ فِي طَرَفِهِ
تَمَرًا مَعْلُوكًا بَقْدَرٍ عَفَاصٍ السَّقَاوُورَةُ لِيَكُونَ
أَهْدَى لَهُ ، وَقِيلَ : لَيْسَ بِمُتَمَرٍّ بِهِ ، وَلَيْسَ لَهُ
رَيْشٌ .

(ن) النَّشَابُ : النَّبِيلُ . وَاحِدُهُ نَشَابَةٌ .
 وَالنَّشَابُ : مُتَخَذِ النَّشَابِ وَحِرْفَتُهُ النَّشَابَةُ
 وَقَوْمٌ نَشَابَةٌ : يَرْمُونَ بِالنَّشَابِ . وَرَجُلٌ
 نَاشِبٌ . ذُو نَشَابٍ .
 (س) السَّهْمُ : السَّهْمُ .

وقال : استنبأني فأبىته : طلب مني
نبلاً فأعطيته ، وآتيته ، وكفيت له نبلاً
أو سهاً واحداً . وَبَيَّتُ بِهِمْ وَاحِدٌ :
رَمَيْتُ بِهِ . وَالنَّبِيلُ : الذي معه النبل ،
والذي يَسْلُ النَّبِيلَ . وَالْبَيْتُ قَبْلَتُهُ : أَيِ

(ع) الْخَوَرُ وَالْخَوَرُ : قَصَبُ الشَّابِ ،
وهو أيضاً كل شجرة رِخْوَةٍ خَوَّارَةٍ .
(ف) الْحَرَامِيُّ سَهْمٌ طَوِيلُ الْقُدِّ (١) .
(ص) الْحَبَّانُ : سَهْمٌ حَيْدَرٌ يُرْمَى

بها عن القبي الفارسية. واحدتها :
حُبَانَةٌ ، وهي مؤنثة .

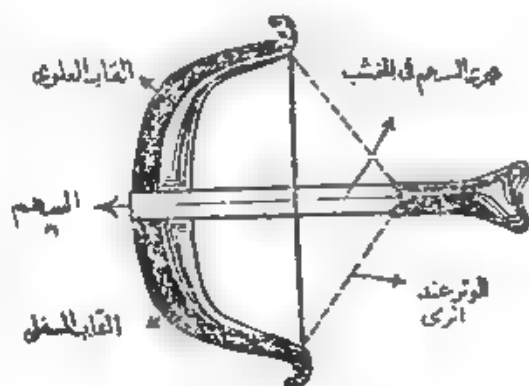
(ق) الْحَرَاثُ : السَّهْمُ قَبْلَ أَنْ
يُرَاشَ. (ج) أَحْرَقَ.

(یمن)

سرحد میں خطاب

[١] القند : وشدة انقار كائس
والصغر بعد توينها وإعدادها لتركب في
السم . [ج] قند . انظر البحر الوسيط
[٧٢٧/٢ - ٧٢٨] .

شكل
القوم والشهم



الشكل (٤)

انبياء وآراء

● كانت قضية فلسطين - ولا زالت - تنال من العالم الإسلامي كل اهتمام ، وما من دورة لمؤتمر يجمع البحوث إلا كان لها نصيب هادف لتلك القضية الإسلامية الخطيرة ، فقد أعلن مؤتمر الجمع مرارا وجوب الجهاد المقدس لاستعادة البقعة الإسلامية المليحة ورد الأمور بشأنها إلى صاحبها .

وإذا كانت قضية فلسطين لها حسنة الخطورة ، فإن أرواح أبنائها عزيزة على العالم الإسلامي كله فإنهم أبناء هذه الأرض التي يرتبط وجودها بوجودهم يوم أصحابها الذين سيقومون بدورهم العظيم لمراتها وتقديمها بمسئولياتها من يران الصهيونية الآتية ، والحفاظ على أولئك الأبناء الأبطال للبررة واجب كل مسلم وكل عربي ، وإن الله سبحانه - الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله - إلى اجتماع عاجل بالقاهرة لدراسة هذه المشكلة الخطيرة التي يتعرض لها

الصيانيون والأردنيون جميعا ومن خلفهم تقرب من القوى الاستعمارية - هو الذي صيهدنا إلى تحقيق عزتنا وتطهير أرضنا من يران الفتن الجائحة ليستمر النضال المقدس حتى النصر للبين المبارك بأمر الله .

● لقيت رحمة قضية الإمام الأكرم دكتور محمد الصمام شيخ الأزهر وصحبه إلى الجمهوريات الإسلامية بالأمم السوفيتي تقدير بالغ في العالم الإسلامي لما حققته من أثر بالغ وكأ كبد للوحدة الإسلامية التي أرادها الله صلة لاتنقسم هراها بين المسلمين ، فقد حرص الإمام الأكبر على دراسة أحوال المسلمين الدينية ونشاطهم الإسلامي ، إذ اجتمع خلال هذه الزيارة بالماء والقضاة ورؤساء الإدارات الدينية واتخذ فضيلته قرارات ، من أهمها قرار بإرسال البعثات الإسلامية من رجال الأزهر وعلماؤه لنشر الثقافة الإسلامية واللغة العربية في هذه البلاد .

وأبدي الإمام الأكبر رغبته في كل
الجامعات التي زارها هناك ، وهي : جامعة
طائفة ، وجامعة حمرة ، وجامعة دمشق
بها ، وموسكو ، ومعهد الدراسات
الشرقية - بأن يكون داخل كل منها
قسم لدراسة اللغة العربية والاهتمام بها .
وقد تحدث فضيلته إلى السليبي في كل
البلاد التي زارها مناشداً إياهم التمسك بالقيم
الإسلامية والتعلق بآداب القرآن ،
وأن يستوحوا من عقيدتهم وإيمانهم بألف
طريقهم للمستقيم .

وقد اهتمت كل الخوادر الرسمية والشعبية
بتلك الزيارة وسجلت مناسحتها في جمهورية
أوزبكستان وتاجا كستان ومنعها الرئيسة
طشقند ومقره ووشم بيه ومسحدي
مدينة مرسكو ومدينة لينغراد .

● زار فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود وكيل الأمر جبهة القتال مع وفد من لجنة المواطنين من أجل الحركة يوم السبت ١٨ من رجب ١٤٩٠ وألقى محاضرة عن الإسماء والمعراج في الجنود والفضائل .

● تم توزيع خريجي الجامعات
والمناهج العليا في دورتي : يونيو ونوفمبر

سنة ١٩٦٩ م القين وردت أملاكهم
إلى الأزهر ، في الجلسة المنعقدة في ٢٤
من جمادى الآخرة ١٣٩٠ هـ / ٧ / ١٩٧٠
وقد تم التوزيع على هيئات الأزهر
الثلاث : مجمع البحوث الإسلامية ،
والمعاهد الدينية والمجلس الأعلى للأزهر .
● اجتمع مجلس مجمع البحوث
الإسلامية في ١٦ / ٩ / ١٩٧٠ ونظر عدة
مسائل منها :

تأليف لجنة المجمع الدورة السابعة لعام
١٣٩٠ - ١٣٩١ - ١٩٧٠ - ١٩٧١ .

الكتابة في موضوعات المؤتمر السادس .
مذكرة من القاموس القرآني .

تقرير لجنة دائرة المعارف الإسلامية
والجسم عن خطة العمل وما تم إنجازه .

بمخت روح الحضارة الإسلامية لعضو
الجمع المنفرد له الشيخ محمد الفاضل
ابن عاشور .

● أوقد مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر هذا العام ٣٩٠ مبعوثاً من علماء الأزهر إلى الجزائر على نفقة حكومتها . سيتم حفرم خلال الأسبوع الأول من أكتوبر ١٩٧٠ وقد تمت كل إجراءات حفرم مع الجهات للشوكة للوثنيين .

كذلك أوفدت إدارة البعث الإسلامية
بالمجمع ٩٠ ميمونا على نفقة حكومة الجمهورية
العربية المتحدة إلى مختلف البلاد العربية
والإسلامية آسيا وأفريقيا تشمل البلدان
الآتية :

أندونيسيا ، رأس الطينة ، سريالوك ،
الصومال ، غانا ، غينيا ، الملبين ،
الكيرون ، لبنان ، ماليزيا ، نيجيريا ،
النيجر ، اليمن الجنوبية ، اليمن الشمالية ،
على القطب

(بقية المقدم على ص ٥٣٠)

١ - ومن للكبايات : خطب رجل
إلى قوم ، فجاءوا إلى الشعب يسألونه عنه
وكان به عار ، فقال : هو والله ما علمت -
أخذ الطينة ، ركن الجلسة ، فزوجوه فإذا
هو خياط ، فأتوه فقالوا : لقد غدرتنا ،
فقال : ما علمت وإنه لكما وصفت .

٢ - وقيل : أخذ العسر رجلين
فقالوا لها : من أنتما ؟ فقال أحدهما :
أنا ابن الهى لا يرل الله قدره
وإن نزلت يوما فسوف تصود
رى الناس أنوارا إلى ضوء ناره
فهم قيام حولها وقمسود

ثأته بالذل وهو صاغرة
بأخذ من مالها ومن دمه
فتنوها من أولاد الأكابر ، فلما
أصبحوا - ألوا عهما ، فإذا الأول
ابن طباش ، والثانى ابن حجام .

٣ - قيل : كان البراء بن قبيصة
صاحب شراب ، فدخل على الوليد
ابن عبد الملك وبوجه أثر ، فقال لوليد :
ما هذا ؟ قال : فرس لى أشقر ركبته
فكبايتى ، فقال : لو ركبنا الأشهب
لما كبايتك ؟

(ينسج)

عباس أهرامه ودفنى

وقال الآخر :
أنا ابن من تخضع الرقاب له
ما بين غزوها وهاشمها

Apart from commercial relations, religious dialogue was initiated between the learned men of all these regions — thus generating a sense of community transcending regional frontiers or dynastic loyalties.

The coming of Islam brought about important and dramatic transformation among the people in the Philippines who adopted it. It brought with it a rigid and uncompromising monotheism before which the old spirits fled away. It introduced new laws, novel ethical standards, and a new outlook in the meaning and direction of life. The Arabic script was adopted, the Arabic language was used for rituals and theological matters, and Malay became the commercial and court language — elements making the Philippine Muslims more and more an integral part of an expanding Islamic Malay world. But just as important was the fact that the Muslims in the Philippines began to develop the consciousness of their belonging to a wider community — one that extended from Morocco in the Atlantic and Mediterranean seas to Malay lands in the China Sea. It was such links with other Muslim peoples that made the Philippine Muslims accept the histories of other Muslims as if they were their own. As it were, the glories of Islam in Asia and Africa were also those of the Philippine Muslims to own and cherish, just as the vicissitudes and travails of Islam in

other parts of the world were for the Philippine Muslims to bear. It was this sense of participation that progressively made the Muslims of the Philippines develop a sense of history and made them an historic people as well.

This last point is so important that with your kind indulgence it requires some digression. First of all Muslims have a high sense of community. This is not to deny that Muslims have fought and killed one another. But the Qur'an and the Shari'ah, the Holy Law, had always condemned and abhorred these as sinful and provocative of Divine retribution. Actually it is such prescriptions about and injunctions against the spilling of Muslim blood by Muslims that have moderated the inevitable conflicts deriving from personal and group conflicts. Transgressions against such injunctions always left a deep sense of guilt in the transgressor and the belief is generated that he lives in a cursed atmosphere from where the Divine Blessing had been withheld. It is his sense of community that punishes a Filipino Muslim when he hears about earthquakes in Morocco, Turkey, and Iran, or floods in East Pakistan. It is this sentiment that profoundly deprecates him when he is informed that Muslims are persecuted in some countries.

(to be Continued)

Jolo. They were likely traders who married local girls and died and were buried in Jolo, not without having left descendants. By the middle of the fourteenth century, Muslim missionaries appear as part of their plan to effect conversions in Malay lands. They were probably Sufis and their teachings were infused with mystical overtones. By the turn of the fourteenth century, Muslims from other Malay lands came to established principality. By the middle of the fifteenth century, Islam must have been quite widespread making the local chiefs and people receptive to the adoption of Islamic political institutions, more specifically that of the sultanate. Thus it can be seen that the coming of Islam and its expansion in other parts of Malasia and Indonesia.

While Islamic political institutions were being implanted in Sulu, Muslim traders and possibly itinerant teachers visited the eastern and northern parts of Mindanao Island. At present it is difficult to evaluate the results of their coming except to say that in some way they prepared for the advent of Muhammad Kabungsuwan who, with his rearating followers, came to found a principality where they established Islamic institutions. Although his coming appeared to have brought

some tensions among some settlements, it was by means of a system of multiple marriage alliances with various ruling families that brought Islam to the chiefs. The coming of this intrepid Arab-Malay, to whom the pervasive spread of Islam in Mindanao is attributed and from whom all the leading sultans of that island have claimed descent, can be calculated to have taken place around the second decade of the sixteenth century. Out of the above-mentioned marriage alliances, Islamic dynasties sprung: that of Maguindanao, Buayan, and Butig. From the Iranuns of Butig area, Islam was then introduced to their kins, the Maranaos of the Lake. Whereas the base and stronghold of the Buayan alliance was in the upper valley of the Pulangi in the interior of eastern Mindanao, that of the sultanate of Maguindanao was at the lower valley and nearby the coastal areas. Actually, for many years, it was Iranun support that strengthened the Maguindanao rulers against their antagonists.

In time, the continued existence of Islam in Sulu and Mindanao was guaranteed by a more intensive Islamization of their neighbours like Brunel and Ternate. The royal families of Brunel and Sulu would become intimately related as happened between Maguindanao and Ternate.

around Buansa as evidenced by the narration that when a baguinda or prince coming from Sumatra landed with his courtiers and warriors, the opposition against him was weakened when some Muslims (some of them grandchildren of Tuan Masha'ika) came to his support. Another version has it that the religious men of both factions, that is, the Buansa party and the party of the baguinda, decided to stop fighting and agree to have the baguinda as ruler in Buansa — his acceptability to the datus of Buansa being induced by the fact that the Sumatran prince was a Muslim. In any case, the coming of the baguinda with learned men in Islam must have contributed to the increasing consciousness of Islam among the people of Jolo, especially those in the area around Buansa.

After this time, Islam must have been deep among the datus and chiefs that they were willing to accept as their ruler a foreign Muslim known as the Sharif ul-Hashim. What is meant in particular is that this Muslim purportedly an Arab, did not come and impose Islam or his sultanate among the people. Rather, it was when the datus and generalty of the people had become sophisticated in their Islamic knowledge and had developed a high

level of Islamic consciousness that they were led to accept the political institutions required by orthodoxy. The Sharif ul-Hashim is calculated to have arrived in Buansa around the middle of the fifteenth century. Let me emphasize that this sharif is a historical figure and not the figment of Tausug imagination. His beautiful tomb still exists in one of the slopes of Mt. Tumantang, the tallest mountain in Jolo. All his titles are inscribed in his tomb for anyone who cares to go up there and read them. Significant is that one of his titles is Maulana, suggesting that he was a guide and teacher. Actually, the conversion of the interior or mountain tribes in Jolo, the Buranans is due to him. In effect, this means that the coastal peoples of Sulu and the mountain peoples the latter possibly older in the island than the coastal ones, came to share the same faith and submit themselves to one political and spiritual head. As is well known, the sultans of Sulu, have all claimed descent from this sharif, called the first sultan.

To summarize the introduction and spread of Islam in Su'u: Around the beginning of the fourteenth century or possibly before it, there was already a colony or settlement of foreign Muslims in the island of

THE MUSLIMS IN THE PHILIPPINES A HISTORICAL PERSPECTIVE

By : CESAR ADIB MAJUL

- II -

By the nature of the invariant care given to the grave and tombstone and because the tombstone seems to have been imported by or worked in Sulu by Muslims, it can be inferred that by the end of the thirteenth century or at the beginning of the fourteenth century there was already a settlement or colony of foreign Muslims in Jolo island. I would like to speculate that this is the time of the coming of Tuan Masha'ika although I am not suggesting that the Tuan and the deceased foreign Muslim were one and the same.

The tarikhs then narrate about the coming of a certain Makhdum Karim who on account of his scholarly qualities was also entitled Tuan Sharif Auliya, this last term being used for holy men. He is said to have travelled extensively and effected conversions. Majeeb Salceby, a student of Sulu history and the scholar who first published some of the most important tarikhs wrote that the Makhdum must have come

around the second half or possibly around the middle of the fourteenth century. And this calculation tallies well with the date usually given for the coming of other makhdums to Java and Balambangan. These makhdums were probably Sullas with missionary aims. As is well known, the Sullas, that is, certain Muslims with mystical inclinations and belonging to brotherhoods, had come to the Indonesian Archipelago at around this time to spread Islam as a reaction to the fall of Baghdad to the Mongols during the last quarter of the thirteenth century. It is not really correct to say that the Makhdum Karim was the first man who introduced Islam to Sulu. What probably happened was that he reformed Islam among the foreign Muslims or their descendants and with their help and support and use of their settlement as a base he was able to effect conversions among the surrounding local and elder population.

Islam must have been by now fairly spread among the population

never lost his consciousness nor control of his self.

In the early times of the mission, he used to repeat aloud, during the course of the revelation, what was revealed to him, some, while still at Mecca, he abandoned this habit of simultaneous repeating, but began to remain silent till the end of the state of revelation, and then he communicated the message of God to his secretaries to note (as is mentioned in the Qur'an 75/17) : "Stir not thy tongue herewith to hasten it; upon Us the putting together and the reading thereof". And again (26/114) : "And hasten not with the Qur'an ere its revelation hath been perfected unto thee and say : my Lord, increase me in knowledge". And when the Prophet returned to his normal state, he used to dictate to his scribes the portion of the Qur'an which had just been received by him, in order to publish it amongst the Muslims and to multiply the copies. In his *al-Hib'ath wal-Maghaal* (MS of Fez), Ibn Ishaq reports : "Whenever part of the Qur'an was revealed to the Messenger of God, he first recited it among men, and then among women".

THE REVEALED BOOKS

145 — God being the Lord of the earth as well as of heavens, it

is the duty of man to obey Him, more so because in His mercy, He sends His messengers for the benefit of man, God is the sovereign and the source of all law, spiritual as well as temporal. We have just spoken of the revelations and communications of the will of God to man. It is the collection and compilation of these revelations which constitute the Revealed Books.

146 — The formula of the creed enunciated by the Prophet Muhammad speaks of the Book, and not merely of the Book which would refer to the Qur'an only. This tolerance is characteristic of his teaching. The Qur'an speaks of it in numerous passages. For instance (7/85) : "Each one (of the Muslims) believeth in God and His angels and His books and His messengers, (and says) : We make no distinction between any of His messengers". Again (35/24) it declares : "... and there is not a nation but a Warner hath passed among them". And yet again (4/164, 40/73) : "Verily WE sent messengers before thee (O Muhammad), among them those of whom We have told thee, and some of them We have not told thee about". The Qur'an names and recognizes the the scrolls of Abraham, the Torah of Moses, the Psalter of David and the Gospel of Jesus as the books revealed by God.

silent; there is not an occasion of the revelation to me when I do not fear that my soul will depart." His Companions relate their observations as under: "Whenever a revelation came to him, a sort of rest (immobility) captured him" (Ibn Hanbal). Or "Whenever the revelation came to the messenger of God, he was overwhelmed and remained in this state a while as if he was intoxicated" (Ibn Sa'd). Or "The revelation came to him in the coldest day, and when it ceased, the front of the Prophet perspired with (sweat falling as) pearls" (Bukhari). Or "Once when the moment (of revelation) arrived, he bent his head inside (a garment?) and lo, the face of the messenger of God had become red, and he snored; later the state vanished" (Bukhari). Or "Whenever the revelation came, he suffered therefrom and his face darkened (Ibn Sa'd). Or "When the revelation came to him, we heard near him like the humming sound of bees" (Ibn Hanbal and Abu Nu'aim). Or "The Prophet suffered great pain when the revelation came to him, and used to move his lips" (Bukhari). Other series of reports say that he then felt the weight of a great load, and say: I saw the Prophet when a revelation came to him while he was on his camel; the camel began

to form with rage and twist its legs to the point that I feared that they would break with a crack. In fact sometimes the camel sat down, but sometimes it obstinately tried to stand, with legs planted like pegs althrough the time of revelation, and this lasted until the state (of revelation) vanished, and sweat fell from him like pearls" (Ibn Sa'd). Or "The load almost broke the leg of the camel with a crack" (Ibn Hanbal). Zaid Ibn Thabit reports his personal experience of a certain day in the following words: "His leg lay on my thigh and weighed so heavy that I feared that my femur would break with a crack" (Bukhari). In another version, there is this addition: " . . . had it not been for the Prophet of God, I would have pushed a cry and taken away my leg". Other reports say: "The revelation came to him once while he was standing on the pulpit of the ketque and he remained immobile" (Ibn Hanbal). Or "He was holding a loaf of meat (during his meal) when a revelation came to him, and when the state ceased, the loaf was still in his hand" (Ibn Hanbal). At such an occasion, the Prophet sometimes lay on his back, sometimes the inmates even covered his face in respect with a piece of cloth, as the circumstance may be. Yet he

the prophet. None except a Prophet receives such a revelation through the intermediary of a celestial messenger. It ought to be remembered that in Islam, prophet does not mean one who makes prophecies and predictions, but only an envoy of God, a bearer of Divine message intended for his people. As to the angel, it does not enter in the scope of our studies here to discuss whether it is a spiritual being, distinct from the material beings in the universe, or something else.

143 — According to the Qur'an, the celestial messenger, who brought revelations to the Prophet, is called Jibril (Jibrail, Gabriel), which etymologically means "the power of God". The Qur'an cites also Mikal (Mikail, Michael), without indicating his functions. The runcuonary in charge of hell is named Malik (literally "master" or owner). It speaks also of other angels without name and without attributes, all of whom execute the orders of the Lord. The Islamic belief is that Jibril, also termed by the Quran "trustworthy spirit (al-ruh al-amin)", stands above all. In the sayings of the Prophet Muhammad, as distinct from the Quran, we read that this celestial messenger, Jibril, did not appear to the Prophet always in the same form. The Prophet saw him sometimes like a being suspended in

the air, sometimes in the shape of a man, sometimes like a being having wings, etc. In a narration (cf. 129) preserved by Ibn Hanbal (1,53 or No. 374), it is reported that one day in the presence of many people, an unknown person came and put some questions to the Prophet Muhammad, and thereafter went away. Several days after wards, the Prophet told his companions : I am persuaded to believe that the person who put to me questions on that day was none other than Gabriel, who had come to teach you your religion; and never was I so tardy in recognizing him. It was so, because he had come to examine the Prophet and not to communicate to him some message of God.

144 — The way in which the revelation used to come could be deduced from the following reports in which the Prophet himself or his on-lookers have described it; "Sometimes it came to me like the beating round of the bell — and this is the hardest experience for me — and when that ceases, I retain well engraved in my memory all that it has said; but sometimes the angel appears to me in the shape of a human being and speaks to me and I retain what he says" (Bukhari). In the transmission of Ibn Hanbal, this same report reads : "I hear the beating sounds and thereupon I keep

FAITH AND BELIEF

By Dr. Muhammad Hmidullah

— II —

141 — There is also the *Iham*, which we may be translated as "Divine inspiration." Things are suggested to the heart (mind) of a man whose soul is sufficiently developed in the virtues of justice, charity, disinterestedness, and benevolence to others. The saints of all epochs in all countries have enjoyed this grace. When someone devotes one's self to God and tries to forget one's self, there are moments— of very short duration — when the state of the presence of God flashes like a lightning, in which one understands without effort that which no other effort would have succeeded in making him aware. The human spirit — or his heart as the ancient said — is thus enlightened; and then there is a sentiment of conviction, contentment and realization of truth. It is God Who guides him and controls him and thoughts as well as his actions. Even the prophets — the human messengers of God — get this kind of direction, among others. Anyhow there remains the possibility of error or judgement or of comprehension on the part of

man. The mystics affirm that sometimes even the most pious men are led astray by their imperceptible ego, not being able to distinguish the base inspirations that come as a Divine trial.

142 — The highest degree of contact, the surest and the most infallible means of communication between man and his Creator is called *wahy* by the Prophet Muhammad. It is not an ordinary inspiration, but a veritable revelation made to man on the part of the Lord, a celestial communication. Man is matter, God is on the contrary above even the spirit, and therefore beyond all possibility of direct physical contact with man (Qur'an 103). God is omnipresent, and, as says the Qur'an (50/16) : "dearer to man than his jugular vein"; yet no physical contact is possible. Therefore it is a *malak*—literally a messenger, i.e. a celestial message-bearer, commonly translated as "angel" — who serves as intermediary, or the channel of the transmission of the message of God to His human agent or messenger, i.e.,

segregated, or discriminated against because of color." Supplementary materials are used in the (Muslim) schools to teach the history of the black man. One manuscript of prepared lessons, written by Ettie Pearson Pope, aptly demonstrates the uses of such lessons in teaching (Muslim) students self-knowledge. In her book, Famous People of African Descent, based on biographical sketches of famous black men, the lessons are concerned with three historical groups. The first is the black heroes of the reconstruction era and later in the United States; secondly, they tell of the history of the black man in Africa; and thirdly, they are concerned with Muslim heroes and the history of Islam in Arabia. Biographical sketches include : W. E. B. Du Bois, Paul Robeson, Ereban, Muhammad of Mecca, and Imhotep. Through the choice of such varied personalities the lessons are intended to give the (Muslim) student a sense of identity with many different areas of endeavor-politics, religion, exploration, and the arts. The student is helped to feel a strong sense of racial and religious pride which (Muslims) believe that the students could not obtain through the customary texts employed by the public schools in the teaching of history.

'Muhammad Speaks', used by the Universities of Islam as a source for classroom lessons in history and social studies, is another medium for teaching self-knowledge and the history of the black man. In every issue, there are numerous articles on the history of the black man in Asia and Africa, on black culture from those parts of the world, and on the achievements, of the newly emerging African countries in their struggle for independence and a better life for their people. Because there are so many articles in Muhammad Speaks which are pertinent to the material taught in history classes in (Muslim) schools, that newspaper serves as a unique supplementary text for the history classes.

History is also brought more sharply into focus for the (Muslim) students by occasional visits to historical museums. For example, students in Chicago visit the City Hall to view the Emancipation Proclamation there, and thus try to gain a better understanding of the Negro history of the Civil War. Students also visit museums which display artifacts of African and Asian cultures, as well as exhibits of ancient Asian cultures from which the (Muslim) students are taught they are descended.

(to be Continued)

subject, English. Such everyday items as conversation, letter writing, comprehension, and reading appreciation rest wholly, or in part, upon an adequate background in skilled "English" habits. No one can become an effective Public Speaker without a good knowledge of English.

The degree of Arabic taught by the Universities of Islam varies greatly, depending upon the availability of qualified teachers. Because of the difficulty in finding teachers qualified to teach Arabic, the Universities of Islam, in an attempt to establish an Arabic program which would be independent of outside sources for qualified teachers, are now training some of their own members to teach Arabic.

The third most distinctive difference in the curriculum of the Universities of Islam and that of the public schools is the history program. Within the (Muslim) schools, the emphasis in history classes lies in teaching the history of the black man in America and the relation of the black man of America today to the past culture and civilization of the black man in Asia and Africa.

This history is taught through five major media: prepared lessons, using Muhammad Speaks as a source; visiting museums; the use of textbooks which deal fully with

the history of the black man in America, Africa, and Asia; and the use of supplementary textbooks prepared by the (Muslims) themselves.

One principal explains the necessity of such teachings in history: "The average so-called Negro person does not know his past. He does not know his heritage. He has no knowledge of his own language. Even more, he does not know his own family names. He was cut completely off from his own roots, so he has been grafted on to another civilization which does not want him; and is always trying to reject him. So the educational system for us has to be something that helps us find ourselves, get ourselves back into gear again, and begin to take our place among the civilized peoples of the world.

Teaching the history of the black man in the United States, in Africa, and in Asia, is no small task. Historical texts which deal adequately with the subject are very rare.

Dr. Christine Johnston, one-time director of the University of Islam in Chicago, states "The histories we study in school are white histories about white Europeans... and when a Negro character does appear, it is almost always as a mental, criminal, clown, or someone being

first through twelfth grades includes English, science, arts, arithmetic, and algebra. Also included are religion and languages (Arabic, as well as French and Spanish). There are a few noticeable differences between the report card and the actual program. For example, astronomy is listed on the card; but during the course of field study, no class was ever observed to be studying astronomy or Spanish.

In spite of the similarity between the program provided by the Nation of Islam and that of the public schools, there are several major deviations which distinguish the Universities of Islam from all other schools. As one principal in the (Muslim) schools explained: "After studying these textbooks, we add in order to bring them up to what we might want to produce, or there are always areas in them we might want to leave out".

Three major areas of distinction are religion, the teaching of Arabic, and the teaching of a history of the black man and his culture.

Since religious instruction is included in the school curriculum, (Muslim) schools can be classified as parochial schools.

The second major deviation from the public school's program is

the teaching of Arabic within the Universities of Islam. Arabic is taught to (Muslim) students at third grade. All students who were interviewed responded that they considered Arabic their language. They felt that the language would put them in accord with their religion because the holy book of the Muslims, the Qur'an, is written in Arabic. As for the purpose of teaching Arabic in the (Muslim) schools, one principal commented:

"Being Muslim, we will have to have some communication with our brothers and sisters in other parts of the world; and some day we expect to establish some place where we can have self determination. And when we do, we should rather have our own language than continue to carry the language of our former slave masters".

Even though the emphasis is focused upon learning Arabic, the study of English is not neglected. When asked why they studied English as well as Arabic, the (Muslims) interviewed explained that they were still citizens of the United States, living in the United States, and that they had to maintain their English in order to be able to communicate with their fellow citizens.

"Many activities come under the

What does the School in The Nation of Islam in America Teach ?

By : DR. IBRAHIM M. SHALASY

Knowledge : Teaching About Self.

The main function of the (Muslim) schools, as that of any school, is to impart knowledge to its students. In the (Muslim) schools, this knowledge is most especially a knowledge of one's self. The (Muslim) school aims at imparting self-knowledge and, thereby, self-esteem.

The (Muslim) schools teach essentially the same programme as the public schools teach in that given area. There are several reasons for this similarity of programme. Of the (Muslim) schools in existence, only the one in Detroit is accredited. Even that has been accredited only since 1958, and only through the ninth grade. The school in Chicago long has been striving to become accredited, but has not yet succeeded. According to James Shabazz, supervisor of University of Islam in Chicago, Ill., the school has not been accredited due to a lack of the usual physical facilities such as a playground, a well-equipped library, and a librarian. The newer schools in Atlanta and Washington

are likewise striving toward the ultimate goal of accreditation. For this reason the schools offer a programme very similar to that of the public schools in their states.

There is, however, a second major reason for having a programme like that of the public schools. When students whose families convert to the Nation of Islam transfer from public schools to the University of Islam, it is easier for them to adjust if the programs are essentially the same. When the students above the ninth grade transfer back to a public school, as they do in Detroit, they can return to public school more easily if the two systems are similar.

The curriculum of the kindergarten includes such activities as safety rules, (Muslim) food habits, and (Muslim) songs which are intended to introduce the children to the religious teachings of the Nation of Islam at an early age. The curriculum for students from

feel an inward peace and joy within ourselves.

The secret of a successful life lies in adjusting ourselves to the Will of God, the Creator, the Sustainer, the Protector and the Owner of life and death. We have been sent into the world to build up our character passing through the everyday experiences of our life, to manifest the invisible spiritual powers, to make actual the Divine Powers dormant in us. We can submit ourselves to the Will of God only when we willingly co-operate with the experiences of our life through which we are passing and learn the lessons which have come to teach us. It means that all experiences of our life tend to build up our character and help us in our spiritual advancement, so that we may tread in the Straight Path which leads to our supreme good and perfection.

So long as every incident and every experience of life takes us to our supreme good, the wise thing is to co-operate with it, instead of fighting it or working against it. The Holy Qur'an has

stated plainly : **« قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون »** (النوبة ٥١)

It means : "Say nothing will happen to us except what God has decreed for us; He is our Protector; and as God has let the believers put their trust;" (9 : 51). And :

« واتمسكوا بالله هو مولاكم فتمم للول وانتم الناصرون » (الحج ٧٨)

It means : "Hold fast to God Who is your Protector—the Best to protect and the Best to help". (22 : 78) And again :

« إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون » (يونس ٤٤)

It means : "Verily God will not deal unjustly with people in sight; it is the people that wrong themselves" (10 : 44).

It is clear from the principle laid down in the Qur'an that our outward life is ever a reflection of the life within. If a change of the external circumstances is desired—that is if we wish to change the adverse circumstances—then a change in the inward is imperative, as the Qur'an declares :

« إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » (الزمر ١١)

"Verily never will God change the condition of a people until they change that which is in their hearts..." (13 : 11).

but for one another. The essence of the message of Islam is insistence on believe in Divine Guidance and human responsibility. It also a call to good words and good deeds.

The applicability of the religion is marked by the answers that it can provide the humanity in the stresses and strains of life. Life has always been a challenge and the ability to meet it adequately guarantees its preservation. These challenges are not addressed to man's physical existence, but to the totality of his being. In Islam there is a close and inseparable bond between faith and action. The pattern of life of the man who follows the straight path and who alone can truly prosper is given in unequivocal language. In the Islamic perspective hope and faith are knit together and the loss of hope is the loss of faith. None despair of the grace of God but the faithless.

Life's aim is not to nurse us like babes. It places on our shoulders the burden of moral duties and obligations so that we may gain the maximum strength in acquitting ourselves of them. Through strengthening our moral capability we may become the universal man and enjoy the peace of mind and

overcome adverse circumstances of the life.

The daily incidents and accidents of life are the means and measures through which our character is built up. Pain or pleasure discomfort or ease trials and tribulations or joy and delight only help us in turning our life to the Straight Path. According to the Holy Quran, God has created life and death that to enable us to strive by good deeds to reach a noble state. The Qur'an says :

الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم
أحسن مملا . (المائدة ٢)

It means : "He who has created Death and Life that He may try which of you is best in deed"(67.2).

Life is a perpetual change, an incessant alternation. Man, thus, enters into this warfare of life with the law of life itself and the forces working according to this law. We should not fight against the changes of life, on the other hand we ought to co-operate with them readily and willingly. Also we should have the lessons given to us through these changes or experiences. When we learn this lesson and make the necessary changes in our life and character in accordance with it, then our troubles begin to mend and we

to man as man, to man who is unique in creation and who has been assigned a mission which he himself ventured to choose without, of course, fully realizing the consequences of what he choose, in a very remarkable passage the Qar'an speaks of man as oping for a responsibility which heavens, earth and the mountains shrank, from bearing it and afraid of it :

إما عرضنا الأمانة على السموات والأرض
والجبل فأبين أن يحملنها وأشفقن منها
وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً .
(الأحزاب ٧٢) .

It means : "Lo ! We offered the trust unto the heavens and the earth and the hills but they shrank from bearing it and were afraid of it. And man assumed it. Lo ! he hath proved a tyrant and a fool" (32 : 72).

Two ways are opened to man, either to co-operate with God in establishing a meaningful order or betray the purpose of his creation and fall to a state which is worse than that of an animal. The Holy

Qu'ran says. ونقد ذرأنا لجهنم كثيراً
من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها
ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان
لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل

أولئك هم الغافلون . (الأعراف ١٧١)

It means : "Already have we urged unto hell many of the jinn and humankind, having hearts wherewith they understand not, and having eyes wherewith they see not, and having ears wherewith they hear not. These are as the cattle-may, but they are worse ! These are the neglectful" (7 : 179)

What really import is the way an individual or nation dispenses of its potentialities within its own temporal framework, not only how long a man lives and to what distances in the infinite space he can fly. But how he lives in the short span of life granted to him both as an individual and as a member of a nation. If man is given only to the satisfaction of his instinctive drives his perspective of values is distorted and this twist in his value-consciousness leads to moral pathology, to socio-economic imbalance and mental disorder.

Religion has a double function to fulfil. It is to insist on man's supra-temporal destiny, his uniqueness which is an inexhaustible in this world, and at the same time on awakening in him the consciousness of unity with the whole of creation. Hence we have to learn not only to live with one another

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER

ABDUL RAHIM FUDA

SHA'BAN
1390

ENGLISH SECTION
EDITED BY
A. M. MOHIADDIN ALWAYS

OCTOBER
1970

The Applicability of Islam in Varying Conditions of life

By

A. M. Mohiaddin Always

Islam is a complete system of life suited to all times and climes and acceptable to all those dwell under the sun. It is but natural for such a universal message to adapt itself to the varying conditions of life. Islam is not only a message which became historically effective and vocal through the Prophet at a certain period of time, but equally a message which was proclaimed in every period of history through different media of Divine guidance.

The relevance of a perfect religion is not confined to any one level of human existence. It ranges from the lowest to the

highest level. When the Qur'an affirms that man was created in the best of forms and then thrown into the lowest depths, it is referring to the authentic man who is created in the natural upright and to his subsequent failure to live up to his divine image.

If man is created in the natural upright he should reflect those basic principles which should govern his relations with his Creator, and his fellow men. Islam facilitates the sense of human community by invoking the historical consciousness, by bringing to mind the panorama of nations succeeded one another. The Quran is addressed

مَجَلَّةُ الشَّهْرِيَّةِ

مجلة شهرية جامعة

بَيِّنَاتٌ مِنْ شَجَرَةِ الْإِسْلَامِ فِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرٍ

«الفتن»

إدارة الجناح الأزرق

بالقاهرة

ث ١ : ٩٠٥٩١٤

٩٠٥٥٠٦

مدير المجلة

عبد الرحيم فوده

«بذل الشك»

٥٠ في المهرجانية

٦٠ شارع، بورسعيد

والدكتور عبد الله بن جاس

الجزء السابع — السنة الثانية والأربعون — رمضان سنة ١٣٩٠ هـ — نوفمبر سنة ١٩٧٠ م

السنة الثانية والأربعون

قَدَّرَ اللَّهُ ... وَمَا شَاءَ فَعَلَ

للأستاذ عبد الرحيم فوده

على ما ينفعك ، واستمع بالله ، ولا تعجزه
وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت ،
كان كذا... وكذا . ولكن قل قدر الله
وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان ..
الحرم على ما ينفع ، مناه قوة الرغبة
فيه ، والحد في تحصيله ، والجهاد في سبيله .
والاستماعة بالله ، معناها طلب هونه
وتوفيقه ، فإنه - جل شأنه - هو الذي
خلقنا وزودنا بقوى يجب ألا نهملها أو
ندخلها ، فإذا انتابنا غمور الضعف أو
الخوف كان الأمل في نجاته والتمس هونه

ذلك ما ينبغي أن نقوله من يقين صادق
وإيمان واثق إذا حاق بنا كرب لا نملك
دفعه ، أو حل بنا غطب لا نستطيع منه ،
أو أصابنا الإحراق فيما نرجو نفعه .
وذلك هو ما رصنا رسول الله ﷺ
أن نقوله ونحن مؤمنون به إذا هاجمتنا
الحوادث بما لم يكن تتوقع ، أو هاجمتنا
الكوارث بما يخالف الظن ، ويطعن
بالألباب ، ويفتح للشيطان باب الوسوس
والهواجس ، فقد قال صلى الله عليه وسلم
يوصي كل مؤمن بأصابع القوة (احرم

وأغرق قلبه في لجاج الظنون ، وحقه في
مناهاة الاحتمالات ، وقال : لو فعلت كذا
كان كذا .. ولو فعلت هذا ما أصابني هذا
فإنه يفتح للشيطان بكلمة « لو » باباً
للإعراض على الله ، والتمرد عليه ،
والكفر به بموجب باطل منه .
قدرة الله .. وما شاء فعل .

وذلك ما يجب أن نقوله عند وقوع
ما نكره ، سواء كاذبة ، مباشرة لعملنا
أو كان شيئاً لا طاقة لنا به . ولا قدرة لنا
عليه ، فإن كل ما يقع لنا أو علينا ،
وما يقع في الأرض من مكاره كالأفات
التي تصيب الزرع والمواصف والولالز ،
وما يقع في نفوس الناس . كالأمراض
والداهيات والبلوت . كل ذلك مقدور
مستطوع في كتاب ، والله يعلمه قبل أن
يخلقهم ويعلمه الناس كما بهم من قوله تعالى :
« ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم
إلا في كتاب من قبل أن نبرأها » إن ذلك
على الله يسير ، لكيلا تأسوا على ما فاتكم
ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل
مغفل غفور .

قدرة الله .. وما شاء فعل .

هو للملاج لهذا العمور ، وهو الاتجاه
الطبيعي للمساعد للإيمان برحمتي لا نصيب
وقرة التي لا تصعب ، وقدرته التي لا تعجز .
أما عدم العمور بالمعجز فهو النتيجة
الطبيعية للحرص على ما ينفع ، والاستمانة
بالله ، فإنهما لا يتأتى معهما العمور بالمعجز
وما ينجم عنه من اللل أو الكسل أو
اليأس من العمل .

فإذا حرص المؤمن على ما ينفعه ،
واستعان بالله عليه ، ولم يعجز بالمعجز عنه
ثم اتجه القصد . أو أصابه الإخفاق ،
أو جاء الضر من حيث كان يتعد الخير ،
فليس له أن يغمو على نفسه وبرهتها
بالندم والال ، بل عليه أن يدزو ما أصابه
إلى قدر الله وشيئته وأن يؤمن بأن الله
قدره ما وقع عليه ، وأنه - سبحانه -
يفعل ما يشاء . وقد يكون الخير فيما يراه
فراً ويكون الضر فيما يراه خيراً كما يفهم
من قوله تعالى : « وعسى أن تكرهوا شيئاً
وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً
وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » .
ذلك هو السبيل إلى راحة ضمير .
وملاج ضعفه ، وتجديد أملة ، وإحسان
ممه ، أما إذا أرقق نفسه بالندم والال ،

الكريمة من أسلاك وبما تستطيع أذنته
من رجال : يجاهدون في سبيل الله
ولا يخافون لومة لائم .

قدر الله ... وما شاء فعل .

وصدق الله إذ يقول ، وقوله الحق :
« وما جعلنا ليعر من قبلك الخلد
ألمن مت لهم الخالدون ، كل شيء ذائقة
الموت ونبلوكم بالقر والخير فتنة وإلينا
ترجعون » .

ألا وإن من رحمة الله بأبناء مصر
أن وفق قلوبها إلى اجتماع الكلمة
على اختيار خلف لأمير الرئيس جمال
عبد الناصر ، هو السيد « أنور السادات »
وفقه الله وأعان القعب على التماس بالتمعات
والأعباء .

وحق للعرب والمسلمين ما يتطلعون إليه
من عزة وكرامة وخير ما

عبد الرحيم فوره

نقول هذا . ونذكره ونكرره ، وقد
غشى الأمة العربية والعالم الإسلامي والمجتمع
الإنساني ما غشى من الخطاب بموت
الرئيس جمال عبدالناصر ، بمد أن توج الله
جهوده وجهاده بجميع ما تفرق من كلمة
العرب ، ثم اختاره إلى رجا في وقت كنا
أحوج ما نسكون إلى قيادته . وشجاعته
وحكته وبعد نظره . وقسوة إيمانه
وإخلاصه .

وماذا نقول في « جمال عبدالناصر »
وقد كان ملء سمع الدنيا وبصرها . وملء
قلوب العرب والمسلمين ، وكان بقامته
المنصبية وعامته المرتفعة ، ويده التي تدير
فتحرك الجماهير ، وصوته المميق المربض
الغالي ، وقلبه الكبير المزمع الصادق .

كان بكل ما كان عليه مثلاً رائماً جليلاً
بيلاً . يذكرنا بما أحجته بلادنا العظيمة

دلالة القرآن على نفسه أنه من عند الله

للكاتب محمد أحمد راعي

- ٤ -

دلالة للمنى مع دلالة ضمير الجلالة والرسالة (١)

لنقال الآية (١٠) فما هو العاقل في غير الكونيات كالتقصص مثلا ؟

إن القصص عند الناس أبعد ما يكون بطبيعته من أن يتحقق له ذلك الشرط ، لأنه نتيجة العقل البعري وخياله ، وتناج البنية في كل عصر وقطر . فإذا ما تحقق في آيات القصص في القرآن ما تحقق في الآيات الكونية من الدلالة ، أملا يكون ذلك من مجانب إمامة البرهان القاطع على أن القرآن من عند الله .

إن آيات قصص الأبيساء في القرآن الكريم هي فيما أحصينا لا تقل من خمسين ومائتين وألف آية ، أي نحو خمس آيات القرآن . وما من قصة من قصص بني فيه إلا وضمير الجلالة المتكلم بحرسها وبجميعها من مثنة أن تكون من كلام أحد غير الله سبحانه ، إذ لم يكن ذلك في صلب القصة كما هو الكثير الغالب ، فقبلها كما في قوله تعالى « يا أهل الكتاب قد جلدكم رسولنا بين لكم على فترة من الرسل » الآية ١٩

تأملنا في المثال السابق (١) في شيء من التفصيل كيف إن الآيات الكونية في القرآن الكريم يظهر فيها بوضوح ذلك التناسب في الجلال بين ركني الإسناد إذا كان المسند إليه اسما من أسماء الله الحسنى أو ضميراً من ضمائر الجلالة ، وهو الشرط الذي ينبغي تحققه في المعاني القرآنية المستندة على الأخص إلى ضمير الجلالة المتكلم كما تدل دلالة قاطعة على أنها من عند الله ، وأن المتكلم في القرآن هو الله عز وجل .

لكن إذا كان هذا هو الشأن في الآيات القرآنية الكونية لوضوح استحالة أن يتقدم على الكونيات أحد إلا الله ، كما في قوله تعالى : « خلق السموات بغير عمد ترونها ، وألقى في الأرض رواسي أن تعبد بهم ، وبث فيها من كل دابة ، وأنزلنا من السماء ماء فأنبثنا فيها من كل زوج كريم »

[١] عدد عقبات ١٣٩٠ .

لنتبين كيف إن ضمير المتكلم الصادر منه القصص هو حقاً ضمير الجلالة، لأن الأفعال الممندة إليه لا يمكن أن تصدر من غير الله.

فصل آدم : وقصة آدم عليه السلام وردت على تنوع في التفصيل في سبع سور: واحدة مدنية هي البقرة، والست الباقية مكية هي حسب ترتيب نزول الوحي بها : ص والأعراف وطه والإسراء والحجر والكهف، وكلها صدرت فيها القصة من ضمير الجلالة المتكلم ابتداءً إلا سورة ص فقد افتتحت القصة بما يدل على الجلالة والرسالة مما في قوله تعالى « إذ قال ربك للملائكة إني خالق بغيا من طين، فإمدا صويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين، الآيات ٧١ - ٨٥ وقد ورد فيها ضمير الجلالة المتكلم تسع مرات على تنوع في مقول القول.

ثم يأتي ضمير الجلالة المتكلم ثلاث مرات في الافتتاح النادر العجيب للقصة في سورة الأعراف « ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين » الآية ١١ والخلق هنا هو التقدير بدليل « ثم صورناكم »

من سورة المائدة قبل قصة موسى مع قومه في نفس السورة « وإذا قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآناكم ما لم يؤت أحداً من العالمين . يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم » الآيات ٢٠، ٢٦، أو قد يأتي ضمير الجلالة المتكلم بعد القصة كما في قوله تعالى : « من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فسادا في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا » الآية ٣٢ من سورة المائدة بعد قصة ابني آدم في قوله تعالى : « وائل عليهم بأبني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر » الآيات ٢٧-٣١ وقد صدرت القصة كما ترى بضمير الرسالة في قوله تعالى « وائل عليهم » وجاء لفظ الجلالة في آخرها في قوله تعالى « فبعت الله حواءا بعت في الأرض أيربه كيف يوارى حواء أخيه » ليكون الالتفات منه إلى ضمير المتكلم في الآية بعده : « من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل » دليلا آخر على أن المتكلم في الآية المكرمة هو الله سبحانه وتعالى .

فلننظر الآن في ما يتسع له باقي المقال من قصص الأنبياء في القرآن الكريم

يواري سوءاتكم ويريها « الآية ١٦ : يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إله يراكم هو وقيبته من حيث لا ترونهم ، إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون » الآية ١٧ وفي قوله تعالى « ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما » تصحيح لما يقول أهل الكتاب في سفر التكوين من أن آدم وسواء لم يكونا بر قديان عيشا في الأول مع جيل عابستارمه ذلك من بدو السموات حتى أكل من شجرة المعرفة قسرفا فسارما إلى الاستتار بورق الثين .

ثم القصة في سورة طه : جاء ضمير الجلالة المتكلم في صدر كل من الآيات الثلاث الأولى : « ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما . وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى ، فقلنا يا آدم إن هذا عدوك ولولاك » الآيات ١١٥ - ١١٧ .

ثم جاء الضمير خمس مرات في مقوله القوله في الآيات ١٢٣ - ١٢٦ : « قال اعبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو » ما يأتيكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل

فلو كان الخلق تم لعمل التصوير وبإتمام التصوير يتم إتمام التقدير ، أي يتم التكوين على وجه الإبداع وهو المعنى الثاني للخلق المتجلى في الآية ١٤ من سورة المؤمنون « ثم خلقنا النطفة علقه ، ثم خلقنا العلقه مضغة ثم خلقنا المشقة عظاما فكسونا العظام لحما ، ثم أنفأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين » وهي أطوار أهدر إليها في آية الأعراف بالحرف (ثم) في قوله تعالى : « ثم صورناكم » بعد قوله « ولقد خلقناكم » على التراخي في الترتيب كما يتطلبه تعدد الأطوار .

لكن الإشارة الأدق الألفف هي في ضمير الخطاب للجمع في « خلقناكم » ثم صورناكم مع أن فرية آدم لم تكرر وجدت بعد بدليل قوله تعالى « ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم » فبهذه اللفظ إشارة إلى أن الفرية حلتب والديها في الصورة وما تمت الصورة من صفات تورث سنة الله في الخلق ، خلق الإنسان وغير الإنسان من الأحياء ، ولقد جاء ضمير الجلالة المتكلم ثلاث مرات أثناء القصة في مقول القول وجاء مرتين في الآيتين بعدد هاء لبي آدم « يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا

القصة في الآيات ٢٨ - ٤٤ . فتدري القصة مصغرة بضمير الجلالة المتكلم في الفعل (خلقنا) صوتين ، ثم منه التفت إلى الاسم الظاهر مضافا إلى ضمير الرسالة في (ربك) من قوله تعالى : « وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا » . ليعلم أن الخطاب للمحمد هو ربه المتكلم في (خلقنا) الأمر الملائكة بالسجود للإنسان الذي هو آدم إذا تم خلقه وتسميته وتنفخ فيه من روح الله ، إذ لا خالق ولا أمر للملائكة بالسجود إلا الله سبحانه .

ثم تأتي القصة في سورة الكهف في آية واحدة هي إجمال للأمر مما سبق في قصص آدم في السور المسكية كلها : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه » . أفنتخفونه وفريته أولياء من دوني وم لكم علو ؟ بش الظالمين بدلا .

فضمير التكلم في صفر الآية يقصد به بالجلالة أنه الأمر بالسجود لآدم ، وهو الأمر المنصوص عليه في قصص آدم كله ، مسكية ومهدية . فهو تكريم لآدم والإنسانية كلها لم يأبه إلا إبليس فما أيضا في القصص كله . فهما إذن أمر ما في ذلك

ولا يدعي ، إلى قوله تعالى : « قال كذلك أتتك آياتنا فخسيتها وكذلك اليوم تنسى » . ثم يأتي مباشرة في الآيتين ١٢٧ ، ١٢٨ « وكذلك نجزي من أمرنا ولم يفر من آيات ربه ، ولما ذاب الآخرة أهدأ في . أفلم يجد لهم كم أهلكتنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ؟ إن في ذلك لآيات لأولي النهي » . تركيدا لدلالة ضمير الجلالة في القصة ، وإظهاراً لعمرة فيها .

ثم تأتي القصة في سورة الإبراهيم مفتتحة بضمير الجلالة المتكلم ومختتمة به في قوله تعالى : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس ، قال آأسجد لمن خلقت طينا » إلى قوله تعالى : « إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيل » الآيات ٦١ - ٦٥ .

ثم القصة في سورة الحجر : « ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون . والجآن خلقناه من قبل من دار السموم . وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون . فاذا صويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين » إلى آخر

بدليل قوله تعالى : « ففصق عن أمر ربه »
وفيها التصريح بما كان قهوما ضمنا في
قصص آدم قبلها وبعدها من أن المتكلم
في « وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم »
والأمر إبليس معهم بالسجود هو رب
إبليس ، كما يدل عليه الالتفات من الضمير
في (قلنا) إلى الاسم الظاهر في (ربه)
من قوله تعالى : « ففصق عن أمر ربه » ،
وفي الفعل (فسق) تنفير أى تنفير من
مطاعة ذلك الفاسق (عن أمر ربه) لو كان
أكثر الناس يدقون .

أما القصة في سورة البقرة التي لم يشر إليها
فيها غيرها من السور المدنية فقد امتازت
بأمرين لم يردا في قصة لآدم غيرها : أمر
استغلاف آدم - وبنه طبعاً - في الأرض
في الآية للصدرة بضمير الرسالة « وإذا قال
ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة »
الآية ٣٠ ، وأمر إحصاء آدم وبنه لعلم
ما في السكون كله المشار إليه بقوله تعالى
« وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على
للملائكة » الآية ٣١ . أما بقية القصة
فتلخيص لطيف موجز للأهم في القصص
السابق يتصدره ضمير الجلالة المتكلم في قوله
تعالى « وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم »

القصص ليذكر بنو آدم ربه على ذلك
للتكريم بتوحيده سبحانه والإخلاص
في عبادته ، وليحذروا إبليس عدوم
الأكبر ، وهي العنزة الكبرى في ذلك
القصص لم يفقها أكثر الناس فلم يشكروا
ولم يحذروا فخرطبوا في الآية للكرهية
بالضمان الإنكارى المجيب « أمتنعذونه
وفريته أولياء من دوني وم لكم عدوا »
وجله وجه الله ومن أن تكون به حاجة
إلى ولايتهم ، وإغرام الفقراء إلى ولايته
سبحانه ورحمته ، فقد غفلوا أنفسهم أكبر
الظلم بكفرانهم ربه ومواليتهم عدوم
« بئس لظالمين بدلا » .

ولو انتصر الأمر في آخر آية في قصص
آدم على هذا التلخيص المجيب للقصص
وحكته لكان إجمازاً أيما إجماز ، فإياك
والآية فيها ما لم يسبق ذكره في القصص
كله فيها النص على أن إبليس كان من
الجن لا من الملائكة ، أى كان ذا اختبار
كالإنسان فاختار أن يعصى ، وهو كان ملكاً
لسجده مع الملائكة إذ « لا يعصون الله
ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » . وفيها
النص على أن الأمر بالسجود كان هاملاً
لإبليس من باب أولى ، وأن إبليس كان يعلمه

أذ تقاومه لتقاومه روحاً بقاومه كما تقاومه
جسدياً بقاومه القوي للضعفة في رياضة
الجسدية ، ومن هنا اقتضت حكمة الله
ورحمته أن يرسل الرسل يهدون بني آدم
إلى الله ويحذرونهم كيدهم للبطان وإغوائه
« رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون
للناس على الله حجة بعد الرسل » وقال الله
عزيزاً حكيماً ^(١) . هذا مع فتح باب التوبة
والاستغفار حتى ساعة الاحتضار ليدعو به
بنو آدم من عواقب عصياتهم ويحميهم
إبليس عيدهم « ولا يهلك على الله إلا هالك »
كما قال الرسول صلوات الله وسلامه عليه
« إذا جاء ضمير المتكلم في قصص الرسل
مستنداً إليه الإرسال أو إهلاك الكاذبين
من أقوام الرسل فذلك ضمير الحلالة لذلك
فيه . فلنستمره الآن وإن باختصار قصص
نوح أقدم الرسل المعروفين بعد آدم لننظر
كيف هو أيضاً بحمده وبجرمه ضمير الحلالة
للمتكلم أن يكون ذلك القصص من عند
غير الله .

قصص نوح : وقصة نوح عليه السلام

وردت في عشر سور كلها مكية ، وهي

حسب ترتيب نزول الوحي بها : سورة

[١] النساء : ١٦٥ .

لصجد إلا إبليس أبى واستكبر وكان
من الكافرين » الآية ٣٤ وما بعدها .

ويبلغني هنا التنبيه إلى أن قصص آدم
في القرآن قد امتاز عن قصته في سفر
التكوين بأمرين عظيمين هما أمر الثلاثكة
بالسجود لآدم مع إباء الشيطان السجود
معهم ، فهذا أمر لم يرد له ذكر في التوراة
التي بأيدي الناس ، وأمر اختراع الشيطان
حتى أكل من الفجرة التي كان منهاها ضياء
وأخرج من أحل ذلك من الجنة إلى الأرض
فإن سفر التكوين يقول إن الحية هي
التي خدعت حواء حتى أكلت وأطعمت
زوجها ، وحتى لم يقل إن الشيطان خدعته
الحية بصورة ما إلى داخل الجنة لينزل
آدم وزوجه في أمر الفجرة ، كما يحاول
بعض الناس أن يقرب حديث الحية إلى
الأفهام . فهذان أمران خطيران فارقا فيهما
القصص القرآني قصة سفر التكوين
ومع ذلك يزعم المستشرقون ومن تابعهم
أن القصص القرآني مأخوذ من قصص
أهل الكتاب .

قصص الأنبياء والرسل بعد آدم :

ولحكمة كبرى كان تخطيط الشيطان

على فرية آدم بمحاول أن ينسبها وعليها

الفعل إلى ضمير الجلالة المتكلم مثل الإيجاز
القرآني في اللحن والأسلوب، وما ليس فيه
ضمير المتكلم ممجوز أيضا لكن إيجازه
لا يتبين لكل الناس كما يتبين إيجاز مثل
«ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وجرفنا
الأرض عيونا» فاننى الماء على أمر قد قدر
ويقابل وصف بدء الطوفان في الروعة والجلال
وصف نهائيه في سورة هود «وقيل
يا أرض ابلعي ماءك، ويا سماء اقلعي وغبضي
الماء وقضى الأمر» واستوت على الجودي،
وقبل بعداً تقوم الظالمين، آية واحدة
كل جزء منها ممجوز وإف خلا من ضمير
العلانية المتكلم، وإلا فن ذا القى بأمر
الأرض والسماء تنطبع إلا الله أومع ذلك
فقد جاء الضمير في أول القصة «واقعد
أرسلنا نوحا إلى قومه إلى لكم نذير مبين»
(الآية ٢٥)، «ووفى وسطها واصنع الفلك
بأعيننا ووحينا» ولا تخاطبني في الدين
ظلموا إنهم مفركون» الآية (٢٧) «حتى
إذا جاء أمرنا وفارقتنور قلنا اعمل فيها من
كل زوجين اثنين» وأهلك إلا من سبق
عليه القول، ومن آمن، وما آمن معه
إلا قليل» الآية (٤٠) ثم في خاتمة القصة
«ذلك من أبناء الغيب نوحيا إليك، ما كنت

القمر، والأعراف، والشعراء، ويونس،
وهود، والصلوات، ونوح، والأنبياء،
ولاؤمنون، والمنكسوت، ومنجد
في كل قصة لادة ليست في غيرها، مع
اشترائك بالطبع في الأساليب من الدهوة
إلى الله وإهلاك الكذابين وتنجية للؤمنين
بما لا يجد له نظيرا قط في قصص صفر
التكرين.

أما سورة القمر فانقصة فيها مسوقة
نحذير أو إنذار أو موعظة أو نهي أو يدركهم
من العذاب إذا استمروا على تكذيب رسوله
مثل الذي أهلك قوم نوح وقوم هود
وقوم صالح وقوم لوط المذكور قصصهم
في سورة القمر: «كذبت قبلهم قوم نوح
فكذبوا عددا وقاتلوا مجنون وازدح
فدما ربه أنى مغلوب فانصر» ففتحنا
أبواب السماء بماء منهمر وجرفنا الأرض
عيونا فاننى الماء على أمر قد قدر، وحملناه
على ذات ألواح ودسر، تجري بأعيننا»
الآيات ٩-١٧ بهذا وصف باهر ممجوز
لبدء الطوفان، وروحه وإيجازه أن كل
جملة فيه حق قد كان، فليس للخيال
الباطل فيه مكان وإلا يتجلى الجلال
الإلهي في آياته، فكل آية منه أسند فيها

أعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا، فاصبر
إذ العاقبة للمتقين» الآية ٤٩ وفي هذه
الآية الكريمة جاء ضمير الرسالة ست
مرات في ظلي ضمير الجلالة واحد في قوله
تعالى «تلك من أنبياء الغيب نوحينا إليك»
ثم فيها إبطال لهم من يزعم أن مضمير
القسم القرآن ما كان يعرف العرب أو كان
شاملا بينهم من الأخبار والمعتقدات، فالنص
واضح لا يقبل التأويل «ما كنت تعلمها
أنت ولا قومك من قبل هذا» وصدق الله
ولقد شارك النص في هود غيرها في
مفتتحها «ولقد أرسلنا» بإثبات حرف
المطف في سورة المؤمنون والمنسكوت
وبدونه «لقد أرسلنا» في الأعراف
لأن الجلالة الكريمة مسبوبة بآية كريمة
بقوله تعالى «والبلد الطيب يخرج نباته
بإذن ربه، والذي خبث لا يخرج إلا نكدا
كذلك نصرف الآيات لقوم يعسكرون»
فضمير الجلالة في القصة وفي الآية
السكرية واحد، وبمثلها اختتمت القصة
في قوله تعالى «مكذوبه ونجيناه والذين معه
في الفلك»، وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا،
إنهم كانوا قوماً صميين» الآية ٦٤.

والأبياء والرحل بسورة قصص كلها عليه
هي سورة نوح. وقد جاء ضمير الجلالة
مكررا مؤكدا في أولها «إنا أرسلنا
نوحا إلى قومه، أن أنذر قومك من قبل
أن يأتهم عقاب أليم» أما بقية السورة
فهي بيانه للندارة كيف قام بها نوح عليه
السلام وكيف أباحا عليه قومه وأصروا
على عبادة أوثانهم فاستحقوا الهلاك «وما
خطبناهم أن عرفوا فأدخلوا ناراً، فلم
يجحدوا لهم من دون الله أنصارا» ومن
الطريف أن يسبق هذه الآية آية دعاء نوح
على قومه بالهلاك «وقال نوح رب لا تذر
عن الأرض من الكافرين ديارا» وما كان
إهلاكهم فرقا إلا استجابة لهذا الدعاء، ففي
هذه حجة قرآنية واضحة لصحة ما قرره
التحويون من أن الواو العاطفة هي الجمع
لا الترتيب، وإن كان هذا لا يمنع أن
يأتي الكلام على ترتيب يقصده للنكاح يدل
عليه قرينة ما وإن لم يدل عليه الواو.

وفي سورة الصافات أيضا، اختتمت
القصة بضمير الجلالة المتكلم في قوله تعالى
«ولقد نادانا نوح فلنعم الجيسون» الآية
٧٥ وتكرر الضمير في الآيات بعدها
«ونجيناه وأهله من الكرب العظيم»

ولقد خص نوح عليه السلام من بين

المعبر فخرت القصة في سورة الشعراء بالحديث في أولها من قوم نوح بما يفيد أن التكذيب برسول هو تكذيب بالرسول أممين « كذبت قوم نوح لمرسلين، إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون، إني لكم رسول أمين » ثم اختتمت بما يفيد أن الله كتب النجاة للمؤمنين والهلاك للكافرين إذ يقول سبحانه « ما نجينا وأهلك في تلك للشعور، ثم أغرقنا سد الباقين، إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين، وإن ربك هو العزيز الرحيم » الآيات ١٠٥ - ١٢٢ وكذلك كان للفتح والمفتح في بقية قصص الأنبياء في هذه السورة الكريمة في عهد واحد قاله الشاعر الفيلسوف (عبد إقبال) في المحاضرة التي ألقاها^(١) في جمعية البيان للعلماء حين زل بها في طريقه إلى للزعم الإسلامي في بيت المقدس - قال إن اتحاد النمط في الممتنع (كذبت قوم نوح لمرسلين) (كذبت عاد لمرسلين) (كذبت نوح لمرسلين) (كذبت قوم لوط لمرسلين) (كذب أصحاب الأيكة لمرسلين) وفي اختتام كل قصة بقوله تعالى « إن في ذلك لآية

وجعلنا ذريته م الباقيين » إلى أن اختتمت به في الآية ٨٢ (ثم أغرقنا الآخرين) . وفي سورة الأنبياء تكرر الضمير في القصة على قصصها « ونوحا إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهلك من الكرم العظيم، وأمرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين^(٢) » أما القصة في سورة يونس فقه افتتحت بضمير الرسالة « واتل عليهم ما نوح إذ قال لقومه، الآية ٧١ واختتمت أيضا به في قوله تعالى « فانظر كيف كان عاقبة للنفيرين » في آخر الآية ٧٢ « فكذبوه فنجيناه ومن معه في تلك » وحملنا خلافه « وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة للنفيرين » فانظر إلى عجب الإيجاز في افتتاح القصة واختتامها بضمير الرحمة يؤيده توالى ضمير الجلالة المتكلم مسندة إليه أفعال لا يقدر عليها إلا الله وحده، ليملم من يكن يميل أن لا يتكلم بالقصص القرآني هو الله سبحانه وهذا من أقوى الأدلة القاطنة وأعجبها على أن القرآن من عند الله « والله يقول الحق وهو يهدي السبيل » ومن بين القصص

[١] ألقاها بالإسكندرية وقت بلخيس، ص ١٦٦ بعد قراعه منها .

[٢] الأنبياء، ٧٦، ٧٧

يسبق ذكره من النص على مدة رسالة نوح
وهي نفس اللمدة التي ذكر سفر التكوين
أنها مدة عسره عليه السلام ، والقرآن
الكريم مبين على الكتب المنزلة فيه
يصدقها فيما واقع ويصحها فيما خالفه ،

مصدقا لقوله تعالى في الآية ٤٨ من سورة
المائدة « وأرسلنا إليك الكتاب بالحق
مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومبيناً
عليه » . وضمير الجلالة المتكلم في هذه
الآية هو الذي تكرر ثلاث مرات في آيتين
قصة نوح في سورة النكبات ليعلم من لم
يكن يعلم أن جلاله آية القرآن بعنه
من بعض . وأن التناسب تام بين جلاله
المعنى وجلاله ضمنه الجلالة المتكلم
في قصص القرآن .

محمد الصمد الغفراني

وما كان أكثرهم مؤمنين . وإن ربك
لهو العزيز الرحيم ، هو تقرير لفلسفة
الإلهية التي لا تقبل في إرسال الرسل
بالنوحيد وإهلاك المكذبين وإنهاء
المؤمنين .

وما اختتم قصص آدم بتلخيصه في آية
واحدة في آخر قصة له في سورة الكهف ،
اختتم قصص نوح بتلخيصه في آيتين
في آخر قصة له في سورة النكبات
« ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم
ألف سنة إلا خمسين عاماً ، فأخذهم الطوفان
 وهم ظالمون ، فأنجيناه وأصحاب السفينة
 ورجلناها آية للعالمين » الآيتين ١٢ ، ١٥ .
فهذا مثل آخر للإعجاز في الإعجاز لم يقتصر
عليه على ذكر أم أحداث القصص كله
وما فيه من عبرة ، ولكن زيد فيه عالم

قال تعالى :

« وإنه لتخبط رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين
 بلسان عربي مبين » .
(العنكبوت : ١٩٢ - ١٩٥)

الفتح المبين

للاستاذ مصطفى الطير

« إنا فتحنا لك فتحا مبينا ، لينفرك الله ما تقدم من
ذالك وما تأخر ، ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ،
وينصرك الله نصرا عزيذا . » من سورة الفتح

مقدمة :

فتح البلد ، الظفر به عنوة أو صلحا ،
بحرب أو غيرها . كقوله الرعدى ، ويسى
الصلح من غير ظفر بالبلد فتحا لا اشتراك
مع الظفر به فى التخلص من شرور العدو
ولو إلى حين ، ولما يقترب على كليهما من
التفرغ إلى مهام أخرى غير منازلة العدو
وبعد هذه المقدمة أقول :

اختلف المفسرون فى المراد من الفتح
المبين فى الآية ، انكرية ، فالجمهور على أنه
صلح الحديبية ، وقال مجاهد هو فتح خيبر
وقال جماعة هو فتح مكة .

واستظهر هذا الأخير أبو حيان ، وذكر
أنه المناسب لآخر سورة القتالة قبل سورة

الفتح ، فقد جاء فيه « فلانتموا وتدعوا
إلى السلم » وذلك يؤذن بأن الفتح المبين
الذى ينبئ أن يأتي بعدها هو الذى لا سلم
فيه ولا وعود . ولا دعوة إلى مصالحة ،
وهذا هو الذى كان فى فتح مكة ، إذ أتى
صناديد مكة مستسلمين ، وجشوا خفما
لسطوة الحق ، وسقطت مكة فى أيدي
الفر للبايعين المجاهدين ، ولم يكن الأمر
كذلك فى صلح الحديبية .

وفى أنه فتح مكة قال صاحب زاد المعاد
هو الفتح الأعظم الذى أمر الله به دينه ،
واستنقذ به بلده وطهر حرمه ، واستبصر
به أهل السماء . إلى أن قال - ودخل الناس
بعده فى دين الله أفواجا ، إلخ أقول :

من ذبلك وما تأخر « فقد صرح فيها
بنزول السورة كلها حينئذ .

وبما أنها نزلت عقب صلح الحديبية
فيكون قوله تعالى « فتفتحنا لك فتحاً مبيناً »
بغارة بفتح مكة إن كان المراد بالفتح
البين فتحها لنزول الآية قبله ، وإخباراً
وامتناناً بصلح الحديبية إن كان المراد
بالفتح للبين صلح الحديبية لنزول الآية
بعده .

ولما كان فتح مكة في رمضان ، ولهذا
حفتكم منه في هذا الموضع من الجهة ،
لأنه خاص بـرمضان ، وترجى الكلام على
فتح خيبر وصلح الحديبية إلى العدد لاقبل
إن شاء الله تعالى .

(فتح مكة)

(تجهيد)

مكث النبي ﷺ عقب تأشريفه بالنزول
ثلاثة عشر يوماً ، يدعو أهل مكة إلى
التوحيد وطرح ألوهية الأرباب المنقرضة ،
وكان يقيم لهم من الآلة الكونية والعقنية
على وحدانية الله تعالى ما فيه بلاغ لأولى
الألباب ، وكان يبين لهم عجز آلهتهم عن
أدنى شئون الإلهية « إن الذين تدعون
من دون الله إن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا

وسواء كان الفتح المبين هذا أو ذاك فقد
نزلت السورة عقب صلح الحديبية ، على
ما أخرجه ابن أبي شيبة والبخاري وأحمد
وغيرهم عن ابن مسعود قال « أقبلنا من
الحديبية مع رسول الله ﷺ ، فبينما نحن
نسير إذ أتاه الوحي ، وكان إذا أتاه اعتد
عليه ، فسرى عنه وبه من السرور ما شاء
الله تعالى ، فأخبرنا أنه أنزل عليه « إنا
فتحنا لك فتحاً مبيناً » .

وفي صحيح مسلم عن قتادة أن أنس
ابن مالك حدثهم قال لما نزلت « إنا فتحنا
لك فتحاً مبيناً ، لينقر لك الله ، اتقدم من
ذبلك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك
صراطاً مستقيماً » إلى قوله « فوزاً عظيماً »
مرجعه من الحديبية ، وم بالخاطم الحزق
والسكينة ، وقد نحر الهدى بالحديبية قال
صلى الله عليه وسلم « لقد أنزلت على آية
هي أحب إلي من الدنيا جميعاً » وعنى
الرسول بهذه الآية آية خفراء ذبه
في سورة الفتح :

وجاء في رواية أخرى للبخاري وأحمد
وغيرهما « لقد أنزلت على آية هي
أحب إلي من الدنيا وما فيها » إنا فتحنا
لك فتحاً مبيناً ، لينقر لك الله ما تقدم

أهلها من أزم الأمور لأنهم هم الدعوة، والاطمئنان على النفس والمال والعقيدة والعرض، وكما تبين القوانين الدولية الحرب دافعا عن النفس وحقوقها، فكذلك تبينها وقاية لذلك من ضرر الأعداء المترسعين المعتدين من آن لآخر، وهذا الحق تمنحه الشرائع السماوية أيضا، ويقره العدل، وتطمئن إليه القلوب والمقول السليمة.

انظر إلى المسيح عليه السلام فإنه مع دعوته إلى مسالة الناس حتى قال: إذا ضربك أخوك على خدك الأيمن فأخره خدك الأيسر، فإنه كان يدعو إلى الاستعداد الحربى لرد المعتدين، فاستمع إليه إذ يقول: لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاما على الأرض، ما جئت لألقى سلاما بل سيفا، إنجيل متى، إنصراح ١٠، فقرة ٢٤. ويقول أيضا: لست الآن من له كيس فليأخذه، ومنزود كذلك، ومنى ليس له فليبيع ثوبه ويشتبه سيفا، إنجيل لوقا إنصراح ١٠، فقرة ٢٢.

على أنه من السلم، أنه لو لم يدفع الحق للباطل بمجيب الوعد لطفى عليه وقضى على العقائد وللحياة وفست الأرض:

هـ، وإن يسلمهم القباب هيتا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب، ولكنهم أصروا على الفرك وصعدوا عن سبيل الله فى مكة وما حرمها، وآذوه ومن آمن معه إبذاء لا تحتمل النفوس البشرية، حتى أذن الله تعالى له بالهجرة إلى المدينة بسبب أن أصبح له فيها أنصار يقتدون به بالمهج والأرواح، فهاجر إليها هو وكثير من آمن من أهل مكة، وحينئذ أجس المدركون بالخطر على عقيدة الشرك، فانتقلوا من الإيذاء القردى إلى النزول الجسمى، ليقطعوا السبيل على انتشار دعوته، وبحول دون تطويق مكة بأهل الإيمان، فقتل صريمة لاحس فيها ولا نامة، كان هذا شأن أهل مكة، أما شأنه ﷺ بعد الهجرة فإنه كان التزام الدفاع، ورد أذى هؤلاء المعتدين.

ولكن البقاء على هذه الحالة سيطر به سيرة الدعوة، وبحول دون سرعة انتشارها لما لم تسقط مكة معقل الوثنية فإنها ستكون منطلقا دائما ضد الإسلام والمسلمين من وسط القارة، ومصدرا للخطر على كل حين.

لهذا كان الخلاص منها ومع مشاكة

فضربه الحزام انتقاماً لكرامة الرسول ،
فتأثرت بكره ذلك ، ونحزرت في نفوسهم
الأحقاد القديمة ، وعزموا على النار ،
وأطاعهم قريش سرّاً بالسلاح والرجال ،
فتوجهوا إلى خزاعة وافتنوم بالقتل وهم
آمنون ، فقتلوا منهم ما يروى على المتمرين ،
فأرسلت خزاعة وفدًا إلى الرسول ﷺ
برئاسة عمرو بن سالم ليخبره بما فعلت بكر
معاودة قريش ، فلما علم بما حدث قال :
« والله لا منضمكم مما أمنع نفسي منه » ،
أما قريش فأنهم لما أذكروا أنهم بما صنعوا
قتلوا المهد الذي بينهم وبين الرسول
تدموا وأرسلوا أبا حذيفة بن حرب إلى
لقدينة ليما لج خفام ويترك المهد ويؤيد
لقدنة ، فتوجه إليها وهو يظن أن وفد
خزاعة لم يسبقه إلى لقاء الرسول ، فنزل
على أخته أم حذيفة زوج النبي ﷺ ،
فلما أراد أن يجلس على فراشه ماتته منه ،
فقال يا بنية : أرغبت به أمي أم رغبت بي
منه ، فذلك : ما كان لك أن تجلس على
فراش رسول الله وأنت مشرك ، فقال :
لقد أصابك بمعنى شر ، ثم خرج ذاهباً
إلى المسجد لمقابلة الرسول ، فلما لقيه عرض
عليه ما جاء لأجله ، فقال له : هل من

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد
يذكر فيها اسم الله كثيراً » ، « ولولا دفع
الله للناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » .
أرايت لو أن لك ولداً منحرفاً لم ينفع
فيه نصيح ولا إرشاد ، أفنتركه يعبد في
الأرض فساداً ، أم تأخذ على يديه بالقوة
حتى تدين قناته ويستقيم ، فإذا قلت بل
يتخذ بالقوة والحزم فأت مطواع الحق ،
عجيب بالملق السليم .

(السبب الباهر لغزوة الفتح)

كان رسول الله ﷺ يعلم أن العرب
لا تدين قناتهم ، ولا يتفادون إلى الإسلام
إلا إذا انتفعت مكة واستسلم أهلها الدين
يؤلبون عليه العرب ، ويبدونه بالعدوان ،
ولكنه كان يمنعه من ذلك أنه كان في عدة
حرية مع قريش بسبب صلح الحديبية .
ولكن الله تعالى إذا أراد أمراً هيأ له
أسبابه ، فقد كانت خزاعة حليفة للرسول ،
وكانت بكر حليفة لقريش ، وكان بين
خزاعة وبكر دماء وأجاءلية كنت نارها
بظهور الإسلام ، فلما حصلت الهدنة بصلح
الحديبية وقف رجل من بكر يتنهي بهجر
الرسول بمسح من رجل من خزاعة ،

أهلها وإن آذوه من قبل ، ودعا الله قائلا :
« اللهم خذ العيرى والأرصاد من قريش
حتى يفتها في بلادها » .

ولكن حاطب بن أبى بلتمه - أحد الذين
شهدوا بدرًا - توقع أن هذا الاستعداد
لا مدأذ يكون لنزومك ، فكتب قريش
كتاباً أخبرهم فيه ببعض أمر الرسول ،
وأرسله مع جارية تركب حلاً إلى قريش ،
فأطلع الله نبيه على ذلك ، فأمر علياً وللقداء
والزبير أن يلحقوا بها في روضة خاخ ،
وبأخذوا الكتاب منها ، فلما وصلوا إلى
الروضة وحدوا الجارية هناك ، فقلوا لها
أخرجي الكتاب : فأبكرت وجوه كتاب
معهما ، فتناولوا لتخرجن الكتاب أو لتلقين
التياب : فأخرجته من حفاص عمرها ، فأنزله
رسول الله ، فقل يا حاطب ما هذا ؟ قال :
يا رسول الله لا تعجل علي ، إني كنت أصباً
لصيقلي قريش - أي حليفهم - ولم أكن
من أنفسهم - وكان من معك من المهاجرين
لهم قرابات يحمون بها أهلهم وأموالهم ،
فأحببت إذ فاتني ذلك من أنصب فيهم أن
أخذهم يدأ يحمون مهاجرين ، ولم أفعل
ارتداداً عن ديني ولا رضا بالكفر بعد
الإسلام ، فقال الرسول (أما إنه قد صدقكم)

حدث ، قال : لا ، قال : فمن على مدتنا
وصلعنا ، ولم يزد على ذلك ، وكان يعني
أنه صلى الله عليه وسلم وفي بشروط الصلح ولكنهم لم
يكونوا بها أوفياء ، وعلى الباقي تدور
الحوادث .

فدعى أبو حنبل إلى أكابر المهاجرين
ليساعدوه فيما جاء لأجله ، فأبوا وقالوا :
جوارنا جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فماد
إلى قومه دون أن يحقق مرادهم ، فاجمعه
بجنياتهم واتباعه الإسلام ، فتنسك عند
الأوثان لينفي هذه التهمة عن نفسه .

أما الرسول فقد أمر أصحابه بالاستعداد
لغزوه ، ولم يخبر بمقصده سوى أبي بكر ،
فقال يا رسول الله : أو ليس بينك وبين
قريش عهد ؟ قال : نعم ، ولكن غدروا
ونقضوا ، واستنفر الأعراب حول المدينة ،
وقال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
فأبعث رومضاً بالمدينة ، فنفّر إليها خلق
كثير من أسلم وغفل وجبنة ومزينة
وأشجع

وإعنا كنتم مقصده عن الناس حتى
لا أعلم قريش فيستمدوا وهو يريد أخذهم
على غرة فيستسلموا حول قتال حلفاء أهل
حرمة مكة وصوباء لداة أهلها ، فاجمعه

وقد على المدينة عبد الله بن أم مكتوم ،
فلما وصل الأيواف فذبحه ابن عمه أوسيمان
ابن الحارث بن عبد المطلب وصهره عبد الله
ابن أبي أمية شقيق زوجته أم سلمة ، وكانا
يريدان الإسلام بعد ما كانا من أشد أعدائه ،
ففرح بهما الرسول وقال (لا تريب عليكم
اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين)
ولما وصل إلى الكديد أمر الصعابة بالقطر
بعد أن شق عليهم الصوم وأفطر معهم ،
ولقيه بالطريق همه العباس مهاجرا بأهله
وعيله ، فأمره أن يعود معه إلى مكة

ويبيت بمياله إلى المدينة

ولما وصل إلى مر الظهران أمر بإيقاد
عشرة آلاف نار ، وكانت قريش قد بلغتهم
أن الرسول زاحف بجيش عظيم لا يدرى
وجهته ، فأرسلوا أبا سفيان بن حرب وبديل
ابن ورقاء وحكيم بن حزام يلتمسون الخبر
فقال أتوا مر الظهران إذا هم بنهران كثيرة .
فقال أبو سفيان : ما هذه ؟ لكانها
بران حرمة ، فقال بديل بن ورقاء يبران
بن عمرو ، فقال أبو سفيان : هو عمرو
أقل من ذلك ، فأتاهم حرس الرسول فأثروا
بهم إليه ، فأسلم أبو سفيان ، ثم قال
الرسول للعباس : احبس أبا سفيان عند

قال عمر : يا رسول الله دعني أضرب عنق
هذا المنافق ، فقال إنه عهد ببراء وما يدريك
لعل الله اطلع على من عهد ببراء فقال : (اعملوا
ما شئتم فقد غفرت لكم) يكفى الرسول
بذلك من أنهم مغفور لهم من الله إذا كفروا
ما دون كفر من المصطفى ، لأنهم غيروا
وجه التاريخ الإسلامي بهذه الغزوة الناجحة
في استئصال الهجرة ، وألقوا في قلوب
المفكرين العرب ، وأشعروهم بقيام دولة
الإسلام قوية فتيحة بعد أن كانوا يمدحون
المسلمين بمكة .

ولما كانوا بحاجة إلى إرماد حتى لا يعود
أحدهم إلى مثل ذلك أزل الله - سبحانه :
« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى
وهوكم أولياء تقولون إلههم الخوذة إلى قوله
« ومن يفته منكم ففته ضل سواد السبيل »
وفى كتاب حاطب كما حكاه السهيل -
أما بعد ، يا معشر قريش فإن رسول الله
جاءكم بجيش عظيم كالسيل ، فوالله لو جاءكم
وحده لصره الله وأنجز له ، فافظروا
لأنفسكم والسلام .

ثم سار النبي ﷺ بهذا الجيش العظيم
في منتصف رمضان من السنة الثانية للهجرة
وكان عدد عشرة آلاف مقاتل ، بعد أن

حطم الجبل حتى ينظر إلى السفين - وإنما
أمره بذلك ليثبت إيمانه بعد ما يرى منعة
اللعين وكثرتهم - فغلبه الغبار عند
حطم الجبل ، فجلت القبائل فرعليه كتيبة
كتيبة ، وأمر سليمان يسأل عنها ويقول :
مالك ولها ، حتى إذا مر الأنصار وحامل
رايتهم سعد بن عباد ، قال سمع : يا أبا حفيان
اليوم يوم للنعمة . اليوم نستحق الكعبة ،
فقال أبو حفيان : يا عباس حبذا يوم
الأنصار ، ثم جاءت كتيبة هي أقل للكتائب
فيها وصولة الله ﷺ ، وحامل رايتها
الزبير بن العوام ، فأخبر أبو حفيان
وحول الله بركة حقه ، فقال عليه السلام :
كذب سعد ، ولكن هذا يوم يعظم الله
فيه للكعبة ، ويوم تكسى فيه الكعبة
ثم أمر أن تركز رايتها للحجون ، وأمر خاله
ابن الوليد أن يدخل مكة من كهي
(جبل بأهل مكة) ودخل هو مكة من
أعلاما من كده (جبل بأهل مكة)
ونادى مناديه من دخل داره وأعلن أنه
فهو آمن ، ومن دخل للسجد فهو آمن
ومن دخل دار أبي حفيان فهو آمن ،
واحتذى من الأمان عدداً قليلاً عظمت
ذوهم ، ونهى عن قتل واحد من غيرهم
إذا لم يقاتل .

فأما جيش خالد فقد لقيه الأهر من قريش
يريدون صده فقاتلهم وقتل منهم أربعة
وعشرين ، وقتل من جيشه اثنا عشر ودخلها
عنوة من جهته ، وأما جيش الرسول فلم
يصادف مانعا فدخل الرسول مكة وهو
متنحن على راحلته تواضعا له وشكراً له
على هذا النصر المبين ، وكانت جيبته
لتواضعه العبد تكاد تمس الرجل ،
وأما بن زيد رقيقه ، وكان هذا الفتح
المبين في صباح الجمعة لعشرين خلعت من
رمضان ، ولما وصل إلى الحجون موضع
رايته احتراح هناك في قبة نصبت له وكانت
فيها زوجاته أم معلقة وميمونة ، ثم سار
وبجابه أبو بكر يحميه وهو يقرأ سورة
الفتح حتى بلغ البيت فطاف به سبعا على
راحلته ، واستلم الحجر بمحبهه ، وكان
حول الكعبة إذ ذاك ثلاثمائة وستون
صفا ، فجعل يطعمها بعمود في يده ويقول :
جاء الحق وزهق الباطل ، وما يبغى
الباطل وما يبغى ، ثم أمر بالآلهة بأخرجت
من البيت وميها سورة إبراهيم وإسماعيل
في أيديهما الأزلام ، فقال عليه السلام :
لقد علموا ما استقصا بها قط .
وكانت هذه هي المرة الأولى التي ظهر فيها

الكعبة من الأوثان وعبادتها ، وبذلك سقطت عبادة الأوثان من بلاد العرب فقد كانت البيت الأعظم لتعبدتها ، فإذا سقط الأحناس تهاوى ما فرقته من البنيان .

(العفو عند المقدرة)

ولما ظهرت الكعبة من الأوثان دخلها النبي ﷺ وكبر في نواحيها ، ثم خرج إلى مقام إبراهيم وصلى فيه ، ثم شرب من زمزم ، وجلس في المسجد والمبوء شاحسة إليه ، والجميع ينتظرون ما هو فاعل بمن آذوه وأخرجوه من بلده وحارجه ، فإذا صوت الحليم الرحيم محمد ﷺ بنادى قومه قائلا : « يا معشر قريش ما تقولون أنى فاعل بكم » ، قالوا : خيرا . أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

وهكذا يعلمنا الرسول الرحيم أن لعفو عنه المقدرة ، وأن يكون فحسنا ورضا ما لله لا لحوى النفس ، وأن تكون مكارم الأخلاق الهدى الأسمى للمسلمين ، وبرحم الله البوصيرى حيث قال :

وإذا كان القطم والوسل قد

به تساوى التقريب والإقصاء

وسواء عليه فيما أنساه
من سواء للسلام والإطراء
ولون انتقامه لحوى النفس
س لدامت قطيعة وجفاء
قام لله في الأمور فأرضى الله

، منه ثواب ووفاء
فله كل جميل وهل ينقض

ح إلا عما حواه الإناه
ثم خطب خطبة خاطرة أبان فيها كثيرا
من الأحكام ، منها أنه لا يقتل معلم بكافر ولا يتوارث أهل مائتين ولا تنكح المرأة على صنتها أو خالتها ، وأد البينة على من ادعى واليمين على من أنكر ، ولا صيام في يوم القطر والأضحي ، ولا تسافر للمرأة مسيرة ثلاثة أيام إلا مع ذى محرم ، ثم قال : « يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية ومنظما بالآباء ، والناس لآدم ، وآدم من تراب ، ثم قرأ قوله تعالى « يا أيها الناس إذا خلقناكم من ذكر وأنثى ووجهناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » .

ثم بايعه الناس على الإسلام ، وجاءه وجلس يرتعد خولا ، فقال له الرسول : « هوون عليك ، فإننى لست بك الله إنما أنا

ابن امرأة من فريش كانت تأكل القديد بمكة .

أما الذين أهدر الرسول دماءهم فقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، فمنهم من قتل وقد حقت عليه كلمة العذاب ومنهم من حقن دمه بالإسلام كعبه الله بن سعد ابن أبي جهل ، ومنهم بكرمة بن أبي جهل ، استأمنت له زوجته ، وكانت قد أسلمت قبل الفتح ، وكان قد هرب وأراد ركوب البحر فطعنت به زوجته ، وقالت له جنتك من أبر الناس وخيرهم وإنى قد استأمنت لك فلا تترك نفسك ، ولما رآه النبي بعد رجوعه وثب قائماً فرحاً به ، وقال مرحباً بمن جاءنا مهاجراً مسلماً ، ثم أسلم رضى الله عنه ، وطلب من الرسول أن يستغفر له مما ماداه به ، وكان بعد ذلك من خيرة المسلمين ومنهم صفوان بن أمية ، كان قد هرب وأراد أن يذف نفسه في البحر ، فجاءه ابن عمه حمير بن وهب الجهمي إلى الرسول وقال يا بني إني صفوان سيد قومي ، وقد هرب ليأتى نفسه في البحر ، فأمنه ، فألك قد أمنت الأحر والأحراد ، فقل عليه الصلاة والسلام : أدرك ابن عمك فهو آمن ، فقال صلى الله عليه وآله ، فأعطاه حمامة ، فذهب

بها إلى ابن عمه وقال له فذاك أي وأنى جنتك من عند أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس ، وهو ابن عمك وعزه عزك وشره شررك وملكه ملكك ، قال صفوان إني أخافه على نفسي ، قال هو أحلم من ذلك وأكرم وأراد الصمامة علامة الأمان ، فرجع معه إلى الرسول ، وقال إن هذا يزعم أنك أمنتني ، قال صدق ، قال أمهلني بأغبار شهرين ، قال أربعة أشهر ، ثم أسلم وحسن إسلامه .

ومنهم هند زوجة أبي سفيان وبنت حنيفة بن ربيعة احتفت ثم أسلمت ، وجاءت إلى رسول الله ، فرحب بها ، وقالت يا رسول الله ما كان على ظهر الأرض أهل خباء أحب إل أن يذلوا من أهل خيالك ، ثم ما أصبح اليوم أهل خباء أحب إلي أن يزوا من أهل خيالك .

ومنهم وحشى ، قاتل معه حمزة أسلم وحسن إسلامه ، وهكذا عن رسول الله من بعض من أهدر دماءهم لما جاءوه مسلحين ، وتناسى ما كان منهم من الكبار التي ارتكبوها ، ولعنهم في حقهم ، وقتل بعضهم لعمه حمزة كوحشى .

(البقية من ٥٦٣)

من فضائل شهر رمضان

للدكتور: محمد أبو شهبة

روى الشيخان في صحيحيهما بسندهما عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال - واقفط لمسلم - (إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين) وفي رواية البخاري: (إذا جاء شهر رمضان فتحت أبواب السماء ...) وفي رواية لمسلم: (إذا كان رمضان فتحت أبواب الرحمة)

« تخرج الحديث »

روى هذا الحديث الإمام البخاري في صحيحه ^(١) والإمام مسلم في صحيحه ^(٢) والإمام الترمذي في جامعه ^(٣) ، والإمام النسائي في سننه ^(٤) ، والإمام ابن ماجه

« رمضان » هو الشهر العربي الواقع بين شعبان وشوال ، وميمت رمضان لأن العرب لما وضعت أسماء للشهور غير أسمائها

[١] صحيح البخاري - كتاب الصوم - باب هل يقام : رمضان ، أو شهر رمضان : ومن رأى

١ - صحيح - لم - كتاب الصوم - باب بيان فضل الصوم

[٢] كتاب الصوم باب ما جاء في فضل شهر رمضان

[٣] سنن أبي داود - كتاب الصوم - باب فضل شهر رمضان

[١] كتاب الصيام باب ما جاء في فضل شهر رمضان

[٢] فتح الباري ج ٤ ص ١١

إلى الشهر فلا يكره إطلاق ذلك ، وإلا يكره ، والمصحيح الجواز ، وهو الذي عليه جماهير العلماء - لنا وخلفاء : « فتحت أبواب الجنة » .

وفي رواية « فتحت أبواب السماء » ، وفي رواية « فتحت أبواب الرحمة » ، والمراد بهذا توديق المسكن في هذا الشهر أو حاتم إلى الطاعات من صيام ، وصلاة ، وقيام ، وقراءة قرآن ، وذكر وهدى إلى غير ذلك وليس من شك في أنه هذه الطاعات من أسباب العفو ، وكثرة الثواب ، وهما من أسباب دخول الجنة ، والتميز بتعظيمها ، فتفتح أبواب الجنة كناية عن احتشاق دخولها ، وهذا هو المراد أيضا برواية تفتح أبواب السماء ، وأبواب الرحمة ، لأن من تمتعت له أبواب السماء قبل دعاؤه ، وقبل عمله فيكون أهلا لدخول الجنة ، والجنة محل رحمة الله تعالى ، قال تعالى : « وأما الذين ابيضت وجوههم في رحمة الله فم فيها خاللون » (١) .

لجمهور المفسرين على أن المراد بقوله (في رحمة الله) أي في جنته من قبيل إطلاق الحال ، وإرادة المحل ، لأن كان

البائسة صادف أن كاله هذا الوقت وقت اشتداد الحر ، حتى صارت الرمال كالرمضاء من شدة الحرارة فسموه بذلك ، وعمل هذا يكون استمجا جاهليا وصروفا قبيل عيى الإسلام ، وقيل لأن الذنوب ترمض فيه ، أي تحترق ، وتذوب بسبب الطاعات ، ومقتضى هذا أن يكون الاسم إسلاميا ، اللهم إلا إذا كان هذا اعتقادا لهم في الجاهلية ولعل الأول هو الأول .

وقد دل هذا الحديث وغيره على جواز أن يقال رمضان بدون لفظ شهر ، وقد استفاض ذلك في الأحاديث ، ومن العلماء من قال : لا يجوز أن يقال : رمضان ، وإنما يقال شهر رمضان ، وقد استدلوا لهذا بحديث رواه ابن عدي في كتابه : « الكامل » بسنده عن أبي هريرة مرفوعا « لا تقولوا : رمضان ، فإن رمضان اسم من أسماء الله تعالى ، ولكن قولوا شهر رمضان » . وفي سنده أو معشر صحيح لعدني وهو ضعيف ، وكذا روى من طريقين آخرين ضعيفين ، وعلى هذا فلا يصلح للاحتجاج به ، ولا سيما مع معارضته للأحاديث الصحاح المبيزة لذلك ، ومن العلماء من فصل فقال : إن كانت هناك قرينة تصرف

وسلوا ، وإذا كان بعض الصائمين يشق
بعض العاصي والآثام في هذا الشهر فلا يس
ذلك بحجة تقوم على التشرع ، ولا تصلح
أن تكون مطننا في التشرع ، وذلك
كالطبيب للطعام البارع الذي يصف
العلاج الناجع للمريض ، فيذهب ليرى ،
ولا يتناول الدواء ، أو يلاحظ بما يفعله
أو يتناول في طريقة استمهله .

فمن ثم لا يستفيد منه ، ولا يحقق الفائدة
المرجوة ، فهل هذا يعود على الطبيب
بالطمع في عمله ، وبراعته ؟ أم لا ، وقد
يقال : إن التفرقة في الحديث متلازمان
فاستحقاق دخول الجنة يؤمر عدم دخول
النار ، فلم لم يكتف بأحدهما عن الآخر ؟
لأننا نقول : إن مثل هذا المقام لا يكتفى
فيه بالإيجاز ، ولا بدالة الالتزام ، بل هو
مقام إنبات وبيان ، لأنه أدل على التأخير
في النفس ، والقلب ، والوجدان ، فله
وضع ﷺ بين يدي السامع الصورة
المحبوبة « أبواب الجنة » .

والصورة المكروهة « أبواب النار »
مما يرغب في الأولى ويتقصر عن الثانية ،
فلهذا حديث رسول الله ، ومن العلماء من
حل هذه الفقرة من الحديث على مناهة

النبي ﷺ ذكر الحديث شهر مرة فيجوز
أن يكون من قبيل التفتيش في العبادة ،
وإن كان النبي ﷺ قاله مرة واحدة فالتدري
زوجه أن تكون الرواية الأولى لفظ
النبي ﷺ ، وتكون الروايات الأخرى
من قبيل الرواية بالمعنى ولا ضير في هذا
بعد ما بينت أن الروايات متآلفة ، وليست
متضادة ، وجوز بعض العلماء حل فتحي
أبواب الجنة على ظاهره وهو أمر ممكن ،
ولا استحباب فيه ، وإن كان الأولى هو
ما ذكرناه أولا من حل الحديث على التمثيل
والجواز ، لأنه باب في العزيمة واسع ،
وأحسب مأثور لم ، معهود عندم ،
وله من التأثير في النفس ماله .

« وغلقت أبواب النار »

وفي رواية غير الشيخين : « وغلقت
أبواب النار فلم يفتح منها باب » وهي
أوكد ، وأوضح وللراد الحيلة بين الصائمين
أو معظمهم في هذا الشهر وبين العاصي ،
والآثام إلى هي من أسباب دخول النار ،
والنظر بحرها وجسيمها ، وللراد بهذا
الصائمون الذين يؤدون صيامهم على ما شرع
الله ورسوله ، والذين يراعون الصوم :
أركانا ، وشروطا ، وسننا ، وآدابا ،

الحنيني ، وهو أمر ممكن ، وجاز ولكن
 حله على التمثيل والمجاز أروع ، وأشد تأثيراً .
 « وصفت الشياطين » .
 صفت : بضم الصاد وتفديد النساء
 السكسورة أي ضمت بالأسفاد^(١) وهي
 الأغلال والقيود التي ينزل بها الفخيم ،
 ويقيد ، وهو بمعنى الرواية الأخرى :
 « وسلمت الشياطين » أي قيدة بالسلالم
 فلا تملك حرية الحركة والانطلاق وذلك
 تتوافق الروايتان ، وتفسر إحداهما الأخرى
 وفي بعض الروايات أن ذلك خاص بمردة
 الشياطين ، جمع مارد ، وهو النفس شديد
 الإيذاء ، والفساد بصيغة الشياطين تنديل
 إغوائهم ، ووسوستهم ، وإيذائهم والحيولة
 بينهم ، وبين الحربة الكاملة في هذا ، لأن
 العائن في المصنف أنه عاجز عن الحركة ،
 والإساءة ، والإيذاء ، وذلك أن الشياطين
 لا يخافون من افتتان المسلمين إلى ما يخافون
 إليه في غيره ، لا احتلالهم فيه بالصيام القوي
 فيه قمع الشهوات ، وبقرأة القرآن ، والذكر
 وقيام الليل وما يرتب على ذلك من صفاء

الروح ، وحفاية النفس ، وتيقظها ، إذا
 ما طاف بها طائف من الشيطان ، أو وقفت
 بها لحظة وسدق الله تبارك وتعالى في قوله
 « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من
 الشيطان تذكروا ، فإذا هم مبصرون »^(٢)
 وخلة الاحتقانة والصلاح في هذا الشهر
 أمر محسوس ملموس ، ومن العلماء من حله
 على ظاهره ، والشياطين أو مردتهم خلق
 من خلق الله يجوز تصفيدهم ، وتقييدهم ،
 وحبسهم ومهاد يسكن من شيء فالحدث
 دال على فصل شهر رمضان ، وميزانه ،
 وأن الله سبحانه وتعالى هيا فيه لبعاده
 الصائم من أسباب الاحتقانة والنقوى
 والطاعة ، وتفتيح أبواب جنته ورحمته ،
 وتغليق أبواب ناره ، وغضبه ، وقمته
 وتضييق مسالك الإغواء ، والإضلال على
 الشياطين ما لم يهيء ذلك لغيره من المصور
 فأجيب به إلى النفوس المؤمنة الصافية .
 « وينادي مناد يا أيها الخير أقدلي ويا أيها
 الشر أقصر » يا أي : أي يا طالب ، من
 بني عمى طلب ، يجوز أن يكون المنادي
 ملكاً من ملائكة الله موكلًا بذلك في شهر
 رمضان ، ويجوز أن يكون هذا تمثيلاً ومجازاً

[١] في القاموس مادة سفت : سفته ، سفته : سفته
 وأولته ، كاسفته وسفته ، وسفته حركة .
 يفتح ثاء . الطاء ، والواو . وككتلب ما يوفى
 به الأسير من قده ، أو قيد ، والأسفاد : القيود

من الخرافات البهيسة ، وجوارحه من المآثم
والعاصي ، والمحرّمات ، إنه إن فعل فهو
من رجي له أن يكون من متقاء هذا
قشر الكريم ، في أي لية من ليا ليه .

وبعد ، فيا أيها السلفون إن الأرواح
تخل من الأنفاس في حاة الشهوات كما تمل
الأبدان من العناء ، والبطنة ، وإن النفوس
تصدأ بالمعاصي كما تصدأ للعادن بالترك
والإهمال ، وقد شات حكمة الله تعالى
أن يجعل من رمضان تزكية لأرواحنا ،
ونظهوراً لنفوسنا ، وإصلاحاً لأبداننا ،
وغفراناً لذنوبنا وتراجماً وتطاطفاً بيننا ،
فهلوا إلى شهر الله فصحاء ، وتغنموا ،
وتنصروا ، وتفرزوا بالرضوان الأكبر
و . محمد محمد أبو شهرة

من حب الله تبارك وتعالى للخير ، ودعوته
سبحانه عباده أن يسارعوا إلى فعل الخيرات
وترك المنكرات ، وعدم الإسراف
والاسترسال فيها ، وهذا يدل على فضل الله
ورحمته ، وأن رحمته سبقت غضبه ، وعفوه
غلب نقمته سبحانه ، سبحانه ، لا نحمي
تناء عليه هو كما أثنى على نفسه .

« والله متقاء من النار ، وذلك كل لية »
متقاء جمع متيق فيميل بمعنى مفعول
مثل كريم ، وكرماء ، ورجما جاء عناق
مثل كرام ، وأمة عتيق أيضا بغير هاء
ووجها ثبتت ، فقيل : متيقة وجمعها عتائق
فطوى لمن صام نهار هذا الشهر ، وقام
ليه ، وكف قلبه عن الأحقاد والضغائن ،
والعقائد الزائمة ، والأهواء المصلحة ونفسه

(بقية المنفرد على صفحة ٥٥٨)

يوم عيد المسلمين بمحمدون الله فيه من
هذا النصر الأكبر ، الذي طمست به
معالم الشرك وحلت راية الوحدةاية ،
وجلبل صوت للؤذن فوق مقبل الشرك
ومشاط قدبسه الله أكبر « ونل جاء
الحق وزحق الباطل : إن الباطل
كان زهوقا » .

مصطفى محمد الحميري الطبر

(ليلة النساء)

ولما تمت ليلة الرجال بإيع النساء على
أن لا يشركن الله عبثا ولا يسرقن ولا
يزين ، ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين
بهتان يفتريه بين أيديهن وأرجلهن
ولا يصمينه في معروف .

ثم أسربللا وأذن على ظهر الكعبة ،
تتملك أول ظهور للإسلام على ظهر البيت
الصديق ، فلامح في أن يكون المنح

يَوْمُ الْفَرَقَانِ

لأننا نأخذ من رنج

وكانت بدر أول معركة بين قوى الخير
متمثلة في الدعوة الإسلامية ، وقوى الشر
متمثلة في أعداء الإسلام ، وكان انتصار
الخير بداية لوالعهد كتيب طاعة الإنسان
وسط أكرام من لا شرور والآثام والفجور
وبهذا سميت المعركة بيوم الفرقان .

وكانت بدر أول معركة يقتصر فيها طرف
قليل الممدد على عدد كثير في حربه
وسلحه ، وهي بذات ذلك تطوراً بعيد
الأثر في نظرية الحرب ، ففي حروب ما قبل
الإسلام سادت نظرية الكر والفر كانت تعتمد
على الكثرة العددية في الحصول على النصر
وتظهر في بدر نظرية جديدة هي نظرية
الكيف وثبتت النظرية الجديدة وجودها
على أنقاض النظرية القديمة وإذا بالإسلام
يمطى مفهوماً جديداً للقاتل في المعركة
فهو يعتمد أساساً على إمكانياته وقدراته
وكفاءته ومعنوياته وعقائده ، وأصبح

نفسه نابذون - وهو أكرم رجال
الحرب شهرة ومقدرة - رجاله قائل : إذا
أردتم أن تكونوا قادة فعليكم : دراسة
تاريخ الحروب ، وما لا يختلف فيه أئمة
أن الحروب الإسلامية تأتي في المقام الأول
عندما يكون هناك مجال للدراسة ورغبة
في الاستفادة لأن هذه الحروب قامت على
أسس طيبة سليمة وعلى مبادئ ما زالت
حتى يومنا هذا هي القدوة والنبراس لكل
مشارك في جبهة

ولا شك في أن معركة بدر تحتل مكان
الصدارة بين معارك الإسلام كلها . فهي
معركة كان لها شأن بعيد في تاريخ الإسلام
خاصة وتاريخ الحياة الإنسانية عامة ، فقد
كانت أول لقاء بين المسلمين وأعدائهم
وكانت انتصارهم فيها رغم قلبيهم ارتفعت معنوياتهم
وأحسنوا بفرقتهم كدعاة دين قوى اختارته
السماء ديناً قبشراً .

بين الناس جميعاً فكلهم متساوون كإنسان
المقط لا فضل لأحدهم على آخر ، لا يرفع
الإيمان مال ولا يميزه جاه وإنما ترفعه
التقوى ويميزه الإيمان .

ولم تكن بدر معركة مقصورة وإنما
جاءت وليدة طروى ولم يسبق خوضها
استعداد كهذا الذي يسبق أية معركة وإنما
وجد للسلوك أنفسهم في موقف يتطلب
مهم أن يخوضوا غمارها فلم يجبنوا ولم
يتخلقوا وإنما استأخروا إلى الخروج طعنين
إله أنهم جند الله ودعاة الحق . . لقد كان
هدف المسلمين في بدر الاستيلاء على قافلة
أبي سفيان ، ولم يكن هذا الهدف مصداقاً
لما ادعاه مارجليوت من أن الزوات
الإسلامية قامت أساساً قسب والنهب ،
وإنما كان الهدف استرداداً لأموال زكت
في مكة وتمويصاً عن مصالح أهلها للسلوك
وراهم في ديارهم هناك .

كانت قافلة أبي سفيان قافلة غنية فلم يكن
فهم مكة قرشى إلا وقد أسهم فيها وكانت
القافلة في حراسة قليلة يقوم بها أبو سفيان
وعده قليل من الناس منهم عمرو بن عبد
وخرمة بن نوفل . . هي إذ ذاك قافلة في مدد
قليل من الناس لا قوة لها ولا قوة ، وهذا

هذا الخائف هذه المفومات هوسيد للمركة
وبطلها ، لا ينازعه عدد ولا يوقعه من
للتصريح سلاح .

وكانت بدر بداية المواجهة للسلطة بين
المسلمين كدعاة لدين جديد ، وبين أعداء
متمسدين ظهروا على مسرح الأحداث
الواحد وراء الآخر يريدون أن يلقنوا
نوراً أراه له الله أن يقع وأن ينتشر في
أرجاء العالم فتنتشر معه الهداية والتوفيق
والخير والإلهية للإنسان من كل مكان
وكان انتصار المسلمين في بدر إنذاراً لكل
التقوى التي ظهرت من داخل الجزيرة
وإخراجها . . إنذاراً بأن انتصار الدين الجديد
وبأن المستقبل للإسلام ، وبأن الله متم نوره
ولو كره الكافرون .

وكانت بدر تجربة قاسية بالنسبة للمسلمين
فهم يراهم أعداء كانوا في الماضي حادى
وكانت لهم مسكاة ومنزلة ورجية ، وكان
بجرد سماع اسم الواحد منهم يشبه القزع
في النفس ويملأها خوفاً وهولاً .

من هنا كانت تجربة قاسية غاصها السلوك
الأوائل في ثقة بالله وإيماناً بالدين والملتزمين
إلى إنسانيتهم وكان انتصارهم انتصاراً للبدء
الحق الذي دعا به الإسلام ، مبدءاً للسلوة

وواحد وستون من الأوس وعنده آخر
من الخزرج .. وكان ضمن هؤلاء عدد من
الغلمان الذين لم يتجاوزوا الخامسة عشرة
من أعمارهم كعبد الله بن أبي وقاص وحارثة
ابن سراقة وعبد الله بن عمرو بن الخطاب
وأسماء بن زيد فردم الرسل لأنهم كانوا
في سن لا تجوز لهم الإسهام في القتال .. ولم
يكن مع الرسول سوى فرسين للزير
ابن الموام وللقهات بن عمرو وسبعين راحلة
كان الغارحون يتعاقبون الركوب عليها .
وأحسن أوصفياء بالخطر وهو يقترب
من بدر فأرسل ضمضم بن عمرو الغفاري
إلى مكة يستصرخ أهلها إلى «نامرة العير
وحاية الجماعة» وقطع الرجل أذن بعيره
وجدد آفة وجهه ورحله ووقف وقد هدّد
قبضه من قبل ومن دبر ينادي الناس
« يا معشر قريش الطيعة .. الطيعة ..
أموالكم مع أي سفيان قد عرض لها جهل
في أصحابه ولا أرى أن تتركوها بالغوث .
الغوث » ، وتكرأبوجهل فأسرع إلى الكعبة
ولغبط يملؤه والضيق يكاد يخنقه بهو
الخروج ويقول : « أبطل جهل وأصحابه أن
تكون كعبد ابن الحضرى ؟ . كلا والله
ليعلن غير ذلك » .

المدد لا يحتمل دخول معركة لأنه أضعف
وأذن بأهل من أن يصل به الأسير إلى مستوى
معركة مسكربة .. ونجح أبو حنبلان وهو
رجل حذر ذاهية أن يمر بالثغاة فطريقها
إلى الغمام دون أن يعترضه للمسلمين ورأى
الرسول أن ينتظر هودنما وأرسل العيون
لمراقبة الطريق وللمراقبة على أخبار الثغاة
وعندما اقترب موعد العودة كانت كل الأداة
تغير إلى ذلك . فطلحة بن عبيد الله وسعيد
ابن زيد نزلا في الدوحاء عند رجل يسمى
كعد من جبهة وبقيا عنده حتى لاحت
العير فأسرعا يخبران الرسول بخبرها ..
ونزل بيس بن عمرو وعدي بن الرغباء
بدرأ فحما جاريتهين تتخلصان نطلب
إحداها من الأخرى دينا لها فأجابها
الأخرى : « إنما تأتي العير غداً أو بعد
غد فأحمل لها ثم أفضيك الدين » .

وكان الرسول حريصاً على ألا تغفل
الثغاة مرة أخرى فغلب للمسلمين الخروج
ولم يبق أن ينتظر حتى يأتيه القوم الذين
يسكنون هوالا للديانة خوفاً من ضياع
الفرصة فأسرع بالخروج وهو يقول :
« لا يتمنا إلا من كان بعيره حاضرأ » ،
ونسع الرسول ثلاثة وثمانون من المهاجرين

الأخنس بن شريف إذا ما لهم بالدودة ولم يدروا أبو جهل وهو يصمم على الخروج أنه يقود قومه إلى قريظة نصيبهم . نصيب قبيهم كل شيء قوتهم ومكانهم وللواة التي كانت لهم عند العرب .

وكان تصميم أبي جهل يعني هيبثا خطيرا يعني أن قريشا بقوتها وأعدادها وسلاحها ستواجه مجدا على قمة رجاها وندرة سلاحه إذن فهو بتصميمه قد قلب ميزان القوى لأنه لم يكن أصلا في نية المسلمين فقال ... وهو بتصميمه قد وضع المسلمين في موقف حرج إذ لم يعد أمامهم إلا أحد طريقتين إما الانسحاب من مواقعهم والمضوءة إلى المدينة ، إما مواجهة قريش وقبول التحدي وكلا الأمرين صر ... فإذا انسحبوا كان عليهم أن يتموا الانسحاب فورا قبل أن تقطع قريش عليهم خط الرجعة هذا فوق المخاطر المدينة للانسحاب فهو قد يرى قريشا بالرحم على المدينة المتخلص من مجده وأتباعه وهو قصد يخرى يهود المدينة ولا تنضاض على المسلمين أملا في أن يستعيدوا مكانهم وهو قد يهدم معنويات المسلمين لظهورهم عظم الضعف والخوف والجبن . ولما أصبح الموقف يتطلب مواجهة

وتجمعت قريش للخروج والسيار تذكرت أسرها . أن بينها وبين كنانة عداوة وهي تخشى إن حاربت لقاء مجده أن تظمنها كنانة من الخلف ولكن جاءها الأمان على لسان مالك بن جشم أحد أشرفها : « أنا لكم حار من أن تأنيكم كنانة من خلفكم بشيء نكرهونه » . وأطمأت قريش وخرج ألف رجل يحملون سلاحهم ومعهم مائة فرس وصيامة بمير وبيننا هذه الجحوش في طريقها إلى ملاقات مجده وبيننا مجده يسعى إلى موقع القافة عدل أبو سفيان من مسيرته واتجه ناحية البحر وغذ السير حتى بعد ما بينه وبين محمد ثم أرسل إلى قريش وقد علم مغربها يقول : « إنكم خرجتم لتفنعوا عهدكم ورجالكم وأموالكم فقد نجها الله فارجعوا » . ورأى كثيرون أن يعودوا أمواجهم ولكن أأجل بتملك الغرور فينضب ويشور ويصيح في قومه « والله لا ترجع حتى نرد بدرا فنقيم عليها ثلاثا نحر الجزر ونظم الطعام ونمق الحر ونمزق القيان ونسمع بنا العرب وهميرنا وجعنا فلا يزالون يهابونا أبدا » ، واستمع له القوم إلا مرة الذين استجابوا لما نصحهم به

ووقف أحد رجالهم للغاوير سعد بن معاذ
يقول بهمهم « يا بني لا أردت فنحن معك
فوالذي بعثك بالحق لو استمرضت بنا هذا
البحر شفتته لضئنا معك ما تخاف منا
رجل واحد وما نكره أن تأتي بنا عدونا
غدا وإنا لصبر في الحرب صدق في اللقاء » .
وهكذا اجتمع الرأي وخلعت البينة
وحات لحظة اللقاء على غير موعد « ولو
تواعدتم لاختلفتم في الميادول لكن ليقضى
الله أمراً كان معمولاً » .

ثم يأتي فصل جديد في تطبيق مبدأ
الشورى حين نزل المسلمون مكاناً رأى فيه
الحباب بن المنذر - وهو رجل ذواية وخبرة
وعلم - أنه ليس بالمكان المناسب لمواجهة
العدو فعال رسول الله « أمزلاً أنزلكم
الله فليس لنا أن نتقدم عنه أو تأخر
أم هو الرأي والحرب والمكيدة » فيقول
الرسول « بل الرأي والحرب والمكيدة »
ويذكر الحباب برأيه صداقة لا يفتى به
سوى وجه الله ونصر المسلمين « يا رسول
الله فإن هذا ليس بمنزل فأنهض بنا حتى
تأني أدنى ماء من القوم فننزلهم ثم ننور
ما وراءه من المياه والأبار ثم نبني عليه
حوضاً فنسلاهم فنشرب ولا يشربون »

مع قريش لم يعا الرسول أن يضع المسلمين
في موضع قد لا يرضونه وأن يجدهم على
أمره بكرهه فجمع المهاجرين والأنصار
وعرض عليهم الأمر في صراحة وطلب منهم
الرأي مقدرًا بذلك مسداً جديداً وهاماً
في حياة القلوب والأمر هو منه الفوري
لقدى يلزم الحاكم بأن يستمع إلى رأي
المحكومين وأن يستشير أصحاب الرأي من
رجاله في كل ما يتعلق بأمر الجماعة والذي
يطلب منه ألا يفرد برأيه أو يفرض خطة
أو يسلط بهم سبيلاً إلا إذا كان لهم في ذلك
الرأي الأول ... وأعلن المقداد بن عمرو
رأي المهاجرين وهو أحد رجالهم الأبطال
« يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن
معك والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل
ل موسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا
قاعوث » ولكن اذهب أنت وربك
فقاتلا إنا معكم كما قالون فوالذي بعثك
بالحق لو سرت بشي إلى برك الغماد لجالدنا
معك من دونه حتى تبلغه » .

وسعد الرسول بهذا الرأي ولكن
الرأي لم يكن معتزداً للمهاجرين وحدهم
فهناك الأنصار لم يسطروا بعد الكلمة والرأي
فصلهم الرسول « أقمروا على أيها الناس

أمرهم بتوجيه الجهد إلى سادات قريش وزعمائها لاستئصالهم جزاء وثاق لما عذروهم بـ «عكة» . أمرهم بعدم التعرض لبني هاشم وغيرهم من قريش تقديراً لموقعهم من المسلمين ومعاونتهم لهم منذ بقيت إلى الهجرة . وجاءت لحظة الصدام .

واندفع من صفوف المشركين الأسود ابن عبد الله الأسد المخزومي ، وكان رجلاً سيوفه الخلق شرس الطباع ، شديد العداوة لرسول الله ثم ضرخ « أمامه الله لأشرف من حوضهم ولأهم منه أولاً وتين دونه » وتصدى له حمزة فصرعه فوق الحوض ... ثم خرج عتبة بن ربيعة وأخوه عبيدة والوليد بن عتبة يدعون للمبارزة فنخرج لهم ثلاثة من الأنصار ، هم موذع وعوف ومعاذ أبناء الحارث فأتى القرشيين إلا مبارزة أفرانهم من قريش فنخرج لهم ثلاثة من بني عبد المطلب عبيدة بن الحارث وحمزة وعطى واتصر المسلمون الثلاثة .

ثم كان الانتهام . وقال رسول الله : « سيهزم الجمع ويروون الدبر » بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر » ثم أخذ يده خفة من الحصباء واحتقبل بها قريشاً وهو يقول « شامت اتوجوه » . شامت

[٥]

ووجب الرسول رأى الحجاب وأمر بتنفيذه (إنما منه بصحة ما جاء به وبصدق ما دعا إليه وأحس الرسول أن قومه في مكة وأنهم يواجهون حسداً له تنه وكثافته في المدد والمدة ، ولهذا أنجبه بكل جوارحه ومغامره إلى الله تبارك وتعالى ينفعه ما وعد » . اللهم هذه قريش قد أتت بخيلاتها تحاول أن تكذب رسولي اللهم لنصرك الذي وعدني . اللهم إن تم لك هذه العصاة اليوم لا تبعد » وخفق الرسول خفقة من فئاس أراه الله خلاصاً نصره الذي وعد به ، فقال لطلحة وصديقه أبي بكر « أبشرا بأبكر أناك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثيابا الذئع » وخطب أتباعه « والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محترماً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة » وجاء وفد الله « سألني في قلوب الذين كفروا الرب » ثم جاء الأمر الإلهي « فاضربوا غرق الأعداء واضربوا منهم كل بنان » .

ووضع الرسول أمام أتباعه مجموعة من التعليمات للصريحة . أمرهم بالمراعاة في مواقعهم لا يضربون إلا إذا أذل لهم ..

ابن جعدم القهني بأهله إلى قريش
وفي اللحظة التي صعد بها أهل المدينة
بالخير الصارصق الناس فمكة ولم يحتمل
أبو طيب الخير لما شاع إلا صبح لياله
ثم مات

وهكذا كانت بدر معركة فاصلة بين
الخير والشر ، اتمم فيها الخير
وكانت مدرسة القادة الأعلام ومدرسة
الإيمان والإخلاص في ورسوله .

وكانت المدرسة التي قدمت للإسلام
الرجال الأبطال الذين تولوا هتونه بمه
الرسول فكان منهم الخلفاء والقادة . . .
نصرنا الإسلام وصمموا مبادئه وحرصوا
أصوله في نفوس البشر أجمعين ، وهكذا
كانت بدر أول معركة في الإسلام وأعظم
معركة في التاريخ ؟

محمد فرج

الرجوه ، ثم أسفر أوامرهم إلى أصحابه
« شدوا » .

وشد المسلمون وتناقلت رءوس الكثر
وفي مقدمتها رأس أبي جهل .

وانتهت المعركة . وهنا تبرز الإنساية
صفة الإسلام الأولى . رأى المسلمون حث
القتلى من المشركين لجسوعها وحفرها
في الرمال قليبا ودموعها فيس ثم غطوها
بالتراب . ووقف الرسول بمائتهم « يا أهل
القلب بئس مشيرة البني كنتم كد ينمونى
وصدقنى الناس وخذلتمونى ونصرتنى الناس
وأخرجتمونى وآوانى الناس هل وجدتم
ما وعدكم ربكم حقا فإني وجدت ما وعدنى
ربى حقا » .

وحمل البشيراني عبد الله بن رواحة
وزيد بن حارثة بأل النصر إلى المدينة وحمل
الحبيشان بن عبد الله الخزاعي ومحمرو

منه بعوضه القرائي :

الوحدة في السورة الميراثية

للدكتور محمد رجب البيومي

وحيثما بالموافق البشرية تختل أوابه ،
وتتفكك عراده ، إذا كانت موضوعات
الباب الواحد متناثرة لا تجمعها وحدة
تامة ، فإلنا نقرأ المورقة الطويلة ، نجد
ذات موضوعات عدة ، وهي على تسعة
موضوعاتها ملتبسة ملتصقة تلتقي بك
من غرض إلى غرض ، ومن معنى إلى معنى
حول أن تحس لجوة أو خلا ودون أن تفسر
ألك ذوقت مكانا إلى مكان ، ذلك لأن
روح القرآن الأسر بروفة الناصح بآونة
قد سيطر على الأسلوب سيطرة كانت
من المعاني مكان السلك من الحرر ، يجمع
نظامها ، ويفهم إلاها فتبسط صاطعة
قائمة متناصفة على النحو الوضوح .

لقد قال الأندلسيون في ذلك ما قالوا ،
ولكن الامتداد مصطنع صادق الرافعي
قد جلى الحديث في هذه الناحية تجلية
واضحة أصابت الهدف إجابة لم تجل لتفائل

والله نزل أحسن الحديث كتابا متعابها
مثنى تقهر منه جلود الذين يخشون ربهم
ثم تلين جلودهم وتلينهم إلى ذكر الله ، ذلك
هدى الله يهدي به من يشاء ومن يصل الله
فإله من هاد .

يقرأ المؤمنون كتاب الله فتقهر جلودهم
خفية لدى موافق الترهيب ، وتنشط
نفوسهم شوقا لدى موافق الترهيب ، وم
أثناء التلاوة يستمعرون روحا غويا يسيطر
عليهم بسلطانه ، وضوءا باهرا ينير الآيات
فيجذب أرواحهم بشعاعه ، هذا الروح
الأسر يلتزم آيات القرآن جميعها ، ويرتف
عليها غرفة ماطرة ، فيكون بمثابة وحدة
جامعة للأبلى وابطلة بين المعاني والجميرات
فأنت تتنقل في السورة الكريمة من معنى
إلى معنى ومن قصة إلى خبر دون أن يفركك
هذا الروح الأسر ، فلا تحس اقتضابا
أو اضطرابا إذا تركت غرضا إلى غرض ،

اقتضاهم في الأصولوب ومن التناكر في وضع
للمنى إلى للمنى ما يقبى في اثنين متقابلين من
الساس منظر قفا إلى وجه .

ولكن ما انتهى إليه الراضى من روح
التركيب الجامع لرؤية الذكر قد غاب عن
سواء ، حين رأى القرآن يقتل في السورة
الواحدة عن غرض إلى غرض دون أن
يقتصر على موضوع واحد ، فأخذ يتلمس
الوسائل البعيدة والقريبة في هذه الصلات
بين المعاني للتجارة ، وقد يحالته التوفيق
في بعض ما يحارل من هذا الربط ولكن
للطابع العام لسباق القرآن لا يأخذ بنصره ،
ونحن نعرف أن فريقا من المفسرين -
وأظهرهم في ذلك انفس الرأى ، قد أخذوا
على أنفسهم إضاح الصلات بين الآيات
القرآنية وكتبوا في ذلك كتابا وافية تدل
على فطنة واجتهاد ، ولكننا نخالف
هؤلاء حين نقول إن محاولة الربط الوثيق
بين أغراض السورة الواحدة مهارة عقلية
عائقة ، وهي وإن ظهرت بين لآيتين المتجاورتين
على نهر من التأويل في بعض ما تختلف به
وجوه القول من آيات الذكر الحكيم فإن
بعض السور الكريمة لاتستأد تدور على
فكرة خاصة بما يساق من هذه المعاني ،

أن يزيد ، وكان مما فتح الله به عليه أن
قال مبتدأ إلى هذا السر الرائع من نظام
القرآن الكريم .

« وهذه الروح - وقد سماها الراضى روح
التركيب - لم نعرف قط في كلام عربي غير
القرآن ، وبها انرد نظم وخرج مما يطبقه
الناس ، ولولاها لم يكن بحيث هو كائنا
وضع جملة واحدة ، ليس بين أجزائها
تفاوت أو تباين إذ تراه ينظر في التركيب
إلى نظم الكلمة وتأليفها ، ثم إلى تأليف
هذا النظم فن هنا تعلق بعضه على بعض .

وخرج في معنى تلك الروح صفة واحدة
هي صفة مجازة في جهة التركيب كما عرفت
ولولا تلك الروح لخرج أجزاء متفاوتة
على مقدار ما بين هذه المعاني ومواقفها
في النفوس ، وعلى مقدار ما بين الألفاظ
والأصاليب التي تؤذيها حقيقة ومجازا ،
كما نعرف من كلام البلاغاء عند تباين الوجوه
التي ينصرف فيها ، على أنهم قد وفروا من
أنفسهم وكفوها أكبر المؤنمة فلا يألون
أن يتوخروا بكلامهم إلى أغراض ومعاني
يمدب فيها القول ثم مع هذا يستوفرون
المعنى الواحد على وجهه فإذا تحولوا إلى
غيره وأغضوا الكلام إلى سواء رأيت من

له مجالاً من القول في كتاب الله ألا يسارع إلى إحصائه ، أما التمهيد بانصراف الناس عن طلب هذه الأغراض العالية وإنصافهم بأوصاف البطلان فما لا يمنع الأليف لأن مثل بن العربي في إمامته وقضه لا يجهر أن العالم الكبير لا يضع ، وثله لوقته لحب بل يتركه إلى الأجيال السالفة ولأن تقدم قارئاً فتيها يدرس ويتخصص فينتفع ، وكأني بالرجل وقد أحس خطر الرسالة فيما يحاول أنصرف شيئاً بانصراف الناس عن العلم وجعل ما فتح الله به عليه بينه وبين ربه وحده ، ولو فعل كل عالم ذلك ما أدى رسالة العلم وظلت المكتبة القرآنية من ضائى المصنفات .

هذا من ابن العربي ، أما أبو بكر للنيسابوري فقد يوحى في إيراد المسببات بين الآية والآية والسورة والسورة ، وهو ما اتجه إليه شرح من المفسرين وأصحاب القيس يمدونه لسة في باب لم ينفقوا إلى الحديث من الفرض الواحد للسورة الواحدة كما فعل ركان الدين البقاعي في كتابه (نظم الدرر في تصانيف الآيات والسور) حيث أنجبه هذه الوجهة للمرحمة في محاولة الحفيل إذ قال في مقدمته : « قال شيخنا أبو الفضل محمد بن عبد الله الداني القرني :

لأن الربط الذي يوحى فيه بعض المفسرين كان ربطاً جزئياً ينظر إلى الآية المجاورة دون أن يحدد هذا واحداً للسورة إلا بشكاف خاص فيه الغائضون هو اجتهاد يخطئ ، ويصيب .

ونحن لا تنكر الجهود المخلصة التي دفعت بعض الكبار في القديم والحديث إلى التماس الوحدة في السورة القرآنية ، لأن كل محاولة من هذه المحاولات المسكينة نذل على إحلاص حتى ، وتمسك كبير طامح ، وتصدر من اعتقاد تام بأعجاز القرآن وروحه وهو ما أجمع عليه المسلمون من القافيين الدارسين ، ونذكر في هذا المضمار القاضى أما بكر بن العربي الأندلسي الفهم حيث قال في كتاب : « سراج المريدين » « إن ارتباط آى القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالسكة الواحدة متسقة المعاني ، منتظمة علم عظيم لم يمرض له إلا عالم واحد مل فيه سورة البقرة ثم فتح الله لنا فيه فلما لم نجد له حلة ، ورأى بالخلق بأوصاف البطلان ختمناه عليه وجعلناه بيننا وبين الله وردناه إليه » وهو قول لا يخلو من نقاش لأن القاضى أما بكر بن العربي صاحب جبهة وبيان وتدفق ، وكان عليه إذا فتح الله

القامي روحه، فهو جسد من يحاول تنفيذها
 في عصرنا الزمان، وإن فكرة نقد من
 عهد صاحبها إلى ما يليه من اليهود
 الجديرة بالنقد والتعطيل، لا سيما إذا
 كان بين من أخذوا على أنفسهم تطبيقها
 أساتذة يقولون فيسمونه، لقد انتشرت
 الترجمات الأوروبية لقصة رآد الكريم
 في الصور الأخيرة انتشارا جعلها كثيرة
 التداول بين الدارسين هناك، فأناحت
 لنفوسهم أن يقولوا كلهم فيها
 يقرءون من هذه الترجمات، وأكثرها من
 وضع نفس لا يعرفون راحة النظم في العربية
 فعمدوا إلى لترجمة الحرفية التي تحمل
 كلام الله بعيداً من روحه الثلاثي الأسر
 بحيث تصنع الترجمة أمثالا من العاني
 منتهة الصلة، حارة للكان، فيرى الأوربي
 من ذلك ما يدفعه إلى النقد المجازف وإذا
 كان غلاة المتصين من هؤلاء قد بلغوا
 بالنقد إلى نهاية، فجزموا بأن كتاب الله
 ضيف التعريب مبتوت الأوصاف، مفكك
 الأغراض، فإن كلامهم الجعف قد وجد
 صداه بين المنصفين منهم، فأصبحنا نجد
 مفكراً لا ما قرى الإنصاف معتدل النظر
 مثل (جوستاف لوبون) يخط مع المخاطبين

الامر الكلي للنفيد لمرآة مناحيات الآيت
 في جميع القرآن هو أنك تنظر الفرض الذي
 صيقت له هذه السورة، وتنظر ما يحتاج
 إليه هذا الفرض من الخدمات وتنظر إلى
 مراتب تلك الخدمات في القرب والبعيد
 من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام
 في الخدمات إلى ما تستتبعه من استشراف
 نفس السامع إلى الأحكام والموازم النابعة
 له التي تقضي البلاغة شفاء الغليل يدفع
 هذه الاستشراف إلى الوقوف عليها فهذا
 هو الامر الكلي المهيمن على حكم الربط
 بين جميع أجزاء القرآن فإذا فعلت تبين لك
 إلى شاء الله وجه النظم مفصلاً بين كل
 آية في كل سورة.

ولو كان كتاب البقائي مطبوعاً غير
 مخطوط، لاستطعنا أن نرصد جهوده
 للعقبة التي وجهها إلى الحديث من الوحدة
 للوضعية لسورة التكرية، وهي جهوده
 بباركها مما اختلفنا عليها، إذ لا يحق
 لباحث ما أن يضائل من جهد بذل فيه
 صاحبه غابة ما يملك من هوس وتفكير،
 لحبه أنه قام واجبه العلمي كما يترأى له،
 ولكننا لا ننتفع مع ذلك من مناقشة
 الفكرة الأساسية التي أتجه إليها البقائي
 كما أعلنها في مقدمة كتبه، لأن فكرة

العلمي ، وملككت حبيلًا خاصًا يجذب القارئ. ويفقه ويستحوذ عليه حين يرى البياني السماوي يتنقل من تشريع عادل إلى وعظ حاد إلى مثل ناهض ، إلى قصة ذات عبرة في نسق بياني تفسله روح واحدة هي ما أشار إليه (الرازي) رحمه الله بوحدة التركيب ، بحيث أصبحت هذه الروح إطاراً حبيلًا يجمع للعاني والصور والأنكر ، وينفذ العقل والعشور ، ويمتص الحس والإدراك ، فسمارت الصورة الواحدة بهذه الروح ذات طابع مستقل متميز ، ولو أنك أدغمت آيات من سورة كريمة إلى آيات من سورة أخرى لوجدت - حتى مع اتحاد الموضوع - انفازاً منكراً لا يقبله ذوق أو يستضيفه منطق .

واقراً إن هئت سورة (القمر) ، وسورة (هود) وميدانها معاً الحديث عن أنبياء الله السابقين كنوح وهود وصالح وموسى ثم حاول أن تلحق لها من هذه بنص من تلك وستجد من الانغماس والتخاذل ما يمتنع أن تقوم جاداً بهذه المحاوره هذا وللوضوح هو للوضوح ، والعبرة هي العبرة ، ولكن الروح التركيبية لبلاغة القرآنية تمنع هذا الخلط الكريه وتنهف

حين يزعم في كتابه الخاص بمحضارة العرب أن عدم الترتيب في القرآن جملته مواده وأحكامه لثلاثة نساخ متفرقة مبثورة دون أن تجمع في موضوع واحد كما نعهد في المكتتب العلمية ، وما تورط (جوستاف لوبون) في هذا القول إلا بعد قراءته الترجمات السقيمة التي تفضل روح النسخ القرآني ، ولا تستطيع أنت تدلي بأقرب الصور لإعجازة المبلغ .

كما أن اعتقاده أن القرآن الكريم لا يبلغ الطريقة للثقل في القول إلا إذا جمع مواد للموضوع الواحد في باب معين ، كما تقوم الكتب البشرية بذلك . هذا الاعتقاد قد دفعه إلى نقد مجحف يتأى من الصواب إذ أن القرآن الكريم وهو هدية السماء إلى الأرض لم ولن يملك حبيل التأليف العلمي فيما يقدم من خير للناس ، فالمكتتب العلمية كتب للخاصة مخاطب العقل وحده أما كتب السماء فللخاصة والعامة معاً ، وهي لا تخاطب العقل وحده وإلا كانت ذات جفاف وجمود بضاللان من لغة قراءتها للتناوبة بل تجمع إلى مخاطبة العقل عاطفة العشور وتمتص الإدراك كما توقظ الوجدان وتلك ابتعدت عن النهج البشري في التأليف

الأراجيف الثالثة من كتاب الله، فأخذوا ينظرون إلى تعدد الأغراض في سورة الواحدة بعين النقد، وهب رجال البيان من معتنى الإعجاز البياني قرآن ينقصون مما يؤمنون بروعته وإعجازه، وإذا كان الله عز وجل قد جعل من إختلاف المدارك وتنوع الأنعام مجالاً لتقابل والتعارض، فإن هؤلاء الذين نهضوا بذود من كتاب الله قد اختلفوا في الرد على ما قيل إختلافاً يصور عقلية الكتبة ومنعاه، وهو إختلاف لا بد لنا في هذا المجال من الإلمام بمحافظه، وتوجيه ما يستحق الترحيب في رأينا من اتجاهاته، ونحن نميل إلى الأخذ بقول من قول قلن نعرض ميلنا الخاص على أحد، ولستنا نريد من رأي الصواب قريباً إليه من سواء، لا سيما إذا كان هؤلاء المختلقون أساتذة أعلاماً خلصت بأنهم في العمل والقول فطقتوا بما يستقدون .
نختار السيد / محمد رشيد رضا والأساتذة محمد فريد وجدي ليتحدثا عن وجهة النظر الثالثة بتعدد الأغراض في السورة الواحدة فنقل عن كتاب (الوحي الحمدي) ص ١٢٣ السيد / رشيد رضا ببعض التصرف قوله :
ولو أني عرفت الإسلام لفظة في القرآن من الإيماء في بلفظ وصفاته ولأنكته وكتبه

بأصحاب الموضوع الواحد متعجبة لنظم القاموس، وتحسبهم المحدود، ثم إن القرآن في لبابه كتاب رسالة إصلاحية شاملة، ودعوة إنسانية عامة تحتاج إلى ما تحتاج إليه أعظم الرسائل فاطية من الجسد والرد والتعريض والوعيد والترغيب والترهيب معتمداً على ما يتأثر به الشعور الإنساني من التكرار المهادف والاستطراد لقرنه، والنأسي البائع .

وكل ذلك يحتم أن ينأى كتاب الله عن جفاف البحث العلمي، وما رأينا دعوة أرضية من دهرات الإصلاح الديني قد اعتمدت على الأسلوب العلمي الجاف في توضيح أهدافها، وتفسير أغراضها، فكيف نجعل كتاب الدعوة الكبرى لإتخاذ الإنسانية بمجموعة مواد محدودة ذات أبواب ضيقة، وفصول محدودة، لتوافق قسماً برون الترتيب العلمي المحدود أجمع الأمثلة السأليف ؟ وقد يكون هذا الترتيب العلمي من أنفع ما يتبع في ميدان البحث الأكاديمي الخاص، ولكنه لا يرجع طائل ما في مجال الدعوات الدالية التي رسمت رسماً سماوياً رائعا لتنفيذ الناس من الضلمات إلى النور، تناقل أصباح الغرب ومعاييده بعض هذه

بالتناسبات المختلفة وتكرارها بالمبارات
البليغة المؤثرة في القلوب ، الحركة لشعور
الساقية للسمامة والمطل مع المواظبة على
رتيلها بنمات نظمها الخاص به ، ولوحده
لتنمادة القنابة لأنواع من التثني والنعيم
الحرك في القلب وجدان المشروع وخفية
الإجلال لرب العبود والامتياز لسننه
في خلقه والقنابة لأنواع أخرى من الإلقاء
الخطابي في الترغيب والترهيب والتعجب
والتعجب والزجر والتأنيب والصفاء
الإسكارة والتقرير واتهمم والتوبيخ ، ألا
نظير له من كلام البشر من خطابة وحسن
ورجز وسجع ، فهذا الأسلوب الرابح
في النظم البديع كالأقرآن كما ورد في معنى
وصفه لا تلي جدته ولا قلته كثرة أثره يد ،
وكلام السيد واضح يمكن إيجازه
بقولنا إن القرآن قد حلق ثلاثاً وترتيل
والهداية والتأنيب وإن يتحقق ذلك بتأنيب
على ذي منفع عقل يغفل الإشباع
الوجداني ، وأدواته البيانية ذات التأثير
الخطابي بإعتمادها على أدوات الترغيب
والزجر كالنقل بالقول من إسكارة إلى تقرير
إلى تهكم وتوبيخ ليسكون بذلك جديدة
خفا لا تخفى نضارته على القارئ .

(هـ بقية) محمد رجب البيومي

ورسده واليوم الآخر وما فيه من الحساب
والجزاء ودار الثواب والعقاب جمعت مرتبة
في ثلاث سور أو أربع أو خمس مثلاً ككتب
المقائد المدونة ، ولو أن عباداته من الطهارة
والصلاة والزكاة والحج والعماء والأدكار
وضع كل منهما في بضع سور أيضاً مبنية
مفصلة ككتب الفقه للصفة ، ولو أن
آدابه وحكمه ونفذه المدونة والمكرومة
أفردت في عشر سور ككتب الأخلاق
والآداب ، ولو أن قواعده التشريعية
وأحكامه الشخصية والمالية والحسرية
والقانونية رتب في سور خاصة بها ولو أن
قصص النبيين والرسل وما فيها من عبر
والمواظ سرحت في سورها مرتبة
كدواوين التاريخ ، لو أن كل ما ذكر وما
لم يذكر من مقاصد القرآن جمع كل نوع
منها وحده لتقد القرآن بذلك أعظم مرايا
هدايته للقصود ، لأول من التثريب
وحكمة التنزيل .

وهو التمهيد به واستفادة كل حافظ
للكثير أو القليل من صوره من مسائل
الإيمان والفضائل للنبذة في جميع السور ،
ولتقداهم من آياته ، وهو مزج مقاصده
بعضها ببعض وتفريقها في السور الكثيرة

ليلة خير من عشرين

للأستاذ محمد علي الطعنى

وقوله تعالى « تَوَلَّى لِللَّائِكَةِ وَالرَّوْحِ فِيهَا يَأْتِيهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ » ^(١) ومعناه يظهر لللائكة ما سيكون فيها وبأمرهم بفعل ما هو من وظيفتهم . .

وعلى هذا يكون معنى ليلة القدر - ليلة التقدير - أى إظهار القضاء للقدر قديماً في علم الله تعالى إلى اللائكة الذين سيقومون بتنفيذه بأمر الله عز وجل .

وهناك رأى آخر يقول ، معنى ليلة القدر ، ليلة الشرف والمعلنة ، والخير والعلام لقوله تعالى : « حم والكتاب للذين إذا أُنزلت آيات في ليلة مباركة » ^(٢) ولقوله تعالى : « ليلة القدر خير من ألف شهر » .

ومهما يكن للمعنى فإن هذه الليلة مليئة بالخيرات حافسة بالركنات ، فينبغى أن تستيقظ لها اللهم ، وترك فيها النفوس وتسهر لها العيون لتحتفى بفضلها العظيم الذى لا يذابه إفضال . .

في شهر رمضان الجليل امتازت ليلة فضائل لم تتجمع في ليلة سواها ، وصحت بمصائص كانت فضلاً من الله ومنحة وإكراماً ، فاعنى لها الدهر وأكبرها التاريخ وصالحها الزمان ، وفيها أشرفت الأرض بنورها ونزل القرآن دفعة واحدة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا ، وذلك في العام الأول من البعثة المحمدية ، ثم نزل بعد ذلك منها حسب الوقائع والمناسبات ، في مدى ثلاث وعشرين عاماً « إذا أُنزلت في ليلة القدر » . . .

وعندما نتكلم عن معنى ليلة القدر ، نشدنا أراء علمية متشعبة ، أماط عنها الغمام أممذاذ العلماء ، فقد ذكر النووي في شرحه لمسلم ، أنها سميت ليلة القدر لما يكتب فيها لللائكة من الأقدار والأرزاق والآجال ، التى تكون في تلك السنة ، لقوله تعالى « فيها يفرق كل أمر حكيم » ^(٣) .

[١] - سورة القمر .

[٢] - سورة الدخان

[٣] - سورة النحل .

لكن متى تكون ليلة القدر ؟

وفي أي وقت من الأوقات ترقبها ؟

لقد اختلف العلماء في تحديد هذه الليلة اختلافاً واسعاً مداه ، وراح كل فريق منهم بمضد رأيه ، وقيم الليل نزل الليل على صحة ما يقول ، وبهذا الاختلاف إزدل على شيء فأنما يدل على الاهتمام بها ، وعلى أنها ليلة فريدة في نوعها ، يجب الامتناء بها والاحتعداد لها ، لتعطي بما فيها من أجر وثوبة ، والله لا يصيب أجر من أحسن مملاً .

ولمسل أرجع الأقوال التي قيلت في توقيت هذه الليلة ، أنها تكون في ليلة السابع والعشرين ، وهذا رأي الإمام أحمد بن حنبل ، وأخذ به الجمهور ، وحلف عليه أبي بن كعب ، عن ذر بن جبير قال : سألت أبي بن كعب رضي الله عنه ، فقلت : إن أباك ابن مسعود يقول : من يتم الحول يصب ليلة القدر ، فقال رحمه الله ، أريد أن لا يتشكل للناس ، أما إنه قد علم أنها في رمضان ، وأنها في العشر الأواخر ، وأنها ليلة سبع وعشرين .

ثم حلف لا يفتي أنها ليلة سبع وعشرين ، فقلت بأي شيء تقول ذلك يا أبا المنذر ،

قال بالعلامة أو بالآية التي أخبرنا رسول الله ﷺ أنها تطلع يومئذ لا شعاع لها ،^(١) وقال ابن عباس في ليلة ثلاث وعشرين أو سبع وعشرين ، وقال أبو حنيفة وصاحباها هي في السنة كلها ، وقال ابن عمر : هي في شهر رمضان كله ، وقيل في العشر الأواخر من رمضان تخمس بالأوتار ، وقال غيرهم تخمس بالاشفاق .

ومن هنا يستحب طلبها في العشر الأواخر من رمضان ، ويستحب أن يجند لها الصائم كل وقته ، حتى لا تغفل منه تلك الليلة المباركة وفرصة الذهبية ، والرجوع عليه السلام كان يهتم بالثلاث الأخير من رمضان ويترود فيه بالطاعات ، من مائعة رضي الله عنها قالت : (كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل كله ، وأيقظ أهله ، وجد وجهه المنور)^(٢) .

لكن ما معنى قوله تعالى : ليلة القدر خير من ألف شهر ؟

ذكرت أغلب التفسير ، أن الرسول عليه السلام ، ذكر رجلاً من بني إسرائيل جاءه في حبيب الله ألف شهر ، فتمتع بالصحابة من ذلك الرجل ، وتفاصرت دونه

[١] رواه مسلم [٢] خلق عليه .

وَمَا لَا رَيْبَ فِيهِ لَذُنُوبُهُمْ أَتَقَاتِلَ
الْأُمَّةَ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَكُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ
مِنَ النَّاسِ (١) ، وَأَصْحَابُ هِمٍّ خَشِيَ النَّاسُ بَعْدَ
الْأَنْبِيَاءِ فَكَيْفَ يُرْجَوْنَ أَنْ يَكُونُوا مِثْلَ
هَذَا الْإِسْرَائِيلَ الْجَاهِدِ كَذِبًا وَزُفْيَا ؟

إِنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ مَقْرَأَةٌ فَعَلًا ، وَمَا أَكْثَرَ
الْمَقْرُوءَاتِ الْفَصَصِيَّةَ الَّتِي أَحَدَتْ دَوْرَ الرُّوَاكِ
فِي كَثِيرٍ مِنَ السُّكُنَى وَالتَّخَاسِيرِ الَّتِي اعْتَمَدَ
فِيهَا أَصْحَابُهَا عَلَى النُّقْلِ مِنْ أَهْلِ السُّكُنَى .
وَأَمَّ مِنْ هَذَا كُلِّهِ مَاذَا نَقَدُّمْ فِي لِيَّةِ التَّحْدِثِ
مِنْ أَعْمَالٍ ، وَمَاذَا نَدْعُو قَبْلَهَا مِنْ دَعَاءٍ ؟

إِذَا الصَّائِمُ الْحَازِمُ الَّتِي يَنْطَحُّ فِي ثَوَابِ
اللَّهِ وَجْزَاءِ الْآخِرَةِ ، يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَقْبَلَ
شَهْرَ رَمَضَانَ بِتَوَّعُّدٍ صَادِقٍ نَصُوحٍ ، وَيَنْبَغِي
عَلَيْهِ أَنْ يَنْقُضَ مِنْ نَفْسِهِ قَبَارِ الْخَطِيئَةِ
وَالزُّبْدَةِ وَالتَّسَكُّلِ ، وَيَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ
يَضَافَ مِنَ الْعَامَلَاتِ وَالِاحْتِفَالِ وَقِرَاءَةِ
الْقُرْآنِ ، وَأَنْ يَحْرُسَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْ
شِمَائِلِ الْبِرِّ ، حَتَّى يَغْفَرَ بِالْمَغْفَرَةِ وَيَسَالِ
الرَّحْمَةَ وَيَأْخُذَ أَجْرَ الصَّالِحِينَ الْمُتَخَلِّصِينَ ، عَنْ
أَبِي ذَرٍّ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي قَالَ :
« عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ، فَإِنَّهُ رَأْسُ الْأَمْرِ كُلِّهِ »
قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي ، قَالَ : عَلَيْكَ بِتِلَاوَةِ

أَهْلِهِمْ ، فَأَعِطَاهُمْ لِيَّةَ التَّحْدِثِ لِيُزِيحُوا
لَهُمْ وَتُسْكِرِيَهُمْ .

وَالْقِصَّةُ فِي حَسَدِ ذَاتِهَا تَأْنِيَّةٌ ، وَخِرَافَةٌ
مِنْ خِرَافَاتِ الرُّضَايَةِ ، وَهِيَ حَشْوُ إِسْرَائِيلَ
ظَاهِرٌ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمَقْبُولِ عَقْلًا أَوْ نَقْلًا
أَنْ حَرَّبَهَا دَارُوتُ رَحَاهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى
الْمُدَّةَ الطَّوِيلَةَ فِي زَمَنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَقْدَانِ
لَا تُهْمُ لِيَسْأَلُوا أَهْلَهُمْ الْخُصُوصِيَّةَ الْعَلِيَّةَ
وَلَمَّا حَرَّفَ عَنْهُمْ مِنَ الْجَبِينِ وَالتَّخَدُّلِ ،
وَعَدَمِ الْمَعْبُورَةِ الْأَمَّةِ ، وَآيَةُ ذَلِكَ أَنَّ
النَّبِيَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، عِنْدَمَا اسْتَدْعَاهُ
لِلْجِهَادِ قَالُوا : « فَذَهَبَ أَمْتُ وَرَبِّكَ فَقَاتِلَا
إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ » (١) .

وَقَدْ حَدَّثَ التِّرْمِذِيُّ الْكَرِيمُ عَشْرَاتَ
لِلرَّاتِ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَوَصَفَهُمْ بِالْمُجْدَاعِ
وَالْمُضْلِيلِ ، وَالْمَرَاءِ وَالْمُؤَامِرَاتِ ، وَحَدَّثَ
عَنْهُمْ أَنَّهُمْ شَاكَمُوا الرُّسُلَ وَقَتَلُوا الْأَنْبِيَاءَ
وَلَفَقُوا إِلَيْهِمُ الْأَبْرِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ ، فَكَيْفَ
يَعْقِلُ أَوْ يَنْقُلُ عَنْ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ جَاهِدَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ أَلْفَ شَهْرٍ ؟ نَعَمْ ، مَعَ أَيِّ بَنِي كَانُوا ؟
وَأَيُّ بَنِي جَاهِدَ أَلْفَ شَهْرٍ ؟ فَسَلَا عَنْ رَجُلٍ
إِسْرَائِيلَ ، لَا يَعْرِفُ اسْمَهُ وَلَا مَوْطَنَهُ
وَلَا الْمَكَانَ الَّتِي جَاهِدَ فِيهِ .

القرآن ، فإنه نود لك في الأرض وذكر لك في السماء^(١) وينبغي لخالق ليسه القدر أنت يخرج من قلبه متاع الدنيا الرخيص ، وأن لا يطلها ابتغاء ديبا يصيبها ، بل تكون وجهته أن يخوز بالرضا والقبول ، كما ينبغي لمن أدركها أن يسأل الله العفو عن هناء وزلاته ، فليس هناك مطلب أصح ولا أعظم ، من أن يعفو الله عن الرافعين في عطائه ، ويجعلهم في زمرة أحبائه وأتقيائه ، من مائنة رضى الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله ، أرايت إن علمت أي ليلة ما أقول فيها ؟ قال : قول : اللهم إني أعوذ بحب العفو عاف عني^(٢) .

ولقد بشر النبي ﷺ من قام ليلة القدر وهو مؤمن بالله محتسب أجره عنده ، بشره بالعترة ، قال ﷺ : « من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه »^(٣) ... إن ليلة القدر جديرة بأن يحسن بجلالها للسلوك ، وجديرة بأن يهجرها بتقية القلوب من الغل ، وتصفية النفوس من القتل ، وتخليص النيات من العورات ، التي تسلب الصائم الروحية وتمره من

[١] رواه ابن حبان . [٢] رواه الترمذي .

[٣] رواه البخاري ومسلم .

القضائل ، وتجهل أشبه بمنصب ، لي ينال على صيامه جزاء ولا غفرا .

مر الحسن البصري رضى الله عنه في رمضان ، على قوم يضحكون ويلهون ، فقال : إن الله عز وجل جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه ، يمتدحون فيه لطافته ، فسبق قوم ففازوا ، وتخلف أقوام فخابوا ، فالمحب كل السجود لخالق اللاب ، في اليوم الذي فاز فيه السابقون ، وخاب فيه الابطالون ، أما والله لو كذب الغطاء لامتثل المحسن بإحسانه والسيء بإسائه .

وهذه رابطة المدوية تترجم بليدة القدر فتقول : أفن من لذة السكر

ودنو القلب بالسكر
فهذا الليل قد ولى
ولاحت أنجم القجر
سهرة ليلة القدر

فكانت ليلة القدر
نسأل الله تعالى أن يجعلنا من رواد ليلة القدر ، ونسأله أن يجعلنا من ذوي الخطوة فيها ، ويتقبل صيامنا وأعمالنا ودعاءنا ، ونسأله أن يعيد علينا هذه الأيام المباركة باليمن والنصر والإقبال ، إنه على ما يشاء قدير

محمد علي الطمسي

العبادة في فريضة الاستغفار

والاستغفار في الصوم

١ - من أخص خصائص الإسلام أنه عقيدة استعلاء ، ولا تسمى كلمة الاستعلاء الفطرية والكبرياء ، ولكنها تسمى السما الروحي الذي يربأ بالإنسان أن يعرض كالحيوان الأنجم ، تصبط عليه شهوات الجسد ويستكين لكل من يقدر عليه .

إن تعاليم الإسلام كلها تفرس في غموس لغز متين به ذلك العمور الكريم ، شعور الاستعلاء في غير كبر ، وشعور الكرامة في غير ضعف ، فكلمة الشهادة - وهي مفتاح الإسلام - تحرر الإنسان من عبودية غير الله ، ومن ثم لا يخضع في حرمانه وسكناته وأقواله وأفعاله إلا لما أمره الله به ونهاه عنه ، فيحبها أيها مستمليا على كل ما يحول حنه وبين الحياة العزيزة للكبرياء :

٢ - والصيام - وهو فريضة كتبها الله علينا كما كتبها على الذين من قبلنا - له أثره الكبير في تنمية ذلك العمور ، وبعادق غيره من المباديات لله روضة في هذا المجال ، ولعل ما روى من أن الله تبارك وتعالى

اختتم نفسه بالصيام ونسب لهائه - مع أن كل العبادات كذلك - كان لهذا المعنى ، فالصلاة والزكاة والحج يمكن أن يستوى في أدائها من الناحية العكسية المخلصون وللمؤمنين ، ولكن الصيام فريضة خالصة من معاني الرياء والنفاق ؛ لأداءها يمثل في أمور لا يطلع عليها سوى الله ، ولهذا كان سرأ بين العبد وخالفه ، وكان له أثره في إذكاء شعور الاستعلاء .

٣ - فالصائم حين يمتنع عن ضرورات الجسد من طعام وشراب وما إليهما لفترة محددة ، فإنه يستهمر رقة الشجوة عليه ، فلهذا تكررت فترات الصيام تكررا الإحساس برقابة الله إلى أن يصبح أمرا ملازما للإنسان في حياته كلها ، فيخشى أن يراه الله حيث نهى ، وبذلك يستعمل على شهوات الجسد ونزواته ، ويسمى إلى أن ملائكي رفيع ، فيحقق المنى الكامل للحياة الإنسانية على الأرض .

وجاء في تفسير المنار (١) : « لا يترك

مقاومته ، كذالك صيام رمضان يجب تكرار مزاولته في كل عام حتى تتجدد قوة النفس ولا تفقد مقاومتها (١) .

• — عل أن هذا الاستعملاء في الصيام إذا كان ثمرة من ثمرات الإحساس وقاية الله وسلطانه فإنه مع هذا لا ينفك مصاحبا للإرادة للقوية والعزيمة الدابة ، لأن من يستعمل على ضرورات الجسد ، لابد أن يسيطر عقله على هواه ، وإرادته على شهوته ومن كان كذالك فقد أصبح مالكاً لزمام نفسه ذا إرادة قوية ، لأنتم هذه الشهوات ولا ينصرف عن جادة الطريق .

ولأن الجهاد باطن إلى يوم القيامة ، إحقاق الحق ودفعاً للباطل ، ولأنه يحتاج إلى رجال ذوي عقيدة وإرادة وخصية كان الصيام دوره البارز في إعداد الرجال للقتال والجهاد ، لأنه بحاله تقرب الإرادة الإنسانية بالاستعملاء على ضرورات الجسد جميعاً ، كما أنه بحال الاختيار مدى الطاعة والاستسلام للتراثية أياً كان فيها من الحرمان وهذا من عنصر الزمالة في إعداد النفوس لاحتمال مفقاة الجهاد في سبيل الله .

والسليكون حين تقهروا معنى الصيام فقها

[١] الصوم والأضحية لأ. ملاهكتور ط

عبد الواحد والى من ٢٢

الإنسان شهوانه وقواته التي تعرض له في عامة الأوقات لجمود الامتنال لأمره وبالخصوص لإرشاد وينته مدة شهر كامل في العدة ملاحظاً عند عروض كل رغبة له من أكل شمس ، وشرب عذب ، وما كفة يائنة وغير ذلك ، أنه لو لا اطلاع الله تعالى عليه ومراقبته له لما صبر عن تناولها ، وهو في أشد التوق لها ، لاجرم أنه يحصل له من تكرار هذه الملاحظة المساجبة للعمل ملكة المراقبة في تعالى ، والحياة منه سبحانه وتعالى أن يراه حيث شاء ، وفي هذه المراقبة من كمال الإيمان بالله تعالى والاستغراق في تخطيطه وتقديسه أكبر معد للنفوس ومؤهل لها لمعاداة الروح في الآخرة .

• — ومن أجل هذا كان الصيام واجباً شهراً من كل عام ، لأن تكرار الشهر يجدد طاقات الصيام التي ربما نال منها سرور الأيام وما أشبه الصيام لنفس بالمصل للجسم ، فكما أن المصل يكسب الجسم قوة تقدره على أنواع خاصة من الجرائم ، كذالك الصيام يكسب النفس قوة تقدرها على مقاومة الرغبات والشهوات ، وكما أن المصل يجب تكرار التتظيم به كلما مرت فترة معينة حتى تتجدد قدرة الجسم ، ولا يفقد

صديقا ، وأدوا هذه الفريضة داء محمدا ،
كانوا أدت على المؤمنين ، أمة على الكافرين ،
كانوا قوة تهاب ومزيمة تحتاج للهدايد .

٦ - ونظرا عن أثر الصيام في إحياء
هذه المرافقة الصادقة في ضمير المؤمن بحيث
يصبح مالكا لنفسه بصرفها حسب الشرع
لاحسب الشهوة ، فإن الصيام يذكر المؤمن
ببشرته وضعفه وحاجته ، لأن الاحتناع
من رغبات الجسد ومطاله يشير الانتباه
بشدة إلى تلك الرغبات وهذه للطالب ،
فكان الصيام تذكير بمادية الكيان
وحاجة الإنسان فلا يستبد ولا يطغى
ولا يتجاوز حدوده ببشرته في كل تصرف
من تصرفاته .

إن لامتناع في الصيام من رغبات الجسد
ليس مجرد حرمان مؤقت يؤثر في
مجال المحل من طغيان الشهوة وخور المزيمة
والإرادة ولكنه مع هذا آية المودبة
ودليل الضعف البشري ، فبحرفه الإنسان
قدره ، ورسائله في الحياة ، وهو لون من
الاحتلاء ما أحوج للبشرية اليوم إليه
عليها تتغل عن ماديها للسرفة ، ومزاجها
المنصرية البالية حتى تعرف طريق النجاة
والأمان والاعتقار .

٧ - وإذا كان بعض الباحثين يذهب
إلى أن الصيام فريضة صحية ، وأنه كذلك
فرض ليغير الأغنياء بألم الجوع والحرمان
حتى يتفقوا في سعاد على المحتاحسين
والبؤساء ، فإن هذا الرأي غير حديد لأن
القول به يشير للنك والارتباب حول هذه
الفريضة للقدسة فقد يرى بعض علماء
الطب والأغذية أن التموائد الصحية التي
تتطلب إلى الصيام غير مملحة ، بالإضافة إلى
أن هذا القول يخرج صادة الصيام من
طبيعتها ويقص من قدسيتها وجلالها
وجوهيها إلى مستوى العادات التي قد
تفيد في بعض الأحيان دون بعض ، ولو كان
الصيام فرض ليغير الأغنياء بقسوة الجوع
لاقتصر وجوبه على ذرى اليسار دون أهل
الفاقة والإعسار ، وحتى يقل الصيام جلالة
وأغراضه الروحية السامية وحتى لا يكون
هناك مجال للشك في قيمة حكمة الصيام ، كان
ما ذهب إليه هؤلاء الباحثون غير مسلم ،
لأن الشك إذا سرى إلى مقاصد العبادة
فإنه لا يثبت أن يسرى إلى العبادة نفسها
فقد مزع عقائد الناس في العبادات ويضبط
إيمانهم بها .

(البقية على الصفحة التالية)

الوحدة ضرورة يفرضها الإسلام

للمدكتور عز الدين علي السيد

يقول الله تبارك وتعالى : « إن هذه أمتكم أمة واحدة ، وأماربكم فابعدون »
ويقول : « وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأماربكم فاتقون » .
وتوجيه الخطاب إلى ضمير الجمع المضاف إلى الأمة يستوجب كل فرد من الجنس ، تمييزاً للأمة الإنسانية للنبشقة من آدم

أبى البشر عليه السلام ، فكل إنسان انتهى إلى جماعة ، أو ارتبط بأرض أو شد إلى فئة ، مشغول من حق هذه الأمة عليه ، كما يسأل عن جماعته المباشرة ووطنه القريب .
وجميع الخطبين لا تناهم إلى هذا الأصل كأو حدم الاتناء إليه برابط الجنس واتحاد الحقيقة ، وحدم - بب الأسباب في هذه

(بقية للنفور من المنفعة السابغة)

٨ - وبعدنا في الصيام وجوهه تربية لنفوس ، وصحبها إلى آفاق عاليا من التطهر والصفاء ولتتمتع دائما على سموات الجسد ونزعات الشمر والإثم وضعت للمزجعة والإرادة ، لتكول ظاهرة مطهنة تخشى الله وترجو رحمة ، ونجواب حساب وعقابه ، وبذلك تصح جدرة بخلافة الله في الأرض وأهلا للفوز بجنته يوم الدين .
قال أبو حيان في البحر المحيط (١) :
« الصوم فائدتان : وبانة الإنسان نفسه

مما يذمونه إليه من المسموات ، والافتداء بالملأ الأعلى على قدر الوسع » .
وصدق الله العظيم إذ يقول : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون »
والنوى كلمة جامعة لكل خصائص البر والإحسان والمعروف ، إنها مفتاح كل خير وسبيل كل نصر : « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض » ، « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون »

محمد المصطفى

النسبة ، وهو الإرادة العالية في الخلق للقدر
 عن ذلك الحق ، وبهذا المنطق الموجد
 والمقدر - جل علاه - أن يضيقهم إليه
 في قوله الحق : « وأما ربكم » ولغظ الرب له
 دلالة في التولية والتعهد ، نعم ليس في لفظ
 إله أو خالق أو غيرهما ما يتكفل بها ،
 فهو في الآتيئة علة فاصلة التي يأمرهم فيها
 بمبادته وتقواه ، والعبادة وتنزوي أمر
 أراد الله لتحقيق جلالة وعز سلطانه
 وتمكين ملكه ، وذلك بقول :
 « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » .
 فأهل الأرض أو الناس كلهم أمة واحدة
 ولها بقطرة واحدة ، هي قطرة آدم للإنسان ،
 الذي هو ذلك الأصل : « يا أيها الناس
 اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة
 وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا
 كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذي تساءلون
 به والأرواح ، إن الله كان عليكم رقيبا » .
 ولم يكن تفرقهم في الأرض ، واستمرارهم
 لها ، وخلقهم فيها ، أمرا يردهم عن الأصل
 أو يسيهم على لامة فيتنسكروهم لبعض ،
 مستثنائا بخير ، أو حرصا على استبعاد
 لوثاته ، وما اختفت ألو ذبشراهم التي
 هي في آية فيهم ، أو لهجات ألسنتهم التي

هي عبدة من عبده لحكمة من حكمه ، لا تقل
 عن آية خلق السموات والأرض ، ولهذا
 اقترنا في قوله - عز وعلا - : « ومن آياته
 خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم
 وألوانكم » ، إن في ذلك لآيات لقائلين » .
 بل كان انتصارهم وتفرقهم لتتمكن من
 الأرض ، واحتياط ما انقصر فيها ظاهرا
 وباطنا من أسباب الحياة النسيطة الدقيقة
 الوازية ، التي تنول منها طاقة العلم وتفتجر
 بناييع المعرفة ، فتصل أطراف الكون
 أرضه بسباهه ، ويسكون ذلك كله مبث
 دهشة الخلق بجلاله يوصل إلى الخالق .
 كالم انتشارهم في الأرض ، وتفرقهم قدوة
 ولتعارف بينهم وتبادل الخيرات والثروات ،
 حاجة إلى التكامل ، الذي هو مدح الفكر
 الصحيح والإنسان العليم ، ودقة الحكمة
 الإلهية الدقة إلى هذا السبب ، عرفت
 على كوكب الحياة مشارق الشمس وبأديم
 التصول ، ومنافع الخير ، ومنات الثروات
 بظواهر غير منتقام ، يكن في بطنه ما يسجده
 الفكر ويهزئ لقلب إيماء يبلغ الحكمة ،
 التي تفرض بطبيعة الاختلاف الحاجة إلى
 الائتلاف ، وتخلق من التفرقة الوحدة ،
 وهذا معنى التعارف أو معنى من معناه

الحياة أمة واحدة « وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم من صبيته » ونذد بالهاككين المنادين بشرف أنفسهم دون غيرهم فتريقا لوحدتهم وتزيقا لأمتهم « وقلوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى، تلك أمانتهم اقل : هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين . على من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » « ومن يرغب من ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه في الدنيا ، وإنه في الآخرة لمن الصالحين . إذ قال له ربه : أسلم . قال : أسلمت لرب العالمين . ووصى بها إبراهيم بنوه ويعقوب يا بني إله الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون » .

ولما طالت الفتنة بين مولى محمد بن عبد الله عليه السلام ومن قبله من الرسل ، وتحرقت صحف السماء ، وتقصعت أهلها الأهواء ، أرسل الله خاتم رسله بخاتم كتبه ، ليجتمع عليه من شاء سلامة القطرة ، والارتباط انوائق بالأمة ، فانورد دينه باسم الإسلام لأنه دين يحترم الفرد في الأمة ويعرف حقه ووجبه ، ويحترم الأمة بالفرد ويعرف

في قول الحق سبحانه : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعرة وقبائل لتعارفوا » .

ولكن شاء الله أن يكون هدوم من التذرين إلى يوم الوقت معلوم ، وقد أقسم : « لا تحسب ذريرة إلا قبيلة » فخرج على ناموس الأمة الواحدة أناس سرقة هدوم خديجهم هيداً له ، يتصرف بهم في نقض المرا نصرف تلك السليط برفيقه للفتنة « وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلقوا ولولا كلمة سبقت من ربك لنقض بينهم فيما فيه يختلفون » .

فانقسمت الأمة أمماً ، واقتضت حكمة الحق بل حجة عليهم أن يرسل في كل أمة رسولا منهم بين لهم ما يتقون : « ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطغوت ، فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة ، فسيروا في الأرض نظيراً وكيف كانت حاقبة للكافرين » .

أما من هدى الله من تلك الأمم بالرسول فما يزالون بالهداية نطقاً ، أسلموا الله أنفسهم فسام المسلمون ، وجعل للدين عنده دينهم : « إن الدين عند الله الإسلام » ووجد في تاريخ البشر صراطهم ، فجيمهم على أبعاد

كتابهم وسنتهم ، فليس ذلك تفكيكا
في أمر وحدتهم .

فلكل الجماعة رؤساؤهم وأولياء الأمور
فيهم سدة الجماعة وسلك نظام وحدتها ، لم
حق العامة لسلامة الأمة ، فإذا حدث
الشقاق بين أميرين بفرقة الجماعة المبنية
أوجب الإسلام عليها حياة نفسها من
الفئة « إذا بوجع خليفتين فقتلوا الآخر
منهما » « من أفاكم وأمركم جميع على
رجل واحد يريد أن يفتك عساكم أو يفرق
جماعتكم فقتلوه » أخرجهما مسلم .

وليلتم الجمع كانت الإمارة في الإسلام
عشا يحذره من لا يثق بالكفاية في ذاته
« الإمام راع ومعتول من دمه » معتول
على الإطلاق من كل صيب يرقبها ويسكفل
أمن حياتها واستقرار العيش الرخي لها ،
في رفق بها وحذب عليها فإنه شر الرعاة .
الخطبة « أمين كل الأمة على ما لها
» من استعملناه على عمل فكنسنا نقيضا
فأفرقه كان غلولا يأتي به يوم القيامة »
أمين في تطبيق الدستور على كل أفرادها
عنه لا وحقا « أحب الناس إلى الله تعالى
يوم القيامة وأدناهم منه مجلسا إمام عادل ،

حقها وواجبها ، فيعرف بذلك قانون السلام
والوئام ، ويقرر فرضيته ويحارب المعتدين
عليه والمباين منه ، ليعلم الفتنه ويحافظ
على الوحدة .

وحرسه هو أمظم الحرم على الانفاف
حول الحاكم والإمام ، فالأمانة للمبتدرة
والخطبة والجمعة للهدوء والناشدة بمد
بينة لتبني عليه السلام هي أمة الإسلام وجماعة
المسلمين ، التي من حقها أن تتبادل وتسالم
من أراد السلام من أسرة البشر ، والتي ليس
من حقها أن تتبادل وتسالم من حق عصاها
وفرق جمعها وشقت شملها ، ولهذا أمرت
بقوله تعالى : « وإن طائفتان من المؤمنين
اقتتلوا فاصلحوا بينهما ، فإن بفت إحداهما
على الأخرى فقتلوا التي تبني حتى تقى »
إلى أسرار الله ... » .

ونهي عن الفرقة وهو بسبب الفرقة بقوله :
« ولا تناوخوا على الإثم والعدوان »
« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا »
وقيل لها ليدفرق لها الواحد فوق رأسها :
« أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي
الأمر منكم » وأولو الأمر مهما تعددوا
لحفظ الأمن ونشر العدل واستقامة الحياة
في قرة إمام واحد ما تمسكوا بمبادئه

للتفرق بين الناس ولا تهيئ بالفرقة الآفة
تهديداً يسكنهم: « من خرج على الطاعة
وفارق الجماعة فإن مات ميتة جاهلية، ومن
قال تحت راية محمية يغضب له غضب
أو يدهر على عصبة أو ينصر عصبة فقتل
قتله جاهلية، ومن خرج على أئمة يضرب
بها وتاجرها لا يتحدث من مؤمنها
ولا يبيعهن من مؤمنها فلا يبيعهن من مؤمنها
ولا يبيعهن من مؤمنها » .

ومن أئمة ما يفرق الوحدة ويزول الجماعة
التقرب بالوشاية إلى الحكام ، والتجسس
الأنتم على المؤمنين ، ووجاهة هذا عند
الولاة دون تبين وثبت وقد اجتمع نهي
الله ونهي رسوله من ذلك في الجملة للكرهية
« ولا تجسسوا » وجاء قول الحق سبحانه
« إن جاءكم فاعق بئاً فتبينوا » وقول
الرسول عليه السلام : « إذا ابتغى الأمير
الريبة في الناس أقدم » .

هذه السمات سمات الإسلام في بنية ،
تحكم وحدتهم وتوثق هويتهم ، ولعالم
البيئة صيقل الله وصراطه للتميز ، فهو
يناشد أهل الأرض السلام والوثاق
والحبة ، لأن كلهم لآدم وآدم من ثوب ،
كلهم لآدم الأب والإنسان ، الذي في اسم

وأبيض الناس إلى الله يوم القيامة وأبدم منه
بجلا إمام جاز » .

ولنقل النبوة ، وخوفاً من الهلكة كان
يحذر الرسول عليه السلام أناساً يعرف
لبن قلوبهم وإسكان حدوث قليل منهم ،
كالغداة بن ممد يكرب للقاتل : « ضرب
رسول الله ﷺ منكم وقال : أملت
ياقيم إن مت ولم تكرر أميراً ، ولا كتاباً ،
ولا مريضاً » . ومثل ابن فريخا عليه إمامه
الرمون الرحيم : « يا أبذر ، إن أراك ضعيفاً
وإن أحب لك ما أحب لنفسى : لا تأمرن
على اثنين ولا تولين مال يتيم » .

وبين الإسلام مقياس أفضل حاكم مجتمع
عليه شغل الجماعة ونظام الأمة ، وهو تبادل
الحب بينه وبينهم ، إذ لا يستقيم الحب
إلا بسلامة القهاج : « ألا أخبركم بخيار
أمرائكم وشراهم خيارهم الذين يحبونهم
ويحبونكم وتدهون لهم ويدعون لكم .
وشراهم أمرائكم الذين يفضونهم
ويغضونكم وتظنونهم ويؤمنونكم » ،
وهو معيار ظهر للإسلام يستنطق فلسفة
تنسج عرضاً وعمقا لنواميس المعادة
في حياة الشعوب .

وليستب الأمن لجماعة هذا المالكين

ولا المؤمن بانتسابه إلى الفارسية ولا شرطا .
المسلمون يطالبهم الإسلام بإبتكار القات
طلبا للتمرة ، وإبتكار الحق خوفا من العنتنة ،
ومعرفة الطريق طلبا للتصبر ، والمتم
القاصد والطريق اللاحب ما رصفه الله :
« يا أيها الذين آمنوا . إن تنصروا الله
ينصركم ويثبت أقدامكم » فليذكروا دائما
أمام الحنة : « إن الله يحب الذين يقاتلون
في سبيله مفا كأنهم بنيان مرصوص » ،
وليدذكروا دائما أمام العجبة : « ومن
يولم يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ولا
أولئك إلى فئة فقد باء بغضب من الله
ومأواه جهنم وبئس المصير » .

الهم اربط على قلوبنا بجزمة منك ،
واجمع شتانا برباط الإيمان بك ، وادفع
بنا عدونا إلى جهنم البنى وعنى الحسية ،
واجنا بك من عدوان أنفسنا على حماك
يا نعم المولى وبأنم النصير

نزل الله على النبي

جفنه الأنس والائتلاف والمودة ، وحتين
القلب إلى القلب والدم إلى الدم ، فإن أبوا
إلا الفرقة والنصف والصلف ، فاعذ أمله
في روج الأرض رحمة ، وكان هو الأب الحاني
الذي به أخوتهم : « إنما للتؤمنون إخوة
فأصلحوا بين أخويكم » وأرشدكم بالمثل
الحكيم إلى أكثر من ذلك ترابطا : « مثل
المؤمنين في نوادم وتراحيمهم وتعاظمهم
مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تمامي
سائر الجسد بالمهر والحمى » .

والمسلمون اليوم - أكثر من كل يوم -
في شتى النواحي ، من لبون بحقبة الإسلام
وطابته ، قويم كنعينهم في اكتساب
التمرة بوحدة المصدق ، واتخاذ الوصية
القاصدة إليه ، لحقيقة الإيمان واحدة ،
ومظاهرها في الإسلام واحدة ، لا تختلف
الصلاة باختلاف البقاع صفة ولا قيمة ،
ولا الحج باختلاف الدارعبادة ولا منسكا
ولا الصوم باعتبار الأوطان حقيقة ولا شهراً ،

معنى "أنزل القرآن على سبعة ألحرف"

للأستاذ محمد السباعي عامر

ومنطقهم ولو كفروا نغيبهم لهمجانهم وإصلاح
الحنثهم وحناجهم لنفسيهم المارج وعظمت
الحنة ، ولما استطاعوا أن يؤدوا أداء
قرشيا خالسا فتبسم ثمز وفريش لا ثمز
وهذا يفخم وهذا يرقت وهذا يدغم وهذا
يظهر إلى آخر الوجوه التي تختلف بها
الأسنة وتتغير في الطاق بها إذا كلفت بنهر
ما ألقنه ودأبت عليه في متولاتها وشبابها
وهرمها ، من أجل هذا اقتضت رحمة الله
تعالى ورأفته بمباهة أن يحمل هذه للشكاة
ويدفع المارج عنهم في تلاوة القرآن كما دفع
المرج عنهم في أحكام شريعته ودينه ، كما
قال الله تعالى : « يريد الله بكم اليسر ولا
يريد بكم العسر » . وقال : « ولقد يسرنا
القرآن للذكر » . فأنزل القرآن على سبعة
أحرف ، منتشرة منبثة في أصول قبائل
العرب ، ومن السهل على باقهم أن يقرأوه
بلغة قبيلة من ههنا القبائل الصعبة التي
ترجع إليها ألسنة العرب كاهم في سهولة
ويسر .

اقتضت حكمة الله تعالى وتديره المنظم
أن تكون جزيرة العرب على امتداد
أطرافها والساع رقعها وطنا لكثرة
الكثيرة من قبائل العرب في سهلها ،
ونجدها وجبالها وأرديتها على اختلاف
ألسنتها ولحجاتها الخاضعة لتعكم الية
وطبيعة اللناخ وبعمد الشنة بينهم ، وقد
انتشروا فوق رمال الصحراء هنا وهناك
أمة أمية لا تكتب ولا تحب ليعت
فيهم رحولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم
ويعلمهم الكتاب والحكمة وينزل
عليه قرآنا مجزيا يهدي إلى الرشد ويتل
بعضه في الصلاة ويقيم بقرآته ، وتدير
آياته في إتيان وترتيل .

وهنا تبرز مشكلة تحتاج إلى حل عادل
ميسر ، وهي :

كيف تتلو هذه المجموع الكثيرة القرآن
بلغة ههنا النبي القرشي عليه وعلى آله
أفضل الصلاة والسلام مع ثباين لغاتهم

إلى النبي ﷺ فقلت استقرئني هذين
فاستقرأ أحدهما فقال: أحسن فدخل قاي
من الشك والتكذيب أشد مما كان في
الجاهلية ثم استقرأ الآخر فقال: أحسن
فدخل صدرى من الشك والتكذيب أشد
مما كان في الجاهلية فغضب رسول الله ﷺ
صدري بيده فقال أعيذك بالله يا أبا
الدك ثم قال إن جبريل عليه السلام أتني
فقال: إن ربك عز وجل يأمرك أن تقرأ
القرآن على حرف واحد فقلت لهم خفف
عن أمي ثم عاد فقال إن ربك عز وجل
يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفين، فقلت
لهم خفف عن أمي ثم عاد فقال إن ربك
عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة
أحرف وأعطاك بكل ردة مسألة. الحديث
رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده
بهذا اللفظ وقد روى هذا الحديث عدد
كثير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم
جميعاً بروايات كثيرة في عدد من كتب
الجنة الصحيحة، وقد نص على تواتره الإمام
الكبير أبو حنيفة لقاسم بن سلام رحمه الله
تعالى: ومن رواه عن رسول الله عليه
الصلاة والسلام، عن جبريل الخياط وهشام
ابن حكيم وهشام بن عمار وعبد الرحمن

فمن مروى الله تعالى عنه قال: قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن
هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فقرأوا
ما تيسر منه»، وهذا لفظ البخاري،
وأخرج مسلم عن أبي أن النبي ﷺ كان
هند إصاة بن قنار فأباه جبريل فقال:
«إن الله يأمرك أن تقرأ أمك القرآن
على حرف فقل أسأل الله مما فاته وسوته
وإن أتي لا تطيق ذلك»، ثم أتاه الثانية
على حرفين، فقال: «مثل ذلك ثم أتاه الثالثة
بثلاثة، فقال: «مثل ذلك»، ثم أتاه الرابعة
فقال: «إن الله يأمرك أن تقرأ أمك
القرآن على سبعة أحرف»، فأبى حرف
فقرأوا عليه فقصه أصحابنا، ورواه
أبو داود والترمذي وأحمد.

وفي رواية لأبي قال: دخلت المسجد
أصل فدخل رجل فاستمع سورة النحل
فقرأ ثم أتني في القراءة فلما انقضى قلت
من أقرأك قال رسول الله ﷺ ثم جاء رجل
فقام يقرأ فقرأ وافتتح النحل ثم أتني
وخالف صاحبي فلما اغتسل قلت من أقرأك
قال رسول الله ﷺ. قال فدخل قاي
من الشك والتكذيب أشد مما كان في
الجاهلية فأخذت بأيديهما فانطلقت بهما

ابن مسعود وأبي بن كعب وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وأبو هريرة وعبد الله بن عباس وأبو سعيد الخدري وحذيفة ابن اليمان وأبو بكرة ومرو بن الحارث وزيد بن أرقم وأنس بن مالك ومرة بن جندب ومرو بن أبي سلمة وأبو جهيم وأبو طلحة الأنصاري وأم أيوب الأنصاري ولا دليل يذكر بعض أحاديثهم فقيم قدمنا كفاية .. وقد أفرده الإمام الحافظ أبو شامة بالتأليف وبين المراد منه ، وبسط الكلام فيه الأئمة كان حبر في فتح الباري والدرر في البرهان وابن الجزري في النشر والسيوطي في الإتقان وغيرهم حتى أحصوا في نفسه أربعين قولاً لا يصح منها شيء في نظرنا ، لا نقول بأنها سبع لغات : لغة قريش وهذيل وتقف وهو وزن وكنتانة وتميم واليمن هل معنى أن بعضه جاء بلغة قريش وبعضه جاء بلغة اليمن وهكذا تيسيراً على هذه الأمة ورفقاً بها وتخفيفاً عليها لينتفع به الجميع دون حرج أو مشقة أو عنت فهم تشيخ الكبير والصبي والمجوز ومن لم يقرأ كتاباً قط كما صرح به في إحدى روايات الحديث .

فداح التفسير لهذا الحديث التيسير والتخفيف على الأمة بدليل قوله عليه الصلاة والسلام ، أسأل الله سبحانه ومعهوته وإن أمتي لا تطيق ذلك ، فالمسألة إذ ذرا جمعة إلى النطق والأداء لا غير ، ومع احترامنا للائمة الأعلام كابن الجزري والحافظ أبي الفضل الرازي وابن قتيبة وغيرهم لا ننسى تخالفهم فيما فسروا به هذا الحديث حيث جعلوا مفتاح التفسير له قولهم : تتبعنا وجوه القراءات فوجدنا أنها لا تخرج عن سبعة أشياء ، وذكرنا منها الاختلاف بالذكر والتأنيث والماضي والمضارع والأمر والإمراد والثنية والجمع والتقديم والتأخير والإيالة والنقص والإعراب والمخاطب والنية وما أشبه ذلك حتى قال ابن الجزري في النشر ما نصه : ح ١ ص ٢٤ وذلك أني تتبعت القراءات صحيحها وشاذها وضعيفها ومكسرهما لا إذا هو برجع اختلافها إلى سبعة أوجه من الاختلاف لا يخرج عنها انتهى بحرفه .

وقول ما لنا والقراءات الشاذة والضعيفة والمكسرة أو ما الداعي إلى إتمامها في حديث صحيح وهو أزل القرآن على سبعة أحرف ؟

وتقول ناية إن من أسهل السبل وأيسر اليسر على كل عربي من أية قبيلة أن يقرأ بالتذكير والتأنيث في « ولا يقبل

ومن السهل عليه أن يقرأ « ووصى بها إبراهيم » وأوصى بها إبراهيم بإثبات الحمزة وحذفها على القراءتين ، وليس في ذلك حرج على قرئى أو هذلى أو غيرها . ومن ذلك « تجرى تحنها الأنهار » و « تجرى من تحنها الأنهار » بإثبات من وبحذفها على القراءتين في حورة التوبة . ومن السهل عليه أن يقرأ « فتلقى آدم من ربه كلمات » يرفع آدم ونصب كلمات ثم ينصب آدم ورفع كلمات على القراءتين . ومن ذلك « فالمالحات قاتلات حافظات الغيب » يحفظ الله ، يرفع لفظ الجلالة وينصبه أى دين الله وهى قراءة أبى جهم والأولى قراءة الجمهور . ومن السهل عليه أن يقرأ « أشد منكم » بضمير الخطاب وأحد منهم بضمير الغيبة على القراءتين . ومن السهل عليه أن يقرأ « قال الله هو الفنى الحيد » و « إن الله الفنى الحيد » بإثبات هو وحذفها على القراءتين ، وكل هذا متواتر وليس فيه شاذ أو ضعيف أو منكر ، وكل ما قدمنا لا همز فيه على أحد وإنما الهمز في أن تلزم من يقرأ بتسهيل الحصر أو بتخليط اللامات في الصلاة ومطالع وظل ونحوها أو يقرأ باختلاس الحركة بتغيير لفته فلا يسهل

منها خفاعة ، بالياء والتاء في الفعل على القراءتين : ومن السهل أن عليه أن يقرأ « قال رب احكم بالحق » بصيغة للماضى « وقال رب احكم بالحق » بصيغة الأمر فإنه يخاطب قرابته وغيره فيقول قال فلان كذا ، وقال فلان كذا لا يمتز فيهما لعماء ولا يضل أو ينصرف فيما منطوقه . ومن السهل عليه أن يقرأ « ونزل فلانكة » بصيغة للماضى « ونزل لللائكة » بصيغة للمصارح على القراءتين . ومن السهل عليه أن يقرأ « ربنا بأعد بين أسدنا » بفتح قلباء على النداء وفعل الدماء ووبنا بأعد بجملة مبتدأ والفعل بمسند ماض على القراءتين . ومن السهل عليه أن يقرأ « والذين هم لأماناتهم وهمدم راعون » لأمانتهم بالإفراد والجمع على القراءتين ، وعلى صلاتهم بما ينظرون ، وعلى صلاتهم بالإفراد والجمع على القراءتين ، ومن السهل عليه أن يقرأ « فأصلحوا بين أخويكم » و « إن إخوانكم بالثنية والجمع على القراءتين ومن السهل عليه أن يقرأ « وقالوا وقالوا » ثم يقرأ « وقالوا وقالوا » وتأخيراً على القراءتين لا يهجم من ذلك شيء . ومثله فيمتون ما يبناء له أهل وقتلون البناء للمفعول في سورة التوبة وبالمكس على القراءتين .

قراءة صر نشق السماء بالتخفيف في السبعين
واقاف ، ونزل بالتشديد فعلا ماضيا ونائب
اثماع للملائكة ، وقراءة هشام قد تقى التشديد
ونزل بنونين قبل مضارع ذلك الله هو
وجل والملائكة مفعول به فيقع الخلاف
بين قراءة صر وقراءة هشام وهما قرشيان
وهذا مجرد تمثيل .

وللراى بالصبعة حقيقة العدد لا يزيد
ولا ينقص ، في الحديث أن النبي عليه السلام
والسلام به أن أذن له بسبعة أحرف . نظر
إلى ميكائيل يطالب الزبدة فسكت فعلم من
سكوته أن الأمر قد امتنع على ذلك . ومن
الخطأ تفسير السبعة في الحديث بالقراءات
السبعة لأن أصحابهم يولدوا في هذا الوقت
ومن الخطأ أن يقال في الكلمة سبع قراءات
لأن ذلك قابل في كلمات الخلاف ، ومن
الخطأ تفسير السبعة في الحديث بالآلاف
والحرام والحكم والمناجاة إلى آخره ، وقد
أورد الإمام ابن الجوزي في النشر حديثا
يدل على سبعة أشياء يمكن يتممك بها
تممك ، والجواب إن صح هذا الحديث
الذي ذكره وأخرجه المبراني ، والمراد به
سبعة أخرى غير السبعة التي نحن بسبيلها
والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

محمد السباعي محمد هاجر

الهمز ولا يلفظ اللامات ولا يختلس الحركة
إن من العرب من يقرأ بالإمالة لا يحسن
غير ذلك ومنهم من يقرأ بالتقليل لا يحسن
غير ذلك ومنهم من يقرأ بالوشم الكسرة
بالضمة في مثل جىء وقيل لا يحسن غير
ذلك ، ومنهم من يحذف الهمزة ويقلب
حركاتها على الحرف الساكن قبها في مثل
وأنا البيوت من أبوابها . قد أفصح للزعماء
لا يحسن غير ذلك . ومنهم من يضم الهاء
من : حاجم وإليم ولهم وصل ووقف
لا يحسن غير ذلك فكلهم غير ما اتفوا ،
فيه صرح شديد من أجل هذا وحده
أنزل القرآن على سبعة أحرف .

سيقولون : اختلف صر وهشام في قراءة
حورة القرآن وهما قرشيان واتفقا واحدة
وقال النبي عليه الصلاة والسلام لكل منهما
هكذا أنزلت ، وجوابنا على هذا أن من
لممكن أن يكون لقريش اثنان في اللفظ
الواحد كالتشديد والتخفيف ومنه قبيح
أخرى في هذا اللفظ نفسه التشديد فقط
وهذا أخرى فيه تخفيف فقط فيصعب على
الأخيرتين الانتقال إلى غير ما تعودتا ، ودأبت
عليه ، ومن باب التمثيل لهذا نذكر قوله
تسالي : « ويوم نشق السماء بالفهم ونزل
الملائكة تنزيلا ، فن الجاز أن تكون

المجرح والتعديل في علم السنة

للأستاذ محمد زكريا الخبيبي

— ٢ —

- إذا تتبعنا العناصر التي تتدرج تحت مخالفة هذين الشرطين القارحين : العدة والاضبط ، وفلما : إن العدة تتلاقى بين الرجل وخلته ومروته ، والاضبط يتلاقى بهمه ووعيه وحسن أدائه ، وأردنا استقصاء مراتب الجرح ما اعتدناه منها وما لم نعتدناه طعناها في إحدى عشرة رتبة رتبناها تصاعداً .
- ١ - من تكلم فيه مع ثقته وجلالته بأذى في دينه وبأذى في ماله ومنهم آئنة متبعون لهم جلاتهم في الإسلام وعشمتهم في الفوس أمثلة أبي حنيفة والقاضي البخاري ، وم وإن كان لا يضرهم ذلك عند الله ولا عند الناس ، وإنما وجدوا من يذهب عليهم ، ويترفع عنهم .
- ٢ - الثقات الذين تكلم فيهم من لا يلتفت إلى كلامه ، لكونه متنعناً فيه ، وخالف الجمهور من أولي النقد والتحرير .
- ٣ - من نص أو حاتم الرازي هل أنه مجهول أو قال غيره : لا يعرف وفيه جهالة ، أو مجهول ، أو نحو ذلك من العبارات التي تدل على عدم شهرة الشيخ بالصدق .
- ٤ - المحدثون المرادقون أو المشيوخ المتورقون ، الذين فيهم إثم ، ولم يأنقوا رتبة الأبحاث للثقات .
- ٥ - المحدثون الضعفاء من قبل حفظهم ، لأنهم لم يخلوا وأوعاها ، ولم يترك حديثهم وإنما يتلى ما يروونه في الشراهد ، ولا اعتبار ، لا في الأصول والحلال والحرام ، ويقال له : ضعفه مثل جرير ابن عبد الحميد الضبي ، قال ابن مهدي : جرير أقل سقطاً من شريك ، وقال أبو الوليد : كنت أجالس جريراً ، رأيته ، وكتبته في حديثي ، فقلت له : حدثنا ، فقال : لست أحفظ وكتبت غائبة ، وأنا أرجو أن أوالى بها ، قد كتبت في ذلك ، فيينا نحن إذ ذكر يوماً حديثاً من الحديث فقلت : أحسب شيئاً من كتبك قد جاءت ، قال : أجل ، فقلت لأبي داود : إن جليلنا قد جاءت كتبه من الكوفة ، اذهب

بنا نشر فيها ، فأنباء فنظرت في كتابه
 أنا وأبو دارد ، قال يعقوب السدوسي :
 سمعت إبراهيم بن هاشم يقول : ما قال لنا
 جبري قط بهذا حديثا ولا في كلمة ، ونزل على
 بني السيب الضبي فلما جاء الله - يعني فيضان
 الآخر - كان بأجانب الشرق فقلت لأحمد
 ابن حنبل : تعبر ؟ فقال : أي لا تدفن ،
 فعبثت أنا فلزته ، ولم يكن السندي
 الأمير يدع أحدا يعبر لكثرة الله ،
 فكنت عنده عشرين يوما فكسبت
 ألفا وخمسة حديث . هذا الرجل الحفرو
 الحريس الذي مررت ورعه هو بعينه الذي
 رويناه في سيرة ما ياتي : قال أحمد بن حنبل :
 لم يكن يذكي في الحديث ، اختلط عليه
 حديث أئمت ومأمم الأحرار ، حتى قدم
 عليه بهز بن حكيم فمرغه ، وقال أبو حاتم :
 صدوق تغير قبل موته وحجبه أولاده ،
 وكذا نقل أبو العباس الباقى هذا الكلام
 في ترجمة جرير بن عبد الحميد ، قال الذهبي :
 وإنما ظموف هذا عن جرير بن حازم
 لكن ذكر البيهقي في سننه ثلاثين حديثا
 عن جرير بن عبد الحميد قال : فندب في آخر
 عمره إلى سوء الحفظ ، قال سليمان
 ابن حرب كان جرير وأبو هوانة يتعابها

ما كان يصلح إلا أن يكونا راعيين .
 قال عبد الرحمن بن مهدي : سمعت
 العاذكري (١) قال : قدمت على جبري
 فأنجب بحفلى وكان لي مكرما ، وقد جاء
 يحيى بن معين والبغداد بوفى الدين معا وأنا
 ثم ، فأرأوا موضعي منه ، فقال له بعضهم :
 إن هذا يشبه يحيى بن القطان وعبد الرحمن
 ليقتد حديثك ، قال : وكان جبري قد حدثنا
 عن مغيرة عن إبراهيم بن ملاق الأخرس ،
 ثم حدثنا به عن صفيان عن مغيرة عن
 إبراهيم ، قال : فينا أنا عند ابن أخيه
 إذ رأيت على ظهر كتاب لابن أخيه : من
 ابن المبارك عن صفيان بالحديث ، فقلت :
 حمك يحدث به مرة عن مغيرة ومرة عن
 من صفيان ومرة عن ابن المبارك عن صفيان
 يلبنني أن نسأله ممن سمعه .

قال الشاذكري : وكل هذا الحديث
 موضوعا ، فبأنه فقال : حدثني وجلي
 خراساني عن ابن المبارك ، فقلت له : قد
 حدثت به عن مغيرة ولست أراك تتف على
 شيء ، ممن لرجل ؟ قال : رجلا حادنا من
 أصحاب الحديث . قال : فوثبوا وقالوا :
 ألم تترك أعاجاء ليقتد حديثك طبعك . قال

سمعت مرة بن البرند، قال : سألت حماد
ابن منصور عن هشام القرطبي ، قال :
مارأيت عند الحسن قط ، قال مرة :
فأخبرت بذلك جرير بن حازم فقال : فاعلمت
الحسن جميع منهن مارأيت عنده هشاماً قط
فقلت : يا أبا النضر، فقه حدثنا عن الحسن
بأشياء فممن تراه آخذه ؟ قال : أراه آخذه
عن حوشب ، وقال نعيم بن حماد : سمعت
ابن عيينة ^(١) يقول : لقد آوى هشاماً أمراً
هشياً بروايته عن الحسن فقبله لنعيم : لم ؟
قال : لأنه كان صغيراً . وقال يحيى القطان :
هشام في عهد قبة - يعني ابن سيرين ،
وهو عندى في الحسن دور في عهد بن عمرو
ولم أذكر في هذا الكلام زواجا من قبل
الدهلي إلا أننا نريد ضرب المثل على

فروث بن البغداديوز ، ونعصب فقوم من
أهل الرأي حتى كان بينهم شر شديد .
قال عبد الرحمن بن محمد : قلت لعثمان
ابن أبي شيبة : حديث طلاق الأخرس
ممن هو عندك ؟ قال : من جرير عن منيرة
ومات جرير وهو في الثمانين من عمره
سنة ١٨٨ .

٦ - الحفاظ الذين في دينهم رقة ،
وفي صلتهم وعن .

٧ - المتروكون الملوك الذين كثر
خطؤهم ، وتلك حديثهم ، ولم يمتدح على
روايته ، ويقال لواحد منهم : متفق
على تركه .

٨ - الكذابين في الجنة لا في
الحديث النبوي ، يقال له : سافط وهالك
وواه بكرة وشبهه جدا أو ليس بثقة .

٩ - التهمون بالوضع أو بالتدوير
ويقال له : منهم بالكلمة وأكفر هؤلاء
من الصالحين الاتقياء كما سيأتي .

١٠ - الكذابين الذين يزعمون أنهم
محمود ولم يكونوا قد سمعوا مثل أحمد
ابن عبد الرحمن الجرجاني الحديث حدث من
الأسم وأقرانه ثم ارتفع إلى محمد بن السيب
الأرقطاني عن لم يتركهم ، وقال ابن العيني :

[١] إذا أطلق ابن عيينة أحرف إلى سليمان
والأبنو عيينة ، حدثوا جدياً وهم آدم ابن عينة
وهشام ابن عينة وعبد ابن عينة وإبراهيم ابن عينة
وسهل ابن عينة . وعينة أمهم ، وإمام أبوهم دهم
مالك ، كشرجيل ابن حنظلة ابن عبد الله الخناع
وسهل وسهيل وسفوان بنو يضاء وأبوهم وهب
واسماعيل ابن علي وأبوه إبراهيم بن عيسى وإسماعيل
عليه أم أبيه وذلك كثر وعنه أحمد آفة الحديث
صنف كتاباً فيه نسب إلى أمه . ويجب إنبات
الألف من ابن عيسى نسب إلى أمه إلا أنه كدس من صميم
ومحمد ابن الحنفية .

وقد نفأت معركة الجرح والتمديد
مقترة بالتيارات الفكرية والسياسية
التي كانت تلمود المجتمع الإسلامي في جهور
التمديد ، والحمد لله الذي لا يتقدم
وللناظر عند أمحاننا المحدثين هو كما قال
الدهبي في الميزان : رأس سنة ثلاثمائة .
فبدعة التفتيح عند التفتيح ، نوحال : أشع
بلاغ ، وهذا كتقديمه عليا على التفتيح
أو تفتيحه عليه ، فهذا كثير في التفتيح
وتأبيهم مع الدين والورع والتفويض
والصدق ، فهذا تفتيح لا يسقط لهالة .
وأهيج مع غلو كالرفض للكامل والمخط
على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما
والهجرة لذلك . فهذا النوع لا يخرج بهم
ولا كرامة .

ويقول الحافظ الذهبي في هذا النوع :
« فا استحضروا الآن في هذا الضرب رجلا
صادقا ولا مأموئا ، بل الكذب شعارهم
والفتنة والنفاق دثارهم ، فكيف يقبل نقل
من هذا حاله ؟ حاشا وكلأ .

فالشيعي الخالي في زمان السلف هو من
نكلم في حمان والثير وطلحة ومهابة
وطائفة ممن حارب عليا رضي الله عنه ،
وتمرض لبهم ، والقال في المتأخرين من

ما سقناه ، ويقال لمن هذا حاله : يسرق
الحديث ، وإن كانت أحاديث أحمد الجرحاني
هذا يمكن عدها في قسم المثلل وحنا في
عليه في بحثنا إن شاء الله .

١١ - الكذابون الوضاهون للتمديد
قاتلهم الله وهؤلاء يلقب أحدهم بأرحا
جبارات الجرح وهي : كذاب أو وضاع .
وأشبه عبارات للجرح : هال كذاب
أو وضاع يضع الحديث ويلقب الجرحون
بالألقاب الآتية : منهم بالكذب ، ومنفق
هل نوكه ، ثم متروك ليس بثقة ، وسكنوا
فيه ، وذهب الحديث ، وفيه نظر ،
وهالك ، وصافط ، ثم واهجرة ، وليس
بشيء ، وضعيف جهل ، وضعفه وضعيف
وراه ، ومنكر الحديث ، وهو ذلك
ضعيف يسرق الحديث ، ثم يضعف ، وفيه
ضعف ، وقد ضعف ، ليس بالقوى ليس
بحجة ، ليس بذاك ، يعرف وينكر ، فيه
مقال ، نكلم فيه ، لين ، من الحفظ ،
لا يخرج به ، اختلف فيه ، صدوق
لكنه مبتدع . ونحو ذلك من عبارات
التي تدل بوضعها على إطراح الراوي بالإساءة ،
أو على ضعفه ، أو على التوقف فيه ،
أو على جواز أن يخرج به مع لين حافيه .

والإشمار بامتلاء القلب من خشية الله بما
يزع عن الكذب والافتراء . فأتى يصح
بمد ذلك تدهيتهم . وهم على ما رأيت من
النسك بدين الله وتصلب في المحافظة على
أحكامه . والفسق هو إتيان ما فسقه الشارع
به . وليس عليه كتاب أو سنة نصاً طاماً
لا يحتمل التأويل ، وأما مسائل الاجتهاد
فلا يصح ذلك فيها بوجه من الوجوه . قل
الدهبي : وما زال للعلماء الأئمة يتكلم
بعضهم في بعض بحسب اجتهادهم وكل أحده
يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله
صلى الله عليه وسلم . قال النزال في الإحياء
مهما اعترضت على التفسير في قوله :
« لست ريس من الله » اعترض عليك
في قوله : « لست ريس من الله » إذ لا بدع
حق عند نفسه والحق مبتدع عند المبتدع
وكل يدعي أنه حق وينكر كونه مبتدعاً
وما دنا قد عرضنا في هذا البحث إلى
الصالحين الخبيثين ، فإنا نلاحظ أن الأحاديث
للوضو والوضوء ، دخلت أكثرها من
طريق الصالحين ؛ لأن الأخذ بأبواب
للصلاح والتقوى والروح يقرب عليها سلامة
للمعبر وبراءة الخاطر من كل جنس أو ظن
فينبذه الشيخ الصالح من دواهي الحرم

بكثرة هؤلاء السادة ويترأى من القبيحين
أبصاراً ، فهذا حال معتز^(١) .

وقد نقل أبو حامد الغزالي عن الدافعي
قال : « نزل شهادة أهل الأهواء إلا
الحماية من الرافضة ، لأنهم يرون الشهادة
بالزور لموافقتهم في المذهب » ثم قال^(٢) :
« ويدل على مذهب الدافعي قبول الصحابة
قول الخوارج في الإخبار والعقيدة وكانوا
مستحقين تأويلين » وعلى قول ذلك درج
القبائسون - لأنهم متورعون عن الكذب
جاهلون بالحق » اهـ .

قال القاسمي : فترى من هذا أن الصحابة
قبلوا خبرهم وما حرم تسمية الفقهاء لهم
بالفئة ، لأنه فسق بمعنى مخالفة غيرهم ،
وهذا الإطلاق اصطلاحى لفقهاء ، وربما
رجع الخلاف في تسمية أولئك فساقاً لفظاً
وإلا فيستحيل إرادة الفسق الحقيقى المانع
لشهادة والرواية .

إذ كيف عسق هذا الخارجى وهو مبتدع
أنه تكب الكبيرة كافر أو مخذ في الباطن
فهل يعمد هذا الكلام إلا تعظيماً للزمطيم
للدفع ، وغاية الابتعاد عن المعاصي ،

[١] الأثر ج ١ ص ٥٥٤ .

[٢] المتن ج ١ ص ١٦٠ .

وخلق ، قال أبو اليان كاف منزلة إلى جنب منزله ، فكان يحيى الأبل ، وورثا قرأ ثم قطع ، قال فسأله يوما فقال : وما سؤالك قلت : أريد أن أعرف ، قال : إني أصلي فأقرأ فأذكر الحديث في الباب من الأبواب التي أخرجتها فأقطع الصلاة فأكثبه ثم أرجع إلى صلاتي ، وقال عثمان بن صالح السبيعي : كان أهل حمص ينتقمون عليا حتى لغافهم إسماعيل بن عياش فخذلهم بغضائه فكفوا مع ذلك .

قلت : إذا عرفنا أن ذلك كان في هذوان دولة بني أمية ، وعرفت أنه يعيش في مقر دارها وفي قاعدة ملكها وبين أجناده وأحبابها عرفت مبلغ عظمت وقوة شخصيته .

قال داود بن طاهر الضبي : ما رأيت مع إسماعيل بن عياش كتابا قط ، فقال له أحمد بن حنبل : لمك كافي يحفظ ؟ قال : هيئنا كثيرا فقال : يحفظ عشرة آلاف حديث ؟ قال : عشرة آلاف وعشرة آلاف وعشرة آلاف فقال أحمد : فإني مثل وكيع ، وقال القسوي : كنت أسمهم يقولون : علم الشام عند إسماعيل والوليد ، فسمعت أبا اليان يقول : كان أصحابنا لهم رغبة في العلم ، وكانوا يقولون :

على صحة الرواية وغنى نفسه بتصديق كل من يروي له حديثا ، فيه دخل عليهم ما ليس من السنة فيروونه في سفاجة عجيبة .

وقد يمد بعض الصالحين إلى وضع الأحاديث في الوعظ والإرشاد والترغيب والترهيب احتسابا للأجر وهذا ضرب أنواع الكسب ، لأنهم بهذا العمل يفسدون ولا يصلحون ، ويدعو صلاحهم إلى افتقار الناس بما يروون فينفقون به مع حيث لم ليسوا معلا للصدق ولا أهل للثقة ، هل أن هناك من الرواة الحفاظ من يرد عليه كل صفات التجربيع والتضييع والتلين ، وهو في الوقت عينه يتصف بأهل مراتب التعديل ، فإذا هبنا استقرى هذين النجدتين المتضادتين للتناقضين في سيرة رجل واحد وجدنا المرح حين لم المذمور ، والمعدل حين لم المذمور .

واليك الآن على هذا في حافظ الشام ومالها إسماعيل بن عياش أبو عتبة الحمصي ولحسنه ست ومائة ، طلب العلم فأخذ من شرحبيل ابن سلم وكان أكبر تلامذته ومجل بن زياد الأنصاري وبحير بن سعد وخلق فأخذ عنه حفيان الثوري وابن إسحاق وها من شيوخه وحسين بن منصور وهناد والحسن بن عرفة

بن أحمد بن حنبل مرثى على أبي حنيفة
حدثناه إسماعيل بن زياد الطوسي ، حدثنا
ابن عباس هو موسى بن عقبة عن نافع عن
ابن عمر عنهما : « لا تقرأ الخائض ولا
الجنب شيئا من القرآن » فقال أبي : هذا
باطل ، يعني أن إسماعيل وم ، وسئل أبي
عن إسماعيل وبقية فقال : بقية أحب إلي
منه اه . فإذا عرفت أن المحدثين قالوا
عن أحاديث بقية بن الوليد : « أحاديث بقية
ليست هبة فكن منها على بقية » عرفت
مبلغ الجرح الذي يضيفه المحدثون إلى
إسماعيل بن عباس .

فإذا لعنا إلى حافظ الدنيا وإمام الأئمة
بلا منازع أبي جبه الله البخاري رحمه
الحق في هذه القضية ، وآي السبيلين أمور
قال رضي الله عنه وأرضاه : « إن إسماعيل
ابن عباس إذا حدث من أهل بلده فصحيح
وإذا حدث من غيرهم ففيه نظر فنخلص
من هذا أن إسماعيل لا تقبل روايته
في أهل العراق أو أهل الحجاز أو أهل
مصر ، ولكنه حجة في أهل الشام إذا
روى عنهم »

يقع
محمد نجيب المطيعي

نجهد ونسافر فإذا جئنا وجدنا كل
ما كتبنا عند إسماعيل بن عباس ، ثم قال
القصوى : تسلم قوم في إسماعيل وهو ثقة
عده ، أعلم الناس بحديث الشام ، أكثر
ما تسلموا فيه قالوا : ينرب من ثقات
الحجازيين وقال الهيثم بن خارجة : سمعت
يزيد بن هرون يقول : ما رأيت أحفظ
من إسماعيل بن عباس ما أدري ما الثوري
وقال دهم : هو في القاميين غاية ، وغلط
عن المحدثين .

وقال أبو حاتم لين ، ما أعلم أحدا كف
عنه إلا أبو إسحق الفزاري وقال النسائي
ضميفه وقال ابن حبان : كثر الخطأ
في حديثه ، نفرج عن الاحتجاج به ، وقال
أبو صالح الفراء : قلت لأبي إسحق الفزاري
إني أريد مكة وأريد أن أمر بمحمد فأسمع
من إسماعيل بن عباس قال : فاك وجلس
لا يدري ما يخرج من رأسه ، وقال محمد
ابن الحسن (١) ما سمعت به الرحمن يحدث
عن إسماعيل بن عباس قط . وقال جبه الله

[١] أحمد بن حنبل البخاري ومسلم وعبد الرحمن بن
دعبل الحافظ ابن إبراهيم بن عمرو بن ميمون
الأبوي مولد عامه أبو سعيد الدمشقي القفاني
أحمد بن حنبل البخاري وأبي داود .

نظرات ولمحات في كتابه

للأستاذ الفزالي صرب

الرسالة الأستاذ محمد خلفه أحد وآخرين
و « بهان إيجاز القرآن » لأبي سليمان
الخطابي العالم القنوي المحدث ،
و « الصناعتين » لأبي حلال العسكري ،
الأديب القنوي ، و « إيجاز القرآن »
لقاضي أبي بكر الباقلائي ، و « تلخيص
البيان في عجازات القرآن » قدمه يفرغ
وقد حققه الأستاذ الناصر القاهر المنصالي
محمد عبد النبي حس . . ثم وافينا القرن
الخامس الهجري - وهو قرن ازدهار
البيان العربي بكتاب « مر القضاة »
لأبي محمد بن سنان الخفاحي ، و « مؤلفات
الإمام عبد القاهر الجرجاني » الذي وصفه
الدكتور طه حسين بأنه هو « الذي
رفع قواعد البيان العربي وأحكم بناءه »
بمؤلفاته الثلاثة : « دلائل الإيجاز » ،
و « الرسالة القافية » ، و « أسرار
البلاغة » .

هذا القرآن المعجز الخالد على الزمان ،
بمنه العليا ولا حيا في البلاغة والبيان ،
قد أثار وما يزال يثير من النظرات فيه ،
والمراسلات لما تيسر من وجوه إيجازه
البياني ، ما لم يثره ولن يثيره كتاب آخر
أمد الأديب .

ومن أم وأمرى هذه النظرات
والمراسلات القرآنية - على سبيل التمثيل
للمصر - والقرن الثاني الهجري (عجازات
القرآن) لأبي عبيدة معمر بن النخعي
سنة ٢١٠ هـ ، وأحسبه الأساس الأول
للمراسلات القرآنية . . ثم يطالعنا في القرن
الثالث « معاني القرآن » لفراء الإمام
النحوي الزاهد ، و (مشكل القرآن)
لابن قتيبة ، و (جامع البيان) للذهبي
بتفسير ابن جريو الطبري للنفوس في عام
٣١٠ هـ . ثم نرى في القرن الرابع (للكت
في إيجاز القرآن) لأبي الحسن الرماني ،
العالم النحوي المتكلم ، وقد حقق هذه

في علوم القرآن ، لبحر الدين الوركي ،
وقد رجع إليه واعتمد عليه أيما اعتماد
جلال الدين السيوطي في كتابه « الإبتدائ
في علوم القرآن » ، وهو من أعلام القرن
التاسع الهجري .

وفي القرن الثالث عشر الهجري يطالعنا
آخر لتفسيرات القديسة وأجمعها ، وأسمى به
« روح المعاني » للسيد محمود الألوسي
للتصوب إلى جزيرة (آلوس) في منتصف
القرنات بين العراق والشام وكانت موطن
أجداده .

ومع نور هذه المؤلفات القرآنية العريقة
قيست هذه النظرات والمصحات التي أعرضها
على القراء ، في إعجاب وإيمان بكتاب الله ،
بل في خفوع وصلاة .

وقف الأسمعي صمجا بامرأة تلعف
همرا بلينا ، فقالت له مسائلة - كما روي
الآلوسي وغيره - أنعجب من هذا ؟ أين
أنت من قوله تعالى : « وأوحينا إلى أم موسى
أن أرضعيه ، فإذا خفت عليه فألقيه في اليم
ولا تخافي ولا تحزني ، إننا نرهوه إليك
وجاهلوه من المرسلين » ؟ فهذه آية واحدة
جمعت في روعة وبلاغة وإيجاز ، بين أميين
ونبيين وبغارتين .

ثم يسعدنا القرن السادس الهجري
بتفسير الكشف للإمام الزمخشري الذي
وقد قبل وفاة عبد القاهر بأربعة أعوام
سنة ٤٦٧ هـ ، ثم توفي في عام ٥٢٨ هـ .

وفيه قال ياقوت في معجمه ما نصه (١) :
« وكان إماما في التفسير والنحو والمغة
والأدب ، واسع العلم كبير القدر ، متقنا
لعلوم شتى ، ولا كثره من التردد على
بيت الله الحرام في مكة ، عرفه بلقبه
المشهور « جار الله الزمخشري » كما يسعدنا
هذا القرن رسالة « نهاية الإيجاز في دراية
الإيجاز » لفخر الدين بن الخطيب الرازي
ويتفسير « مفاتيح الغيب » له أيضا ، وفيه
قال ابن خلكان في الجزء الأول من
« وفيات الأعيان » : « إنه جمع فيه كل
غريب ، وهو كبير جدا ومات قبل أن يتمه
فحاول إتمامه شهاب الدين بن خليل فلتوفي
سنة ٦٢٩ هـ ثم نجم الدين القموني المتوفي
سنة ٧٣٧ هـ .

ثم يأتي لنا القرن السابع بكتاب « بدیع
القرآن » لوكي الدين بن عبد العظيم الصهور
بابن أبي الأصعب المتوفي عام ٦٥٤ هـ . كما
يأتي لنا القرن الثامن بكتاب « لبرهان

في الآية الأولى ففقدوا ، بدليل قوله تعالى :
 « من إملاق » فافتضى للقيام البلاغى تقديم
 وعد الآباء للملقين ، بما يمنهم من الرزق
 أما الخطاب في الآية الثانية فوجهه إلى
 إلى الأغنياء بدليل قوله : « خفية إملاق »
 ولا يختص الإملاق إلا الأغنياء فافتضى
 للقيام البلاغى ، تقديم وعد الأبناء بالرزق
 حتى يطعنواهم وآذوا الأغنياء ، إلى أنهم
 لن يصروا إلى الفقر بعد الثراء ، في ظلال
 الإيمان عن إليه وحده للرجم وللصير
 ورقم الكثيرون من أعلام القداى
 أمام قوله تعالى : « وقيل يا أرض ابلعي
 ماءك وباحساء أقلعي ، وغيض لقاء ، وقضى
 الأمر ، واستوت على الجودي ، وقيل
 بعداً لقوم الظالمين » .

والإمام الزعفراني - الذي يكاد يكون
 امتداداً لصد القاهر الجرجاني في البسط
 والبيان الحرفي - يفسر أماءاً قثلاً (وبجىه
 إخباره عن الفعل للبنى المحمدي) وقيل :
 (قدلالة على الجلالة والكبرياء ، وعلى أن
 تلك الأمور المعظم لا تكون إلا بفعل
 قاهر قادر ، وتكوين يكون قاهر ، وأن
 قاهها قاهر واحد ، لا يشارك في أمائه ،
 فلا يذهب الهم إلى أن يقول غيره : يا أرض
 ابلعي ماءك ، وباحساء أقلعي ، ولا أن يفتضى

وفا وقف الأصمى وامرأته العربية
 الدرافة أمام هذه الآية ، وقد ان إلى الأسبغ
 في (بديع الزمان) أمام قوله تعالى بلسان
 أخوة يوسف الصديق ، في مقام الاستغراب
 من إصرار أبيهم يعقوب وإلحاحه على ذكر
 ملة كبده الغائب الحبيب يوسف مردفاً
 اسمه بين الحين والحين ، في حنان وحنين :
 « قالوا : ناه تفتأ تذكر يوسف حتى
 تكون حرساً أو تكون من الهالكين »
 ملاحظاً أن هذه الآية وهي آية دهفة
 واستغراب - قد جمعت بين الفرائد الآية :
 ناه القسم وهي أغرب أدوات القسم والفعل
 النافص (تفتأ) غير مسبوق بالنفي قطعاً
 وهو من أغرب الأفعال النافضة الدالة على
 الاحتمار - والاسم (حرساً) أي هالكا
 وهو من أغرب الأسماء الدالة على الهلاك .
 ووقف صاحب (بديع القرآن) أيضاً أمام
 آيتين ، غير بينهما للقرآن الكريم في
 إسناد بعض الضائر فيهما وإن أنفقتا في
 المعنى وأغنى بهما : قوله سبحانه :
 « ولا تقتلوا أولادكم من إملاق ، نحن
 نرزقكم وإياهم » وقوله تعالى : « ولا تقتلوا
 أولادكم خفية إملاق ، نحن نرزقهم
 وإياكم » ، وفي تعليل هذه الغاية المنطقية
 بين الآيتين ، قال ما خلاصته : إن الخطاب

١ - المناجبة التامة بين « ألقى » ،
و « ابلسى » .

٢ - والمطابقة اللفظية بين السماء
والأرض .

٣ - وإيجاز الحذف في (يا سماء) بمعنى
(يا مطر السماء) .

٤ - والكناية بالإشارة إلى انقطاع
ماء الأرض من النبع وانقطاع ماء السماء .

٥ - والكناية بالتمثيل في قوله :
« وقضى الأمر » من هلاك الهالكين ،
ونجاة الناجين .

٦ - والإدراج الذي يوحى باستقرار
السفينة وطمأنينة ركابها الناجين في قوله :
« واستوت على الجودي » .

٧ - والاحتراس في قوله : « وقيل
بمداً تقوم الظالمين » .

٨ - والتمكين الذي به كانت الفاصلة
مستقرة في قرارها ، مطمئة في مكانها .

٩ - والانسجام في تحدير الكلام
بسهولة وعذوبة .

وأما آية الحج المشهورة « والله على الناس
حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن
الله غني عن العالمين » وقف الإمام الزمخشري

على هذه الأسماء المائل غير « ولا أن نستوي
للسفينة على متن الجودي » وتستقر عليه
إلا بتسويته وإقراره ، ولما ذكرنا من
لحماني والنسكت ، احتفصح علماء البيان
هذه الآية ، ورفضوا لها رموسهم ،
لشجائس الكعشين وما قوله : « ابلسى »
و « ألقى » وذلك وإن كانت لا تخل
الكلام من حسن ، فهو كثير للثقت
إليه بإراء تلك المحاسن التي هي القلب
وما عداها قشور » .

وأبو يعقوب السكاكي في كتابه (مفتاح
العلوم) يقول : إن هذه الآية (ألقاها
تساق معانيها ، ومعانيها تساق ألقاها ،
فإن لفظة في تركيب الآية ونظمها تسبق
أذلك ، إلا ومضاهها أسبق إلى قلبك ،
وألقاها - على ما زعم - عربية مستعملة
جارية على قوانين الفقه حليلة من التنافر .
كل منها كالماء في الحلاصة ، وكالمثل في
الحلاوة ، والنص في الرقة) .

وابن أبي الأسع في (بدیع القرآن)
قال : إن هذه الآية هي لا تزيد عن سبع
عشرة كلمة ، بلغ حسن نظمها العرجة العليا ،
وانتظمت مشربن لونا من ألوان البلاغة ،
وأهمها :

فوقهم صافات ويقبضن « متعاضداً عن السر في التعبير بالوصف في (صافات) والمضارع في (يقبضن) ثم عجيباً بقوله : لأن الأصل في الطير أن هو صف الأجنة ، لأن الطير لا في الهواء كالسباحة في الماء ، والأصل في السباحة ضد الأطراف وبسطها ، أما القبض فطاري على البسط للاستظهار به على التحرك فجئ به بما هو طاري غير أصل بلفظ الفعل على معنى أنها صافات ، ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من الساج .

ووقف الزمخشرى أيضاً أمام آية من سورة «الحجرات» : « ولا ينتب بمعضكم بعضاً ، يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه » ، قال : لأن هذه الآية تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفطع وجه وأخفه وفي مبالغات ، هي منها :

- (١) الاحتشام الذي معناه الإسكار .
- (٢) ومنها جملة ما هم في الغاية من الكراهة موصولاً بالحب .
- (٣) ومنها إثناء الفعل إلى أحدكم .
- (٤) ومنها الإشمار بأن أحداً من الآخرين لا يجب ذلك .
- (٥) ومنها أنه لم يقتصر على تمثيل

أيضاً وهو يقول في هذا الكلام أنواع من التوكيد والتشديد :

١ - منها قوله تعالى : « وله على الناس حج البيت » يعني أنه حق واجب في رقاب الناس ، لا ينفكون عن أدائه والمخرج من هديته .

٢ - ومنها أنه ذكر (الناس) ثم أبدل منه « مواسطعاً إليه سبيلاً » وفيه ضربان من التوكيد . أحدهما أن الإبدال تنبيه وتكرير ، والثاني أن الإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال ، إيراد له في صورتين مختلفتين .

٣ - ومنها قوله : « ومن كفر » مكان (ومن لم يحج) (تعليقاً على تارك الحج) .

٤ - ومنها ذكر الاحتشام عنه وذلك مما يدل على اللزوم والسخط والغفلة .

٥ - ومنها قوله : « من العالمين » ولم يقل (عنه) وما فيه من الدلالة على الاحتشام عنه ببرهانه ، لأنه إذا احتشأ عن العالمين تناوله الاحتشام لأجماعه ، ولأنه يدل على الاحتشام الكامل ، فكان أدل على عدم السخط الذي وقع عبارة عنه : « كما وقف (جاراؤه) - بل الله تراء - أمام قوله سبحانه : « أولم يروا إلى الطير

تنتفون ؟ فذلکم اللہ ربکم الحق ، فإذا بعد الحق إلا للضلال ؟ فأنت تعرفون ؟ .

وإذا كانت هذه الآية الكريمة ، قد أنت بفعلين مضارعين متواليين في قوله : « يخرج الحق من القلب » ، ويخرج الحق من القلب ، فإن الآية الأخرى من سورة الأنعام ، قد أنت في التعبير عن هذا المعنى نفسه باسم الفاعل وهو « يخرج » — بعد مضارعه — وهو « يخرج » — فائدة : « إن الله فاعل الحب والندوى » يخرج الحق من القلب ، ويخرج الحق من القلب .

لخصا فإذ كانت هذه المقابلة في التفسير . أجاب عن ذلك صاحب « بديع القرآن » بما خلاصته أن مجيء اسم الفاعل في سورة « الأنعام » — وما جاء في غيرها في هذا المقام — هو للأنام لسياق الكلام الذي يقتضيه في هذه الآية من هذه الصورة ، مجاورة اسم الفاعل « يخرج » لنظيره اسم الفاعل « فاعل الحب » ومعلوم أن اسم الفاعل المضاف يدل على الفاعل ، وانتم على المضارع يدل على الحال والاستقبال دون الفاعل ، وهذه الآية معروفة لمتصفح بالقدرة الربانية المطلقة ، واسم الفاعل هنا أنوب

الافتيات بأكل لحم الإنسان حتى جعل الإنسان أكلًا .

(٦) ومنها أنه لم يقتصر على أكل لحم الأخ حتى جعله ميتًا . .

وفي مقام إثبات التوحيد عز وجل — وهو جوهر الإسلام ولبابه — تبدأ الآيات القرآنية الكريمة الآتية : بمرضى وهوى الشرك ، ثم تعقب عليها بأبلغ وأروع وأكثر أساليب يوحى بالخطم في كل كلمة من كلماته المشعة المنفجرة : « إذا » ، « يتفطرون » ، « تنشق » ، « تنخر » ، « هذا » ، « وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا » ، لقد جئتم شيئًا إدا ، تكاد السموات يتفطرن منه ، وتنشق الأرض ، وتخر الجبال هذا ، أن دعوا الرحمن ولدًا . . .

وفي سبيل القضاء المبرم على هذه الدعوى الاحتراكية الخطيرة ، يأتي القرآن الكريم — فيما يأتي — بآيتين اثنتين ، تفيضان بشانية أساليب استهامية متوالية جمعت بين التنكير للزم ، والإنكار للفهم ، « قل : من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ؟ ومن يخرج الحق من القلب ؟ ويخرج الحق من القلب ؟ ومن يدبر الأمر ؟ فسيقولون : الله ، فقل : أفلا

يمبر من هذا المعنى باسم الظلم من حيث كان تمر تلك الجنة التي هي البستان ، كالمستنق لملكها ، فإذا أخف حقه على كماله ونعمائه حسن يقال : أنها لم تظلم منه شيئا ، أي لم تمنع منه مستحقا ، فتكرد في حكم الظالم إذا أضرت بملكها في نقصان زرعها ، واختلاف ثمارها ، وما يقوى ذلك ، قوله سبحانه : « آتت أكلها » فلما جاء بلفظ « الإيتاء » والإعطاء ، حسن أن يجيء بلفظ الظلم ومعناه هنا للبع ، فكأنه تعالى قال : « أعطت ما استحق عليها ولم تمنع منه شيئا » .

ولم يفت علماؤنا القدامى في دراستهم القرآنية ، أن يمرضوا ما تيسر من نماذج الموازنة بين كلمة وكلمة ، أو بين جملة وجملة . في سياق كلام الله . وسياق كلام البعثر نقرأ أو شعراً — وقد لائل الأمل — :
١ — فضياء الدين بن الأثير ، في الجزء الأول من « المثل السائر » ، وازن بين كلمة « يؤذى » في قول المتن :

تلذه المروعة وهي تؤذى

ومن يصدق بكذا فيفسد

وبين هذه الكلمة نفسها في قوله تعالى :

« فإذا طعتم فانتقموا ولا تستأسفوا »

من المضارع ، وأدرك على المعنى المطلق القديم للصورة الربانية ... ١١١

وفي ظلال المراجعة لثل هذه الملائمة بين الكلمات في الآيات القرآنية ، قال الشريف الرضي في عرض الصورة البلاغية في آية صورة « البقرة » : « أولئك الذين اشترؤا الضلالة بالهدى ، فاراحت نجايرهم وما كانوا مهتدين » : « المعنى أنهم استبدلوا الهدى بالرشاد ، والكفر بالإيمان ، ففسدت صفقتهم ، ولم ترج نجايرهم ، وإنما أطلق سبحانه على أعمالهم اسم التجارة لما جاء في أول الكلام بلفظ « اشترؤا » تأليفا لجواهر النظام ، وملاحظة بين أعضاء الكلام » (١) .

كما قال أيضا في عرض الصورة البلاغية بقوله تعالى : « كلنا الجنين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا » : (« ظلم هنا ليس على أصله في اللغة ، ولا على عرصة في الشريعة ، لأنه في اللغة اسم لوضع الشيء في غير موضعه ، وفي الشريعة ، اسم لضرر المفعول ») ولما قال بقوله تعالى هنا : « ولم تظلم منه شيئا » أي لم تمنع منه شيئا ، وإنما حسن أن

[١] انظر « تلخيص البيان في مجازات الله »

لشريف الرضي ص ١١٤

كما انتهت موازنة الرماني^(١) وأبي هلال
المسكري بينهما إلى أن الآية القرآنية
المحمزة : (١) أكثر فائدة .

(٢) وأدجزلفظا . (٣) وأسلم من التكرار .
(٤) وأحسن تأليفا وبيانا ١٠٠٠

وعفوا ومحفرة بإرب العالمين ، فاجمنا
فهذا المقال بين ما تيسر من كلام الله ،
ثم ما تيسر من كلام البشر ، إلا ونحن
نردد مع الإمام أبي بكر الباقلي المتوفى
عام ٤٠٤ هـ في كتابه « إيجاز القرآن »
قوله ما نصه : (انظر بسكون طائر ،
وخفض جناح ، وتفرغ لب ، وحجم عقل
في ذلك ، فسيقع لك الفصل بين كلام الناس
وكلام رب العالمين) ، « لا يستويان مثلا » .

ولا يستوى وحى من الله منزل
وقافية في العالمين سرود
وما أصدق وحى السماء ، في سورة
الإسراء :

« قل لئن اجتمعت الإنس والجن على
أن يأبوا بعث هذا القرآن لا يأبؤن بعثه
ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

القرآني عرب

لحديث ، إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي
منكم والله لا يستحي من الحق . .

كما وازن بين مورد كلمة « القمل »
في قول القرطبي :

من مرة احتجرت كليب عنده
زربا كأنهم لديه القمل
وبين مورد هذه الكلمة نفسها ، في
قوله تعالى :

« فأرحمنا عليهم الطوفان والجراد والقمل
والضفادع والهم آيات مفصلات » .

٢ — وأبو الحسن الرماني المتوفى سنة
٤٢٨٩ هـ في كتابه (النكت في إيجاز القرآن)
وازن بين المزاوجة في قول عمرو بن كلثوم
للشاعر الجاهلي :

ألا لا يجهان أحد علينا
فنجعل فوق جبهل الجاهلينا
وبين المزاوجة في الآيتين الكريميتين :
« ومكروا ومكر الله والله خير للأكربين »
« يخادعون الله وهو خادعهم » .

٣ — وابن سنال الحفاجي في (سر
القصاحة) وازن بين لثلث العري للدهور :
(القتل أنى للقتل) والآية القرآنية للكرامة
« ولستم في الفساص حياة » فأنتهت موازنته

[١] انظر : النكت في إيجاز القرآن . الرماني
ص ٧ وما بعدها ، ثم : الصاعين : المسكري ص ١٦٨

باب الفتوى

يقدمه الأستاذ : محمد أبو شادي

[الإجابة للجنة الفتوى بالأزهر]

- ١ - من السيد / محمد علي السيد :
- (١) إذا قبل الرجل امرأته وهو صائم وهو صائم في رمضان فأرسل من غير طهر أو لمساها أو لمس امرأة أخرى يحمل له نكاحها فهل يفسد ذلك صومه؟
- (٢) طلق الرجل زوجته وهو صائم فأزله بدون طهر فهل يفسد صومه؟
- (٣) إذا وطئ الرجل امرأته ثم نزع قبل أن ينزل فهل يجب عليه الغسل أو يجب عليه الوضوء فقط؟
- (٤) إذا كذب الرجل وهو صائم فهل يفسد صومه؟ والرجوع الإجابة على مذهب الإمام أبي حنيفة :

ومن الثاني : أنه إذا طلق الرجل زوجته وهو صائم في رمضان فأرسل من غير طهر ففسد صومه ووجب عليه قضاء هذا اليوم.

ومن الثالث : أنه إذا وطئ زوجته ثم نزع قبل أن ينزل، وجب عليه الغسل للمرأة عليه الصلاة والسلام : (إذا التقي الختانان فقد وجب الغسل)

ومن الرابع : أن الكذب حرام في رمضان وفي غيره ولكنه لا يفسد الصوم وإنما ينقص الثواب .

- ٢ - ورد السؤال الآتي من البحرين :
- إلى موسم النوس على الأول في البحرين سيمتد شهر رمضان هذا العام وسيقتل كدلك حوالي عشرين عاما آخر فبا يفسد وإن المال يخرجون من العمر إلى الخصاصات في رمضان ظنا منهم أن السفر في هذا الشهر تعرض منهم الإفطار وأنه معصية لا يجوز
- الجواب عن الأول : إن تقبيل الزوجة أو لمسها وهو صائم لا يفسد الصوم ومن الوجود ترك ذلك ، لأن من قام حول الحلي يوشك أن يقع فيه وإن لمس المرأة الأجنبية وهو صائم لا يفسد الصوم كدلك ولكنه حرام في رمضان وفي غيره ، وفي رمضان تكون الحرمة أشد .

من يوم الجمعة فاسموا الى ذكر الله وغفروا
اليسم ذلكم غير لكم ان كنتم تعلمون
فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض
واذكروا فضل الله واذكروا الله كثيراً
لكم تفلحون .

وفرض عليهم الصوم شهراً كاملاً من
كل عام ، ومن شأن هذا الزمن للمتن
للتصل أن يؤثر في جهود الإنسان للماعية
لو انقطع الصوم فيه دولي أن يزول دلائل
منه لتحصيل رزقه ، فلهذا لم يمنع في الصيام
ما منع منه في الصلاة من الاحتفال بالأعمال
والسعي في سبيل الرزق ، ولما كان ذلك
قد يستدعي أعماراً تجتمع ههنا إلى
مشقة الصوم والحمل رخص الله رخصة بمبادء
للمسافرين في الإفطار على أن يصوموا عدة
ما أفطروا من أيام آخر .

قال الله تعالى : « فمن شهد منكم الشهر
فليصمه ، ومن كان مريضاً أو على سفر
فعدة من أيام آخر » .

والسفر يعمل سفر الطاعة كالطج والجهاد
والسفر للباح كالسفر فتجارة والكسب
ونحوهما مما تعود مناقبه إلى المرء في نفسه
أو ولده أو وطنه ، لم يخالف في ذلك أحد
من الفقهاء بل اتفقوا عليه وأخذوا منه
أن المرء أن يسافر في أثناء رمضان وأن

التمرض لها وأن الغائص لا سفر له من
ملازمة الماء .

فهل يجوز فئاس السفر إلى الغرض
أثناء رمضان مع الإفطار وقضاء الأيام التي
يفطرونها من أيام آخر ، وهل للفطس
في قضاء موجب للإفطار ؟

الجواب : قال الله تعالى : « وهو الذي
سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً
وتسخرجوا منه حلية تلبسونها وترى
الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله
ولعلكم تفكرون » ، وقال جل شأنه :
« هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا
في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » .

هاتين الآيتين ونحوهما حث الله عبده
على الانتفاع بما سخر لهم في البر والبحر
وعلى مواصلة السعي في تحصيل الأرزاق
وتتمتع بما خلق الله لهم من نعمه ، ولم يراه
هذا كلف الله عباده أن يقوموا بما فرضه
عليهم من عبادات تهذيباً لنفوسهم وضبطاً
لشهوراتهم وتقريباً لهم من حظيرة قدسه .

فرض عليهم الصلاة وطلب منهم الكف
عما يتنافى في وقت أدائها لأن طبيعتها
تأني الاشتغال بغيرها ولأنها لا تستنفذ من
الإنسان وقتاً طويلاً قد يؤثر عليه في تحصيل
رزقه . والنظر في تدبير أمور معاشه :
« يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة

الجواب :

إذا كان الصيام يزيد في مرض هذا السائل أو يؤخر برأه منه حازه أن يفطر وعليه قضاء ما أفطره من الأيام بعد زوال هذا الضرر.

وإذا لم يرج شفاؤه من هذا المرض وأخبره طبيب موثوق به أنه ما دام هذا المرض به وأن الصوم يزيد كاله الفطر حينئذ مع القدي كالشيخ الفاني الذي فنيته قوته وضعفت من تحمل الصوم مع اليأس من عودة قوته إليه .

والقدي أن يطعم من كل يوم واحدا من الفقراء فيعطيه نصف قدح من الحبوب المطبوعة كالقمح والأرز أو يعطيه من هذا القدر أو يطعمه غذاء وعشاء مفيد من طعامه المتوسط .

٤ - السؤال :

أبلغ من العمر ٥٠ عاما تقريبا وقد مرضت بعيني سنة ١٩٢٩ مرضا خطيرا وبعد العلاج الذي كلفني الكثير شفيت والله الحمد ومن وقتها وأنا استعمل يوميا باستمرار دواء ما أستنفقه علولا بالمال أو بالحق كالغيرة ولا تخفى عنه إطلاقا وإذا حصل

يترخس بالفطر في سفر ، وإنما اختلفوا في أي الأمرين أفضل للمسافر ، الصوم أم الفطر ، والخلاف في الأفضلية لا يؤثر في أصل المفروعية ويبين من هذا :

(١) أن السفر لا كسب العيب بالقرص أو غيره - مما يباح - جائز اتفاقا في أيام رمضان كما هو جائز في غيره من أيام السنة .
(٢) وأن للمسافر في أثناءه ومضاه أن يترخس بالفطر ثم يقضى ما أفطر إذا أدرك أياما آخر أما من مات دون أن يدرك أياما آخر فلا إثم عليه . والماء الذي يصل إلى الجسم من طريق المسام التي في الجلد لا يفسد الصوم بإجماع الفقهاء وإنما ينسده ما يصل إلى الجوف من الماء في المعتادة والله أعلم .

٣ - السؤال :

مصاب بالدهوسلتاريا حرمنا : أثبتت عدة تحليلات وجودها والطب يؤكد عدم زوالها واستحالة شفاؤها ، ويعاودني الإسهال منها في فترات قريبة مما يلجج عنه شعني وإحياك أعصابي .

ولما كان الصيام يزيد من حالة شعني ولم أنصه على الإفطار من حدة شعني ، فهل يجوز صيامي وأنا مصاب بهذا المرض أم لا ؟

فهل يجوز دفع زكاة الفطر لهم ؟ وهل يجوز جمع أموال الزكاة عن طريق لجنة معونة الغناء لتتولى بنفسها صرفها لهم ، وطلب الإجابة على هذا الاستفتاء ليعلم للعصب حكم الشرع في هذه المسألة .

الجواب : الظاهر من حال هؤلاء المهجرين من أبناء سيناء واقترال أنهم في حاجة إلى المال بوصفهم فقراء ومساكين ومن كان منهم ذال مال وقد حبل بينه وبين ماله واقطع به السبيل فونه أو كاد بحيث لم يمه ينتفع به الانتفاع الذي يفنيه فهم بذلك من مصادف الزكاة الذين ذكره الله في القرآن الكريم وإما الصدقات لفقره والمساكين والمساكين عليها والمؤلفة فلههم وفي الرقاب والمسلمين وفي سبيل الله وابن السبيل .

وحيث إن الحكومة شكلت لجنة لجمع معونة الغناء ويراد تكليفها من الجهات المسئولة بجمع الزكاة لتتولى صرفها على هؤلاء فلا مانع من إعطاء الزكاة هذه اللجنة لتتولى صرفها على المستحقين منهم ونمراً بذلك ذمة المزكي أما فيما يخص بأفضلية الصرف لهؤلاء فذلك يرجع إلى تقدير حاجتهم مع غيرهم فإن كانوا أشد حاجة كانوا أولى بها من غيرهم ؟

أبو شادي

وسهوت عن استمهائه فقد أصاب بمسهاه يألم في الرأس وفي العينين لا يمكنني احتياجه ، وأتعالج منه في كل يوم مرة أو مرتين في الصباح وكذلك في المساء وأحياناً وسط النهار ، والآن وقد حل شهر رمضان المبارك ولا غنى لي من الصوم ولا بد من تأدية الصوم بأمر الله فهل أتناوله هذا الدواء في شهر رمضان علماً بأنه حال استمهائه لم يتسرب منه شيء للعدة أبداً .

الجواب : تعالى الدواء بالماء أو بطريق إن الاستنشاق كما يؤخذ النفوق المعروف فطر ومبطل للصوم وعلى ذلك فهذا المريض إذا علم أنه يحدث له مرض اعتاده على التجربة أو على إخبار الطبيب الحاذق العدل لترك هذا الدواء في هذه الحالة له أن يفطر ويجب عليه القضاء في أي وقت يتيسر له القضاء فيه .

« رأى الإسلام في صرف الزكاة للمهاجرين :

ورد إلى لجنة الفتوى بالأزهر الاستفتاء الآتي : هاجر أبناء سيناء والقناة إلى كافة أرجاء الجمهورية تاركين وراءهم أموالهم وبيوتهم وأعمالهم وذلك نتيجة لغارات العدو عليهم وهؤلاء حرموا من أموالهم وأعمالهم وسبل أرزاقهم التي كانت مكفولة لهم من قبل وأصبحوا في حاجة إلى المساعدة من جميع المواطنين خلاوة على المساعدات التي تصرفها لهم الدولة .

انبثاء وآراء

● وقية الإمام الأكبر إلى السيد رئيس الجمهورية :

أروق فضيلة الإمام الأكبر دكتور محمد الفحام شيخ الأزهر إلى السيد رئيس الجمهورية قائلا :

« في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ أممتنا وقد منحكم الشعب ثقته الغالية بانتخابكم رئيسا للجمهورية، وبايكم خليفة الزعيم الراحل المفطور له الرئيس جمال عبدالناصر على طريق الله اه لتحقيق النصر وآمال مابعد النصر بأذن الله يسعدني أن أبث لسيادتكم من رحاب الأزهر الشريف حصن الإسلام وملاذ الأحرار - بأحاسن التهانى ضاربا إلى الله - سبحانه - أد يمتنكم عونه وتأييده ، وأن يكتب لقيادتكم للثمنة التوفيق والمهاد لما فيه خير الإسلام وعزة العرب ، وبحمل أياكم حيرا وبنا ويمحق بكم النصر لأننا في مركزها المصرية ضد أعداء الله وأعداء الإنسانية فسيروا - على بركة الله - والله معكم ، ولينصرن الله من ينصره إن الله قوي عزيز . »

● نصفية آثار المدوا والاهتمام بها في المؤتمر الاسلامى بطهقند .

تلقى فضيلة الإمام الأكبر وقية من سماحة الشيخ ضياء الدين بابا خاوف رئيس المؤتمر الإسلامى الذى عقد بطهقند - تقيد أن المؤتمر دعا المسلمين إلى بذل جهدهم ومواقفهم من أجل نصفية آثار المدوا والإمبراطور على الدول العربية .

● نصحيح عنوان كتاب

قال فضيلة الشيخ « محمد بن أحمد بن : إن عنوان كتاب الإمام عز الدين أبى الحسن على بن محمد البزرى المعروف بابن الأنهر الذى أعده فى تراجم صحابة رسول الله ﷺ « أسد الغابة » بفتح الهمز والسين .

وهذا التصحيح لفضيلة الشيخ أحمد بن - الأستاذ بكلية أصول الدين جامعة الأزهر - نقله عز أستاذة الإمام : محمد حبيب الله ابن مايا بن الحكيم الفنقيلى الإمام الغوى المحدث المعروف . والمقصود به « أسد الغابة » أن يكون علما على الكتاب نفسه باعتباره أهم الكتب التى ترجمت للصحابة

● درامات عليا بكلية الإدارة والمعاملات .

تم تدويل مناهج الدراسة في كلية الإدارة والمعاملات بجامعة الأزهر بحيث يمكن مواصلة الدراسات العليا التخصصية بها في مختلف الشعب .

● مصطلحات بتولية .

تتم نفوة دراسة المصطلحات العلمية بدمق بدراسة المصطلحات المستخدمة في البترول .

رشح مجمع اللغة العربية في القاهرة دكتور إبراهيم مدكور لتمثيله في الندوة .

● أرياء الطالبات بليبيا .

وجهت وزارة التربية والإرهاة القوي في ليبيا بيانا إلى مديرات المدارس والمدارس والطالبات تطالبن - جميعا - بضرورة ارتداء الأرياء المحتفمة تمسكا بعباءة الدين .
علي القليب

وليس « امتعارة » لهم رضوان الله عليهم وقد قام فضيلته بتعيينه « دار الشعب » إلى هذا التصحيح .

● مضار التدخين .

جاء في تقرير سنوي لمير « جورج حوهر » مدير الإدارة الطبية في بريطانيا أن التدخين يتسبب في وفاة مائة ألف شخص سنويا في بريطانيا .

● افتتاح معهد قنا .

افتتح السيد السيد فخري عبد النبي محافظ قنا - نائب عن السيد الدكتور وزير الأوقاف وعضو الأزهر معهد قنا الأزهرى الذى تبدأ الدراسة به هذا العام .

● تعيينات بجامعة الأزهر

رشدت جامعة الأزهر ٢١٢ معيدا للعمل إكلياتها . يتم تعيينهم خلال أسبوعين :
خمس كلية الإدارة والمعاملات ٢٠ ، والطب ٥٤ ، وكلية البنات الإسلامية ٤٠ ، والهندسة ١٨ والزراعة ٢١ ، والعلوم ٣١ والفيزياء ١٨ وأصول الدين ١٠ .

From then on, Bornean influence in the political life of the Archipelago become for all practical purposes nil. Significant in this stage is that the Sulus were allies of the people of Borneo. As is well known, the royal families of both peoples were relatives.

The second stage covering about two decades, is characterized by the attempts of the Spaniards, now flushed by their victories over the Brunians, to establish a colony in Mindanao, reduce the rulers of Sulu, Maguindanao, and Buayan into vassalage, prohibit these rulers to admit Muslim preachers, and persuade them to accept Christian missionaries. In the conflicts that followed, the designated Governor for Mindanao was slain in 1596. Significant in this phase was that Ternatan naval and military aid contributed to the Spanish failure to colonize and Christianize Mindanao at this time.

The third stage covering the first few years of the seventeenth century witnessed the contest between the Spaniards in the Philippines and alliance between the people of Maguindanao and Buayan for the control of the Visayas. In brief, the question was to whom were the people of the Visayas, principally

the eastern part, going to pay tribute : to the Spaniards or to the Maguindanaos. Capturing other natives and enslaving them was resorted to not only to weaken Spanish allies but to make them row their boats and strengthen the Muslim war machine. In this phase, there was Iranun and Ternatan support for the Maguindanao sultan. This contest was however decided in Spain's favor after her conquest of the Moluccas in 1606. With the cutting off of Ternatan aid and the nearby presence of a powerful Spanish fleet, the Muslim rulers were led to sue for peace. Assured of Spanish protection, Visayan datus would become further committed to Spanish rule.

In the fourth phase there is an acceleration in Spanish imperialistic expansion. A new factor had also entered into the picture — the Dutch. The Muslims profit from the clash between Spanish and Dutch interests by receiving aid from the latter; but they had no inclination to prefer the rule of one to the other. The Spaniards now decide to conquer the sultanates. For their allies they get the people they previously conquered in the Philippines — thus the radio was made to fight the moro for the glory of Spain and Christianity.

in the Philippines, realizing that this meant they would become vassals of a foreign king and eventually lose their Faith and freedom as an independent people, counteracted the threat by greater loyalty to their sultans and datus, a greater respect for their panditas, an intensification of their Islamic consciousness, and determined efforts to resist the military incursions of the enemy in their lands. Thus was patriotism and Islam welded into a force to preserve a long enjoyed freedom.

It was the confrontation between the Spaniards and the Muslims in the Philippines that brought about the so-called Moro Wars — a series of bitter wars of attrition that extended for more than three centuries. It was the nature of these which, in leaving some ineradicable marks on the Muslims, have made the Philippine Muslim what he is today. They helped to define his attitudes and relations to all foreigners as well as to other Filipinos in Muslim lands in neighboring islands in the Archipelago.

The premises of Spanish historians and friar chroniclers that the so-called Moro Wars were wars primarily waged by the Spaniards to curb piratical incursions of Muslim sultans and their followers is not only

a too facile explanation for the facts but were actually rationalization for the conquest, colonization, and Christianization of the Muslims. The alternative view that all the wars were purely defensive wars on the part of the Muslims is too general and needs to be qualified in terms of other events in a given historical stage. I therefore propose a system of periodization to understand these wars by dividing them into six phases. Clearly, the number of phases is conventional but it can make the different historical facts more significant and intelligible. The most that can be presented to you here will be an extremely brief and simplified outline of these phases or stages. Actually, some of these phases can be elaborated into a chapter or even a book. I have personally worked on them to this extent.

The first stage represents a struggle between Spain and Brunei for political and commercial primacy in the Philippine Archipelago. In this contest not only was Spain able to secure a foothold in the Philippines but she succeeded in destroying the Manila settlement and fort that was ruled by a Bornean aristocracy and in eliminating Bornean traders from the Visayan and northern Mindanao. This stage ends with the Spanish attack on Brunei in 1578.

institutions. This is not to reject the contribution of their economic bases — principally commercial and agricultural to some extent. But such commercial relations were made possible and intensified by means of the international trade whose major participants were Muslims. The cohesive character of the Muslim principalities in the Philippines as well as the Islamic consciousness which progressive and intensified among the people, are two of the principal reasons why unlike in the other parts in the Philippines, the Spaniards found the most difficult to subjugate the Muslims in the Philippines. This requires some explanation.

When Islam came to Malay lands it did not transform any of them into a colony. All the principalities or kingdoms that became Muslim were ruled, or come to be ruled eventually, by local families and dynasties. But the coming of Western powers to Southeast Asia in the sixteenth century brought a new factor — the introduction of Christianity and the transformation of some areas into colonies subject to a country far away in Europe. It is thus understandable why the fall of Malacca to the Portuguese in 1511 brought about a strong reaction against Europeans among the Malay peoples. The coming of the Portu-

guese with the sword and the Cross provoked not only strong resistance against them on the part of dajus but inspired the latter to intensify Islamic proselytizing among uncommitted peoples in Java, Borneo, the Moluccas, and other nearby islands. At this time, the outstanding Muslim teachers and preachers were fellow Malays, principally Javanese.

Islam therefore began to serve as a form of ideology accompanying patriotism as a force to fight back Christianity and colonialism. Speaking of this conflict in Malay lands, the Dutch scholar Beltram Schrieke wrote: "Two irreconcilable, envious powers, medieval Christianity and Islam, stood thus face to face, one just as exclusive in its attitude as the other." Also "From the conquest of Malacca in 1511 onwards, one finds the Portuguese including the Indonesian archipelago in their struggle against Islam and Islamic trade. Their conquests were accompanied by vigorous missionary activities, and these stirred their Muslim opponents to action in their turn." So did Makassar utilize Islamic propaganda in its conflict with the Dutch. In the case of the Philippines, a similar thing happened. It is evident that Spain came to the Philippines to extend the domain of the Spanish King as well as to introduce Christianity. The Muslims

THE MUSLIMS IN THE PHILIPPINES

A HISTORICAL PERSPECTIVE

By : CESAR ADIB MAJUL

— III —

This very sense of community, too, makes his heart swell with pride when a fellow Muslim becomes, let us say, a member of the International Court of Justice at the Hague or a great boxer. It is this community feeling that leads Yugoslavian or Tunisian Muslims to crowd around a visiting Filipino Muslim to shower him with detailed and even intimate questions. Since this is the case, it would be folly to underestimate the community feeling or sense of Islamic solidarity that a Maranao in the Philippines would normally have towards a Filipino Samal or Yakan.

In the light of this fact the oft repeated traditional notion that Islam was brought to Malay lands by seven Arab brothers and that the first sultans of Brunei, Sulu, Magaladanao, Ternate, and Makassar were brothers becomes significant. Although this notion is chronically absurd, it is, in effect, a Lythological or symbolic technique to emphasize the point that the Islamization of the above mentioned places was

the result of one intimately connected process. Moreover, it suggests that the legitimacy for political rule among the ruling families of the above sultanates were all functions of one another and that all their followers constituted, in spite of possible power conflicts, one community which was in reality part of a wider community — the Islamic community.

When Legazpi came to the Philippines in 1565 to colonize and Christianize it, there were already at least three Muslim principalities in the south of the Philippines. Relative to the other settlements in the Archipelago that were widely scattered and whose political institutions were very very simple, the Muslim principalities were relatively well organized, covering extensive lands or various islands and having diplomatic and commercial relations with neighboring sultanates. It is difficult to deny the idea that what contributed to the cohesion of the Muslim principalities were principally Islamic political and social

a place or a state of things? That should not interest us either; a Muslim believes in them, without asking: "how"?

154 — It goes without saying that Paradise will be eternal: once meriting it, there would be no question of being ejected from it. The Quran assures (15/48): "Pain will not touch them, and there is no expulsion from it." Some would enter it forthwith, others would suffer longer or shorter periods of detention in Hell, before meriting Paradise. But the question is whether Hell is eternal for the unbelievers? The opinions of the Muslim Theologians have differed on the point although a great majority of them affirm, on the basis of Qur'anic verses (4/48, 4/116) that God may pardon every sin and every crime except disbelief in God, and that the punishment that would be meted out for this last sin would be eternal. Others opine that even the punishment of disbelief may one day terminate by the grace of God.

These theologians deduce their opinions, also from certain verses of the Quran (11/107, 39/35 etc.). We need not pursue further this discussion here, but hope God's unlimited mercy.

PREDESTINATION AND FREE-WILL

155 — In his exposité, the Prophet Muhammad has lastly demanded the belief that the determination (qadr) of all good and evil is from God. Does this phrase signify that everything is predestined for man, or does the statement merely imply that the qualification of good and evil in a given act depends on God? In other words, nothing is good or evil in itself, but it is so only because God has declared it to be such; and man has to do nothing but observe it.

156 — Here is in fact a dilemma for the theologian. If we declare that man is responsible for his acts. Similarly, if we declare that man is free in his acts, this would imply that God has neither power over nor the knowledge of what man is going to do in his worldly life. The two alternatives create an embarrassment. One would like to attribute to God not only justice, but also omnipotence and omniscience. The Prophet Muhammad ridicules this discussion, which will ever remain inconclusive; and he has formally ordered his adherents not to engage in it, adding: "people before you have been led astray by this discussion."

that, after Paradise there would be the vision of God, ultimate reward of the pious. As far as Paradise is concerned, an oft-quoted utterance of the Prophet Muhammad is: "God says: I have prepared for My pious slaves (men) things in Paradise the like of which no eye has ever seen, nor ear ever heard, nor even human heart (mind) ever thought, of." As to what is beyond Paradise, Bukhari, Muslim, Tirmidhi and other great sources record an important saying of the Prophet: "When the people meriting Paradise will have entered it, God will tell them: "Ask Me what else can I add to you?" People will wonder, having been honoured, given Paradise and saved from Hell, and will not know what to ask. Thereupon God will remove the veil, and nothing would be lovelier than gazing the Lord," (in another version, instead of 'veil'; 'hijab' 'the garb of grandeur' Rida-al-Kibriya is used.)

In other words, the opportunity of contemplating God would be the highest and the real reward of the Believer, this for those who are capable of understanding and appreciating the abstract notion of the other World. It is in the light of this authoritative interpretation that one should read what the Qur'an and the Hadith unceasingly describe for the common man with regard

to the joys of Paradise and the horrors of the Hell in terms which remind us of our surroundings in this world: there are gardens and rivers in Paradise, there are young and beautiful girls, there are carpets and luxuriant garments, pearls, precious stones, fruits, wine, and all that man would desire. Similarly, in hell there is fire, there are serpents, boiling water and other tortures, there are parts extremely cold; and in spite of these sufferings, there will be no death to get rid of. All this is easily explained when one thinks of the vast majority of men, of the common masses, to whom the Divine message is addressed. It is necessary to speak to every one according to his capacity of understanding and of intelligence. One day, when the Prophet Muhammad was speaking to a company of the faithful about Paradise and its pleasure (including its flying horses), a Bedouin rose and put the question: "Will there be camels also?" The Prophet smiled and gently replied: "There will be everything that one would desire." (Ibn Hanbal and Tirmidhi). The Qur'an speaks of Paradise and Hell simply as a means of persuading the average man to lead a just life and to march in the path of truth; it attaches no importance to details whether they describe

there were certain prophets who had received the revelation of Divine Books, and there were others who did not receive new Books but had to follow the Books revealed to their predecessors. The Divine messages do not disagree on fundamental truths, such as the Oneness of God, the demand for doing good and abstaining from evil, etc., yet they may differ as to the rules of social conduct in accordance with the social evolution attained by a people. If God has sent successive prophets, it is a proof that previous directions had been abrogated and replaced by new ones, and, except for these latter, certain of the old rules tacitly or explicitly retained.

151 — Certain prophets had had the Divine mission of educating members of a single house (tribe or clan), or of a single race, or of a single region; others had vaster missions, embracing the entire humanity and extending over all times.

152 — The Qur'an has made express mention of certain prophets, such as Adam, Enoch, Noah, Abraham, Ishmael, Isaac, Jacob, David, Moses, Salih, Hud, Jesus, John the Baptist, and Muhammad, but the Qur'an is explicit that there have been others before Muhammad, he being the seal and the last of the messengers of God.

THE ESCHATOLOGY

153 — The Prophet Muhammad has also demanded belief in the doomsday. Man will be resurrected after his death, and God will judge him on the basis of his deeds during the life of this world, in order to reward his good actions and punish him for the evil ones. One day our universe will be destroyed by the order of God, and then after a certain lapse of time, He Who had created us first, would bring us back to life. Paradise as a reward, and Hell as a punishment are but graphic terms to make us understand a state of things which is beyond all notions of our life in this world. Speaking of it, the Qur'an (2:17) says: "No soul knoweth what is kept hid from them — of joy as a reward for what they used to do." Again (9/72): "God promiseth to the believers, men and women, Gardens underneath which rivulets flow, wherein they will abide-blessed dwellings in Gardens of Eden — and the pleasure of God is grander still; that is the supreme triumph." So this pleasure on His part is over and above even the Gardens of Eden. In yet another passage of Qur'an (10/20) we read: "For those who do good is what is the best, and more (thereof)." Al-Bukhari, Muslim etc. report, that the Prophet used to refer to this verse saying

FAITH AND BELIEF

By Dr. Muhammad Hmidullah

— III —

147 — It is true that there is no trace today of the scrolls of Abraham. One knows the sad story of the Tablets of Moses and how it was destroyed by Pagans several times. The same fate befell the Psalter. As for Jesus, he had not had the time to compile or dictate what he preached: It is his disciples and their successors who gleaned his utterances and transmitted them to posterity in a number of recensions, of which at least 70 recensions and excepting four all are declared by the Church to be apocryphal, have been considered apocryphal. Be it what it may, it is a dogma for every Muslim to believe not only in the Qur'an, but also in the collection of the Divine revelations of pre-Islamic epochs. The Prophet of Islam has not named Buddha, nor Zoroaster nor the founders of Indian Brahminism. So the Muslims are not authorised to affirm categorically the Divine character, for instance, of Avesta or of the Hindu Vedas; yet they cannot formally reject either the possibility of the Vedas having been in their origin based on Div-

ine revelations, or of having suffered a fate similar to that of the Pentateuch of Moses. The same is true in connection with what appertains to China, Greece and other lands.

MESSENGERS OF GOD (PROPHETS)

148 — An angel brings the message of God to a chosen man, and it is this latter who is charged with its communication to the people. In Qur'anic terminology, this human agent of the message is differently called : nabi (prophet), rasool (messenger), mursal (envoy), bashir (announcer), nadhir (warner), etc.

149 — Prophets are men of great piety, and models of good behaviour, spiritual as well as temporal and social. Miracles are not necessary for them (although history attributes miracles to all of them and they themselves have always affirmed that it is not they but God who did that); it is their teaching alone which is the criterion of their veracity.

150 — According to the Qur'an,

It can establish its own schools, just as it established its own shops in the last section. These chapters are designed to increase the student's interest in school, encouraging them to study more and, thus, accomplish more.

The fifth section deals with social studies and history. It includes the following chapters: "A Village in West Africa," "Muslims Attending Prayers," "A Mosque in Guinea, West Africa," "African Drummers," "African Dancers," "Ebony Head," "Vegetable Seller," "Alexander Pushkin," "Christiansborg Castle," "A Ship," "George Washington Carver," "W. E. B. Du Bois," "An African-American Boy," "Our Leader and Teacher," "Modern Buildings in Accra," "President Nkrumah in Chicago," "Cocoa Crops in Ghana," "African Presidents," "An African Chief," and "President Nkrumah and Sister Christine".

This fifth section is aptly named "Stories About Ourselves", and the stories serve several purposes. The emphasis is upon the history of the black man and his arrival in the United States. "Christiansborg Castle," and "A Ship", tell the story of the black African slaves who were captured and transported to the United States. The stories of George Washington Carver, W. E. B. DuBois, and Pushkin, believed by "Muslims" to have been a Negro

also, are stories of Neger heroes who helped to play a part in the black man's history. Chapters on "Muslims Attending Prayers", and "A Mosque in Guinea, West Africa" deal with the new religion of the "Muslim" students and attempt to unite them with the African Muslims, thus forming another bond on group solidarity. The remaining articles, all concerned with various aspects of African life, are designed to make the "Muslim" students more aware of their ties with the African nations and the black people of those nations who, they are taught, are their brothers. In these stories the doctrine of the black man as the original man is again set forth. In this way the stories of the fifth section are intended to contribute to a pride in blackness and an identification with the black man of history as well as with the Afro-Asian black man of today.

Part VI, the section on phonics, is a chapter of exercises for students to complete, and contains the usual "Muslim" oriented vocabulary previously cited. Section VII, the spelling part of the book is a list of spelling words and spelling exercises with emphasis upon words which fit the new "Muslim" identity.

(to be Continued)

The second part of the book is centered around a story called *Barbara's Surprise*. The story is about a little girl and her family who are able to move up the social and economic ladder from a small, crowded apartment to a large suburban home with spacious rooms and a beautiful yard. The story is planned to help the "Muslim" students identify themselves with a group that provides opportunity for improvement. The language of the story is, throughout, a rejection of the traditional stereotypes of the Negro, and the plot stresses the benefits of being clean, hard-working, and thrifty so that one may advance. The significance of having the "Muslim" students identify themselves with clean, polite, thrifty, and hardworking people who are striving for a better life is given precedence over all but a cursory and introductory identification with the "Muslim group". That is to say, what is being stressed is a new identity which is acceptable and appealing. This identification is always expressed in the first person plural, in order to give the notion that "Muslim" children belong in their group and at the same time set themselves off, to some extent, from the American culture.

The third part of the book, "Our nation", deals with the various shops and services run by the Nation of Islam, and includes sub-chapters on: "Our Shoe-Shine Shop," "Our Grocery Store," "Our Kitchen," "Our Bakery," "Our Dress Shop," "The Jewelry Counter," "The Coat Counter," "The Blouse Counter," "Our Factory," "The Cleaning Plant," "Our Barber Shop", and, "The Gasoline Station". This section of the book seems to be an attempt to instill in "Muslim" students a sense of pride of possession, a feeling of group solidarity, and a sense of self-sufficiency with the understanding that the Nation of Islam is capable of producing and caring for itself. The section also, through its chapters on the "Muslim" kitchens and clothing shops, familiarizes the students with "Muslim" codes of eating habits and styles of dress.

Section IV, "Mohammad's University of Islam, No. 2," includes chapters on "Our University of Islam", "Our School Bus", "Our Teachers", "Our Schoolmates", "Our Library", and "Our Classmates". Here again there is emphasis on the word "our", aimed at building up feelings of unity and cohesiveness, as well as the pride of possession. Likewise, one again can see the concept that the Nation of Islam is self-sufficient and independent.

mently. The children are sitting in rows, girls on one side of the aisle, boys on the other. photographs in the book range from portraits of Enjah Muhammad to typical classroom scenes, "Muslim" businesses, and African art, heroes, and culture. The pictures are always populated by people of the colored races of the world so that the child may look at the pictures and feel that these are his people who appear on the pages.

Vocabulary words for the book are likewise picked with planned attention to the process of identification, and are almost invariably taken from words peculiar to the "Muslim" religion and life. A few samples of such vocabulary are the words: Allah, Muslim, Mosque, nation, black, flag, our, equality and Africa.

The organization and contents of the book itself constitute the prime examples of a striving toward the development of a special identity for the "Muslim" students and the introduction of new cultural elements in the process of cultural renewal. The book is divided into the following seven main sections :

- I. The "Muslims"
- II. Barbara's Visit.
- III. Our Nation.

IV. Muhammad's University of Islam No. 2.

V. Stories About Ourselves.

VI. Phonics.

VII. Spelling.

Each section and each of its sub-chapters seem quite clearly an attempt to give the "Muslim" children something with which they can identify themselves which is not in any way associated with the traditional American stereotype of the Negro. An analysis of each individual section illustrates this attempt quite clearly.

Part I of the book, "The Muslims", includes sub-chapters on "The Muslims," "Our Greeting," "Our Prayers," "Our Minister," "Our Mosque." These chapters are all apparently aimed at introducing the new religious teachings of the Nation of Islam to the students. The religion which they are being taught is not one that has been traditionally followed by the white man in the United States. The name "Muslims", the use of Arabic greetings, the design of a separate flag, a leader, a mosque, and colored leaders are all calculated to give the "Muslim" students something new, and to instill in them the feeling that they are a part of a new group in which they should obtain a sense of identity and a new pride.

What does the School In The Nation of Islam in America Teach ?

BY : DR. IBRAHIM M. SHALABY

Muhammad's Children :

In the foreward to her book, *Muhammad's children First Grade Reader* Dr. Christine X. Johnson, one-time principal of the University of Islam in Chicago, states her goals in the creation of the text-book :

"In these pages, I have endeavored to take the "Muslim" child through experiences he knows, and can relate to himself. To let him see his own little black, brown and cream faces, instead of blond, blue-eyed Dick and Jane. I want Black children to aspire and strive for things their realm, and be proud of what belongs to him, even though it isn't as fine as his neighbors. Not the nebulous, fanciful, twisted world of make believe that their slavemaster's children have set up as goals for them... Through brief biographical sketches intended for the very young child, I hope to plant the seed of self-love and self-respect, that our Leader, The Honorable Elijah Muhammad has taught us; and to

strive for higher spheres in life, and know why he is striving. To enable them to emulate the lives of great men and women of color, and shake off the apathy and shame of being BLACK".

Thus, in her own words, Dr. Johnson tells the reader that she is trying, through this book, to develop a new identity for the "Muslim" students. She works toward this goal in several ways.

The title of the book itself illustrates the seeking of identification. Muhammad is used as a name to signify the Nation of Islam itself, and saying "Muhammad's Children" may give a sense of belonging to the small "Muslim" students.

Illustrations in the book are intended to help substantiate the idea that this is a book for and about "Muslim" children. The cover bears a drawing of a "Muslim" classroom, with the flag of the Nation of Islam prominently displayed, and black children dressed

"The hero, whose memory will be eternal to the people and for mankind, suffered a severe heart attack, the symptoms of which were first felt at 3.15 p.m.

"He had just returned to his home after having completed the last ceremony in connection with the meetings of the Arab Kings and Heads of State Conference which ended in Cairo yesterday (Sunday) and to which the leader and the hero had devoted all his efforts and nervous energy to ward off a frightening tragedy which had befallen the Arab people.

"The Higher Executive Committee of the Arab Socialist Union and the Council of Ministers, who held a joint emergency meeting immediately after this act of God cannot find words to portray the profound grief that has befallen the United Arab Republic, the Arab homeland and all humanity through this ordeal which God has pleased to inflict on them at a most precarious time.

"Gamal Abdul Nasser was greater and is more eternal than words, and could not be better praised than by his record in the service of the people the nation and humanity.. a fighter for liberty, right and justice, and a militant for the cause of honour to his last breath.

"No words suffice to console us for the death of Gamal Abdul Nasser

"The only thing that will show him just recompense and recognition is a patient, steadfast, courageous and able attitude taken up by the whole Arab people until the victory, for which the great son of Egypt, the hero man and leader of this people lived and died as a martyr, has been achieved.

يا أيها النفس المظننة : ارجعي إلى
ربك راضية مرضية فادخلي في جباري
وادخلي جنتي .

«Thou soul at peace,
Return unto thy Lord, content
in His good pleasure !
Enter thou among My bondmen
Enter thou My Garden».

Millions attended the funeral. And delegations from throughout the world were joined with the people of U. A. R. to bid Farewell to Gamal Abdul Nasser. The Grand Sheikh of Al-Azhar, Dr. Muhammad Fahham, led the funeral prayer, inside Gamal Abdul Nasser Mosque. At About 2. p. m. on Tuesday, October 3, 1970 the body of the departed Arab hero was placed in his last abode May the Almighty God Bless him with His Mercy and Forgiveness !

M. ALWAYS

The cause of education was always close to the late leader. In his life time all stages of education made free. A number of new schools and universities were also opened. Another important development that took place in the realm of education was the attention paid to Al-Azhar university in a manner compatible with the status and aims of this great international centre of learning. This law which is known as the law No. 103 of 1961, has referred to the following points :

1 — Having regard to the special character of Al-Azhar as a University of All Muslims throughout the world. Al-Azhar university should be independent of other universities in the united Arab Republic, by being attached to the presidency of the Republic; care has, however, been taken to coordinate it with other universities in so far as this coordination will the special character of Al-Azhar and the purpose of its studies.

2 — A minister of Al-Azhar Affairs shall be duly appointed by a decree of the President of the Republic.

3 — Having been the university of all Muslims, Al-Azhar provided for equal opportunity of enrolment in its faculties and sections attached

to them, for Muslim students from any country in the world.

4 — Al - Azhar as the Supreme Muslim educational institution, attaches great importance to its cultural and educational relations with Islamic and other educational institutions in the world.

By this law, new faculties were established in the university of Al-Azhar i. e. Faculties of Medicine Engineering, Agriculture and commerce. A girls' college, with its different branches of studies was also established. In 1969 a university hostel was established for Al-Azhar by the name of Nasser City of Islamic Missions.

In a statement broadcast over Cairo Radio and TV at 10.55 P.M., Monday, Sep. 28, 1970 announcing the grievous news of the death of President Gamal Abdul Nasser, Mr. Anwar al Sadat (then vice — President), Said : " The United Arab Republic, the Arab people and humanity at large have lost one of the most valued, courageous and sincere of men : President Gamal Abdul Nasser, who, at 6.15 P.M. on the 27 the day of Rajab corresponding to Sep. 28, 1970 passed a way in the Vanguard of the struggle and striving for the Unity of the Arab People and for the day of their Victory.

On July 23, 1952 Nasser led the revolution and ousted King Faruk and this was followed by declaring Egypt a Republic.

On October 19, 1954, a treaty was concluded between Egypt and Britain stipulating the evacuation of British troops from Egyptian borders within a period of twenty months, thus realising a dream for which Egypt struggled for more than three quarters of a century and for which Egypt Sacrificed many of its sons.

In February, 1958, a merger occurred between Egypt and Syria thus forming the United Arab Republic. President Nasser was elected President with a majority vote of 99. 99 percent in the Southern Region and 99. 28 percent in the northern Region. This merger had its meaning and significance. It symbolised the Arabs wish for unity to realise solidarity, to remove artificial borders mapped out by the Imperialist to divide between brothers. His home policy was based on cooperation, social reform, equality of opportunity and industrialisation of the country on a large scale.

On January 9, 1960, one of the greatest projects came into being, namely, the High Dam at Aswan.

In his speech on the occasion, President Nasser said, The construction of the High Dam is an example that should be copied by small peoples in their struggle.

It is an incentive that should motivate every country in Africa and Asia, however small to grow and to build itself without need for nuclear weapons or foreign aid, It should be content with its sand and the faithfulness of its people.

When Nasser nationalised the Suez Canal company, the western powers exerted pressure to abolish the nationalisation of the Canal. But he stood firm to the pressure, and defeated the aggression of 1956 in Port Said.

The Whole world agreed about the popularity of President Nasser and his statesmanship and leadership. The eyes of the world began to look on Gamal Abdul Nasser with the nationalization of the Suez Canal Company on July 26, 1956, While addressing a huge gathering in Alexandria he said "The Suez Canal was our Canal. How could it be otherwise [when it was dug at a cost of 12,0000 Egyptian lives? In future this Canal will be managed by the Egyptians and with its revenue the High Dam at Aswan will be built."

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER

ABDUL RAHIM FUDA

RAMADAN
1390

ENGLISH SECTION

A. M. MOHIADDIN ALWAYS

NOVEMBER
1970

The Late President GAMAL ABDUL NASSER



President Gamal Abdul Nasser was born on January 15, 1918, to family who came from village of Beni Mur in Upper Egypt. He received his education in Cairo schools and obtained the Secondary School Certificate at El Nahda Secondary School. In 1927 he joined the Military Academy and in July 1938 he was given the rank of Lieutenant in the infantry.

On the out break of world war II he was transferred to Alexandria and later to Al Alamein. He was then appointed as instructor in the Military Academy. In 1942

he passed the examinations of the staff college with distinction and honours.

President Gamal Abdul Nasser fought with rare bravery in the Palestine war of 1948 and was seriously wounded during this war. This wound kept him a whole month in hospital. When he recovered he was determined to rejoin his division in Falouga where he formed a group of "free officers" with whom he planned a revolutionary movement against the injustice and feudalism which were devastating the country at that time.



مجلة الانوار

مجلة شهرية جامعية

تصدرها من شعبة الانوار في (الكلية الشريعة في)

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
«بذلك»
في المراجعة
٦٠ شارع
والفكرين الطلاب

«الكتاب»
ادارة المجلة
٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء الثامن — السنة الثمانية والأربعون — شوال سنة ١٣٩٠ هـ — ديسمبر سنة ١٩٧٠ م

الأسبوع الثامن

أَجْمَلُ مَا فِي عِيدِ الْفِطْرِ

للأستاذ عبد الرحيم فوده

بما ينفق من زكاة الفطر وما يقدم من
لحوم الأضاحي ، وما تتجاوب به القلوب
من تعاطف وتواد وتراحم مطوّر اجتماعي
رائع مجمل به معنى العيد ، ويسكن به
السرور فيه .

والثمة - بعده أداء الواجب - بالجزاء
الجزئي من الله تبارك وتعالى - للعمور
بالسرور في يوم العيد ، فإن الله كما يقول :
« لا يظلم مثقال ذرة » وإن تلك حصة
بضاعتها وبؤت من لذة أجرها طيبا ،

يقترن عيد الفطر بفريضة الصيام كما
يقترن عيد الأضحي بفريضة الحج ، والعموم
والحج ركنان من أركان الإسلام الخمسة
كما هو معروف لدى كل مسلم ، ولا شك
أن له اقتران عدين تعبدين بهذين الركنين
ما يجمع إلى كثير من الأمور التي تسود
العمور بالسرور .

فأداء الواجب على خير وجه يشعرون
بالسرور وراحة النفس والضمير .
وشبوع البهر بهن الفقراء والأغنياء

وصول الله ﷺ المدينة فوجهه للأصابع يومين يلبسون فيهما ، فقال : (ما هذا اليومان ؟ قالوا : يومان كنا نلعب فيهما في الجاهلية فقال : قد أبدلكم الله بهما خيراً منهما يوم الأضحى ويوم الفطر) .

فهذا الحديثان يفهم منهما أن الاحتفال بالعيد تقليد قديم جيد ، فإن لكل قوم عيداً يختص بهم ويلام حياتهم ، والمسلمين أعيادهم التي تتميز عن غيرها وتميزها شخصيتهم فلا يفعلون فيها ما يخرجهن عن حدود دينهم ، أو يوقعهن في تقليد غيرهم .

وإنما يستمتعون فيها بما أحل الله لهم من الطيبات ، كما يفهم من قوله تعالى : « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق » ، ويتزادون وبقبائلهم التي انتهى لتوثيق عرى الود والإخاء ، وتحقيق ما يفهم من قول الله فيهم : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » وقوله : « أهداء على الكفار رحمة بينهم » .

وقد شرح الله زكاة الفطر ، وعاق قبول الصوم على أدائها ليوم الفطر بالفرح في هذا اليوم ، فهي تمتع ثمرة الفطر

ولهذا قيل في تعريف العيد أنه ما فكثر فيه هوائه الله بالإحسان إلى عبده ، ولا ذلك أن معنى العيد في الاستعمال القوي مأخوذة من العائدة ، وهي الفائدة أو المعروف ، أو الفضة ، أو الكعب والرج وتمثيل ما في العيد من هوائه وهوائه لا يتسع له المقال في هذا المجال ..

هذا إلى أن العيد يطالع الناس بالجديده من الأمل والجدل فيجده حياتهم بالنصرية والترفيه ؛ ليستأنفوا العمل بسفه وقد استعادوا نشاطهم له وإقبالهم عليه ؛ وجددم فيه .

لهذا أحاح الله التمتع فيه بالملابس الجديدة والمأككل الطيبة ، والله البرى ؛ نفسه قالت عائشة رضى الله عنها : دخل أبو بكر - وكان يوم عيد - وعندي جارتان تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بعث ، فقال : أمز أمير الشيطان في بيت رسول الله .. ؟ فقال رسول الله ﷺ : (يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً ، وهذا عيدنا ، لتعلم بهم الله في ديننا فمعة ، وأنى بعثت بحقيقة صحة) .

وعن أنس رضى الله عنه أنه قال : قدم

الحرية للإنسان لا تعد لها قيمة أخرى
ولا يفوقها إلا شرف إخلاص العبودية
له جل شأنه في رمضان ولغيره من
شهور العام.

نسأل الله أن يوفق العرب والمسلمين
لتحرير الأرض المحتلة من بلادهم ، وأن
يعينهم ويسد خطاهم على طريق دينهم ،
فإنه الدين القوي الرابض ، وقاله فيه :
« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت
عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً »
وصلى الله على خاتم النبيين وأشرف المرسلين
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

عبد الرحيم قنوه

الحرماني في رمضان حيث يكون الصبر على
الجوع والظمأ ، والإحساس بما يعانيه
الفقراء مما يثير العطف عليهم والتمو
بواجب التسرية عنهم ، وأنسب ما يكون
ذلك في عيد الفطر ، ليتم فيه الترح
ويصبح فيه البشر ، ويصبح الجميع أمة
واحدة ، متعاونة متساندة ، يرتفع بها
التعاون والتضامن والتراحم إلى مستوى
لا يرق إليه العمود المربوب بالحاجة إلى
الغذاء أو الكساء .

وأجل ما في عيد الفطر فبظنة المؤمنين
بعودة الحرية إليهم بعد أن تنازلوا عنها
باختيارهم امتثالاً لأمر ربهم ، فإن قيمة



الفتح المبين

للإمام مصطفى الطهر

- ٢ -

« إنا فتحنا لك فتحا مبينا ، لنفقر لك الله ما تقدم من
ذبك وما تأخر ، ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ،
وينصرك الله نصرا عزيزا » . (١ - ٢ من سورة الفتح)

وموسم ومصرين ، فأخبر المسلمين أنه
يريد العمرة ، واستنفر الأعراب حول
المدينة ليكونوا معه في عمرته حذراً من
أن يوهم قريش فيها ، فظن أولئك الأعراب
أن الرسل والمؤمنين لن يتقبلوا مع
عمرتهم ولن يرجعوا إلى أهاليهم أبداً ، لأن
قريشاً ستغنيهم عن آخرهم ، وم ذاهبون
إلى أقدارهم بأرجلهم ، فاعتفروا عن
الخروج معه بأنهم شغلهم أموالهم وأهلهم
وطلبوا منه أن يستغفر الله لهم .
تخرج الرسول بن معه من المهاجرين
والأنصار وترك أولئك الأعراب الظنوم
ومما ذروهم الكاذبة ، واستعان بالله الذي
وعد بنصره ونصر المؤمنين « إن تنصروا
الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

(تمهيد)

ذكرنا في العدد السابق أنه للفسرين
اختلفوا في المراد من الفتح المبين ، فمنهم من
ذهب إلى أنه فتح مكة ، واختاره أبو حيان
وقه تكلمنا عليه في العدد الماضي ، ومنهم
من قال : هو صلح الحديبية ، فهو فتح عظيم
وهو رأى الجمهور ومنهم من رأى أنه
فتح خيبر وهو اختيار مجاهد .

واليوم نتكلم عن صلح الحديبية بإشارة
أنه هو الفتح المبين المنصوب من الآية
العرفية ، وبين ذلك آثاره التي جعلت منه
فتحاً مبيناً ، وإليك البيان .

(أسباب صلح الحديبية)

رأى النبي ﷺ في منامه أنه دخل
المسجد الحرام هو وأصحابه آمنين محاطين

يا رسول الله فصار بهم في طريق وعرة ، ثم خرج بهم إلى مشوى يملك مكة من أسفلها ، فلما رأى خالد ما فعل المسلمون رجع فأخبر قريشاً بما حدث .

فلما كان الرسول بشية المشركين (مهبط الحديبية ركنه نائته) (الفصواء) فزجروها فلم تقم ، فقالوا خلأت الفصواء (أوحوت) فقال عليه السلام : « ما خلأت وما ذلك لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل » ويريد الرسول من قوله حبسها حابس الفيل أن الله هو الذي منعها عن مكة كما منع الفيل عنها قبل ميلاد الرسول حتى لا يراه دم أهلها وتسلباح حرمتها ، فإن الصحابة لو دخلوها وسد بهم قريش لأفقروا بهم وقتلوا منهم كثيراً ، ولكن الله كف أيديهم عن قريش ، وأيدي قريش عن المسلمين ، كيلا تنهك حرمة البيت الذي أراه الله أنه يكون حرماً آمناً لجميع المسلمين بوطون فيه دماء أخوتهم ، ولأنه سبق في ملكه تعالى أنه سيدخل منهم في الإسلام خلق كثير ، ويكون من أصلهم مسلمون يجهادون في سبيل الله ، ولهذا كله قال ﷺ « والله نفس محل يده لا تدعوني فريش خلع فيها أعظم حرمة الله إلا أجنبهم إليها » .

وكانت عدة من خرج معه خمسمائة وألفاً ، وكان من مآذنه الثمريفة إذا خرج إلى أمر يطول وقته أن يولى على المدينة أمها برعى مشون أعامها حتى يرجع ، فولد عليها في هذه الرحلة ابن أم مكتوم ، وأخذ معه زوجته أم سلمة وأخرج معه الهدى الذي سيذبحه لثمارة الحرم ليكون هماراً سلاماً ، وأنه لا يريد حرب القوم هناك ولم يكن مع أصحابه إلا السيوف في أفرادها لجرده الدافع عن النفس إذ حدث من قريش سكروه لهم .

وكان غروجه مع أصحابه يوم الاثنين حلال ذي القعدة سنة ست من الهجرة ، ولما كان بهذه الخليفة فهدى الهدى وأحمر وأحرم منها بالعمرة ، وبعت عيناً له من خزاعة (وكانت مولاية الرسول كما كانت مولاية لأجداده) بعتة ليتحصن له من أخبار القوم ، وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بفدير الأسطاط أثناء جاسوسه ، وأخبره أن قريشاً جمعت له ، وأنها مانعته من العمرة وأنها جعلت خالد بن الوليد في مائتي مقاتل طليعة لجيشها ليصدوا المسلمين عن التقدم ، فقال الرسول : هل من رجل يأخذ بنا على غير طريقهم ، فقال رجل من أسلم . أأ

الرسول ، فقال عروة بن مسعود قد عرض عليكم خطة رشداً فقبلوها ودمعوني آتية ، فأثاء فقال له الرسول : نحواً مما قاله لبدل بن وجعل عروة يرمي أصحابه بعينه ويتعرف بهم له ، فلما رجع إلى قومه حدثهم بما رأى ومن ذلك أن رسول الله ﷺ كان إذا أسرم بأصراً يتدروءه وإذا توخأ كادوا يقتتلون على وضوءه ليتمسحوا به ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، ولا يحدون النظر إليه ، وقال : والله لقد وجدت على الملوك وعلى كسرى وقيصر والنجاشي ، وإنني ما رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد مجلداً ، ولقد رأيت قوماً لا يسلموه لشيء أبداً ، فانظروا وأبكم ، فإنه قد عرض عليكم خطة رشداً فقبلوها فإني ناصح لكم وأخفي أن لا تنصروا عليه ، فقالت قريش لا تنكلم بهذا ، ولكن زودنا ما لنا ، ورجع إلى قائله .

وبعث الرسول عثمان بن عفان إلى قريش ليؤكد سلامة مقصده ، فذهب إليهم في عشرة استأذنوا الرسول فزارة أثارهم وكان النبي ﷺ أوسع عثمان أن يبشر للمسلمين بمكة بقرب فتح مكة ودخول الناس في دين الله ، فدخل عثمان مكة

ثم زجر القسواء فوثبت فمدله عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية (وهي قرية على تسعة أميال من مكة) وكان زوجه مع المسلمين على ماء قليل فزحروه ، فشكوا العطش إلى رسول الله ﷺ ، فأتزع منها من كنانته ثم أسرم أن يجعلوه فيه ، قاله راوي الحديث : فوالله ما زال يجيع بالي حتى صدروا عنه ، فبينما هم كذلك إذ أتاهم بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه ، وكانوا موالي لرسوله ، فقال : إني تركت كعب بن لؤي وغالب بن لؤي نزوا عند مياه الحديبية وهم مقاتلون وصادوك من البيت ، فأخبره الرسول أنهم ما جاءوا لقتال بل للعمرة ، وقال : (إن قريشاً قد نهكتهم الحرب ، فإذا هادوا ما دعتهم مدة وتخلوا بيني وبين الناس فإن أظهر فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فملوا ، وإلا فقد هموا) يعني استراحوا (وإن هم أبوا فوالله نفسي بيده لا أقاتلهم على أسرى حتى تنفرد طائفتي ، ولينفذ الله أمره) - والسالفة مقدم المعنى وانفراد السالفة طهرها ، وهو كفاية من القتل .

فما إلى قريش يخبرهم بما سمع من

(صالح الحديبية وشروطه)

ولما ظهر قريش وفاة للمسلمين بينهم
لرسول وقوة استبصارهم في الدفاع عنه
خافوا وأرسلوا سهيل بن عمرو ليناقض
الرسول في الصلح ، فلما جاء اعتذر
عما حصل منهم بأنه من حمل سفهائهم ،
ولم يكن من رأي عقلائهم ، وطلب أسرام
فقال النبي : حتى ترسلوا من عندكم ، فبعثوا
عنه والعقرة الذين كانوا معه .

وانتهت مفاوضات الصلح على :

- ١ - وضع الحرب عشر سنين .
- ٢ - وأن يأمن بعضهم بعضا .
- ٣ - وأن من جاء المسلمين من قريش
يردونه إليهم ، ومن جاءهم من المسلمين
لا يلزمون بوجه .

٤ - وأن يرجع النبي هذا العام من
غير حجرة ، ثم يأتي في العام المقبل فيدخلها
بأصحابه معه أن يخرج منها قريش ،
فيقيموا بها ثلاثة أيام وليس معهم
إلا السيف في القراب والقمص .

٥ - ومن أراد أن يدخل في عهد
أحد من الطرفين دخل فيه .

فقبل النبي ﷺ هذه الشروط ، ودخل
المسلمين منها أمر عظيم ، وقالوا كيف زده

في جوار أبان بن سعيد الأموي ، وبلغ
قربها الرحالة ، فقالوا لا يدخل مجل مكة
عليها عنوة أبدا ، وطلبوا منه أن يطوف
بالبيت ، فقال : لا أطوف ورسول الله ممنوع
فخبروه ، وشاع عند المسلمين أنهم قتلوه ،
فلما سمع الرسول ذلك قال : لا أبرح حتى
تتأخرم الحرب .

(بيعة الرضوان)

دعا الرسول من معه من المهاجرين
والأنصار لبيعة على القتال تحت شجرة
هناك ^(١) قبل كانت حجرة وقبل صدره
فبايعوه على القوت فقال لهم الرسول : أنتم
اليوم خير أهل الأرض ، فلما انتشر أمر
هذه البيعة في قريش داخلهم منها رعب
عظيم .

وكانوا قد أرسلوا مكرز بن حفص
في خمسين رجلا ليطوفوا بعسكر المسلمين ،
عليهم يصيبون منهم غرة ، فأسرهم حارس
الجيش عدي بن مسعدة ، وهرب مكرز ،
ولما علمت بذلك قريش بعثوا بجمع منهم
يناوشون المسلمين ، فأسروا منهم اثني عشر
رجلا ، وقتل واحد من المسلمين .

[١] يروي أن عمر أسرى بطنها في خلافة
لما رأى الناس يتبعون بها .

سبيل يجعل في قيوده ، وكان من المسلمين
المنوذين من الهجرة ، فهرب للمسلمين
ليحموه ، فقال له الرسول : اصبر واحتمل
فإن الله جاهدك ولم يملك من المؤمنين
فرجا ومخرجا ، فقد عقدنا مع اقوام
صلحا ، فلا نفدوهم .

ثم أمر النبي أصحابه أن يحملوا رءوسهم
وينحروا الهدى ليتحلوا من حمرتهم فلم
يباهروا بالامتثال كما ذمهم ، لامتلائمهم
حمًا وحزنًا لعدم من البيت ، فقال الرسول
لأم سلمة : هلك للمسلمون ، أمرتهم فلم يحتلوا
فقلت : يا رسول الله اعفهم يا رسول الله ،
فقد حملت نفسك أسرا متلبا في الصلح ،
ورجم للمسلمين بغير فتح ، فهم قلة
مكرويون ، ولكن اخرج يا رسول الله
وابداهم بما تريد ، فإذا رأوك فمات يتبعوك
فنهض الرسول هديبه ودعا بالطلاق فطلق
رأسه ، فلما رآه المسلمون توابوا على الله في
فنهروه وحلقوا ، ثم رجع للمسلمين إلى
الديانة فجاءتهم أم كلثوم بنت عقبة بن أبي
مصيبة ، وأخت عثمان لأمه مهاجرة فطلبها
للشركاء ، فقالت : يا رسول الله إن امرأة
وإن رجعت إليهم فتنو في ديني ، فأرسل الله
في سورة الممتحنة : « يا أيها الذين آمنوا

إليهم من جاءنا مصدا ولا يهودون من جاءهم
مرتدا ، فقال الرسول : من ذهب منا إليهم
فأبعده الله ، ومن جاءنا منهم فرددناه إليهم
فسيجعل الله له فرجا ومخرجا .

وأما صدم من البيت فقد كان أشد
عليهم ، لأن الرسول أخبرهم برؤياه أنهم
دخلوا المسجد الحرام آمنين ، وقد سأل
عمر أبا بكر في ذلك ، فقال : وهل ذكر
أنه في هذا العام .

وكان هل رضى الله عنه كاتب شروط
الصلح ، فأملأه الرسول عليه السلام :
« بسم الله الرحمن الرحيم » فقال سبيل
ابن عمرو ما نعرف هذا ، اكتب باسمك اللهم
فأمره الرسول بذلك ، ثم قال : هذا ما صلح
عليه محمد رسول الله أهل مكة ، فقال سبيل
لو تعلم أنك رسول الله ما صدفتك عن
البيت وما قاتلتك . اكتب هذا ما صلح
عليه محمد بن عبد الله ، فأمر النبي عليا
بعو ذكرك وكتابة ما يريدون ، فامتنع ،
فحاشا للنبي ﷺ ، ثم كتبت الشروط
وجعلت وثيقة الصلح من مستنسخين إحداها
لقرينى والأخرى للمسلمين .

وكان النبي ﷺ مثالا لوفاء بعهده
هذا ، فبعد كتابته جاءه أبو جندب بن

وسار إليه أبو جندل بن مهبل وجميع
من الأعراب وقطعوا الطريق على تجارة
قريش حتى مزت الأقوات بمكة ، فاستغاثت
قريش وطلبت عدم العمل بشرط ود المصلحين
المهاجرين من مكة بعهد الصلح إليهم ،
فقبل الرسول منهم ذلك وأزاح الله عن
المسلمين هذه الغمة ، التي لم يتحملوها
لله الهدية حينما أسروهم ودأى جندل -
(آثار صلح الحديبية)

كانت له آثار بقاء عظيمة ألفت الإسلام
والمسلمين ، وأول آثاره توفر الأمن بين
الطرفين حتى اختلط المسلمون بالكفار
وأظهروهم على محاسن الإسلام وعلى أحوال
النبي ومعجزاته وسهرته وجبل طيفه ،
ورأوا ذلك بأعينهم حتى توجهوا إلى المدينة
وسكنوا هناك زائرين لأهلهم وإخوانهم
وأصحابهم من المهاجرين والأنصار ، فلذلك
بادر منهم خلق بالإسلام قبل فتح مكة ،
وازداد الآخرون ميلا إلى الإسلام ، حتى
إذا فتحت مكة أصلوا جميعا نظراً
للاستعداد الذي عرف في نفوسهم للإسلام
بسبب صلح الحديبية ، فلما أسلم أهل مكة
تبعهم العرب فلبوا دعوة الإسلام .
وهنا أنت ذا قد علمت أن الشرط الذي

إذا جاءكم للثمنات مهاجرات فامتنعوهن ،
الآيتين ، فكانت للراة المهاجرة تستحلف
أنها ما خرجت رغبة بأرض عن أرض ،
ولا بغضا في زوج ولا تناس دينا ولا لرجل
من المسلمين ، وما خرجت لإحباله ولرسوله
فإن حلفت لا ترد ويملى زوجها المشرك
ما أشفقه عليها ، ويجوز للمسلم أن يتزوجها
وقد حرمت الآية إمساك الزوجة الكافرة
ونزه إلى أهلها بعد أن يمتطوا زوجها
المسلم ما أنفق .

وقد تمكن أبو بصير حنة بن أسيد
من الفرار إلى الرسول ، فأرسلت قريش
رجلين يطلبانه ، فأمره الرسول أن يرجع
صعبا فقال أتودني إلى الكفار يا رسول الله
فيقتلوني هو ديني ، فقل : إن الله جاملك
ولإخوانك فرجا ، فرجع مع رسول قريش
امتنالا لأمر الرسول ، ولما قارب المدينة
قتل أحدهما وهرب الآخر ، فرجع إلى
المدينة وقال يا رسول الله : وقت
ذمتك ، أما أنا فنجرت ، فأمره أن
لا يقيم بالمدينة وأن يذهب حيث يشاء ،
فاتخذ من موضع بطريق الشام مستقراً له ،
وكانت تمر به تجارة قريش فاجتمع إليه
من مسلمي مكة الذين نجوا من أهلها جميع

المسلمين في شعورهم ، وهو رده من جادهم
مهاجرا مسلحا وإعادته إلى المشركين ، طلب
المشركون إلقاءه من أنفسهم كما سر بيانه ،
فكان هذا نصرا عظيما لوجهة نظر الرسول
كما أنهم في العام التالي اعتنقوا وولي
المشركون بشرطهم فأحلوا مكة ثلاثة
أيام للمسلمين .

وفي فترة العمل بماهدة الصلح المذكورة
احتطاع الرسول أن يبعث برسائله وكتبه
إلى ملوك الأرض يرفهم بالإسلام ويدعومهم
إليه ، فكتب إلى قبصة الزوم ، وأرسل
كتابا إليه مع حبة السكابي ليعطيه إلى
عظيم بصرى فيوصله إلى القيصر . فلما
أوصله إليه دعا أبا حنيفة وجماعة من قومه
وجعل يسألهم عن الرسول فلم يسمهم إلا
أن يصدقوه ، فقال في آخر الحديث فعلت
أنه نبي ، وقد علمت أنه مبعوث ولم أكن
أظن أنه فيكم ، وإن كان ما كتبت به حقا
فسيملك موضع قدمي هاتين ، ولو أعلم
أنني أخلف إلى لتكلفت ذلك .

وكتب الرسول إلى أمير بصرى وأمر
دمشق والقنوقس أمير مصر والنجاشي
ملك الحبشة والندبر بن ساوى ملك البحرين
وملكى عمان ، وغيرهم ، فتم من أسلم وأسلم
معه جماعة من قومه كذلك البحرين ومملكة
عمان ، ومنهم من رده ردا جميلا ، وكان لهذا
شأنه في التمهيد لإسلام هذه الأمم ، ولهذا
قال أبو بكر رضى الله عنه في صلح الحديبية :
ما كان فتح في الإسلام أعظم من فتح الحديبية :
ولكن الناس قهر رأيهم مما كان بين محمد
وبين ربه والعباد يعجلون ، والله لا يعجل
لمجة العباد ، حتى تبلغ الأمور ما أراد .
وفي رجوعه عليه السلام من الحديبية
نزلت عليه سورة الفتح ، مما يشير إلى أن
صلح الحديبية كان هو الفتح المحقق كما قال
الصديق أبو بكر رضى الله تعالى عنه :
والله أعلم ؟

مصطفى الطبر

الوحدة في السورة القرآنية

للدكتور محمد رجب البتوي

- ٢ -

أني أخذت بالإسلام لأول مهادها بمنزلة
العقل المدبر لها تستهدي به في المشكلات
وتسترشد به في تذييل العقبات ، فهو مجموع
إشارات من الوحي اقتضتها الحوادث التي
تتكرر في كل جيل وفي كل مجتمع ، وهذا
المجموع من إشارات الوحي متى قرئ
أو سمع استولى على ما خزننا نفوس ، ونسلط
على كل مسأوب للعقول فلا يجد تاليه عبيدا
من الإذعان إليه والاستغناء له لأنه يحرك
جميع الأوتار في الروح الإنسانية دفعة واحدة
فيؤخذ سامعه به أخذا كأنه قد غمرته
موجة من البحر فلم تدع له متفقا أو غيره
من الأمور ولم تترك له منطلعا إلى سواء
من الفنون . وهذا الكلام يحتاج إلى
نظر ، لأن قول الأستاذ محمد فريد وجدي
في عهدهم الترتيب « أنه وحي نزل منه
حدوث الحوادث وطروء الطوارئ وآياته
نزلت نجسوما على الحوادث الزمنية » .

أما الأستاذ محمد فريد وجدي فقد
تصدى لرفع هذه الشبهة بقوله من ٢٦٥
من كتاب : (الإسلام بين عام خال) مع
به من التصرف في النقل :

« وفاته - صاحب مسائل في الدين -
أذا القرآن لو كان مختلفا لتوخى فيه مؤلفه
للقريب المطلوب ، فقد جرت العادة أن يجلس
من يريد تأليف كتاب إلى ناحية فيفكر
في مواد الكتاب وأغراضه ليجمع لكل
طائفة من المراء فصلا ، ولكن القرآن
ليس بكتاب وضعي ، إنه وحي نزل منه
حدوث الحوادث وطروء الطوارئ فنه
آيات نزلت للهدى للدين ، وأخرى لرد
عن المنكرين وغيرها للإجابة عن السائلين
وسواها ففصل بين المتنازعين ، وطائفة
فحث على الجهاد ، ومثلها لخص على مكارم
الأخلاق ، وكلها نزلت نجسوما ومرتبعة على
الحوادث الزمنية إذ كان الوحي لدى الطائفة

فلا يحج ثاليه عهصا من الإذعان له ، وهو
بعض ما عناء الراعى رحمة الله حين تحدث
من روحانية التركيب .

أما الذين رفضوا القول بعدم الوحدة
للموضوعية من العلماء فقد شهد أكرم
ما قرأوه لأمثال ابن العربي والنيسابورى
والبقاى فى ذلك ، وذهبوا يدبسون
المنال والسكت فى إثبات هذه الوحدة
الموضوعية من ذكاء يتلمس القرص القريبة
والعيدة ، ويتكافح الجزئيات الصغيرة
دائرة كبرى تفتنى إليها ، وهو جهد
مشكور يدل على صبر مطهرين ، وإن كنا
لا نذهب مذهبه إذ ثبت لدينا كثر
من التكلف فى رصده وتبيينه ، ولا نحب
أن نهي القارىء إلى رفضه بل نترك
أماه بما لاقاهم ما يعنيه هؤلاء ، وسنختار
منهم أستاذنا المذخور لها الدكتور محمد
عبد الله دراز والشيخ عبد المتعال الصيغى ،
حيث ألح الأول على تأكيد هذه الوحدة
فى كتابه « النبأ العظيم » كما أفرد الثانى
كتاباً برأسه لدراسة العلم الفنى فى القرآن
فاحيا منحى الوحدة الموسوعية ، مما يؤكد
أن حديث الترتيب الأسلوبى لهما لم يكن

هذا القول لا ينهض تعليلاً لعدم الوحدة
الموضوعية ، لأن الثابت الأكيد أن ترتيب
الآيات فى السورة ترتيب توقيفى من السماء
إذ كانت نزل الآية فى شأن من الشئون
فيأمر الرسول كاتبه بوضعها فى المكان الذى
اختاره الله لها ، وكان جبريل عليه السلام
يمارض رسول الله بقراءة القرآن كما رتب
فى كل رمضان ، والآثار فى ذلك أشهر من
أن تذكر ويكتفى منها بما روى للبخارى
من مائة من فطمة أنها قالت « أمر إلى
النبي ﷺ أن جبريل يمارضنى بالقرآن كل
سنة مرة وأنه مارضنى هذا العام مرتين »
ولا أراه إلا حضراً أجلى ، كما روى أحمد
وأبودود والترمذى عن عثمان أنه قال : كان
رسول الله ﷺ ينزل عليه السورة ذوات
المعنى فكان إذا نزل عليه الفىء دعا بعض
من كان بمكتب له فيقول : ضموا هذه
الآيات فى السورة التى يذكر فيها كذا
وكذا ، فقوله الأستاذ إن القرآن قد نزل
منها وفق الحوادث إنما يصلح لو لم يكن
الترتيب توقيفياً يبلغه جبريل عن ربه ، وقد
أحسن الأستاذ فريد وجدى حين فرغ ماجلا
من هذا القول المتمعر ليعلم أن إشارات
الوحى تسلط على كل صائب المقول

فكرة طارئة قدس ما كان نظرية علمية
تتطلب البحث الوثيق .

أصدر الدكتور دراز كتابه « للنبي
العظيم » ليتحدث عن القرآن حديث التفاهة
الدارس الأملى لجاء كتابه آية الآيات
في ميدان الدراسات القرآنية بما ملك
من ناصية القول وقوة المطاق وجهارة
اللبل وإن قال الزعم سعد زغلول عن
كتاب الرافعي في الإيجاز إنه تنزيل من
الفرزلي أو قيس من نور الذكر الحكيم
فأحسرى النبي العظيم بثله هذا القول
من زعم كبير ، وإذا كنت لا أرى رأي
أستاذنا الكبير الدكتور دراز في الوحدة
الموضوعية لسورة القرآنية في الإنصاف
به أن تركه يتحدث عن وآيه بأسلوبه
المتنازع الذي يصلح في آفاق البلاغة
العربية كل مصلح ، ليعمد القراء بنمط
من التصوير الأدبي لا يهدونه لغير الأغراض
من آفة الكلام ، قال رحمه الله عن النبي
العظيم ص ١٧٤ :

« أجل ، إنك لتقرأ السورة الطويلة
للزجة يحسها الجاهل أضغاثا من الممانى
حفت صفوها ، وأوزاما من المباني جمعت

صفوها ، فإذا هي لو تدبرت بنية مناسكة
قد بنيت من المقاصد السككية على أسس
وأصول ، وأقيم على كل أصل منها شعب
وفصول ، واعتد من كل عصب منها فروع
تفصير وتطول فلا تزال تنتقل بين أجزائها
كما تنتقل بين حجرات وأقنية في موضوع
واحد ، قد وضع رسمه مرة واحدة ، لا تحس
بشيء من تناكر الأوضاع في التقسيم
والتنسيق ولا بشيء من الانفصال في الخروج
من طريق إلى طريق ، بل ترى بين الأجناس
المختلفة تمام الألفة ، كما ترى بين آحاد
الجنس الواحد نهاية التضام والإنصاف ، كل
ذلك بغير تكلف ولا استعانة بأمر خارج
من الممانى أنفسها ، وإنما هو حسن الصياغة
ولطف التبييد في مطلع كل فرض ومقطعه
وأثناء يربك المفصل متصلا ، والخفاف
مؤتلفا ، ولماذا تقول إذ هذه الممانى تنسق
في السورة كما تنسق الحجرات في البنيان ،
لا بل إنها لتلتحم فيها كما التحم الأعضاء
في جسم الإنسان ، فكل قطعة وجارتها
رباط موضوعي من أنفسها كما يلزق المثلان
عند المفصل ومع فوقهما عقد شبكة من
الوشائج تحيط بهما من كشب ، كما يدبك

ما نصه: « اعلم أن هذه السورة على طولها تتألف وحدثها من مقدمة وأربعة مقاصد وخاتمة ، على هذا الترتيب ، فالمقدمة في التعريف بشأن هذا القرآن وبيان أن ما فيه من الهداية قد بلغ حداً من الوضوح لا يتردد فيه ذر فلب سليم ، وإنما يمرض عنه من لا قلب له أو من كان في قلبه مرض ، والمقصد الأول في دعوة الناس كافة إلى اعتناق الإسلام ، والمقصد الثاني في دعوة أهل الكتاب دعوة خاصة إلى ترك باطلهم والدخول في هذا الدين الحق ، والمقصد الثالث في عرض شرائع هذا الدين تفصيلاً ، والمقصد الرابع في ذكر الوازع والنارذع الذي يبعث على ملازمة تلك الشرائع ويعصم من مخالفتها ، أما الخاتمة فهي التعريف بالدين استجاءوا لهذه الدعوة الفاتحة لتلك المقاصد وبيان ما يرجى لهم في عاجلهم وآجلهم » .

هذه هي العناصر التي رآها الدكتور تكرر سورة البقرة مبتدئة بمقدمة هادفة ومختتمة بنهيضة لازمة ، وقد حاول تفصيل ذلك في صفحات طرال توضيح ما يتدرج تحت كل عنصر من الآيات ، وهي محاولة

المضروان بالشرابين والعروق والأعصاب ومن وراء ذلك كله يسرى في السورة اتجاه معين ، وتؤدي مجموعها فرضاً خاصاً كما يأخذ الجسم قواماً واحسبداً ، ويتعاون بمجملته على أداء فرض واحد مع اختلاف وظائفه المنوية » .

هذا بعض ما قاله الدكتور دراز ، وقد كرهت أميل بعض الميل إلى أنه يقصد التلاحم الجزئي بين الآية والآية جرياً وراء ما يذكره بعض المفسرين من المناسبات المتصيدة ، لأن قوله فيما سبق « بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة كما ترى بين آحاد الجنس الواحد نهاية التضام والالتحام » هذا القول يشترك أن المقصود بالأجناس المختلفة الأغراض المتباينة ولكن للسياق العام يوحى بغير ذلك إجماع قويا يؤكد قول الدكتور « ومن وراء ذلك كله يسرى في السورة اتجاه معين ، وتؤدي مجموعها فرضاً خاصاً » كما تؤكد عمارته التمهيلية في تطبيق هذا الاتجاه على سورة البقرة وهي أطول سور القرآن جميعاً ، حيث اختارها الاحتاذ لتدليل على وحدة الفرض فقال في ص ١٨٤ تحت عنوان (نظام مقصد الممان في سورة البقرة)

به على القرآن أنه سوء الترتيب مفكك
الأجزاء معقت المعاني والأفراض ولا
يقنعهم أنه يقول إن الترتيب يحسن في
كلام البشر ولا يحسن في كلام الله ، لأن
الترتيب مطلوب في كل كلام بليغ ،
وحسنه في كل كلام من البهامة بمكالمه .

والأستاذ يقصد بالقائلين جماعة
المفسرين من يطمنون على القرآن بنهر
علم ولا هدى ولا كتاب منير . أما
القائلون بتعدد الأفراض في السورة الواحدة
فلا يقولون بداهة إنه مفكك الأجزاء
سوء الترتيب معقت المعاني لأنهم يؤمنون
بالروح التركيبية البليغة التي تسيطر على
السورة فتجعلها نمطا واحدا من البيان
مما تعددت أغراضها ، هذه الروح التي
لا توجد في كلام بشري ، ووجودها
في القرآن وحده يصور إحدى مناحي
الإعجاز البلاغي في تأليفه ، وقد دعونا
الرافضين لهذا الرأي إلى محاولة إدماج
آية من سورة كالحج في سورة تجاورها
كالواقعة مثلا ثم النظر إلى ما يسمع من
النشاز الصريح حين تنتقل آية من
سورة كريمة إلى أخرى ، ولن يقول قائل

ذكية ندله على جهل ينفذ في تأييد قضية
يقوم بها ، ولكننا في حل من أن يقول
إن محاولة هذا التوحيد الجامع لهذه
العناصر لن تكون موضع اتفاق بين
الدارسين إذ أنها تجاهد عناصر أخرى
جاءت بها سورة البقرة دون أن يطمش
دارس محيد إلى اندراجها فيها بهذا الاستاذ
من المقاصد إلا بتكلف كبير ، وقد أتاح
الدكتور بذلك لكل مستدعي أن يمسد
إلى سورة من السور الكريمة فيختار
بعض عناصرها المنقارة وجل ما لا سبيل
إلى الضميمة ، ثم يخرج على الناس برأى
يهتف بوحدة الموضوع والسورة القرآنية
إن الرجل الكبير قد صدر من نظر خاص
واعتقاد نزيه ، ولن يعدم حزمه الأوفى
عند الله . أما المنفردة الأستاذ عبد المتعال
الصعيدى ، فقد أصدر كتابه « النظم الفني
في القرآن » فيها يقرب من أربع مائة صفحة
كثيرة ليثبت هذه الوحدة في كل سورة
من سور الكتاب العزيز ، وقد قال
المؤلف الفاضل في مقدمة كتابه من ٣
« إنه لجذ خطير أن نسلم لأولئك الرافضين
أن القرآن لا ترتيب فيه ولا اتصال بين
آياته ولا ارتباط بين أجزائه لأنهم يطمنون

وترتيبها: فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة
 أصبحت أخبار يهودها له المداوة بغيا وحسداً
 وحال إليهم المنافقون من الأوس والخزرج
 فكان أولئك الأخبار يسألونه ويعتصرونه ،
 ويأتونه بالهيس ليلبسوا الحق الباطل فترلت
 سورة بقره في أولئك الأخبار وفيما يسألون
 عنه وفي أولئك المنافقين الذين مالوا إليهم
 وفيما زلت من أحكام العبادات والمعاملات
 بعد استقرار الإسلام بالمدينة وقد صار
 بها للمسلمين جماعة تحتاج إلى هذه الأحكام
 في أمر دينها ودنياها ، فيكون الفرض
 للقصور من هذه الصورة الرد على أولئك
 الأخبار ومن مال إليهم من المنافقين وبيان
 فساد ما ذهبوا به في أمر القرآن ، وفي أمر
 النبي ﷺ وقد جر هذا إلى ذكر كثير
 من أمور جرى بعضها مجرى القرع
 وجرى بعضها مجرى القرع ، ثم تخلص
 من هذا إلى بيان ما زل على المسلمين في هذا
 العهد من الأحكام اللازمة لهم في عباداتهم
 ومعاملاتهم وله بدلت الصورة بالنبات
 القرآن من عند الله ليكون تعبيداً لبيانه
 نزول فساد ذلك الذهب الذي قام في أمره
 وفي أمر النبي ﷺ .

(البقية على ص ٦٤٢)

أن الطباع الدائرة على وضع معنى للآيات
 في سورها الممهدة هو الذي يهتد هذا
 النزاع ، لأن الجو الموسيقي والإيماء اللفظي
 والنصير البلاغي في كل سورة من السور
 الكريمة هو نسيج وحده بحيث إذا
 انتقلت آية كريمة من سورة إلى سورة
 كان ذلك بمثابة انتقال عضو من جسم
 حيواني إلى جسم آخر إذ يدل على ما منه
 الشامة أكثر مما يدل على غيره آخره ،
 وما دام الأستاذان دراز والصمدي قد
 التقيا على رأي واحد ، وحاولا محاولة
 واحدة في تجميع العناصر في السورة الواحدة
 في دائرة خاصة ملتصقة الفرض فإننا تقدم
 للقارئ ما أثبتته الأستاذ الصمدي لسورة
 البقرة من العناصر لنرى كيف اختلف
 الأستاذان في التطبيق اختلاف يدل على أن
 اتجاهيهما للتطبيق لا يستند إلى أصول
 موضوعية قدر ما يستند إلى استنتاج ذاتي
 بحت ، وفي هذا الاختلاف هو سر ما يؤيد
 رأينا في تجنب القرآن أمثال هذه التكرارات
 الدكية ذات الجهد والإجهاد .

قال الأستاذ الصمدي في كتابه ص ٤٣
 تحت عنوان سورة البقرة : الفرض منها

مسئولية الإيمان

للاستاذ أبو الوفاء المرعشي

[عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ:
لا حجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية]
(أخرجه البخاري في كتابي الحج والجهاد)

وذلك شأن الدعوات الإصلاحية على امتداد التاريخ وفي كل مكان كما فاض الله علينا في كتابه الكريم معزيا لرسولنا عما يلقاه من قومه ومن الجاحدين له فونه حيث قال: «كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود، وهاد وفرعون وإخوان لوط، وأصحاب الأيكة وفهم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد».

وانه نبأ ورقة بن نوفل - وهو الجاهل بملئه وتجاره - لأول بعث النبوة بما سئل محمد ﷺ في مستقبله من الأذى وللمنت حين أخبره بما وقع له مع جبريل فقد قال له ورقة: «طباء وجبل قط يمثل ما جئت به إلا هودى وإله يهركنى يومك ألعرك لعرا مؤزرا».

في هذا الحديث النبوي بعض الواجبات التي تقتضيها مسؤولية الإيمان بالمقائد والأفكار، وقبل أن نتحدث عنها ينبغي أن نذكر أنه أن الدعوة الإسلامية دعوة إصلاحية شاملة لجميع البشر ولعائر فروعهم للبشرية الافتقادية والعملية لتطهيرها من أسباب الرغ والفضلال والفرس والاخلال لهذا تسابق إليها ذور القلوب العلمية والظفر المستقيمة والوجدانات النبوية فآمنوا بها وقاتلوا حول صاحبها فماتوا من مسؤولية ذلك الإيمان وما يقتضيه من تضحيات بالأفنى والأموال والأهل والأوطان .

وقد تعرضت الدعوة الإسلامية وتعرض للأؤمنون بها لتجارب لأحية سنين طويلة قبل أن يصلب هودها ويستمكن بناؤها

وليس لمسئولية الإيمان حدود تحصرها
أوقاف تنقضي عندها لأنها تختلف باختلاف
الظروف والأحوال وباختلاف للوائف
وما يحتمه كل موقف منها ، ويمكن إجمالها
في أنها الاستعداد الكامل في مزجة صادقة
لبسديل كل ما في طوق المؤمن أن يبذل
في سبيل إيمانه والدفاع عنه ودعمه وتأنيده
وحياطته من الفتنة فيه والتفصل منه .

ولقد اجتاز محمد وللؤمنون به تجارب
الامتثال في معرفته . وهي أشد ما تكون
غفامة وقسوة - ينحاح مذهل جرى
في التاريخ مجرى لأمثال في الصبر والصمود
والاحتمال ، وكان أولى التجارب الجاهية

القاسية التي واجهتها الدعوة وواجهها
المؤمنون تجربة الهجرة من مكة إلى غيرها
من البلاد فراراً بالإيمان من بكسة الارتداد
نحت ضغط ظروف الاضطهاد والتنكيل
والترغيب والترهيب حين لم تكن هناك
سلطات شرعية عامة تكفي الظالم وتحمي
للظالم وتمكّن حرية الرأي والمقيدة ،
بل كان الأمر بقوة ، وقوى أن يفصل
بالضعيف ما شاء فلم يكن سبيل إلى النجاة
من الأذى والاحتفاظ بالإيمان إلا الهجرة
للسفرة في ظلام الليل ومناجات الطرق .

ولا شك أن الهجرة همة من أهمل
ما تقتضي به النفس البشرية ، فهي تفرقه
بعد استقرار ومخاضة بعد اطمئنان ،
وأمرض للروح والحرمان وتخل من المال
والسكن والمناخ والبيئة والوطن وكل من
ذلك كلف أن يثنى مزم للبطل وينهب
قل القريب ،

ولقد تمثلت قوة هذه الهمة في موقف
وداع الرسول لمكة حين تأهب للخروج
منها نظر إليها في أسى وقال : والله إنك
لأحب بلاد الله ولولا أن قومك أخرجوك
منك ما خرجت .

ولكن تلك القسوة لم تكن من هزم
للسلمين ولم تنسل من قاصيهم ونعموا
تجربة الهجرة امتحانية لمسئولية الدعوة
ومسئولية الإيمان بها وهات عليهم
أموالهم وأهلهم وأوطانهم وعاجر جماعة
منهم هجرتهم الأولى إلى الحبشة رجلاً ونساء
وكان منهم أغنياء يديرون بأموالهم
وخدمهم في خدمة ورفه ولكن لم يبالوا
هذا القديس وآثروا الهجرة وما عسى أن
يتعرضوا له من مشاق وآلام على البقاء
في ديارهم وعيشتهم من عرضة لفتنة في إيمانهم
وعقيدهم .

ومنذ ذاك صارت الهجرة واجبة على المسلمين فكانت الهجرة إلى المدينة واحتلواها صابرين ودهروا إليها متحامين اليأساً لرضا الله وإشغاف مشروبه وظلت الهجرة من مكة إلى المدينة واسعة إلى أن فتح المسلمون مكة وأصبحت مثابة آمن واستقرار لا يخشى للسلمون فيها أذى ولا يلقون ضياعاً وحينئذ كان أهل الإسلام المسلمين من واجب الهجرة من مكة إلى المدينة بمكة ﷺ : لا هجرة بعد الفتح . ولكن بقي واجب الهجرة من مكان يأتي المؤمن فيه أذى أو حرجاً في دينه وممارسة شعائره . فأما لم ينف للسلمون منه .

وفي الوعيد على التأخر في واجب الهجرة والتخاذل عنه قال الله تعالى : « إنا الذين توأما الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم حكمكم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً . »

وفي فضل الهجرة قال الله تعالى : « ومن يهاجر في سبيل الله فيجد في الأرض مراعياً كثيراً وسعة ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدرك الموت »

وقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحماً .

وفي فضل المهاجرين قال الله تعالى : « فقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون . »

وفي الحديث عن الهجرة وأنواعها وأحكامها يقول العلامة المطالي :

كانت الهجرة على معنيين : أحدهما أنهم إذا أسلموا وقاموا بين قومهم أو ذوا قأمرؤا بالهجرة إلى دار الإسلام ليسلم لهم دينهم ويحول الأذى عنهم . والآخر الهجرة من مكة لأن أهل الدين بالمدينة كانوا قليلاً ضعيفين وكان الواجب على من أسلم أن يهاجروا إلى رسول الله ﷺ ، لكن أن حدث حادث استعاب لهم في ذلك فلما فتحت مكة استغنى عن ذلك إذ كان معظم الخوف من أهلها مأمراً للسلمون أن يقيموا في أوطانهم ويكونوا على نية الجهاد ومستعدين لأن ينفروا إذا استنفروا .

ويقول العلامة رهيد رضا في حكم الهجرة في هذا العصر :

وقد اختلف الفقهاء في حكم الهجرة

الكرام التي جاءت منها لفريضة الجهاد ،
مقرونة بالإيمان وثالثة له قوله تعالى :
« إنا لاؤمنون بالذين آمنوا بالله ورسوله
ثم لم يرتابوا وحاهدوا بأموالهم وأنفسهم
في سبيل الله أولئك هم الصادقون » .

وقد ألهى القرآن في الحديث من الجهاد
ومن حثيئته وفضله وتوابعه وحليته
وإليه أنه ليس السخاء بالنفس فحسب
بل هو السخاء بالنفس وللأهل والولاء
والمفورة والرأى والكلمة وبكل وسيلة
إلى نصرة دين الله وحيطة أوطان المسلمين
وتوقد أمنها واطمئنانها وقد نهجت السنة
النبوية منهج القرآن في الاهتمام بالجهاد
والتنويه بشأنه وعساف المجاهدين وبيان
منازلهم ودرجاتهم . ومن حديث
النبي ﷺ فيما أخرجه النسائي : أنا زعيم
لمن آمن بالله وأسلم وجاهد في سبيل الله
ببيت في ربض الجنة « أه ما حولها
خارجاً عنها » وبيت في وسط الجنة
وبيت في أهل غرف الجنة فهو فعل ذلك
لم يدع الخسر مطلباً ولا من الفخر مهرباً
يموت حيث شاء الله يموت .

والآيات والأحاديث في أمر الجهاد
لا تكاد تحصر وقد مر بها المفسرون

من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام في مثل
عصرنا هذا وبؤخذ من قوة وجوب الهجرة
في عهد المنصورين أنها تجب بمثل تلك القوة
في كل زمان ومكان فلا يجوز للمؤمن أن
يقم في بلاد يفتن فيها عن دينه بأن يؤذى
إذا صرح باعتقاده أو حصل بما يجب عليه
وإن كان حكام تلك البلاد من صنف
المسلمين ، ومن ذلك أن لا يقدر المسلمون على
التصريح قولاً وكتابةً بكل ما يعتقدون
ولا يمكنوا من القيام بفريضة الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع
عليه منما .

ذلك هو الواجب الأول من الواجبات
التي تقتضيها مسئولية الإيمان وللهار إليه
يقوله : لا هجرة بعد الفتح .

أما الواجب الثاني مما تضمنته الحديث
فهو واجب الجهاد لحياة الدعوة فالجهاد
في صيحتها فرض ممنوم على المسلمين بأن
إله يوم القيامة لأن كمال الأمة ووجودها
وبقاء الدعوة وحرية الاعتقاد فيها وعمارمة
شمازها ، كل ذلك منوط بهذا الفرض ،
لذا اشتد الإحلام من أم أركان الدعوة
وقررته بالصلاة والزكاة بل قرره بالإيمان
مباشرة وذكره تالياً ومن آيات القرآن

والواجب الثالث الذي أشار إليه الحديث مما استوجبه مسؤولية الإيمان : الذية في قوله ولكن جهاد ونية وقد فهمها المحدثون بأنها نية الخير للمسلمين ، والخير اسم جامع لكل ما يحبه الله وموالاته ، واسع لا حدود له وكل ما أفدت به نفسك أو غيرك وأدخلك به السرور على منكر أو ممدود فهو خير ، فبذلك ما كان لتفريج ضوائق المسلمين خيراً ، وبذلك جاهدك وشفاعتك للوصول إلى الحق خير ، وانتانك معك خير ، وكذلك بين الناس خير ورك بأهلك خير ، ووقوفك إلى جانب الحق خير ، وتعلمك خير ، وتعليمك الناس خير ، وهكذا مما لا نهاية له من أنواع الخير هو واجب على كل مسلم . وقد يضبط أنواع الخير أن ما غر في ذلك بكل ما أمرنا به الإسلام وتنتهي مما نهانا عنه ، فهو لا بأس إلا بمعروف وخير ولا ينهي إلا عن منكر وشر .

أبو الوفاء المرقسي

والمحدثون والفقهاء واستفروا جهدهم في شرحها واستبطان مراميها وما تنطوي عليه من حكم وأحكام .

ومما ينبغي التنبيه له في حديثنا هذا قوله ﷺ في تأكيد أمر الجهاد : وإذا استفترتم ظهركم ، يعني إذا دعيتكم إلى قتال أعدائكم وأعداء دينكم فلبوا الدعوة وأجيبوا الداعي ولا تتنافلوا ولا تتباغضوا . وهذا الأمر للوجوب يؤكد ذلك قوله تعالى : « افروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون »

وللتناول في أمر الجهاد والتناضل عنه وهو قادر عليه مستوجب لغضب الله تعالى وعذابه لقوله سبحانه : « إلا تنفروا يعضدكم هذا بآلئها ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروا شيئاً والله على كل شيء قدير » . ولقوله ﷺ فيما رواه مسلم : (من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق) .

”العبد“ في مفهوم الإسلام

للاستاذ أنور الجندى

منها القديحة والقربان ، ومنها الطوف حول
شجرة على أنغام الصنوج والطبول والمزامير
وفي الأيدي أحوال يضربون بها أجسادهم
حتى تدى ، ومنها إقامة الولائم التي يذبحون
فيها حيوانا بفكر كونى فى أكل لحى أو شرب
دمه ، ويرافق ذلك جو مفرق فى الإباحة
والبهاء يرتبط فى فلسفتهم بالطمع والإنتاج
والخلاص من الشر والبؤس .

وقد تنوعت مظاهر هذه الأعياد
وأسماءهم فعند الإغريق أعياد «ديونوس»
إله الخمر ، الذى تصوره الأسطورة وهو
يحجوب العالم الغربى ليعلمهم تربية الكرم
وقرب الخمر ، وهناك أسطورة «برمينونية»
التي تخرج إلى العالم فى الربيع فيعود الخصب
والنماء ، فإذا ذهبت جاء القحط والشد .
وقد حفلت الوثنية اليونانية بالأعياد
للفرقة فى مظاهر الرسوم والنصاوير
والموسيقى والبخور والشموع والألبسة
المذوقة والإسراف فى الخمر والرقص
والإباحة .

جاء الإسلام تصحيحا لكل المفاهيم
الإنسانية : اجتماعية وسياسية ، وكانت
نظرتهم أساحا على النظرة العامة الكلية ،
القائمة على الترابط بين الروح والمادة ،
والعقل والقلب ، والدينا والآخرة ، مع
الوسطية وفق أسلوب الفطرة التي فطر الله
عليها الناس جميعا ، ومنعها للنفس الإنسانية
حقها من متاع الحياة فى اعتدال وتوازن ،
يحفظ للإنسان كرامته وفروا ، ويرقى به
فوق معالم الضعف والاحتراف جميعا .

ولقد كانت الأعياد فى تاريخ البشرية
مرتبطة بأمرين :

أولهما استجداء الطبيعة واسترضائها
لتحصل الربيع والماء والزرع بدلا من
الشتاء والقمح . ولاخر استرضاء الأرواح
الشريرة الخفية الخارجة من المنافذ فى قلب
الأرض ، ومن أعمال البحار الهائجة تفتش
عن فريسة بشرية .

وكان هذا الاسترضاء يتم على نحو مفرق
فى السرف فكان يقوم على أساليب مختلفة

وانتجثوا (أى استخرجوا) الأصنام الخثة التي عبدها قوم نوح عليه السلام فعبدها .

وهذه الأصنام هي ود (على صورة رجل وسواع (على صورة امرأة) وبنوت (على صورة أسد) وبعوث (على صورة فرس) ونسر (على صورة لمر) فكانوا إذا حزمهم أمر قربوا إلى هذه الآلهة . من الأصنام والأوثان (والصنم غالباً ما يكون تمثالا أما الوثن فيسكون حجرا) .

وقد عبد العرب الأحجار والحيوان وعبدوا تمثال الإنسان (اساف وناله) وعبدوا اللات والعزى ، وعبدوا النجوم كالغيس وللشترى والعفري .

وكانت الآلهة المأمة منصوبة في الكعبة يحجونها وينذرون لها وذبائحها عندها ذابح يسمونها (عنار) وواحدها عتيرة . وكان في الكعبة عند فتح الإسلام لها ثلاثمائة وستون صنماً — هل ما يروي الخنفرى — وكان أعظمها عند القرشيين (هبل) وكان من فتيق أحر على صورة إنسان مكسور اليد اليمنى وقد صنعها قريش من الذهب الخالص ، وفيما يرويه

وفي الجاهلية العربية كانت الأعياد قريبا من ذلك ، فهي مرتبطة أيضا بإرضاء الأصنام بالذبايح وشرب الخمر والرقص والمباهاة ، وكان أبرز هذه الأعياد عيدي « النديوز والمهرجان » .

وكان المجتمع الجاهلي يقوم على عقائد وثنية قوامها الكهانة والعمرافة ، أما الكهانة فهي مختصة بأسماء المستقبل ، أما العمرافة فتتصل بأموال المناخي .

وكان هناك زجر للطير وضرب الحمى وخط الرمل والاحتقسام بالأزلام . وتختلف الوثنية العربية عن الوثنية الاغريقية في أنها وثنية ساذجة ليحت صميقة الجذور وإنما جاءت نتيجة الانحراف من دين إبراهيم : دين التوحيد .

يقول هشام بن الكلبي : إن الله سلخ بالعرب إلى عبادة الأوثان ، أنه كان لا يظمن من مكة ظاهراً إلا احتفل منه حجراً من حجارة الحرم ، تمطيا لحرم وصاية بمكة لحينما حلوا وشهوه ، وطافوا به كطوافهم بالكعبة ، ثم سلخ بهم ذلك إلى أن عبدوا ما استحبوا ونحو ما كانوا عليه ، واستقبلوا بدين ابراهيم واسما على غيره فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قبلهم

وبالجملة فقد طارض الإسلام هذه النظم وألغاهما وأحل بدلا منها الإيمان بالله وحده « بعيداً عن كل هذه المظاهر والتهاويل فجاءت أعياد الإسلام بسيطة نقية : قوامها التوجه إلى الله وحده ، والائتلاء بهن أبناء المجتمع الواحد ، في المسجد بيت الله ، وربط الإسلام بين العبد وبين تلك المحبة والأخوة ، وبين الإنفاق والصدقة والإحسان ، وأداء الزكاة التي هي فريضة يؤديها كل قادر ويتقبلها كل محتاج ، وتكون الأقرب فالأقرب ، أهلاً وجيراناً .

وبذلك حرروا الإسلام مفهوم الأعياد من الطقوس والمراسم الفارقة في الأثام والفاحشة وأعادها إلى اليسر والبساطة والساحة التي تتفق مع الفطرة الإنسانية « ألا لا الدين الخالص » .

ولقد جاء الإسلام فوجده عند العرب يومين كانوا يلعبون فيها ويلهون فأبطلها وأحل محلها يومى الفطر والأضحية .

وبتمثل مهرجان العيد في مفهوم الإسلام : في تلك الصورة الباهرة ، حين يخرج الناس إلى المسجد في إشراق الصباح ،

ابن اسحق وغيره ، أنت قريباً كانت تجتمع في أيام أعيادهم حول هذا الصنم يمشونه وينحرون له ويطوفون به ويدفرون الخمر ويرقصون .

فلما جاء الإسلام تحوّر معنى العيد من كل هذه الصور الوثنية وصار مهرجاناً كريماً متجهاً إلى الله وحده ، فقد هدم الإسلام الأصنام ودعا إلى (عقيدة التوحيد) ، وآمن مستنقوه بأن الله وحده هو باعث النعم والمطر ، والرزق والمطعم ، وأنه هو الذي يؤمن الناس من كل خوف ، خرف الظلام والليل الطويل ، وألغى الإسلام مفاهيم الأرواح الشريرة المضاغة التي تخرج من الأرض أو تنبث من البحار ، ثبتت عن قريضة ، فالأمر كله لله ، فهو الرزاق ، وهو الحافظ ، كما ألغى الإسلام البغاء ، والوادة ، والخمر ، والميسر ، كما أبطل العري في الطواف . كما قضى على الكهانة والعرافة ، وأبكر كل هذه الطقوس وهدمها هدماً ، وعند ما دخل الرسول الكعبة بعد فتح مكة أمر بتعطيم الأصنام ، وأرسل من حطم الأصنام في مختلف أنحاء الجزيرة .

الثالثة ، حيث دفع الإسلام الإنسانية حينئذ نحو طهارتها ونحو كمالها وقائما ، وحول مفاهيمها من الماديات المفسدة النيفة ، إلى المعنى الإنساني الأعلى لخصتها من غرور الملابس الزاهية والمآكل السامة والخور والرقص والإباحة إلى طابع يغلب فيه الاتصال بالله الواحد الأحد ، ويهد إلى الترابط الاجتماعي ، لقاما وممايدة ، وصلة بين الفنى والعقير .

وقد ربط الإسلام الأعياد بأعمال عبادة وجعلها ثمرة لها ، فربط العبد الأصغر بغير رمضان وبفريضة الصوم . وربط العبد الأكبر بالتضحية ، وفريضة الحج الأكبر . وأوجب فيهما الزكاة والصدقة والتوسعة ، ولم يحرم أيها زينة الله التي أخرج لعباده .

ولقد كان رسول الله ﷺ حريصا على أن يشهد مورجان العيد في المسجد مخاضه ضامرا الأمة ، تقول أم هانئ : أمرنا النبي ﷺ أن نخرج في العبددين : الدواقي وذوات الخلدور ، فسكات نخرج الخباء واليسكر ، حتى الحائضات كن يخرجن فيقفن خلف الناص يسجدن مع الناس ،

وأصواتهم تملو بالتكبير على ذلك النحو الذي يهز القلوب المتجهة إلى بارئها .

« الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله والله أكبر والله الحمد » .

ويصور الرسول صلى الله عليه وسلم مهرجان العيد ويرسم له أهل صورته :

« إذا كانت فداء الفطر ، يمشي الله ملائكته فيقومون على أفواه السكك

ينادون بصوت تسمعه جميع الملائكة ، اخرجوا إلى رب كريم يغفر الذنوب العظيم

ثم إذا برزوا إلى المصل : يقول الله تعالى : يا ملائكتي ، ما جزاء الأجير إذا عمل عمله

فترسل الملائكة : إلحنا وصيدنا ، جزاؤه أن يولى أجره ، فيقول تعالى : يا ملائكتي :

أشهدكم أني جعلت ثوابهم في صيامهم ، وقيامهم وضاهي ومغفوني ، يا عبادي :

سلموني فوعزني وجلالي لا تسألوني اليوم في حكم هذا شيئا لاخرتكم ، لا أهليتكم

ولا شيئا لدياكم إلا نظرت إليكم وعزني وجلالي ، لأستقرن عيوبكم ، ولا أضعكم

ولا أخزيكم ، انصرفوا مغفوريين فقد أرضيتهم غرضيت عنكم » .

وهكذا كانت تكبيرات العيد بمثابة تحرير وانطلاق من أغلال تلك الصورة

عظيم كالصوم أو الحج، وامتداداً إلى الزكاة
والإنفاق، والتلاق بين مختلف الطبقات
في مودة القرب وفي منافع الحياة وبذلك
أعاد الإسلام مفهوم «العبد» إلى الفترة
الإنسانية الأصلية جامعاً بين الروح والمادة
والديار والآخرة، محرراً من الضرر الإباحية
تقياً خالصاً لله وحده.

أنور الجنزى

وأباح الإسلام في الأعياد: من أمور التفرح
جارية تام بصدق، أو رجال يلعبون
بالسيف أو بالنروق والخراب.

والجمل فلفد صحح الإسلام مفهوم العبد
خبره من الوثنية والإباحية، وجعله توحيداً
وتوجهاً إلى الله بالهبة في مهرجان المسجد
«الله أكبر» وربطه بالجامعة إصلاً لا بمل

(بقية المنقود على ص ٦٣٤)

الإعجاز والتعدي بين قوم عرفوا بالفصاحة،
وظلت له صهارته للجزء في ديار البيان
على تناسل الأحقاب دون أن نخضع كل
سورة منه لفرض معين، بل كان تنوع
الافراض في السورة الواحدة موضع
روعة وإعجاب وتأثر وانجذاب، وقد قال
الله عز وجل عنه في محكم آياته «لو أنزلنا
هذا القرآن على جبل لرأيته خائفاً
متصدداً من خشية الله وتلك الأمثال
نضربها للناس لعلهم ينتفكرون».

د. محمد رجب البيومي

ونحن نرى أن ما نمن عليه الدكتور
حراز قد بدأ أكثر تماسكاً والتزاماً بما
نمن عليه الأستاذ الصميدى مع اتفاقهما
في بعض العناصر دون البعض مما يؤكد
أن المسألة مسألة استنتاج ذاتي لا تحليل
موضعي، ولو أنصح لمارس ثالث يذهب
مذهبهما في وحدة الفرض بالسورة أن
يلخص عناصر سورة البقرة لوافق في شيء
وخالف في شيء ونحن نستخرج من هذا
العناء حين نعلم أن كتاب السماء لا يخضع
لمنهج الأرضي والتأليف.

وأن هذا الكتاب قد كان موضع

دور الأزهر في الحركات الفكرية والثقافية

للدكتور عباس حمى إسماعيل

الروحية لفطر كبير من العالم الإسلامي يتلقى الناس فيه عقائد للذهب الفاطمي ، وينافس به المباسين بالعراق ، في ميدان الثقافة ، إلى جانب الحماية والسياسة ، وأقيمت الصلاة فيه أول مرة في اليوم السابع من رمضان سنة ٣٦١ هـ (٩٧٢ م) وأطلق عليه (الأزهر) تيمنا بفاطمة زهراء ولأنه أكثر الجوامع ثغمة ورواء ، وتحيط به النصور الجليلة ، وزينت مناراته بأنوار زينة ، وألبرت بالأزوار الساطعة في المواسم العامة مما حدا بالمرء ليقب الله إليه بناء منظره في قصره ، ليهاهده منها هذه الريبان فأطلق عليها منظره الجامع الأزهر ^(١).

ولم يلبث الجامع أن أصبح جامعة دينية يتلقى فيها طلاب العلم ورواده المذهب الفقيحي . وكان أول درس ألقى بالجامع في صفر ٣٦٥ هـ (٩٧٥ م) عندما جاس على بن العمال القاضي ، وأملى مختصر أبيه له فقه الشيعية . ثم تلاه الأساتذة في مختلف

انتهى الفاطميون إلى تأسيس خلافة حاوية مستقلة باسم الدين ، وبفضل اتساعهم إلى الرسول ﷺ ^(١) وكان بناء مسجد يجتمع فيه المسلمون لجمعة أول ما كانت تولى إليه سيادة الحكام المسلمين ، وخاصة عند تأميمهم طامة جديدة لها يفتخرون من بلاد . ولم يكن الباءت على بناء المساجد مقصورا على الأغراض الدينية وحدها ، بل شهدت لتسكون مدارس ، على اعتبار أنه الدين هو الباءت الرئيسى على طلب العلم وفكره ، ولتكون محكم تفصل بين الناس بالعدل . ولما لم يكن من الممكن للفصل بين السياسة والدين في الإسلام ، كان المسجد المكان الذى تذاع فيه الأخبار الهامة التى تتعلق بصالح المسلمين ^(٢).

وما كاد جوده الصقل يضع أحاس الفاعرة حتى فرح في بناء مسجد عظيم ، يلىق بتمام الخلافة المستقلة ، وللجامعة

[١] الخريزى : انوار الحقا بأخبار الحقا .

(2) Margoliouth: Cairo, Jerusalem and Damascus. p. 40

[١] حنين لإبراهيم : الفاطميون في مصر .

وتعددت أروقته الأزهر ، فنهروا رواق
للمساجدة ، ورواق المحاكاة (المبارزة)
ورواق الجارة ، ورواق المليانية الأفنان
ورواق للخاربة ، ورواق السنارية ورواق
الأروام (الأزواك) ورواق الدهنية ورواق
الشرافة ، ورواق الحنابلة^(١) .

وفتح الأزهر أبوابه لطلاب دول تخمين
بين جنس أولئك أو طلبة ، فكان ولا يزال
مثلاً طيباً فتعلم الحر ، ويعلم للمستشرق
لنفسه بوله على ذلك بقوله : « إن المحاسن
التي كان صفة من صفات طلبة الأزهر ،
يدل على الرغبة الصادقة في العلم ، دون
قصد الحصول على المكافآت ، أو اجتياز
الامتحانات ، وذلك ما كانت تفتقر إليه
الجامعات الأوروبية »^(٢) . وبهراسة نظم
الحياة في الجامعات ، تلى نهضة في الغرب
الأوروبي ، في أواخر المصور الوسطى ،
يتضح الشبه الواضح بينها وبين النظم التي
كان معمولاً بها فعلاً في جامعة الأزهر ،
وما نقل عنها من مجاميع الأندلس وصقلية

العلوم والفنون كالمنطق والرياضيات والفلك
والطب ، حتى أصبحت جامعة الأزهر تبراها
للجامعات الإسلامية .

وحمل الفاطميون على اجتذاب طلاب
العلم إلى جامعتهم ، من كافة أرجاء العالم
الإسلامي ، من الصين إلى المحيط الأطلنطي
بما يقدمونه إليهم من الماء كل والمسكن
وكل ما يوفر لهم أحباب الراحة من غير
أجر وأغدقوا على الأساتذة المنح والهدايا
وخامسها عليهم الخلع النفيسة في الأعياد
تقديراً لعلمهم ، في وقت هم فيه الرخاء
والنشاط الديني ، كما يقول للمستشرق ويني
هوسر^(٣) ولعل أسمى المنح ، هي التي أذن
بها الخليفة الحاكم سنة ٤٠٠ هـ (١٠٠٩م)
في وقفية خاصة بالأزهر وبعض مساجد
القاهرة ، وصده فيها رباحاً تفضل أموالاً
كثيرة . وجاء في الوقفية : « للجامع
الأزهر ... في هذا الإهداء المحلى والتمن
ونصف المحلى ونصف المنح ... من المعنف
المعزى 'توازل ألف دينار وأحد وسبعة
وستون ديناراً وعين ديناراً'^(٤) .

[١] - سليمان وسد : كثر الجور في تلويح الأزهر
ص ٩٦ ، عبد الرحمن قنسى - الجامع الأزهر .

Lane-Poole : Hist. of Egypt [٢]
in the Middle Ages - The Story of
Cairo.

(١) Hist. et Religion de Nésairis.

[٢] - البرزلي : الواظظ والاعتبار بذكر الخطط

والآثار ج ٢ ص ٢٧٣ - ٢٧٤ .

وجنوب إيطاليا . ولا يمكن أن يكون هذا انتهايه وليد للصادقة ، فنظام المعبد في الأزهر مقدماً مديداً ، ومركز الأستاذ في الجامعة ، وأثر مكانته العلمية في اجتذاب للطلاب إليه من الأقطار البعيدة ، كان أمراً ما لولا في الأزهر قبل الجامعات الأوروبية ، وأنواع الشهادات التي كانت تمنح لطلاب العلم الناجحين ، هي نفسها أنواع الشهادات التي عرفها الغرب الأوروبي في أواخر المصور الوسطى إلى أن بعض المستشرقين يؤكدون أن إجازة البكالوريا التي كانت تمنح للمعبد في أوروبا ، وهي الشهادة التي لم تعد للعالم إلى تفهم اشتقاق اسمها ، إنما هي مأخوذة من شهادة « حق الرواية » المعروفة في الأوساط العلمية الغربية الإعلامية . وتوصل الفكر في المخطوط ، إلى أن البحث يجب أن ينحصر نحواً محورياً يقوم على أساس للاحتكاك والتحرية ، وعلى ذلك فإن القول بأن روجر بيكون هو مبتدع للذهب التجريبي قول بديه من الخليفة ، ويقول ريفولت (Briffault) طال يكون أصول المذهب التجريبي من أساندة الغرب ولكنه لتلاميذه في غرب أوروبا^(١).

والواقع أن الأزهر سار في تعليمه على نظام الحلقات الدراسية ، التي كانت تتبع للبحث العميق والمنافعة البناءة ، وهذه الطريقة لا تزال الجامعات الأوروبية والأمريكية محافظة عليها فيما يصونه كافة للبحث (Seminar) وكان لطلاب الأزهر الحرية في اختيار أسانذته والمواد التي يريد أن يتعلمها ، ولا تزال جامعة السربون المنتمية من جامعة باريس تتبع هذه الطريقة إلى الآن . وعلى الأزهر بتربية طلابه تربية استقلالية ، فساد أسانذته يكفلون الطلاب بإعداد الدروس مقدماً ، مما جعل موقف الطالب إيجابياً في تحصيل العلوم المختلفة . وفي سبيل نموذ الطلاب الاتحاد على أنفسهم كان الأستاذ يقتصر على تدريس جزء من المادة ، يوضح فيه طريقته ومنهاجه ، ثم يترك بقية المادة للطلاب يستقلون تحصيلها على ضوء ما درسوه مع أسانذهم ، كل على قدر استعداده العام وقدراته الخاصة ، وكان الطلبة يجلسون على الأرض ، أمام أسانذهم وهو يجتهد فيهم ، في شكل نصف دائرة متلثة بهم ، يحتل الأستاذ مركزها على

١٩١٩، ١٩٢٥، ١٩٢٩. الجامعات الأوروبية المصور

الوسطى ، سيجريد هولكة . فضل الغرب من أوروبا

(١) سيد محمود وزملاؤه . بحثنا الغربي

العباسية بالقاهرة ، غوفه إليها كثير من
من العلماء ، ونشطت فيها الحركة الفكرية ،
واردهم الإنتاج العلمي ، وظهر عدد كبير من
المؤلفات والبحوث في مختلف العلوم والفنون
ومن العلماء الذين وفدوا إلى القاهرة ، في عصر
المماليك ، العلامة بن خلدون ، الذي تصدر
التدريس بالأزهر بعض الوقت ^(١) ، ولقد
لقى الأزهر من المدارس الأيوبية والمملوكية
منافسة شديدة ، غير أنه صمد لمنافستها
بقوة وعزم ، لأنه امتاز بتاريخه الجيد ،
وشهرته العالمية ، ورائه التقليد ، وتنوع
مستوياته ، وتمدد علومه ، فظل الجامعة
الكبرى ، ومركز الدعوة الإسلامية .

غير أن الأزهر أخذ يفقد مقامه العلمي
المعظم في العصر العثماني ، حين فقدت مصر
استقلالها ، واضمحلت شأنها ، كمركز
من أقوى مراكز الثقافة الإسلامية ، وبدأ
على الأزهر إصراف في المحافظة تبلغ مبلغ
الجور ، من باب الملاح عن النفس ، الذي
يلازم فترات الضعف والإحسان بالمعاصرة
ولكن على الرغم مما انصف به التعليم
بالأزهر من ضيق وجور ، فإنه لم يتصل
بناحية هامة من حياة المسلمين ، وخاصة

منفعة مرتفعة من الخشب مهدودة إلى حدود
من أعمدة الجامع ، وهو ما يطلق عليه الآن
الامتداد صاحب الكرمي وحول كل صوره
نفأت مدرجة لفكر الحر ، لكل آراؤها
وحجبها ^(٢) .

وعن عهد صلاح الدين ، بدأت الدعوة
من جديد للمذهب السني ، وقد أشار الشيخ
صدر الدين بن دربان تاضي القضاة إلى
ضرورة إقامة صلاة الجمعة في مسجد واحد
بالمدينة طبقاً للمذهب العامي ومن ثم أقيمت
صلاة الجمعة بمجامع الحاكم ولكن الأزهر
ظل جامعة تدرس بها العلوم والدليل على هذا
أن الرحلة مع الطيف البغدادي ، عند ما

زار القاهرة سنة ٥٩٦ هـ (١٢٠٠ م)
جلس في الأزهر للتدريس ، وألقى به
محاضرات في المنطق والطب ، حسبما أورده
في كتابه «الإفادة والاعتبار في الأمور
المعاصرة والحوادث المعاصرة في أرض مصر»
وظلت صلاة الجمعة معطلة في جامع الأزهر
نحو من قرن ، إلى أن أمر الظاهر بيبرس
بإقامة الخطبة فيه ، في جديد سنة ٦٦٥ هـ
(١٢٦٦ م) ومنذ ذلك الحين أزهى الأزهر
وأبهر ، وبخاصة بعد أن أحيى بيبرس الخلافة

[١] ابن خلدون : البر وميوان التبتا والجور

[٢] على ميد الواحد والى : الأزهر :

قوية مغلفة في النفوس ، ولقد ابنى له الآثر
الروحي ، فكان يطلب ويحترم قداه ،
وكانت الأسرة تفخر بأنها وهبت بعض
أبنائها للأزهر ، وحرص السكثيرون من
طلابه على أن ينالوا منه بنعيم ، ثم يمردهم
إلى قراهم ، فلا يبحثون من وظيفة يستغلون
فما العلم استفلا لا ماديا ، بل يستغلون بتجارة
أو زراعة ، ويعملون في الوقت نفسه على
إعادة الناس بملهم في الساجد ، فيوجدون
بذلك لونا من ألوان الثقافة بين طبقات الشعب
فلا يجب إذا قبل أن في هذا النوع من التعليم
قوة التعليم القوي ، وكان للأزهر
في ذلك العهد فضل كبير في مغالبة عوامل
الانحلال والضعف والمجعة ، وفي حفظ
ما بقي من التراث العربي (١).

وما لبث للشعب العربي أن استهبط من
سباته على حدير مدافع جونا بورت ، الذي
قاد الجثة الفرنسية سنة ١٢١٣ هـ (١٧٩٨ م)
فكانت صراعا بين ثقافتين ، تبين العرب
خلاله تخلفهم ، فقال الشيخ حسن العطار :
« إن بلادنا لا بد أن تتغير أحوالها ويتجدد
بها من المعارف ما ليس فيها » وقه قوي هذا
الإنجاء أن المستنيرين من العرب كانوا يعرفون

وما لبث للشعب العربي أن استهبط من
سباته على حدير مدافع جونا بورت ، الذي
قاد الجثة الفرنسية سنة ١٢١٣ هـ (١٧٩٨ م)
فكانت صراعا بين ثقافتين ، تبين العرب
خلاله تخلفهم ، فقال الشيخ حسن العطار :
« إن بلادنا لا بد أن تتغير أحوالها ويتجدد
بها من المعارف ما ليس فيها » وقه قوي هذا
الإنجاء أن المستنيرين من العرب كانوا يعرفون

[١] عباس حلمي : تطور التعليم في مصر - القاهرة ١٩٥٦ [٢] أبو الفتح رشيد : القومية العربية ص ١٤٢-١٤٣

لمن أدرى للمتبحرين في جميع المواد
أو معقما، وتبين أن هذه كفاية كبيرة
لتعليمها. وتتمتع الدرجة الثانية لمن أدرى
المتبحرين في معقما، وتبين أن قدرته
لا تسارى قدره صاحب الدرجة الأولى
وتتمتع الدرجة الثالثة لمن أدرى
المتبحرين في بعضها دون غالبها، وله قدرة
يقفدر بها على فهم وتفهيم هذا البعض.
ويرسب من لم يرضى للمتبحرين، في أية
مجموعة يعتمد بها من هذه المواد. ويجوز
لصاحب الدرجة الثانية والثالثة، أن
يميدوا امتحانهم فيما بعد، لنيل الدرجة
الأولى وكسوة التشريف. وتنص اللائحة
بأن لا يتقدم لهذا الامتحان، في العام الواحد،
أكثر من ستة طلاب، فإن زادوا على
ذلك، نظر الشيخ في موجبات الترجيع،
كالهجرة أو الجامعة أو سبق التسايرج
أو كبح السهم (١).

ومنذ أن عهد الشيخ محمد عبده، عضوا
في مجلس إدارة الأزهر في رجب ١٣١٢ هـ
(١٨٩٥ م) نهض بالتعليم فيه، ليتخرج
العلماء المنحدرين، الذين يدعون الدين

ونفسلا واصل شيوخ الأزهر الاهتمام
بالمعلم، فاهتم الشيخ أحمد المشهور
بالمعلم النبات والحيوان والفساد والطب
والتشريح والفقه، وألف الشيخ حسن
الطاهر، في تقويم البلدان والطب. وتقدم
الشيخ مصطفى المروسي باللائحة لتنظيم
الأزهر، وروى تدرسي المعلم الحديث فيه
ومدرو على عهد الشيخ محمد القدي العباسي
اللائحة المعروفة باسمه سنة ١٣٨٨ هـ (أول
فبراير سنة ١٨٧٢ م) التي تنص على ألا يجوز
لأحد أن يمدى فتدرسي في الأزهر، إلا
إذا كان قد انتهى من دراسة كليات الكتب
في إحدى عشرة مادة وهي: التفسير
والحديث والأصول والنحو جسد والفقه
والنحو والعرف والعاني والبيان والبديع
والنطق، واجتاز بنجاح في هذه المواد
امتحاناً، على يد لجنة رأسها شيخ الجامع
الأزهر نفسه، ويتألف أعضاؤها من
اثني عشر من علماء الخنفية واثني عشر
علماء المالكية، واثني عشر من علماء الشافعية
وينظم إليهم عضو من علماء الحنابلة، إذا
كان للمتبحر حبلى للذهب. وتنص
اللائحة الناجمة إلى ثلاث درجات:
فتمنح الدرجة الأولى وكسوة التشريف

[١] ط عبد الواحد والي: الأزهر.

ورقموا كل الإسلام، ووثقوا مدى الوحدة بين أبنائه بأرصادهم إلى وسائل الترام واطماط وهو إذ يستملك برائنا الروحى، يعتبر ديانة من دماهم المصور أدم التيارات الفكرية، التى حاولت أن أن تسخر فى كيان الأمة العربية، وهو بماه من تاريخ مجيد، وفى ظل قانونه الجديد، قادر بأجهزته المتعددة على النهوض بالثقافة الدينية مستقاة من منابعها الأصلية فى مصور الازدهار والقوة فليكن احتفالنا بعيده الألفى احتفالا يليق بأهرك جامعات العالم المعاصر !

عباس ملهى إسماعيل

الإسلامى إلى جوهره الأصل، اجتهد هو وأستاذه جمال الدين الأفغانى، فى بيان أن الإسلام دين يصلح لجميع الأزمنة. وقد حرص الشيخ محمد عبده على كشف هذه الحقيقة للأفريج، الذين لم ينهموا الإسلام وردوا إليه بسبب تخلف الشعوب الشرقية وصرف همه إلى إثبات أنه لا تعارض بين الإسلام فى صورته النقية وبين العلم الحديث

والواقع أنه قد تخرج فى الأزهر، جامعة القاهرة الممزية، على تعاقب المصور كثير من زعماء الإصلاح ورواد الفكر الإسلامى، الذين أبقتوا شعوب الشرق

قال الله تعالى :

« إذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا . »

العَمَلُ بَيْنَ الدِّينِ وَالْحَيَاةِ

للأستاذ محمد كمال الدين

- ٢ -

فإذا أدى العامل عمله بأمانة كاملة ، كان ذلك حيلة لرضائه عن نفسه ورضاء صاحب العمل - أو مثالي هذا العمل - عنه ، وكان حيلة لوضع الثقة فيه ، ومن ثم لاستمراره في هذا العمل وزيادة كسبه منه .

وتتبع صفة الأمانة صفة العفة ، بأن يؤدي العامل عمله كاملاً لا ينقص وقد يزيده ، وكذلك صفة العفة ، فلا يطمع في زيادة لا يستحقها ، ولا يستغل عمله في الإضرار بشيء أو تضليله عن الصواب .

أما رب العمل فله حقه اختيار العامل المناسب للعمل الذي يسكنه به ، ولكل ميسر لما خلق له ، فإذا رأى منه القدرة على القيام به أصبح مسئولاً عنه « وللمثلين مما كنتم تعملون » النحل ٩٢ ، « إن الله بما تعملون بصير » البقرة ١١٠ ، « وإن تحسنوا وتنقوا فما إن الله كان بما تعملون خبيراً » النساء ١٢٨ .

حين يحض الإسلام على العمل ، ويقرره أصحاباً من أسس الملوك الاجتماعية ، فإنه يضع له القواعد التي يقوم عليها ، والقروط الواجبة في التعامل وصاحب العمل على المواءمة ، ومسئولية كل منهما ، وبصفاتها الحقوق والواجبات ، ثم يفترض في العمل نفسه أن يكون متشابهاً مع طائفة العامل وقطرانه الدينية والبديعية ، وأن يكون الأجر متشكلاً مع ما يبذله العامل من جهته ، وقد أخضعت جميع القوانين المالية في مختلف الدول قواعد وأسسها من هذه البادية الإسلامية وإن اختلفت أشكالها ومسمياتها .

لكن الشرط الثاني ومنها الإسلام لاختيار العامل أن يكون كفواً لهذا العمل ، وذلك بأن يكون قادراً من حيث الخبرة والقدرة على ممارسته ، وألّا يتعلمه أولاً ثم يحترقه إلى أجاد فهمه ، وأن يكون أميناً في أهله فلا يهمل ولا يقصر ولا يتخون ،

هرق « (رواد ابن ماجه) ، ويقول أيضاً :
« ثلاثة أمانا خصصهم يوم القيامة : رجل
أعطى به ثم غفر ، ورجل باع حراً فأكل
ثمنه ، ورجل استأجر أجسراً فلم يوفقه
أجره » (سنن ابن ماجه ج ٢ ص ٤٥) ،
ويختلف الأجر باختلاف نوع العمل .

ومن هنا كانت للراتب والمرتبات
الوظيفية التي تعمل بها على الدولة ، وكما
نواجه نوعية العمل ، ونوعية العامل في
نفس الوقت ، فالعامل ليس كالثقل ،
والضعيف ليس كالقوي ، والعمل الذهني
يختلف عن العمل البدوي ، ولكل عمل
مربات ومتطلبات ينبغي توافرها في العامل
ومن هنا كان ما يسمى بالتوجيه المهني
وما يسمى بالتهريب أو الاختيار المهني ،
ولها قوانين وشروط محددة تهدف في
النهاية إلى صالح العمل والعامل في وقت
واحد .

وكما بين الإسلام واجبات العامل
وشروط اختياره وجزائه ، وكما يضع له
حقوقه المادية ، فإنه لا يقبل حقوقه
المنوية ، كحقه في تأمين راحته ، وفي
ذلك يقول الرسول الكريم : « إن لنفسك
عليك حقاً ، وإن لجسدك عليك حقاً . »

وفي مقابل توافر هذه الشروط في
العامل ، يكون جزاؤه عند الله أولاً ،
ثم في الدنيا بأن يأخذ الأجر المكافئ
لجهده ، أما الجزاء عند الله « فالدن آمنوا
ومحلوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم »
الحج ٥٠ ، « ويزدهم من فضله » للنور ٢٨ ،
« إنا لا نضيق أجر من أحسن عملاً »
الكهف ٢٠ ، « وأما الذين آمنوا و عملوا
الصالحات فيرثهم أجرهم » آل عمران ٥٧ ،
« من دخلهم جنات » النساء ١٢٢ ،
« كانت لهم جنات تجري من تحتها
أنهار » ولنكفرت عنهم
صيثاتهم ، المنكفوت ٧ ، « ولندخلهم
في الصالحين » المنكفوت ٩ ... الخ .

وعلى الجزاء أو الأجر هو في مقابل
العمل « ولكل مراتب ما عملوا وليوفهم
أعمالهم ثم لا يظلمون » الانشقاق ١٦ .

أما في الدنيا فيوجه الله سبحانه وتعالى
الخطاب إلى أصحاب العمل : « ولا تبغضوا
الناس أهواءهم » (الأعراف ١٥) .. ولهم
أجر غير ممنون » (الانشقاق ٢٥)

ومن أحاديث الرسول في هذا المقام
قوله : « اعطوا الأجير أجره قبل أن يجف

ويقول أيضاً « ولا تكفونهم ما يغلبهم ،
 فان كلفتموهم فأدينوهم » (رواه
 البخارى) ، ويقول أيضاً : « إن الله يحب
 الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على
 العنف » (صحيح مسلم بشرح النووي) ،
 وفي القرآن الكريم قوله تعالى : لا يكلف
 الله نفساً إلا وُسْعها » (البقرة ٢٨٦) (١) ،
 ومن هنا كان تحديد ساعات العمل حتى
 لا يرهق العامل نفسه ، أو يعطى أكثر
 مما يستطيع ، وإلى جانب حق الراحة ،
 كفّل الإسلام العامل حق التأمين إذا عجز
 عن العمل أو تقاعد لبوغيه السن القانونية
 وعلى مدى ذلك وضعت قوانين التأمين
 والمعاشات ، وروى من خاله بن الوليد
 حين صالح أهل الحيرة - ومن ينوء
 الملح كفاة كل حامل ضعف من العمل
 لكبر أو مرض أو كارة - قوله :
 « جعلت لهم أيما شيخ (أي حامل)
 ضعف من العمل أو أصابته آفة من الآفات
 أو كان غنياً فافتقر ، وصار أهل دينه
 يتصدقون عليه ، طرحت جزبته ، وعيل
 من بيت مال المسلمين وعياله ما أنعم به الله
 عليه » (٢) ، وقد شهد أبى مع رسول الله
 الحديبية « فوقف معها عمر ولم يحض

(١) انظر أيضاً الإسلام دين العطف والرحمة
 الشيخ عبدالقزير جابوش - كتاب الهلال لعدد ٨٨ ص ٦٢

وقال « مرحبا بذهب قريب » ثم انصرف إلى بعير ظهر كان مربوطا إلى الدار لحمل عليه غاراتين ملاءهما طعنا وجعل بينهما نفقة وثيابا ، ثم ناولها خطامه فقال « افتناده قلن يفنى حق بأنبيكم الله بخير » (من سيرة حمزة بن الخطاب لابن الجوزي) وتقد كافي صر يقهر للأراذل من أهل العراق وغجره حنظل في بيت المال مهما تختلف بين الدار ، ويقول في ذلك أما لئن بقيت لأراذل أهل العراق لأدعن لا يحتجن إلى أحد بعدى » (١) .

هكذا الإسلام دين حياة وعمل يفرح ويطلب ، يمدد ولا يظلم ، يعلى لكل ذي حق حقه ، يحسن الحاجز والفقير يكفل الحياة للجميع ، يوصي بالحق ويأمر بالتباعد

[١] فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر المصنف في الجزء الرابع ، ص ٣٣٢ .

ويحض على عمل الخير والتمسك به « أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى » (آل عمران ١٩٥) « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » (النحل ٩٧) والإسلام في تفريعه قدوة ومثل أهل ، منه أخذت القوانين الوضعية وتشريعات العمل جميع خطوطها الأساسية ، وبها كانت الدولة الإسلامية في يوم من الأيام ، وهي أن يعود قريبا من أعظم الدول قوة ومنعة ، وما ذلك إلا بالعمل الدائب في جميع المجالات والأمانة والأخلاص في تأدية هذا العمل فبهما تنهض الأمم ، وعليهما قامت وتقوم الحضارة الإنسانية .

محمد كمال الدين

انتشار الإسلام في الرحاب

للككتور حامد غنيم أبو سعيد

— ٥ —

وابن العقبة^(١) وباقوت^(٢) إن نحوها قد ارتبط بأزدهار الإسلام .

وما يقال عن ورتان ، وارتباط ظهورها وأزدهارها بأزدهار الإسلام في العراق الشرقي لأفريجاب يقال أيضا عن كل من برزند وبريز وسرافة ، وكل من المدينتين الأخيرتين كانت خاصة لإقليم أفريجاب في فترة من فترات التاريخ .

فمن برزند يقول باقوت^(٣) : « كان أول من عمرها الأفقيين^(٤) ، وجمالها مسكراً له بمداد كانت خرابة » . ومن تبريز يقول البلاذري^(٥) : « وأما تبريز فنزلها الرواد الأزدي ، ثم الوجيهاء بن الرواد ،

في المقال السابق تناولنا بالتفصيل بعض المظاهر التي تمكس لنا مدى ازدهار الإسلام في إقليم أفريجاب ، ونواصل في مقال اليوم الحديث عن بقية هذه المظاهر ، فنقول : إن من يدرس حركة انتشار الإسلام في هذا الإقليم يستطيع أن يبين بجلاء ظاهرة هامة تمكس في الدرجة الكبيرة التي وصل إليها نمو الإسلام وأزدهاره في الساحة الشرقية لهذا الإقليم ، بل وفي غيرها من النواحي ، تلك هي ظاهرة إنعاش مدن وقرى إسلامية بكل ما تحمل هذه الصفة من دلالة ، إذ أن إنعاش مدينة أو قرية إسلامية كان يستلزم في الوقت نفسه إقامة جامع أو مسجد ، وغير ذلك من المعالم العمرانية التي تعطي المدينة أو القرية الطابع الإسلامي .

ومدينة (ورتان) التي أشرنا إليها سابقا يقول عنها المؤرخون أمثال البلاذري^(٦)

[١] مختصر كتاب البداية ٢٨٤

[٢] معجم البلدان ٥٠ - ٢٧٠

[٣] المصدر السابق ١٥ - ٢٨٢

[٤] ومعروف أن الاثنين كان القائد الذي قاد القوات البساسية في مواضع بابك الخزي ، وبمعه قيادة نجحت القوات الإسلامية في هزيمة هذا المرتد وفي القضاء على حركته وذلك في سنة ٢٢٢ .

[٥] فتوح البلدان ٤٦٢ - ٤٦٤

[٦] فتوح البلدان ٤٦٠ - ٤٦٥

بفريق جديد، عنصر يجمع بين أهم خصائص
العنصر الكردي وأبرز سمات العنصر
المصري .

ومظهر آخر يلاحظ الدارس أنه كان
مصاحبا لحركة انتشار وازدهار الإسلام
في أفريقيا ، ذلك هو انتشار اللغة
العربية ، لغة القرآن والحديث ، دعامتي
الدين الجديد ، وقد أخذت اللغة العربية
تستوطن أفريقيا مع العناصر العربية
التي استقرت بها ، ثم أخذت هذه اللغة
تنتقل إلى الأكراد مع اعتنائهم الإسلام
ومحاولة التعرف على تعاليمه .

ونخلص من كل هذا إلى القول بأن
أفريقيا الإسلامية أصبحت تختلف
عن أفريقيا العابقة ، لا موجهت للظهور
المصري لحجب ، بل وأيضا من ناحية
التركيب البشري ، ولغتنا مخاطب التي تكون
ثمنية وأغاط للتفكير . وهذه المظاهر
كلها كانت فكل وجهها واحد اللغة وجهها
الأخر هو العقيدة الإسلامية .

وينقل بنا الحديث إلى محاولة التعرف
على جزئية أخرى لا شك أنها تنهم فصول
المهتمين بدراسة انتشار الإسلام ،

ويجى وإخوة بناء ، وحصنها بمرور
فقط الناس معه ، وعن المرافقة يقول
هذا المؤرخ : « وقال أهلها الجأوها
إلى مروان بن محمد فابتنعوا ، وتألف
وكلاؤه الناس ، فكثروا فيها لتميز
ومروها .

من هذه النصوص وغيرها يتضح لنا
أن كثيرا من المدق والقصي الأفريقية
قد ارتبط ظهورها بازدهار الإسلام ،
ومن الطبيعي والحالة هذه أن نكس هذه
المدق والقصي الروح الإسلامية ، كما أن
إنشاء المهينة في حد ذاتها يعتبر دليلا قاطعا
على قوة ازدهار الإسلام .

ومعنى هذا أن أفريقيا تختلف
في مدنها وقراها بمسند ألف انتشار فيها
الإسلام عنها قبل انتشار الإسلام .

وتوجد بجانب ذلك مظاهر أخرى
تفرق بين أفريقيا الإسلامية وأفريقيا
الجهوية ، ولعل أبرز هذه المظاهر
على الإطلاق هو طبيعة التركيب البشري
الجديد ، التركيب الذي امتزج فيه الدم
المصري مع الدم الكردي امتزاجا كاملا ،
حتى ليكاد الدارس أن يقول بأن انتشار
الإسلام هناك قد اقترن به ظهور عنصر

كانت منتشرة هناك ، وبحجاب ذلك كانت توجد أيضا اتجاهات صوفية معينة ، أما التشيع فلم يكن له أنصار هناك .

هذه النتيجة العامة لما ما فصلها بعض الشيء في مصاهر أخرى ، وعلى رأسها معجم البلدان لما قوت الحزبي ، فقد حرص هذا المؤلف في حديثه عن الأقاليم أو المدن أن يعبر إلى أوز الملأ الذين ينسبون إليها ، ففي حديثه عن وراثان يقول ^(١) : (ينسب إليها أبو الفرج عبد الواحد بن بكر الوراثان الصوفي) . وفي حديثه عن أشنة وهي بلدة بأذربيجان ، يقول ^(٢) : (وإليها ينسب الفقيه عبد العزيز بن علي الأشنسي الشافعي) وفي حديثه عن أرمية وهي واحدة من أمم مدق أذربيجان يقول مرأحد ملأها ^(٣) : (وكان شافعي للذهب) وفي حديثه عن غري يقول من أحده ملأها ^(٤) : (روى عنه أبو القاسم عبد الله ابن محمد بن إبراهيم بن إدريس الشافعي وغيره) .

تلك هي المذاهب الخاصة بالمذاهب الدينية التي انتشرت في تلك البلاد .

وحول هذه الجزئية نستطيع أن نقول : إن المصادر التي بين أيدينا تشير إلى أن المذاهب الدينية هي التي كانت سائدة في أذربيجان ، يقول المقدسي عن موالي إقليم الرهاب بصورة عامة ^(١) : « أهل سنة وجمعة » . كما يقول عنهم أيضا ^(٢) : « ومذاهبهم معتزمية إلا أن أهل الحلب حنابلة » ، والغالب بديل مذهب أبي حنيفة ، ويؤكد المقدسي هذا المعنى حين يقول ^(٣) : « وأما علم الكلام فلا يقولون به » ولا يتشيرون ، وكان بديل خائفا ، وعندهم معرفة بعلم النصوف » .

والنصوص التي نقلناها عن المقدسي نصل بنا إلى حقيقة عامة تصور لنا الوضع المذهبي الذي كانت عليه أذربيجان حتى الحلقة السابعة من القرن الرابع الهجري ^(٤) ، وهذه الحقيقة هي أن المذاهب السنية

[١] أحسن التاميم ٢٧٣

[٢] المصدر السابق ٣٧٨ ، ٣٧٩

[٣] المصدر السابق ٣٧٩

[٤] ألف المقدسي كتابه حول سنة ٣٨٥ هـ ، انظر : الإشارة لإسلامية في القرن الرابع الهجري ج ٢ ص ٢

[١] معجم البلدان - ٢٧٦٠

[٢] المصدر السابق - ٢٠٢١ ، ٢٠٢٢

[٣] المصدر السابق - ١٥٩

[٤] المصدر السابق - ١٥٩

ولكن يبدو أن هذا التطور السياسي لم يخلف بصمته على الحياة المسببة بين الأذريين حتى ليكاد الناس أن يقول : إنه بمقروط هذه الدولة في أوائل الخلفة السامنة من القرن الرابع الهجري لم يمد للباطنية هناك أي أنماح .

بل إنه حتى في عهد الدولة الصفوية (ابتداء من القرن الثامن الهجري) التي يقال عن مؤسسها إنه من نسل الإمام موسى السكاظم ^(١) ، كان التضييق قليلا بين الأذريين بمفظة عامة وأهل أرمية بمفظة خاصة .

وهما يكن من أسره فإنه بمعد ذلك أصبح يرجع في آذربيجان الشيعة بجناب الدين ، وهذا ثابت ومؤكد من الدراسات الثمينة بها كثير من الباحثين ^(٢) . وننتقل الآن إلى معالجة النقطة الأخيرة

التي تتعلق بانتشار الإسلام في آذربيجان ، وهي النقطة الخاصة بتوضيح درجات الاستجابة التي قوبل بها الدين الإسلامي من مختلف الطوائف هناك ، فمما سبق لنا أن قلنا :

[١] دائرة المعارف الإسلامية ، مقال : إسماعيل مؤسس أسرة الصفويين بمارس ٣٨٠ هـ ، ٣٦٤ .

[٢] دائرة المعارف الإسلامية ، مقال : أرمية ، ١٣٨٠ .

هذه النصوص التي قدمها لنا ياقوت تؤكد لنا أن مذهب الإمام الخافعي كان واسع الانتشار في إقليم آذربيجان

وإلى جانب ذلك كان يوجد في إقليم آذربيجان أنماج قوي نحو رواية ودراسة الحديث ، ففي رزند كان يوجد كثير من المحدثين ، وكذلك الحال في كل من تبريز وحلباس ، وسراغة وحمند ^(١) .

والذي نود أن نقوله هنا هو أن للذهب السنية ورواية الحديث كانت متعمقة وأصيل في نفوس الأذريين إلى الحد الذي لم تستطع معه بعض الاتجاهات الشيعية التي وفقت إلى الإقليم مع بعض التطورات السياسية أن تجد لها مكانا في آذربيجان ، فقد حدث في سنة ٣٣٠ أن استولى الدين القميبي ، بغيره الرزيان بن محمد ، الذي كان باطن المذهب ، على آذربيجان ^(٢) .

[١] المصدر السابق ٢٨٠ ، ١٣٠ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ .
١١٠٤٩٣ وقد أثبتت الدراسات الحديثة أن أصحاب الحديث كانوا يكونون مدرسة فقهية خاصة . ومن زبد المزيد من هذا الموضوع فإني يستقيم أن يطلع على البحث الذي حصل به الدكتور عبد المجيد محمود علي ، على وجه الدكتور وادس كاه دار العلوم - جامعة القاهرة ، والاحت هنا الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث في القرن الثالث .

[٢] ابن الأثير ٨٠٨ - ٣٨٨ ، دائرة المعارف الإسلامية ، مقال : آذربيجان ، ١٣٠٠ .

مثل هذه المعلومات بالمرغوبة ، وذلك
بتمهدة المستشرق (توماس أرنولد) في كتابه
العودة إلى الإسلام^(١) . وقد ظل هذا
المستشرق تديلاً من المؤرخ ابن العبري ،
أنت (فيلوكزينوس) ، أسقف آذربيجان
البيطوني ، قد اعتنق الإسلام حوالي سنة
٣٦٠ هـ^(٢) ، ومن ثم فقد صب عليه مؤرخو
الكنيسة لعنتهم ، واتهموه بالكذب جريئة
خلقية^(٣) .

وقد سجل ابن العبري إسلام فيلوكزينوس
بصفة خاصة لأنه يتصل برجل من كبار
النصارى ، ويغلب على اعتنا أنه كثر من
مادة النصارى فما اعتنقوا الإسلام ولكن
ذلك لم يسرع انتباء ابن العبري ولا غيره
من المؤرخين .

وفي الوقت الذي نجد فيه إشارة ، ولو
واحدة ، عن اعتناق أحد كبار النصارى
في آذربيجان للدين الإسلامي لا نجد شيئاً
من هذا القبيل البتة بالنسبة لأي من اليهود
ولا يهود ذلك إلى زمانه أو تلاميذه من
من المؤرخين ، بل إنه تصوير الواقع ،

[١] انظر العودة إلى الإسلام ، الطبعة الثانية سنة
١٩٥٧ م ، ص ١٠٤ - ١١٧ .

[٢] المصدر السابق ص ١٠٦ .

[٣] المقارنة الإسلامية والقرآن الرابع المجلد - ٥٨١٠ .

إن الهيئة الجبروتية التي كانت لها السيادة
في آذربيجان وقت بداية انتشار الإسلام
هناك ، وأنه كان يوجد بجانب الجوس
لنصارى يهود ، قبل ظهور الدين الإسلامي
بالاستجابة على معتوى واحد من أجناع
هذه الديانات الثلاث ؟ !

لا يستطيع دارس أن يجيب بالإيجاب
على مثل هذا التساؤل ، وإذا أردنا ترتيب
أجناع هذه الديانات ، من حيث تقابهم للدين
الإسلامي واعتنائهم له ، فإننا نضع الجوس
في المقدمة ، يليهم النصارى ، وأخيراً اليهود .

الأغلبية الساحقة من الأكسراء الذين
اعتنقوا الإسلام كانوا قبل ذلك من أجناع
الديانة الجبروتية ، وتفسير بعض المصادر
التاريخية إلى إسلام بعض النصارى ، أما
اليهود فلم يرد ذكر عن اعتناق أي منهم
لدين الإسلام .

والأخبار التي سبق إيرادها هي اقتدار
الإسلام بين الأذريين تنصب في الحقيقة
على الجوس منهم ، وبمحصونا هنا أن نضع
بين يدي القارئ المعلومات التي عثرت عليها
والتي تتحدث عن اعتناق بعض النصارى
لإسلام .

والذي أود أن أشير إليه هنا ، هو أن

فاليهود من قديم كانوا يؤثرون للعزة وعدم
الاندماج مع أبناء الديانات الأخرى ، أي
أنهم كانوا مختلفين على أنفسهم ،
لا يسمحون لغيرهم أن يتسرب إلى عينتهم
ولا يرضون لأي منهم أن يفتح على
الجماعات الأخرى ، وما هو ذا الدكتور
كوجول في دراسته عن سكان أرمية ، وهي
إحدى مدن آذربيجان ، يقول : إن عدد
سكانها كان ثلاثين ألف نسمة ، من بينهم
ألف من اليهود يقطنون حيا خاصا بهم^(١) .
وهذا الانطواء كونه يهودية
هامة غير قابلة للتفاعل مع الأفكار
الجديدة ، وخاصة إذا كانت هذه الأفكار

تحمس الجواب المتمثلة بالعبادة .
ونخلص من هذا إلى القول بوجود
تفاوت كبير في درجات الاستجابة التي
تقبل بها الدين الإسلامي ، في أطياف الديانات
المتنوعة التي كانت موجودة في آذربيجان ،
وكانت أعلى درجات الاستجابة من قبل
المجوس ، يليهم النصارى ، أما اليهود فلم
يثبت عن أي منهم أنه استجاب للهجرة الإسلام .
عند هذا الحد نكون قد أتينا إلى
نهاية الحديث عن انتشار الإسلام
في آذربيجان ، وله القدر التالي يبدأ
في معالجة موضوع انتشار الإسلام في أرمينية
الإقليم الثاني من أقاليم الرحاب

و حاصر قسطنطين أبو سعيد

[١] انظر مقال أرمية وعامرة المأوى الإسلامية ص ٢٥٩

قال الله تعالى :

« الله زل أحسن الحديث كتابا متشابها مقاني تدمر منه جلود الذين يتفنون
وهم ثم تلين جلودهم وفقرهم إلى ذكر الله فذلك حسد على أيديهم به من يشاء ومع
يضل الله فماله من هاد »

(الزمر : ٢٢)

هكذا تكون البشارة

للشيخ محمد بن محمد بن عثمان

قد يكون في الفضة من الفضائل ، وقد تنطوي تحته كل قسم الرغمة .. هذا هو الإتيار الذي يدور فيه العاطفي رضي الله عنه : « هو أن تترك حظك لحظ غيره ، اعتماداً على صحة اليقين ، وإصابة لغير الخسار ، ونعملاً للعاق في عون الأخ في الله .. على المحبة من أجله ، وهو من مهامه الأخلاق ، وزكيات الأعمال ، وهو ثابت من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم ومن خلقه للرضى » . . .

ولعل الناظر يصفه عامة في جهة الأخلاق الشخصية أو الاجتماعية باستثناء الإتيار بمجدها في أغلب وقائعها لغنى كل شخص بها مصالح وكالات يستفيد منها شخصه قبل أن يستفيد غيره . أو بمعنى آخر .. تكون نسبة الموائد المرجحاً أكبر له منها عند غيره سواء كانت مادة تمكثب .. أو فضة يتحل بها .. وخذ ذلك المصدق مثلاً : التاجر الصدوق الذي قال فيه الرسول عليه الصلاة والسلام : « إنه مع النبيين والصديقين والمجاهدين » . . .

الصدق الماثم في ذاته أولاً .. وفي مجتمعه ثانياً المجتمع يعني منه النصيح والإرشاد ، ويأمن جاب النفس والطمعة ، ويوفر على نفسه مؤونة الصبر والقلق والبلية . بيد أن المائد المادي والأدبي على هذا التاجر الصدوق أكبر حصيلة ، وأوفر ثاباً . . .

أما خلق الإتيار فيكاه يكون في تصور وواقعه نقصاً ملحوظاً في جاب صاحبه وفائدة محققة في جاب الآخرين . ذلك لأنه يتخلل نهائياً عن حظوظه الشخصية ، ويميت في نفسه رغبة الجمع والتجميع من أجل ذاته . اكتفاء بتحول التبار المسلح نحو غيره ، فهو يفتح بوصوله الطير إلى الفهر طناً أو ظناً ، ويمجد فيه المرض كل المرض مما يئله من ذات نفسه أو ماله أو جهده وجهاده . . .

ولعل أبرز ما تبلور فيه معاني الإتيار في أسمى إطار ، هو الجهاد والمجاهدون ، وانفداء رفقته أئمة الدين بخوضون للمبارك التضالية ، ويحملون أرواحهم على أكفهم

وسط الحقل للفرقة ، والأسلاك الهائكة
والقذائف المدوية ، والطقات المرساة . .
لهم يكتسبون بدمائهم معنى الإيثار ،
ويستحقون بحطام وقتلهم صورة الإيثار ،
وينمضون في تلك الصورة بفنائهم روح
الإيثار . انظر إلى عوف بن الحارث يوم
جهر يقول : يا رسول الله ، ما يضعك العبد
من ربه أفرد عليه النبي ﷺ : (خمسة
يده في الصدور حاسرا . .) فيخلع درعه ،
ويقذف بها في وجه الأعداء ، ويغرض
الممركة حاسرا من الفروع حتى يسقط على
أرض الكرامة .

ومن وراء ذلك المنظار نفهد حزة بن
عبد المطلب سيد الشهداء يوم أحد ، وقد
انبرى كالميت المحصور في مقدمة الصفوف
يؤثر على نفسه كل من وراءه من الجنده
وبنتهم في فدائية منقطعة النظر يحمل في
صدره ريفة نمامة ، فيقتل أربابا بن عبد
الرحبيل ، ويقتل عثمان بن أبي طلحة حامل
لواء قريش ، ويقتل سباع بن عبد العزى ،
ثم يهجم على قريش يفرق صفوفها ، ويهتكت
قلعها ، حتى يتلقى حربة وحشى على حين
غفلة ، ويضئ إلى ربه موفور العزة في
وكتاب التاريخ .

ولمنا نلح قبسا من ذلك الإحراق
الهادي حين نسترجع حوادث غزوة (مؤتة)
التي تقابل فيها المسلمون مع الروم ، فقتل
أهمهم زيد بن حارثة ، وحل القواء عنه
جعفر بن أبي طالب وخاض للمركة على فرس
له شقراء وهو يقول :

يا حبذا الجنة وانقراجا
طبيسة وبارقا فراجا
والروم روم قد دعا عذابا
كألمة بعيدة أناسا
على أن لاقيتها ضراجا

وفي إن الممركة قطعت بين جعفر فأخلت
القواء بقبالة فقطعت فاحتضنه بمضديه . .
حتى شطروه نصتين ، وأقبل المسلمون في
النهاية بعدد الضربات فيما بين من جمعه
فوجدوها تسعين ما بين طعنة رخ وضربة
سيف ، وهذا هو الإيثار في أقصى صورته ،
وأقدس معانيه ، إذ الجرد بالنفس أقصى
غاية الجرد ، وأحق ما يصل إليه طلبة
المجد والخلود .

على أن الإيثار قد يتخذ مسهوه للثأية
على طريق التقيم العليا . . حين يصوغ من
السال عبدة ، ويسوق بين يديه البدل
والمطاء وسبه إلى غايته .

والإسلام حافل بصور الإيثار الباهرة
في دنيا الأموال ، بقدر ما هو زاخر بها
في عالم الحج والأرواح ، وهنا تحدثت
الأخبار الصحيحة أن رسول الله ﷺ
جلى إليه نسر ألف حرم ، فوضعت
على حصير ثم قام إليها يقسمها ، فأردت سائلا
حتى فرغ منه ، فأبى إيثاره هذا ، وأبى
أنفوسه تلك التي يتغنى بها الزماني على مصمم
الجود والكرم ، حين لا يستبقى من هذا
المال شيئا لنفسه ، ويدفعه كله إلى غيره ..
ولكن إذا عرفنا أن الرسول عليه الصلاة
والسلام كان يستحق ليترك عن المحتاج
أغلال لأنه أهلكنا إلى أي مدى تتحدد
أبناء خلق الإيثار في قوله للنبي وقوله على
السواء : جاءه وجلس بسأله . فقال له
الرسول ﷺ « ما عندى شيء ولكن
أنتع على فإذا جاء ما شيء قضيتاء » فقال
صبر : ما كنتك الله ما لا تقدر عليه فذكره
النبي فلك ، حتى قال أنصارى : يا رسول الله
أنتن ولا تخف من ذى العرش إقلا لا فنبسم
النبي وقال : (بهذا أمرت) فذكره الترمذى .
وعلى هذا الحرب الصاعد ساو جمرة
الصحابه رضوان الله عليهم حتى تحدث
لقرآن الكريم في شأنهم ، منحها بما آتواهم

ومصدقا مفاخرهم وذلك في قوله تعالى :
« ويقرؤون على أنفسهم ولو كان هم خصاصة
ومن يوفك فتح نفسه فأولئك هم المفلحون »
ولعل أرواح ما تقعه له تلك الآية الكريمة
حادثتني : أولاها : يوم موقعة الهمدوك
حين مرض الماء على حكمة وأصحابه وكان
كل منهم مشغنا بالجراح على أرض المعركة
يتطلع في لحظة وهو إلى الماء يريد أن أولم
أمر بدفعه إلى صاحبه إيثارا منه له وثانيهم
أمر بدفعه إلى الثالث مدفوعا بنفس العاطفة
الإيثارية السابقة ، فأوصل الماء إلى الثالث
حتى ماتوا عن آخرهم ولم يشرب منه أحد .
وثالثتهما : ما رواه البخاري عن أبي هريرة
رضي الله عنه قال : أتى رجل رسول الله ﷺ
فقال يا رسول الله : أصابني الجهد ، فأرسل
إلى نسائه فلم يجد عنه من شيئا . فقال
النبي ﷺ : (ألا رجل يضيف هذا أهله
رحمة الله) فقام رجل من الأنصار فقال :
أيا رسول الله . فذهب إلى أهله فقال
لامرأته : ههنا ضيف رسول الله ﷺ
لا تدخره شيئا . فقالت : والله ما عندى
إلا قوت الصبية . قال : فإذا أراد الصبية
الغشاء فزوميهم ، وتعالى فأطقت السراج
ونظوى بطوننا أهية ففعلت . ثم فهدا

أعطيه إياه . . قالت : ففعلت . . حتى إذا
أسبنا أهدى لنا أهل بيت ما يهدى لنا :
هاة وكفنها . . فدفنى مائفة وقالت :
على من هنا . . هذا خير من قرصك . .
كذلك روى عنها أنها لمست سبعين ألفاً
وهي ترقع ثوبها ، وبدأت ما لها بمائة
ألف وقسطه ثم أنظرت على خبز القمح . .
والأخبار في هذا الباب أكثر من أن
يحصيها مقال موجز أو حديث مقتضب
ولا فسرو . . فثبته هي للصديقة بنت
الصديق . . حب الرسول وأم المؤمنين . .
وليس بمجرب أن تؤثر فيها تلك الروايات
التي يجمعها للذبح ضرباً من العمل أو لونا
من ألبان الغيل . . خبر أن الراسخين في العلم
من أمثال الإمام العاطي قد أكهوا هذا
العمل ، وكفوا عن جانب من تلك الشخصية
حين قال معلقاً على ما تقدم : « لقد قام لها
اليتيم بضم الله وتديره مقام تديرها لنفسها
ولا اعتراض على هذا المقام . فإني صاحب
بصر تدير الله له خيراً من تديره لنفسه ،
فإذا دبر لنفسه انحط من رتبته إلى ما هو
هونها ، وهؤلاء هم أرباب الأحوال . »

محمد محمد الشرفي

الرجل على رسول الله ﷺ فقال : لقد
عجب الله عز وجل - أوصحك - من فلاح
وعلافة . وأنزل الله تعالى : « وبثروا
على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » . وفي
رواية لحلم تسمية هذا الصحابي الجليل
بأبي طلحة رضي الله تعالى عنه وأرضاه .

وقد نقل من مائفة رضي الله عنها : أن
ابن الزبير رضي الله عنه - بنت لها مال
في غاراته - قال الراوي : أراءه فهاين
وحاة ألف - فدفنت بطنى وهي يومئذ
صائمة لمحت نفسه بهن الناس ، فأمت
وما عندها من ذلك مرم . . فلما أمت
قالت : ديا جارية : على أفكرك ، فجاءتها
بجوز وزيت . . فقيل لها أما احتطت فيما
قسمت أن تشتري بدم لحا تطير به عليه ؟
فقلت : لا أتموني لو كنت فاكركني لفعلت

ويروي مائة رضي الله عنه عن مائفة
رضي الله عنها حديثاً آخر يدل على قارته
وسامه النقة والإيمان ، وبلغته حرصاً
لا ينسى في هوائب الإحسان وذلك : أن
صكرها سألها وهي صائمة وليس في بيتها
إلا رغيف فقللت لمولاة لها : أعطيه إياه . .
فقلت ليس له ما تطير به عليه ، فقلت

من الأصول السياسية والدستورية في الإسلام

للدكتور مصطفى كمال مصطفى

- ٧ -

(حرية للملكية)

تعتبر حرية الملك من أهم عناصر النظم الاجتماعية والسياسية على الإطلاق، وذلك لأنها تعد أهداف النشاط الإنساني ونطاقه وتشكيل الأوضاع الأساسية في المجتمع، ولذلك فلا تتخلو أية نظرية حيادية من بحث للملكية وحرية الأفراد فيها.

ويمكن القول أن النظريات المتعلقة بذلك ثلاثة :

(١) الملكية المطلقة: وهي التي تقول بها النظرية الفردية، وهي تعتبر أن الإنسان مطلق الحرية في أمواله التي يملكها فله أن يستعملها أو يستغلها أو يتصرف فيها كيفما أراد ما لم يقيد القانون.

(٢) الملكية الاقتصادية: وهي التي يقول بها أصحاب النظم الشيوعية وهي تلغى الملكية الفردية الإيجابية إلغاء تاماً ولا تجعل للإنسان حرياً مزايا اقتصادية مثل الدولة فضلاً عن نزع بعض الأموال الاستهلاكية المفضة.

(٣) الوظيفة الاجتماعية: وهي التي تعرف

بالملكية الفردية ولكن تقيد بها بقيد للصلحة العامة، ونجيز الدولة التدخل بالترجيح والإشراف في ملكيات الأفراد كما تجوز نزع الملكية ممن يسهو استعمالها لحرة الملك فيها مقيدة بذلك.

ومن المقرر أن الملكية الإسلامية هي ملكية مقيدة، وأنها بذلك تنتمي إلى القصة الثالثة، فتعتبر وظيفة اجتماعية.

أساس الملكية الإسلامية :

وقد توصل البعض إلى هذا النظر بقوهم بما صحه بنظرية الاختلاف^(١)، وهي تقوم على القول بأر المال، لمولاه سبحانه وتعالى ملكية أصيلة وللأفراد ملكية مشتقة.

[١] انظر كتاب: النظم الإسلامية، للاستاذ الدكتور محمد عبد الله العربي الجزء الأول ص ١٧ وما بعدها. وكتب الأستاذ الشيخ علي الخليل في الملكية والقرعة الإسلامية ص ٣٦ وما بعدها. [طبعة: معهد الدراسات الإسلامية ١٩٦٥ ١٩٦٦]

واحتفظوا على ذلك آيات كثيرة
كقوله تعالى «وَمَنْ يَمْلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ»
وقوله «وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ»
(الحديد) وقالوا إنه إذا كانت هناك
آيات أخرى لتمثل للناس بالملكية كقوله
تعالى «وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ
بِالْبَاطِلِ» وقوله «وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ»
وغیر ذلك، فإنه لا تناقض بين نسبة المال
إلى تعالى ونسبته للناس . لأن المقاصد
الشريعة تقتضى الاعتراف بملكية الله
لما في أيدي الناس حتى يحسنوا استعماله
ويحرموا بالمشورية اللازمة في إنفاقه ولأن
التفكير غريزة نعمة تحفها الشهوة فوجب
الإحصار بتقييدها وعدم الانطلاق فيها .
ولكننا نرى أن نظرية الاختلاف
ليست صحيحة في مجال المعاملات والأموال
والمعقود وليست لازمة كما أنها نظرية
خطيرة قد تؤدي إلى نتائج لم يمتحبا
أصحابها .

وهي ليست لازمة : لأن النتائج التي
قالوا بها يفكرها القبول بأن للملكية
وظيفة اجتماعية ، أو هي كما عرفها الفقه :
اختصاص فرعى ، فإدام لا خلاف في النتائج
فإنه لا داعي لهذا التأسيس المشدود .

وهي خطيرة : لأن أنصار الشيوعية
قد يستعملونها الوصـول إلى إلغاء
الملكية الفردية ، وإضافتها إلى الملة
العام بمقوله إنه ملك الله سبحانه وتعالى
وهذا يخالف للإسلام الذي يفترض وجود
ملكيات فردية كبيرة كما سنرى .

[٤]

فهي ليست صحيحة لأنه لم يرد في الكتاب
أو في السنة ما يوجب أي أثر مالي على
ملكية الله سبحانه وتعالى للأموال فلا
يدفع له شطر من ثمن أو إيجار أو انتفاع
ولا يحسب لذلك حساب في صدقات دين

فهي ليست صحيحة لأنه لم يرد في الكتاب
أو في السنة ما يوجب أي أثر مالي على
ملكية الله سبحانه وتعالى للأموال فلا
يدفع له شطر من ثمن أو إيجار أو انتفاع
ولا يحسب لذلك حساب في صدقات دين

خصائص الملكية الإسلامية :

وقد بين أستاذنا الفخيم على الخفيف :
أنه « في جميع التعريفات التي عرفت بها
الملكية ، يوصف الملك بأنه حكم شرعي
أو وصف شرعي أو قدرة شرعية .

وأساس ذلك ما يراه الفقهاء من أن الحقوق
كلها - ومنها حق الملكية أو الملك ، هي
حقوق شرعية أثبتها الشارع لأربابها وليس
يترتب عليها من الآثار والأحكام إلا ما رتب
لها الشارع عليها » وإن « وصف الملك بهذه
الصفات المتقدمة يجعله صالحا مهيئا لأن
يقيد بما تقتضيه الأحكام .. لأنه إذا كان
منحة أو حقا مصدره الشارع كان إليه
تحميده ونحو حبه الوجهة التي قصد إليها
الشارع من شرعه ، وقد شرعه مصلحة
للناس ومصرفاً لمصلحة راضية يتمتعون
بثمارها وينعمون بثمارها وذلك ما يؤيد
ما انتهى إليه أخيراً للباحثون الاجتماعيون
والاقتصاديون في هذا العصر من أنها
وظيفة اجتماعية يقوم بها أحد أفراد المجتمع
لاحقاً فانياً لصاحبه فيه التصرف المطلق
والانتفاع المطلق » (كتابه الملكية في
الفريضة الإسلامية صفحة ١٨ ، ١٩) .

وقال أيضاً : « وإذا كانت الملكية

خلافة كانت وظيفة اجتماعية لها مع ذلك
صفة الاختصاص التي أضفت عليها صفة
الحق » (كتابه المذكور صفحة ٢٢ ، ٢٤) .
ومن المؤكد أن الملكية في الإسلام
حرية معصومة لأصحابها لقوله صلى الله عليه
وسلم : « فإذن أموالكم بينكم حرام كحرمة
يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا »
متفق عليه - رواه البخاري وغيره .

ولكنها حالة مكررة الانطلاق في
شهورها . فهي حرية مقيدة من ناحية
الانطلاق الشخصي فيها .

فإن الإسلام يحذر الفرد من اللال مقال
الله تعالى : « أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ الْكَافِرُونَ حَتَّى زُرْتُمُ
الْمَقَابِرَ » وقال : « يوم يحصى عليهم في نار
جهنم فتكوى بها جباههم وجنوحهم
وطهورهم هذا ما كنتم لأنفسكم فذوقوا
ما كنتم تكذبون » ، وقوله عز وجل :
« وإذا رأوا نجاة أو لحوا انفضوا إليها
وتركوك خلفاً » وقوله : « فإذا قضيت
الصلاة فانتشروا في الأرض وابتنوا من
فصل الله » استدلل البخاري ذلك في كتاب
البيع على ترجيح قصد الله على المال .

ومن الأحاديث في ذلك ما رواه البخاري
أنه يؤتى يوم القيامة بالمال فيتمثل لصاحبه

هجماء (ثعبان) أفرح ذو زبنتين أوله
زبد يخرج من عنقه ، فيقول : أنا مالك
وما يزال يوائجه حتى يأخذ بهازميه إلى
النار (بمعناه) .

وقول النبي ﷺ لحكيم بن حزام :
هذا لقال خضرة حلوة فن أخذه بإشراف
نفس (أى بدون جفيع) لم يضره . وقوله :
ليس الفتر أخاف عليكم ولكن أخافه أن
تتناكسوا في الدنيا (بمعناه لتوضيح) .

كما أن إضاعة المال وإنفاده ممنوع شرعا
وجاء في صحيح البخاري في كتاب الحجر :
(باب ما ينهى عن إضاعة المال وقوله
تعالى : « والله لا يحب الفساد » ولا يصلح
عمل المفسدين » وقال : « أسألتك تأمرك
أن تترك ما يبد آياؤا أو أن تفعل في أمواتنا
ما نفاه » وقال : « ولا تترثوا السفهاء
أموالكم » (جواز) الحجر في ذلك ..)
فهذه الترجمة تبين لنا لائق حق الجملة بما
يكون في به الفرد من المال وعدم جواز
إضاعته وإنفاده أو الانطلاق به بفعل
فيه ما يناف .

وكذلك فإن التوسع في ملك والاستبداد
فيه مكروه شرعا .

فقد ورد في البخاري أن النبي ﷺ

قال : « الجفاء غلظ القلوب في القفادين
أهل الوبر عند أسول أذنان الإبل والبقرة »
(كتاب بده الخلق باب المناقب) وقيل في
فروح القفادين : أى كبار المزارعين .
وأصول الأذنان : يعنى للمللات الطيبة
من الموائى والأنعام التى يربها
كباب الرعاة .

وجاء في صحيح البخاري أيضا (كتاب
المزراعة . باب ما يحذر من موافق الاشتغال
بآلة الروح) أن أبا أمامة الساهلى مر بسكة
وشيئا من آلة الحرس فقال : سمعت
رسول الله ﷺ يقول : « لا يدخل هذا
بيت قوم إلا دخله القل » وأحال ذلك
لأن المشروع إذا كبر وتضخم تملك صاحبه
وأخضعه له فيكون ذليلا لأغراضه كما أنه
يصرف لهجة هو الجهاد .

وهذا وجه آخر لتقييد حرية الملكية
كرعاة فتوسع فيها .

ولكى لامتص في الإسلام من وجود
ملكيات كبيرة .

فالله من ناحية لا بد أن تملك
الأملاك العاصمة بسبب استقلالها على
الغنائم الحربية . فكل ما فتح ضرة يكون
بلا خلاف ملكا عاما .

والضابطة التي تمارسها مع اتساع هديه بالحسبة والرقابة الإدارية والقضائية أو غير وأجدى وأحسن إدارة من الطريقة الحديثة التي تقوم على التوسع في الضرائب ثم صرفها على المرافق فهي تكلف الدولة مصاريف باهظة في البداية ثم في إدارة المشروعات العامة ولا تؤدي إلى نتيجة أفضل مما تؤدي إليه طريقه الإدارة الإسلامية . وقد اكتمل فلا مناص من إنشاء الملكيات في أيدي الأفراد فإتت التصميم المالي في النظام الإسلامي وتمديه للضرائب فيه ومصارف الزكاة وتكليف الفرد الخدمات العامة كل ذلك يقوم على نظام يختلف تماما عن النظام الحديث الذي يقوم على نظام الإدارة المباشرة بعبوة وتكاليف الباهظة . ولا شك أن هذا يتطلب تنظيم قيام الأفراد بالمرافق العامة على وجه يتفق مع الحياة الحديثة ويضمن وصول الخدمات للمحتاجين على وجه من الاضطراد والنحسن الذي يستلزمه القانون الإداري . وهو أمر يتطلب تنظيها قانونيا هاملا .

ومن المفيد أن نذكر أن صفة الوظيفة العامة في المال تختلف حسب أنواعه ، فهي أقل ظهوراً في المال الاستهلاكي الخاص

وكذلك فإن الأفراد في الإسلام يقومون بوظائف اجتماعية وتكاليف عامة مع أداء المرافق والخدمات العامة كبناء الطرق والجسور وتطهير الأنهار وبناء المساجد والمدارس وغير ذلك . وقام إلى جانب هذا النظام الحر الفردي نظام الأوقاف الخيرية لتكوين مؤسسات عامة تحول هذه المشروعات ذات النفع العام . وليس العدول عن هذا النظام إلى نظام قيام الدولة مباشرة بجميع الخدمات العامة من السهل ، لأنه يتطلب تحسواً كبيراً مستطاع تقريبا في النظام المالي الإسلامي ، فإنه يتطلب تدبير أموال أخرى زيادة على الزكاة والخراج وأما الغنائم فليست مورداً دائماً . ومهما قيل في سعة اللوازم العامة في الإسلام فهي في الحقيقة لا تستطيع مواجهة توسع الدولة الحديثة في التدخل في الخدمات الاقتصادية والاجتماعية وخاصة أيضاً بعد أن زادت التكاليف الحربية والممراتية . كما أن الزكاة مرتبطة بمصرف خاصة بذي القرآن ومن المستحيل تحويلها . والطريقة الإسلامية التي تقوم على إجبار الناس مينا على أداء الخدمات العامة والقيام بالمرافق تحت إشراف الدولة وصلاتها

ولو أن المسلم يتكلف المحافظة عليها وتطهيره وصيانتها عملاً بالمقاصد الشرعية ثم هو أكثر ظهوراً فيها وهو الاستعمال الخاص من الدور والمكسك ونحوهما، ثم يسكون أكثر فيها ينظرون إليه العامة أو يكون مشتركاً شركة إباحة.

القيود التي تود على الملكية وتدخل الدولة : نتيجة لما تقدم كله فقد اعترف بجواز تقييد الملكية الإسلامية وجواز تدخل الدولة فيها وإذا كانت المطالبة الفردية نخبز أيضاً تقييد الملكية وتدخل الدولة فيها إلا أن الفارق بينهما وبين ما نسمحه الشريعة وسائر النظم الوضعية أن الأولى تفرط في التدخل أن يكون بقانون تصدره السلطة التشريعية أما الشريعة الإسلامية فلا تفرط في ذلك فإن أموال الإجماع التي يجوز للسلطان ومن في حكمه والقضاء إنما هي كائنة بأصل الفروع وحقون حاجة إلى استصدار قانون، ليس ملكية مفهومة بطبيعتها ولا تحتاج إلى تقرير هذه القيود بقانون.

وفي جواز هذا التقييد والتدخل قال أستاذنا الشيخ علي الخفيف (كتاباه السابق (صفحة ٢٤) «إنه بتحريم عزل المال عن وظائفه الاجتماعية والهي من إفساده

وتبذيره وحسنه واكتنازه جعل لولي الأمر حق التدخل بالحجر على الصفيه والمبذر والمتلف للماله والقيام على أموال المضعفاء ومنع الاحتكار ونزع الملكية للمصلحة العامة .. كما ترتب عليه عدم جواز منع المال من ذوى الحاجة ومما تتطلبه مصالح الدولة عند ظهور حاجتها إليه، ولذا كان لولي الأمر أن يتدخل عند ما يسهل الناس تدبير أموالهم والعمل فيها وذلك عند اختزان الأموال والى بطون عمل فيها أو منه ترك الأرض بوراً بلا زراعة كاله بناء على ما تقدم حق التوجيه والإرشاد في طرق التنمية والإنتاج والصناعة والزراعة، فقد يحدث أنه مالك الأرض يميل إلى زراعتها فوما خاصاً من المحاصيل ولا لأنه أكثر ربحاً في حين أن حاجة الأمة تدعو إلى زراعتها غير ذلك مما يقيسها (أي يقوم بهوت الناس) كأن يميل إلى زراعتها قطناً والناس في حاجة إلى البر، فلولى الأمر حينئذ حق التدخل بأن يجعل صاحب الأرض على أن يزرعها برا، وهكذا يجب أن يوجه الاستثمار وجهة رشيدة بحسب حاجة المجتمع ».

وبناء على ذلك حدث في الإسلام نزع الملكية للمنفعة العامة وذلك إما بالطريق

التي تود على الملكية وتدخل الدولة : نتيجة لما تقدم كله فقد اعترف بجواز تقييد الملكية الإسلامية وجواز تدخل الدولة فيها وإذا كانت المطالبة الفردية نخبز أيضاً تقييد الملكية وتدخل الدولة فيها إلا أن الفارق بينهما وبين ما نسمحه الشريعة وسائر النظم الوضعية أن الأولى تفرط في التدخل أن يكون بقانون تصدره السلطة التشريعية أما الشريعة الإسلامية فلا تفرط في ذلك فإن أموال الإجماع التي يجوز للسلطان ومن في حكمه والقضاء إنما هي كائنة بأصل الفروع وحقون حاجة إلى استصدار قانون، ليس ملكية مفهومة بطبيعتها ولا تحتاج إلى تقرير هذه القيود بقانون.

وفي جواز هذا التقييد والتدخل قال أستاذنا الشيخ علي الخفيف (كتاباه السابق (صفحة ٢٤) «إنه بتحريم عزل المال عن وظائفه الاجتماعية والهي من إفساده

أنه لما كانت الملكية أملاً واستخلافاً للإنسان؛ فإن الشارع نتيجة لذلك فرض تكاليف على الملكية وهي خمسة: أولها وجوب استثمار المال إذا كان من مصادره الإنتاج، وثانيها الزكاة، وثالثها الإنفاق في سبيل الله ورابعها أنه أوجب تكاليف ضريبة هي اجتناب الإضرار في استعماله والامتناع من تنمية المال بالطرق غير المشروعة كالربا والغش والاحتكار كما ينهى عن إغفاله عما يخالف الفرح والامتناع عن استهلاكه في نفوذ سياسي لقوله تعالى «وعدلوا بها إلى الأحكام» وخامسها أنه قيد حرية المالك في الإيصاء والتوريث وعلى أساس هذه القيود أجاز تدل على الأمر لتنفيذ هذه التكاليف المعايير إذ لا بد أن تسهر الدولة على تنفيذ التكاليف الإسلامية وبهي أن هذا التدخل يقتضى وينتسب تبعاً لمستوى الملاك الخاص السائد في المجتمع بالإضافة إلى الظروف الاستثنائية التي قد تعرض للمجتمع وتهدد حكمائه، فلا توجد قاعدة جامعة بتقييد بها ولي الأمر في تحديد مدى تدخله لتنفيذ تعاليم الإسلام في ملكية المال.

ولكننا نرى أنه يجب الحذر من المغالاة (البتة على صفحة ٦٨٧)

الودي أي بالتعاقد كما في شراء الأرض التي بنى عليها للمسجد النبوي في المدينة أو جبراً عندما احتل جيش النبي ﷺ على ماء تحمله أهراية في مرادتين (البخاري كتاب النيم) وكذا لما ضاق المسجد الحرام على الناس في زمن عمرو بن عبد الله منهم ما حرم كل منهما أصحاب الدور المجاورة فمن رضى اشتري منه ومن أبى أخذها جبراً (الشيخ على الخفيف للرجع السابق صفحة ٨٩) وقيل يجوز التأميم وهو نزع الملكية مشروع اقتصادي في حدود المقاصد الشرعية وبضوابطها وبطرقها. قال في الفتاوى الهندية: ويجوز شرعاً إذا عجز أهل القرية عن زراعتها أن يقدم السلطان بتأجيرها لمن يزرعها ويصده أجرتها وما هو مستحق لبيت المال ويعطى باقيه لأصحابها، كما قد يعهدون بأراضيهم إليه ويضاهم ليعملوا ويصده منها الخراج وهو ما عرف بأراضي الخوز كما يجوز له شرائها بغيره (الفتاوى الهندية ج ٢ ص ٢٧١ و ٢٦٥ القطة المدنية).

وقد أنعم الأستاذ الدكتور محمد عبد الله العربي نظرية مناسبة في ذلك (للرجع السابق صفحة ١٠٧ وما بعدها) قوامها

القرية لغة الاسلام والمسلمين

للاستاذ على عبد العظيم

- ١ -

الإلهامية في ظل تشريع واحد يتساوى فيه
الناس أمام هذا التشريع لا فرق فيه
بين عربي وعجمي إلا بالتقوى فكاهم لآدم
وآدم من تراب ، وم في ظل هذا التشريع
هواسية كإسمان المشط ، وتفاوت
درجاتهم فيه قائم على تفاوتهم في الفضائل
والمساكن النفسية وفقرهم من المثل الأعلى
لكمال « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .
والهدف الرابع ، وحدة الفكر وعقله
وحدة الفقه ، والفكر الإنساني يتجه إلى
الحق والخير والجمال من الناحية الروحية ،
أما من الناحية المادية فإنه يتجه إلى
استئصال جميع العناصر الأرضية وما تضمه
الأرض من حيوان ونبات وجماد وما
يتخللها من طاقات كهربية أو مغناطيسية
أو جاذبية أو ضوئية أو حرارية أو لاسلكية
لأن الله سخر للإنسان ما في الأرض
جميعاً ، ولا بد من لغة موحدة تعبر عن
هذه الأفكار الروحية والمادية لتلتقي
الأفكار في جنبها على أهداف الخير العام
لبشرية جماع ، بحيث لا يكون بينها تناقض

إن اتوحيده الإسلامى بمسند لطاقته
وتنمى آفاقه وتسمو غاياته ، حتى نتناول
الأهداف التالية العليا التي تحلم بها البشرية
جماع ، وهو في مداه العام الفامل يجمع
بين المثالية والواقعية وبين الأرض والسماء
وبين الدنيا والآخرة وبين الأرواح
والأجسام ، وهدفه الأول الذي تدور حوله
بقية الأهداف ، هو الإيمان بالله واحداً له
أبدى ، خالق مدبر ، منه المبتدأ ، وإليه
المنتهى ، وهو على كل شيء قدير وإلهكم
إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم »
والهدف الثاني ، أن يكون هناك وحدة
عالمية متكاملة تتجه في اتحاد واتلاف إلى
هذا الهدف العظيم بالعبادة والتقديس ،
وقد أوحى الله إلى الرسل جميعاً هذا الهدف
العظيم وإن كانت رسالاتهم مقصورة على
بعض الأمم والشعوب ، قال تعالى :
« يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وامسكوا
صالحاتى بما تعملون عليم وإن هذه
أممكم أمة واحدة وأنا ربكم فاقول » .
والهدف الثالث ، أن تهيأ هذه الأمة

ذكر في الرسالة أنه : « يجب تعلم العربية على كل مسلم حتى يشهد ألا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله » ، وينتقل بالذكر فيما افترض عليه من التكبير ، وأمر به من التوسيع والتفصيل وغير ذلك » (١) .

وأما ما يروى عن الإمام أبي حنيفة من أنه أجاز الصلاة بترجمة بعضه بالفارسية فقد صح أنه رجع عن هذا الرأي ، وقد روى هذا الرجوع نوح بن مسلم وهذا هو الراجح عند علماء المذهب ، ويقولون : « إن أبا حنيفة أفنى بهذا أولاً من قبيل الرخصة لم يقوم لسانه بالعربية حينما رأى الأمم يدخلون في الإسلام أفواجا ثم يلوون ألسنتهم بالقرآن وهم لا يحسنون قراءته ، فرخس لهم في ذلك وقالوا : إنه اشترط في الترجيح ألا يفعل ذلك على وجه البدعة بل يفعله لحاجته إليه ، ومع هذا فإن الإمام رجع عن رأيه » ، ومعظم علماء مذهبه على وجوب تعلم العربية على كل مسلم ، والإمام الشافعي يحتم على المسلم أن يحفظ من القرآن الكريم قدر ما يستطيع معه قراءته وفهمه فلا قراءة من غير فهم » .

[١] الرسالة ص ٤٩ .

أو تمزق أو انقسام يشطر البشرية إلى جميع متنافرة ، وأم متناهرة ، وشعوب متناحرة مما يضييع الهدف السامي للوحدة الإنسانية للعودة وبلقي بها في «هاوى الضياع» .

ونحن نعلم أن رسالة محمد ﷺ رسالة عامة للإنسانية : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون » ، وأزل عليه القرآن الكريم معجزة للإنسانية جماء ، بل للإنس والجن على السواء ، في جميع المصور ، إلى جميع الأمم والشعوب ، وجعله دستوراً عالمياً واضحاً دقيقاً ملائماً لجميع البيئات مناسبا لجميع الأحوال والملابس ، وقد أزاله بلسان عربي مبين ووجه إلى جميع العالمين .

ومن السنن الإلهية أن الله لا يرسل رسولا إلا بلغة قومه ، وقوم محمد ﷺ جميع البشر ، ومن هنا كان على الناس جميعاً أن يتعلموا العربية لتكون لغة عالمية للجميع : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم » .

ومن هنا جعل الإمام الشافعي رضي الله عنه تعلم اللغة العربية فرضاً على كل مسلم حيث

(كانت العربية لغة مالية)

محررين ، لهم ما الشعوب وعليهم ما عليها
وانتشر الإسلام فدخل الناس فيه أفواجا
عن يقين واقتناع ، ولم يكتفوا باعتناقه ،
وإنما جاهدوا في حبه ، ضحين بالأموال
والنفوس حتى سيطرت العقيدة الإسلامية
على العالمين ، وأصبحت شريعة القرآن
شريعة عامة تنظم حياة الأمم والشعوب
من الصين ، حتى حدود بحر الظلمات
والحيط الأملس .

أما اللغة العربية فقد استوعبت جميع
المخاضات السابقة وأضافت إليها - بعد
تنقيتها وتصفيتها - آلافا من الكشوف
العلمية ذات الأثر الخالد في تاريخ العالم ،
وأصبحت لغة الحضارة العلمية العالمية
فرونا عديدة ، وأصبحت الأمم والشعوب
على اللغة العربية تفرسها وترجم آثارها
المطوية إلى لغاتها الخاصة ، من أهمها اللاتينية
والإغريقية ، وكانت الجامعات الإسلامية
في بغداد ودمشق والقاهرة وقرطبة مهوى
أنظار العالم كله ، يهرع إليها المنقنون
يدرسون ويبحثون ويتلمذون على أعلام
الآلة العربية المسلمين .

ولقد ضج بعض كبار الزعماء للمسيحيين
من إقبال المنقنين في الشعوب المسيحية

في بحر الإسلام حرص المسلمون على
تحقيق أهداف التوحيد الإلهي بأوسع
معاينه فأخذوا الطريق إلى تحرير البشرية
جمعاء من الظلم والاستعباد وعبادة الزعماء
والحكام الظفافة الذين أعلنوا أنفسهم آلهة
أو سلاة الآلهة ، وكان دستور المسلمين
قوله تعالى : « قل يا أهل الكتاب تعالوا
إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله
ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا
أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا
اشهدوا بأنا مسلمون » . وكان من الطبيعي
أن يقاوم الظفافة والجبابرة من الحكام هذه
الدعوة التحررية بقوة السلاح وفي مقدمتهم
أكبر قوتين عالميتين في ذلك الحين . القوة
الأولى : قسوة الممكر الفرس زمامة
أمراطور فارس ، والقوة الثانية : قوة
الممكر الفربي زمامة أمراطور الرومان
واحدثت الحرب بين القوة الإسلامية
الفتية المحررة وبين جميع قوى الظفانيان
والاستعباد والاستبداد ، وانتصر الحق
وعلى كلمة الله ، ولم يدخل المسلمون هذه
البلاد غزاة فاتحين ، وإنما دخلوها هداة

أو ناظر أو برشلونه أو غيرهم كلما احتاجوا إلى جراح أو مهندس أو دهن أو شياط وجبوا عليهم إلى قرطبة ، فذاع صيت هذه العاصمة الإسلامية حتى أقامى ألمانيا حديث وصفها راهبة مسكونية بأنها جوهرة العالم ، وكان الملوك والأمراء إذا أرادوا العلاج هرعوا إلى إحدى الحواضر العربية الكبرى طلبا للشفاء على أيدي أطباء العرب الماهرين ومن هؤلاء سانشو Sincho حاكم ليون حيث وفد مع جدته طوطا Thenda ملكة ناظر على عبد الرحمن الناصر ليساعد على هفاه سانشو ، وكان ضخيم الجثة حتى لا يكاد يستطيع المشي خطوات إلا بمساعدة شخصين ، فاستدى الناصر مهرة الأطباء فعالجوه وطاد إلى إمارته في محبة واطية والمجدل لا يتسع للاستطراد في سرد هذه الحقائق التي سجلها كبار المؤرخين الغربيين ، وألف بعضهم فيها كتباً قيمة ومن أشهرهم غوستاف فوبون . ولقد تأثرت اللغات الأجنبية باللغة العربية تأثراً كبيراً في هذه العصور فلأدب العربية ظهرت آثارها واضحة في الأدب الجرمانى وبخاصة عند جنبته في ديوانه المسمى

على اللغة العربية إقبالاً أناسم الكتب للقدسة المكتوبة باللاتينية وهو الراهب أليس حيث ذكر « أن أحداً من إخوانه النصارى لا يقرأ اللاتينية أو يأتى إلا إلى الكتب للقدسة المكتوبة بها لأنهم كانوا في شغل من ذلك بالعربية ودراسهم ومحاولة التفكر منها .

ولا عجب في هذا فقد اعتاد ملأ من المعرفة في أوروبا أن يهرعوا إلى الحواضر الإسلامية وبخاصة الأندلس لقرعها منهم ليتخصصوا في الدراسات العلمية العليا ، ومن أشهر هؤلاء الطغلاب راهب مسيحي اسمه جيرير Gerber تتلمذ على علماء العرب بأشبيلية وقرطبة زهاء ثلاث سنين درس فيها الهندسة والفلك والميكانيكا ثم عاد إلى أوروبا فاهتم بالأنظار بعلمه . وتدرج في مناصب الكنيسة حتى ارتقى كرسى البابوية باسم سلفستر الثانى وقد حملت براعته العلمية كثيرين على اتهامه بالهرء ، وينسب إليه فضل إدخال الأرقام العربية إلى فرنسا وكذلك الساعة الدقيقة ، وقد نما نموه كثير من الطلبة حيث تخرجوا من الجامعات الإسلامية وعادوا إلى بلادهم أساتذة مرموقين وكان أمراء ليون

الصلوات لأنها لغة القرآن الكريم الذي يربط جميع المسلمين برباط متين .

ولما ضعف المسلمون ووقعوا أقرصة للاستعمار الأوربي المنيف غزقت صلاتهم وتبدد جمعهم ، ولولا أن القرآن الكريم كان يشدهم إليه لانهار البناء وتبدد الشمل إلى غير رجعة - وعلى الرغم من تفرق المسلمين كانت المؤلفات الدينية تصدر باللغة العربية تباعاً في القارة الهندية (الهند وبها كمنان) وفي أندونيسيا وفي إيران وفي تركيا وكها بلاد غير عربية .

وقد بذل الاستعمار جهوداً جبارة لقتضاء على اللغة العربية تمهيداً لقتضاء على القرآن الكريم ومن وراءه الإسلام ؛ وحشد جهوداً جبارة وأعد أموالاً طائلة ورسم خططاً شاملة لأم بها المستشرقون والمبشرون لقتضاء على اللغة العربية لقتضاء الأخير ، وسنقتاول هذه الجهود في مقال قال إن شاء الله .

وحسبنا الآن قول إن النتيجة كانت مخيبة لأمال الاستعمار ، وإن كان لم يلق سلاحه حتى الآن ...

وحسبنا أن قول إن اللغة العربية بدأت تشرق طريقها من جديد في وسوخ وثبات

كما ظهرت آثارها في شعراء فرنسا وبخاصة شعراء (فروبادور) وعرف شعراء فرنسا الثقافية من طريق شعراء العرب وقد كتب الدكتور العلامة المعاصر نيكول NYKL كتاباً رائعاً في هذا الموضوع تنمى أن يترجم إلى اللغة العربية (١) ؛ وقد شبه بعض الأدباء (لما رتبين) في قصيدته البحيرة باني زيدون في غصناته للعبرتين من فتنه الحب وجمال الطبيعة في امتزاج تام بينهما وبين وجدان الشاعر للشعوب - ويمتد بعض النقاده وازنة بينه وبين الشاعر الانكليزي (وردز وورث) Words worth في خواطره حول نهر وبي Wye - ويلاحظ علماء لغة اللغة أن آلافاً من الكلمات العربية اشتقت بألفاظها إلى اللغة اللاتينية ومنها إلى اللغات الأوربية الحديثة ؛ والأمم من الواضح بحيث يلهمه القارئ في أي معجم من معجمات اللغات الأوربية للعاصرة .

وطلت اللغة العربية تزدهى رسالتها في خدمة الثقافة العالمية ، وكانت إلى هذا تربط للبلاد الإسلامية جميعها بأوثق

[١] الكتاب مطبوع في بالتور باللغة الانكليزية ١٩٤٦ Hispano - Arabic Poetry By Dr. A. R. Nykl -

تعود إلى ماليها من جديد . فقد اضطرت الهيئات الدولية إلى الاعتراف بها من جديد مثل هيئة اليونسكو وهيئة البريد الدولية والصحة العالمية ، كما ارتفع صوت اللغة العربية مدوياً في هيئة الأمم على السنة مندوبي الدول العربية .

وحسبنا أن نذكر أنه لا تكاد جامعة من جامعات الغرب تخلو من قسم كبير لدراسة اللغات الشرقية وفي مقدمتها اللغة العربية وإلى هذا تصدر صحف ومجلات عربية في أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية تصدرها الجاليات العربية في هذه البلاد .

وحسبنا اهتمام كثير من المستشرقين بفقر التراث العربي نفراً علمياً دقيقاً ودراسة دقيقة سواء كانت منصفة أو بعبدة عن الإنصاف، وحسب أن نسمع آيات الدكتور الحكيم رافعة على من الأنبياء صادرة من محلات الإذاعة في دول لاندن

بالإسلام ولا تكن خيراً للمسلمين .

وحسبنا أن المعاجد الكبرى ثم تشيدها في عواصم الدول الغربية وأن كثيراً من الباحثين الغربيين اعتنقوا الإسلام نتيجة للدراسة العلمية والبحث العميق وأن الإسلام بدأ يتسع بعد انكماش فامتد إلى كوريا في أقصى الشرق وإلى أمريكا في أقصى الغرب وإلى بولندا في أقصى الشمال وإلى جنوب أفريقيا في أقصى الجنوب حيث أقبل كثيرون على اعتناق هذا الدين الحنيف .

وعلى الرغم من هذا كله فالصراع لا يزال قائماً بين المسلمين وخصوم الإسلام وهامة حول اللغة العربية لغة القرآن الكريم . وحسبنا أول أطوار هذا الصراع في المقالة التالية إن شاء الله

(تليحت بقية)

على عبد القادر

فلسطين

للأسنانف والحرور

لاح في الشرق لجرها وسناها
عندليب الرياض غصني عاروا
دوحة خضرة حوت كل لبت
هي بين الأفواء صبيحة حق
صبيحة زلات عروش الأمادي
يا فاطمين أنت قسرة عيني
وهداها وثمنها وضحاها
بن أفتانها وفوق وبها
برقب السعد يانما من هلاها
انقطها المعده والمنا مضها
دوت الأمس فالتت ديبها
وليا ليلك قد تبدى منها
في حين المسلا قرأ اصطورا
حين هب المدعو من كل فج
فكأن الساء قطر نارا
رب وجمالك بالشكال فقدن
ذاك بيت به الرضيمة تزو
عشراها تدور في البيت حزنا
في مهاد وثقوة ورثا
فالتت قد عفو فعمل نارا
فأدت فيومها ، ودبها
وفشها المناضلي الحر ناهي :
والأبي الزوي مع مات حرا
أحرزت مجدها وضعت دواها
وإذا ما حي الإله بسلام
يا بلادي لا فتنة السوء تقضي ،
عزق هذه النجوم وصهي
لاح في الشرق لجرها وسناها
يا فاطمين أنت قسرة عيني

الجرّح والتعديل في علم السنة

للأستاذ محمد نجيب الطيبي

- ٣ -

بهمام وضعه رجل في كنفه ثم أطلق يده عليه
ثم قال لآخر: في يدى شيء مدور ومقور
ما هو؟ فأعمل المشوّل فمكره ثم قال له:
حجر رحى أو حجر طاحون. هكذا بدوى
أن ينظر إلى ما يستحيل وجوده في قبضة
القبض، فهو بنى على قاعدة (مدور ومقور)
شيئاً لا يناسب الطرف الذى يحتويه،
ولو أردنا أن نأخذ بهذه القاعدة دوى
الرجوع إلى مناهج التطبيق عند من
قدمها لما سلم لنا حديث واحد، وقد يكون
في هذا مدعاة لسرور بعض الصالحين من
أعداء السنة ممن ظهرت لهم مصنفات تردّد
زعماء للتشريع والحاقدين على الإسلام
والسنة، ولكننا غفص في بحثنا غصداً
مفكين دلائل وأرائك للفتونين بظواهرهم، أو
الناشرين ما انطوى من غشائات سادتهم.
نقول: إن القاعدة يجب الرجوع إلى
مناهج أصحابها في التطبيق حتى نتدنى
بطرائق الأخذ، ولنضرب مثلاً من
التحريج لفخص عند إمام جليل عدله إمام
أكبر منه أو أكثر عدداً وذلك كأيوب

إني بعض المتفخلين بهذا الفن - فن
الحديث - يكثر من استعمال قاعدة
(الجرّح مقدم على التعديل) بشكل واسع
ويكون الباحث في الغالب الرغبة في الإحراز
على خير يعارض ويوطم ورقباتهم، أو
ما أخذوا أنفسهم به من دعوة من الدهوات
التي هرفها الجو الإسلامى لمصوبة تربته،
ولأن كل دعوة تستند إلى نصوص ثابتة
لها في مجال البحث والنظر فأويل تدممه
روايات أخرى، قد تفيد العلم الضروري
عند بعض الباحثين، أو النظر عند غيرهم
فينبرى صاحب الدعوة هذا إذا عارضت
تأويله روايات كذلك التي تهضد لنحو الذى
نحاه، وتقدم إخدمه ومأناه إلى قاعدة (الجرّح
مقدم على التعديل) وكثيراً ما تكون
هذه القاعدة كما عجزتها من قبل في الرد على
بعض الأقوال^(١) من صبية هذا الفن،

(١) بحثنا في مجلة الاعتماد في عدد ربيع الآخر
١٣٨٩ هـ في الرد على من صف حديث توسل الأمر
واستغاثه بالنبي صلى الله عليه وسلم وقد أثبتنا صحة
الحديث كما أثبتنا صحة حديث: «حياتي خير لكم
وميتي خير لكم» في سلسلة من البحوث لفرقتها
الاعتماد فليشهد للصف المبرهن الموهوب بها بديه

في هذا الصنف ، فإن الصحف إنما جاء
من جهة الرواة إليهم .

« وكذا لا أذكر في كتابي من الأئمة

للتبوهين في الفروع أحداً لجلالتهم

في الإسلام ، وعظمهم ، والنفوس ، مثل

أبي حنيفة والشافعي والبخاري ، فإن

ذكرت أحداً منهم فأذكره على الإنصاف

وما يضره ذلك عند الله ولا عند الناس ،

إذ إنما يضر الإنسان الكذب ، والإصرار

على كثرة الخطأ ، والتجري على تدليس

الباطل ، فإنه خيانة وجناية ، والمرء للمعلم

يطبع على كل شيء إلا الخيانة والكذب »

ثم يورد أصناف من احتوام كتابه من

أصناف الكذابين قاتلهم الله ، والكاذبين

في أنهم سمعوا ولم يكونوا سمعوا إلى أن

يقوله فيمن احتوام كتابه :

« ثم على الثقات الأثبات الذين فيهم

بدعة ، أو الثقات الذي تكلم فيهم من

لا يلتفت إلى كلامه في ذلك الثقة لكونه

تعمت فيه ، وغالب الجمهور من أولى الثقة

والتحريز ، فإن لا ندمي المعصية من الدم

والخطأ في الاجتهاد في غير الأنبياء » .

قلت : هذا هو الذي لم يورد اسم

أيوب بن خالد ، حتى ولو قد دفع عنه ،

ابن خالد ضمه بسبب الإرجاء أبو زرعة ،

ووثقه ابن معين وأبو حاتم واللساني والمعل

فولطارت القاعدة لسكات أحاديث أيوب

مردودة في كتب السنة ، ومنها حديث

أخرجه له البخاري في المغازي في قصة أبي

موسى الأشعري ، وكذلك مثله في صحيح

مسلم وبهذا صار أيوب من رجال الصحيحين ،

وأكبر دليل على أن يخرج من جرحه لا أثر

له أثبتة كون أيوب ليس له ذكر في ميزان

الاعتدال لذهبي ، وهو لا يورد في كتابه

من الرجال إلا من تكلم فيهم وهو الذي

يقوله (١) :

« وفيه من تكلم فيه مع ثقته وجلالته

بأدنى لحن ، وبأقل تبرمج ، فلو أن ابن

هدى أو غيره من مؤلفي كتب الجرح

ذكروا ذلك الشخص لما ذكرته ثقته ،

ولم أر من رأى أن أحذف اسم أحد عمره

ذكر بتلخيص ما في كتب الأئمة كالكورين

خرفاً من أن يتمقب على ، لا أتى ذكرته

لضعف فيه عندي ، إلا ما كان في كتاب

البخاري وابن عدي وغيرهما من الصحابة

فإن أسقطهم لجلالة الصحابة ، ولا أذكرهم

ومثل أيوب أيوب بن سليمان وهو الذي روى له السنة وجرحه أبو القاسم الأزدي قائلا : يحدث بأحاديث لا يتابع عليها ثم صان له أحاديث جيدة غريبة .

ومثل أسيد بن زيد الجبل ، قال الثمالي : متروك ، وقال بن معين : حدث بأحاديث لا ذمة ، وقال الهارقي : ضعيف ، وقال ابن عدي : لا يتابع على روايته ، وقال ابن حبان : يروى عن الثقات المتأخرين ويمرق الحديث ، ومعنى يمرق الحديث ، أنه يكون الحديث مشهوراً براو من الرواة أو إسناده فيأتي هذا ويبدل الراوي بغيره ليرغب فيه المحدثون كأن يكون الحديث معروفاً من عالم بن عبد الله فيجمله من تابعه ، أو يبدل إسناده بإسناد مثله رواية حاد بن عمرو النخعي ، الكذاب عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً : « إذا تقيستم المذركين في طريق فلا تبدأوهم بالسلام » الحديث ، فإنه مغلوب قلبه حاد لجملة من الأعمش ، وإنما هو معروف عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ، وهكذا أخرجه مسلم من رواية شعبة والثوري وجابر بن عبد الحليم وعبد العزيز الهرازمي كلهم

فقد وجد أنه أجل من يقف موقف الانهزام ثم الداع عنه ، وناهيك برجل وثقه البخاري أو اعتبره صدوقاً ، وهو الذي قد ألف للرجال .

ومثل : إسماعيل بن عمار قال فيه الثمالي : ليس بالقوي . وقال الهارقي : ضعيف . وقال البخاري : صدوق . وروى له في الصحيح ، وقال أبو زرعة : هو وسط ليس عن يكذب بكرة ، وقال أحمد : ما أراه إلا صدوقاً .

ومثل بدل بن الحبر ضعفه الهارقي في روايته من زائدة ، وهو أعنى بدل شيخ لبخاري والحقيقي والكجبي ، ومع ذلك أخرج له البخاري روايته عن زائدة ، وتمجب الحافظ في الميزان من تضعيف الهارقي له ، فقد قال أبو حاتم : هو أوجع ^(١) من يمز وجبانه وخالف .

[١] يمز بن حكيم عن أبيه عن جده ، وجدته هو حموية بن حمزة ومثاله عنه وإسناده غلط فيه وهذا الإسناد مشهور كقصة عمرو بن حبيب عن أبيه عن جده إلا أنه الأخير منه من أصح الأسانيد الثلاثة لما ذهب إليه ابن حزم رحمه الله . وحاد حواري موسى ابن سوار غلبي ، وحاد حواري مسلم بن مهدي الأمازيغي مولد عزرة أحد الأئمة الأعلام من مشايخ السعديين وعبد بن سنان وطبقته ، وعنه البخاري وأحمد وإسحق بن راهوية وابن معين وابن القتيبي وغيرهم من الكبار .

عن سهل، وقد يقع هذا غلطاً عن غير قصد .
ومع ذلك أخرج له البخاري حديثاً
قرنه بآخر .
ولا يمكن أن يجرؤ أحد على الزعم بأن
أصحاب المواقف وعلى رأسهم البخاري
كانوا كعاطي ليل يروون من هذا وذاك
بغير تدقيق ولا تحريص، إنهم وراء من هذا .
هذا الإمام البخاري أي حقل يجرؤ على
أن ينال من توثيقه ؟ وهو صاحب التاريخ
للكبير في الرجال والتفسير وغيرهما من
كتبه العظمى، وهو الذي لم يبال بأعظم معاه
الرجال شرفاً، ومعتداً، فأحفظ الاحتجاج
به لعدم توفر شروطه فيه، مثل منيعة
في رواية جعفر بن محمد المعروف بجعفر
الصادق إذا أحفظ الاحتجاج به مع رواية
مسلم له فهو حين يروى رجلاً إنما يبنى حكمه
على أحباب عليه حده معاملها وأوضاع
مراعاتها، فما كان من أصحاب هذه الداهب
كالخروج والتدبير والتسديد والإرجاء،
وما إلى ذلك من الغفالات، إذا انتحلها من
بلغ مرتبة الرسوخ والإفادة، وكان على
جانب عظيم من العلم، وانتحل ما انتحل
من اجتهاد وانظر، فإنه لا يرتاب أحد في
العناية بالأخذ عنه والالتقائه بشرط أن
لا يكون داعية لبدة، صاحب مصلحة

في ذيرها، له ثمرة في جمع الناس حوله
يدبنون له بولاء، ويبايعونه على السمع
والطاعة فز قيل: جاء في (جزء رافع اليدين)
قوله: (كان زائدة لا يحدث إلا أهل السنة
اقتداه بالسلف) ومنه هذا أن البخاري
يخاله للسلف في روايته من غير أهل السنة .
قلت: هذا كلام غير وارد علينا،
لأن البخاري يحكي أن زائدة كان لا يحدث
غير أهل السنة، أي إجماع الحديث،
وذلك لا يكون إلا في التلاميذ منهم
ولقبته في طلب الحديث، الذين ينفون
النفي والسماع هكذا أداة التماسي، وهؤلاء
قد انتموا إلى طبع مذهب أهل السنة،
فكان زائدة يتجافى تحديقهم اقتداه به
وآه من طبعه كذلك، ولا منازعة في
الوجدانيات ولا يكاف للره ما لا يطيقه،
فمن كانت نفسه لا تحب إجماع من كان
كذلك في الخلة، ولا جناح عليه في ترك
الإجماع لتلاميذه لم يتأهلوا بمسند النظر
والوصوف على التحقيق، وإما حفاظ
وهيوخ أوتوا من العلم والفضل ما أدامهم
للتعلم منهم، والاستفادة من علمهم،
بحيث طادت شهرتهم، وتقوة واهل غيرهم
فلا دخل لكلام زائدة فيهم ولا يعلمهم
مشربه . يتبع محمد نجيب الطبعي

اللعنات الربوبية

للإستاذ عباس الوائلي

- ٢ -

- ٧ - جاءت امرأة إلى عمر رضى الله عنه فقالت : أهدكو إليك زوجي ، هو خير أهل الأرض ، ما سبقه رجل إلى حمل طيب ، أو حمل مثل حمل ، يقوم الليل حتى يصبح ، ويصوم النهار حتى يمسي ، ثم أخذها الحياء فقالت : أأقلى يا أمير المؤمنين ؟ فقال : جزاك الله خيراً ، فقد أحسنت النساء حليبه فلما ولت قال كعب بن عوف : يا أمير المؤمنين لقد أبغضت إليك في الشكوى ، فإنها كنت بذلك من عدم المباشرة .
- ٨ - ومن التعريض قولهم : إنه اجتمع للفرعاء باب أمير من أسراء العرب ، فر رجل باز ، فقال رجل من بني نعيم لآخر مع بني نعيم : هذا البازي ، فقال النيمري : إنه يصيد القطا ، عرض الأول بقول جرير : أما البازي المثل على نعيم
- أصبح من السماء لها أنصبايا
ومرض الآخر بقول الطرماح :
نعم بطرق القوم أهدى من القطا
ولو سلكت طرق المكارم ضلت
- ٩ - قال جرير بن حبيزة الخزاعي لأبيوب ابن طليان النيمري وهو يسأره : غضضت بك ، فقال : إنها مكتوبة .
وعرض ابن حبيزة بقول جرير :
فغض الطرف إليك من غير
فلا سكبنا بلغت ولا كلام
ومرض النيمري بقول ابن حارة .
لا تأمن فزاريا خلوت به
على فلو سكب واكتبها بأسبار
- ١٠ - ومن جيد التعريض وغريبة مع توخي الصدق في موطن الخوف قول أبي بكر رضى الله عنه وقد كان مع رسول الله ﷺ مهاجرا ، وحينما قيل له من هذا ؟ فقال : رجل يهذي السبيل .
- ١١ - ومن الألفاظ قول الحكيم أبي هريرة
القول المعروف بابن النخيلة :
ما واحد مختلف الأسماء
يعدل في الأرض وفي السماء
يحكم بالتسسط بلا رياء
أسمى يرى الزهاد كل راء

يُسم من أول اسمه حي
ثم يثنى حروفه يسي
ثم بحرفين نو بدا بهما
أسدى بدا صودة اسمها ثني
هذا وفيه اسم يوم اتفقت
منه خرم المعجم فيه والمغرب
فأعمل المنكر في تأمله
واركب به كل مركب صعب
١٦ - وقال ابن البخل :
أسم من المنادى لا يجيب
به نجبر ونفتل الخطوب
ضئيل الجسم أدم^(١) ليس نخي
عليه غيوب ما نخي القلوب
تراه واجلا لا روح فيه
ويجيبه وينطقه الركوب
١٧ - وقال أبو نواس ما ذرا في اسم
شخص :

اسم من أهواه حو
إذا همت لهو حو
وإذا أسقطت منه فاه
صار مني لهو المختار
وإذا أسقطت منه ياه
صار فيه بعض أسباب الفتى

آخرى لا مع حلة وده
يفنى من التصريح بالإعاق
يجيب إن ناداه ذوامراه^(١)
بالرفع والمنخفض هن النداء
ينصح إذ خلق في الهواء
١٢ - قال ابن المنفلت :
وقائفة أبدا لا تنام
وما قدمت قط ما قامت
تعيى إذا حلوا وجاهوا
وأن حلوا رأسها ماتت
١٣ - وقال السمر الرمان :
وكثيرة الأحداق إلا أنما
ميماء ما لم تنفخ في ماء
وإذا هي انتمست أبادت رجا
ملا ينال بأعين البعراء
١٤ - وقال السمرى :

خيلان أبطاق جوارب مجامى
جداراه قدام له ووراء
من يضع الرجلين ما من عليهما
يزلعه في ذلك حفا وحفا
١٥ - وقال ابن القاسم عبد الصمد
ابن مالك في شخص :

[١] الأعم ، شعور العفة .

[١] الامراء : عسى .

- وإذا ألقيت منه راءه
صار شيئاً يقرى عند الوسن^(١)
- وإذا ألقيت منه ماءه
صار فيه عيش سكان المدن
- ١٨ - وعن الرمز قوله للشاعر:
هل ما حراً بالقرين والأدب
ما اسم فتاة قعمودة النسب
فه صرح الدمع بأسماء فتى
فكبرت فيها ظفرت بالنعجب
- ١٩ - ومن المعانيات
ما حية في رأسها درة
تسبح في بحر قليل للذى
إن غيب كان المعنى حاضراً
وإن بدت لاح طريق الهدى
- ٢٠ - وقال للمعري:
وبيضاء من مر الملاح ملكتها
فلما قضت إربى جوت بها صهي
فيانوا بها مستمتعين ولم تزل
تختمهم إمداد الطعام على القرب
- ٢١ - وقال آخر:
وما أخوان مشبهان جسداً
كما الحبة الغرابية والغراب
يضموا على مر السبيل
وما اجتماع ولا افتراق إهاب
- هناك وفاد موع هاملات^(١)
ولكن كل منهما شراب
يصونهما من الأضرار دين
ويضرب هوى يلهما حجاب
- ٢٢ - وقال آخر:
وما شيئان اسمهما صواء
وأصلهما معاً عند التصاب
إذا حضراك بت قبرر عيش
بلا طم يسله ولا شراب
وما إن يوجدان النفع إلا
بضرب أو بضرب من حذاب
- ٢٣ - ومن المعنى قوله:
ما ذات هوك لها جناح
يختطف الناس من قريب
وهي عقيم ترى بليها
من بين مرد وبين غيب
بأكل بعض البشع بمضا
طلوح الشمس إلى قروب
تصيفها الهاء غير شك
فه يحسم الهاء بالطيب
والهـاء ممكورة مكان
يصلح للفسائر النجيب

[١] هاملات : فائضات من حملت العيون إذا

كانت بالجمع .

[١] الوسن : النوم .

٢٦ — ومن العويس : امرأتان التفتتا

بزوجين ، فقالتا لهما : مرحبسا بابنينا ،
وزوجينا ، وابن زوجينا وذلك أن كل
واحد من الرجلين تزوج أم الآخر ،
فهما ابناهما ، وزوجاهما ، وابنا زوجيهما .

٢٧ — وجلال : كل واحد منهما م
الآخر وابن أخيه .

وذلك أن كل واحد من أبويهما زوج
أم الآخر ، فزرق كل منهما ولدا ، فكل
من الولدين عم الآخر ، وابن أخيه .

٢٨ — وجلال : كل واحد منهما
خال الآخر وابن أخته .

وذلك أن كل واحد من أبويهما زوج
ابنة الآخر ، فزرق كل منهما ولدا ، فكل
من ولديهما خال الآخر ، وابن أخته .

٢٩ — وجلال وامرأتان ، هو خال
إحداهما ، وهي خالته ، وهم الأخسرون
وهي ممتة .

وذلك أن جدته أم أبيه تزوجت
أخاه لأمه ، وأخته لأمه تزوجت أبا أمه
فولدتا بنتين ، فبنت أخته خالته ، وهو

خالها ، وبنت جدته ممت وهو حمها ، وهذا
أصل بيت مشهور في ذلك وهو :

ولي غلة وأنا خالها ولي حمة وأنا حمها

يمرقها من يكون طلبا^(١)

بالفر والنحو والخراب

٢٤ — وقال آخر :

وساكن يمكن في القلاء

ليس من الوحي ولا النيات

ولا من الجن ولا الحيات

ولا الخيام القمر والأيات

ولا بنى جسم ولا حياة

كلا ولا يدرك بالصفات

إله له صوت من الأصوات

يسمع في الأحياء والأوقات

٢٥ — وقال أبو نصر الكاتب :

ومنكوح^(٢) إذا ملكته كف

وليس يكون في هذا سرا

له صين تخلفها ضياء

فإن كحلت فقميل^(٣) الماء

يظل طليعة للوصل هونا

والعاشي بزورته احتاء

وقد أوفيت وأبنت عنه

ففسره فقد برح الخفاء

[١] الطل فتح الماء : الممر الخافق به .

[٢] المنكوح : الموطوء ، أو الملوب من الكعب
الناس عينه إذا غلبها .

[٣] القميل بالكسر : القول الذي يكتمل به .

- ٣٠ — رجلان : كل واحد منهما ابن خال الآخر ، وابن ممت وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوج أخته الآخر فزوي كل منهما ولداً فكل من ولديهما ابن خال الآخر وابن ممت .
- ٣١ — رجلان : كل واحد منهما هم والد الآخر . وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوج أم أب الآخر فكل من أولادهما أم الآخر .
- ٣٢ — رجلان : كل واحد منهما هم أم الآخر . وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوج ابنة ابن الآخر ، فكل من أولادها أم الآخر .
- ٣٣ — رجلان : كل واحد منهما خال أم الآخر . وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوج ابنة بنت الآخر فكل من أولادها خال أم الآخر .
- ٣٤ — رجلان : أحدهما هم الآخر والآخر خاله . وذلك أن رجلين تزوج أحدهما امرأة ، وتزوج الآخر ابنة ابنتها ، فولد لكل منهما ولد ، فابن الأب هم ابن الابن ، وابن الابن من أم امرأة الأب ، هراخوها ، وخال ابنتها
- ٣٥ — رجلان أحدهما هم الآخر ، وخاله ، والآخر ابن أخيه وابن أخته وذلك أن رجلاً له أخ لأب ، وأخت لأم ، فتزوج أخته لأبيه بأخته لأمه ، فأولدها ولداً ، فيكون أحدهما هم الآخر وخاله ، ويكون الآخر ابن أخيه ، وابن أخته

الاجابات

- ٩ — كنى بالاشبه من الماء .
- ١١ — قوله : مختلف الاصماء : يعنى ميزان للمضى ، وصائر آلات الرصد ، وهو معنى قوله يحكم فى السماء ، وميزان الكلام للنحو ، وميزان القصر العروض ، وميزان المعانى المنطق .
- ١٢ — النخلة
- ١٣ — هبكة العباد .
- ١٤ — ركاب المخرج ، والمجلس المخرج ، وجداراء فربوجه ورافته ، والحفا بالقصر وجع الرجل ، وإله المشى بلا نعل .
- ١٥ — اسم الفخض سعيد ، شبه الصبي بالنثر ، وثانيه للمين وهو نسي القلوب ، والحرفان يدوام يوم التناخر عيد .
- ١٦ — الاسم الذى لا يجيب هو القلم وأراه بقوله أعلم أنه مدفوق الشفة .

- ١٧ — اسم الشخص طريف ، فإذا
أستطعت باده صار طريفاً ، وإذا أستطعت البياه
صار طريفاً وإذا ألقيت الرء صار طيفاً ،
وإذا ألقيت الطاء صار وينا
- ١٨ — ومن الشاعر باسم الفتاة في أول
البيت وهو سفي حيناً قال : سلى ما
- ١٩ — هي فتية السراج ، والبحر
القاليل المدي هو الزيت
- ٢٠ — هي الملح ، وقوله سر رأى
خالصة ، والملاح جمع ملح ، والإرب الحاجة
- ٢١ — هائت بها المرأة ، والإهاب الجلد
- ٢٢ — هاء هذا الفناء ، والبغور ، وأصلها
- خشب ، والضرب الأول ضرب هود الفناء
والضرب الثاني من العذاب وهو الإحراق
- ٢٣ — هي الحرب ، وشوكها السلاح وهي
عقيم لأنها لا تلد ، وبنوها رجالها وأكأها
قتلهم وتمصيفها الجرب ، وهكمت برج
- ٢٤ — هو المدي
- ٢٥ — هو الخاتم ، وأراه بقوله :
تخللها ضياء أن عينه مفتوحة ، وكحلها
وضع الأصبع فيها وقد يبعث الإنسان
بمخاضه علامة للزارة ، أو وهنا عليها .
- هباسي أبو العمود مصطفى

(بقية المنعور على صفحة ٦٧٠)

- في مسابقة النظم الجماعية الحديثة . فإن
الإسلام بمنزلة بمصصة الملكية لأصحابها
ويقتضيه أن يتحرى رضاهم قبيل الإيجاب
وأنه إذا لم يكن المال في أصل ملك الدولة
— كالأراضي التي استولى عليها عنوة —
فإن الأصول الإسلامية لا تقتضى تولي
الدولة الإدارة بقدر ما تقتضى ترك المال
في يد صاحبه وتكليفه إدارته بما يتفق
والصالح العام ، وأخيراً فإن الضرورات
- تقدر بقدرها فلا يتخفف ذلك ذريعة
لإجراءات عامة غير مخصوصة بمبرراتها .
وعلى ذلك حرية الفكر هي حرية مقيدة
أيضاً بالمقاصد الشرعية وتسمح بالنقيض
والتدخل بالتقدير الذي يجيزه هذه المقاصد
وفي حدودها وبالطرق الجائزة شرعاً .
والله أعلم .
- وصل الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
. مصطفى كمال مصطفى

هول كتاب .. عشرة أيام في حياة الرسول

مؤلف: د. إبراهيم زباد

صفحات الكتاب . فإذا ما افنتك الخيال يوما بذاته من بين الأيام التي يعترضها الكتاب توقع أن الضوء للرجى فيما ينل من الصفحات .

هذا يوم التحكيم بين القبائل للثامنة على رفع الحجر الأسود إلى مكانه بحل الإبراهيم النبوي العظيم ، وذلك يوم الوحي إذ جاءه الله بأمره .

وتتوالى الأيام العظام : يوم الطائف .. والمكة .. وحزرة .. والحديبية .. والفتح وحنين .. والنخير .. ويوم الوداع . وبزل العتار .

أين يوم الهجرة وما حوى .. أين ذلك اليوم الذي تأقت فيه مواهب الرجال الذين منهم أعظم رسول أخرج للناس . فسموا الحق طيبة الإيمان ، ولم يشهد مال ولا ولد ، ولا أرض ولا ذكرى ، إلى آخر ما تعارف عليه البشر من مواعظ وروابط تحكم مسيرة الإنسان . لم يذكروا إلا أنهم جند الله ومصابيح الضوء على منحنيات التاريخ .. يفرسون بذوب أرواحهم هدية الله للناس ، ولدها

كتاب جهده طالع الناس في مطلع هذا العام يحمل ذلك الاسم الذي للشيء الذي يطلق الخيال كل منان ، ويجمع الرؤى على صنعة النصور وهي تلتقط من الأيام للباركة التي منحها الرسول للإنسانية كلها أياما عظيمة أمدت تفكير الدنيا .. وصافت وجه الحياة .

اسم هذا ثورة الفعور الذي في قلب كل مؤمن ، وبفجر في أسمى الأنساق عوامل التحفز للباحثة في روعة وجلال وجهر من سر هذه الأيام للتميزة التي كانت بتقوى قوى كونية خلفت للبشرية أعظم تراث ، وأضأت لها السبل والأعلام . وفي مثل ذلك المركب الجليل للنبيل لتسابق أجنحة الخيال كأنها رسل سليمان تخنلس ومضة من هنا .. ولغصة من هناك عن سمات هذه الأيام المختارة لتعقب بها الأمل للفرقة وهي تغلب بينهم صفحات الكتاب . وينطلق تعاهي طاماني متمثلا بعض الأيام للذة من حياة الرسول العظيم التي جالت بالضوء المبهج حين التاريخ . يبقى محرم بين الخيال وبين ما يدرك القلب من

وجدنا فيه مدخلا حيا لتلك الحياة المأهولة
المطوية . . مدخلا يقضي إلى الكثير
من أسرارها الماضية ويجمعنا على الكثير
من خصائصها المنة وفاة ، وشيائها المنة
وعظمتها التي لا يتقاصر أبدا ولا ينضب .
ألم يرتق يوم الهجرة . فيما يرى المؤلف .
ليصبح مدخلا وحبا ينض بنا إلى أسرار
الضياء الحمدي الذي يقضي دوما ولا يقضي
أم تراء قد انضمت سماته بأروية لانها
فأضحي مدخلا مهجورا .

ولكن فلنعرض عن دالة الترتيب لعلى
معتبرا يقول ، إن يوم الهجرة عالم بذاته
ولا يمكن أن يكون يوما واحدا محدودا
لعالى ممي أيها القاريء الكريم انهم
من المؤلف أصرا محببا .

لقد تعرض المؤلف لانتظام روح القدس
جبريل عليه السلام بعد أن زل على رسول
الله ﷺ أول مرة بقوله تعالى « اقرأ باسم
ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق
اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم
الإنسان ما لم يعلم » وعلى ذلك الانطباع
بأمور منها : أنه يمكن للرسول أن يستدر
عن حمل أعباء الرسالة إن وجد في نفسه
ضمنا عن تحملها حالا بلطق بعد أن علمه
الروح ، وبلغ منه الجهد كل مبالغ في لقائه
مع جبريل عليهما السلام !!

بذاتهم متجربين من كل مواعيد الضعف
الإنساني التي قد تعرض طرائق المجاهدين
أين عظمة اليقين ومضياء التحدى
في محمد بن عبدالله عليه السلام ، أمام طوفان
الغمر وجبروت الشر ، أين براعة التخطيط
ورباطة الجاني التي لا تقابل بمحانة الويل
والهبل ولا نسمع لها ركزا . أين ومضات
الدور الإلهي التي يجربها الرحمن على يدي
رحمة المهدة المصطفاة فلا يلحق ودائع
الناس في للوقوف الرهيب ، ومن خلال
أبواب الموت .

على تراجع يوم الهجرة من صدارته .
وتخلف في الترتيب حتى صبقته أيام عشرة
وقد زيد إلى رقم لا يطف إلا المؤلف نفسه .

وقد يقول قائل : إن الآراء تختلف
في ترتيب الأيام البارزة في حياة الرسالة
والرسول ، إلا أن القاريء - أي قاريء -
عندما يقدم على قراءة كتاب اسمه (عشرة
أيام في حياة الرسول) ولا يجد من بينها
يوم الهجرة فلا ريب أن الدهول سيذكره
لهذا الإغفل ، وبخاصة عندما يجد المؤلف
نفسه يؤكد الأهمية البالغة للأيام المختارة
وما تتميز به من تأثير في تاريخ الرسول
وسير الدعوة الإسلامية فيقول
في صفحته (٤٤ ، ٤٥) ...

« إنما يعني اختيارنا هذه الأيام أنها

الرسول حق الاختيار إن شاء قال ها أمدا
مستمد لحل الرسالة أو قال كفى يا جبريل
ما حدث أول مرة وأما فرض طهفة الصفة ا
والفرض أن الرسول تنهى عن قبول
الرسالة التي أكل الله بها دينه في الأرض ،
فما يصير الآيات الخمس التي نزلت من سورة
العلق . وما الذي كان سيحدث بالنسبة
لبقية القرآن الكريم . هل يسكنه الله
فلا يرسل له من بعده . وما يصير الرسالة
كلها . أي يحجبها الله عن العباد لتكون لهم
الحجة عليه بعبه ذلك أم يختار بيها آخر
غير ذلك الذي تنهى . وهل كان سيضعه
تحت الاختيار مرة أخرى ليقرر مفعله .
وما الشأن لو رفض الرسالة ذلك الذي المختار
الجديد كما رفض أخ له من قبل . هل تدور
الساقية من جديد . وهل يتجدد الزمن في
مكانه انتظار الرسول ترمزه التجربة . فيجعل
الأمانة ، ويخرج الناس من الظلمات إلى النور .
أم تبقى الجاهلية الظلمات باشرة أهلها
السوداء حتى يرث الله الأرض ومن عليها .
وبعد : فإن الحكمة المكتوبة هي أخطر
تحتاج للبشرية . وواجب أولئك الذين
يتصدون له كتابة أن يراهم مسؤولياتهم
ولا يفتنوا أفلامهم في المداد الأسود
وبخاصة حينما يكتبون عن أمر السماء .
إبراهيم عبد اللطيف زياتة

وقس عبارة المؤلف من الكتاب
المذكور ص ٤٢ (وإلى جانب ما قد توىء
إليه من منحة حق الاختيار إن شاء أن
يتقدم حاملا من أعباء الرسالة ما يطاق ،
وما لا يطاق ، وإن شاء فليتأخر قبل أن
يرتبط مع الوحي بهذه وميثاق ا
أرايت أيها الفارسي الكريم مثل ذلك
من قول بالغ الغرابة ، مغرق في البطلان ،
يلشر على الناس في كتاب ظاهره التمجيد
وباطنه ارتياب يشكك فيما تعارف عليه
للعلمون ، وأروسته قواعده للعلماء ، وأبرم
متن الأول منذ إنفاذ أمر الله لرسوله ﷺ ،
واختياره لحل الأمانة العظمى وإعداؤه
عليه السلام لما قبل أن يسكن ما كان .
وبأحلوب إلى مبرم ومعلوم لا يغويه
احتمال التردد أو الرفض من جانب الرسول
صلى الله عليه وسلم . الله أعلم حيث يجعل
رسائله . وعن مختارهم مبشرين ومنذرين .
وهو سبحانه غني عن الدخول مع البشر
في تجارب يعجز بها أفرادهم ، ويستنبد
قدراتهم ، فن دارفته أرسل ، ومن تكمن
غليظ ذهاب قميده بيته قبل أن يرتبط مع الوحي
بعهد وميثاق ا
من الاستعجيل أن يرسل لك إلى النبي
بآيات الخمس ثم يأمره بالانقطاع لينسج

باب الفتوى

بقدمه الأستاذ محمد أبوشادي

الإجابة لـ لجنة الفتوى بالأزهر

(رأى الدين في زواج الطائفة البهائية) السؤال من السيد / الأستاذ وكيل نيابة طنطا السككية للأحوال الشخصية :
 ثم عقد زواج بين كل من السيد / أحمد الناصري ، والسيدة / ليلى محمد غانم ، على مقتضى الشريعة البهائية بأيجاب وقبول من الطرفين على صداق مسمى بينهما ، وهذا العقد لم يسجل رسمياً ، وقد تنازع طرفا هذا العقد ورفع الأمر إلى القضاء .
 وبسأل الأستاذ المستفتي عن حكم هذا العقد ؟ وعن صحة الاختصاص لفصل في هذا النزاع ؟

للذهب والكفر هو مخالفة ، وأن هذا للذهب ناسخ لجميع الأديان .
 وعلى ذلك طائفة البهائية ليسوا مسلمين بل هم مرتدون عن الإسلام ، وزواجهم باطل ويجب التنزيق بينهما فوراً .
 والخص بالخص في مثل هذا الزواج يحاكم الأحوال الشخصية للمسلمين . والله تعالى أعلم .
 (الإتفاق على السجد إنما يكون من ربح الأرض للوقوف عليه)
 السؤال من السيد / كريم محمد كريم :
 أوقف لرحوم محمد كريم قطعة أرض زراعية قدرها ١٦ و ٢ ف ليصرف من ريعها على مسجد قرية للفتش ، وبعض ورة الواقف المذكور يدرسون في هذه الوقفية ويريدون تقسيم قطعة الأرض .
 المذكورة عن أنفسهم - فما حكم الشرع

الجواب

إن مذهب الطائفة البهائية قد اختلف على عقائد تخالف الإسلام منها ادعاء النبوة لبعض زعماء هذا المذهب ، والألوهية لبعض آخر وأن الإيمان هو متابعة هذا

٧ - هل من المرأة الأجنبية ينقض الوضوء ؟

٨ - هل تحب الزكاة على الهداة من الإبل والسيارة التجارية ؟

٩ - هل تحب الزكاة على حلية المرأة من ذهب أو فضة ؟

١٠ - هل يصح أن يتصدق الولد لأمه ؟

الجواب

عن الأول : بأن لم تنف على حلية الأذن أو الإقامة على الميت بعد أن يوضع في قبره .

وعن الثاني : بأن من المرأة الأجنبية مطلقا لا ينقض الوضوء عنه الحنفية وينقض مطلقا عند الشافعية وينقض عند الإمامين مالك وأحمد بشرط أن يقصد الهبة أو يمجدها .

وعن الثالث : بأن مذهب الحنابلة لا تحب الزكاة في العوامل أكثر المنة ولو لإحارة ولو كانت سائمة نساء كالإبل التي تكبرى ولا يقر التي تنضف لغيره أو الطاعن ونحوه ، ولحديث (ليس في العوامل صدقة) وكذا عند الحنفية لازكاة في العوامل وعند المالكية تحب الزكاة في العوامل مطلقا إلا أو غيرها وعند الشافعية الأصح أنه لا زكاة في العوامل لأنها ليست بمعدة لقائه بل لعمل .

في هذا الوقف، وكذلك ما الحكم في طلب الورثة المعارضين أو يوافق لهذا حجة الوقف المذكورة المؤرخة بتاريخ ١٩٦٥/٢/٢١ .
الجواب

اطلعت لجنة الفتوى بالأزهر على ما كتبه المحرم الحاج محمد كريم من ناحية هبة الممنش تباع بلدة المرقوب بحيرة بمصر من الأرض التي جعلها للمسجد المذكور بهبة الممنش والتي ذكر في كتابته وجوه للمصرف منها على المسجد .

وتفيد اللجنة بأن ما كتبه الحاج محمد يعتبر وقتا خيرا على المسجد من وقت صدور الكتابة منه ويكون الإنفاق من بيع الأرض على المسجد وليس لأحد من الناس أن ينزع في هذا الوقف الذي صدر منه بصيغة لبيع للمسجد فذلك وقف واضح ومفهوم وعلى هذا الشكل ما حصل من بيع الأرض يكون قاصرا على المسجد كما ذكرنا لأنه محبوس على ملكه لله بنص الواقف وهنا هو الحكم والله تعالى أعلم .
(وأرى الذين في الأذان على الميت في القبر ؟)
السؤال من العميد / الأستاذ عبد الله حسين

١ - هل يجوز الأذان على الميت في القبر ؟

لا يؤثر في إسلام الشخص ولا في صحة صلاته أو صحة الاقتداء به وحكم تعامله أنه يخالف فيه والورع تركه .

ومن الثاني : بأن الرقيا بآيات من الكتاب العزيز أو بما ورد عن رسول الله ﷺ ثابت في كتب السنة الصحيحة ، كما أن الحديث المشهور عنه الذي فيه : « صلوا على من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله » ثابت في كتب السنة الصحيحة والله أعلم .

(النوبة بين الزوجات في القسم واجبة)

المؤال من السيد / محمود بهاء فبطاليز
لوالدي زوجتان ، أحدهما والدي وقد تزوجها من عدة طوية وأنجب منها حنة أبناء ، أصغرهم عمره خمس سنوات ، والوجة الأخرى حديثة وأنجب منها ثلاثة أولاد صغار ، وهو يعمل بالتجارة وأقوم أنا بمساعدته ، وكان قد أخذ زوجة الثانية على الأسرة جميعها وخاصة والدي ولكنها طلت مصادفة أنه مقنوج من أخرى ، ومن وقتها نفأ الخلاف بينهما وكان يؤدي إلى كثير من المباحثات مما أثار على صحة والدي وأخى الصغير ، فقلنا صيب أخى هذا بانهياره وصحوه وكذلك والدي لازمت المراسلة به أثر

ومن الرابع : بأن مذاهب الشافعية والمالكية والحنابلة لا توجب الزكاة من حلية للأرأة للمصنوعة من الذهب أو الفضة ، أما الحنفية فإنهم يرون وجوب الزكاة فيها .
ومن الخامس : بأنه يصح قوله أن يتولى عقد زواج أمه عند وفاة أبيها عنه الشافعية والله تعالى أعلم .

(تعاطى التبغ والخنا لا يؤثر في إسلام الشخص) :

المؤال من السيد / الحاج حسن بن علي (جمهورية مالي)

١ - هل صحيح أن تعاطى تبغاً سواء كان على شكل تدخين أو أى شكل آخر لا تجوز للصلاة خلفه ؟ أو حتى الدخول في مسجد يسمى فيه المدخن ؟ وهل إذا مات لا ينسل ولا يصل عليه ؟ وما حكم من يتعاطى التبغ ؟

٢ - ما حكم الرقيا بأسماء الله أو بنين أسماء الله هل حرام أو مكروه ؟ وهل الحديث الذي يقول : « صلوا على من قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله » هل صحيح أم ضعيف أم مرهود ؟

الجواب

من الأول : بأن تعاطى التبغ والخنا

(أخذ المال بدون إذن صاحبه يعتبر
أكله بالباطل) :

سؤاله : من السيد / أحمد البنداري
له مبلغ ٣٠٠٠ جنيه طرف إحدى الشركات
وقد رأيت تحويلة لأحد الأقربى لاقتضاءه
من الشركة وببريد هذا القريب أخذ مبلغ
ألف جنيه لابن الزوج من بنته دون تفاه
على ذلك مع الإحاطة بأنني قد بدفع جميع
التكاليف التي تكبدها هذا القريب
بعد أن اقتضاء هذا اللباغ — فهل هذا
من حقه ؟

الجواب :

إنه قريب السائل لم يشكف أى شيء
في العملية المستحق عنها مبلغ ٣٠٠٠ جنيه
وكان يتقاضى مصاريف حضوره في كل
مرة ولا حق له في أصل المبلغ ولم يحصل
أن وهذه السائل يجعل فظهر اقتضائه للمبلغ
لذلك كره وعليه فإن المبلغ جميعه من حق
صاحبه ولا يحق للآخر أن يتحكم في أخذ
أى جزء منه لانه ولا نصيره بدون رضا
صاحب المال فان فعل فهو من أكل أموال
الناس بالباطل والله تعالى أعلم ؟

هذه الصدقات، وكان والدي في بدء زواجه
بالأخرى يتغيب عن معه وبيتته الأولى
في فترة الطهيرة ؛ وبعد العلم بهذا الزواج
أخذ في المبيت في بيته الثاني وكلما زادت
المشاحنة مع والدي كلما زاد تغيبه عنها
حتى استقر الآن في بيت الزوجة الثانية ،
وأرجو معرفة رأى الفرع في هذه المشكلة
حيث إن والدي يرغب في أن يعود والدي
إلى وضعه الأول الذي كان عليه قبل العلم
بزواجه الأخير .

الجواب :

يجب على الزوج أن يسوى في القسم
بين زوجاته ولا يدخل على غير المقصود
لها بغير حاجة لمزدعت ضرورة إلى دخوله
على غير ذات النوبة في الزمن المتبر أصلاً
بالنسبة له وجب عليه أن يقضى هذا الزمن
لمصاحبة النوبة من نوبة من دخل عندها
أما دخوله في غير الزمن للمعتبر أصلاً بالنسبة له
فإن الحاجة جارية أو بغير حاجة فلا يجوز
والله تعالى أعلم .

انباء وآراء

د إلى محقق أسد الغابة، في معرفة الصحابة ،

نصهبر د دار الكتب

« أسد الغابة في معرفة الصحابة » من أندر النماذج التي حدثت من صحابة رسول الله ﷺ ، وهذا السفر الجليل - كثيره من كنوزنا - عبر إلينا القرون من طريق النسخ ، وما وقع في النسخ من هوائب ، ثم صدرت منه بعض طبقات ليس الا مئتان إليها ميسورا .

فنعمد الله أن هيا لكتاب ثلاثة من طائفتنا توفروا على تحقيقه والتمانية به بحمد بارز مشكور بليق بسفر (عز الدين بن الأثير) عليه رحمة الله .

وانا بعض ملاحظات :

١ - جاء في الترجمة ٢١٣ - أنس بن سلة ، وفيها أنه « وفد إلى النبي ﷺ ، هو وطاق بن علي ، وسلم بن حنظلة ، وعلي بن شيبان . كلهم من بني سحيم بن مرة ابن القول ، رضي الله عنهم .

وقد وقع الاسم في طبعة الوهبة ١٢٨٠ هـ (أنس) بالفتح ، وهو بالعين كذلك فيما اختاره المحققون أنفسهم في الجزء الذي صدر لهم - قبل دار الكتب - مع تعليقات لم يخدم الخلل - ثم جاءت طبعة الشعب لهم والاسم (أنس) بهمزة فشا من الاختيار ؟ . كان الأجدر إلحاق بيان ذلك حتى يطمئن القارئ إلى هذا الاختيار .

٢ - تروى في بعض التراجم أسماء لصحابه اشتركوا في واقعة حال مع المترجم منه كـ هذه الترجمة ، ولا أشك أن المحققين قد استقرروا هذه (الأعلام) في مواضع من الكتاب . وفي هذه الترجمة ٢١٣ (سلم بن حنظلة) . وجد في الوهبة (سلمى) كذا بالالف وليس لها على مؤثر .

لهل هو خطأ مطبعي في الوهبة؟ مع أن «سلي» لمذكر كروف تراجم ثلاثة الوهبة
٣٤٢/٢ . ٣٤٢

٣ - نصت الترجمة [٣١٢] دلي تصحيح (بايل) - (بزيل) ولها (بضم قباء) وبإزاي
ونحن نذكره في موضعه إن شاء الله تعالى) فأين موضعه؟ إذ لا وجود لبزيل إطلاقاً
لا في طبعة دار للعب ، ولا في طبعة المحققين الأولى ولا في الإصالة أو الاستيعاب .
٤ - جاء في الترجمة ٤٨٢ - ٢٢٩/١ في المظلة المأثر قوله : قد جعلناه وصحتها
(خلعناه) وللمنى معروف . فأما الآيات واقعة مع غير هافندرويت لأنه لا مؤمنين
عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه [شرح أشعار الهذليين للسكري ٢/٩٠٣ ط دار
العروبة ١٣٨٤ هـ] ، وهي ثمة أدق حيث يقول :

أصدق ربيعة يال ضميره . أن نيس لله عليه قـهـره
أما تزال شارى أو بكره . يطعن منها في سواء الثنـره
يارب إن كان معدا لجره . فاجعل أطم العين منه جهـره
تأكله حين يواني الجـسـره

فأما الجرة فيقصه بها الجرات المعروفة في مناسك الحج ، ويقصد قدوة الآيات
في الهذليين سيان الرواية :

و تأمل أن تتدرك الجنة هذه الأمور حتى يتم النفع بهذا المعبر الجليل .

أنباء :

بالأهر في معبد جسر الدين .

● علاقات دور الإفتاء :

يأمل مفتي الجمهورية العربية المتحدة
الشيخ محمد خاطر أن يقيم صلوات مباشرة
مع مفتي البلاد الإسلامية حتى يسهل الإفتاء
طريق اتصال الجميع الكلمة بين الشعوب
الإسلامية ؟ على الخطيب

● بين شاه ولي الله الدهلوي وعبد الله
طلبت جامعة لندن إلى الباحثة الدكتور خليل
عبد المال أن يمد بحثاً يبين فيه إن كان تم
تأثير لعاء ولي الله الدهلوي على محمد عبده أولاً ؟
سبق قباحت أن قدم رسالة عن شاه ولي
الله الدهلوي لجامعة «البنجاب» بباكستان
حمل الدكتور خليل عبسده المال مهرسا

become Muslims has given them a sense of belonging to a wider community transcending regional, racial, and linguistic barriers. But of great importance to note is that present-day Muslim leaders, learned men and youth, are aware of or assume that they are an historical people whose history is older than the other peoples with whom they are now cast as members of a single state. This is axiomatic with them. What had given them, among other things, a sense of identity has been and still remains Islam.

Another factor must also be considered: Muslims, rightly or wrongly, take it for granted that they have a longer history in the struggle for freedom than the other inhabitants in the Philippines. All efforts to Christianize them, to reduce them to vassalage, and sometimes even to exterminate them, have failed. As a people proud on account of this fact they resent what appears to them an attitude of economic superiority over them by others, as well as the exercise of political power over them by persons who in effect seem to ignore their existence and take their sensibilities for granted. They also resent what appears to them as neglect, if not outright discrimination, in their claimed share of those social benefits that ought to

to proportionately belong to them. In brief, they assert that the national society into which they had been thrust is an unequal society. But what they resent, most of all, is the questioning of their patriotism and similar unnecessary suspicions. And these attitudes have come about on account of their history. That is why the complaints or problems of the Muslims in the Philippines cannot be dealt with in the same manner that the complaints of labor groups, political parties, farmer groups, pressure groups, etc., are to be dealt with. The problems of the Muslims in the Philippines are peculiar and special problems; although by there I do not mean that they want to have special privileges. Just what these problems are and how they are to be solved do not properly belong to this paper—other papers will be read in this symposium and there is the Commission on National Integration. My point and conclusion is that no solution to the problems of the Muslims in the Philippines can be a permanent one or even possible without taking into consideration as a frame of reference the principle that the Muslims in the Philippines have an older history than that of the other Filipinos or even that of the Filipino nation and that they are aware of this.

(Concluded)

to prevent the English from having a foothold in Sulu as well as to punish the Sulu Sultan for the actions of some of his piratical subjects a more serious attempt was made to conquer Sulu and establish permanent garrisons there. Already a few garrisons were established in Muslim lands in Mindanao. One disadvantage of the Sulus and Magulanaos in their resistance was the modern navy of the Spaniards. It was thus that in 1876 Jolo was taken in an assault. The Sultan retired to the interior. Incidentally, it was not long after this that the Sultan leased his North Bornean territories to an Austrian business adventurer. Although the Spaniards were able to foil intrigues in the dynastic affairs of the sultanate, for all practical purposes, the Sultan and Sulus felt unconquered. Skipping a great deal of important facts relative to this sixth stage, the point I want to emphasize is that the Moro War at this stage was principally waged by Spain to prevent other European powers from exercising political influence on the sultanates that might be detrimental to Spanish interests in the Archipelago. Admirable about the Sulu sultans at this stage is that they had to contend with the ambitions of Spain, Great Britain, the Netherlands, and even Germany. Actually,

the Sultan had diplomatic relations with all of these countries — trying to play them one against the other and all the time trying to maintain control over the powerful datus. Significant about this last stage of the Moro Wars, is that the problem of evangelization ceased to play an important factor. Spanish military officers were mostly interested in converting the Muslims into loyal subjects of the Spanish King. The problem of Christianization was not their concern. The religious motive in colonialization was reducing although some missionaries in 1892 like Juan Ricart tried to convince Spanish officialdom that with the elimination of the power of the traditional chiefs as well as the prestige of Muslim religious teachers, the panditas, "it will not be long that the Moros will come to us en masse with the same docility as those of the other races of the Archipelago," — a tacit admission that it was Islam that prevented the Muslims of the Philippines to become docile subjects of Spanish officials or docile wards of Spanish friars.

The Muslims in the Philippines are an historical people whose political organizations have antedated the coming of Europeans in the Archipelago; and their having

failed. Again, a desultory war followed. The idea to convert the sultans failed in the case of Maguindanao. Although I Azim-ud-Din, the deposed Sulu sultan, was baptized in Manila, such an action did not have much political results in Sulu since a new sultan took over. In any case, the problem of the sincerity of the conversion still remains an open one.

In the fifth stage, the Iranuns of Butig and the Maranaos begin their devastating attacks on other parts of the Philippines, reducing the number of tributees for Spain coming from the Visayas and causing a virtual disruption in the economic life of many islands under the Spanish colonial regime. On account of thousands of captives taken by the Muslims, some depopulation started to take place in the Visayas. But all these were in response to the Spanish order in 1751 to enslave all captured Muslims, destroy their settlements, boats, plantations, and fields. Yet as the facts demonstrate, it was the Sulu Sultan who was always the first to initiate moves for a peaceful settlement. The lessening of Spanish power as a direct result of the British invasion of the Philippines and capture of Manila in 1762 once again brought about a decline of hostili-

ties between Spaniards and the Sulus and Maguindanaos. The Muslim principalities once again tried to recapture their days of commercial prosperity; but they were not to be left in peace.

During the nineteenth century, Sulu became a center of European rivalries. The French wanted to base in Basilan in the 1850's. The English started to renew trade agreements with the Sulus. All of these alarmed the Spaniards who concluded rightly that the presence of other rival European powers on their southern frontiers spelled danger to their hold in the Philippines. Taking as an excuse the piratical activities of some of the datus and other subjects of the Sultan, the Spaniards led an expedition to Sulu in 1851, capturing Jolo and claimed Sulu as a protectorate although the Sulus interpreted the peace terms to represent a declaration of firm friendship between two sovereign powers. In any case, the Sulu Sultan acted as independent as before although Spain used the Treaty as a legal document to prevent other rival European powers from entering into treaties with Sulu.

On account again of the fear that Sulu might seek an alliance with other European powers and

conflict between the Maguindanao and the Spaniards once again broke around 1653, the Sultan declared the jihad (holy war) against the Spaniards. Declaring that the war against the Spaniards was for the preservation of the Islamic faith, the Sultan called on the sultans of Sulu, Teraote, and Makassar to drive out the Spaniards from Muslim lands. A bloody but inconclusive war ensued. In any case what succeeded was that in 1663, the Spaniards, on account of the Roxanga threat as well as other factors, abandoned the Moluccas and the Zamboanga fort. For about fifty years there was to be relative peace between the Spaniards and the Muslims in the Philippines and other Indonesian islands. This relative peace was once again broken when the Spaniards in 1718 decided to reoccupy Zamboanga and fortify it. All this demonstrate that the Muslims were willing to keep the place now provided the Spaniards decided to leave them and their territories alone.

Between 1663, when Zamboanga was abandoned, to 1718 when it was refortified, there was an interlude in the Moro Wars which allowed the sultanaes to become more organized and their Islamic institutions to be reinforced. Vigorous commercial relations with

other principalities were initiated. It was around this time, too, that the Sulu Sultanate acquired the North Borneo territory from the Sultan of Brunei as a grateful recompense for an armed intervention in a dynastic quarrel. Sulu had reached the highest level of its territorial expansion. Actually, Sulu was simply filling up the power vacuum left in the island of Borneo as a result of Brunei's gradual political and commercial decline.

The Spanish government, principally on account of Jesuit agitation, decided to refortify Zamboanga. The Jesuits, more than any religious order in the Philippines, were the most insistent on the evangelization of the Muslims - an attitude, which in spite of traditional Muslim respect for men of religion of whatever faith, cost them a few casualties on account of extreme zeal. It is proposed that the fifth stage began with the refortification of Zamboanga in 1718 and ended in the Spanish failure in the eighteenth century to reduce the Muslims to vassalage. To achieve this political end, a Spanish plan was devised to convert the sultans of Sulu and Maguindanao as a stage preparatory to the eventual conversion of the datus and subjects. In this stage, the combined Sulu-Irruan attack to capture Zamboanga in 1719

THE MUSLIMS IN THE PHILIPPINES

A HISTORICAL PERSPECTIVE

By : CESAR ADIB MAJUL

—IV—

The Spaniards adopted the policy of depopulating the Muslim areas — burning settlements, plantations, fields, and orchards, and enslaving Muslims for the galleys. The Lamonitan capital of Sultan Qudarat falls the Spaniards in 1637 and Sulu Sultan's cotta in Jolo, defended by people of Makassar and Basilan, Tausugs and Samals, falls in 1638. The Sulus retire to the interior and other islands. The Magulindanaos and people of Buayan retire also to the interior. A new policy is adopted by Sultan Qudarat; battles with the Spaniards are to be reduced to a minimum and settlements were to be abandoned since as the Sultan said, there was enough wood in the forests to rebuild settlements after the withdrawal of the enemy. The problem of the Muslims was presence combined with the possibility of Muslim retaliation on Spanish controlled towns lead the Spaniards to make peace with Magulindanao in 1645 and Sulu in 1646. Spanish missionaries had also arrived at the conclusion that continuous con-

lict was incompatible with missionary activities.

Interesting to note about the treaty between the Spaniards and Magulindanaos in 1645 was that the former were forced to recognize that the sphere of influence of Sultan Qudarat covered the whole continuous coastal area from Sibuguey (just off Zamboanga City) to the Davao Gulf and extended to the interior up to most of Maranao territory as well as over the populations that inhabited the areas where all the sources of the Pulangi originated. Except for the present Republic of the Philippines, there was never a more extensive native kingdom or political entity in the Philippine Archipelago. The 1646 Treaty with the Sulus provided that the Spaniards abandon the island of Jolo.

When on account of Spanish provocations in territories tributary to Sultan Qudarat, insults against the person of the Sultan, and continuous efforts at conversion, the

of the State himself who performs this duty). Thus one meets not only other members of the community, but also the responsible functionaries of the place and approaches them directly without formality or hinderance. The social aspect of the service of prayer is that the believer feels around him the sovereignty of God, and lives in a state of military discipline. At the call of the muezzin, all rush to the place of assembly, stand in serried ranks behind the leader, doing acts and carrying on movements in common with others, in perfect uniformity and co-ordination. Further, the faithful, in all parts of the globe, turn their faces, during the service of worship, towards the same focal point, the Kabah or the House of God in Mecca. This reminds them of the unity of the world community of Muslims, without distinction of class, race, or region.

169 — The preferable and more formal way of worship is the congregational service. In the absence of such a possibility, or lacking adequate facility, one prays alone and individually, man or woman. The five prayers of the day mean rather a minimum duty of passing about 24 minutes, during 24 hours, in the presence and remembrance of God; but the believer must actually

remember God, every instant, in work and in play, at work or in bed or while engaged in any occupation. The Qor'an (3/190-1) says: "...men of understanding, who remember God standing, sitting, and reclining, and consider the creation of the heavens and the earth, (and say) Our Lord! Thou didst not create this in vain." God has made the universe subservient to the use and benefit of man; but the enjoyment must be accompanied by recognition (gratitude) and obedience, and not by rebellion against God and injustice against other fellow-beings.

170 — It may here be mentioned that at the very moment when the service of prayer was instituted, the Qur'anic verse (2/285) was revealed: "God tasketh not a soul beyond its scope". It is the intention and will that counts in the eyes of God, and not the quantity or the exterior method of accomplishing a thing. If a devout man honestly believes that he is unable to perform five times daily the service of prayer, let him observe at four times thrice, twice or even a single time every day, according to his opportunities and circumstances, and the duration of the hindrance. The essential point is that one should not forget one's spiritual duty in the midst of material and mundane preoccupations.

(to be continued)

firm on the path when crossing over the Hell, and do not let them stumble on the day when the feet of Thy friends will remain firm and the feet of Thy enemies will stumble".

167 — The five daily services were made obligatory for Muslims on the occasion of the Ascension of the Prophet (miraj). The Prophet Muhammad has moreover declared that the service of worship of a believer in this own ascension, in which he is raised into the presence of God. These are no empty words; let look at what a Muslim does in his worship. First of all, he stands up, holds up his hands, and proclaims: "God alone is great"; thus he renounces all except God and submits himself to the will of his Lord alone. After having hymned and recalled the merits of God, he feels so humble before the Divine majesty, that he bows low and puts down his head as a sign of reverence, proclaiming "Glory to my Lord Who alone is Majestic". Then he stands erect to thank God for having guided him, and in his mind of minds he is struck so much by the greatness of God that he feels impressed to prostrate himself and to place his forehead on the ground in all humility, and declare "Glory to my Lord Who alone is High". He repeats these acts so that the body

gets accustomed to the spiritual exercise and gradually becomes worthier and worthier so as to be lifted from the world of matter and pass through the heavenly atmosphere, and enter the presence of God, there he salutes God, and receives the answer to his greetings. In fact, he employs for the purpose the very formulae that were used during the Ascension of the Prophet Muhammad, when he exchanged greetings with God: "The blessed and purest of greetings to God - Peace with thee, O Prophet, and the mercy and blessings of God - Peace with us and with all the pious servants of God". Without material, idol-like symbols, the believer travels, so to say, towards the transcendent God, on a spiritual journey, which, in certain communities, is termed "communion".

168 — Such is the spiritual significance of the service of worship. As for its material utilities, these again are numerous. It assembles five times daily the inhabitants of a locality, provides the opportunity of relaxation for some minutes in the course of the monotonous duties of individual vocations, and gathers the highest as well as the lowest personalities of the place in perfect equality (for it is the chief of the locality, who is to conduct the prayer; and in the metropolis, at the central mosque, it is the head

last chapter. The above-mentioned acts of different creatures have been adapted and assimilated therein, adding thereto what is particular to man and not found in other creatures).

166/a — It may be recalled that the Islamic word for the service of worship is 'ibadah, which is from the same root as 'abd, i.e., slave. In other words, worship is what the slave does, the service the master desires of him, God demands of the mountains to stand, and of beasts to remain bent; that is their service, their worship. To everyone what suits him and what his Lord desires of him. Of course to man also what becomes of him as a rational being, as the foremost of the creatures, as the vice-gerent of God.

166/b — Ablution or ritual washing and physically being clean is a pre requisite of the validity of a Service of Worship, as will be detailed later (S 549 ff.) A Muslim philosopher has nicely brought into relief its significance. For this ritual purification one has to wash the hands, the mouth, the nose, the face, the arms, the head, the ears and the feet. Washing them is not merely the outward cleanliness; it is a repentance for the past and a resolution for the future. Repentance washes away the past sins, and resolution through invoking the

help of God concerns what is yet to come in life; and this relates to our principal organs of mischief. The hand attacks, the mouth talks, the nose smells, the face or presence abuses the prestige and exerts influence and pressure, the arms hold, the head thinks and plots, the ears hear, the feet march in the way of evil, forbidden by God. Not to speak of the sexual sin, from which one gets rid even before beginning the ablutions, and one has to get clean in W. C. This symbolical and mystical aspect of purification is evident in the formulae of invocations which accompany washing each organ, in the W. C. we say: "O God, purify my heart from hypocrisy, and my sex from shameful acts and prostitution." One begins the formulation of the intention of the ablutions by saying: "Praise be to God Who has made water pure and purifying". When washing the face, one praises to God: "Brighten my face on the the Dooms Day, and do not darken it", for washing the arms: "Employ me in good deeds and not in evil one, give me my Rolls on Dooms Day in my right hand and not in left, and facilitate me my reckoning and do not make it difficult"; for head: "Teach me useful knowledge"; for ears: "Let me listen to Thy word and the word of Thy messengers"; and for feet: "Make my feet

ego and self-consciousness — so low that it touches the ground in front of the object of reverence. . . . As a man can reach the top of his spiritual evolution only gradually, it is evident that such an ascension must pass through all the three stages; and a perfect service of worship would have three postures, Standing up, Bowing down, and Prostrating by laying the head on the ground in the presence of the Almighty; and all this is performed for the necessary evolution of the spirit so that one might feel truly the sublimity of God and the humbleness of man." (Hajjatullah al-balighah, vol. 1, Secrets of Worship).

166 — In a passage (2/16), the Qur'an says: "Hast thou not seen that before God are prostrate who-sover is in the heavens and who-sover is on the earth, and the sun, and the moon, and the stars, and the hills, and the trees, and the beasts, and many of mankind. . . ." Again (17/44): "The seven heavens and the earth and all that is therein praise Him, and there is not a thing but hymneth His praise; but ye understand not their praise. . . . The Islamic service of worship combines in fact the forms of worship of all creatures. The heavenly bodies (sun, moon, stars) repeat their act of rising and setting (like rak'at after rak'at of the service); the mountains

remain standing (like the first act in the service); the beast remain bowed and bent (like the ruku' in the service); as for trees, we see that they get their food through their roots, which are their mouths and this in other words signifies that the trees are perpetually prostrate (like the sajdah or prostration in the Islamic service of worship). Further, according to the Qur'an (8/11) one of the principle functions of the water is to purify (and compare the need of ablutions for the service). Another passage (13/13) says: "The thunder hymneth His praise," and this makes us think of the loud pronunciation of Allahu akbar, so often repeated during the service, even if we disregard the loud recitation of the Qur'an during the service which is done during certain services and not in others. The birds flying in flocks worship God (Qur'an 24/41), as also Muslims do when celebrating their congregational service. Just as the shadow stretches and shortens in the course of its daily life, (which is its particular way of submission to and worship of God, cf. Qur'an 13/15, 16/18), so too the human worshipper stretches or shortens himself while standing, bowing prostrating or sitting in the course of the service. (See pictures of the different postures of Muslim worship in the

abandoning, during the few minutes spent in each service of worship, all material interests, in order to provide proof of one's submission and gratitude to God our Creator. That applies to every adult, man or woman.

164 — The service of early afternoon is transformed every Friday into a weekly congregational service, with greater solemnity, in which the imam of the locality delivers also a sermon before prayer. Islam has instituted two annual feasts : one at the end of the fasting month, and the other on the occasion of the pilgrimage to Mecca. These two feasts are celebrated by two special services of worship, in addition to the daily five. Thus, early in the morning people assemble for a collective service of prayer, after which the imam delivers a sermon. Another service of prayer, of restricted obligation, is held for the deceased before burial.

165 — Speaking of the hidden meaning and mysterious effects of the service of worship, the great mystic Waliullah ad-Dihlawi says ; "Know that one is sometimes transported, quick as lightning, to the Holy Precincts (of the Divine Presence), and finds one's self attached, with the greatest possible adherence, to the threshold of God. There des-

cend on this person the Divine transfigurations (tajalli) which dominate his soul. He sees and feels things which human tongue is incapable of describing. Once this state of light passes away, he returns to his previous condition, and finds himself tormented by the loss of such an ecstasy. Thereupon he tries to rejoice that which has escaped him, and adopts the condition, of this lowly world which would be nearest to a state of absorption in the knowledge of the Creator. This is a posture of respect, of devotion, and of an almost direct conversation with God, which posture is accompanied by appropriate acts and words. . . .

Worship consists essentially of three elements : (1) humility of heart (spirit) consequent on a feeling of the presence of the majesty and grandeur of God, (2) recognition of this superiority (of God) and humbleness (of man) by means of appropriate words, and (3) adoption by the organs of the body, of postures of necessary reverence . . . To show our honour to somebody we stand up, with a fawning concentration of attention, turning our faces, towards him. Even more respectful is the state when we bend and bow our heads in reverence . . . Still greater respect is displayed by laying down the face — which reflects in the highest degree, one's

DEVOTIONAL LIFE AND RELIGIOUS PRACTICES OF ISLAM

By Dr. Muhammad Hamidullah

It is the aim of Islam, to offer a complete code of life, without neglecting any one of the various domains of human activity. Its objective is a co-ordination of all these aspects. The concern "centralization" is displayed in the fact that all Islamic practices touch simultaneously the body and the soul. Not only do temporal Practices acquire a sacred moral character, when they conform to Divine prescriptions, but the spiritual practices also possess a material utility. The rules of conduct, whether spiritual or temporal, emanate from the one and the same source, the Qur'an which is the Word of God. The ineluctable result is that according to the Islamic terminology the Imam (supreme director or leader of the Muslim world) signifies not only the leader of the service of prayer in the mosque, but also the head of the Muslim State.

161 — In a well-known saying, the Prophet Muhammad has defined the faith (Iman), the submission (Islam) and the best

method (Ihsan) leading thereto. For elucidating the subject under discussion, it would admirably suit our purpose to quote and comment on what he has said on the second point. He declared : Submission to God (Islam) is, that one should celebrate the services of worship, observe annual fasting, perform the Hajj (pilgrimage) and pay the Zakat taxes.

SERVICE OF WORSHIP

162 — "Worship is the pillar of religion" is a saying of the Prophet Muhammad. The Qur'an speaks of it more than a hundred times, and calls it variously salat (inclination), Du'a, prayer, appeal), dhikr (remembering), tasbeeh (glorification), inabah (returning, attachment), etc.

163 — In its concern for creating an atmosphere of the sovereignty of God on earth, Islam has prescribed five services of worship daily : one should pray when one rises — and one should rise early — again early in the afternoon, late in the afternoon, at sunset, and at night before one goes to bed. This requires

system, namely, to foster love sympathy and to purify hearts from envy and hate. It was for this reason that the Qur'an called the doers of these sins as : «ظالمون» (oppressors or evil-doers).

Patience :

Patience would be considered as a true moral quality only when it be performed with total submission to the Will of God, and in complete freedom of action. The Holy Quran refers to this noble quality as follows :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا بِالصِّبْغَةِ
وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ »
(البقرة ١٥٣)

It means : " O ye who believe !
Seek help with patience and prayer.
Lo ! Allah is with patients" (2:153).

With the help of the patience the true believer resists and overcomes, first the passions of the body, and then the attacks of transgressors.

Forgiveness

The Qur'an commended this noble quality in several occasions. The object of the forgiveness or proportional punishment is to amend the fault and improve the condition of the wrongdoer. From this point we can understand there is in Islam neither the one extreme side. The mere presence of this quality in a person does not entitle him to real credit unless he shows by its use on the right occasion that he possesses it as a moral quality. In a society of this mode - where the Qur'anic moral qualities of honesty, sincerity, justice, Keeping promise, patience, politeness goodness for giveness there is complete absence of jealousy and hatred but there is a real sense of equality and brotherhood. The moral qualities recommended by the Holy Qur'an, effected at once the life of the wild children of the Arabian desert, and enabled them to become an advanced and civilized [society in a short period



danger like a coward, but he takes any step to resist evil by patience and steadfastness even in the violent battle field. The true faith in God increases the instinct of bravery in the way of truth and justice.

Politeness

This is one of the highest moral qualities preached by the Holy Qur'an. It enjoins upon the believers to lead a polite social life. The preliminary stages of this quality are to avoid defaming one another, and not induce any person in his absence, not to deride others, not to insult anyone, to avoid suspicions and even not to call one by his nickname. The following verses of the Qur'an refer to the essential conditions of the life of a true believer :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا مِنْ
فَرِيقٍ مِمَّنْ آمَنُوا أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً
مِنْ نِسَاءِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا
تَلْزَمُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِشَرِّ
الْأَسْمَاءِ الْقِسْوَى بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ
نَاوِلْكَ مِنَ الظَّالِمِينَ » (الحجرات ١١) .

It means : "O ye who believe ! Let not a folk deride a folk who may be better than they (are), nor let women (deride) women who may

be better than they are, neither disgrace one another nor insult one another by nicknames, Bad is the name of lewdness after faith. And who so turneth not in repentance, such are evil doers" (49 : 11) And :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا
مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ، وَلَا تَجَسَّسُوا
وَلَا يَنْتَبِ بِبَعْضِكُمْ بِمَضًا ، أَعْجَبُ أَحَدُكُمْ
أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ .
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ .
(الحجرات ١٢)

It means : "O ye who believe ! shun much suspicion; for Lo ! some suspicion is a crime. And Spy not, neither backbite one another. would one of you love to eat the flesh of his dead brother ? Ye abhor that (so abhor the other). And keep your duty to (Allah). Lo ! Allah is Relenting, Merciful". (49 : 12).

These Qur'anic verses refer, in clear terms, to the fact that the habits of mockery, deride, calling others by nicknames, backbiting, watching other's private affairs and deriding, are contrary to the exigencies of «إيمان» (True faith in God) as it is clear from the prelude of the verses these habits will wreck the noble aim of Qur'anic moral

It means : "And feed with food the needy, the orphan and the prisoner, for the love of Him (Allah): (saying) : we feed you, for the sake of Allah only. We do not wish any reward or thanking from you"(76:8-9).

Charity :

The Qur'an enjoined charity for the sole aim of seeking Allah's pleasure and Grace. The practice of generosity and liberality for the sake of ostentation or any recompence, diverts charity into the base aim which gives rise to envy and disputes between the rich and the poor. The Qur'an aims at sublimating this tendency into a nobler aim.

Honesty

Holy Qur'an gives comprehensive injunctions against all sorts of dishonest dealings, and every breach of trust. The quality of honesty consists in not causing injustice to others by cheating them or taking unlawful possession of their own things. The true honesty and its various requisites are clearly set forth in the following Qur'anic verses :

«رَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا»
(الإمراء ٣٤)

It means : "And fulfill every en-

gagement (promise), for every engagement will be enquired into (on the Day of Judgment)" (17:34).
And :

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ
وَالرَّسُولَ تَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ»
(الأنفال ٢٧)

It means : "O Believers ! Betray not the trust of Allah and the Messenger, nor inappropriate knowingly things entrusted to you" (8 : 27).

«إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ
إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حُكِمَ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا
بِالْعَدْلِ»

(النساء ٥٨)

It means : "Lo ! Allah commands you that you restore deposits to their owners, and, if you judge between mankind, that you judge justly" (4 : 58).

Courage:

Courage is a virtue which is resembled in those who do not lose their hearts but stand firmly and behave patiently under hardships and in battle field. The quality of courage is not a movement in an insolent manner or in a vain display. The courageous man resists his passions and does not fly from

pretexts in the face of the ignorance and the misinterpretation. Habits have a great effect on the physical, moral and behavioural aspects of private and social life of man. According to psychologists one can get rid of a bad habit only when one abandons it irrevocably.

Man is most anxious about every thing relating to his personal interest. He is not actuated in most cases by the dictates of reason and logic. But reason is not always sufficient to control instincts being unable to distinguish between right and wrong in all cases. Hence the need for guiding the reason in this respect. This guidance can only be given by Divine Revelation. The Holy Qur'an does not simply enumerate some moralities and ethical qualities; but it further gives man the teachings as to how he can get to acquire these moral qualities.

The directions of the Qur'an lead man to the springs from which moral distinctions flow. The moralities enjoined by Qur'an upon its followers seek to produce the complete man in his every day individual and social life. The Qur'anic moral qualities aim at making harmony and balance between the physical, moral and spiritual conditions of man. The moral qualities directed by the Qur'an enable him to

abstain from inflicting injury upon his fellowmen and to do good to others.

We should have a clear notion of the following moral qualities set forth by the Holy Qur'an in explicit terms :

Goodness :

There are three stages in the doing of goodness : The first stage is that in which man does good to his benefactors only; to repay good for mere justice. Second stage is that in which he takes the initiative to do good to others who cannot claim it as a right. In this stage he may expect thanks or acknowledgement in return for the good he does. In the third stage he should not think of the goodness he has done nor expect any thankfulness or acknowledgement.

The Holy Qur'an commands people to do good for the sake of goodness, without expecting any benefit or thanks from the person upon whom the benefit is conferred. This is the highest stage of goodness. The Qur'an says :

« وَيُطْمَوِى الطَّامُّ عَلَى حَيْهِ مَسْكِنَا
وَيَتِيَا وَأَسْبِرَا ، إِنَّا نَطْمَعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ
لَا نَزِيدُكُمْ جَزَاءً وَلَا نَهْكُورَا » .
الإمامان ٨-٩

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FŪDA

SHAWWAL 1390

ENGLISH SECTION

DECEMBER 1970

The Effect of Quranic Moral Qualities On the Life of Man

By

A. M. Mohiaddin Always

It is a well-known fact that a society consists of individuals. If these individuals are good, the whole community will be good. The Qur'an praised Prophet Muhammad as having a sublime character, for thus Allah said :

« وَإِنَّكَ لَمِّنْ خُلُقٍ عَظِيمٍ »
(النمل : ١)

It means : " Verily you are (O Muhammad !) of a sublime character ". 68 : 4.

The term « عَظِيمٍ » (sublime or great) with which the character of the Prophet is credited indicates that in his personality are combined all virtues such as honesty, justice,

kindness, patience, courage, fulfilment of promise, support of the weak, hospitality to guests and magnanimity etc. It was the Qur'an which preached this nobility of character, as is clear from the numerous verses.

The enjoinder of a virtue implies the prohibition of its antithesis and vice versa. For instance, the prohibition of falsehood, hypocrisy, lie, perjury is implied in the enjoinder of truthfulness, as the prohibition of injustice, libel, backbiting and dishonesty is implied in the enjoinder of justice. But the Qur'an called every vice by its name in order to shut the door of false

مجلة إنفيس

مجلة شهرية جامعة

«المثاقون»
لإدارة المحتاج الأزهر
بالقاهرة
ت ١٠٥٩١١
٩٠٥٥٠٦

هدية المجلة
عبد الرحيم فوده
«هذا الكتاب»
٥٠٠ في الميزانية
٦٠ خارج الميزانية
والهدية المطبوعة

تصدر من شعبة الأزهر في (أول كل شهر عربي)

الجزء التاسع - السنة الثانية والأربعون - ذو القعدة سنة ١٣٩٠ هـ - يناير سنة ١٩٧١ م

الكتاب المطبوع

كلمة لابد منها

للأستاذ عبد الرحيم فوده

والنصارى والمسلمين من آمن بالله واليوم
الآخر وحمل صالحا فلم أجزم عند وجه
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، فقد
غاب عن الكاتب أن الإيمان بالله لا يستقيم
على معنى الإيمان بذاته ، لأن ذاته فوق
الكشف والوصف ، ولأن الإيمان لا يتعلق
بذات أو معنى منفصل عن الذات وإنما
يتعلق بالنسبة (أي ثبوت شيء لشيء
أو غيبة عنه) فالإيمان بالله معناه الإيمان
بوجوده وقدرته وحكمته وكتبه ورسده ،
وكل ما ثبت له وصغر عنه ، وأوضح
شاهد من ذلك قول الله : « إن الدين

صغر عدد الملل في القهر لخاص
بموضوعات خاصة بالقرآن ، وهو انجاء
حيه لا نملك له أنه وقع من موضوع القراء
موقعا حيدا ، وإن وقع فيه ما يجب توجيه
الأنظار إليه وتنبيه القراء عليه ، لا بقصه
إثارة اللفظ حول موضوعات تختلف فيها
وجهات النظر ، وإنما لتصحيح ما قد
يقع فيه القراء من وهم أو سوء فهم ، بعد
قراءة بعض الموضوعات التي نشرت فيه ،
فقد ماها ما يجب التنبيه إليه

١ - وأول ما يبدأ به ما قيل حول
قوله تعالى : « إن الدين آمنوا والدين هادوا

يكنفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرغوا
بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض
ونكفر ببعض ويريدون أن يتخفوا بين ذلك
سبيلا ، أولئك هم الكافرون حقا واعتدنا
للكافرين عذابا مهينا .
والإيمان باليوم الآخر معناه كذلك
التصديق بأنه آت لا ريب فيه ، وبأن كل
ما أخبر به الله منه حق : كالبعث والحشر
والحساب ، والثراب والمقاب ، والجنة
والنار ، فممن آمن بالله واليوم الآخر
من أسلم واعتنق الإسلام من هؤلاء .
٢ - وقد مدح الله من أسلم من
النصارى لأنه كما يلهم من قوله : « ذلك
بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم
لا يستكبرون ، وإذا سمعوا ما أنزل إلى
الرسول نرى أهينهم نفيع من الذي سمع
عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا ما كتبنا
مع السامعدين وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا
من الحق ونطيع أن يدخلنا ربنا مع
القوم الصالحين » .

١ - أما أن القرآن دفع مكانة عيسى
إلى مركز رفيع فذلك حق وصدق ولكنه
لم يجعله إلها أو ابنا لإله بل قال فيه :
« إن مثلي عيسى عند الله كمثل آدم خلقه

٣ - والإيمان بالله يستلزم أن يكون
الدين لا لأحد سواه . كما يصرح بذلك
قوله تعالى : « ألا الله الدين الخالص » ،
وقوله : « فاعبدوا الله مخلصين له الدين » ،

الأول، لأخذنا منه باليمين، ثم لقمنا منه
الوتين، فما منكم من أحد منه طيرين .
وقال شرق وجه الله وازد بين القراآن
وهي معجزات الأنبياء السابقين :

جاء البيور والآيات فانصرفت
وجئنا بحكيم غير منصرف
آياته كلما طال لدى جده

يزينهن جلال العنق والقدم
٦ - وقد ذكر الله اسم صريم في القرآن
حول غيره من أسماء النعماء ليظهر أثرها
مما أنعمها به اليسود إذ قالوا : « يا أخت
هارون ما لآل أبرك امرأة سوء وما كانت
أملك بشيا » فقال تعالى : « إذ قالت الملائكة
يا صريم إن الله استغفك وخبرك واصطفاك
على لساء العالمين ، وقال جل شأنه : وجعلنا
ابن صريم وأمه آية وأوبناها إلى برنقات
قرار ومعين » وقال في عيسى : « وجبنا
في الدنيا والآخرة ومع المقربين ، وبكلم
الناس في الله وكلا من الصالحين » .

٧ - وأما كلمة الله فيفسره قوله
تعالى : « إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن
يقول له كن فيكون » ، وقد كان عيسى عليه
السلام بكلمة كن ، فلم يسبق بالأنوار
العادية المعروفة في نظام التناسل ، وإنما

من زواب ثم قال : « كن فيكون » ،
وهو جل شأنه : « إنما أمره إذا أراد
شيئا أن يقول له كن فيكون » ، وفيه خلق
آدم من قهر أب وأم ، وخلق حواء من
أب دون أم ، وخلق عيسى من أم دون
أب ، وخلق الناس من ذكر وأنثى ، ومعنى
ذله أن قدرته لا يسجزها شيء ، وأنه
وحده الخلق بأن يبد ويحمد كما يقول
جل شأنه : « يا أيها الناس اعصوا أمري
الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم
تتقون » .

٥ - أما أن معجزاته كانت فوق طاقة
البشر كإحياء الموتى وإبراء الأكمه
والأبرص فلهذه شأن المعجزات جميعا .
كعصى موسى التي انقلب حية تسمى .
وناقه صالح التي حكهوه فمقروها
فعدم عليهم وجه بذبيهم فسواها ، وكل
المعجزات التي ظهرت على أيدي الأنبياء
وقهرت لخلق كانت من عمل الله لا من عمل
أحد مناه ، فليس لموسى يد في العصي
التي انقلت حية ، وليس لعيسى يد في
إحياء الموتى ، وليس لحمد يد في القرآن
ولا فيما ظهر على يديه من معجزات ، وقد
قال الله فيه : « ولو تقول علينا بعض

٨ - هذا ما من لنا أن نلبه إليه ، وهو قليل من كثير ، وبقي أن نغير إلى ما كتبه الأستاذ رجاء الدقاش في افتتاحية الممد تحت عنوان : (حرروا القرآن من هذه القيود) ، فقد ذكر من هذه القيود الإصرار على أن تكون كل المصاحف مكتوبة بالخط القديم مما يشكل عبء رئيسية أمام كل الأجيال الجديدة وأحب مع تفهيري الكبير للدافع التبريل عند الكاتب - أن أضع أمامه وأمام القراء سر الحافظة على الرسم المسمى القديم . فها كتبه فضيلة الرحوم الدكتور محمد عبد الله هراز ، فقد قال في كتابه « البيا العظيم » مايل : « ولي نسميته هذين الاسمين (القرآن ، والكتاب) إشارة إلى أن من حق العناية بحفظه في موضعين ، لا في موضع واحد ، أهني أنه يجب حفظه في المصدر والمطور جميعاً ؛ أن أفضل إحداها لتذكر إحداها الأخرى : فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه من الأصحاب ، لنقول إلينا جيلاً بعد جيل ، على هيئته التي وضع عليها أول مرة ، ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالإستاد الصحيح المتواتر .

كان بكلمة التكوين وقدره الله .
مهينة الخالق الباري وصنعه
وقدره الله فوق الفلك والهم
ولا شك أنه - عليه السلام - روح من الله
كما صرح القرآن بذلك حيث يقول الله فيه :
« إنا أوحى عيسى بن مريم رسول الله وكلناه
أنها إلى مريم وروح منه ، فهو روح منه
وليس روحاً له ولكن أي روح ؟
لقد قال الله في آدم ، فإذا سمعته
ونفذ فيه من روعي ، وفسرت الروح
بما تقوم به الحياة ، وقال في جبريل ،
« وأيدناه روح القدس » ، ومعنى القرآن روحاً
حيث يقول : « وكذلك أوحينا إليك روحاً
من أمرنا » ، ومعنى نوحاً من المخلوق أعظم
من الملائكة روحاً حيث قال : « يوم يقوم
الروح وللملائكة صفاء » ، ومعنى الوحي الله
يتنزل على من يفاء من عباده روحاً حيث
يقول : « ينزل للملائكة بالروح من أمره على
من يفاء من عباده » ، وفسر الروح بعمان
أخرى في قوله تعالى : « أولئك كتب
في قلوبهم الإيمان وأيدهم روح منا » وكل
هذه المعاني تدخل فيما يفهم من قوله جل
شأنه : « ويسألوك عن الروح قل الروح من أمر ربنا وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً »

وبهذه العناية المزدوجة التي بنينا الله في هوس الأمة المحمدية اقتناه بنينا في القرآن محفوظا في حرز حريز، إجمار الموطأ الذي تكامل بحفظه حيث يقول: «إنا نحن زلنا الله كروا له لحافظون»، ولم يصب ما أصاب الكتب المأخوذة من التحريف والتبديل وانقطاع السند، حيث لم يتكفل الله بحفظها، بل وكلها إلى حفظ الناس فقال تعالى «والرأيونوا الأحبار بما استعصموا من كتاب الله أي بما طلب إليهم حفظه.

والسرى هذه التفرقة إلى سائر الكتب السماوية حتى بها على التوثيق لا النأي به وأل هذا القرآن جاء جامعا لما فيها من الحقائق الثابتة، زائدا عليها بما شاء الله زيادته، وكان صادقا ممددا، ولم يكن في منها لبس صدق، ففنى الله أن يبقى حجة إلى قيام الساعة، وإذا فنى الله أمرها يسر له أسبابه وهو الحكيم العليم».

عبد الرحيم فوره

(القرآن والعلوم الكونية)

لم نعلم حول كتاب من الكتب السماوية السابقة دراسة واسعة متنوعة كالمدرسة التي قامت حول القرآن الكريم ؛ وكان من قارها علوم الفقه واللغة والتوحيد والتفسير والحديث والبلاغة والأدب والتجويد والقراءات ؛ وما يدخل في مفهوم هذه العلوم أو يتصل بها ، حتى ليكن القول بأن الثقافة العربية والإسلامية ذات حول القرآن واحتضنت منه ماءها وقهاها ورواها... أما العلوم الكونية فقد فتح القرآن العين عليها وإن لم تظهر بعناية المسلمين في أول العهد بالإسلام ؛ لاهتمامهم بالمجرب والفتوحات من جهة ؛ وللقصور وسائل البحث والتجارب التي تعينهم على استنباط الحقائق العلمية من جهة أخرى ، ولكن دعوتهم إلى النظر في ملكوت السموات والأرض . ولقد أنظارهم إلى أن الله لم يخلق هينا مينا ؛ وتاريخ الدين لا يتفحصون بقولهم وأسماعهم بأنهم كالأنعام كما يقول سبحانه : « ولقد فرأنا لهم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » .

دلالة القرآن على نفسه أنه من عند الله

للكاتب محمد أحمد الخراي

— ٥ —

دلالة "قصص في الأسلوب والمعنى" (٢)

قصص هود وحده :

استخلف الله في الأرض عاداً بعد قوم نوح دليل قوله تعالى : **وإذا سروروا إذا جعلكم خفاه من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة** ^(١) على لسان هود يخطب قومه ، وقد جاء القصص في تسع سور هي حسب ترتيب ^(٢) نزول الوحي بها : القمر والأعراف والقصص وهود وفصلت والأحقاف والذاريات والخالقة والمنكبات وقد ذكرت ماه في السور كلها ، ولخصت بالله ذكر دون نبيها في القصص وفصلت والذاريات والخالقة والمنكبات ، لأنها كانت الطرق التي دعى إلى الله فكذب الهادي ، نحن عليها الهلاك سنة الله في العالمين .

وقد غر بعض المحدثين ذكر ماه دون

[١] الأعراف ٦٩

[٢] ترتيب السور مأخوذ في هذا المقال وسأفقه من هيايات السور في مصنف لجنة الشيخ محمد الحسني شيخ القاري .

أما الأسلوب فأساس دلالة أن القصص منه ابتداء إما إلى اسم من أسماء الله الحسنى وإما إلى ضمير الجلالة لتكلم أي من ضمير لتكلم الذي لا يمكن أن يدل إلا على الله الحق سبحانه ، وأما معنى فأساس الدلالة فيه أنه معنى يليق بجلال ما أسند إليه من أسماء الله الحسنى أو الضمير الدال على الله سبحانه وبخاصة ضمير الجلالة لتكلم ، وقد تبين ذلك كله فيما تأملنا في المقال السابق ^(١) من قصص آدم ونوح عليهما السلام في موطنه المتمدة في القرآن الكريم وزيد الآن في غير تطويل أن نستكمل دلالة القصص أن في من الأنبياء ، ولأنهم منهم ، هوداً لأنه قد برز لقاري أن ما توافر من الدلالة في قصص آدم ونوح قد لا يكون توافر في قصص من عداهم وفيهم نزل معظم آيات قصص الأنبياء التي بلغت حوالي خمس آيات القرآن فيما أحصينا .

[١] عدد رمضان هذا العام .

مثلي للبحث العمري في القرآن تعوزه
الدقة والاحتياط الجازمين في كل بحث
وما فيها يتعلق بالقرآن أكرم .

وأول السور التي اقتصر فيها على ذكر
ماد دون ذكر هود ، سورة القمر ،
تتكون القصة فيها من خمس آيات ورد
ضمن الجلالة للتكميل في أربع منها .
في أولها « كذبت ماد فكيف كان مذاي »
ونظر ، « وفي آخرها : » « ولقد يسرنا
القرآن فذكر ، فهل من مدكر » ، وفيها يند
ذلك : « إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في
يوم نحس مستمر ، نزع للناس كأنهم أعمى
نخل منقر ، فكيف كان مذاي ونظر »
فأخر ذلك من كثرة ورود الضمير في القصة
في بقية السور ، وقد ورد فيها جميعا إلا في
سورة الحاقة إذ جاء الفعل ، الذي كاد من
هأنه أن يستند إلى الضمير ، مبنيا فيها
لفعلول : « وأما ماد فأهلكم ارجح
صرصر مائة » ، فإنه لا يقدر على الإحلاك
بالرجح إلا الله ، ومع ذلك فقد جاء الفعل
في الآية بمسما مستقلا إلى ضمير الجلالة
وإن لمير للتكميل : « مسرعا عليهم سبع
ليال وثمانية أيام حسوما » الآية (٧) ،
إذ تسخير الرجح لا يكون إلا لله ،

ببها في قصتها في سورة القمر والذاريات
والحاقة ، فغرب السور الثلاث مثلا لمرحة
أولى زعمها في فن بناء القصة في القرآن
ضمنها أد الشخصيات القصصية لا وجود
لها فيها تقريبا . مع أن هذه العنة
لا تنطبق من قصص القمر إلا على قصة ماد
ولو أن صاحب هذا المزمع يرجع إلى مصدر
يذكر سور القرآن بترتيب زول الوحي بها
كالإنفاق أو تاريخ القرآن لنجاني لوجد
البون شامعا بين تواريخ زول الوحي
بالسور التي ضمها مثلا لمرحة الأولى
التي زعم . لسورة القمر ترتيبها بين السور
للحكمة في كتاب الإنفاق (٢٦) والذاريات
(٦٦) والحاقة (٧٧) مما يستحيل منه أن
تقع السور الثلاث في مرحلة واحدة تلها
ثانية ، تلها ثالثة يتم فيها كازم بناء القصة
في القرآن ، وقد مثل لمرحة الثانية بسورتى
الأعراف والقمر وتوحيهما ٣٨ و ٤٦ ،
ولمرحة الثالثة بسورة يوسف وترتيبها
(٥٢) أي أن لمرحلتين الثانية والثالثة
وأمنا أثناء لمرحة الأولى وهذا التداخل
بين لمرحلتين الثلاث التي زعم أن فن بناء
القصة القرآنية قد مر فيها حتى تكامل
وأخذ شكله النهائي يطلها جميعا ، فهذا

في قصة سورة الأعراف : « قد جاءكم بينة من ربكم ، هذه آية الله لكم آية فخذوها تأسوا على ما في أرض الله ولا نسوحوا بسوءه ليأخذكم عذاب أليم » الآية (٧٣) وفي الآية بعدها دليل استتلاف الله عمود في الأرض من بعد ما كما استتلف ماها من بعد قوم نوح : « واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد ما ورواكم في الأرض تتخلفون من سهولها قصورا وتنحتفون الجبال يربوا ، فاذكروا آلاء الله ولا نمثوا في الأرض مفسدين » .

وقد ورد ضمنه الجلالة للشككم في القصة إنا وحدث إلا في الحاقة ، وإلا في العمراء فقد ورد ضمنه قبل بدء القصة بآية في آخر قصة ما : « فكذبوه فأهلكناهم » ، إذ في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين » الآية ١٢٩ ، وإلا في الهاربات فقد ورد بعد القصة بآية في قوله تعالى : « والسماء بينناها بأيدي وإنا لموصون » .

قصص إبراهيم عليه السلام :

إن بين إبراهيم ونوح شبه لجوة من الزمن واسعة لم يذكر الله مع يمت فيها من الرسل إلا هو وأصلها واستأثر

وبلاحظ في قصة الحاقة أن الإهلاك كان للكذب بالقيامة : « كذبت قوم وماد بالقرعة » ، وهي الحاقة التي لا يد أن تكون وهي من كذب بها حقه .

قصص صالح ونعمه :

هذا أيضا ورد في سبع سور هي ترتيب نزول الوحي بها : القمر والأعراف والعمراء والنمل وهود والحجر وفصلت والهاربات والحاقة ، وله خصت عمدة ذكر دون ذكر ببيتها في نفس المور التي خصت بها ما لا سورة القمر فقد حلت سورة الحجر محلها من هذه الناحية ، ولم يذكر صالح في قصة سورة القمر بالاسم ولكن بالحديث عنه واستكبار قومه عليه : « فقالوا أبعرا منا واحداً نتبعه ؟ إنا إذا لئى ضلال وسعر . آتينا الله كره عليه من بيتنا ؟ بل هو كذاب أشمر » ، فتمضوا بذلك لغضب الله ووعيده في قوله تعالى : « سيهلكوا فدا من الكذاب الأشر » ، إنا مرسلنا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر » ، وقد حلت كلمة (فتنة) بعض للمفسرين الحديث على إنكار أن تكون نالة صالح معجزة أرسل بها لقومه وأنوا قوله تعالى على لسان صالح يخاطب قومه

بينهما ، فالفاصل مثلاً آيات في سورة
الهمزة : «وأنحنينا موسى ومن معه أجمعين
ثم أغرقنا الآخرين ، إن في ذلك لآية
وما كان أكثرهم مؤمنين ، وإن ربك
لهو العزيز الرحيم » ثم «واتل مايم بأ
إبراهيم ، الآيات (٦٥) وما بعدها ، وقد
لا يكون هناك فاصل ما ، قبل أو بعد ،
كما في سورة الزخرف في قوله تعالى :
« فأنزلنا منهم فأطركيف كان فاقبسة
للسكة بين » ، وبذلك إبراهيم الآية وقومه
إني براء مما تعبدون ، إلا الذي فطرني
فأني سيده بين ، وجعلها كلمة بقية في عقبه
لعلهم يرجعون ، بل تمت هؤلاء وآلهم
حتى جاءهم الحق ورسول مبين ، ، فترى
الأفعال المتصلة إلى الضمير لا يفصلها
إلا الله . ونرى القصة هنا يكتملها ضمير
الجلالة المتكلم من جانبها ، ويغلب إذا
لأن هناك آيات فاصلة أن يأتي في القصة
ضمير الرسالة داراً عنها . فلو أن يكون
الكلام من عند محمد كقوله يوسف مستغرق
أو ملحقه ، فالضمير في متنازلات في هذه
الثلثة من قصص القرآن أن يكون من عند
غير الله ، فضلاً عن دلالة المنى التي لا يفصل
على تحقيقه إلا الله .

يعلم ما وراء ذلك كما يتبين من قوله تعالى
في سورة إبراهيم على لسان موسى يذكر
قومه : « ألم يأتكم بأ الدين من قبلكم
قوم نوح وحاد وقود والدين من بعدهم ،
لا يعلمهم إلا الله » . وقوله تعالى « لا يعلمهم
إلا الله » . لا يشمل كل الفترة بين صالح
وموسى ، إذ كان موسى عليه السلام يعلم
طعناً بأ إبراهيم ومن بعده من ذريته ،
وأخبره الله خبرهم في التوراة .

وقد جاء قصص إبراهيم عليه السلام
في سبع عشرة سورة ، منها خمس مدنية ،
هي : البقرة وآل عمران والمائدة والنساء
والحج ، وربما أضيف إليها أيضاً التوبة ،
وبطنتها مكية وهي مريم والقصص وهود
والحجر ، والأنعام ، والصافات ، والزخرف
والقاريات ، والنحل ، وإبراهيم ، والأنبياء
والعنكبوت .

وقد ورد ضمير الجلالة لتكلم ، على
تفاوت في عدده ، في عشر سور منها اثنتان
مدنيتان ، هما البقرة والحج ، وثمان مكية
هي مريم وهود والحجر والأنعام والصافات
والنحل والأنبياء والعنكبوت ، وما عدا
ذلك ، فقد ورد الضمير إما قبل القصة
أو بعدها على تفاوت في عدد الآيات الفاصلة

حادسا : أن لا بد من مراعاة قواعد الحرية في فهم القرآن خصوصا قاعدة عدم حمل الكلام على الجواز إلا بالبرينة كافية فيه . ولنضرب لذلك بعض الأمثلة :

١ - في تفسير السبي قوله تعالى : « ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم » في أول سورة الأعراف قال في خلقناكم أي خلقنا آدم عليه السلام طينا غير مصور ثم صورناه بعد ذلك . دليله « ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم » والاستدلال في ظاهره صحيح لكن قوله « طينا غير مصور » ليس معنى يابق بالقرآن ، والخلق من الطين ليس له معنى إلا التصوير أولا وإذن فالخلق هنا معناه التقدير ولا بد من الناس معنى يليق بالقرآن دل عليه ضمير الجسع مع غير تأويل .

٢ - استشكل في تفسير قوله تعالى في قصة في القرنين « حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حنة » بأد الشمس مستحيل أن تغرب في عين في الأرض وهي أعلم كثرها من الأرض . وهذه القرينة الواضحة الداعية إلى بطل هذا الفهم جعلوها أحاس الاستشكال بدلا من أن يلتجئوا إلى أنه الخبر هو عن ذي القرنين وأنه هو الذي

وحكاه وأحكامه الممكن استخراجها مع القصص القرآني محتاج تبیان الممكن منها إلى كتاب ولا يتسع مقال ، أو بعض مقال إلا إلى تأمل بعضها ، لكن قبل التأمل لا بد من تذكّر أمور لا بد من مراعاتها فيه :

أولا : أن القرآن حق من الله الحق ، فقصصه حق ، ووقائمه حق فلا بد أن تكون قد وقعت ، ولا يقرر باطلا قط ، وإذن فليس فيه قصص أسطورية ، كما يزعم بعض المحدثين .

ثانيا : أن القرآن حاكم بحكم ولا يحكم عليه لما خالته يقينا فهو باطل يقينا .

ثالثا : أنه معجز أصليا ومعنى فكل خاطر ينال من إعجازه فهو باطل وكل فهم فيه أو في آيه لا يتفق مع ذلك الإعجاز فهو خاطئ .

رابعا : أن التناقض والتعارض مستحيل عليه لأنه سبحانه وتعالى مستحيل عليه الخطأ والتعارض . فالتعارض إذا بدا لناظر فيه دليل سوء فهم أو نقص في العلم أو ضعف في البحث .

خامسا : أن السكون والقرآن هما من عند الله فالتناقض بين سنن السكون وآي القرآن غير ممكن .

البقرة في كل عصر في مجازة وتعبيره
لا يقتصر على العرب ولكن ينته إلى
البقرة في كل العصور .

والخطأ ومنشؤه كامن في الحكم على
القرآن بعبارة اصطلاحية لجودة القصص
يشترط « وحدة الموضوع وإحكام التجميع
وجودة الشبكة والانتفاع بالحسومات
الاستطردية » والقرآن هو المرجع وهو
الحكم في كل ما تعرض له القرآن قصصا
أو غير قصص ، فناء أو غير فناء .

والحق أن القرآن شريع للناس في كل
ما قرر عن طريق النص أو الاستنتاج
الصحيح هو عدى للناس في كل ما يتصل
بحياة الناس ، والناس فارقون لأذاتهم الآن
في كل ما أغرقهم به القرب وهزلهم به من
التأديب بأدب القرآن في الحياة من أهدب
مكشوف وقصص خليع أو غسر خليع
مفروء أو منظور يلهوهم شيئا فشيئا عن
دين الله ويصرفهم عن أولادهم في اللهو
والفساد ما دام أحوج إلى اهتمامه في جد
الحياة وما الله محاسبهم على الإصراف فيه ؟

فهم يحمر الغمراوي

وجه الشمس تقرب كما تبدو لكل إنسان
أنها تقرب في البحر أو وراء جبل حسب
موقع الرائي عند الغروب :

٣ - في كتاب « القرن القصص »
في القرآن الكريم ، أن قصة يوسف أجود
قصص القرآن من الناحية الفنية . وهذا
معناه أن ليرها من قصص القرآن أقل جودة
وأضعف فنا ، وهو ظنه أو حكم على القصص
لا يتفق مع إيجازه الذي يمتاز صاحب
الكتاب به في بحث حديث منثور له إذ
يقول فيه « إن القصص القرآني يقع في دائرة
التحدى كما تقع الآيات القرآنية الأخرى
وبحكمه بالإيجاز كما يحكم لها لأن القرآن
هو تحدى العرب أن يأتوا بمثله لم يقف
من مسائل التحدي عند حدود غير القصص
من القرآن الكريم . لقد تحدى بالقرآن
كل قصصا وغير قصص ، فله أبطى هذا
القول ذلك النقد حقا وإلا لجاء أحد كتاب
القصص المحدثين الجيدين ومحمد إلى قصة
قرآنية غير قصة يوسف وجعلها أكثر
فنية حسب المصطلح عليه بين المحدثين من
كتاب القصة ويكون بذلك قد كسر التحدي
بالقصص القرآني وبالقرآن الذي أنزل

جول التفسير العائلي للقرآن

للدكتور علي عبد الواحد وافي

المقول على النظر في هذه الظواهر ، وحض
الناس على التأمل في شئونها لإدراك كنهها
والوقوف على ما نسر عليه من قواين ،
وأثار في نفوسهم حسب الاستطلاع حبال
الأمور التي لا تهم الانباء بطبيعتها لتكرو
حدوثها ، وسيرها على وثيرة واحدة ،
وإيلاف الناس للنظر إليها ، كنتائج القبل
والنهار ، وحرى الشمس والقمر
والكواكب ، ولما قبل فصول ، وتناصل
الحيوان ، وتكاثر النبات ، وزوال المطر
وإحياء الأرض به ، وظهور السفن على الماء ،
وظهور الرعد والبرق . وما إلى ذلك
من الأمور التي لا نتمنى انباء الناس ،
فبين لهم أن هذه الأمور نفسها جديرة
بالتأمل وأن فيها مجالا كبيرا للنظر
والبحت .

والآيات القرآنية التي وردت في هذا
الصدد تجل عن الحصر ، ولا نكاه نخلو
منها صورة مع سورة القرآن . ولكننا
لا نعتم في أي آية منها رائحة لغرض نظرية

يبدو بعض الكتاب إلى تفسير جديد
للقرآن يسمونه التفسير المصري أو العلمي .
ويعتقون بذلك أن بفسر ما ورد في القرآن
من آيات كروية تفسر ما تنطوي
عليه . في نظرم . من حقائق علمية لم يهتد
إليها الباحثون إلا بعد زوال القرآن بمدة
قرون . ويقولون إنهم بذلك يضيفون
إلى رجزه إعجاز القرآن للقرآن سبحانه القديس
وجهاً جديداً ، وهو إنبائه عن حقائق
وقواين كروية كانت مجهولة في العصر
الذي أرحل فيه الرسول عليه الصلاة
والسلام .

ولكننا باستقراء ما ورد في القرآن
الكريم من آيات كروية لا نجد فيها
ما يمكن تطويره لهذه الفكرة .

فقد عرض القرآن في أكثر من موضع
لظواهر الكون . ولكننا حرص كل الحرص
في كل موضع من هذه المواضع على ألا يغرض
نظرية علمية معينة على القول ، وألا يدخل
في تفاصيل هذه الأمور . وإنما استحث

علمية معينة ، ولا يقصد بالقرآن بالتوجيهات الواردة فيها إلا ما ذكرناه من حيث العقول على النظر في محتويات الكون ، وتدبر ما تسير عليه من خلق ، واستنبط القوانين الدائمة التي تحكمها ، لينخذ الناس من ذلك دليلاً على عظم قدرته تعالى وإتقان صنعه ؛ ثم ترك للقرآن بعد ذلك لكل فرد كمال الحرية في الأخذ بما تهديه إليه ملاحظاته ونجاربها في هذه الشؤون ، واعتناق ما يقتنع بصحته من نظريات .

ولا أدل على ذلك من أن القرآن في إجابته على سؤال وجه إلى الرسول عليه الصلاة والسلام عن مراحل القمر وأسباب تزايد قرصه وتناقصه ، قد نهض أدب يدخل في تفاصيل هذه الأمور الفلسفية وقضاياها حتى لا يمرض نظرية علمية على العقول ، كما فعلت الكاثوليكية المنحرفة من قبل ، وحتى لا يجبر على الأذهان النظر في الأمور ، واكتفى بأن يذكر بعض فوائد الأسماء ، وأنها تحدد مواعيد الفهور والأيام التي تزدي فيها شعائر الحج وفي هذا يقول الله تعالى : « يسألونك عن الأسماء ، قل هي مواعيد للناس والحج » .

فما يتعلق بهذه الأسماء بدتوا الذين أنها موافقة لما في الفهور والعيام وما من الحج وما إلى ذلك ، أما ما وراء هذه الأمور من أسباب تزايد قرص القمر وتناقصه وخسوفه أحياناً أو حجبته عن نظر وعلاقته بالفكر والأرض ... أما هذه الظواهر وما إليها فأترك لعقولكم كامل الحرية في بحثها والاهتداء إلى كتبها وأسبابها ، وليس القرآن كتاب فلك ولا علوم حتى يشرح هذه الظواهر ، وإنما هو كتاب عتيقة وثريمة وتنظيم اجتماعي وهداية للناس إلى الصراط المستقيم .

فما يدور إليه بعض للكتاب في العصر الحاضر من تفسير ما ورد في القرآن من آيات كسوية تفسيراً يجعلها متناوية على النظريات العلمية الحديثة هو ما يسمونه التفسير العلمي للقرآن ، لا يتفق في شيء مع روح الكتاب الكريم وانجاساته وما يحرم في هذا الصدد على تقريره .

وقد استجاب لدعوتهم هذه بعض من انصبوا إلى الدراسات الإسلامية وقدموا نماذج لهذا النوع من التفسير ، فأعادوا بذلك أبلغ إساءة إلى الإسلام والقرآن

من حيث لا يشعرون ، وظهرت إساءتهم
هذه من عدة وجوه :

١ - فهم يتسقفون كل التنصيف
له قسم آيات الكتاب الكريم ونحيلها
حالا فتمثل من الصافي ، وعالم بقلبه
العرب منها ولا يمكن أن يفهم منها لم
بالغة الدرية وأحاليها في البيان ، حتى
يتاح لهم أن يقرروا أن القرآن قد سبق
للبحوث الحديثة فيما قالت به من نظريات
وما كلفت منه من قرائن . والأمانة
من ذلك تحمل من الحصر فيما يخرج من هؤلاء
من كتب وما يشعرون من مقالات .

فمن ذلك مثلا ما يذهب إليه أحد
في فصل هذه من « وحدة الخلق »
في كتابه من « القرآن والعلم الحديث »
إذ يفسر قوله تعالى : « هو الذي خلقكم
من نفس واحدة وجعل منها زوجها
ليسكن إليها » بأن النفس الواحدة هي
البروتون وأن زوجها هو الأليكترون ،
وما النصران الذي تتألف منهما القرة ،
والذي ذلك بقوله بعد كلام كثير من
الجبسات التي تتألف منها الخلية

« وهذه الحقيقة العلمية التي يتبناها

العصر الحديث قد جاء بها القرآن الكريم
منذ ألف وأربعمائة سنة في صراحة
ووضوح إذ نقرأ الآية ١٨٩ من سورة
الأعراف أنه كل ما خلق الله إنما خلقه
من نفس واحدة وجعل منها زوجها .
أليس هذه هي البروتونات والأليكترونات
للجهاز الواحد ، موجبة وصالبة ،
أي النفس الواحدة . . الوحدانية الجسدية
من موجب وصالب (١) ؟

ومن الضريب أنه كان يمكن هذا
الكاتب لاقاء تحبته هذا ولمسه في
تفسير الآية للكرامة أن يقرأها كاملة
ويتأمل معناها إذ تقول : « هو الذي
خلقكم من نفس واحدة وجعل منها
زوجها ليسكن إليها ، فلما تماعها حملت
حملا خفيفا فمرت به ، فلما أتت وصرا
الله وبهما لن آتيتنا صالحا لنكونن
من العاكرين ، فلما آتانا صالحا جملا له
شركاء فيها آتاهما ، فتعالى الله عما يشركون »
فهل يمكن أن نقول إذ البروتون قد
تنفص الأليكترونات حملت منه حملا
خفيفا ، فلما أتت وصرا الله لن آتيتنا

[١] صفحة ١٣٦ من كتاب « القرآن والعلم
الحديث » لبيد الرزاق نوفل .

واحتياطاً وإينها العامة ، ولما بقدره من مبادئ مسامية تتعلق بحرية التنفكهم .

• • •

صحيح أننا نجد بعض آيات من القرآن يمكن أن تقول من غير كبير لفسف تأويلها بمجملها مقررة لبعض نظريات كذا بها العلم الحديث . ولكننا لا نجد آية من هذه الآيات يسلم تأويلها على هذا الوجه من المهراف من التهم الصحيح .

والهكم مثلاً الآية التى طامنا ردها المتعصبون لهذه التفسيرات العلمية ، وهى قوله تعالى : « أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتنناهما ^(١) » فهم يذهبون إلى أن معنى هذه الآية أن السماء والأرض كانتا ملتصقتين ، أى كانتا كتنة واحدة ، ثم انفصلت كتنائهما من الأخرى . وهذا التفسير يتفق مع نظرية علمية حديثة تقرر أن المجموعة الشمسية كانت كتنة واحدة ، ثم انفصلت أجزاءها بعضها عن بعض ، ومن هذه الأجزاء الأرض ، وأصبح كل جزء بهور حول الشمس ،

ولكن تفسير الآية من هذا الوجه — وإن

[١] آية ٣٠ من سورة الأنعام .

مولودا صالحا لشكون من العاكرين ، فلما استجاب الله دعائهما كفرا ببعته وجعلاه شركاء فيما آتاهما ١٢ .

٢ — ولا يقتصر الأمر على لفسف هؤلاء فى تفسير آيات الله ذكر الحكيم وتحميلها من المعاني مالا تحتل ، بل أنهم كذلك بمسلكهم هذا يرضون كلام الله فكذب والتكذيب ، تعالت كلمات الله مع ذلك علوا كبيرا ، وذلك أن كثرا من النظريات العلمية ليست ثابتة ، ولم تقل الكلمة النهائية فيها تعالجه من طواهر وقد ظهر كفوف أخرى تبيح من خطئها أو من نقصها فإذ لم يرد كتاب الله على وجه يتفق مع نظريات حاضرة ، ثم ظهر عدم صحتها فيما بعد ، فإن هذا يدعو إلى تكذيب كتاب الله ، أو إلى الأقل إلى زعزعة ثقة الناس بمخالفته .

٣ — وم بذلك أيضا يصمون القرآن بوصمة هو برى منها ، إذ يحاولون بذلك أن يظهره بمظهر كتاب يقصر النظريات العلمية من أنها عتائف دينية نزل بها الوحي الأمين ، من قبل الله تعالى . وهذا يخالف لاتجاه الإسلام وروحه ، ولما بحث عليه لقرآن من التأمل فى طواهر الكون

هو الانحناء والتماسك . ويؤيد هذا التفسير قوله تعالى بعد ذلك مباشرة : « وجعلنا من الماء كل شيء حي » أي جعل من الماء الذي فتق منه السماء كل شيء حي في الأرض من نبات وغيره . ويؤيد كذلك أن القرآن يعبر في مواضع أخرى كثيرة عن نزول المطر كأنه نتيجة لتفتح السماء بعد أن كانت ملتصقة ويعبر عن ظهور النبات كأنه نتيجة لتق الأرض بعد أن كانت متماسكة الأجزاء . قال تعالى : « ففتشنا أبواب السماء بماء منهمر » ^(١) وقال : « فلينظر الإنسان إلى طعامه » أما صيبتنا الماء صاء ، ثم حققنا الأرض هقا ؛ فانبثنا فيها حيا ، وهنبا وفضبا . . . ^(٢)

٣ - أن الله عين على الكفار بهذه الظواهر ، ولا يعقل أن عين عليهم بشيء مجهول لهم ، لأن النظرية التي تفرد أن المجموعة الشمسية كانت كنه واحدة ثم انفصلت أجزاؤها بعضها عن بعض ، لم تكن معروفة وقت نزول القرآن .

٤ - أن هذه النظرية غير علم بها من جميع العلماء ، بل إن هناك طائفة كبيرة منهم تذهب إلى أن الأرض خلقت خللا مستقلا ولم تكن جزءا من الشمس .

لم ينظر على تمدد كبير في دلالة الألفاظ -
تفسير غير سليم من عدة وجوه :

١ - أن القرآن حينما يتحدث عن السماء أو من السموات يقصد بها شيئا آخر متميزا عن الشمس والكواكب ، كما يظهر ذلك من التأمل في مئات الآيات التي وردت في كلمة السماء أو كلمة السموات .

٢ - أنه المأثور عن ابن عباس وابن عمر في تفسير هذه الآية أن السماء والأرض كانتا كتناهما ملتصقة متماسكة لا فرجة فيها ، ففتح الله السماء بالمطر وعشق الأرض بالنبات . فقد جاء في تفسير الحافظ ابن كثير لهذه الآية عن ابن عمر « أن رجلا أتاه يسأله عن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما ، قال فذهب إلى ذلك الشيخ فأسأله (يشير إلى ابن عباس) ثم تعالى فأخبرني بما قال . قال فذهب إلى ابن عباس فأسأله . فقال ابن عباس : نعم كانت السموات رتقا لا تخطر ، وكانت الأرض رتقا لا تنبت . فلما خلق الله الأرض أهلا فتق هذه المطر وفتق هذه بالنبات . فرجع الرجل إلى ابن عمر فأخبره . فقال ابن عمر : صدق ابن عباس ، الآن قد علمت أنه قد أوتي في القرآن علما » . وهذا متفق مع المعنى

الآخرى لكلمة الرتق ، لأن الرتق في اللغة

[١] آية ٦١ من سورة النور

[٢] آيات ٢٤ ، ٢٨ من سورة هود .

ولا يصح أن تفسر آيات القرآن وفق نظريات مفكوك في معناها .

• — أن القرآن الكريم غصه قد بين لنا في آيات أخرى الطريقة التي خلق الله تعالى بها الأرض والماء ، فبين ذلك في صورة تدل دلالة واضحة على أن خلق كلتيهما كان مستقلا عن خلق الأخرى ، بل كان له زمن غير زمن الآخر ، وذلك إذ يقول : « قل إنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أمداداً ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أنهارها في أربعة أيام سواء للسائلين . ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها

قالنا أتينا طائمين ، فقضاهن سبع سموات في يومين ، وأوحى في كل سماء أمراً ، وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ، ذلك تقدير العزيز العليم » (١) ، فهذه الآيات تدلنا على الطريقة التي خلق الله بها السماء والأرض ، إذا صح هذا التعبير ، وتدل صراحة على أن كل واحدة منهما كالأخرى مستقلة عن الأخرى ومنفصلة عنه . بل إن هذه الآيات لتبين لنا مدى الزمن الذي استغرقه خلق كل واحدة منهما . والزمن الذي تذكره ليس كزمننا ، وليس كالأيام التي نلحدها ، وإنما هو شيء يعلمه الله تعالى .

• • • على عهد الراسخين

[١] آيات ٩ - ١٢ من سورة فصلت .

قال الله تعالى :

« ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون ، قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون » .

[الزمر : ٢٧ ، ٢٨]

حول تفسير تاريخى اجتماعى عصرى للقرآن

للأستاذ مصطفى الطشير

حلقة رئيسية من حلقات ذاتيتنا القومية ،
إلى آخر ما قال مما حتمض له :

(التفسير للفتح)

يتبين من كلام صاحب هذا الاقتراح
أن التفسير الذى يريده ، هو الذى يقرب
الفكر المعاصر إلى الفكر الإسلامى ،
ويفتح باب الحوار الحبيب بين الفكر
الإسلامى والأفكار المعاصرة كالوجودية
والماركسية ، ويضم أن مثل هذا التفسير
يعنى الوعى بالتراث الدينى ، ويكون بداية
لحركة تقدم جديدة تخلق حلقة رئيسية
من حلقات ذاتيتنا القومية .

ونحن نسأل صاحب هذا الاقتراح
فنقول : هل فوض إلينا رب العزة الذى
أنزل القرآن أن نطوعه لأفكار البشر ،
ونجعله تابعا لتزاحمهم ، ونأثرا بأفكارهم
بحيث يسكون وجوديا مع الوجوديين ،
وماركسيا مع الماركسيين ، وأن نجعله دائما
ملائما لكل عصر فى زمانه وأفكاره .

نسمع فى هذه الأيام من بعض شباننا
المعاصر دعوة موجهة إلى علماء الأزهر
لتأليف تفسير اجتماعى عصرى للقرآن
للكريم يراه أمرا تلبيه الضرورة ، حتى تتلاءم
للقنوب الإسلامية مع ماضيها وظروف
عصرها الراهن ، وبعد أن أصبح واضحا
أن الإسلام يلعب دورا لم يمه من الممكن
تجاهه فى توجيه الحياة المصرية ، سواء
كان بوصفه ديناً أو حضارة أو ثقافة ،
هكذا يقول .

وبرر المقترح أن مثل هذا التفسير
يمكن أن يكن التفسيرات الموجودة حتى
الآن ، وأن يعنى الوعى بالتراث الدينى
فى ذاتيتنا القومية للمعاصرة ، وأنه يقرب
الفكر المعاصر والعصرى (كذا) إلى
الفكر الإسلامى ، ويفتح باب حوار خصب
بين الفكر الإسلامى والأفكار المعاصرة
كالوجودية والماركسية ، ويمكن أن يكون
بداية لحركة تقدم دينى جديدة ، تخلق

مجدبة ضد الإمبراطوريتين؟ أم كانت هداية
رهابة جاءت لتنقذ الناس من ضلال العقائد
وفساد العادات ، وخاصة الأخلاق
والعاملات؟

وماذا تريدون بقولكم : إن هذا
الوقت يقصد حركة إحياء اليهودية ،
وتجديد المسيحية (بعضها مشوه) لربط
جميع للوحدات الدينية بعضها ببعض ،
وأنه لهذا من الضروري حل الإسلام أف
بجده نفسه أمام أعين العالم ، وأن يحده
مكانه ووضوح في حركة التطور ، وأن يطور
معناه ، فكيف يطور الإسلام معناه ويجده
نفسه أمام أعين العالم ، وأن يحده مكانه
بوضوح في حركة التطور ، ماذا تريدون
بهذا الكلام كله ، أيها الهدامون؟

مفهوم الإسلام :

مفهوم الإسلام حده الرسول ﷺ
في إجابته لجبريل لما جاءه في صورة بشر
ليعلم الناس دينهم ، وقد سأله في حقه
الربارة عدة أسئلة منها قوله : « أخبرني
عن الإسلام ، قال : الإسلام أن تشهد أنه
لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتحمل
الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتسلم رمضان ،

تفككاً جديداً فكرة أو نحلة طبعته بطابعها ،
وصبته في بوتقتها ، وأرالت هضيمته التي
أنزه الله بها ، وكيف يتم لتفسير يضاف
على هذا النحو ، أن يمتق الروي بالثراث
الديني في ذاتيتها القومية المعاصرة ، وأن
يكون بداية لحركة تقدم ديني جديدة
تخلق حلقة رئيسية من حلقات ذاتيتها
القومية على حد تعبيرة .

الحق أن الأثر القريب على تنفيذ
هذا الاقتراح هو ضياع القرآن ، وثلاثي
أمة القرآن في أمة جديدة ذات كيان
فكرى جديد ، فهل هذا هو الهدف
الخطي الذي أراداه صاحب اقتراح التفسير
للانتماء المصري أمسكاره ؟

ماذا تريدون (بتفسير الإسلام) الذي
تعملونه مهمة ملقاة على كواهلنا ، فهل
المصر هو الذي يجب أن يخضع لتعاليم
الإسلام الزهيدة ؟ أم الإسلام هو الذي
يجب أن ينحن لتعاليم المصرو يذوب فيها ؟
وماذا يريدون بالتعبير عن الرسالة
الهمدية بأنها (الثورة الحمديّة) في الجزيرة
العربية ضد سيطرة الإمبراطورية الفارسية
والإمبراطورية الرومانية على السواء ، فهل
كانت الديانة الإسلامية ثورة سياسية

مستقيمة ، أذاك ضعف في الدين ، أم
فهم فيه غير مستقيم ، أم تعب خاطيء غير
سليم ، أم رغبة في الاختيار بالثبوت ،
أم هو مجموعة معذرة قتل شخصية غريبة
على الإسلام والمسلمين ؟

لقد قرأت هذه الدعوة إلى وضع
التفسير التاريخي الاجتماعي المعاصر ،
وقرأت أمسكارها وحواشيها وحوافها
وآثارها التي تخيلها من اقتراح التفسير ،
ولقد وجدت بعد تكرار قراءتها كبراب
بقية يحسب الظمان ماء حتى إذا جاءه
لم يجده شيئاً ، ووجد الظمان الفاضل منه .

وصلتني إذا قلت لك : إلى صاحب هذه
الدعوة لم يقرأ تفسيراً واحداً لمفسر ، ولم
يعرف ماذا يكتبه المفسرون ، ولا ما يلزم
إيراده في تفسير القرآن ، وما يجب إعادته
منه ، ولا ما أهده القرآن وعلماء الإسلام
في كل عصر وجيل ، ولم يدرك سر غزوه
القلوب ، وهو أنه حق (لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم
حيد) ، فهو وأمثاله يطالبون بالتجديد
في تفسيره ، وتفسيره هو معناه ، وللمنى
لا يتغير ، وهم لا يدركون أن القرآن جديد
في كل آن صالح لكل زمان ومكان ،

وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً ،
رواه مسلم وغيره .

وهذا المفهوم هو نفس قواعد التي
بنى عليها ، وفي ذلك يقول النبي ﷺ :
« بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله
إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة
وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان »

فالإسلام في تكاليفه العديدة أسراراً كانت
أونها أو إباحة كالتصريح العظيم ، وهذه
الأمور الخمسة أركانها لمزيد أهميتها .

وتطوير معنى الإسلام لا يكون إلا بهدم
هذه الأركان ، وإزالة سائر البنى ، فهل
يريد هذا الفاعل إلى تطوير معنى الإسلام
أن يصل إلى هذه النتيجة ، وأن يتلشى
الإسلام في غيره من الأفكار والأدباني
فلا يكون له كيان مستقل كما يفهم من
روح كلامه ، أم يريد أن يجمع بأضافة
بعض أفكار أهل العصر إليه ، حتى يقرب
منها ، إن كان يريد هذا أو ذاك ، فإنه
حينئذ لا يكون دين الإسلام ، بل دين
الاستسلام ومهزلة التلاشي والهربان ،
وأضحية بلا شخصية ولا كيان .

ماذا جرى لعباننا المسلم حتى ينساق
نحو أفكار غير هضبة ، وخوافر غير

كفارة القتل الخطأ ، كفارة نمل ، ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رغبة مؤمنة ^(١) . وأما اعتاده على السنة النبوية ، لشأن قوله تعالى «إذ الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً» ، فمع أن معنى الصلاة هو الدعاء لغة ، فقد عرّفها الرسول بأفعالها وأقوالها حتى عرفنا من مجموع ذلك أن المراد بها في الآية ونحوها أقوال وأفعال خاصة ، مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم ، بفرائض مخصوصة ، وليس المراد منها مجرد الدعاء فقط ، وقد دخل الدعاء ضمن مفهومها القرعي .

وأما اعتاده على اللغة ، فذلك فيما لم يرد نص في تفسيره من كتاب الله وسنن رسول الله ، وليس كل مفكر يستطيع تفسير القرآن ، فالمرء يمكن عظيم المعرفة بنصوص القرآن والسنة ، عالماً باللغة نحواً وبلاغة وإقفاً عالماً بطريقة استنباط الأحكام ، فإنه على خطر شديد إذا أقدم على تفسيره ، لهذا يجب أن يتحاشاه مولى من أمته ، كما يتحاشى المهندس أن يكون طبيباً ، والطبيب أن يكون مهندساً : حتى لا يقع كل في خطأ لا يمكن تلافيه .

وفا أنه مستور الأولين فهو قانون الآخرين ، فكيف يعتبره التطوير والتجديد ، هل القرآن قصة أو قصيدة من الشعر يقال في طرف ، ويقال غيرها في طرف آخر ، كلا ، بل هو قانون الأبد ، ومستور لكل الأجيال أزله من يعلم ما يصلح لعباده من التفريع وللمعاملات والأخلاق ، من يوم نزوله لغواً نصيراً حتى تقوم الساعة وهو نفس نصير ، فهو القسطاس المستقيم ، وقانون الله القويم ، من أخذه به سلم ، ومن أعرض عنه تدم .

تفسير القرآن

يعتمد تفسير القرآن على ثلاثة أصول :

- (١) النص القرآني في موضع آخر .
- (٢) التفسير النبوي .
- (٣) التفسير القروي .

فأما اعتاده على النص القرآني فنصوفه تعالى في كفارة الظهار «والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رغبة» ^(١) أي إعتاق عبد أو أمة ، ولم توصف الرقة هنا بالإيمان ، ولكمهم اشترطوا أن يكونوا الرقيق الذي يمتق مؤمناً حتى تحمل امرأتك التي طهرت منها ، أخذنا من تقييد الرقة للمتقة بالإيمان في

المذاهب، ومنهم من خصص لبعض الأبواب كتباً كأبي يوسف الذي ألف في الفرج، ومنهم من ألف لأحاديثه وآدابه كتباً كالنزال الذي ألف كتاب الإحياء، إلى غير ذلك من مختلف العلوم والاستنباطات. وقد توجه بعضها إلى اللغات الأجنبية، وجمعت مراجع لهم ومصادر لعلومهم، ولا شك أن تفريع الطلاق الذي قرعته إيطاليا معقل للكانوليسكية في العالم مقتبس من شريعتنا وقد كانوا من قبل يعمونه علينا، فإذا لم يمد هذه الأجيال يتدفقون حركته ويطبّقونه واضعّين.

إذاً يطلب منا في خدمة القرآن ومرض علومه، هل الناس أكثر مما قدمه السابقون وبعض الماصرين رضى الله عنهم أجمعين. كنت أظن أن يطلب أولئك للتقوى من الأزهر عرض نفسه، يسر حال من الاصطلاحات الفنية إلا قليلاً، بحيث يكون وسطاً بين الإفراط والتفريط، وحينئذ أقول إنه الآن معنى بذلك وإن علماء يملكون على إخراجهم وثاقهم الله.

ولو أنهم طلبوا إصدار كتبهم في مفاخر الإسلام في الفقه والاقتصاد والسياسة والحرب وإعتاق الرقيق وتحرير المرأة

وليس من حق كل مثقف أن يقول من تفسير القرآن إنه لا يلي باحتياجات العصر أو إنه قاصر عن بلوغ لقراء من الآيات القرآنية، فن لم يسكن من أهل التفسير، ومن لم يعرف ما هو التفسير، ومن لم يقرأ التفسير، فإنه يسكن ظالماً في الحكم عليه، لأن الحكم على فنى لا يسكن إلا بعد العلم به وتعام إدراكه، وإلا لكان كمن ينكر حلالة العمل، وهو لم يذوق طعمه، أو كان فاقداً لحاسة التفوق للمطموحات.

هذه في المكتبة الإسلامية أعداد هائلة من تفسير القرآن، لم تترك ناحية فيه حتى تهتمت منها ولم يخدم كتاب في الدنيا كخدم القرآن الكريم، ومن المفسرين من ركز على أحكامه الفقهية كالتفطى والبصاى، ومنهم من ركز على بلاغيته كالباقلانى، ومنهم من ركز على نهيته كإبي حيان، ومنهم من ركز على كونهاته وعلومه كالنضر الرازى وظنطاوى جوهرى، وكل هؤلاء وأمثالهم خدموه في نواحيه المختلفة بحيث يجد فيه كل طالب مطلبه، وكل محتاج حاجته.

ومن العلماء من خصص موسوعات لأحكامه الفقهية وقوانينه المختلفة كأصحاب

القدرة الإنسان على فهم جميع الظواهر والأحداث وما يقع له في حياته .

وبعد كلام يقفه كلام للناظم الخالمية قوله :
(وفي ظني أنه ما ظل الإنسان يموت فوفه
صيقلي في حاجة إلى الدين الذي يفسره بالخلاوة
ويقدم بحجة أخرى أفضل من الحياة الدنيا
ويظهر في نفسه القدرة على تقبل أثر الحياة
الدنيا وخيالاتها تلبسها لسيبها ، كما يشهد
في نفسه القدرة على أن يرفض هذا البؤس
ونفقه الخلية ، وإذا كان الدين هذا السبب
الإنساني الأصلي ، ، فإن معنى ذلك أنه
دوراً تاريخياً في حياة الإنسان الاجتماعية
- أي أن له بالإضافة إلى دلالة الإيمانية -
دلالة تاريخية اجتماعية ، أو كما قال .

فهبل فهمت يا فني الدلالة التاريخية
الاجتماعية من هذا الكلام ، إن كنت
لم اتقهما فأنا مثلك فلا تبشئ ولا تحزل .
ثم يوضح أنه ذلك فيقول - وكنت على
ذلك فلنتأني معنى أنه تكون أولى آيات
القرآن : « اقرأ باسم ربك الذي خلق » ،
إلى قوله : « ما لم يعلم » ، إن دلالة هذا لا يأت
هي دلالة إنسانية كما هي دلالة تاريخية اجتماعية
- أو كما قال - فهل فهمت يا فني ؟ فإن كنت
لم تفهم هذه الدلالة التاريخية الاجتماعية

من راق مصيها ، ومفاخر أمه في الطب
والجراحة والمعلم والاختراعات والأخلاق
وغير ذلك بأسلوب مصري ، لو أنهم طلبوا
ذلك لقلنا إنه مطلب معقول ، وإن علماءنا
قدموا يقولون ذلك ، وجمع البحوث يفهمهم
ويطبع لهم ، وإني أوصيهم بالتجويد فيما
يكتبون من جهة اللغة وحسن العرض ،
فإن ذلك يبعث على الرغبة والامتداد .

(ما معنى لتفسير التاريخي)

كنت أظن أن القترح يقصد من كون
التفسير تاريخياً أن يذكر معه سبب النزول
وكنث أعجب من أن يقترح ذلك في التفسير
وهو أمر يتم به الفهمون مقالمهم ومكثرم
ولما قرأت مقالته حتى نهايته وجدته يمتلي
تفسيره النرضه أقرب من الخيال . فإذا
قرأته أنت ولم تفهم منه شيئاً يتعلم التاريخ
خلت لك وأنا مثلك ، لأن المقترح لا يريد
أن يفهم الناس ، أو الأخرى غير قادر على
أن يفهم ما يقترحه ، ولهذا فهو غير قادر
على أن يبرهنه .

أقرأ معنى قوله : (لعل واحد من
يستعملون اعتقاداً أصيلاً بأن الدين سبباً
إنسانياً حقيقاً لا يمكن إنكاره أو تجاهله
وهذا السبب مصدرة الرئيسي هو محمد

بقائه غافاً والله مثلك لم أفهمها فلا تهزن
للمفرد التفسر التاريخي الاجتماعي من عالم
آخر فوق الخيال ، ثم استمع إليهم وهو
يقول : (وإذا يبدأ القرآن بفعل الأمر اقرأ)
فإنه ينزه ويطلق كل القيسة لأكثر
إعجابات الإنسان موهوبة ، إنه يعترف
بأساس الحياة الإنسانية التي لا يمكن
أن ينشق إلا بأن يقرأ الإنسان ، أي بأن
يقوم علاقة مع أمماته ومع الآخرين ليحلم
بذلك ما لم يعلم ، وهذا في تصويري نوع
من المنهج الاجتماعي المقترح - أو كما قال -
فهل فهمت يا فتى أم أنت مثل لم تفهم ؟

فما قاله من يدعي الحقيقة من هذه
الجاهل والاحاجي والالغاز التي تفسر آية
الليل في الظلام ، وتفسر في المساق القياسي
المقيم لها هكذا يفسر كتاب الله بأرجل ،
وهل يصح وأنت على هذا النحو من فهم
التفسير أن تعيب على المفسرين وتقول إنهم
لم يأتوا بما هو كاف في الحياة السياسية
والاقتصادية والاجتماعية والمقننية
والاخلاقية ومعايير العلاقات بين الناس ،
لو قرأت جزءاً من ألف مليون مما كتبوه
في ذلك لمنك ضحك أن تقول ما قلت .
والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

محمد مصطفى الطبر

قال الله تعالى :

« إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات
أن لهم أجراً كبيراً » .

ترجمة القرآن فوق طاقة المترجمين

بلاستان محمد اللطيف شكري

« وإنه لكتاب عزيز ، لا يأتيه الباطل من بين يديه

ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » ٤١ ، ٤٢ فصلت

بلسان عربي مبين » الشعراء ١٩٢ - ١٩٥

« يقولون إنما يملكه بشر ، لعل الذي

يلعدون إليه أحمق ، وهذا لسان عربي

مبين » النحل ١٠٣ .

« ولو جئناه قرآنا أمججيا لقالوا لولا

فصلت آياته أأعجبي وعمرى » فصلت ٤٤

« وكذلك أنزلناه حكا عربيا . . .

الزمر ٣٧ .

قال في تفسير المنار الجزء التاسع طبعة

١٩٢٨ من ٣١٥ ما فيه : -

« فهذه آيات محكمات ، هي أم الكتاب

في هذا الباب ، تجاوزت جمع اللغة إلى جمع

الكثرة ، وعدون إشارات الإيجاز وحدود

الماواة ، إلى باحة الإطناب ، ينطق

بنصوص صريحة لا تحتمل التأويل ولا تقبل

التبديل ولا التحويل ، بأن الله تبارك

وتعالى هو الذي أنزل هذا الكتاب الذي

جمله آخر كتبه ، على خاتم أنبيائه ورسله

(١) هروبة القرآن وضع إلى

« إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم

تعقلون » يوسف - ٢ -

« وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا

فيه من الوعيد » طه - ١١٣

« وهذا كتاب مصدق لمانا عربيا

لهنذر الذين ظلموا وبقرى للمحسنين »

الأحزاب - ١٢

« قرآنا عربيا عهد ذي عوج لعلهم

يعقلون » طه - ٢٨

« كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم

يعلمون » فصلت ٣

« إنا جئناه قرآنا عربيا لعلكم

تعقلون » الزخرف ٣

« وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا »

القصص ٧ .

« وإنه لتنزيل رب العالمين » نزل به

الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين

مدينة عربية ، عربية القضاة ، عامة للجميع
محبوب الإنسان ، «وما أرسلناك إلا رحمة
لعالمين» - «ليكون للعالمين نديرا»
«وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا»
«ولكن رسول الله وخاتم النبيين» ، «اليوم
أكلت لكم دينكم وأقمت عليكم شعبي
ورضيت لكم الإسلام ديناً» .

وقد بلغ ﷺ دعوة ربه كما أمره فبدأ
بأم القرى ، ثم بما حولها من جزيرة العرب
ومحبوب المعجم ، بالسان العربي الذي قضى
الله أن يرجده ألسنة جميع الأمم فيجعلهم
أمة واحدة بالعقائد والعبادات والآداب ،
والفرح والمعة ، ليسكوتوا بنعمته إخوانا
لامثار بينهم للعداوات التي تفرق بين الناس
بمصيبيات الأنساب والأقوام والأوطان
والألسنة ، فكتب ﷺ إلى فيصر الروم
وكسرى القرم ومقوقس مصر بلغة الإسلام
العربية ، ككتبه إلى ملوك العرب وأمرائهم
وبلغ أصحابه ما أمر الله به أمته من تعميم
الدعوة وبدمر بأي يورها سينشرها بين
الشرقي والغربي ، فصعد الصحابة والتابعون
لهديم ، وجميع دول الإسلام من بدم
بما أمروا به من نشر هذا الدين بخته ،
في كلا أقصى قريته (صادق وحكمته) .

قرأنا عربيا ، وأنه هو الذي جعله قرآنا
عربيا ، وأنه هو الذي أوحاه قرآنا عربيا ،
وأنه هو الذي فصل آياته قرآنا عربيا
وأن الروح الأمين ، نزل به على قلب خاتم
النبيين بالجان مرن مبین ، وأنه ضرب فيه
من كل مثل للناس ، ولقراء الناس أمة
الدعوة ، من جميع الممالك والتمل ، حال
كونه قرآنا عربيا غير في عوج ، وأنه
أمر خاتم رساله أن ينسفو به (أم القرى)
ومن حولها من جميع الوری ، وأنه على
إزاله إياه قرآنا عربيا ، للإغلاو والذكرى
والوعيد والبشرى ، لعلهم يفتلون ولعلهم
يتقون أو يحسن لهم ذكرا ، أنزه حكما
عربيا ، وأمر من أنزه عليه أنه يحكم به
بين جميع الناس بما أراء الله فيه من الحق
والعدل الذي جعله حقا مطلقا لا هوادة
فيه ولا محابة لقراءة ولا فضل ، فقال
«إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم
بين الناس بما أراك الله ، ولا تكن
الغافلين خبياء» (الآيات مع سورة النساء
من ١٠٤-١١٤) بطولها ، اقرأها وراجع
سبب نزولها .

فعلم من هذه الآيات الحكمة ، أن القرآن
هداية دينية عربية ، وأنه حكومة دينية

(٢) آثار إخراج القرآن بلغته العربية
لجميع الأمم :

كان الإسلام ينتشر في شعوب الأماجم
من قارات الأرض الثلاث (آسيا وأفريقيا
وأوروبا) بلغته العربية ، فيقبل الخلق
فيه كل تعلم هذه اللغة يباحث العقيدة ،
وضرورة إقامة الفريضة ، ولا سيما فريضة
الصلاة التي هي عماد الدين ، وأماظم أركانها
بعد التصريح بالهادئين ، فكان تعلم العربية
عن ضروريات الإسلام ، عند جميع نطفة
الشعوب والأقوام ، بالإجماع على العمل
التمبدي والسياسي .

ثم ذكر النار ، ما كان من بعض الدول
الإسلامية من تقصير ، بعدم جعل اللغة
العربية لغة رسمية للدولة ، وآل ذلك
إلى التناقض والتماذى بين عصبية هذه
الدولة القوية ورابطة الإسلام ، وأدى
ذلك إلى التفرق والتقاتل بين هذه الدولة
للتذكيرة لغة القرآن وبين العرب .

فنجبر كل ما هو إسلامي ، بل محاربته
نقدنا وتحضرنا وإرتقاء في أحضان الغرب
للمعاصي للإسلام ولغة كتابه ، ثم وصل
لنا أسس على الإسلام إلى التمدد من القرآن ،
نصعدوا إلى ترجمة ألقائه ، لا ليفهمه الشعب ،

إلى تفاسيره بلغتهم كثيرة ، ولكن لم
كل ما هو عربي من اللغة ، حتى حرموا يومها
مهارة كتب السنة وكتب الحق ونحوها ،
لأنها مصنوعة بآيات القرآن العربية ،
والأحاديث النبوية العربية ، وبآثار السلف
الصالح العربية ، وبالحكم والأمثال وعواهد
اللغة العربية ، واقترح بعضهم كتابته
بالحروف اللاتينية ، حتى يبدل كتاب الله
بقرآن بلغته بعض اللاحدة ، مع أنه الكتاب
العربي للدين ، للتمسك باللفظة العربية
بإجماع المسلمين ، وللمعجز ببلافته العربية
لجميع العالمين ، والحجة له إلى يوم الدين .

(٣) جرعة ترجمة القرآن ترجمة لفظية
حرفية :

قال : إن من تقصير المسلمين في فهمهم
ألا يبينوا معاني القرآن لأهل كل لغة
بلغتهم ، لعمرة من ليس من أهل إليه ،
وإرشاد من يدخله فيه عند الحاجة بقدر
الحاجة ، وإن من زوال المسلمين لدينهم أن
يتفرقوا إلى أمم ، تكون رابطة كل أمة
منها جنسية ليلية أو لغوية أو قانونية ،
ويجبروا القرآن للزنى من عند الله تعالى ،
لامجز بأسلوبه وبلغته وهدايت ، اكتفاء
بأفراد يفرحون ثم حسب فهمهم ، وهذا

والترجمة ليست نصاً من الخارج ، والإجماع عند الجمهور لا بد أن يكون له مستند ، والترجمة ليست مستنداً ، فملى هذا لا يسلّم لمن يجهلون ترجمة القرآن قرآناً ، فهو من أصول الإسلام .

(ج) إن القرآن منع التقليد في الدين ، ونحن على المقلدين ، فأخذ الدين من ترجمة القرآن هو تقليد للترجمة ، فهو إذاً خروج عن هداية للقرآن لا اتباع لها .

(د) يلزم على ترجمة القرآن حرمان المفسرين على هذه الترجمة بما وصف الله به المؤمنين في قوله : « قل هذه سبيل أدمي إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني » ، وأمثالها من الآيات التي تجعل من المعلم مستقلاً لعله وفيه فيما أنزل الله ، قال تعالى : « اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء » ، فليست ما تذكر « ، وأنزل إلينا من ربنا هو القرآن للمري كما صرحت به الآيات (فصدر هذا المقال) فاتباع الترجمة مخالف لكل من الأمر والنهي في هذه الآية .

(هـ) ويلزم أيضاً حرمانهم من هذه الصفات العالية ، الاجتهاد والاستنباط من عبارة المترجم لأن الاجتهاد فيها مما لا يقول به مسلم .

الزوال ، أو من آثار جراد أوربا السياسي والدني للسلطين ، زيج لنا أن تفرق وتنتمى إلى أجناس ، فلما نكل جنس منا أن في ذلك حياته ، وما في ذلك إلا موت الجميع ، وإننا نوجز بيان المقاصد المترتبة على هجر المسلمين للقرآن المنزل « بلسان عربي مبين » استثناء منه بترجمة أجنبية ، يغنيهم عنها تفسيره بلغتهم ، ونوجز هذه المقاصد لترجمة القرآن فيما يلي :

(أ) إن ترجمة القرآن ترجمة حرفية بحيث تطابق الأصل متعذرة ، أما الترجمة المعنوية فهي عبارة عن فهم المترجم للقرآن ، أو فهم من عساه يتمتع هو على فهمه من المفسرين ، وحينئذ لا تكون هذه الترجمة هي القرآن ، وإنما هي فهم رجل للقرآن ، يخفى ، في فهمه ويسبب ، ولا يحصل بذلك المقصود المراد من الترجمة .

(ب) إن القرآن هو أساس الدين الإسلامي ، بل هو الدين كله ، إذ السنة ليست ديناً إلا من حيث إنها مبنية له ، فالدين يأخذون بترجمة القرآن يكون دينهم ما فهمه مترجم القرآن لهم ، لا نفس القرآن المنزل من عند الله تعالى على رسوله ﷺ ، والاجتهاد بالقياس إنما هو فرع من النص

وحدوث الولد بعد ذلك كما فهم بعض المفسرين ، فإذا هو جرى على ذلك حسب فهمه أو فصور لغته التي يترجم إليها القرآن فإن القارئ لترجمته يتقيدون بهذا الفهم فيعرفون من فهم المعنى الحقيقي لكلمة : (لوائح) وهو كون الرياح لوائح بالدمل إذ هي تحمل مادة الفلاح من ذكر الدجبر إلى إنائه ، فالترجمة تقف هنا عند حده من الفهم ، يعوزها معه الفرق المطلوب .

(ح) ذكر النزالي في كتاب (إلجام العوام من علم الكلام) أن ترجمة آيات القرآن المتعلقة بالصفات الإلهية غير جائزة وأن الخطأ في ذلك مترجمه مكفر .

(ط) ذكر النزالي أيضا في الاستدلال على ما تقدم أنه من الألفاظ العربية ما لا يوجه لها لغة أخرى نطاقها ، لما الذي يفعله المترجم في مثل هذه الألفاظ ، وهو إن شرحها بحسب فهمه وربما يوقع قارئه ترجمته في اعتقاد ما لم يفهمه القرآن .

(ي) إن من الألفاظ العربية ، ما قد يكون لها في اللغات الأخرى ما يطابقها ولكن لم نجبر مادة أهل هذه اللغات استعمالها في الاحتمارات ، كما يحدث أحيانا في لغة القرآن ، فيفسره المترجم بالمعنى

(و) إن من يعرف لغة القرآن ، وما يحتاج إليه في فهمه ، كالسنة النبوية وتاريخ الجيل الأول ، الذي ظهر فيه الإسلام ، يكون مأجورا بالعمل بما يفهمه من القرآن وإن أخطأ في فهمه ، لأنه بذلك جهسه في الاعتداء ، بما أنزل الله هداية له ، كما يعلم ذلك من معاملة النبي ﷺ لأصحابه فيما فهموه من كيفية التيسر ، إذ عذر المختلفين في فهمها والعمل بها ، وما فهموه في نبيه عن صلاة العصر إلا في بني فريضة وأمثال هذه الاجتهادات ، التي يؤثر عليها العلم ، ولا يمكن حصول هذه الترايا في عبارة مترجم القرآن .

(ز) القرآن ينبوع الهداية والعلوم الإلهية ، لا تخلق جدته ، ودائما تتجدد حكته ودلالته ، فربما ظهر للتأخر من حكمه وأسراره ما لم يظهر لمن قبله ، تصديقا لمعوم حديث (رب مبلغ أومى من سامع) وترجمة القرآن تبطل هذه للزلة ، إذ تفهم القارئ بالمعنى الذي صورده المترجم بحسب فهمه ، مثال ذلك أن المترجم قد يجعل قوله تعالى : « وأرسلنا الرياح لوائح » من الجواز بالاستعارة فانصاف الريح بالسحاب وحدوث المطر عقب ذلك ، يهبط تلقيا الذكر للاثني

من الأبياء من المعجزات ، وحضر أحد
الأجانب احتفالا في إحدى المدارس ،
وافتح الاحتفال بتليذ بقراءة آيات من
القرآن ، فقال الأجنبي : إلى هذه القراءة
تأثيراً عميقاً في النفس ، وسجل هذا الأمر
في جريدة للعلم ، فإذا كان لتلاوة القرآن
هذا التأثير حتى في نفس غير المؤمن به ،
فكيف نكرم منسداً للعلم بدرجة
القرآن لهم .

(ن) إذا سلمنا بدرجة القرآن إلى
اللغات المختلفة ، تركية وفرنسية وبندية
وصينية وانجليزية وفرنسية ... الخ
ثم أريد ترجمة هذا القرآن غير العربي ،
فلا بد أن يكون بين هذه الترجمات من
الخلاف ، مثل ما بين تراجم كتب الصب
التيق والسيد الجديد عند النصارى ، بل
يكون الخلاف عندنا أشد ، لمجرد جمع
البصر عن ترجمة القرآن ، مولد الترجمة
والإنجيل ، وقد رأينا (رهيد رضا)
ما استخرجه لهم صاحب كتاب : إظهار
الحق ، من الخلافات التي كنا نقرؤها ،
ونحمد الله أن حفظ كتابنا من مثلها ،
فكيف نختار منها من الخلافات لمينا
وكتابنا وأرضنا ؟

الحقيقى حسب نيت ونهمه ، والله إنما يريد
المعنى المجازى ، قال حجة الإسلام : وهذا
المقام من مولات الأقدام إذا كان الكلام
عن الله عز وجل وصفاته وأفعاله .

(ك) قال الفزالي أيضاً : إن من هذه
الأنماط ما يكون مشتركاً في العربية ،
ولا يكون كذلك في اللغات الأخرى ،
فقد يختار المترجم غير المرادف من معاني
المفرد ، ولا يبنى ما فيه .

(ل) مع المقرر عند العلماء أنه إذا ظهر
دليل قطعى على امتناع ظاهرة من آيات
القرآن ، فإنه يجب تأويلها حتى تتفق مع
ذلك الدليل ، ولا شك في وجود الفرق
العاسع بين تأويل أنماط القرآن ، وتأويل
أنماط ترجمته ، لا سيما في الآيات المتعاجة
والأنماط المتحركة .

(م) إن لنظم القرآن وأسلوبه تأثيراً
خاصاً في نفس السامع ، لا يمكن أن ينقل
الترجمة ، ويغوت بغوته غير كنيم ،
وطالما كان هذا التأثير جاذباً للإسلام ، حتى
قال أحد فلاسفة أوروبا وهو فرنسى :
إن عمداً كان يقرأ القرآن بحال مؤثرة
تجذب السامع إلى الإيمان به ، فكأن
تأثيره أشد من تأثير ما ينقل من غيره .

الصين . ودرجة عليا ، المقتضين العلم ،
ومؤلاهم يجب أن يتقنوا لغته ، ويستقلوا
بفهمه ، مستعينين بكلام المترجمين فهم
مطلوبين لأحد منهم .

إن الأماجم الذين دخلوا الإسلام ، على
يد الصحابة الكرام ، قد فهموا أن الإسلام
لغة خاصة به ، لا بد أن تكون عامة بين
أهله ، ليفهموا كتابه الذي ، يدنون به ،
ويبتدون به به ، ويعبدون الله بتلاوته ،
ولتتضح بينهم الوحدة المشار إليها بقوله
(إلى هذه أمتمكم أمة واحدة) الأبيات
٩٢ ويكونوا جديريين بأن يستصحبوا به
وهو جهل الله ، فلا يشرعوا ، ولتكن لهم
أخوة الإسلام التي حبسها عليهم بقوله
(إنما المؤمنون إخوة) الحجرات ١٠ .
ولذلك انتشرت اللغة العربية في البلاد

التي فتحها الصحابة ، بسرعة فريدة ، مع
عدم وجود مدارس ولا كتب ولا أمانات
للتعليم ، واستمرت الحال على ذلك في زمن
الأمويين ، في الشرق والغرب ، وفي أول
مدة العباسيين ، حتى صارت اللغة العربية
لغة الملايين من الأوربيين والبربر والقبط
والروم والفرس ، وغيرهم في عمارت تمتد من
الخليج العربي إلى بلاد الهند .

(س) إن القرآن هو الآية الكريمة
على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، بل هو
الآية الباقية من آيات النبيين ، وإنما يظهر
صكونه آية باقية مخفوفة من التثنية
والثبديل ، والترديد والعصيف ، بالنص
الذي نقلناه ، فمن جاء به مع عدا الله ،
والدرجة ليست كذلك ، هذا ما تراه لنا
من الوجود لقائمة مع ترجمة القرآن للمسلمين
ليكون لهم قرآن أحصى ، بدل القرآن
العربي ، وهناك وجود أخرى للفتح يمكن
استنباطها ، وهي كثيرة لا تحصى .

وأما دعوى وجوب الترجمة بحجة أن
عدمها يستلزم بقاء القرآن غير مفهوم
(لغرب كثيرة) فهي ممنوعة ، لأنها
تقول : إن أهمها سهل ، ولتكن ليس لأحد
أن يجعل فهمه حجة على غيره ، فكيف
يجمع ديننا للعصب بومته ؟

وإن الطريق الحليم لاحتذاء الأجنبي
بالقرآن على مرجعتين : درجة دنيا ، خاصة
بالعوام الذين لا يتيسر لهم طلب العلم ،
ليطالعوا الفاتحة ، وبعض السور القصيرة
لأجل قراءتها في الصلاة ، وترجم لهم
تفسيرها ، وتقرأ لهم في مجالس الوعظ
بعض الآيات ، ويذكر لهم تفسيرها ، بلغتهم
كما جرى عليه كثر من الأجانب حتى بلاد

ويُثابِتُ بتعلم القُرآن ، كما ورد في بعض الأحاديث ، أم يسلِّي بترجمة الفاتحة بمنته ؟ نقل القول الأخير عن أبي حنيفة وحده مع مخالفة جميع أصحابه له ، ونقل عنه أنه رجع إلى الإجماع ، ولم ينقل عن أحد من المسلمين أنه حمل بهذا الرأي (عل أنه لا حاجة في قول أحد ولا حمل ، غير المعصوم) فكان هذا الإجماع العام المطلق مما يثرب حفظ الله تعالى للقرآن :

قال الخافعي رحمه الله : في رسالته في أصول الفقه « رُلَّ القُرآنُ كله بلسان العرب ، ليس فيه شيء إلا بلسانهم ، والحجة على ذلك قوله تعالى : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم » فإذا كانت الألسنة مختلفة بما لا يفهم بعضهم عن بعض فلا بد أن يكون بعضهم فيما لبعض ، وأن يكون الفضل في اللسان المتبع على اللسان التابع ، وأولى للناس بالفصل في اللغة من لفظة رسول الدعوة صل الله عليه وسلم اللغة العربية ، ولا يجوز - والله تعالى أعلم - أن يكون أهل لسان أتباعا لأهل لغة غير لغته في حصر واحد ، بل كل لسان تبع لسانه ، وكل أهل دين قبله ، فعليهم اتباع دينه ، وقد

قبل كان هذا إلا خيرا حليا : تأخرت فيه شعوب كثيرة ، وتماوت ، إلى مدينة كانت زينة للأرض ، ونورا لأهلها ؟ بل قول : لقد كان يجب أن تكون مسألة (ترجمة القرآن) أبعد من أمواء الخلاف المنصوم الكثيرة الصريحة فيها ، وإجماع السلف والخلف ، بالعمل والعمل عليها ، وعدم هذوذ أصحاب المذاهب والفرق ، حتى المبتدعة منها ، ومضى أربعة عشر قرنا على ذلك ، فقد كثرت الخلاف والفرق في الدين ، وتعددت الأحزاب والفرق في المسلمين ، بل ارتد بعض الفرق بضروب من التأويل وسفاهات من الباطل التحريف ومع هذا لم تهم فرقة تلتزم إلى الإسلام بترجمة القرآن ، ولا ضلت طائفة بترجمة أذكار الصلاة والأذكار ، لأجل الاستغناء بها في التعلُّق ، من اللفظ المنزَّل من عند الله - وإعانة صاوري ما وقع من الخلاف فيها حول ذلك من فروع المسألة ، ومن تصوير الفقهاء للوقائع النادرة (أنه إذا أسلم أمجي مثلا ، وأردنا تعلُّقه الصلاة ، فلم يستطع لسانه أن ينطق ألفاظ التمامة ، فحل يسلِّي بما فيها من لغته ، أم يستبدل بها بعض الأذكار القرآنية المأثورة مؤقتا

وفسر العاقبي هذا في أول رسالته أصولية
قد أجمع على اعتباره أئمة المصنفين صلوات
وخلفاء. وقد اشتهرت هذه الرسالة في جميع
الأنظار الإسلامية، ومع اختلاف الأئمة
في بعض مسائل الفروع المتقدمة، فإنها أحدا
لم يشك من العاقبي في هذه المسألة بالذات
ولم يخالفه أحد، بل ولم يناقشه فيها،
ولا فيها أورده من الأدلة عليها، ولم يخرج
من هذا الإجماع (وهو التمسك بتلاوة
القرآن للعربي وأذكار الصلاة والمخارج وغيرها)
سني ولا شيعي، ولا أباضي ولا خارجي
ولا معتزلي.

ولم يقل أبو حنيفة ولا غيره، باستثناء
أبي حنبل في دينه، مع لغة كتابه وسنته
والدليل على هذا أن جميع أتباع أبي حنيفة
أشبههم ومقلديه من الأئمة، لا يزالون
يقرون القرآن، وأذكار الصلاة والمخارج
وغیرها بالعربية، وكذلك خطبة صلاة
الجمعة والعيدين، إلا ما حدث به بعض
القول، في الخطبة بأنشأ، فبهذا فعلاوة
بها، خلط بركة الإسلام.

(أقول): وقد حادت هذه الحقبة لتقرير
لغة القرآن في شعائر الإسلام، لما رأت
هور القصب المسلم من غير لغة كتابه،

بين الله ذلك في غير آية مع كتابه ثم ذكر
العاقبي رحمه الله بعض الآيات التي صهرها
بها مقالنا هذا، ثم قال:

فأقام الله حجة على أن كتابه عربي،
وأكد ذلك بأن نبي عن كل لسان غير
لسان العرب في آيتين من كتابه تعالى:

« لسان الذي يلحدون إليه أعجمي »
وهذا لسان عربي مبين » وقال سبحانه:
« ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا
فصوات آياته؟ آآعجمي وعربي؟ ».

ثم ذكر العاقبي نعمة الله على المؤمنين،
إذ بعث فيهم رسولا منهم، وجعل القرآن
ذكراته وتقومه للعرب، وأصره أن ينشر
قومه خاصة وغيرهم قوله: « وأنذر عشيرتلك
الأنفريين » وقوله: « لتنفرا أم القرى ومن
حولها » لجلهم في كتابه خاصة وأدخلهم
مع المنفريين عامة، وقضى أن ينذروا
باسمهم العربي، لسان قومه منهم خاصة.

وعنه العاقبي في وجوب تعلم اللغة
العربية لا سيما فيما افترض الله على المسلم
تعلمه من أركان الإسلام وأذكارها، وقال:
(ومع تعلم اللسان العربي، انتفعت عنه العرب
التي دخلت على من جهل).

فكل لغات الترجمات ليس لها فيه من خصائص القرآن المنظمة ولا القنوية كالإيجاز وهي ، لا بد أن تكون مخالفة

له في المعنى كخالفاتها في اللفظ ، فاحسانها إليه تعالى كذب عليه وكفر بكتابه ، بل أجمع المسلمون على أنه لا يجوز إبدال لفظ من ألفاظ المصنف بلفظ آخر يراه من اللغة العربية ، ككلمتي (شك وريب) في قوله تعالى : (ذلك الكتاب لا ريب فيه) ، وأما الترجمة للقنوية ، التي هي عبارة عن تفسير ما يحتاج إلى تفسيره منه بألفاظ أخرى لغير محرم ، وإنما تتبع فيه الصلحة الشرعية قدرها .

والواقع أن تفسير (المنار) - أثناب الله صاحبه - قد أطال النفس في تحرير الترجمة للقرآن ، في نحو ست وخمسين صحيفة في الجزء التاسع في سورة الأعراف ، وفنه كل حبس المزيدين للترجمة ، والسامعين إليها ، أو القائلين بها ، ويؤيده الله الإجماع على حق الله وكتابه ، وفي حق المسلمين من يسمى هذا السمي العظيم ، ويحاول الامتناع عن أقدس مقدسات المسلمين ، سواء أ كان ذلك منه بحسن قصد ، أم كان بسوء قصد كما بين أن تبليغ الإسلام ، لا يتوقف

ونوره على من حاول محوها من لسانه وعبادته : « ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » .

ومن قبل ذلك في عهد الدولة العباسية ، هنا المأمون عصفرة سياحية ، حركت العصية الجنسية في التمرس لجلسوا يراجعون إلى لغتهم ، ويعرفون إلى جنسيتهم ، وجاء الأتراك فجلسوا بالعصية الجنسية ما فعلوا فحطت مقام الخلافة ، ونزق شمل الإسلام بقوة ملوك الطوائف ، ولكن لم تصل الفتنة بالناس ، إلى إجماع قرآن أهمي للماجم وإبقاء القرآن العربي خاصا بالعرب الله التي الدين والعلم عربيين وراه إمامهما الذي هو القرآن .

ثم قال (المنار) : وملخص هذه الفتوى : « إن ترجمة القرآن ترجمة حرفية متعمدة ويترب عليها مفاسد كثيرة ، وذلك محذور لا يبيحه الإسلام ، لأنه جنابة عليه وعلى أهله ، ولا يجوز أن يسمى الترجمة قرآنا ، ولا كتاب الله ، ولا أن يحشد منها شيء إلى الله تعالى ، فيقال : قال الله كذا ، لأن كتاب الله وقرآنه عربي بالنسبة القاطنة والإجماع الشرعي ، مع سلف أهل اللغة كلهم وخلفها .

هل ترجمة حروف القرآن، بل من الممكن،
وقد أمكن فعلاً، أن تترجم المعاني،
والأهداف، والأحكام والخبر لكتاب الله
وسنة نبيه الأعظم ﷺ، ومن يتحقق من
الأجانب معرفة الأصل، فالسبيل سهل
أمامه، لتعرف لغة العرب، ومدارستها،
ليتلقى إعلامه من بيده الصافي، وقد ذكر
الإمام رحمه الله في ذلك أقوال الفقهاء المذاهب
المشهوره والمعتبره، ونقل إجماع السلف
والخلف على وجوب سبانه القرآن، وإتياء
ألفاظه المعجزة، في نوحها العربي الناصح
المعجز، وبين ما تروى على الترجمات
الأجنبية من خطأ فظيع في نقل معاني
كتاب الله، وبالتالي من تطرف المسلمين،
ونهب المستعمرين لأموالهم، إذ صتمت
كل أمة لما لديها من ترجمة تصبها قرآناً
بلغتها هي، وقد تنوالت فيها التفسيرات
والتأويلات لترجمتها بما يزيدها بعداً عن
مراد الله، إذ ستتمدد الوسائط الناقصة
البعيدة عن الأصل، وهنا يكون المسلمون
قد فروا دينهم وكانوا شيعاً، وقطعوا
أحراراً بينهم زبوا، كل حزب بما لديهم
فرحون، فتتفصل الروابط، ويسهل على
أعداء الإسلام اتهايمهم دولة وراء دولة

(أكلت يوم أكل النور الأبيض) أو كما
قال علي رضي الله عنه (إنما عنت يوم هان
هنا) إذ فسدوا المصمم المجمع لهم،
والقوى لوحدهم، والداد لجأهم،
والحق بين أفكارهم وآمالهم وآلامهم،
وصدق الله العظيم:

«واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا»
٤ - تعذر ترجمة القرآن :

هذا قرار أجمع عليه الخلف والسلف،
كما ذكرنا، ولا يحتاج إلى شرح صحيح الإسلام
إلى دليل على هذا، لأنه يؤمن بالله القرآن
معجز للبشر، بأملوه ونظمه العربي المنزل
كما أنه معجز هدايته وإصلاحه للبشر، وقد
نهى النبي ﷺ العرب بهذا الإيجاز،
ونهى المصلون به من بعدهم، فثبت
عجز الجميع عن الإتيان بمثله، وصدق قوله
مز وجل: (قل لن أجدت الإنسان والجن
على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، لا يأتون
بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهراً) ٨٨
الإسراء - والترجمة لا تكون صحيحة،
إلا إذا كانت مثل الأصل.

الآية، نص قطعي على عجز الإنسان
والجن عن الإتيان بمثله، ولو كان بعضهم
عونا ومساعداً لبعض، فكيف يمكن أن

أحراراً بينهم زبوا، كل حزب بما لديهم
فرحون، فتتفصل الروابط، ويسهل على
أعداء الإسلام اتهايمهم دولة وراء دولة

وإذا فرض وانفتحت لفتان في حطيفة لفظ واحد وعجازه وكنائنه ، بحيث يترجم أحدهما بالآخر ، مهما يكن المراد منه للتكلم ، فإن يمكن مثل هذا في الأوضاع الجديدة للشمسية والعرفية ، كالانقطاع الموضوع في القرآن لصفات الله تعالى ، وغير ذلك من عالم الغيب ، أو لبعض العبادات ، ويستحيل قيام لغة مقام أخرى في آدابها ومعارفها ، ومعانيها العقلية والشمسية .

مثال ذلك الأسماء الموضوعية ليوم القيامة ، وهي كثيرة ، وكل لفظ منها له معنى تدل عليه مادته العربية ، وهذا المعنى مراد لتحقيقه في ذلك اليوم (كالواقعة ، والقلعة ، والطامة ، والساخة ، والحاقة ، والفاشية الخ) فلا تروجهت كلها بمعنى (يوم القيامة) ذلك للمعانى الاحتقالية المقصودة بالفتن من هذه الأسماء وهي بياض الصفات ذلك اليوم مبدأ و غاية ، وما يقع فيه ، وما فيها من وعظ ونذر مؤثرة في الخوف والرجاء ، والزائدة عن المعاني ، وإذا تروجهت بمعناها الاشتقاق لم يفهم منها أن المراد بها صفة يوم القيامة ، ففقد الغارزة يدل في أصله على امرأة تفرح حيناً

يأتى مثله فرد أو جماعة إلى الدين يريدون ترجمته ، إنما قصد من أمة الإسلام من قومهم ، بالترجمة عن الكتاب المنزل من عند الله ، فهم ليسوا مؤمنين به ، حتى تقوم عليهم هذه الحجة ، وكثير من المسلمين القائلين الذين يجادلون كثيراً من أصول الإسلام وفروعه ، لينخدعوا ببعض التافلين بترجمة الكلام الإلهي باللغات المختلفة ، ولا يدرون أنه غير ممكن ولا أنه خسير جاز ، وقد بينا الفريقين (فريق الكفرة به - وفريق المؤمنين الجبهة) بمخلوعة الترجمة (عدم جوازها وما يترتب عليها من المفاسد بالأدلة المقتضية .

وزيد الأمر وضوحاً ، فنثبت نمنور ترجمته من جهة اللغة ، كما هي محرمة من جهة الشرع ، ونكتفي بقليل من الفوائد للاستنباط لها يحتاج إلى كتاب مستقل ، وقرر مبدئياً أن الترجمة متعذرة من حيث المنهات ، ومن حيث الجمل ، ومن حيث الأساليب .

من المعلوم بالنطق لدى العارفين باللغات المتعددة ، ولدى علماء الاجماع ، أنه لا يمكن أن تتفق لفتان من لغات العالم ، في جميع مفرداتها ولا في طرق دلالتها ،

وما أدراك ما القارعة اليوم يكون الناس
كالنقراش للنبث ، وتكون الجبال
كالحب المنفوش .

وبوضح هذا من نظريات النفاذ ،
ما قرره علماءه ، من أن خراب هذا العالم
لا يتصور إلا بعد بعض انجسوم ذوات
الأذاب من الأرض وحده أو قرعه
لها قرعا عديدا ، على نسبة قوة الجذب ،
تبس به الجبال ، أى تنفتحت حتى تكون
هباء متبثا في الفضاء ، وحينئذ يبطل
نظام الجاذبية الدام ، فتتناثر الكواكب
وتتصادم ، كما قال تعالى في وصف ذلك
اليوم : (وإذا الكواكب انثرت) فانطباع
الآيات المختلفة الواردة في وصف يوم
القيامة من السور المنفرقة ، على هذه
النظرية الماركسية ، هى لم تكن في عصر
التنزيل مصروفة لغرب ، ولا لتيرم من
علماء النفاذ على الطريق القديم ، قد تعد
في هذا العصر من معجزات القرآن وعجائبه
وطائفا لما ورد في وصفه من الأثر (لا تنهى
عجائبه) ولكن كل هذه المعاني المبهجة
لا يمكن ظهورها في الترجمة الحرفية ،
فيسكون قصورها وعدم موافقتها للأصل
مع طرق متعددة :

بالمترفة ، وفي الجاز معناها : ناهية تخرج
القلوب بأهوالها .

وأخص منها « الصاخة » وهى الضربة
ذات الصوت العديده ، التى يصح السامع
أى يقرعها حتى يصمها أو يكاد ، أو الذى
يضطرها إلى الإصاخة والإصغاد .

وإذا أنت فسمت الكلمة يوم القيامة ،
ووصفته بالقارعة في سورتها ، وبالصاخة
في سورة (عبس) تكون قد انفلتت من
مأرق الترجمة إلى سمة التفسير ، وحينئذ
قد تكون عرضة لنفط في التفسير ،
ينضج به شيء من مراد الله تعالى من
هذه الألفاظ .

وإذا كان بعض التفسيرين بالعربية ، قد
وقع في مثل هذا النلط ، والمترجم بلغة غير
عربية أولى بالنلط ، لقد فسرنا بعض
التفسيرين فقال : المراد القارعة : الماهية
التي تخرج القلوب ، ولكن تفسير مردود
بهذالة القرآن نفسه ، فاقه تعالى بين هذا
الفتح في أول سورة الواقعة (إذا وقعت
الواقعة ، ليس لوقعتها كاذبة ، خافضة ورافعة
إذا رجت الأرض رجا ، وسمت الجبال
سما ، فكانت هباء منبثا) ، وهذا هو معنى
المراد من قوله تعالى : (القارعة ، ما القارعة

بصرفي النقي والإنبات ، كقوله تعالى
في الأنعام (قل لا أجد فيها أوحى إلى حرما
على طام يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما
مصفوحا أو لحما خنزير فإنه وجس أو لحما
أهل لغير الله) فالحصر هنا بالنقي والإنبات
ولكنه في البقرة والنحل حصر بانما
(إنما حرم عليكم للينة والدم) الخ فالتميز
في الأنعام كان أول ما نزل فيها ينكره
المشركون ويجهل المسنون ، وفي سورتي
البقرة والنحل كان التعبير في معنى صام
معروفا لدى المخاطبين ، وإنما تأتي طعير
لا يجهل المخاطب ولا يدفع صمته ، ولما
نزل هذه الآية ، أما الحصر بالنقي والإنبات
فيحبر به للأمر ينكره المخاطب ويملك فيه .
فهل يوجد مثل هذه الفروق الدقيقة في أية
لغة أخرى غير لغة القرآن ، وهل يفهم
الفرجون هذه الدقائق في الكتاب الإلهي
حتى براعواها في ترجمتهم ، إن كانت لغتهم
تأهدهم على ذلك ؟

ومن هذه الفروق بين (إلوا إذا - الفعريطين)
والأولى لما فيه جهل المخاطب أو إنكاره
أو شكه ، وليست كذلك النهاية فإذا
جاوزنا للفردات إلى (الجل) وجدنا الأدق
والأحكم في لغة القرآن ، مما يتعذر مثله

وقد فسروا أيضا : «ما لله يوم الدين»
يوم القيامة ، والدين هنا مراد به الجزاء
على الأعمال ، وقد كرهه مقصود بالقات ،
وله من التأخير ما ليس لكلمة يوم القيامة
فإنه يذكر التالي للفاحة في الصلاة وغيرها
بأن الله سبحانه على أممه ويجزيه بما
إن خيرا وإن ذرا .

وهكذا نجد أن لفردات الأفعال دلالة
صفيها على معان عدة كالتكاف ، والتكثير
والمفارقة ، والمطابقة الخ ومن مفردات
حروف المعاني والأدوات فروق (المطف
وسكت وضع بعضها في موضع الآخر ،
كقوله تعالى في سورة الأنعام : (قل
سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان
مآلة المكذبين) واسهوه سبحانه
في المنسكوت (قل سيروا في الأرض
فانظروا كيف بدأ الخلق) فمطف النظر
في الأول ثم المفيدة للتأخر ، وفي الثاني
بالفاء المفيدة للتمقيب .

فهل يوجد في حائر الغضات مثل هذا
المدلف ، الذي تقتضيه المعاني ؟

ومثل هذه الخصائص لغة القرآن ،
ما حققه الإمام جبه القاهر الجرجاني ،
من الفرق بين الحصر بانما ، والحصر

فيه الأبصار ، مهبطين مقننى ، وموسم لا يرتد إليهم طرفهم وأُنْثِثْهُمْ هواء .
 فخصوس الأبصار عبارة عن ارتدادها ،
 وكون أجنانها مفتوحة ساكنة لا تطرف
 و(مهبطين) من أهدط البعير إذا صوب
 عنقه ومد بصره ، وقيل الإهدط : أن تقبل
 بصرك على القرى تديم النظر إليه ، لا تلتفت
 إلى غيره ، ويأتى بمعنى الإسراع و(مقننى
 وموسم) من أُنْثِثَ البعير رأسه إلى الخوض
 ليتقرب إذا رفعه ، وقيل إنه يكون
 خفضا ورفعا ، فهو من أسماء الأضداد ،
 وقوله : (لا يرتد إليهم طرفهم) معناه أن لهم
 في شخوص الأبصار وإعنائها مع امتداد
 الأمتاع ، تصويها إلى ما تنظر إليه هفلا
 هاغلا لها أن توجع إليهم فتكون طوع
 إرادتهم بوجهونها حيث شاءوا ، بل هم
 في هول وكره لا مغيثة ولا سلطان لهم
 معهما على أبصارهم ، بل عبودهم معدودة
 مفتوحة ، لا تطرف ولا تتحرك ولا تتوجه
 إلى شيء آخر بتصويب ولا تصعيب ، ثم
 بين الله هذا وصبيه في النفس ، فقال :
 (وأُنْثِثْهُمْ هواء) أى خلاه خاوية من
 العقل فاقدة للقوة والإرادة ، لصراحي ،
 إذا تصور من يفهم هذا الوصف حق
 تفهم ، فوما هفه حالهم في ذلك اليوم ،
 حتى كأنه يرام ، ليأخذن الرب بمنقته ،

في أية لغة ، ويمكن في مثال ذلك ما قرره
 علماء النحو والقواعد ، في الجملة للقيدة
 بالحال ، والفرق فيها بين الحال المنسوبة ،
 وجملة الحال ، ويترتب على ذلك أحكام
 شرعية في مثله قوله تعالى : (لا تقربوا الصلاة
 وأنتم سكارى) حتى تعلموا ما تقولون
 ولا جنباً إلا جارى حبلى حتى تفتلوا ،
 لجملة (وأنتم سكارى) جملة حالية مقيدة
 للمهى ، وقوله : (جنباً) حال مفردة مقيدة
 أيضا ، ولكل منهما معناه في موضعه
 الخاص ، فالأولى تفيد النهى عن السكر
 قبل الصلاة ، والثانية وقت الصلاة في حال
 السكر ، فبسطر السكر إلى ترك الصلاة ،
 أو إلى أدائها وهو سكران ، وهو المنهى
 عنه في الآية . وأما الثانية (جنباً) فلا تدل
 على ترك أسباب الجنابة قبل وقت الصلاة
 ولا في وقتها إلا إذا ضاى الوقت عن الطهارة
 فهل يفهم مترجمو القرآن مثل هذه
 الدقائق ، وهل تعادهم لغتهم على صراحتها
 إن كانوا يفهمونها ، أم يحتاجون إلى شرح
 وتفسير ، لبيانها ، فيكون أحدهم مفسراً
 لا مترجماً ؟

وأما دقة التعبير ، وخاصة الأهلوس
 القرآنى ، فهو محمى هوأهده ، وصف
 الظالمين يوم القيامة ، في قوله تعالى من
 سورة إبراهيم : (إنما يلحرم يوم تخلص

الواحدة ، وترى الكثير منه في أية واحدة
بعبارة بديعة مؤثرة ، ينتقل فيها العقل من
قائدة إلى فائدة ، وينقلب فيها القلب من
مorceطة إلى موعظة ، مع منتهى الإحكام
والمناسبة بحيث لا نمل تلاوته ، ولا نفقأ
تتجدد هدايته ، حتى إن بعض الأدباء
وأهل القوق في القبة العربية من غير
المسلمين ، يرددون في ليالي رمضان على
بيوت معارفهم من المسلمين ، ليسمعوا
القرآن ، ويمتروا قلوبهم وأذنانهم بسبح
نزهة ، بذلك النظم الذي ليس بسجع
ولا شعر ، ولا كلام صريح ، بل هو نظم
خاص ، قابل للأداء بالنتهات المختلفة
المؤثرة على تفاوت آياته وفروعه ، في
القول والقصر ، فالآية قد تكون كلمة
مفردة أو كلمتين ، وجملة أو جملتين ، أو جملة
قليلة أو مكثفة ، وكلها بخالفة لساير
أساليب الكلام العربي المنتور والمنظوم ،
ولكل نوع منها تأثير غريب في ترتيبها
وتجويدها بالأسوات الملائمة لمعانيها لمحل
في مقدور الخلق كلهم إلهام وجنهم ، أن
يميطوا بطرات من هذا البحر الخضم ،
والتقاموس المحيط الأعظم ، فضلا من
محاكاة وترجته ؟ اللهم نهدك على عجز

وليتحمده في القصر على شعوره وإدراكه ،
ولا سببا إذا كان مع الصرب الخلف
أو الأعراب الأصمحاء .

ويدخل ضمن هذه الخصائص التعبير
بالكناية ، مثل - الرقت وإفضاء الزوج
إلى الزوج - وفوره تعالى (فلما تفداها حملت
حلاخفيها) وفوره تعالى : (أو لا نسئ النساء)
وفوره : (نسأؤكم حرث لكم) (وإن طلقتموهن
من قبل أن يمسوهن) .

والخلاصة أن أسلوب القرآن نسيج
وحيدة ، وفريد بابه ، فإنه أظهر وجوه
الإعجاز الفنية .

فهو يمزج فنون الكلام ، وينظم
مقاصد الهداية والإرشاد ، على اختلاف
أنواعها ، وتباين موضوعاتها ، مزجا متلائما
ونظما متناسبا متناصقا ، موافقا لذوق
السليم ، مطابقا لنكت البلاغة .

فالعقائد الإلهية ، والدلائل العلمية
والمقالية ، والأخبار النبوية ، والسنن
العسكرية والاجتماعية ، والمواعظ
الأخلاقية ، والأدوية ، وأحكام العبادات
والمعاملات القضائية والسياسية ، وقصص
الأنبياء ، ووصف الأرض والسماء ،
وما فيها من جمادات وأحياء ، وما بينهما
من مواد وهباء ، تراءى كله في السورة

المترجمين ، وتأويل الجاهلين (إنا نحن
 نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) المجر ٩٠
 وبلغ من ضمت المفسدين أنه طالبوا بتغيير
 هذا الكتاب الحكيم ، وقالوا : دأبت
 بقرآن غير هذا أو بحد .. الآية) يونس ١٥
 لأن الأعداء لهذا القرآن في كل جيل
 يوقنون بأنه الطبقة الكثيرة في طريق
 مقامهم ، فنبذ من الإسلام وأهله ، وهو
 الطرد الأقم ، الذي تنكسر على جنباته
 حواصن التعسكيات والتليس (ويأبى الله
 إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون)
 التوبة ٣٢ - ومما تنوعت أحاليب مكرم
 ومما أخفوا مقاصدهم ، بمصولة القول
 وخداع الوصية ، فإن الله من ورائهم
 محيط ، وإن حزب الله لم يلحق ، والله
 غالب على أمره .

كانت أول محاولات احتبدال القرآن
 للقرن الممجز ، بقرآن آخر بلغة أخرى ،
 في خلافة الأمويين ، ومن مهدم إلى يومنا
 هذا والمحاولات مستمرة ، وفيه ترجع إلى
 عدة لغات أجنبية كلها مملوءة بالأخطاء
 في اللفظ وفي المعنى ، حدث هذا في أواخر
 القرن السابع الميلادي كما ترجم أيضاً في
 منتصف القرن الثاني عشر الميلادي

الجميع من الاقتراب إلى حي هذا الطود
 الشاخ (ولو أن ما في الأرض من شجرة
 أقلام ، والبحر منه من بعده صبة أبحر
 ما نددت كلمات الله) (قل لو كان البحر
 مداداً لكلمات ربى لنفدت البحر قبل أن
 تنفد كلمات ربى ولو جئنا بعنه مدحاً)
 (وتمت كلمة ربك صدق وعدلا ، لا مبدل
 لكلماته ، وهو السميع العليم) انتهى
 ما أوردناه من المنار بتصرف ملخصاً .

• - هؤلاء ظفروا إلى ترجمة القرآن :

محاولات النيل من القرآن ، بل
 والإجهاز عليه ، لم تخب نارها ، مع أول
 آية طرقت أسماع المصحدين ، إل الآن ،
 وإله أن يوث الله الأرض ومن عليها ، وم
 وضعوا من ضمات ، وأناروا من جدل ،
 وحاولوا من تبديل (وقال الذين كفروا
 لا نسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم
 تغفلون) فصلت - ٢٦ - وكان في عصر
 القول يقول الوحي كبت المعارضين ،
 وإخام المعسكين (ولا تأتوك بمثل إلا
 جئناك بالحق وأحسن تصيراً) الفرقان - ٣٢
 وبعد انتهاء الوحي وموت النبي ﷺ ،
 قبض الله لكتابه ولا يزال يفيض من
 يدفع عنه اتصال المبطلين ، ونهايل

على ترجمة القرآن) في ربيع الثاني ١٢٥٥ هـ وهو عبارة عن ٢٢٦ صفحة، ملأه بالتصويص العقلية والنقلية والثقافية، في إبطال ترجمة القرآن كما اتهمه لمرء أيضا في مجلد مصطفي العاطر في رسالته (الرد على مفروض ترجمة القرآن الكريم عام ١٢٥٥ هـ أيضا سماها «تذكرة في الأولي البصائر والأبصار» إلى ما لي ترجمة بعض القرآن من إخطاء» مرفوعة إلى مطبعة الأزهر ومكوة من ٧٧ صفحة وبذلك دخلت الخفريات في جعورها، تنتظر القمص المراتية، لعلها تبلغ حاجة في نفسها.

وما هي النتيجة لكل هذه المحاولات؟ من غير الأجوبة على هذا السؤال، قاله دكتور سعاد في مصيفته اليومية: «لم يبق للمسلمين اليوم جامعة تجمعهم في مشارق الأرض ومفارجهاء، على تناثر أعينهم، وتفتت وحدتهم، وتفترق كياناتهم في عزق، إلا تقديس هذا القرآن العظيم، ووجه الإبراء إليه والتهامى به في الأحكام فهو النتيجة المظلمة الباقية لهم، التي يمكن أن تمتثلهم من جميع جادتهم وتؤلف بينهم، ومن مصلحة أعداء الإسلام أن يعملوا جاهدين على انبثاق القرآن في شوس العباب المحطم من الأجيال الجديدة، والتهوين (البقية من ٧٤٧)

وما بعده إلى لغات مدة كالإيطالية والهندية والفرنسية والألمانية والبولندية والروسية والإنجليزية والتركية، وغيرها، وكلها ترجمات تفهيمية لمعاني فهموها هم حسب تصورهم أو غرضهم القاصد، ولا تخلو من تحريفات، والقصد من ورائها مهاجمة القرآن، وإضمار ثقة المسلمين به، لئلا لهم التحلل والضماح.

ولكن مطبعة الأزهر، نصفت لهذه المحاولات الغشينة، وأعلنت لمصادها، وما وضعتها بترجمة التفسير الصحيح للقرآن وذلك منذ أكثر من ثلث قرى، كما بينت أن القرآن لفظ معجز، لا يمكن محاكاته، وأن من الممكن ترجمة معانيه العلمية، ولما ترجمت تركيا المصحف الشريف، اتهم لترجمته «مجلد تحريف وجسد» وطالب بتعميم المترجمة لكل اللغات، وكتب في هذا كثيرا، وما كتبه رسالته (الأمة العلمية، على جواز ترجمة معاني القرآن إلى اللغات الأجنبية) جعلها ملحقا بمجلة الأزهر التي كان يرأس تحريرها عام ١٢٥٥ هـ - ١٩٣٦ م وتتكون رسالته تلك في ٧٩ صفحة.

ولام بالرد عليه الشيخ محمد صليبا نائب المحكمة العليا الشرعية في رسالته المسماة (حدث الأحداث في الإسلام، الإقدام

حول فكرة تأحين القرآن

للككتور لينيا السعيد

- ٢ -

على أن الرأي في هذه القراءة انصب بين اللينين : فريق يؤيدها ، وفريق يعارضها ، ولكل وجهة هو مويلها وبضيق هنا المجال من ذكر ما يحتاج ، كل من الفريقين ، وهو كنه^(١) ، ولكنهما - لحسن حظ الحق - يجعان تماماً على وجوب الالتزام بقواعد الأداء والتجويد ، وتكبرها على الترخيص في هذا شديد .

وقد انتهى إلى قيم الجوزية ، في أمر التطريب والتخفيف بالقرآن ، بعد دراسة موفقة موفقة ، إلى حكم لا زوي بأساً به ، وهو « تحميمهما إذا اقتضت الطبيعة ، وصحفت بهما من غير تكلف ولا تعريض ولا تمل ، وأن اللغوس تقبل هذا ، ونصطبه ، وأن هذا هو الذي كان

(١) أوصنا هذا غصلا في كفايتنا : . لمع الصوت الأول للقرآن الكريم ، الذي صدر في رمضان ١٣٨٧ هـ ، و التفت بالقرآن ، الذي صدر في أواخر رمضان ١٣٩٠ هـ .

- ١ -

قراءة القرآن بالأحان القديمة ، وأول من فعلها عبيد الله بن أبي بكر ، مع الطبقة الثالثة من التابعين ، وكانت قراءته دقيقة الصوت ، ولكنها لم تكن على شيء من ألحان الفناء أو الحمداء ؛ وورث ذلك عنه حفيده عبيد الله بن عمر ابن عبد الله ، وأخذ ذلك منه قراء ذكرهم كتب التراث العربي ، وذكرت طرائقهم في إظهار ألحان الفناء والحمداء والرهابة في قراءة القرآن ، ولكن هؤلاء السابحين كانوا أصلاً من القراء الضابطون الحافظين ، وكانوا في الصميم مع المعروية ، وكانوا من علماء الشريعة ، وبالتالي من علماء العربية ومن أصحاب الفلز الدينية والعباسية ، فمثلاً : قال أولهم وهو عبيد الله بن أبي بكر : الله أمرنا إليه قبلاً متولياً قضاء البصرة ، وأوفده الحاج على الخليفة عبد الله فساه أن يولي الحاج خراسان وسجستان^(١) .

(١) انظر : ابن خلدون : الحارثي ٥٣٣ (بتطبيق ثروت مكاشة) و بن تيمية برده : النجوم الزاهرة ١٠٧٢ - ١٠٧٣ .

ولكن ، كما أن المصحف المكتوب
الحل بالذهب ، والجمل المخط لا يضاف إلى
حروفه ، فلو أن أكثر من خارج القرآن ..
فكذلك المصحف المأثور ، ينبغي أن لا يلحق
على أصواته أي صوت خارجي .

— ٣ —

وقد نظارت السنة النبوية
الصحيحة على تأكيد استحباب فهم
الصوت بالقرآن ، وفي كتابنا : « الجمع
الصوتي الأول للقرآن » ، طائفة موقفة من
الأحاديث القديمة في هذا الشأن ، وأخبار
صحيحة تؤيد أهل الصحابة والتابعين وتابعيهم
ساروا على هدى هذه السنة .

ولم نسمع البتة أن مسلماً أو غيره مسلم
طوال الأربعة عشر قرناً التي مضت على
نزول القرآن أحس الحاجة إلى خلط صوت
القرآن بصوت أي معزف . وقد بكى الطبيب
البصري ما مرجوحه . وهو يهودي . مع
قراءة أبي الخوخ ، فقبله : كيف يكتف
من كتاب الله ولا تصدق به ؟ قال : إنما
أبكاني العجب^(١) . وهو عجب كات ، وسبب
القرآن القدانية كافية لإثارة حتى عند هذا
اليهودي الكافر بالقرآن .

— ٤ —

يبد أن التصحح في من الحان

[١] الجاحظ : الحيوان ٤٥٠ ص ٩٩٢ .

المسلون يفسدونه ويستعمونه ، وهو الذي
يؤثر به السامع والثاني ؛ أما ما كان من ذلك
يعلم بأنواع الألحان البسيطة والمركبة ،
على إيقاعات مخصوصة ، وأوزان مخترعة ،
ولا يحصل إلا بالتعلم والتكلف ، فهذه
هي التي كرها السلف ، وأنكروا من
من قرأ بها^(٢) .

وهذا الرأي أو ما يقرب منه هو أيضاً
رأي جمهور علماء المسلمين ، فيما روى
أو قرر أمثال الماوردي ، وابن حجر
المسقلاني ، والقرطبي ، وعلى القاري ،
والتهانوي ، وساجني زاده .

ونحن نضيف مع مندنا في هذا المقام
أنه ما دام المختار عند فقهاء المسلمين أنه يحل
تلمية المصحف المكتوب بالذهب حلاً
مطلقاً للمرأة والرجل على السواء^(٣) .
وما دام المسلمون على مدى الزمان قد
أحبوا المصحف المكتوب أن يكون
جميل الخط ، تحبيبا في قراءته وتبديراً
لها ، فإن تجميل القراءة بالزيم الحسن
أمر صحيح جداً في القياس ، وسائغ جداً
في العقل .

[١] زاد المادح ١ : ١٣٧ ، ١٣٨ ط
الطبعة المصرية ١٣٧٩ .

[٢] الخط : عبد الروباب البكي ص ١ : النعم
وميد القم ص ١٣٢ .

وقد أوضحنا في كتابنا الحالف الذكر خطأ هذا الرأي، وأنه تروج له لدى بعض المستشرقين المسيحيين الذين يعززون في تكلفه ولمسبب كل المظاهر والسمائر الإحلامية إلى أصول مسيحية، مثل جون فاسكي الذي يقول: «يجب أن نستخدم القرآن وهو أسمى سلاح في الإسلام ضد الإحلام نفسه، لنقضى عليه تماماً، ويجب أن نرى هؤلاء الناس أن المسيح في القرآن ليس جديداً، وأن الجديد فيه ليس صحيحاً»^(١)، ومثله و. س. فلمون الذي يقول في حقه مماثل: «إن الإسلام تفك، وإن أحسن ما فيه مأخوذ من النصرانية، وصائر ما فيه أخذ من الوثنية كما هو، أو مع شيء من التبديل»^(٢)، ومثل جواتمهر الذي حاول أن يثبت أن اليهودية عاركت في تأسيس الفكر الإحلامي والذي لا يقول: «إن تبشير النبي العربي ليس إلا مزيجاً منتقياً من معارف وآراء دينية مرعيا إذ استقفاها بسبب اتصالها باليهود والمسيحيين» الخ^(٣)

الفناء في تلاوة القرآن أجمع بعض أعدائه مع غير الملحنين في الكيفية، فذكروا مكرماً، وطلبوا تلحينه «على الناي والمنت والارغن»، وكتبوا في جراءة ما من فمأذجه مقال^(٤) قال فيه صاحبه: «إن حق تلحين القرآن مقلوع»، «وإننا في حاجة فقط إلى فنان عرقى عظيم مثل باخ وهندل وعابدين لأمهم الدينية الرائعة والمعروفة بـ "Oratorio"» وأن خير موصي لتلحين القرآن هو موصي الكنيسة المصرية التي نجدها في القديس القبطي القديم، وأن الأذن الإحلامي (الحالي) فيه جزء واضح من هذا المقدم القبطي، وأن كثيراً ما يختلط الأمر على كاتب المقال فلا يميز بين صوت مرقى محموز (كذا) وصوت قسيس قبطي محموز (كذا أيضاً) من كنائس الصعيد، وأنه يقترح لتلحين القرآن «آلات موسيقية أساسية هي بصفة مبهمة الناي، المثلث والارغن»، وقال: «إنه لا يميل إلى إدخال العلية»، وقال: «إن القرآن سيمفونية ضخمة مع حركات كثيرة، وأقرب السيمفونيات إلى هذه السيمفونية الإلهية: السيمفونية الناجمة التي تنتهي إلى نفيد الفرح برده كل الناس».

[١] انظر: م. خلدوي و. ح. فروخ: التبشير والاستثمار في البلاد العربية ص ٤٠.

[٢] خلا من المرجع السابق.

[٣] أغلة: القليلة والتصرية (الترجمة العربية) ص ١١ - ٢٠.

[٤] نصر ل مجلة الأدب ح - مايو ١٩٥٦.

— ٥ —

والماق بعض الملحنين عدهم من وراء ذلك التسميع، فتعلموا في صداقة إلى تلحين القرآن موسيقياً، فلفهم مثلاً (١) بصوت «خمس سور من القرآن تم تلحينها» طافه: «أرسل وكيل وزارة التربية والتعليم إلى صالح أمين مفتش الموسيقى بالوزارة الذي بدأ في تلحين القرآن خطياً يقول فيه:

إن الوزارة تبارك للمروع، وإنها مستعدة لدفع تكاليف تكوين فرقة موسيقية لتسجيل الموعود التي تم تلحينها، وعرضها على هيئة كبار العلماء، ثم تقديمها للإذاعة، وقد أبدى عبد الوهاب حودة عضو لجنة الاصراع بالإذاعة إعجاباً بالسور التي تلحنه، بعد أن غناها على المود صالح أمين، وقد أم صالح أمين تلحين سور: هي: القدوس، والإنسان، والنور، والفرقان، والأضال، ويقوم الآن بكتابة «نوتها» للموسيقية، وسيسبق كل سورة مقدمة موسيقية تصور المناسبة التي نزلت فيها السور».

ومع أن وزارة التربية نفت فوراً في بلاغ

[١] انظر الأهرام ح ١٧ - ط ١٩٥٨.

وهي مباركتها للمروع، وإسهابها فيه، (وحرصها على أن يكون قهين، مكانة، والقرآن المجيد قداسة)، فإن غلبها واقع طبعاً عندما يخصصها هي، ولم يتجاوزها إلى الأمور الخطيرة الأخرى التي تضمنها الخبر. وكذلك نعم (١) (أن ذكر يا أحمد كان سبقه بمحاولة غنية لتلحين القرآن، وأن فكرته هي تصوير المعاني وضبط الأنغام في التريل، ولكن ذكر يا رحمه الله قرأ في منزله وهو يرجو في الإذاعة في الاعتقاد بأي قدر في تسجيل أحد المصاحف المرتلة بصوته، أن كل قصده هو أن يقرأ القرآن قراءة مبهمة عن المعاني إلى آخر ما أوطنه في كتاب الجلع الصوتي الأول) (٢).

وقد كاد المرحوم المطرب محمد فوزي صاحب مصنع الفرق للاسطوانات الذي كنت اتفقت معه على طبع المصحف المراتل قبل أن تتولى طبعه وزارة الأوقاف، فعرض على مرة أن يصحب التسجيل للقرآن في صوت كموت الصدى، وقال إن ذلك سيبيد القراءة تأميراً، فرددت في الحال بما دفعه للتسكرة الحاطة دفناً.

[١] انظر الأخبار ح ٢ أكتوبر ١٩٥٩.

[٢] ص ٢٤٣.

- ٦ -

وقد ذات أصحاب هذه الدعوة من المسلمين أن الله الإسلامي يقرر أن قراءة القرآن على الدف فضلا عن غيره من الممازف هو كفر.

وقالهم أن قراءة القرآن بالألحان الموسيقية تمس قداسته ، وتخلط صوته القدسي بأصوات الممازف ، وتخرج للقراءة مما يجب فيها وطمان خفيع ووقار ، وقد تصرف السامع عن تدبر المعاني والتأزجها إلى الاستمتاع بالموسيقى وأنغامها وإيقاعاتها وقد تقسم في القرآن حركات وتزج منه حركات ، فثلاثة عند القصور وتكسر الحدود ، بل قد تحدث حالا أصلا ، وهذا يقضى غالباً إلى تغيير المعاني ، أو على الأقل وقوع اللبس فيها ، ومثل هذا حقيق من الناحية الدينية أن يفسد حاله ويؤثر سامعه .

ثم ما جدوى قراءة القرآن على الممازف وهو - كما نوضح - أنه موسيقاه الذاتية الخاصة وليس مثل الكتب الدينية الأخرى التي تستعين بالموسيقى من الخارج ، لتظهر معانيها وتكمل نقصها ؟

- ٧ -

ويأخذ بعض هؤلاء المسلمين

الأمور أخذاً سطحياً ، ويريدون أن يقتبسوا لقرآن من الكنيسة استعمال الآلات الموسيقية ، فلمؤلاء يقول : إن الكنيسة المسيحية التي عرفت الإنشاء الموسيقي منذ تاريخها الأول والتي يتعدد فيها المرتلون ، وم : الأرشيديا كون أي رئيس الشمامسة الذي يساعده الكهنة في الخدمة ، ومنها إلقاء الترابيم ، والديا كون أو الشماس ، والأودييا كون وهو معاون ، والأفستس أو القارئ ، ومعه تلاوة الفصول الكنسية . . . الكنيسة وهذه أهمية الإنشاد الموسيقي فيها تقرر أنه (الذين يرتلون على المذبح لا يرتلون بلادة بل بحكمة) (١) .

ويقول أحد رجال الكنيسة المصرية : « ما زالت إلى اليوم موسيقى كنائس كنيسة منها القبطية واليونانية والامبرالية صوتية بحثة ، ولوقيتها على الآلات الوترية يعطي أداء هزيل مبتور ، لا يصور الحق تصويراً صحيحاً أو حقيقياً ، كما يصوره الصوت ، ووقيتها على الأرغن أو البيانو يعتزم إضافة الآراء في إليها وهي بطبيعتها لا تقبل شيئاً إضافة الأرغوني ، وإذا حاولنا ذلك فلا بد من

(١) كاترلا تويال : المجموع ص ١٢٤ .

- ٨ -

ثم إلى فقراته موصفاه الملمسة الواضحة كما قدمنا، فعباراته تصاير معانيه بإطلاق؛ هو مثلاً في التفرع والإنذار والتخويف ذو ألفاظ عديدة نابضة مزججة فإذا بقى ووعد، وهدأ، وألهمنا روح وربحنا. ومن أنواع البدائع البلاغية في القرآن ما يحرم حجة على أد موصفاه نابضة منه وليست مستحيلة إليه، وقد تناولنا في كتاب سابق^(١) بالإيضاح التفصيل مع تلك البدائع: الإنسجام، والتلاف القمط مع القمط، والتلاف المعنى، والإيهال، والتخويف، والتعديده، والمضارع، وحسن التمشق، والفسافة، والتجليس، والترديد، والتعطف، والتسميط، والمهاكة...

وكذلك أوصفاً في مجال إثبات الموسيقى الدائمة للقرآن أنه يكرر بنفسه الأنسجام بين ألفاظه وأصواته أيضاً، وذلك من طرق كثيرة منها:

(١) حذف باء المتقوس المرف نحو «السكبير للتحال»^(٢)، «فهم للفتاة»^(٣).

(١) الجلس المسوق الأول للقرآن، ك.م. ص ٣٣٤ و ٣٣٥.

(٢) سورة نوح ٩

(٣) سورة طه ٢٢

تزيين أوصافها، وهذا معناه القضاء على طعنة الكندي، والكلية اليونانية لا تستعمل آلات موسيقية قط، ولا حتى الحلق والثلث،^(١).

هذا مع بعد ما بين طبيعة النمل للقرآن التي هو القمة في البلاغة والمجاز ويقين وبين طبيعة الغراب السبحية التي هي من وضع أناس ناديين، والتي تحتاج فعلاً إلى وسائل تقويةها عند الإنفاذ.

وقد حلوا بين القرآن صراحة مع قراءة القرآن بلحون غير إسلامية فخرج التلاوة من أوضاعها التي نزلت بها، فقال صلوات الله وحلامه عليه: «أقرأوا القرآن بلحون العرب، وإياكم ولحون أهل الفسق والكبائر، فإنه سحبي» أفهام من بهي يرددون القرآن ترجيع الفناء والرهابية والنوح لا يحاول حناجرهم، فثبوتهم للرجوع وقلوبهم بسحبهم شأنهم»^(٢).

(١) واضبط: الألمان - مقال مجلة مدارس لأحد لربط ١٩٦٠ ص ٥٩ و ٦٠.

(٢) انظر: مذهب بن أبي: الموطأ - ص ١٠، القرطبي: الجوامع الأحكام القرآن - ص ٩٧، علي بن سلطان الفارسي: صفة المذبح شرح رشكة الصايغ - ص ٦٦٨، السيوطي: الإتقان - ص ١٠٩ و ١٠٧.

السخاوي: جمال لقراء ص ٦٨ - مخطوطة رقم ٢٩ بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

(ب) حذف الياء الإضافة نحو: «فكيف
كان عذابي ونفري»^(١). «فكيف كان
عقاب»^(٢).
(ج) المدح والثناء من صيغة الماضي إلى صيغة
الاستقبال نحو: «فترى كذا» و«ترى كذا»
تقولون»^(٣). والأصل: فنتم.

(ج) حذف ياء الفعل نحو المجرى ،
نهر : « والقبل إذا يسر » ، (ج) .
(ط) تغيير بنية الكلمة ، نحو :
« طور سونين » (٧) ، « الأمل : ميتا .

(د) زبادة خرف الله، نحو: «الخرفاء»
 الرصلا - الصبلا^(١) .
 وكذلك أو ضمنا أنه كثير في القرآن ختم
 الله أصل محمد وآله وآله وأهل بيته

(٥) اختيار أقرب المفسرين ، فهو :
 « قصة نبي » ^(٦) ، ولم يقل جارة ،
 وهو : « لينبذ في الحطمة » ^(٧) ، ولم يقل
 « جهنم » أو « النار » ، وفي سورة الدثر :
 « حاسبه سقر » ^(٨) ، وفي المارج :
 « إنها لتي » ^(٩) ، وفي سورة القارعة :
 « فأم حارورة » ^(١٠) .

— 4 —

(و) الاحتفاء من الأفراد بالتلبية ،
نحو: «فلا تخرجنا من الجنة فنفتق» (١٠).
(ز) إظهار بعض أوصاف للبالغة على
بعض ، نحو: «إني هذا لفي عجاب» (١١).
والخادقون والعلماء من القراء يعرفون
أن فقرات أغراضاً منها : التلبية والامر
والنهي والوعه والوعيد .
ووصف الجنة والنار ، والاحتجاج

(١) رقم: ١٦ و ١٨، ٢٠ و ٢١، ٢٨ و ٢٩

(۷) نام : (۷) رقم :

(٤) الأحراب : ٤٠ و ٦٦ و ٦٧ .

(٥) النعم : ٧٧ . (٦) الطه : ٤

10 291 (4) 77 291 (7)

• 1184 (10) • 9251 (9)

• 52 (11)

• الفقرة ٨٧ • (٢) التين : ٢ •

(٣) الإفتاء ج ٢ ص ١٠٥ ط. أمين خندية .
 و طار الحفاجي : سر النصيحة ص ١٦٦ ، ١٦٥
 و طار في ختم مقاطع الفواصل يعرف للذوالهجة
 و صي الفواصل صي الوقت : الزركشي : البرهان
 في علوم القرآن ج ١ ص ٦٨ - ٧٠ .

فيحذف مثلًا أصل الوقف والابتداء ، لأن
عدم الوقف لمكانه يؤدي إلى تغيير المعنى
تغييراً كبيراً ، ويدرس اللغة نحواً وصرفاً
وفصاحة وبلاغة وأدباً ، ويدرس القراءات
والنفسية والتلخيص والفقه والتأويل
والاجتماع وعلم النفس .

ذلك - على الحقيقة ، أحرى أن يبين
القارئ ، على حل آيات الله إلى أحسن التفوق
والإفهام ، وأحرى أن يديم عليه دونه
نشاطه القلبي ..

- ١٠ -

على الخائفين ، والد على اللعين والبيات
من الرقة والرهبة ، والخير والشر والحسن
والقبيح ، ومدح الأبرار وذم الفجار . الخ
ويعرفون أنه ليس طبيعياً ولا متبعياً
أن يقرأوا موضوعات هذه الأغراض كلها
بأسلوب واحد ، وإذا كان التنوع الظاهر
مناسباً مثلاً في آيات الاستغفار والتوبة
والاسترحام فهو غير مناسب في آيات
الإعذار والتحذير ، أو الحش على القتال
وم يعلمون أن الدين غير القدة ، وأن الأمر
والنهي غير الهدم والالتباس ، والخبر غير
الاستفهام ، والإقرار غير التعجب ، والوعيد
غير الوعيد ، وهكذا .

وم إذا يراعون هذا لا يحتاجون
بحال إلى مساعدة الموسيقى .

ومن هنا ، نرى أن الله نحتاجه فعلاً
والتي ينبغي أن نحول إليه المحورة وتلتمى
عنده الأبصار هو العناية بتفريق القارئ
العالم الضابط المحسن ، بحيث يكون قادراً
على القراءة المتدبرة التي تسير المصافي
ونستغرق النفوس ، ولا يكون من رجال
يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يرقون
من الهين كما يرق السهم من الرمية ، (١)

وليت المفلول من السلف بفكرة
تلحن القرآن وكتابة دوة ، على رجاء
خدمته ، لينهم يندون قلى هي أقوم ،
فبعددق معنا إلى الكف من اللبتحات
الصوتية التي تنافي جلال الكتاب العزيز
وتخرج عن قواعد أدائه ، وتناهي بطنه
من التحريف ، وتموق حسن فحه والتأويل
كالقراءة بالترديد ، وهو أن يردد القارئ
صوته كأنه يردد من ود أو ألم أصابه ،
وكانقراءة بالتطريب لفقد المعنى ، والله
يجرى على نحو من شأنه المحدث في غير
مواضع المد أو الزيادة فيه على ما لا ينبغي
وكانقراءة بالترقيس ، بحيث يروم القارئ

(١) نس المحدث من انس : ديمقرا هراذ رجال
لا يجاوز . . الخ ، ووه أبو يلى في مسنده .

السكت على الساكن ، ثم ينقر عنه مع الحركة في حشو وهروء ، أو كالقراءة بالعين والزاوة في الحروف أو المبالغة في الفتحة أو تخفيف الراء الساكنة ولو كان قبلها ماوجب توقيفها ، أو المبالغة في إخفاء الحروف أو ترك التجويد مطلقا . . . الخ

أما بعد : فالقول بأن القرآن محتاج إلى موسيقى تزيده تأثيرا هو أمّاظ كذبة على الحق الواضح والأسر السائن ، وهو بائقة وتكس فيها فائولها ، وهو عدوان على أغل أمانة أورنها الله الذين اصطفى من عباده .

والهم الله قومي فإتهم لا يظنون ؟

لييب السعير

(بقية المنعور عن ص ٧٢٨)

من شأنه عليهم ، وإسقاط جلاله ، ولقوا فيه ، والفتور : إحداث شوشرة وضوضاء تضعف من وقع تأثيره ولا جديد تحت الشمس .

فأني يستعمله للتقوى الجهد اليوم لتحريب مسكاة القرآن في نفوس العرب والمسلمين ، هو ما كان يصنعه أسلافهم من قبل ، ولكننا نقطع بأن الفعل الذي أصاب للعركين من قبلهم ، سببهم أيضا بذلك أخرى لهم وأعد خيبة ، وسبيل القرآن ملء النفوس والقلوب ، وملء الصدوات والأرض ، وملء الزمان وملء الأبد

وأخيرا (وليس بآخر) فإن القرآن كلام الله ، وكلامه تعالى صفة من صفات ذاته ، واعتقادنا الذي ندين الله عليه أنه كلام الله كخلاق الله ، فكأنه (لا تبديل لخلق الله) فكذلك (لا يبدل له لفظاته) ولا قيام لباطل إلا في خلق الحق ، ولكن لا تزال طائفة من هذه الأمة فاعين بالحق ظاهرين به ، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يقاتل آخرهم للدين الحق ، وحتى يأتي أمر الله ورم على ذلك ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وهو المستعان

عبد المليك مشهري

القرارات في نظر المستشرقين والمليحدين

للاستاذ عبد القادر القاضي

الحق فيها تناولته من مسائل . ونشرنا ذلك بين الجمهور . حتى لا يغتر بها البسطاء . وفور الأوهاء الذين يجرون وراء كل خادع ، ويسجدون خلف كل مجده ، ولو كان تجديده سرقة من الدين . وخروجا على إجماع المسلمين .

وقد ألقيت على هذه المقدمة نظرة خاصة صريحة ، وبأملها تأمل للنصف الذي يتلوه الحفظة أنى مجدها . ويبقى الصواب حيث يصل إليه ؛ فغير متعصب ولا متحامل يحمونى و ذلك الإخلاص لكتاب الله تعالى : ولقد همت أن أجوزته ، والرغبة الصادقة و بهي الخفائق ناصعة مضبوطة . وتقيتها من غبار الغيب الذى خلق بها . ففهموا حالها وأضعف عند غير المنصفين - من مكاتبها .

وقد تنبى لى - بعد البحث الجاهل ، والتمحيص الثريث - أن جوهري جرحى بحته فى القراءات قد حاد عن الحادة ، وتنسكب الصراط السوي ، وجابه الترفيق فى كل ما كتب ، ونورط فى أخطاء ما كاله لشبه

الحديث تعالى على ما أولانا من فضل ، ومنه سبحانه نستمد العروة ، ونستلهم الرشد ، ونعلم على سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله ، النبي المولى القرشى ، منبع كل خير ، ومصدر كل بر ، وعلى آله وصحبه ، وعن كل من رسم خطام الله يوم الدين .

وبعد : فقد أيسر لى أن أطلع على كتاب « مذهب التفسير الإسلامى » الذى ألفه للسشرق « اجنيس جره زجر » . وترجمه الدكتور على حسن عبد القادر . والمفتور له الدكتور عبد الحليم النجار .

فوجدت مقدمة الكتاب تتعلق بالقراءات ، قرأت أن أنقصها وأسن الثاويها .

ومن كانت مهتمة على حقائق علمية ثابتة عهدنا أزرها ، ومعلمنا جهة الطاقة على إذاعتها وترويجها ؛ لينتمع بها الدارسون هذا العلم الراغبون فى التزود من الثقات القرآنية .

وإن كانت متضمنة غير ذلك قدناها ، وغضنا ما فيها وكهفتنا زيفها . وأبنا

والوجوه المتعددة التي تواردت على النص
القرآني لا تنافس فيها ، ولا تعارض في
معانيها ، ولا تضارب في المراد منها ، بل
كلها يظهر بعضها بعضاً ، ويعلم بعضها
لبعض .

وإنك لو سبرت القراءات ، متواترها ،
ومشهورها ، وصحيها لوجدت أن
الاختلاف بينها لا يعدو نوعين :

الأول : أنه تختلف القراءات في اللفظ
وتتفق في المعنى ، ومن هذا النوع ما يرجع
إلى اختلاف اللفظ ، كقراءتي « إهدنا
الصراط » بالصاء والميم ، وقراءتي ..
« وبأسرود الناس بالبخل » .. بضم الباء
وسكون الطاء ، وفتح الباء والطاء .
وقراءتي « بحسب » بفتح الحاء وكسرهما .
وقراءتي « مرفقا » بالسكسك بفتح الميم
وفتح الحاء .. وبفتح الميم وكسر الحاء .

والحكمة في إيراد هذا النوع في القرآن
تيسر تلاوته على قوى اللفظ المختلفة .

ومن هذا النوع ما لا تختلف فيه اللفظ
وإنما هما وجهان ، أو هي وجوه تجري
في فصيح الكلام نحو : « نزل به الروح
الأمين » في القراءات بخفيف الراء من
نزل ورفع الحاء من الروح والنون من

وهو واسع الاطلاق كما يصفه مع ترجم
هـ - أن يترك فيها .

وهناك ما كتب في القراءات :

قال في صفحة : « فلا يوجد كتاب
تأليف اعترف به طائفة دبلية اعترافا
عقبا على أنه نص مثله موحى به يقدم
نصه في أقدم صورة - تداركه مثل هذه
الصورة من الاضطراب وعدم الثبات كما
نجد في نص القرآن » .

والتي يصينا من هذه الفقرة ما دلت
عليه من أن النص القرآني اعتراف من
الاضطراب وعدم الثبات ما لم يعتد نص
كتاب سماوي فيه .

ونقول هـ : إن النص القرآني لم يعتد
ومحال أن يعتد به - اضطراب أبداً - ولن
ينزل بساحته الحق أبداً ، لأن معنى
الاضطراب والقلق وعدم الثبات في النص
القرآني أن يقرأ على وجوه مختلفة ،
وصور متعددة ، ويكون بين هذه الصور
تناقض في المعنى وتعارض في المراد ،
وتضارب في الهدف ، ولا يعرف الموحى
به من هذه الصور مع غيره ، ولا الثبات
منها مع غير الثبات ، وهذا متناقض من
القرآن قطعا ، فإنه الروايات المختلفة ،

نكسوها لحاء في البقرة قرىء تنشزها
بالواي والمعنى: نضم بعضها إلى بعض حتى
تلتئم وتجتمع ، وقرىء براء والمعنى :
نحسبها بعد قوت الحساب - والمعنيان
مختلفان ولكنهما لا يتناقضان ولا يتباينان
بل يلتقيان ، لأن الله تعالى إذا أراد بهت
الخلائق ضم عظمهم بعضها إلى بعض حتى
تجتمع ثم يحبسها للجزاء .

ومحو . « إل للمتقين والمصدقات »
في سورة الحديد قرىء بتهديد الصاد
في الكتمان والأصل المتصدقين وللمصدقات
ثم قلبت التاء ساءاً وأدغمت في الصاد
بمدها والمعنى : الذين يخرجون صدقات
أموالهم سواء كانت مفروضة ، أو مندوبة .

وقرىء بتخفيف الصاد في الكلمتين ،
وللمعنى : الذين يذعنون للدين . وتعالى
نقومهم بالانقياد والامتثال لأحكامه
فالمعنيان مختلفان بيد أنهما يجتمعان
في العبد المؤمن المتصدق .

ونحو : « فأرسلنا العيثان » خباء في البقرة
قرىء بمحذف الألف بعد الزاي مع تعديده
لللام والمعنى أوفعهما في الالة أى الخطيئة ،
وقرىء بإثبات الألف بعد الواو مع تخفيفه

الأمين وبتعديده الزاي من نزل ، ونصب
الحاء من الروح ، والنون من الأمين .

ونحو « أو من ينقض في الحلية ،
في الزخرف قرىء بضم الياء وفتح النون
وتعديده للعين ، وقرىء بفتح الياء
وسكون النون وتخفيف العين ، ونحو
« لينقر من كان حيا . » في يس قرىء بناء
الخطاب ، وباء الغيبة ، ونحو .. « وقوم نوح
من قبل .. » في القاربات قرىء بنصبهم
وقوم وجرها ، وهذا النوع وارد على ستة
العرب مع صرف عنايتها إلى المعاني ،
ونظرها إلى الألفاظ حل أنها وسائل .
فلأ ترى بأساً في إيراد اللفظ حل وجهين
أو وجوه مادام المعنى الذي يقصد بالخطاب
مستقيماً ، وفي هذا توسعة حل القارئ
بعدم قصره في نطاق حرف واحد ولا سببا
إذا كان مجبوراً عليه أن يفهم السكينة من
القرآن ، ويحيد بها مع وجهها للامحور .

الثاني : أن تختلف القراءات في اللفظ
وللمعنى معاً مع صحة المعنيين كليهما .

فلا يذكران متناقضين ولا متعارضين
بل يمكن اجتماعهما في شيء واحد .
نحو : « وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم

وعلى الجدة فاختلفت القرارات إقامه
اختلاف تنوع وتمايز. لا اختلاف تعارض
وتضارب. فإن هذا لا يتصور أن يكون
في كلام المقلد من البشر فضلا عن أن
يكون في كلام رب العالمين. وإذا كان
الأمور كذلك استحال على النص قرآني أنه
يعتوره قلق. أو ينزل بساحته اضطراب،
ثم إن الروايات المعتمدة التي تنسبها للنص
القرآني قد ثبتت بطريق التواتر الذي
لا شك فيه، وقطع بنسبتها إلى مصورها
الأصل وهو الرسول ﷺ بتلقي الصحابة
لها مباشرة عنه ﷺ، ونقلها عن الصحابة
صحابة التابعين، ونقلها عن التابعين أتباعهم
وهكذا إلى أن وصلت إلينا. فلا مجال
إذاً لقلق النص واضطرابه.

وقال في صفحة ٥: «وله جميع العيوب
القديم لتاريخ الإسلام لم يجرز الميل إلى
التوجيه المقدي للنص إلا اتصالات
طفيفة».

وأقول: تفيد هذه الفقرة أن طائفة
من المسلمين كانت تميل إلى توجيه النص
القرآني.

ولكنهم ميلها إلى هذا التوجيه

اللام والمعنى نحاما وأبعدهما عن الجنة.
فالمعنى متفيران كآوى ولكنهما مجتمعان
فإن إقامتهما في الزفة اقتضى تنصتهما من
الجنة فهناك تلازم بين المعنيين. فالوقوف في
الزفة ملزوم، والتنعى هو الجنة لازم له.
وحكمة هذا النوع من الاختلاف أن
يكون الآية بمنزلة آيتيه وردتا لإفادة
المعنيين جميعا.

أما اختلاف القراءتين في اللفظ والمعنى
مع تضاد المعنيين، وتضارب المذهبين فلا
أمره في القرآن الكريم. ومحال أن
يكون فيه «ولو كان من عند غير الله
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا» قاله الإمام
ابن تيمية في معقل القرآن: «الاختلاف
نوعا». اختلاف لغويا، واختلاف تضاد
فاختلاف التضاد لا يجوز ولعل بواجده.
بحمد الله... في كتاب الله تعالى واختلاف
التضاد جائز. ثم ضرب لهذا النوع
من الاختلاف أمثلة عن الآيات. وورن
على جوازه بأن كلام المعنيين صحيح،
وأن كل قراءة بمنزلة آية مستقلة، ولا جرم
أن يكون هذا الاختلاف لنا من فنون
الإيجاز الذي يسلكه القرآن في إرهاده
وتعليقه انتهى.

لم يلقه إلا بتأييد شليل . وهذه دعوى لا دليل عليها .

بل هناك من الأدلة ما ينقضها ، ويأتى عليها من أساسها ، إذ لم يثبت أن أحداً ما من المسلمين جال بخاطره ، أو حدثته نفسه بتوحيد نصوص القرآن الكريم .

ولو وقع لقلنا لنوفر الهوامي على نفسه وأما ما قام به الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه من كتابة للمصاحف وإرسالها إلى الأمصار الإسلامية وحمل للناس على ما فيها ، فليس الباعث عليه الميل إلى توحيد نص القرآن . وإنما الحامل عليه الرغبة في جمع للمسلمين على القراءات النابتة من رسول الله ﷺ بطريق لتواتر ، دون ما مدها من القراءات التي نزلت أولاً لتيسر على الأمة ثم نمت بالعرضة الأخيرة وكان يقرؤها من لم يلفه نسخها ، ولقد كان خلق المصاحف من النقط والفصل

محققاً لرغبة الخليفة عثمان ومساعدته على جمع الناس على القراءات المتواترة ، دون للنسوخة والهاذة .

وليس أدل على ما قلناه أن هذه المصاحف التي كتبت بأمر الخليفة عثمان كان بينها اختلاف في مواضع كثيرة تبعاً لاختلاف القراءات في هذه المواضع كما هو مذكور في كتب القراءات ، وروى القرآن . فلو كان قصد عثمان توحيد نص القرآن لكتب للمصاحف بصورة واحدة . ولم يكن بينها اختلاف ما ، فكتابتها على هذه الصورة المختلفة . والكيفيات المتعددة دليل واضح على أن عثمان لم يعمد إلى توحيد النص . وإنما عمد إلى حمل الناس على ما ثبت من القراءات بطريق التواتر دون ما لم يكن كذلك ؟

عبد الفتاح الفاضل

الأسلوب المبراني

بين الجزالة والرقّة

أ. الدكتور محمد رجب اليسوي

بينهما - يريد الفرزدق وجبر - ويغنى
الأخطل لأنه لم يلحق فأوحا في الشعر ،
ولأنه مثل ما لحا مع فنونه وما في ذلك
طبقتان ، أما مع ميل إلى جزالة الشعر
ونخامته وهذه أسره فبقدم الفرزدق ،
وأما مع ميل إلى أشعار المطبوعين وإلى
الكلام السجع السهل الغزل فبقدم جبر ،

هذا رأي قديماء أهل العلم والرواية
- كما نقله صاحب الأغانى - فلهذا أفرهوا
الفرزدق بالجزالة ثمخامة الشعر وهذه أسره
فأوحوا إلى الأذهان أن الجزالة لن تكون
إلا مع النخامة والجلطة والغزابة لأن
هذه أوصاف الكثرة الكاثرة من شعر
الفرزدق ، كما فرهوا أن السهولة ذات
السماحة والبصر تقف مع الجزالة موقفا
مقابلا كوقوف الفرزدق من جبر في أدبهم
أيضا ، معنى الرأي هل ذلك في التنازع
الأدبي فصار الشعراء ما بين رقيق وحزلي

لا يوجد لدينا معجم تاريخي يبين تطور
الكلمات هل سر الزمن لتعرف متى انتقلت
كلمة الجزالة ، مثلا مع معناها الغسوى
إلى معناها النقدي ، بالافى ، لأن ذلك
يعيننا على التحديد الدقيق والإيضاح
الكاف ، وإن كنا نعرف أن المثلول
الأول السكينة يعطى معنى القوة والكثرة
الحطب الجزل لغة هو القوى المورد الذي
تصير النار بعض الوقت هل انتهاءه ، ثم قيل
- على سبيل المجاز - رجل جزل إذا كان
ذا عقل قوى ، وشعر جزل إذا تماسك
وقوى أسره ، وإذن في الجزالة قوة
تقابل الرقة .

ولعل مما يؤكد ذلك أن رجال النقد
الأدبي قد استعملوا الجزالة بأدب أسرها
النقدى في الموازنة بين الفرزدق وجبر ،
وقد نقل عنهم أبو البرج الأسبغاني فقال :
« فأما قديماء أهل العلم والرواية فلم يسووا

أو يهجو - في بعض لحظات صفائه -
إلى الغزل الصادق غير المصنوع ، وكذلك
نرى جريراً يضطر كثيراً إلى المزورة
والجلجلة حين يهجو ويناقض ، فكأن
الموقف الفعري هو الذي يطبع الشاعر
بطابعه ، ذلك كان من السير أي تجه
هامراً جزلاً دائماً وآخر رقيقاً دائماً .

وأولى من تحدثت مع الجزالة والرقعة
ابن الأثير فقد تعرض في المثل السابق إلى
تفصيل أوضح ، فقال فيما قال : « والألفاظ
تنقسم في الاستعمال إلى جزلة ورقيقة ،
ولكل منهما موضع يحسن استعماله فيه ،
فالجزل منها يستعمل في مواقف الحروب
وفي قوارع التهديد والتخريف وأشياء
ذلك ، وأما الرقيق منها فإنه يستعمل
في وصف الأشياء وإن و ذكر أيام البعاد ،
وفي احتجاب المردان ، وملاذات
الاستمطاف وأشياء ذلك ، ولست أمتنى
بالجزل من الألفاظ أن يكون وحدها
متوعداً عليه عنجية الدواة بل أمتنى
بالجزل أن يكون متيناً على جذوته في القم
ولذا ذته في السمع وكذلك لست أمتنى بالرقيق
أن يكون ركيكاً سفسفا وإنما هو الطيف
الرقيق الخاشية للنام للمس كقول أبي تمام :

والضح ذلك غالباً في أمر كل هامرين
متعاصرين تتنازع عليهما الناس . وابن رشيق
مثلاً يقول في المدة من أنى تـ م والبحرى :
« فأما حبيب - يريد أبا تمام - فيذهت
إلى حزونة القم وما يملأ الأسماع منه مع
التنصع المحكم طوما أو كرها يأتى للأشياء
من بعد ، وبطلها بكلفة وبأخذها بقوة
وأما البحري فكان أملح صنعة وأحسن
مذهباً في الكلام يسلك منه دمانه ومهولة
ومع إتمام الصنعة وقرب المأخذ لا يظهر
عليه كلفة ولا مدقة » ، وابن رهيبي
وإن لم يذكر الجزالة والرقعة بأسميهما فقد
هبر عنهما بدلالتهما حين جعل أبا تمام
يفهم الحزونة وما يملأ الأسماع والبحري
يسلك مسلك الدمانه والسهولة وقرب المأخذ
وهل الجزالة ورقعة غير هذين ؟

وموضع النظر في ذلك كله أن هؤلاء
النفاد أزموا كل شاعر يسلك خاص
لا يتعداه حين قسروا أفراداً منهم على
الجزالة وآخرين على الرقعة ، مع أنهما
يختلفان باختلاف الأغراض الشعرية ،
إذ أن مثل الفرزدق له أن يجزل ويصلب
حين يهجو ويمدح ويغفر ، وليس له
أن يتكاف ذلك حين يرثى من أحمق قلبه

إله القوة والاسم فلا تفرغوا من الصلابة
والتماسك بحيث تنحو به منحى الجزالة
وإذا انحدر تمبيره الأدبي سلماً طبعاً فلا تفرغوا
مهامره من القدوة والبسر بحيث تنحو
به منحى الرقة ! وإذا كانت الطبيعة البشرية
لا تلتف في تيارها العمودي هذه اتجاه
معه لا تنصدها بحيث يبقى الصلب صلباً
أبد الدهر كما يصير المثل مملاً طوال
حياته، لما في اختلاف هذه الظاهر والباطن
يحث على العاصر أن ينوع بين الجزالة
والرفة وفق ما تنقسم به مهامره من التعامل
أو هدوءه وشمخ أو انضاعه، هذا إذا رجع
الظاهر إلى نفسه واستقى من ينفرحها كما
ينفرض في جيشائه وهبوطه معاً، أما إذا
تعمل وتكلف واصطنع الجزالة والرفة
هو أن ينقل من خاطر صايق فهو إذا
صانع ينظم لا شاعر يعبر، ومثل ذلك
ما قاله ابن عاتق الأندلسي في الغزل :

أصاحت فقات وقع أجرد خيطم
وشامت فقات لمع أبيض مخدوم
وما ففرت إلا الجرس حليها
ولا ومقت إلا برح في مخدوم
إذا يصف حسنة شرقيته وقد سمعت
ضجة هائلة ففزعت ورأت وميضاً صاطعاً

نامت الأطراف لو أنها تلبس
أغنت عن المساء الزقاق
وإذا فصاحب للتل العائر قد اهتدى
إلى حقيقتين هامتين أولاهما : أن الجزالة
والرفة تنبعان الأغراض الشعرية وفق
طبيعة الموضوع ومنهجه .

وثانيتها : أن الجزالة ليست هي الغرابة
والتموج ولا تمنع القدوة والهاذلة كما أن
الرفة يجب أن تبعد عن الرقة والإسفاف
فلا يحيط الشعر إلى شيء منهما ! وقدره
بذلك على من غن أن حشد المفردات
المجملجة جزالة ملاً للقم، وهي من الجزالة
بعيد بعيد ، كما انجبه في استغلاف إلى
أن الرقة قد توجسه مع الأمر وضاعة
النسج !

ولعل التفسير النفسي لإنتاج الأدبي ،
يكشف الخطأ بجلاء عما حاول القصاص من
النقاد أن يقولوه بدءاً أو تمقيماً ، إذا لم
الأدب حين يسجل مهامره بعبر من طبيعة
متأصلة في نفسه، والألفاظ ليست إلا رموزاً
لما يجيش في الخاطر من طبع ، وإذا كان
الناس يختلفون عتفاً وحقاً ، وقوة ورقة
فبكل إنسان يحس مع الخواطر والعماني
وفق ما يتألف مع طبيعته ومنهجه فإذا لجأ

وتعذلي أفناء سعد عليهم
وما قلت إلا بالي قلت سعد
هو قوله جزل بلا شك وليس فيه لفظ
غريب لأن القوة قد انهدرت منه ،
ولم ين الأثر - من قال : مات أمتي
بالجزل من الألفاظ أن يكون وحدها
متوحدا عليه من جهة البداهة بل أمتي
بالجزل أن يكون مذبنا مع مذوقته فلفظ
وقادته في الجمع له لعله كان يرى الجزالة
قوة مذبوبة تنقل من صيغة صادقة
مناسكة لمعنى قوى مناسك وإذ جاءت
الألفاظ مع حلة إذ أن مناسك لمعنى
وترابط النظم قد أحدث كلاما من
القوة والتمكن مالا يحدثه اللفظ
الغريب ، واللفظ الغريب ، لا يحدث قوة
إطلاقا إلا إذا صادف مكانه الصادق من
التعريف وإلا فهو حبر تظيل في طريق
القارئ يرهقه ويضنيه .

أنلح ابن الأثير إذق في حديثه من
الجزالة والرفة ، وبخاصة حين أشار إلى
أن من الجزالة ما يعذب ويقل .
لأن المذبوبة والمذابة هما بعض صفات
الرفة دون نزاع ، ولهذا التداخل المتصل
فركايب اليلبع الأستاذ أحمد حسن الزيات

نقلت ، فزمت إذ زحمت الضجة وفتح
حوافر قبرس قوى ساج ، وغالت
إذ توحمت الضوء لمع حمام يتر وكأني
بطلا فوق الجمال يحصل سيفاً يوشك
أن يهوى به عليها ، وما هذه الضجة
في الحقيقة - كالنقطة الفار - إلا صوت
حليم افوق صدرها وبين مصعبها وما هذا
الضوء إلا وميض الخيال والقرط تمزج
بهما ، إذ للمعنى تانق ذهن لا تنضج به
تجربة ، وإن الصياغة قد كدوت هذا
التانق وباعدت كشها بينه وبين النفس
فما يتقدمه لاريه بارتياح ، وقد حسب
ابن هاني أنه يستعمل كلمات الأجسرة
والعظيم والأبيض الخدم والبري في خدم
قدملك منلك الجزالة الفضة ، وهو
فهم حاس لا أدبي ، لأن الجزالة ليست خرافة
اللفظ محال ، فقد يكون الأسلوب بعيداً
من الغريب ، وهو جزلة مناسك جاءت
جزالته من مناسك كلمات وترابطها ترابطاً
صادقاً حين تعبر عن معنى مترابط مناسك
فتنقل عنه في قوة متمكنة بحيث يحاكي
تمكن الأسلوب لقوله تمكن الخاطر
للمصري ، فقوله الخطيئة مثلاً .

أدلو عليهم لا أبا لأيسكم
من الأرم أو سواها الفراع التي سدوا

وجه الله من سرد هذه الأوصاف النقدية إلى أوصاف غيرها تكون أكثر ضبطاً وتحميداً حيث قال في كتابه الأسيل (دفاع عن البلاغة).

«تقرأ في كتب النقد والبلاغة فتجد من صفحة إلى صفحة سلاسل من الوصف الجزاف تتلاحق على الكلام البليغ فلا تحده ولا توضحه ، ذلك لأن أكثرها من الألفاظ التي أشاعها الكتاب في الناس من غير تقييد ولا تحديده فظلت مما يهاجها ، ودلالاتها هائلة من ذلك قولهم : الجزالة والسهرية والمذوبة والرفة والنفقة والخفة والقسوة والسلاسة والرماسة والنصاعة والوضوح والصدق والطلاوة والحلاوة والمباينة والمنعمة والسبك والجلبك والسمو والفرق والجلال إلى آخر هذه السمات المتداخلة التي لا تدل على حد أو لا تدل على مزية ، وللاستاذ الربيات رحمه الله عليه حين يرى الكتاب يملأ من الصفحات بأوصاف متداخلة فوق تحديدها فيحيل إلى ألفاظ نقدية أخرى حصرها في الأصالة والوجازة والتلاؤم ، ولكن لفظة لم تحمل بعد ، لأن التلاؤم معنى إجمالي سيفهمه نقد غير الربيات بألفاظ لا يخرج من مضمون السلاسة والقسوة والجزالة

والرفقة فيعود ثانية إلى هذا التداخل الذي فر منه الأستاذ وأنا أرى أن نقد الجليد يستطوع أن يضع اللفظ النقدي موضع الصحيح وله يضره أن يستعمل لفظي الجزالة والرفقة إذا تحقق ما نفهم أن إليه من سمات ، فلنطبق عليهما غير ناسين ما أكرم ابن الأثير .

هذه مقدمة لا بد منها لدراسة الجزالة والرفقة في الأسلوب القرآني ومنها نعرف أن الجزالة جزالة موضوع لا جزالة كلمة أو بيت أو آية ، فالدليل يفتون عنه الكلمة وحسبها في النص الأدبي أو يتجاوزونها إلى البيت الواحد أو الآية للفرقة بين العيون السباتي براء ، وكذلك الرفقة لا تكون في لفظة منقطعة من سياقها ، كما نعرف أن التماسك لأسر لا يكون بقوة الألفاظ وحدها بل بما تعبر عنه من مواقف قوية تتطلب التلاؤم بين اللفظ والمعنى أو بين الشكل والمضمون ، كما يقال في هذه الأيام ، ويفتضئ ذلك أن يكون الأديب صادقا كل الصدق في ظن الضوابط شديد العمور ببقية الأديبة التي لا نجد زركفة اللفظ وريئة مسحة ظاهرة لاصلة لها بالتبع الحقيقى الذي يجيش في أعماق

فيها صرعى كأنهم أهباز نخل خاوية قبل
توى لهم من هلية ، وجاء فرعون ومن قبله
والمؤتفكات بالخطئة ، فقصوا رسوله ربه
لأخلم أخذه رابية ، إنا لما طغى الماء
حنناكم في العجارية ، لتجعلها لكم تذكرة
وتعيا أذن واهية ، فإذا نفخ في الصور
نطفة واحدة ، وحلت الأرض والجبال
فدكتا دكة واحدة ، فيومئذ وقعت الواقعة
وانفقت السماء وهي يومئذ واهية ، وللا
على أرجائها ويحلى عرش ربك فوقهم
يومئذ ثمانية ، يومئذ أمرضون لا تخفى منكم
خافية ، فأما من أوتى كتابه يمينه فيقول
هاؤم اقرءوا كتابيه ، إني ظننت أنى ملاق
حسابيه فهو في عيشة راضية في جنة عالية
ظظرفها دانية ، كانوا واشربوا هنيئاً بما
أسلفتم في الأيام الخالية ، وأما من أوتى
كتابيه بشماله فيقول : يا ليتني لم أوتى كتابيه
ولم أدر ما حسابيه ، ياليتها كانت القاضية
ما أغنى عنى ماليه ، علك عنى سلطانيه
خنوء فنلوه ثم الجعيم صلوه ثم في سلسلة
ذرهما سيمون فراقا فأسلكوه ، إنه كان
لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام
المسكين ، فليس له اليوم هاهنا حميم ، ولا طعام
إلا من غلبي لا يأكله إلا الضاللون .

النفس ، إذ أن رسالة البيان الأولى هي
إظهار ما بالنفس من الحقائق إظهاراً واضحاً
الخيال الكاشف والنظم للوحى ، والجزم
المعبر ، فإذا جاء ذلك كله بمبداً عن الخلق
القائصة أو مقنما يستأثر زائفة من حجب
للصنعة فلا أداء ولا بيان .

وما دامت الجزالة والرفقة كلتاهما ترجعان
إلى الموضوع ، فإن الاستعهاد عليهما
من آيات القرآن الكريم لا يتم إلا بعرض
نص كامل يرسم موقفاً تاماً تتضح به سمات
الجزالة إذا اتسق إليها القول أو صفات
الرفقة إذا اتسم بها النص ، وفي القاعد
الواحد لسكل من الناحيتين ما يهبط
الأنموذج الكاشف للنظار والأشياء ،
وإحال الفارى قد اشتاق إلى التطبيق
بعد أن طال به اللطاف حول التعريفات
والحسود .

ولنبداً بالجزالة فنختار لها هذه الآيات
الرائقة من كتاب الله ، قال تعالى :

« الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة
كذبت نوره وماه بالفرصة فأما نوره
فأهلكوا بالطافية ، وأما ما فأهلكوا
يرج صرصر مائية ، صغرنا عليهم سبع
ليال ، وثمانية أيام حموما ، فترى القوم

وتأمل هذه الآيات نجد أن المشهدين
الذين يتكفل بعرضها هذا النص
الكريم من أقدم المعاهد الإنسانية
روعة وإدهاشاً وأخذاً بالألباب والأحاسيس
معهد الماضي وقد عرفت أخاره من قراءة
التاريخ ورواية الأخبار واستطلاع الآثار ،
ومشهد الآتي وقد جاءت به النور
في الكتب المنزلة من توراتنا ونجمل وقرآني
وحماهما يتفاهان دعة وقوة وأخذاً
بالنفوس والألباب وإن كان مشهد القيامة
من الروعة والإدهاش بحيث لا تناس به
مصارح المكذبتين من ماه ونمود وآل
فرعون والمؤتمكات هذه القوة العانية
في الموضوع تتطلب مثيلتها في العرض
فكرة وتصويراً ونسجاً ، بحيث تكون
عناصر الأصوب وحدة متلائمة اللون
والمنحى والإيقاع متجهة إلى إبراز هذه
هذه الصلاة الحية في معرض آخذ من
عارض البيال الصلب القوي ١ فن ناحية
انقبط تأني كلمات الخافة والقارعة والأخذة
والقراية والطافية وتخرج الصرصر العانية
والدكة الهائلة والنفخة الواحدة والسماء
المنفكة الواحية ذات جرس يأخذ متفاد
الأصباح ويأتي تكرار بعضها في أساليب

من الاستفهام ذي التهويل والتخويف
والجر ثم من الخبر ذي التبريع
والتهديد والتهذيب والترهيب ، كما تقرر
القواصل قصراً يجمعها ترن في السمع ونبينا
لا يقطع طوله العبارة بل يطلع على الأذن
إلحاحاً بهذه الخاصة ذات الوزن الربيب .
وذلك - كما نرى - يستمع جزلة الأسرة
من طبيعة الموقف المعبر عنه ، وهو موقف
تتمه فيه الشاهد المنفرعة للتداعية النهائية
فقوم يهلكون بالطافية ، وقوم يهلكون
بريح صرصر مائية ، وقوم يؤخذون أخذة
واحية ١ كم يحمل اتحاد القواصل في هذا
العرض المهدد من أدوات الترويع ما يكاد
يخلع القلوب الجاحدة والعقول المنكرة ،
ليكون منه تذكرة تقيها الأذن الواحية ١
فاذا انتقل الحديث من الماضي إلى المستقبل
لأنه يفتتح بما يفوق الرجفات السابقة
هولاً ، إذ ينفخ في الصور نفخة واحدة
فتطير الأرض والجبال طيراً ما يعبر عنه هذا
التصوير الأخذ لينفجر ذلك كله عن مشهد
الحجاب والعرض ، تنطق به القواصل
التقريبية ذات قلب المتقارب ، فتوفد في
العمود ما يليه وبزكبه ، وهذا من ناحية
اللفظ ، أما من ناحية المعاهد التصويرية

الراغب بمفاهيمه الموحية ليعرض فرعون
ولقائهم وقد أخذتهم أخفة رابية ،
إذ التفت القوم أنفاسهم بعض الشيء
وأنسوا لقول الله : « إنا لما طغى الماء
حملناكم في الجارية لنجعلها لكم تذكرا
وتصموا أفنى واحدة » فاجأهم الكاوت
الكارب بالحديث عن المستقبل يوم المرض ،
عسموا الصور ينفع نفخة واحدة ورأوا
الجلال بأرضها تحمل طائفة إلى حيث
لا يملكون والسماء تنفق ليظهر على أوجانها
ملائكة الله يحملون عرفه ، فلا أرض
ولا معاد ولا جبال يمكن أن يتفرج بها
مقترحين يعرض القوم ولا تقي منهم
خافية ثم ينفرج الموقف عن جماعتين ترف
إحداها الكتب باليمين فيصيح صائحها
مستبشرا « هاؤم المرعوا كتابيه » وكأنه
لم يكن يصدق بالنجاة فيقول متعجبا « إني
فنت أنى ملاق حسايه » أما الثانية فتؤتى
كتبها بالشمال فيصيح صائحها صارخا
مولولا « باليتنى لم أوت كتابيه ولم أدر
ما حسايه ، إنيها كانت للقاضية ما أفنى عنى
ماله ، هلك فى سلطانيه » .

محمد رجب البيومي

فأنت لا تستطيع حصرها حين تختلف
على مينك في سرعة وامضة وكأنك تجاه
شريط ينقل لك قصة الحياة متخطيا حدود
الأبد إلى ما بعد الحياة من مواقف المرض
والحساب !

ومع هذا الالتفاله المناجى من الدنيا
إلى الآخرة فإن الجو هو الجو ، واللون
هو اللون ، ومهما اختلفت هذه الترويع
بدا وغاية فإن هذا الاختلاف بين مفاهيم
النعمة والحياة ومفاهيم الحساب في الآخرة
لا يضائل شيئا من وقته الآخرة على العصور
الإنسانى ، لأن أحوال هذه المفاهيم يحمل
من العنف والترويع ما يصف بالرواسخ
من ضم الحبال ، ها أنت ذا تقبأ بالخافة
حتى إذا علت خبرها وجدت عمود نهك
بالطافية وعاداً بالبحر المرمى المانية !
تظلم صبح لبال ونعانية أيام حسوما فتترك
القوم صرعى كأنهم أمجاز تظلم غاوية !
إن العربي يسهل الروح المرمى مرمامة واحدة
فلا يأمن من نفسه لحظة ما يقتظر من الموت
فسكريف يسهده التي امتدت صبح لبال
ونعانية أدم ١١ ويتوالى التشریط لتسريع

بنو إسرائيل في القرآن الكريم

للدكتور إبراهيم أنيس

يقول الله سبحانه وتعالى لبيبه الكريم حين علق عليه أمر الكافرين في أوائل الهجرة الإسلامية: «وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك» ويقول: «لقد كان في قصصهم عبرة لأولئك» وبذلك «انقص القصص» لعلمهم بتفكيرهم.

وتتكرر الإشارة في السور المكية بصفة خاصة إلى ذكر المآثر السابقة، وحديثهم مع الذين أرسلوا إليهم من أنبياء صالحين، يذهبون إلى المروج، وينهون عن المنكر.

وأيضا اختارته لاستمع لما يوحى، وعكس ما جاءه الوحي، وكانت الرسالة، ودعا به إلى تخليص بني إسرائيل، قومه وآله وعشيرته، مع ظلم فرعون وطفيلاته.

ثم في آيات وينات من هذه السورة نقص علينا الكتاب الكريم ما كان من قصص موسى لفرعون، ولعمرة الله لموسى على المعرة، وما كان بعد ذلك من هجرة بني إسرائيل، وغرق فرعون، ونختم هذه الآيات الكريمة بقوله تعالى لنينا محمد ﷺ: «كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق».

في سورة طه التي زلت بمكة المكرمة جاء ذكر موسى عليه السلام وليداً ورضيعاً، رده الله إليه أمه كي ترضعها ولا تحزن، ثم لما كان في طريق هجرته إلى قومه من أرض مدين باضجاً. ظاهر القلب والنفس، فأبصر النبي الإلهي.

و«نودي يا موسى إني أنا ربك فاحج فضلك إليك بالواد للقدس طوي» وفي سورة الأعراف وهي مكية أيضاً نقص علينا القرآن الكريم قصص الأنبياء الذين جاءوا قبل موسى، ويختتم الحديث عنهم بقوله سبحانه: «تلك القرى نقص عليك من أنبائها».

ثم في قصص بني يحيى ذكر موسى عليه السلام، وما كان بينه وبين فرعون وحلاك فرعون وجنوده في اليم. وتزوج هبة

سوراهم ، فنفخنا لهم ، وذلك ما قرره
القرآن الكريم
« ومن قوم موسى أمة يهدون بالبحر
وبه يمدون » .

هؤلاء هم بنو إسرائيل الذين حدثنا
القرآن الكريم عنهم جديدا مفصلا
في سورتي طه والأعراف من السورة السكية
أيام الدعوة الإسلامية بمكة فقد بينت
هذه الآيات السكية أن بني إسرائيل كانوا
أهل وحداية ، وكانوا مستضعفين في الأرض
فجاء الله بنعمه ، وأنزل عليهم التوراة .
وخلصهم من الظلم والظفيا ، فهم أهل
موسى كلم الله ، وم قوم وعديته ،
وهو نجي الله ، وهو الذي الطاهر الحريص
على هدى قومه وصلاحهم ، وفلاحهم
في الدنيا والآخرة .

وقد أهدانا القرآن الكريم إلى قوم
موسى في السور السكية وحدها أكثر
من عشرين مرة ، دعاهم فيها بني إسرائيل
وإسرائيل لقب ليعقوب عليه السلام ،
ونحن به نتأمل في هذه الآيات البينات
- والله أعلم بمراده - بنعمة المطف عليهم
والثناء لحاظهم ، وأنهم كانوا أهلا للعفو
والغفرة ، حتى زلوا وصلوا ، ثم تابوا .

للمجزة الرائلة بقوله تعالى : « وأورثنا
القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق
الأرض ومغاربها التي باركنا فيها ، ونمت
كلية ربك الحسن على بني إسرائيل
بما صبروا » .

وتفص علينا باقي الآيات ما كان حين
أصبح موسى وقومه في صحراء التيه .
وحين أنهم سبعا على هؤلاء المستضعفين
في الأرض فأظلم بالظلم والجور البياض
وأُنزل عليهم الم والماء ، ووزقهم
من طيات الأرض ، فلما صعد موسى
الجليل ، وكله ربه ، ومادومعه الألواح
فيها فريضة بني إسرائيل ، وفيها من كل
شيء موعظة ، وحسد قومه قد ضلوا من
بعده سواء السبيل ، لكنهم تابوا بعد
ما تبين لهم الهدى ، والوا : « لأن لم يرحنا
ربنا ونفقر لنا لنكون من الخاسرين » .
وعلى شأن بني إسرائيل على عهد موسى
بن جيسد وإيمان بتعاليم التوراة
يستمكنون بها ، ويعيقون في كتبها
واديهم سالي

وابتلاء ربه لهم أحياء من حياتهم
فأنصرفوا عن الطريق المستقيم ويطروا
بنعم الله عليهم ، ولكنهم كل ذكروا
بنفسه عليهم فأمر إلى ردهم وادفوا إلى

في حصونهم أيما ، بعد ما سمح لهم بالجلاد
أيضا من المدينة ، فرحلوا إلى خيبر ولكنهم
ظلوا هناك مددوا على المسلمين .

وهكذا نرى أنه صلى الله عليه وسلم
كان في هاتين التجربتين محمدا كريما مع
هؤلاء المنافقين الخائنين ، الذين لا يروون
إلا ولا ذمة .

أما الطريق الثالث من هؤلاء القوم
فهم بنو قريظة ، وكانوا أشد قسورا
وأقسى قسرا ، ألوا القبائل على المسلمين ،
وأثاروا حارث بن عوف في تاريخ الغزوات بغزوة
الأحزاب التي حان فيها المسلمون بلاد مدية
والتي وصفت فيها حال المسلمين بقوله تعالى :
« إذ جاءوك من فوقكم ومن أسفل
منكم وإذ زاغت الأبصار ، وبلفت
القلوب الحاسرة » .

في هذه المرة لم يشغلهم الرسول ، وترك
حند المسلمين فيقتلون الرجال ، ويسبون
النساء والأطفال ، وكان ذلك في العام
الخامس من الهجرة ولم يكن فيهم من يلقى
هذا ما كان حتى نزل عليه السلام أن القوم
الذين أحلام يستمعدون قوام في خيبر ،
نزع إليهم ، وحاصروهم وعزمهم ، ومع هذا
فمنع الله يدعوا المحزنة من يدهم صاغرون .

هذا هو موقف القرآن الكريم من
بنو إسرائيل في آيات المسكية ، أما في القصة
التي حاجر النبي إليها وجد فيها قوما كانوا
يزعمون أنهم أهل الثوراة ، فاستبعر
بإيمانهم ، وظن أنهم سيكفرون حلفاء
بعضهم المسلمين ، إذ يجمعهم وإياهم دين
شماوي ، أو عقيدة لوحادية ، ففقه معهم
حكما يفتي بحرية العبادة وأن لهم
ما للمسلمين من حقوق ، ولكنه لم يلبث
أن تبين كيدهم وخديعتهم ، فقد أخفوا
يفككون له دعوتهم ، ويخرون من
مع تلاميذ الإسلام .

ثم حدث أن قريضا منهم يدعون :
(بنو قينقاع) حاولوا النيل من نصر
الذين في غزوة بدر ، وهاجروا النبي
بهذا ، حاصروا المسلمين في ديارهم وأوقعوا
في قلوبهم الرعب ، وقنع عليه السلام
بجلائهم وطردهم من جزيرة العرب .

أما الطريق الثاني من هؤلاء القوم فكانوا
يدعون (بنو النضير) وكانوا يمثلون
في المدينة ما يقبضه الطائفة الخامسة في العصر
الحديث ، فقد هاجروا النبي أيضا ، وكثروا
بعده ، وقاسموا على قتله ، فلما أوحى الله
إليه أن القوم يأخرون به ليفسده حاسروا

الله وكفرتهم به وفهد هاهه من بني إسرائيل على مثله غآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظآله .

فيعمرها بعض النقات من القدماء بقوله : « إن قدهاه هو موسى ، وقدهاته هو ما في للتوراة من بعث محمد ﷺ . وإيمانه أمديته ذلك »

وهكذا لم تلقب العمور المدينة ببني إسرائيل قوما آذوا الرسول في المدينة وخافوا عهده ، وقآصروا على قده .

ولما بنس ﷺ من هؤلاء القوم بالمدينة وضاق بهم ذرعا كشف الله سبحانه في آياته دينات من حقيقة أسرم ، وبين لنا أنهم لا يتسمون بصفت أصحاب الديانات السماوية ، ولا ينتمون إلى قوم . ومن ولا إلى بني إسرائيل ، وإتمام اليهود ، فلقبهم بهذا القلقب الكريه الغرض في تآني آيات من العمور المدنية ؟ ذلك القلقب القبي لم يرد ذكره قط في سورة مكية ، وانفتت نعمته عليهم فوونها في قوله تعالى : « اتبعدين أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » ، وفي قوله عز وجل : « وقالت اليهود ياد الله مغارة ، غات أيديهم ولعنوا بما قالوا ، بل يدها مبسوطتان

ثم ظل شأنهم هكذا إلى أن كان عهد صبر بن الخطاب فطردم من خير ، وطهر جزيرة العرب منهم جميعا .

وحين تأمل العمور التي نزلت بالمدينة نرى أن الإهارة إلى بني إسرائيل ظلت بنفس الروح التي آفناها في الآيات للسكية فقد أشير إليهم فيها ما يقرب من عشرين سورة نفس فيها جميعا بعد التأمل والتفكير . والله أعلم بمراده . أنه المراد ببني إسرائيل هم قوم موسى ، والصالحون من نسلهم حتى ظهور المسيح عليه السلام ؛ إذ يقول سبحانه وتعالى في ذكر المسيح : « ويملئه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسولا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم » ، ويخاطبهم المسيح في قوله تعالى : « يا بني إسرائيل اعبدوا الله وبني ووبكم » وقوله : « وإذا قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة » .

فكل الآيات للمدينة التي ورد فيها ذكر بني إسرائيل لا تنصرف إلا إلى قوم موسى حتى ظهور المسيح ، أما تلك الآيات الغريبة التي فيها يخاطب النبي الكريم الكفار في عهده : « قل أرأيتم إن كان من عند

علينا ، يا إسرائيل أو يعقوب بنى الله عليه السلام ، برىء منهم .

وليس يفض من هاتى الاسم (محمد) أن يكون بين السفاحين المجرمين من يسمى نفسه (محمد) ، وليس يظهر عبد الرحمن ابن عوف صاحب رسول الله أن يكون الله على كرم الله وجهه يذم أيضا عبد الرحمن وعلى يهتج لفاسق أن يسمى نفسه به صالح وقمر يد أن يسمى نفسه بطاهر ، وقطان القاهر أن يسمى نفسه بأمن ١١ هيات هيات . وكذلك المألف لن يهتج قسماينة أبدا أن يحموا ألعلمهم يا إسرائيل ؟ . . إبراهيم أنيس .

ينفق كيف يشاء . وليزيدن كثيرا منهم ما أزل إليك من ربك طغيانا وكفرا ، وأنقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ، كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسمون في الأرض فسادا ، والله لا يحب الفاسقين .

مع نسل هؤلاء وأمتهم : الله المصائب المسيهوية التي تمثت في الأرض فسادا ، وتسكيد العرب والسلمين ، وهؤلاء المصاينة . وإن سموا أنفسهم يا إسرائيل . لا يمتنون بسة إلى بنى إسرائيل الذين ورد ذكرهم في القرآن ، وقد اغتصبوا هذا الاسم الكريم علينا ، كما اغتصبوا أرضنا عزيزة

قال الله تعالى :

« لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشقهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون » (المجادلة ٢٢) .

الْقُرْآنَ وَالْمَسِيحِيَّةَ

للاستاذ محمد نجيب المطيع

عليهم أجمعين .

والآية التي سقتها هنا ومثلها رجمة
استشهد بها بعض من يعوزه فهم القرآن ،
أو من تستر فيه بداهة الآية دون التعمق
فيها وسبر مضمونها ، بل فهم منطوقها ،
والإحاطة بالمعنى من القرآن بصفة عامة
أقول : ربما استشهد بها هذا البعض على
حجة التوراة والإنجيل الذين كانوا بأيدى
اليهود والنصارى على عبدة وَعَلَيْهِمُ السَّلَامُ وهذا
خطأ ، كذلك يخطئ من اعتبر هذه
الآيات نناء على أهل الكتاب من نصارى .
ذلك أن الله تعالى أنشأ على موسى
وكتابه فقال : « إنا أنزلنا التوراة فيها
هدى ونور يحكم بها اليهود الذين أسلفوا
للذين هادوا والربايوت والأخبار بما
استعظموا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء
فلا تخشوا الناس واخشوا ولا تنفروا
بآياتي فمما لا يبلا ومن لم يحكم بما أنزل
الله فأولئك هم الكافرون » ^(١) فهذا تناؤه

[١] الجواب الصحيح فيمن يلعن المسيح لابن مريم .

فنه ورد في القرآن الكريم الثناء الجزيل
على المسيح والإنجيل قال تعالى : « وقد بعنا
هني آتاهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين
يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه
هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من
التوراة وهدى وموعظة للمتقين
وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه
ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم
الضالون » .

ومثل هذه الآيات في القرآن ترد على
سبيل الثناء على الإنجيل الذي أنزله الله تعالى
على عبده عيسى بن مريم ولثناء عليه
عليه السلام ذلك ، لأن القرآن ينادي بالحقيقة
الأولية التي جاء بها موسى وعيسى والنبيون
من ربهم لا يفرق بين أحد منهم ونحن له
مخلصون ، وأوضح أن هذه الحقيقة طرأ
عليها التعديل والتبديل ، فأرسل الله بيبه
محمداً وَعَلَيْهِمُ السَّلَامُ ليضع الأمور في نصابها
ويصحح عقائد دين النبيين والمرسلين
من زيغ الضالين ، ومسكر المنضوب

على التوراة ، وإخباره أن فيها حكم الله ، وأنه أنزل التوراة وفيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أهدوا لهدى هاهنا وقال عقب ذكرها : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » وهذا أعظم مما ذكره في الإنجيل فإنه قال : « وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور » « وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه » ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » .

وهذه الفقرة تتضمن أموراً .

١ - أنه سبحانه مع إخباره بما أنزل الكتابين يصف التوراة بأوسع مما يصف الإنجيل في التوراة يقول : « يحكم بها النبيون » ، « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » ، وفي الإنجيل يقول : « وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه » ويقول : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » .

٢ - ما ذكره من مدح التوراة وموسى عليه السلام لم يوجب مدح لليهود الذين كذبوا المسيح ومجلاً عليهما الصلاة والسلام ، وليس فيه تشابه بين اليهود والمسلمين على ما سيأتي .

٣ - ما ذكره من مدح الإنجيل والمسيح ليس فيه مدح للنصارى الذين كذبوا محمداً صلى الله عليه وسلم وبدلوا أحكام التوراة والإنجيل ، واليهود توافق المسلمين على أنه ليس فيما ذكر مدح للنصارى ، والنصارى توافق اليهود بعد التمسح والتبديل ، فعلم اتفاق أهل الملل كلها : المسلمون واليهود والنصارى على أنه ليس فيها ذكر للقرآن من ذكر التوراة والإنجيل وموسى وعيسى مدح لأهل الكتاب المكذبين بحمد موسى صلى الله عليه وسلم ولا مدح لغيرهم المبطلين : - ليس في قوله تعالى : « وجاهل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة » دليل على مدح للنصارى ، لأن أولى الناس بالأبياء هم الذين يتبعونهم وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين » وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : (إنا معشر الأنبياء ديننا واحد ، وإن أولى الناس بابن مريم لأنا ، لأنه ليس بيني وبينه) - إن آية : « وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه » جاءت عقب قوله تعالى : « ولقينا على آثارهم عيسى ابن مريم »

« إن الذين أتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأفلاك سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً ، ويخرون للأفلاك يسكوتاً ويزيدهم خفوعاً » وإذا دعوا بما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا بما كتبنا مع الغاهدين ، « لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك ، « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، « والضمير في يعرفونه يرجع إلى محمد ﷺ فالمقصود ببيان أن أهل الكتاب عندهم ما يصدقك فيما كذبتك فيه الكافرون ، وذلك من وجوه :

١ - أن الكتب المتقدمة تنطق بأن موسى وهارون دعوا إلى عبادة الله وحده ، ونهوا عن الشرك ، فكان في هذا حجة على من ظن أن الشرك دين ، ومثل هذا قوله تعالى : « واسأله من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون » « وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا « عابدون » ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم

مصدقا لما بين يديه من التوراة » إلى قوله « وليحكم » وفي قراءة مفسرة عند حمزة والكسائي « وليحكم » بلام التثنية .

٢ - المقصود بقوله « بما أنزل الله فيه » أي بما أنزل في الإنجيل المنقول على المسيح عليه السلام .

أما قوله تعالى : « إن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الله فيقرءون الكتاب من قبلك » فهذا الخطاب لا يدل على رفع الغم ولا السؤال ؛ لأنه لم يسأل ، بل النبي ﷺ لم يكن لها كالا ولا سأل أحداً منهم بل روى عنه ﷺ أنه قال : « لا أعلم ولا أسأل ، ولكن المقصود ببيان أن أهل الكتاب عندهم وبين أعيانهم ما يملح لتسديدك فيما كذبتك فيه الكافرون . كما قال تعالى :

« قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب » « قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثلي فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين » « أو لم يكن لهم آية أن يعلم علماء بني إسرائيل » « الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ، وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا عن قبل مسلمين »

٣ — وهذه الأمور من المتواتر عند أهل الكتاب ، ولا تتوقف الإجابة عليها على صحة ما في أيديهم أو بقائه على ما هو عليه منذ زوره ، ولا يلزم من كون هذا معلوماً عندكم أن يكون كل ما عندهم ، وكل ما يقولون به صحيحاً ، وأيضاً فإنهم يسألون عما في كتبهم برقم نجر يدها من البهارات والقهقهات بنسبة محمد عليه السلام وقد أخبر الله تعالى بذلك في القرآن فقال : « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأسرونهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم » ، « وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصداق لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا صحرابين » .

وقال تبارك وتعالى : « وقرآنا فرقاه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً فل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الدين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذنان سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد

مؤدّي الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان طاعة المكذبين » .

٤ — أن أهل الكتاب يعلمون أن الله لم يرسل إلى الناس رسلاً من غير البشر ، وقد كان الكفار يزعمون أن الله لا يرسل إلا ملكاً أو بشراً معه ملك ، ويتمتعون من إرساله بقدر ليس معه ملك ظاهر : « وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً فلو كان في الأرض ملائكة يهضمون مطهرين لئزنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً » ، « ولئن أطلعتم بشراً مثلكم إنكم إفا تخاسرون » ، « فلو لا أني عليه أحودة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين » ، « أكان قناضي مجيباً أن أوحينا إليه وجعل منهم أن نأمر الناس وبشر الدين آمنوا أن لم قدم صدق عند ربهم » ، « وقالوا لو لا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكاً لم يدع رجلاً وليبنا عليهم ما يبدسون » فأمر الله تعالى بسؤال أهل الكتاب ممن أرسل إليهم : أكان بشراً أم كان ملكاً ليقيم الحجة بذلك على من أسكر إرساله البشري .

دقل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت
الذين آمنوا وهدى وبهرى للفاسقين .
والفائلون بأنه ليس في القرآن ما يدل
على نسخهما لا يسوغ لهم الاحتجاج بالقرآن
بوجه من الوجوه ، فإنه إن كان - أي
محمد ﷺ - صادقاً فيما أخبر به عن ربه
فقد علم كل من عى وجه الأرض ونحت
قبة السماء أنه جاء بما يخالف دين الفائلين
بالتجسد والنداء ولاهوت المسيح وصلبه
وأسرار الكنيسة فيلزم إن كان صادقاً
يخرج بكلامه في نعت أهل الكتاب
ورسلهم ومسيحهم أن تكون هذه
الأمياء باطلة ، وإن قالوا : إن زيف
القرآن لنقل هذه المقائد ومناقضته لها
مناقضة جوهرية ، ومباينته لها مباينة
جلية بمض باطل ، لم ألا يكون شيء
ما ذكر من أهل الكتاب في القرآن صحيحاً .
ولنتعامل نحن : لماذا لم يعن القرآن
بتلك المصحف المسماة بالأناجيل فيمنع
على أنه جاء ناصحاً لها ؟

إن كتباً لا يعرف أحد في هذه الدنيا
مؤمناً بها أو كافراً : هي كنيث ؟ ولا بأي
لغة كنيث ، ونسبتها إلى أصحابها نسبة
وهية يرفضها التاريخ صوات ومرات :

ربنا لنهولاً . ويخروفي للأفان يسكون
ويزيدهم خفوماً .

وقال تعالى : « أفمن الله أتقنى حكا
وهو الذي أزل إليكم الكتاب مفصلاً
والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل
من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين »
« ولما جاءهم كتاب من عند الله معصق
لما همهم وكانوا من قبل يستفتنونه على
الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به فأنه الله على الكافرين » .
ولهذا كان النبي ﷺ في خطابه لأهل
الكتاب يقول : « والله الذي لا إله غيره
إسكن لتعلمون أني رسول الله » .

ومن يزعم أنه لم يرد في القرآن أنه لا نسخ
لما قبله من التوراة والإنجيل فهو مخدع جاد
في هذا الزعم ، وحمينا - في بيان لمضه
لما قبله - قوله تعالى : « إن الذين عند الله
الإسلام » وقوله تعالى : « ومن يتبع
غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو
في الآخرة من الخاسرين » وقوله تعالى :
« ومهيئنا عليه » .

وهو لم ينسخ الأصول الأولية بين الأديان
كلها وهي وحدانية الله تعالى التي من أجلها
أرسل الرسل ومن أجلها أزل الكتاب ،
ومن أجلها قامت السموات والأرض :
« وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون »

المرّة الأولى : منهما يقول للتاريخ أنه أقدم إنجيل عثر عليه كتب بعد المسيح بخمسين ومائة سنة .

والمرّة الثانية : عندما يقرر أن هذه الأناجيل كتبها أناس لم يشهدوا الصلب ولم يروه ، وبعضهم لم ير المسيح ولم يصاحبه .

المرّة الثالثة : عندما يختلف الباحثون في مصدر إنجيل كأمجيل مرقس مثلاً : من أين أتى به الخبثون : إذ كتبه حظهًا لتثقيف القديس بطرس الذي كان من الخواريين ، ويسأل التاريخ : ومنى التل مرقس بطرس ، هنا يتجلى الجيسون ، فبعضهم يقول : ثقبه في قبرص ، وبعضهم يذهب إلى اسقيماذ لثالث في قبرص ، ولا يحير جواباً على أنه مرقس لم يلق بطرس إلا عندما ذهب جثته إلى (رومية) حين مرقس باع بعض البعارة من كنيسة الإسكندرية . المرّة الرابعة : حين لا نعرف على وجه التحديد الحق التي كتبت بها هذه الأناجيل : الأرامية ، أم السريانية ، أم العبرانية . وليس هناك دليل قطعي ولا شيء ولا وحي على الحق التي كتبت بها أحد هذه الأناجيل .

مثل هذه الكتب لا يلبق بالقرآن

للنزل من عند الله أنه يقول لنا : جئت لأنسخ هذه الكتب ، لأن النسخ لا يكون إلا في أمرين صادرين عن جهة واحدة ، النسخ والنسخ والنسخ أما هذه الأناجيل وأسفار العهد القديم ، فإذا كان فيها بعض الحقائق الأولية فذلك ما به عليه القرآن بقوله : « ألم تر إلى الذين أتوا نصيباً من الكتاب » وقوله تعالى « فاحفظوا مواضعكم » وقوله تعالى « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليبتغوا به تمناً قليلاً فويل لكم عما كتبت بأيديهم وويل لهم عما يكسبون » .

أجل لقد كان أحد الخواريين يدعى برنابا - وهو مذكور في الخ ، مذكور في جميع كتبهم من الأناجيل إلى أعمال الرسل - وهو صاحب إنجيل برنابا الذي به جمع كثير من الأخطاء في الأناجيل ويكشف كثير من الأمور العارضة فيدكرها واضحة مفصلة وبرنابا رجل باع كل ما يملك ووضع نفسه عند أقدام الرسل ، وقد عثر راعب يدعى فرامينو على رسائل لا يريافوس وفيها رسالة بنده فيها بما كتبه بولس ، ويستند تنديده إلى إنجيل برنابا ، فدفعه حب الاستطلاع

هذا اعتذروا بقولهم بعد إصلاح كثير
من الأخطاء والتحريفات القذوية : « إلى
الروح القدس لم يرد أن يهود انماع الكلمة
الإلهية بالحلوة والضيقة في الفواحة النحرية ،
فقدم إلينا الأسرار الإلهية بنهم فصاحة
ولا بلاغة .

أما التوراة فعلمنا أنها هذه الأناجيل ؛
بل إلى نسبة الحريف إليها مقرر من جميع
فرقهم ، فهؤلاء السامريون يزعمون أن
أن القرائين ورايين والمدونين والحكيم
والعبريين مع فرق اليهود حرفوا التوراة
تحريراً جلياً ، وقد ثبت عندنا في العهد
قديم أن التوراة إنما كانت في الفترة
القصيرة التي كانت لبني إسرائيل مملكة
اختصوها من أهل البلاد الأصليين . كانت
التوراة عند الكهنة الأكبر الهاروني
وحده ، واليهود تقرأ أن السبعين كوهاناً
اجتمعوا على أن يقرأ من جميعهم في تبديل ثلاثة
عشر موضعاً من التوراة ، وذلك بعد المسيح
وفي زمان القيصرية ، ويحتمل أن السامرية
حرفوا في التوراة . قال البحاة اليهودي
مراد فرج في كتابه (الفراءون واليهود)
وهو يتكلم عن السامرية : فعمدوا إلى
جبل جريزيم ، وفي القرية : طور يريته

إلى البحث من الإنجيل برنابا ، ولما وصل
إلى البابا سكستس الخامس وصار مع المقرين
إليه من أهل ذلك الإنجيل في مكتبة هذا
البابا فأخضاه ، بين تبايه وطالاه ثم اعتنق
الإسلام ، فأخفا كان بعضهم ينجح على
بطلان هذا الإنجيل بأنه لم يذكر في القرآن ؛
في أن كان عدم ذكره في القرآن دليل بطلانه فأولى
ثم أولى أن يقال مثل ذلك في منى ولوة وصرق
وورحناه لأنها لم تذكر كذلك في القرآن
غير أنها مألوم برنابا ، لأن إنجيل برنابا يوافق
القرآن في كثير مما يختلف فيه الكتب
الأخرى ، وقد ثبت أنه كلما عرفوا على نسخة
من الأناجيل وحده وافيهما احتلاماً من
الذبح لوحيد ، بل إلى برحنا يثبت أنه
لم يكتب كل شيء من المسيح ، وأنه
ترك أشياء كثيرة بقوله : « وآيات أخرى
كثيرة صنعها يسوع فدام تلاميذه لم يكتب
في هذا الكتاب ، يو ٢٠ : ٣٠ فدل هذا
على ضياع أشياء كثيرة من هذا الكتاب ؛
بل إلى الأب - ريكس الهاروني الذي كان
مطراناً لمسكن في القرن ١٧ الميلادي
أراد أن يجهد بإصلاح لغة الإنجيل العربية
فاستأذن البابا أريانس التاسع فأذله
فألف لجنة من القسيسين والكهنة ومع

المناقص لهذا النعيم ، وقالوا : ما نحن عبيت
إن هي إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعدن
إن هذا هو الفوز العظيم .

أما الأسيم أو الاحيم من اليهود فهم
فرقة تقات لبخر أهل مراحات لتفضيه
مخرمت اقتبايع ورجعت إلى المنايسة ،
وحرمت الزواج إلى آخر ما عرفوا اه
نصه من الكتاب المذكور .

ولو تتبعنا ما في التوراة من نعمة
التجور إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
لما وسعنا إلى أن نزه الله تعالى عن أن
ينزل كلاماً كهذا فهذا بي زنى بيناته ،
وذلك بي صارح الله فعل حركته ، واشترط
عليه أن لا يطلق سراحه حتى يباركه ،
« فباركه الرب فأطلقه إسرا » مثل هذا
لا يمكن أن يهبط القرآن أو أي كتاب
منزل إلى مستوى الخسيس ليقول : هذا
مسخوخ . أي نسخ في مصحح تاريخ الأنبياء
والمرسلين ، أي نسخ في مقيدة التناسل
والتمجيد والصاب وقد ، أليس في إرسال
الله لنبيه المصطفى نبي الرحمة محمد ﷺ
ليهدى الضالين ، ويقلل عنفات الغضوب
عليهم عبر لكل ما يخالف تعاليم دينه ، لا

ولله جبل البركة نجاء جبل عيب ، جبل
الجنة عبر الأرواح ، وأقاموا به هيكل
عبيها بيت للنفس ، وتبعهم كثيرون
من اليهود الذين امتنعوا من طلاق نسائهم
الأجنبيات غير مطيعين لعزرا ، ولكيما
يدعى السامرة لهذا الجبل منزلة التي تليق
به ، حرفوا في التوراة ، فأضافوا ذكره
في السفر الخامس بالفصل السابع والعشرين
بالآية السابعة عند قوله « قوله ونذبح ذابح
السلامة وتأكل هناك وتفرح أمام الله »
« إلهكم » فزادوا « على جبل جريزم »
كذلك أضافوا في الفصل ١١ الآية ٣٠
« نجاء شخص » أي نابلس ، إلى غير ذلك
من التحريف اه من الكتاب المذكور ١٥

وجاء في هذا الكتاب عن الصديقين
وم كانوا كما يقول : « من سراه أو أشراف
الامة الإسرائيلية ، ومن السكينة العظام ،
ومعها كذلك على اسم كبيرم (صدوق)
تليذا يتخبرم ، وى المتريزي (صدوق)
وصدوق التقاء والمثل والنحل إنهم الذين
قالوا من بين يهود : العزيز ابن الله . وكان
أول الخلاف بينهم وبين التروسين إسكارم
البحث والنهور والمقاب ، فقد أراحوا أن
يكون أميمهم في الدنيا ، وهزئوا بالتعدد

ويبدو القرآن انتصارى أهل كتاب
لا باعتبار ما بأيديهم ولكن بحسب رمة
انسابهم إلى كتاب منزل وبحرمة انصاحهم
إلى آياتهم الذين كانوا يؤمنون به قبل أن
يحرف ويندس، وعلى هذا لا يماثلون
معاملة المشركين.

والناس بحسب نظرهم وما يدنون به
مت طوائف حسبما فهم استأنى.

(١) من لا يقول بحسوس ولا معقول
وم السوطية.

(٢) من يقول بالحسوس ولا يقول
بالمعقول وم الطبيعية.

(٣) من يقول بالحسوس والمقول
ولا يقول بالحدود والأحكام وم الفلاسفة
الدهرية.

(٤) من يقول بالحسوس والمقول
والحدود والأحكام ولا يقول بالشرية
والإسلام وم الصابئة.

(٥) من يقول بالحسوس والمقول
والحدود والأحكام وبشرية ما ولا يقر
بشرية الإسلام وم اليهود والنصارى.

(٦) من يقول بمذهب كذا وم القولون
فإن شريعة الله أن تقتل غير الحسوس
والمقول والحدود والأحكام والآخره

مؤمن من كل مذهب مبارك الله نزل
القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيراً.
الله له ملك السموات والأرض ولم يتخذ
ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل
شئ ففهمه تقديرًا. واتخذوا من دونه
آلهة لا يخشون شيئاً وهم يخشون.
ولا يملكون لأنفسهم شراً ولا نفعاً
ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نفوراً.
وقال الذين كفروا إنه هذا إلا إنك افتراء
وأما به عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلماً وزوراً
والأولئك الأولين اكتبها لهم على
عليه بكرة وأصيلًا. فلأنزل الله يعلم السر
في السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيمًا
والأولئك هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي
في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون
معه نذيراً أو يلقى إليه كزاً وتكون له
جنة بأكل منها، وقال الظالمون إنه تتبعوه
إلا وحلاً مسحوراً. الظركيف ضرر والله
الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً.
أما مركز المطر في القرآن الكريم فهو
مركز ممتاز كركز اسرافهم من ضررها الله
مثلاً الذين آمنوا: إذ قالت رب ابن لي
هنالك بيتاً في الجنة وعيى من فرعون
ومعه ونجى من القوم الظالمين، وكركز
أم موسى إلى أوحى الله إليها.

والماء» وكفنه جعلناكم أمة و...
لتسكروا شهداء غير الناس ويكون
الرسول عليكم شهيداً» .

ومن هنا يحيز القرآن الذناري واليهود
والجوس من المذركين من اللادين والوبين
لأنهم يؤمنون بكتاب، ويؤمنون بالنبوات
ومنهم من يعتقد أنهم في الأنبياء الذين هم
أبيائنا وفي الحنا جميعاً المنزه عن التجسد
والذهب بخلافه فقد زالت الحواجز والاحت
العقبات، وخلصوا معنا إلى دين الله الحق
فأسلموا وجوههم لله رب العالمين وآمنوا
بما مبسب المسيح ابن مريم عبد الله ورسوله
وكلته ألقاها إلى مريم وروح منه .

ومنى الكلمة هنا التي ألقاها إلى مريم قد
مثل لها القرآن قبلاً فأما بقوله : إن مثل
عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم
قال له كن فيكون، وقوله «وكلته» بالإضافة
يجعلنا تكلم من توهي المضاف إلى الله تعالى :
فأحد ما أن يكون صفة لا تقوم بنفسها كالعلم
والقدرة والحياة وثانيهما أن يكون معنا
ثالثة بنفسها ، الأولى إضافة صفة لموصوف
والثاني إضافة من كقوله تعالى «وطهر بيتي
للطائين» وقوله «ثانة الله وسقياها» وقوله :
«منا يعرب بها عباد الله» المضاف في الأولى

صفة لله تعالى ثالثة به لهمت مخلوقاً له بأننا
منه والمضاف في الثاني، مملوك لله تعالى ؛ من هذه
لكنه مفضل معترف لما خصه الله به من
الصفات التي افتضت إضافية إليه تبارك
وتعالى ومن الباب الأخير قوله تعالى «فأرسلنا
إليها روحنا فتمثل لها بآراً سوياً» فإنه
وصف هذا الروح بأنه قتل لها بآراً سوياً
وأما استعاضة الله منه إن كان
تقياً ، وأنه قال : «إنما أنا رسول
ربك» وهذا كله يدل على أنه من ثالثة
بنفسها وهي التي تسمى في اصطلاح انظار
«جوهراً» وقد تسمى جماً إذا كانت
مطابقاً إليها مع اختلاف الناس في الحكم
هل هو مركب من الخواهر المفردة
أم من المادة والصورة ، أم ليس مركباً
من هذا ولا من ذاك ؟ .

وإذا كانت الآية قد بينت هنا أو المضاف
ليس من الصفات الثالثة بنهرها من الأعيان
الثالثة بنفسها ، علم أن المضاف مملوك لله ،
له مع الاصطفاء ، والإكرام بما أوجب
التخصيص بالإضافة .

إذا كانت هذا فإنه لا يسوغ لأحد أن
يقف معجوراً متحيراً كما ورد ذلك على
لسان بعضهم من نسبة الخيرة إلى علماء

والمطارنة والأساقفة في القسطنطينية^(١)
بمحضر ملكهم ، وكانوا ٣١٩ وجلا
واتفقوا على هذه الكلمة اعتقاداً ودموعاً
وذلك قولهم :

« نؤمن بالله الواحد الأب مالك كل
شيء وصانع ما يرى وما لا يرى ، والابن
يسوع المسيح ابن الله الواحد بكر الخلاق
كلها الذي ولد من أبيه قبل العوالم كلها ،
وليس بمصنوع ، إلحاح من إلحاح من جوهر
أبيه الذي به أتفتت العوالم وخلق كل شيء
من أجلنا ومن أجل معشر الناس ومن أجل
خلاصنا ، نزل من السماء وتجسد من روح
القدس وصار إنساناً وحبل به ، وولد من
مريم البتول وقُتل وصلب أيام فيلاطس
ودفن ثم قام في الثالث وصعد إلى السماء
وجلس من يمين أبيه وهو مستعد للجيء
نارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء ،
ونؤمن بروح القدس الواحد ، روح الحق
الذي يخرج من أبيه ، وعمودية واحدة
لنعتران الخطايا ، وبجماعة واحدة قسسية
مسيحية باثليقيية ، وبقام أبداننا والحياة
النهائية أهد لأبدن » .

ويلاحظ أنه هذا البيان يعلن قيام

السلطان ومقرهم إزاء رفع المسيح عليه
ومن بيننا أفضل الصلاة والسلام ، وكيف
بحار المحلوق بمادة فضلاً عن طاعتهم
وهم يتلون قوله تعالى : « سبحان الذي
أمرى عبده ليلاً من المسجد الحرام
إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله
لنريه من آياتنا إنه هو المحيي البصير » .
على أن الحجة في مثل هذه الأمور وهي
التي يصحبها القرآن الكريم للضلال المبين
لأنها توصل أصحابها إلى الاختلافات حول
مناجات اللاهوت والناحوت من ناحيتين :
١ - كيفية نزوله وانصافه بأمه
وتجسده الكلمة .

٢ - كيفية صعوده والصالح بالملائكة
وتوحده الكلمة .

فالمسألة بقولون : إن الكلمة اتحدت
بجسد المسيح وتدرجت بناحوت ، ويعنون
بالكلمة أقنوم العلم ، ويعنون بزوح
القدس أقنوم الحياة ، ولا يسمون العلم
قبل تدرجه ابناً بل المسيح مع ما تدرج به
ابن ، فقال بعضهم : إن الكلمة ما رجعت جسد
المسيح كما يازج الحجر أو الماء اللبن .

ولما جاء أريوس وقال : القديم هو الله
والمسيح هو مخلوق ، اجتمعت البيطارفة

(١) المهرستاني : للال وحمل .

رضي الله عنها قالت : « سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « إن روح القدس لا يزال يؤبدك ما دخلت من الله ووسوله ، وفي المصحين عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان : اجمروا أو هاجموا وجبريل معه » .

وتأييد الله بروح القدس لا يعني انحاء اللاهوت بالناسوت ، ولا يقتضو أن يكون التأييد روح لقدس من خصائص المسيح وحده « أو أنك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدم بروح منه » ينزل الملائكة بالروح من أمره من من يقا من عباده « فسمى الله تعالى لك روحاً ، وسمى ما ينزل به الملك روحاً وما متملازمان ، والمسيح عليه السلام مؤيد بهذا وهذا .

فإذا زعم أحد بأن الله ليس بثلاث ثلاثة وإعما هو جوهري الحى وثلاثة واحد كالنار لها حرارة ونور فقد قالوا بأن الثلاثة إله واحد . وانقد بعض الإسلام هذه للثلاثة الموسطية من العرب للفرسين حين كانوا يلون في الحج فائين « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك ، ولكم وما ملك » .

(البقية على ص ٧٨٤)

[٦]

الأبدان وبعت الأجساد ، ثم خلف من بعدم خلف قالوا بحشر الأرواح لا الأبدان . وفي هؤلاء وأولئك يقول القرآن الكريم : « لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة » .

وفريق ثالث يقول : إن الله تعالى واحد ذو ألقام ثلاثة : الوجود والملم والحياة ، وهذه الألقام ليست زائدة على الذات ولا هي هو ، واتحدت الكلمة بمحمد المسيح لا هو طريق الامتزاج كقول المسكابية ، ولا هو طريق الظهور به كما قالت البعلابية ، ولكن كإشراق الشمس في كوة على بلورة ، وكظهور النفس في القمع إذا طبع بالحنم .

وأما الفريق الثالث فقال : اعليت الكلمة لحاً ودماً فصار الإله هو المسيح وهو الظاهر بجسده بل هو هو ، وعظم أخبرنا الفرآن الكريم بقوله : « لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم » . ولكل فريق من هؤلاء فائقة في الظاهر وتعمده .

عن أن روح القدس هو الله هو الروح الأمين جبريل ، وثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لحسان بن ثابت : « أجب مني ، فهم أيده روح القدس » وفي صحيح مسلم وغيره من مائة أم المؤمنين

علاقة الوحي بالرسول

بلاستاد يوسف عبد الهادي الشال

وقد يطلق الوحي ويراد به اسم القمور
منه أي للوحي ، وهو كلام الله المنزل على
النبي ﷺ .^(١)

والوحي بمعناه القرني ظاهرة يفتك
فيها الأنبياء جميعاً ، قال تعالى :
« إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح
والنبيين من بعده ، وأوحينا إلى إبراهيم
 وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأصفياء
 وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان
 وأننا دلود زبوراً ، ورسلاً قد قصصناهم
 عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك
 وكلم الله موسى تكليماً » .^(٢)

وبهذا النبوة لجميع الأنبياء هي الرؤيا
في المنام بعثاً ليقين في قلوبهم وتمهيداً
لما يستقبل كل رسول : روى أبو نعيم
في الدلائل بأستاد حسن من علاقة
ابن قيس صاحب ابن مسعود قال : « إن أول
ما يؤتى به الأنبياء في المنام حتى تهدأ

يطلق الوحي في اللغة على الإلهام
والكتابة والكتوب والرسالة والإلهام
والكلام الخفي وكل ما ألتئنه إلى غير ذلك^(٣)
وهذه للعالم - على اختلافها - مجتمعا
معنى « الإسلام في سرعة وخفاء »^(٤) .
ومن الوحي أقوى الإلهام للفرز
لأوحى إليه تعالى وإلهام الخواطر بما يليه
الله في روح الإنسان السليم كمطرة كالوحي
إلى أم موسى ، ومنه ضعه وهو وسوسة
الشيطان قال تعالى : « وإني للشياطين
ليروحون إلى أوليائهم ليجادلوك » وقوله :
« وكذلك جعلنا لكل بي عدواً شياطين
الإنس والجن وحي بعضهم إلى بعض
 زخرف القول غروراً »^(٥) .

والوحي في لسان الشارع هو : إلهام الله
تعالى لنبي من أنبيائه بحكم شرعي ومحمود^(٦) .

[١] لغاتوس المحيط للفيروز آبادي ٤٠٠ ص ٢٤٩
ط الحسنة

[٢] الوحي والفران للإسلام عبد الرحيم غودة
ص ٥ ط الأزهر

[٣] الوحي المحمدى للأستاذ رشيد رضا
ص ٢٧ ، ٢٨ ط الثانية -

[٤] المرجع السابق ص ٢٨ .

[٥] فتح الباري شرح صحيح البخاري للأمام
ابن حجر ١٠ ص ٥ ط الأول .
[٦] النساء : ١٦٣ ، ١٦٤ .

قلوبهم ثم ينزل الوحي بعد في اللحظة،^(١) وليست الوحي كيفية واحدة وإنما تنوعت طريقته .

حدث عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله ﷺ : أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانا يتمثل لي لك رجل فيسكنني فأمر ما يقول ، قالت عائشة رضي الله عنها ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليترعد مرًا ،^(٢)

والنجربة لأول الوحي كانت قريسا وتضربا على القساء والتساق بين ذائبن منعزلتين تمام الاتصال .

حدث يحيى بن بكير قال حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن مسرورة بن الربيع عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت :

[١] فتح الباري يصرح صحيح البخاري - ص ٦

[٢] المرجع السابق ص ١٦٠١٤

أول ما يهدي به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبيب إليه الملائكة وكان يخاطبهم بألقاب حسنة فيتحدث فيه - وهو لا يدرك - المقالات ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها - حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه لذلك فقال : اقرأ ، قال : ما أنا بقارئ . قال : فأخذني فغطني حتى بلغ من الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ . قلت : ما أنا بقارئ . فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ من الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ . فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال : (اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم ، فرجع بها رسول الله ﷺ رجفًا فزاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال : زمِّلوني زمِّلوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر ، لقد ذهبت على نفسي ، فلما أتته خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق . فانطلقت به

قنبي ﷺ ، وما يدع له أنه ليس إلهاماً ذاتياً
أمران جديران بالاتباع .

أولها : أن سيدنا محمد ﷺ عرف
بالصدق طيلة حياته ، ولم يجرب عليه
الكذب أبداً ، وهو صل الله عليه وسلم
يعرف من نفسه ذلك .

لما نزل عليه قوله تعالى : « وأظفر
عصمك الأقربين » نجحت حصافته في
النزاع الإقرار بصدقته عن أمر لا يذرم
قبل أن يبين لهم لم يدهوم .

فقد صعد الصفا ونادى بأعشر قريش
فأقبلوا عليه فقال : أرايتم لو أخبرتمكم
أن خيلاً يفتح هذا الجبل أكنتم تصدقون ؟
قالوا : نعم . أنت عندهم غم منهم وما جربنا
هذلك كذبا قط ، قال : فإني نذير بين
يدي هذا ب شهيد . يا بني جبه لطلب ،

يا بني جبه متاف ، يا بني زهرة ، يا بني نعيم ،
يا بني غزوم ، يا بني أحمد ، إن الله أمرني
أن أنذر عشيرتي الأقرين وإني لا أملك
لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيباً
إلا أن تنذروا لا إله إلا الله فتعش أبوطب
وكان رجلاً بدنياً سريع الغضب فصاح :
« تبا لك ماؤه هذا اليوم ، ألمدا جمعنا » (١)

خديجة - حتى أت ورقة بن نوفل بن أسد
ابن عبد العزى ابن عم خديجة ، وكان امرأ
قد تدمر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب
العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية
ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً
قد سمى ، فقال له خديجة : يا ابن عم اسمع
من ابن أخيك ، فقال له ورقة : يا ابن أخي
ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر
ما رأى . فقال له ورقة : هذا الناموس الذي
نزل الله على موسى يأتيني فيها جذوا ،
ليني أكون حياً إذ يخرجك قومك ،
فقال رسول الله ﷺ : أو مخرجي هم ؟
قال نعم : لم يأت رجل قط بمثل ما جئت
به إلا مودى ، وإني بهركني يومك
أنأمرك نصراً مؤزراً ثم لم ينسب ورقة
الله تعالى (٢) .

وهكذا تكرروا هذه القصة حتى تمت
بفضل الله رسالة خاتم النبيين ﷺ .

وهذا القصة وذلك الثاني كالم بين ذاتين
متفصلتين قام الاتصال ، الأمر الذي يؤكد
أن الموحى به من خارج ذات النبي ﷺ
وليس من داخلها حتى يقال إنه إلهام ذاتي

(١) حياء عمه الدكتور محمد حسين مكي ، ص ١١٠
ط الثانية .

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام أحمد
ابن حنبل ، ص ١٤ - ٢٠ .

وكانت ظاهرة صدق النبي ﷺ عليه حياته قبل البشارة ، أحد براهين « حرقل » على صدق محمد ﷺ في رسالته حين بعث إليه الرسول ﷺ بدعوته إلى الإسلام .

فلما تسلم حرقل كتب رسول الله ﷺ دما صاحب قمرته وقال له : قلب لي القام ظمراً وطمناحتي تأتيني رجل من قوم هذا الرجل . يعني النبي ﷺ .

فأخذ صاحب قمرته يبحث حتى لقي أباسفياناً - وكان أبوسفيان يومئذ لا يزال على الكفر - وكان في نجارة له بالعام .

فاصطحبه إلى حرقل ، ووجه إليه حرقل عدة أسئلة ترتبط بخصيصة الرسول الكريم ارتباطاً وثيقاً واعطى نتائج مذكدة للافتتاح بصرفه ، فكانت من بين أسئلة حرقل لابي سفيان :

(١) هل كان من آباءه من ملك ؟ فقال أبو سفيان لا . وكان تلميذ حرقل على ذلك بقوله : لو كان من آباءه من ملك لكان رجل يطلب ملك أبيه .

(٢) هل كنتم تهمونه بالكتاب قبل أن يقول : لا أبو سفيان لا . وكان تلميذ حرقل على ذلك بقوله : إنه لم يكن ليحر الكذب على الناس ويكذب على الله .

(٣) هل ينصرون لك أبو سفيان : لا . وكان تلميذ حرقل على ذلك بقوله : إن لم يسل كذلك لا تنصرون (١) .

والامر الآخر : أن النبي ﷺ لم ينسب للوحي به نفسه وإنما أعلن أنه من خارج ذاته ، وليس هناك من سبب يدعو به إلى أن ينسب إشاعة لنفسيه ويدلخ منه انملاخا على حيز أنه كان يستطيع أن يتنحل للوحي به فيزداد رغبة ونفذة شأن . ولو انتحلها لما وجد من البقر أحداً يمارسه .

والله نعرفه أنه كثيراً من الأدباء يصطوب على آثار غمهم ليسرقونها أو يسرقون منها ما خف حله وغلت قيمته وأمنه نحت ، حتى أن منهم من يذهب قبور لوقي ويبلس من أكتفاهم ويخرج على قومه في زينة من تلك الأنواب المصنوعة أما أني أحداً ينسب إلى غيره أني آثاره فقه ، وأعلى ما تجود به لربحته ، فهذا ما لم يله الله بعد (١) .

هذا من خارج نص للوحي به

(١) فتح الباري بفتح صحح البخاري للام ابن حجر - ٩ ص ١٧٤ ، ١٧٥ :
(٢) أنبا العظيم : د. محمد عبد الله حوزة ص ١٥ ط ١٩٦٠ م .

الآيات مقروءة حقيقة التيم في حياة الجماعة المسلمة في أسلوب قري ختم .

والحقيقة التي استهدى هذا التوجيه إقرارها هي أن يستمد الناس في الأرض قيمهم وموازينهم من اعتبارات مساوية إلهية بحسب مقتضى بلايات أرضهم ولا بدواضات حياتهم ولا مابسة من تعصباتهم لتقيدة بهذه المواضات وتلك البلايات .

فهنا اتصال تام بين الرحي وذات النبي ﷺ .

ذلك أن حمل النبي ﷺ وحرمة على إسلام كبراء قريش في حدود منطق البشر . ومنطق للبشر يقضي بأن إسلام هؤلاء في صالح الدعوة ، إذ لا سلامهم سوف يتخلص الرسول من كبار المعاندين أولا وسهبتهم في الإسلام هنا كثيرون غيرهم من أتباعهم ذابا .

ثم تأتي خطوة أخرى عقب ذلك . وهي عملية الجذب للتلقائي إلى الإسلام ، حيث يتأمل من لم يكن على الإسلام من الجماعات الأخرى دخول هؤلاء الكبراء في الإسلام .

وطبقا لنظرية « رد الفعل » سيكون

أما ذات الرحي فعاصر البراهين القاطعة على أنه من خارج ذات النبي ﷺ وليس إلهاما ولا فيض خاطر كذالك الذي يكون من الفلاسفة والأدباء .

ومن الأمثلة على ذلك - وهي كثيرة في القرآن الكريم - تلك الآيات التي نزلت في واقعة « ابن أم مكتوم » ، تدمم بالعتاب القاسي والردع الواجر فتقول : « عيسى وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى ، أو يذكر فتشفي الله كررى .

أما من استشفى فأتى له تعدي وما عليك ألا يزكى ، وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهي . كلا . إنها تذكرة » (١) فهذه الآيات تسمح وضعا كان من النبي ﷺ في عتاب لأمي يزيد في قسوة أداة الردع - كلا -

وذلك الوضع أن غنى النبي ﷺ يرما مدعولا بأمر جماعة من كبراء قريش يدعوم إلى الإسلام حينما جاء ابن أم مكتوم . الرجل الأعمى هتتم - وهو لا يعلم أنه مشغول بأمر القوم - يطلب منه أن يعلمه بما علمه الله فذكره رسول الله ﷺ هذا وعيسى في وجهه وأمره من منجزات هذه

[١] عيس الآيات من ١ - ١١

تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة
والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق
لمسكم فيها أخذتم عذاب عظيم » (١) .

قارن هاتين الآيتين فستلاحظ عتاباً مدهمماً
يحيى القارىء نفسه ، فعلام هذا العتاب ؟
إله الشىء ﷺ . فكيف طريقاً ولحق ما أداه
إليه اجتهاده حينما انعمت واقعة بدو من
أمرى استنار الرسول فيهم أصحابه وأخذ
برأى أبى بكر فى قبول القضاء مع ربه
من هؤلاء الأسرى .

ولكن سرعان ما زالت الآيات تنهم
ذلك وأمانب العتاب الساخنة لقبول القضاء .
ونحن حيال هذا الحادث لا نستطيع أن
نكتشف الواقع إلا بقراءة الانفعال التام
بين الوحي به وذات الرسول الكريم
حيث لا يتصور عتاب مثلى هذا أو أفضل
منه أو عتاب أصلاً على رأى تمضى عنه
موقف اجتهادى قامت القورى أرضيته
السلطة فى منطق البصر .

وإذا اتى ذلك التصور وهو أفعى
ما يمكن أن يذهب إليه تفكر بين
المذاهب ثبت أن العتاب من حبة أخرى
هى مصدر الوحي وهى خارجة عن الذات
ذات النبىء ﷺ . وأخير وليس آخر .

لهذا الأمل آثاره فى ازدياد أعداد المسلمين
وتكاثرهم . ومنطق الآيات يخالف هذا
المنطق تمام المخالفة .

ولو كان عدوك النبىء ﷺ على هذا
المنطق فبشرى لشجرة رأيها لاكتفى
بتقديم معونات محله واعتذاره منه وعدوك
إلى الشجرة الجديدة .

لكن هنا فى الآيات - هناك شدة
ورده ما زاجاً لا يمكن أن يندمج بأى حال
مع العمول من فكرة ، وبخاصة إذا كانت
قائمة على منطق بشرى معتقده ، وهذا
يقدر حين يعرض على المقاييس المقبولة .

ولا يمكن أن يكون هذا الأسلوب
تقدياً ذاتياً . لأن الله القدانى لا يكون
معه عتاب النفس أو الردع أو ما معاً .

وعنه ليعبر بالنقد القدانى الاعتراف
بالخطأ وتبرير ورفعه دون تجاوز هذا
المنطق .

أما التهنيع والتهويل فإنه دائماً يبنى
عليهما السكوت ومحاولات التغطية لعل
يستعمرها كل إنسان . ولا تحتاج إلى إلمام
البرهان .

كذلك قوله تعالى « ما كان نبى
أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض

يعني به مرضه ويدهاع به موأله وبناصب
إله الوحي لتنتطاع السنة المتفرجة (١)
وفيه هذا كثير مشهور في ثانيا القرآن
الكريم بطوله بنا نقول ويقتد دوق
استقصاء في مثل هذا للقيام .

وهكذا نرى أنفسنا ضطربن على أي
ناحية تصدقنا فيها لمراساة الوحي إلى الإيمان
به واتصدق ببقية ثمة سواء اتخذنا شخصية
الرسول وتاريخ حياته سبيلا للاقتناع
أو اتخذنا نص القرآن الكريم وتفسير
أحاديثه وجاراته والوقوف على خصائصه
طريقا للاطمئنان والإدراك .

بموقف هبة الهادي المثال

[١] النبأ العظيم قد استورد محمد عبد الله دراز
ص ١٧ ط ١٩٦٠ .

لقد أرجف الملقون بمحدث الإنك
مع زوجه مائقة رضى الله عنها وأطأ
الوحي وطال الأمر والناس يتخوضون حتى
بخت القلوب الخناجر وهو لا يستطيع
إلا أن يقول بكل تحفظ واحتراس
« إني لا أعلم عنها إلا خيرا » ثم إنه بعد
أن بذل جسده في التنحر والذوال
واستعارة الأصحاب ومضى شهرا بأكله
والكل يقولون : ما علمنا عليها من سوء
لم يزد على أنه قال لها آخر الأمر : يا مائقة
أما إنه يلغى كذا وكذا ، فإن كنت
برهة فسيرتك الله ، وإن كنت ألمت بذنب
فستغفرى الله .

هذا كلامه بوحى ضميره فإذا كان بمنحه
وهو البليغ للتأنيق بهداة أعدائه قبل
أنبائه لو أن أمر الوحي إليه أن يقول كلاما

(بقية الملقود على ص ٧٧٧)

وكبرياتك حين فأت : « ما المديح ابن صميم
إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأوه
صديقة فانا يا كلان الطمام » فسلطنا أن
مع يقتل إلى لقمة الخبز مخلوق ضيف
وإن كانت صديقا نبيا فالهم لا نحرمتنا
هفافتهم كغناه مانذود من دهنهم . أهذا ؟

محمد نجيب الخطيب

(أبا بعد) فالهم أنت تعلم أننا ما شرفنا
قليل إلا داما من جيبك ورسولك صاحب
الآيات الظاهرة والمجرات الباهرة للبشر
به من حوبك الصفاق وبيك المجتبى عبدك
وابن أمك المسيح ابن صميم .

الهم إنك حديثنا لا استعمار عظمتك

عرضة القصص من القرآن على طريق التيسار والتيسر

للكاتب محمد بن محمد بن أبي شهاب

والنواحي الغنية في القصة من البدء إلى النهاية^(١) وإنما قصده التزاع المعرفة والعظة فإن ثم يستكنف من القصة بما يلائم المقام والفرض الذي سبق له الكلام القرآن في، فهو حينما بين أن التوحيد هو دعوة جميع الأجناس والرسلين بذكر ما يحق هذا الفرض من قصة نوح، وهود، وصالح، وإسماعيل، عليهم الصلاة والسلام، وحينما يدعو النجى إلى الصبر على المشركين وتحمل أذى من يذكر ما نال أسلافه من الأبياء والمرسلين من الأذى والبلاء، قال سبحانه: «فصبر كما صبر أولو العزم من الرسل»^(٢) وقد أثار الله إلى هذه الحركة بقوله: «وكلا قصص عليك من أجناس الرسل»

(١) لم يذكر الله في القرآن قصة مكتوبة بقرآنها ونصائرها القصة إلا في سورة يوسف عليه السلام، وذلك ليكون لها أيضا على إيمان القرآن، وأنه سرمد الله، إذ لم يعرف من قبل ولا من بعدهم العرب تجربة في القصة إلى هذا الحد، ولعل الله الناس حينما أفترق هذا المنهج في القصص ليس من عجز، وإنما هو إلهاد وأنه سبحانه نوح ما نوح في معظم القصص القرآن الحكيم سانية عليفة مرصا لبعضها أثناء القصة. [٢] الأقسام ٢٥

القرآن الكريم هو كتاب الهداية الكبرى، والتربية الإلهية العظمى، فهو هداية الخلق لإصلاح الخلق، ووحى السماء لأهل الأرض، ومنقذ البشرية من عدسها وزورها، ولا غنى عنها إلى السعادة الكاملة وهو المعجزة العظمى والآية الكبرى الباقية على وجه الدهر لحتم أنبياء الله ورسله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، الذي أرسله الله للناس طاعة بهدا، ونذيرا.

وقد اشتمل هذا الكتاب الكريم على أصول العقائد الحقة، والمضائل الشاذة والتفريعات الحكيمة الصادرة عن الله بهايات البهر في دينهم ودينام، كما اشتمل على قدر غير قليل من قصص الأجناس والمرسلين، والملكوك الغابرين، والأمم والأقوام الماضين.

والقرآن الكريم ليس كتاب قصص وتواريخ، فمن ثم لم يسبق قصص القرآن معانا تاريخيا مكتملا، مع الحرص على القوام

الألباب ، ما قال حديثا يفتري ، ولكن تصديق الذي بين يديه ، وتعميل كل شيء ، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ، ^(١) وقال ذلك من أبا طهنيب نوحيا إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إلى العاقبة المتقين ، ^(٢) .

ولقد كان من حكمة الله البالغة أن الله تبارك وتعالى ذكر ، معظم للنصص وتفاصيله في الدور الحكيمة .

ومعروف أن مكة لم يكن بها أحد من علماء أهل الكتاب ، وذلك ليقطع سبحانه أي احتمال أو شبهة في أنه إنما علم النبي للنصص بشر ، ولو أن هذا النصص لم يكن تأخر إلى الفترة الحديثة مع عصر الهجرة الإسلامية ، لربما كان هناك احتمال شبهة في أنه ﷺ إنما علمه من اليهود . وم أهل كتاب - بالمدينة ، والمفكر كون حينا قالوا : إنما يعلمه بشر ، أو ادوا به بعض الخلفاء النصاري الذين كانوا من سوقة الناس ، ولم يكونوا منه أحد . يعتبرون من أهل العلم والمعرفة ، وإنما كانت مهنتهم الحداثة أو الخدمة ، فمن ثم لم يعلم الله أي اعتبار لا احتمال استمادة النبي منهم حيثما من مصادر القرآن ، ورد عليهم من أوجز طريق ،

ما ثبت به فؤادك ، وحاذك في هذه الحق وموعظة ، وذكرى للمؤمنين ، ^(٣) .

وحينا يخبر المفكرين ، والمنافقين ، واليهود من الاستمرار في معارضة النبي ومخاربة دعوته ، وإلحاق الأذى بالنبي والمسلمين ، يذكر لهم ما حصل بأمتثالهم للكذابين من أقوام الأنبياء العاقبة ، وذلك كما جرى في الأعراف ، وهود واقمر وغيره ، إلى غير ذلك من الحكم والأمم ، والمناسبات ، ومن الحكمة العادة المهمة في ذكر القصص القرآن إلامة الحجة على أن القرآن من عند الله ، وليس من عند النبي لأنه لم يكن فارسا ولا كاتبا ، ولا عرف منه أنه اتصل بأهل الكتاب وأخذ عنهم ، ولو أنه صل الله عليه وسلم أخذ عنهم حيثما من معارفهم ، أو تعلم منهم ، لكان أول ما جابوه به حينما جاءهم وسفه آراءهم ، وإن زبغ عقائدهم ، أن قالوا : إننا نحن الذين علمناك ، ولتفانك ، ولكن أي هو ؟ وسفه الله حيث قال : نحن ظنن عليك أحسن النصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإلى كنت من قبلهم للقاتلين ، ^(٤) وقال : ولقد كان في قصصهم عبرة لأول

[٢] مود ٢٩ .

[١] يوسف ١٦١ .

[٢] يوسف ٢ .

[٣] مود ١٢٠ .

ومن خارجها ولا سيما من اتحاد طلبة المسلمين في الولايات المتحدة وكندا وهي تدور حول هل يجوز عرض القصص القرآني من طريق المسرح أو السينما ؟ وهل يصح أن تقوم بتمثيل في المسرح ، أو السينما من حياة النبي محمد ، أو موسى ، وعيسى ، وإبراهيم الخليل عليهم الصلاة والسلام ؟ وهل يصح لنا نحن المسلمين التمثيل بتمثيل قصص من زوجات النبي محمد وآله سواء بالمسرح ، أو على شاشة السينما ؟ وهل يصح لنا معاشر المسلمين التمثيل بتمثيليات سواء بالمسرح ، أو على شاشة السينما لحياة أصحاب النبي محمد ﷺ أو حياة زوجاتهم ؟ وهل يجوز تصوير للمعاني القرآنية من طريق الأفلام الفنية ؟ وهي أسئلة - ولا شك - جديرة بالتقدير والإجابة ، وإليك الجواب :

إن الأشخاص الذين تصور عليهم لقصة إما أن يكونوا غير أرباب من الملوك أو طلبة المستعربين ، والكفار المماندين وهؤلاء يجوز تمثيلهم وإظهارهم على المسرح أو شاشة السينما ، ولا حرج ، ولا ضير في ذلك . وإما أن يكونوا أرباباً ، أو رسلاً مرسلين ، وهؤلاء لا يجوز أن يمثلوا لأن

وأشهر بداهة ، فقال : « لسان الذي بالحدود إليه أعجمي » ، وهذا لما ذكر في ص ١١٠ .
وقصص القرآن كله حق ، وصديق ، وواقع ، وليس من قبيل الخيال ، أو الاختراع والابتداع من غير أن يكون واقفاً كما هو الحال في معظم القصص ، والروايات اليوم التي تقتل على المسرح ، أو على شاشة السينما .

وليس فيه تزييد أو اختلاف ، أو تحجور ، أو تحيف ، وإنما هو الحقيقة الواقعة ، والله تبارك وتعالى - وهو الذي أحاط علمه بكل شيء - حينما عبرها جرى بين الأقوام المتباينين ، الذين لم تكون لهم العربية ، إنما ترجم ذلك إلى اللغة العربية للمعنى ترجمة توغرت لها أقصى غايات الفطنة ، والأمانة ، والعلم بما يبدون ، وما يخفون من خبايا النفوس ، ومسكنات الضمائر وما يربصون من المعاني الأصلية ، والمعاني الثانوية ، واللغة العربية من بين لغات العالم - لقدح المعنى في الوفاء بكل ذلك .

هذه مقدسات لا بد منها قبل الدخول في هذا الموضوع الخليل الذي سأذكر حكمه . وقد جاء تنبيه من داخل الجمهورية ،

عنده علم يسير الأنبياء ومحو لغزهم ، وما يجوز عليهم من الصفات ، وما لا يجوز وما يجب عليهم الانصاف به ، وما يستحيل عليهم ، ومن زعم أنه في هذه الأوساط من هو كافي بتمثيل الأنبياء فقد كابر ومات ، وكذلك ليس في غير الأوساط المسرحية والسينائية من يصاح الله ، فهو إن صلح من ناحية دينه ، وخلقه ، واستقامته فله يستطيع ذلك من جهة الفن ومن ذلك نرى أنه لا يجوز تمثيل الأنبياء والمرسلين على المسرح أو السينما ، إبقاء على جلالهم ، وقد سينهم في النفوس .

وقه يقال : إن ليلم « المسيح » عليه السلام الذي ظهر في إيطاليا قد نجح ، وقد تحوط القائلون به في اختيار الشخص الذي قام بتمثيل شخصية السيد المسيح ، وتمهده هو بالآب مثل بعدها أبداً ، وقد عرّضه لها بأن قدم « فيلا » مغزلاً خاصاً وأمدّه بمشاع شهرى مدق الحياة ، فلما لا تملك كلفه ١١٢ وكه ذلك ظهر في الغرب فيلم « الإنجيل » ومما قيل عن هذا الفيلم وعن أخطائه فهو محاولة جريئة ، فلم لم نحاول مثل ما حاولوا ١١٢ وأنا أقول لهؤلاء : إن التحوط إلى

المسرح ولا على شاشة السينما قط ، وسواء في ذلك بيننا محمد أو موسى ، أو عيسى ، أو إخوانهم الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - وفتح هذا الباب يجر على الأديان كلها شر مستطير ، ويقتل من هائل الأنبياء والمرسلين ، ويؤذى في يوم ما إلى الاستهانة بهم .

إن الفن المسرحي أو السينائي - على حسب ما أعرف - يعتمد أكثر ما يعتمد على التقارب أو التجانس الخافي - بكسر الخاء وسكون اللام - والخلقى - بضم الخاء واللام - بين الممثل ، وبين من يمثله ، بل عليه فنيا أن يصل ما استطاع على أن يتقمص شخصية من يمثله ، وأن يحاول أن يكون صورة منه مطابقة للأصل ، ومن ذا الذي يكون له من قوة الشخصية ، والاستقامة السامة على الدين ، والنظرة الأخلاقية ، من الممثلين وغيرهم من يصلح أن يمثل صفات ، وأخلاق ، واستقامة ، وغنى جوانب حياة نبي من الأنبياء ، ١١٢ ولعل مما لا يخفى ليسه الثاني أن الأوساط الفنية ، والمسرحية ، والسينائية فلما نجد فيها واحداً أو واحدة يترفع سلوكه لنيل هذا العمل الجميل النبيل ، أو

وكذلك لا يجوز تمثيل حياة زوجات النبي ﷺ على المسرح أو السينما، ولا أحد من الصحابات، ولا أدري من هي التي تملح من الممثلات وغيرهن أن تكون رءسا صادقا، وعسوانا مثقرا لزوجات النبي وزوجات أصحابه، أو تدهيبن في نسبهن وشرفهن، ودينهن، وخلقهن، ودقطنهن، وعلهن ١١٩

إننا لو وجدنا المذنب، فلن نجد المذنب، فبنته ندبنا حتى نأكلها كاملا، ولو وجدنا الله فبنته لن نجد الله، المذنب، ولو وجدنا ما فلن نجد ذات الخلق الأسيل، والاحتقار على الله، أليست هذه هي الحقيقة المرة ١٢ وأبضا لا يجوز تمثيل أحد من الصحابة - ولا حيا المفاخير منهم، والآفة كالخلفاء الراشدين وأمثالهم - على المسرح أو على القاعة، ومن ذا الذي يداني الصحابة - وخوفا الله عليهم - في دينه واستقامته، وحقه، وقوة شخصيته، وعظمة نفسه حتى يستأهل أن يتقمص شخصياتهم، ويظهر بمظهرهم، ويحشد قضائهم ١٢٠

إني أرى بدأ بالآباء الصالحين الأخيار، وأرواح النبي الأطهار، والصحابة الأجداد أن يصيروا - لو فتحنا باب القمص هذا -

أمكن اليوم، فن يدري أن هذا التعطو سيجتمع، ومن يضمن لنا ذلك ١٢١ وهامود العالم اليوم يخطى واحدة في سبيل التحلل من التكاليف الدينية، والآداب الخلقية، والاحتجابية، ثم من من المثلث يستأمل أن يتحل شخصية النبي ﷺ؟ ثم إذا كان الغرب قد أخطأ فيما فعل، فهل من شرمة العدل والإنصاف أن نخطئ. كذلك؟ ومن قال: إن الخطأ يبرر الخطأ ١٢٢

وفرق ما بيننا معاشر المسلمين، وما بين الغرب، والغرب لا يمتنع من أسرارهم إلا للقليل، والدين المكشوف من الحياة حتى صار منزوبا في الكسائي، وهم - مهما كانوا - لا يرون أن تقديس جميع الأنبياء واجب، وإلا لما هذا الصنف والتجنس الآثم على النبي ﷺ، وعلى الإسلام الذي طمعت به كتبهم، ولا سبأ فئة المستشرقين منهم أو إن عذت فقل المستعربين، أما نحن المسلمين فقل ضد ذلك، ولن نجد فقط في كتاب إمامي حط أو تدهين لأوسى، وهيسى، وغيرهما. والله أحسن إليه: أنه لا يجوز تمثيل نبي من الأنبياء على المسرح أو شاشة السينما، بل أقول: إله حرام، وهم.

نعتبر مثلاً علياً في كل جواب الحياة، والتي
يجب علينا أن نبرزها للناس، ونصنفها بها
في التربية، والتدريب، والتثقيف، والتعليم،
والجواب: أن نمرض هذه الحيوانات،
ولا سيما سيرة النبي ﷺ، ومعها الصحابة
المتضلة مرضاً، صادقاً، جذاباً، مغرياً، من
طريق المحاضرات، والأحاديث، والقمص
وشاشة السينما من غير تصوير الذخفيات
وإظهارها على الشاشة، وذلك كما حدث في
أيلم (ظهور الإسلام) فقد عرضت فيه
الأحداث الإسلامية عرضاً فورياً مؤثراً
من غير إظهار شخصية للنبي ﷺ،
ولا شخصيات أصحابه الكبار، وقد نجح
هذا الفيلم السينمائي أياً نجح، وكأله أنه
في نفوس الجماهير.

وأم من ذلك - في رأيي - أن تلقى
أبنائنا وبناتنا أحداث الحياة، ومواقفها
الطاهرة من الصغر، كما تلقىهم القرآن، وأن
يفرض تدريس سير هؤلاء شادة الأخبار،
والحياة الفضليات في المدارس وللمناهج
والجامعات، وفي المساجد، والمعامل،
والمنازل، والمصالح، وتكثف الجهود،
دراسة يكون لها أثرها في العقيدة والمفكر
والأخلاق، والمعاملة، وهكذا كالمسيرة

علمية الفنايز، والمشكلات، وصغرية
الساخرين منهم، والساخرات، ومضخة
يلوكونها في أفواههم، وأفواههم

وكذلك لا أرى تصوير المآل القمريّة
بالوحات الفنية، وهذا إن جاز في تربية
النفس، والتعليم، لا سيما بالقصة لغير القرآن
فلن يجرؤ بالنسبة لأقدس كتاب سماوي
توفرت له من دراهم الثروة، والرفق
بالنفس، وعدم التعريض والتبديل، ودوامي
الحفظ، ما لم يكن لأي كتاب في الوجود
سماوي، أو أرضي.

إن الاستفادة بالقرآن الكريم إنما
تكون بحفظه، ثم تدبره، وفهمه، ثم العمل
به، وإذا أردنا أن تثبت معاني القرآن
في نفس الأطفال والفتيات فليكن من
طريق القدوة الحسنة، وإلا فما من أثر
يأسر المدرس التقليد بالامثلة وهو لا يراه
أبداً يصل، وأن نأمر المدرسة الطالبة
بالاحشام، وهي في غاية الانحلال

وقد يسألني سائل: وكيف الاستفادة
إذا من حيوانات الألبان، وأزواجهم،
ولاسيما نساء النبي ﷺ وحيوات صحابة
السكرام، وزوجاتهم، وهذه الحيوانات التي

الذي، وصير الصحابة، وغزواتهم، مكانها،
ومزنتها في المجتمع الإسلامي الأول.
روى عن محمد بن سعد بن أبي وقاص،
أحد أبطال الإسلام المتأخرين، أنه كان
يجمع بنيه ويقول لهم: (يا بني احفظوا
هذه المير والماضي، فإنها شرف آبائكم)
إلى والله إنها شرف الآباء.
وهذا هو علي زين العابدين بن الحسين
- رضي الله عنه - يقول: (كننا لمسلم
منازي رسول الله ﷺ كما لمسلم السورة
من القرآن) ١١ إلى والله كانت السورة لها
هذا الخطر، وهذه الميزة.
وبهذا نلوا عروش الإكسرة والقيصرية
وصاروا قادة الدنيا أحقابها من الزمان.
لقد كانت الجيوش العربية الإسلامية - التي
منعت بلاد فارس، والروم، وبلاد آسيا
حتى وصلت حدود الصين، وبلاد أفريقيا
حتى وصلت إلى المحيط الأطلس - تخرج
إلى الجهاد وفيها قصاص من خيرة الصنعة
والنابغين، وكانت مهمة القاص أن يقرأ

بين الضخوف، وعند احتدام القتال،
آيات الجهاد والاستفتاء في القرآن الكريم
وبذكر المجاهدين بالبطولات والواقف
الإسلامية في بدر، وأحده، الخندق،
والخديبية، والفتح، وحنين وغيرها من
المجاهد والملاحم، وهل كافي آثارنا،
وسلمنا المصلح الذين فتحوا الدنيا بالإيمان
والعلم، والرحمة والعدل، يعرفون
مسرعات، أو روايات دينية ١٢ لقد
أصبح هذا النومان ولا سيما في العالم
العربي والإسلامي من أخطر العوامل
المهددة التي سرقت شباب من الجهد،
والعمل الدائب المتعب، وحل محلهم في
والأخلاق العسكرية من النفوس، وهل
امتفدتا كل وسائل التقدم، ولم يبق
أماننا إلا تعجيل القصص القرآنية في
للسراح، وشاعة السينا ١٢
ما أحوالنا في هذه الظروف العصيبة
التي نمر بها البلاد من أد تدع الباطل،
وإثارة الفتنة (والفتنة نائمة، ولعن الله
من أيقظها) ١٣

د. محمد محمد إبراهيم

الموسوعة المترآنية

تصنيف الأستاذين :

ابراهيم البيارى وعبدالمقصود مرزوق

للكثيرة على العارضة

- ٢ -

ومن يجب أن الكاتب يذكر - بعد ذلك - قصة سيدنا عمر مع عديم بن حكيم - رضى الله عنهما - وألّفتي - عليه السلام - قال لكل منهما - بعد أن سمع قراءته - هكذا أزلت .

وعامده به المصنف لرأيه ما تلقه من (التي قنينة) إذ يقول : (وكذلك تتبع أبي قنينة لقراءه ، وأحصى لهم الكثير ، وفي ذلك يقول : وما أفهم من - لم من هذه الطبقة في حرفه من القلط والورم ^(١)) .

ويقول في الصفحة التالية بعد أن تكلم على رسم المصحف ، وأنه كان آخر جهه الذين كتبوه : (وكان هذا طمناها عثمان حين قال : أرى فيه لحنا ومستقيمة العرب بأسننها ، ولقد ألامته بأسننها ، وزركت الرسم على حاله عتسلا في مصحفه الإمام) .

ومن يقول : (غير أن ما فعله عثمان لم يلبس على كل خلاف ، وأوسع في هذا الخلاف بقاء المصحف الإمام غير منقوط ولا مشكول) .

وكأن الخلاف لم يكن ناشئا عن الخلاف الرواية عن الرسول ، بل كان ناشئا من اجتهاد وضع فيه بقاء المصحف غير منقوط ولا مشكول .

وبعد أن جهد لرأيه بما ذكرنا يذكر بعد كلمة الزركشي ، وكأنه يؤكد بها هذا الرأي : (وقراءات السبع متواترة عند الجمهور ، وقيل : بل مقصورة . والتحقيق أنها متواترة عن الأنفة السبعة ، أما تواترها عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ففيه نظر ^(١)) .

وعند الكاتب أن مصحف عثمان الذي

(١) المصدر السابق ص ٨٢

(١) الموسوعة ج ١ ص ٨

بين أيدينا الآية ، وهو - كما يقول - أقوم ما يكون ضبطاً ، وأصح ما يكون شكلاً يغنياننا عن كل قراءة لا يحملها وصحة : ولا يفهم إليها ضبطه ، بل يرى أننا (حين نمكن لهذه القراءات أن تمشي لتكون كن محاولة أن يخرج عن ما أراده هناك ، ومنه على من قبله ، ثم الصحابة على وحدة القرآن) .

وقد كان هذا الكلام نقيضاً على ما رده الزخشري على (ابن حارس) في قراءته ، وكذلك زين لكثير من المشركين غنى أولادهم من كؤوم ، يوقع (قتل) ونصب (أولادهم) وجبرت (شركاء) على إضافة القتل إلى الشركاء ، والفصل بينهما بفهم الظرف ، وعلى (أن عمرو) في قراءته : (فينفر لمن يفاء) بدغام القراء في اللام

وخلاصة نقيب الكتاب على القراءات تنحصر في ثلاثة أمور .

١ - ما يتصل بأحرف العرب ولغاتها مثل الإثاء والتفخيم والتترقيق وغير ذلك مما لفظت به الفوائد ، ولم نستطع ألصقها ههنا ، وهما - عند الكاتب - هو القراء بالأحرف السبعة التي وردت في قول

الذي ﷺ - : (أنزل القرآن على حجة أحرف) قال . وما من شك في أن ذلك كان رخصة للعرب ، وما من شك في أن هذه الرخصة قد نسخت بزوال العجز ، وليسر الحفظ ، وفقد الضبط ، وتصلب القراءة والكتابة ^(١) .

٢ - ما يتصل برسم المصحف ، وبقائه بهذا غير منقوط ولا مفكوك إلى زمن عبد الملك ، وقد نفى عن ذلك قراءات كثيرة وتأويلات جمة . وهذه - عند المصنف - ليست صحيحة ، وإعماح إسرائف في الاجتهاد من القراء ^(٢) .

٣ - ما يتصل بإحلال كلمة مكان كلمة ، أو تقديم كلمة على كلمة ، أو زيادة أو نقصان . قال الكاتب : وما أظن هذه تكون كلمة تذكر بمسند أن أصح في أيدينا المصحف الإمام ^(٣) .

كل هذا يتضح لنا أن الكاتب الفاضل يرى الأيقرة القرآن الذي من هذه الوجهة التي نوه بها ، ونفصل - فيما يبدو

[١] المصدر السابق ص ٧٩ .

[٢] المصدر السابق ص ٨٠ .

[٣] المصدر السابق ص ٨٧ .

حمياء ، وثاه في تيهاء ، وأنا أبرأ إلى الله وأبرئ من جهة كتابه ، وخفظة كلامه ، مما دام به ، فإنه يحيل أن لقراء أنعم الوجوه المعبدة اختار كل منهم حرفاً قرأ به اجتهاده لا نقلاً ومما ، فلذلك غلط (ابن حاصر) في قراءته هذه .

وبعد أن ذكر الوجه الذي غلط الزحشرى به ابن حاصر ، قال : « فهذا كله - كما ترى - ظن من الزحشرى أن ابن حاصر قرأ قراءته هذه رأياً منه ، وكان الصواب خلافه ، والنصحيح - سواء ، ولم يعلم الزحشرى أن هذه القراءة ينصب الأولاد ،

والفصل بين المضاف والمضاف إليه بها يعلم ضرورة أن النبي - ﷺ - قرأها على جبريل ، كما أزلها عليه كذلك ، ثم تلاها للنبي - ﷺ - على هذه التواتر من الألف .

ولم يزل هذه التواتر يتناقلونها ، ويقروون بها ، خلفاً عن خلف ، إلى أن انتهت إلى ابن حاصر ، فقرأها أيضاً - كما سمعها - فهذا معتقده أهل الحق في جميع الوجوه السبعة أنها متواترة جملة وتفصيلاً ، من أنصح من نطق بالضاد - صلى الله عليه وسلم :)

ثم قال : « ولولا عذر أن للنكر ليس

من كلامه - القراءات المبيح ، بل العسر وما فوقها .

فعلينا - كما يرى - أن نقرأ القرآن كما نجهده في مصحف هناك ، نطقاً باللفظه ، وحده مجردة من الترفيق والتفخيم والإمالة وغيرها ، وألا نحاول أن نقرأ مثلاً : « وجاءت سكرة الموت بالحق » أن نقرأها (وجاءت سكرة الحق بالموت) . وذلك لأن هذه القراءات اجتهاد من القراء ، والاجتهاد عرضة للخطأ ، وقد ساعد على ذلك بقاء المصحف حيناً غير منقوط ولا معكول .

وهذا رأي جسد خطير ، ونافذة - إن أيقننا ما فيها - لا نأثينا إلا بالماثور والأحاديث ، وما لا تتوقع من مزال وأخطار .

وقبل أن نأخذ في تفنيد هذا الرأي نجب أن نضع أمام الكاتب ، وأمام غيره من كل متجرب على القراءات الإسلامية ما كتبه العالم الكبير أحمد بن زهير السكندري تعليقاً على تخطيط الزحشرى لابن حاصر في القراءة التي أقرنا إليها سابقاً قال - رحمه الله - في كتابه (الاتصاف) (لقد ذكره المصنف في هذا الفصل من

ولكن الذي حدث بالفعل أنه لم تصح قراءة من طريق النقل إلا وهي موافقة العربية، فإذا صحت القراءة وجهنا نظرها في لغة العرب فليس واجبتنا أن نرد القراءة بل واجبتنا أن نبحث - متى تلمحت - عن مصدرها في لغة العرب، ولأن تبهم استقرار النحويين أولى من أن نرد قراءة ثبتت بالنقل الصحيح.

ويجيب قول الإمام جبر الدين الرازي عند تفسيره لقول الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا» (١).

قال الفخر: (قال قطرب: كذا (إذ) و(إذا) يجوز إلامة كل واحد منهما مهما مقدم الأخرى، وأقول: هذا الذي قاله قطرب كلام حسن، وذلك لأننا إذا جوزنا إثبات اللفظ بغير مجهول منقول من قائل مجهول فلا يجوز إثباتها بالقرآن العظيم كان ذلك أولى.

أنفس ما في الباب أن يقال: (إذا)

من أهل اللغة - أي علم القراءة، ولم الأصول - ولا يسه مع ذوي الفنون لذكورين غلب عليه الخروج من رتبة الدين، وإنه - على هذا المنهج - لى مهدة خطيرة، وزلة منكرة، تزيد على زلة من ظن أن تعاصيل الوجوه الصعبة منها ما ليس مثواترا، فإن هذا القائل يثبتها بنقل النقل، وغابت أنه ادعى أن نقلها لا يشترط فيه التواتر، وأما الزمخشري فظن أنها تثبت بالرأي غير موقوفة على النقل، وهذا لم يقل به أحد من المسلمين (٢) وما أحسن ما قاله هذا العالم الجليل بمدحهم وأما أحرانا أن نشدده جيدها، قال: وليس فرضنا تصحيح القراءة بقواعد العربية، بل تصحيح قواعد العربية بالقراءة.

قال العبد إنما هو في إثبات القراءة بالنقل الصحيح، ومنى ثبتت من هذا الطريق فلا ينبغي أن يفتى في طريقها شيء من قواعد اللغة، بل يجب أن يكون ما جاءت عليه هو القاعدة.

نعم، قد اشترط العلماء في الحكم بصحة القراءة أن توافق العربية ولو بوجه،

(١) الآية ١٠٦ من سورة آل عمران (٢)

(٢) هامش الكشاف ٤٠٤ - ٤١ - ٤٢

أولاً :

ما آثر من الصحابة - رضوان الله عليهم -
وجهرة طائفة العلماء يؤكد أن القراءات
منقولة عن النبي - ﷺ - وإذا كان حدث
فيما بعده ، خطأ من بعض القراء فهو ككل
يقع من عالم ، وقد جهد العلماء فتنات
في رد ذلك بما توفر لهم من أدلة تظن
في تصحيح النقل .

فيما ورد من الصحابة :

(١) روى عبد الله بن مسعود رضي الله
عنه ، عن حديث له عن القرآن ، قوله :
ولقد قرأنا تنازع فيه منه رسول الله ﷺ
ليأمرنا بقراءة عليه ، فيخبرنا أن كلنا حسن ،
ولو أعلم أحدا أنه لم بما أزل الله على
رسوله مني لطلبت حتى ازدهاه عليه إلى علي .
ولقد قرأت من لساني رسول الله ، ﷺ
صبعين سورة ، وقد كنت علمت أنه يمرض
عليه القرآن في كل رمضان حتى كان عام
قبض فمرض عليه مرتين ، فمكث إذا فرغ
أقرأ عليه فيخبرني أنني حسن ، فمن قرأ
على قرائتي فلا بد مما رغبة عنها ، ومن
قرء على شيء من هذه الحروف فلا بد منه
رغبة منه ، فإنه من جعد بآية جعده كله .
فسيدها ابن مسعود قرأ أولاً ، من لسان

حقيقة في المستقبل ، ولكن لم لا يجوز
استعماله في الماضي على سبيل المجاز ، لما
بينه وبين كلمة - (إذا) من
الغاية الشديدة .

وكثيراً أرى النحويين يتحسرون
في تقرير الألفاظ الواردة في القرآن ،
فإذا استدعوا ، في تقريرها بيت مجهول
فروحاه ، وأما شديد فمجب منهم ، فإنهم
إذا جعلوا ورود ذلك البيت المجهول على
وفق دليل على صحة فلان فجعلوا ورود
القرآن به دليلاً على صحة كان أولى .

ومن يجب أن الزخشي رحمه الله
تفريط القراء لبعض قراءات الحسن ومحمد
ابن السميع ، ثم نقل تحقيق النضر بن جميل
على القراء حيث يقول (إن جاز أن يخرج
بقول العجاج ورؤية فهلا حاز أن يخرج
بقول الحسن وصاحبه ، مع أنا نعلم أنهما
لم يقرءا به - أي هذا الحرف إلا وقد جمع فيه)

الكشاف ج ٣ ص ١٢٩

ثم نسوق الأدلة من صحة ما ذهب إليه
هذا العالمان ، وأمثالهما وم أهل الحق
من المسلمين ، وعلى أبطال ما ذهب إليه
صاحب الموسوعة القرآنية من أن القراءات
اجتهادات القراء .

(ج) قصة أخرى وقعت لأبي كعب نعبه قصة عمر وهشام غير أن أبي حدث من قصة بعد أن سمع إقرار النبي قراءة الرجلان المذنبين أسكر أبي قراءتهما ، مع اختلافهما ، أحدهما من الآخر أيضا .

قال أبي : فحفظ في نفسي من التكبذب ولا إذ كنت في الجاهلية ، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ما فعله فغضبني ضرب في صدره ففتحت عروفا ، وكأني أنظر إلى الله تعالى لرفقا ، فقال : « يا أبي أرسل إلى أن أقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن أقرأ على أمي ، فرد إلى الثانية : أن أقرأ على أمي ، فرد إلى الثالثة . أن أقرأ على سبعة أحرف ، وفي بكل ردة وردتها مسألة ثمانيتها ، فقلت : اللهم اغفر لأمي اللهم اغفر لأمي ، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلى فيه الخلق كلهم حتى إبراهيم عليه السلام ، ^(١) .

(د) وأصرح من هذا ما رواه مسلم - أيضا - عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه حدثه ، قال : « أقرأني جبريل عليه السلام على حرف ، فراجعت ، فلم أزل

رسول الله ﷺ رأي أنه تلقى عنه القرآن بالقراءة التي تنفق مع لغة (هذيل) ، وابن - عود منهم ، ثم كان بعد ذلك بتأكد من أن قراءته الأولى لم يطرأ عليها تغيير بعد العرض ، واستمر على ذلك حتى العرضتين الأخيرتين ، وكذلك كان يفعل غيره .
وعليها أن تتأمل جيدا كلمته : فإنه من جحد بأية جحد به كذا .

وواضح من كلامه أنه يريد بجحد الآية جحد قراءتها على حرف من هذه الحروف التي نهي أن يدها من قراءتها .

(ب) تلك القصة المشهورة التي وقعت بين عمر الخطاب ، وهشام بن حكيم ، رضي الله عنهما ، والتي احتكا فيها إلى رسول الله ﷺ ، فسمع من كل منهما قراءته لسورة (المراد) ، وكانت القراءتان جد مختلفتين حتى هم صرأن يقطع بهشام ، وقد قال النبي لكل منهما : هكذا أنزلت قراءة عمر نزلت من السماء ، وقراءة هشام نزلت من السماء ، وقد أقرأ رسول الله ﷺ كلاهما بالقراءة التي قرأ بها كما احتج بهما ولم يكن موقف النبي ﷺ ، أن يسمع من كل منهما ، ويتركه يقرأ بليجته ، ثم يميزه بعد ذلك ، كما أراد أن يفهم لاتب الموسوعة

وقد انعقد الإجماع على صحة قراءة هؤلاء الأئمة ، وأنها سنة متبعة ، ولا مجال فيها للاجتهاد .

وإنما كان ذلك لأن اقترادة سنة مروية عن النبي ﷺ ولا تكول القراءة بفهم ما روى عنه ^(١) .

هكذا : (انعقد الإجماع) . (ولا مجال فيها للاجتهاد) .

(ج) نقل القرطبي عن كثير من العلماء كلمات في القراءات ، منها : (وقد أجمع المسلمون في هذه الأمصار على ما صح من هؤلاء الأئمة بما رويهم ورأوه من القراءات ، وكتبوا في ذلك مصنفات لا تنقطع الإجماع على الصواب) ^(٢) .

(د) ونقل عن (ابن عطية) المفسر الأندلسي للعهد رقبته : (ومضت الأمصار والأمصار على قراءة السبعة ، وبها يصل ، لأنها ثبتت بالإجماع ، وأما شاذ القراءات فلا يصل به ؛ لأنه لم يجمع الناس عليه) ^(٣) . ومعنى الإجماع هنا أن الرواة نقلوا القراءة عن الرسول ، نقلها جماعة يؤمن

استزبده فيزبدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف .

(هـ) وفي مسلم أيضا : حدثنا أحمد ابن حنبل الله بن يونس حدثنا زهير حدثنا أبو إسحاق قال : رأيت رجلا سأل الأصم ابن يزيد - وهو يعلم القرآن في المسجد - فقال : كيف تقرأ هذه الآية : (فهل من مدكر) . أوال أم ذالا ؟ قال : بل ذالا . سمعت عبد الله بن مسعود يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول (مدكر) ذالا . ومثل هذا الحديث كثير ، كلها يعنه القراءة إلى رسول الله ﷺ . وهذا ما أجمعت عليه كلمة العلماء فيما بعد ومن ذلك :

(أ) قال ابن تيمية - وهو الذي استند الكاتب في رأيه إلى بعض ما أخذه على بعض القراء - قال - بعد أن تدبر وجوه الخلاف في القراءات فوجهها سبعة أوجه (وكل هذه الحروف كلام الله تعالى) وقد أثبتنا كلته فيما سبق .

(ب) وقال الإمام بدر الدين الزركلي - وهو الذي اعتمد الكاتب بكلمة من كلامه - : (إن القراءات توقيفية ، وليست اختيارية ، خلافا لجماعة منهم الرضويين .

[١] الرحمان - ١ ص ٣٦١ ، ٣٦٢ .

[٢] الجامع لأحكام القرآن - ج ١ ص ٤٠ .

[٣] للرجح السابق .

لأنه لم يكن الصحابة - وضوان الله عليهم - أن يجتهدوا في القراءة ، فكيف يجوز لعلماء متأخرين عن هدم مهابم كان مبلغهم من العلم أن يجتهدوا ، وم - به - ليسوا من أرباب اللغة الأصلاء فيها ؟

والكتاب يروى أن القراءات السبع هي الأحرف السبعة ^(١) ، فكل ما قلناه بما ينطبق بالأحرف السبعة يلزمه في القراءات السبع .

غير أن جمهرة العلماء يرون أن القراءات السبع ليست هي الأحرف السبعة ، وإنما ترجع القراءات إلى حرف واحد منها ، وهو الذي جمع عليه قتال للصحف - كما ذكر القرطبي في تفسيره - ^(٢) ، وكما ذكره الطبري في (البيان) والخاصي في (فهم المن) .

وإذا اختلفت الكتاب بهذا الرأي وهو حتى زعم أن القراءات السبع موجودة كلها في مصحف قتال ، فلا تنسب له الدعوة إلى الاستغناء عنها بحجة أن مصحف قتال يكفينا .

تواظفم على الكذب . ولم ينكر عليهم أحد من المسلمين ، نصار ذلك إجماعا . وإذا كانت الصلاة جائزة بهذه القراءات السبع ، وهو ما لم يخالف فيه ، فكيف يهدمونا الكتاب إلى بسببها ؟ ويقول (أبو هامة) في (ملك) و (مالك) من صورة القامحة : إني أصلي بهذه في ركعة ، وبهذه في ركعة .

(هـ) ونقل القرطبي عن ابن عطية - أيضا قوله : (ولم تقع الإباحة في قوله - عليه السلام - : « فافروا ما تيسر منه » ، أنه يكون كل واحد من الصحابة إذا أراد أن يبدل الكلمة من بعض هذه الكلمات جعلها من تلقاء نفسه ، ولو كان هذا قد ذهب إجماع القراء ، وكان معروضا أن يبدل هذا وهذا حتى يكون غير الذي نزل من عند الله ، وإنما وقعت الإباحة في الحروف السبعة التي - ^(٣) - ليوسع بها على أمته ، فأقرأ مرة لأبي بما عارضه به جبريل ، ومرة لابن مسعود بما عارضه به أيضا .

(و) روى عن حمزة أحد القراء السبعة - وكان أروع أهل زمانه - قال : ما قرأت حرفاً من كتاب الله إلا بأثر .

[١] للموسوعة القرآنية : ١ ص ٦٨ و ٦٩

[٢] ١ ص ٥٠

ومن يجب أن يكتب هذه ناقضه
في الجزء الرابع فذكر أولاً : أن القراءات
السبع هي الأحرف السبعة ، وذكر ثانياً
هذه العبارة المضطربة : (هذه القراءات
السبع ليست هي الأحرف السبعة التي نزل
بها القرآن ، كما أنها ليست بمجموع حرف
واحد من هذه الأحرف السبعة ، بل هي
القراءات الثابتة من هؤلاء الأئمة السبعة)
ج ٤ ص ٢٥٢ .

وقد تجاهل الكاتب - في هذا الموضع -
أن مصحف خالف لم يكن منقوطة
ولا مفكولة ، وأنه - على ذلك - يحتمل
هذه القراءات ، بخلاف المصحف الذي
بين أيدينا الآن ، فإنه منقوطة ومفكولة ،
فلا نستطيع أن نقتصر في القراءة على
ما وافق هذا المصحف فقط بحالته هذه ،
لأننا - حينئذ - ننكر حقائق في النص
القرآني ، تفرغ العلماء ، وبالفراغ في نقلها
عن السابقين الذين نقلوها عن سبقهم حتى
يتصل النقل بالصحابة الذين أخذوا من
رسول الله ﷺ ، وقد بذل العلماء جهوداً
مفكورة في الحفاظ على هذه الحقائق
ليصل إلينا النص القرآني الكريم
كما أنزل .

وقال الكاتب - هنا - أنه اعتبر النقط
التي حاث في زمن الحاج بن يوسف
بعداً فنص القرآن ، وفي ذلك يقول :
(في أيدينا للمصحف الإمام ، هيأ لنا مثال
في الأولى ، وزفه إلينا الحاج في الثانية ،
وما كان هذا المثل إلا خطوتين :
خطوة دعت خطوة في سبيل الوحدة
لكتاب الله تعالى ، كما حفظه على لسان
الحنيفة من الصحابة والتابعين)^(١) .

وفي نفس الصفحة يقول : (ونحن اليوم
في أيدينا هذا المصحف الإمام أقوم ما يكون
ضبطاً ، وأصح ما يكون شكلاً ، فأغناؤه
عن كل قراءة لا يحملها رسمه ، ولا يغير
إليها ضبطه ، من تلك القراءات التي كانت
وتلك حالها التي بسطناها لك) . ولكنه :
(ولا يغير إليها ضبطه) هي التي تنكرها ،
ولا تعرف أن السابقين وانفوا عنها ،
وللمصاحف المتباينة نفسها فيها بعض
الاختلاف . ذكر ابن الجوزي أن ابن ماسر
يقرأ (قالوا اتخذ الله ولها) وقراءة غيره
(وقالوا اتخذ الله ولها) بزيادة الواو ،
وأن ذلك - أي حذف الواو - ثابت في
المصحف النجاشي ، وقرأ ابن كثير : (تجزى

[١] المصدر السابق ج ١ ص ٢٢٧ .

من تهنئها الأنهار) وقراءة غصده (تجرى
تهنئها الأنهار) ، وقراءة ابن كثير ثابتة
في المصحف للك .
وقد غاب عن الكاتب هنا حقائق :
١ - أن الحجاج حين أمر بنقط
المصحف بمدة سنة ٧٥ هـ كانت هذه
القراءات قد انتشرت في الآفاق ، وكان
المقبول منها - كما سنذكره قريباً - هو
ما وافق رسم المصحف الثاني .
٢ - أن القراءتين مثلاً - المتين وافتال

ورسم المصحف قبل قط الحجاج صحيحتان ،
مثلاً قوله الله تعالى : (عذابي أصيب به
من أشاء) بالثين للمجعة ، وقرئ (من
أساء) بالعين للهمة ، فقرأتال صحيحتان ،
والثانية قراءة زيد بن علي ، والحسن ،
وطاووس ، ومرو بن فايد ، فعلى ماذهب
إليه الكاتب ينبغي أن تلفظ هذه القراءة ،
وعلى ما حقهه العلماء من أن القراءة تصح
إذا وافقت رسم المصحف تكون صحيحة ،
فأيهما نثبت ؟

وعلى العمري

قال الله تعالى :

« آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ، وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ
وَرَسُولِهِ لَا يُلْحِقُونَ أَحَدًا مِنْ رَسُولِهِ ، وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ »
(البقرة : ٢٨٥)

العلم والدين

« يظهر بعض من لا خبرة لهم بالعلم أو بالدين الإسلامى أو بكليهما أن هذه العلوم المسماة بالعلوم الطبيعية - والتي يصح قسميتها بعلوم الفطرة - علوم مستحدثة وأنها غريبة عن الدين ، وأن من الجائز وجود تناقض بين حقائقها وحقائقه .

لكن ننهم هذا باطل : لأن هذه العلوم الطبيعية - هي في الواقع - علوم إلامية ، لأنها - في الواقع - علوم قرآنية في موضوعها . . قرآنية في طريقتها ، بل قرآنية في اسمها لأن مادة (علم) بهذا المعنى الطبيعى واردة في القرآن .

فأما ورود مادة « علم » في القرآن الكريم ، بمعنى العلم الكونى الذى يسمى الآن العلم الطبيعى . . . فذلك نراه في أكثر من آية :

فى سورة الأنعام وردت آيات كثيرة موضوعها الحث على طلب هذا العلم بآيات الله فى الكون ، منها قوله تعالى : « وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر فاعلمنا الآيات لقوم يعقلون »

كذلك وردت آيات فى سورة الروم تذكر منها قوله تعالى : « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للمالين »

وواضح من السياق أن المراد بالعلماء هم المالمون بالآيات وأسرار الخلق الذى أودعها الله فيها أشارت إليه هذه الآيات الكريمة . . هؤلاء العلماء إذا كانوا مؤمنين حقا علمهم بأسرار الفطرة على خفية الله فاطر الفطرة ؛ لأنهم يكونون بعلمهم أبصر بعظمة الله سبحانه وجلاله وفقرته المتجلية فى آيات صنعه .

وهذا فى الواقع هو الحكمة الكبرى التى من أجلها أمر الله الإنسان فى كثير من آيات القرآن بالنظر فيما خلق الله فى السموات والأرض من خلقه »

« سنن الله فى الكون »

للكنوز محمد أحمد النمراد

انتباه قرائكم

« فالأبياء شخصيات ضبابية » .

إننا نعلم أن الشخصية الضبابية هي الشخصية
« المرابية » نسبة إلى كلمة (مراب) ،
ولكني لدى طلاء النفس : الشخصية المبهمة
التي لا تثبت للأحداث كما لا تثبت الضباب
للشمس ، والأبياء الكرام أثبت للأحداث
من الجبال الشم والشمس والقمر .

● بمناسبة الدعوة إلى تجريد القراء
من رسم المصحف نذكر ما حدث في العام
الماضي بمجلس العموم البريطاني ، ليذكر
القارئ « الفاروق العاصم » هذه الحادثة
ودعوى تجريد القراء من رسم المصحف
فقد تقدم بعض النواب لإنجليز بمشروع
يهدف إلى حذف الحروف غير الهلالية على
نطق أو حياء في الكلمة الإنجليزية ورفض
المجلس للمشروع بأغلبية ساحقة ، وأصر على
أن يتولى الصغار حفظ الكلمات الإنجليزية
وكتابتها كما توارثها آباؤهم .

اللغة الإنجليزية ليست لغة كتاب مقدس .

● في المؤتمر الخامس للمسلمين
المنعقد في القاهرة ٢٢ من ذي الحجة
١٣٨٩ - ٢٨ / ٢ / ١٩٧٠ ، قال الأستاذ
عبد الفتى الفيض أحمد فاضل الحركة المليما
بالصومال ، ومنعوب بلاده في المؤتمر :
« إن المسلمين في البلاد غير العربية ينظرون
إلى العرب نظرة تقديس ، وكل عربي
يكتب كلمة منحرفة ضد الإسلام ، أو يلمل
من شأنه يحدث بذلك رد فعل سيء
في البلاد الإسلامية غير العربية .

وأتم أيها المسلمون العرب تنظيمون
أن تميزوا بين الخبيث والطيب وتذكرنا
هذا وقدك ، أما لغة الرواية في البلاد
الإسلامية غير العربية فإنها لا تستطيع
أن تقاوم آثار الانحراف بسهولة فعل المسلمين
العرب ألا يتناولوا في هذه هذا الخطر .

● أصبحت الحلال عدداً خامساً
« بالقرآن » ورد فيه كلمات قريبة وصحيحة مما
يجيد القارئ في هذا المعصوم وما ينصومها ؛
من بين هذه الكلمات ما ورد من ٧٦ :

مراقب للتعليم الابتدائي ، كذا أنه ألقى السيد المحافظ كلمة ضافية عن الأهر ورسائله في العالم الإسلامي - مندورة في هذا الباب - ثم تحدث فضيلة الإمام الأكبر إلى مواطني القبول عن رسالة الإسلام ومنهجه في الإصلاح وبعد أن أتم لا تصلح إلا بما صلح به أولها ، واختم حديثه بقوله الرسول - ﷺ - تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنتي .

● زار فضيلة الإمام الأكبر معالم مدينة الفيوم قبل عودته إلى القاهرة .

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر في ١٥/١٢/١٩٧٠ وفد حجاج مسلمي ومسلحات تايلاند برئاسة الدكتور سلبان طيب كرمي والسيدة نوربساته نائبة رئيسة جمعية النساء المسلمات ورئيسة قسم الليتاني بالجمعية .

رحب الإمام الأكبر بالوفد وألقى فيه كلمة أثنى فيها على لقاء المسلمين على القرآن الكريم واقفة العربية ، وهذا الوفد إلى تكرار زيارته عنه هودى . الأراضى الحجازية ليستقبلهم حجاجا وحاجات .

● ألقى السيد الدكتور سلبان طيب كرمي

● قام فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد القمام بزيارة لفيوم - ضمن برنامج في زيارة الأقاليم التي بدأ في العام الماضي وذلك صباح ١٣/١٢/١٩٧٠ .

صحبه في هذه الزيارة فضيلة الأستاذ الشيخ عبد العزيز عيسى وكيل الوزارة لشئون المعاهد الأزهرية ، وفضيلة الأمين العام لمجلس الأهر الأعلى الأستاذ الشيخ ثابت أبو المالح ، ومراقب تفتيش المعلم للقرية والعربية الشيخ مصطفى غسارة ، ومراقب عام الموارد الثقافية بالأهر ، ومراقب عام الشؤون المالية والإدارية بالمعاهد الأزهرية ، ومساعد من أجهزة الإعلام .

وكان في استقبال فضيلته كبار المسئولين بمحافظة الفيوم يتقدمهم سيادة محافظ المدينة .

● زار فضيلة الإمام الأكبر المعهد الأزهرى بالفيوم ، وطاف بمحجرات الدراسة واستمع فضيلته لبعض عروض الفقه واقفة وناقش الطلاب فيها .

● أقيم حفل للأستاذ الأكبر بالفيوم وقد ضم المراقب حجاجا كبارا من المواطنين وتحدث في الحفل فضيلة الشيخ محمد أبو الملا

كله حيا فيها فضيلة الإمام الأكر وشكر
له دعوتهم إلى لقاء ثان . ثم قال : لقد
اتفقنا على ضرورة لقاء فضيلتكم لأننا
نعتبر الأزهر أقدس مكان للمسلمين .

أحمد فضيلة الإمام المصاحف الثمينة
للأعضاء الوفد .

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ
الدكتور محمد محمد القمام شيخ الأزهر
سيادة الدكتور محمود قويد رئيس الوزراء
في الجمهورية العربية المتحدة يوم الأربعاء
١٦ / ١٢ / ١٩٧٠ .

وكان في استقباله سيادة في مكتب
الإمام الأكبر :

الدكتور عبد العزيز كامل وزير الأوقاف
وعثون الأزهر .

كما كانت في استقباله فضيلة الأستاذ
عبد العزيز عيسى وكيل الوزارة لعثون
للإمامة الأزهرية والدكتور محمد بيمار
وكيل الوزارة لعثون بجميع البحوث
الإسلامية وفضيلة الشيخ تابت أبو المعالي
الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر .

وقد دامت المقابلة حوالي ٤٠ دقيقة
وجرى بحث في شؤون الأزهر والأزهريين
وفي شؤون الإسلام والمسلمين .

● خطاب السيد محمد حافظ العيوم
أمام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر :
السيد الدكتور الإمام الأكر
يحملني شعب القيوم إليكم تحية طيبة ،
وترجيبا من الأمان ، ودعوات حارة .

ونعت : فإن صباي الأزهر حاليا مع
متطلبات العصر ، ليملاً قلوبنا بالأمل في
عهد جديد نحس فيه إشراقة الدين في كل
نفس ، ونوازح الظلم فنمر آفاقنا بنفيس
من نور .

لقد نمود بعض الناس خطأ أن يظنوا
بأن رسالة الأزهر قد بما ، وبين الرجعية
في العلم ، والواقع أن علماء الأزهر كانوا
صباقي إلى العلم الحديث ، فقد قال لرحوم
القمام كتاب (مناهج الأبواب) لراحة
الطيطاوي . إه يستر وثيقة رسمية من
أموالنا في تاريخ التعليم بالحامم الأزهر ،
لأنه يعمل على ثبت صحيح بأسماء للأوليات
الكثيرة التي كانت تولف في علوم الطب
ولياصة وطبيعة وفيرها من المسلم
لكونية . ويهتم على أسماء مؤلفيها
وعلماء الدين بدرسونها وطريقهم في
تحصيلها ، ومن هذا التفت الصحيح يتبين
لنا أنها كانت تحيط بعنوة للعارف البعيرة

لقد كان الشيخ الوردى الجاهل النجدة
في الأهر للاحتجاج على أعمال النهب...
وكذلك فعل الشيخ الفرقاوى في أيام
«مراد بك» حيث تزعم الجماهير، وكان
على رأسها الشيخ السادات، وهو مكرم
والبكري، والأمير... وذهبوا إلى الأمير
المستبد وحضر القاضى فأملوا عليه وثيقة
رحمية صادقة عليها الباشا وختمها إبراهيم
بك، يرفع المظالم وإبطال المكوس،
والثوبة، وعدم العودة إلى ظلم الناس.

وقد اعتصمت ثورة القاهرة ضد الفرنسيين
على جماهير الشعب بقيادة علماء الأهر
وجنابا حرك ناهليون أن يمتنعوا هذه
الصفوة الممتازة، فألف منهم وحدهم
«الديوان» أنه مجلس الوزراء برئاسة
الشيخ الفرقاوى. وإيماننا في إرضائهم
وقف في أول اجتماع وقام بإلباس الشيخ
الفرقاوى الطيلسان وشارة فرنسا الثلاثة
الألوان فما كان مع الشيخ إلا أن خلع
الطيلسان والشارة، وألقى بهما على الأرض
متأففا وأدرك ناهليون وهو الريب أن
كلمة الله العليا، فابتلع الإهانة صافرا،
هؤلاء العلماء أنفسهم هم الذين فوضهم
الشعب فقام مع بينهم محرّم كرم والفرقاوى

وأنها كانت دراسات موسوعية جامعية،
مع طراز مناهجها في أعماق العلم كله
على عهدنا.

ولقد كانت راحة الطباطبائي، الذي
الأهرى، إمام البعثة التعليمية في فرنسا
يبحث مع آخر تطورات الفكر السياسي
والاجتماعي والاقتصادي في أوروبا، ويتابع
ما يكتبه فلاسفة الاشتراكية في موضوع
(فلسفة القيمة) ولقد أدله برأيه في مجارات
القيمة لثلاث:

«إن القيمة في الإنتاج لها مصهران:
العمل، وهو يأتي في المقام الأول، ورأس
المال وهو يأتي في المقام الثاني».

ثم ترتفع برة راحة الطباطبائي، في
التنديد باستغلال لللاك للفلاحين إلى درجة
التحذير من التناق الاجتماعي، الذي ينفجر
في ثورة الفلاحين.

أليست هذه بدور اعترا كيتنا؟

وكان واضحاً أن الأهر - طوائف حكم
القائليك والأتراك - كان ملاذ المظلومين
ونقطة تجمع أكثر حركات الاحتجاج
على الظلم، كما كان واضحاً أن بعض كبار
العلماء كانوا يقومون بدور واضح
في الحياة العامة.

« بإبليس » عهد على « بدعة » الوالى
فى دار الحكمة .

ومن أهم عناصر هذا الموقف التاريخى
أن العلماء حين بايعوه لم يفرضوا إليه السلطة
المطلقة ، وإنما اختاروه واليا على حد تعبير
الوثيقة « بشروطنا » وهذه الشروط التى
اقتطعتها العلماء قادة الشعب هى كما نقلها
الجهنقى : « تم الأربعة للمعاينة والمعاينة
على سيرة العدل وإقامة الأحكام والنشأ
والإفلاح عن الظالم وألا يفعل أمرا
إلا بمشورة العلماء وأنه متى خالف الشروط
هزلوه ، وثيقة هذا المضر كما يرى مؤرخ
فرنسى أنه يقرر أن الأمة مصدر السلطات .

ولقد تدفق هذا القفيض النورانى إلى
روح الإمام العبيد « محمد عبده » الذى
يقول فيه أحد كبار المستشرقين الذين ماصروه
« حتى رأيت مقبلا على أحسن أئمة
أمام صورة إنسان يرمز من كتب الأنبياء .

لقد كان الأزهر - أبهى السادة - منارة
لترتفع فى مصر ، فسطح ضوءها فى أقطار
الأرض ، وقد نهضت فيه اللغة العربية
إبان العصر التركى الذى تبللت فيه الألسنة
حتى لقد صدرت الجريدة الرسمية للدولة
فى ذلك الوقت بلسان الترك .

وكنيت فى بيئة الأزهر الخسبة بذور
لغتنا القصص ومدت لغة القراء جذورها
فى الكتائب والمساجد والروايا حتى
انكشف الصقيع وممرت القلوب بدهى
القومية فأطل بث جديد أزهر وأثمر .

إن القيم الدينية فى الأزهر عاشت إيجابية
مع المجتمع وترجمت جميعا إلى سلوك
استلهم على المبادئ ، وكانت سطوة علماء
الأزهر فى الحق فوق سطوة الملوك والأسراء
هؤلاء الذين كانوا يمنون لهم صافريه
وكأنما كان هؤلاء العلماء ترجمة عملية
لقوله تعالى :

« بل نفذ بالحق على الباطل نهضة ،
لقد أهرزاهق » .

ولم يكن فى صالح المستعمر وأذناه
من طلاب الحيلة أن يحمل الأزهر مفعلى
الحضارة الحديثة ليحاووا ظلمات الجاهلية
وينير طريق الأمة وهو القام الذى دارت
فيه كواكب الشعب التى أضاعت طريقته
إلى مقاومة مقام القابله والوقوف فوجه
الطافية الكورسيكى ، والنضال على حدة
« فريزر » ومساواة الطغيان فى كل حين
وفى كل مكان .

نحرسا زكيا من غراس الأزهر ، يصالح
وجوهنا وقلوبنا بروح وروحنا ووجهنا نعيم .
ما أخرجنا إلى أن نفس الأمل
الإيجابي للدين في سلوك أبنائنا ...
إذا لا سبوحوا في مستقبل أعمارهم جيروا
مسئلة على الأعداء : « فطنت أمتهم لها
خاضعين » .

لقد كان لهم الحاله أثر واضح في تطوير
الجامعة الأزهرية لكي تسير في الخط
الحضاري للعاصم ... ولا زلنا نطمح في أن
يشهدك أولو الأمر مناهج المرحلة العامة
بالتطوير والإصلاح ، لتبدأ من الأزواج
المرق ، ولتتمثل عناصر قوية يعتمد
عليها الأزهر في رسالته السامية بمصر
والعالم الإسلامي .

سيدنا الدكتور الإمام الأكبر :
إن الأمة التي قلدهم مشيخة الأزهر ،
وضعت في يدك مقاليد السلطة الروحية
لتنهج بها نهج سلفك العظيم ، الذين دخلوا
بالأزهر والقلم الدينية من أوسع أبواب
التاريخ .

حقق الله آمالنا في غد أسمى ،
ونصر الأمة العربية من عموها الفاشم .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
على الطبيب

وفي ثورة سنة ١٩١٩ تماني الحلال
والعصيب في قضية الأزهر برامة التي
الأزهرى سعد زغلول - وانطلق رصاص
الإنجليز ليسقط أرواح شهداء الثورة على
عتبات الجامعة المصرية هاتمين : تحيا مصر
يحيا الوطن ...

وفي صوان ١٩٥٦ الطلق صوت الزعيم
الحمد جمال عبد الناصر من فوق منبر
الأزهر لحرك مشاعر الأمة وهز كيانهما
وأثار في روحها صور الكفاح التي زلزلت
أقدام الظفنة والمنتجبين واجتاح هذا
الصوت مغارات الأرض ومغاربها ليوقف
ضائر العالم في ذلك الحين وما أخرجنا
اليوم إلى نعمة زكية من نفعات الدين
تتمثل وضر النور وتصل الأرواح التي
صعدت فأطلت منها عوامل ، لا تمكس
القلم الإسلامية الرفيعة التي تقدر التضحية
وتعبد الاحشاد .

ما أخرجنا إلى مرآة وهي فيها صورة
الأزهر في الصحن وجزر القلمين وكيف
كانت هذه الصورة ترجمة صادقة لآمال
المسلمين في الأزهر الذي تهوى إليه أفئدة
أقطار استضافت بضوء الإسلام .

ما أخرجنا إلى أن زرع في كل فناء
من أندية المحافظات والراكر والقرى -

It should be within the reach of every stage of intellect and should be satisfying to it.

What type of path then will fulfil these conditions? Will the paths carved out by the followers of the different religions under the urge of exclusive groupism satisfy these conditions, or the way which the Qur'an designates as The Way, the straight way of God. Among the different group formations, there is not one which does not present a bundle of empty beliefs and unintelligible puzzles or a long list of trying practices. We need not go into details here. Everyone knows what the vaunted beliefs and practices of the followers of the different groupisms are? And what their character is. The aim underlying them all is to present religion as a baffling riddle to the

mind and as a trying exercise to the body. But the character of the Din is so open, so easy, so brief that the entire body of the beliefs and practices is summed up in but two terms viz. 'faith and righteous work'. Its beliefs do not baffle the mind: its practices do not tax the body. It is free from every form of meaningless subtlety. It is throughout a straight road. As the saying goes, its night is as bright as its day.

In short, the follower of the Qur'an is one who treads the Straight Path, the path not chalked out for any particular group or race or community or time, but the universal path of God's truth which has found expression everywhere and at all times and which transcends all geographical and national bounds.

(Continued from page 12)

Thus God speaks sometimes in the first person and sometimes in the third. He says "I" as well as "We" and "He" but never "They". It is a collection of revelation sent by occasion and this fact must be recalled to the beginner - and one should therefore read it again and again in order to better grasp the meaning. It has directions for every body, every place and for all time.

The diction and style of the Qur'an are magnificent and appropriate to its Divine quality. Its recitation moves the spirit of even those who just listen to it, without understanding it. In passing, the Qur'an (cf. 17/88, 11/12, 2/23, 10/38) has by virtue of its claim of a Divine origin challenged men and jinn to produce unto it even a few verses equal to those of the Qur'an. The challenge has remained unanswered to this day.

life as devised by God. On the other hand, it designates the evil consequences of an evil deed as 'divine displeasure', as it is the result of a going against the same law.

The fact is that no other term than "Straight Path" could have been chosen to signify the universal *Dir* or the way of God that the Qur'an speaks of. You may chalk out any number of paths like to reach a particular destination, but the Straight Path will be but one, and it is by following it alone that you can complete your journey with safety. It is only the Straight Path which is called the royal road. Travellers coming from different directions, if they care to reach their common goal in time, shall all have to enter on this royal road as quickly as they can, and proceed on this road only to reach their goal. Else, they will get scattered. Similarly, says the Qur'an, the Straight Path in religion likewise can be only one and not several. It states that such a path was there from the very beginning. It is by proceeding along that path alone that every people in every country, at all times, have prospered. They are now going their own way. But they care to find out whether lies the so-much-sought-for goal, they will have to

repair themselves to the Straight Path. For, this is the Straight Path easy to traverse, by no means uneven wide enough, and by which alone destination is reached. The Qur'an says :

« وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ
وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ
ذَلِكَ وَمَا كُمْ بِهِ لَكُمْ تَفْوُتٌ .
(الأعراف ١٥٣)

It means : "And (He commandeth you, saying) : This is My straight path, so follow it. Follow not other ways lest ye be parted from His way. This hath He ordained for you, that ye may ward off evil". (6 : 153)

From this it is clear that all those forces which cause divisions among mankind are not straight path : they are factors for disintegration. The path that lies away from these, the 'Sirat-al-Musqim' or the Straight Path, is the only path which aims to bring together the dispersed humanity and restore unity to them.

'Dir' laid down by God is for the guidance of man, it necessarily follows that like every other law of life fixed by God, it should by its very nature, be plain and clear enough. There should be no mystery about it, nor should it present a puzzle. It should be easy to conceive and easy to practise.

gone astray. The two types of people—the type whom God has rewarded and the type from whom reward is withheld—are here set side by side. The law of Nature is that compliance with truth brings its reward, and non-compliance brings its own style of recompense viz. the denial of reward. Those who fall under the second category are of two kinds. One is of those who have earned the displeasure of God; the other of those who have no claim to any reward. The former are those who have knowingly discarded the Straight Path and deserved divine displeasure. The latter are those who have wandered waywardly in ignorance of the of the Straight Path, and gained nothing.

The history of nations is replete with examples of both of the latter categories, of peoples who have not profited by the Straight Path and suffered in consequence. One category is of those who once marched on the Straight Path and reaped all the resultant benefits, but a stage came in their course when knowingly they deviated from the Straight Path. The law of re-quital took its own course and they had to go under. Similarly, there have been others, to whom the Straight Path was formally shown but who preferred darkness to light. They could not therefore enter upon the Straight Path and prosper.

Such is the eternal law of life. It does not alter for nations, as it does not alter for individuals. Everything has its own peculiarity about it, and produces its own peculiar effect. This is the law :

« سَنَةِ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِ
وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةِ اللَّهِ تَغْيِيلًا » (الأحزاب ٦٢)

It means : " Such hath been the way of God with those who lived before them, and no change canst thou find in the way of God " (33 : 62)

« سَنَةِ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا
وَلَا تَجِدَ لِسَنَتِنَا تَحْوِيلًا »
(الإسراء ٧٧)

It means : " (This was our) way with the Apostles we have already sent before thee, and in this our way, thou shalt find no change " (17 : 17)

This is why the Qura'n repeatedly draws attention to the success which attended all those people who chose to follow the Straight Path, and gives an account of the sufferings which those who discarded the Path necessarily brought upon themselves and draws a moral. It clearly points out that success was the result of what one did, and suffering was the result of what one did. It designates success as divine favour, as it is the result of conforming to the law of

THE QUR'AN LEADS HUMANITY TO THE PATH OF PROGRESS

By : Moulana Abul Kalam Azad

The path of progress and goodness is styled in the Qur'an as the "Straight Path". The urge to find the straight road and to walk thereon is inherent in human nature. It does not call for any extraordinary intellectual exertion to perceive it. The Qur'an therefore simply points to a well-known type of people who have taken to that road. The pointer presents concrete examples to one's view.

Whatever the age to which one may belong, or the community, one will not fail to notice that human society consists of two types of people, - the successful and the unsuccessful, the good and the wicked. So the easiest way to impress on one's mind what the path of success in life is, it is enough to point to those who have followed it. Had the method of logical argumentation been adopted instead, few would have comprehended the truth without very trying mental exertion and even then would have agreed on no one definite view.

Whatever view one might take of what constitutes human progress, the straight road to it will always mean to every one that which promotes goodness in life and does not create disorder therein or cause injury to it. Some 400 years before Christ, Darius I had this transcribed on a stone pillar which is preserved till today :

"O man ! The order of Abur Mazda is this ; Do not entertain the thought of committing wrong ; do not discard the Straight Path, abstain from sin". So the urge to tread the Straight Path is the urge to follow the path of rectitude and well being. These successful are only those who have followed the Straight Path.

And then this is the to be noted that the Straight Path has been defined not merely by what it actually is, but also by what it is not. The Straight Path is not the the Path, states the Qur'an, of those whom God has shown his disapprobation, nor of those who have

Qur'an has hundred and fourteen chapters, called surats, each of which has a number of verses, called ayats.

In Arabic "manzil" means a station after the day's journey; surats means a walled enclosure, a room; and the root awa, from which the word Ayat is derived, means to go to bed. Station, room, bed, there are the three elements of the journey of the traveller, spiritual or temporal. The traveller undertaking a long spiritual journey has to halt in a station after the day's journey, requires a room and a bed to take rest before the further march the next day in the eternal journey towards the Eternal and Limitless !

The Qur'an is addressed to all humanity, without distinction of race, region or time. Farther, it seeks to guide man in all walks of life : spiritual, individual and collective. It contains directions for the conduct of the head of a state, as well as a simple commoner, of the rich as well as of the poor, for peace as well as for war, for spiritual culture as for commerce and material well being. The Qur'an seeks primarily to develop the personality of the individual : every being will be personally responsible to his creator.

For this purpose, the Qur'an not only gives commands, but also tries

to convince. It appeals to the reason of man, and it relates stories, parables and metaphors. It describes the attributes of God, who is one, Creator of all, Knower, Powerful, capable of resuscitating us after death and taking account of our worldly behaviour, Just, Merciful, etc.

It contains also the mode of praising God, of pointing out which are the best prayers, what the duties of man are with regard to God, to his fellow-beings and to his ownself; this last because we do not belong to ourselves but to God, Who has deposited ourself with us. The Qur'an speaks of the best rules relating to social life, commerce, marriage, inheritance, penal law, international law, and so on.

But the Qur'an is not a Book in the ordinary sense; it is a collection of the words of God revealed from Him, during twenty-three years, to His messenger, sent among human beings. The Qur'an employs graphically the word 'King' for God, and 'Slave' for man; when the King desires to communicate a message to His slave He sends a messenger, and gives His instructions to his envoy; therefore there are certain things understood and implied; there are repetitions, and even changes of the forms of expression.

(Continued on page 16)

It is to be remembered however that it is in the original Arabic language that the text has come down to us, and there has been no need of retranslating into Arabic from some later translations.

A text in the original language, a codification under the auspices of the Prophet himself, a continued preservation by the simultaneous double controls of memory and writing, and this by a large number of individuals in every generation, and the absence of any variants in the text—these are some of remarkable features of the Qur'an, the Holy Book of the Muslims.

CONTENTS OF THE QUR'AN

As stated previously, the Muslims believe that the Qur'an is the Word of God, revealed to His messenger Muhammad. This messenger is only an intermediary for the reception and communication of the revelations; his role is neither of an author nor of compiler. If the Prophet Muhammad sometimes ordered the suppression of certain verses, that was done merely on the basis of a new revelation coming to him from Almighty.

God is transcendent and beyond all physical perception of man; and it is through the medium of a celestial messenger, an angel, that

God causes His Will and His Command to be revealed to His human messenger, for the sake of mankind. God is above all bounds of language.

We may in explanation employ the metaphor, that the prophets are bulbs, and the revelation the electric current; with the contact the current, the bulb gives a light according to its voltage and colour. The mother tongue of a Prophet is the colour of the bulb. The power of the bulb, the current and other things are determined by God Himself; the human factor is just an instrument of transmission, only an intermediary.

The Qur'an is, according to Islam, the word of God; and the Qur'an itself repeats again and again, that the believer must recite it day and night, whenever one can. The mystics have well explained that it is a travelling of man towards God by means and through the word of God, the word of God being the high road, even as the electric current is the road for the light, which joins the lamp with the power house. This is not an empty verbosity. In fact the Prophet Muhammad has strongly recommended that one should read the whole of the Qur'an once a week. This has lead to its division into seven parts called manzila. Farther the

gradually disappeared, in the succeeding centuries; one of them is at present in the Topkapı Museum of Istanbul ; another incomplete one is now in Tashkent. The Czarist government of Russia had published this latter with a facsimile reproduction; and we see that there is complete identity between these copies and the text otherwise in use. The same is true of other extant MSS. of the Qur'an both complete and fragmentary, dating from the first century of the Hijrah onwards.

The habit of learning by heart the text of the entire Qur'an dates from the time of the Prophet himself. The caliphs and other heads of Muslim States have always encouraged this habit. A happy coincidence has further reinforced the integrity of the text. In fact from the very beginning, Muslims have been accustomed to read a work in the presence of its author or one of his authorized pupils, and obtain his permission of further transmission of the text established and corrected at the time of study and collation. Those who recited the Qur'an by heart or simply read the written text, also acted in the same manner.

The habit has continued down to our own day, with this remarkable feature that every master

indicates in detail in the certificate given by him not only the fact that the rendering of his pupil was correct, but that it was in conformity with that which his master had learned from his own master, and that this last had affirmed that he in his turn had learnt it from his master, the chain mounting up to the Prophet.

The writer of these lines studied the Qur'an at Madinah with shaykh al-Qurra, Hasan ash-Shair, and the certificate he obtained notes, among other things, the chain of masters and masters of masters, and in the final act how the master had studied simultaneously from Uthman, Ali ibn Masud, Ubayy ibn Kab and Zaid ibn Thabit (all companions of the Prophet) and that all had taught exactly the same text.

The number of hafizes is now counted in the world by hundreds of thousands, and millions of copies of the text are found in all parts of the globe. And what deserves to be noted is that there is absolutely no difference between the memories of the Hafizes and the texts employed.

The original of the Qur'an was in Arabic ; and the same text is still in use. Translations have been made in all the important languages of the world, more or less serviceable to those who do not know Arabic.

which in any way deviated from the text thus officially established.

It is conceivable that the great military conquests of the early Muslims persuaded some hypocritical spirits to proclaim their outward conversion to Islam, for material motives, and to try to do it harm in a clandestine manner. They could have fabricated versions of the Qur'an with interpolations. The crocodile tears shed at the order of the caliph 'Uthman', regarding the destruction of unauthenticated copies of the Qur'an, could have been only by such hypocrites.

It is reported that the Prophet sometimes abrogated certain verses that had been communicated to the people previously, and this was done on the strength of new Divine revelations. There were companions, who had learnt the first versions, were not aware of the later modifications, either because of death or of residence out side Medinah. These persons might have left copies to their posterity, which although authentic were yet outdated. Again, some Muslims had the habit of asking the prophet to explain certain terms employed in the holy text, and nothing these explanations on the margins of their copies of the Qur'an, in order not to forget them.

The copies made later, on the basis of these annotated texts could sometimes have caused confusion in the matter of the text and the gloss. In spite of the order of the Kaliph Uthman to destroy the inexact texts, there existed in the 3rd and 4th centuries of the Hijrah enough matter for compiling voluminous works on the "variants in the Qur'an". These have come down to us, and a close study shows that these variants were due either to glosses or mistakes of deciphering the old Arabic writing which neither possessed vowel signs nor distinguished between letters of close resemblance by means of points, as is done now.

Moreover, there existed different dialects in different regions, and the Prophet had allowed the Muslims of such regions to recite in accordance with their dialects, and even to replace the words which were beyond their ken by synonyms which they knew better. This was just an emergent measure of grace and clemency. By the time of Caliph Uthman, however public instruction had advanced enough and it was felt desirable that concessions should no more be tolerated lest the Divine text be affected and variants of reading take root.

The copies of the Qur'an sent by uthman to provincial centres

parts of the country. In quelling it, several people felt who knew the Qur'an by heart. The Caliph Abu Bakr felt the urgency of codifying the Qur'an and the task was accomplished a few months after the death of the Prophet.

During the last years of his life, the Prophet used to employ Zaid ibn Thabit as his chief amanuensis for taking dictation of the newly received revelations. Abu Bakr charged this same gentleman with the task of preparing a fair copy of the entire text in the form of a book. There were then in Madinah several hafizes (those who knew the whole Qur'an by heart) and Zaid was one. He had also attended the 'ardah akeerah' referred to above. The Caliph directed him to obtain two written copies of each portion of the text from among those which had been collated with the recitation of the Prophet himself, prior to its inclusion in the corpus.

At the direction of the Caliph the people of Madinah brought to Zaid copies of the various fragments of the Qur'an which they possessed. The sources declare authoritatively that only two verses were such as had a single documentary evidence and that the rest were supported by the production of numerous copies,

The fair copy thus prepared was called the Mushaf (bound leaves). It was kept in his own custody by the Caliph Abu Bakr, and after him by successor Umar. In the meanwhile the study of the Qur'an was encouraged everywhere in the Muslim empire. Caliph Umar felt the need sending authentic copies of the text to the provincial centres, to avoid deviations.

One of his lieutenants having returned from far off Armenia reported that he had found conflicting copies of the Qur'an, and that there were sometimes even quarrels among the different teachers of the Book on this account. Umar caused immediately the copy prepared for Abu Bakr to be entrusted to a commission, presided over by the above mentioned Zaid ibn Thabit, for preparing seven copies; he authorized them to revise the old spelling if necessary.

When the task was completed the Caliph caused a public reading of the new 'edition' before the experts present in the capital, from among the companions of the Prophet, and then sent these copies to different centres of the vast Islamic World, ordering that thence forward all copies should be based only on the authentic edition. He ordered the destruction of copies

be to promulgate the law of inheritance; it could not be that the penal law regarding theft, murder, or wine drinking for instance, should have been revealed at that moment. The revelations continued during the whole missionary life of Muhammad, thirteen years at Mecca and ten at Madinah. A revelation consisted sometimes of a whole chapter, short or long, and sometimes of only a few verses.

The nature of the revelations necessitated that the Prophet should repeat them constantly to his Companions and revise continually the form which the collections of fragments had to take. It is authoritatively known that the Prophet recited every year in the month of Ramadan, in the presence of the angel Gabriel, the portion of the Qur'an till then revealed, and that in the last year of his life, Gabriel asked him to recite the whole of it twice. The Prophet concluded thereupon that he was going soon to depart his life. Whatever the spiritual meaning of his angelic aid to the Prophet, his companions attended these public recitations (called *ardah*, and the celebrated last presentation: the *ardah akeerah*) and corrected their private copies of the Qur'an.

Thus the Prophet used to revise in the fasting month verses and

chapters and put them in their proper sequence. This was necessary, because of the continuity of new revelations. Sometimes a whole chapter was revealed at a stretch, at others fragments of the same chapter came continually, and this posed no problems. The same was not the case if several chapters began simultaneously to be revealed in fragments (*sawar dhawat al-ahad* of the historians).

In this last case one had recourse to note them provisionally and separately on handy materials, such as shoulder blades, palm leaves, slate-like stones, pieces of hides etc. and as soon as a chapter was entirely revealed, the secretaries classified these notes (*nuatili al Qur'an*) under the personal supervision of the Prophet and made fair copy (cf. Tirmidhi, Ibn Hanbal, Ibn Kathir etc.).

It is also known, that the Prophet was in the habit of celebrating an additional service of worship during the fasting month, every night, sometimes even in congregation, in which he recited the Qur'an from the beginning to end, the task being completed in the course of the month. This service of Tarawih continues to be observed with great devotion to this our day.

When the Prophet breathed his last, rebellion was afoot in certain

HISTORY OF THE QUR'AN

By Dr. Muhammad Hamidullah

Qur'an literally means reading or recitation. While dictating this to his disciples, the Prophet assured them that it was the Divine revelation that had come to him. He did not dictate the whole at one stretch : the revelations came to him in fragments from time to time. As soon as he received one, used to communicate it to his disciples and ask them not only to learn it by heart-in order to recite it during the service of worship-but also to write it down and to multiply the copies.

On each such occasion, he indicated the precise place of the new revelation in the text of till-then-revealed Qur'an; his was not a chronological compilation. One cannot but admire too much, this precaution and care taken for accuracy, when one takes into consideration the standard of the culture of the Arabs of the time.

It is reasonable to believe that the earliest revelations received by the Prophet were not committed to writing immediately, for the simple reason that there were then no disciples or adherents. These early portions were neither long nor

numerous. There was no risk that the Prophet would forget them, since he recited them of ten in his prayers and proselytising talks.

Some facts of history give us an idea of what happened. Umar is considered to be the fortieth person to embrace Islam. This refers to the year 5 of the Mission (3 before the Hijrah) Even at such an early date there existed written copies of certain chapters of the Qur'an, and has Ibn Hisham reports, it was due to the profound effects produced by the perusal of some such document that Umar embraced Islam.

We do not know precisely the time since when the practice of writing down the Qur'an began, yet there is little doubt that during the remaining eighteen years of the life of the Prophet, the number of the Muslims as also that of the copies of the sacred text went on increasing day by day. The Prophet received the revelations in fragments, it is but natural that the revealed text should have referred to the problems of the day.

It may be that one of his companions died; the revelation would

« وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ
وَأَنْصِتُوا لَهُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » (الأمر ٢٠٤)

It means: "And when the Qur'an is recited, give ear to it and pay heed that ye may obtain mercy"—
7: 204.

« إِنَّهُ الْمُؤْمِنُونَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ
وَجِلَتْ لَهُمْ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
إِيعَاذًا وَعَلَىٰ رُءُوسِهِمْ يَتَوَكَّرُونَ » (الأنفال ٢)

It means: "They only are the (true) believers whose hearts feel fear when Allah is mentioned, and when the revelations of Allah are recited unto them they increase their faith, and who trust in their Lord";
(8: 2)

« أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ
أَقْفَالٌ » (محمد ٢٤)

It means: "Will they then not meditate on the Qur'an, or are there locks on the hearts?" (47: 24)

With a view to understanding the significances of the Holy Qur'an we should remember the following points:

— The original text of the Qur'an is still preserved in all its original language word by word. Records

of revelation and order of revelation of the Holy Qur'an were so faithfully made that even today one can say with precision the actual time and place of revelation of each verse.

— The Qur'an was received by its followers through authentic and successive transfer from generation to another in writing and by heart.

— The language of the Qur'an is in living Arabic so that it can be safely presumed that no interpolation or change is possible. The case is not so with regard to old and extinct languages.

— The text of the Qur'an is not mixed with the traditions of the Prophet or with commentaries of the interpreters. So there is no fear of mixing the words of God with human interpretation. The Qur'an as a living miracle of Islam and the Prophet, has retained its purity without the least change, for the last one thousand and four hundred years:

« إِنَّا نَحْنُ نُزِّلُ الْقُرْآنَ وَإِنَّا لَهُ الْخَافِضُونَ »
(الحجر ٩)

It means: "Lo! We even We, reveal the Reminder and lo! We verily are its Guardian". (15: 9).

« ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن
من كل مثل لعلمهم يتذكرون . قرآنًا عربيًا
غير ذي عوج لعلمهم يتقون » .
(الزمر ٢٧ : ٢٨)

It means : "And verily We have
coined for mankind in this Qur'an
all kinds of similitudes, that haply
they may reflect; A Qur'an in
Arabic, containing no crookedness,
that haply they may ward off (evil)"
(39 : 27—28).

The purpose of studying the
Qur'an must be seeking knowledge
and practical guidance in the
aspects of life. The knowledge of
Arabic language and literature is
the key to the proper understanding
and assimilation of the message of
the Qur'an. But translations and
commentaries of the Qur'an, which
are now available in different lan-
guages, will help, only to acquire
some general knowledge of this
Divine Book. The true spirit of this
eternal miracle of Islam may not be
felt without complete knowledge of
Arabic and the life of the Prophet
who was the practical example and
the interpreter of the Qur'an.

« وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس
ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون » .
(العلق ١ : ٢)

It means: "And We have revealed
unto thee the Remembrance that
thou mayst explain to mankind that
which hath been revealed for them,
and that haply they may reflect" —
16 : 44.

The Holy Qur'an is a composite
whole and not a collection of un-
related fragments. Each word and
each verse, each chapter must, there-
fore, be studied with reference to
the whole. The why and wherefore
of selection and use of a particular
word or expression for expressing a
particular idea should be carefully
ascertained and the greatest care
and emphasis should be given to
realise import of choice of Divine
attributes. Each verse must be read
with reference to its context and
verses immediately preceding and
following it without losing signifi-
cance of its sequence with its pre-
ceding and following verses. The Holy
Qur'an is basically addressed to
intelligent understanding and it
invites man to look at every thing
in the universe and to reflect upon
it carefully. The knowledge of the
Holy Qur'an is the highest know-
ledge and to acquire this a calm
and quiet surrounding, purity of
faith and the highest concentration
of the mind are necessary pre-
requisites. The following verses of
the Qur'an give guidance to the
purpose and the method of studying
it:

chapter was revealed. The arrangement of the chapters and the order of the verses were made under the direction of the Prophet himself. All the chapters of the Qur'an had been recorded in writing before the death of the Prophet, and many Muslims had committed the whole Qur'an to memory in his life time.

The arrangement of chapters and parts and even putting notations and punctuations — as it now — was done under the direct guidance and supervision of the Prophet. During the Caliphate of the third Caliph Usman, when the copies of the text of the Holy Qur'an were made in different parts of the Caliphate, apprehending that there may be dispute as to the accuracy and authenticity of these copies, he collected all these copies, verified them and made several authenticated copies of the Holy Qur'an, based on Abu Bakr's (the first Caliph) collection and the testimony of those who had the whole Qur'an by heart, and distributed these copies in different parts of his Caliphate.

The original copies of Usman have been very carefully preserved and millions of copies are produced in all parts of the world exactly in the form and order of these copies, which is regarded as the

arrangement of the Prophet himself. The Divine guarantee of preserving the purity of the Holy Qur'an has survived the test over fourteen hundred years and civilisation has reached a stage when it can be safely presumed that no future interpolation is possible.

The Holy Qur'an is the last of all revealed Books from God to the guidance of mankind. Humanity has been receiving guidance from God directly, through revelation received by the prophets, since the birth of man on this earth. The office of Prophethood was made final with the completion of revelation of the Holy Qur'an. The Qur'an calls people to believe not only in the Prophethood of Muhammad (Peace be on him) and the revelation of the Qur'an but it enjoins the belief in previous revelations and prophets. Thus the belief in previous revelations and prophets is a fundamental of the Qur'anic Call. Being the last revealed Book, the Qur'an contains Universal and Eternal truths previously revealed to mankind at various stages of its development.

It is the original source of Islamic theology, Jurisprudence, culture and civilization. The Qur'an has stressed the universality of Divine guidance and it intended to unite mankind, not to divide them :

Qur'an as the, Fitrat [فطرة] or Nature of God, the Qur'an says :

« فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ
الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِلُ غَيًّا إِنَّ اللَّهَ
ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ » . (الروم : ٣٠)

It means : " So set thy purpose for religion as a man by nature upright — the nature (framed) of Allah, in which He hath created man. There is no altering (the laws of) Allah's creation. That is the right religion, but most men know not". (30 : 30)

If any conflict between Qur'an and Nature appears, it is not because of the conflict is real but because human study of Nature and of the Holy Qur'an is not perfect. Some people try to interpret the Qur'an to adjust it with the human interpretation of Nature. They claim that the knowledge of man is final and unfailing. This attitude definitely indicates the weakness of faith in the revelation of God.

The Holy Qur'an directly revealed from the Creator of Fitrat, and Will of God made manifest in His Creation. So the Qur'an would lead to discoveries of the secrets of Nature and a careful study of Nature will help the proper inter-

pretation and understanding of the Qur'an. Whenever any contradiction between human knowledge and the Holy Qur'an arises, the human interpretation of Nature must be rejected as mistaken. As human knowledge increases the Qur'an unfolds itself gradually like flower leaf.

Qur'an is the Divine Guidance to all mankind. The guidance is alike for all without distinction of race, time, place or colour. It calls this Universal guidance Islam. It means complete and unqualified submission to God. The entire teachings of the Qur'an is based on this Cardinal principle. The Qur'an is not only laid down the law of relation of man to God but it also regulated the proper relation between man and his fellow-beings. Besides the fundamental principles of faith and the practical devotions, Qur'an distinctly defined the rules of transactions, punishments, moralities and political, social and economical systems.

It has been revealed to prophet Muhammad (peace be on him) in parts at different times and occasions during a period of twenty-three years. The Qur'an was divided into thirty parts and One hundred and fourteen chapters. Sometimes a single verse, sometimes a few verses together and other times a complete

QUR'AN NUMBER

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FUDA

Dhu'l-Qa'dah 1390

ENGLISH SECTION

JANUARY 1971

The Holy Qur'an — Eternal Guidance Suited to All Times and Climes

By

A. M. Mohiaddin Always

Qur'an correctly interprets life, guides humanity in the right path and keeps the torch of progress burning ever-fresh and bright through all ages to come. When such a complete and well-formulated Divine constitution guarantees preservation of its original purity there will no longer be need for further revelation. The Holy Qur'an speaks clearly on this point in the following verses :

الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى
للتقين . (البقرة ٢ : ١)

It means : "Alif, Lam, Mim. This is the Scripture whereof there is no doubt, a guidance unto those who ward off evil" (2 : 1 — 2)

« إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم
ويبشر للذين هم يعملون الصالحات
أن لهم أجراً كبيراً » (الإسراء ٩) .

It means : "Lo ! this Qur'an guideth unto that which is straightest, and giveth tidings unto the believers who do good works that theirs will be a great reward" (17 : 9)

The Holy Qur'an is the first source of Islam and the fountain - head of its laws. It contains the fundamentals of the law of nature which governs man. The Qur'an and original nature are in perfect harmony because the true religion is defined in the clear verses of



مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مجلس الشريعة الإسلامية في الكويت

مدير المجلة
عبد الرحيم فوده
« هذا لشرك »
٥٠٠ في المجلد الأول
٦٠ عدد في المجلد
الطبعة الأولى ١٩٨٠

« الثمن »
دولة الكويت
٩٠٥٩٤٤
٩٠٥٥٥٦

الجزء العاشر - السنة الثمانية والأربعون - فو المجلة سنة ١٣٩٠ هـ - فبراير سنة ١٩٧١ م

إسلامنا

وَفَدَّ اللَّهُ فِي أَحَبِّ أَرْضِهِ إِلَيْهِ

للأستاذ عبد الرحيم فوده

- ١ - ذكر ابن كثر في تفسيره أن إبراهيم عليه السلام لما أتم بناء البيت أمره الله أن يؤذن في الناس بالحج . وأخبره أنم صيأونه رجالا وعلى كل صامر ، فقال يارب وماذا هو أن يبلغ صوتي فيهم . فأجاب سبحانه : عليك أن تؤذن وعلى أن تبلغ صوتك من أماء ، فقام على مكان مرتفع (قبل على مقامه ، وقبل على الحجر وقبل على الصفا ، وقبل على جبل أبي قبيس) وادعى : يا أيها الناس إني بركم فداخلكم بيتا لحجوه ، فيقال إلى الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض ، وسمع من
- في الأوطان والأصلاب ، وأجابه كل من معه من حبر ومدر وشجر ، ومن كتب إذا أنه يحج إلى يوم القيامة . لبيك اللهم لبيك
- ٢ - ولا عجب أن يكون ذلك . وقدره الله فوق ذلك واثم ، ولد صخر الجبال مع دأوه عليه السلام « يسبحن بالمعنى والإشراق » وأخذه معه من ذرية بني آدم في ظهور آبائهم قبل ظهورهم . كما بينهم من قوله تعالى : « وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا مع هذا غافلين ، أو تقولوا

الحرم . وكانت الأضرحة الحرم كما يفهم من قوله : « أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم » وقوله : « الحج أشهر معلومات فمن فرض فبين الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج » فلهذا الأضرحة مع الأشهر الحرم التي يقول الله فيها : « إن عدة الفسوق عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظنوا فجه أنضكم » .

٥ - وليس في أرض الله الواحة بقعة أورقة شهدت ما شهدت أرض هذا البيت وأرض ما حوله من ذكريات عطرة زكية كذكرى إبراهيم وهو يدع زوجته وطفله حيث يقول : « ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم وربنا ليقوموا الصلاة لأجلنا أفئدة من الناس تهيئ لهم وادزقهم من الثمرات لعلهم يشكروا » وذكرى زوجته هاجر وهي تسمى بين الصفا والمروة باحثة عن ماء تروي به طفلها وقد كاد يذله عطشا بين عينها . ثم نعوذ بعد أن أمياها للسمي والطلب لتجد رحمة الله قد تداركت ولدها بماء غزير يتفجر تحت قدميه من زمزم ، وذكرى إسماعيل وهو يتلقى بالصبر والإيمان

إنما أشرك آبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون » .

٣ - وقد قيل إن ذلك تخطيط لبيان استجابة الفطر السليمة لدين الله الحق ، فإنه كما يقول الله : « فطرة الله التي فطر الناس عليها » ولكنه هذا التأويل لا يصح للأئمة من الحاجة إليه ، لإيمانهم بالله ، وبأنه - جل شأنه - لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، وأنه كما يقول : « وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو » ويصلح ما في القبر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين » .

٤ - ولا شك أن الكعبة - أول بيت وضع لعبادة الله وحده في الأرض ، كما يقول الله : « إن أول بيت وضع للناس الذي ببكة مباركا وهدى للعالمين » وقد قرن الله بهذا البيت الأمن والخير والبركة كما يفهم من قوله : « فليحبوه وأحب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » وأضاف الله إليه حيث قال : « وهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن يهرا بيتا للذاتين والما كفتين والركع السجود » وسماه البيت النبي أي الأئمة الكريمة ، وأضنى على مكانه وزمان حبه الحرمة والجلال فكان

أمر الله كما أخبره أبوه إذ قال: «يا بني إلى أرضي
في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى». فقدم
قال «يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إذ عاء
الله من الصابرين» وشهدت من أروع
صورة للإسلام. وأعظم عرض في امثال
أمر الله والفضيلة بأعز شيء - وهو الحياة -
في سبيل مرضاه - ثم كان من ثمرة ذلك
أن أبل الله إسماعيل. ووعب إبراهيم ولما
آخر هو اسحق. وجعل من هذين شجرة
الذرية التي عطرت الوجود بنفحات السماء
وأضاءت الأرض بنور الأنبياء.

٦ - لهذا - ونفذه مما لا يتسع
المقام لذكره - وقف ﷺ يودع هذه
الأرض قبل أن يضافرها إلى المدينة لقال:
(والله إنك لأحب أرض الله إليه، وإنك
لأحب أرض الله إليه الله، ولو لا أن قومك
أخرجوني منك ما خرجت) ولو لم يكن لها
من شرف إلا شرف مولدها، وجهاد فيها،
وتنقله بين أربابها وتواحيبها، لعظم بذل
فقرها وذكرها وكانت أحب أرض الله إلى الله
لأنها أحب أرضه إلى رسوله ومصطفاه.

٧ - وقته الله ﷺ: العجاج والمبار
وقته الله، إن دعوه أباهم وإله استغفروه
غفر لهم، والوقته في الجنة الجملة المختارة

المتقدم في لقاء ذويه العاق فأبى شرف أهل
والأعلى من شرف العجاج والمبار، وهم
يلبسون ثيابه وهم يحج بيته والطواف حوله
ويجودون في أعمال الحج وهو ناسك ومجاهد
وقرباه - ما يذهب عن النفوس سداها
ويسود بها إلى طهرتها الدوية النقية التي يتألق
فيها به النيرة ويشرق عليها نور الإسلام.

٨ - أنها الوفود المتعددة في أحب أرض
الله إلى الله وإلى رسوله. إلى هذا البيت الذي
تجسده في أرض عربية، وللحاجد إليه
إليها الرجال في أرض عربية واقفة في زل
بها قمر آله ونحلت بها الذبيحة لفة عربية،
وأتم تمرقون ما تتعرض له هذه القديسات
من أهالككم وأعداء دينكم الذين يقول الله
فيهم: «لنجدن أعداء الناس عدوة للذين
آمنوا فليهود والذين أشركوا» فمروا
واجبكم وانضوا به، وادكروا قول الله:
«لا تحب قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر
يوافقون مع حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم
أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك
كتب في قلوبهم الإلحاد وأيدهم بروح منه،
ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار
خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك
حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون».

عبد الرحمن قور

الأعياد من طبائع الأمم

للأستاذ مصطفى الطير

« إنا أمطيناك الكون ، فصل ربك وانحر ،
إن هاتك هو الأبر » .

من طبائع الأمم أن تتخذ لها أعياداً
تحتجج فيها من منافع الحياة وعمومها ،
وتحمده لفاطها وتستعيد همتها ومزيجتها ،
فتنطلق فيها على سبيلها في بهجة وإشراح ،
متعلقة من جميع الأعياء والتكاليف
إلى أروقتها فكأنها هي واحدة خفراء
في صحراء الحياة ، يحتجج فيها المكسود ،
ويأوي إلى ظلمة الغلاب المورور .
ولما شرف الله أهل المهنة بالإسلام
كان لهم عيد في النهروز والنهر جاد ، فعيد
النهرز أول يوم تتحول فيه الشمس
إلى برج الحمل ، ويكون مادة في شهر
برمبات ، وهو أول السنة الشمسية ،
وعيد المهر جاد أول يوم تتحول فيه الشمس
إلى برج الميزان ، ويكون في شهر توت ،
وما يرمز من مشد لان في الحرارة والبرودة
يستوى فيها الليل والنهار .
وكانت أعيادهم قبل الإسلام مطبوعة
بالتابع الجاهل في بهجتهم وإشراحهم ،
فلما قدم الرسول ﷺ إلى المدينة وعلم
بمبديهم وماداتهم فيهما ، قال لهم : « إن الله
تبارك وتعالى أبه لكم بهما خيراً منهما
يوم الفطر ويوم النحر » ، وألزمهم آداب
الإسلام في العيد حتى لا يخرجوا
في ابتهاجهم به إلى الجور العاث الذي يحل
ما حرم الله ، وأم آداب وذروة صناعتها
بالنسبة لحجاج وغهم هو ما أمر الله به
نبيه ﷺ في هذه السورة (سورة البقرة)
وقد أمره فيها بصلاة العيد أدا مع الله
وعكراً له على نفسه ، كما أمره بفتح الأضحية
براً بالأمرة ، وتماخذا مع الآداب
والأصحاب والمحتاجين كما حثينه في هذا
المقال ، وما أمر به النبي ﷺ فأمنه
مأمورة به إلا ما اختص به ، وهذا
الأديان حكهما عام لجميع المسلمين ، ولا بد
من أن يفرق بهما سائر الآداب الإسلامية

ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم»
وبعث اسم حصن للأوس .

وكانت هناك الجارية ثانياً وثالثاً
بالف ، كما في رواية أخرى لهذا الحديث ،
والف آله مستديرة في شكل الثوب
من غير (جلال) لها جلد وقوى يحدث
الضرب عليه بعض النعم .

وقد دل الحديث على إباحة الفناء
واستعمال الف في العيد ، ولقد أمر الرسول
أبا بكر أن يترك الجارية ثانياً
وثالثاً بالف ، كما صرح به في رواية
أخرى لهذا الحديث ، وحل أمره بأن
لكل قوم عيداً ، وأل اليوم هوينا ،
وإذا كان الفناء مباحاً في العيد فلا يجوز
أن يكون منصرفاً عن الآداب الإسلامية
كما قدمنا .

(انظر في الأعياد الإسلامية)

تتميز الأعياد الإسلامية بانفرادها
بتقريعات تشهد بالبر والتقوى ، والحجج
والحلف على ذوى الأرحام والأرامل
والإيتام ، فعيد الفطر يقتل بتقريب
زكاة الفطر ، وعيد النحر يقتل بتقريب
نحر الأضحية ، وكلاماً كبير بالمؤمنين
والتوصية عليهم في وقت أعده الله لنوح

المعروفة في الأعياد وغيرها من فعل
الواجبات وترك المنهات ، ثم يباح بعد
ذلك من ألوان المرح طالا يخلو المروءة ،
ولا يחדش الكرامة .

ولا بأس بالفناء واستعمال بعض آلات
المهر فيه ، بشرط أن لا يحض ذلك على
فتنة ، ولا يبيع حرماً ، فقد روى الإمام
أحمد في مسنده عن عائشة قالت :
« دخل علينا أبو بكر يوم عيد ، وهناك
جارية تذكركم يوم بعث يوم قتل فيه
صناديد الأوس والخزرج ، فقال أبو بكر :
عيد الله أسرمور العيطان (فلها ثلاثا)
فقال رسول الله ﷺ يا أبا بكر ، إن لكل
قوم عيداً ، وإن اليوم عيدنا » .

والجارية هي الأنثى قبل البلوغ ، كما أن
الغلام هو الذكر قبل البلوغ ، وإحدى
هاتين الجاريتين كانت لحسان بن ثابت ،
ويوم بعث هو يوم جدت فيه الحرب
بين الأوس والخزرج في الجاهلية وكان
النصر فيها للأوس .

وقد استمرت الحرب بينهما مائة وعشرين
سنة قبل الإسلام ، ثم زالت بعد أن شرفها
الله بالإسلام وفي ذلك يقول الله تعالى
لنبيه ﷺ : « ولأخفت ما في الأرض جميعاً »

للدائن والقرى ، وأهل السفر والحضر ،
والحاج بنى وغيرهم ، مع كان معه هدى
ومن لم يكن معه هدى ا هـ

وكونها سنة فالحاج كغيره هو الثابت
في الصحيح ، فقد روى البخاري ومسلم
(أن النبي ﷺ ضحى في منى من نسائه
بالقر) فقد كان النبي ﷺ حاكما مع
زوجاته ، كما يقرر به الحديث ، ومع كونها
سنة عند العاقبي ليس سنة كفاية في حق
أهل البيت الواحد ، فإذا ضحى أحدهم
حصلت سنة للتضحية في حكمهم ، وعلى هذا
حمل ما روى (أن النبي ﷺ ضحى بكعبته
قال : « اللهم تقبل من محمد وآل محمد » ،
قال الرافعي : وبذلك تكونها سنة
كذابة أيضا ما رواه مالك في القوطا من
أبي أيوب الأنصاري قال : « كنا نضحى
بالقاة الواحدة يذبها الرجل عنه ومن
أهل بيته » ثم نباهي الناس بعد فماتت
مباهاة ، ويكونها سنة كفاية قال جمهور
العلماء ، ومن قال به أبو بكر ومروان
عباس وهلال وطائفة واحد وأبو يوسف
وداود وغيرهم ، قال حكرمة : كان أبو
عباس يبعثني يوم الأضحية بدوهم فيأخذني
له لحاء ويقول : من أبيت فقل هذه أضحية

والضحية للجميع ، وقد تطلت فيه
الأعمال وموارد الأوزان السكاهين .

(الأضحية وأحكامها)

فرعت الأضحية في عيد النحر بسورة
الكوثر وبمكة النبي ﷺ وقوله ، فأما
حملة فهو ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما
من أنس قال : ولئن لمسلم وضحى النبي
صل الله عليه وسلم يكعبته أطعمين أفريقين
ذبحهما بيده وصلى الله وكبره ووضع
رجله على صفاحهما ، زاه البخاري قول
أنس « وأما أضحية يسكبهن » وروى
الترمذي « أن النبي ﷺ أتى يسكبش
فطبخ بيده وقال بسم الله والله أكبره
هذا مني ومن لم يضح من أمي ، أي من
فيه القادريين ، إل فيه ذلك من الروايات
وأما قوله ﷺ فهو ما رواه الترمذي
« أن النبي ﷺ قال لا ما حمل ابن آدم من
حملة يوم النحر أحب إليه من إهراق الدم ،
إنها لتأتي يوم القيامة بقرونها وأهملها
وأغلاها وإن الدم ليقع من السماء
قبل أن يقع على الأرض ، فطيرها بها نفسا
إل فيه ذلك من الأحاديث .

والأضحية كما قال العاقبي سنة على كل
من وجد العييل من المسلمين من أهل

في صلاته بعد الانتهاء في الركعة الأولى
صورة (ب) وبهذه في الركعة الثانية
صورة (ج) اقتربت الدابة) وأما خطبته
صل الله عليه وسلم فقد كانت مختصرة
بلا خلاف .

وظاهر كلام صاحب الفاضل أنه من
يعتبر الركعتين خفيفتين يكنى بأقل
ما يجزئ، فهما، وحكى الرافعي عن بعض
أهل العلم أنه يكنى بموزن يسع ركعتين
بعد خروج وقت الكراهة، ولا ينبغي
الخطبتين. والذبح قبل الوقت المذكور
لا تحصل به السنة. والقيصة حينئذ لم
قدمه الذابح لأجله، روى البراء رضى الله
عنه قال «خطب رسول الله ﷺ يوم
النحر بعد الصلاة فقال «من صلى صلاتنا
هذه ونسك نسكنها فقد أصاب صفتنا،
ومن نكس قبل صلاتنا فنلك شاة لحم
قليل» فكانها رواء البخاري ومسلم طاهدا
قوله «قليل» فكانها .

فإن ذبح بعد الوقت أجزاء سواء أصل
الإمام وخطب أم لم يصل ولم يخطب وسواء
أكان من أهل الأمصار أم من أهل القرى
أو البوادي أو المسافرين، وسواء أذبح
الإمام أضحيت أم لم يذبح .

ابن عباس^(١) . وقال أبو حنيفة وأبو
إبراهيم والأوزاعي : الأضحية واجبة على
المسلم إلا الحاج بمنى، وقال محمد بن الحسن
هي واجبة على التميم بالأمصار .

والمنذور من أبي حنيفة أنه لم يوجبها
إلا على من يقيم بملك نصبا، واحتج القائلون
بوجوبها على المنذور بأحاديث لا تفيد
دليلا على ما قالوا، ولا مجال لذكرها
ومناقشتها في هذا المقام واختاروا على
الأضحية أفضل أم لتصل بشئها ؟ فعلى
الأول ماله وأصحابه وأحد بن حنبل وغيرهم
وبه قالت عائشة رضى الله عنها، وعلى الثاني
بلال والسبي وأبو ثور وغيرهم، روى
عن بلال أنه قال ما أبالي أن لا أضحي إلا
بهيك، ولأن أصح في يقيم قد ترب
(أى افتقر) أحب إل من أن أضحي به .

(متى تذبح الأضحية) ؟

يذبح وقت ذبحها عند الشامية إذا
طلعت الشمس يوم العيد، ومضى بعد
طليها قدر ركعتين وخطبتين خفيفتين
ومهم من اعتبر زمن صلاة رسول الله
صل الله عليه وسلم، وقد كانت يقرأ

[١] يقصد ابن عباس من ذلك أن بين الناس
مخاها أنها ليست واجبة وذلك أشترى لها من السوق
بدلا من أن يذبح أضحية وأعلن ذلك الناس .

تكون صلاة لم . تلك هي المذاهب المختلفة
في وقت ذبح الأضحية ، وليس هناك مانع
شرعا من الأخذ بأيسرها .
(ما يجوز في الأضحية) .

لا يجوز في الأضحية إلا النعم وهي الإبل
والبقرة والغنم ، ويدخل في البقرة الجراميس
ويدخل في الغنم الضأن والمز ولا يجوز
في الغنم إلا الجوز مع الضأن وهو ما استكمل
سنة على الأصح ، وقيل هو ما استكمل
سنة أشهره وقيل ثمانية ، أما المز فلا يجوز
فيها إلا الثني ، وهو ما له حفتان ويدخل
في الثالثة ، وقيل يسكني ما استكمل سنة ،
وهو قول ضعيف .

ولا يجوز في الإبل إلا الثني ، وهو
فيها ما استكمل خمس سنين بدخوله
في السادسة ، ولا يجوز في البقرة إلا الثني
وهو فيها ما استكمل سنتين بدخوله في الثالثة
ونجزي كل من البقرة والبقرة من سبعة ،
والغاة من واحد وحده أو معه أسرته ،
وأجم العلماء على استحباب الضحية .

ولا تجزي ما فيها جيب ينقص اللحم ،
فلا تجزي الممياء ولا الدرء ولا الجفء
الذي ذهب بخ «أقبا من شدة حرها» ، بل
قال بها حراله ولم يذهب مع سابقها أجزاء

وقال أبو حنيفة بدخول وقتها في حق
أهل الأمصار إذا صلى الإمام وخطب ،
فلا ذبح قبل ذلك لم يجزه . وما أهل القرى
والبوادي فوقها في حقهم إذا طلع
الفجر الثاني .

وقال مالك : لا يجوز ذبحها إلا بعد صلاة
الإمام وخطبته وذبح ، وقال أحمد
لا يجوز قبل صلاة الإمام ، ويجوز بعدها
قبل ذبح الإمام ، ويستوي عنده في ذلك
أهل القرى والأمصار ولكل دليل ،
ولا مجال هنا لمناقشة الأمة .

وأما آخر وقت الذبح فقد اتفق فيه
ما روى عن الثوري وصحابه أنه آخر وقت
ينفع له قبل غروب الشمس من اليوم
الثالث أيام التشريق (أنه رابع أيام العيد)
لقوله ﷺ : كل أيام التشريق ذبح ،
ويجوز الذبح في هذه المدة ليلا ونهارا ،
لكنه يكره في الليل كل ذبح ، وهو
في الأضحية أشد كراهة ، وقال مالك
وأبو حنيفة وأحمد : ينقض الذبح بيوم
التحر ويومين بعده ، وأجاز أبو حنيفة
الذبح ليلا في هذه المدة مع الكراهة ،
وهو الأصح عند أحمد وبه قال الجمهور ،
وقال مالك : لا يجوز الذبح فيها ليلا ، بل

الاضحية ، وأن يسمى الله تعالى ، فإن تركها حلت الذبيحة لسكته مكروه ، ويستحب أن يكبر مع التسمية ، وأن يقول : اللهم منك وإليك . تقبل مني .

وعنه الحنفية أن التسمية شرط للإباحة عنه للتذكرة دون التسوية ، وهو مذهب الجمهور ، والمالكية لهم رأيان : أحدهما الاستحباب كالفقهاء ، والثاني : الوجوب كالحنفية .

(ما يصنع بالحرم الاضحية)

يستحب لصاحب الاضحية المتطوع بها أن يأكل بعضها ويتصدق بالباقي وليس الاكل منها واجب ، فلو تصدق بالجميع لحاز ، وهذا مذهب الفقهاء ومائة العلماء ومنهم المالكية والحنفية ، وقيل لا يجوز التصديق بالجميع ، بل يجب أكل شيء منها ولو يسيرا ، لظاهر قوله تعالى : « فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير » وهذا مذهب بعض السلف وبعض الفقهاء ، والصحيح الأول ، ويستحب أن يأكل الثلث ويتصدق على الفقراء والساكنين بالثالث ، ويمسكه للثالث إلى غيرهم .

وافق الفقهاء على أنه لو تصدق ببعضها

(البقية من ٨٢٠)

ولا تجزئ متطوعة الاذن كلها أو معظمها وتجزئ مهقوقة أو المقطوع بعض يسير منها ، ولا تجزئ الحراء وإذ قل جريها ، ولا العرجاء إلى اشتد عرجها بحيث يسبقها غيرها إلى السكلا الطيب ، فيؤثر ذلك على نحرها ، فإن كان قليلا لا يغلظها عن القافية لم يضر ، ولا تجزئ القرينة مرضا بسبب عزلها وفصلها .

وتجزئ النخعي لأن ما نقشه من لحم يعوض باليمن ، وتجزئ الكسوية والتي لا قرن لها ، وكذا مكسورة القرن ، ومكسورة بعض الأسنان ، أما ذاهبة الأضلاع كلها بكسر أو سقوط فني إجزائها وعدمه رأيان .

(ما يستحب في نحرها)

يستحب أن يدفع للضحي بنفسه ، كما فعل الرسول ﷺ ، ويجوز أن يستنيب غيره ويستحب أن يكون ثائبا مسلما ، لأن ذبحها لغيره ، فإن استتاب يهوديا أو نصرانيا جاز لأنه ترك ذبيحته ، لسكته مكروه ، ويستحب أن يشبه اللحم إذا استتاب .

ويستحب أن يحمله السكين ويرج الذبيحة وأن يمر السكين بقرة وتحمل ذهابا ومودة وأن يستقبل اللحم لقبلة ويوجه إليها

مسئولية الإيمان

للاستاذ أبو الوفاء المازني

له كل حيلة ويبتغون إليه كل وسيلة .
ولقد كان هذا الملوك انكساراً لمنهج
صاحب الدعوة وثأرها وقبسا من روحه
وكانه كان ملوكه بين القادة قريبا
إذ كان قهوة الجنود ، وكان فعله تصديقا
لقوله ، فلم يسكن محالا غططا قدومه
لحسب بل كان خططا ومنفعا إذا أمر بالقتال
قال أول القاتلين وإذا جاهد كان أسعد
لوفين وإذا أمر بالرحمة كان أرفق بالراحمين .

وإذا أخذت العهد أو أعطيت
جميع عهدك ذمة ووطء
وإذا رحمت فأت أم أو أب
هذا في الدنيا ما الرجا
وكان أصحابه صورة منه ، يحرسون أن
يهاكروه تأييد الدعوة ويحاولون أن يسفروا
كأبصار ، وبخاصة في مواقف النضال أبشروا
أزده وبلغوا ما عسى أن يبلغه من أجر .
وقد كان فبا معه الله القاتلين في حبه
مع أجر إقراء بالجهاد وأي إغراء ١٢ فقه
بإيعامهم وهم على أن لحم الجنة قاتلين
أو مقتولين «ومن أوفى بعهد من الله ؟»

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول :
«والذي نفسي بيده لولا أن رجلا من
المؤمنين لا يطيع الله أن يتخلفوا عني
ولا أجد ما أعلمهم عليه ما تخلفت عن سرية
تفرو في سبيل الله ، والذي نفسي بيده
لو دعت أحد أقتل في سبيل الله ثم أحياء ، ثم
أقتل ثم أحياء ، ثم أقتل ثم أحياء ثم أقتل ،
رواه البخاري .

أول بفار نجاح الدعوات وأقوى
أصحابه الإيمان بها والاحتكام لبذل كل
ما يتطلبه ذلك النجاح . ولم يقصد التنازع
إيمان جماعة بدعوتهم كما شبه إيمان
الجماعة الإسلامية الأولى بدعوتهم
الإسلامية ، فقد آمنت تلك الجماعة بالدعوة
إيماناً حقيقياً تغفل في قلوبهم وسرى
في دماهم ، وغالط كل فئة في أجسامهم
وأخذ عليهم منهم وأبصارهم فكان عليهم
كل شيء موه ، ومن أجله ورخصت
الأموال والأرواح والأوطان وكان القتال
والقتل أمراً ما بينهم يتسابقون إليه ويلتمسون

يتحدث كثير من رجال الحرب مع الروح للعتوية ووسائل توسيعها ودمها في نفوس المحاربين ، فويل رأوا أو سمعوا مثل هذه الروح التي بعثها الإسلام في نفوس تلك الجماعة الإسلامية الأولى ؟ جماعة يحاول قاندهم أنه يتهرب منهم حتى لا ينفروا معه إلى الميدان زودا على ظروف الإمداد ، وهم يحاولون أن ينفروا معه ويتصهروا أنت يعرفوا متى يخرج ليخرجوا معه .

إنها أمة إيمانية مرتت إليهم من روح قاندهم فست غفاب قلوبهم وأوقدت في نفوسهم نار الجاس والفيرة والإخلاص .

لقد سمعوا قاندهم يقول وهم يعلمون صدق ما يقول : (لولا أن يغضب أصحابي من الخلف لتعذر مرافقتي حيث لا يجدون ما يحملهم فخرجت في كل معركة) ويسمونه بشي أن يقتل ثم يحيا مراراً ليتضاف ثوابه ويزده رضا الله منه حيث يقول مقبلاً : « والله نفسي بيده ووددت أن أقتل في سبيل الله ثم أحيأ ثم أقتل ثم أحيأ ثم أقتل ثم أحيأ ثم أقتل ، فإياهم لا يتفجرون حية وعزماً وإقداماً ، لقد عبأهم القرآن بما وعده وعبأهم الرسول بما قال وبما فعل قبلة إيمانية روحية

« إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وهذا عليه حقا في التوراة والإنجيل والفرأد ، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا بيبسكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » .

ومستولية الإيمان بالله قوة وحرس المؤمنين على أن تبلغ غايتها وبرغبتهم في الجهاد قنصر أو الاستعداد كانوا يتفوقون أن يخوضوا كل معركة ويلبثوا مع رسول الله كل معركة وبالموت أن يقدموا أو يتخلفوا إذا اضطرتهم ظروف الالتقال إلى ذلك وكانت أعيانهم تفيض بالدمع حزناً على ذلك لتخلف كائنات الله علينا في كتابه حيث قال :

« ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا الله ورسوله ، ما على المحسنين من سبيل والله فقور رحيم ، ولا على الذين إذا ما أتوا لتحملهم ، قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعيانهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون » .

وهؤلاء هم الذين منام الحمة بقوله ، « لولا أن رجالاً من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يخلقوا عني ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت من سرية تغزو في سبيل الله »

الأحوال يعمل اثنين منهم كما قال قدس :
 يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال
 إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا
 مائة إن يكن منكم مائة يغلبوا أئمة
 من الدين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ،
 الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا
 فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائة
 وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألف إن الله
 والله مع الصابرين .

بليغاً عباناً هذه الصفحات هي أن
 يكون فيها نور تستهدي به أبصارهم
 وبصائرهم ويستعينوا به لإسلامهم فليها
 توعية إيمانية دونها كل توعية وتوعية
 أبو الوفاء المرقسي

تقتحم الأحوال وتستهين بالخطوب وجعلت
 الموت أغل أماليهم وأمر غاياتهم .
 وفي الحديث الطيفة بحسن أن تنبه إليها
 وهي أن النبي ﷺ ختم أمانيه بتمنى
 القتل ولم يجتمها بتمنى الحياة حيث قال
 في آخر الحديث : ثم أقتل ولم يقل ثم أحيى
 ولم يقل ذلك للإشارة إلى الحياة عنده
 لا وزن لها ولا ينبغي أن تكون من أمانى
 المسلم ، وإنما القتل في سبيل الله هو الأمانة
 الغالية التي يتمنى المؤمن أن يختم بها حياته .
 بهذه التهيئة الإيمانية الروحية التي
 تسترخس الحياة وتستحب الموت كان
 الجندى المؤمن في نظر الإسلام يعمل
 في القتال عملة من جنود الأعداء وفي أي

(بقية المأثور على ص ٨١٧)

لتحصل سنة الأضحية ، فلو أكل الجميع
 رزقه ضمان بعضها ، وحده بعض العلماء
 بالنصف ، وحده البعض الآخر بالثالث ،
 فعليه أن يفترق بقيمته لما يتصدق به ،
 وقيل يتصدق بثمنه دوايم ، فإن كانت
 الأضحية منشورة فلا يحل له أكل شيء منها
 بلا خلاف فلو أكل فم قبيحة ما أكله
 الفقهاء على نحو ما ذكرنا ، والله تعالى أعلم
 مصطفى محمد الأبر

إله مسكين واحد لحصاة السنة بذلك ،
 ولا بد من إعطاء اللحم بيتاً ، فلا يكن
 عندهم إعطائه مطبوخاً .
 وأجاز بعض العلماء أن يأكل الضحية
 جميع أضحيته ولا يعطى منها شيئاً للفقراء
 وقال إن الثواب يحصل بإراقة الدم وهذا
 قول ضعيف لا يتناسب مع حكمة مشروعية
 الأضحية ، فإنه لا يليق بالإسلام أن يفرعها
 من أجل إراقة دمها فحسب ، والصحيح
 ما قاله الجمهور من لزوم التصديق بشيء منها

يَوْمُ النَّحْرِ يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ

لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد أبو شبيب

روى الفيضان في صحيحهما بمنهجا
عن ابن شهاب ، عن حميد بن عبد الرحمن ،
عن أبي هريرة قال : «
الحج - باب لا يمحى بيت مشرك ولا يطوف
بالبيت عريان ، وبيان الحج الأكبر » .
« التفرع والبيان »

« بمنى أبو بكر الصديق في الحجة التي
أمره عليها رسول الله ﷺ قبل حجة
الوداع في ربهط يؤذون في الناس يوم النحر :
لا يمحى بعد العام مشرك ، ولا يطوف
بالبيت عريان » . قال ابن شهاب : فكان
حميد بن عبد الرحمن يقول : « يوم النحر
يوم الحج الأكبر من أجل حديث
أبي هريرة » .

تخرج الحديث :

خرج هذا الحديث الإمام البخاري
في صحيحه (كتاب التفسير - سورة براءة -
باب قوله : « وأذاني من الله ورسوله » .
إله قوله : « الفركين ») .

وخرجه الإمام مسلم في صحيحه (كتاب

المفردات : أمره : ففتح المفردة وتعدد
ليم أي جمعه أميرا ، الرهط : الجماعة
من الثلاثة إلى العشرة . يؤذون في الناس :
أي يملونهم بما سيأتي في الحديث ،
مأخوذ من التأذين وهو الإعلام ،
قال تعالى لعلهم عليه الصلاة والسلام
« وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا » ،
ومنه قوله تعالى : « وأذاني من الله

حاراً معاً ، فأقام أبو بكر للناس الحج على منازلهم التي كانوا عليها في الجاهلية ، وقد خطب الصديق قبل القوية معلماً للناس متأسكهم ، ثم خطب يوم عرفة ، ويوم النحر ، وكان كلما خطب الصديق قام ميهنا على فقراً على الناس صدر سورة براءة ، ثم يذاه في الناس بهذين الأسرين المذكورين في هذا الحديث وأسرهم آخرين كما سيأتي عن كتب ، فالصديق كان أميراً على الحج ، والإمام كان قارئاً لسورة البقرة ، ومبلغاً للناس ما أمر به .
وهنا سؤال يرد على ذهن القارئ :
إذا كان رسول الله ﷺ أمراً أباً بكر على الحج ما نصح وعنه إليه بتبليغ على صدر سورة براءة ، فلم عدل من ذلك ووكل إليه على قراءة صدر السورة ، وتبليغ ما أمر بتبليغه للناس ؟

والجواب : أن صدر سورة براءة تضمن نقض اليهود المطلقة عنهم الموثقة وقت ، أو التي مدتها دور أربعة أشهر فيأزاه عن الأربعة وتوثيقها فيما زاد من الأربعة ، ولم يبدئهم ما يخل بالعهد ، وكان العرب قد تعارفوا فيما بينهم في عهد اليهود ونقضها أن لا ينزل ذلك إلا سيد القمية أو رجل من رعيه ، فأراد رسول الله ﷺ

ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر ، أي إعلام ...

وكانت حجة الصديق أبي بكر رضي الله عنه سنة أربع من الهجرة اتفاقاً ، والمصحيح أنها كانت في شهر ذي الحجة من هذا العام بدليل هذا الحديث وغيره من الأحاديث ، لا في شهر ذي القعدة كما قيل .

وفي الحديث إجمال بينته الروايات الأخرى ، وهاهنا تفصيل ذلك كي يتضح للراد ذلك أنه لما انصرف رسول الله ﷺ من تبوك وهي آخر غزاة أراها أراد الحج ثم قال : « إنه يحضر البيت فراءة معركون يظنون بالبيت فلا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك » ، فأرسل أباً بكر أمراً هل الحج سنة نصح وبعت معه نحو أربعين آية من صدر سورة (براءة) ليقرأها على أهل الموسم .

فلما خرج دعا النبي ﷺ علياً وقال : « أخرج بهذه الآيات من صدر سورة براءة فأذني بها في الناس إذا اجتمعوا » ، فخرج على رضي الله عنه ، على كافة رسول الله ﷺ عليه وسلم « المضياء » حتى أدرك أبا بكر الصديق . (ذي الخليفة) فقال له أبو بكر لما رآه : « أميراً ما مأموراً ؟ فقال : « بل ما مأموراً »

« في رباط يؤذون في الناس يوم النحر :
لا يخرج بعد العام مشترك ، ولا يطوف
البيت حراً ، وقد اقتصر هنا على هذا
لقدور من الأمور التي أعلم سيدنا علي
ومعاذونه للناس بها ، وقد جاءت رواية
الترمذي بأوفى من هذا ، فقد روى بسنده
عن زيد بن يسير قال : سألت علياً بأى
شيء بعثت في الحج أقاله : بعثت بأربع ،
أولها لا يطوف البيت حراً ، ومن قال بيته ،
وبين النبي ﷺ عهد فهو إلى مدته ، ومن
لم يسكن له عهد فأجله أربعة أشهر ، ولا
يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، ولا يجتمع
المسلمون والفركون بعد طاعهم صفاء »
قال الترمذي : حديث صحيح صحيح ، وخرجه
الشماع أيضاً ، وفيه قال علي : « فمكنت
أهلنا حتى جعل صوتي » (١)

وقد كان علي معانود منهم أبو هريرة
كما يدل على ذلك هذا الحديث ، وروى
الإمام أحمد وغيره عن أبي هريرة قال :
« كنت مع علي حين بعث رسول الله ﷺ
برأته إلى أهل مكة فمكنت أهلنا معه »

(١) في القاموس : « جعل صوته كصوتهم وأهل »
وجعل يجمع أو اجتمع في جمع أو جعل صوته في الصغر
واشتقاق في الصوت من غير أن يعظم » .

أن يقطع السنة العرب وبمسؤول بينهم
وبين النبل منه ، والتعويض عليه بسبب
ما تعارفوا عليه ، فأرسل ابن عمه الهاشمي
كي ينقض العهد حتى لا يقع لهم محالاً
لتسليم فيه فهذا هو الحب ، لا ما يزعمه
بعض الرافضة وأصحابهم من أن ذلك كان
لأن علياً أفضل من أبي بكر ، وأوله
بالخلافة منه .

ولا أدرى كيف يتفق ما زعموه وما ذكره
الروايات الموثوق بها من أن سيدنا علياً
لم يسكن أميراً بل لادن مأموراً ، ويصح
من السر في إرساله على بعد الصديق ليقرأ
على الناس صهر سورة براءة مارواه الترمذي
وحسنه ، وأحد من حديث أنس رضي الله
عنه ، قال : « بعث النبي ﷺ براءة
مع أبي بكر ، ثم دعا علياً فأعطاه إياه »
وقال : لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا إلا رجلاً
من أهل ، وفي رواية الطبراني : « أن
جبريل عليه السلام هو الذي قال للنبي ﷺ
إنه لن يؤذيها منك إلا أنت أودجك منك »
وفي تأمير الرسول لمصدق عن الناس في هذه
الحجة ما يشير إلى أنه الأحق بالخلافة ،
وليس هنا مقام الاستدلال على ذلك ،
فذلك مقام آخر .

بذلك حتى يصلح صوتي ، وكان ينادي
قبل حتى يميني ^(١) .

وفما فعل الصديق في أسرم بمعاوته
ففي مثل هذا الرسم الحافل الذي يجتمع
فيه الناس من كل فج يتمنوا على أنه فرد
أن يقوم وحده بالتبليغ عنها أوتى من قوة .
ولا يجمع بعد العام مشرك ، أي بعد
الزمان الذي وقع فيه الإجماع ، وقد كان
قد نفي للمشركون من البيت ، وحج النبي
صلى الله عليه وسلم والسلف مع حجة
الزواح ، فلم يشاركهم في حجهم أحد من
المشركين ، وبذلك أكمل الله للنبي وللمؤمنين
الدين ، وأم عليهم النعمة ، وهذا مأخوذة
من قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إنما
المذكرون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام
بعد طهرهم هذا » ^(٢) .

وكان نزول هذه الآية سنة أربع - قبل
الحج في عماله - في بضع وثلاثين آية من
صحة سورة براءة ، وهي التي أسمر النبي
عليها بقراءتها على الناس .

والأراء من نجاسة للمشركين النجاسة
المعنوية ، وهي نجاسة المعتقد ، أو المراد
أنهم لا يتزهدون عن النجاسات غالباً ، أو

[١] فتح الباري ج ٨ ص ٢٠٥ - ٢٠٧ .

[٢] براءة ٧٨ .

لا يقتلوا من الجنائز ، والمراد بالمسجد
الحرام : الحرم كله ، وعلى هذا فلا يمكن
مشرك ولا كافر من الدخول في الحرم حتى
توجه برسالة ، أو أسمرهم لا يمكن من
الدخول ، بل يخرج إليه من يقضى إليه
الأسر المنطلق به ، وإلى فتحوه النهي للحرم
كله ذهب جمهور العلماء ، وحل بعضهم
النهي على المسجد الحرام خاصة دون الحرم ،
ودون غيره من المساجد ، وبعضهم قال :
المراد به عدم تمكيتهم من أداء الحج أو
العمرة « ولا يطوف بالبيت عريان » .

هذا وما قبله أسلوب خبر ، ولكن
المراد به الأسر ، وهو أسلوب مستفيض
في اللغة العربية ، وقد ذكر ابن اسحاق
في سبب ذلك أن قريشاً ابتدعت قبل النبوة ،
أو بعده ، أن لا يطوف أحد بمن يقدم
عليهم من غيرهم أول ما يطوف إلا في ثياب
أحدهم ، فإن لم يجد طاف عرياناً ، فإن
خالف وطاف بثيابه ألقاها إذا فرغ ، ثم لم
يلتفت بها فلما جاء الإسلام هم ذلك ،
وزاد ابن كثير في تفسيره ^(١) فذهب
توضيحاً فقال : كانت العرب ما عدا قريشاً
لا يطوفون بالبيت في ثيابهم التي دعوا
الله فيها ، وكانت قريش يطوفون في ثيابهم

[١] ج ٣ ص ٤٦٤ ط الناز .

الأكبر هو يوم النحر ، والصحابة - رضوان الله عليهم - أعلم الناس بهم للراى من كتاب الله تعالى ، ولولا أنهم فهموا أن السراة بالحج الأكبر هو يوم النحر لما أذوا فيه . وجمهور العلماء مع الصحابة في عدم على أن يوم الحج الأكبر هو يوم النحر ، وهو مذهب مالك والشافعى في الصحيح عنه يدل على ذلك هذا الحديث ، ويدل عليه أيضاً الحديث الذى رواه البخارى في كتاب الجهاد من أن حربرة قال : لعنى أبو بكر - رضى الله عنه - فيمن يؤذن يوم النحر بى . ويوم الحج الأكبر يوم النحر ، وإنما قيل الأكبر من أجل قول الناص : الحج الأصغر فنبه أبو بكر إلى الناص في ذلك العام فلم يهج نام حجة الوداع مشرك . وروى أبو داود عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ وقف يوم النحر في الحجة التى حج فيها فقال : « أى يوم هذا ؟ » فقالوا : يوم النحر ، فقال : « هذا يوم الحج الأكبر » وأيضاً فنيه الرى ، والنحر ، والخلق ، والطواف . وقيل : هو يوم عرفة ، روى هذا عن عمر ، وعثمان ، ومجاهد وغيرهم ، وهو مذهب أبى حنيفة ، واحتج القائلون بهذا الحديث المجهول « الحج عرفة »

ومن آثاره قرئى ثوباً خاف فيه ، ومع منه ثوب جديد طاف فيه ، ثم يلقى فلا يملكه ، ومن لم يجد ثوباً جديداً ، ولا آثاره قرئى طاف هرباً ، وربما كانت امرأة فتطوف عريانة ، فتجعل على حوائها شيئاً فيدثرها بمضى العفر وتقول : اليوم يبدو بعضه أو كله

وما بقا منه فلا أحده وأكثر ما كاله النساء يطفن هرباً بالليل وقد قضى الإسلام على كل ذلك فله الحمد والمنة « قال ابن شهاب » هو الإمام محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرى نسب إلى جد أبيه من خيار التابعين وأجمعهم كحديث ، وأعلمهم به ، وقد ساهم بحفظ وإفر في تدوين الحديث تدويناً طاماً بأمر الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز وحيد : هو ابن عبد الرحمن بن عوف الزهرى ، وكاله بقوله : يوم النحر يوم الحج الأكبر من أجل حديث أبى حربرة هذا . وقد امتنبت حميد هذا من قوله تعالى :

« وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر ، أن الله برىء من الشركين ورسوله » ومن تأذين أبى حربرة وغيره بهذا النداء يوم النحر ، فيصم الآية إلى الحديث نخلص إلى أن الراى يوم الحج

إلى قوله : بل مأمور ، ويسير في الركب تحت إمرة شيخ الإسلام في بكر كغيره من الناس ولا يجب فكلاهما خريج القرية الحمدية ، والمدرسة النبوية التي صهرت منهم علماء ، حكماء ، فقهاء ، رهباء ، أدباء .
(٢) إن أمير أمير على الناس في الحج يتقدمون بحديثه ، ويسمرون بسيره ، ويلهم المناسك أمر مفروع ، وإله الأمر ينبغي أن يكون عالما بالفرع بعامه ، والحج ومناسكه بخاصة ، مأملا بما يصلح ، حتى يتحقق الغرض المقصود من تأميره .

(٣) حرمة دخول المشرك الحرم ، وقد كان الغارح وهذا حكما غاية الحكمة فالمشرك أو الكافر لا يؤمن بإفاده الدين والديني في الحرم ، وإفادته العتنة من الناس ، ثم هو نجس ، فكان الواجب إذا أمنه من دخول المسكن المقدس الذي جعله الله حراما آمنا وحمل فيه الكعبة المرفة ، بيت الله ، وحرز العبادة والتوحيد في الأرض .
(٤) أن يوم الحج الأكبر هو يوم النحر وأنه الرأي الذي عليه جمهور العلماء سابقا وخلفا وصلى الله تبارك وتعالى على نبينا وسيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .
ر . محمد محمد أبو شامة

وأن يوم مرة فيه الركن الذي لو فات الإنسان فقد فاته الحج ، وقال النووي وابن جريج : الحج الأكبر ، أيام منى كلها ، وهذا كما يقال : يوم سفين ، ويوم بسات قهراد باليوم الحين والزمان لا اليوم المرفوع ، وهو مذهب واسع .

هذا وإنما قيل الحج الأكبر للاحتراز من الحج الأصغر وهو العمرة ، وقد استدل جمهور العلماء بالحديث على أن ستر العمرة شرط في الطواف حول البيت .

« ما يؤخذ من الحديث من الأحكام والآداب » .

(١) فضل الصديق رضي الله تعالى عنه ، وتكريم رسول الله ﷺ بحججه أمير أهل الناس في الحجة التي كانت مهدة حاجرة الوداع .
(٢) أدب المعابة الصالح بمضمع مع بعض ، وشدة تواضعهم ، ووقوفهم عند أمر الله ورسوله فهذا هو الصديق - رضي الله عنه - على جلالة قدره وحميته لرسول الله ، هذه الصفة التي نوه بها القرآن الكريم ، وأياها للبيضاء على الإسلام حتى قال الصادق للصدوق ليأصح عنه : « إن أمن الناس على في الله ونفسه أبو بكر » هذا الصديق يرى مليا قد خلق به فيقول له أمير أم مأمور أفيصارع على

نظام الاقتصاد في الإسلام

للدكتور علي عبد الواحد وافي

الكلمة في المجتمع

وبدخل في ذلك تقرير الإسلام لنظام الملكية الجماعية في الأعيان الضرورية لجميع الناس، وإباحة الإسلام نزع الملكية الفردية وحملها ملكية جماعية إذا اقتضى ذلك الصالح العام وإبادة الإسلام لأولياء الأمور أن يتخذوا حيال الملكية الفردية ما يرونه كفيلاً بتحقيق التوازن الاقتصادي بين طبقات المجتمع وأفراده، وتنظيم الإسلام لدوام الملكية الفردية، وتفيده لمصلحة المجتمع في هذه الملكية بما يحقق الصالح العام ويجول حول الإضرار بالآخرين، وما يرضه على كامل المالك الفردي من أعباء مالية يقدمها للدولة والمجتمع كالزكاة والخراج والضرائب والمصداقات الموسمية والكفارات.

(والحكمة الثالثة) تتمثل في نظرية الإسلام فيما ينبنى أن تكون عليه العلاقات الاقتصادية بين الناس.

فالإسلام لا يقيم هذه العلاقات على

أفام الإسلام ببيان نظامه الاقتصادي على ثلاث دعائم رئيسية تعمل متضافرة على تحقيق العدالة الاجتماعية واحترام حقوق الإنسان:

(الحكمة الأولى) تتمثل في إقرار الملكية الفردية وحمايتها وحماية العمل الإنساني، ويرى الإسلام من وراء ذلك إلى تشجيع الوازع الفردي وإعطاء كل فرد حزاء اجتهاده من ثمرات الحياة الدنيا. (والحكمة الثانية) تتمثل فيما يخصه الإسلام على حقوق الملكية الفردية من قيود وما يرضه على كامل مالكها من واجبات. ويرى الإسلام من وراء ذلك إلى إفسار المدة الاجتماعية والتوازن الاقتصادي، وتقليل الفروق بين الطبقات وتقريبها بعضها من بعض، وإتقاء تضخم الثروات وتجمعها في أيدي قليلة، وتجهيد رأس المال من وسائل العبور والطغيان والسيطرة على شئون الحياة، وضمان حياة إنسانية كريمة لأفراد الطبقات

كل دعاية منهما ، وفي أهم الوسائل التي
أخذها لتحقيق هذه الأغراض .

ويقتضينا توضيح هذا الإجمال لنعرض
لكل دعاية من هذه الدعايم على حدة
وانتحدث عنها وعن أهدافها ووسائلها
بشيء من التفصيل .

وحقتصر في هذا المقال على الكلام
على الدعاية الأولى وهي إباحة الإسلام
للملكية الفردية وحمايتها وحمايتها لعمل
الإنسان ، مرجعنا للكلام على الدعايم
الأخرى إلى مقالات تالية إن شاء الله .

يقول الإسلام الملكية الفردية ، وبذلك أمام
الفرد سبيل التفكر والحصول على المال
بالطرق المفروضة ويحظى كل مجتهد جزاء
اجتهاده من ثمرات الحياة الدنيا ، ويوسع
المجال أمام المنافسة الحرة . وبذلك يمتنع
تكاثر القوم بين الناس في هذه الميادين .

ولا يسكتني الإسلام بإقرار الملكية
الفردية وتيسير سبل الحصول عليها ، بل
يحيطها كذلك بسياج قوي من الحماية ، كما
تدل على ذلك الحدود والعقوبات القوية
والأخروية التي يقررها لخصلاف أنواع
الاعتداء على الملكية كالسرقة وقطع
الطريق والنصب وحل حدود الأرض .

أسس تنمية مادية كما نفعل للنظم الأخرى
وإنما يقيسها على أسس إنسانية خلقية
يتعلق بعضها التكافل والتعاون والتحاب
والنواد والتراحم بين الناس بعضهم مع
بعض ، والتواصي بالبر والخير والعدل
والإحسان ، واحترام الشخصية الإنسانية
التي كرمها الله ، فينظر كل فرد إلى الآخر
على أنه غاية لا على أنه وسيلة تستخدم
لجلب المنفعة ، ويحب كل فرد لغيره
ما يحب لنفسه ويكرهه ما يكره لنفسه
بالنظام الاقتصادي في الإسلام ، مع أنه
يعالج ماديات الحياة ، يقيم هذه الماديات
نفسها على أسس إنسانية خلقية كريمة .

ولعل هذا هو أهم ما يمتاز به النظام
الاقتصادي في الإسلام مما عده ، ويدخل
في هذه الدعاية نظم التكافل والضمان
الاجتماعي في الإسلام ، ونهيم الإسلام
لطرائق الكسب غير الحليم ، وترغيبه في
التصرف على المقراء ، وفي إنفاق ما زاد
عن الحاجة في سبيل الصالح العام وحد
حاجات الموزين .

هذه نظرة مجملة في الدعايم التي يقيم
عليها الإسلام النظام الاقتصادي ، وفي
الأغراض الرئيسية التي يرى إليها من وراء

فقرر الإسلام عقوبة قطع اليد في السرقة، قال تعالى: «والمارق والمارقة فانظموا أيديهما جزاء بما كسبا سكراناً من الله»، والله عزيز حكيم، ولم يتشدّد الرسول عليه الصلاة والسلام في تنفيذ حد قصده في تنفيذ حد السرقة، فقد جاءه - مرة - أسامة بن زيد وكان من أحب الناس إليه - يدفع في خاطمه بنت الأسود المخزومية، وكان قد وجب عليها حد السرقة لسرقها قطيفة وحلياً، فأسكر الرسول عليه الصلاة والسلام شفاعة أسامة، على حبه له، واشهره لائلاً: «أنذمت في حد من حدود الله»، ثم قام فخطب الناس فقال: «إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق القريب تركوه وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

ومجيب أن عقوبة قطع اليد لا توضع إلا بفروض كثيرة يتملق بعضها عادة الشيء للسرقة، وبعضها بقيمته، وبعضها بالمكان الذي سرق منه، وبعضها بالسارق نفسه، وبعضها بالمالك، وبعضها بملافة أحدهما بالآخر وقرابته منه، وبعضها بالشهود... وهلم جرا. ومجيب أن هذه

الشروط يندر توافرها، ومجيب أن لا توضع عقوبة القطع إلا حيث تنتهي جميع العيبت، لقوله عليه الصلاة والسلام: «أدرهوا الحدود بالعيبت»، ولكن سقوط القطع لعدم توافر الشروط أو لقيام شبهة ما لا يعني السارق من العقوبة، والشريعة الإسلامية تقر عقوبة التعزير في كل حالة يستلزم فيها الحد متى ثبتت الجريمة، والتعزير عقوبة يقدرها القاضي أو يقدرها القانوّن لتواضع عليه وصورة تتفاوت شدتها بحسب درجات الجريمة وبلغ خطرهما، وبحسب اختلاف الجرمين أنفسهم وما يكفي ردعهم، ويكره بالمعس والجلد والتأنيب وما إلى ذلك.

وهذا كله في السرقة العادية أو ما يصحبه فقهاء السنين السرقة العنصرية، وأما قطع الطريق، أو ما يسميه فقهاء المسلمين بالسرقة الكبرى أو الحرام، فمقوبته أشد من ذلك بكثير، وقد بينها القرآن الكريم إذ يقول: «إما جراه الذين يحارون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض، ذلك لهم جزاء في الدنيا ولهم

بغير حق لنبي الله عز وجل وهو عليه
غضب الله ، وتوجب الذرمة الإسلامية
على الغاصب أن يرد الشيء المنصوب أو
يرد قيمته إذا بده أو أنافه . فإن كان
المنصوب أرضا فخرس فيها أو بحى ، فلع
للفرس وهدم البناء وردت إلى صاحبها كما
كانت ، وبوقع على الغاصب في جميع
الحالات عقوبة التعزير السابق بيانها .

وفي سبيل حماية الملكية الفردية يجيز
الإسلام ذلك أن يدافع عن ماله بكل
وسائل الدفاع ، حتى لو أُلجأ ذلك إلى قتل
المعدى ، وفي هذه الحالة لا قوة عليه ،
وإذا قتل هو فإنه موت شهيداً ، لقوله عليه
السلام : « من مات دون ماله فهو شهيد » .
بل إن الإسلام لينهى عن مجرد النظر
بممن نية إلى ملكية الغير ، وفي هذا
يقول الله تعالى : « ولا تمدن عينيك إلى
ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا »

ولما كان الإنتاج لا يتوقف على رأس
المال الممثل في الملكية فحسب ، بل يتوقف
كذلك على العمل الإنساني ، ولما كان
فقره الناس ودهاؤهم لا يملكون إلا غرام
الحسنة والعقوبة ، وليس لهم مع ردوس

في الآخرة عذاب عظيم » ، ويستند
أبو حنيفة من هذه الآية عقوبة قطع
الطريق فيقرر أنه قطاع الطريق يحكم
عليهم بالقتل أو الصلب أو كليهما معا إن
قبض عليهم بعد أن سلبوا المال وقتلوا
النفوس ، وبالقتل فقط إن كانوا قد قتلوا
النفوس ولم يكونوا قد سلبوا مالا معه ،
وبقطع الأيدي والأرجل من خلاف بأن
تقطع من كل واحد منهم يده اليمنى ورجله
اليسرى إذا كانوا قد سلبوا المال فقط ،
وبالحبس إذا كان القبض عليهم قد تم من
قبل أن يقتلوا نفسا ولا يأخذوا مالا ، وهذا
إلى ما توعدم الله به من عذاب عظيم
في الآخرة ، وتقرر المذاهب الأخرى
هذه الآية على وجوه أخرى مبينة في
كتب الفقه ، ولكنها تنفق جميعا في أن
عقوبة قطع الطريق تكون في جميع
الأحوال أشد من عقوبة السرقة العادية

وأما الغصب ونقل حدود الأرض
فجفرها ملعون في فطر الإسلام ومحروم
من راحة الله . وفي هذا يقول عليه الصلاة
والسلام : « من غصب شبرا من أرض
طوفه الله من سبع أرضين يوم القيامة » ،
ويقول : « من اقتطع حال امرئ مسلم

وما إليها في مواطن الحج نفسها ومواسمه
وقال عليه الصلاة والسلام : « ما أكل
أحدكم طعاماً قط خيراً من عمل يده »

وروى أنه النبي عليه السلام لما أقبل
من غزوة تبوك استقبله معاذ بن جبل
فصاحه ، فأحس النبي ﷺ خشونة في يده
فقال له : « كنت يدك يا معاذ » ، أي
خشفت وغلظت . فقال معاذ : « نعم يا رسول الله
لأنى أحفرت بالمسحاة وأفقت منه من حيالي »
أي اشتغل بالراحة في الأرض وأغنى
من نتاجها عن أسرتي ، وإلى هذا يرجع
السبب في خشونة يدي ، فقبلة الرسول
عليه الصلاة والسلام أو قبل يده وقال :
« تلك يد يحبها الله ورسوله » أو قال :
« تلك يد لا نعمها النار » . - وروى
عن ابن عباس أن قرماً قدموا على الرسول
عليه الصلاة والسلام فقالوا : إن فلاناً يصوم
النهار ويقوم الليل ويكثر الذكر ، فقال
عليه الصلاة والسلام : « أياكم يكفيه طعاماً ؟ »
فقالوا كلنا ، أي نتعاون جميعاً على سد
حاجته حتى يتفرغ لعبادته ، فقال عليه
الصلاة والسلام : « كلكم خير منه » .

وعلى أساس هذه النظرة للقدسة للعمل

(البقية على صفحة ٨٣٧)

الأموال إلا ما يستطيعونه هذه من جهود
قدرة أحاط الإسلام المصطل والمجهود
الإلزامي بحماية لا تقل في قوتها من حمايته
للملكية ورأس المال .

فالإسلام يحترم العمل أياً كان نوعه
مادام داخل في نطاق الأموال المشروعة ،
ويحث عليه ، ويعمل من شأنه قال تعالى :
« هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا
في مناكبها وكلوا من رزقه » ، وبأسر
القرآن المؤبدن الصلاة الجملة ألا يطول
مكثهم في المسجد وأن ينصرفوا إلى أعمالهم
بعد انتهائهم من أداء الفريضة ، قال تعالى :
« يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من
يوم الجمعة فاسموا إلى ذكر الله وذروا
البيع ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون
فاذا قضيت الصلاة فانتفروا في الأرض
واشتغوا من فضل الله » . بل لقد أجاز
الإسلام مباشرة أعمال التجارة وما إليها
في أثناء أداء مناسك الحج ، قال تعالى :
« ليس عليكم جناح أن يتفغروا فضلا من
رئيسكم ، فإذا أنفتم من عرفات فاذكروا
الله عند المعرة الحرام » . قال المفسرون
في تفسير هذه الآية إنها نحث على الأخذ
بأسباب الرزق ومزاولة أعمال التجارة

لأشائبة من الوثنية في مناسك الحج لفضيلة الدكتور محمد الدين علي السيد

اعتماداً بالغ المذهب ، لأن لا خطر منه حتى على العامة من أصحاب العقيدة ، وإفاداً لكتب فيه كوضوح لطيف يستعرض شيئاً من طرف التاريخ ، وآخر من فطرة البشرية ، وثالثاً من غاية الدين في قلوب المؤمنين .

وبداً فنقول : لا وثنية في الحج ، وبهذا التعميم نفتتح طرفة التاريخ . فسأل أولاً : ما الوثنية ؟

ونجيب فنقول : الوثنية عند الإطلاق بمحتمل أن تكون مصدراً صناعياً من (الوثن) وهذه الإنصاب بها محتمل أن تكون نسبة مؤنثة إلى (الوثن) وهي هل الاحتمال ذات أصل واحد كما يرى ، و (الوثن) هو الصنم أو ما يعبد . قال في المعاني : الصنم معروف ، وأحد الأسماء ، يقال : إنه معرب (ثمن) وهو (الوثن) قال ابن سيده . وهو ينبت من خشب ويصاغ من فضة ونحاس والجرح أصنام ، وقد تكررت في الحديث ذكر الصنم

لمارة الحارث المحاسبي على عبه المعتركة لامة الإمام أحمد ، فقال الحارث : الرد على البديعة فرض . فقال الإمام أحمد : نعم ، ولكنك حكيت جهلهم أولاً ، ثم أجبت عنها ، فلم تأمن أن يطالع القصة من يعلق ذلك بجهلهم ولا يلتفت إلى الجواب ، أو ينظر إلى الجواب ولا يفهم كنهه .

والقصة في موضوع اليوم بصورها هذا السؤال :

ألم يحرم الإسلام تعظيم الأوثان وعبادة الأصنام ؟ فكيف بالحج ومহারه يرتبط بأماكن وأبنية حمية بقصد إلها الناس من كل فج يظفرون وينسجون ؟

والسؤال بهذه الصيغة النائرة لا يخيفنا خوف الإمام أحمد بسط مسائل الاعتزال قبل الرد عليها ؛ لأن اتفارق كبير بين فلسفة للمتركة وثورة طرونتهم في التذليل في الدفاع وبين سداجة هذا السؤال وتداعى الرمم لفتانهم به ، ونحن إذ نكتب في هذا الموضوع لا نكتب مهتمين بالسؤال ذاته

حجارة كانت حول الكعبة تنصب قبلها عليها وبذبح لغير الله تعالى . . . وعليه قوله تعالى (والأنصاب والأزلام) وقوله : (وما دج على النصب) والأنصاب : الأوثان . وحول هذه المعاني تورد كتب التفسير ومفردات الراغب الأسفهاى وغيرها .

فالولية على هذه هى انخاف الأولاد أو الأصنام أو النصب آلهة تصد ، غير أن تاريخ الأديان يقسم عابدا أنصافا إلى مفردين لا يعرفون غيرها إلها ، ومشركون يعبدونها مع الله ، وقد تناول هذه الألوهى فى ملحوخ الأرب ، وكتبة السيرة ، ناقلين من كتاب الأصنام لآبى السكيتي وحدثونا عن أصنام العرب وأوثانهم . وهى مختلفة الأسماء والأنواع والأماكن ، وأدلوإ إلينا الأسباب الأصلية للباغنة على هذا التمثيل للمعبود ، فلها ما يرجع إلى بداية التعلق الحسى ، الذى هو أقرب إلى القبطرية الناشئة فى أحضان الحضارات ، لم تقوم من بعد على النظر والتأمل والتجريد ، ومنها ما يعود إلى تعظيم الأماكن أو الأشخاص واستصحاب ما يعتقدون فيه الدهكة أو نفوة الكرم من آثار معظمتهم عنه فلتزوح عنها ، ومنها لتفايد الخالى من

والأصنام وهو ما اتخذ إلها من دون الله وقيل : هو ما كان له جسم أو صورة فإن لم يكن له جسم أو صورة فهو (وثن) . قال ابن عرفة : ما اتخذوه من آلهة فشكله غير صورة فهو (وثن) فإذا كان له صورة فهو صنم .

وقيل : لفرق بين الوثن والصنم ، أن الوثن ما كان له جثة من خشب أو حجر أو فضة يتحن ويصعد ، والصنم الصورة بلا جثة ، ومن العرب من جعل الوثن النصبوب صنبا .

وروى عن الحسن أنه قال : لم يكن حتى من أحياء العرب إلا ولها صنم يعبدونها يسمونها أى فى فلاله ، ومنه قول الله عز وجل :

« إن يدعون من دونه إلا إناثا » والإناث كل شئ ليس فيه روح مثل الخشب والحجارة .

ومثل الأوثان والأصنام النصب أو الأنصاب ، قال صاحب المسال : والنصب ما نصب فيه من هون الله تعالى : وقال الفراء : كان النصب الآلهة التى كانت تسيده من أحياء . وقال ابن سيده : والأنصاب

نماد النبي عليه السلام أن يسحب الصحابة من ضلّاه فيقول: أترون هذا أضل أم نافته؟ وبعد هذه الجولة حول لوثية وه معرفة الذبّة به الوثن وصاحبه نعود إلى الطابع البشري في الإنسان .

والإنسان مجبول من الروح والمادة ، يعيش في حياته على غذائين متكاملين لروحه ومادته ، في أموره الدينية والخالصة وأمواله الأخروية الخاصة ، وذلك من التماثل الحكيم في صنع الله عز وجل طعاما وشرابا ، كذلك ما حق جسمه ومادته لا يقدم روحه معها الإحساس بالثقة ولا التذوّذ بالطعم والراحة بتجدد الذبّة ، والصادقة وهي خالصة لله والروح لا يقدم الجسم لها حظ من المشاركة انغماله صلاة كانت أو زكاة أو حجابا

ولما كانت الروح من الله والمادة من الكون ، جعل الله لروح ذاته الكريمة ألسنا ، وجعل للجسم بكونه قائم ارتباطا ، حتى في هذه الماديات ، وصمّا له حق طبيعته ، وتماذلا كاملا مع تركيبه ، فجعل له قبلة في الأرض وقبة في السماء ، أما قبلة روحه فيقول الله فيها : « فأيتانولوا فم وجه الله » وأما قبلة جسمه فيقول الله فيها : « قد نرى

النظر للآباء والمشايرة ، ولقد كانت نظير للذرات الساخرة من هذه الجبهة حينما بعد حين في صورة لا تخلص من الطرافة .

من ذلك ما حكى ابن إسحق عن (سعد) صنم بني ملكان ، وكان صنم صخرة طويلة بفلاة من أرضهم ، أتى رجل منهم بأوط مؤبقة له ليقد عليه الناس بركته فيما يزعم ، فنشرت الإبل في غنى الجهات لما رأت من لون السماء التي كانت تراقى عن (سعد) فتغضب الرجل وأخذ حجرا فرماه به قائلا : لا بارك الله بك فسرت على الله ، ثم خرج في طلبها حتى حمها ، فلما اجتمعت له قال :

أتينا إلى سعد ليجمع ثمننا
فشتنا سعد فلا نجد من سعد
وهل سعد إلا صخرة بتقوفة

من الأرض لا تدعولني ولا رشد
ومستفدى آل هذا أمر محتمل جدا
من مثل هذا السر فلا داعي لإطلاق الأتاهام
الحذر بالتطبيق ، وليس بعيد هنا حديث
البدوي الذي قال وهو منصرف بعد
صلاته مع النبي صلى الله عليه وسلم :
اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم أحدا غيرنا

— وتزعت حكمته — لكان الإنسان إما مايدأ على الإطلاق كالملائكة وذلك يستحيل في حقه كإيمان بهر، وإما جاعداً مطلقاً كالحياطين مشغولاً بأمر حياته مما يمل فكرته، وإما مبليلاً لهم والكدر لا يعرف قياس ما أدى من واجب العقيدة وما ترك، فلا يستطيع حساب نفسه ولا يدرك كنهه إيمانه، والله أجل أن يفترض ديناً سوى المهاد بهم والفتنات.

الفرق بين الحق والباطل :

أما الفرق بين الوثنية التي حرّمها الإسلام وبين الحق المبين فهو حافر مكشوف، وإذا كانت الأمور متماثلًا بالحق فلتنظر إلى أنشودته المثل التي تصاحبه وهي السلية، بين ما كان يقال قبل الإسلام من أحسن الوثنيين عقيدة وما يقال في الإسلام :

كانوا يلعبون فيقولون: «لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك»، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك، فيوحّدونه بالتأبيه ثم يدخلون معه أستانهم ويحلمون ملكها بيده، وفي ذلك يقول الله فيهم: «وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم معركون».

تقلب وجهك في السماء فتقولينك قبة ترضاها قول وجهك شطر المسجد الحرام، وحينما كنتم قولوا وجوهكم شطره».

فالعبد حين يولي وجهه شطر المسجد الحرام يولي في الوقت ذاته روحه قبل وجه الله.

ومن أجل ذلك كان الحج في أماكن خصصها الله للناسك، يهجر من أجلها الأهل والمال والوطن، وينفق في سبيلها المال والعمر والجهد، تلبية لأمر الله وامتنالاً لطاعته، كما كان المسجد في أي بقعة من الأرض بيتاً لله، تحس أرضه الطاهرة أهضاء جسمه فتأخذ حظها من الأوس. بينما نفخ من الروح إلى الله الحق الذي تتمثله تجاهها باطراً إليها وهي تناجيه: «إياك نعبد وإياك نستعين».

ففي الزمان والمكان المهددين للخصمين لأداء العبادة لله جمع لهم العائد، وأنس لروحه يمينته على التوجه والخضوع وحسن الإجابة، إذ حين ينتشر المكالم والزمان في الكون كله، لا نجد لنفس هده إلى غاية، ويضطرب عليها أمر المعاش وأمر المماد اضطراباً يدهها في قلق والقلق، ولو أن الله أطلق الفرائض في الزمان والمكان

فرضاً فرضه ، وقد صبحت الفروع في الشريعة الإسلامية ومنها الحج أصول الشريعة ، وأصل أصلها التوحيد الخالص الذي يظل القرآن والرصول عليه السلام يردانه على وجوه شتى ، تحطياً للشرك في أدنى صورة من صوره ، ولا يقول على الإطلاق للجميع الفروع للفروضة ، من جذب الشرك قلبه . ولهذا فإن أداء تلك المناسك على هذا الوجه ، يدت حكته لبعض القلوب أم لم تبد - يمد إيناراً لله ، والقرآن بأمره ، تلبداً يبنى التسليم به ، دون البحث الدقيق عن حكته ، حتى لا يتغصب الفكر ويتطرق الفكر ، وتسمى البصيرة ، والله يبتلى ببعض ما يتعبد به ، فلتكن عقيدتنا النعاج بالنسليم والتفويض في مثله : « وما جعلنا أصحاب النار إلا فتنة للذين كفروا ، وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين آمنوا ، ولا يرئاب الذين آمنوا الكتاب والمؤمنون ، وليقول الذين في قلوبهم مرض ، والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً ؟ كذلك يضلل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو ، وما هي إلا ذكري البشر » .

أما السلوك فيلبون : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك » إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ، وهذا حديث ابن عمر أخرجه الستة . وآخر الحديث هذه العبارة : « لا يزيد على هذه الكلمات » .

ثم إن هذه الأماك والبقاع التي ارتبط بها الحج ، قد سماها الوثني قاداتها أو إشراكها لها مع الله الحق ، لم يكلف ذلك ولم يؤمر به لما في التشكيف بها على هذا التوجه من العبث ، والحق منه من العبث ، أما المسلم فهو مأمور بتنظيمها وللقصد إليها امتثالاً له وطاعة لما أمر ، على وجه التبري من اعتقاد الشرك ، والتزهد عما يخدش التوحيد الضال للآمر المطاع - عز وجل - ولو وضع إنسان يده في حرز غيره دون إذنه فأخذ ما لا يستحق الحد قطعت يده ومعنى سارقاً مجرمًا ، ولو حدث ذلك ذاته بأمر صاحب الحرز كان شريكاً مطيعاً ، فعظم حرمت الله وشعائره طاعة للآمر وامتثالاً لله ، وهب أما كنه للقدسة التي أمر بها والوقوف عندها والطواف بها ، حب لله غير معرك به ، لأنه أحبها لا ذاتها ولكن لرضا الله بطاعته في حبها

ذلك في صلاة ولا غيرها ، وإذا اقتضت
حكمة الله سبحانه وتعالى ربط نجاة الخلق
بأن تكون أعمالهم على خلاف هــ وهـ
طبايعهم وأن يصكون زمامها بيد الشرع
فيترددون في أعمالهم على سنن الانقياد
وعلى مقتضى الاستعانة كان ما لا يمتدى إلى
معاني أبلغ أنواع التعبدات في تزكية النفوس
وصرفها عن مقتضى الطبايع والأخلاق إلى
مقتضى الاسترقاق ، وإذا تفتت لهذا
فهت أن تصعب النفوس من هذه الأعمال
المعجبية مصغرة لدهول من أمرار التعبدات
وهذا الأصل كاف في فهم أصل الحج
إن شاء الله ، وهو الولي الخليل
و. عز الربيع على السير

وان من خير ما نختم به المقال فسوحه ،
فحول الغزاة - أكرم الله مثواه : - فأما
زهدات السعي ورعي الجمار وأمثال
هذه الأعمال ، ملاحظ للنفوس ولا أس
للمطعم فيها ، ولا اعتناء للعقل إلى معانيها ،
فلا يكون في الإقدام عليها باعث إلا الأسر
المجرد وقصد الامتثال للأمر ، من حيث
إنه أمر واجب الانحياز فقط ، وفيه عزل
العقل عن تصرفه ، وصرف النفس والطبع
عن عمل أسه ، فإن كل ما أدرك للعقل
معناه مال الطمع إليه ميلا ما ، فيسكون
ذاته الميل معينا للأمر وبأشياء معه من
العمل ، فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد ،
ولذلك قال عليه السلام في الحج على الخصوص :
لهك بحجة حقاً ، لمبدأ ورثاً ، ولم يقل

(بقية المذكور على ص ٨٢١)

إلى التمجيل بأداء الأجر ، وفي هذا يقول
عليه الصلاة والسلام « أعطوا الأجير حقه
قبل أن يحرق عرقه » .

ويطبق الإسلام هذه الناحية على جميع
أنواع العمل للباح ، سواء في ذلك الأعمال
الجسمية والأعمال العقلية وأعمال التنظيم
والإدارة ؟

و. على عبد الواحد والي

يتقدس الإسلام حق العامل في ملكية
أجره ، فهو يدعو إلى الوفاء به ، وينذر
من يجور عليه من أصحاب المال بحرب
وخصومة من الله .

قال عليه الصلاة والسلام : « قال الله
عز وجل : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة :
رجل أملى بي ثم عفر ، ورجل باع حراً
فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى
منه ولم يعطه أجره » . وهو يدعو كفاً

الأسلوب الصِّرَافِي

بَيْنَ الْجَزَالَةِ وَالرِّقَّةِ

للدكتور محمد رجب البيومي

- ٢ -

وتشدد المأساة حين يؤخذ نظام البيت ،
ليصير الجحيم ويداك في سلة ذراعها
سحون ذراعاً ١١ مفاد قوية مؤثرة
بعضها المؤثر الرائع ، نطق بها التعبير
القرآني جزلاً بفواصله ونظمه ونصوبه
ليعقب مع رداء ذلك كالتضيق البعث الأخرى
التي قامت عليها الدعوة الإسلامية لتؤكد
هذه السماء فيما سيكون من نواب ومقاب
وحشر وميزان ضاربة المثل ما تورط فيه
الكفرة من الناس الذين حين عصوا السماء
فأخذتهم القارعة وأهلكوا بالرجل الصرير
والطاغية ، ليسكون منهم تذكرة العنبر
ولمها ، الأذن الواضحة لك أن تقرأ هذا
لنص الكريم مرة ثانية لتجده يعطي
أعزج الجلالة البهائية في معرضها الحقيقي
حين نكسر ملائمة لموضوعها الأدبي
فتعتمد قوتها لا من اللفظ الغريب أو العبور
للمندل من روعة الموضوع وقوته
وتعاسكه حين يتكفل بهضه بيان حي
مصور ، بلجج إلى الأعماق والمسابج ،

ويأخذ بالقول للدركة مما يأتي . . .
فكر محكم ، وتصوير نابض ، ونظم رائق .
ولنا أن ترك الجزالة إلى الرقة لنقدم
أنموذها الأدبي من قول الله عز وجل
في سورة طه :
« وقال فرعون ذروني أقتل موسى
وليعرف ربه إني أخاف أن يبدل دينكم
أو أن يظهر في الأرض الفساد » ، وقال موسى
إني ظننت بربي وربكم من كل شك كبير
لا يؤمن بيوم الحساب ، وقال رجل مؤمن
مع آل فرعون يكتنم إيمانه أنقلون رجلاً
أن يقول رب الله . . . وقد جهكم بالبينات
من ربكم وإن يك كاذباً لعليه كذبه ، وإن
يك صادقاً يصيبكم بعض الله بعدكم إن الله
لا يهدي من هو مسرف كذاب ، يا قوم
لكم الملك اليوم فاعلموا في الأرض من
ينصرنا من بأس الله إن جاءنا ، قال فرعون
ما أريدكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل
الزند ، وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف
عليكم مثل يوم الأحزاب ، مثل ذاب قوم

لا جرم أنما تدعوني إليه ليس له دعوة
في الدنيا ولا في الآخرة وأن مردنا إلى الله
وأن للسرفين هم أصحاب النار ، فستذكرون
ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله إن الله
بصير بالعباد . فوفاة الله سيئات ما مكروا
وحاق بال فرعون سوء العذاب .

يعرض هذا النص حوازا عاديا في جلسة
رحبية ، يقف فيها فرعون موقف الجريح
الحائر ، بعد أن ظهرت نبوة موسى مؤيدة
بالمعجزات المخارقة إذ آمن به الحرة
مصدقين ، وكانوا عدة فرعون عن تكذيبه ،
فهو مضطر إلى الملاينة مع أنصاره بعد أن
من جبروته التمثل في مثل قوله من قبل
« أن أنقصت إلها لغيري لأجملتك من
الصحوة » ، وقوله مخاطبا الصحرة « آمنتكم له
قبل أن آذن لكم إنه لكبحكم الله علمكم
الصحرة فسوف تعلمون لأضعكم أيديكم
وأرجلكم من خلاف ولا سلبتكم أجمع » ،
إنه يضطر إلى اصطناع الملاينة حتى بين
حاشيته الخاصة فيقول متعلما « ذروني أفعل
موسى وليدع ربه إنى أخاف أن يبدل دينكم
أو أن يظهر في الأرض الفساد » متعللا
بأنه يخاف أن تكون دعوة موسى فسادا
في الأرض وإضلالا للناس ، وهذا دائما

روح وعاد ونحوه والذين من بعدهم وما الله
يريد ظلما للعباد ، ويأقوم إلى أخاب عابكم
يوم فتناه ، يوم تولون مغبوبين ما لكم
من الله من ماصم ومن يصل الله فباله من
هاهنا ، وأندحاكم يوسف مرقط بالبنات
فما زلت في ذلك مما جاءكم به حتى إذا هلك
فلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك
يضل الله من هو مصرف مواب ، الذين
يخادعون في آيات الله بغير سلطان أنام كبر
مقنا عند الله ، وعند الذين آخروا ، وكذلك
يطبع الله على كل قلب متسكرا جبار ،
وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي
أبلغ الأحاب ، أحاب السموات فأطالع
إله الله موسى وإن لا ظنه كاذبا ، وكذلك
زين لفرعون سوء عمله وصد من السبيل
وما كيد فرعون إلا في تاب ، وقال الذي
آمن يا قوم اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد ،
يا قوم إنا هداه الحياة إلى نجاتكم وإن الآخرة
هي دار القراء ، من حمل سيئة فملا يجرى
إلا مثلبا ومن حمل صالحا من ذكر أو أنثى
وهو مؤمن ما أولئك يدخلون الجنة
يرزقون فيها بنهم حساب ، ويأقرم ماله
أهدركم إلى النجاة وتدعوني إلى النار
تدعوني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي
به علم ، وأنا أهدوكم إلى العزيز الغفار

هذا المنطق الدقيق فلم يدعجثوه برد يدفع
وانتهز الرجل هذه البهرة فمجلس يقول
آخر يؤيد به رأيه جانحاً إلى التوحد الحاد
في قوله المزم «يا قوم - ثم يكررها فيما بعد
لحكمة ظاهرة - لكر الله اليوم ظاهرين
في الأرض فمن ينصر فامن بأس الله إن جاء»
وكان فقهاء قد أخذوا بفكره وفيما يسمعون
تخاف فرعون على سلطانه ومجلس يقول
في غيظ ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم
إلا سبيل الزهاد» وهو قول متخالف
لا يحمل حجة أو يدفع منطقاً ولكنه
يصدر عن جهوت متسلط يروج الأقواء
لتمام لكافة ما يراه فيقول ما أريكم
إلا ما أرى ثم يحضر أن يكون القوم
له مالوا المنطق غريبه فيجعل بقوة الموه
التوحد «وما أهديكم إلا حبل الزهاد»
ولكن مؤمن آل فرعون يستمع إلى إجابة
الطافية فلا يجيب فيها رافاً منطقياً على
قوله ، فيسجد في طريق الدفاع ملائناً ،
منطقاً كدأه ، فينادي قائلاً يا قوم
ليفرحهم أجمع جماعت وذوو قراباء وأنه ليس
غريباً عنهم ليخفهم المصح ، بل قريب
قريب يمتنع أن يملك فيه هناك «يا قوم
إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب ، مثل
هأب قوم نوح وعاذ نوح والذين من بعدهم

منطق الطغاة حين يلقون مثالبهم بأعدائهم
ظالمين مقترين ! هذه الملاينة من جانب
فرعون الطافية تستدعي ملاينة مسرفة
الذين من رجل مثالي يؤمن بموسى سرّاً
في حافية فرعون كأنما إيمانه ؛ ليقوم بدور
إيجائي في إزاحة القوم عن بيته ، وهو حذر
كل الخذر أنت يجاهر بيته فيؤخذ به
مؤاخذه لا تنفع نبيه في قومه بل تزيد
الغيب احتمالاً في صغر فرعون حين يرى
دعوة السماء تنسلل إلى أقرب الناس إليه
في قصره ومن بين حاشيته وآله وخاصة
ندمائهم ! إنه ليفكر في أسلوب ناهم سلس
رفيق يجذب سامعيه إلى منطق الصحيح
فيتساءل في تلعف : «أفتقول رجلاً أن يقول
ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم»
ثم يجيب أن يتهم بنصرة موسى فيجبه
إلى الإبهام الخذر قائلاً : «وإن يلك كاذباً
فعله كذبه وإن يلك صادقاً يسكم بعض
الله يمدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف
كذاب» ولا شك أن منطق هذا المؤمن
قد أوقع جمعة من حول في حيرة إذ يضمن
لم السلامة في كلتا الداهيتين ، لأن موسى
لو صدق لا تنصروا إصدنه ولو كذب
لا تخس بسوء العالبة وحده ، وكان
القوم قد بدءوا يشكرون في صواب

«يا قوم اتبعوا الهدى أهديكم سبيل الرشاد» ، يا قوم
إنا هذه الحياة الدنيا متاع وإله الآخرة هي
دار القرار ، من حمل سيئة فلا يجزي إلا مثاها
ومن حمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو
مؤمن ، أولئك يدخلون الجنة يرزقون
فيها بغير حساب » ثم رأى أن يكلف
النقاب سائرا عن إيمانه بعد أن أقرضت
هذه القلوب الخلف وأغمضت هذه العيون
العمى ، فقال له نصح سارخ : « يا قوم مالي
أدعوكم إلى النجاة ، وتدهونني إلى النار ،
تدهونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس له
به علم ، وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار
لا جرم أنما تدهونني إليه ليس له دعوة
في الدنيا ولا في الآخرة ، وأن سردنا إلى الله ،
وأن المسرفين هم أصحاب النار ، فتذكروني
ما أقول لكم وأعرض أسرى الله إل الله بصير
بالمعاد » وطيمى ألا يحبه منطق القوي
المرج ردا مقنعا يدفع القول بالقول إلى
وجه القبط يستكن في المصدر ليدبر
مؤامرة نصف جهل المارق المنيد ،
« فوالله الله سيئات ما مكروا وحاق بآل
فرعون سوء العذاب » .

إن بعض المتحدثين عن الرقة في الأسلوب
الأدبي يظنونها لا تكون إلا في وصف
الأزهار والياحى أو في أحاديث الفسحة

وما الله يريد ظلما لعباده » والاحتشاد
بالتاريخ كالزوم يزال موضع العبارة والإقناع
فهو الماضي الخى كما يحلو الناس أن يقولوا
هاتما في تأكيده دراسته وقد فطن هذا
الناصح إلى أثر هذا الاحتشاد فأنى
بالقاعدة البعيد حين تحدث عن نوح وماه
ومعروء ، وجاء بالقاعدة القريب حين تحدث
عن يوسف الصديق ، وتاريخه جزء من
تاريخ القوم في مصر فهم به أدرى وأعلم ،
وذلك بعد أن فصل بين القريب والبعيد
بما يهرك مسامح الدعور ويهيج سرك
الانفعال من التذكير باليوم الآخر وعقابه
المتطرة ذات الهول المصور في قوله « يا قوم
إني أخاف عليكم يوم التناد » يوم تولد
مدبرين مالكم من الله من مادم ، ومن يضل
الله فإله من عاد » ركاد فرعون قد عدم الحجة
اللطيفة مع هذا الذي يصدر عن إقناع
بصير واحتشاد منير ، فرأى أن يترك
خطابه ويتوجه بالحديث إلى هامان متمكنا
أو صادقا في قوله « يا هامان اني لي سرا
لعل أبلغ الأسباب ، أسباب السموات فأطع
إله له موسى وإنى لأظنه كاذبا » ، وكان
هذه المراوغة الواثقة حفزت هذا المؤمن
القيور إلى أن يلعن في نصحه ، فصاح بالمتهمين

والحنين أو آيات الرثاء والتأبين دون أن
تتمدى ذلك إلى أساليب الحجاج وبرايع
التقاضي، وقد فاتهم أن الرقة البيانية منحى
إنسانى يصور مواقف التردد وموازع
اللاينة، لا فى رسائل الفوق، ومواقف
العتاب غيب، بل فى كل موقف يجرى
إلى الامتلاء العاطفية والإقناع العقلى معا،
وها هو ذا مؤمن آل فرعون قد صور
القرآن جسد له الهادى، فى آيات حلقة
هناقة قتل أهل ما تنحصر عنه روائع
لكن الأدبى فى أعلى مرافقه، متخفا من
أساليب التردد والاستعطاف وبرايع
الاقناع والإغرام ما يهدف من طائفة هائلة
يستقر ينبوعها الرائق فى صدر صاحبها
كما تحتقر صفة القدير الهادى بيده عن
هبات الريح انفتحت الرقة الأدلوية
تمثلا يتماون على أدائه الفكر الواضح
والتصوير اللاع والتعبير الوامض، وتلك
هى عناصر الأسلوب الأدبى التى تتضح
فى كل بيان جزل أورك، صاب أولاد.
وتسألنى أنجتمع الجزالة والسلامة معا
فى موضوع واحد، فأقول لك: نعم وهذا
ما قام حوله ابن الأثير دون أن يقع عليه
إذا قال فى بعض ما سبق الاستفهام

دولت أمنى بالجزل من الألفاظ أن
يكون وحدها متوهرا، عليه منجوية للبدوة
بل أمنى بالجزل أن يكون متينا على
صقوبته فى القلم، ولذا أنه فى السمع،
وكذلك لمت أمنى بالرفق أن يكون ركيكا
صنفقا وإنما هو اللطيف الرقيق الخاشية
لناعم اللبس، وهو لولم ندلم منه أنه الرجل
قد حوم ولم يقع، حوم حين قال أن يكون
متينا على عذوبته فى القلم، ولذا أنه فى السمع،
ولم يقع لأنه لم يقل أن الجزالة والرقة
معا وليدة للوضوح للتحقق عنه، وقد
يكون من الموضوعات ما يتطلب الهدوء
والانفعال معا فى وقت واحد، فيلزم كاتبه
أن يصعد فى التقل عنه هدوما واشمالا
بحيث يرق ويسلس حين يلمس جانب الهدوء
ويبقى ويجزل حين يصور حدة الانفعال
وقد يكون الحديث عن هدوء الخاطر
وحسنة الانفعال مما يراه من البشر إذا
صدروا عن عواطفهم القاذية، أما كلام
كك عز وجل فأمل وأقدس من أن ترجع
به إلى مقياس بصرى دون ذلك، فهو أنا
نقول: إن للواقف الذى يتعرض للقرآن
لتصويرها، منها المواقف الصاخبة التى تتطلب
المواصلة فى التعبير عنها فتتصور منحى

ثم عقب صاحب التلخيص السائر على النص
القرآني بقوله :

« فتأمل هذه الآيات للضمنة ذكر الطهر
على تقاسيل أحواله ، وذكر الجنة والنار ،
وانظر على تعبد كلها لفظة إلا وهي سمة
مستغنية على ما بها من الجزالة ، وإيضاح
هذا الكلام كما أراه ، أن النص القرآني قد
تضمن مواقف مختلفة منها العنيفة الصارم
مثل التنفيع في المسود والصدق وسوق
الكافرين زمرا إلى جهنم ومناصفة الجزة
واستحقاق الكافرين للعذاب ، ومن هذه
المرافق للفرق السار مثل إشراق الأرض
بنور ربها وحرق الذين اتقوا إلى الجنة
زمرا وتوحيب الجزة للقادمين وحدهم الله
إذ سهقههم وعده فأورثهم الجنة بنبوءون
منها حيث يشاءون فنعم أجر الصالحين
فانتضى هذا التنوع مزج الجزالة بالرفقة
على نحو تقرئ إلى الأمانق .

وأظننا بمد هذه الأمثلة لثلاثة - في
الحديث عن الجزالة والرفقة - قد بلغنا
بعض ما أريد من الإيضاح والتعديد في
موضوع حتى يحتاج مزيداً من الإيضاح
والتعديد ؟

و . ثم رجب البيومي

الجزالة ومنها السواقي للفرقة المهادنة
التي تتطلب المواءمة في التعبير عنها فنحنو
منحى الرفق ، وقد استشهد ابن الأنبر على
الجزل من الألفاظ بقوله الله عز وجل :

« ونفخ في الصور فصعق من في
السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله
ثم وقع فيه أخرى فإذا هم يطعمون
وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب
وجيء بالنبیین والشهداء وقضى بينهم بالحق
وهم لا يطعون ، ووليت كل نفس ما
حملت وهو أعلم بما يفعلون ، وسبق
الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها
فتحت أبوابها ، وقال لهم خزنتها ألم يأتكم
رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم
لقاء يومكم هذا قالوا بل ولكن حق ككلمة
المرقاب على الكافرين ، قيل ادخلوا أبواب
جهنم خالدين فيها ، فيشء دثوى للتكبرين ،
وسبق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى
إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها
سلام عليكم بلستم فادخلوها خالدين ، وقالوا
الحمد لله الذي صدقنا وعده ، وأودتنا
الأرض تنبأ من الجنة حيث نفاء فنعم
أجر العاملين ، وترى لللائكة خائفين من حول
العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم
الحق وقيل الحمد لله رب العالمين » .

دلالة القرآن على نفسه أنه من عند الله

للكاتب محمد أحمد الفراوى

— ٦ —

رجع إلى دلالة الآيات الكونية في القرآن الكريم

وإلى قصر المسلمون في تبيينه انفسهم ،
فاقبى بمنع من تفسير الآيات الكونية
القرآنية تفسيراً صحيحاً طبق حقائق العلم
من غير خروج عن قواعد اللغة ولا على
معانى ألقاها هند أهلها ، إما يسلب
الدعوة إلى الله وإلى القرآن - أراد أو لم
يرد - أمضى أصلها وأوضح حججها ،
وأحذرهما أن تسكت أهل الرفع وتفتح
طلاب الهدى ودين الحق ممن زلزلوا
عن دينهم في الغرب .

والنفسير العلمى للآيات الكونية
في القرآن ليس بدعوة ابتدئها أصحابها في هذا
العصر بل تجد بين قدامى التفسيرين مريدتهجه
مطبقين في مصرم ما يقابل العلم في عصرنا
كأن غشوى والفسخ الرازى .

فلا غشوى مثلاً في تفسير قوله تعالى :

« فلا أقسم بالجنس ، الجوارى الكنسى »

كـ. ابصدهنا مل بعض حكمة الله في القصص
القرآنى بعد ما مهدنا لذلك في مقال عدده
هـ الذممة حتى قرأنا مقال الأستاذ الدكتور
على عبد الواحد والى في نفس المدة يحمل
حجة تكراه على كل من حاول أو يحاول
إظهار ما استكن في كويات القرآن
من آيات الله في الخلق وسنن في الفطرة
سبق إليها القرآن قبل أن يكشف عنها
أو عن بعضها علماء الفطرة في العصر الحديث
فأربنا لاما علينا أن نرجى ما كنا
بصدده ونرفع هذه الغارة عن ميزة ميزاته
بها كناية الكريم وهو في عصر العلم هذا
أمضى « ألاح وأظهر حجة في أيدي
من يفقهونها من الدعاة إلى دين الله ، وبخاصة
في دعوة من لا يعرفون العربية من البشر
ومن لا يعرفون الإعجاز البياني من العرب .
والقرآن مخاطب به البشرية في كل عصر »

لكل واحد منها من القاء مدة معلومة ،
ومن الصفات والألوان والطعوم والروائح
والأبوت والأوضاع والحسن والقبح
والعمادة والحقاوة والهداية والضلالة ،
مقدارا معلوما على ما قاله : « وإذ من
شئنا إلا عهدنا خزائنه ، وما ننزله إلا بقدر
معلوم » ، وتفصيل هذه الجلة مما لا ينبي
بشرحه الجلدات ، بل العالم كله من أهل
عليين إلى أهل السافلين تفسير هذه الآية
وتفصيل هذه الجلة ، فهذا نهج قدامي
للتفسير لما صار إليهم علم هذه اليونان
وأمر فوا فيه .

أما نهج محدثهم ليقين من احتشاة
كبرهم وإمامهم الشيخ محمد بن عبد الله بن
الجبازية العامة على تفسير قوله تعالى :
« والسماء وما بناها » في سورة القصص
إذ يقول رحمه الله : (السماء اسم لما حلاك
وارتفع فوق رأسك ، وأنت إنما تتصور
هذه سماك لفظ السماء هذا الكون الذي
فوقك فيه الشمس والقمر وصائر الكواكب
تجري في مدارها وتحرك في مداراتها ،
هذا هو السماء ، وقد بناء الله أي رفعه
وجعل كل كوكب من الكواكب منه
بمنزلة لبنه من بناء سقف أو قبة أو جدران

يقوله : (الخفس) الزواجم . بينما ترى
الذبح في آخر الرج إذ ذكر واجبا إلى أوله
و (الجوارى) السبارة ، و (السكنس)
الغيب من كنس الوحش إذا دخل كساسة
فيل هي الدار الحقة : هرام وزحل
وهما هو الزهرة والشتري تجرى مع الشمس
والقمر وتجمع حتم تختفي تحت ضوء الشمس
تغيبها وجوهها ، وكذا غيرها اختفاؤها
تحت ضوء الشمس ، وقيل هي جميع
الكواكب تنس بالنهار فتغيب عن العيون
وتكنس بالليل أي تطلع في أماكنها
كالوحش في كنسها .

وقوله الزخري (قيل .. وقيل) يدل
على أنه تفسير الآية يعلم ذلك العصر أقدم
من عهد الزخري ، أما الفخر الرازي :
فتفسيره يمثل بالتفسير المثلث في عصره
مثل قوله في تفسير قوله تعالى « والذي قدر
فهدى » مع سورة الأهل : « إذ قوله
(قدر) يتناول المخلوقات في ذواتها وصفاتها
كل واحد على حده . فقد قدر السموات
والكواكب ، والعناصر والمعادن ،
والنبات والحيوان والإنسان ، بقدر
مخصوص من الجنة - الكتلة في اصطلاحنا -
والعظم - الحجم في اصطلاحنا - وقدر

تحييط به ، وشهد هذه الكواكب بعضها إلى بعض برباط الجاذبية العامة كما تربط أجزاء البناء الواحد بما يوضع بينها مما تماثلت به) ، والجاذبية العامة لم يكتشفها ويكشف قانونها إلا (نيوتن) في القرن السابع عشر بعد زوال القرآن بنحو عشرة قرون فلم يمنع ذلك مفتي الديار المصرية في أوائل القرن العشرين من أن يجعلها أساس تفسيره الآية من كتاب الله حيث فسر جزءه (هم) ليكون مرجعاً لآحاد مداسي الجمجمة الحجرية الإسلامية (في تفهيم التلافة مداني ما يحدظون) من ذلك الجزء كما ذكر في مقدمة ذلك التفسير ، أي أن أهم قانون طبيعي معروف في عهد الشيخ رحمه الله - قبل نظرية النسبية في عهدنا - لم يرد في الشيخ في جملة أساسا لتفسير آية قرآنية كونية ليفسر بها الآحاد لتلازمهم على أساسه ، فلما أن الدكتور علي عبد الواحد كان معاصراً للشيخ عمل عليه وقرأ تفسيره في السماء وما بناها ، في جزء هم أمكان يترجم بزمية بالإشارة إلى الإسلام والقرآن أبلغ إمامة لأنه أدخل الجاذبية العامة في تفسير آية من كوايات القرآن ، كما رمى في مقاله من نهج نهجه ؟ أم كان يخطئ

في تفسيره الآية الكريمة (لأن القرآن حينما يتحدث عن السماء أو عن السموات يقصد بها شيئاً آخر متميزاً عن القمم والكواكب) كما قال في مقاله مدلاً على خطأ (التفسيرين لهذه التفسيرات العلمية) في أخذهم بظاهر قوله تعالى في سورة الأنبياء : « أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما » من (أن السماء والأرض كانتا ملتصقتين أي كانتا كتلة واحدة ثم انفصلت كلتاهما من الأخرى) . إن الآية الكريمة من محالب الإعجاز العلمي في القرآن لأنها سبقت علماء الفلك المعتمدين إلى ما قرووه من أن الكون كله قبل أن لا تشكل عوالمه ومجراته ونجومه كان كياناً مهيماً شاملاً متميزاً بصفته من بعض ، ثم أخذ يتميز ويتطور ، لا يزداد بالضيظ كيف وإن فسره إلى فصل الجاذبية العامة ، حتى صار إلى ما هو عليه مما يذهدون ويدهسون ، ولا تزال المقدم الهائلة منتشرة فيه على أبعاد فلسفية مفعمة وواضحة أن السموات - بالجمع لا الأفراد - هي والأرض لتعمل الكون كله . وحالته السديمية الأولى قبل أن يتخلق

سموات وأرضين كما أخبر الله في آية سورة الطلاق (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ، ينزل الأمير بينهن) الآية (١٢) هي المرادة بقوله تعالى (كانتا رتقا) وتمييزه وتطوره إلى سموات وأرضين بأمر الله تعالى هي المرادة بقوله سبحانه (ففتقناهما) . لكن الدكتور في محاولته إنصافاً لنفسه وبين تفسيحات المكية جعل للسموات سماء وللمر الرق والفتق على المجموعة الشمسية التي لا تكاد تسكور حيثاً بالنسبة للكوكب كله ، وإن كانت كل هذه بالنسبة لنا ، ليستطيع أن يكرر على هذا التفهم بالنقض لأن السماء أو السماوات في القرآن ليست هي المجموعة الشمسية لعدم هذا في مقاله بالشمس والكواكب - والكواكب هنا هي السيارات هنا ، والكواكب في كلام الفيض محمد عبده هي النجوم لأنه كانت يتكلم مع السماء لا المجموعة الشمسية .

وكان الدكتور يريد ألا يفهم من الآيات الكونية في القرآن إلا ما كان يفهمه العرب الذين نزل القرآن بينهم ، فلبأ إلى تفسير ابن كثير ليفرج منه بتفهم ابن عباس آية سورة الأنبياء من أن

السموات كانت رتقا لا تقطر ، وكانت الأرض رتقا لا تنبت ، فلما خلق الله للأرض أملا لتلق هذه بالمطر وفتق هذه بالنبات ، وغاب عن الدكتور أن القرآن ليس مراداً به العرب وحدهم بل البشرية كلها ، يفهم من آياته أهل كل عصر بقدر ما آتاه الله من العلم فتجده حجة الله على الناس بتجده إعجاز القرآن الملى مع فهم تكاف ولا نصف كما يظن الدكتور بجميع أهل هذا النهج في تفهم كوايات القرآن ، والمعنى العلمي للفلكي الحديث ألبس للآية وأمكن من معنى ابن عباس كما هو ظاهر من نسبت عدم الإمطار إلى السموات بالجمع مع أن تفهمه لا ينطبق إلا على سماء السحاب في أوضاعنا هذه ، في حين أن السموات بالجمع أساسية في فهم الآية على للمعنى العلمي طبق ما قدره الفلكيون الحديثون . أما استعفاء الدكتور لمعنى ابن عباس بقوله تعالى في سورة القمر (ففتقنا أبواب السماء بماء منهمر) فن الواضح أنه استعفاء في فهم موضعه لأن الآية وصف لبس الطوفان في قصة نوح عليه السلام لا لغيات أهل الأرض بماء السماء .

سموات وأرضين كما أخبر الله في آية سورة الطلاق (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ، ينزل الأمير بينهن) الآية (١٢) هي المرادة بقوله تعالى (كانتا رتقا) وتمييزه وتطوره إلى سموات وأرضين بأمر الله تعالى هي المرادة بقوله سبحانه (ففتقناهما) . لكن الدكتور في محاولته إنصافاً لنفسه وبين تفسيحات المكية جعل للسموات سماء وللمر الرق والفتق على المجموعة الشمسية التي لا تكاد تسكور حيثاً بالنسبة للكوكب كله ، وإن كانت كل هذه بالنسبة لنا ، ليستطيع أن يكرر على هذا التفهم بالنقض لأن السماء أو السماوات في القرآن ليست هي المجموعة الشمسية لعدم هذا في مقاله بالشمس والكواكب - والكواكب هنا هي السيارات هنا ، والكواكب في كلام الفيض محمد عبده هي النجوم لأنه كانت يتكلم مع السماء لا المجموعة الشمسية .

وكان الدكتور يريد ألا يفهم من الآيات الكونية في القرآن إلا ما كان يفهمه العرب الذين نزل القرآن بينهم ، فلبأ إلى تفسير ابن كثير ليفرج منه بتفهم ابن عباس آية سورة الأنبياء من أن

والآيات الكريمة تفصيل لما أوجبه
آية سورة الأنبياء (أو لم ير الذين كفروا
أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما)
الذين لا على ما فهمه المفسرون منها
من خلق السماء والأرض في زمنين مختلفين
فالتحق بالخلق الفلكي يقتضى اتحاد الزمان
إذ انفصال الأرض يقتضى حتما وجود
السماء وإن كانت سديمية مخفية على
ما وصف الله سبحانه في تلك آيات سورة
فصلت (ثم استوى إلى السماء وهي دخان)
الآية (١١) ولا تمنع (ثم) الدالة على
التراخي مع اتحاد زمن الخلق ، فالسما
كانت سديمية حيث انحصرت الأرض مع
شمسها في اليوم الأول أو الطور الأول
من خلق الأرض ، ودلت (ثم) على أنه
الأيام الثلاثة أو الأحقاب الثلاثة التي تهيئت
فيها الأطوار الثلاثة الباقية من خلق الأرض
وكأن آخرها تقهير أوقاتها فيها كس
الآية (١٠) - لم تكن تلك الأحقاب كافية
لخروج السماء من السديمية الأولى إلا إلى
الدخانية . وفي قوله تعالى (وهي دخان)
معجزة علمية أخرى ؛ إذ دلت على ما لم يكن
يعرفه البشر حتى عصر العلم الحديث من

ومن المعجيب أنه الذي نعاد المفسرون
على أهل التفسير العلمى لكونيات القرآن
في أول القرآن وقع هو فيه في آخره .
فقد ذهب في مسألة أصل المجموعة
السديمية إلى أن هناك طائفة كبيرة من العلماء
تقول بأن الأرض خلقت مستقلة لا انفصالا
من الشمس ، وأراد أن ينصر هؤلاء على
(جيز) ومن معه الذين أسسوا نظرية انفصال
السيارات ، ومن بينها الأرض ، انفصالا
من الشمس فقال : « إن القرآن الكريم
نفسه قد بين لنا في آيات أخرى الطريقة
التي خلق الله تعالى بها الأرض والسماء ،
فبين ذلك في صورة تدل دلالة واضحة
على أن خلق كليهما كان مستقلا عن خلق
الأخرى بل كانه زمن غير زمن الآخر »
ثم ذكر الآيات ٩ - ١٢ من سورة فصلت
(قل أنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض
في يومين وتجهلون له أناداه ذلك رب
العالمين) إلى قوله تعالى (وزينا السماء الدنيا
بمعارج وحفظ ، ذلك تقدير العزيز العليم)
ومقب عليها بقوله إنها « قد دل صراحة
على أنه كل واحدة منهما كان خلقها مستقلا
عن الأخرى ومنفصلا عنه » .

مماؤها بمقتضى الآي القرآن مع المنع
الآخرى لكلمة سواء .

وبعد ، فإن أخى الدكتور على
عبدالواحد واني بنى جلته السماء على أهل
التفسير العلمى لكونيات القرآن على ادعائه
عليهم أنهم ينون تفسيرهم على نظريات علمية
لم تثبت . هذا إذا صدق على بعضهم فليس
يصدق على جميعهم ، وكان ينبغي على
الدكتور ألا يطلق اللفظة هكذا إذ لا أظنه
يجعل أنه منهم من يشترط أن تكون
المطابقة بين اليقيني واليهي ، بين النص
القرآنى واليقينى من العلم ، وعلى أى حال
فقه كالمقتضى الدعوى أنه ينصح
أو يحذر أو يندب أهل الأخذ بغير الثابت
فى العلم أنه يقلعوا وألا يفسروا النص
القرآنى وهو الحق إلا بالحقينة الشائنة
فى العلم ، وهذا لو استطاع أن يتبع
بالنقد ما يسكتون وأن يكون منصفاً
فى نقده لأن يأتى خطأ واضح صريح من
أحدم يقدمه للقارىء مثلاً لنوع التفسير
الذى يصدر عنهم جميعاً ، لا يستثنى
ولا يستأنى ، ولا أظن أن ذلك الواحد
الذى أحصى عليه ذلك الخطأ خلا كتابه

الحالة السعيدة التى كانت عليها السماء قبل
أن تتفارق بأمر الله إلى سبع سموات
يقابلها سبع أرضين كما نصت عليه الآية
الأخيرة من سورة الطلاق ، كل أرض
تقابلها وتعملوها مماؤها كما يقتضيه معنى
السماء فى اللغة . لا توجد أرض فلكية
من الأرضين الست غير أرضنا التى كان
قد تم خلقها بنص الآية العائرة من سورة
فصلت إلا وكان ما حولها وملاها سماء لها .
وهذا بحسب الإشكال الذى اضطرب فيه
المفسرون فى أمر الأرض والسماء أيتها
خلقت قبل الأخرى ، إذ لا قبل ولا بعد
إل خلقنا معاً .

وإشكال آخر نلحه آيات سورة فصلت
مع آية سورة الطلاق : (الله الذى خلق
سبع سموات ومن الأرض مثلين يشترط
الأمم بينهما ، لتعلموا أن الله على كل شئ
قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علماً)
فذلك هو إشكال السموات السبع ما هى ،
وعلى هناك أكثر من سبع ؟ لا أكثر
ولا أقل من سبع ، مادام ناطق السموات
والأرض قد أخبر أنه خلق سبع سموات
وسبع أرضين (ومن الأرض مثلين) :
كل سماء يقابلها أرضها وكل أرض يعملوها

أو خلت كتبه من حسنة أو حسنة في التفسير يذكره ، والحق والاحتياط
 لازم طبعاً في كل بحث لكنهما في البحوث القرآنية أو النبوية أزم منهما
 حتى في العلوم التجريبية لأن أهل العلوم التجريبية بعضهم قريب على بعض وهي
 رافضة تكاد تكون معدومة بين الباحثين في القرآن والحديث ، ثم أهل العلوم
 التجريبية منهم الحكم بينهم الذي لا يخطئ عند الاختلاف ألا وهو التجربة العلمية
 والتحاكم إليها هو في الواقع تحاكم إلى الله سبحانه لأنه تحاكم إلى من الله في الكون
 وهو من لا يتبطل ولا يتخلف ، وحكمها ظاهر البيان لا يتأثر فيه المتخلفون ، وليس
 كذلك الحال إذا اختلف النظار في القرآن أو الحديث : كل يرى وكل يقول وكل
 يدفع من رأيه ونظره ولا يحكم بينهم بحكم الخلاف ، فباحثنا لو أنفقت حوثته من أهل البصر والإخلاص والاختصاص في القرآن وفي الحديث تعرف من بيده على كل بحث قرآني أو متعلق بالسنة المطهرة لتحفظ على القرآن وعلى السنة حرمتهما فلا يكون البحث فيهما خوض بخوضه من يقاء بلا رقيب ولا حسيب ؟

أحمد النمرائي

قال الله تعالى :

« وَهُوَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ »

(آل عمران : ١٨٩ ، ١٩٠)

العربية لغة الإسلام والمسلمين

للأستاذ علي عبد العزيم

— ٢ —

لم يحض الرد وبعض قسود على ظهور الإسلام حتى انتشرت اللغة العربية وامنتت فعملت العالم المعروف في هذا الزمان ، ولما ظهرت العصبية الجنسية في كان الإسلام قد قضى عليها أو كاد أخذت القنات للعصبية تظهر تباعا في شتى الأمم الإسلامية وإن لم تستطع أن تنفض عن اللغة العربية أو تنقدها في المجال الديني والمجال العلمي ، وظلت العربية تحتل مكانة الصدارة قرونا عديدة ، وتوالى المؤلفات الدينية والعلمية والأدبية بلسان عربي مبين أنتجها كبار العلماء من العرب والأماجم ، وحدثنا أن نذكر من كبار الأماجم الأمام الأحنيفة النعمان صاحب المذهب المعروف ، ومن كبار المحدثين البخاري ، ومن كبار النحويين سيويه ومن كبار المفسرين الطبري ، ومن كبار الفراء أبو نواس ، وكلهم من الأماجم الذين تركوا آثارا خالدة في الثقافة العربية ، ومع تراخي الزمن ، ومع تساهل الملحنين في التمسك بقواعدهم الخفيف

كان معظم المسلمين يحرصون على دراسة العربية ، وكان بعضهم يؤلف بالعربية وبلغته القروية معا ، ثم انحسرت العربية عن بلاد عاصمة مقامية الأتراك وإن ظل علماءها يدعون العربية ويؤلفون فيها لأصناف .

ولما امتد خطر الاستعمار في المصور الحديثة حرص غلاة المستعمرين على تزيق شمل الأمة الإسلامية وتزيق جميع الصلات التي تربطها وبخاصة القرآن الكريم ولغة القرآن الكريم ، وفرضت على دولة استعمارية لغتها فرضا على البلاد المحتلة وكثيرا ما تصارعت هذه لغات في بلاد واحدتها لنفوة الدول الاستعمارية في هذا البلد لتذكوب .

ومن الجدير أن نسوق مثلا واضحا لاحتواء في مصر هذه الحرب العنيفة التي عنها الاستعمار على القرآن ولغة القرآن باعتبار مصر مركز الدول الإسلامية وموطن الأزهر

وحدثنا أن نذكر من كبار الأماجم الأمام الأحنيفة النعمان صاحب المذهب المعروف ، ومن كبار المحدثين البخاري ، ومن كبار النحويين سيويه ومن كبار المفسرين الطبري ، ومن كبار الفراء أبو نواس ، وكلهم من الأماجم الذين تركوا آثارا خالدة في الثقافة العربية ، ومع تراخي الزمن ، ومع تساهل الملحنين في التمسك بقواعدهم الخفيف

ولما حدث الاحتلال الإنكليزي لمصر حرصت بريطانيا على نشر لغتها بكل الوسائل ، وكانت - مع قبل - قد أرسلت إلى مصر سنة ١٨٤٠ أول بعثة تبشيرية ، ثم استطاعت البعثة الاسكتلندية البروتستانتية أن تفتح مدرسة بالاسكندرية ثم جاءت بعثة أخرى تبشيرية سنة ١٨٦٠ وأنشأت مدرسة لهذا الغرض ، واستطاعت (امس ويلي) رئيسة البعثة أن تفتح المجدوبى بمصر بمبلغها مائة ألف جنيه بالتمويل ومنحها مبلغاً كبيراً وحرصت أمريكا على الإسهام في هذا النشاط التبشيري فأرسلت بعثة تبشيرية كبيرة مزودة بالأموال الطائلة والوسائل المعينة وأنشأت في كل إقليم مصري مدرسة كبيرة حتى وصل عددها سنة ١٩٣٢ أكثر من أربعين مدرسة تضم زهاء سبعة آلاف تلميذ وتلميذة - ولم يكن الاحتلال الإنكليزي يتم حتى بذلت بريطانيا جهوداً جبارة لفرض اللغة الإنكليزية على جميع المدارس الحكومية وهو حرب عنيفة على اللغة العربية وآدابها ، فالتقروا المقوم وأنها لا تصالح للعصر الحديث وكل ما تصالح له هو أن تكون مقصورة على العائلات والأوراد

الشريف ، وكان الاستعمار يظن أنه إذا نجح في مصر فقد تبصر له النجاح في الأمم الإسلامية جمعا .

حرصت فرنسا على نشر لغتها وثقافتها بمصر أثناء الحقبة الفرنسية وفي أعقابها حيث اهتمت الأسرة الملكية السابقة بنشر هذه اللغة في أنحاء البلاد ، وصممت للإرساليات التبشيرية والبعثات التعليمية الفرنسية بنشر الثقافة العلمية والمدنية والتبشيرية بين المسلمين ، فأنشأ الآباء المزاربون أول مدرسة فرنسية بمصر سنة ١٨٤٤ ثم أسس القزير أول مدرسة لهم سنة ١٨٤٥ ، وقد اعترفت الحكومة بتجديدهم التعليمية للبلاد فوهبتهم قطعة أرض فسيحة شيدوا عليها مدرستهم ، ثم أسست راهبات المحبة مدرسة للبنات سنة ١٨٤٦ وتلاه راهبات الفرنسيسكان فأنشأن مدرسة أخرى سنة ١٨٥٩ ومدرسة ثانية في بولاق سنة ١٨٦٨ - وثالثة بالمنصورة ١٨٧٢

وكان الهدف من هذه المدرسة نشر التكنولوجيا فضلا عن اللغة الفرنسية ، وقد بلغ عدد طلبة هذه المدارس سنة ١٩٣٦ ما يناهز ثيافاً وأربعين ألف تلميذ وتلميذة ،

العلماء لا تكاد تفي بحاجاتهم ليطولوا بمعرفة
عن الحياة العامة .

أما المدرسون المصريون وبخاصة من
يدرسون اللغة العربية والدين الإسلامي
فقد جردوا من مناصبهم ودرجاتهم المالية
وعاملهم بقسوة لدى المدرسين الأذلاء
لا يستطيعون أن يلتجئوا إلا شعبا ذليلا .
وعلى الرغم من هذا فقد رفع الأزهر
علم اللغة العربية خفافا في آفاق البلاد ،
ولكن الوعي الوطني والزهة الدينية
واليقظة الفكرية استطاعت أن تقاوم
هذا التيار الضيف فأنحسرت موجة
الاستعمار الثقافي إلى حد ما وبدأت اللغة
العربية تحتل مكانا لا بأس به في المناهج
والمدراس المصرية .

وهنا بذل الاستعمار الاسكندري جهودا
جديدة حاول بها أن يخدع الشعور الوطني
لفتي فنادى بإقامة لغة قومية جديدة
للمصريين معتبرا اللغة العربية لغة دخيلة على
مصر . ومن الكرامة المصريين أن ينجسوا
لغتهم القديمة التي كانت تمثل استقلال مصر
وعظمتها في عصور الفراعنة وهي اللغة
الحيرة وغلينية ، ونادى الاستعمار لفرنسى
بمثل هذه الدعوة حيث دعا إلى إحياء اللغة

واللهجات ، ولقد سأل أحد النواب
الاسكندريين المهورد جراه عن تعليم اللغة
العربية بمصر فأجاب المهورد : « لا تملح
اللغة العربية اليوم لتعليم العلوم لأنها
تقتصر إلى الاصطلاحات العلمية والفنية »
واذفعوا في هذا التيار وفرضوا أساتذة
الاسكندرية على المعاهد العليا ثم على المدارس
الثانوية المصرية ، ولم يكتفوا بهذا بل
فرضوا اللغة الاسكندرية على المدارس
الابتدائية وفرضوا الكتب الاسكندرية
على جميع المعاهد والمدارس دون استثناء
وكان قائد هذه الحركة الضيقة مستغارا
الاسكندرية متمسكا بفرسه الاستعمار فرضا
على نظارة المعارف المصرية وهو ابن قيسى
متعصب لهيئة كل التعصب وهو (داناوب)
فأسفر عندهم بتعليم جميع العلوم
في المدارس باللغة الإسكندرية ما عدا بعض
مختارات من اللغة للعربية والدين الإسلامي
في نطاق محدود ، ثم استطاع الاستعمار
أن يمزج رجال الأزهر عن الحياة العامة
فاقتصر التعليم فيه على دراسة العلوم الدينية
في مصنفات معتقة تم تصنيفها في عصور
الضعف والجمود ، وحاولوا بهن خريجي
الأزهر والوظائف العامة ، وفرضوا أجورا

بأخذ اللغة العامية أداة لتثاقف النشء بالأمم الأوروبية التي عجزت اللاتينية وأحيث لغاتها المحلية ففازت بالتقدم والارتقاء . وفي سنة ١٩٠١ أصدره القاضي الإنكليزي مستر ويلمور . وكان يفضل منصبها قضائيا كبراً في مصر . كتبها بهور فيه لتطبيق هذه الفكرة ، وينصح للمصريين فيه بهجر اللغة العربية وأخذ اللغة العامية وسيلة للتصهر والسكتاة ولغة لتثاقف والتعليم ، ثم استندت الحكومة البريطانية احكندر ملفوف من سوريا إلى مصر ومكنته من أن يتزعم هذه الفكرة ووضع بين يديه جميع الوسائل لنشر هذه الفكرة على أوسع نطاق ، غنادى بأن التقدم الذي حققته مصر إنما تم بفضل لغة الفصحى الإنكليزية وتعميمها في المدارس للمعربة وذكر أن أهم سبب لتخلف مصر تمسك المصريين باللغة العربية الفصحى وأبدي دعة كبرى . وهذا التمسك الغريب ؛ وحاول أن يثبت أن اللغة العربية ليست لغة الإسلام مستنداً بسأن المنور والثور والأزراك يستعملون لغاتهم الخاصة على الرغم من أنهم مسلمون ؛ وأدعى أن اللغة العربية تحول بين العامة والتثاقف العلمية ؛ لأنها لغة غريبة فهم دخيلة عليهم ، وأنه من المهم للعب للمصري أن يستعمل لغته العامية

اللبنانية في سوريا ولبنان ، واللغة البربرية في شمال إفريقيا ، واحتاجت بريطانيا الأفلام فغلبت بحجة دماثة كبرى لتأييد هذا الاتجاه ، ولكن الجمهور الوطني ليقظ على هذه الفتنة كما قضى على سابقتهاء وساعده على هذا أنها كانت فكرة طائفة غير نابعة للتنفيذ .

ثم تخضعت فكرة الاستعمار من مطروح حديد حقه لكل طائفة ورصد لتنفيذها أمراً طائفة واستأجر أفلاماً عديدة وأنشأ محفلاً جديدة تدعى إليه في قوة وتصميم هذه الفكرة هي إحلال اللغة العامية على اللغة العربية الفصحى في التعليم ، وكانت هذه الدعوة على أحاس أن اللغة العربية لا تصالح لتثاقف والتعليم وأنها هي المصيب الأساس في تخلف المصريين . وابتدأ هذه الحملة السهر (وليام وولكوكر) بخطبة ألقاها بنادي الأريسيكية أطلق فيها أن المصريين لا يمكن أن توجه لهم قوة اختراع بحسب استخدامهم اللغة العربية الفصحى في القراءة والكتابة ، وذكر أن العامل الأكبر في قوة الاختراع لديهم هو تمسكهم بلغة جامدة بالية لهم صالحة للحياة ولصالحهم

وأهـ هو أوجب الواجبات على المفكرين وكتاب الصحف وصنفي الكتب أن يستعملوا اللغة العامية في الصحف والمجلات وتأليف الكتب ، حتى يمتفيد العامة وجمهرة الشعب من هذه المعارف البعيدة من مستودعهم ، ثم دعا إلى استعمال اللغة العامية في المعاهد والمدارس ، ونادى بأنه لا حيلة للتقدم إلا بتحقيق هذا الهدف الكبير .

وأبد هذا الرأي مسترطاف في تقريره من التعليم في مصر حيث قال : « إن الطفل في مصر لا يبدأ دراسته كما يبدأها الطفل الأوروبي ، وإنما يتعلم لغة أخرى جديدة للصعوبة تختلف عن لغته المعتادة اختلافاً بينا ، ويتعلم في ذلك الوقت طرق كتابتها وقرائها ، فخالق هذه لغة حال طفل إنكليزي يتكلم ويسمع اللغة الإنكليزية العادية في المنزل والفراش والدراسة على السواء ، ولكنه مضطر ألا يستعمل في القراءة والكتابة إلا اللغة الإنكليزية التي كانت هائلة في عصر الفريد الأكبر . ومن غاي هذه الطريقة أن توافقه نحو التفكير عند الطفل ، ولذا يستعمل أن الطفل للمصري في هذا الوقت كالمقروضا عليه أن يتعلم معظم العلوم باللغة الإنكليزية

وهي بعيدة كل البعد عن العربية الفصحى وعن اللغة العامية ، ولأنه أد القضاء على لغة أي شعب إنما هو القضاء الآخر على هذا الشعب ، ولأنه أد اللغة العربية ليست مجرد لغة شعب عربي صميم وإنما هي إلى جانب هذا لغة ثقافة رفيعة ودين قويم وتاريخ عريق وأنها انتهت لجميع اللغات والحضارات القديمة واستوعبتها كل الاستيعاب وعبرت عنها أسدق تعبير ، وأصافت إليها أضادى ما ضمت من لغات ، وإلى كالم لم يحبه هذا من الإيذاء إلى هذه الأمور حيث قال (على أنى أعترف في الوقت نفسه أد مسأنة اللغة هذه متممة بمجموع أنواع الناليد المهنية والقومية والاجتماعية التي كال لالمسألة منه وأنها لهذا الحب أقصر من أن تحمل امتداد إلى الاعتبارات القومية وحدها) (١)

وعلى أثر هذه الحجة القوية قامت ضجة كبرى في الصحف والمجلات العربية ، وامتدت إلى الجمعية التشريعية ونجحت هذه الحجة إلى كبرى في القضاء على هذا المقروع وإلى كالم بعض الكتاب قد استعزوا في الدعوة إلى إحلال العامية محل العربية الفصحى حتى الآن بدعوى تعجيل وإحياء الفنون الشعبية .

[١] في الأدب الحديث للأستاذ عمر القسوق

الرغم من هذا كله استطاعت اللغة العربية بما فيها من حيوية أن تقاوم هذه التيارات الضيقة وألّا تثبت أقدامها أمام هذه الغزوات الفكرية الملاحقة وأن تسيطر سيطرة مكنتها أن تكون اللغة الأولى، في مصر وقد أطاحت عوامل عديدة على الانتصار، وسنعرض لهذه العوامل فيما بعد: وأحب أن أضع وما قد يلقى بالأذهان وهو أننا لا نعصب لغة العربية المصحى تمصبا نفسى معه فضل اللغات الأجنبية، بل لا حبيل أمامنا للتقدم والازدهار والارتقاء إلا إذا عرضنا اللغات العالمية واستغدا بما بلغته الأمم المعاصرة من حضارات واقية وثقافات عليا حافظها التأخر الاستعماري من بلوغها، ويجب أن يتم هذا ولكن مع مراعاة ألا يكون على حساب اللغة القومية للبلاد وعلى حساب لغة القرآن الكريم.

وأقرر - قبل ختام المقال - أن الحرب الثقافية على اللغة العربية طازلت مستمرة حتى الآن وإن بدت في أوان جديدة خداعة للابصار وألّا الهدف من هذه الحرب هو القضاء على الإسلام وعلى لغة الإسلام (لبحث بقية)

د. عبد العظيم

ولكن الانتصار لم يلق السلاح بل جهد في نشر المدارس الأجنبية وتميمها فأصبحت فرنسا مدرسة الحقوق الفرنسية وللمعهد العالي للفرنسي وأنشأت إنجلترا كلية فكتوريو والمعهد البريطاني والمدرسة الانكليزية بمصر الجديدة، وأنشأت أمريكا الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وتنافست الدول الأخرى في إنشاء مدارس عديدة تنشر لغتها بين المصريين إلى جانب الدعوة التبشيرية، ولقى خربجوا هذه المدارس تشجيعا كبيرا في المناصب الحكومية وفي البعثات التعليمية إلى الخارج وفي العمل بالفركات الأجنبية التي كانت تسيطر سيطرة كبيرة على الاقتصاد المصري في أوائل القرن العشرين وأصبح أفراد الطبقة الراقية يتحدثون في مجتمعاتهم باللغات الأجنبية وبخاصة الفرنسية وينظرون إلى اللغة العربية نظرة تسم واستعلاء، وأما على هذا وجود لحاكم المختلطة واستغلالها التام كدولة داخل الدولة، ومظم اجراءاتها من مراسلات وأحكام تصدر بالفرنسية، ثم بدأت الدول الأجنبية تقسم مناطق النفوذ بمصر، فستغار نفارة للمعارف الانكليزي، ومدير دار الكتب ألماني، ومدير الآثار فرنسي، وعلى

انتشار الإسلام في الرحاب

للدكتور حامد غنيم أبو سعيد

- ٦ -

طاجنا في المغالات الخمس السابقة حركة انتشار الإسلام في أفريقيا ، وهو واحد من الأقاليم الثلاثة التي تكون منطقة الرحاب ، وقد سلطنا الضوء في هذه المغالات بصفة خاصة على زوايا معينة ؛ منها بدايات انتشار الإسلام ، ومنها الأسلوب الذي اتجهه المسلمون في دعوة الأفرقيين إلى الإسلام ، ومنها إراز

تفاوتت في درجات الاستجابة التي قوبل بها الدين الإسلامي من مختلف العناصر الأفريقية ، ومنها بيان درجة الكثافة التي أصبح عليها الإسلام في هذا الإقليم .

وعلى صعيد المصوّر طرأت تطورات كبيرة على مدلول كلمة أرمينية من الناحية الجغرافية ، ونتيجة لصراعات التي اشتعلت في المنطقة في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين تمرقت أرمينية بين روسيا وتركيا وفرنسا ، والجزء الأكبر من هذه الأقسام يقع في نطاق السيطرة التركية .

وننتقل بالحديث إلى الإقليم الثاني من أقاليم المنطقة موضوع الدراسة ، ولهذه الإقليم أرمينية التي يفصل القسم الغربي من الرحاب ، وثاني الضوء بادىء ذي بدء على الموقع الجغرافي لهذا الإقليم فنقول : إنه عبارة عن بلاد جبلية تحدها

[١] انظر ما كتبه المتفريق الألماني هنريك (Sireck) في دائرة المعارف الإسلامية من أرمينية ، طبعة الشعب ، المجلد الثالث ص ٣٣ .

في ختام القرن الثالث للبلاد ، ومن ثم توثقت العلاقات بين الأرمن وإخوانهم البيزنطيين ، وظلت العلاقات بين العبيد طيبة حتى سنة ٤٥١ م ، ففي هذه السنة اتخذت مجمع خلقيدونية الميحيى قرارات معينة رفضها الأرمن ، ومع ثم انفصلت الكنيسة الأرمنية عن الكنيسة البيزنطية . وكان لهذا الانقسام أثره في إيجاد أرضية للتفاهم والتقارب بين الأرمن وجيرانهم الفرس ، وذلك لأن الأرمن وجهوا مع الفرس الجوس حرية أوسع ، مردها ما كانت تقدم به الجوسية من تسامح نسبي مع أتباع النصرانية ^(١) .

ويبدو أن التقارب الذي قام بين الفرس والأرمن قد هباً في بلاد الأرمن توبة صالحة لتقبل الجوسية ، أو القريب بإقامة الفرس الجوس في هذه البلاد ، ومع ثم أصبح للجوسية أتباع في بلاد الأرمن ، وخاصة في النواحي الناحية للحدود الفارسية . والإضافة إلى هاتين الديانتين كانت توجد في أرمنية أقلية يهودية وخاصة في مدينة هيل ، ويبدو

وقد تفضت الحرب العالمية الأولى من قيام الجمهورية الأرمنية السوفيتية التي تضم بعض نواحي أرمنية للتورية .

هذا مع الناحية الجغرافية ، أما بالنسبة للعناصر البشرية فإن الفارسيين يذهبون إلى القول بأن سكان أرمنية الذين عاشوا حركة انتفاذ الإسلام م في الأصل جيل من الجنس الأرمي وقد إلى البلاد في أوائل القرن السادس قبل الميلاد على وجه التقريب وأن هذا الجيل كان يعرف بالأرمن ، ومن ثم اكتسبت المنطقة التي امتقر فيها هذا الجيل اسمها منه ، فأصبحت تعرف بأرمنية ^(٢) . ومع مرور الزمن وتأثراً بالتطورات السياسية التي أحاطت ووقعت بأرمنية خالفت هؤلاء الأرمن عناصر فارسية وعناصر بزنطية .

أما من الديانات التي كانت موجودة بأرمنية قبل الإسلام فإن المراحات التي وجنا إليها تقول بأن الديانة المسيحية قد انتشرت بين الأرمن بصورة كبيرة

[١] المصدر السابق ص ٤٦ ، وانظر أيضاً ما كتبه الشنقرى كاناد (M. Canard) عن أرمنية أيضاً في دائرة المعارف الإسلامية ، طبعت الطبعة الثالثة من ٦٩ .

[٢] دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد الثالث ص ٢٧٠ .

أرمينية ونشر الإسلام بين ربيعها الذي فيه ذلك بتحديد الدواحي التي كانت تفصل هذا الإقليم ، وذلك لكي يسهل علينا أن نتبع حركة انتشار الإسلام هناك .

وحول هذه الجزئية نستطيع أن نقول : إنه يوجد اختلاف بين المؤرخين حول هذه النواحي التي تفصل أرمينية ، فانه قيل إنها أرمينيتان كبيرى وصغرى ، كما قيل : إنها ثلاث أرمينيات ، وبوجه رأي ثالث يقول : إنها أربع أرمينيات لأن زيادة التفضيل سيساعدنا على دقة المتابعة لحركة انتشار الإسلام .

والأرمينيات الأربع ، دون الدخول في مشاهدات الخلاف بين الجغرافيين ، هي : أرمينية الأولى ، وآهلى : الصيحات وأوان وأرمينية الثانية وهي : عبارة عن منطقة جرزاه ، وأرمينية الثالثة : تضم البسفرجان وهيل وسراج طبر وبغره ، أما أرمينية الرابعة فإنها كانت تتكون من شمات والبقلا وخلاط وأرجيش وياجنيش (١) .

أن انتشار اليهودية في أرمينية قد تم بتأثير الخزر اليهود الذين كانت مواطنهم تقع إلى الشمال من أرمينية .

وقد حدث في الفترة التي حبلت بفتح الإسلام أحداث أرمينية مسرحا للصراع بين الإمبراطوريتين الفارسية والبيزنطية ، وقد أسفر هذا الصراع عن تقسيمها إلى منطقتي نفوذ بين فارس وبيزنطة . ثم بعد ذلك خضعت منطقة النفوذ الفارسي للسيطرة المباشرة للأكامرة ، وأصبح يليها مرزبان فارس (٢) ، ونفس الشيء حدث بالنسبة للمناطق الغربية ، فقد خضعت خضوعا مباشرا لبيزنطيين (٣) ، ولم تبدأ حدة الصراع من أجل السيطرة على أرمينية بين الإمبراطوريتين الفارسية والبيزنطية ، وقد انضاف إلى ذلك الغارات التي كان يقوم بها الخزر على الحدود الشمالية الشرقية لأرمينية . وفي هذه الظروف البالغة القسوة أخذت حركة الفتح الإسلامية تزحف على أرمينية .

• • •

وبمن هنا قبل الحديث عن المحاولات الأولى التي قام بها المسلمون لفتح إقليم

(١) البلاذري ، فوح البلدان ٢٧٦ .

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ١٠٠ ص ١٦١ .

(٣) البلاذري ، ٢٧٢ - ٢٧٣ ، ويتفق كل من ابن النقيع ٢٨٧ ، وياقوت ١٠٠ ص ١٦٠ مع البلاذري في هذا التقسيم ، ويؤكد ياقوت ويتفق مع البلاذري في تحديد المدن التي تتكون كل قسم ، أما ابن النقيع فإنه يحذف بعض الشيء مع الاثنين .

بطريقها على الجزيرة وماله يؤديه ، ورجع
حياض إلى الجزيرة .

واعتمادا على هذا الذي قاله ياقوت يستطيع
العارس أن يؤكد أن بطريق خلاط ، الذي
هو حاكمها ، قد رفض أن يستجيب للهوة
الدين الإسلامي ، وآثر أن يدفع الجزيرة ،
وفي مقابل ذلك منح قائد القوة الإسلامية
أهل خلاط لآمان على أنفسهم وأموالهم
ومعتقداتهم .

هذه أول محاولة اتصال بين الإسلام
وبعض أهالي أرمينية ، ومن الممكن أن
تقول : إن بطريق خلاط كان يمثل أهل
هذه المدينة ، وبالتالي فإنه فيرفضه امتناع
الهدوة الإسلامية ، التي لا شك أنها قد
عرضت عليه من القائد للحلم ، كان يعبر
عن الرأي العام لأهل مدينته ، وليس لنا
أن نتوقع غير هذا الموقف من أهل خلاط ،
فهم لم يكونوا قد عرفوا شيئا من الخصائص
التي يتميز بها الإسلام .

مهما يكن من أمر ، فإن زحف القوات
الإسلامية إلى خلاط لم يكن مقصوداً
لأنه ، بل كان المقصود - على ما يبدو -
هو تأمين الوجود السياسي للدولة الإسلامية
في منطقة الجزيرة ، وهو الوجود الذي

وترتبط أول محاولة لفتح الإسلامي
لأرمينية بالصالح حياض بن غنم ، ففتح
بلاد ما بين النهرين (الجزيرة الفراتية)
فإنه بعد أن انتهى من فتح الجزيرة
وأصل زحفه وتعمق في أرمينية حتى وصل
إلى مدينة خلاط ، التي تقع ضمن أرمينية
الراية ، وهناك قدّم معه بطريقها مسلحاً ،
وذلك في الحرم من السنة العشرين
الهجرية (١) .

لم أعتد في المصادر التي رجعت إليها على
نفس الصالح الذي تم بين بطريق خلاط
وحياض بن غنم ، وما لا شك فيه أن
وجود نفس هذا الصالح كان سيساعدنا
كثيراً في تحديد طبيعة العلاقات بين أهل
خلاط وأهل جيش إسلامي وعلى البلاد ،
خير أنا نستطيع ، على الرغم من هذا
للصور ، أن نلقى شيئاً من الضوء على
طبيعة هذه العلاقة ، وذلك بالاعتماد على
ياقوت الذي حفظ لنا لحوى الصالح المذكور
فقد قال من حياض بن غنم (٢) : « إنه
صار من الجزيرة إليها (إلى خلاط) فصالحه

[١] البلاذري ٢٤٢ .

[٢] معجم البلدان ٢ - ص ٣٨١

على أن توضع الجزاء ممن أجاب إلى ذلك إلا الحضر، والحضر عوض من جزائهم، ومن استغنى عنه منهم وقعد فعله مثل ما على أهل آذربيجان من الجزاء والولاية والنزل بما كاملا، فإن حشروا وضع ذلك عنهم، وإن تركوا أخذوا به.

ومن هذا العهد يتضح لنا أن أرمن باب الأبواب قد رفضوا أن يعتنقوا الدين الإسلامي، وأنهم قد وافقوا على أن يقدموا نوما خاصا من الجزية حده طبعته شهر براز الفارسي، ملك باب الأبواب، في قوله لعبه الرحمن بن ربيعة، أحد قواد سراقة: «فأنا اليوم منكم، ويدي مع أيديكم... وجزيتنا إليكم لننصر لكم، والقيام بما تحبون، فلا نذلونا بالجزية، فتوهنونا لعدوكم»^(١).

وهذا النص بالغ الأهمية لكل من يتصدى لدراسة حركة انتشار الإسلام، لأنه يوضح لنا مدى ما كانت يتسم به السفهون من مرونة كبيرة في معالجة المشكلات التي كانت تواجههم في فتوحاتهم في الموقف الذي بين أيدينا وضع شهر براز لقائد القوات الإسلامية الفيلة

لمرضته القوات الإسلامية تحت قيادة هياض بن غم في سنة ١٩ هـ.

والوقوف الذي اتخذته أهل خلاط، أقرب مدن أرمينية إلى الوجود السياسي للدولة الإسلامية في الجزيرة، من الدين الإسلامي، اتخذته أيضا إخوانهم أرمن مدينة باب الأبواب، وهي بعيدة كل البعد عن خلاط. والجهة الإسلامية التي توجهت إلى باب الأبواب وقت أحداثها في سنة ٢١ هـ، وقادها الصحابي سراقة ابن عمرو، ولم يحدث قتل في هذه الجهة، ولكنها أضمرت عن اتفاق، ونصه، كما حفظه الطبري بقوله^(٢): «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أملى سراقة ابن عمرو، حامل أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب، شهر براز وسكان أرمينية والأرمن من الأمان، أعطام أمانا لأنفسهم وأموالهم ووليتهم ألا يضاروا ولا ينتقضوا، وعلى أهل أرمينية والأبواب، الطراء منهم والثنا»^(٣)، ومن حولهم قد دخل معهم أنه ينفروا لكل غارة، ويتغذوا لكل أمر ناب أو لم يلب وآه الوالي صلاحا،

[١] ٤٠ من ١٥٦، ١٥٧.

[٢] يريد الواقديين والمقبضين للمدينة سنة ١٥٦ هـ.

[٣] الطبري ٤٠ من ١٥٦.

فرق لكل وجهها ، وكانت هذه الفرق تحت قيادة كل من بكير بن عبد الله الذي زحف إلى موغال ، وحبيب بن مسلمة الذي تقدم صوب قنيس ، وحذيفة بن أسيد الذي هم طر جبال اللان وصلبان بن ربيعة الذي أنجبه إلى حدود أرمينية من القامه الفرق (١) .

لم تحقق هذه القوات نتائج جديرة بالتسجيل ، وذلك باستثناء القوة التي كان يقودها بكير فإن أهل موغال بعد أن تبين لهم أنهم لن يتمكنوا من الصمود في مواجهة القوات الإسلامية قبلوا أن يدفعوا الجزية للدولة الإسلامية ، وكتب لهم بكير أما بذلك يرجع تاريخه إلى السنة الحادية والعشرين من التاريخ الهجري (٢) .

وهكذا يتضح لنا أن أهل خلاط وأهل باب الأبواب وأهل موغال قد اتخذوا موقفا موحدا مع الدعوة الإسلامية ، ذلك هو إشارم دفع الجزية على اعتناق الدين الإسلامي ، ومعنى هذا أن المحاولات

(الاستراتيجية) الموقعة التي كان يسيطر عليه ، وأنه في موقفه هذا يستطيع أن يقدم للدولة الإسلامية خدمة جليلة ، وذلك بالتصدي للشعوب الذين تقع بلدانهم وراء مدينة باب الأبواب ، والذين هم في الوقت نفسه أعداء للدولة الإسلامية ، وأنه في مقابل هذا لن يدفع الجزية للدولة الإسلامية .

هذه مشكلة ، فالاحتجابة لما طلبه شهر براز ربما كان يفسر من البعض على أنه عدم التزام بالقاعدة الإسلامية العامة التي ترتب موقف المسلمين إزاء أعدائهم في ثلاثة مستويات تصاعدية هي : الإسلام ، والجزية ، وأخيرا الكيف ، ولكن سراقه ابن عمرو كان مرنا وملتزما في الوقت نفسه بروح القاعدة ، فقبل هذا الذي عرض له عليه شهر براز ، وكتب أيضا إلى الخليفة عمر بن الخطاب مطلقا إياه على الموقف الذي اتخذته « فأجازه وحسنه » كما يقول الطبري (٣) .

ومن باب الأبواب ، وفي نفس السنة ، وهي السنة الحادية والعشرون ، زحفت القوات الإسلامية إلى أرمينية في أربع

[١] المصدر السابق ١٥٧ ، دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد الثالث ص ٣٨ .

[٢] الطبري ٤٠ ص ١٥٧ ، ابن الأثير ٣٠ ص ٢٩ .

[٣] المصدر السابق .

البكرة لفتح أرمينية ، والتي وقعت في السنين : العشرين والحادية والعشرين لم تؤد إلى السيطرة المباشرة للدولة الإسلامية على أي من نواحي أرمينية ، كما أنها لم تؤد أيضا إلى انتشار الإسلام في أي من المواطن التي ذهبت إليها .

وإذا كان لهذه الحملات من نتيجة إيجابية فربما انحصرت هذه النتيجة في هيئة الجو النفسي بين الأرمن لاحتناق الدين الإسلامي ، ولستته في هذا الاحتمال على نص وواء الطبري ، ونقله عنه ابن الأثير ، ونحن يقول عن أهالي المناطق التي ذهبت إليها الحملات الإسلامية السابقة^(١) : « فلما استولوا واستسلموا عدل الإسلام مات سراقه » ونستطيع أن نضم من هذا النص أن أهالي هذه النواحي أو بعضهم كانوا قد تهيئوا أنفسهم وتفتحوهم لأكبر

[١] الطبري ٤٠ ص ١٥٧ ، أما ابن الأثير فإنه يقول (٢٩٣) : « فلما استولوا واستسلموا الإسلام وعدل مات سراقه » وقد مات سراقه قبل موت الخليفة عمر بن الخطاب .

مما يمكن من أمره ، فهذه هي حقيقة اليهود التي بذلتها الدولة الإسلامية في أرمينية حتى وفاة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذي الحجة سنة ٢٣ هـ . وبعد وفاة هذا الخليفة واصلت الدولة الإسلامية اليهود لفتح أرمينية ونشر نور الإسلام بين ربوعها ، وهذا ما نحن عليه في المقالات التالية .

د . د. محمد غنيم أبو سعيد

مصادر الشريعة الإسلامية وثباتها

للدكتور مصطفى كمال وصفي

الاستعراكي في مقابل المعسكر الرأسمالي
الذي مارال مخلصاً لأفكار الثورة الفرنسية .
كل ذلك أنفاً حاصبات فكرية بالغة
عند جميع الناس .

واستيقن الناس تقديس الحرية والثورة
القمعية وسلطان حيادة القديس ونحو ذلك
من الأفكار التي أصبحت حسب السياسة
والفكر المستورى الحديث .

ولقد كان من نتيجة عدم خيال الرجوع
والأفكار الإسلامية للحكم على نظريات
الحرية والمصلحة القومية أنه صمد البعض إلى
الاستعانة بالفقه الأجنبي في هذا الصدد
وآثروا هذا الطريق - الذي وجدوه
سهلاً - عن الخوض في جذور الإسلام
واستخلاص هذه المعاني منه .

ونحن نعرض أولاً لما قاله البعض من
من أنصار الانطلاق وراء الأفكار الأجنبية
ونقد ما قالوه ، ثم نرى ما وراءه - والله
أعلم - من الحق في مسألة مصاهر الأحكام
الفرعية ، ومفصلة ثباتها وتطويرها .
وبالله التوفيق .

إن هذا الموضوع جد خطير ، وبالغ
الأهمية ، وتنطلق به الآن كثير من مشكلات
العصر ، وتدور حوله أفكار أهل هذا
الزمان .

فإن من أم ما نعايه الآن ، أن المدنية
الغربية أنتجت أفكاراً كان لها وقع عميق
في الأذهان ، فقد تأثر بها المسلمون كما تأثر
بها الناس جميعاً . وكانت الثورات وتغيرت
النظم بسبب هذه الأفكار ، فكان من
الضروري أن يعلم رأى الإسلام فيها .

فالثورة الفرنسية التي قامت سنة ١٧٨٩
ألغيت أفكار المساواة والحرية وحقوق
الإنسان ونفست حكومات على هذا
الأساس وانهدمت العروش الاستبدادية
القديمة بسببها . ثم جاءت أفكار ماركس
في منتصف القرن الماضي وكتب كتابه
« رأس المال » وأصدر « البيان الشيوعي »
وأثار مسألة الصراع الطبقي وحكم
البروليتاريا ثم قامت الثورة السوفيتية على
هذا الأساس عام ١٩١٧ وولدت الكتلة
الفرعية الشيوعية على أثر ذلك وقام المعسكر

القول بأن ليس للفريضة مصادر دستورية:
وقد ذهب البعض إلى القول بأن الفريضة الإسلامية خالية من الأصول السياسية والدستورية . وأنه لذلك يجوز اقتباس النظم الحديثة على اختلاف أنواعها — من ديمقراطية أو احتراكية أو شيوعية — وتطبيقها في الدول الإسلامية دون أن يعتبر ذلك مخالفا للإسلام^(١) .
وم يصدقون بذلك الانحلال للفريضة إلى أقصى حدود التطوير وهو رأى زاهد ضار وليس تطويرا .

وفما يبدو لنا ، فإن هذا النوع من التفكير بدأ أول ما بدأ في (كتاب الإسلام وأصول الحكم) للرحموم الأستاذ عبد الرزاق . فقد قال إن لبادئ العامة للمرونة التي جاء بها الإسلام تقبل التطوير في كل زمان ومكان حسب ظروف الحال ،

[١] وقد عرض الأستاذ الدكتور عبد المجيد متولى ذلك في كتابه : « مبادئ نظام الحكم في الإسلام » دار المعارف ١٩٦٦ ، ومقاله : « مصادر الأحكام الدستورية — مجلة الحقوق ١٩٦٥ » . ومقاله الإسلام وعمل هو دين وحرية ، ومجلة القانون والاقتصاد ديسمبر ١٩٦٤ ومارس ١٩٦٥ وكتابه أزمة الفكر السياسي الإسلامي في العصر الحديث — لأكتف للصبر الحديث الطاعة والنصر بالاسكندرية الطبعة الأولى سنة ١٩٧٠ .

(١) مبادئ نظام الحكم في الإسلام للدكتور عبد المجيد متولى صفحة ٤٦٠ ، ٧٧ ، ٧٠٢ .

فلا مانع من أن نطبق « العدل » حسب مفهوم الوقت ، كما بينه الفكر الديمقراطي أو الشيوعي أو غيره .

وقد حاول غيره أن يؤصل هذا القول من طريق تحليل المصادر الفريضة والخروج من هذا التحليل إلى القول بأنها لا تحوى أصولا ثابتة محددة في الناحيتين السياسية والدستورية ، ومن ثم يدوغ اقتباس أفكار العصر دون أن يعتبر ذلك خروجا عن الإسلام .

فقالوا: إن القرآن جاء على وجه من المرونة والعموم لكي ينطق على كل زمان ومكان ، فقه جاء بأفكار عامة ممتدة مجردة كالعدالة والحرية والحياة والنفوس ، وهي من المرونة بحيث يطبقها الناس في كل زمان ومكان حسب مقتضى مصالحهم ، وبذلك فإن القرآن لا يقيّد الناس في هذا العصر ، أما السنة فقد قالوا إنها لا تعد ملزمة شرعا للأجيال التالية في أمور السياسة^(٢) لأن ما صدر عن النبي ﷺ باعتباره إماما لا يعد تشريعا دائما إذ أنه إنما على مصلحة فائقة في وقته ، واستندوا في ذلك إلى ما جاء في فروق الإمام القرطبي (الفرق ٢٦)

في بيان الفرق بين قاعدة تصرفه ﷺ بالأضواء وغيره وبين قاعدة تصرفه بالإمامة «وإن كل ما تصرف فيه بوصف الإمامة دون التبليغ لا يجوز لأحد أن يقدم عليه إلا بإذن الإمام اقتداء به عليه السلام» إذ يبدو أنهم وقعوا في خطأ مادي منه النقل فظنوا أن العبارة هي «لا يجوز لأحد أن يقدم عليه» ونسوا: إلا بإذن الإمام اقتداء به عليه السلام.

وإنه إذا انتهى أصحاب هذا الرأي إلى تجريد القرآن والسنة من قيمتهما كمصدر للأحكام الشرعية والسياسة الإسلامية فإنهم لا يجهلون صعوبة في طرح سائر المصادر من قياس وإجماع، فإدام أن القياس عليه وهو النص لا وجود له، فإنه لا قيام لقياس بدونه.

وهذا الرأي قائم على خطأ في الفهم بالنسبة لقرآن، لأن العدل في المفهوم الإسلامي مقيده متميز عن غيره مما في النظم الأخرى، فالعدل في الإسلام هو العدل المبني على التوحيد^(١) والستمد من نصوص

القرآن والسنة ومن المقاصد الشرعية، فإنه العدل الإسلامي معياره ووسيلته، وطريقته هي ما أظهرنا الله عليه من شريعته، فالشرعية هي وسيلة لتحقيق هذا العدل، فإنه قال الله تعالى: «إن الله يأمر بالعدل والإحسان»، وأردنا أن نطبق هذا على عدل الزوج مع زوجته فإنه يكون عن طريق تطبيق نصوص السنة وحسن الممارسة وغير ذلك من أداء الحقوق، وإن أردنا تطبيقه على الإمام فإنه فطبقه عن طريق ما ورد من أخذ المال بالزكاة والفتنة وما يجوز من العشور، وما ورد في شأن إقامة المصالح والمرافق وتأديب العصاة وتوقيع العقوبات وإزالة الحفود وأخذ المال عند الإنفاق والتضييق وغير ذلك من قبض الأحكام الكثيرة الواردة في القرآن والسنة ذمرا للعدل الإسلامي.

وهذا العدل مقيد بالتوحيد بمعنى أنه للحلم يشهد به، وليس شهادة بالقول بل بما يصادقه من العمل، فوجب أن يكون تحريم العدل بين الناس بإزالة ما أسمر الله به وتنقيته، ومنع ما نهى الله عنه وكل ما هو على هذا التهج فهو من العدل الإسلامي، وكل ما ليس على نهجه فليس

(١) انظر كتاب المتن القاضى عبد الجبار (أبواب في العدل والتوحيد) وخاصة الأجزاء المتعلقة بالتكليم، والجزء العنبري الخاص بالإمامة.

وكثيرا مما يخالف الآداب يسمح به هذا النظام ، فالعدل هنا يختلف عما نعرفه في الإسلام فإذا اقتضى صاحب المال أن يعمل العامل عنده بأجر بخس فلا ضير عنده في ذلك ؛ لأن المقصد من عدم حرية المتعاقدين ، فإدام العامل قد رضى ما بينهم لا ينظرون لضغط الظروف الاقتصادية وسيطرة رب العمل على ظروف العامل واضطرار الأخير للخضوع له عالم بفسكل إكراهها بالطرق المحددة المنصوص عليها في القانون المدني ، ولا يعاقب القانون في هذه النظم على زنا المرأة الزميلة فمع الزوجية بلا إكراه ؛ لأن حريتها قد ارضت ذلك ، ويرون أن العدل أن يكون لها ذلك ، وأن منعها منه ليس عدلا ، وهذه مبادئ لا يرأسها الإسلام لأن مبدأ العدل هنا مختلف من مبدأ العدل هناك حسب الفكرة العليا المهيمنة على النظام .

وفي النظام الشيوعي تختلف أيضا فكرة العدل مما تقدم . فالعدل هنا يقوم على منع الاستغلال والصراع الطبقي وللأساوة فيه المساواة بين الجميع . فهذه مساواة اقتصادية من نوع معين ليس لها علاقة أكيدة بالاعتبارات التي ينظر بها الإسلام

من العدل الإسلامي ، ثم إنه فيما لانص فيه هناك كما بينا^(١) مقاصد شرعية تقوم على حفظ الضرورات ومنع الحرج والفتنة واحتسكال المحاسن في أمور خمسة هي : الدين والنفس والنسل والمثل وللحال ، ولا يكون العدل عدلا في نظر الإسلام إلا بقفل الجهد بتطبيق النصوص والقياس ثم إزاله للصالح على هذا الأساس دون غيره ، فهو ليس عدلا مطلقا ، يجوز أن يصطبغ بصبغة رأسمالية أو شيوعية حسب الأحوال ، ولكنه عدل موصوف مقيد بنصوص معينة ووسائل محددة للاجتهاد ومقاصد شرعية معينة محددة ، فإما هذا وإما أنه ليس عدلا إسلاميا .

وهذا العدل يختلف مثلا عن العدل في نظم الرأسمالية والليبرالية ، فإن هذه النظم تهي الحرية الفردية وترى أد غاية القانون هو تأمين الحرية الفردية وضمانها . فكل ما يأتية الفرد داخل حدود حريته مما لا يخالف القانون ولا يضر بالغير هو عدل ، وذلك فإن كثيرا من صفر الاستغلال الصارخة

(١) مقالنا في هذه المجلة عن المشروعية في الإسلام ، وكتابنا في المشروعية في النظم الإسلامية ١٩٧٠ صفحة ٧٦ وما بعدها

في النقل كما بينا، فإن حقيقة ما بينه الإمام
القرافي هو أن هذه المسائل تطبق بعد
زمن للنبي صلى الله عليه وسلم وحلم ولكن
بشرط إيداع الإمام وعن طريقه . وقوله
« اقتداء به عليه السلام » يفيد مراعاة
تطبيق هذه الأحكام بعده . والأصل
في أماله عليه الصلاة والسلام أنها وردت
على سبيل التفريع ، وقوله فلا مفيد لهذا
الأصل مما وحموه .

ولا نحتاج للتنويه بخطورة هذا القول
وتهديده للدين ، فإن باسمه تدمر المقاصد
الفرعية وتهدر الأحكام والنصوص ،
وتنطأ في حل لا تتصل بالدين ، وأن
قولهم : « يطبقها الناس لما يرونه من
مصالح » يجب أن يحمل على أنه المصالح
الفرعية ، وليس مطلق المصالح التي تبتغيها
هذه النظم الحديثة بصرف النظر عن
مطابقتها للإسلام .

محطفى كمال وصفي

إلى مختلف مسائل الحلال والحرام ، فالأمر
قد يعتبر مادلا لا قيمة فيه في هذا النظام
وهو غير مادل في الإسلام .

وقس على ذلك مختلف الأصول التي
أوردتها القرآن والسنة ، وحدها هؤلاء
أنها مطلقة تقبل الاصطباغ والتلون
بمختلف النظريات .

وأما من السنة فهي ماصرة بالأحاديث
المتعلقة بالسياسة والإمامة ، وكيفية تنفيذ
الفورى وكيفية الحكم في الناس ، وما
يكون الإمام مقيدا فيه ، وما يكون له
نظرة وبكاد يكون السبب الأساسي
في كتابة هذه الفصول هو الرد على هؤلاء
بما جمعت من أحاديث السياسة والإمامة
التي تنطبق على الناس في كل زمان ومكان ،
وهذا واضح من أوله مقالة كتبها .

وليس في الاستقواء بما جاء به القرافي
حجة بطبيعة الحال ، إنما حجة الظلم المادي



وراء السوالم الطويلة تقف الصهيونية

للاستاذ عموره حيث خطاب

— ١ —

واتباعاً للباب الأجاب الذين همروا من

كل فنية فأصبحوا جيذا لكل رذيلة .

وإذا كان الباب الأجبي يفكر

(الضياع) ، لتفسخ الأسرة ، واعتام

الآباء والأمهات بالجنى ، وتكالب الناس

على (المادة) وحدها ، دون الاهتمام

(بالروح) ومتطلباتها .

وإذا كان هؤلاء الأجاب يفكرون من

العكوى من زدهم شبابهم تيمناً وانبياراً ،

دون أن تقدم لهم الحضارة الغربية

التي ثبت إفلاسها في توجيه (القلوب)

إلى الصراط المستقيم وإلى المثل العليا ،

الحلول الناجمة السليمة للأزواج الحائرة

الضائعة .

فما المبرر للبابا أن يقتنعوا آثار

الغباب الأجبي ، والحضارة الإسلامية

العربية حضارة (الروح) ، و (المادة) ،

تقدم الدواء العافى للعقول والقلوب معاً ،

وتهدى التي هي أقوم ، وتنفرد إلى سبيل

الحق والخير والنور ١١٩٢

لجأة انفجرت بين هباب العالم هذه

السوالم التي هي امتداد لغير الرأس

المرازي للأذنين ليتصل بغير العية فوق

العارضين ، بحيث تغطي هذه السوالم

نصف الوجه تنقص أو تزيد قليلاً .

والسوالم : جمع (سلف) بالهجة

العامية المصرية ، وهي ما يطلق عليها :

امم (الزلف) في بعض الأنطاز العربية

ومنها المراق .

والزلف : جمعها (زلوف) ، وهي بمعنى

(السلف) في الهجة العامية المصرية .

وربما يكون لكلمة (الزلف) منه

لغوي ، فيقال : زلف في حديثه : زاد فيه

وزلف الشيء : زاده فيه . فإذا امتد شعر

الرأس إلى أسفل شحمة الأذنين ، فقه زاه

مقداره عن المعتاد .

ولمت بسدد القنة الآن ، ولكنني

بسدد الظاهرة التي اجتاحت أكثر

هبابنا تلهيلاً لمثل الصينا الأجاب ،

— ٢ —

تطبيقاً عملياً على غير يهود ، يحرم يهود على نشره بدعى الطرق والوسائل وبمختلف الأشكال والأساليب .

وقد طغى منه النشاط الصهيوني للنشر القصاد فى الأمم الأخرى بدء عام ١٩٤٨ ، أى بعد خلق إسرائيل فى الأرض المقدسة . وكما اعته ساعده إسرائيل وتوسعت ، ازدهاد مدنفاتها للتخريب فى العالم ، حسب مخططات مرقونة لها أهداف واضحة : هى تدمير لثقل العليا فى العالم ، والقضاء على الأديان عدا اليهودية — خاصة المسيحية والإسلام .

— ٣ —

إن الذين يهكون فى نقاط الصهيونية للتخريب الذى يستهدف تهطيم لثقل العليا فى الأمم غير اليهودية ، وأعمول كل يوم ، أو منرد بهم كل التخريب ، أو عملاء كل الماة .

وإذا أحصينا شركات المينا ودور الهوى والنواصى المالية والمخانات والمقاصف وملاعب النهار ومجلات الجنس والتصور الخلية والقرنانات الجنسية ، إلى غير ذلك من ممول الهدم والتدمير لوجدنا أن أكثر من نصف فى المائة منها تابعة

فأى حقيقة هذه الموالف ؟

هذه الموالف هى نمة من محبات يهود .. لقد عملت الصهيونية المالية على إضاعتها بين الشباب حتى قهرت مدى قدرتها على بث التعليمات القبيحة العادة ، ومدى تأثيرها فى الشباب بخاصة وفى الشعوب بعامة .

وقد استطاعت الصهيونية العالمية نشر رذائل كثيرة ، كلها ممول هدم قبطرية ولثقلها العليا ، إذ من المعروف أنها تهدف إلى إشاعة القصفاء والتحلل الخلقي والتفسخ فى العالم ، لكي تستطيع السيطرة على مصالح الأمم والشعوب غير اليهودية ، لأن الأمم والشعوب والجماعات والأفراد للتنسكة بالإيمان والأخلاق القوية ، لا يمكن أن تخضع لغيرها أبداً ، وليس من السهل السيطرة عليها .

« الخير ... والجهنم البكر ... أعمال الرعدة ... والمدينة والحياة ... »^(١) ، تلك هى وسائل الصهيونية لتعظيم لثقل العليا فى غير يهود ، كما تنص عليها بروتوكولات حكماء صهيون ، وهذا ما نلحسه

[١] انظر تفاصيل ذلك فى بروتوكولات حكماء صهيون .

وقد ذكر هذا الأستاذ الجليل أنه صادف مقصورة لبيع الصور العارية الفاضحة والمجلات الجنسية الداعرة، فسأله صاحبها عنها، فعلم منه أنه يهودى وأنه مستعد لاستعصاءه إلى المجلات الصهيونية التي تلتج الرذائل وتصدرها.

ويهود وراء التحلل الخلقى في إنكلترا وهولندا والسويد وفرنسا، وم الدين أقصدوا القباب والمجتمع وأباحوا الجنس وحسروا القروان لهمة وإباحته.

وحين وجد غير يهود في تلك الدول وفي غيرها أيضاً، من الدين لا خلاق لهم ولا ضمير، ما نفذت تجارة الجنس من أرباح ضخمة، سأل لعابهم جفعاً وقلدوا الصهاينة، فنالوا جميع الصهيونية العالمية وتأييدها، لأنهم أصبحوا آلاف طيعة لتنفيذ مخططات الصهيونية في التخريب.

والأمل وطيد فأن يكتشف العالم حقيقة الصهيونية العالمية وحقيقة نواياها التخريبية في إشاعة القهضاء وللذكور وللثقافة الرخيصة بين الناس.

وأخشى ما أخشاه أن يفوت الوقت قبل أن يكتشف العالم ذلك، فيةوت الوقت

للمؤسسات الصهيونية، والمؤسسات غير الصهيونية القليلة التي وراء تلك الباذلة قول بصورة مباشرة أو غير مباشرة برأس لاله الصهيوني، كما نفجج إلى أبعد الحدود من أجهزة الإعلام الصهيونية ومن المصارف الصهيونية.

فهو كل هذا صدفة وبدون تخطيط، أم وراء الأيكلة ما وراءها!

أما المؤسسات التي تأمر بالمعروف ونهى من المنكر، وتكافح الرذيلة وتدعو إلى النكح بالدين والأخلاق، فتقاوم من رأس لاله الصهيوني وأجهزة الإعلام الصهيونية سراً وعلاية، حتى تتلافى وتذهب مع الريح.

وليس مرأ، أن أول من أنشأ شركات السينما في مصر بالذات هم اليهود، ثم تلافت إنتاج تلك الشركات موزعون من يهود في بيروت والبلدان الأخرى.

لهذا ليس عجيباً أن تكون نمرات السينما العربية نجمة فيها للمم الزمان!

حدثني أستاذ جليل كان منتهى بالتمدرس في الولايات المتحدة الأمريكية طاماً دراسياً كاملاً، عن مظاهر التفسخ في المجتمع الأمريكي المعاصر.

وبدأ حاشيات يهود يكتشرون (التلمود) وهو الكتاب الهين ليهود بعد التوراة فسجلوا في التلمود مادة إطلاة السوائف ، وجمعوها شعيرة من شعائرهم الدينية ، لتبرئة ساحة يختصر من إلامهم بها من حية ، ولرفع معنويات يهود بجعلها سنة دينية من جهة ثانية .

وأخذ يهود أنفسهم بهذه العادة منذ ذلك التاريخ ، فلما تعرفوا شرقا وغربا بعد اضطلال الدولة البابلية ، حلوا معهم هذه العادة ، وأصبحت جزءاً من تعاليمهم الدينية .

وهكذا نجد اليهودي في سورية ومصر وشمال إفريقيا وأوروبا وأمريكا وأستراليا وفي جميع أقطاع الدنيا ، منذ ذلك التاريخ حتى اليوم ، يطيل سوائفه إذا كان منسكاً بتعاليم التلمود ، ويعتبر ذلك حجة من معانيه ومبزه من مميزاتة .

ونجاة ظهر للبل ثلاث سنونات يمثل يهودي اسمه (دافيد) في رواية من روايات الفسكات الصهيونية التي تنتهجها مدينة السينا (هوليود) في الولايات المتحدة الأمريكية مركز تجارة السينا اليهودية ،

بالتناسب لانتخاف التداير اللازمة للعد مع هذا الوفاء .

— ٤ —

والسوائف ... ١

هذه السوائف جزء لا يتجزأ من عاولة الصهيونية العالمية الغضك على القطمان الغضالة الضائمة وتلاعب بأهوائها وتوجيهها إلى التيه والسماح .

لقد كنا نقول عن اليهودي : «يهودي أبو سوائف... أو يهودي أبو الزوف» . ذلك لأن الكور من يهود — خاصة المتدينين منهم — كانوا يطيلون سوائفهم ، كما يفعل الصباغ اليوم تطسوما وعن طيبة خاطر .

وقصة سوائف يهود معروفة... سعى بختنصر ملك بابل عام (٥٨٧ هـ) قبل الميلاد بني إسرائيل ، وأخذهم أسرى إلى بابل في أرض الرافدين ، حيث انتفروا في العراق وفي الأقطار المجاورة .

وأراد بختنصر أن يجعل لهم علامة خارقة تعرفهم بها الناس ، لينتجروا شرم ويأمنوا مكرم ، فأقسم أن يطيلوا سوائفهم وألهمهم بهذا التقليد .

وقلت لنفسى : ترى اهل يعرف هؤلاء
حقيقة أمر السوالف ؟ اهل يعرفون أنهم
ضحية (نقلية) صهيونية ؟

أما وقد انكشف أمر السوالف ،
فهل يتخلون عن هذه النقلية الضحيفة ؟
إن اليهودى الصهيونى هو الذى يطبل
وحده سواه ائباً لآثار ثقائده الهبلية .

وهو وحده يرغب فى أن يفرض الباع
هذه النقلية على شباب العالم بوسيلة
أو بأخرى ..

إذا كانت السوالف من صفات الصهاينة ،
تهافت عليها الإجمات والتافهون من شباب
العالم ، ففصلحة من يقتل آثار الصهاينة
إسبال القرنى السلم !!

أفلموا يا شباب العرب والمسلمين عن إسبال
السوالف ، حرصاً على نأ كيه ذاتكم ،
وحفاظاً على رجولتكم ، وتطبيقاً لتعاليم
دينكم الحنيف ..

تجنبوا تقاليد يهود ، وكونوا من
مخططاتهم على حفرى
كود شيت خطاب

وهو إحوالف طوية ، لأنه كان يمثل دور
يهودى متدين .. فما كان من العباب
في العالم إلا تقليد هذا الممثل اليهودى
الصهيونى .. !!

وليس غريباً الظاهر السوالف المصبة
بين شباب العالم للتبصير ، ولكن الغريب
انتشارها بين شباب العرب والمسلمين .

وبالطبع بدأ شباب يهود بتقليده ،
ثم انتشر هذا التقليد بالعدوى كما تنتشر
الأوبئة .

إن شباب العرب والمسلمين فى معركة
صعبة على الصهيونية العالمية .. .

والتوقع منهم أن يخالفوا الصهاينة
تنفيذاً لسنة النبى ﷺ فى مخالفة يهود ،
وحرساً على شخصيتهم العربية الإسلامية .

إن الصهاينة ليسوا أقل عدواة للمسيحية
من عدوانهم للإسلام فهم أعداء لكل
دين وكل قضية وكل خلق كريم ..

ولقد رأيت شباباً عرباً مسلمين يرتادون
الأساجد ويؤدون فرائض الله ، ولكنهم
أقبلوا سوائهم وقبلوا الصهاينة .

قصيدة شعر :

إلى حجاج بيت الله الحرام

سلطت كنوز القبر في أبياتي
 وفدت تحدث في جلاله خاشع
 وسمتها تدعو وتهتف في الصفا
 نادى الخليل فيا سماعة مهـمى
 فأجابها نفس كرم أشرى
 تركوا ديارهم وساروا خفما
 وهناك في الأرض للقدسة التي
 هتفت بهم ورداء ساحرة الرؤى
 ورنيت إلى ركب الحبيب وأرسلت
 حجاج بيت الله طابت رحلته
 غادرتوا الوطن الحبيب لتسعدوا
 وخلعتموا الديا وزخرتموها القدي
 وهناك في عرقات صرتم أمة
 لا فرق بين الواقفين في حكمهم
 وعلى مني لستم من الله القدي
 ولزمتوا البيت الحرام ولفتموا
 بفراكم قلقد ممرتم بيته
 ثم اثنيتم محبو قبر عجل
 صلى عليه الله ما طلع الصفا
 ولكم من الله المثوبة والرضا
 والتمنئات أزدها منضورة
 لكونكم بمحكمو واليوم القدي

وأمرت كالطهر في الزهرات
 كالطهر والإيمان في السموات
 قدسية السموات والسموات
 لله في طهر وفي إخبارات
 حب التقى وحلاوة القربات
 كالنور يطوى الجود والسموات
 كرمت بنور الوحي والآيات
 تختال في سحر وفي هالات
 بشرى كل من الطير في الزوان
 نلت بها ما طاب من جنات
 بالأجر والرضوان في عرقات
 ينسرى لودي بالهوى والهدات
 مجموعة قتل ليل والسموات
 قلب ينأحى الله بالطامات
 وقتلتوا القبطان بالجرات
 سما بيت الله في الزحان
 وهو الكريم يصطف الحسنات
 فخطبتوا المحب والبركات
 ودعا الموحّد بأرى القنات
 في أسماء الأيام والأوقات
 كالزهر في أرج وفي إسمات
 لا شك بالنصر المؤزر آت

محمد رحمه بكره قول

القيادات العسكرية في صدر الإسلام

للكنوز عباس حامى سامعيل

والجواسيس ، ففسد رد عبد الله بن أبي
ابن سلول في بعض غزواته ، لتخديبه
للمسلمين وتوهمينهم ، وملاً الرسول قلوب
جنوده بروح التضحية ، وجب إليهم
لثوت في سبيل الله ، ودعاهم إلى الفاسدة
والخاطرة ، فلا يشكسون ولا يترددون ،
كما شاور أصحابه واتبع رأيهم ولو كان
مخالفاً لأبيه ، وكان إذا أخذ جديده أوصاه
بقوله : باسم الله ، ولا تقبلوا ولا تقاوتوا
من كفر بالله ، لا تقاتلوا ولا تفسدوا ،
ولا تثلوا ولا تقتلوا امرأة ولا وليداً .
وسمع الرسول بالحيلة ، ففي شهر المحرم
من السنة السابعة للهجرة (مايو ٦٢٨ م)
ظفر المسلمون بيهود خيبر بعد حصار دام
بضع عشرة ليلة ، وفتحوا حصونهم المنيعة
وملكوا أرضهم ، ولكنهم تركوها
في أيدي اليهود ليزرعوها ، على أن يكون
لهم نصف ما تفرق ، ووصل بآل النضر
إلى المدينة وما حولها ، ولم يصل بمس
إلى مكة ، حيث المذركوف يتوقعون إلى
نتيجة الصراع بين عجل واليهود ، وكان

مارس الرسول ﷺ الحرب والقتال ،
وأطلق الأسماء عن دواء وسلاحه ورايته ،
واسم ناقته القصواء ، واسم نخلته الهلال ،
واسم فرسه السكب ، واسم حماره اليمفور
واسم صيفه ذو الفقار ، واسم قوسه
الكتوم ، واسم درعه ذات الفصول ،
واسم رايته العقاب .

وحقق غنوى الحرب في زمانه ، ولم
خدمها ومكايدها ، وكان يعرض جنوده
الداهين إلى القتال ، فيخرج منهم الضعيف
والقريض ، ويعمل مع الجنود ويؤاكلهم
ويواسيهم ويشرحهم على القتال ، وقبل أن
ينزوا، يمش أمام جيف الميوز والأرصاد ،
ليتعرفوا له قوة العدو وخبره كما كان
لا ينبيء بحقيقة الكال الذي يقصده ، حتى
لا يقصد عليه جواسيس العدو وخطته .

وإذا انصرف العدو ، يمش وراءه
من يثبت من أمره حتى لا يخلفهم ،
ولا يرجع إليهم على غرة ، فإذا فزأ وري
عن طريق وهو يريد أخرى ، ويقول :
الحرب خدمة طهر جيفه من الخلفين

أغلب ظنهم أن يرتد المشركون عن غير
ميرورين . وهذا هو الحجاج الحلي ،
أحد الذين شهدوا مع الرسول الكريم
فخرج خبير يستأذنه ليعود إلى مكة من أجن
أن يحصل على ما له ، فأذن له الرسول .
وحنى الحجاج الفاقة وبعد النظر وسعة
الحيه ، فقال للرسول : جعلني الله فداك
يا رسول الله ، أرجو أن تأذن لي أن أعال
ملك وأهلك لأهل مكة ، لعلني أملك
أفهم قبل أن يهملوا إسلامي ، فأعترد
أموالي ، فأذن له الرسول ، وانطلق
الحجاج إلى مكة ، ليلتها قبل أن تصل
شيثاً عن انتصار الرسول ، فبشيع ما له ،
وما كاد يضع رجليه ، حتى تدقل خرمقدمه
من درب إلى درب ، وامتلات داره
بالوفدين عليه ، يهدوم للتلطف إلى أبناء
المرامع بين محمد والبهرد . فيقول لهم
الحجاج : عندي من الأنباء ما يسركم ،
أنه شهدت قتال محمد وأهل خيبر ، فلما
استمر القتال لم يطق محمد وأصحابه صبراً ،
فهمزوا وأسرروا . ووقع محمد في قبضة
اليهود أسيراً ، فصاح للمشركون صباح
الفرح ، ثم سأل بعضهم في زهو : وهل
قتل اليهود محمداً ؟ فأجابهم : لا ، قالوا له
نقله حتى ندله لأهل مكة ليسخروا منه ،

فأراد المشركون فرحاً ، وانهمز الحجاج
هذه البشارة وقال لهم : ردوا علي مالي
لأرجع إلى خيبر ، فاعتري عما غنم لليهود ،
قبل أن يسبق التجار إلى الغنائم ، وصاعرد
إيكم بقفة محقة ، فلما سمع للمشركون
كلام الحجاج ، كافثوه على بشارته بأن
ردوا عليه ما له ، ومالبت الخبر أن ملأ مكة
كلها ، فخرج رجالها وسائرها وفتياتها إلى
المسجد الحرام ينظفون أصدانهم ،
ويستمدون الثقة بها .
وهناك في بعض أنحاء مكة ، كان
المؤمنون الذين ملأوا بالكراثة ، يقبضون
في دووم يشكرون في نورهم وأملهم ،
بل يشكرون في الشخص الذي يحبونه
أكثر مما يحبون أنفسهم وأولادهم ،
يشكرون في الرسول محمد ، الذي سمعوا
أن اليهود أسروه وأنهم سيقتلونه ،
فيعتصرون في الخبر ويطمشون .
وكان العباس بن عبد المطلب عم الرسول
قد أسلم ولم يملن إسلامه ، فلما علم الخبر
شك وبجده ، وتوقع أن يأتيه كتبه من
الناس بين مشرك هامة ، ومسلم مكروب ،
فيستأمر العباس بأنه لم يسمع ، وأمر
خلاله أن يذهب إلى الحجاج ليستوثق ،

وكانت السنة السابعة للهجرة سنة مباركة
 فقبحا أسلم خالد بن الوليد ، فأهز الله به
 الإسلام وكانت غزوة مؤتة أول ملحمة
 حربية اهتزك فيها خالد بعد إسلامه ،
 وسبها أن الرسول ﷺ أخذ رسولا
 إلى هرقل ملك الروم ، يدعو به فيه إلى
 الإسلام ، فذله أحد عمال هرقل ، فكان ذلك
 عذبا على رسول الله ، وبعث بحملة من
 الجيش عدتها ثلاث آلاف مقاتل ، منهم
 خالد بن الوليد ، ليقذف الروم على قتل
 رسوله . ولما علم الروم ، بقدم جيش
 المسلمين ، استعدوا لذلك ، فأتى ألفه تلو
 والآخر الجبائي رأى خالد يشاقب فكرة
 أن جيش المسلمين أقل بكثير من جيش
 الروم وأن الحكمة تخم عليه أن يتسحب
 من هذه المعركة بمجبه ، قبل أن يشاك
 شركته من ر م ، فظهر يئاسهم طول
 اليوم ، حتى أقبل المساء وساد الظلام ،
 ووضع الجيوش السلاح إلى الصباح ،
 ولما كان ليلة يفكر في خطة ينقذ بها
 جيش المسلمين ، فلما جاء الصباح ، غدير
 نظام الجيش لجمال الميمنة ويسرة . واليسرة
 ميمنة ، ووضع هذبا كبيرا من الجيش
 في صف طويل ، ثم أمر قائم العيار ،

بإطلاق الفلام إليه ، ووجده في داره ،
 وعنده كثير من الناس يرمون ويونهم .
 ثم ذهب الحاج إلى العباس ، وأخبره
 بإسلامه ، وانتصار المسلمين على اليهود ،
 فكتم العباس فرحته .

وإذا كان الحاج قد برع في حياته ،
 ليدخل مسكة ويسترد ماله ، فلما له من
 حبة بارعة أخرى لهجرج من مسكة آمناء ،
 لقد رجع لزوجته بنت حاجب الكعبة ،
 وصادق الأوثان ، والإسلام سيحرمه
 نفوذه ، وما تجلب له الأصنام من مال ،
 وأخبرها أنه يريد أن يدخل إلى خيبر فقل
 أن تسبقه التجار إلى شراء الغنائم ، وطلب
 كل ما عندهما من مال على زعم أن يغتري
 الغنائم كلها ، ليربح أهلهم ربح ، ويطلبها يوم
 مردته كل ما تقويه نفسها ، فتوضت لغيره
 تقدم له ما استودعها من المال ، ثم رحن
 مصحوبا بالمامه ، ولما ارتفع الصبح وقصد
 العباس امرأة الحاج وعرفها بحقيقة الأمر ،
 فأمرته إلى أهلها نصيح وتذو بالويل .
 ثم انطلق العباس إلى المسجد ليضمر
 للأمرين بانتصار الوصول ، فاتفقوا
 وجفت حلوقهم ، وحزن الذين فرحوا
 بالأمس ، وأدخل الله الكعبة على عباده
 الذين آمنوا به وبرسوله .

أقواما قد حصوا أوساط رؤسهم وتركوا
حولها مثل المسائب ، فأخفقهم بالعنف
حنقا ، اندفعوا باسم الله .

وبلغ من نقطة لصديق ، أن فسح خالدا
حين خرج لحرب المرتدين ، فقال : « إذا
دخلت أرض العدو ، فكن بعيدا عن الحق
فإني لا آمن عليك الجوة ، واستظهر
بأفراد ، وسرا لأعداء ، وقدم أمامك الطلائع
ترشدك للنازل ، وسري أصحابك على
أمنته جديدة ، واحرس على الموت نوب
لك الحياة ، ولا تقاقل بمجروح فإن بضه
ليس سه ، واحترس من السيات فإن
في الرب غرة ، وإذا لقيت أسدا وخطافا
فعضهم لك ، وبعضهم عليك ، وبعضهم
لا عليك ولا لك ، متربس دائرة السوء ،
ينتظر لمن تكون الدرة فيبيل مع من
تكون له العلبة ، ولكن الخوف عندي
من أهل النجاسة ، فاستمن بالله على قتلهم ،
فإنه يلقي أهم رجما بأمرهم ، فإن
كفالك الله الضاحية فامض إلى أهل النجاسة ،
سر من ركة الله . »

وأدل من هذه الوصية على الحيلة
والاحتراس في كساح الأبواب ، وسبته
ابن زيد بن أبي صفية في فتوح الشام حين
يقول : « إذا قدم عليك رسل عدوك

وعلت الجلبة والصياح ، تخافه الروم ،
وظنوا أن خالدا قد جاءه مدد كبير من
الرسول ، فبقوا في حصونهم ، ولم يخرجوا
لقتال المسلمين . وعندئذ انهز خالدا هذه
الفرصة ، وانسحب بالعيش واجما إلى
المدينة . وقد قصر الرسول مهارة خالدا ،
ولقيه منذ ذلك اليوم سيف الله المسلول .

وكان الصديق أقرب المنافذين إلى الرسول
في كل غزوة ، واقتدى به ، فأنزل بعثة
أسامة بن زيد ، وهي امته تأديبية ، ردع
القبائل التي تعيث في الطريق بين الحصار
ولهم ، تأمينا لتلك الطريق ، وتوطيدا
لحيلة لإسلام في نفوس تلك القبائل ،
ولما هجم جيش أسامة ، لم ينس أن
يوصيه بالصفاء : « لا تخربوا ، ولا ذلوا
ولا تفردوا ، ولا قتلوا ، ولا تقتلوا طفلا
صغيرا ، ولا شيخا كبيرا ، ولا امرأة ،
ولا تعربوا غللا ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا
شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة
ولا بعيرا إلا لما كسبه . وسوف نمرؤ
بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع ،
فدمروهم وما فرغوا أنفسهم له ، وسوف
تقدمون على قوم يأتونكم بآية فيها
ألوان الطعام ، فإذا أكلتم منها شيئا فعد
نفسه ، فذكروا اسم الله عليها ، وتلقون

الكثيرة بأذن الله ، وأما مع ذلك محمد بن الحنفية في أثر الرجال حتى تمسكتوا ولا يحتاجوا إلى زيادة إنسان .

لما أوحى الصديق خاله ، لنجدة للذي ابن حنيفة العيصاني ، في غزوة فارس ، أمره أن يأتلف أهل فارس ومن كان في ملكهم من الأمم ، وتقدم خاله في تأمين الطريق ، فصالح أهل الحيرة فوقفهم على أن لا يخالفوا ولا يمينوا لأمر أهل مسلم من العرب ولا من العجم ، ولا يدوروا على حركات للمسلمين ، فإنهم خالفوا ، فلاذمة ولا أمان ، وإنهم حفظوا ذلك ورعوه وأدوه إلى المسلمين فلم يملكوا للمعاذ ، وعلى المسلمين النزع لهم ، وأما رجل منهم وجد عليه شيء من ذنوب الحرب مثل من لبس ذلك ، فإنه جاء منه بمخرج وإلا عوقب بقدر ما عليه من زنى الحرب .

وأما أن الصديق لم يجازف بتجريبه البعوث إلى تخوم فارس والروم ، وهو الذي النصر كانت كلها أو معظمها في صفوه ، وأن حوامل الهزيمة كانت كلها أو معظمها في صفوف أعدائه ، انهزم الفرس لأنهم كانوا يدفعون العرب عن دولة حطمتها الحروب الخارجية والفتن الداخلية ، ودام

فأكرمهم وأفلح لبهم ، حتى يخرجوا من معسكرهم وهم جاهدون به ، ولا يزينهم مهروا خلك ويدلوا خلك ، وأنزلهم في نزوة معسكرهم ، وامنع من قبلهم من حديثهم ، ولكن أنت المنزلة لكلامهم ، ولا تجعل معركهم كملايتهم فيحفظ أمرك ، وأكثر حرسك ، وبدد منهم في معسكرهم ، وأكثر من جأهم في محاربتهم بغير علم منهم بك ، فمن وجدته غفل عن محرسه فأحسن أدبه وعاقبه في غير إفراط ، وأعقب بينهم بالليل واجعل للنزوة الأولى أطول من الأخيرة ، فأمرها أيسرها لفرجها من قنار .

لم ينس الصديق ما بين جند وجند المعسكر من فروق العدة ، فكان يعمل في تدارك هذا الفرق ما احتطاه ، فذهب يوما يتفقد جنده الذين هموا بالخروج لغزو العام ، ولم تعبهم عنهم ، فكشبت إلى أهل اليمن يستكمل العدة ويستنهضهم إلى الجهاد ، ليخفوا إليه بما يصعد هذا النقص من حته وسلاح فهو الرجل الذي لم تقته فائتة من هاتين القبايل التي يرسل إليها بعوته ، وهو الرجل الذي يختار القائد ليحسن اختياره ، ويرجوا الغلبة بالليل من الكثير ، لأنه يعتمد على عدة الإيمان ويعلم كما قال يزيد بن أبي سفيان : « قد بدأنا الله أن الفتنة القليلة مما تغلب الفتنة

الأنسية على حسب المأثور والأقدار ،
وحسنه أنه لا يسوى بين من قاتل الرسول
ومن قاتل معه ، وجنح الصديق إلى
التسوية بين الأنسية بغير تمييز ، وحسنه
أن الأسماء شمه ثوابه على الله ، وهذا
معاش ، والأسماء فيه خير من الأثرة ، والله
جبره الصديق في سياحة الدولة على سنة
الرسول عليه الصلاة والسلام ، من معاودة
ذوى الرأي والثقة في كل ما جل ، لكنه
كان يستقل بالرأى حين تكون الثبته فيه
تبعته دون غيره .

وبلغ من إيجاب على بن أبي طالب ،
كقائه ، أنه قال في تأييده : كنت كالجليل
الذي لا تحركه المواصف ، ولا تزيد
الفواصف ، كنت كما قال رسول الله ﷺ
ضعيفا في بدئك ، قويا في أسراة ، متواضعا
في نفسك عظيما عند الله ، جليلا في الأرض ،
كبيرا عند المؤمنين ، ولم يكن لأحد
عندك مطمع ، ولا لأحد عندك هواة ،
فأقوى عندك ضعيف حتى تأخذ الحق
منه ، والضعيف عندك أقوى حتى تأخذ
الحق له ، فلا حرمنا الله أجرك ولا أضلنا
بمدك ، ؟

عباس بن علي بن إبراهيم

لهم الخوف من قنابات في القتال ، حتى قيدوا
بعضهم إلى بعض بالسلاسل ، ليحولوا بين
حارب وعربه ، وقلت الدربة في قاذمهم ،
حتى تغيروا أسوأ المواقف ، وأمروا الأوقات
فهموم في معارك كثيرة ، وانهمز الروم
لأهم كانوا يدعون العرب عن دولة خطمها
ما قد حطم الفرس من الحروب الخارجية
والعتن الداخلية ، فضلا عن الجدل العقيم ،
وامتسكات إلى الله زمانا ، حتى رضيت
بالجزية ، وتوحيها لبرابرة الهون والإبارة ،
واهتمت على أهم كثيرة فمادها ، وتفرس
بها الهوان ، كلما طمع الطامعون فيها .

علم الصديق أن الحرب ، إذ طلبوا الدين
حاربوا صديقين في القتال ، وأنهم - وعدهون
بالنصر ، ومؤثرون بصديق لوعده ومقبلون
بنفوس نجب الموت ، كما يحب أعداؤها
الحياة ، وأنهم خفاف لا تتقاهم المصدمة ،
محبون من وراء ظهورهم بالصعراء ، إلى
وحدت الرحمة مقدمون على أرض خيرتها
حلائهم ، وهرات عليه خطمهم ، وألمفته
من أخبار فتنها ومفاسدها ، ما قبل له
في الإيمان بالقدره عابها .

ولما جاءت الغنائم والأضال إلى بيت
القال ، لتوزمها بين من يستحقونها من
الرجال والنساء ، وجنح القاروق إلى تميز

معاني ذلك الكلام للأستاذ العزالي

«أكاديمية أفلاطون» و«ليسيه أرسطو»
كما أوضحت هابت في كتابه «فن التعليم»
ترجمة محمد فريد أبو حديد ص ٢١٦ .

٤ - وكلمة «بروسة» التي يسمي بها
الأزراك اليوم مدينة قريبة من «أقرة»
هي نفسها المدينة المعروفة في تاريخنا العربي
والإسلامي باسم «محرورية» التي كانت
مدينة حصينة من بلاد آسيا الصغرى ،
تحت حكم الروم الذين أغاروا على بعض
الثغور الإسلامية أيام الممتصم بالله العباسي
فخلى لحربهم ، وحاصر «محرورية» حتى
منحها عام ٨٢٢٣ ، وفي النهاية مهدد المعمر
للبيد قال أبو تمام فصيدته المائبة المفضورة
التي مطلبها :

السيف أمدد أنباء من الكتاب

في حده الجدد من الجد والعب
ومها يقول غطاطا يوم «محرورية» .
يا بروس وقمة «محرورية» انعرفت

عنك المي حفلا معسولة الحباب
٥ - وكلمة طبرية التي تطلق اليوم على
قرية طبرية ومحيرة طبرية تحمل فله طين
التي عنها التنبى بقصيدته في يد بن حمار

بجنت ومارت جادا في البحث من كتاب
أو مؤلف يعني نهاية جادة خاصة ، برحم
ما تيسر من الكلمات والأعلام ، إلأصولها
لتاريخية والجغرافية ، والوصول بين اسمها
للقديم واسمها الحديث قدر المستطاع ..

وإن حاجتنا الخاصة إلى مثل هذا
الكتاب ، إضافة للحقيقة والتاريخ ، ومنه
نعرف مثلا - فيما نعرف :

١ - أن كلمة «أوربا» ترجع إلى الكلمة
الأشورية القديمة «أرب» ومعناها الغرب
أو لغروب الشمس .

٢ - وكلمة «أحيا» ترجع إلى الكلمة
الأمورية القديمة «أحو» ومعناها الفرق
أو شروق الشمس ..

وكان الأموريون يطلقون كلمة «أرب»
عن البلاد الواقعة في الغرب كما يطلقون
كلمة «أحو» على البلاد الواقعة في الشرق .

٣ - وكلمة «أكاديمية» ترجع إلى
«أكاديموس» للناسك الوثني ، كما ترجع
كلمة «ليسيه» إلى اسم ناسك وثني آخر وكان
لهذين الناسكين الوثنيين ضريحان قريبان
من الموضع الذي أقيمت عليه بهـ ذلك

والجغرافية القديمة هي التي يقوم مقامها اليوم ما يعرف باسم (جبل طاق) .

٩ - وكلمة « طيبة » أو « منف »

أو « منفيس » التي نقرأ كثيرا في كتب التاريخ المصري القديم ، يقوم مقامها اليوم

« الأقصر » و « الكرنك » أو « الجيزة » أو « القرنة » جنوب مصر .

١٠ - وكلمة « القدس » اليوم . . .

هي ما عرفها القديس من الرومان باسم « إيلياء » أو « إيليا كاثوليكيا » .

١١ - وكلمة « أناني » أو « هاتاي »

التركية اليوم أصلها نواه الإسكندرية وهي القرية التي

تسمى الآية القرآنية الذكرية من سورة « يس » و « اضرب لهم » فلا أصحاب القرية

إذا جاءها المرسلون » ومن هذه القرية خرج « نوح الأنطاكي » الأديب العربي القديم

١٢ - وكلمة « طروادة » التي تتردد

كثيراً في كتب التاريخ و الأدب القديم في أسماء الحديث عن حصار « طروادة »

و « معركة طروادة » هي التي نعرفها اليوم باسم « تركيا » وما تزال آثار طروادة

القديمة حتى اليوم قائمة فوق رواية واسعة فصيحة تصوف باسم « رواية حصار »

بجوار مضيق المرديل .

١٣ - و « عمان » خاصة المملكة

سميت بهذا الاسم نسبة إلى القيصر الروماني « طيباروس » الذي أشار إليه إنجيل لوقا

في الآية الأولى من الإنجيل الثالث . .

ويحتمل طرية تسمى إسرائيل اليوم بحجة « كيزرت » . .

٦ - وكلمة « صحراء القف » تجمع الكلمة العربية « النجب » ومماها الجنوب .

٧ - وكلمة « بابل » يكشف عن أصلها

الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه « دلائل الألفاظ » ١١ : « إن الإنجيل

المحادي مقر من سفر التكوين أو قصة تكشف من أصل هذه الكلمة ، وخلاصة

هذه القصة أن الناس قد حاولوا أن

أن يتخذوا لنفسهم مدينة عظيمة ، ورجا شاعرا يطاول السماء . . فبابل الله أنزلهم

وجعلهم فرقا قبيحا مختلفا اللسان واللسان بعد أن كانوا أهل لغة واحدة ، ولما

واحدة ، ومن هنا انشروا في الأرض ، وتعددت لغات البشر ، ومن « بابل »

جاءت كلمة « بابل » .

وذهب آخرون من الباحثين إلى أن كلمة « بابل » ليست ببلد لالسن . . وإنما هي مشتقة من كلمة (بابو بابل) ومعناها

(باب الرب) . .

٨ - وكلمة (أمدة هرقل) التي نقرأ

بنا كثيرا في بعض الكتب الأدبية

الراكدة أو يعيشون في الحقول حفاة الأقدام، ثم تفرز مادة كاوية تحرق جسم الإنسان، وقد عثر الطريق أمام تلك الديدان لاختراق جسم الإنسان والانجلاء إلى الماء الذي يتولى توريدها على بقية أعضاء الجسم الإنسانى ولا سيما الرئتان والكبد والأمعاء والطحال. وقد اكتشف الدكتور تيودور بلهارس هذه الديدان عام ١٨٥١م في أثناء دراسته لعلم التشريح بالقاهرة. وفي إحدى زيارته لفيوم ومن «بلهارس» جاءت كلمة «بلهارسيا»

١٦ - وأشهر أمراض العرب قديما، ونمى به سوق «عكاظ» كان يقع وللكان الذي حدده الأستاذ البعانة للقصص الجائر الذي عرض أقوال خمسة عشر مؤرخا عربيا قديما في مقال له بمجلة المجمع للعلم العربي ٣٠ مجلد ٢٦ - (١ تموز ١٩٥١) ٢٧ رمضان ١٣٧٠ هـ - ثم انتهى من مقاله الرائد هذا إلى تحديد مكان سوق «عكاظ» بالأرض الواسعة الواقعة شرق الطائف بجبل نحو الشمال خارج حاضرة الجبال لطيفة، وتبعد تلك الأرض من الطائف نحو خمسة وثلاثون كيلومترا، ويحدها غربا بحال بلاد عذراء، وجنوبا جبال أسفل وادي لة وشرفا صحراء ركية، وشمالا طرف ركية ما الغزالي عرب

الأردنية اليوم، كانت لها حضارة منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة ق م. وهي التي فنتها النوراة باسم «ربة صورية» وقد أطلقوا عليها في العصر الروماني قبل المسيح زمن قليل باسم «ملاشيا» وفيما ترك الرومان حفرات الآثار، ومنها للمرج الروماني الذي بدأ إعداده في زمن بطالسة وفي القرن الثالث قبل الميلاد. وهو اليوم أكبر مسرح في عمان.

١٧ - و «جزيرة دلمون» المعروفة قديما بجزيرة الأساطير في مياه الخليج الفارسي هي التي تعرف اليوم باسم «البحرين» التي سميت بهذا الاسم الجديد لأنها تحصل على حاجتها من لبناء العذبة، من الفنايع التي تتدفق من النهر الجوف الطويل الممتد من حال الحجاز، عبر الصحراء بالمطبة المعروفة، تحت الخليج إلى حزر البحر. وهناك فنايع من لبناء العذبة تتدفق من هذا النهر الجوف الطويل وسط ماء البحر الملح

١٨ - وللمعرض المعروف باسم «بلهارسيا» يرجع أسسه إلى الطبيب الألماني الرائد (بلهارس) الذي هو أول من كشف عن الديدان الخبيثة الصلبة التي تسلسل إلى أقدام من يتزولون في لبناء

الموسوعة القرآنية

تصنيف الأستاذين:
ابراهيم الأبياري وجمال المقصود مرزوق
للكنوز على المعارف

- ٣ -

والقراءة الصحيحة شروط معروفة
هذه العلماء ، وقد ذكرها الكاتب ، فقال:
(وكان رائد هؤلاء جميعا فيما أخذوا فيه
أن كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ،
ووافقت المصحف الإمام ، وسع سندها
هي قراءة صحيحة ، لا يجوز ردها ،
ولا يحمل إنكارها) (١).

الكوفة ، فذلك منه حجة قوية توجب
الاحتياط ، وربما حملوا العامة ما اتفق
عليه أهل الحرمين (٢).
وذكر بعض آخر من العلماء أن ما هذا
مصحف مما لا يقطع عليه ، وإما يجري
يجري خبر الآحاد ، لكن لا يقدم أحد
على القطع في رده (٣).

وهذا كله يدلنا على أنهم تحروا ،
وباغوا في التحري والاختيار ، ولم يكونوا
كما يصورهم الكاتب نافلا من أن فتية
والزخري .

وقد أخذ الكاتب رأيه في الاكتفاء
بما في المصحف الإمام من (إن فتية)
حيث قال: (لا قال قائل: فهل يجوز
لنا أن نقرأ بجميع الوجوه؟ قيل له:
كل ما قال منها موافقا لمصنفنا ، فهو

(لا يجوز ردها ، ولا يحمل إنكارها)
هذا ما نقله الكاتب بنفسه ، أهل المخذ
ذلك ، ربما يحدى به حين أراد أن يطرح
القراءات في البحر ، وأن يكتفى بما يؤيده
للمصنف الذي به أيدينا ؟

وقد زاد بعض العلماء شرطا نقله من
العلماء السابقين أيضا ، وهو (أن تجتمع
الامة على القراءة) قال (والعامة عندهم
هو ما اتفق عليه أهل المدينة ، وأهل

١ : الرحلة القرآنية - ١ - ص ٣٣١ .

٢ [٧] المدعو السابق - ١ - ص ٣٣٢ .

[٧] المدعو السابق ص ٧٦

وقد ضربنا - فيما سبق - مثلاً من اختلاف القراءات بسبب النقط ، واضرب له هنا مثلاً لاختلافهم بسبب الضبط ، ذلك لوله تعالى في قصة سيدنا يوسف : **وَأَوْسَىٰ مَنَّا فِدَاءً يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ ۚ لَا شَكَّ أَنَّ هَكَذَا أَيْ الْأَسْوَدَ ، وَمِنْ بَعْدِهِ هَكَذَا الْحِلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ وَتَلَامِيذُهُ كَانَ يَسْكُرُونَ مِنْ (يَرْتَعُ) وَهِيَ الَّتِي فِي الْمَصْصِفِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا ، وَلَكِنْ هَذَا الْحَرْفُ قَرِيبٌ عَلَى حَبِيبَةِ أَوْجِهَ ، مِنْهَا (يَرْتَعُ) بِكسر العين من الارتقاء ، فمثل ترك هذه القراءة لأنها تخالف هُكُلَ مصحفنا ، أَمْ نَسَاهَا لِأَنَّهَا تَوَافَقَ رِسْمُ الْمَصْصِفِ الْإِمَامِ عِنْدَمَا كَتَبَ ؟** الواجب أن يقال : إذ الممول عليه هنا هو صحة النقل في القراءة ، واتفاقها مع مصحف عماد على حالته الأولى .

أما الاعتماد على الرأي ، والنسجج بالاحتماد فأمر نبرأ إلى الله منه ، كما يرى منه العالم العظيم أحمد بن المنير وقد نقل عن أبي حنيفة النحاس أن : (البداية فحظر للطمع على القراءة التي قرأها الجماعة) ، وأد : (السلامة منه أهل الدين إذا صحت القراءتان عن الجماعة ألا يقال : إحداهما أجود لأنها جميعاً عن النبي - ﷺ - فبأنهم من قال ذلك) .

خارج من رسم كتابه جاز لنا أن نقرا به ، وليس لنا ذلك فيما عاينه .

فأما نحن - معتر النكاحين - فقد جمعنا الله بحسن اختيار السلف لنا على مصصف هو آخر العرض ، وليس لنا أن نمدوه ، كما كان لهم - يريد النظميين من الصحابة والتابعين - أن يفسروه ، وليس لنا أن نفسره .

واعتماد الكاتب - هنا - على ابن قتيبة بنقصه التوفيق .

أولاً : لأن ابن قتيبة يذكر (رسم كتابه) ولم يتعرض للنقط والفعل ، مما يدلنا على أنه أراد المصصف أول ما كتب ، ثانياً : أنه ذكر اختيار السلف ، فاعتمد على النظم الصحيح ، ولم يجعل كل اعتماد على رسم المصصف .

ثالثاً : يقال ابن قتيبة - هنا - في الاعتماد على اختيار الصحابة والتابعين ، حتى يرى أنه لا يجوز لنا أن نغير القرآن كما جاز لهم أن يفسروه .

فهو يرى الكاتب هذا الرأي أيضاً ؟ أم أنه جعل مجلدة من موسوعته خاصة بتفسير القرآن ؟

فسر الأحرف السبعة (بلفات اله ب) هـ
هكذا مطابقة ، ولم يحصرها في قبائل معبر
وإن كان المتبادر أنه يريد هذه القبائل
لأنه أحال على ماسبق ، وما سبقه وحصرها
في قبائل مضر للسمع ، فولا أن يذكر
عليه أن لو ظهر في حديثه هذا الذي ملق
عليه للكاتب ففسد إمام المذنب الأتقي كل
أحواله إلى قبيلة (بلعاص بن كعب) وعليها
خرج قوله تعالى : (إن هذا لأسفاسا) ،
وبلعاص بن كعب أئمت قبيلة مضرية بل
هي قبيلة يمنية ، وحلقة نسبها هي :
بلعاص بن كعب بن عمرو بن عبد بن جله
ابن منجج بن أد بن زيد بن يثرب
ابن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ
ابن يثرب بن يعرب بن قحطان .

فهي قبيلة ، يمنية قطانية ، وليست
مضرية ولا عذانية ، وإذا آمن الكاتب
بما ذكره الوطواط كان عليه أن يتفككه
في وصفه تفسر الأحرف السبع بلفات
مضر بأنه (الأولى) .

ثم ما الكاتب في ص ٧٩ فذكر (الإمامة
والإشمام والتفريق والتفخيم وغير ذلك
عما لقطت به القبائل ولم نستطع ألصقها
غيره) وقال : (وهذا الذي قلنا أنه : إنه
المعنى بالأحرف السبعة التي جاءت في الحديث) .

ثانيا : في ص ٥٥ ورحم الكاتب تفسيرا
للأحرف السبعة التي وردت في قول
الرسول - صلى الله عليه وسلم -
« أنزل القرآن على سبعة أحرف » ،
فقال مع القرآن إنه (يمثل أعلى ما ينتظمه
الإنسان العربي من لغات ، وأحرف ما يجمع
من طبعات ، وكانت لغة مضر أهل ما يجري
على لسان قريش وأحواله ، فزل بها القرآن
وفي هذا يقول عمر : نزل القرآن بلغة
مضر ، وكانت لغة مطر هذه تنتظم لغات
سما لقبائل جبع ، م : جذيل وكنانة ،
وقيس ، وضبة ، وبهم الرباب - وأمه
ابن حزيمة ، وغربش .

واقدم مثل القرآن هذه اللغات السبع
كلها مفردة فيه ، ، لكل لغة منه نصيب ،
وهو أولى الأقوال بتفسير الحديث) .

ثم ما في ص ٦٨ ، فمقب على تخريج
الوحداني لبعض الآيات التي توقف فيها
مع لم يعرف مذاهب العرب ، فقال :
(وما أتت فأتى في كلام الوحداني
فيلاجدها يؤيد ما قلنا من قبل من
أقراءت السبع ، وأنها لغات العرب جاءت
مشرقة في القرآن ، وبها كلها يتجه الكلام)
الجديد في هذه العبارة أن الكاتب

بأنها عدنانية ذلك أن لم يذكرها في القائل
السبع ، مع أنه روى عن ابن عباس
- رضي الله عنهما - قوله : **زَلَّ الْقُرْآنُ**
بلغة الكهين : **كَبَّ** بن لؤي ، و**كَبَّ**
ابن عمرو بن لحي ، و**كَبَّ** هذا هو خزاعة
على ما يراه بعض النسايب .

ولقد حكى صاحب البرهان الرأي الذي
ذهب إليه الكاتب بصيغة التصريف ،
فقال : (وقيل هذه اللغات السبع كلها
لحضر) ^(١) .

(ج) ذكر ابن عبد البر أن (أكثر
أهل العلم) على تفسير الأحرف السبعة
بسبعة أوجه من لغات التنفة ؛ بالالفاظ
المتنفة) ^(٢) .

(د) ذكر بعض المحققين أن في القرآن
الكريم ألفاظا من أربين لغة عربية ،
وسمى السبع بالتوسعة على الفارسي .

(هـ) ومما يدل على ذلك ما نقله القرطبي
في تفسيره عن أبي بكر الباقلاني من
قوله : (وقد قال الله تعالى : **وَإِنَّا جِئْنَاكَ**
قُرْآنًا عَرَبِيًّا ، ولم يقل : **قُرْشِيًّا** ، وهذا
يدل على أنه منزل بمجسم لسان العرب ،

وهنا صرح الكاتب بطرق الأداء ومجم
في (القائل) ولطيفة الحال : إن كان
ذا كراب هو يريه قبائل مضر السبع .
ونحب أن نقول :

أولا : أن الأحرف السبعة لم يأت
في معناها نس ولا أثر ، ولذا اختلف
المعاني في تعيين المراد بها ، وذكروا في ذلك
خمسة وثلاثين وحبا ، وقد وجم الكاتب
وحبا منها ، وزعم أنه الأول وهو تجميع
بغير مرجع ، بل هو تفسير غير مقبول :

(١) قال ابن عبد البر : قد أنكر
أهل العلم أن ينكر معنى سبعة أحرف
سبع لغات ، لأنه لو كان كذلك لم ينكر
القوم بعضهم على بعض في أول الأمر ،
لأن ذلك من لغته التي طبع عليها ؛ وأيضا
لأن عمرو بن الخطاب وحفص بن حكيم
كلهما قرأ في وقت اختلفت قراءتاها ومحال
أن ينكروا عليه مر لغته (أي لغة عمر) .

(ب) إن الذين فسروا الأحرف بلغات
سبع قبائل ، واعتبروا هذا هو للذهب
المنار لم يحصروا القبائل في مضر ، بل
ذكروا (الأزده) و (ربيعة) و (خزاعة) ،
والأول قبيلة بكنية ، ولثانية أخت مضر ،
والثالثة اختلف في نسبها ، وفي القول

[١] - ١ ص ٢١٩

[٢] - للتوسعة السابق ص ٩٠ ص ٢٢٠ .

وليس لأحد أن يقول : إنه أراه قريبا دون غيرها ، كما أنه ليس له أن يقول : أراه لغة معدنان دون قططان ، أو ربيعة دون مضر ، لأن اسم الله ب يتناول جميع هذه الله أدنى تناولا واحدا (١) .

وكان الأتالي يرد على ابن قتبية القى يرى أن القرآن لم ينزل إلا بلغة قريش ، لقوله تعالى : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه » ، وقوم محمدا ﷺ هم قريش . في رأى ابن قتبية .

(و) كما يؤيده ، ويرد على ابن قتبية أيضا ما روى أن سيدنا عبدا لله عباس - رضي الله عنهما - قال : ما كنت أدرى معنى قوله تعالى : « وبنا افتتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين » حتى سمعت بنت فدي بزن تقول لزوجها : تعالى أفتحك ، أي أحاكك . وبنت فدي بزن بمنية .

وما روى عنه أيضا ، قال : ما كنت أدرى ما فطر السموات والأرض حتى أذنني أمر إيمان يختصمان في بشر ، فقال أحدهما : أنا فطرناه ، يعني : ابتدأناها .

قال صاحب البرهان . (وهذا أبو بكر

ومر - رضي الله عنهما - من أنصاح قريش ، سئل أبو بكر عن (لأب) (٢) ، فقال : أي حماء تطلقه وأمه أرض تطلق ، إذا قلت في كلام الله ما لا أعلم ، وقرأ عمر سورة (عبس) فلما بلغ (لأب) قال : ألفا كهة قد عرفناها فما الأب أم قال : لعمر الله يا ابن الخطاب ، إن هذا هو (الكلف) (٣) . وهؤلاء كلهم قريشيون ، بل من فصحاء القريشيين ، وهو أعلم بلسانهم ، وبلغات مضر . ولو كان كل القرآن نزل بلغة قريش - كما يقول ابن قتبية - أو بلغات مضر ، لم نخف على واحد منهم لمطة من هذه الألفاظ ، أو على الأقل لم يتوقف واحد منهم في معناها .

تأني : أن الكاتب نصب هذه العبارة : (نزل القرآن بلسان مضر) في عبارتهما السابقة ، وفي غيرها ، إلى سيدنا عمر ، والذي رأيت في الكتب القديمة نسبتها إلى سيدنا عثمان ، نصها - كذلك القرطبي في تفسيره (١٨ من ٣٩) ونسبها إلى عثمان في البرهان - كذلك - (١٨ من ٢١٩)

و - على العمارة

[١] قوله تعالى : « وبنا افتتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين » من سورة عبس

[٢] ١٨ من ٢٩٥

[٣] ١٨ من ٢٢٨

طرائف في الغنائز

للزيتاني رحمه الله

(لغز في الميراث)

جاء هو والإجابة عنه بالعر

أبها العالم الفقيه الذي فاني
أفلتت في قضية حاد^(١) منها
رجل مات عن أخ مسلم حرم
وله زوجة لها أبها الله^(٢)
لموت^(٣) فرضها وحاز أخوها
فأفلتت بالجواب عما سألتنا
ذكاء فانه من هيبه
كل فاض وحسار كل فقيه
تقى من أمه وأبيه
هو أخ خالص بلا نقوبه^(٤)
ما تبقى بالإرث دون أخيه
فهو نس لا خلف فيه

(الإجابة)

فل لمن يلفز السائل إن
إن ذا البيت الذي قدم الشر
رجل زوج ابنته عن وضاء
ثم مات ابنته وقد علفت^(٥) منه
فهر ابن ابنته بغير^(٦) صراه
وابن الابن الصريح^(٧) أذن^(٨)
فلذا حين مات أوجب لزوم
وحوى^(٩) ابن ابنته الذي هو ق
وتخل^(١٠) الأخ لمحقق من الإر
هالك مني للفتيا التي بحثتها^(١١)

كاشف سرها الذي تخفيها
ع أخا عرسه^(١٢) هل أبي أبيه
بحمالة له ولا خسرو^(١٣) فيه
ه خاتم بان يسر ذويه
وأخسرو عرسه بلا نقوبه
إلى الله وأولى بإرثه من أخيه
جدة تمن الترات تستوليها
الأصل أخوها من أمه بآلية
ث ولما يكفيك أن توكبه
كل فاض يقضى وكل فقيه

[١] حاد منها : مال وعدل [٢] المر بكسر الميم : ولد تنح : العالم : فنان

[٣] بالمعنى : الشك والردة [٤] حوت عرسها : استولت على نصيبها للمروءة

[٥] عرسه : زوجته [٦] لا يغزو : لا يجب [٧] علفت : حلت [٨] بغير صراه : بغير جدال

[٩] الصريح : الخالص [١٠] أذن : أوجب [١١] حوى : جمع [١٢] تخل من الإرث : لم يدخل فيه

[١٣] بحثتها : يتبعها ويتتبعها

(الغاز نحوية)

- ١ - ما العامل الذي يتصل آخره بأوله ،
ويعدل معكوسه مثل عمه ؟
- ٢ - ما العامل الذي تائبه أرحب منه
صهراً ، وأكثفه تعالى ذكراً ؟
- ٣ - ما الحالة التي يلبس فيها الكران
براقع النسمان ، وتبرز فيها ربان الحبال
بمائم الرجال ؟
- ٤ - ما اللوح الذي يجب فيه حفظ
الراتب بين الضروب والضارب ؟
- ٥ - ما الاسم الذي لا يلهم إلا باستضافة
كلمتين ، أو بالافتصار منه على حرفين ؟
- ٦ - ما الاسم الذي إذا أُرِفَ بالنون
نفس صاحبه في الميول ، وفهم بالهوى ،
وتعرض للهوى ؟
- ٧ - ما الكلمة التي هي حرف محبوب ،
أو اسم لما فيه حيوان حلوب ؟
- ٨ - ما الاسم للتردد بين فرد حازم ،
وجمع ملازم ؟
- ٩ - ما الهاء التي إذا لحقت اسماً ما طلت
منه النقلة ، وأطلقت المعتقل ؟
- ١٠ - ما السين التي تميز الصامل
من غير أن تجمال ؟
- ١١ - ما النصب على الطرف الذي
لا يخفنه سوى حرف ؟
- ١٢ - ما الضاف الذي أدخل من عرى
الإضافة بعروة ، واختلف حكمه بين معاد
وغدوة ؟

(الإجابة)

- ١ - العامل للطلب هو كلمة (يا)
ومعكوسها (أه) وكلتاها من حروف
النداء ، ومعلمها في النداء واحد يبد
أن (يا) أجولة في الكلام .
- ٢ - العامل المراد في هذا الفرع هو
(يا القسم) وهذه الباء هي أصل حروف
القسم بدلالة استعمالها مع ظهور فعل القسم ،
كما في قوله تعالى « وأقسموا بالله جهد أيمانهم »
وقوله « يحلفون بالله لكم ليرضوكم »
وله قولها على الضمير في نحو قوله :

هائه « والشمس وضحاها ، وقصر إذا
 نلاها ، والتهار إذا جلاها ، والليل إذا
 يتعاهها ، والساء وما بناها ، والأرض
 وما طحاها ، ونفس وما سواها ، فألهمها
 الجودها والهوها ، قد أفلح من زكاها »
 فقه رأيت كيف انمكس في هذه الحالة
 حكم المذكر والمؤنث ، حتى القلب كل
 منهما مكان الآخر ، وبرز في بزة صاحبه .
 ٤ - الموضع المراد هو حيث يفتنه
 القاعل بالفعل ، لتصرف ظهور علامة
 الإعراب فيهما أو في أحدهما ، وذلك إذا
 كانا مقصورين مثل موسى وعيسى ، أو
 كانا من أسماء الإشارة نحو هذا وذاك ،
 فيجب حينئذ - لإزالة اللبس - إفراد كل
 منهما في مكانه ورتبته ، ليحرف الفاعل
 منهما بتقديمه ، والمفعول بتأخره .
 ٥ - الاسم المراد هو (مهما) وفيها
 قولان : أحدهما : أنها مركبة من (مه)
 التي هي بمعنى اكشف ، ومن (ما)
 والآخر : أن الأصل فيها (ما) فزيدت عليها
 (ما) أخرى كما زيدت ما على أن ، فصار
 لفظها ماما فتقل عليهم توالي كالتن في اللفظ
 واصله ، فأبدلوا من ألف الأولى هاء ،
 فصارتا مهما ، ومهما هذه من أدوات

بك لأنصرف الظن ، وإنما أبدلت الواو
 منها وابت عنها في القسم لأنها من حروف
 الغنة ، ولتقارب معنيهما : فالواو تعيد
 الجمع ، والياء تعيد الإلصاق الذي يهب
 الجمع ، ثم صارت الواو لابتدة من قباه
 أجول في الكلام ، وأطلق بالإقسام ، ولهذا
 كانت أكثره تعالى ذكرا ، ثم إن الواو
 أكثر من قباه دورانا : فالباء لا تدخل
 إلا على الاسم ، ولا تعمل فيه الجر أما الواو
 فتدخل على الاسم ، والفعل ، والحرف ،
 ونحو تارة بنفسها وتارة بإضمار (وب)
 كما أنها تنتظم مع نواصب المضارع ، وأدوات
 المطف ، فلهذا وصفت بسعة الصدر .

٣ - الحالة للظرفية هي حالة تمييز
 الأعداد من ثلاثة إلى عشرة ، فإنها تكون
 مع المذكر بالهاء ، ومع المؤنث بنه هاء ،
 كما في قوله تعالى « صفرها عليهم سبع
 لوائه ونمانية أيام » وقوله « ولقد آتينا
 موسى تسع آيات بينات » وقوله « بعدكم
 وبكم خمسة آلاف من الملائكة مسومين »
 وقوله « لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء »
 وقوله « على أن تأجرني ثمانه حجج » .
 والمعروف أن الهاء في غير هذا الموضع
 من خصائص المؤنث ، كما في قوله جل

٩ - الماء للطلوبة هي الماء التي تلحق
الجمع الذي بمدة ألف تكسيرة حرفان ،
كصيارف ، وصياقل^(١) ، أو بمدة ألف
تكسيرة ثلاثة أحرف أو وسطها ساكن ،
مثل تلايد ، وتنايل^(٢) ، تقول صيارفة ،
وصياقنة ، وتلامذة ، وتنايلة .

فهذه الجوع كانت ممنوعة من الصرف
قبل اتصال الماء بها ، لأنه لم يكن لها نظير
في الأسماء الآحاد ، ولأنها على صيغة تنهى
الجوع ، ولكن لما لحقتها الماء انصرفت
لأنها صيرتها إلى أمثال الآحاد ، نحو كراعية ،
وطواحية ، تخف ثقلها لهذا السبب ، وصرفت
لهذه اللة ، وقد كثر في هذه الأسماء
عما لا ينصرف بالمتنقل .

١٠ - السنين للطلوبة هي التي تدخل
على الفعل للتنقل ، وتصل بينه وبين
(أن) التي كانت قبل دخولها من أدوات
النصب ، فبرقع حينئذ للفعل ، وتنقل
أن من كونها الناصبة للفعل وتصبح مخففة
من الثقيلة ، كافي قوله تعالى « علم أن
سيكون منكم مرضى » ، والتقدير ، علم أنه
سيكون منكم مرضى .

(٩) البياض : جمع سبيل وهو شهاد السبوف
وجلاؤما .

(١٠) التنايل : جمع تنال وهو القصير

الشرط والجزاء ، فإذا لفظت بها لم يتم
الكلام ، ولم يفهم المعنى إلا بإيراد كلتين
بمدها ، هما فعلا الشرط والجزاء ، تقول
مثلا مهما نكن وفيا يكثر محبوبك ، وإن
اقتصرت منها على حرفين وحما (منه)
التي بمعنى اكفف كان المعنى مفهوما .

١١ - الاسم المطلوب هو (ضيف) لأنه
إذا لحقته النون استحاله إلى ضيفين ، وهو
الذي يتبع للضيف متطفلا إلى منزل
الضيف ، وهذا لا ينال إلا الموصوف ،
والسقوط من المبرور .

١٢ - الكلمة المطلوبة هي (نعم) فإن
أردت بها تصديق الأخبار ، أو الإجابة
عن السؤال ، لا يجاب كانت حرفا ، وإن
عنيت بها الإثبات كانت اسما ، ومن الإثبات
ما هو حلوب .

١٣ - الاسم المراد هو (سراويل) قال
بعض النحاة : هو مفرد ، وجمعه
سراويلات ، وقال آخرون : هو جمع
واحد : سراويل ، مثل شمال^(١) وشماليل ،
وسرايل^(٢) وسرايل ، ومعنى قوله ملازم
أنه لا ينصرف .

[١] الشمال : اللثة .

[٢] السرايل : القيسر أو الفرع .

- ١١ - المنسوب على الطرف الذي لا يخفضه سوى حرف هو (عند) إذا لا يجره من حروف الجر إلا (من) خاصة كما في قوله تعالى «فإني أتعث عفرا فمن عندك» وقوله «وأتاني رحمة من عنده» وقول العامة : ذهبت إلى عنده لمن .
- ١٢ - المضاف الذي أدخل بقرط الإضافة هو (لن) وذلك من الأسماء الملائمة للإضافة ، وكل ما يأتي بعدها يكون مجرورا بها ، كما في قوله تعالى «فهب لي من لدنك وليا» وقوله «وهب لنا من لدنك رحمة» إلا كلمة غداة ، فإن العرب نصبها بـ (لن) لسكونه استعما لهم لها في الكلام ، ثم نوتها أيضا ليتبين بذلك
- أنها منصوبة ، لا لأنها في نوع المجرورات ، قالت : سرنا لن غداة أي من طلوع الشمس إلى غروبها ، قال الشاعر : لن غداة حتى آتوه فقها^(١) بقية منقوص من الظل قالص^(٢) وعند بعض النحويين أن لن بمعنى عند ، والمصحيح أن بينهما فرقا لطيفا ، وهو أن عند يقتل معناها على ما هو في ملكك وممكنك مما دنا منك أو بعد منك ، أما لن فيختص معناها بإحضرك وقرب منك ؟ عباس أمير السعود مصنف
- (١) الخف : جمع فرس البعير ، ومن الإنسان ما أصاب الأرض من باطن قدمه .
(٢) الظل قالص : المنقش

قال الله تعالى :

«ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون ، قرأنا هريبا غير ذي عوج لعلمهم يتقون»
(الزمر ٢٨، ٢٩)

باب الفتوى

بمقدم الأستاذ : محمد أبوشادي

رأى الدين في الزواج العرفي

والبيع بالتقسيط والبيع لأجل :

السؤال : من العيئة / حنية بمبفتح

١ - ما حكم عقد الزواج العرفي

الذي لم يسجل رسمياً عند المأذون ؟

٢ - ما حكم البيع بالتقسيط ؟

٣ - ما حكم التاجر الذي يقوم بدفع

نقد ما يفتريه شخص ثم يزيه في السعر

نظراً لتأجيل الدفع ؟

الجواب :

من الأول : بأن صحة الزواج العرفي

تتوقف على ما يأتي :

١ - أن تكون الزوجة حلالاً للزوج

بأن لا تكون أحد المحرمات عليه للنسوس

عليهن في القرآن الكريم أو السنة النبوية

خالية من إحرام الحج أو حرة .

٢ - أن يبل العقد منها ولها العرفي

أو وكفه مع إذنها وجبوا إن كانت ثيباً

ونداً إن كانت بكرًا .

٣ - أن يباشر عقد الزواج - الزوج

نفسه إن كان رهيباً أو وليه إن كان

غير ذلك وكانت المصلحة في زواجه .

٤ - أن يجري العقد بصيغة تفهم

على إيجاب وقبول لا يلفظ الهبة كزوجته

مواكف فلاة على مهر كذا .. فيقول :

« قبلت زواجها لنفسى على ذلك » .

٥ - أن يقدّم العقد رجلاً عدلاً

غير ولها .

٦ - مع مقتضيات عقد الزواج

وحوب المهر .

أما ما يتعلق بالعقد العرفي فإنه يمتنع

الإقدام عليه لأن الحاكم منع من صماع

العرفي به أطام الحاكم وبذلك تضيع

حقوق كثيرة على الزوجين أو على أحدهما

فيكون ذلك الزواج محظوراً شرعاً لما

يتعلق به من أمور منهي عنها .

وعن الثاني : بأن الأجل يقابله قسط

من الثمن فإذا اشترى ما ثمنه مائة جنيه

بمئة دينار ١٢٥ جنيه إلى أجل فلا شيء فيه

بل هو جائز شرعاً .

وعن الثالث : بأن هذه المعاملة غير

سأله له ليوصله إلى أخيه ولم يحصل منه
تقصير في حفظه وما حصل من احتيال
المحتالين عليه لا اختصار له فيه فالمبلغ ضاع
على ضايع صاحبه ولا يلزم هذا بقوله منه
وإن أنهم صاحب المبلغ المذكور فيها
ذكر من قصة الاحتيال فله عليه الجبن .
هذا إذا كان الحال كما ذكر في سؤال
المستفتى والله تعالى أعلم .

سلس البول الدائم لا ينقض الوضوء
ولا احتجاء منه :

السؤال : من السيد / سلامه محمد ناصف
أجمت لجنة من الأطباء على استئصال
جزء من القولون لأحد المسلمين مما أدى
إلى تقييد فتحة العرج ، وقد نتج عن ذلك
خروج الرشح أو البراز أثناء تأديته الصلاة
ولا يستطيع التحكم في الاحتفاظ بوضوئه
فماذا يفعل إزاء هذه الحالة ؟ وهل يلزم
الاستنجاء من السلس ؟ .

الجواب :

من لازمه السلس نصف أولات الصلوات
فأكثر ، ووقت الصلوات مع الزوال إلى
طلوع شمس اليوم الثاني ولم يتعود إلى
ينقطع عنه السلس مدة يمكنه فيها الطهارة
والصلاة في أول الوقت أو آخره فلا بد منه
هذا لا ينقض الوضوء ويصلى بطهارته

جائزة شرما لأنها لا تخرج من الرض بفائدة
والله تعالى أعلم .

تلف المال دون تقصير من حمله
لا يلزم ضامه :

السؤال : من السيد / عبد القواب صاوي
مصطفى : أعطاني بغير مصطفى خمسين جنبها
لنوصيلها إلى أخيه عبد مصطفى المنفي ببلدتي
القبائل وذلك بمناسبة زوني ضيفا عليه
ذات ليله ، وعنه تسلم هذا المبلغ وضعت
في جيب (المهبري) الذي أضع فيه نقدي
كالعتاء ، وعنه مغادرتي القاهرة لابلتي
في ميدان التحرير بالقاهرة جماعة احتالوا
على مجمل لا أعرف القصد منها وذلك بعد
الإحاطة بي من كل جانب ، وأثناء ذلك
قاموا بسلب المبلغ المذكور من غير عمودي
وقد اتفقت إغماء استمر ثلاث ساعات ،
وبعد إفاقي لم أجد المبلغ ، فذهبت للتم
شرطة قصر النيل وأخبرته بما حصل
وجاري البحث عن الجناة .

وأريد معرفة حكم العرج في هذا
المبلغ وهل يلزم من ضامه أم لا ؟ .

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام
على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين أما بعد : فتقيد بأن صاحب المبلغ

الكبير، ورد ذلك عن أنس وجابر بن عبد الله
ولبراء تناول ذلك باب علامات النبوة في
صحيح البخاري والله تعالى أعلم .

الجنة والنار خالداً مخلدين :

السؤال : من السيد / محمد أحمد الحبراني
(محلة دمنة)

يقول بعض العلماء إن النار يوم القيامة
لها مهلة المذاب ثم تنتهي ولم تكن
موجودة، والبعض الآخر يقول إنها موجودة
لا تبلى للمذنبين فما هو الرأي السليم ؟

الجواب :

الذي نمتقده وهو ظاهر النصوص أن
النار والجنة موجودتان الآن وأنهما خالداً
لمذاب أهل اللعنة ولعيم أهل الحمادة
لا تنفهاه قال تعالى في جانب الجنة « أعمت
الضئير » وقال « خالدين فيها ما دامت السموات
والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوف »

وفي جانب النار « أعمت لكافرين » وقال :
« خالدين فيها ما دامت السموات والأرض »
إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد .
والنقيض فيهما بقوله « ما دامت السموات
والأرض » لتأكيد التأييد والخلود، وما عدا
هذا من الآراء الأخرى لا يقول عليه
والله تعالى أعلم ؟ محمد أبو ساري

ما شاء من الفرائض والنوافل أداء أو قضاء
ولا ينقض وضوؤه إلا بمحدث آخر غير
السلس، فهو ترضاً في آخر وقت الطهر
ولم يحدث فيه ناقض للوضوء غير السلس
حتى دخل وقت العصر فله أن يصل
بوضوئه هذا العصر وغيره من الفرائض
أداء أو قضاء حتى لو دام هذا الوضوء
إلى المغرب والمساء فله أن يصلحها به كما
أن يصلح به ما شاء من النوافل فإن اعتاده
أن ينقطع عنه السلس مدة يمكنه فيها الطهارة
والصلاة في أول الوقت أو آخره وجب عليه
في هذا الوقت الوضوء للصلاة وإذا أمكنه
التداوي وجب عليه ويغفر له مدة التداوي
كما تفيد اللجنة بأن الاستنجاء من السلس
غير واجب لمفر عنه والله تعالى أعلم ؟

السنة الصحيحة تركه بيع الماء مع بين
أسابع الرسول ﷺ :

السؤال : من السيد / محمد أحمد العمري
هل صحيح أن الرسول ﷺ بيع ماء من
بيده في إحدى النزوات ؟

الجواب :

ورد في السنة بأسانيد مختلفة كلها صحيحة
أن الماء قد بيع مع بين أسابع النبي ﷺ
في مناسبات متعددة ترضاً وشرب منه الجمع

انبثاء وآراء

● تبدأ الجزائر قريبا فتح الكليات الإسلامية : الشريعة ، أصول الدين ، والفقه العربية بمقرها ، سيكون لهذه الكليات الطابع الأزهرى .

في الصيف الماضى حصل الأستاذ عمر هقيرى - وزارة أوقاف الجزائر - على للنهوض المختلفة كليات جامعة الأزهر بوانى سماحة الدكتور السيد عبد الله ابن عبد القادر بالفقيه العلوى مدير معهد الحديث بالانج - أندونيسيا - ندائه له لمساعدة القضية الفلسطينية - ليا بوجه لمسلمى أندونيسيا من أن لاخر من حديث مشتملا بقوله الرسول ﷺ : (قلوا منون بعلمهم لبعض نصحة وادوية ، وإن انفردت منازلهم وبذلهم) رواه عبد الرزاق الجبلى فى الأربعين عن أنس ، والديلى عن الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه - كثر القائل ٣٩ / ١ .

● تقرر فى الغرب نقل كلية أصول الدين من (قطوان) إلى (تاس) وإلحاقها بكلية الشريعة على أن تصبح الكليات كلية واحدة فى المستقبل .

جاء فى خطاب الرئيس المبادئ بأسير طوره - فى الجماهير :

شئ واحد أوصيكم به :
أوصيكم بالإيمان الذى أوصانا الله سبحانه وتعالى به :

نحن فى أعد أو لائقنا حاجة لأن ندعم شؤنا جميعا بالإيمان .

بالإيمان صنوجه كل القوى العاتية مهما كان غرورها .

إننا نعد كل شئ به بقدر ما نستطيع .
وبكل قوتنا نعد كل الأسلحة .

ولكن سلاح الإيمان لا يقل قوة من أحدث الأسلحة .

الإيمان هو سلاح مبرى رهيب فيه حتمية النصر بعون الله .

أيها الإخوة :

أريد أن أختتم كلمتي لكم بشئ واحد ، هو أن تكون على مستوى المسئولية التى أرادها الله لنا - سبحانه وتعالى - وأن نكون على مستوى حمل الأمانة التى أئتمت منها السموات والأرض .

« أف الطالب سيد عبد العزيز سيد بكلية الحقوق - جامعة القاهرة - سجل بالثبر العقارى فكرة (تسجيل القرآن على طوابق البريد) موزما على آيات أو بعضها حتى يكتمل ، وأف بعض الحكومات تدبر مفاوضات مع الطالب لاستغلال فكرته لتنفيذها في بلادها . »

إن لطابع البريد رحمة ونهاية :
تبدأ رحلته عند وقوعه في أى كف
ثم يمر بأى لعاب يستقر بعده على «الطرف»
ويأخذ طريقه - سريدا - إلى آلة نمك
وجهه ، فيبقى من جماله شيء أو ينضم
جميعا في مهاد أسود يفوق فيه أى جمال .
وينتهى إلى المرسل إليه وهو هنا
إنسان هو أى دين ، فقد يبنى بأخراجه
وهذا نادر ، وأندومته من يضعه في مكان
يحفظ فيه بالطوابق والكثرة الكثيرة هو من
تفرق وتقرأ وتلقى في سلة المهملات وهذا
أمر جدا بعض الناس أن يبقى في هذا
العصر أف يذكر اسم الله في خطاب إلا
لإنسان يعرف ما يليق بذكر الله وبعبه :
فهل ترك الآية القرآنية تبدأ هذه الرحلة
فتنق في كل الأيدي وتحت كل لعاب وتنتهى
نفس النهاية ، ثم نعطى بأفمننا الحجة

حلت صحيفة الميثاق المغربية التي رأسها
عبد الله كنون عضو مجمع البحوث الإسلامية
على القرار ولقت الأنظار إلى خطورة
هذا التصرف .

● تألفت في الهند لجنة «البحوث
الفقهية» تابعة لجمعية «علماء الهند»
ورأسها مولانا «سجاد حسين»

مهمة اللجنة ملاحقة تنفيذات الاجتامية
بين المسلمين في متى بلام لإصدار فتاوى
سريعة لحل مشاكلهم .

● تسهم وزارة الإدارة المحلية
بالجمهورية العربية المتحدة في إقامة مدارس
لتحفيظ القرآن الكريم في مدن محافظة
شنا وقررها

● افتتح فضيلة الدكتور محمود
حب الله عضو مجمع البحوث الإسلامية
محاضرات «المركز الثقافي دبلوماسيين»
بالقاهرة فألقى مساء ١٣ من شهر المحرم
١٣٩٠ - ١١ / ١ / ٧١ بالإنجليزية محاضرة
بنادى التحرير عن «الإسلام دين الوحدة
والأخوة» .

القرآن الكريم .. أيضا :
نشرت الأخبار في ٢٩ / ١٢ / ١٩٧٠ :

لتغيير القرآن وتبديله إذا تموت - هو
فهم إسلامية - لطبع تحت أي ظرف
وبأية حجة.

إذ القرآن العزيز كتاب الله الكريم
لرسوله والزمين للعبه بتلاوه وعماحة
لعالميه، فليس لزينة ولا لافتتال الحرفة وليس
هو ناهيا لاقتناء الأفكار الضالة أو عبث
الأطفال، فيلبي أن يصاد مما يراه به
من هذا الابتذال.

● وضع سفير الجمهورية العربية المتحدة
بجارتنا - أندونيسيا الأستاذ فزاد محمد
هبل كتابا عن الفسكة اليهودية العالمية
وقد نول ترجمة الكتاب إلى الاندونيسية

الدكتور بطاي عبد الغنى عميد كلية
الآداب بجامعة جارتنا الإسلامية،
سبق له دكتور بطاي عبد الغنى ترجمة
كتاب آخر لعبد المنير هو:

« دراسات في الحضارة الإسلامية »
● قامت « المكتبة الصغانية »
بدروند بطبع التفسير الجليل «روح المعاني»
في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني
للعلامة شهاب الدين محمود بن عبد الله
الألومي المتوفى سنة ١٢٧٠

كذلك قامت « المكتبة النعمانية »
بدروند بطبع كتاب نادر للفقير الحنفي
« ابن جابدين » « هو الفتاوى القامية » .
علي القطيب

فهرس أبجدى عام

سنة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م

المصنف	الموضوع	المصنف	الموضوع
		(١)	
٨٧٤	إلى حجاج بيت الله الحرام (قصيدة شعر)	٢٧٠	ابن الهيثم
٥٣	أمنه للأومنين فى الحديث	٦١٧	أجلنى مافى عهد القمطر
٤٣٦، ٣٤٧، ٢٤٣	انتقام الإسلام	٢٢	إحساس صادق بالوعة إلى الدين
٨٥٧، ٦٥٤، ٥١٤	فى الرطب . .	٢٠٨	أخلاق النبى ﷺ
٣١٢	انحرافات لامذاهب	٦١٥	أسد الغابة (تصحیح)
٥٩١	أنزل القرآن على سبحة أحرف	٢٨٠	الإسمراء وللمراج
٣١٥	الإيالة والصبر أمام الحرب النفسية	٢٧٨	إسرائيل وفتلى الأمفالى
(ب)		٢٨٣	الإسلام والعلم
٧٦١	بنو إسرائيل فى القرآن الكريم	١٦	أسلوب إبراهيم فى الدعوة إلى الحق
(ث)		٨٣٨، ٧٥٣	الأسلوب القرآنى بين الجزالة والزفة
٤٥٣	تخصير الأرواح	٢٢٢	الأسوة الحسنة
٧٧١	ترجمة القرآن فوق طاقة للترجمة		الأشهر الحرم والنسب : أوضاع
٢٦٥	ترجمة القرآن لإدوار مونتيسيه	٢٢٧	هذه النظم فى الإسلام
١٧٤	تصريحات لاعطاء المؤتمر الخامس للجمع	٢٢٦، ٢١٣، ٢٢٦	الأسول الصياحية
	التصوف الإسلامى فى ضوء الكتاب	٦٦٤، ٤٩٦، ٤٢٧	والدستورية فى الإسلام
٤٥	ولسنة	٣٩٩	أغرودة الذكرى فى إيلة الإسمراء والمراج
٢٧٢	تمثيل شخصية للمصاحبة	٦٨٢، ٥٢٩	الأنغاز الأدبية
١٤١	التولى يوم الحف (بحث)	٦٧٧	إلى فلسفاهن

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٨٩	دين آباء الرسول صلى الله عليه وسلم	(ج)	
١٤٦	الدين والدولة في إسرائيل	١٢٤	الجانب الإسلامى من القضية الفلسطينية
(ذ)		الجرح والتصلب في	٥٩٦، ٤١٣
٣٦٠	فوات الثلاثة وفوات الأربعة	علم السنة	٦٧٨
(ر)		الجهاد بالمال في نظر الإسلام (بحث)	١٠٨
الرحلة الهداة للبغرية	١٩٧	(س)	
روابط القراءة والنسب	٥٢٤، ٤٤٥	الحرية في الإسلام تمهيد لا تدمير	٤٧٦
عن عصر والغصب البنى		حول تفسير تاريخى اجتماعى	
(ز)		عصرى القرآن	٧١٤
زواج الطائفة الهاشمية (فتوى)	٦٩١	حول لنفسه للمعلى القرآن	٧٠٨
(ش)		حول مقربين العقاد	٢٤٠
قيادة عدو على عدوه (فتوى)	٤٥١	حول فكرة تلحين القرآن	٧٣٩
الشيخ عبد القاهر الجيلاني في		حول كتاب عشرة أيام في حياة	
تمسك بالشرعية	٣٨٦	الرسول صلى الله عليه وسلم	٩٨٨
(ص)		(ط)	
صفوة الصفوة محمد ﷺ	١٨٠	الخطوبة - فمخها والمدول عنها -	٢٤
صورة الرسول لحوال التصوير والتصوير	٢٨١	خواطر ومغامر في ذكرى الهجرة	١٦
الصيام فريضة استعلاء	٥٨٢	(هـ)	
(ط)		الهاء والقصر	٢٠٣
طرائف في ألغاز	٨٨٩	هلاكة القرآن هل نفس	٥٤٠، ٤٦٠
(ع)		أنه من عند الله	٨٤٤، ٧٠٣
البعرة من الهجرة	٤	دور الأزهر في الحركات الفكرية	
		والنفاية	٦٤٣

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٧٦٦	القرآن والمسيحية	٣٢٩	عنات زباني شاعر أزهرى كبير
	قرارات وتوصيات المؤتمر الخامس	٥٥١، ٦٧١	الحرية لغة الإسلام والسلطان
١٦٦	(لائحة أول)		عرض القصص القرآنى من طريق
٤٤٢، ٤١٨	قضية بنت الأخ والعمة	٧٨٥	السينا والشرح
٥٢٠	وبنت العم في المهاد	٤٥٣	المرى والأخلاق
٣٧٧	قلعة العروبة ورواية الإسلام	٥٠٥	ملائكة التشريع الإسلامى بالتشريع الوضعى
٨٧٥	القيادات العسكرية	٧٧٨	علائق الوحي بالرسول ﷺ
(٥)		٤٠٧	على هامش الفراج
٨٦	كلمة الإمام الأكبر في المؤتمر الخامس	٦٥٠، ٤٣٧	المعلم بين الدين والحياة
	كلمة الأمين العام للجسم في المؤتمر	٩٣٨	المعبد في مفهوم الإسلام
٩٤	الخامس	٤٦٨	المعنى والحسد
٤٩٧	كلمة التوحيد عن الشاعر محمد إقبال	٨١٢	الأعيان من طبائع الأمم
	كلمة السيد رئيس الجمهورية في المؤتمر	(٦)	
٨٣	الخامس		النفس على المثل والخرج في
١٠٤	كلمة وزير الأوقاف في المؤتمر الخامس	٩١١	الدين (فتوى)
٩١	كلمة الوفود في المؤتمر الخامس	(٧)	
٦٩٧	كلمة لاهوتها	٦٢٠، ٥٥٠	الفتح البين
	الكلمة والحركة وهو وما الأساس	٥٥٩	فضائل شهر رمضان
٢٥٥	في نهضة المسلمين (بحث)	٢٠٩	في ذكرى الثورة المختار (قصيدة)
٨٠٣	كلمة منحرفة ضد الإسلام	(٨)	
(٨)		٥٢٧	قدرا الله وما شاء فعل
٨٠٣	ليست شخصية الأنبياء ضبابية	٤٧٣	قدسية الكلمة
٥٧٨	ليست خير من	٦٤٨	القرارات في نظر المستشرقين والمسلمين

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
لا هائلة من الوثنية	٨٢٢	(د)	
مقبل الهجرة	١	نظرات ولحات في كتاب الله ٦٠٣	
مؤتمر صحفي للأمن العام	٧٩	نظام الاقتصاد في الإسلام	٨٢٧
مجلد الخضر حسين	٧٢٣، ٥٨	(هـ)	
مجلد الفاضل بن طاهر	٤٠١	الهجرة إلى الحبشة	٢٢
محمود أبو العيون	٤٨٥، ٤٢٠	الهجرة مقدمات ونتائج	٩
مسئولية الإيمان	٨١٨، ٦٣٣	هذا الأمين وضيقنا : هذا مجلد ١٨٤	
المسجد وأثره في الحياة الإسلامية ٤٨٧		هذا المؤتمر في مواجهة الخطر ٨١	
المصطلحات العسكرية في كتاب		هكذا يكون الإثبات	٩٦٠
المختص	٥٣١	هل حق أحد قنابة ؟	٩٩٥
مقارنة بين حروف القرائن		هل يوثق المسيحي عقد الزواج لصلتين ٢٧٤	
والحروف الإنجليزية	٨٠٣	(و)	
مكتبة القاهرة الفاطمية	٦٥	الوحدة ضرورة يفرضها الإسلام ٥٨٥	
ملاح شخصية السيد في الإسلام ٣٤١		الوحدة في السورة القرآنية ٦٢٧، ٥٧١	
مما يدور على ألسنة المؤلفين بالقصص ٢٥١		وله الله في أحب أرضه إليه ٨٠٩	
من المعجزات في الإسراء والمعراج ٢٩٩		وراء السوالف	٨٦٩
مواجهة الحرب للنفسية	٤٥٢	(ي)	
الموسوعة القرآنية ٨٨٤، ٧٩٢، ٥٠١		يوم الاحتشاد العظيم	٢٥٣
مولد الخير وقنور والرحمة	١٧٧	يوم لقرآن	٥٦٤
مصادر الشريعة الإسلامية ٨٦٤		اليوفسكو وإسرائيل	٣٧٤
معاني وراء الكلمات	٨٨١	يوم التحرير يوم الحج الأكبر ٨٢١	

هدايا صدرت عن مجلة الأزهر

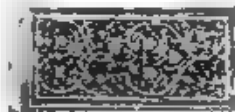
من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى	شبابنا المثقف أمام الإيمان والتدين
القرآن وتجديد المجتمع	المستشرقون والإسلام
شبهات زائفة حول التفكير الديني	التيارات المصرية في فهم القرآن
رسم المصحف - المشكلة وحلها	الإسلام والتفرقة العنصرية
التربية الخلقية والاجتماعية في السنة النبوية	الوحي والقرآن

have not driven you out of your homes" S : 10, V : 8. Thus international relationship with the people, who have no quarrel with the muslims, is not a state of hostility, it is at least a neutral relationship until otherwise is deemed necessary. As a matter of fact the conception that the natural relationship between men is a hostile relationship and that they came to some understanding through the "social contract" - is a foreign conception to the religion of Islam.

Islam intends right from the beginning to create a state of affairs in which man can enjoy his complete individual liberty and believe in what he freely wants to believe, and freely exercise the same. The individual liberty and the freedom of the will, are absolutely necessary for the validity of the belief; any sort of compulsion makes the faith void and null. The Holy Qur'an has made it very clear; when it says : "There is no compulsion in religion" S : 2, V : 256. It is to be noted there that the in-

junction has taken a denial form rather than the form of prohibition; so as to carry with it the cause of the prohibition; as it were saying you are forbidden to compel anyone to accept religion, because it cannot be done; it cannot be achieved in that way. Faith is a matter of conscience, and conscience cannot be compelled; all that you can accomplish by coercion is to make men appear as if he were accepting and believing, where he, in actuality, is not accepting; to make him voice the words of conversation, while his heart is absolutely denying; in short, to make a hypocrite out of him; and hypocrisy, in any form or manner, is condemned by Islam. One has to understand his religion and freely come to it; all coercion, thus, attributed to Islam are just slights of the imagination; are mere fictions. If anyone is interested in pursuing the subject any further he can consult the Holy Qur'an or read some of the reliable books written about the subject, such as "The preaching of Islam" by Sir Thomas Arnold.

(to be continued)



do always assume that apart from their selves and their allies, there is no virtuous nation. Almost all people and all nations suffer to some extent from that self-esteem and superiority complex; they may differ in the amount of the presumptions they make; the differences therefore are in degree but not in kind. That is the mental attitude of the war monger; it is the psychological basis of all problems and fighting. Man has to cure himself from such a mental disease; it does not help much to ignore the real cause, and to put the blame on some other innocent factors. Neither the material world — the market and the commercial enterprises, nor the destiny or fate, as some people like to put it, are responsible for human plunder and misbehaviour.

The emotion of fear does play a great part in causing such a struggle; the weak fears the strong and the strong fears the weak lest the latter may become stronger or attack in the back. But this also is a mental attitude which must be subjected to objective moral standards that has, behind it, the sanction of man himself. Such objective moral standards can be found nowhere except in religion. All external orders are not sufficient unless they have the sanction of the self or the sanction of a supreme being

that knows the hidden secrets of man as well as his apparent deeds.

Imbued with the spirit of their religion, the Muslims should not generally suffer from that destructive mental attitude since the religion of Islam has taught the Muslims to be broad-minded, of international temper, accommodating, coexisting, and cooperating with all those who wish to cooperate and live peacefully with them. The history of the Muslim people is full of practical evidences which confirm this fact; and entire pages of the Holy Quran do emphatically make it law and order.

The religion of Islam is the religion of peace. This is the very implication of the word. The noun and the verb from which it is derived mean peace. When Muslims meet one another and salute one another by saying "Assalamu A'laikum", they are praying for peace; but that peace is not confined to Muslims; it is extended to all those who want to live in peace with Muslims. Listen to the Holy Quran regulating the relation between Muslims and non-Muslims in this connection when it says: "God does not forbid you to be generous and to deal justly with those who have not, on account of your religion, waged war against you, and

physical make up of mankind is one and the same everywhere; and there are many reasons for believing that the mental and emotional make up of mankind is as common to all men as their physical make up; and we are inclined to think in this way, so long we are not partial. The fact of human oneness can find many evidences in its support. Both psycho-analytic researches and statistical works confirm it. The discovery of the unconscious goes a step further to indicate that a great amount of actual unity does exist within them, although, for one reason or another, they may not be aware of such a unity. Thus all differences — racial and national differences and what is called national character are not inherent in the nature of the race or the nation as such; they are due to long traditions and the way of upbringing of the youths of the race or the nation. By nature, people are not widely different from one another as many people think them to be.

Yet because of one reason or another, some people tend to over-emphasise these slight and unimportant differences; and they further tend to classify people in terms of these differences. The social life here and there is full of such classifications; the way of speaking,

the use of big phrases, the colour of the skin, the kind of clothing, the way of walking, the place of origin, all stand, in their minds, for a certain particular kind of manner. And they often jump to the conclusion that this must be the case with all those who undergo one or the other of the classes. If such people behave in a different way, the others do not correct themselves but jump to another conclusion and say they must be exceptional. By his surface appearance, a white man or a coloured man, gives to the opposite the illusion of profound natural differences; while the differences may not be actually there. In short, the categories are first defined, and those who fall into them are expected to be full of peculiarities; where as their only peculiarities may be the ones that put them in that category.

Again, because of self-love, people are also inclined to think of others in terms of their own interest; they are inclined to think as if only one nation does actually matter, and as if the other nations were merely means to their national ends; they think of them only as temporary allies or enemies of their chosen race and consider them good or bad, according to the part which they play towards the achievement of their national ends. They

ISLAM : The Religion of Unity and Universal Brotherhood

The text of the lecture delivered by Dr. Mahmoud Hubballah, Member of "the Islamic Research Academy", at the Cultural Centre for Diplomats, Ministry of Culture U.A.R., on Monday 11th January 1971.

The Holy Qur'an emphatically asserts that the human world is a moral universe, governed from without by some objective moral standards which no human being has the right to amend, or abolish; because they are not made by man; they are made for man, they are prior to any human relationship; they are constituted for the benefit and welfare of the human world in its different stages of development and manifestation: they are ordained to create in this world a tone of harmony, a sense of understanding and togetherness which should prevail and manifest itself, not only in personal relationship, but also in all national and international relationship. These moral standards are both objective, and universal; they carry with them their intrinsic values and are applicable to everyone. Such a conception of the objectivity and universal application of the moral codes is, to my mind prerequisite for and mutual under-

standing in national or international relationship.

Once our men and women are taught to respect and honour humanity wherever it may be, and regardless of the form which it happens to take, or the culture which it happens to develop; once our men and women become aware of such values and rigorously adhere to them in their dealing with others, no devastating danger will ever emanate from any struggle how severe it may appear to be. The barriers which separate one man from another, or one nation from another, are artificial barriers; they are mainly the outcome of ignorance; give people knowledge - the correct and right knowledge - change the mental attitude, and the atmosphere will become brotherly pleasant, with a strong will to coexist with others, cooperate with them, and appreciate one another's right and dignity.

There is no doubt that the

and in thanksgiving for the mercy of God.

183 — The social aspect is not less striking. The world brotherhood of Muslims manifests itself there in the most vivid manner. The believers without distinction of race, language, birthplace or even class real the obligation to go there, and to mix with one another in a spirit of fraternal equality. They camp together in the desert, and perform their religious duties in common. For several days, at fixed hours, they march, make a halt, pass the night under tents or in bivouac, — all this to an extent greater even than the five daily prayer-services, trains the soldier of God for a life of discipline.

183/a — When the Prophet Muhammad performed his own hajj, a few months before his demise, he uttered them from above the Hill of Mercy (Jabal ar-Rahman) a sermon which constitutes the charter of Humanity in Islam. Some 1,40 000 Muslims had come that year from all parts of Arabia, to listen to this testament of their Prophet, which

may be analysed as follows : He reminded the basic elements of Islam, viz., belief in the One God with no icons or other material representation; Equality of all Muslims without discrimination on account of race or class, and there being no superiority to one over any other except by the individual excellence in the matter of piety and fear of God; Sacred character of the three fundamental rights of each and every human being concerning his person, his property and his honour; Prohibition of transaction on interest, be the interest big or small; well the women-folk; Constant re-distribution and circulation of the private wealth to avoid its accumulation in the hands of a few (by means of the law of obligatory inheritance, restrictions on wills and prohibition of interest etc.); and Emphatic restatement that the Divine Revelation alone should be the source of law for our conduct in all walks of life : — The pilgrims are made to hear this same sermon every year, recited from above the same sacred Hill of Mercy, at 'Arafat.

the object of devotion and care and love.

181/2 The Black Stone requires a particular mention on account of the many misunderstandings on its score. It is not a meteorite, but a Black stone, its practical importance is to show the starting point of the circumambulation, and by its colour it is conspicuous in the building. Secondly, this stone is not worshipped, nor even Muslims prostrate in the direction of this stone, prostration being done towards any and every part of the building of the Kabah, and more often than not one turns to directions other than the Black Stone (al-Hajar al Aswad). It may be recalled that once when the Qaramitah ravaged Mecca, they carried the Black Stone to their country as booty and it remained there for long years. In the course of this absence of the Black Stone, no Muslim turned to the place where it was kept (In Oman), but continued to turn towards the Kabah in Mecca. Even the building of the Kabah is not essential : If it is demolished, for instance for repairs and new construction, Muslim turn to the same spot, whether the Kabah with its Black Stone is there or not. As said, the practical importance of the Black Stone is that it indicates the point from which the circumambulation begins and at which it ends ;

but it has a symbolical significance too. In the Hadith, the Prophet has named it the "right" hand of God" (yamin-Allah), and for purpose. In fact one poses there one's hand to conclude the pact, and God obtains there our pact of allegiance and submission. In the Quranic terminology, God is the king, and He has not only His treasures and His armies, but also His realm ; in the realm there is a metropolis (Umm al qurra) and in the metropolis naturally a palace (Bait Allah, home of God). If a subject wants to testify to his loyalty, he has to go to the royal palace and conclude personally the pact of allegiance. The right hand of the invisible God must be visible symbolically. And that is the al-Hajar al-Aswad, the Black Stone in the Kabah.

182 — As to the act of covering seven times the ground between Safa and Marwah, it is related that when Abraham left his wife Hagar and the suckling Ishmael in the desolate and uninhabited site of Mecca, the provision of water was soon exhausted. So Hagar ran hither and thither, driven by maternal affection, to search for some water for the thirst-stricken baby ; and then the Spring Zamzam gushed forth. So one repeats this act in the same place where Hagar did it, to pay homage to maternal love

were to think only of Abraham — who according to the Islamic tradition, was but the restorer of the edifice erected originally by Adam — it would still be older than the temple of Jerusalem, constructed by Solomon. No other place of worship older than the Ka'bah of Mecca, is known to be still functioning.

178 — The rites of the Hajj may briefly be noted : At the borders of the sacred territory, around Mecca, one puts off the ordinary dress, and puts on by way of a religious uniform two sheets of cloth — a jama cloth and a shoulder cover, a dress required only of men, not of women. He is bareheaded and one tries to forget one's self during the several days of the Hajj. He goes to 'Arafat, in the suburbs of Mecca, to pass there the day in meditation. Towards evening, he returns, passes the night at M. ad alittab, and early next morning arrives at Mina which is on the outskirts of Mecca. There he passes three days, during which he fasts, da'es Satan every morning, sacrifices a goat, pays a short visit to Ka'bah for performing the ritual sevenfold circumambulation and running through the hills of Safa and Marwah in front of the Ka'bah. The symbolic background may also be described here :

179 — After their fall from Paradise, Adam and Eve were separated and lost. They searched for each other, and by the grace of God met together at 'Arafat. In gratitude to God, the descendants of Adam and Eve turn to Him make an effort to forget themselves and assimilated with the Divine Presence, with a view to entreat His pardon for their shortcomings in the past and His help for the future.

180 — As to the lapidation of Satan, it may be recalled that when Abraham claimed to love God above everything else, God demanded of him as a proof the immolation of his beloved son. To add to this trial, Satan went first to Abraham to dissuade him from his resolution — and they say that this happened at Misa — but Abraham chased Satan away every time by pelting stones at him. Then he went to Hagar, and lastly to Ishmael himself; each one of them did the same. So one repeats the act symbolically, and resolves to fight diabolic temptations.

181 — The visit to the "House of God" is self explanatory. To give evidence of obedience, one goes there with respect and in humility. It is a very old custom to circumambulate a thing for showing one's readiness to sacrifice one's self for

the lunar year employed in Islam, has 355 days, and the lunar month sometimes 29 and sometimes 30 days. So a Muslim fasts every year for 35 or 36 days, which is worth tenfold i. e., 350 or 360 days, the average being 355, which is the number of the days in the lunar year.

176 — The mystics observe, that an ebullition of animal nature hinders the perfection of the human spirit. In order to subjugate the body to the spirit, it is necessary to break the force of the body and increase that of the spirit. It has been found that nothing is as efficacious for this purpose as hunger, thirst renunciation of carnal desires and the control of the tongue, the heart (mind) with its thought and other organs. One of the aspects of individual perfection is the subordination of animal nature to reason and the spirit. Nature sometimes rebels, and its behaviour at other times is one of submissiveness. One therefore needs the practice of hard exercises, such as fasting, in order to keep in check animality. If one commits sins, penitence and mortification through fasting may bring solace and purify the soul, even as they fortify the will so as not to indulge again in vices. It has also been remarked that neither eating nor drinking is a trait of

the angels; and in imposing this regimen, man makes himself resemble more and more the angels; and since his actions are intended to conform to the behests of God, in the result, he approaches nearer to Him and obtains His pleasure; and that is the ultimate aim of man.

THE HAJJ

177 — Hajj literally means a travel (i. e. towards God) as also an effort to dominate something (the self, in this connection). Conventionally this term is translated as pilgrimage, although it is far from giving the exact significance of the word hajj. This is the third of the religious duties of a Muslim. It is obligatory on every adult, man or woman, to go once in his or her life-time to Mecca in order to perform there the great EFFORT for annihilating the ego (fann'), i. e., assimilating one's self with the will of God. Those who do not possess the material means of travel are exempted from it. But which Muslim would not collect, little by little, the necessary amount for being one day able to visit the centre of his religion, the Ka'bah or the House of God? The Quran (3:96) does not exaggerate when it says that this is the oldest House in the world dedicated by mankind to God and to the cult of monotheism. If one

up later by an equal number of days of fasting. The same applies to the sick. As to the very old he need not fast, yet if he has means he must feed a poor for each day of the fasts of Ramadan.

175 — It may be recalled that the Prophet forbade fasts extending over several days continuously (for 48 hours or 72 hours for instance), over the whole year, or during the whole life, even to those who longed to do so in their zeal for spiritual practices to obtain increased benefit. He remarked: "Thou hast obligations even with regard to thine own self." In addition to the obligatory fast of Ramadan, one may fast, as a work of supererogation, if one likes, from time to time; and for this voluntary fast, the Prophet has recommended fasting for two days at a time. From the medical point of view, one notes that fasting eternally becomes a habitude, which does not produce the same effect as fasting at intervals. To fast for less than a month does not produce great effect, and a fast for more than 40 days becomes a habitude.

175/a. is a myth to say that fasting in cold climate is contrary to the requirements of human health. Biological observations show that wild bears get practically nothing to eat especially when it

snows. They sleep or otherwise pass their time "fasting", and get rejuvenated on the approach of spring. The same is true of trees also. In winter they lose completely their leaves, and sleep, and are not even irrigated; and after a few months of "fasting", they are rejuvenated in spring and get more vigorous than ever, as everybody can see in their luxurious new foliage and blossoming. In fact like all animal organs, the digestive apparatus also require rest. Fast is the only conceivable method for it. Now-a-days a new school of medicine has come into existence in all the western countries; which treats, particularly chronic diseases, by short or long periods of fasting.

175/b. — It is an antique notion in human society to offer the tithe of one's gains to God; the tithe of harvest is an example. Fasting is offering the tithe of our meals to God. A parallel notion (endorsed by the Quran 6/160: "Whoso bringeth a good deed will receive tenfold the like thereof") is that a good deed is rewarded ten times as much by God. That explain the saying of the Prophet: "Whoever fasts the month of Ramadan and six more days in the following month, Shawwal, is as if he has fasted the whole year." In fact

THE FAST

172 — The second religious duty of a believer is the fasting for one month every year. One must abstain during every day of the month of Ramadan from eating, drinking and smoking (including inculcations and injections) from dawn to sunset in the equatorial and tropical countries (and for an equivalent period in regions situated far away from the centre of the globe, calculated on the basis of the hours at 45° parallel, as we have just mentioned). Of the sick we shall speak later on, 174. It goes without saying that one must likewise abstain from thinking of carnal and other pleasures, incompatible with the spiritual regimen. It is quite a rigorous discipline, which may appear very difficult to the adherents of other religions; yet even the new converts get accustomed to it very soon if they show good will, and inclination as is evidenced by the experience of centuries.

173 — The fast extends over a whole month; and as is well known, it is the purely lunar month which ceases in Islam. The result is that the month of fasting, Ramadan, rotates turn by turn through all the seasons of the year, autumn, winter, spring and summer;

and one gets accustomed to these privations in the burning heat of summer as well as the chilling cold of winter, and one undergoes all this as a spiritual discipline, in obedience to God. At the same time one derives from fasting temporal advantages connected with hygienic, military training, development of will power, among others, even as those resulting from the services of worship. More than anybody else, it is the soldiers who have, during sieges and other occasions of a war to support the privations of food and drink and still continue their duty of defence. So the most stupid ruler or commander-in-chief would be the one who hinders his militia from fasting in the month of Ramadan.

But it must be repeated that the aim is, essentially and chiefly a religious practice and a spiritual exercise enabling proximity to God. If one fasts for temporal motives only — under the prescription of a doctor for instance — he will be far from accomplishing his religious duty, and will not benefit spiritually at all.

174 — As in the case of prayer, women do not require to fast during their feminine indispositions, yet with this difference that the defaulting days are to be made

DEVOTIONAL LIFE AND RELIGIOUS PRACTICES OF ISLAM

By Dr. MUHAMMAD HAMIDULLAH

II

In fact it is reported that in the course of the battle of Khandaq, it happened that the Prophet himself performed the zuhr, asr, maghrib and 'ishaa services all these four late in the night, for the enemy had not allowed a single moment's respite during the day to attend to prayer. This means twice the prayer during the day. Again on the authority of Ibn 'Abbas, it is reported (see Bukhari, Muslim, Tirmidhi, Ibn Hanbal, Malik, and particularly Sahih of Muslim, kitab as-salat, bab al jam bain as-salat-ain fi'l-hadr, No. 49, 50, 54) that "sometimes the Prophet combined zuhr-'asr and maghrib-'ishaa having neither fear (of enemy) nor (inconvenience of) travel; adding: and the Prophet wanted thereby that there should be no inconvenience for his community." This narration implies thrice the prayer during the day. Evidently all depends on the conscience of the individual faithful who is personally responsible to God Whom one

cannot dupe and from Whom one can conceal nothing. There is again the question of the timings. We know that there is a great difference in the risings and settings of the sun between normal (equatorial-tropical) countries and the regions situated beyond and extending to the two poles. Al-Biruni (cf. al-jamahir) has observed that at the poles the sun remains set for six months continually, and then rises to shine continuously for six months (excepting the two days of the equinox). The jurist-theologians of Islam affirm in general that the hours at 45° parallel remain valid upto 90° parallel, i. e., upto the poles; and in the regions, comprised between 45° and 90°, one is to follow the movement of the clock and not that of the sun. This applies to worship as well as fasts and other like duties.

171 — Women are exempted from prayer services during their monthly indisposition and accouchement.

ated to Uihman, and the Banu shaiba have retained this title until the present day.

The Ka'ba is a simple stone structure about fifty feet square which stands on a marble base in middle of the great mosque of Mecca. In the eastern corner of the room is the Black Stone [الحجر الأسود].

The four corners of the Ka'ba indicate the cardinal points of the compass. There is a very interesting view in Islamic cosmology which states that before the world was created the ka'ba was a focus in the flux of pre-existence and that the world was formed from this particular point.

Thus it becomes the navel of earth. Also in cosmography, the ka'ba corresponds with the pole star and as the latter is the highest point in the heavens, so the former is the highest point in the earth.

The following is the prayer of Ibrahim from the Holy Quran :

« وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا
الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ
رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِمَّنْ فَتًى
فَعَزَّزْنِي وَمِنْ عَصَائِي فَذَكَرْتُكَ فُغُورٌ رَجِيمٌ »

وَبِنَا إِنِّي أَصْنَعُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بَوَاحٍ غَيْرَ ذِي
زُرْعٍ عَنْدَ بَيْتِكَ الْحَرَمِ ، رَبَّنَا لِيُقِيمُوا
لِلْمَسَلَةِ لَأَجْمَلِ أَفْتَدَى مِنَ النَّاسِ تَهْوَى
إِلَهُمَّ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَهْكُرُونَ .

It means : "When Abraham said : My lord : make safe this territory and preserve me and my son from serving idols. My Lord ! Lo ! they have led many of mankind astray. But whose followeth me, he verily is of me. And whose disobeyeth me still Thou art Forgiving, Merciful. Our Lord ! Lo ! I have settled some of my posterity in an uncultivable valley near unto Thy Holy House. Our Lord ! that they may establish proper worship ; so incline some hearts of men that they may yearn toward them ; and provide Thou them with fruits in order that they may be thankful". (2 : 127-131)

In the conference of pilgrimage Muslims meet in the service of God exchanging ideas, investigating their problems and strengthening the bonds of fraternity and unity. The pilgrimage also adds to man's knowledge and experience. Differences of colour, race and nationality are levelled off and real bond among them is sincere brotherhood.

exposed his throat to his father's knife. Ibrahim stood over his son, knife in hand, about to give the life of his beloved son. What courage and faith this father and son had, for this was no easy thing to do for either of them, for the one to take the life of his son and for the other to submit himself to his father's wish : both of them submitting to the Will of Allah. Just as Ibrahim's knife was about to descent to his son's throat he heard the bleating of a ram and suddenly saw the animal, and Divine Voice commanded him : "This animal will be sacrificed and not your son". Then taking the ram which had miraculously appeared he abediently made a sacrifice to his Lord who had put him to this particular sacrifice.

It was this man and his son who rebuilt the first sanctuary on earth, the Ka'ba at Mecca. It is to this holy place that all Muslims turn at the time of prayers and make their pilgrimage. It is something wonderful and unforgettable to gaze upon the Ka'ba, for there is concentrated the adoration of millions. The Ka'ba is an inescapable part of the Islamic religion. Islam rejects all forms of idolatrous worship and the Ka'ba is but a holy place where man has worshipped Allah since the time of Adam, no more, no less.

There are many traditions and legends surrounding the ka'ba and 'Black Stone' but it is accepted by all Muslims that the ka'ba is the first sanctuary to be erected on earth and was rebuilt by Ibrahim and his son Ismail. The Black Stone is the only original stone left after many centuries and many reconstructions. Historical references to the ka'ba is very limited before Islam, and only begins at the time of Muhamad (peace be on him), when the ka'ba was destroyed by fire and was rebuilt of stone and wood.

It is reported that when the time came to replace the Black Stone, the people of Mecca quarrelled for the honour and so Muhammad, placing the stone on his cloak, ordered the chiefs to take each end and carry it, and he himself placed it in its position. Thanks to his wisdom, every one was pleased and no one was offended. At that time ka'ba became a place of heathen worship and when the prophet conquered Mecca there was found nearly 400 idols around the ka'ba. All these were destroyed and the building then purified to become once more a place of true worship, all idolaters forbidden to enter Mecca. In the year 10th A. H. the Prophet led the first pilgrimage in which no idolater was present. At this time, the guardianship of the ka'ba entrusted

ultimate conclusion that from him spread out the eternally vibrant rays of Islam. No wonder that Ibrahim is linked to the Muslim nation with strong bonds. The Quran tells off many happening in Ibrahim's life. One day Ibrahim asked his people : "What are these idols you worship ? You are wrong in doing so". They replied : "Our fathers did so, so do we".

Once, while he was walking to his father's house the day gradually faded, night came and a star appeared, when he saw this star he said : 'That is my Lord'. But when it set he said : "O I do not love things that set". Then he saw the moon appeared and said : "That is my Lord". When this also set he said : 'Surely if my Lord does not guide me I shall go astray and become one of los'. Then the sun rose and he said : "That is my Lord who is the greatest of all". But this also set and when it did so he said : "O my people : I am free from your idolatry. See, I turn my face to the Creator of heaven and earth". After this, there came a time when the people left the town and Ibrahim remained behind, while they were gone he took an axe and went to the temple where the idols stood. Then he broke them into pieces and scattered them all except one large idol into whose hand he

put the axe. When the people returned and saw what had happened in their temple they accused Ibrahim, of the deed and questioned him saying : "Are you the man who did this to our gods ?" Ibrahim answered them : "Surely the largest of them has done this thing. Ask them, if they are able to speak". The people were confused and said : "You know well that they cannot speak". Then Ibrahim replied : "Do you then, disregarding Allah, the Lord of the Universe, worship these things that cannot help or harm you ? Shame on you and your worship of idols". The people could not answer and were furious with him. As punishment they threw him into a furnace, but Allah protected him and he left the fire completely unharmed.

Then the prophet Ibrahim had to make a supreme sacrifice. He was going to sacrifice his only son Ismail to his Lord who had put him to such a hard and severe test. In a dream he was commanded by Allah to sacrifice his son. When he told his son of his dream, he understood and told his father that he must do what he thought he had to do. Together they went to a certain place in the valley of 'Mina' and there prepared a place for sacrifice. When it was ready Ismail laid himself down on the altar and

It means : 'Lo ! the first Sanctuary appointed for mankind was that at Becca, a blessed place, a guidance to the peoples ; wherein are plain memorials (of Allah's guidance) ; the place where Abraham stood up to pray ; and whosoever entereth it is safe. And pilgrimage to the House is a duty unto Allah for mankind, for him who can find a way thither'. (3 : 96 - 97)

One of the major significances of the pilgrimage is that it reminds us of the fine example of the great prophet Ibrahim. There is much to know about this wonderful man who called 'Khalil Allah' [خليل الله] "the friend of Allah". His life was very long and spent in the service of his Lord. The faith which Ibrahim taught, the faith that all the prophets taught, the faith that Muhammad, the last of all prophets taught is the faith of the One God, Allah. Ibrahim was the father of the upright religion. As the Holy Quran says :

« ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا
ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من
المشركين »

It means : "Abraham was not a Jew, nor yet a Christian ; but he was an upright man who had surrendered to (Allah), and he was not of the idolaters". (3 : 67)

To understand the true significance of the pilgrimage and the 'Eid el Adha' (the sacrificial feast which takes place on the 10th Dhul Hijja), we must recall Ibrahim's life and his sacrifices. He showed us that we must submit to the Will of Allah, no matter what it may cost, and often this submission is a form of testing for us that we may prove ourselves in the process of strengthening our faith and character. From the very beginning, Ibrahim's life was separated from others by the hand of Allah. At his birth his mother had to hide in a cave to escape the soldiers of king 'Nimrod', who, because of a certain dream, had ordered the killing of all new-born children who were male. When still a youth he had a great spiritual experience and which gave an indication of his future life.

He taught his people that there is a supreme being, infinite and transcendent, above and beyond limited, human comprehension. He is the All Kind, All Knowing, nobody is asked for help or mercy save Him. He is the Creator of this Universe, and there is no creator but He, no partner to Him. He is the only One who is distinguished by worship and He is Sole Cherisher of humankind. If one follows the logical and simple proofs set out by the prophet Ibrahim to his people then one comes up to the

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

MANAGER :

ABDUL RAHIM FUDA

Dhu'l-Hijab 1390

ENGLISH SECTION

FEBRUARY 1971

The Role of "Hajj" In Strengthening Equality And Fraternity Among Mankind

By

A. M. Mohiaddin Always

Pilgrimage is a spiritual provision for the Muslim. It fills his soul with obedience, fear of God, repentance from sins, love for the memory of the struggle between right and wrong; and it reminds him of the overthrow of the idols and establishment of the worship of the One God. The pilgrimage fills his heart with the brotherly feelings because it bids him remember that all his brother Muslims are facing towards the same sacred spot; that he is one of a great company of believers; united by one Faith filled with the same hopes reverencing the same things worshipping the same God. It moreover may be considered a world conference for all Muslims; a conference that is called for by

God for the noble purposes. There around and inside the sacred House of "the land made safe" (الْبَلَدَ الْأَمِينُ) the Muslim meets his brothers in religion from all parts of the world.

The eyes of the whole Muslim world fixed on that central spot, keep alive in the bosom of each some spark of the Divine fire which lighted up the earth in that age of darkness. The Holy Quran says :

« إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ
مَبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ، فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ
مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ، وَمَنْ خَضَعْ لَهُ كَأَنِ اعْتَضَدَ
وَهُوَ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتِطَاعَ
إِلَيْهِ سَبِيلًا » .